الفصل في الملل والأهواء والنحل



ابن حزم

الفصل في الملل

والأهواء والنحل

ابن حزم

الفهرس

الفصل في الملل والأهواء والنحل ١

بسم الله الرحمن الرحيم ٦
- باب مختصر جامع في ماهية البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق ١٠
- باب الكلام على أهل القسم الأول وهم مبطلو الحقائق ١٨
- باب الكلام على من قال بأن العالم لم يزل وأنه لا مدبر له ٢١
- إفساد الاعتراض الأول ٢٤
- إفساد الاعتراض الثاني ٢٥
- إفساد الاعتراض الثالث ٢٦
- إفساد الاعتراض الرابع ٢٧
- إفساد الاعتراض الخامس ٢٩

باب الكلام على من قال أن العالم لم يزل وله مع ذلك فاعل لم يزل ٤٧

- باب الكلام على من قال أن للعالم خالقاً لم يزل ٤٩
- الكلام على من قال أن فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد ٦٦

الكلام على النصارى ٩٢

- الكلام على من يقول أن البارىء خلق العالم جملة ١٢٤
- الكلام على من ينكر النبوة والملائكة ١٣٠
- الرد على من زعم أن الأنبياء ليسوا أنبياء اليوم.. ١٦٣
- فصل في الكلام على من أنكر الشرائع من المنتمين إلى الفلسفة ١٧٤

الكلام على اليهود ١٨٢

- فصل في مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة.... ٢١٢

ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة.............................. ٤١٨

ذكر بعض ما في كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس... ٥١٨

ذكر فصول يعترض بها جهلة الملحدين على ضعفة المسلمين ٥٥٧

- مطلب بيان كروية الأرض ٥٦٧
- مطلب بيان كذب من ادعى المدة الدنيا ٥٨٣

الكلام في التوحيد ونفي التشبيه.......................... ٦٠٣

- الكلام في العلم قال الله عز وجل ٦٢٠

الكلام في الحياة ٦٦٨

الكلام في الوجه واليد والعين والجنب والقدم............. ٦٩٠

- الكلام في المائية.. ٧٠٦

مسائل في السخط والرضا والعدل والصدق ٧١٠

الكلام في الرؤية... ٧٤٢

- الكلام في القرآن.. ٧٤٧
- الكلام في إعجاز القرآن............................ ٧٦٥

الكلام في القدر.. ٧٧٧

- باب الاستطاعة.. ٧٨٤
- الكلام في أن إتمام الاستطاعة ٧٩٨
- الكلام في الهدى والتوفيق.......................... ٨١١

الكلام في القضاء والقدر..................................... ٨٢٥

- الكلام في البدل ٨٢٦
- الكلام في خلق الله عز وجل لأفعال خلقه ٨٢٨

الكلام في التعديل والتجوير.................................. ٩٠٠

▲ الكلام في هل لله تعالى نعمة على الكفار أم لا .. ١٠٤٥

الكلام في تعبد الملائكة وتعبد الحور العين ١١٦٢

هل تعصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ١١٧١
▲ الكلام في آدم عليه السلام ١١٧٤
▲ الكلام في نوح عليه السلام.......................... ١١٧٩
▲ الكلام في إبراهيم عليه السلام..................... ١١٧٩
▲ الكلام في أخوة يوسف عليهم السلام............. ١١٨٧
الكلام في يوسف عليه السلام ١١٩١
▲ الكلام في موسى عليه السلام وأمه ١١٩٨
▲ الكلام على يونس عليه السلام..................... ١٢٠١
▲ الكلام في سليمان عليه السلام ١٢٠٦
الكلام في محمد صلى الله عليه وسلم ١٢١٠
▲ الكلام في الوعد والوعيد ١٢٥٨
▲ الموافاة ١٢٨٦
الكلام في من لم تبلغه الدعوة ١٢٩٠
▲ الكلام في الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر
والكتبة ١٢٩٧
▲ الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين
قبل البلوغ ١٣١٧
الكلام في القيامة وتغيير الأجساد......................... ١٣٣١
▲ الكلام في خلق الجنة والنار ١٣٣٥
▲ الكلام في بقاء أهل الجنة والنار أبداً ١٣٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم..................................... ١٣٤٥

لا إله إلى الله عدة للقائه الكلام في الإمامة والمفاضلة . ١٣٤٥
الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة ١٣٩٥
الكلام في إمامة المفضول ١٥٠٤
▲ الكلام في عقد الإمامة ١٥١٣
▲ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر............. ١٥٢٠
الكلام في الصلاة خلف الفاسق والجهاد معه والحج ... ١٥٣٠
▲ ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو إلى المحال ١٥٣٥

▲ ذكر شنع الشيعة ١٥٣٧
▲ ذكر شنع الخوارج ١٥٥٦
▲ ذكر شنع المعتزلة...................................... ١٥٦٣
▲ شنع المرجئية... ١٥٨٩
▲ ذكر شنع لقوم لا نعرف فرقهم...................... ١٦٣٥

المعاني التي يسميها أهل الكلام ١٦٣٨

▲ الكلام في الجن ووسوسة الشيطان.............. ١٦٥٨
▲ الكلام في الطبائع...................................... ١٦٦٣
▲ نبوة النساء ١٦٦٧
▲ الكلام في الرؤيا ١٦٧٢
▲ الكلام في أي الخلق أفضل ١٦٧٥
الكلام في الفقر والغنى.................................... ١٦٨٨
▲ الكلام في الاسم والمسمى........................... ١٦٩٠
▲ الكلام في خلق الله تعالى للشيء ١٧١٥
▲ الكلام في البقاء والفناء ١٧١٨
▲ الكلام في المعدوم أهو شيء أم لا ١٧١٩

الكلام في الأحوال مع الأشعرية.............................. ١٧٣٥

▲ الكلام في خلق الله عز وجل للعالم ١٧٤٧
▲ الكلام في الحركة والسكون......................... ١٧٤٩
▲ الكلام في التولد...................................... ١٧٥٧
▲ الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون......... ١٧٥٩
▲ الكلام في الاستحالة.................................. ١٧٦٥
▲ الكلام في الطفرة ١٧٦٨
▲ الكلام في الإنسان ١٧٦٩
▲ الكلام في الجواهر والأعراض ١٧٧١

الكلام في المعارف ١٨٥٨

▲ الكلام على من قال بتكافؤ الأدلة ١٨٨١
▲ الكلام في الألوان.................................... ١٩١٥
▲ الكلام في المتوالد والمتولد........................ ١٩٢٤

مقدمة

بسم ا الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم رضـي ا عنه

الحمد كثيراً وصلى ا على عبده ورسوله خـاتم أنبيائه بكرةً وأصيلاً وسلم تسليماً أما بعد فإن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجـر واسـتعمل الأغـاليط والشغب فكان ذلك شاغلاً عن الفهم قاطعاً دون العلم وبعض حذف وقصر وقلل واختصر واضرب عن كثير مـن قـوي معارضات أصحاب المقالات فكان في ذلك غيـر منصـف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه وباخساً حق من قرأ كتابـه إذ لـم يغنه عن غيره وكلهم إلا تحلة القسم عقد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم وحلق على المعاني من بعـد حتى صار ينسي آخر كلامه أوله وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله.

قال أبو محمد رضي ا عنه فجمعنا كتابنا هذا مـع استخارتنا ا عز وجل في جمعه وقصدنا به قصـد إيـراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له وأن لا يصح منه إلا مـا صححت البراهين المذكورة فقط.

إذ ليس الحق إلا ذلك وبالغنا في بيان اللفـظ وتـرك التعقيد راجين من ا تعالى على ذلك الأجر الجزيـل وهـو تعالى ولي من تولاه ومعطي من اسـتعطاه لا إلـه إلا هـو وحسبنا ا ونعم الوكيل.

قال أبو محمد رضي ا عنه فنقول وبـا التوفيـق رؤس الفرق المخالفة لدين الإسلام ست ثم تتفرق كل فرقـة من هذه الفرق الست على فرق وسأذكر جماهيرها إن شـاء ا عز وجل.

فالفرق الست التي ذكرناها على مراتبها في البعد عنا أولها مبطلـو الحقـائق وهـم الـذين يسـميهم المتكلمـون السوفسطائية ثم القائلون بإثبات الحقائق إلا أنهـم قـالوا إن العالم لم يزل وأنه لا محدث له ولا مدبر ثم القائلون بإثبـات

الحقائق وإن العالم لم يزل وإن له مدبراً لم يزل ثم القـائلون بإثبات الحقائق فبعضهم قال إن العالم لم يزل وبعضهم قـال هو محدث واتفقوا على أنه له مدبرين لم يزالوا وأنهم أكثر من واحد واختلفوا في عددهم ثم القائلون بإثبات الحقائق وأن العالم محدث وأن له خالقاً واحداً لم يزل وأبطلوا النبوات كلها ثم القائلون بإثبات الحقائق وأن العالم محدث وأن لـه خالقـاً واحداً لم يزل وأثبتوا النبوات إلا أنهم خالفوا فـي عبضـها فأقروا ببعض الأنبياء عليهم السلام وأنكروا بعضهم.

قال أبو محمد رضي ا عنه وقد تحدث في خـلال هذه الأقوال آراء هي منتجة من هذه الرؤس مركبـة منهـا فمنها ما قد قالت به طوائف من الناس.

مثل ما ذهبت إليه فرق من الأمم من القول بتناسـخ الأرواح أو القول بتواتر النبوات في كل وقت أو إن في كـل نوع من أنواع الحيوان أنبياء.

ومثل ما قد ذهب إليه جماعـة مـن القـائلين بـه وناظرتهم عليه من القول بأن العالم محدث وأن له مدبراً لـم يزل إلا أن النفس ولامكان المطلق وهو الخـلاء والزمـان المطلق لم يزل معه.

قال أبو محمد وهذا قول قد ناظرني عليه عبد ا بن خلاف ابن مروان الأنصاري وعبد ا بـن محمـد السـلمي الكاتب ومحمد بن علي بن أبي الحسين الأصـبحي الطبيـب وهو قول يؤثر عن محمد بن زكريا الرازي الطبيـب ولنـا عليه فيه كتاب مفرد في نقض كتابه في ذلك وهو المعروف بالعلم الإلهي.

ومثل ما ذهب إليه قوم من أن الفلك لم يـزل وأنـه غير ا تعالى وأنه هو المدبر للعـالم الفاعـل لـه إجـلالاً بزعمهم عن أن يوصف بأنه فعل شيئاً من الأشياء وقـد كنى بعضهم عن ذلك بالعرش

ومنا ما لا نعلم أن أحداً قال به إلا أنه مما لا يـؤمن أن يقول به قائل من المخالفين عند تضييق الحجـيج علـيهم فيلجئون إليها فلا بد إن شاء ا تعالى من ذكر ما يقتضـيه مساق الكلام منها وذلك مثل القول بأن العـالم محـدث ولا محدث له فلا بد بحول ا تعالى من إثبـات المحـدث بعـد الكلام في إثبات الحدوث وبا تعالى التوفيق والعون لا إلـه إلا هو.

باب مختصر جامع في ماهية البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق

في كل ما اختلف فيه الناس وكيفية إقامتها

قال أبو محمد رضي ا عنه هذا باب قد أحكمناه في كتابنا الموسوم بالتقريب في حدود الكلام وتقصيناه هنالك غاية التقصي والحمد رب العالمين إلا أننا نذكر ههنا جملة كافية فيه لتكون مقدمة لما يأتي بعده مما اختلف الناس فيه يرجع إليها إن شاء ا تعالى.

فنقول وبا التوفيق إن الإنسان يخرج إلى هذا العالم ونفسه قد ذهب ذكرها جملة في قول من يقول أنها كانت قبل ذلك ذاكرة أولاً ذكر لها البتة في قول من يقول أنها حدثت حينئذ أو أنها مزاج عرض إلا أنه قد حصل أنه لا ذكر للطفل حين ولادته ولا تمييز إلا ما لسائر الحيوان من الحس والحركة الإرادية فقط فتراه يقبض رجليه ويمدهما ويقلب أعضاءه حسب طاقته ويألم إذا أحس البرد أو الحر أو الجوع وإذا ضرب أو قرص وله سوى ذلك مما يشاركه فيه الحيوان والنوامي مما ليس حيواناً من طلب الغذاء لبقاء جسمه على

ما هو عليه ولنمائه فيأخذ الثدي ويميزه بطبعه من سائر الأعضاء بفمه دون سائر أعضائه كما تأخذ عروق الشجر والنبات رطوبات الأرض والماء لبقاء أجسامها على ما هي عليه ولنمائها.

فإذا قويت النفس على قول من يقول أنها مزاج أو أنها حدثت حينئذ أو أخذت يعاودها ذكرها وتمييزها في قول من يقول أنها كانت ذاكرة قبل ذلك وأنها كالمفيق من مرض فأول ما يحدث لها من التمييز الذي ينفرد به الناطق من الحيوان فهم ما أدركت بحواسها الخمس.

كعلمها أن الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها والرائحة الرديئة منافرة لطبعها.

وكعلمها أن الأحمر مخالف للأخضر والأصفر والأبيض والأسود.

وكالفرق بين الخشن والأملس المكتنز والمتهيل واللزج والحار والبارد والدفي.

وكالفرق بين الحلو والحامض والمر والمالح والعفص والزاعق والتفه والعذب والحريف.

وكالفرق بين الصـوت الحـاد والغلـيظ والرقيـق والمطرب والمفزع.

قال أبو محمد فهذه إدراكات الحواس لمحسوسـاتها والإدراك السادس علمها بالبديهيات.

فمن ذلك علمها بأن الجزء أقل من الكل فإن الصبي الصغير في أول تمييزه إذا أعطيته تمرتين بكى وإذا زدتـه ثالثة سر وهذا علم منه بأن الكل أكثر من الجزء وإن كان لا ينتبه لتحديد ما يعرف من ذلك ومن ذلك علمه بأن لا يجتمع المتضادان فإنك إذا وقفته قسراً بكى ونزع إلى القعود علمـاً منه بأنه لا يكون قائماً قاعداً معاً.

ومن ذلك علمه بأن لا يكون جسم واحد في مكـانين فإنه إذا أراد الذهاب إلى مكان ما فأمسكته قسراً بكى وقـال كلاماً معناه دعني أذهب علماً منه بأنه لا يكون في المكـان الذي يريد أن يذهب إليه ما دام في مكان واحد.

ومن ذلك علمه بأنه لا يكون الجسمان في مكان واحد فإنك تراه ينازع على المكان الذي يريد أن يقعد فيه علماً منه بأنه لا يسعه ذلك المكان مع ما فيه فيدفع من في ذلك المكان

الذي يريد أن يقعد فيه إذ يعلم أن مادام في المكان ما يشغله فإنه لا يسعه وهو فيه.

وإذا قلت له ناولني ما في هذا الحائط وكان لا يدركه قال لست أدركه وهذا علم منه بأن الطويل زائد على مقـدار ما هو أقصر منه وتراه يمشي إلى الشيء الذي يريد ليصـل إليه وهذا علم منه بأن ذا النهاية يحصر ويقطع بالعدو وإن لم يحسن العبارة بتحديد ما يدري من ذلك.

ومنها علمه بأنه لا يعلم الغيب أحد وذلـك أنـه إذا سألته عن شيءٍ لا يعرفه أنكر ذلك وقال لا أدري.

ومنها فرقة بين الحق والباطل فإنه إذا أخبـر بخبـر تجده في بعض الأوقات لا يصدقه حتى إذا تظـاهر عنـده بمخبر آخر وآخر صدقه وسكن إلى ذلك.

ومنها علمه بأنه لا يكون شيء إلا في زمان فإنك إذا ذكرت له أمراً ما قال متى كان وإذا قلت له لم تفعل كذا وكذا قال ما كنت أفعله وهذا علم منه بأنه لا يكون شيء مما فـي العالم إلا في زمان.

ويعرف أن للأشياء طبائع وماهية تقف عنـدها ولا تتجاوزها فتراه إذا رأى شيئاً لا يعرفه قال أي شيء هذا فإذا شرح له سكت.

ومنها علمه بأنه لا يكون فعل إلا لفاعل فإنه إذا رأى شيئاً قال من عمل هذا ولا يقنع البتة بأنه انعمل دون عامـل وإذا رأى بيد آخر شيئاً قال من أعطاك هذا.

ومنها معرفته بأنه في الخبر صدقاً وكذباً فتراه يكذب بعض ما يخبر به ويصدق بعضه ويتوقف في بعضه هذا كله مشاهد من جميع الناس في مبدأ نشأتهم.

قال أبو محمد فهذه أوائل العقل التي لا يختلف فيهـا ذو عقل وههنا أيضاً أشياء غير ما ذكرنا إذا فتشت وجـدت وميزها كل ذي عقل من نفسه ومن غيره وليس يدري أحـد كيف وقع العلم بهذه الأشياء كلها بوجه من الوجوه ولا يشك ذو تمييز صحيح في أن هذه الأشياء كلها صحيحة لا امتراء فيها وإنما يشك فيها بعد صحة علمه بها من دخلت عقله آفة وفسد تمييزه أو مال إلى بعض الآراء الفاسدة فكان ذلك أيضاً آفة دخلت على تمييزه.

كالآفة الداخلة على من به هيجان الصـفراء فيجـد العسل مراً.

ومن في عينه ابتداء نزول الماء فيـرى خيـالات لا حقيقة لها.

وكسائر الآفات الداخلة على الحواس.

قال أبو محمد فهذه المقدمات التـي ذكرناهـا هـي الصحيحة التي لاشك فيها ولا سبيل إلى أن يطلب عليها دليلاً إلا مجنون أو جاهل لا يعلم حقائق الأشياء ومن الطفل أهدى منه.

وهذا أمر يستوي في الإقرار به كبار جميع بني آدم وصغارهم في أقطار الأرض إلا من غالط حسه وكابر عقله فيلحق بالمجانين لأن الاستدلال على الشيء لا يكون إلا فـي زمان ولابد ضرورة يعلم ذلك بأول العقل لأنـه قـد علـم بضرورة العقل أنه لا يكون شيء مما في العالم إلا في وقت وليس بين أول أوقات تمييز النفس في هـذا العـالم وبـين إدراكها لكل ما ذكرنا مهلة البتة لا دقيقة ولا جليلة ولا سبيل على ذلك فصح أنها ضرورات أوقعها ا فـي الـنفس ولا سبيل إلى الاستدلال البتة إلا من هذه المقـدمات ولا يصـح

شيء إلا بالرد إليها فما شهدت له مقدمة من هذه المقـدمات بالصحة فهو صحيح متيقن وما لم تشهد له بالصـحة فهـو باطل ساقط.

إلا أن الرجوع إليها قد يكون من قرب ومن بعد فما كان من قرب فهو أظهر إلى كل نفس وأمكن للفهـم وكلمـا بعدت المقدمات المذكورة صعب العمل في الاستدلال حتـى يقع في ذلك الغلط إلا للفهم القوي الفهم والتمييز.

وليس ذلك مما يقدح في أن ما رجع إلى مقدمة مـن المقدمات التي ذكرنا حق كما أن تلك المقدمة حـق لا فـرق بينهما في أنهما حق وهذا مثل الأعداد فكلما قلـت الأعـداد سهل جمعها ولم يقع فيها غلط حتى إذا كثرت الأعداد وكثـر العمل في جمعها صعب ذلك حتى يقع فيها الغلـط إلا مـع الحاسب الكافي المجيد وكلما قرب من ذلك وبعد فهو كله حق ولا تفاضل في شيء من ذلك ولا تعارض مقدمة مما ذكرنـا مقدمة أخرى منها ولا يعارض ما يرجع إلى مقدمة أخـرى منها رجوعاً صحيحاً وهذا كله يعلم بالضرورة.

ومن علم النفس بأن علم الغيب لا يعـارض صـح ضرورة أنه لا يمكن أن يحكي أحد خبراً كاذباً طويلاً فيـأتي

من لم يسمعه فيحكي ذلك الخبر بعينه كما هو لا يزيد فيه ولا ينقص إذ لو أمكن ذلك لكان الحاكي لمثل ذلك الخبر عالمـاً بالغيب لأن هذا هو علم الغيب نفسه وهو الإخبار عما لا يعلم المخبر عنه بما هو عليه وذلك كذلك بلا شك فكل ما نقله من الأخبار اثنان فصاعداً مفترقان قد أيقنا أنهما لم يجتمعـا ولا تشاعرا فلم يختلفا فيه فبالضرورة يعلم أنه حق متيقن مقطوع به على غيبه وبهذا علمنا صحة موت من مات وولادة مـن ولد وعزل من عزل وولاية من ولي مـرض مـن مـرض وأفاق من أفاق ونكبة من نكب والبلاد الغائبة عنا والوقـائع والملوك والأنبياء عليهم السلام ودياناتهم والعلماء وأقـوالهم والفلاسفة وحكمهم لاشك عند أحمد يوفي عقله حقه في شيء مما نقل من ذلك كما ذكرنا وبا تعالى التوفيق.

▲ باب الكلام على أهل القسم الأول وهم مبطلو الحقائق

وهم السوفسطائية قال أبو محمد ذكر من سلف من المتكلمين أنهم ثلاثة أصناف.

فصنف منهم نفى الحقائق جملة.

وصنف منهم شكوا فيها.

وصنف منهم قالوا هي حق عند من هي عنده حق وهي باطل عند من هي عنده باطل وعمدة ما ذكر من اعتراضهم فهو اختلاف الحواس في المحسوسات كإدراك البصر من بعدٍ عنه صغيراً ومن قربٍ منه كبيراً وكوجود من به حمى صفراء حلو المطاعم مراً وما يرى في الرؤيا مما لا يشك فيه رائيه أنه حق من أنه في البلاد البعيدة.

قال أبو محمد وكل هذا لا معنى له لأن الخطاب وتعاطي المعرفة إنما يكون مع أهل المعرفة وحسن العقل شاهد بالفرق بين ما يخيل إلى النائم وبين ما يدركه المستيقظ إذ ليس في الرؤيا من استعمال الجري على الحدود المستقرة في الأشياء المعروفة وكونها ابداً على صفة واحدة ما في

اليقظة وكذلك يشهد الحس أيضاً بأن تبدل المحسـوس عـن صفته اللازمة له تحت الحس إنما هو لآفة في حس الحـاس له لا في المحسوس عن صفته اللازمة له تحت الحس إنمـا هو لآفة في حس الحاس له لا في المحسوس جار كل ذلـك على رتبة واحدة لا تتحول وهذه هي البداية والمشاهدات التي لا يجوز أن يطلب عليها برهان إذ لو طلب على كل برهـان برهان لاقتضى ذلك وجود موجودات لا نهاية لها ووجـود أشياء لا نهاية لها محال لا سبيل إليه على ما سنبينه إن شاء ا تعالى والذي يطلب على البرهان برهانـاً فهـو نـاطق بالمحال لأنه لا يفعل ذلك إلا وهو مثبت لبرهان ما فإذا وقفنا عند البرهان الذي ثبت لزمه الإذعان له فإن كـان لا يثبـت برهاناً فلا وجه لطلبه ما لا يثبته لو وجـده والقـول بنفـي الحقائق مكابرة للعقل والحس.

ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم قولكم أنه لا حقيقة للأشياء حق هو أم باطل فإن قالوا هو حق أثبتوا حقيقة مـا وإن قالوا ليس هو حقاً أقروا ببطلان قولهم وكفوا خصـمهم أمرهم ويقال للشكاك منهم وبا تعالى التوفيق أشككم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود فإن قالوا هو موجود

صحيح منا أثبتوا أيضاً حقيقة ما وإن قالوا هو غير موجـود نفوا الشك وأبطلوه وفي إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها وقد قدمنا بعون ا تعالى إبطال قول من أبطلها فلم يبق إلا الإثبات.

ويقال وبا التوفيق لمن قال هي حق عند من هـي عنده حق وهي باطل عند من هي عنده باطل أن الشـيء لا يكون حقاً باعتقاد من اعتقد أنه حق كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل وإنما يكون الشيء حقاً بكونـه موجـوداً ثابتاً سواء اعتقد أنه حق أو اعتقد أنه باطل ولو كان غير هذا لكان الشيء معدوماً موجوداً في حال واحدة في ذاته وهـذا عين المحال وإذا أقروا بأن الأشياء حق عند من هي عنـده حق فمن جملة تلك الأشياء التي تعتقد أنها حق من يعتقـد أن الأشياء حق بطلان قول من قال أن الحقائق باطل وهـم قـد أقروا أن الأشياء حق عند من هي عنده حق وبطلان قـولهم من جملة تلك الأشياء فقد أقروا بأن بطلان قولهم حق مع أن هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدها ذو عقل البتة إذ حسـه يشهد بخلافها وإنما يمكن أن يلجأ إليها بعض المنقطعين على سبيل الشغب وبا تعالى التوفيق.

باب الكلام على من قال بأن العالم لم يزل وأنه لا مدبر له

قال أبو محمد رضي ا عنه لا يخلو العالم من أحد وجهين إما أن يكون لم يزل أو أن يكون محدثاً لم يكن ثم كان فذهبت طائفة إلى أنه لم يزل وهم الدهرية وذهب سائر الناس إلى أنه محدث فنبتدىء بحول ا تعالى وقوته بإيراد كل حجة شغب بها القائلون بأن العالم لم يزل وتوفية اعتراضهم بها ثم نبين بحوله تعالى نقضها وفسادها فإذا بطل القول بأن العالم لم يزل وجب القول بالحدوث وصح إذ لا سبيل إلى وجه ثالث لكنا لا نقنع بذلك حتى نأتي بالبراهين الظاهرة والنتائج الموجبة والقضايا الضرورية على إثبات حدوث العالم ولا قوة إلا با العلي العظيم.

فمما اعترضوا به أن قالوا لم نر شيئاً حدث إلا من شيء أو في شيء فمن ادعى غير ذلك فقد ادعى ما لا يشاهد ولم يشاهد وقالوا أيضاً لا يخلو محدث الأجسام الجواهر والأعراض وهي كل ما في العالم إن كان العالم محدثاً من أن يكون إحداثه لأنه أو إحداثه لعلة.

فإن كان لأنه فالعالم لم يزل لأن محدثه لم يـزل وإذ هو علة خلقه فالعلة لا تفارق المعلول وما لم يفارق من لـم يزل فهو أيضاً لم يزل إذ هو مثله بلا شك فالعالم لم يزل.

وإن كان أحدثه لعلة فتلك العلة لا تخلـو مـن أحـد وجهين إما أن تكون لم تزل وإما أن تكون محدثة فإن كانت لم تزل فمعلولها لم يزل فالعالم لم يزل وإن كانت تلك العلـة محدثة لزم في حدوثها ما لزم في حدوث سائر الأشياء مـن أنه أحدثها لأنه أو لعلة فإن كان لعلة لزم ذلك أيضاً علة العلة وهكذا أبداً وهذا يوجب وجود محدثات لا أوائل لهـا قـالوا وهذا قولنا قالوا وإن كان أحدثها لأنه فهذا يوجب أن العلة لم تزل كما بينا آنفاً.

وقالوا أيضاً إن كان للأجسام محدث لم يخل من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون مثلها من جميع الوجـوه وإمـا أن يكون خلافها من جميع الوجوه وإما أن يكون مثلها من بعض الوجوه وخلافها من بعض الوجوه.

قالوا فإن كان مثلها من جميع الوجوه لزم أن يكـون محدثاً مثلها وهكذا في محدثة أيضاً ابداً.

وإن كان مثلها في بعض الوجوه لزمه أيضـاً مـن مماثلتها في ذلك البعض ما يلزمه من مماثلته لها في جميـع الوجوه من الحدوث إذ الحدوث اللازم للبعض كلزومه للكـل ولا فرق.

وإن كان خلافها من جميع الوجوه فمحال أن يفعلهـا لأن هذا هو حقيقة الضد والمناقض إذ لا سبيل إلى أن يفعـل الشيء خلافه من جميع الوجوه كما لا تفعل النـار التبريـد وقالوا أيضاً لا يخلو إن كان للعالم فاعل من أن يكون فعلـه لإحراز منفعة أو لدفع مضرة أو طباعاً أو لا لشيء من ذلك.

قالوا فإن كان فعله لإحراز منفعة أو لدفع مضرة فهو محل للمنافع والمضار وهذه صفة المحـدثات عنـدكم فهـو محدث مثلها.

قالوا وإن كان فعله طباعاً فالطباع موجبة لما حـدث بها ففعله لم يزل معه.

قالوا وإن كان فعله لا لشيء من ذلك فهذا لا يعقـل وما خرج عن المعقول فمحال وقالوا أيضاً لو كانت الأجسام محدثة لكان محدثها قبل أن يحدثها فاعلاً لتركها قالوا وتركها

لا يخلو من أن يكون جسماً أو عرضـاً وهـذا يوجـب أن الأجسام والأعراض لم تزل موجودة.

قال أبو محمد رضي ا عنه فهذه المشاغب الخمس هي كل ما عول عليه القائلون بالدهر قد تقصيناها لهم ونحن إن شاء ا نبدأ بحول ا وقوته في مناظرتهم فننقضها واحداً واحداً.

إفساد الاعتراض الأول

قال أبو محمد رضي ا عنه يقال وبـا التوفيـق والعون لمن قال لم نر شيئاً حدث إلا من شيء أو في شـيء هل تدرك حقيقة شيء عندكم مـن غيـر طريـق الرؤيـة والمشاهدة أو لا يدرك شيء من الحقـائق إلا مـن طريـق الرؤية فقط فإن قالوا إنه قد تدرك الحقائق من غير طريـق الرؤية والمشاهدة تركوا استدلالهم وأفسدوه إذ قـد أوجبـوا وجود أشياء من غير طريق الرؤية والمشاهدة وقد نفوا ذلك قبل هذا فإذا صاروا إلى الاستدلال نوظروا في ذلـك إلا أن دليلهم هذا على كل حال قد بطل بحمد ا تعالى.

فإن قالوا لا بل لا يدرك شيء إلا من طريق المشاهدة قيل لهم فهل شاهدتم شيئاً قط لم يزل فلابد من نعم أو لا فإن قالوا لا صدقوا وأبطلوا استدلالهم وإن قالوا نعم كابروا وادعوا ما لا سبيل إلى مشاهدته إذ مشاهدة قائل هذا القول للأشياء هي ذات أول بلا شك وذو الأول هو غير الذي لم يزل لأن الذي لم يزل هو الذي لا أول له ولا سبيل إلى أن يشاهد ما له أول ما لا أول له مشاهدة متصلة فبطل هذا الاستدلال على كل وجه والحمد رب العالمين.

إفساد الاعتراض الثاني

قال أبو محمد رضي ا عنه ويقال لمن قال لا يخلو من أن يفعل لأنه أو لعلة هذه قسمة ناقصة وينقص منها القسم الثالث وهو لأنه فعل لا لأنه ولا لعلة أصلاً لكن كما شاء لأن كلا القسمين المذكورين أولاً وهما أنه فعل لأنه أو لعلة قد بطلا بما قدمنا هنالك إذ العلة توجب إما الفعل أو الترك وهو تعالى يفعل ولا يفعل فصح بذلك أنه لا علة لفعله أصلاً ولا لتركه البتة فبطل هذا الشغب والحمد رب العالمين.

فإن قالوا إن ترك الباري تعالى في الأزل فعل منه للترك ففعله الذي هو الترك لم يزل قلنا وبا تعالى التوفيق

إن ترك الباري تعالى الفعل ليس فعلاً أصلاً على ما نبين في فساد الاعتراض الخامس إن شاء ا تعالى.

إفساد الاعتراض الثالث

قال أبو محمد رضي ا عنه يقال لمن قال لو كـان للأجسام محدث لم يخل من أحد ثلاثة أوجه إمـا أن يكـون مثلها من جميع الوجوه أو من بعض الوجوه لا من كلهـا أو خلافها من جميع الوجوه إلى انقضاء كلامهم بل هو تعـالى خلافها من جميع الوجوه وإدخالكم على هذا الوجه أنه حقيقة الضد والنقيض والضد لا يفعل ضده كما لا تفعل النار التبريد إدخال فاسد لأن الباري تعالى لا يوصف بأنه ضد لخلقه لأن الضد هو ما حمل حمل التضاد والتضاد هو اقتسام الشـيئين طرفي البعد تحت جنس واحد فإذا وقع أحد الضدين ارتفـع الآخر وهذا الوصف بعيد عن الباري تعالى وإنمـا التضـاد كالخضرة والبياض اللذين يجمعهما اللون أو الفضيلة والرذيلة اللتين يجمعهما الكيفية والخلق ولا يكون الضدان إلا عرضين تحت جنس واحد ولابد وكل هذا منفي عن الخالق عز وجل فبطل بالضرورة أن يكون عز وجل ضداً لخلقه.

وأيضاً فإن قولهم لو كان خلافاً لخلقه من جميع الوجوه لكان ضداً لهم فاسد إذ ليس كل خلاف ضداً فالجوهر خلاف العرض من كل وجه حاشا الحدوث فقط وليس ضداً له ويقال أيضاً لمن قال هذا القول هل تثبت فاعلاً وفعلاً على وجه من الوجوه أو تنفي أن يوجد فاعل وفعل البتة فإن نفي الفاعل والفعل البتة كابر العيان لإنكاره الماشي والقائم والقاعد والمتحرك والساكن ومن دفع بهذا كان في نصاب من لا يكلم وإن أثبت الفعل والفاعل فيما بينا قيل له هل يفعل الجسم إلا الحركة والسكون فلابد من نعم والحركة والسكون خلاف الجسم وليسا ضداً له إذ ليسا معه تحت جنس واحد أصلاً وإنما يجمعها وإياه الحدوث فقط فلو كان كل خلاف ضداً لكان الجسم فاعلاً لضده وهو الحركة أو السكون وهذا هو نفس ما أبطلوا فصح بالضرورة أنه ليس كل خلاف ضداً وصح أن الفاعل يفعل خلافه ولابد من ذلك فبطل اعتراضهم والحمد رب العالمين.

إفساد الاعتراض الرابع

قال أبو محمد رضي ا عنه ويقال لمن قال لا يخلو من أن يكون محدث الأجسام أحدثها لإحراز منفعة أو لـدفع مضرة أو طباعاً أو لا لشيءٍ من ذلك إلى انقضاء كلامهم.

أما الفعل لإحراز منفعة أو لدفع مضرة فإنما يوصف به المخلوقون المختارون.

وأما فعل الطباع فإنما يوصف به المخلوقون غيـر المختارين وكل صفات المخلوقين فهي منفية عن ا تعـالى الذي هو الخالق لكل ما دونه.

وأما القسم الثاني وهو أنه فعل لا لشيءٍ من ذلك فهذا هو قولنا ثم نقول لمن قال إن الفعل لا لشيءٍ من ذلـك أمـر غير معقول ماذا تعني بقولك غير معقول أتريد أنه لا يعقـل حساً أو مشاهدة أم تقول أنه لا يعقل استدلالاً فإن قلت إنه لا يعقل حساً ومشاهدة قلنا لك صدقت كما أن أزلية الأشـياء لا تعقل حساً ومشاهدة وإن قلت إنه لا يعقل استدلالاً كان ذلـك دعوى منك مفتقرة إلى دليل والدعوى إذا كانت هكذا فهـي ساقطة فالاستدلال بها ساقط فكيف والفعل لا لشيءٍ من ذلـك متوهم ممكن غير داخل في الممتنع وما كان هكذا فالمانع منه مبطل والقول به يعقل فسقط هذا الاعتراض ثم نقول لما كان

الباري تعالى بالبراهين الضرورية خلافاً لجميع خلقـه مـن جميع الوجوه كان فعله خلافاً لجميع أفعال خلقه مـن جميـع الوجوه وجميع خلقه لا تفعل إلا طباعاً أو لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة فوجب أن يكون فعله تعالى بخلاف ذلك وبـا التوفيق.

إفساد الاعتراض الخامس

قال أبو محمد رضي ا عنه ويقال لمن قال إن ترك الفاعل أن يفعل الأجسام لا يخلو أن يكون جسماً أو عرضـاً إلى منتهى كلامهم إن هذه قسمة فاسدة بينة العوار وذلـك أن الجسم هو الطويل العريض العميق وترك الفعل ليس طـويلاً ولا عريضاً ولا عميقاً فترك الفعل مـن ا تعـالى للجسـم والعرض ليس جسماً والعرض هو المحمول في الجسم وترك فعل ا تعالى للجسم والعرض ليس محمولاً فليس عرضـاً فترك فعل ا تعالى للجسم والعرض ليس هـو جسـماً ولا عرضاً وإنما هو عدم والعدم ليس معنى ولا هو شيئاً وتـرك ا تعالى للفعل ليس فعلاً البتة بخلاف صفة خلقه لأن الترك من المخلوق للفعل فعل برهان ذلك إن ترك المخلوق للفعل لا يكون إلا بفعل آخر منه ضرورة كتارك الحركة لا يكون إلا

بفعل السكون وتارك الأكل لا يكون إلا باستعمال آلات الأكل في مقاربة بعضها بعضاً أو فـي مباعـدة بعضـها بعضـاً وبتعويض الهواء وغيره من الشيء المأكول وكتارك القيام لا يكون إلا باشتغاله بفعل آخر من قعود أو غيره فصح أن فعل الباري تعالى بخلاف فعل خلقه وإن تركه للفعل ليس فعـلاً أصلاً فبطل استدلالهم وبا التوفيق.

قال أبو محمد رضي ا عنه فإذ قد بطل جميع مـا تعلقوا به ولم يبق لهم شغب أصلاً بعون ا وتأييـده فـنحن مبتدئون بتأييده عز وجل في إيراد البراهين الضرورية على إثبات حدوث العالم بعد أن لم يكن وتحقيق أن له محدثاً لـم يزل لا إله إلا هو.

برهان أول

قال أبو محمد رضي ا عنه فنقول وبا التوفيق إن كل شخص في العالم وكل عرض في شخص وكـل زمـان فكل ذلك متناه ذو أول نشاهد ذلك حساً وعيانـاً لأن تنـاهي الشخص ظاهر بمساحته بأول جرمه وآخره وأيضاً بزمـان وجوده وتناهي العرض المحمول ظاهر بين بتناهي الشخص الحامل له وتناهي الزمان موجود باستئناف ما يأتي منه بعد

الماضي وفناء كل وقت بعد وجوده واستئناف آخر يأتي بعده إذ كل زمان فنهايته الآن وهو حـد الزمـانين فهـو نهايـة الماضي وما بعده ابتداء للمستقبل وهكذا أبداً يفنـى زمـان ويبتدىء آخر وكل جملة من جمل الزمان فهي مركبة مـن أزمنة متناهية ذات أوائل كما قدمنا وكل جملة أشخاص فهي مركبة من أجزاءٍ متناهية بعددها وذوات أوائل كما قدمنا وكل مركب من أجزاءٍ متناهية ذات أوائل فليس هو شـيئاً غيـر أجزائه إذ الكل ليس هو شيئاً غير الأجزاء التي ينحل إليهـا وأجزاؤه متناهية كما بينا ذات أوائل فالجمل كلها بـلا شـك متناهية ذات أوائل والعالم كله إنما هـو أشخاصـه ومكانـه وأزمانها ومحمولاتها ليس العالم كله شيئاً غير مـا ذكرنـا وأشخاصه ومكانه وأزمانها ومحمولاتها ذوات أوائـل كمـا ذكرنا فالعالم كله متناه ذو أول ولا بد فغن كانت أجزاؤه كلها متناهية ذات أو بالمشاهدة والحس وكان هو غير ذي أول وقد أثبتنا بالضرورة والعقل والحس أنه ليس هـو شـيئاً غيـر أجزائه فهو ذو أول لا ذو أول وهذا عين المحال ويجب من ذلك أيضاً أن لأجزائه أوائل محسوسة وأجزاؤه ليست غيـره وهو غير ذي أول فأجزاؤه إذن لها أول ليس لها أول وهـذا

محال وتخليط فصح بالضرورة أن للعالم أولاً إذ كل أجزائـه لها أول وليس هو شيئاً غير أجزائه وبا تعالى التوفيق.

برهان ثان

قال أبو محمد رضي ا عنه فنقـول كـل موجـود بالفعل فقد حصره العدد وأحصته طبيعته ومعنـى الطبيعـة وحدها هو أن تقول الطبيعة هي القوة التي في الشيء فتجري بها كيفيات ذلك الشيء على ما هي عليه وإن أوجزت قلـت هي قوة في الشيء يوجد بها على ما هو عليه وحصر العدد وإحصاء الطبيعة نهاية صحيحة إذ ما لا نهاية له فلا إحصاء له ولا حصر له إذ ليس معنى الحصر والإحصاء إلا ضم ما بين طرفي المحصي المحصور والعالم موجود بالفعل وكـل محصور بالعدد محصي بالطبيعة فهو ذو نهاية فالعالم كله ذو نهاية وسواء في ذلك ما وجد في مدة واحدة أو مدد كثيرة إذ ليست تلك المدد إلا مدة محصاة إلى جنب مدة محصاة فهـي مركبة من مدد محصاة وكل مركب من أشياء فهـو تلـك الأشياء التي ركب منها فهي كلها مدد محصاة كما قدمنا في الدليل الأول فصح من كل ذلك أن ما لا نهاية له فلا سـبيل إلى وجوده بالفعل وما لم يوجد إلا بعد ما لا نهاية لـه فـلا

سبيل إلى وجوده أبداً لأن وقوع البعدية فيه هو وجود نهايـة له وما لا نهاية له فلا بعد له فعلى هذا لا يوجد شـيء بعـد شيءٍ أبد الأبد والأشياء كلها موجودة بعضـها بعـد بعـض فالأشياء كلها ذات نهاية وهذان الدليلان قد نبـه ا تعـالى عليهما وحصرهما بحجته البالغة إذ يقول وكل شـيءٍ عنـده بمقدار.

برهان ثالث

قال أبو محمد رضي ا عنه ما لا نهاية له فلا سبيل إلى الزيادة فيه إذ معنى الزيادة إنما هو أن تضيف إلـى ذي النهاية شيئاً من جنسه يزيد ذلك في عدده أو في مساحته فإن كان الزمان لا أول له يكون به متناهياً في عدده الآن فـإذن كل ما زاد فيه ويزيد مما يأتي من الأزمنة منه فإنه لا يزيـد ذلك في عدد الزمان شيئاً وفي شهادة الحس أن كل ما وجـد من الأعوام على الأبد إلى زماننا هذا الذي هو وقت ولايـة هشام المعتمد با هو أكثر من كل ما وجد من الأعوام على الأبد إلى وقت هجرة رسول ا صلى ا عليه وسلم فإن لم يكن هذا صحيحاً فيجب إذن أنه إذا دار زحل دورة واحدة في كل ثلاثين سنة وزحل لم يزل يدور دار الفلك الأكبر في تلك

الثلاثين سنة إحدى عشرة ألف دورة غيـرة خمسـين دورة والفلك لم يزل يدور وإحدى عشرة ألف غير خمسـين دورة أكثر من دورة واحدة بلا شك فإذن ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له بنحو إحدى عشرة ألف مرة وهذا محال لما قـدمنا ولأن ما لا نهاية له فلا يمكن البتة أن يكون عدد أكثر منـه بوجه من الوجوه فوجبت في الزمان من قبل ابتدائه ضرورة ولا مخاص منها.

ويجب أيضاً من ذلك أن الحس يوجب ضـرورة أن أشخاص الإنس مضافة إلى أشخاص الخيل أكثر من أشخاص الإنس مفردة عن أشخاص الخيل ولو كانـت الأشـخاص لا نهاية لها لوجب أن ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له وهذا محال ممتنع لا يتشكل في العقل ولا يمكن وأيضاً فلا شك في أن الزمان مذ كان إلى وقت الهجرة جزء للزمان مذ كان إلى وقتنا هذا وبلا شك أيضاً في أن الزمان مذ كان إلى وقتنا هذا كل للزمان مذ كان إلى وقت الهجرة ولما بعده إلى وقتنا أفلا يخلو الحكم في هذه القضية من أحد ثلاثة أوج لا رابع لها أما أن يكون الزمان مذ كان موجوداً إلى وقتنا هذا أكثـر مـن الزمان مذ كان إلى عصر الهجرة فالكل أقـل مـن الجـزء

والجزء أكثر من الكل وهذا هو الاختلاط وعين المحال إذ لا يخيل على أحد أن الكل أكثر من الجزء وهذا ما لا شك فيه ببديهة العقل وضرورة الحس وإن كان مساوياً له فالكل مساو للجزء وهذا عين المحال والتخليط وإن كان أكثر منه وهـذا هو الذي لا شك فيه فالزمان مذ كان إلى وقـت الهجـرة ذو نهاية ومعنى الجزء إنما هو إبعاض الشيء ومعنى الكل إنما هو جملة تلك الأبعاض فالكل والجزء واقعان فـي كـل ذي أبعاض والعالم ذو ابعاض هكذا توجد حاملاته ومحمولاتـه وأزمانها فالعالم كل لإبعاضه وإبعاضه أجزاء له والنهاية كما قدمنا لازمة لكل ذي كل وذي أجزاء والزمان إنما هو مـدة بقاء الجرم ساكناً أو متحركاً ولو فارقه لم يكن الجرم موجوداً ولا كان الزمان أيضاً موجوداً والجزء والزمـان موجـودان فكلاهما لم يفارق صاحبه والزمان ذو أول والجـرم ذو أول وهذا مما لا انفكاك له البتة وأما ما لم يأت بعد من زمان أو شخص أو عرض فليس كل ذلك شيئاً فلا يقع على شيء من ذلك عدد ولا نهاية ولا يوصف بشيء أصلاً لأنه لا وجود له بعد فإذا وجد لزمه حينئذ مالزم سائر ما قد وجد من أجناسـه وأنواعه من النهاية والعدد وغير ذلك من الصفات.

وأيضاً فلا شك في أن ما وقع من الزمان ووجد من الزماان إلى يومنا هذا مساو لما من يومنا هذا إلى ما وقع من الزمان معكوساً وواجب فيه الزيادة بما يـأتي مـن الزمـان والمساوى لا يقع إلا في ذي نهاية فالزمان متناه ضرورة وقد ألزمت بعض الملحدين وهو ثابت بن محمد الجرجاني فـي هذا البرهان فأراد أن يعكسه علي في بقاء الباري عز وجـل ووجودنا إياه فأخبرته بأن هذا شغب ضعيف مضمحل ساقط لأن الباري تعالى ليس في زمان ولا له مدة لأن الزمان إنما هو حركة كل ذي الزمان وانتقاله من مكان إلى مكان أو مدة بقائه ساكناً في مكان واحد والباري تعالى ليس متحركـاً ولا ساكناً ولاشك أنه ليس في زمان ولا له مدة ولا هو في مكان أصلاً وليس هو جرماً ولا جوهراً ولا عرضاً ولا عـدداً ولا جنساً ولا نوعاً ولا فصلاً ولا متحركاً ولا ساكناً وإنما هـو تعالى حق في ذاته وجود مطلق بمعنى أنه معلوم لا إله غيره واحد لا واحد في العالم سواه مخترع للموجودات كلها دونـه لا يشبه شيئاً من خلقه بوجه من الوجوه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد رضي ا عنه وقد نبه ا على هـذا الدليل وحصره في قوله تعالى.

يزيد في الخلق ما يشاء.

برهان رابع

قال أبو محمد رضي ا عنه إن كان العالم لا أول له ولا نهاية له فالإحصاء منا له بالعدد والطبيعة إلى ما لا نهاية له من أوائل العالم الماضية محال لا سبيل إليه إذ لو أحصى ذلك كله لكان له نهاية ضرورة فإذا لا سبيل إليه فكذلك أيضاً هو محال أن تكون الطبيعة والعدد أحصيا ما لا نهاية له من أوائل العالم الخالية حتى يبلغا إلينا وإذا كان ذلك محالاً فالعدد والطبيعة إذاً لم يبلغا إلينا وقد تيقنا وقوع العدد والطبيعة في كل ما خلا من العالم حتى بلغا إلينا بلا شك فإذاً قد أحصى العدد والطبيعة كل ما خلا من أوائل العالم إلى أن بلغا إلينا فكذلك الإحصاء منا إلى أولية العالم صحيح موجود ضرورة بلا شك وإذ ذلك كذلك فللعالم أول ضرورة وبا تعالى التوفيق.

برهان خامس

قال أبو محمد لا سبيل إلى وجود ثان إلا بعد أول ولا إلى وجود ثالث إلا بعد ثان وهكذا أبداً ولو لم يكن لأجزاء العالم أول لم يكن ثان ولو لم يكن ثان لم يكن ثالث

ولو كان الأمر هكذا لم يكن عدد ولا معدود وفـي وجودنـا جميع الأشياء التي في العالم معدودة إيجاب أنها ثالث بعد ثان وثان بعد أول وفي صحة هذا وجوب أول ضرورة وقد نبـه ا تعالى على هذا الدليل وعلى الذي قبله وحصـرهما فـي قوله تعالى وأحصى كل شيء عدداً وأيضاً فـالآخر والأول من باب المضاف فالآخر آخر للأول والأول أول للآخر ولو لم يكن أول لم يكن آخر ويومنا هذا بما فيه آخر لكل موجود قبله إذ ما لم يأت بعد فليس شيئاً ولا وقع عليه بعد شيء من الأوصاف فله أول ضرورة.

قال أبو محمد وقد أخبرني بعـض أصـدقائنا وهـو محمد بن عبد الرحمن بن عقبة رحمه ا تعالى أنه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين وهو عبد ا بن عبـد ا بـن شنيف فعارضه الملحد في قوله بخلود الجنة والنار وأهلهمـا فقال له ابن عقبة إنما أخذنا خلود داري الجزاء وخلود أهلهما بلا نهاية على غير هذا الوجه لكن على أن ا تعالى ينشىء لكل ذلك بقاء محدوداً وحركات حادثة ولذات مترادفـة أبـداً وقتاً بعد وقت إلا أن الأول والآخر جاريان حادثان في كـل موجود من ذلك وإذا ثبت الأول فغير ممتنع تمادي الزمـان

حيناً بعد حين أبداً بلا نهاية وهذا مثل العدد فإنه لو لم يكن له أول لم يقدر أحد على عد أي شـيء أبـداً فالعـدد لـه أول ضرورة يعرف ذلك بالحس والمشاهدة وهو قولنا واحد فـإن هذا مبدأ العدد الذي لا عدد قبله ثم الأعداد يمكن فيها لزيـادة أبداً لا بد لا إلى غاية لكن كلما خرج منه جـزء إلـى حـد الوجود وحد الفعل فله نهاية وهكذا أبداً سرمداً وبا تعـالى التوفيق فانقطع الشنيفي ولم يكن عنده إلا الشغب.

قال أبو محمد وقد قال بعض اهل الإلحاد فـي هـذه البراهين التي أوجبنا بها استحالة وجود موجودات لا أوائـل لها أتقولون أن ا تعالى يوف أهل الجنة ما وعـدهم مـن النعيم الذي لا آخر له ولا نهاية أم لا يوفيهم ما وعدهم مـن ذلك.

فإن قلتم أنه تعالى يوفيهم إياه دخل عليكم كـل مـا أدخلتموه علينا في هذه البراهين ولا فرق.

وإن قلتم أنه تعالى لا يوفيهم ذلك ألزمتمـوه خلـف الوعد وهو كفر عندكم.

قال أبو محمد رضي ا عنه هذه شغيبة قد طال مـا حذرنا من مثلها في كتبنا التي جمعناها في حـدود المنطـق

وهي منفسخة من وجهين أحدها أن تعلق المرء بمـا يقـول خصمه ضعف وإنما يلزم المرء أن يخاص قوله مجـرداً ولا أسوة له في تناقض خصمه بل لعل خصمه لا يقـول ذلـك الثاني إن المسؤل بها إن كان جهمياً سقط عنه هذا السـؤال المذكور.

وأما نحن فعلينا بحول ا تعالى بيـان فسـاد هـذا الاعتراض وتمويهه فنقول وبا التوفيق إن من شغب أهـل السفسطة إدخال كلمة لا يوبه لها يجعلونها مقدمة وهي كذب فيموهون بها على الجهال وما يبنون عليها وهذا الاعتراض من هذا الباب وذلك أنهم أرادوا إلزامنا بأن ا عز وجل وعد أهل الجنة أن يوفيهم نعيماً لا نهاية له وهذا خطأ وكذب وما وعدهم ا عز وجل قط بأن يوفيهم نعيماً لا نهاية له وهـذا خطأ وكذب وما وعدهم ا عز وجل قط بأن يـوفيهم ذلـك النعيم ولو وعدهم بذلك لكان ذلك النعيم إذا اسـتوفي بطـل وفني وانقضى وإنما وعدهم تعالى بنعيم لا نهاية له وكل مـا ظهر ووجد من ذلك النعيم فهو محصور ذو نهاية ومـا لـم يخرج إلى حد الفعل فهو عدم يعد ولا يقع عليـه عـدد ولا صفة وهكذا أبداً فقد ظهر أن لفظة يوفيهم هي الشغيبة الفاسدة

التي موهوا بها فإذا أسقطها المعترض من كلامه سقط اعتراضه جملة وصحت القضية وبا تعالى التوفيق فإن قال قائل إن ا تعالى يقول وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قلنا هذا لا يخلوا من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أن يكون أراد بذلك نصيبهم من الجزاء أو يكون أراد نصيبهم من مساحة الجنة.

فإن كان عنى عز وجل بذلك نصيبهم من الجزاء بالعقاب والنعيم فهو صحيح لأن كل ما خرج من ذلك إلى حد الوجود فهو مستوفى بيقين وهكذا أبداً وإن كان تعالى عنى بذلك نصيب كل واحد من الجنة والنار فهذا صحيح لأن كل مكان منها متناه من جهة المساحة وإنما نفينا التوفية التي توجب الانقضاء بلا زيادة فيها وقد قال عز وجل فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وقال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وهاتان الآيتان تبينان أن الأجر المستوفي هو ما يعطونه من مساحة الجنة وكل ما خرج إلى الوجود من النعيم لا يزال تعالى يزيدهم من فضله كما قال تعالى بغير حساب فهذا لا يستوفي أبداً لأنه لا نهاية له ولا كل ولو استوفي لم يمكن أن

تكون فيه زيادة إذ بالضرورة يعلم أن ما استوفى فلا زيـادة فيه وما تمكن الزيادة فيه فلم يستوف بعد وا تعالى قد نص على أن بعد تلك التوفية زيادة فصح أنها توفية لشيء محدود متناه وأن ما لا نهاية له فلا يستوفى أبداً فقد ثبت بكـل مـا ذكرنا أن العالم ذو أول.

وإذا كان ذو أول فلا بد ضرورة من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها وهي إما أن يكون أحدث ذاته وإمـا أن يكـون حدث بغير أن يحدثه غيره وبغير أن يحدث هو نفسه وإما أن يكون أحدثه غيره فإن كان هو أحدث ذاته فلا يخلو من أحـد أربعة أوجه لا خامس لها وهي إما أن يكون أحدث ذاته وهو معدوم وهي موجودة أو أحدث ذاته وهـو موجـود وهـي معدومة أو أحدثها وكلاهما موجود أو أحدثها وكلاهما معدوم وكل هذه الأربعة الأوجه محال ممتنع لا سبيل إلى شيء منها لأن الشيء وذاته هي وهو هي وكل ما ذكرنا من الوجـوه يوجب أن يكون الشيء غير ذاتـه وهـذا محـال وباطـل بالمشاهدة والحس فهذا وجه قد بطل ثم نقول وإن كان خرج عن العدم إلى الوجود بغير أن يخرج هو ذاتـه أو يخرجـه غيره فهو أيضاً محال لأنه لا حال أولى بخروجه إلى الوجود

من حال أخرى ولا حال أصلاً هنالك فـإذاً لا سـبيل إلـى خروجه وخروجه مشاهد متيقن فحال الخروج غير حال اللا خروج وحال الخروج هي علة كونه وهـذا لازم فـي تلـك الحال أعني إن حال الخروج يلزم في حدوثها مثل ما لزم في حدوث العالم من أن تكون أخرجت أنفسها أو أخرجها غيرها أو أخرجت بغير هذين الوجهين وهكذا في كـل حـال فـإن تمادي الكلام وجب بما قدمناه إلا نهاية واللا نهاية في العالم من مبدأه باطل ممتنع محال فإذاً قد بطل أن يخـرج العـالم بنفسه وبطل أن يخرج دون أن يخرجه غيره فقد ثبت.

الوجه الثالث ضرورة إذ لم يبق غيره البتة فلابد من صحته وهو أن العالم أخرجه غيره من العدم إلـى الوجـود وبا تعالى التوفيق وأيضاً فإن الفلك بكل ما فيـه ذو آثـار محمولة فيه من نقلة زمانية وحركة دورية في كون كل جزء من أجزائه في مكان الذي يليه والأثر مع المؤثر مـن بـاب المضاف فإن لم يكن أثر لم يكن مؤثر وإن لم يكـن مـؤثر أثرها ولا سبيل إلى أن يكون الفلك أو شيء مما فيـه هـو المؤثر لأنه يصير هو المؤثر والمؤثر فيه مـع أن المـؤثر والأثر من باب المضاف أيضاً ومعنى قولنا إن المؤثر والأثر

والمؤثر فيه من باب المضاف إنما هو أن الأثر والمؤثر فيه يقتضيان مؤثراً ولابد ولم يرد أن الباري تعالى يقـع تحـت الإضافة فلابد ضرورة من مرثر ليس مؤثراً فيه وليس هـو شيئاً مما في العلام فهو بالضـرورة الخـالق الأول الواحـد تبارك وتعالى فصح بهذا أن العالم كله محدث وإن له محدثاً هو غيره هذا إلى ما نراه ويشاهد بالحواس من آثار الصنعة التي لا يشكل فيها ذو عقل.

ومن بعض ذلك تراكيب الأفـلاك وتـداخلها ودوام دورانها على اختلاف مراكزها ثم أفلاك تداويرها والبون بين حركة أفلاك التداوير والأفلاك الحاملة لها ودوران الأفـلاك كلها من غرب إلى شرق ودوران الفلك التاسع الكلي بخلاف ذلك من شرق إلى غرب إلى شرق ودوران الفلـك التاسـع الكلي بخلاف ذلك من شرق إلى غـرب وإدارتـه لجميـع الأفلاك مع نفسه كذلك فحدث من ذلك حركتان متعارضـتان في حركة واحدة فبالضرورة نعلم أن لها محركاً علـى هـذه الوجوه المختلفة.

ثم تراكيب أعضاء الإنسان والحيوان مـن إدخـال العظام المحدبة في المقعرة وتركيـب العضـل علـى تلـك

المداخل والشد على ذلك بالعصب والعروق صناعة ظاهرة لاشك فيها لا ينقصها إلا رؤية الصانع فقط.

ومن ذلك ما يظهر في الأصباغ الموضوعة في جلود كثير من الحيوان وريشه ووبره وشعره وظفره وقشره على رتبة واحدة ووضع واحد لا تخالف فيه كإصـباغ الحجـل والشفانين اليمام والسمان والبزاة وكثير من الطير والسلاحف والحشرات والسمك لا يختلف تنقيطه البتة ولا تكون أصباغه موضوعة إلا وضعاً واحداً كأذناب الطواويس وفي السـمك والجراد والحشرات نوعاً واحداً كالذي يصـوره المصـور بيننا.

منها ما يأتي مختلفاً كأصباغ الدجاج والحمام والـبط وكثير من الحيوان فبالضرورة والحس نعلم أن لذلك صـانعاً مختاراً يفعل ذلك كله كما شاء ويحصيه إحصاء لا يضطرب أبداً عما شاء من ذلك وليس يمكن البتة في حـس العقـل أن تكون هذه المختلفات المضبوطة ضبطاً لا تفاوت فيه من فعل طبيعة ولابد لها من صانع قاصد إلى صنعة كل ذلك ومـن دري ما الطبيعة علم أنها قوة موضوعة في الشيء تجري بها صفاته على ما هي عليه فقط وبالضرورة يعلم أن لها واضعاً

ومرتباً وصانعاً لأنها لا تقوم بنفسها وإنما هي محمولة علـى ذي الطبيعة.

ومنها ما نرى في ليف النخل والـدوم مـن النسـج المصنوع يقيناً بنيرين وسدى كالذي يصنعه النساج ما تنقصنا إلا رؤية الصانع فقط يقيناً بنيرين وسـدى كالـذي يصـنعه النساج ما تنقصنا إلا رؤية الصانع فقط وليس هذا البتة مـن فعل طبيعة ولا بنسج ناسج ولا بناء ولا صانع أصباغ مرتبة بل هو صنعة صانع مختار قاصد إلى ذلك غير ذي طبيعـة لكنه قادر على ما يشاء هذا أمر معلوم بضرورة العقل وأوله يقيناً كما نعلم أن الثلاثة أكثر من الاثنين فصح أنه خالق أول واحد حق لا يشبه شيئاً من خلقه البتة لا إله إلا هو الواحـد الأول الخالق عز وجل.

باب الكلام على من قال أن العالم لم يزل وله مع ذلك فاعل لم يزل

قال أبو محمد رضي ا عنه قد أفسدنا بحول ا وقوته بالبراهين التي قدمنا هذه المقالة ولكن بقي لهم اعتراض وجب إيراده تقصياً لكل ما موهوا به قال أبو محمد رضي ا عنه اعتمد أهل هذه المقالة على أن قالوا إن علة فعل الباري تعالى إنما هو جوده وحكمته وقدرته وهو تعالى لم يزل جواداً حكيماً قادراً فالعالم لم يزل إذ علته لم تزل فهذا فاسد البتة بالدلالة التي قدمنا التي تضطر إلى المعرفة والتيقن بحدوث العالم ثم نقول أنه إنما يلزم هذا من أقر بهذه المقدمة أعني أن للعالم علة وأما نحن فإنا نقول أنه لا علة لتكوين ا عز وجل كل ما كونه وأنه لا شيء غير الخالق وخلقه ثم نقول على علم هؤلاء قولاً كافياً إن شاء ا تعالى وهو أن المفعول هو المنتقل من العدم إلى الوجود بمعنى من ليس إلى شيء فهذا هو المحدث ومعنى المحدث هو ما لم يكن ثم كان وهم يقولون أنه الذي لم يزل وهذا هو خلاف المعقول لأن الذي لم يكن ثم كان هو غير الذي لم يزل فالعالم إذاً هو غير

نفسه وهذا عين المحال وبا تعالى التوفيق فإن قال لنا قائل لما كان الباري تعالى غير فاعل على قولكم ثم صار فـاعلاً فقد لحقته استحالة وتعالى ا عن ذلك قلنا له وبا التوفيـق هذا السؤال راجع عليكم إذ صححتموه فهو لكم لازم لا لنا إذ لم نصححه وذلك أنه إن كان عندكم الفعل منه بعد أن كـان غير فاعل يوجب الاستحالة على الفاعل تعالى فإن فعله لمـا أحدث من الإعراض عندكم بعد أن كان غير محـدث لهـا وإعدامه ما أعدم منها بعد أن كان غير معدم لها موجب عليه الاستحالة فأجيبوا عن سؤالكم الذي صححتموه ولا جواب لكم إلا بإفساده.

وأما نحن فنقول إن الاستحالة ليست ما ذكرتم وإنمـا معنى الاستحالة أنه حدوث شيء في المستحيل لم يكن فيـه قبل ذلك صار به مستحيلاً عن صفته المحمولة عليـه إلـى غيرها وهذا المعنى منفي عن ا تعالى أي أنه تعالى يجـل عن أن يكون حاملاً لصفة عليه بل بذاته لم يفعل إن كان غير فاعل وبذاته فعل إن فعل ولا علة لما فعل ولا علة لمـا لـم يفعل وأيضاً فإن الذي لم يزل هو الـذي لا فاعـل لـه ولا مخرج له من عدم إلى وجود فلو كان العالم لم يزل لكـان لا

محرج له ولا فاعل له وقد أقر أهل هذه المقالة بأن العالم لم يزل وإن له فاعلاً لم يزل يفعل وهذا عين المحال والتخليط والفساد وبا تعالى التوفيق.

باب الكلام على من قال أن للعالم خالقاً لم يزل

وأن النفس والمكان المطلق هو الخلاء والزمان المطلق الذي هو المدة لم تزل موجودة وأنها غير محدثة

قال أبو محمد رضي ا عنه النفس عند هؤلاء جوهر قائم بنفسه حامل لأعراضه لا متحرك ولا منقسم ولا متمكن أي لا في مكان.

وقد ناظرني قوم من أهل الرأي ورأيته كالغالب على ملحدي أهل زماننا فألزمتهم إلزامات لم ينفكوا منها أظهرت بطلان قولهم بعون ا تعالى وقوته.

ولم نر أحداً ممن تكلم قبلنا ذكر هذه الفرقة فجمعت ما ناظرتهم به وأضفت إليه ما وجبت إضافته إليه مما فيه تزييف قولهم وما توفيقنا إلا با وهذا الزمان والمكان عندهم هما غير المكان المعهود عندنا وغير الزمان المعهود عندنا.

لأن المكان المعهود عندنا هو المحيط بالمتمكن فيـه من جهاته أو من بعضها وهو ينقسم قسمين إما مكان يتشكل المتمكن فيه بشكله كالبر أو الماء في الخابية وما أشبه ذلـك وإما مكان يتشكل هو بشكل المتمكن فيه كالماء لما حل فيـه من الأجسام وما أشبهه.

والزمان المعهود عندنا هو مدة وجود الجرم ساكناً أو متحركاً أو مدة وجود العرض في الجسم ويعمه أن نقول هو مدة وجود الفلك وما فيه من الحوامل والمحمولات.

وهم يقولون أن الزمان المطلق والمكان المطلق هما غير ما حددنا آنفاً من الزمان والمكان ويقولون أنهما شـيئان متغايران ولقد كان يكفي من بطلان قولهم إقـرارهم بمكـان غير ما يعهد وزمان غير ما يعهد بلا دليل على ذلك ولكـن لابد من إيراد البراهين على إبطال دعواهم في ذلك بحول ا وقوته فيقال لهم وبا تعالى التوفيق أخبرونا عن هذا الخلاء الذي أثبتم وقلتم أنه كان موجوداً قبل حدوث الفلك وما فيـه هل بطل بحدوث الفلك ما كان منه في مكان الفلـك قبـل أن يحدث الفلك أو لم يبطل.

فإن قالوا لم يبطل وبذلك أجابني بعضهم فيقال لهـم فإن كان لم يبطل فهو انتقل عن ذلك المكان بحدوث الفلك في ذلك المكان أو لم ينتقل فإن قالوا لم ينتقل وهو قولهم قيل لهم فإذ لم يبطل ولا انتقل فأين حدث الفلك وقد كان في موضعه قبل حدوثه عندكم معنى ثابت قائم بنفسه موجود وهل حـدث الفلك في ذلك المكان المطلق الذي هو الخلاء أم فـي غيـره فإن كان حدث في غيره فههنا إذاً مكان آخـر غيـر الـذي سميتموه خلاء وهو إما مع الذي ذكرتم في حيز واحد أم هو في حيز آخر فإن كان معه في حيز واحد فالفلك فيه حـدث ضرورة وقد قلتم أنه لم يحدث فيه فهو إذاً حادث فيه غيـر حادث فيه وهذا تناقض ومحال.

وإن كان في حيز آخر فقد أثبتم النهايـة للخـلاء إذ الحيز الآخر الذي حدث فيه الفلك ليس هو في ذلك الخـلاء وهذا ينطوي فيه بالضرورة نهاية الخلاء الذي ذكـرتم فهـو متناهٍ لا متناهٍ وهذا تناقض وتخليط وإذا بطل أن يكون غيـر متناهٍ وثبت أنه متناه فهو المكان المعهـود المضـاف إلـى المتمكن فيه وهذا هو المكان الذي لا يعرف ذو عقل سواه.

وإن كان الفلك حدث فيه والفلك ملاء بلا شـك ولـم ينتقل الخلاء عندكم ولا بطل فالفلك إذاً خلاء وملاء معاً فـي مكان واحد وهذا محال وتخليط.

فإن قالوا بطل بحدوث الفلك ما كان منه في موضع الفلك قبل حدوث الفلك أو قالوا انتقل فقد أوجبوا له النهايـة ضرورة إما من طريق الوجود بالبطلان إذ لا يفسد ويبطـل إلا ما كان حادثاً لا ما لم يزل وإما من طريق المساحة بالنقلة إذ لو لم يجد أين ينتقل لم تكن له نقلة إذ معنى النقلة إنما هو تصيير الجرم إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك أو إلى صفة لـم يكن عليها قبل ذلك ووجوده مكاناً ينتقل غليه موجب أنه لم يكن في ذلك المكان الذي انتقل إليه قبل انتقاله إليه وهذا هو إثبات النهاية ضرورة فهذا هو الذي أبطلوا.

ويلزمهم في ذلك أيضاً أن يكون متحيزاً ضرورة لأن الذي بطل منه هو غير الذي لم يبطل والذي انتقل هو غيـر الذي لم ينتقل وهو إذا كان ذلك فإما هو جسم ذو أجزاء وإما هو محمول في جسم فهو ينقسم بانقسام الجسـم وقـد أثبتنـا النهاية للجسم في غير هذا المكان من كتابنا هذا بما فيه البيان الضروري والحمد رب العالمين وأيضاً فإن كان لم يبطل

فالذي كان منه في موضع الفلك ثم لم يبطل ولا انتقل لحدوث الفلك فيه فهو والفلك إذاً موجودان في حيز واحد معاً فهو إذاً ليس مكاناً للفلك لأن المكان لا يكون مع المتمكن فيـه فـي مكان واحد وهذا يعرف بأولية العقل ولو كـان ذلـك لكـان المكان مكاناً لنفسه ولما كان واحد منهما أولى بـأن يكـون مكاناً للآخر من الآخر بذلك ولا كان أحدهما أولى أيضاً بأن يكون متمكناً في الآخر من الآخر فيه وكل هذا فاسد ومحال بالضرورة وأيضاً فإن الخلاء عندهم مكان لا مـتمكن فيـه والفلك عندهم موجود في الخلاء إذ لا نهاية للبخلاء عنـدهم من طريق المساحة فإذا كان الفلك متمكناً في الخلاء عنـدهم والخلاء عندهم مكان لا متمكن فيه فالخلاء إذاً مكـان فيـه متمكن ليس فيه متمكن وهذا محال وتخليط وهذا بعينـه لازم في قولهم إن ذلك الجزء من الخلاء لم ينتقل لحدوث الفلـك فيه.

فإن قالوا انتقل فإنما صار إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك خلاء ولا ملاء فقد ثبت عدم الخلاء والملاء فيما فـوق الفلك ضرورة وهذا خلاف قولهم.

وإن قالوا بطل لزمهم أيضاً أنـه قـد عدتـه المـدد ضرورة فإذا عدته المدد فقد تناهى من أوله بالمبدأ ضـرورة فإن قالوا بل لم يحدث الفلك في شيء من ذلك المكان الـذي هو الخلاء فقد أثبتوا حيزاً آخر ومكاناً للفلك غيـر الخـلاء الشامل عندهم وإذا كان ذلك فقد تناهى كلا المكانين من جهة تلاقيهما ضرورة وإذا تناهيا من جهـة تلاقيهمـا لزمتهمـا المساحة ووجب تناهيهما التناهي ذرعهما ضرورة ويسـألون أيضاً عن هذا الخلاء الذي هو عندهم مكان لا متمكن فيه هل له مبدأ متصل بصفحات الفلك الأعلى أم لا مبدأ له من هنالك ولابد من أحد الأمرين ضرورة فإن قالوا لا مبدأ لـه وهـو قولهم قيل لهم إن قول القائل مكان إنما يفهم منه ما يتمثل في النفس من المقصود بهذه اللفظة وموضعها في اللغة لتكـون عبارة للتفاهم عن المراد بها أنها ساحة ولابد للسـاحة مـن الذرع ضرورة ولابد للذرع من مبدأ لأنه كمية والكمية أعداد مركبة من الآحاد فإن لم يكن له مبدأ من واحد اثنين ثلاثة لم يكن عدد وإذا لم يكن عدد لم يكن ذرع أصلاً وإذا لـم يكـن ذرع لم تكن مساحة ولا انفساح ولا مسافة وكل هذه ألفـاظ

واقعة إما على ذرع المذروع وإما علـى مـذروع بالـذرع ضرورة.

فإن قالوا له مبدأ من هنالك وجبت له النهاية ضرورة لحصر العدد لمساحته بوجود المبدأ له ويسألون أيضاً أمماس هذا الفلك أم غير مماس وبائن عنه أم غير بائن فإن قالوا لا مماس ولا بائن فهذا أمر لا يعقل بـالحس ولا يتشـكل فـي النفس ولا يقوم على صحته برهان أبداً إلا فـي الأعـراض المحمولة في الأجسام وهم لا يقولـون أن الخـلاء عـرض محمول في جسم وكل دعوى لم يقم عليها دليل فهي باطلـة مردودة وإن أثبتوا المماسة أو المباينة وجب عليهم ضـرورة إثبات النهاية له كما لزم بإثبات المبدأ إذ النهاية منطوية فـي ذكر المبدأ والمماسة والمباينة ضرورة لاشك فيهـا وبـا التوفيق ويسألون أيضاً عن هذا الخلاء الذي يذكرون والزمان الذي يثبتون أمحمولان هما أم حاملان أم أحـدهما محمـول والثاني حامل أم كلاهما لا حامل ولا محمول فأيهما أجابوا فيه فإنه حامل بلا شك في أن محمولـه غيـره إذ لا يكـون الشيء حاملاً لنفسه فله إذاً محمول لم يزل وهو غير الزمان

فإن قالوا ذلك كلموا بما قدمنا قبل على أهل الـدهر القـائلين بأزلية العالم.

وأيضاً فإن كان المكان حاملاً فلا يخلو ضرورة من أحد وجهين إما أن يكون حاملاً لجرم متمكن فيه وهذا يوجب النهاية له لوجوب نهاية الجرم المتمكن فيه بالدلالة التي قدمنا في إثبات نهايات الأجرام وإما أن يكون حاملاً لكيفياته فـإن كان حاملاً لكيفياته فهو مركب من هيولاه وأعراضه وجنسه وفصوله وبالضرورة يعلم كل ذي حسن سليم أن كل مركب فهو متناه بالجرم والزمان بالدلائل التي قدمنا ولا سبيل إلـى حمل ثالث وأيهما قالوا فيه أنه محمول فإنه يقتضـي حـاملاً ويعكس الدليل الذي ذكرنا آنفاً سواء بسواءٍ وأيهما قالوا فيـه أنه حامل محمول وجب كل ما ذكرنا فيه أيضاً بعكسه وأيهما قالوا فيه لا حامل ولا محمول فلا يخلو من أن يكون باقياً أو يكون بقاء فإن كان باقياً فهو مفتقر إلى بقاءٍ وهو مدتـه إذ لا باقي إلا ببقاء وإن كان بقاء فلا بد له من باق به وهـو مـن باب الإضافة والمدة وهي البقاء إنما هي محمولـة وناعتـة للباقي بها ضرورة هذا الذي لا يقوم في العقل سواه ولا يقوم برهان إلا عليه ويسألون أيضاً عن هذا الزمان الذي يذكرون

هل زاد في مدة اتصاله مذ حدث الفلك إلى يومنا هذا أو لـم يزد ذلك في أمده فإن قالوا لم يزد ذلك في أمده كانت مكابرة لأنها مدة متصلة بها مضافة إليها وعدد زائد على عدد فـإن قالوا زاد ذلك في أمده سئلوا متى كانت تلك المدة أطول أقبل الزيادة أم هي وهذه الزيادة معاً فإن قالوا هي والزيادة معـاً فقد أثبتوا النهاية ضرورة إذ ما لا نهاية له فلا يقع فيه زيادة ولا نقص ولا يكون شيء مساوياً له ولا أكثر منه ولا أنقص منه ولا يكون هو أيضاً مفصلاً أصلاً فلا يكون مساوياً لنفسه كما هو ولا أكثر من نفسه ولا أقل منها فإن قالوا ليست هي والزيادة معها أطول منها قبل الزيادة فقد أثبتـوا أن الشـيء وغيره معه ليس أكثر منه وحده وهذا باطل وهم يقولـون أن الخلاء والزمان المطلق شيآن متغايران فيقال لهم فـإذا همـا كذلك فبأي شيء انفصل بعضهما من بعض فإن قالوا انفصل بشيء ما وذكروا في ذلك أي شيء ذكروه فقد أثبتـوا لهمـا التركيب من جنسهما وفصلهما وأيضاً فجعلهم لهمـا شـيئين إيقاع منهم للعدد عليهما وكل عدد فهو متناه محصور وكـل محصور فقد سلكته الطبيعة وكل ما سلكته الطبيعة فهو متناه ضرورة.

فإن أرادوا ألزامنا في الباري تعالى مثل ما ألزمناهم في هذا السؤال فقالوا أيما أكثر الباري تعالى وحده أم الباري وخلقه معاً قلنا هذا سؤال فاسد بالبرهان الضروري لأن هذا البرهان إنما هو على وجوب حدوث الزمان وما لم ينفك من الزمان وعلى حدوث النوامي وأيضاً فإن الباري تعالى لـيس عدداً ولا بعض عدد وليس هو أيضـاً معـدوداً ولا بعضـاً لمعدود لأن واحداً ليس عدداً بالبرهان الذي نورده في الباب الذي يتلو هذا الباب إن شاء ا تعالى ولا واحد على الحقيقة إلا ا عز وجل فقط فهو الذي لا يتكثر البتة ولا ينضاف إلى سواه إذ لا يجمعه مع شيء سواه عدد ولا صفة البتة لأن كل ما وقع عليه اسم واحد مما دونه تعالى فإنما هـو مجـاز لا حقيقة لأنه إذا قسم استبان أنه كان كثيراً لا واحداً فلذلك وقع العدد على الأجرام والأعداد المسماة آحاداً في العـالم وأمـا الواحد في الحقيقة فهو الذي ليس كثيراً أصلاً ولا يتكثر بوجه من الوجوه فلا يقع عليه عدد بوجه من الوجوه لأنـه يكـون حينئذ واحداً لا واحداً كثيراً لا كثيراً وهذا تخلـيط ومحـال وممتنع لا سبيل إليه فلا يجوز أن يضاف الواحد الأول إلـى

شيء مما دونه لا في عدد ولا كمية ولا في جنس ولا فـي صفة ولا في معنى من المعاني أصلاً وبا تعالى التوفيق.

فإن ذكر ذاكر قول ا تعالى ما يكون مـن نجـوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا فمعنى قوله تعالى هو رابعهم وهو سادسهم إنما هو فعل فعله فيهم وهو أن ربعهـم بإحاطته بهم لا بذاته وسدسهم بإحاطته لا بذاته أو قد يربعهم بملك يشرف عليهم ويسدسهم كذلك وبرهان هذا القول أن ا تبارك وتعالى إنما عنى بهذه الآية بلا خلاف بل بضـرورة العقل من كل سامع أنه لا تخفى عليه نجواهم وهذا نص الآية لأنه تعالى افتتحها بذكر نجوى المتناجين وإنما أراد عز وجل علمه بنجواهم لا أنه معدود معهم بذاته إلى ذواتهم حاشى من ذلك إذ من المحال الممتنع الخارج عن رتبـة الأعـداد والمعدودين أن يكون ا عز وجل معدوداً بذاته مـع ثلاثـة بالهند ومع ثلاثة بالسند ومع ثلاثة بالعراق ومع ثلاثة بالصين في وقت واحد لأنه لو كان ذلك لكان الذين هو رابعهم بالهند مع الثلاثة الذين هو رابعهم بالصين ثمانية كلهم لأنهم أربعة وأربعة بلا شك فكأن تعالى حينئذ يكون اثنين وأكثـر وهـذا

محال وكذلك إذا كان بذاته سادساً لخمسة ههنـا فهـم سـتة ورابعاً لثلاثة هنالك فهم أربعة فهم كلهم بلا شك عشرة فهـو إذاً اثنان وكذلك قوله تعالى في الآية نفسها إلا هو معهم أينما كانوا إنما أضاف تعالى الأينية إليهم لا إلى نفسه تعالى معناه أينما كانوا فهو تعالى معهم بإحاطته إذ محال أن يكون بذاته في مكانين فبطل اعتراضهم والحمد رب العالمين كثيـراً وليس قول القائل ا ورسوله وا وعمرو مما يعترض بـه علينا لأننا لم نمنع من ضم اسمه تعالى إلى اسم غيره معـه لأن الاسم كلمة مركبة من حروف الهجاء وإنما منعنا من أن تعد ذاته تعالى مع شيء غيره إذ العدد إنما هو جمع شـيء إلى غيره في قضية ما وا تعالى لا يجمعه وخلقـه شـيء أصلاً فصح انتفاء العدد عنه تعالى وإذا صح انتفاء العدد عنه صح أنه ليس معدوداً البتة والحمد رب العالمين ويسألون أيضاً هذا الزمان والمكان اللذان يذكران أهما واقعان تحـت الأجناس والأنواع أم لا وهل هما واقعان تحـت المقـولات العشر أم لا فإن قالوا لا فقد نفوهما أصلاً وأعدموهما البتة إذ لا مقول من الموجودات إلا هو واقع تحتها وتحت الأجنـاس والأنواع حاشى الحق الأول الواحد الخالق عز وجل الـذي

علم بضرورة الدلائل ووجب بها خروجه عن الأجناس والأنواع والمقولات وبالجمة شاؤا أو أبوا فالخلاء والزمان المطلق اللذان يذكران إن كانا موجودين فهما واقعان تحت جنس الكمية والعدد ضرورة فإذا كان ذلك كذلك فهذا الزمان الذي ندريه نحن وهم وذلك الزمان الذي يدعونه هما واقعان جميعاً تحت جنس متى وكذلك المكان الذي يدعونه واقع مع المكان الذي نعرفه نحن وهم تحت جنس أين وبالضرورة يجب أن ما لزم بعض ما تحت الجنس مما يوجبه له الجنس فإنه لازم لكل ما تحت ذلك الجنس وإذ لا شك في هذا فهما مركبان والنهاية فيهما موجودة ضرورة إذ المقولات كلها كذلك.

وأيضاً فإن المكان لابد له من مدة يوجد فيها ضرورة فنسألهم هل تلك المدة هي الزمان الذي يدعونه أم هي غيره فإن كانت هي هو فهو زمان للمكان فهو محمول في المكان فهو ككل زمان لذي الزمان فلا فرق وإن كانت غيره فههنا إذن زمان ثالث غير مدة ذلك المكان وغير الزمان الذي ندريه نحن وهم وهذه وساوس لا يعجز عن ادعائها كل من لم يبال بما يقول ولا استحيا من فضيحة ويقال لهم إذ ليس

المكان الذي تدعونه والزمان الذي تدعونه واقعين مع المكان المعهود والزمان المعهود تحت جنس وحدٍ واحد فلم سميتموه مكاناً وزماناً وهلا سميتموهما باسمين مفردين لهمـا ليبعـدا بذلك عن الإشكال والتلبيس والسفسطة بـالتخليط بالأسـماء المشتركة فإن كانا مع الزمان والمكان المعهودين تحت حـد واحد فقد بطلت دعواكم زماناً ومكاناً غير الزمان والمكـان المعهودين بالضرورة وبا التوفيق ويسألون أيضاً عن هـذا الزمان والمكان غير المعهودين أهما داخل الفلك أم خارجـه فإن قالوا هما داخل الفلك فالخلاء إذاً هو الملاء والمكـان إذاً في المتمكن يعني في داخله وهذا محال والزمـان إذن هـو الذي لا يعرف غيره وإن قالوا هما خارج الفلك أوجبوا لهما نهاية ابتداء مما هو خارج الفلـك وإن قـالوا لا خـارج ولا داخل فهذه دعوى مفتقرة إلى برهان ولا برهان على صحتها فهي باطل فإن قالوا أنتم تقولون هذا في الباري تعالى قلنا لهم نعم لأن البرهان قد قام على وجوده فلما صح وجوده تعـالى قام البرهان بوجوب خلافه لكل ما في العـالم علـى أنـه لا داخل ولا خارج وأنتم لم يصح لكم برهان على وجود الخلاء

والزمان الذي تدعونه فصار كلامكـم كلـه دعـوى وبـا التوفيق.

قال أبو محمد رضي ا عنه ولم نجد لهـم سـؤالاً أصلاً ولا أتونا قط بدليل فنورده عنهم ولا وجدنا لهم شـيئاً يمكن الشغب به في أزلية الخلاء والمدة فنورده عنهم وإن لم ينتبهوا وإنما هو قال أبو محمد رضي ا عنه ومما يبطل به الخلاء الذي سموه مكاناً مطلقاً وذكروا أنه لا يتنـاهى وأنـه مكان لا متمكن فيه برهان ضروري لا انفكاك منه وأطـرف شيء أنه برهانهم الذي موهوا به وشغبوا بإيراده وأرادوا به إثبات الخلاء وهو أننا نرى الأرض والماء والأجسام الترابية من الصخور والزئبق ونحو ذلك طباعها السفل أبداً وطلـب الوسط والمركز وأنها لا تفارق هذا الطبع فتصعد إلا بقسـر يغلبها ويدخل عليها كرفعنا الماء والحجر قهراً فإذا رفعناهما ارتفعا فإذا تركناهما عادا إلى طبعهما بالرسوب ونجد النـار والهواء طبعهما الصعود والبعد عن المركـز والوسـط ولا يفارقان هذا الطبع إلا بحركة قسراً تدخل عليهما يرى ذلـك عياناً كالزق المنفوخ والإناء المجوف المصوب في الماء فإذا زالت تلك الحركة القسرية رجعا إلى طبعهما ثم نجد الإنـاء

المسمى سارقة الماء يبقي الماء فيها صعداً ولا ينسفك وتجد الزراقة ترفع التراب والزئبق والماء ونجد إذا حفرنـا بئـراً امتلأ هواء وسفل الهواء حينئذ ونجد المحجمة تمص الجسـم الأرضي إلى نفسها فليس كل هذا إلا لأحد وجهـين لا ثالث لهما إما عدم الخلاء جملة كما نقول نحن وإما لأن طبع الخلاء يجتذب هذه الأجسام إلى نفسه كما يقول مـن يثبـت الخلاء فنظرنا في قولهم أن طبع الخلاء يجتذب هذه الأجسام إلى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء فوجدناه دعوى بلا دليل فسقط ثم تأملناه أخرى فوجدناه عائداً عليهم لأنه إذا اجتـذبت الأجسام ولابد فقد صار ملأً فالملأ حاضر موجود والخـلاء دعوى لا برهان عليها فسقطت وثبت عدم الخلاء.

ثم نظرنا في قولنا فوجدناه يعلم بالمشاهدة وذلك أننا لم نجد لا بالحس ولا بتوهم العقل بالإمكان مكاناً يبقى خاليـاً قط دون متمكن فصح الملأ بالضرورة وبطل الخلاء إذ لم يقم عليه دليل ولا وجد قط وبا تعالى التوفيق.

ثم نقول لهم إن كان خارج الفلك خلاء على قـولكم فلا يخلو من أن يكون من جنس هذا الخلاء الذي تدعون أنه يجتذب الأجسام بطبعه أو يكون من غير جنسه ولابد من أحد

هذين الوجهين ضرورة ولا سبيل إلى ثالث البتة فإن قالوا هو من جنسه وهو قولهم فقد أقروا بأن طبع هذا الخلاء الغالب بجميع الطبائع هو أن يجذب المتمكنات إلى نفسه فيمتلىء بها حتى أنه يحيل قوى العناصر عن طباعها فوجب أن يكون ذلك الخلاء الخارج عن الفلك لذلك أيضاً ضرورة لأن هذه صفة طبعه وجنسه فوجب بذلك ضرورة أن يكون متمكناً فيه ولابد وإذا كان هذا وذلك الخلاء عندهم لا نهاية له فالجسم المالىء له أيضاً لا نهاية له وقد قدمنا البراهين الضرورية أنه لا يجوز وجود جسم لا نهاية له فالخلاء باطل ولو كان ذلك أيضاً لكان ملأ لا خلاء وهذا خلاف قولهم.

فإن قالوا بل ذلك الخلاء هو من غير جنس هذا الخلاء.

يقال لهم فبأي شيء عرفتموه وبما استدللتم عليه وكيف وجب أن تسموه خلاء وهو ليس خلاء وهذا مخلص منه وبا تعالى التوفيق وهم في هذا سواء ومن قال أن في مكان خارج من العالم ناساً لا يحدون بحد الناس ولا هم كهؤلاء الناس أو من قال أن في خارج الفلك ناراً غير محرقة ليست من جنس هذه النار وكل هذا حمق وهوس.

▲ الكلام على من قال أن فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد

قال أبو محمد رضي ا عنه افترق القـائلون بـأن فاعل العالم أكثر من واحد فرقاً ثم ترجع هذه الفـرق إلـى فرقتين فإحدى الفرقتين تذهب إلى أن العالم غير مدبريه وهم القائلون بتدبير الكواكب السبعة وأزليتها وهم المجوس فـإن المتكلمين ذكروا عنهم أنهم يقولون أن الباري عـز ول لمـا طالت وحدته استوحش فلما اسـتوحش فكـر فكـرة سـوءٍ فتجسمت فاستحالت ظلمة فحدث منها اهرمن وهـو إبلـيس فرام الباري تعالى إبعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منـه بخلق الخيرات وشرع اهرمن في خلق الشر ولهم في ذلـك تخليط كثير.

قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا أمـر لا تعرفـه المجوس بل قولهم الظاهر هو أن الباري تعالى وهو أوورمن وإبليس وهواهر من وكام وهو الزمان وجام وهـو المكـان وهو الخلاء أيضاً ونوم وهو الجوهر وهو أيضاً الهيولي وهو أيضاً الطينة والخميرة خمسة لم تزل وإن اهرمن هو فاعـل

الشرور وإن اورمن فاعل الخير وإن نوم هو المفعول فيه كل ذلك.

وقد أفردنا في نقض هذه المقالة كتاباً في نقض كلام محمد بن زكريا الرازي الطبيب في كتابه الموسوم بالعلم الإلهي.

والمجوس يعظمون الأنوار والنيران والمياه إلا أنهم يقرون بنبوة زرادشت ولهم شرائع يضيفونها إليه ومنهم المزدقية وهم أصحاب مزدق الموبذ وهم القائلون بالمساواة في المكاسب والنساء والخرمية أصحاب بابك وهم فرقة من فرق المزدقية وهم أيضاً سر مذهب الإسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبني عبيد وعنصرهم.

وقد يضاف إلى جملة من قال إن مدبر العالم أكثر من واحد الصابئون وهم يقولون بقدم الأصلين على ما قدمنا من نحو قول المجوس إلا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم ويقربون الذبائح والدخن ولهم صلوات خمس في اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين ويصومون شهر رمضان ويستقبلون في صلاتهم الكعبة البيت الحرام ويعظمون مكة

والكعبة ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون مـن القرائب ما يحرم على المسلمين وعلى نحو هـذه الطريقـة تفعل الهند بالبددة في تصـويرها علـى أسـماء الكواكـب وتعظيمها وهو كان أصل الأوثان في العرب والدقاقرة فـي السودان حتى آل الأمر مع طول الزمان إلى عبادتهم إياهـا وكان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجـه الـدهر والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيـه الحـوادث وبـدلوا شرائعه بما ذكرنا فبعث ا عز وجل إليهم إبـراهيم خليلـه صلى ا عليه وسلم بدين الإسلام الـذي نحـن عليـه الآن وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفة السمحة التي أتى بهـا محمـد صلى ا عليه وسلم من عند ا تعالى فبين لهم كما نص في القرآن بطلان ما أحدثوه من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان فلقي منهم ما نصه ا في كتابه وكـانوا فـي ذلـك الزمان وبعده يسمون الحنفاء ومنهم اليوم بقايا بحران وهـم قليل جداً فهذه فرقة.

ويدخل في هذه الفرقة من وجه ويخرج منها وجـه آخر النصارى فأما الوجه الذي يدخلون به فهو قولهم بالتثليث وأن خالق الخلق ثلاثة وأما الوجه الذي يخرجون به فهو أن

للصابئين شرائع يسندونها إلى هرمس ويقولون أنه إدريـس وإلى قوم آخرين يذكرون أنهم أنبياء كايلون ويقولون أنه نوح عليه السلام واسـقلانيوس صـاحب الهيكـل الموصـوف وعاظيمون ويوداسف وغيرهم والنصارى لا يعرفون هؤلاء لكن يقرون بنبوة كل نبي تعرفه من بني إسرائيل وإبـراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ولا يعرفون نبـوة إسـمعيل وصالح وهود وشعيب وينكرون نبوة محمد صلى ا عليـه وسلم وعلى إخوته الأنبياء عليهم السلام والصابئون لا يقرون بنبوة أحد ممن ذكرنا أصلاً وكذلك المجوس لا يعرفـون إلا زرادشت فقط وأما الفرقة الثانية فإنها تذهب إلى أن العالم هو مدبروه لا غيرهم البتة وهم الديصانية والمزقونية والمنانيـة القائلون بأزلية الطبائع الأربع بسائط غير ممتزجة ثم حـدث الامتزاج فحدث العالم بامتزاجها فأما المنانية فإنهم يقولون أن أصلين لم يزالا وهما نور وظلمة وأن النور والظلمـة حيـة وأن كليهما غير متناه إلا من الجهة التي لاقى منهـا الآخـر وأما من جهاته الخمس فغير متناه وأنهما جرمان ثم لهم فـي وصف امتزاجهما أشياء شبيهة بالخرافـات وهـم أصـحاب ماني.

وقال المتكلمون أن ديصان كان تلميذ مـاني وهـذا خطأٌ بل كان أقدم من ماني لأن ماني ذكره فـي كتبـه ورد عليه وهما متفقان في كل ما ذكرنا إلا أن الظلمة عند مـاني حية.

وقال ديصان هي موات وكان ماني راهبـاً بحـران وأحدث هذا الدين وهو الذي قتله الملك بهرام بن بهـرام إذ ناظره بحضرته إذرباذ بن ماركسفند موبذموبذان في مسـألة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال له الموبذانت الذي تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ورجوع كل شـكل إلـى شكله وأن ذلك حق واجب فقال له ماني واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج فقال لـه اذرباذ فمن الحق الواجب أن يعجل لك هذا الخـلاص الـذي تدعو إليه وتعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم فـانقطع ماني فأمر بهرام بقتل ماني فقتل هو وجماعة من أصـحابه وهم لا يرون الذبائح ولا إيلام الحيـوان ولا يعرفـون مـن الأنبياء عليهم السلام إلا عيسى عليه السلام وحده وهم يقرون بنبوة زرادشت ويقولون بنبوة ماني وقالت المزقونية أيضـاً كذلك إلا أنهم قالوا نور وظلمة لم يزالا وثالث أيضاً بينهما لم

يزل إلا أن هؤلاء كلهم متفقون على أن هذه الأصـول لـم تحدث شيئاً هو غيرها لكن حدث من امتزاجها ومن أبعاضها بالاستحالة صور العالم كله فهذه الفرق كلها مطبقة علـى أن الفاعل أكثر من واحد وإن اختلف في العدد والصفة وكيفيـة الفعل وإلزامات الشرائع وكلامنا هذا كلام اختصار وإيجـاز وقصد إلى استيعاب قواعد الاستدلال والبراهين الضـرورية والنتائج الواجبة من المقدمات الأولية الصـحيحة وإضـراب عن الشغب والتطويل الذي يكتفي بغيره عنه فإنمـا وكـدنا بعون ا تعالى أن نبين بالبراهين الضرورية أن الفاعل واحد لا أكثر البتة ونبين بطلان أن يكون أكثر من واحد كما فعلنا بتأييد ا عز وجل إذ بينا بالبراهين الضـرورية أن العـالم محدث كان بعد أن لم يكن وإن له مخترعاً مدبراً لـم يـزل وسقطت خرافاتهم المضافة إلى الأوائل الفاسدة في وصـفهم الفاعلين وكيفية أفعالهم إذ لا تكون صفة إلا لموصوف فـإذا بطل الموصوف بطلت الصفة التي وصفوه بها.

وأما الاشتغال بأحكامهم الشرعية فلسنا من ذلك فـي شيء لأنه ليس من الشرائع العلمية شيء يوجبه العقـل ولا شيء يمنع منه العقل بل كلها من باب الممكن فـإذا قامـت

البراهين الضرورية على قول الآمر بها ووجـوب طاعتـه وجب قبول كل ما أتى به كائناً ما كان من الأعمال ولو أنـه قتل أنفسنا وأبنائنا وآبائنا وأمهاتنا وإذا لم يصح قول الآمـر بها ولم يصح وجوب طاعته لا يلتفت إلى ما يـأمر بـه أي شيء كان من الأعمال وكل شريعة كانت على خلاف هـذا فهي باطلة فكلامنا مع الفرق التي ذكرنا في إثبـات الفاعـل الأول واحد لا أكثر وإبطال أن يكون أكثر من واحـد وهـو حاسم لكل شغب يأتون به بعد ذلك وكاف من التكلاف لما قـد كفته المرء بيسير من البيان وما تفويقنا إلى با تعالى.

ونبدأ بحول ا تعالى وقوته بإيراد عمدة ما موهـوا به في إثبات أن الفاعل أكثر من واحد ثم ننقضه بحـول ا تعالى وقوته بالبراهين الواضحة ثم نشرع إن شاء ا تعالى في إثبات أنه تعالى واحد بما لا سبيل إلى رده ولا اعتراض فيه كما فعلنا فيما خلا من كتابنا والحمـد رب العـالمين فنقول وبا تعالى التوفيق.

عمدة ما عول عليه القائلون بأن الفاعل أكثـر مـن واحد استدلالان فاسـدان أحـدهما هـو اسـتدلال المنانيـة والديصانية والمجوس والصابئة والمزدقيـة ومـن ذهـب

مذاهبهم وهو أنهم قالوا وجدنا الحكيم لا يفعل الشر ولا يخلق خلقاً ثم يسلط عليه غيره وهذا عيب في المعهـود ووجـدنا العالم كله ينقسم قسمين كل قسم منهما ضد الآخـر كـالخير والشر والفضيلة والرذيلة والحياة والموت والصدق والكـذب فعلمنا أن الحكيم لا يفعل إلا الخير وما يليق فعله به وعلمنـا أن الشرور لها فاعل غيره وهو شر مثلها والاستدلال الثاني هو استدلال من قال بتدبير الكواكب السبعة والاثنـي عشـر برجاً ومن قال بالطبائع الأربع وهو أن قالوا لا يفعل الفاعل أفعالاً مختلفة إلا بأحد وجوه أربعة إما أن يكـون ذا قـوى مختلفة وإما أن يفعل بآلات مختلفة وإما أن يفعل باسـتحالة وإما أن يفعل في أشياء مختلفة قالوا فلما بطلت هذه الوجـوه كلها إذ لو قلنا إنه يفعل بقوى مختلفة لحكما عليه بأنه مركب فكان يكون من أحد المفعولات ولو قلنا إنه يفعـل باسـتحالة لوجب أن يكون منفعلاً للشيء الذي أحاله فكان يدخل بـذلك في جملة المفعولات ولو قلنا أنه يفعل فـي أشـياء مختلفـة لوجب أن تكون تلك الأشياء معه وهو لم يزل فتلك الأشياء لم تزل فكان حينئذ لا يكون مخترعاً للعالم ولا فاعلاً له قـالوا فعلمنا بذلك أن الفاعلين كثير وإن كل واحد يفعل ما يشـاكله

قال أبو محمد رضي ا   عنه فهذه عمدة ما عول عليه من لم يقل بالتوحدي وكلا هذين الاستدلالين خطأ فاحش علـى مـا نبين إن شاء ا   تعالى.

فيقال وبا   تعالى التوفيق لمن احتج بما احتجت بـه المنانية من أنه   لا يفعل الحكيم الشر ولا العبث هـل يخلـو علمكم بأن هذا الشيء شر وعبث من أحد وجهـين لا ثالـث لهما إما أن تكونوا علمتموه بسمع وردكم وخبـر وإمـا أن تكونوا علمتموه بضرورة العقل.

فإن قلتم أنكم علمتموه من طريق السمع.

قيل لكم هل معنى السمع الآتي غير أن مبتدع الخلق ومرتبة سمي هذ الشيء شراً وأمر باجتنابـه وسـمي هـذا الشيء الآخر خيراً وأمر بإتيانه فلابد من نعم إذ   هـذا هـو معنى اللازم عند كل من قال بالسمع.

فيقال لهم فإنما صار الشر شراً لنهي الواحـد الأول عنه وإنما صار الخير خيراً لأمر به فلابد من نعم فإذا كـان هذا فقد ثبت أن من لا مبدع ولا مدبر له ولا آمـر فوقـه لا يكون شيء من فعله شراً إذ السبب في كون الشر شراً هـو الإخبار بأنه شر ولا مخبر يلزم طاعته إلا ا   تعالى فإن قال

فكيف يفعل هو شيئاً قد أخبر أنه شر قيل له ليس يفعل الجسم فيما يشاهد غير الحركة والسكون والحركة كلها جنس واحـد في أنها نقلة مكانية وكذلك السكون جنس واحد كلـه فإنمـا أمرنا تعالى بفعل بعضها ونهانا عن فعل بعضها ولم يفعـل هو الحركة قط على أنه متحرك بها ولا السكون علـى أنـه ساكن به وإنما فعلهما على سبيل الإبداع فتحركنا نحن بحركة نهينا عنها وسكوننا بسكون نهينا عنه هو الشر وغيره أصلاً وكذلك اعتقاد النفس ما نهيت عنه وهذا كله غير موصوف به الباري تعاىل وإن قالوا علمنا ذلك ببداهة العقل قيـل لهـم وبا التوفيق أليس العقل قوة من قوى النفس وداخلاً تحـت الكيفية على الحقيقة أو تحت الجوهر على قول من لا يحصل فلا بد من نعم فيقال لهم إنما يؤثر العقل ما هو من شكله في باب الكيفيات فيميز بين خطائها وصوابها ويعرف أحوالهـا ومراتبها وأما فيما هو فوقه وفيما لم يزل العقل معدوم وفـي مخترع العقل ومرتبه كما هو فلا تأثير للعقل فيه إذ لو أثـر فيه لكان محدثاً على ما قدمنا من أن الأثر من باب المضاف فهي تقتضي مؤثراً فكان يكون الباري تعالى مـنفعلاً للعقـل

وكان يكون العقل فاعلاً فيه تعالى وحاكماً عليه جل ا عن ذلك.

وقد بينا في كتابنا هذا أن الباري تعـالى لا يشـبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ولا يجري مجرى خلقه في معنى ولا حكم وذكرنا أيضاً فيه إبطال قول من قال بتسـمية الباري حياً أو حكيماً أو قادراً أو غير ذلك من سائر الصفات من جهة الاستدلال حاشى أربعة أسـماء فقـط وهـي الأول الواحد الحق الخالق فقط وهذه الأسماء هي التي لا يسـتحقها شيء في العالم غيره فلا أول سواه البتة ولا واحد سواه البتة ولا خالق سواه البتة ولا حق سواه البتة على الإطلاق وكـل ما دونه تعالى فإنما هو حق بالباري تعالى ولـولا البـاري تعالى ما كان شيء في العالم حقاً وكل ما دونه تعالى فإنمـا حق بالإضافة ولولا أن السمع قد ورد بسائر الأسماء التـي ورد الخبر الصادق بها ما جاز أن يسمى ا عز وجل بشيءٍ منها ولكن قد بينا في مكانه من هذا الكتاب علـى أي شـيءٍ تسميته بما ورد السمع وإن ذلك تسمية لايراد بها غيره تعالى ولا يرجع منها إلى شيء سواه البتة.

وأيضاً فإن دليلهم فيما سموا به الباري تعالى وأجروه عليه إقناعي شغبي وفيه تشبيه للخالق بخلقه وفي تشبيههم له بخلقه حكم عليه بالحدوث وأن يكون الفاعل مفعولاً وقد قدمنا إبطال ذلك.

ويقال لهم إن الترميم أن يكون فاعل الشر فيما عندنا عابثاً فقررتم بذلك عن أن يكون فاعل العالم واحداً وقد علمنا فيما بينا أن تارك الشيء لا يغيره وهو قادر علـى تغييـره عابث ظالم ولا يخلو فاعل الخيرات عندكم مـن أن يكـون قادراً على تغييره والمنع منه ولم يغيره فقد صـار عنـدكم عابثاً ضرورة فقد وقعتم فيما عنه فررتم ضرورة وإن قلـتم أنه غير قادر على تغييره ولا المنع منه فهو بلا شك عـاجز ضعيف وهذه صفة سوء عندكم فهلا تركتم القول بأنه أكثـر من واحد لهذا الاستدلال فإنه أصح على أصولكم ومقـدماتكم وأما نحن فمقدمتكم عندنا فاسدة بالبرهان الذي ذكرناه قال أبو محمد رضي ا عنه والمنانية تزعم أن النور كان في العلو إلى ما لا نهاية له وأن الظلمة في السفل إلى ما لا نهاية لـه وأن كل واحد منها متناه المساحة من الجهة التي لاقى منهـا

الآخر وغير متناه من جهاته الخمس وأن اللذة للنور خاصـة لا للظلمة وأن الأذى للظلمة خاصة لا للنور.

قال أبو محمد رضي ا عنه فأما بطلان هذا القـول في عدم التناهي من الجهات الخمس فيفسد بما أوجبنـا بـه تناهي جسم العالم وأما قولهم بالعلو والسفل فظاهر الفساد لأن السفل لا يكون إلا بالإضافة وكذلك العلو فكل علو فهو سفل لما فوقه حتى تنتهي إلى الصفحة العليا التي لا صفحة فوقها وهم لا يقرون بها فصح ضرورة أن في الظلمة على قـولهم علواً وأن في النور سفلاً.

وأما قولهم في اللذة والأذى ففاسد جداً لأن اللـذة لا تكون إلا بالإضافة وكذلك الأذى فإن الإنسان لا يلتذ بما يلتذ به الحمار ويتأذى بما لا يتأذى به الأفعى فبطل هوسهم بيقين والحمد رب العالمين.

سؤال على المنانية دامغ لقولهم بحول ا وقوته وهو أن يقال لهم ألهذه الأجساد أنفس أم لا فإن قالوا لا قيل لهـم فهذه الأجساد لا تخلو على أصولكم من أن يكون فـي كـل جسد منها نور وظلمة أو يكون بعض الأجساد نوراً محضـاً وبعضها ظلمة محضة فإن قالوا في كل جسد نور وظلمة قيل

لهم فهل يجوز من الظلمة فعل الخير فلا بد من لا لأنه لـو فعل الخير لانتقلت إلى النور وكذلك لا يجوز أن يفعل النور شراً لأنه كان يصير ظلمة.

فيقال لهم فأي معنى لدعائكم إلى الخير ونهيكم عـن النكاح والقتل وأخبرونا من تدعون إلى كل ذلك فـإن كنـتم تدعون النور فهو طبعه وهو فاعل له بطبعه قبل أن تـدعوه إليه لا يمكنه أن يحول عنه فدعاؤكم له إلى ما يفعله وأمركم له بترك ما لا يفعله عبث من النور داع إلى المحـال وهـذا خلاف أصلكم وإن كنتم تدعون الظلمة فذلك عبث من النـور لها إلى ذلك إذ لا سبيل لها إلى ترك طبعها.

وكذلك يقال لهم سواء بسواء إن قالوا إن من الأجساد ما هو نور محض ومنها ما هو ظلمة محضة وهكذا يسئلون في الأرواح أن أقروا بها ثم يسئلون عمن رأيناه ينكح ويقتل ويظلم ويكذب ثم يتوب عن كل ذلك من القاتل الظـالم أهـو النور أم الظلمة ومن التائب النور أم الظلمة فأي ذلك قـالوا فهو هدم مذهبهم وقد جوزوا الاستحالة فإن قالوا معنى دعائنا إلى ما ندعو إليه من ذلك إنما هو حض للنور علـى المنـع للظلمة من ذلك قيل لهم أكان النور قادراً على منعهـا قبـل

دعائكم أم لا فإن قالوا كان قادراً قيل لهم فقد ظلم بتركه إياها تظلم وهو يقدر على منعها قبل دعائكم وإن قلتم لم يذكر حتى نبه قيل لهم فهذا نقص منه وجهل وصفات شر لا تليق بالنور على قولكم وهذا ما لا انفكاك لهم منه وأيضاً فيقال لهـم إن الداعي منكم إلى دينه لا يقول لمن دعاه كف غيـرك علـى ظلمه إنما يقول له كف عن ظلمك وارجع عن ضلالك ولقـد أحسنت في رجوعك عن الباطل إلى الحق فإن كنتم تـأمرون بأن يخاطب بذلك الظلمة فالأمر بذلك كاذب آمر بالكذب وإن كنتم تأمرون بأن يخاطب بذلك النور فالأمر بذلك أيضاً كاذب آمر بالكذب فإن قالوا فأي معنى لدعائكم إلى الخير وقد سبق علم ا تعالى فيمن يعلمه ومن لا يعلمه قيـل لهـم جـواب بعضنا في هذا هو أن كل من يدعى إلى الخير فممكن وقوعه منه وممكن أيضاً فعل الشر منه ومتوهم كل ذلك منه فوجـه دعائنا له معروف وليس علم ا تعالى إجباراً وإنما هو أنـه تعالى علم ما يختاره العبد.

وجواب بعضنا في ذلك هو أن فاعل كل ما يبدو في العالم فعل خالق وإبداع فهو ا عز وجل ولا يتعقب عليه فهو خالق دعائنا من ندعوه فإذ ذلك كذلك فلا يجوز سؤال الخالق

لما شاء بل فعلت وهذا هو الجواب الذي نختاره ويقال لهـم أيضاً أخبرونا عن ماني والمسيح وزرادشت وأنتم تعظمونهم أفيهم ظلمة أم كانوا أنواراً محضة فمن قولهم ولابد أن فـيهم ظلمة لأنهم يتغوطون ويجزعون ويألمون فيقال لهم فما عجز النور الذي فيكم عن مثل ذلك فإن قالوا لقلته قيل لهم فكـان يجب أن يأتي من المعجزات ولو بيسير على قدره وهذا ما لا مخاص لهم منه أصلاً.

ويقال لهم أيضاً إن من العجائب إلزامكم ترك النكاح لتعجلوا قطع النسل فهبكم قدرتم على ذلك فكيف تصنعون في الوحوش والطير وسائر الحيوان البري والحشرات وحيـوان المياه والبحار التي تقتل بعضها بعضاً أشد من قتـل بعـض الناس لبعض وأكثر فكيف السبيل إلى قطع تناسـلها وفـراغ امتزاجها وهذا ما لا سبيل لكم إليه أصلاً فإن كـان النـور عاجزاً عن قطعها فلا سبيل له إلى خلاص أجزائه أبد الأبـد وإن كان النور عاجزاً عن قطعها فلا سبيل له إلى خـلاص أجزائه ولم يتركها تردد في الظلمات وأعجب شيء مـنعهم من القتل وهذا عون منهم على بقاء المـزاج وعلـى منـع الخلاص وتأخره وكان القتل أبلغ شيء فـي تمـام مـرادهم

وبغيتهم من تعجيل الخلاص واستنقاذ النور وقطـع المـزاج وهذا تناقض ظاهر منهم لا خفاء به وبا تعالى نتأيد.

وكل ما قدمنا من البـراهين علـى حـدوث العـالم وإيجاب النهاية في جرمه وأشخاصـه وأزمانـه فهـو لازم الأصلين النور والظلمة على أصول المنانية وعلى كل مـن يقول بأن الفاعل أكثر من واحد وأنه لم يزل مع الفاعل غيره لزوم ضرورة وبا تعالى التوفيق وأما الاستدلال الثاني الذي عولوا فيه على أقسام من يفعل أفعالاً مختلفة فهـو اسـتدلال فاسد أيضاً لأنهم إنما عولوا فيه على الأقسام الموجودة فـي العالم وقد قدمنا البراهين الضرورية على حدوث العالم وعلى أن محدثه لا يشبهه في شيء من الأشياء فلا سبيل إلـى أن يدخل تحت شيء من أقسام العالم لكنه تعالى يفعل الأشـياء المختلفة والأشياء المتفقة مختاراً لكل ذلك وحين شاء لا علة لشيء من ذلك إذ قدمنا أن ما حصرته الطبيعة فهـو متنـاه والمتناهي محدث على ما قدمنا مـن أن يكـون ذا قـوى أو فاعلاً بآلات أو فاعلاً باستحالة أو فاعلاً في أشياء لأن هـذا كله يقتضي أن يكون محدثاً تعالى ا عن ذلك وهو لم يـزل فقد وجب ضرورة أن يكون الباري تعالى يفعل ما يشاء من

مختلف ومتفق مختاراً دون علة موجبة عليه شـيئاص مـن ذات ولا بقوة هي غيره وبا تعالى التوفيق.

وكل ما ألزمنا من يقول أن العـالم لـم يـزل مـن البراهين الضرورية فهو لازم للمنانية والديصانية والمزقونية والقائلين بأزلية الطبائع والهيولي لأن العالم عند هؤلاء ليس هوشيأ غير تلك الأصول التي لم تزل عندهو وإنمـا حـدثت فيهم عندهم الصورة فقط ويدخل أيضاً عليهم القول بتنـاهي الأصلين لأنهما عندهم جسـمان والجسـم متنـاه ضـرورة لبرهانين نوردهما إن شاء ا تعالى وذلك أننا نقول لا يخلو كل جرم من الأجرام من أن يكون متحركاً أو ساكناً فإن كان متحركاً فقد علمنا أن المسافة التي لا تتناهى لا تقطع أصـلاً لا في زمان متناه ولا في زمان غير متناه ثم لا تخلو حركته من أن تكون إما باستدارة وإما إلى جهة مـن الجهـات ولا ثالث لهذين الوجهين.

فإن كان متحركاً باستدارة وهو غير متناه فهذا محال لأن الخطين الخارجين من الوسط إلى المشرق وإلى العلـو غير متناهين إذن فكان يجب أن يكون الجزء الذي في سمت المشرق منه لا يبلغه إلى العلو الذي هو سمت الرأس منه أبداً

فقد بطلت الحركة على هذا فهذا إذن متحرك لا متحرك وهذا محال مع مشاهدة العيان لقطع كل جزء من الفلك الكلي جميع مسافته ورجوعه إلى حيث ابتدأ منه في كل أربع وعشـرين ساعة.

وإن كان متحركاً إلى جهة من الجهات فهـذا أيضـاً محال لأن الحركة نقلة من مكان إلى مكان فإذا وجـد هـذا الجسم مكاناً ينتقل إليه لم يكن فيه قبل ذلك فقد ثبتت النهاية له ضرورة لأن وجوده غير كائن في المكان الذي انتقـل إليـه موجب لانقطاعه قبله وإن كان لم يزل في المكان الذي انتقل إليه وهكذا فيما بعده من الأمكنة فلم يزل غير منتقل وقد قلتم أنه لم يزل منتقلاً فهو إذن متحرك ولا متحرك وهذا محال.

وإن قلتم ساكن قلنا لكم اقطعوا من هذا الجرم قطعـة بالوهم فإذا توهموا ذلك سألناهم متى كان هذا الجرم أعظـم أقبل أن تقطع منه هذه القطعة أو بعد إن قطعت فأياً ما قالوا أو إن قالوا أنه مسا ولنفسه قبل أن تقطع منه هذه القطعة فقد أثبتوا النهاية إذ لا تقع الكثرة والقلة والتسـاوي إلا فـي ذي نهاية.

وأيضاً فإن المكان والجرم مما يقـع تحـت العـدد كوقوع الزمان تحت العدد فكل ما أدخلناه فيما خلا من تناهي الزمان من طريق العدد فهو لازم في تناهي المكان والجـرم من طريق العدد بالمساحة وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد رضي ا عنه وكل ما ألزمنـاه مـن يقول بأن الأجسام لم تزل فهو لازم بعينـه لمـن يقـول أن السبعة الكواكب والاثني عشر برجاً لم تزل لأنهـا أجسـام جارية تحت أقسام الفلك وحركته فانظر هنالك ما ألزمناه من حدوث الأجسام وأزمانها فهو لازم لهؤلاء وتركنا ما ألزمناه في حدوث الأجسام في فروع أقوالهم كقولهم فـي المـزاج والخلاص وصفات النور والظلمة إذ إنما قصـدنا اجتثـاث أصول المذاهب الفاسدة في أن الفاعـل أكثـر مـن واحـد واعتمدنا البيان في إثبات الواحد فقط فإذ قد ثبت ذلك ببراهين ضرورية بطل كل ما فرعوه من هذا الأصل الفاسد إذ إنمـا قصدنا ما تدفع إليه الضرورة من الاستيعاب لما لا بد منـه بإيجاز بحول ا تعالى وقوته وأما من جعل الفاعل أكثر من واحد إلا أ هم جعلوهم غير العـالم كـالمجوس والصـابئين والمزدقية ومن قال بالتثليث من النصارى فإنه يدخل علـيهم

من الدلائل الضرورية بحول ا وقوته ما نحن موردوه إن شاء ا تعالى فنقول وبا تعالى التوفيق إن ما كان أكثر من واحد فهو واقع تحت جنس العدد وما كان واقعاً تحت جنس العدد فهو نوع من أنواع العدد وما كان نوعاً فهو مركب من جنسه العام له ولغيره ومن فصل خصه ليس في غيره فله موضوع وهو الجنس القابل لصورته وصورة غيره من أنواع ذلك الجنس وله محمول وهو الصورة التي خصته دون غيره فهو ذو موضوع وذو محمول فهو مركب من جنسه وفصله والمركب مع المركب من باب المضاف الذي لابد لكل واحد منهما من الآخر فأما المركب فإنما يقتضي وجود المركب من وقت تركبه وحينئذ يسمى مركباً لا قبل ذلك وأما الواحد فليس عدداً لما سنبينه إن شاء ا تعالى فقد انقضى الكلام في هذا الباب وبا تعالى التوفيق.

ومن البرهان على أن فاعل العالم ليس واحداً أن العالم لو كان مخلوقاً لاثنين فصاعداً لم يخل من أن يكونا لم يزالا مشتبهين أو مختلفين فأياً ما قالوا فقد أثبتوا معنى فيهما أو في أحدهما به اشتبها أو به اختلفا فإن نفوا ذلك فقد نفوا الاختلاف والاشتباه معاً ولا يجوز ارتفاعهما معاً أصلاً لأن

ذلك محال وموجب للعدم لأن وجود شيئين لا يشتبهان في شيء ولا يختلفان بوجه من الوجوه محال إذ في ذلك عدمهما لأن هذه الصفة معدومة فحاملها معدوم وهم قد أثبتوا وجودها فيلزمهم القول بموجود معدوم في وقت واحد من وجه واحد وهذا محال وهم إذا أثبتوهما موجودين لم يزالا فقد أثبتوا لهما معاني قد اشتبها فيها وهي كونهما مشتبهين في الوجود مشتبهين في الفعل مشتبهين في أن لم يزالا ولا يجوز أن تكون هذه الأشياء ليست غيرهما لأنها صفات عمتهما أعني اشتباههما في المعاني المذكورة فإن كان اشتباههما هو هما فهما شيء واحد وكذلك أيضاً يلزم في كونهما مختلفين في أن كل واحد منهما غير صاحبه فإن كان هذا الاختلاف فيهما هو غيرهما فههنا ثالث وهكذا أيضاً أبداً.

وسنذكر ما يدخل في هذا إن شاء ا تعالى.

وإن كان التغاير هو هما والاشتباه هو هما فالتغاير هو الاشتباه وهذا هو عين المحال لأنه لابد من معنى موجود في المتغاير ليس اشتباهاً لأنه لا يجوز أن يكون الشيئآن مشتبهين بالتغاير فإذا قد ثبت ما ذكرنا ولم يكن بد من اشتباه أو اختلاف هو معنى غيرهما فقد ثبت ثالث وإذا ثبت ثالث

لزم فيهم ثلاثتهم مثل ما لزم في الاثنين من السؤال وهكـذا أبداً وهذا يوجب ضرورة أن كل واحـد منهمـا أو أحـدهما مركب من ذاته ومن المعنى الذي بان به عن الآخر أو بـه أشبه الآخر فإن أثبتوا ذلك لهما جميعـاً وكلاهمـا مركـب والمركب محدث فهما مخلوقان لغيرهما ولابد وإن أثبتوا ذلك لأحدهما فقط كان مركباً وكان الآخر هو الفاعل له فقد عـاد الأمر إلى واحد غير مركب ولابد ضرورة.

ويوجب أيضاً إن تمادوا على ما ألزمناهم من وجود معنى به بأن كل من الآخر وجود قدماء لم يزالـوا ووجـود فاعلين آلهة أكثر من المألوهين وهذا محال لأنه لا سبيل إلى وجود أعداد قائمة ظاهرة في وقت واحد لا نهاية لها لأنه إن كان لها عدد فقد حصرها ذلك العدد على ما قدمنا وكل مـا حصر فهو متناه وقد أوجبنا عليهم القول بأنها غير متناهيـة فلزمهم القول بأعداد متناهية لا متناهية وهـذا مـن أعظـم المحال فإن لم يكن لها عدد فليست موجودة لأن كل موجـود فله عدد وكل ذي عدد متناه كما قدمنا فإن قال قائـل فبـأي شيء انفصل الخالق عن الخلق وبأي شيء انفصـل الخلـق بعضه من بعض وأراد أن يلزمنا في ذلك مثل الذي ألزمنـاه

في الأدلة المتقدمة قيل له وبا التوفيق الخالق كلـه حامـل ومحمول فكل حامل فهو منفصل من خالقه ومن غيره مـن الحاملين بمحموله من فصوله وأنواعه وجنسـه وخواصـه وإعراضه في مكانه وسائر كيفياته وكل محمول فهو منفصل من خالقه ومن غيره من المحمولات بحامله وبما هو عليـه مما باين فيه سائر المحمولات من نوعـه وجنسـه وفصـله والباري تعالى غير موصوف بشيءٍ من ذلك كله وبا تعالى التوفيق وقد ذكرنا في باب الكلام في بقاء الجنة والنار وبقاء الأجسام فيها بلا نهاية وفيما خلا من كتابنا الانفصال ممـن أراد أن يلزمنا هنالك ما ألزمناهم نحن هنالك من الأعداد التي لا تتناهى إلا أننا نذكر هنا من ذلك إن شاء ا تعالى طرفـاً كافياً وبا تعالى التوفيق وبه نستعين فنقول إن الفرق بـين المسئلتين المذكورتين أننا لم نوجب نحن في الجنـة والنـار وجود أعداد لا تتناهى بل قولنا إن أعدادهم متناهية لا تزيـد ولا تنقص وإن مساحة النار والجنة محدودة متناهية لا تزيد ولا تنقص وإن كل ما ظهر من حركـاتهم ومـددهم فيهـا فمحصورة متناهية وإنما نفينا عنها النهاية بالقوة بمعنـى أن الباري تعالى محدث لهم في كلتا الدارين بقاء ومدداً ونعيمـاً

وعذاباً أبداً لا إلى غاية وليس ما ظهر من ذلك بعضاً لما لم يظهر فليلزمنا أن يكون اسم كل مـا يقـع علـى الموجـود والمعدوم لأن الموجود لا يكون بعضاً للمعدوم وإنمـا هـو بعض لموجود مثه هذا يعلم بالحس لأن الأسماء إنما تقع على معانيها ومعنى الوجود إنما هو ما كان قائماً في وقـت مـن الأوقات ماض من الأوقات أو حال منها فما لم يكـن هكـذا فليس موجوداً وأبعاض الموجودات كلهـا موجـودة فكلهـا موجود وكلها كان موجوداً فليس الموجود بعضـاً للمعـدوم والعدم هو إبطال الوجود ونفيه ولا سـبيل إلـى أن تكـون أبعاض الشيء التي يلزمها اسمه الذي لا اسم لها سواه يبطل بعضها بعضاً وقد يمكن أن شغب مشغب في هـذا المكـان فيقول قد وجدنا أبعاضاً لا يقع عليها اسم كلها كاليد والرجـل والرأس وسائر الأعضاء ليس شيء منها يسمى إنساناً فـإذا اجتمعت وقع عليها اسم إنسان قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا شغب لأننا إنما تكلمنا على الأبعاض المتساوية التي كل بعض منها يقع عليه اسم الكل كالماء الذي كل بعض منه ماء وكله ماء وليس الجزء من هذا الباب وكل بعض من أبعاض الموجود فإنه يقع عليه اسم موجود وقد يمكن أن يشغب أيضاً

مشغب في قولنا إن الأبعاض لا تتنافى فيقول إن الخضرة لا تنافي البياض وكلاهما بعض للون الكلي فهذا أيضاً ليس مما أردناه في شيء لأن قولنا موجود ليس جنساً فيقع على أنواع المتضادات وإنما هو إخبار عن وجودنا أشياء قد تساوي كلها في وجودنا إياها حقاً فهو يعم بعضها كما يعم كلهـا وأيضـاً فإن الخضرة لا تضاد البياض في أن هذا لون بل يجتمعـان في هذا المعنى اجتماعاً واحداً لا يختلفان فيه وإنمـا اختلفـا بمعنى آخر وكذلك لا يخالف موجود موجوداً في أنه موجود والموجود يخالف المعدوم في هذا المعنى نفسه وليس بعضاً للمعدوم والمعدوم ليس شيئاً ولا له معنى حتى يوجد فإذا وجد كان حينئذ شيئاً موجوداً وقد تخلصنا أيضاً في باب التجزىء وكلامنا فيه في هذا الديون من مثل هذا الإلزام هنالك.

الكلام على النصارى

قال أبو محمد رضي الله عنه النصارى وإن كانوا أهل كتاب ويقرون بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام فإن جماهيرهم وفرقهم لا يقرون بالتوحيد مجرداً بل يقولون بالتثليث فهذا مكان الكلام عليهم والمجوس أيضاً وإن كانوا أهل كتاب لا يقرون ببعض الأنبياء ولكنا أدخلناهم في هذا المكان لقولهم بفاعلين لم يزالا فالنصارى أحق بالإدخال ههنا لأنهم يقولون بثلاثة لم يزالوا.

والنصارى فرق منهم أصحاب أريوس وكان قسيساً بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية وأول من تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب أريوس هذا.

ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي وكان بطريركاً بأنطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم

السلام خلقه ا تعالى في بطن مريم من غيـر ذكـر وأنـه إنسان لا إلهية فيه وكان يقول لا أدري ما الكلمـة ولا روح القدس.

وكان منهم أصحاب مقدونيوس وكان بطريركاً فـي القسطنطينية بعد ظهور النصـرانية أيـام قسـطنطين بـن قسطنطين باني القسطنطينية وكان هذا الملك أريوسياً كاتبـه وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجـرد وأن عيسـى عبد مخلوق إنسان نبي رسول ا كسـائر الأنبيـاء علـيهم السلام وأن عيسى هو روح القدس وكلمة ا عز وجـل وأن روح القدس والكلمة مخلوقان خلق ا كل ذلك.

ومنهم البربرانية وهم يقولون أن عيسى وأمه إلهـان من دون اللله عز وجل وهذه الفرقة قد بادت وعمدتهم اليـوم ثلاث فرق فأعظمها)فرق الملكانية(وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشي الحبشة والنوبة ومذهب عامـة أهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشي الحبشة والنوبـة ومذهب جميع نصارى أفريقية وصقلية والأندلس وجمهـور الشام وقولهم أن ا تعالى عبارة عن قولهم ثلاثة أشـياء أب وابن وروح القدس كلها لم تزل وأن عيسى عليه السلام إلـه

تام كله وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد ابـن ا تعالى عن كفرهم وقالت النسطورية مثل ذلك سواء بسواءٍ إلا أنهم قالوا إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسـان وأن ا تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله تعالى ا عن كفرهم وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان وهم منسوبون إلى نسطور وكان بطريركـاً بالقسـطنطينية وقالت اليعقوبية إن المسيح هو ا تعالى نفسه وأن ا تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كمـا كـان وأن ا تعالى عاد محدثاً وأن المحدث عاد قديماً وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به وهم في أعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الأمتين المذكورتين قال أبـو محمـد رضي ا عنه ولولا أن ا تعالى وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى لقد كفر الذين قالوا إن ا هو المسيح ابن مـريم وإذ يقول تعالى حاكياً عنهم أن ا ثالث ثلاثة وإذ يقول تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون ا لما انطلق

لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف وتا لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون ونعوذ با من الخذلان فأما اليعقوبية فإنهم ينسبون إلى يعقوب البرذعاني وكان راهباً بالقسطنطينية وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشة تامة لأن الاستحالة نقلة والنقلة والاستحالة لا يوصف بهما الأول الذي لم يزل تعالى عن ذلك علواً كبيراً ولو كان كذلك لكان مخلوقاً والمحدث يقتضي محدثاً خالباً له ويكفي من بطلان هذا القول دخوله في باب المحال والممتنع الذي قد أوجب العقل والحس بطلانه وليس في باب المحال أعظم من أن يكون الذي لم يزل يعود محدثاً لم يكن ثم كان وأن يصير غير المؤلف مؤلفاً ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السموات والأرض وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التي كان فيها ميتاً تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً.

ثم يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلها وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق أن يكون أحدها يسمى أباً والثاني ابناً وأنتم تقولون أن

الثلاثة واحد وأن كل واحد منها هو الآخر فالأب هو الابـن والابن هو الأب وهذا هو عين التخليط وإ جيلهم يبطل هـذا بقولهم فيه سأقعد عن يمين أبي وبقولهم فيـه أن القيامـة لا يعلمها إلا الأب وحده وأن الابن لا يعلمها فهـذا يوجـب أن الابن ليس هو الأب وإن كانت الثلاثة متغايرة وهم لا يقولون بهذا فليلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو مـن الحدوث أو من النقص به وجب أن ينحط عن درجـة الأب والنقص ليس من صفة الذي لم يزل مع ما يدخل على مـن قال بهذا من وجوب أن تكون محدثة لحصر العـدد وجـرى طبيعة النقص والزيادة فيها على حسب ما قدمناه في حـدوث العالم.

قال أبو محمد رضي ا عنه وقد لفق بعضهم أشياء قالوا أنها لا معنى لها إلا أننا ننبه عليها ليتبين هجنة قـولهم وضعفه بحول ا تعالى وقوته وذلك أن بعضهم قـال لمـا وجب أن يكون الباري تعالى حياً عالماً وجب أن تكون لـه حياة وعلم فحياته هي التي تسمى روح القدس وعلمـه هـو الذي يسمى الابن قال أبو محمد رضي ا عنه وهـذا مـن أغث ما يكون من الاحتجاج لأننا قد قدمنا أن الباري تعالى لا

يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال لكن من طريـق السمع خاصة ولا يصح لهم دليل لا من إنجيلهم ولا من غيره من الكتب أن العلم يسمى ابناً ولا في كتبهم أن علم ا هـو ابنه وقد ادعى بعضهم أن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية مـن أن علم العالم يقال فيه أنه ابنه قال أبو محمد رضـي ا عنـه وهذا باطل ظاهر الكذب لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها فعبـر عـن تلـك الألفاظ العبرانية وبها كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكروا وادعى وإن كـانوا ممن يقولون بتسمية الباري عز وجل من طريق الاسـتدلال فقد أسقطوا صفة القدرة إذ ليس الاستدلال على كونه عالمـاً بأصح ولا أولى من الاستدلال على كونه قادراً لاسيما مـع قول بولس وهو عندهم فوق الأنبياء أن المسـيح قـدرة ا وعلمه تعالى قال هذا النص في رسالته الأولى إلى أهل قريته فليضيفوا إلى هذه الثلاث صفة رابعة وهي القدرة وأخـرى وهي السمع وأخرى وهي البصر وأخـرى وهـي الكـلام وأخرى وهيالعقل وأخرى وهي الحكمة وأخرى وهي الجود.

فإن قالوا القدرة هي الحياة قيل لهم والعلم هو الحياة.

فإن قالوا ليس العلم الحياة لأنه قد يكون حـي لـيس عالماً كالمجنون قيل لهم قد يكون حي ليس قادراً كالمغشـي عليه ونحو ذلك فالقدرة ليست الحياة وأيضاً فإن كان الابـن هو العلم وروح القدس هو الحياة فما بال إقحـامهم المسـيح عليه السلام في أنه الابن وروح القدس أترى المسيح هو حياة ا وعلمه وما بال قول بعضهم أن مريم ولدت ابن ا أتراها ولدت علم ا وحياته إلا كحظ غيـره ولا فـرق وهـذا لا مخاص منه وبا التوفيق وقال بعضهم لما وجـدنا الأشـياء قسمين حياً ولا حياً وجب أن يكون الباري عز وجل حياً ولما وجدنا الحي ينقسم قسمين ناطقاً وغير ناطق وجب أن يكون الباري تعالى ناطقاً قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا الكلام في غاية الكلال لوجهين أحدهما أن هذه القسمة قسمة طبيعية واقعة تحت جنس لأنه إذا كان تسمية الباري تعالى حياً إنمـا هو من هذا الوجه فهو إذاً يقع مع سائر الأحياء تحت جـنس الحي ويحد بحد الحي وبحد الناطق وإذا كـان كـذلك فهـو مركب من جنسه وفصله وكل ما كان محدوداً فهو متناه وكل ما كان مركباً فهو محدث والوجه الثاني أن هذه القسمة التي

قسموا منقوضة مموهة لأنه يلزمهم أن يبدؤا بـأول القسـمة الذي هو أقرب إلى الطبيعة فيقولوا وجدنا الأشياء جوهراً ولا جوهراً ثم يدخلوه تحت أي القسمين شاؤا وهم إنما يدخلونـه تحت الجوهر فإذا أدخلوه تحت الجوهر فقد وجب ضـرورة أن يحدوه بحد الجوهر فإذا كان ذلك وجب أن يكون مـدثاً إذ كل محدود محدث كما قد بيناه ثم نعترضهم في قسمتهم مـن قبل أن يبلغوا إلى الحي الناطق وعلى بعض القسم قبله يقـع الثاني وهذه كلها مخلوقات فلو كان الباري تعالى بعضـها أو كانت هذه الصفات واقعة عليه من طريق وجـوب وقوعهـا علينا لكان مخلوقاً تعالى ا عن ذلك علـواً كبيـراً وقـال بعضهم لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد وهـذا أكمـل الأعداد وجب أن يكون الباري تعالى كذلك لأنه غاية الكمال قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا من أغث الكلام لوجـوه ضرورية أحدها أن الباري تعالى لا يوصف بكمال ولا تمام لأن الكمال والتمام من باب الإضافة إن التمـام والكمـال لا يقعان البتة إلا فيما فيه النقص لأن معناهما إنما هو إضـافة شيءٍ إلى شيءٍ به كملت صفاته ولولاه لكان ناقصاً لا معنى للتمام والكمال إلا هذا فقط والوجه الثاني أن كل عـدد بعـد

الثلاثة فهو أتم من الثلاثة لأنه يجمع إما زوجاً وزوجاً وفرداً وإما أكثر من ذلك وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثـر مـن زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجاً وفرداً فقط فيلزمه أن يقول إن ربه أعداد لا تتناهى أو أنه أكثر الأعداد وهـذا أيضاً ممتنع محال لو قاله وكفى فساداً بقول يؤدي إلى المحال والوجه الثالث أن هذا الاستدلال مضاد لقـولهم أن الثلاثـة واحد والواحد ثلاثة لأن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد هي غير الثلاثة التي هي عندكم واحد بلا شك لأن الثلاثة التـي تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذي هو فيها وهي جامعة له ولغيره بل ولا هي بعض فالكل ليس هو الجزء والجزء ليس هو الكل والفرد جزء للثلاثة والثلاثة كل للفرد وللزوج معـه فالفرد غير الثلاثة والثلاثة غير الفرد والعدد مركب من واحد يراد به الفرد وواحد كذلك وواحد كذلك إلـى نهايـة العـدد المنطوق به فالعدد ليس الواحد والواحد ليس هو العدد لكـن العدد مركب من الآحاد التي هي الأفراد وهكذا كل مركـب من أجزاء فذلك المركب ليس هو جزأ من أجزائـه كـالكلام الذي هو مركب من حرف وحرف حتى يقوم المعنى المعبر عنه فالكلام ليس هو الحرف والحرف ليس هو الكلام والوجه

الرابع أن هذا المعنى السخيف الذي قصده هذا الجاهل نجـده في الإثنين لأن الإثنين عدد يجمع فرداً وفرداً وهو زوج مع ذلك فقد وجدنا في الإثنين الزوج والفرد فيلزمه أن يجعل ربه اثنين والوجه الخامس أن كل عدد فهو محدث وكـذلك كـل معدود يقع عليه عدد فهو أيضاً محدث على ما قد بينا فيمـا خلا من كتابنا هذا والمعدود لم يوجد قط إلا ذا عدد والعدد لم يوجد قط إلا في المعدود والواحد ليس عدداً على ما نبينه بعد هذا إن شاء ا تعالى وبه يتم الكلام في التوحيد بحـول ا وقوته قال أبو محمد رضي ا عنه وهم يقولـون أن الإلـه اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صارا شـيئاً واحـداً فقالـت اليعقوبية كاتحاد الماء يلقي في الخمر فيصيران شيئاً واحـداً وقالت النسطورية كاتحاد الماء يلقى في الزيت فكـل واحـد منهما باق بحسبه وقالت الملكية كاتحاد النار في قـال أبـو محمد رضي ا عنه وكل هذا في غاية الفساد أول ذلك أنها دعاو ولا يعجز عن مثلها متحامق وليس في إنجيلهم شـيء من هذه الأقسام والثاني أنها كلها محال لأن قول الملكية فـي تمثيلهم بما مثلوا إنما هو عرض في جوهر ولا يتوهم غيـر ذلك فالإله على قولهم عرض والإنسان جوهر وهذا في غاية

الفساد وقول اليعقوبية أفسد لأننا نقول لهم إن كان اسـتحال الإله إنساناً فالمسيح إنسان وليس إلهـاً وإن كـان الإنسـان استحال إلهاً فالمسيح إله وليس بإنسان وإن كان كلاهمـا لـم يستحل واحد منهما إلى الآخر فهذا هو قول النسـطورية لا قولهم وإن كان كل واحد منهما استحال إلى الآخر فقد صار الإله إنساناً لا إلهاً وصار الإنسان إلهاً لا إنساناً وحصلوا بعد هذا الحمق على قول النسطورية ولا مزيد وإن كانا اسـتحالا إلى غير الإنسان والإله فالمسيح لا إله ولا إنسان وكل هـذا خلاف قولهم.

وأما النسطورية فلم يزيد وأعلى أن قالوا إن الإنسان إنسان والإله إله وهكذا كل فاضل وفاسق في العالم هو إنسان والإله إله وهكذا كل فاضل وفاسق في العالم هو إنسان والإله إله فالمسحي وغيره من الناس سواء.

وأيضاً فإن ما قالوه محال لأن الـذي لـم يـزل لا يستحيل إلى طبيعة الإنسان المحدث ولا يستحيل المحدث إلهاً لم يزل وهذا محال بذاته ممتنع لا يتشكك وكذلك الإنسـان لا يجاور الإله مجاورة مكانية لأنه محال أيضاً وكذا لا يتـوهم ولا يمكن أن يكون الإله عرضاً يحمله جوهر الإنسـان ولا

يمكن أيضاً أن يكون الإنسان عرضاً يحمله الإله في ذاته كما تدعي الملكية ي تشبيه ذلك الاتحاد بضوء الشمس في البيت وبالنار في الحديد المحماة فقد صح أن كل ما قـالوا محـال وباطل وسخف لا يقبله إلا مخذول ولا يمكنهم ادعاء وجـود شيء من هذا في كتب الأنبياء أصلاً وأيضاً فإنهم يضـيفون إلى ذكرهم الأب والابن وروح القدس شيئاً رابعاً وهو الكلمة وهي المتحدة عندهم بالإنسان الملتحمة به في مشيمة مـريم عليها السلام فإن أمانتهم التي اتفقوا عليها كلهـم هـي كمـا نورده نصاً نؤمن با الأب مالك كل شيء صانع ما يـرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع الآه حق من الآه من جوهر أبيه الذي بيـده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشـر النـاس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القـدس وصار إنساناً وولد من مريم البتول وألم وصلب أيام قيطوش بلاطش ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصـعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وهو مستعد للمجيء تـارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بروح القـدس الواحد روح الحق الذي هو مشتق مـن أبيـه روح محبـة

وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحـدة قدسـية سليحية جاثليقية وبقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين وقال في أول إنجيل يوحنا التلميذ في البـدء كانـت الكلمـة والكلمة عند ا وا كان الكلمة قال أبو محمـد رضـي ا عنه فهذه أقوال إذا تأملها ذو عقل علم أنها وساوس أو جنون ملقى من الشيطان لا يمتحن به إلا مخذول مشهود له ببراءة ا تعالى منه.

ويقال لهم الكلمة هي أو الأب الابن أو روح القـدس أم شيء رابع.

فإن قالوا شيء رابع فقد خرجوا عن التثليـث إلـى التربيع.

وإن قالوا إنها أحد الثلاثة سئلوا عن الدليل على ذلك إذ الدعوى لا يعجز عنها أحد.

ثم يقال لهم الأب هو الابن أم هو غيره.

فإن قالوا هو غيره.

سئلوا أيضاً من الملتحم في مشيمة مريم المتحد مـع طبيعة المسيح الأب أم الابن.

فإن قالوا الابن.

فقد بطل أن يكون هو الأب وخالفوا يوحنا إذ يقـول في أول إنجيله إن الكلمة هي ا فإذا كانت هي ا والكلمـة التحمت في مشيمة مريم فا تعالى هو نفسه التحم في مشيمة مريم وفي أمانتهم أن الابن هو الذي التحم في مشيمة مـريم وهذه وساوس لا نظير لها.

ويقال لهم أيضاً هل معنى التحم إلا صار لحماً وهذا غير قول النسطورية والملكية.

وإن قالوا بل الأب.

فقد بطل أن يكون هو الابن وخالفوا يوحنا والأمانة.

وإن قالوا هو الأب وهو الابن.

تركوا قولهم أن الابن يقعد عن يمين أبيـه وأن الأب يعلم وقت القايمة والابن لا يعلمها وقولهم في إنجيل يوحنـا الأب فوض الأمر إلى ابنه والأب أكبر مـن الابـن فهـذه نصوص على أن الابن غير الأب إذ لا يقعد المرء عن يمين نفسه ولا يفوض الأمر إلى نفسه ولا يجهل ما يعلم وهذا كله

يبطل قولهم أن الابن هو العلم والقدرة أو غير ذلك لأن هـذه الصفات لا تقعد عن يمين حاملها ولا يفوض إليها شيء.

وإن قالوا لا هو هو وإلا هو غيره دخل عليهم مـن الجنون ما يدخل علـى مـن ادعـى أن الصـفات لا هـي الموصوف ولا هي غيره.

وإن قالوا الأب هو الابن وهو غيره لم يكن ذلك ببدع من سخافاتهم وخروجهم عن المعقول ولزمهم أن الابن ابـن لنفسه وأب لنفسه وأن الأب أب لنفسه وابن لنفسه وليس فـي الحمق والهوس أكثر من هذا ولا متعلق لهم بشيء مما فـي الزبور ولا في كتاب شعياء وغيره لأنه ليس في شيء منهـا أن المراد بما ذكر هنالك هو عيسى بن مريم عليهما السـلام وقد قال لوقا في آخر إنجيله أنه كان نبياً مقتدراً عبداً وهذا كله بين عظيم مناقضتهم وما توفيقنا إلا با .

فإن تعلقوا بما في الإنجيل من ذكر المسيح أنه ابـن ا .

قيل لهم في الإنجيل أيضاً أبي وأبيكم ا إلهي وإلهكم وأمرهم إذا دعوا أن يقولوا يا أبانا السماوي فله مـن ذلـك كالذي لهم ولا فرق.

فإن قالوا أنه أتى بالعجائب.

قيل لهم والحواريون أيضاً عندكم أتـوا بالعجائـب وموسى قبله والياس وسائر الأنبياء قد أتوا بمثل ما أتى بـه من إحياء الموتى وغيره فأي فرق بينه وبينهم على أنه ليس في شيء من الإنجيل نص الأمانة التـي لا يصـح الإيمـان عندهم إلا بها من ذكر أب وابن وروح القدس معاً وسائر ما فيها وإنما هي تقليد لأسلافهم من الأساقفة ونعوذ بـا مـن الخذلان.

وأمانتهم التي ذكروا أنهم متفقون عليها موجبـة أن الابن هو الذي نزل من السماء وتجسـد مـن روح القـدس وصار إنساناً وقتل وصلب.

فيقال لهم هذا الابن الذي في أمانتكم أنه نـزل مـن السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً أخبرونا قبل أن ينزل من السماء أمخلوقاً كان أو غير مخلوق بل كـان لـم يزل.

فإن قالوا كان مخلوقاً.

فقد تركوا قولهم لاسيما أن قالوا ليس هو غيـر الأب بل يصير الأب وروح القدس مخلوقين.

وإن قالوا كان قبل أن ينزل غير مخلوق.

قيل لهم فقد صار مخلوقاً إنساناً وهذا محال وتناقض.

وأيضاً فقد لزم من هـذا أن الابـن مخلـوق وروح القدس مخلوق إذ صار إنساناً.

ثم يقال لهم أخبرونا عن هذا الابن الذي أخبرتم عنه بما لم تخبروا عن الأب والذي يقعد عن يمين الرب ثم ينزل لفصل القضاء أله علم وحياة أم لا علم له ولا حياة.

فإن قالوا لا علم له ولا حياة.

فارقوا إجماعهم ولزمهم ضرورة أن قالوا مع ذلـك أنه غير الأب الذي له حياة وعلم إذ ما لا علم له هو بلا شك غير الذي له علم والذي لا حياة له هو بلا شك غير الذي له حياة وهذا ترك منهم للنصرانية.

وإن قالوا بل له علم وحياة لزمهم أن الأزليين خمسة الأب وعلمه وحياته والابن الـذي هـو علـم الأب وعلمـه وحياته.

وهكذا يسألون أيضاً عن روح القدس ولا فرق وقـد قال يوحنا في أول إنجيله فمن تقبله منهم وآمن به أعطـاهم سلطاناً أن يكونوا أولاد ا أولئك المؤمنون باسمه الذين لـم يتوالدوا من دم ولا شهوة اللحم ولاباه رجل ولكن توالدوا من ا فصح بهذا أن لكل نصـراني مـن ولادة ا والأزليـة والكون من جوهر الأب كالذي لمسيح سواء بسواء ولا فرق وإلا فقد كذب يوحنا اللعين قائل هذا الكفر وأهل الكذب هـو وهذا ما لا انفكاك منه وهذا يلزم الأشعرية الذين يقولون بأن علم ا تعالى وقدرته هما غير ا تعالى عما يقولون علـواً كبيراً ومما يعترض به علينا اليهود والناصرى ومن ذهـب إلى إسقاط الكواف من سائر الملحدين إن قال قائلهم قد نقلت اليهود والنصارى أن المسيح عليه السلام قد صـلب وقتـل وجاء القرآن بأنه صلى ا عليه وسلم لم يقتل ولـم يصـلب فقولوا لنا كيف كان هذا فإن جوزتم على هذه الكواف العظام المختلفة الأهواء والأديان والأزمان والبلدان والأجناس نقـل الباطل فليست بذلك أولى من كافتكم التي نقلت أعلام نبـيكم وشرائعه وكتابه.

فإن قلتم اشتبه عليهم فلم يتعمد وانقل الباطل.

فقد جوزتم التلبيس على الكواف فلعل كافتكم أيضـاً ملتبس عليها فليس سائر الكواف أولى بذلك من كافتكم وقولوا لنا كيف فرض الإقرار بصاب المسيح عنـدكم قبـل ورود الخبر عليكم ببطلان صلبه وقتله.

فإن قلتم كان الفرض على الناس الإقرار بصلبه.

وجب من قولكم الإقرار أن ا تعالى فـرض علـى الناس الإقرار بالباطل وأن ا تعالى فـرض علـى النـاس تصديق الباطل والتدين به وفي هذا ما فيه.

وإن قلتم كان الفرض عليكم الإنكار لصلبه.

فقد أوجبتم أن ا تعالى فرض على الناس تكـذيب الكواف وفي هذا إبطال قول كافتكم بل إبطال جميع الشرائع بل إبطال كل خبر كان في العالم عن كل بلد وملـك ونبـي وفيلسوف وعالم ووقعتم وفي هذا ما قال أبو محمد رضي ا عنه هذه الإلزامات كلها فاسدة في غاية الحوالة والاضمحلال بحمد ا تعالى ونحن مبينون ذلك بالبراهين الضرورية بياناً لا يخفى على من له أدنى فهم بحول ا تعالى وقوته.

فنقول وبا التوفيق إن صلب المسيح عليه السلام لم يقله قط كافة ولا صح بالخبر قط لأن الكافة التي يلزم قبـول نقلها هي إما الجماعة التي يوقن أنها لم تتواطأ لتنابذ طرقهم وعدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذي نقلوه عن مشاهدة أو رجع إلى مشاهدة ولو كانوا اثنـين فصـاعداً وإما أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق في الطبيعة علـى التمادي على سنن ما تواطؤا عليه فأخبروا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه فما نقله أحد هاتين الصفتين عن مثـل إحـداهما وهكذا حتى يبلغ إلى مشاهدة فهذه صفة الكافة التي يلزم قبول نقلها ويضطر خبرها سامعها إلى تصـديقه وسـواء كـانوا عدولاً أو فساقاً أو كفاراً ولا يقطع على صحته إلا ببرهـان فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صـلب المسـيح عليـه السلام فوجدناه كواف عظيمةً صادقة بلا شك في نقلها جـيلاً بعد جيل إلى الذين ادعوا مشاهدة صلبه فإن هنالـك تبـدلت الصفة ورجعت إلى شرط مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل والنصارى مقـرون بأنهم لم يقدموا على أخذه نهاراً خوف العامة وإنما أخذوه ليلاً عند افتراق الناس عن الفصح وأنه لم يبق في الخشبة إلا ست

ساعات من النهار وأ ه أنزل إثر ذلك وأنه لم يصلب إلا فـي مكان نازح عن المدينة في بستان فخار متملك للفخار لـيس موضعاً معروفاً بصلب من يصلب ولا موقوفاً لذلك وأنه بعد هذا كله رسي الشرط على أن يقولوا أن أصـحابه سـرقوه ففعلوا ذلك وأن مريم المجدلانية وهي امرأة من العامـة لـم تقدم على حضور موضع صلبه بل كانت واقفة علـى بعـد تنظر هذا كله في نص الإنجيل عندهم فبطل أن يكون صلبه منقولاً بكافة بل بخبر يشهد ظاهره على أنه مكتوم متواطـأ عليه وما كان الحواريون ليلتئذ بنص الإنجيل إلا خائفين على أنفسهم غيباً عن ذلك المشهد هاربين بأرواحهم مستترين وإن شمعون الصفا غرر ودخل دار قيقان الاهن أيضـاً بضـوء النهار فقال له أنت من أصحابه فانتفى وجحد وخرج هاربـاً عن الدار فبطل أن ينقل خبر صلبه أحد تطيب النفس عليـه على أن نظن به الصدق فكيف أن ينقله كافةٌ وهذا معنى قوله تعالى ولكن شبه لهم إنما عنى تعالى أن أولئك الفساق الـذين دبروا هذا الباطل وتواطؤا عليه هم شبهوا على مـن قلـدهم فأخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون في ذلك عـالمون أنهم كذبة ولو أمكن أن يشبه ذلك علـى ذي حاسـة سـليمة

لبطلت النبوات كلها إذ لعلها شبهت على الحواس السليمة ولو أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها ولأمكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس وفيمن يجالس وفي حيث هو فعله نائم أو مشبه على حواسه وفي هذا خروج إلى السخف وقول السوفسطائية والحماقة وقد شاهدنا نحن مثل ذلك وذلك أننـا اندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصـر فرأيت أنا وغيري نعشاً فيه شخص مكفن وقد شاهد غسـله شيخان جليلان حكمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت وخارج البيت أبي رحمه ا وجماعة عظماء البلـد ثم صلينا في ألوف من الناس عليه ثم لم يلبث إلا شهوراً نحو السبعة حتى ظهر حياً وبويع بعد ذلك بالخلافة ودخلت عليـه أنا وغيري وجلست بين يديه ورأيته وبقي ثلاثة أعوام غيـر شهرين وأيام قال أبو محمد رضي ا عنه وأما قولـه قـد جوزتم التمويه على الكافة فقد بينا أنها لم تكن كافة قط وحتى لو صح أنها كافة فكيف لا يجوز ذلك في كـل آيـة تحيـل الطبائع والحواس فهو ضرورة لا يحمل على الممكنات فلـو صح أنها كانت كافة لكان خبر ا تعالى أنه شبه لهم حاكمـاً على حواسهم ومحيلاً لها كخروج النبي صلا ا عليه وسلم

ليلة هاجر بحضرة مائة رجل من قـريش وقـد حجـب ا سبحانه أبصارهم عنه فلم يروه.

وأما ما لم يأت خبر عن ا عز وجل بأنه شبه على الكافة فلا يجوز أن يقال ذلك لأنه قطع على المحال وإحالـة طبيعة وإحالة الطبائع لا تدخل في الممكن إلا أن يأتي بـ ذلك يقين عن ا عز وجل فيلزم قبوله.

وأما التشيه على الواحد والاثنين ونحو ذلـك فإنـه جائز وكذلك فقد العقل والسخافة يجوز ذلـك علـى الواحـد والاثنين ونحو ذلك ولا يجوز على الجماعة كلها.

وقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم إنما هو إخبار عن الذين يقولون تقليداً لأسلافهم مـن النصـارى واليهود أنه عليه السلام قتل وصلب فهؤلاء شبه لهم القـول أي أدخلوا في شبهة منه وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت وشرطهم المدعون أنهم قتلـوه وصـلبوه وهـم يعلمون أنه لم يكن ذلك وإنما أخـذوا مـن أمكـنهم فقتلـوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة التي شبه الخبر لها.

ثم نقول لليهود والنصارى بعد أن بينـا بحـول ا وقوته بيان ما شنعوه في هذه المسئلة أن كوافكم قد نقلت عن بعض أنبيائكم فسوقاً ووطء إماء وهو حرام عنـدكم وعـن هارون عليه السلام أنه هو الذي عمل العجل لبني إسـرائيل وأمرهم بعبادته والرقص أمامه وقد نزه ا تعـالى الأنبيـاء عليهم السلام عن عبادة غيره وعن الأمر بذلك وعـن كـل معصية ورذيلة فإذا جوزوا كلهم هذا على أنبياء منهم موسى عليه السلام وسائر أنبيائهم كان كل ما أمروهم به من جـنس عمل العجل والرقص والأمر بعبادته ومن جنس وطء الإماء وسائر ما نسبوه إلى داود وسليمان عليهما السـلام وسـائر أنبيائهم لاسيما وهم يقرون بأن العجل كان يخور بطبعه.

وأما نحن فجوابنا في هذا كله بأن ليس شيء منه نقل كافة ولكن نقل آحاد كذبوا فيه وأما خوار العجل فإنمـا هـو على ما روينا عن ابن عباس رضي ا عنه من أنه إنما كان صفير الريح تدخل من فيه وتخرج من دبـره لا أنـه خـار بطبعه قط وحتى لو صح أنه خار بطبعه لكان ذلك من أجـل القوة التي كانت في القبضة التي قبضها السامري مـن إثـر

جبريل عليه السلام والذي يعتمد عليه فهو قول ابن عبـاس رضي ا عنه الذي ذكرناه وبا تعالى التوفيق.

وأما قوله كيف كان الفرض قبل ورود النص ببطلان صلبه الإقرار بصلبه أم الإنكار له فهذه قسمة فاسدة شغبية قد حذر منها الأوائل كثيراً ونبه عليها أهل المعرفة بحدود الكلام وذلك أنهم أوجبوا فرضاً ثم قسموه على قسمين إمـا فـرض بإنكار وإما فرض بإقرار وأضربوا عن القسم الصحيح فلـم يذكروه وهذا لا يرضى به لنفسه إلا جاهل أو سخيف مغالط غابن لنفسه غاش لمن اغتر به وإنما الحقيقة ههنا أن يقـول هل يلزم الناس قبل ورود القرآن فرض بـالإقرار بصـلب المسيح أو بإنكار صلبه أو لم يلزمهم فرض بشيء من ذلـك فهذه هي القسمة الصحيحة والسؤال الصحيح وحق الجـواب أنه لم يلزم الناس قط قبل ورود القرآن فرض بشيء من ذلك لا بإقرار ولا بإنكار وإنما كان خبـراً لا يقطـع العـذر ولا يوجب العلم الضروري ممكن صدق قائله فقد قتـل أنبيـاء كثيرة وممكن أن يكون ناقله كذب في ذلك وهو بمنزلة شيء مغيب في دار فيقال لهذا المعرض بهذا السؤال الفاسـد مـا

الفرض على الناس فيما في هذه الدار الإقرار بأن فيها رجلاً أم الإنكار لذلك فهذا كله لايلزم منه شيء.

ولم ينزل ا عز وجل كتاباً قبـل القـرآن بفـرض إقرار بصلب المسيح صلى ا عليه وسلم ولا بإنكاره وإنمـا ألزم الفرض بعد نزول القرآن بتكذيب الخبر بصلبه.

فإن قالوا قد نقل الحواريـون صـلبه وهـم أنبيـاء وعدول.

قيل لهم وبا التوفيق الناقلون لنبـوتهم وإعلامهـم ولقولهم بصلبه عليه السلام هم الناقلون عنهم الكذب في نسبه والقول بالتثليث الذي من قال به فهو كاذب على ا تعـالى مفتر عليه كافر به فإن كان الناقل لذلك عنهم صادقاً أو كانوا كافة فما كان يوحنا ومتى وبولس إلا كفاراً كاذبين وما كانوا قط من صالحي الحواريين وإن كان ناقل ما ذكرنـا عـنهم كاذباً فالكاذب لا يقوم بنقله حجة فبطل التمويه المتقدم والحمد رب العالمين.

وقال متكلموهم إن الاتحاد المذكور إنما هـو تقليـد للإنجيل ولم يكن نقلة ولا حركة ولا فارق الباري ولا العالـم ما كانا عليه ولا انتقلا فيقال لهم هذا إبطال للاتحـاد وقـول

منكم بأن حظه وحظ غيره في ذلك سواء وخلاف لأمـانتكم التي فيها أن الابن نزل من السماء وتجسد وولد وقتل ودفن.

وقالت طائفة منهم المسيح حجـاب ا خاطبـه ا تعالى منه فيقال لهم أنتم تقولون أن المسيح رب معبود وإلـه خالق والحجاب عندكم مخلوق والمسيح عند بعضكم طبيعـة واحدة وعند بعضكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتيـة فأخبرونـا أتعبدون الطبيعتين معاً اللاهوتيـة والناسـوتية أم تبعـدون إحداهما دون الأخرى.

فإن قالوا نعبدهما جميعاً أقروا بأنهم يعبدون إنسـاناً وحجاباً مخلوقاً مع ا تعالى وهذا أقبح ما يكون من الشرك.

وإن قالوا بل نعبد اللاهوت وحده قيـل لهـم فإنمـا تعبدون نصف المسيح لا كله لأنه طبيعتان ولستم تعبدون إلا أحدهما دون الأخرى.

وكذلك يسألون عن موت المسيح وصلبه فمن قـول الملكية والنسطورية إن الموت والصلب إنمـا وقـع علـى الناسوت خاصة.

فيقال لهم فأنتم في قولكم مات المسيح وصلب كاذبون لأنه إنما مات نصفه وصلب نصفه فقط لأن اسـم المسـيح عندكم واقع على اللاهوت والناسوت كليهما معـاً لا علـى أحدهما دون الآخر وكل من قال من اليعقوبية الإنسان والإله شيء هو الإنسان فقد عبد إنساناً وربه إنسان مخلوق.

وكل من قال منهم الإله غير الإنسـان فقـد أبطـل الاتحاد.

وهكذا يقال لهم في الحجاب مـع ا تعـالى سـواء بسواء ويلزمهم جميعهم إذ قد أقروا بعبادة المسيح هكذا جملة وأنه رب خالق وفي الإنجيل أنه جاع وأكل الخبز والحيتـان وعرق وضرب أن ربهم أكل وجاع وأن الإله ضرب ولطـم وصلب وكفى بهذا رذالة وفحش قول وبيان بطلان.

ويقال للملكية واليعقوبية القائلين بأن المسيح ابـن ا وابن مريم قد أقررتم أن المسيح إنسان وإله فالإنسان هو ابن ا وابن مريم والإله هو ابن مريم وهذه غاية الشناعة.

فإن قالوا ما تقولون فيما في كتابكم وما كان لبشر أن يكلمه ا إلا وحياً أو من وراء حجاب وأنه تعالى كلم موسى من جانب الطور من الشجرة من شاطىء الوادي.

قلنا التكليم فعل ا تعالى مخلوق والحجاب إنما هـو للتكليم والتكليم هو اذي حدث في الشجرة وشاطىء الـوادي وجانب الطور وكل ذلك مخلوق محدث وكذلك تحول جبريل عليه السلام في صورة دحية إنما هو أن ا تعـالى جعـل للملائكة والجن قوة يتحولون بها فيما شاؤا من الصور وكلهم مخلوق تعاقب عليهم الإعراض بخلاف ا تعالى في ذلك.

قال أبو محمد رضي ا عنه ومما يعترض به على النصارى وإن كان ليس برهاناً ضرورياً على جميعهم لكنـه برهان ضروري على كل من تلقد منهم الشرائع التي يعمـل بها الملكيون والنساطرة واليعاقبة والمارقبية قاطع لهم وهـي مسئلة جرت لنا مع بعضهم وذلك أنهم لا يخلون مـن أحـد وجهين إما أن يكونوا يقولون ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام وإما أن يقولوا بإمكانها بعده عليه السلام.

فإن قالوا بإمكان النبوة بعده عليه السلام.

لزمهم الإقرار بنبوة محمد صلى ا عليه وسـلم إذ ثبت نقل إعلامه بالكواف التي بمثلها نقلـت إعـلام عيسـى وغيره عليهم الصلاة والسلام.

وإن قالوا ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام.

لزمهم ترك جميع شرائعهم من صلاتهم وتعظـيمهم الأحد وصيامهم وامتناعهم من اللحم ومنـاكحهم وأعيـادهم واستباحتهم الخنزير والميتة والدم وترك الختـان وتحـريم النكاح على أهل المراكب في دينهم إذ كل ما ذكرنا ليس منه في أناجيلهم الأربعة شيء البتة بل أناجيلهم مبطلة لكل ما هم عليه اليوم إذ فيها أ ه عليه السلام قال لم آت لأغير شيئاً من شرائع التوراة وأنه كان يلتزم هو وأصحابه بعـده السـبت وأعياد اليهود من الفصح وغيره بخلاف كل ما هم عليه اليوم فإذا منعوا من وجود النبوة بعده وكانت الشرائع لا تؤخـذ إلا عن الأنبياء عليهم السلام وإلا فإن شارعها عن غير الأنبياء عليهم السلام حاكم على ا تعالى وهذا أعظم ما يكون مـن الشرك والكذب والسخف فشرائعهم التي هـي ديـنهم غيـر مأخوذة عن نبي أصلاً فهي معاص مفترات علـى ا عـز وجل بيقين لاشك فيه قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا حين نبدأ بعون ا وتوفيقه وتأييده إن شاء ا لا إله إلا هو فـي تبيين أن الواحد ليس عدداً فنقول وبا تعـالى التوفيـق أن خاصة العدد هو أن يوجد عدد آخر مساوٍ له وعدد آخر ليس مساوياً له هذا شيء لا يخلو منه عدد أصلاً والمساواة هي أن

تكون إبعاضه كلها مساوية له إذا جزئت ألا ترى أن الفـرد والفرد مساويان للإثنين وأن الزوج والفـرد لـيس مسـاوياً للزوج الذي هو الإثنان والخمسة مساوية للإثنين والثلاثة غير مساوية للثلاثة وهكذا كل عدد في العالم فهذا معنى قولنـا أن المساوي وغير المساوي هو خاصة العدد وهـذه المسـاواة أردنا لا غيرها فلو كان للواحد أبعاض مساوية له لكان كثيراً بلا شك فيه عند كل ذي حس سليم.

وكل ما كان له أبعاض فهو كثير بلا شـك فهـو إذاً بالضرورة ليس واحداً فالواحد ضرورة هو الذي لا أبعـاض له فإذ لاشك فيه فالواحد الذي لا أبعاض له تساويه ليس عدداً وهو الذي أردنا أن نبين وأيضاً فإن الحس وضرورة العقـل يشهدان بوجود الواحد إذ لو لم يكن الواحد موجوداً لم يقـدر على عدد أصلاً إذ الواحد مبدأ العدد والمعدود الذي لا يوصل إلى عدد ولا معدود إلا بعد وجوده ولو لم يوجد الواحد لمـا وجد في العالم عدد ولا معدود أصلاً والعـالم كلـه أعـداد ومعدودات موجودة فالواحد موجود ضرورة فلما نظرنا فـي العالم كله نظراً طبيعياً ضرورياً لم نجد فيه واحـداً علـى الحقيقة البتة بوجه من الوجوه لأن كل جرم من العالم فمنقسم

محتمل للتجزئة متكثر بالانقسام أبداً بلا نهاية وكـل حركـة فهي أيضاً منقسمة بانقسام المتحرك بها والزمان حركة الفلك فهو منقسم بإنقسام الفلك فكل مدة فمنقسـمة أيضـاً بانقسـام المتحرك بها الذي هو المدة وكذلك كل مقول من جـنس أو نوع أو فصل وكذلك كل عرض محمول في جرم فإنه منقسم بانقسام حامله هذا أمر يعلم بضرورة العقل والمشاهدة وليس العالم كله شيئاً غير ما ذكرنا فصح ضرورة أنه لـيس فـي العالم واحد البتة وقد قدمنا ببرهان ضروري آنفاً أنه لابد من وجود الواحد فإذاً لابد من وجوده وليس هو في شـيء مـن العالم البتة فهو إذاً بالضرورة شيء غير العالم فإذ ذلك كذلك فبالضرورة التي لا محيد عنها فهو الواحـد الأول الخـالق للعالم إذ ليس يوجد بالعقل البتة شيء غير العالم إلا خالقـه فهو الواحد الأول ا لا إله إلا هو الذي لا يتكثر البتة أصلاً لا بعدد ولا صفة ولا بوجه من الوجوه لا واحد سواه البتـة ولا أول غيره أصلاً ولا مخترع فاعلاً خالقاً إلا هو وحده لا شريك له.

وإنما قلنا في كل فرد في العالم وهو الذي يسمى في اللغة عند العد واحداً على المجاز أنه كثير بمعنى أنه يحتمل

أن يقسم وأن له مساحة كثيرة الأجزاء فـإذا قسـم ظهـرت الكثرة فيه وأما ما لم يقسم فهو يعد فرداً حقيقياً وقـد ذكرنـا برهان وجوب احتمال الإنقسام لكل جزء في العالم في آخـر كتابنا هذا ببراهين ضرورية لا محيد عنهـا وبـا تعـالى التوفيق فإن قال قائل فما تقول في الباء والتاء وسائر حروف الهجاء أليس كل واحد منها واحداً لا ينقسم قيـل لـه وبـا التوفيق إن هذا شغب ينبغي أن تحفظ من مثله لأن الحـرف إنما هو هواء يندفع من مخرج ذلك الحرف بعصـر بعـض آلات الصوت له من الرئة وأنابيب الصدر والحلق والحنـك واللسان والأسنان والشفتين فإذ لاشك في هذا فـذلك الهـواء المندفع جسم طويل عريض عميق فهـو محتمـل الإنقسـام ضرورة فذلك الهواء هو الحرف فالحرف هو جسم محتمـل للقسم ضرورة وبا تعالى التوفيق.

الكلام على من يقول أن البارىء خلق العالم جملة

كما هو بجميع أحواله بلا زمان قال أبو محمد رضي ا عنه رأينا من يقر بالخالق تعالى ولا يقر بـالنبوة ومـن يذهب إلى ذلك وناظرناه على ذلك فقلت إن الذي تقول ممكن

في قوة ا   تعالى والذي نقول نحن من أنه تعالى خلق مـن النوع الإنساني ذكراً واحداً وأنثى واحدة تناسل الناس كلهـم منهما ممكن أيضاً فمن أين ملت إلى تلك   الحيثية دون هـذه فتردد ساعة فلما لم يجد دليلاً قال فمن أين ملتم أنتم أيضاً إلى هذه الحيثية دون تلك فقلت لبراهين ضرورية توجب ما قلنـا وتنفي ما قلتم منها أنه لو كان ما قلت لكان كل من أخرجـه ا   تعالى حينئذ من العدم إلى الوجود من الشـبان والشـيوخ يعلمون ذلك ويحسونه من أنفسهم ويوقنـون أنهـم الآن بـه حدثوا وأنهم لم يكونوا   قبل ذلك لكن حدثوا الآن فـي حـال توليهم لصناعاتهم وتجاراتهم وأعمالهم من حرث وحصـاد ونسج وخياطة وخبز وطبخ وغير ذلك ولو كان هذا لنقلـوه إلى أولادهم نقلاً يقتضي لهم العلم الضروري بذلك ولابد كما يقتضي العلم الضروري كل نقل جاء بأقل من هذا المجـيء مما كان قبلنا من الملوك والدول والوقائع وليبلغ الأمر إلينـا كذلك ولعلمه جميع الناس علماً ضرورياً لأن شيئاً ينقله جميع أهل الأرض عن مشاهدتهم له لا يمكن التشكك فيه أبداً كمـا نقل طلوع الشمس وغروبها والموت والـولاد وغيـر ذلـك ونحن نجد الأمر بخلاف هذا لأنا نجد جميع أهـل الأرض #

قاطبة لا يعرفون هذا بل لا يدريه أحد منهم وإنما قلته أنـت ومن وافقته أو من وافقك برأي وظن لا بخبر ونقل أصلاً هذا ما لا تخالفنا فيه أنت ولا أحد من الناس فمن المحال الممتنع أن يكون خبر نقله جميع سكان العالم أولهم عن آخرهم إلـى كل من حدث بعدهم عن ما شاهدوه يخفي حتى لا يعرفه أحد من سكان الأرض هذا أمر يعرف كذبه بأول العقل وبديهته.

فقال والذي تحكونه أنتم أيضاً قد وجـدنا جماعـات ينكرونه فينبغي أن يبطل بما عارضتنا به.

فقلت بين النقلين فرق لا خفاء به لأن نقلنا نحن لمـا قلناه إنما يرجع إلى خبر رجل واحد وامرأة واحدة فقط وهما أول من أحدثهم ا تعالى من النوع الإنساني وما كان هكـذا فإنه لا يوجب العلم الضروري إذ التواطؤ ممكن فـي ذلـك ولولا أن الأنبياء والذين جاؤا بالمعجزات أخبروا بتصـحيح ذلك ما صح قولنا من جهة النقل وحده بل كـان ممكنـاً أن يكون ا تعالى ابتدأ خلق جماعة تناسل الخلق منهم لكن لما أخبر من صححت المعجزة قوله بأن ا تعالى لم يبتدىء من النوع الإنساني إلا رجلاً واحداً وامرأة واحدة وجب تصـديق قولهم وبرهان آخر وهو ا كم قد أثبتم ضرورة صحة قولنـا

من أن ا ابتدأ النوع الإنسان بأن خلق ذكراً وأنثى ثم ادعيتم زيادة أن ا تعالى خلق سواهما جماعات ولم تأتوا على ذلك ببرهان أصلاً ولا بدليل إقناعي فضلاً عـن برهـاني وقـد صحت البراهين التي قدمنا قيل أنه لابد من مبـدأ ضـرورة فوجب ولابد حدوث ذكر وأنثى وكان من ادعى حدوث أكثر من ذلك مدعياً لما لا دليل له عليه أصلاً وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا مرية فيه وكل ما ذكرت عنه نبوةٌ في الهنـد والمجوس والصابئين واليهود والنصـارى والمسـلمين فلـم يختلفوا في أن ا تعالى إنما أحدث الناس من ذكر وأنثى وما جاء هذا المجيء فلا يجوز الاعتراض عليه بالدعوى وإنمـا اختلاف عنهم في الأسماء فقط وليس في هذا معترض لأنه قد يكون للمرء أسماء كثيرة فلم يمنع من هذا مانع وبا تعـالى التوفيق قال أبو محمد رضي ا عنه فلم نجد عندهم في ذلك معارضة أصلاً وما علمنا أحداً من المتكلمين ذكر هذه الفرقة أصلاً وقلت له في خلال كلامي معه أترى العالم إذا خـرج دفعة أخرج فيه الحوامل يطلقـن والطبـاقون قعـوداً علـى أطباقهم يبيعون التين والسرقين فضحك وعلم أني سلكت بـه مسلك السخرية في قوله لفساده وقال لي نعم فقلت ينبغـي أن

يكونوا كلهم أنبياء يوحى إليهم أولهم عن آخرهم بما هم عليه من العلوم والصناعات أو يلهمون ذلك وفي هذا من بطـلان الدعوى ما لا خافاء به وكان مما اعتـرض بـه أن ذكـر الجزائر المنقطعة في البحار وأنه يوجد فيها النمل والحشرات وكثير من الطير وكثير من حشرات الأرض فقلت إن كـان ذلك لا ينكر ذو حس دخوله في جملة رحـالات المسـافرين الداخلين إلى تلك البلاد فقد شاهدنا دخول الفيران في جملـة الرحل كذلك وليس في ذلك ما يوجب ما ذكرت أصلاً مع أن الحيوان نوعان.

نوع متولد يخلقه ا تعالى مـن عفونـات الأبـدان وعفونات الأرض فهذا لا ينكر تولده بإحداث ا تعالى له في كل حين.

وقسم آخر متوالد قد رتب ا تعالى في بنية العـالم أنه لا يخلقه إلا عن مني ذكر وأنثى فهذا هو الذي صار في تلك الجزائر عن دخول إليها بلا شك وبا تعالى التوفيق.

وما ننكر في كل نوع ماعدا الإنسـان أن يخلـق ا منه أكثر من اثنين فهذا ممكن في قدرة ا تعالى ولم يـأت خبر صادق بخلافه لأن ا تعالى قد قال في أمر نوح عليـه

السلام وسفينته حين الطوفان واحمل فيها من كـل زوجـين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومع هذا فقد يمكـن أن يكون نوح عليه السلام مأموراً بأن يحمل من كـل زوجـين اثنين ولا يمنع ذلك من بقاء بعض أنواع نبات الماء وحيوانه في غير السفينة وا أعلم وإنما نقول فيما لا يخرجه العقـل إلى الوجوب والامتناع بما جاءت به النبوة فقط وبرهان آخر وهو أنه لو كان إخراج ا تعالى لكل ما فـي العـالم مـن المعلوم والعلماء بها والصناعات والصانعين لها دفعة واحدة لكان ذلك بضرورة العقل وأوله لا يخلو من أحد وجهـين لا ثالث لهما إما أن يكون ذلك بوحي إعلام وتوقيف منه تعالى وإما بطبع مركب فيهم يقتضي لهم ما علموا من ذلـك ومـا صنعوا فإن كان بوحي إعلام وتوقيف فقـد صـحت النبـوة لجميعهم إذ ليست النبوة معنى غير هذا وهذه دعوى ممن قال بهذا القول بلا دليل وما لا دليل عليه فهو باطـل لا يجـوز القول به لاسيما والقائلون بها منكرون للنبوة فـلاح تنـاقض قولهم وإن كان كل ذلك عن طبيعة تقتضي لهم كونهم عالمين بالعلوم متكلمين باللغة متصرفين في الصناعات بلا تعليم ولا توقيف فهذا محال ضرورة وممتنع في العقل وفي الطبيعة إذ

لو كان ذلك لوجدوا أبداً كذلك إذ الطبيعة واحـدة لا تختلـف وبالضرورة ندري أنه لا يوجد أحد أبداً في شيء من الأزمان ولا في مكان أصلاً يأتي بعلم من العلوم لم يعلمه إياه أحد ولا يتكلم بلغة لم يعلمه إياها أحد ولا بصناعة من الصناعات لـم يوقفه عليها أحد.

وبرهان ذلك ما قدمنا قبل من أن البلاد التي ليسـت فيها العلوم وأكثر الصناعات كأرض الصـقالبة والسـودان والبوادي التي في خلال المدن ليس يوجد فيها أبداً أحد يدري شيئاً من العلوم ولا من الصناعات حتى يعلمه ذلك معلم وأنه لا ينطق أحد حتى يعلمه معلم فظهر فساد هذا القول ببرهان وقبل البرهان بتعريه من البرهان .

الكلام على من ينكر النبوة والملائكة

قال أبو محمد رضي ا عنه ذهبت البراهمة وهـم قبيلة بالهند فيهم أشراف الهند ويقولون أنهم من ولد برهمـي ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيـوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهـم يقولـون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات.

وعمدة احتجاجهم في دفعها أن قالوا لما صح أن الله عز وجل حكيم وكان من بعث رسولاً إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه.

وقالوا أيضاً إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به.

قالوا فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضاً ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع.

وأما نحن فنقول إن مجيء الرسل قبل أن يبعثهم الله تعالى واقع في باب الإمكان وأما بعد إن بعثهم الله عز وجل ففي حد الوجوب ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى أنه لا نبي بعده فقد جد الامتناع ولسنا نحتاج إلى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين أن مجيء الرسل من باب الواجب واعتلالهم في ذلك بوجوب الإنذار في الحكمة إذ ليس هذا القول صحيحاً وإنما قولنا الذي بيناه في غير موضع أنه تعالى لا يفعل شيئاً لعلة وأنه تعالى يفعل ما يشاء وإنك ل ما فعله فهو عدل وحكمة أي شيءٍ كان.

فيقال وبا   التوفيق لمن احتج بالحجة الأولى من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل وأن الحكيم لا يبعث الرسل إلى من يدري أنه يعصيه أنكم اضطركم هذا الأصل   الفاسد الحـاكم بذلك إلى موافقة المنانية على أصولها أن الحكيم لا يخلق من يعصيه ولا   من يكفر به ويقتل أولياءه وهـم يقـولن إن ا تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه.

ويقال لهم قد علمنا وعلمتم أن فـي النـاس كثيـراً يجحدون الربوبية   والوحدانية فقولوا أنه ليس حكيماً من خلق دلائل لمن يدري أنه لا يستدل بها.

فإن قالوا أنه قد استدل بها كثير.

قيل لهم وقد صدق الرسل أيضاً كثير.

فإن قالوا أنه خلق الخلق كما شاء.

قيل لهم وكذلك بعث الرسل أيضاً كما شـاء فبعثتـه تعالى الرسل هي بعض دلائله التي خلقها تعالى ليـدل بهـا على المعرفة به تعالى وعلى توحيده.

ويقال لمن احتج بالحجة الثانية من أن الأولى به أنه كان يضطر العقول إلى الإيمان به أن هـذا قـول مـرذول

مردود عليكم في قولكم أن الله عز وجل خلق الخلق ليـدلهم بهم نفسه ووحدانيته فيلزمكم على ذلك الأصل الفاسد أنه كان الأولى إذ خلقهم أن لا يدعهم والاستدلال وقد علم أن فيهم من لا يستدل وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال وقد علـم أن فيهم من لا يستدل وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال فكان الأولى في الحكمة أن يضطر عقولهم إلى الإيمـان بـه ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جمـيعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة قال أبو محمد رضي الله عنه وملاك هذا كله ما قد قلناه في غير موضع من أن الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل إلا لعلة ووجب بالبراهين الضـرورية أن البارىء تعالى بخلاف جميع خلقه مـن جميـع الجهـات وجب أن يكون فعله لا لعلة بخلاف أفعال جميع الخلق وأنـه لا يقال في شيء من أفعاله تعالى أنه فعل كـذا لعلـة ولا إذ جاء الإنسان بالنطق وحرمه سائر الحيـوان وخلـق بعـض الحيوان صائداً وبعضه مصيداً وباين بين جميع مفعولاته كما شاء فليس لأحد أن يقول لم خلق الإنسان ناطقاً وحرم الحمار النطق وجعل الحجر جامداً لا حياة له ولا نطق وهذا أصل قد وافقنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنـى

ممن يقول بالتوحيد وهكذا إذا بعث تعالى الأنبياء ليس لأحـد أن يقول لم بعثهم أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم بعثهم في هذا الزمان دون غيره من الأزمان ولا لـم بعثهم في هذا المكان دون غيره من الأمكنة كما لا يقال لـم حباه بالسعد في الدنيا دون غيره وهكذا كل ما في العـالم إذا نظر فيه تعالى الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال أبو محمد رضي ا عنه وإذ قد نقضنا شغبهم بحول ا تعـالى وتأييده فلنقل الآن بعون ا تعالى وتأييده في إثبات النبوة إذا وجدت قولاً بيناً وبا تعالى التوفيق قد قدمنا فيما خلا إثبات حدوث الأشياء وأن لها محدثاً لم يزل واحداً لا مبدأ لـه ولا كان معه غيره ولا مدبر سواه ولا خالق غيره فإذ قـد ثبـت هذا كله وصح أنه تعالى أخرج العالم كله إلى الوجود بعد أن لم يكن بلا كلفة ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثـال سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلـك الحكم لغيره تعالى فقد ثبت أنه لم يفعل إذ لم يشـأ وفعـل إذ شاء كما شاء فيزيد ما شاء وينقص ما شاء فكل منطوق بـه مما يتشكك في النفس أو لا يتشكك فهو داخل له تعالى فـي

باب الإمكان على ما بينا في غير هذا المكان إلا أننا نـذكر ههنا طرفاً إن شاء ا عز وجل فنقول وبا تعالى نتأيد.

إن الممكن ليس واقعاً في العالم وقوعـاً واحـداً ألا تري أن نبات اللحية للرجال ما بين الثمان عشرة إلى عشرين سنة ممكن وهو في حدود الأنثى عشر سـنة إلـى العـامين ممتنع وإن فك الإشكالات العويصـة واسـتخراج المعـاني الغامضة وقول الشعر ابديع وصناعة البلاغة الرائقة ممكـن لذي الذهي اللطيف والذكاء النافذ وغير ممكن من ذي البلادة الشديدة والغباوة المفرطة فعلى هذا ما كان ممتنعـاً بيننـا إذ ليس في بنيتنا ولا في طبيعتنا ولا من عادتنا فهو غير ممتنع على الذي لا بنية له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبـة لازمة لفعله فإذا قد صح هذا فقد صح أنه لا نهاية لما يقـوى عليه تعالى فصح أن النبوة في الإمكان وهي بعثة قـوم قـد خصهم ا تعالى بالفضيلة لا لعلة إلا أنه شاء ذلك فعلمهم ا تعالى العلم بدون تعلم ولا تنقل في مراتبه ولا طلب له ومن هذا الباب ما يراه أحدنا في الرؤيا فيخرج صحيحاً وما هـو من باب تقدم المعرفة فإذ قد أثبتنا أن النبـوة قبـل مجـيء الأنبياء عليهم السلام واقعة في حد الإمكان فلنقل الآن بحول

ا تعالى وقوته على وجوبها إذا وقعت ولابد فنقـول إذ قـد صح أن ا تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه ا تعالى فبيقين ندري أن العلوم والصناعات لا يمكن البتـة أن يهتدي أحد إليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم كالطب ومعرفـة الطبائع والأمراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التي لا سبيل إلى تجريبها كلهـا أبـداً وكيـف يجرب كل عقار في كل علة ومتى يتهيأ هذا ولا سبيل له إلا في عشرة آلاف من السنين ومشاهدة كل مريض في العـالم وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق وكعلم النجوم ومعرفـة دورانها وقطعها وعودها إلى أفلاكها مما لا يتم إلا في عشرة آلاف من السنين ولابد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التي قلنا وكاللغة التي لا يصح تربية ولا عيش ولا تصـرف إلا بها ولا سبيل إلى الاتفاق عليها إلا بلغة أخـرى ولابـد فصح أنه لابد من مبدأ للغة ما وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشـي واتخاذ الأنسال منها والغرس واستخراج الأدهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعـه وخياطتـه ولبسـه

وآلات كل ذلك وآلات الحرث والإرحاء والسفن وتدبيرها في القطع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخز واستخراج المعادن وعمل الأبنية منها ومـن الخشـب والفخار وكل هذا لا سبيل إلى الاهتداء إليه دون تعليم فوجب بالضرورة ولابد أنه لابد من إنسان واحد فأكثر علمهـم ا تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده وهـذه صفة النبوة فإذاً لابد من نبي أو انبياء ضرورة فقـد صـح وجود النبوة والنبي في العالم بلا شك.

ومن البرهان على ما ذكرنا أننا نجد كـل مـن لـم يشاهد هذه الأمور لا سبيل له إلى اختراعها البتة كالذي يولد وهو أصم فإنه لا يمكن له البتة الاهتداء إلى الكلام ولا إلـى مخارج الحروف وكالبلاد التي ليست فيها بعض الصـناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الأمـم وسكان البوادي نعم والحواضر لا يمكن البتة منذ أول العالم إلى وقتنا هذا ولا إلى انقضائه اهتداء أحد منهم إلـى علـم يعرفه ولا إلى صناعة لم يعرف بها فلا سبيل إلـى تهـديهم إليها البتة حتى يعلموها ولو كان ممكناً في الطبيعة التهـدي إليها دون تعليم لوجد من ذلك في العالم على سعته وعلـى

مرور الأزمان من يهتدي إليها ولو واحداً وهذا أمـر يقطـع على أنه لا يوجد ولم يوجد وهكذا القول في العلوم ولا فرق ولسنا نعني بهذا ابتداء جمعها في الكتب لأن هذا أمر لا مؤنة فيه إنما هو كتاب ما سمعه الكاتب وإحصاؤه فقـط كالكتـب المؤلفة في المنطق وفي الطب وفي الهندسة وفي النجوم وفي الهيئة والنحو واللغة والشعر والعروض إنما نعنـي ابتـداء مؤنة اللغة والكلام بها وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها فابتـداء أشخاص الأمراض وأنواعها وقوى العقاقير والمعانـاة بهـا وابتداء معرفة الصناعات فصح بذلك أنه لابد من وحي مـن ا تعالى في ذلك قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا أيضـاً برهان ضروري على حدوث العالم وأن له محـدثاً مختـاراً ولابد إذ لا بقاء للعالم البتة إلا بنشأة ومعـاش ولا نشـأة ولا معاش إلا بهذه الأعمال والصناعات والآلات ولا يمكن وجود شيء من هذه كلها إلا بتعليم الباري تعالى فصح أن العالم لم يكن موجوداً إذ لا سبيل إلى بقائه إلا بما ذكرنا ثم وجد معلماً مدبراً مبتدئاً بتعليمه على ما ذكرنا وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد رضي ا عنه وإذ قد تكلمنا على أنه لابد من نبوة وصح ذلك ضرورة فلنتكلم على براهينها التـي

صح بها علم صدق مدعيها إذ وقعت فنقول أنه قد صـح أن البارىء تعالى هو فاعل كل شيء ظهر وأنه قـادر عـىل إظهار كل متوهم لم يظهر وعلمنا بكل ما قدمنا أنـه تعـالى مرتب هذه الرتب التي في العالم ومجريها علـى طبائعهـا المعلومة منا الموجودة عندنا وأنه لا فاعل على الحقيقة غيره تعالى ثم رأينا خلافاً لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ووجدنا طبائع قد أحيلت وأشياء في حد الممتنع قد وجبت ووجـدت كصخرة انفلقت عن ناقة وعصى انقلبت حية وميـت أحيـاه إنسان ومئين من الناس رووا وتوضؤا كلهم من ماء يسير في قدح صغير يضيق عن بسط اليد فيه لا مادة له فعلمنـا أن محل هذه الطبائع وفاعل هذه المعجـزات هـو الأول الـذي أحدث كل شيء ووجدنا هذه القوى قد أصـحبها ا تعـالى رجالاً يدعون إليه ويذكرون أنه تعالى أرسلهم إلـى النـاس ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى في عين رغبة هؤلاء القوم إليه فيها وضراعتهم إليـه في تصديقهم بها فعلمنا علماً ضرورياً لا مجال للشك فيه أنهم مبعوثون من قبله عز وجل وأنهم صادقون فيما أخبروا بـه عنه تعالى إذ لا سبيل في طبيعة مخلوق في العالم إلى التحكم

على البارىء ولا على طبائع خلقه بمثل هذا ووجوب النبوة إذ ظهر على مدعيها معجزة من إحالة الطبائع المخالفة لما بني عليه العالم وقد تكلمنا في غير هذا المكان على أن هذه الأشياء لها طرق توصل إلى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق وهي نقل الكافة التي قد استشعرت العقول ببدايتها والنفوس بأول معارفها أنه لا سبيل إلى جواز الكذب ولا الوهم عليها وإن ذلك ممتنع فيها فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ولزمه أن لا يصدق أن من غاب عن بصره من الانس بأنهم أحياء ناطقون كمن شاهد وأن صورهم على حسب الصورة التي عاين ولازم أن يكون عندهم ممكناً في بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة إذ لا يعرف أحدا أن كل من غاب عن حسه فإنه في مثل كيفية ما شاهد من نوعه إلا بنقل الكواف ذلك كما نقلت أن بعضهم بخلاف ذلك في بعض الكيفيات فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك ويلزم من لم يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم أن لا يصدق ضرورة بأ أحداً كان قبله في الدنيا ولا أن في الدنيا أحداً إلا من شاهد

بحسه فإن جوز هذا عرف بقلبه أنه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه لأن هذا الشيء لا يعرف البتة إلا من طريـق الخبر لا غير فإن نفر عن هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملـوك وعلماء ووقائع وأمم وأيقن بذلك ولم يكن في كثير منها شك بل هي عنده في الصحة كما شاهد ولا فرق سئل مـن أيـن عرفت ذلك وكيف صح عندك فلا سبيل له أصـلاً إلـى أن يصح ذلك عنده إلا بخبر منقول نقل كافة وبا تعالى التوفيق فنقول له حينئذ فرق بين ما نقل إليك من كل ذلك وبين كل ما نقل إليك من علامات الأنبياء ولا سبيل له إلى الفـرق بـين شيء من ذلك أصلاً فإن قال الفرق بينها وبينها أنه لا ينكـر أحد هذه الأمور وكثير من الناس ينكرون أعلام الأنبياء قيل له وبا تعالى التوفيق أن كثيراً من الناس لا يعرفون كثيـراً مما صح عندك من الأخبار العارضة لمن كان فـي بـلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجاً لهـا عن الصحة وكذلك جحد من جحد إعلام الأنبياء ليس مخرجاً لها عن الوجوب والصحة فإن قال إنه ليس نجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الأخبار ما نجدهم على الكذب فـي إعلام النبوة قيل له وبا التوفيق هذا كذب بل الأمران سواء

لا فرق بينهما ومن الملوك من يشتد عليهم وصف أسـلافهم بالجور والظلم والقبائح ويحمي هذا الباب بالسيف فما دونـه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فضائل من يغضب ملوك الزمان من مدحـه كفضـائل علي رضي ا عنه ما قدر قط ملوك بنـي مـروان علـى سترها وطيها وقد رام المأمون والمعتصم والواثق على سعة ملكهم لأقطار الأرض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك وكل نبي فله عـدو مـن الملـوك والأمـم يكذبونهم فما قدروا قط على طي إعلامهم ولا على تحقيق ما زادوا على ذلك لمن يغضب له من لا ديـن لـه فصـح أن الأمرين سواء وأن الحق حق فإن قال قائل فلعل هذا الـذي ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر معهـا على إظهار ما أظهر قيل له وبا التوفيق إن الخواص قـد علمت ووجوه الحيل قد أحكمت وليس في شيءٍ منها عمـل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختـراع الماء الذي لم يكن ولا في شيء منه إحالة نوع إلى نوع آخر دفعة على الحقيقة ولا جنس إلى جنس آخر دفعه على الحقيقة وهذا كله قد ظهر على أيدي الأنبياء عليهم السلام فصح أنـه

من عند الله تعالى لا مدخل لعلم إنسان ولا حيلة فيه ونحن نبين إن شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الأنبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر وبين حيل العجابيين فنقول وبالله تعالى التوفيق إن العالم كله جوهر وعرض لا سبيل إلى وجود قسم ثالث في العالم دون الله تعالى فأما الجواهر فاختراعها من ليس إلى أنس وهو من العدم إلى الوجود فممتنع غير ممكن البتة لأحد دون الله تعالى مبتدىء العالم ومخترعه فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلاً ولذلك إحالة الأعراض التي هي جوهريات ذاتيات وهي الفصول التي تؤخذ من الأجناس وذلك كقلب العصا حية وحنين الجذع وإحياء الموتى الذين رموا وصاروا عظاماً والبقاء في النار ساعات لا تؤذيه وما أشبه ذلك وكذلك الأعراض التي لا تزول إلا بفساد حاملها كالفطس والزرق ونحو ذلك فهذا لا يقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه وأما إحالة الأعراض من الغيرات التي تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر ومنه طلسمات

كتنفير بعض الحيوان عن مكان ما فلا يقر به أصلاً وكإبعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه هذا وقد يزيد الأمر ويفشو العام ببعض هذا النوع حتى يحسبه أكثـر النـاس كـالطير والاصباغ وما أشبه هذا وأما التخييل نـوع مـن الخديعـة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآهـا أنها دخلت في جسد المضروب بها في حيل غير هـذه مـن حيل أرباب العجائب والحلاج وأشباهه فأمر يقدر عليه مـن تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراده فالذي يأتي بـه الأنبيـاء عليهم السلام هو إحالة الذاتيات ومن ذلك صـرف الحـواس على طبائعها كمن أراك ما لا يراه غيرك أو مسح يده علـى مريض فأفاق أو سقاه ما يضر علته فبرىء أو أخبـر عـن الغيوب في الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة فهـذه كلهـا إحالة الذاتيات وما ثبت إذ ثباتها لا يكون إلا لنبي فـإذ قـد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها ووجوبها حين وجودهـا فلنتكلم الآن بحول ا وقوته على امتناعها بعد ذلـك فنقـول وبا تعالى التوفيق إذ قد صح كل ما ذكرنا من المعجـزات الظاهرة من الأنبياء عليهم السلام شهادة من ا تعالى لهـم يصدق بها أقوالهم فقد وجب علينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا

تيقن كل ما قالوا وقد صح عن رسول ا صـلى ا عليـه وسلم بنقل الكواف التي نقلت نبوته واعلامه وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده إلا ما جاءت الأخبار الصحاح مـن نـزول عيسى عليه السلام الذي بعث إلى بني إسرائيل وادعى اليهود قتله وصلبه فوجب الإقرار بهذه الجملـة وصـح أن وجـود النبوة بعده عليه السلام باطل لا يكون البتة وبهذا يبطل أيضاً قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبداً وبكل ما قدمناه مما أبطلنا به قول من قال بامتناعهما البتة إذ عمـدة حجـة هؤلاء هي قولهم إن ا حكيم والحكيم لا يجوز في حكمته أن يترك عباده هملاً دون إنذار قال أبو محمد رضي ا عنـه وقد أحكمنا بحول ا تعالى وقوته قبل هذا إن ا تعـالى لا شرط عليه ولا علة موجبة عليه أن يفعـل شـيئاً ولا أن لا يفعله وأنه تعالى لو أهمل الناس لكان حقاً وحسناً لو خلقهـم كما خلق سائر الحيوان الذي لم يلزمه شريعة ولا خطر عليه شيء وأنه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبـداً لكـان حقـاً وحسناً لما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبـداً وأنه تعالى لو خلق الخلق كفاراً كلهم لكان ذلـك منـه حقـاً وحسناً أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقاً وحسـناً كمـا أن

الذي فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن وأنه لا يقبح شيء إلا من مأمور منهي قد تقدمت الأوامر وجوده وسبقت الحدود المترتبة للأشياء كونه وأما من سبق كل ذلك فله أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء لا معقب لحكمه وأما الملائكة فكل مـن له معرفة ببنية العالم والأفـلاك والعناصـر فإنـه يعلـم أن الأرض وعمقها أقرب إلى الفساد من سائر العناصـر ومـن سائر الأجرام العلوية وأنها مواتية كلها وأن الحياة إنما هـي في النفوس المنزلة قسراً إلى مجاورة أجساد الترابية المواتية من جميع الحيوان فقد ثبت يقيناً بضرورة المشاهدة أن محل الحياة وعنصرها ومعدنها وموضعها إنما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما فيه طبعها من مجاورة هذه الأجساد والتثبت بها عن كمال ما خص بالحياة الدائمة ولـم يشن ولا نقص فضله وصفاؤه بمجـاورة الأجسـاد الكـدرة المملوءة آفات ودرناً وعيوباً فصح أن العلو الصافي هو محل الأحياء الفاصلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج فاسد المحبوين بكل فضيلة في الخلق وهذه صـفة الملائكة عليهم السلام وصح بهذا أن على قدر سـعة ذلـك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعماره وأنه لا نسبة لما

في هذا المحل الضيق والنقطة الكدراء ومما هنالـك كمـا لا نسبة لمقدار هذا المكان من ذلك وبهذا صحت الرواية وهكذا أخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم عن كثرة الملائكة فـي الأخبار المسندة الثابتة عنه صلى ا عليه وسلم وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الأول تعالى الذي خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العلوم وبين إنقاذ النفوس من الهلكـة قال أبو محمد رضي ا عنه ذهب أحمد بن حابط وكان من أهل البصرة من تلاميذ إبراهيم النظام يظهر الاعتزال ومـا نراه إلا كافراً لا مؤمناً وإنما استخرنا إخراجه عن الإسـلام لأن أصحابه حكوا عنه وجوهاً من الكفـر منهـا التناسـخ والطعن على رسول ا صلى ا عليه وسلم بالنكاح وكـان من قوله أن ا عز وجل نبأ أنبياء من كل نوع مـن أنـواع الحيوان حتى البق والبراغيث والقمل وحجته في ذلك قـول ا تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيـه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم ذكروا قوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير قال أبو محمد رضـي ا عنه وهذا لا حجة لهم فيه لأن ا عز وجل يقـول لـئلا يكون للناس على ا حجة بعد الرسـل وإنمـا يخاطـب ا

تعالى بالحجة من يعقلها قال ا تعالى يا أولي الألباب وقـد علمنا بضرورة الحس أن ا تعالى إنما خص بالنطق الـذي هو التصرف في العلوم ومعرفة الأشياء على ما هي عليـه والتصرف في الصناعات على اختلافهـا الإنسـان خاصـة وأضفنا إليهم بالخبر الصادق مجرد الجـن وأضـفنا إلـيهم بالخبر الصادق وببراهين ضرورية الملائكة وإنما شارك من ذكرنا سائر الحيوان في الحياة خاصة وهي الحس والحركـة الإرادية فعلمنا بضرورة العقـل أن ا تعـالى لا يخاطـب بالشرائع إلا من يعقلها ويعرف المراد بها وبقوله تعـالى لا يكلف ا نفساً إلا وسعها ووجدنا جميع الحيوان حاشا الناس يجري على رتبة واحدة في تصرفها في معايشها وتناسلها لا يجتنب منها واحد شيئاً بفعله غيره هذا الذي يدرك حساً فيما يعاشر الناس في منازلهم من المواشـي والخيـل والبغـال والحمير والطير وغير ذلك وليس الناس في أحوالهم كـذلك فصح أن البهائم غير مخاطبة بالشرائع وبطل قول ابن حابط وصح أن معنى قول ا تعالى أمم أمثالكم أي أنواع أمثـالكم إذ كل نوع يسمى أمة وإن معنى قوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير إنما عنى تعالى الأمم من الناس وهم القبائـل

والطوائف ومن الجن لصحة وجوب العبادة عليهم فإن قـال قائل فما يدريك لعل سائر الحيوان له نطق وتمييز قيـل لـه وبا التوفيق بقضية العقول وبديهها عرفنا الأشياء على مـا هي عليه وبها عرفنا ا تعالى وصحة النبوة وهي التـي لا يصح شيء إلا بموجبها فما عرف بالعقل فهو واجـب فيمـا بيننا نريد في الوجود في العالم وما عرف بالعقل أنه محـال فهو محال في العالم وما وجد بالعقل إمكانه فجائز أن يوجـد وجائز أن لا يوجد وبضرورة العقل والحس علمنـا أن كـل واقعين تحت جنس فإن ذلك الجنس يعطيهما اسـمه وحـده عطاء مستوياً فلما كان جنس الحي يجمعنا مع سائر الحيوان استوينا معها كلها استواء لا تفاضل فيه فيما اقتضـاه اسـم الحياة من الحس والحركة الإرادية وهذان المعنيان هما الحياة لا حياة غيرهما أصلاً وعلمنا ذلك بالمشاهدة لأننـا رأينـا الحيوان يألم بالضرب والنخس ويحدث لهما مـن الصـوت والقلق ما يحقق ألمها كما نفعل نحن ولا فرق ولـذلك لمـا شاركنا والحيوان جميع الشجر والنبات في النمـاء اسـتوى جميع الحيوان فيما اقتضاه اسم النمـو مـن طلـب الغـذاء واستحالته في المتغذى به إلى نوعه ومن طلب بقاء النوع مع

جميع الشجر والنبات استواء واحداً لا تفاضـل فيـه ولمـا شاركنا وجميع الحيوان والشجر والنبات وسائر الجمادات في أن كل ذلك أجسام طويلة عريضة عميقـة جميـع الأجـرام استوى كل ذلك فيما اقتضاه له اسم الجسمية في ذلك استواء لا تفاضل فيه ولم يدخل ما لم يشارك شيئاً مما ذكرنـا فـي الصفة التي انفرد بها عنه هذا كله يعلمه ضرورة من وقـف عليه ممن له حس سليم فلما كان النطق الذي هو في العلـوم والصناعات قد خصنا دون سائر الحيوان وجب ضرورة أن لا يشاركنا شيء من الحيوان في شيء منه إذ لو كـان فيـه شيء منه لما كنا أحق بكله من سائر الحيوان كما أنـا لسـنا بالحياة أحق منها ولا بالنمو ولا بالحركة ولا بالجسمية فصح بهذا أنه لا نطق لها أصلاً فإن قال قائل لعل نطقها بخـلاف نطقنا قيل له وبا التوفيق لا يتشكل في العقول ألبتـة حيـاة على غير صفة الحياة عندنا ولا نماء على غير صفة النمـاء عندنا ولا حمرة على غير الحمرة عنـدنا ولا جسـم علـى خلاف الأجسام عندنا وهكذا في كل شيء ولو كـان شـيء بخلاف ما عندنا لم يقع عليه ذلك الاسم أصلاً وكـان كمـن سمى الماء ناراً والعسل حجراً وهذا هو الحمـق والتخلـيط

فبالضرورة وجب أن كل صفة هي بخلاف نطقنا فليس نطقاً والنطق عندنا هو التصرف في العلوم والصناعات ومعرفـة الأشياء على ما هي عليه فلو كان ذلك النطق بخـلاف هـذا لكان ليس معرفة للأشياء على ما هي عليه ولاتصـرفاً فـي العلوم والصناعات فهو إذاً ليس نطقاً فبطـل هـذا الشـغب السخف والحمد رب العالمين.

فإن اعترض معترض بفعل النحل ونسيج العنكبـوت قيل له وبا التوفيق إن هذه طبيعة ضرورية لأن العنكبـوت لا يتصرف في غير تلك الصفة من النسج ولا توجد أبـداً إلا لذلك وأما الإنسان فإنه يتصرف في عمل الـديباج والوشـي والقباطي وأنواع الأصباغ والدباغ والخرط والنقش وسـائر الصناعات من الحرث والحصاد والطحن والطـبخ والبنـاء والتجارات وفي أنواع العلوم من النجوم ومن الأغاني والطب والقبل والجبر والعبارة والعبادة وغير ذلك ولا سبيل لشـيء من الحيوان إلى التصرف في غير الشيء الذي اقتضاه لـه طبعه ولا مفارقة تلك الكيفية فإن اعترض معترض بقول ا تعالى علمنا منطق الطير وبما ذكر ا تعالى من قول النملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم الآية وقصة الهدهد قيل له وبا

تعالى التوفيق لم ندفع أن يكون للحيوان أصوات عند معاناة ما تقتضيه له الحياة من طلب الغذاء وعند الألم وعند المضاربة وطلب السفاد ودعاء أولادها وما أشبه ذلك فهذا هو الذي علمه الله تعالى سليمان رسوله عليه السلام وهذا الذي يوجد في أكثر الحيوان وليس هذا من تمييز دقائق العلوم والكلام فيها ولا من عمل وجوه الصناعات كلها في شيء وإنما عنى الله تعالى بمنطق الطير أصواتها التي ذكرنا لا تمييز العلوم والتصرف في الصناعات الذي من ادعاه لها أكذبه العيان والله تعالى لا يقول إلا الحق وأما قصة النملة والهدهد فهما معجزتان خاصتان لذاك النمل وكذلك الهدهد وآيتان لسليمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ككلام الذراع وحنين الجذع وتسبيح الطعام لمحمد صلى الله عليه وسلم آيات لنبوته عليه السلام وكذلك حياة حصا موسى عليه السلام آية لرسول الله موسى عليه السلام لأن هذا النطق شامل لأنواع هذه الأشياء قال أبو محمد رضي الله عنه وقد قاد السخف والضعف والجهل من يقدر في نفسه أنه عالم وهو المعروف بخويز منداد المالكي إلى أن جعل للجمادات تمييزاً قال أبو محمد رضي الله عنه ولعل معترضاً يعترض

بقول الله تعالى وإن من شيء غلا يسبح بحمده وبقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان الآية وبقولـه تعـالى حاكياً أنه قال للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتـا أتينا طائعين وبقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم يـوم يقتص للشاه الجماء من الشاة القرناء فهذا كله حق ولا حجـة لهم فيه والحمد لله رب العالمين لأن القرآن واجب أن يحمل على ظاهره كذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خالف ذلك كان عاصياً لله عز وجل مبدلاً لكلماته ما لم يأت نص في أحدها أو إجماع متيقن أو ضرورة حس على خلاف ظاهره فيوقف عند ذلك ويكون من حمله على ظاهره حينئـذ ناسباً الكذب إلى الله عز وجل أو كاذباً عليه وعلى نبيه عليه السلام نعوذ بالله من كلا الوجهين وإذ قال بينا قبل بالبراهين الضرورية أن الحيوان غير الإنس والجن والملائكة لا نطق له نعني أنه لا تصرف له في العلوم والصناعات وكان هـذا القول مشاهداً بالحس معلوماً بالضرورة لا ينكـره إلا وقـح مكابر لحسه وبينا أن كل ما كان بخلاف التمييـز المعهـود عندنا فإنه ليس تمييزاً وكان هذا أيضـاً يعلـم بالضـرورة

والعيان والمشاهدة فوجب أنها أسماء مشتركة اتفقت ألفاظهـا وأما معانيها فمختلفة لا يحل لأحد أن يحملها على غير هـذا لأنه إن فعل كان مخبراً أن ا تعالى قال ما يبطلـه العيـان والعقل الذي به عرفنا ا تعالى ولولاه ما عرفناه ومن أجاز هذا كان كافراً مشركاً ومن أبطل العقل فقد أبطل التوحيـد إذ كذب شاهده عليه إذ لولا العقل لم يعرف ا عز وجل أحـد ألا ترى المجانين والأطفال لا يلزمهم شريعة لعدم عقـولهم ومن جوز هذا فلا ينكر على النصارى ما يـأتون بـه مـن خلاف المعقول ولا على الدهرية ولا على السوفسطائية مـا يخالفون به المعقول لكنا نقول أن اللفظ مشترك والمعنى هو ما قام الدليل عليه كما فعلنا في النزول وفي الوجه واليـدين والأعين وحملنا كل ذلك على أنه حق بخلاف ما يقع عليـه اسم ينزل عندنا واسم يد وعين عندنا لأن هذا عندنا في اللغة واقع على الجوارح والنقلة وهذا منفي عن ا تعالى فـإذ لا شك في هذا فلنقل الآن على معاني الآيات التي ذكرنـا أنـه ربما اعترض بها من لا يمعن النظر بحول ا وقوته فنقول وبا تعالى التوفيق أما تسبيح كل شيء فالتسبيح عندنا إنمـا هو قول سبحان ا وبحمده وبالضرورة نعلـم أن الحجـارة

والخشب والهوام والحشرات والألوان لا تقـول سـبحان ا بالسين والباء والحاء والألف والنون واللام والهاء هذا ما لا يشك فيه من له مسكة عقل فإذ لا شك في هذا فباليقين علمنا أن التسبيح الذي ذكره ا تعالى هو حق وهو معنـى غيـر تسبيحنا نحن بلا شك فإذ لا شك في هذا فإن التسـبيح فـي أصل اللغة هو تنزيه ا تعالى عن السوء فإذ قد صح هـذا فإن كل شيء في العالم بلا شك منزه تعالى عـن السـوء الذي هو صفة الحدوث وليس في العالم شيء إلا وهـو دال بما فيه من دلائل الصنعة واقتضائه صانعاً لا يشبه علـى أن ا تعالى منزه عن كل سوء ونقص وهذا هو الذي لا يفهمه ولا يفقهه كثير من الناس كما قال تعالى ولكـن لا تفقهـون تسبيحهم فهذا هو تسبيح كل شيء بحمد ا تعالى بلا شـك وهذا المعنى حق لا ينكره موحد فإن كان قولنا هذا متفقاً على صحته وكانت الضرورة توجب أنه ليس هو التسبيح المعهود عندنا فقد ثبت قولنا وانتفى قول من خالفنـا بظنـه الكـاذب وأيضاً فإن ا تعالى يقول وإن من شيء إلا يسـبح بحمـده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والكافر الدهري شيء لا يشك فـي أنه شيء وهو لا يسبح بحمد ا تعالى ألبتة فصح ضـرورة

أن الكافر يسبح إذ هو من جملة الأشياء التي تسبح بحمد ا تعالى وأن تسبيحه ليس هو قوله سبحان ا وبحمده بلا شك ولكنه تنزيه ا تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عـن أن يكـون الخالق مشبهاً لشيء مما خلق وهذا يقين لا شك فيه فصح بما ذكرنا أن لفظة التسبيح هي من الأسماء المشتركة وهي التي تقع على نوعين فصاعداً وأما السجود الذي ذكره ا سبحانه وتعالى في قوله و يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً فقد علمنا أن السجود المعهود عندنا فـي الشـريعة واللغة هو وضع الجبهة واليدين والركبتين والرجلين والأنف في الأرض بنية التقرب بذلك إلى ا تعالى هذا ما لا يشـك فيه مسلم وكذلك نعلم ضرورة لاشك فيها أن الحمير والهوام والخشب والحشيش والكفار لا تفعل ذلك لاسيما من ليس لـه هذه الأعضاء وقد نص تعالى على صحة مـا قلنـا وأخبـر تعالى أن في الناس من لا يسجد له السجود المعهود عنـدنا بقوله تعالى واسجدوا الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون لـه بالليـل والنهـار لا يسأمون فأخبر تعالى أن في الناس من يستكبر عن السجود له فلا يسجد وقال تعالى و يسجد من في السـموات والأرض

طوعاً وكرهاً فبين تعالى أن السجود كرهـاً غيـر السـجود بالطوع الذي هو السجود المعهود عندنا وإذ قـد أخبـر ا تعالى بهذا وصح أيضاً بالعيان فقـد علمنـا بالضـرورة أن السجود الذي أخبر ا تعالى أنه يسجد له من في السـموات والأرض هو غير السجود الذي يفعلـه المؤمنـون طوعـاً ويستكبر عنه بعض الناس ويمتنع منه أكثر الخلق هذا مما لا يشك فيه مسلم فإ هذا كذلك بلا شك فواجب علينا أن نطلـب معنى هذا السجود ما هو ففعلنا فوجدناه مبيناً بلا إشكال فـي آيتين من كتاب ا وهما قولـه تعـالى وظلالهـم بالغـدو والآصال وقوله تعالى أولم يروا إلى ما خلق ا من شـيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً وهم داخرون فبين تعالى في هاتين الآيتين بياناً لا إشكال فيه أن ميـل الفـيء والظل بالغدوات والعشيات من كل ذي ظل هو معنى السجود المذكور في الآية لا السجود المعهود عندنا وصح بهـذا أن لفظة السجود هي من الأسماء المشتركة التي تقع على نوعين فأكثر وأما قوله تعالى قالتا أتينا طائعين فقد علمنا بالضرورة والمشاهدة أن القول في اللغة التي نزل بها القرآن إنما هـو دفع آلات الكلام من أنابيب الصدر والحلق والحنك واللسان

والشفتين والأضراس بهواءٍ يصل إلى أذن السامع فيفهم بـه مرادات القائل فإذ لا شك في هذا فكل من لا لسـان لـه ولا شفتين ولا أضراس ولا حنك ولا حلق فلا يكون منه القـول المعهود منا هذا مما لا يشك فيه ذو عقل فإذ هذا هكذا كمـا قلنا بالعيان فكل قول ورد به نص ولفظ مخبر به عمن ليست هذه صفته فإنه ليس هو القول المعهود عندنا لكنه معنى آخر فإذ هذا كما ذكرنا فبالضرورة قد صح أن معنى قوله تعـالى قالتا أتينا طائعين إنما هو على نفاذ حكمه عز وجـل فيهمـا وتصريفه لهما وأما عرضه تعالى الأمانة علـى السـموات والأرض والجبال وإباية كل واحد منها فلسنا نعلم نحـن ولا أحد من الناس كيفية ذلك وهذا نص قوله تعالى ما أشـهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم فمن تكلف أو كلف غيره معرفة ابتداء الخلق وأن له مبدئاً لا يشبهه البتة فـأراد معرفة كيف كان فقد دخل في قوله تعالى وتقولون بـأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند ا عظيم إلا أننا نوقن أنه تعالى لم يعرض على السموات والأرض والجبـال الأمانة إلا وقد جعل فيها تمييزاً لما عرض عليها وقوة تفهـم بها الأمانة فيما عرض عليها فلما أبتها وأشفقت منها سـلبها

ذلك التمييز وتلك القوة وأسقط عنها تكليف الأمانة هـذا مـا يقتضيه كلامه عز وجل ولا مزيد عندنا على ذلك وأما مـا كان بعد ابتداء الخلق فمعروف الكيفيات قال تعـالى وتمـت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته فصح أنه لا تبديل لما رتبه ا تعالى مما أجرى عليه خلائقه حاشا ما أحـال فيـه الرتب والطبائع للأنبياء عليهم السلام فإن اعترضـوا أيضـاً بقول ا تعالى يصف الحجارة وأن من الحجارة لما يتفجـر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منهـا لما يهبط من خشية ا فقد علمنا بالضرورة أن الحجارة لـم تؤمر بشريعة ولا بعقل ولا بعث إليها نبي قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً فإذ لاشك في هذا فإن فـي قولـه تعالى وإن منها لما يهبط راجع إلى القلوب المذكورة في أول الآية في قوله تعالى ثم قست قلوبكم مـن بعـد ذلـك فهـي كالحجارة أو أشد قسوة الآية فذكر تعالى أن من تلك القلـوب القاسية ما يقبل الإيمان يوماً ما فيهبط عن القسوة إلى اللـين من خشية ا تعالى وهذا أمر يشاهد بالعيان فقد تلين القلوب القاسية بلطف ا تعالى ويخشى العاصي وقد أخبر عز وجل أن من أهل الكتاب من يؤمن با وما أنزل إلينا وما أنـزل

إليهم وكما أخبر تعالى أن من الأعراب من يؤمن با مـن بعد أن أخبر تعالى أن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجـدر ألا يعلموا حدود ما أنزل ا على رسوله فهذا وجه ظاهر متيقن الصحة.

والوجه الثاني أن الخشية المذكورة في الآية إنما هي التصرف بحكم ا تعالى وجري أقداره كما قلنا فـي قولـه تعالى عز وجل حاكياً عن السماء والأرض قالتا أتينا طائعين وقد بين جل وعز ذلك موصولاً بهذا اللفظ فقال جـل وعـز فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها فبين ا تعالى بياناً رفع كل إشكال أن تلـك الطاعـة مـن السموات والأرض إنما هي تصرفه لها وقضاؤه تعالى إياهن سبع سموات ووحيه في كل سماءٍ أمرها فصح قولنـا نصـاً جلياً ببيان ا تعالى لذلك والحمد رب العالمين وصح بهذا أن إباية السموات والأرض والجبال من قبول الأمانة إنما هو لما ركبها ا تعالى عليه من الجمادية وعدم التمييز وقد علم كل ذي عقل امتناع قبول ما هذه صفته للشـرائع والأوامـر والنواهي وقد ذم ا تعالى من ينعق بما لا يسمع إلا دعـاء ونداء ولا يحل لمسلم أن ينسب إلى ا تعالى فعلاً ذمه.

والوجه الثالث أن يكون ا تعالى عنى بقوله وإن منها لما يهبط من خشية ا الجبل الذي صار دكاً إذ تجلى ا تعالى له يوم سأله كليمه عليه السلام الرؤية فذلك الجبل بلا شك من جملة الحجارة وقد هبط عن مكانه من خشية ا تعالى وهذه معجزة وآية وإحالة طبيعة في ذلك الجبل خاصة ويكون يهبط بمعنى هبط كما قال ا عز وجل وإذ يمكر بك الذين كفروا ومعناه بلا شك وإذ مكر وبين قوله تعالى مصدقاً إبراهيم خليله صلى ا عليه وسلم في إنكاره على أبيه عبادة الحجارة لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وبقوله تعالى واتخذوا من دون ا شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قال أبو محمد رضي ا عنه فصح بهذا صحة لا مجال للشك فيها أن الحجارة لا تعقل لأنها هي التي كانوا يعبدون مما لا يعقل وأما سائر ما كانوا يعبدون من الملائكة والمسيح وأمه عليهما السلام ومن الجن فكل هؤلاء عاقلون مميزون فلم يبق إلا الحجارة فصح بالنص أنها لا تعقل وإذ تيقن ذلك بالنص وبالضرورة وبالمشاهدة فقد انتفى عنها النطق والتمييز والخشية المعهود كل ذلك عندنا وهذا نص قولنا والحمد رب العالمين.

وأما الأحاديث المأثورة في أن الحجـر لـه لسـان وشفتان والكعبة كذلك وإن الجبال تطاولة وخشع جبـل كـذا فخرافات موضوعة نقلها كل كذاب وضعيف لا يصح شيء منها من طريق الإسناد أصلاً ويكفي من التطويل في ذلك أنه لم يدخل شيئاً منها من انتدب من الأئمة لتصنيف الصـحيح من الحديث أو ما يستجاز روايته مما قال أبو محمد رضي ا عنه وكل من يخالفنا في هذا فإنه إذا أقر لنـا أن القـول المذكور في الآيات التي تلونا والسجود والتسـبيح والخشـية ليس شيء منه على الصفة المعهودة بيننا فقد وافقنا أحب أو كره وهم كلهم مقرون بذلك وقد جاء ذلك في أشعار العـرب قال الشاعر شكى إلي جملي طول السرى وقال آخر فقالت له العينان سمعاً وطاعةً وقال الراعي قلـق الفـؤوس إذا أردن نصولا ومن هذا الباب قوله تعالى جداراً يريد أن ينقض وهذا بلا شك غير الإرادة المعهودة من الحيوان فصح قولنا بالنص والضرورة والحمد رب العالمين وأما قـول رسـول ا صلى ا عليه وسلم يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء فقد قال ا تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطيـر بجناحية إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى

ربهم يحشرون وقال تعالى وإذا الوحوش حشرت فصح أنها تحشر بلا شك ويسلط الله تعالى ما يشاء من خلقه على ما يشاء فإذا سلط القرناء على الجماء في الدنيا فله تعالى أن يسلط الجماء على القرناء في الآخرة يوم القيامة ولم يأت نص ولا إجماع ولا دليل عقل ولا دليل عقل ولا دليل خبر على أن المواشي متعبدة بشريعة وهذا مما نقر به ونقول يفعل الله ما يشاء ولا علم لنا إلا ما علمنا وبالله تعالى التوفيق

الرد على من زعم أن الأنبياء ليسوا أنبياء اليوم

ولا الرسل اليوم رسلاً قال أبو محمد رضي الله عنه حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قول ذهب إليه الأشعرية.

وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه المسئلة قتله بالسم محمود ابن سبكتكين صاحب ما دون وراء

النهر من خراسان رحمه ا   قال أبو محمد رضي ا   عنـه
وهذه مقالة خبيثة مخالفة   تعالى ولرسوله صلى ا   عليـه
وسلم ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام مذ كان الإسلام إلى
يوم القيامة وإنما حملهم على هذا قولهم الفاسـد أن الـروح
عرض والعرض يفنى أبداً ويحدث ولا يبقى وقتـين فـروح
النبي صلى ا   عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلـت ولا روح
له الآن عند ا   تعالى وأما جسده ففي قبره مـوات فبطلـت
نبوته بذلك ورسالته قال أبو محمد رضي ا   عنه ونعوذ با
من هذا القول فإنه كفر صراح لا تررداد فيه ويكفي من بطلان
هذا القول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر ا   عز وجل به
ورسوله صلى ا   عليه وسلم واتفق عليه جميع أهل الإسلام
من كل فرقة وكل نحلة من الأذان في الصـوامع كـل يـوم
خمس مرات في كل قرية من شـرق الأرض إلـى غربهـا
بأعلى أصواتهم قد قرنه ا   تعالى بذكره أشهد أن لا إلـه إلا
ا   أشهد أن محمداً رسول ا   فعلى قول هؤلاء الموكلين إلى
أنفسهم يكون الآذان كذباً ويكون من أمر به كاذباً وإنما كـان
يجب أن يكون الأذان على قولهم أشهد أن محمداً كان رسول
ا   وإلا فمن أخبر عن شيء كان وبطل أنه كائن الآن فهـو

كاذب فالأذان كذب على قولهم وهذا كفر مجرد وكـذلك مـا اتفق عليه جميع أهل الإسلام بلا خلاف من أحد مـنهم مـن تلقين موتاهم لا إله إلا ا محمد رسول ا فإنه باطل علـى قول هؤلاء وكذلك ما عمل به رسول ا صـلى ا عليـه وسلم مدة قتاله الأمة وأمره عن ا عز وجل بأن يعمل بـه بعده أبداً وأجمع على القول به والعمل جميع أهل الإسلام من أول الإسلام إلى آخره ومن شرق الأرض إلى غربها إنسهم وجنهم بيقين مقطوع به دون مخالف فيما تخرج به الدماء من التحليل إلى التحريم أو إلى الحقن بالجزية مـن أن يعـرض على أهل الكفر أن يقولوا لا إله إلا ا محمـد رسـول ا فيجب على قول هؤلاء المحرومين أن هذا باطل وكذب وإنما كان يجب أن يكلفوا أن يقولوا محمد كان رسول ا وكـذلك قوله تعالى ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسـلاً لـم نقصصهم عليك وكذلك قوله تعالى يوم يجمـع ا الرسـل فيقول ماذا أجبتم وقوله تعالى وجـيء بـالنبيين والشـهداء فسماهم ا رسلاً وقد ماتوا وسماهم نبيين ورسلاً وهم فـي القيامة وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قـول كل مصل فرضاً أو نافلة السلام عليك أيها النبي ورحمة ا

وبركاته فلو لم يكن روحه عليه السلام موجوداً قائماً لكـان السلام على العدم هدراً.

فإن قالوا كيف يكون ميتاً رسول ا وإنما الرسـول هو الذي يخاطب عن ا بالرسالة قيل لهم نعم يكـون مـن أرسله ا تعالى مرة واحدة فقط رسولاً تعالى أبـداً لأنـه حاصل على مرتبة جلالة لا يحطه عنها شيء أبداً ولا يسقط عنه هذا الاسم أبداً ولو كان ما قلتم لوجب أن لا يكون رسول ا صلى ا عليه وسلم رسولاً إلى أهل اليمن في حياته لأنه لم يكلمهم ولا شافههم ويلزم أيضاً أن لا يكون رسول ا إلا ما دام يكلم الناس فإذا سكت أو أكل أو نام أو جامع لم يكـن رسول ا وهذا حمق مشوب بكفر وخلاف للإجماع المتيقن ونعوذ با من الخذلان وأيضاً فإن خبر الإسراء الذي ذكـره ا عز وجل في القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول ا صلى ا عليـه وسـلم أنـه رأى الأنبياء عليهم السلام في سماءٍ سماء فهل رأى إلا أرواحهـم التي هي أنفسهم ومن كذب بهذا أو بعضه فقد انسـلخ عـن الإسلام بلا شك ونعوذ با من الخذلان وهـذه بـراهين لا محيد عنها وقد صح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه

أخبر أن ملائكة يبلغونه منا السلام وأنه من رآه في النوم فقد رآه حقاً ولقد بلغني عن بعضهم أنهم يقولون أن أمهـات المؤمنين رضوان ا عليهن لسـن الآن أمهـات المـؤمنين لكنهن كن أمهات المؤمنين قال أبو محمد رضـي ا عنـه وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ولو كان هذا لوجب أن لا تكون أم المرء الذي ولدته وأبوه الذي ولده أباه ولا أمـه إلا في حين الولادة والحمل من الأم فقط وفي حين الإنزال مـن الأب فقط لا بعد ذلك وهذا من السخف الذي لا يرضى بـه لنفسه ذو مسكة فإن قالوا أتقولون أن عمر أميـر المـؤمنين اليوم أو عثمان أيضاً كذلك قلنا لهم لا وهذا إجماع لأنـه لا يكون أمير إلا من الائتمار لأمره واجب وليس هذا لأحد بعد موته إلا للنبي صلى ا عليه وسلم وإنما هو لخليفـة بعـد خليفة طول حياته فقط فبطل أن يكون لهم فيها متعلق قال أبو محمد رضي ا عنه افترق القائلون بتناسـخ الأرواح علـى فرقتين فذهبت الفرقة الواحدة إلـى أن الأرواح تنتقـل بعـد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر وإن لم تكـن مـن نـوع الأجساد التي فارقت وهذا قول أحمد بن حابط وأحمـد بـن نانوس تلميذه وأبي مسلم الخراساني ومحمـد بـن زكريـا

الرازي الطبيب صرح بذلك في كتابه الموسوم بالعلم الإلهي وهو قول القرامطة وقال الرازي في بعض كتبه لولا أنـه لا سبيل إلى تخليص الأرواح عن الأجساد المتصورة بالصـور البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصور الإنسـان إلا بالقتـل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان ألبتة قال أبـو محمـد رضي ا عنه وهذه كما ترى دعاوي وخرافات بـلا دليـل وذهب هؤلاء إلى أن التناسخ إنما هو على سـبيل العقـاب والثواب قالوا فالفاسق المسيء الأعمال تنتقل روحـه إلـى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة في الأقذار والمسخرة المؤلمة الممتهنة بالذبح واختلفوا في الذي كانت أفاعيله كلها شـراً لا خير فيها فقال بعضهم أرواح هذه الطبقة هي الشياطين وقال أحمد بن حابط أنها تنتقل إلى جهنم فتعذب بالنار أبـد الأبـد واختلفوا في الذي كانت أفاعيله كلها خيراً لا شر فيها فقـال بعضهم أرواح هذه الطبقة هي الملائكة وقال أحمد بن حابط إنها لاشك أنها تنتقل إلى الجنة فتنعم فيها أبد الأبد واحتجـت هذه الطائفة المرتسمة بالإسلام أعني أحمد بن حابط وأ مد بن نانوس بقول ا تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكـريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك وبقوله

تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومـن الأنعـام أزواجـاً يذرؤكم فيه واحتج من هذه الطائفة من لا يقول بالإسلام بأن قالوا إن النفس لا تتناهى والعالم لا يتناهى لأمد فالنفس منتقلة أبداً وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالهـا إلـى غيـر نوعها قال أبو محمد رضي ا عنه وذهبت الفرقة الثانية إلى أن منعت من انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التـي فارقت وليس من هذه الفرقة أحد يقول بشيءٍ مـن الشـرائع وهم من الدهرية وحجتهم هي حجة الطائفة التي ذكرنا قبلها القائلة أنه لا تناهي للعالم فوجب أن تتردد النفس في الأجساد أبداً قالوا ولا يجوز أن تنتقل إلى غير النوع الذي أوجب لها طبعها الإشراف عليه وتعلقها به قال أبو محمـد رضـي ا عنه أما الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم وعلى أن مـن قـال بقولهم فإنه على غير الإسلام وأن النبي صلى ا عليه وسلم أتى بغير هذا وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعيم قبل يوم القيامة ثم بالجنة أو بالنار في موقف الحشر فقـط إذا جمـع أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها.

وأما احتجاجهم بالآيتين فكفى من بطلان قولهم أيضاً ما ذكرناه من الإجماع وأن الأمة كلها مجمعون بلا خـلاف على أن المراد بهاتين الآيتين غير ما ذكر هؤلاء الملحـدون وأن المراد بقوله تعالى في أي صورة ما شاء ركبـك أنهـا الصورة التي رتب الإنسان عليها من طول أو قصر أو حسن أو قبح أو بياض أو سواد وما أشبه ذلك وأما الآية الأخـرى فإن معناها أن ا تعالى امتن علينا في أن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً نتولد منها ثم امتن علينا بأن خلق لنـا مـن الأنعـام ثمانية أزواج ثم أخبر تعالى أنه يذرؤنا في هذه الأزواج يعني التي هي من أنفسنا فتبين ذلك بياناً ظاهراً لا خفاء به أن ا تعالى أخبرنا في هذه الآية نفسها أن الأزواج المخلوقـة لنـا إنما هي من أنفسنا ثم فرق بين أنفسنا وبين الأنعام فلا سبيل إلى أن يكون لنا أزواج نتولد فيها من غير أنفسنا ويكفي من هذا أن قولهم إنما هو دعوى بلا برهان وإنما رتبـوه علـى أصلهم في العدل فأخرجوا هذا الوجه لما شاهدوه من إيـلام الحيوان وكل قول لم يوجبه برهان فهو باطل ولم يأت هـذا القول قط على أحد من الأنبياء وهؤلاء القوم مقرون بالأنبياء عليهم السلام فلاح يقيناً فساد قولهم.

وأما الفرقة الثانية القائلة بالدهر فإننا نقـول وبـا التوفيق.

إنه يكفي من فساد قولهم هذا أنه دعوى بلا برهان لا عقلي ولا حسي وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا شك فيـه لكننا لا نقنع بهذا بل نبين عليهم بياناً لائحاً ضرورياً بحـول ا تعالى وقوته فنقول وبا تعالى نستعين إن ا تعالى خلق الأنواع والأجناس ورتب الأنواع تحت الأجناس وفصل كـل نوع من النوع الآخر بفصله الخاص له الذي لا يشاركه فيـه غيره وهذه الفصول المذكورة لأنواع الحيـوان إنمـا هـي لأنفسها التي هي أرواحها فنفس الإنسان حية ناطقـة ونفـس الحيوان حية غير ناطقة هذا هو طبيعة كل نفس وجوهرهـا الذي لا يمكن استحالته عنه فلا سبيل إلى أن يصـير غيـر الناطق ناطقاً ولا الناطق غير ناطق ولو جاز هـذا لبطلـت المشاهدات وما أوجبه الحس وبديهـة العقـل والضـرورة لانقسام الأشياء على حدودها.

وأما الفرقة الثالثة.

التي قالت أن الأرواح تنتقل إلى أجساد نوعها فيبطل قولهم بحول ا تعالى وقوته بطلاناً ضرورياً بكل ما كتبنـاه

في إثبات حدوث العالم ووجوب الابتداء له والنهاية من أوله وبما كتبناه في إثبات النبوة وإن جميع النبوات وردت بخلاف قولهم وببرهان ضروري عليهم وهو أنه ليس في العالم كلـه شيئان يشتبهان بجميع أعراضهما اشتباهاً تاماً من كل وجـه يعلم هذا من تدبر اختلاف الصور واختلاف الهيآت وتبـاين الأخلاق وإنما يقال هذا الشيء يشبه هذا على معنى أن ذلـك في أكثر أحوالهما لا في كلها ولو لم يكن ما قلنا ما فرق أحد بينهما ألبتة وقد علمنا بالمشاهدة أن كل من يتكرر عليه ذلك الشيآن المشتبهان تكرراً كثيراً متصلاً أنه لابـد أن يفصـل بينهما وأن يميز أحدهما من الثاني وأن يجد في كـل واحـد منهما أشياء بان بها عن الآخر لا يشبهه فيها فصح بهذا أنـه لا سبيل إلى وجود شخصين يتفقان في أخلاقهما كلها حتى لا يكون بينهما فرق في شيء منها وقد علمنا بيقين أن الأخلاق محمولة في النفس فصح بهذا أن نفس كـل ذي نفـس مـن الأجساد من أي نوع كانت غير النفس التي في غيـره مـن الأجساد كلها ضرورة وقال أيضاً بعض مـن ذهـب إلـى التناسخ من الحاملين ذلك على سبيل الجـزاء أن ا تعـالى عدل حكيم رحيم كريم فإذ هو كذلك فمحال أن يعذب مـن لا

ذنب له قال فلما وجدناه تعالى يقطع أجسام الصبيان الذين لا ذنب لهم بالجدري والقروح ويأمر بذبح بعض الحيوان الذي لا ذنب له وبطبخه وأكله ويسلط بعضها على بعض فيقطعه ويأكله ولا ذنب له علمنا أنه تعالى لم يفعل ذلك إلا وقد كانت الأرواح عصاة مستحقة للعقاب بكسب هذه الأجساد لتعذب فيها قال أبو محمد رضي ا عنه وقد تكلمنا على إبطال هذا الأصل الفاسد في غير هذا المكان في باب الكلام على البراهمة في كتابنا هذا بما يكفي وقد رددنا الكلام أيضاً في بيان بطلانه في غير ما موضع من كتابنا وفي باب الكلام على من أبطل القدر من المعتزلة في كتابنا هذا والحمد رب العالمين.

ويكفي من بطلان هذا الأصل الفاسد أن يقال لهم إن طردتم هذا الأصل وقعتم في مثل ما أنكرتم ولا فرق وهوان الحكيم العدل الرحيم على أصلكم لا يخلق من يعرضه للمعصية حتى يحتاج إلى إفساده بالعذاب بعد إصلاحه وقد كان قادراً على أن يطهر كل نفس خلقها ولا يعرضها للفتن ويلاطف بها ألطافاً فيصلحها بها حتى تستحق كلها إحسانه والخلود في النعيم وما كان ذلك ينقص شيئاً من ملكه فإن

كان عاجزاً عن ذلك فهذه صفة نقص ويلزم حاملها أن يكون من أجل نقصه محدثاً مخلوقاً فإن طردوا هذا الأصل خرجوا إلى قول المانوية في أن للأشياء فلاعلين وقد تقـدم إبطالنـا لقولهم وبا تعالى التوفيق وبينا أن الذي لا آمـر فوقـه ولا مرتب عليه فإن كل ما يفعله فهو حق وحكمة وإذ قد تعلـق هؤلاء القوم بالشريعة فحكم الشريعة أن كل قول لم يأت عن نبي تلك الشريعة فهو كذب وفرية فإذ لم يأت عن أحد مـن الأنبياء عليهم السلام القول بتناسخ الأرواح فقد صار قـولهم به خرافة وكذباً وباطلاً وبا تعالى التوفيق

فصل في الكلام على من أنكر الشرائع من المنتمين إلى الفلسفة

بزعمهم وهم أبعد الناس عن العلم بها جملة قال أبـو محمد رضي ا عنه نبين في هذا الفصل بحول ا تعـالى وقوته وجوب صحة الشرائع على ما توجبه أصول الفلاسفة على الحقيقة أولهم عن آخرهم على اختلاف أقوالهم في غير ذلك إن شاء ا تعالى قال أبو محمد رضي ا عنه الفلسـفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحـوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تسـتعمل فـي

دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد وحسن السياسة للمنزل والرعية وهذا نفسـه لا غيـره هـو الغرض في الشريعة هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة فيقال لمن انتمـى إلى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله علـى الحقيقـة بمعاني الفلسفة وبعده عن الوقوف على غرضـها ومعناهـا أليست الفلسفة بإجماع من الفلاسفة مبينة للفضائل من الرذائل موقفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل فلا بد مـن نعم ضرورة فيقال له أليس الفلاسفة كلهم قد قـالوا صـلاح العالم بشيئين أحدهما باطن والآخـر ظـاهر فالبـاطن هـو استعمال النفس للشرائع الزاجرة عن تظـالم النـاس وعـن القبائح والظاهر هو التحصين بالأسوار واتخاذ السلاح لـدفع العدو الذي يريد ظلم الناس والإفساد ثم أضافوا إلى إصـلاح النفوس بما ذكرنا إصلاح الأجساد بالطب فلابـد مـن نعـم ضرورة فيقال لهم فهل صلاح العالم وانكفاف النـاس عـن القتل الذي فيه فناء الخلق وعن الزنا الذي فيه فسـاد النسـل وخراب المواريث وعن الظلم الذي فيه الضرر على الأنفس والأموال وخراب الأرض وعن الرذائل من البغي والحسـد

والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش والخيانـة وسـائر الرذائل إلا بشرائع زاجرة للناس عن كل ذلك فلابد من نعـم ضرورة وإلا وجب الإهمال الذي فيه فساد كل ما ذكرنا فإذا لابد من ذلك ولولا ذلك لفسد العالم كله ولفسدت العلوم كلهـا ولكان الإنسان قد بطلت فضيلة الفهم والنطق والعقل الذي فيه وصار كالبهائم فلا تخلو تلك الشرائع من أحد وجهين إما أن تكون صحاحاً من عند ا عز وجل الذي هو خـالق العـالم ومدبره كما يقول أصحاب الشرائع وإما أن تكون موضوعة باتفاق من أفاضل الحكماء لسياسة الناس بهـا وكفهـم عـن التظالم والرذائل فإن كانت موضوعة كمـا يقـول هـؤلاء المخاذيل فقد تيقنا أن ما ألزموا الناس من ذلك كذب لا أصل له وزور مختلق وإيجاب لما لا يجب وباطل لا حقيقـة لـه ووعيد ووعد كلاهما كذب فإن كان ذلك كذلك فقـد صـار الكذب الذي هو أرذل الرذائل وأعظم الشر لا يـتم صـلاح العالم الذي هو الغرض من طلب الفضائل إلا بـه وإذ ذلـك كذلك فقد صار الحق باطلاً والصدق رذيلة وصـار الباطـل حقاً وصدقاً والكذب فضيلة وصار لا قوام للعالم أصـلاً إلا بالباطل وصار الكذب نتيجة الحق وصـار الباطـل ثمـرة

الصدق وصار الغرور والغش والخديعة فضـائل ونصـيحة وهذا أعظم ما يكون من المحال والممتنع والخلاف الـذي لا مدخل له في العقل فإن قالوا أنه لو كشف السر في ذلك أتـى العامة لم ترغب في الفضائل فوجب لذلك أن يؤتي بما ترهبه وتتقيه فاضطر في ذلك إلى الكذب لهم كما يفعل بالصـبيان وكما أبحتم أنتم في شرائعكم كذب الرجل لامرأته ليستصلحها بذلك وفي دفاع الظالم على سبيل التقية وفي الحرب كـذلك فيلزمكم في هذا ما ألزمتموه إيانا من أن الكذب صـار حقـاً وفضيلة قال أبو محمد رضي ا عنه فيقال لهم وبا التوفيق أما نحن فقولنا أنه ليس كما ذكرتم قبيحاً إذ أباحـه ا عـز وجل الذي لا حسن إلا ما حسن وما أمر به ولا قبيح إلا ما قبح وما نهي عنه ولا آمر فوقه فلا يلزمه ما أردتم إلزامنـا إياه ثم أيضاً على أصولكم فإنه ليس ما ذكرتم معارضـة ولا ما شبهتم به مشبهاً لما شبهتموه به لأننا إنما أبحنا الكذب في الوجوه التي ذكرتم للضرورة الدافعة إلى ذلك بالنصر الوارد علينا بذلك كما جاز بالنص عند الضرورة دفع القتـل عـن النفس بقتل المريد لقتلها ولو أمكننا كف الصبي والمرأة بغير ذلك لما جاز الكذب أصلاً فإذا ارتفعـت الضـرورة وجـب

الرجوع إلى استعمال الصدق وعلى كل حال ولولا النص لم نبح شيئاً من ذلك ولا حرمناه وأنتم فيما تدعونه من مـداراة الناس كلهم مبتدؤن لاختيار الكذب دون أن يأمركم بـه مـن يسقط عنكم اللوم بطاعته فأنتم لا عذر لكم على خلاف حكمنا في ذلك ثم إنكم لا تخلون من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أن تطووا هذا السر عن كل أحد فتصيرون إلى ما ألزمناكم من أن قطع الصدق جملة فضيلة وأن الكذب على الجملـة حـق واجب وهذا هو الذي ألزمناكم ضرورة وإما أن تبوحوا بذلك لمن وثقتم به فهذا إن قلتم به يوجب ضرورة كشف سركم في ذلك لأنه لا يجوز البتة أن ينكتم أصلاً على كثرة العارفين به هذا أمر يعلم بالضرورة أن الشيء إذا كثـر العـارفون بـه فبالضرورة لابد من انتشاره فإن كنتم تقولون أن طيه واجب إلا عمن يوثق به وفي كشفه إلى من يوثق بـه مـا يوجـب انتشاره إلى من لا يوثق به وفي كشفه إلى من يوثق به مـا يوجب انتشاره إلى من لا يوثق به فقد رجعتم إلـى وجـوب كشفه لأن كشفه البتة هو نتيجة كشفه إلى خـاص دون عـام وفي كشفه بطلان ما دبرتموه صلاحاً فقـد بطـل حكمكـم بالضرورة لاسيما والقائلون بهذا القول مجدون فـي كشـف

سرهم هذا إلى الخاص والعام فقـد أبطلـوا علـتهم جملـة وتناقضوا قبح تناقض وعلى كل ذلك فقـد صـار الباطـل والكذب لا يتم الخير والفضائل البتة في شيء من الأشياء إلا بهما وهذا خلاف الفلسفة جملة وأيضاً فإن كانـت الشـرائع موضوعة فليس ما وضعه واضع ما بأحق بأن يتبـع ممـا وضعه واضع آخر هذا أمر يعلم بالضـرورة وقـد علمنـا بموجب العقل وضرورته أن الحق لا يكـون مـن الأقـوال المختلفة والمتناقضة إلا في واحد وسائرها باطل فإذ لا شـك في هذا فأي تلك الموضوعات هو الحق أم أيها هو الباطـل ولا سبيل إلى أن يأتوا بما يحق منها شيئاً دون سائرها أصلاً فإذ لا دليل على صحة شيء منها بعينه فقد صـارت كلهـا باطلة إذ ما لا دليل على صحته فهو باطل ولـيس لأحـد أن يأخذ بقول ويترك غيره بلا دليل فبطل بهذا بطلاناً ضـرورياً كل ما تعلقوا به والحمد رب العالمين.

وبطل بهذا البرهان الضروري ما توهمـه هـؤلاء الجهال المجانين وصح يقيناً أن الشرائع صحاح مـن عنـد منشىء العالم ومدبره الذي يريده بقأه إلى الوقت الذي سـبق في علمه تعالى أنه يبقيه إليه كما هو وإذ ذلك كذلك ضرورة

لا يخلو الحكم في ذلك من أحد وجهين لا ثالث لهما مـا أن تكون الشرائع كلها حقاً قال أبو محمد رضي ا عنـه وقـد رأيت منهم من يذهب إلى هذا وإما أن يكون بعضـها حقـاً وبعضها باطلاً لابد من أحد هذين الوجهين ضـرورة فـإن كانت كلها حقاً فهذا محال لا سبيل إليه لأنه لا شريعة منهـا إلا وهي تكذب سائرها وتخبر بأنها باطل وكفـر وضـلال وإلحاد فوجدنا هذا المخذول الذي أراد بزعمه موافقة جميـع الشرائع قد حصل على خلاف جميعها أولهـا عـن آخرهـا وحصل على تكذيب جميع الشرائع له كلها بلا خلاف وعلى تكذيبه هو لجميعها وما كان هكذا وهو يقول إنها كلها حـق وهي كلها مكذبة له وهو مصدق لها كلها فقد شهد على نفسه بالكذب وبطلان قوله وصح باليقين أنه كاذب فيه وأيضاً فإن كل شريعة فهي مضادة في أحكامها لغيرها تحرم هـذه مـا تحل هذه وتوجب هذه ما تسقط هذه ومن المحال الفاسـد أن يكون الشيء وضده حقاً معاً في وقت واحد حراماً حلالاً في حين واحد على إنسان واحد ووجه واحد واجباً كذلك وهـذا أمر يعلمه باطلاً كل ذي حس سليم وليس في العقل تحـريم شيء مما جاء فيها تحريمه ولا إيجاب شيء مما جاء فيهـا

إيجابه فبطل أن يرجح بما في العقل إذ كل ذلـك فـي حـد الممكن في العقل فإذ قد بطل هذا الوجه ضـرورة وهـو أن الشرائع شريعة واحدة صحيحة من عند ا عز وجـل وإن سائر الشرائع كلها باطل فإذ ذلك كذلك ففرض على كـل ذي حس طلب تلك الشريعة وإطراح كل شريعة دون ذلـك وإن جلت حتى يوقف عليها بالبراهين الصـحاح إذ بهـا يكـون صلاح النفس في الأبد وبجهلها يكون هلاك النفس في الأبـد فالحمد الذي وفقنا لتلك الشريعة ووقفنا عليها وهدانا إلـى طريقها وعرفناها حمداً كثيراً طيباً كما هو أهله ونحن نسأله تعالى أن يثبتنا عليها حتى نلقاه ونحن من أهلها وحملتها آمين رب العالمين وصلى ا على محمد خاتم النبيين وسلم تسليماً كثيراً فمن نازعنا في هذا القول وادعاه لنفسه فنحن في ميدان النظر وحمل الأقوال على السير بالبراهين فسنزيف الباطـل والدعاوي التي لا دليل عليها حيثما كانت وبيد مـن كانـت ويلوح الحق ثابتاً حيثما كان وبيد من كان ولا حول ولا قـوة إلا با العلي العظيم

الكلام على اليهود

وعلى من أنكر التثليث من النصارى ومذهب الصابئين وعلى من أقر بنبوة زرادشت من المجوس قال أبو محمد رضي ا عنه إن أهل هذه الملة يعني اليهود وأهل هذه النحلة يعني من أنكر التثليث من النصارى موافقون لنا في الإقرار بالتوحيد ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء عليهم السلام دون بعض وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء فأما اليهود فإنهم قد افترقوا على خمس فرق وهي السامرية وهم يقولون إن مدينة القدس هي نابلس وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلاً ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وبعد يوشع عليه السلام فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وعاموص وحبقوق وزكريا وارميا وغيرهم ولا يقرون بالبعث ألبتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها والصدوقية ونسبوا إلى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزير هو ابن ا تعالى ا عن ذلك وكانوا بجهة اليمن

والعنانية وهم أصحاب عانان الداودي اليهـودي وتسـميهم اليهود العراس والمس وقولهم إنهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام ويتبرؤن مـن قـول الأحبار ويكذبونهم وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهـم من الأندلس بطليطله وطليبره والربانية وهم الأشعنية وهـم القائلون بأقوال الأحبار ومـذاهبهم وهـم جمهـور اليهـود والعيسوية وهم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني رجل مـن اليهود كان بأصبهان وبلغني أن اسمه كان محمد بن عيسـى وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صـلى ا عليـه وسلم ويقولون أن عيسى بعثه ا عن وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل ويقولون أن محمداً صلى ا عليه وسلم نبي أرسله ا تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل عليهم السلام وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبياً في بني عيص وكما كان بلعان نبياً في بنـي مواب بإقرار من جميع فرق اليهود قال أبو محمد رضي ا عنه ولقد لقيت من ينحو إلى هذا المذهب من خواص اليهود كثيراً وقرأت في تاريخ لهم جمعه رجل هاروني كان قـديماً فيهم ومن كبارهم وأئمتهم وممن عصيت به ثاث بلادهم وثاث

حروبهم وثلث جيوشهم أيام حرب طيطوس وخراب البيت وكان له في تلك الحروب آثار عظيمة وكان قد أدرك أمر المسيح عليه السلام واسمه يوسف ابن هارون فذكر ملوكهم وحروبهم إلى أن وصل إلى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام فذكره أجمل ذكر وعظم شأنه وأنه قتل ظلماً لقوله الحق وذكر أمر المعمودية ذكراً حسناً لم ينكرها ولا أبطلها ثم قال في ذكره لذلك الملك هردوس بن هردوس وقبل هذا الملك من حكماء بني إسرائيل وخيارهم وعلمائهم جماعة ولم يذكر من شأن المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام أكثر من هذا قال أبو محمد رضي ا عنه وإنما ذكرت هذا الكلام لأرى إن هذا المذهب كان فيه ظاهراً فاشياً في أئمتهم من حينئذ إلى الآن ثم انقسم اليهود جملة على قسمين فقسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكناً والقسم الثاني أجازوه إلا أنهم قالوا لم يقع وعمدة حجة من أبطل النسخ أن قالوا إن ا عز وجل يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه ولو كان كذلك لعاد الحق باطلاً والطاعة معصية والباطل حقاً والمعصية طاعة قال أبو محمد رضي ا عنه لا نعلم لهم حجة غير هذه وهي من أضعف ما يكون من التمويه الذي لا يقوم على ساق لأن

من تدبر أفعال ا كلها وجميع أحكامه وآثاره تعالى في هذا العالم تيقن بطلان قولهم هذا لأن ا تعالى يحيي ثم يميت ثم يحيي وينقل الدولة من قوم أعزة فيذلهم إلى قوم أذلة فيعزهم ويمنح من شاء ما شاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ثم نقول لهم وبا التوفيق ما تقول ون فيمن كان قبلكم من الأمم المقبول دخولها ف يكم إذا غ زوكم أليس دماؤهم لكم حلالاً وقتلهم حقاً وفرضاً وطاعة ولابد من نعم فنقول لهم فإن دخلوا في شريعتكم أل يس ق د حرم ت دماؤهم وصار عندكم قتلهم حراماً وباطلاً ومعصية بع د أن كان فرضاً وحقاً وطاعة فلا بد من نعم ث م إن ع دوا ف ي السبت وعملوا ليس قد عاد قتلهم فرضاً بعد أن كان حرام اً فلا بد من نعم فهذا إقرار ظاهر منهم ببطلان قولهم وإثب ات منهم لما أنكروه من أن الحق يعود باطلاً والأمر يعود نهي اً وأن الطاعة تعود معصية وهكذا القول في جميع ش رائعهم لأنها إنما هي أوامر في وقت محدود بعمل محدود فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهياً عنه كالعمل هو عندهم مباح في الجمعة محرم يوم السبت ثم يعود مباح اً ي وم الأح د وكالصيام والقرابين وسائر الشرائع كلها وهذا بعينه هو نسخ

الشرائع الذي أبوه وامتنعوا منه إذ ليس معنى النسـخ إلا أن يأمر ا عز وجل بأن يعمل عمل ما مدة ما ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة ولا فرق في شيء مـن العقـول بـين أن يعرف ا تعالى ويخبر عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك وبين أن لا يعرفهم به إذ ليس عليه تعالى شرط أن يعرف عبـاده بمـا يريـد أن يأمرهم قبل أن يأتي الوقت الذي يريد إلزامهم فيه الشـريعة وأيضاً فإن جميعهم مقربان شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السـلام وإن يعقـوب تـزوج ليـا وراحيل ابنتي لابان وجمعهما معاً وهذا حرام فـي شـريعة موسى عليه السلام هذا مع قولهم أن موسى عليـه السـلام كانت عمة أبيه أخت جده وهي يوحانذا بنت لاوي وهذا فـي شريعة موسى حرام ولا فرق في العقول بين شيء أحلـه ا تعالى ثم حرمه وبين شيء حرمه ا ثم أحله والمفرق بـين هذين مكابر للعيان مجاهر بالقحة ولو قلب عليه قالب كلامه ما كان بينهما فرق وفي توراتهم أن ا تعالى افترض عليهم بالوحي إلى موسى عليه السلام وأمرهم موسى بذلك في نص توراتهم أن لا يتركوا من الأمم السبعة الذين كانوا سكاناً في

فلسطين والأردن أحداً أصلاً إلا قتلوه ثم أنه لمـا اختـدعتهم الأمة التي يقال لها عباوون وهي إحدى تلـك الأمـم التـي افترض عليهم قتلهم واستئصالهم فتحيلوا عليهم وأظهروا لهم أنهم أتوا من بلاد بعيدة حتى عاهدوهم فلما عرفوا بعد ذلـك أنهم من السكان في الأرض التي أمروا بقتل أهلها حـرم ا عز وجل عليهم قتلهم على لسان يوشع النبي بـنص كتـاب يوشع عندهم فأبقوهم ينقلون الماء والحطب إلى مكان التقديس وهذا هو النسخ الذي أنكروا بلا كلفة.

وفي توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ وذلك أن فيها أن ا تعالى قال لموسى عليه السلام سأهلك هذه الأمـة وأقدمك على أمة أخرى عظيمة فلم يزل موسى يرغب إلـى ا تعالى في أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن ا تعالى لأنه ذكـر أن ا تعالى أخبر أنه سيهلكهم ويقدمه عى غيره ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى ا عنه وفي سفر اشعيا أن ا تعالى سيرتب في آخر الزمان من الفرس خداماً لبيته قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا هو النسخ بعينه لأن التوراة موجبـة أن لا يخدم في البيت المقدس أحد غير نبي لاوي بـن يعقـوب

على حسب مراتبهم في الخدمة فعلى أي وجه أنزلـوا هـذا القول من اشعيا فهو نسخ لما في التوراة على كل حال وأمـا في الحقيقة فهو إنذار بالملة الإسلامية التي صار فيها الفرس والعرب وسائر الأجناس في المساجد ببيت المقدس وغيـره التي هي بيوت قال أبو محمد رضي ا عنه وأمـا الطائفـة التي أجازت النسخ إلا أنها أخبرت أنه لم يكن فإنه يقال لهـم وبا تعالى التوفيق بأي شيء علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام ووجوب طاعته فلا سبيل إلى أن يأتوا بشـيء غيـر إعلامه وبراهينه وإعلامه الظاهرة فيقال لهم وبـا تعـالى التوفيق إذا وجب تصديق موسى والطاعة لأمره لما ظهر من أحالة الطبائع على ما بيناه في باب الكلام في بيـان إثبـات النبوات فلا فرق بينه وبين من أتى بمعجزات غيرها وبإحالة لطبائع أخر وبضرورة العقل يعلم كل ذي حس أن ما أوجبه لنوع فإنه واجب لأجزائه كلها فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسـى وعيسـى ومحمد صلى ا عليه وسلم واجب وجوباً مستوياً ولا فرق بين شيء منه بالضرورة ويقال لهم ما الفـرق بيـنكم فـي تصديقكم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبكم بعضهم

وبين من صدق من كذبتم وكذب من صدقتم كالمجوس المصدقين بنبوة زرادشت المكذبين بنبوة موسى وسائر أنبيائكم أو المانوية المصدقة بنبوة عيسى وزرادشت المكذبة بنبوة موسى أو الصابئين المكذبين بنبوة إبراهيم عليه السلام فمن دونه المصدقين بنبوة إدريس وغيره وكل هذه الفرق والملل تقول في موسى عليه السلام وفي سائر أنبيائكم أكثر مما تقولون أنتم في عيسى ومحمد عليهما السلام تنطق بذلك تواريخهم وكتبهم وهي موجودة مشهورة وأقرب ذلك السامرية الذين ينكرون نبوة كل نبي لكم بعد موسى عليه السلام ولا سبيل إلى أن تأتوا على جميع من ذكرنا بفرق إلا أتوكم بمثله ولا تدعوا عليهم دعوى إلا ادعوا عليكم بمثلها ولا أن تطعنوا في نقلهم بشيء إلا أروكم في نقلكم مثله سواء بسواء وقد نبه ا تعالى على هذا البرهان بقوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد فنص تعالى على أن طريق الإيمان بما آمنوا به من النبوة وطريق ما آمنا به نحن منها واحد وأنه لا فرق بين شيء من ذلك وأن الإيمان بالإله الباعث لموسى هو الإيمان بالإله

الباعث لمحمد صلى ا عليهما وسلم وأن طريق كـل ذلـك طريق واحدة لا فرق فيها وبا التوفيق وأما شغب من شغب منهم بأننا نؤمن بموسى وهم لا يؤمنون بمحمـد صـلى ا عليه وسلم فهو شغب ضعيف بارد لأنهم لا يخلون مـن أن يكونوا إنما صدقوا بنبوة موسى من أجل تصديقنا نحن ولولا ذلك لم يصدقوا به ويكون إنما صدقوا به لمـا أظهـر مـن البرهان فقط فإن كانوا إنما صدقوا به من أجل تصديقنا نحن فواجب عليهم أن يصدقوا بمحمد صلى ا عليه وسـلم مـن أجل تصديقنا نحن به وإلا فقد تناقضوا وإن كان إنما صدقوا به لما أظهر من الآيات فلا معنى لتصديق مـن صـدقه ولا لتكذيب من كذبه والحق حق صدقه الناس أو كذبوه والباطـل باطل صدقه الناس أم كذبون ولا يزيد الحق درجة فـي أنـه حق إطباق الناس كلهم على تصديقه ولا يزيده مرتبة في أنه باطل تكذيب الناس كلهم له ولا يظن ظان أننا في مناظرتنـا من نناظره من أهل ملتنا المخالفين لنا فـي بعـض أقوالنـا بالإجماع وقد نقضنا كلامنا في هذا المكان فلـيعلم أننـا لام ننقضه لأن الإجماع حجة قد قام البرهان على صـحتها فـي الفتيا في دين الإسلام وما قام على صحته البرهان فهو حجة

قاطعة على من خالفه وعلى من وافقه وأما إن نحـتج علـى مخالفنا بأنه موافق لنا في بعض ما نختلف فيه فليس حجـة علينا فإن وجد لنا يوماً من الأيام فإنما نخاطب بـه جـاهلاً نستكف تخليطه بذلك أو نبكته لنريه تناقضه فقط وأيضاً فإنـا إنما آمنا بنبوة موسى الذي أنذر بنبوة محمد صلى ا عليه وسلم وبالتوراة التي فيها الإنذار برسالة محمد صلى ا عليه وسلم باسمه ونسبه وصفة أصحابه رضي ا عنهم وهكـذا نقول في عيسى والإنجيل حرفاً حرفاً لا بنبوة من لم ينـذر بنبوة النبي صلى ا عليه وسلم ولا نؤمن بموسى وعيسـى ولا نؤمن بتوراة ولا إنجيل ليس فيهما الإنذار برسالة محمـد صلى ا عليه وسلم وصفة أصحابه بل نكفر بكل ذلك ونبرأ منهم فلم نوافقهم قط على ما يدعونه فبطل شغبهم الضـعيف وبا تعالى التوفيق وجملة القول في هـذا أن نقـل اليهـود والنصارى فاسد لما ذكرنا ونذكر إن شـاء ا تعـالى مـن عظيم الداخلة في كتبهم المبينة أنها مفتعلة وفساد نقلهم فإنمـا صدقنا بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام لأن محمداً صلى ا عليه وسلم صدقهما وأخبرنا عنهما وعن أعلامهما ولولا ذلك لما صدقنا بهما ولكانا عندنا بمنزلـة إليـاس واليسـع

ويونس ولوط في ذلك كما أننا لا نقطع بصحة نبوة سـموال وحقاي وحبقوق وسائر الأنبياء الذين عندهم كموسى وسـائر من ذكرنا ولا فرق ولكن نقول آمنا با وكتبه ورسله فـإن كان المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم وإن لم يكونوا أنبيـاء فلا ندخل في أنبياء ا تعالى من ليس منهم بأخبـار اليهـود والنصارى الكاذبة التي لا أصل لها الراجعة إلى قوم كفـار كاذبين وبا تعالى نتأيد وقال تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وقال تعالى في الرسل منهم من قصصنا عليك ومـنهم من لم نقصص عليك فنحن نؤمن بالأنبياء جملة ولا نسـمي منهم إلا من يسمي محمد صلى ا عليه وسلم فقط قال أبـو محمد رضي ا عنه ويقال لسائر فرق اليهود حاشا السامرية ما الفرق بينكم وبين السامرية الذين كذبوا بنبوة كـل نبـي صدقتم أنتم به بعد يوشع بمثل ما كذبتم أنتم به عيسى ومحمداً صلى ا عليه وسلم لـم يأتيـا بـالمعجزات بـأن كـذبهم ومجاهرتهم إذ قد نقلت الكواف عن النبي صـلى ا عليـه وسلم أنه سقى العسكر في تبوك وهم ألوف كثيرة من قـدح صغير نبع فيه الماء من بين أصابعه عليه السلام وفعل أيضاً مثل ذلك بالحديبية وأنه أطعم عليه السلام فـي منـزل أبـي

طلحة أهل الخندق حتى شبعوا وفي منزل جابر أيضاً ورمى هوازن في جيش فعمت عيون جميعهم بتراب يده وفيها أنزل ا تعالى وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى وشق القمـر وسأله قومه آية فأنزل ا تعالى في ذلك اقتربـت السـاعة وانشق القمر وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سـحر مسـتمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم مـن الأنباء ما فيه مزدجر وكذلك حنين الجذع الذي سمعه كل من حضره من الصحابة رضوان ا عنهم ومـن أبهـر ذلـك وأعظمه قوله لليهود الذين كانوا معه في وقته وهـم زيـادة على ألف بلا شك ولعلهم كانوا ألوفاً وهم بنو قريظـة وبنـو النضير وبنو أهدل وبنو قينقاع أن يتمنوا المـوت إن كـانوا صادقين في تكذيبهم نبوته وأعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلـك أصلاً فعجزوا عن ذلك أي عن تمني الموت وحيـل بيـنهم وبين النطق بذلك وهذه قصة منصوصة في صورة الجمعـة يقرأ بها كل يوم جمعة في جميع جوامع المسلمين من شـرق الدنيا إلى غربها وقد كان أسهل الأمور عليهم أن يكذبوا بأن يتمنوا الموت لو استطاعوا وهم يسمعونه يقول فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم قـال أبـو

محمد رضي ا عنه وهذا أمر لايدفعه إلا وقاح جاهل مكابر للعيان لأن القرون والاعصار نقلت هذه الآيات جيلاً جـيلاً يخاطبون بها فكل أذعن وأقر ولم يمكن أحداً دفعه ودعا عليه السلام من حين مبعثه العرب كلهم على فصـاحة ألسـنتهم وكثرة استعمالهم لأنواع البلاغـة مـن الإطالـة والإيجـاز والتصرف في أفانين البلاغة والألفاظ المركبة على وجـوه المعاني إلى أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم ردهم إلـى سـورة فعجزوا كلهم عن ذلك على سعة بلادهم طولاً وعرضاً وأنه صلى ا عليه وسلم أقام بين أظهرهم ثلاثة وعشرين عامـاً يستسهلون قتاله والتعرض لسفك دمائهم واسترقاق ذراريهـم وقد أضربوا عما دعاهم إليه من المعارضة للقرآن جملة قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا لا يخفى على من له أقل فهم أنه إنما حملهم على ذلك العجز عما كلفهم من ذلك وارتفـاع قوتهم عنه وأنه قد حيل بينهم وبين ذلك ثم عم الـدنيا مـن البلغاء الذين يتخللون بألسنتهم تخال الناقـد ويطيلـون فـي المعنى التافة إظهاراً لاقتدارهم علـى الكـلام جماعـات لا بصائر لهم في دين الإسلام منذ أربعمائة عام وعشرين عاماً فما منهم أحد يتكلف معارضته إلا افتضح وسـقط وصـار

مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما أتى به ويتطائب عليه مـنهم مسيلمة بن حبيب الحنفي لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بمـا يضحك الثكلى وقد تعاطى بعضهم ذلك يوماً في كلام جـرى بيني وبينه فقلت له اتق ا على نفسك فـإن ا تعـالى قـد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها ووا لئن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسلبنك ا هذه النعمة وليجعلنك فضـيحة وشهرة ومسخرة وضحكة كما فعل بمن رام هذا مـن قبلـك فقال لي صدقت وا وأظهر الندم والإقرار بقبحه قـال أبـو محمد رضي ا عنه وهذا الذي ذكرنا مشاهد وهي آية باقية إلى اليوم وإلى انقضاء قال أبو محمد رضي ا عنه وقد ظن قوم إن عجز العرب ومن تلاهم مـن سـائر البلغـاء عـن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن فـي أعـلا طبقـات البلاغة قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا خطأ شديد ولـو كان ذلك وقد أبى ا عز وجل أن يكون لمـا كـان حينئـذٍ معجزة لأن هذه صفة كل باسق في طبقته والشيء الذي هـو كذلك وإن كان قد سبق في وقت ما فلا يؤمن أن يأتي في غد ما يقاربه بل ما يفوقه ولكن الإعجاز في ذلك إنما هو أن ا عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله ورفـع عـنهم

القوة في ذلك جملة وهذا مثل لو قال قائل إني أمشي اليوم في هذه الطريق ثم لا يمكن أحداً بعدي أن يمشي فيها وهو ليس بأقوى من سائر الناس وأما لو كـان العجـز عـن المشـي لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشي لما كانت آية ولا معجـزة وقد بينا في غير هذا المكان أن القرآن ليس من نوع بلاغـة الناس لأن فيه الأقسام التي في أوائـل السـور والحـروف المقطعة التي لا يعرف أحد معناها وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة وقد روينا عن أنيس أخي أبي ذر الغفـاري رضي ا عنهما أنه سمع القرآن فقال لقد وضعت هذا الكلام على ألسنة البلغاء وألسنة الشعراء فلم أجده يوافق ذلـك أو كلاماً هذا معناه فصح بهذا ما قلناه من أن القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين وأنه على رتبة قد منع ا تعالى جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله ولنا في هذا رسالة مستقصاة كتبنـا بها إلى أبي عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد وسنذكر منها هنا إن شاء ا تعالى ما فيه كفاية في كلامنا مـع المعتزلـة والأشعرية في خلق القرآن من ديواننا هذا ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم قال أبو محمد رضي ا عنه فإن قال قائل أنه منع المعارضون حينئذٍ من المعارضة أو عارضـوا

فستر ذك قيل له وبا التوفيق لو أمكن مـا تقـول لأمكـن لغيرك أن يدعي في آيات موسى عليه السلام مثل ذلك بـل كان يكون أقرب إلى التلبيس لأن في تـوراتكم أن السـحرة عملوا مثل ما عمل موسى عليه السلام حاشا البعوض خاصة فإنهم لم يطيقوه قال أبو محمد رضي ا عنـه وهـذا هـو الباطل والتبديل الظاهر لأن السحر لا يحيل عيناً ولا يقلبهـا ولا يحيل طبيعة إنما هو حيل قد بينا الكلام فيهـا بعـون ا تعالى في موضعه من هذا الكتاب وفي غيره قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا الاعتراض هو على سبيل إبطال الكواف لا سبيل من أقر بشيء منها ثم يقال كل من ولي الأمر بعـده عليه السلام معروف ليس منهم أحد إلا وله أعداء يخرجـون من عداوته إلى أبعد الغايات من الحنق والغيظ فـأبو بكـر وعمر رضي ا عنهما تعاديهما الرافضة وتبلغ عـداوتهما وتكفيرهما أقصى الغايات وما قال قط أحد مؤمن ولا كـافر عدو لهما ولا ولي أن أحداً منهما أجبر أحداً علـى الإقـرار بآيات محمد صلى ا عليه وسـلم ولا علـى سـتر شـيء عورض به ولا قدر أن يقول هذا أيضاً يهودي ولا نصراني وكذلك عثمان أيضاً وعلي تعاديهما الخوارج وتخـرج فـي

عداوتهما وتكفيرهما إلى أبعد الغايات ما قال قط قائـل فـي أحدهما شيئاً من هذا وحتى لو رام أحد من الملوك ذلك لمـا قدر عليه لأنه لا يملك أيدي الناس ولا ألسنتهم يصنعون فـي منازلهم ما أحبوا وينشرونه عند من يثقون به حتـى ينتشـر وهذا أمر لا يقدر على ضبطه والمنع منه أحد لاسـيما مـع انخراق الدنيا وسعة أقطارها من أقصى السند إلـى أقصـى الأندلس فلو أمكنت معارضته ما تأخر عن ذلك من له أدنـى حظ من استطاعة عند نفسه على ذلك ممن لا بصيرة له فـي الإسلام في شرق الأرض وغربها فإن قال قائل من اليهـود أن موسى عليه السلام قال لهم في التوراة لا تقبلوا من نبـي أتاكم بغير هذه الشريعة قال أبو محمد رضي ا عنه قلنا له وبا تعالى التوفيق لا سبيل إلى أن يقول موسى عليه السلام هذا بوجه من الوجوه لأنه لو قال ذلك لكان مبطلاً لنبوة نفسه وهذا كلام ينبغي أن يتدبر وذلك أنه لو قال لهم لا تصـدقوا من دعاكم إلى غير شريعتي وإن جاء بآيات فإنه يلزمـه إذا كانت الآيات لا توجب تصديق غيره إذا أتى بها في شـيء دعا إليه فهي غير موجبة تصديق موسى عليه السلام فيمـا أتى به إذ لا فرق بين معجزاته ومعجزات غيره إذ بالآيـات

صحت الشرائع ولم تصح الآيـات بالشـرائع لأن تصـديق الشريعة موجبة للآية والآية موجبة تصديق الشريعة ومن قال قال أبو محمد رضي ا عنه وأيضاً فإن هذا القول المنسوب إلى موسى عليه السلام كذب موضوع ليس في التوراة شيء منه وإنما فيها من أتاكم يدعي نبوة وهو كاذب فلا تصـدقوه فإن قلتم من أين نعلم كذبه من صدقه فانظروا فإذا قال عـن ا شيئاً ولم يكن كما قال فهو كاذب هذا نص ما في التوراة فصح بهذا أنه إذا أخبر عن ا تعالى بشيء فكان كما قـال فهو صادق وقد وجدنا كلما أخبر به النبي صـلى ا عليـه وسلم في غلبة الروم على كسرى وإنـذاره بقتـل الكـذاب العنسي ويوم ذي قار وبخلع كسرى وبغير ذلك فإن قالوا إن في التوراة أن هذه الشريعة لازمة لكم في الأبد قلنا هذا محال في التأويل لأنه كذلك أيضاً فيها أن هذه البلاد يسكنونها أبـداً وقد رأيناهم بالعيان خرجوا عنها قال أبو محمد رضـي ا عنه فإن قال قائل فقد قال لكم محمد صلى ا عليه وسـلم لا نبي بعدي قيل لهم وبا تعالى نتأيد ليس هـذا الكـلام ممـا ادعيتموه على موسى عليه السلام لأننا قد علمنا من أخبـاره عليه السلام أنه لا سبيل إلى أن يظهر أحد آية بعده أبداً ولو

جاز ظهورها لوجب تصديق من أظهرها ولكنا قد أيقنا أنه لا تظهر آية على أحد بعده عليه السلام بوجه من الوجوه فـإن قال قائل وكيف تقولون في الدجال وأنتم ترون أنه يظهر لـه عجائب فالجواب وبا تعالى التوفيق أن المسلمين فيه علـى أقسام فأما ضرار ابن عمرو وسائر الخوارج فإنهم ينفون أن يكون الدجال جملة فكيف أن يكون له آية وأما سـائر فـرق المسلمين فلا ينفون ذلك والعجائب المذكورة عنه إنما جاءت بنقل الآحاد وقال بعض أصحاب الكلام أن الدجال إنما يدعي الربوبية ومدعي الربوبية في نفس قوله بيـان كذبـه قـالوا فظهور الآية عليه ليس موجباً لضلال من له عقل وأما مدعي النبوة فلا سبيل إلى ظهور الآيات عليه لأنـه كـان يكـون ضلالاً لكل ذي عقل قال أبو محمد رضي ا عنه وأما قولنا في هذا فهو أن العجائب الظاهرة من الدجال إنما هي حيـل من نحو ما صنع سحرة فرعون ومن باب أعمـال الحـلاج وأصحاب العجائب يدل على ذلك حديث المغيرة بن شعبة إذ قال للنبي صلى ا عليه وسلم أن معه نهر ماء ونهر خبـز فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلم هو أهون علـى ا من ذلك حدثنا يونس بن عبد ا بن مغيث حدثنا أحمـد بـن

عبد الرحيم حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمـد بن بشار بندار حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا هشام بـن حسان الفردوسي حدثنا حميد بن هلال عن أبي الدهماء عـن عمران بن حصين عن النبي صلى ا عليه وسلم قال مـن سمع من أمتي الدجال فلينأ عنه فإن الرجل يأتيه وهو يحسبه مؤمن فيتبعه مما يرى من الشبهات قال أبو محمد رضي ا عنه فصح بالنص أنه صاحب شبهات قال أبو محمد رضـي ا عنه وبهذا تتألف الأحاديث وقد بين رسول ا صـلى ا عليه وسلم في هذا الحديث أن ما يظهر الدجال من نهر مـاء ونار وقتل إنسان وإحيائه أن ذلك حيل ولكل ذلك وجـوه إذا طلبت وجدت فقد تحيل ببعض الأجساد المعدنية إذا أذيـب أنه ماء وتحيل بالنفظ الكاذب أنه نار ويقتل إنسان ويغطي وآخر معد مخبو فيظهر ليرى أنه قتل ثم أحيي كما فعل الحسين بن منصور الحلاج في الجدي الأبلـق وكمـا فعـل الشـريعي والنميري بالبغلة وكما فعل زبزن بالزرزور وأنا أدري مـن يطعم الدجاج الزرنيخ فتخدر ولا يشك في موتها ثم يصب في حلوقها الزيت فتقوم صحاحاً وإنما كانت تكون معجـزة لـو أحيى عظاماً قد أرمت فيظهر نبات اللحم عليها فهذه كانـت

تكون معجزة ظاهرة لا شك فيها ولا يقدر غير نبـي عليهـا ألبتة وقد رأينا الدبر يلقى في الماء حتى لا يشك أحـد أنهـا ميتة ثم كنا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير وقد بلغنا مثل ذلك في الذباب المسترخي في الماء إذا ذر عليه سـحق الآجر الجديد وآيات الأنبياء عليهم السلام لا تكون من وراء حائط ولا من مكان بعينه ولا من تحت ستارة ولا تكـون إلا بادية مكشوفة وقد فضحت أنا حيلة أبي محمـد المعـروف بالحرق في الكلام المسموع بحضـرته ولا يـرى المـتكلم وسمت بعض أصحابه أن يسمعني ذلك في مكـان آخـر أو بحيث الفضاء دون بنيان فامتنع من ذلك فظهرت الحيلة وإنما هي قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفي ويتكلم الذي طرف القصبة على فيه على حين غفلة ممن في المسجد كلمات يسيرة الكلمتين والثلاث لا أكثر من ذلك فلا يشك من في البيت مع المحرق الملعون في أن الكلام اندفع بحضرتهم وكان المتكلم في ذلك محمد بن عبد ا الكاتب صاحبه فـإن اعترض معترض بقول ا تعالى ومـا منعنـا أن نرسـل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون قيل وبا تعالى التوفيق هذا يخرج على وجهين أحدهما أن معنى قوله تعالى وما منعنا أن

نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون إنما هو على معنـى التبكيت لمن قال ذلك وأورد تعالى كلامهـم وحـذف ألـف الاستفهام وهذا موجود في كلام العرب كثيراً والثاني أنه إنما عنى تعالى بذلك الآيات المشترطة في الرقا إلى السماء وأن يكون معه ملك وما أشبه هذا وليس على ا تعـالى شـرط لأحد قال أبو محمد رضي ا عنه والقول الأول هو جوابنـا لأن ا تعالى لا شيء يمنعه عنما يريد وكذلك إن اعتـرض معترض بقول النبي صلى ا عليه وسلم ما من الأنبيـاء إلا من قد أوتي ما على مثله آمن البشر وإنما كان الذي أوتيتـه وحياً أوحي إلي وإني لأرجو أن أكون أكثـرهم تبعـاً يـوم القيامة قيل لهم وبا التوفيق إنما عنى رسول ا صـلى ا عليه وسلم هذا القول آيته الكبرى الثابتة الباقية أبد الآباد التي هي أول معجزته حين بعث وهي القرآن لبقاء هذه الآية على الآباد وإنما جعلها عليه السلام بخلاف سائر آيـات الأنبيـاء عليهم السلام لأن تلك الآيات يستوي في معرفـة إعجازهـا العالم والجاهل وأما إعجاز القرآن فإنما يعرفه العلماء بلغـة العرب ثم يعرفه سائر الناس بأخبار العلماء لهم بذلك مع ما في التوراة من الإنذار البين برسول ا صلى ا عليه وسلم

من قوله تعالى فيها سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أجعل على لسانه كلامي فمن عصاه انتقمت منه قال أبـو محمـد رضي ا عنه ولم تكن هذه الصفة لغير محمـد صـلى ا عليه وسلم وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل وقوله فـي السفر الخامس منها جاء ا من سينا والشرق مـن سـاعير واستعلن من جبال فاران قال أبو محمـد رضـي ا عنـه وسيناء هو موضع مبعث موسى عليـه السـلام بـلا شـك وساعير هو موضع مبعث عيسى عليه السلام وفـاران بـلا شك هي مكة موضع مبعث محمد صلى ا عليه وسلم بيـان ذلك أن إبراهيم عليه السلام أسكن إسماعيل فاران ولا خلاف بين أحد في أنه إنما أسكنه مكة فهذا نص على مبثـع النبـي صلى ا عليه وسلم والرؤيا التي فسرها دانيال فـي أمـر الحجر الذي رأى الملك في نومه الذي دق الصنم الذي كـان بعضه ذهباً وبعضه فضة وبعضه نحاساً وبعضـه حديـد أو بعضه فخار وخاطه كله وطحنه وجعله شيئاً واحداً ثم ربـى الحجر حتى ملأ الأرض ففسره دانيال أنه نبي يجمع الأجناس ويبلغ ملك أمره ملء الآفاق فهل كان نبي قط غيـر محمـد صلى ا عليه وسلم جمع الأجناس كلهـا علـى اختلافهـا

واختلاف لغاتها وأديانها وممالكها وبلادها فجعلهـم جنسـاً واحداً ولغة واحدة وأمة واحدة ومملكة واحدة وديناً واحداً فإن العرب والفرس والنبط والأكراد والتـرك والـديلم والجيـل والبربر والقبط ومن أسلم من الروم والهند والسودان علـى كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة وبها يقرؤن القـرآن وقـد صار كل من ذكرنا أمة واحـدة والحمـد رب العـالمين فصحت النبوة المذكورة بلا أشكال والحمد رب العـالمين وكل ما ذكرنا في هذا الباب أنه يدخل على النصارى الـذين يقولون بنبوة عيسى عليـه السـلام فقـط مـن الأريوسـية والمقدونية والبولقانية سواء سواء مع ما في الإنجيـل مـن دعاء المسيح عليه السلام في قوله اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس أن ابن البشر إنسان قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا غاية البيان لمن عقل لأن المسيح عليه السلام علم أنه سيغلوا قومه فيه فيقولون أنه ا وأنه ابن ا فدعا ا في أن يبعـث الذي يبين للناس أنه ليس إلهاً ولا ابن إله وإنما هو إنسان من ولد امرأة من البشر فهل أتي بعده نبي يبين هـذا إلا محمـد صلى ا عليه وسلم وهذا لا يحيل بيانه على ذي حس سـليم وإنصاف ونسأل ا إيزاع الشكر على ما وفق له من الهدى

فإن قال قائل فإن المجوس تصدق بنبوة زرادشت وقوم مـن اليهود بنبوة أبي عيسى الأصبهاني وقوم من كفـرة الغاليـة يصدقون بنبوة بزيع الحائك والمغيرة بن سعيد وبنـان بـن سمعان التميمي وغيرهم من كلاب الغالية فـالجواب وبـا تعالى التوفيق.

أن أبا عيسى وبنان وبزيعاً وسائر مـن تـدعي لـه الغالية بنبوة أو إلهية من خيار الناس وشرارهم لـم تظهـر لواحد منهم آية بوجه من الوجوه والآيات لا تصح إلا بنقـل الكواف وكل هؤلاء كان بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم وقد أخبر الذي جاءت البراهين بصدقه صلى ا عليه وسـلم أنه لا نبي بعده فقد صح البرهان ببطلان ما ادعى لهؤلاء من النبوة وأما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته قـال أبو محمد رضي ا عنه ليست النبوة بمدفوعة قبل رسـول ا صلى ا عليه وسلم لمن صحت عنه معجزة قال ا عز وجل وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وقال عز وجل ورسـلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وقالوا إن الذي ينسب إليه المجوس من الأكذوبات باطـل مفتـري منهم وبرهان ذلك أن المنانية تنسب إليـه مقـالتهم وأقـوال

هؤلاء كلهم متضادة لا سبيل إلى أن يقول بها قائـل واحـد صادق ولا كاذب في وقت واحد وكذا المسيح عليه السـلام ينسب إليه الملكانية قولهم في التثليث وتنسب إليه النسطورية قولهم أيضاً وكذلك اليعقوبية وتنسب إليه المنانية أيضاً قولهم وكذلك المزقونية وهذا برهان ظاهر علـى كـذب جمـيعهم عليهما بلا شك وقد رامت الغالية مثل هذا في القرآن ولكـن قد تولى ا حفظه وبالجملة فكـل كتـاب وشـريعة كانـا مقصورين على رجال من أهلها وكانا محظورين على مـن سواهما فالتبديل والتحريف مضمون فيهما وكتاب المجـوس وشريعتهم إنما كان طول مدة دولتهم عند المؤبذ وعند ثلاثـة وشعرين هربذاً لكل هربذ سفر قد أفرد به وحده لا يشـاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم ولا يباح بشـيءٍ مـن ذلك لأحد سواهم ثم دخل فيه الخرم بـا حـراق الإسـكندر لكتابهم أيام غلبتهم لدار ابن دارا وهم مقرون بلا خلاف منهم أنه ذهب منه مقدار الثلث ذكر ذلك بشير الناسك وغيره مـن علمائهم وكذلك التوراة إنما كانت طول مدة ملك بني إسرائيل عند الكوهن الأكبر الهاروني وحده لا ينكر ذلـك مـنهم إلا كذاب مجاهر وكذلك الإنجيل إنما هي كتب أربعة مختلفة من

تأليف أربعة رجال فأمكن في كل ذلك التبـديل وقـد نقلـت كواف المجوس الآيات المعجزات عن زرادشـت كالصـفر الذي أفرغ وهو مذاب على صدره فلم يضره وقوائم الفـرس التي غاصت في بطنه فأخرجها وغير ذلك وممـن قـال أن المجوس أهل كتاب علي بن أبي طالب وحذيفـة رضـي ا عنهما وسعيد بن المسيب وقتادة وأبو ثور وجمهور أصحاب أهل الظاهر وقد بينا البراهين الموجبة لصحة هذا القول فـي كتابنا المسمى الإيصال في كتاب الجهاد منـه وفـي كتـاب الذبائح منه وفي كتاب النكاح منه والحمـد رب العـالمين ويكفى من ذلك صحة أخذ رسول ا صلى ا عليه وسـلم الجزية منهم وقد حرم ا عز وجل في نص القرآن في آخر سورة نزلت منه وهي براءة أن تؤخذ الجزية من غير كتابي قال أبو محمد رضي ا عنه وأما العيسوية من اليهود فإنـه يقال لهم إذا صدقتم الكافة في نقل القرآن عن النبي صلى ا عليه وسلم من أنه عليه السلام بعث إلى الناس كافـة بقولـه تعالى فيه آمراً لرسوله صلى ا عليه وسلم أن يقول يا أيها الناس إني رسول ا إليكم جميعاً وقوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة مـن الخاسـرين

وقوله تعالى فيه قاتلوا الذين لا يؤمنون با ولا باليوم الآخر إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وما فيـه من دعاء اليهود إلى ترك ما هم عليه والرجوع إلى شريعته عليه السلام وهذا ما لا مخاص منه فإن اعترضوا بمـا فـي القرآن مما حرم عليهم يعني اليهود وحضهم علـى التـزام السبت.

فإنما هو تبكيت لهم فيما سلف من أسـلافهم الـذين قفواهم آثارهم يبين هذا نص القرآن في قولـه تعـالى عـن عيسى عليه السلام أنه رسول ا صلى ا عليه وسلم إلـى بني إسرائيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم وهـذا نـص جلي على نسخ شريعتهم وبطلانها ثم ما لم ينكره أحـد مـن مؤمن ولا كافر من أنه عليه السلام حارب يهود بني إسرائيل من بني قريظة والنضير وهذل وبين قينقاع وقتلهم وسـباهم وألزمهم الجزية وسماهم كفاراً إذ لم يرجعوا إلـى الإسـلام وقبل إسلام من أسلم منهم فلو لم يكن نسخ دينهم ما حل لـه إجبارهم على تركه أو الجزية والصغار ولا جاز لـه قبـول ترك ما ترك منهم بدين بني إسرائيل ومن المحال الممتنع أن يكون عند العيسويين رسولاً صادقاً نبياً ثـم يجـور ويظلـم

ويبدل دين الحق فوضح فساد قولهم وتناقضه بيقين لا إشكال فيه والحمد رب العالمين وهكذا يقال لمن أقر بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام من فرق الصابئين كإدريس وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه كعـادمون واسـقلابيوس وايلـون وغيرهم وللمجوس المقتصرين على زرادشت فقط أخبرونـا بأي شيء صحت نبوة من تدعون له النبوة فلـيس ههنـا إلا صحة ما أتوا به من المعجزات فيقال لهم فإن النقل إلى محمد صلى ا عليه وسلم في معجزاته أقرب عهداً وأظهر صحة وأكثر عدداً ناقلين وأدخل في الضرورة ولا فرق ولا مخاص لهم من هذا أصلاً لأنه نقل ونقل إلا أن نقلنا أفشى وأظهـر وأقوى انتشاراً ومبدأ هذا مع ذهاب دين الصابئين وانقطاعهم ورجوع نقلهم إلى من لا يقوم بهم حجة لقلتهم ولعلهم اليـوم في جميع الأرض لا يبلغون أربعين وأما المجـوس فـإنهم معترفون مقرون بأن كتابهم الذي فيه دينهم أحرقه الإسكندر إذ قتل دارا بن دارا وأنه ذهب منه الثلثان وأكثر وأنه لم يبق منه إلا أقل من الثلث وأن الشرائع كانت فيما ذهب فإذ هـذا صفة دينهم فقد بطل القول به جملة لذهاب جمهـوره وأن ا تعالى لا يكلف أحداً ما لا يتكفل بحفظه حتى يبلغ إليه وفـي

كتاب لهم اسمه خذاي بأنه يعظمونه جداً أن أنوشروان الملك منع من أن يتعلم دينهم في شيء من البلاد إلا في أزدشـير خرة وفشا من داتجرد فقط وكان قبله لا يتعلم إلا باصـطخر فقط وكان لا يباح إلا لقوم خصائص وكتابهم الذي بقي بعـد ما أحرق الإسكندر ثلاثة وعشرون سفراً فلهم ثلاثة وعشرون هربذاً لكل هربذ سفر لا يتعداه إلى غيره وموبـذ موبـذ أن يشرف على جميع تلك الأسفار وما كـان هكـذا فمضـمون تبديله وتحريفه وكل نقل هكذا فهو فاسد لا يوجـب القطـع بصحته هذا إلى ما في كتبهم التي لا يصح دينهم إلا بالإيمان بها من الكذب الظاهر كقولهم أن جرم الملك كـان يركـب إبليس حيث شاء وإن مبدأ الناس من بقلـة الريبـاس وهـي الشرالية ومن ولادة بيروان سياوش بن كيفاوش نبي مدينـة كنكدر بين السماء والأرض وأسكنها ثمانين ألف راجل مـن أهل البيوتات هم فيها إلى اليوم فإذا ظهر بهرام هماوند على البقرة ليرد ملكهم نزلت تلك المدينة إلى الأرض ونصـروه وردوا دينهم وملكهم قال أبو محمد رضي ا عنه وكل كتاب دون فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عنـد ا عـز

وجل فظهر من فساد دين المجوس كالذي ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء والحمد رب العالمين .

فصل في مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة

في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة وفـي سـائر كتبهم وفي الأناجيل الأربعة يتيقن بذلك تحريفهـا وتبـديلها وأنها غير الذي أنزل ا عز وجل قال أبو محمد رضي ا عنه نذكر إن شاء ا تعالى ما في الكتـب المـذكورة مـن الكذب الذي لا يشك كل ذي مسكة تمييز في أنه كذب علـى ا تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام وعلى الأنبياء علـيهم السلام إلى أخبار أوردوها لا يخفي الكذب فيها على أحد كما لا يخفى ضوء النهار على ذي بصر وقد كنا نعجـب مـن إطباق النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة التي لا يخفى فسادها على أحد به رمق إلى أن وقفنا على ما بأيـدي اليهود فرأينا أن سبيلهم وسبيل النصارى واحدة كشق الأنملة وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا أن كل من خالف دين الإسلام ونحلة السنة ومذهب أصحاب الحديث فإنه عارف بضلال ما هم عليه إلا أنهم بخـذلان ا تعـالى إياهم مكابرون لعقولهم مغلبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم

تقليداً لأسلافهم وعصبية واستدامة لرياسـة دنيويـة وهكـذا وجدنا أكثر من شاهدناه من رؤسائهم فنحمد ا كثيراً على ما هدانا له من الإسلام ونحلة السنة واتباع الآثار الثابتة ونسأله تثبيتنا على ذلك وأن يجعلنا من الدعاة إليه حتى يدعونا إلـى رحمته ورضوانه عند لقائه آمين قال أبو محمد رضـي ا عنه وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نخرج مـن الكتـب المذكورة شيئاً يمكن أن يخرج عل وجه مـا وإن دق وبعـد فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له وكذلك أيضاً لم نخرج منه كلاماً لا يفهم معناه وإن كان ذلك موجوداً فيها لأن للقائل أن يقول قد أصاب ا به ما أراد وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيـه ولا وجه أصلاً إلا الدعاوي الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً لا محتملاً ولا خفياً فصل قال أبو محمد رضي ا عنه أول ذلك أن بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سـائر اليهود يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهـود محرفة مبدلة وسائر اليهود يقولون أن التي بأيدي السـامرية محرفة مبدلة ولم إلى آخره ولم يقع إلينا توراة السامرية لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً إلا أننا قـد أتينا ببرهان ضروري على أن التوراة التي بأيدي السامرية

أيضاً محرفة مبدلة عندما ذكرنا في آخر هذه الفصول أسماء ملوك بني إسرائيل ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظـيم فصل في أول ورقة من توراة اليهود التـي عنـد ربـانيهم وعانانيهم وعيسويهم حيـث كـانوا فـي مشـارق الأرض ومغاربها لا يختلفون فيها على صفة واحدة لو رام أن يزيـد فيها لفظة أو ينقص أخرى لافتضح عند جميعهم مبلغة ذلـك إلى أحبارهم الذين كانوا أيام ملك الهارونية لهم قبل الخراب الثاني بدهر يذكرون أنها مبلغة ذلك من أولئك إلـى عـذراء الوراق الهاروني ففي صدرها قال ا تعالى اصنع بنـاء آدم كصورتنا كشبهنا قال أبو محمد رضي ا عنه ولو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى ا تعالى إضافة الملك والخلق كما تقول هـذا عمل ا وتقول للقرد والقبيح والحسن هـذه صـورة ا أي تصوير ا والصفة التي انفرد بملكها وخلقهـا لكـن قولـه كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجـب شبه آدم عز وجل ولابد ضرورة وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشى أن يكون لـه

مثل أو شبه فصل وبعد ذلك قال ونهر يخرج من عدن فيسقي الجنان ومن ثم يفترق فيصير أربعة رؤس.

اسم أحدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويله الـذي به الذهب وذهب ذلك البلد جيد وبها اللؤلؤ وحجارة البلور.

واسم الثاني جيجان وهو محيط بجميع بلاد الحبشة.

واسم الثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل.

واسم الرابع الفرات وأخذ ا آدم ووضعه في جنات عدن قال أبو محمد رضي ا عنه في هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزأ أول ذلـك أخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الـذي يخـرج مـن جنات عدن التي أسكن ا فيها آدم غذ خلقه ثم أخرجه منهـا إذ أكل من الشجرة التي نهاه ا تعالى عن أكلها وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبنصبة الربع المعمور من الأرض الذي هو في سماك الأرض أو من مشـى إلـى مصـر والشـام والموصل يدري أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيـل من عين الجنوب من خارج المعمور ومصبه قبالـة تنـيس وقبالة الإسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشـامي وأن مخرج الدجلة والفرات وجيجان من الشمال.

فأما جيجان فيخرج من بلاد الروم ويمر ما بين المصيصة وربضها المسمى كفرينا حتى يصب في البحر الشامي على أربعة أميال من المصيصة وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلاط من عمل أرمينية بقرب آمد من ديار بكر وتصب مياهها في البطائح المشهورة بقرب البصرة في أرض العراق متأخمه أرض العرب.

وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من قالى قلا قرب أرمينيه ثم يخرج إلى ملطيه ثم يأخذ على أعمال الرقه إلى العراق وينقسم إلى قسمين كلاهما يقع في دجلة فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخاص منها وا تعالى لا يكذب وأخرى وهي قوله إن النيل محيط ببلاد زويلة.

وجيجان محيط ببلاد الحبشة وهذه كذبة شنيعة فاحشة ما في جميع أرض السودان الحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل أصلاً ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ثم يجتمع فوق بلاد النوبة.

وكذبة ثالثة وهي قوله أن ببلاد زويلة اللؤلؤ الجيد وهذا كذب ما للؤلؤ بها مكان أصلاً إنما اللؤلؤ في مغاصاته في بحر فارس وبحر الهند وأنهار بالهند والصين وهذه

فضايح لا خفاء بها لم يقلها الله تعالى قط ولا إنسان يهاب الكذب.

فإن قال قائل فقد صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة قلنا نعم هذا حق لاشك فيه ومعناه هو على ظاهره بلا تكليف تأويل أصلاً وهي أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل.

فإن قيل قد صح عنه عليه السلام أنه قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة وروي عنه مقبري ومنبري روضة من رياض الجنة.

قلنا هذا حق وهو من أعلام نبوته لأنه أنذر بمكان قبره فكان كما قال وذلك المكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدي العمل فيه إلى دخول الجنة فهي روضة من رياضها وباب من أبوابها ومعهود اللغة أن كل شيء فاضل طيب فإنه يضاف إلى الجنة ونقول لمن بشرنا بخبر حسن هذا من الجنة وقال الشاعر.

روائح الجنة في الشباب.

وليس كذلك هذا الذي في توراة اليهود لأن واضعها لم يدعلها في لبس من كذبه بل بين أنه عنى النيـل المحـيط بأرض زويلة بلاد الذهب الجيد ودجلة التي بشرقي الموصـل وجيجان المحيط ببلاد الحبشة التي لم تخلق بعد فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجاً وأيضاً فإنهم لا يمكنهم ألبتـة تخريج ما في توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن في نص توراتهم أن الجنة التي أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التي فيها إنما هي هي شرقي عدن في الأرض لا في السماء كما نقول نحن فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلاً ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفـت فـي بيـان أنهـا موضوعة لم يأت بها موسى قط ولا هي من عند ا تعـالى فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر.

فإن قيل في القرآن ذكر سد يـأجوج ومـأجوج ولا يدري مكانه ولا مكانهم قلنا مكانه معروف في أقصى الشمال في آخر المعمور منه.

وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج في كتب اليهود التـي يؤمنون بها ويؤمن بها النصارى وقد ذكر يأجوج ومـأجوج والسد ارسطاطاليس في كتابه في الحيوان عند كلامه علـى

الغرانيق وقد ذكر سد يأجوج ومأجوج بطليموس في كتابـه المسمى جغرافيا.

وذكر طول بلادهم وعرضها وقد بعث إليه الواثـق أمير المؤمنين سلام الترجمان في جماعة معه حتـى وقفـوا عليه ذكر ذلك أحمد بن الطيب السرخسي وغيره وقد ذكـره قدامة بن جعفر والناس فهيهات خبر من خبر وحتى لو خفي مكان يأجوج ومأجوج والسد فلم يعـرف فـي شـيءٍ مـن المعمور مكانه لما ضر ذلك خبرنا شيئاً لأنه كان يكون مكانه حينئذ خاف خط الاستواء حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كما هو في الجهة الشمالية بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة والهواء كهواء بعض البلاد التي يوجد فيهـا النبات والتناسل.

واعلموا أن كل ما كان في عنصر الإمكان فادخلـه مدخل في عنصر الامتناع بلا برهان فهو كاذب مبطل جاهل أو مجاهل لاسيما إذا أخبر به من قد قام البرهان على صدق خبره وإنما الشأن في المحال الممتنع التي تكذبـه الحـواس والعيان أو بديهة العقل فمن جاء بهذا فإنما جاء ببرهان قاطع على أنه كذاب مفتر ونعوذ با من البلاء فصل ثم قال وقال

ا هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر والآن كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيى إلى الدهر فطرده ا من جنات عدن قال أبو محمد رضـي ا عنـه حكايتهم عن ا تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منـا مصيبة من مصائب الدهر وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثـر من واحد ولقد أدى هذا القول الخبيث المفتري كثيـراً مـن خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه ا تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منهـا آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً مـن جملة الآلهة نعوذ با من هذا الكفر الأحمق ونحمده إذ هدانا للملة الزهراء الواضحة التي تشهد سلامتها من كل دخل بأنها من عند ا تعالى فصل وبعد ذلك وأسكن في شـرقي جنـة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب بحراسة شـجرة الحيـاة ورأيت في نسخة أخرى منها ووكل بالجنان المشتهر إسرافيل ونصب بين يديه رمحاً نارياً ليحفظ طريق شجرة الحياة قال أبو محمد رضي ا عنه إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم وإلا فلا أدري كيف هذا فصل وبعد ذلك قال ا تعالى كـل من قتل قابيل نفاديه إلى سبعة ولاتنا كربين جميعهم فـي أن

لامك بن متوشائيل بن محويائيل ابن عيراد بن حنوك بـن
قابين هو الذي قتل قابين جد جد أبيه وأ ه لم يقل به فنسـبوا
إلى ا تعالى الكذب لأنه وعده أن يفديه إلى السبعة ولم يفده
وأيضاً فإن ذكر السبعة هنا حمق لأن لامك الذي قتلـه هـو
الخامس من ولد قابين وقابين هو الخامس من آباء لامك فلا
مدخل للسبعة ههنا فصل وقبل هذا ذكر هابيل بن آدم وأنـه
راعي غنم ثم قال قبل ذلك بنحو ورقتين أن لامك المـذكور
آنفاً اتخذ امرأتين اسم إحداهما عادة والثانية صـلة وولـدت
عادة يابال وهو أول من سكن الأخبية وملك الماشية وهاتـان
قضيتان تكذب إحداهما الأخرى ولابد فصل وبعد ذلك قـال
فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض وولد لهم البنـات
فلما رأى أولاد ا بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نسـاء
وقال بعد ذلك كان يدخل بنو ا إلى بنات آدم ويولـد لهـم
حراماً وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء وهذا حمق
ناهيك به وكذب عظيم إذ جعل ا أولاداً ينكحون بنـات آدم
وهذه مصاهرة تعالى ا عنها حتى أن بعض أسلافهم قـال
إنما عني بذلك الملائكة وهذه كذبة إلا أنها دون الكذب فـي
ظاهر اللفظ فصل وفي خلال هذا قال لا يدين روحـي فـي

الإنسان إلى الدهر إذ هم منتشرون لزيغانه هو بشر فتكـون أعمارهم مائة وعشرين سنة وهذا كذب فاحش ومصيبة الأبد لأنه ذكر بعد هذا القول أن سام بن نوح عـاش بعـد ذلـك ستمائة سنة وارفحشاذ ابن سام عاش أربعمائة وخمساً وستين سنة وشالخ ابن ارفحشاذ عاش أربعمائة سنة وثلاثاً وثلاثـين سنة وعار بن شالخ عاش أربعمائة سنة وأربعاً وستين سـنة وفالغ بن عار عاش مائتي سنة وسبعاً وثلاثين سنة رعو بن فالغ عاش مائتي سنة وتسعاً وعشرين سنة وسروغ بن رعو عاش مائتي سنة وثلاثين سنة وناحور بن سروغ عاش مائة وثمان وأربعين سنة وتارح بن ناحور عـاش مـائتي سـنة وخمسين سنة وإبراهيم بن تارح عاش مائـة سـنة وخمسـاً وسبعين سنة وإسحاق بن إبراهيم عاش مائة سـنة وثمـانين سنة وإسماعيل ابن إبراهيم عاش مائة سنة وسبعاً وثلاثـين سنة ويعقوب بن إسحاق عاش مائة سنة وسبعاً وأربعين سنة ولاوي بن يعقوب عاش مائة سـنة وسـبعاً وثلاثـين سـنة وعمران بن فهث عاش كذلك أيضاً وفهث بن لاوي عـاش مائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة وإن سارح بنت أشـر ومـريم بنت عمران وهارون بن عمران عاش كل واحد منهم أزيـد

من مائة وعشرين سنة بسنيهم فأعجبوا لهذه الفضائح ولعقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الإفك الذي لا خفـاء به فصل وبعد ذلك ذكر أن متوشالح بن حنوك بن مارد عاش تسعمائة سنة وتسعاً وستين سنة وأنه ولد له لامك وهو ابـن مائة سنة وسبع وثمانين سنة وأن لامك المذكور إذ بلغ مائـة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له نوح عليه السلام فلا شك من أن متوشالح كان إذ ولد له نوح بن ثلاثمائة سنة وتسع وستين سنة فوجب من هذا ضرورة أن نوحاً عليه السلام كان ابـن ستمائة سنة إذ مات متوشالح فاضبطوا هذا ثم قـال إن فـي اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ستمائة من عمر نوح اندفعت المياه بالطوفان ثم قـال إن فـي اليـوم سـبعة وعشرين يوماً من الشهر الثاني من سنة إحدى وستمائة لنوح خرج نوح من التابوت يعني السفينة هو ومن كان معه فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها أن متوشالح بن حنوك دخـل السفينة وأنه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام وقد قطع فيها وبت على أنه لم يدخل التابوت أحـد مـن الناس إلا نوح وبنوه الثلاثة وامرأة نوح وثلاثة نساء لأولاده وقد قطع فيها وبت على أنه لم ينج من الغرق إنسي أصـلاً

ولا حيوان في غير التابوت وهذه كذبات تفواضح نعوذ بـ ا من مثلها لأن في نصوص توراتهم كما أوردنا أن متوشـالح لم يغرق لأنه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية سـتماية سنة لنوح وفي نصها أنه استوفاها وأيضاً فإنه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط وأبطلوا أن يكون دخل التابوت إذ قطعوا بأنه لم يدخلها إنسي إلا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم وأبطلوا أن ينجو في غير التابوت بقطعهم أنه لم ينج إنس ولا حيوان في غير التابوت ولابد لمتوشالح من أحد هذه الوجوه الثلاثة فلاح الكذب البحت في نقل توراتهم ضرورة وتـيقن كل ذي عقل أنها غير منزلة من ا تعالى ولا جاء بها نبـي أصلاً لأن ا تعالى لا يكذب والأنبياء لا تأتي بالكذب فصح يقيناً أنها من عمل زنديق جاهل أو مستخف متلاعـب بهـم ونعوذ با من مثل مقامهم وفي هذا الفصل كفايـة فكيـف ومعه أمثاله كثيرة فصل وبعد ذلك أن نوحاً إذ بلغه فعل ابنه حام أبي كنعان قال ملعون أبو كنعان عبد العبيد يكون لإخوته مستعبداً يكون لأخويه.

يبارك الإله ساماً ويكون أبو كنعان عبداً لهم.

إحسان ا ليافث ويسكن في أخبية سام ويكون أبـو كنعان عبداً لهم ثم نسي نفسه المحرف أو تعاظم استخفافاً بهم فلم يطل لكنه بعد ستة أسطر قال إذ ذكر أولاد حام فقال بنو حام كوش ومصرايم وفوحا وكنعان وبنـو كـوش وصـبان وزويلة ورغاوة ورعمة وسفتخا وبنور عمة السـند والهنـد وكوش ولد نمردود الذي ابتدأ يكون جبار في الأرض الـذي كان جبار صيد بين يدي ا عز وجل وكان أول مملكته بابل فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح في خبره وهو بـإقرارهم نبي معظم جداً وإذ وصف أن ولد أبي كنعان صاروا ملوكـاً على إخوة بني كنعان وعلى بنيهم ثم العجب كله أن على ما توجبه توراتهم كان ملك نمرود بن كوش بن كنعان بن حـام على جميع الأرض ونوح حيوسام بن نوح حي لأن في نص توراتهم أن نوحاً عاش إلى أن بلغ إبراهيم بن تـارح عليـه السلام ثمانية وخمسين عاماً وأن سام بن نوح عاش إلـى أن بلغ يعقوب وعيصا ابنا إسحق بن إبراهيم عليهمـا السـلام خمساً وأربعين سنة على ما ذكره من مواليدهم أبا فأبا فمالنا نرى خبر نوح معكوساً فإن قالوا إن السودان تملكوا اليوم قلنا وفي السودان ملك عظيم جداً وممالك شتى كعانة والحبشـة

والنوبة والهند والتبت والأمر بينهم سواء يملكون طوايف من بني سام كما يملك بنو سام طوايف منهم وحاش أن يكذب نبي فصل وقال توراتهم أن نوحاً لما بلغ خمسمائة سنة ولـد له يافث وسام وحام ثم ذكر أن نوحاً إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة وقال بعد ذلك أن سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد ارقكشاد لسنتين بعد الطوفان وهذا كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم لأنه إذا كان نـوح إذ ولد له سام ابن خمسمائة سنة وبعد مائة سنة كان الطوفـان فسام حينئذ ابن مائة سنة وإذ ولد له بعد الطوفـان بسـنتين ارفحشاد ابن مائة سنة وسنتين وفي نص توراتهم أنه كـان ابن مائة سنة وهذا كذب لا خفاء به حاش من مثله فصـل وبعد ذلك أن ا تعالى قال لإبراهيم اعلم علماً أنه سـيكون نسك غريباً في بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعماية سنة وأيضاً القوم الذين يعذبونهم يحكم لهم وبعد ذلك بشـرح عظيم وأنت تسير لآبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ههنا قال أبو محمد رضي ا عنه في هذا الفصل على قلته كـذبتان فاحشـتان شـنيعتان منسوبتان إلى ا تعالى وحاش الكذب والخطـأ فأحـدهما

قوله والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ههنا وهذا كـذب لا خفاء به لأن الجيل الأول من بني إبراهيم عليه السلام وهم إسحاق وإخوته عليهم السلام والجيل الثـاني هـم يعقـوب وعيصا وبنو أعمامهما والجيل الثالث أولاد يعقوب لصـلبه وهم دوبان وشـمعون ويهـوذا ولاوي وسـاخار وزابلـون ويوسف وبنيامين وادي وهباد وعاذ واشـاد وأولاد عيصـا ومن كان في تعدادهما من سائر عقب إبراهيم والجيل الرابع هم أولاد هؤلاء المذكورين وهم والجيـل الثالـث آبـاؤهم ويعقوب جدهم هم الداخلون مصر لا الخارجون منها بـنص توراتهم وإجماعهم كلهم بلا خلاف من أحد منهم وإنما رجع إلى الشام بنص توراتهم وإجماعهم كلهم الجيل السادس مـن أبناء إبراهيم وهم أولاد الجيل الرابع المذكور وما رجع مـن الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحـد إلـى الشـام وحاشى من أن يكذب في خبره.

فإن قيل إنما تعد الأجيال من الجيل المعذب قلنا هـذا خلاف نص توراتهم لأن نصها الجيل الرابـع مـن الأبنـاء وأيضاً فإنه لم يعذب أحد من أولاد يعقوب بل كانوا مبرورين وهم الجيل الثالث بنص توراتهم حرفاً حرفاً على ما نـورد

بعد هذا إن شاء ا   تعالى فإنما ابتدأ التعذيب في أبناء يعقوب وهم الداخلون مع آبائهم وهم الجيل الرابع فعد من حيث شئت لست تخرج من شرك الكذب الفاضح وفي هذا كفاية والكذبة الثانية طامة من الطمات وهي قوله لإبراهيم أن نسلك سيكون غريباً في بلاد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سـنة من وقت بدإ بتعذيب بني إسرائيل بمصر فإنما ذلك بعد موت يوسف عليه السلام إلى أن خرج بهم موسى عليه السلام نصاً إذ في سياق توراتهم ولما مات يوسف وجمع إخوتـه وذلـك الجيل كله كثير بنو إسرائيل وتكاثروا وتقووا فملكوا الأرض وولى عند ذلك بمصر ملك جديد لم يعرف يوسف فقال لأهل مملكته إن بني إسرائيل قد كثروا وصاروا أقوى منـا فـإذ دلوهم بيننا نعماً لئلا يزدادوا كثرة ويكونوا عوناً لمـن رام محاورتنا فقدم عليهم أصحاب صناعته لسخرتهم هذا نـص توراتهم شاهدة بما قلنا وقد ذكر في توراتهم إذ ذكر من دخل مع يعقوب من ولده وولد ولده أن فاهث بن لاوي بن يعقوب والد عمران بن فاهات وهو جد موسى عليه السـلام وكـان ممن ولد بالشام ودخل مصر مع أبيه لاوي وجـده يعقـوب وذكر فيها أيضاً أن جميع عمر فاهات المـذكور ابـن لاوي

وكان مائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة وأن جميع عمر عمـران بن فاهاث المذكور كان مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة وذكـر فيها نصاً أن موسى عليه السلام كان إذ خرج ببني إسـرائيل من مصر ابن ثمانين سنة هكذا كله نـص تـوراتهم حرفـاً بحرف بإجماع منهم أولهم عن آخرهم فهبك أن فاهاث كـان إذ دخلها ابن أقل من شهر وأن عمران ولد له سنة موته وأن موسى ولد لعمران سنة موته فالمجتمع من هذا العـدد كلـه ثلاثمائة سنة وخمسون سنة وهذه كانت مدتهم بمصر من يوم دخولها إلى أن خرجوا عنهـا علـى هـذا الحسـاب فـأين الأربعماية سنة فكيف ولا بد أن يسقط سن فاهـاث إذ دخـل مصر مع أبيه لاوي المدة التي كانت من ولادة عمران لفاهث إلى موت فاهاث والمدة التي كانت من ولادة موسـى عليـه السلام إلى موت ابنه عمران وفي كتب اليهـود أن فاهـاث دخل مصر وله ثلاث سنين وأنه كان إذ ولد له عمران ابـن ستين سنة وأن عمران كان إذ ولد له موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة فعلى هذا لم يكن بقاء بني إسرائيل بمصـر مـذ دخلوها مع يعقوب إلى أن خرجوا منها مع موسى إلا مائتي عام وسبعة عشر عاماً فأين الأربعمائة عام فكيف ولابـد أن

يسقط من هذا العدد الأخير مدة حياة يوسف مذ دخل إخوتـه وأبوهم وبنوهم مصر إلى أ مات يوسف عليه السلام فطـول هذا الأمد لم يكونوا مستخدمين ولا معذبين ولا مستعبدين بل كانوا أعزاء مكرمين وفي نص توراتهم أن يوسـف عليـه السلام كان إذ دخل على فرعون ابن ثلاثين سنة ثـم كانـت سنو الخطب سبع سنين وبدأت سنو الجوع ودخـل يعقـوب ونسله مصر بعد سنتين من سني الجوع فليوسف حينئذ تسع وثلاثون سنة وفي نص توراتهم أن يوسف كان إذ مات ابـن مائة سنة وعشر سنين فصح أن مدتهم مذ دخلوا مصر إلـى أن مات يوسف عليه السلام كانت إحدى وسبعين سنة فقـط ولابد فالباقي مائة سنة وست وأربعون سنة يسقط منها ولابد بنص توراتهم مدة بقاء من بقي من إخوة يوسف بعـده ولـم نجد من ذلك إلا عمر لاوي فقط فإنه على نص التوراة كـان يزيد على يوسف ثلاثة أعوام أو أربعة فعاش بعـد يوسـف ثلاثة وعشرين عاماً فقط ولابد من هذا العدد فالبـاقي مائـة سنة وثلاث وعشرون سنة هذه مـدة عـذابهم واسـتخدامهم واستعبادهم على أبعد الأعداد وقد تكون أقل فأين الأربعمائة سنة ولعل وقاح الوجه أن يقول ما أعد ذلك إلا مـن دخـول

يوسف مصر مستعبداً مستخدماً معذباً ثم مسجوناً فاعلم أنه لا يزيد على المأتي عام وسبعة عشر عاماً التي ذكرنا قبل اثنين وعشرين عاماً فقط فذلك مائتا عام وتسعة وثلاثون عاماً فأين الأربعماية سنة فظهر الكذب المفضوح الذي لا يدري كيـف خفي عليهم جيلاً بعد جيل ورأيت لنزل منهم مقالـة ظريفـة وهي انه ذكر هذه القصة وقال إنمـا ينبغـي أن تعـد هـذه الأربعماية سنة من حين خاطب ا عز وجل إبراهيم بهـذا الكلام قال أبو محمد رضي ا عنـه وأراد هـذا السـاقط الخروج من مزبلة فوقع في كنيف عذرة لأنه جاهر بالباطـل وتعجل الفضيحة ونسبة الكذب إلى ا تعـالى إذ نـص مـا حكوه عن ا تعالى أنه قـال لإبـراهيم أن نسـلك يسـتعبد أربعمائة سنة ولم يقل له قط من الآن إلى انقضاء استخدامهم أربعمائة سنة وأيضاً فإن نص توراتهم أن ا تعالى إنما قال هذا الكلام لإبراهيم قبل ولادة إسماعيل هـذا أيضـاً فكـان إبراهيم حينئذ ابن أقل من ستة وثمانين عاماً ثم عـاش بعـد ذلك أربعة عشر عاماً وولد له إسحاق وعاش إسحاق مائـة وثمانين وسنة ومات إسحاق وليعقوب ماية وعشرون سـنة ودخل يعقوب مصر وله ماية وثلاثون سنة كل هذا نصوص

توراتهم بلا اختلاف منهم ممات إسحاق قبل دخول يعقـوب مصر بعشرة أعوام فمن حين ادعوا أن ا تعالى قـال هـذا الكلام لإبراهيم إلى دخول يعقوب مصر مايتا عـام وأربعـة أعوام ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى عنها كما ذكرنا مائة عام وسبعة عشر عاماً فحصنا على أربعمائة عام وأربعة وعشرين عاماً فلا منجا من الكذب إمـا بزيـادة أو نقصان وحاش أن يكذب في حساب بدقيقة فكيف بـأعوام وا خالق الحساب ومعلمه عباده ومعاذ ا أن يكذب موسى عليه السلام أو يخطىء فيما أوحى ا تعالى إليه فوضح يقيناً لكل من له أدنى فهم يقيناً كما أن أمس قبل اليوم أنها ليسـت من عند ا تعالى ولا من أخبار نبي ولا من تـأليف عـالم يتقي الكذب ولا من عمل من يحسن الحسـاب ولا يخطـىء فيما لا يخطي فيه صبي بحسن الجمـع والطـرح والقسـمة والتسمية ولكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ماجن سخر بهم وتطايب منهم وكتب لهم ماسخهم ا به وجوههم عاجلاً في الدنيا بالفضيحة وآجلاً في الآخرة بالنار والخلود فيهـا أو من عمل تيس أرعن تكلف إملاء ما لم يقم بحفظه جاهل مع ذاك مظلم الجهل بالهيئة وصفة الأرض وبالحسـاب وبـا

تعالى وبرسله صلى ا عليهم وسلم فأملى ما خرج إلى فهمه من خبيث وطيب ولقد كان في هذا الفصل كفاية لمن نصـح نفسه لو لم يكن غيره فكيف ومعه عجائب جمة ونحمـد ا تعالى على نعمة الإسلام كثيراً فصل وبعد ذلك ذكـر أن ا تعالى قال لإبراهيم لنسلك أعطي هذا البلد من نهـر مصـر النهر الكبير إلى نهر الفرات وهذا كذب وشهرة من الشـره لأنه إن كان عني بني إسرائيل وهكذا يزعمون فما ملكوا قط من نهر مصر ولا على نحو عشرة أيام منه شبراً مما فوقـه وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس وفي هذه المسافة الصحاري المشهورة الممتدة والحضـار ثـم دفـج وغـزة وعسقلان وجبال الشراه التي لم تزل تحـاربهم طـول مـدة دولتهم وتذيقهم الأمرين إلى انقضاء دولتهم ولا ملكوا قـط من الفرات ولا على عشرة أيام منه بل بين أخر حوز بنـي إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخاً فيها قنسرين وحمص التي لم يقبوا منها قط ثم دمشق وصور وصيدا التي لم يزل أهلها يحاربونهم ويسـومونهم الخسـف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم وحاش   عـز وجل أن يخلف وعده في قدر دقيقة من سرابة فكيـف فـي

تسعين فرسخاً في الشمال ونحوها في الجنوب ثم قوله النهر الكبير وما في بلادهم التي ملكوا نهر يذكر إلا الأردن وحده وما هو بكبير إنما مسافة مجراه مـن بحيـرة الأردن إلـى مسقطه في البحيرة المتننة نحو ستين ميلاً فقط فإن قال قائل إنما عنى ا بهذا الوعد بني إسماعيل عليه السلام قلنا وهذا أيضاً خطأ لأن هذا القدر المذكور ههنا من الأرض أقل مـن جزء من مائة جزء مما ملك ا عز وجل بني إسماعيل عليه السلام وأين يقع ما بين مصب النيل عند تنيس وبين الفرات من آخر الأندلس على ساحل البحر المحيط وبـلاد البربـر كذلك إلى آخر السند وكابل مما يلي بلاد الهند ومن سـاحل اليمن إلى ثغور أرمينية وأذربيجان فما بين ذلك والحمـد رب العالمين فكيف وهذه الدعوى باطلـة لأن ذلـك الكـلام بعضه معطوف على بعض فالموعودون بملك ذلك البلد هـم المتوعدون بأنهم يتملكون ويعذبون في البلد الآخر وقد أكرم ا تعالى بني إسماعيل وصانهم عن ذلك فوضـح الكـذب الفاحش في الأخبار المذكورة وصح أنه ليس من عند ا عز وجل ولا من كلام نبي أصلاً بل من تبـديل وغـد جاهـل كالحمار بلادة أو متلاعب بالدين وفاسد المعتقد ونعوذ بـا

من الخذلان فصل ومنها أن الله تعالى قال لإبراهيم أنـا الله الذي أخرجتك من أتون الكردانيين لأعطيك هذا البلد حـوراً فقال له إبراهيم يا رب بماذا أعرف أني أرث هذا البلد قـال أبو محمد رضي الله عنه حاشى لله أن يقول إبراهيم صـلى الله عليه وسلم لربه هذا الكلام فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل حتى طلب على ذلك برهاناً فإن قال قائـل جاهـل ففي القرآن أنه قال رب أرني كيف تحيي الموتى وأن زكريا قال لله تعالى إذ وعده بابن يسمى يحيى رب اجعل لي آيـة قلنا بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب أما طلب إبراهيم عليه السلام رؤية إحياء الموتى فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية في ذلك فقط.

بيان ذلك قوله تعالى له أولم تؤمن قال بلـى ولكـن ليطمئن قلبي فوضح أن إبراهيم لم يطلب ذلك برهاناً علـى شك أزاله عن نفسه لكن ليرى الهيئة فقط وأما زكريا عليـه السلام فإنما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكـذبوه هـذا نص كلامه والذي ذكروه عن إبراهيم عليه السلام كلام شاك يطلب برهاناً يعرف به صحة وعد ربه له تعالى الله عن ذلك وحاشى لإبراهيم منه فصل وبعد ذلك قال وتجلى الله لإبراهيم

عند بلوطات ممرأ وهو جالس عند باب الخباء عنـد حمـي النهار ورفع عينيه ونظر فإذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظـر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الأرض وقال يا سيدي إن كنت قد وجدت نعمة في عينك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشـجرة وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون فمن أجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا اصـنع كمـا قلـت فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة وقال لها اصنعي ثـلاث صيعان من دقيق سميذ اعجنيه واصنعي خبز ملة وحضـر إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً سميناً ودفعـه للغـلام واستعجل بإصلاحه وأخذ سمناً ولبناً والعجل الذي صـنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال كلـوا قال أبو محمد رضي ا عنه في هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ با من قليل الضلال وكثيره فأول ذلك إخباره أن ا تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلثة النفـر فأسـرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية فإن كان أولئك الثلاثة هم ا فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة بل هو أشد من التثليث لأنـه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص وقد

رأيت في بعض كتاب النصارى الاحتجاج بهذه القضية فـي إثبات التثليث وهذا كما ترى في غاية الفضيحة فـإن كـان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم في ذلـك أيضـاً فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه أولها مـن المحـال والكذب أن يخبر بأن ا تعالى تجلى له وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة وثانيها أن يخاطب أولئـك الملائكـة بخطـاب الواحد وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصـل وهذا أيضاً محال في الخطاب وثالثها سجوده للملائكة فـإن من الباطل أن يسجد رسول ا صلى ا عليه وسلم وخليلـه لغير ا تعالى ولمخلوق مثله فهذه كذبة وإن قالوا بل سجد فهذه كذبة ولابد وأن يكون ا عندهم هم الثلاثـة المتجلـون لابد من إحداها وعادة البلية أشد ما كانت ورابعها خطابه لهم بأنه عبدهم فإن كان المخاطب بذلك هـو ا تعـالى وهـو المتجلي له فقد عادت البليـة وإن كـان المخـاطبون بـذلك الملائكة فحاشى أن يخاطب إبراهيم عليه السلام بالعبودية غير ا تعالى ومخلوقاً مثله مع أن من المحال أن يخاطـب ثلاثة بخطاب واحد وخامسها قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم فهذه الحالـة

لئن كان خاطب بهذا الخطاب ا تعالى فهي التي لا ســوي لها ولا بقية بعدها والتي تملأ الفم وإن كان خاطـب بـذلك الملائكة فهذا أكذب لأن إبراهيم عليه السـلام لا يجهـل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز فهذه على كل حـال كذبة باردة سمجة فإن قالوا ظنهم ناساً قلنا هذا أكذب لأن في أول الخبر يخبر أن ا تجلى له وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق حاش له من هذا الضلال وسادسها إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن وحاشى له أن يكون هذا خبراً عن ا تعالى لا ولا عن الملائكة أين هذا الكذب البارد الفاضح الذي يشبه عقول اليهود المصدقين بـه مـن الحـق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول ا عز وجل فـي هذه القضية نفسها ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قـالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخـف إنـا أرسلنا إلى قوم لوط الآيات هيهات نور الحق مـن ظلمـات الكذب والحمد رب العالمين كثيراً وفيها أيضاً وجه سابع ليس كهذه الوجوه في الشناعة وهو إقرارهم بـأن إبـراهيم أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً والربـانيون مـنهم

يحرمون هذا اليوم فأقل ما فيه النسخ على أن يكون سلامته من أطم الدواهي والسلامة وا منهم بعيدة فصل ثم قال متصلاً بهذا الفصل وقالوا له أين سارة زوجتك فقال ها هي ذه في الخباء قال سأرجع إليك مثل هذا الوقت من قابل ويكون لها ابن وسارة تسمع في الخباء وهو وراءها وكان إبراهيم وسارة شيخين قد طعنا في السن وانتهى لسارة أن لا يكون لها عادة كالنساء فضحكت سارة في نفسها قائلة أبعد أن نليت يصير لي ذا وسيدي شيخ قال ا لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة هل لي أن ألد وأنا عجوز وهل يخفى عن ا أمري في هذا الوقت إذ قال عز من قائل يكون لسارة ابن فجحدت سارة وقالت لم أضحك لأنها خافت وقال السيد ليس كما تقولين بل قد ضحكت فقام القوم من ثم قال أبو محمد رضي ا عنه عاد الخبر بين سارة وإبراهيم وبين ا عز وجل وعاد الحديث الماضي ثم في هذا زيادة أن ا تعالى قال أن سارة ضحكت وقالت سارة لم أضحك فقال ا بلى قد ضحكت فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء وحاش لسارة الفاضلة المنبأة من ا عز وجل بالبشارة من أن تكذب ا عز وجل فيما يقول وتكذب هي في ذلك فتجحد ما فعلت

فتجمع بين سوأتين إحداهما كبيرة من الكبائر قد نزه ا عز وجل الصالحين عنها فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمر وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ونعوذ با من الضلال فصل وبعد ذلك وصف أن الملكين باتا عند لوط وأكلا عنده الخبز الفطير وأن لوطاً سجد لهما على وجه الأرض وتعبد لهما وقد مضى مثل هذا وأنه كذب وأن الملائكة لا تأكل فطيراً ولا مختمراً وأن الأنبياء عليهم السلام لا يسجدون لغير ا تعالى ولا يتعبدون لسواه فصل وذكر أن إبراهيم عليه السلام قال عز وجل إذ ذكر له هلاك قوم لوط في كلام كثير أنت معاذ من أن تصنع هذا الأمر لا تقتل الصالح مع الطالح فأنت معاذ يا حاكم جميع العالم من هذا ولم ينكر ا تعالى عليه هذا القول وقال بعد ذلك إن لوطاً كلم أصحابه المتزوجين بناته وقال لهم اخرجوا من هذا الموضع فإن ا مهلكهم وأنه صار عندهم كاللاعب ثم قال بعد ذلك إن الملائكة أمسكوا بيد لوط وبيد زوجته وابنتيه لشفقة ا عليهم وأخرجوهم خارج القرية ثم ذكر هلاك القرية بكل ما فيها قال أبو محمد رضي ا عنه لا تخلو أصهار لوط وبنوه وبناته الناكحات من أن يكونوا

صالحين أو طالحين فإن كانوا صـالحين فقـد هلكـوا مـع الطالحين وبطل عقد ا   تعالى مع إبراهيم في ذلك وحاشى من هذا وإن كانوا طالحين فكيف تـأمر الملائكـة بـإخراج الطالحين وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم فلابد من الكـذب فـي أحد الوجهين وبالجملة فأخبارهم معفونة جداً فصل وبعد ذلك قال وأقام لوط في المغارة هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى أبونا شيخ وليس في الأرض أحد يأتينا كسبيل النساء تعـالي نسق أبانا الخمر ونضاجعه ونستبق منه نسلاً فسـقتا أباهمـا خمراً في تلك الليلة فأتت الكبرى فضاجعت أباها ولـم يعلـم بنومها ولا بقيامها فلما كان من الغد قالت الكبرى للصـغرى قد ضاجعت أبي أمس تعـالي نسـقيه الخمـر هـذه الليلـة وضاجعيه أنت ونستبقي من أبينا نسلاً فسقتاه تلك الليلة خمراً وأتت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها وحملت ابنتا لوط من أبيهما فولدت الكبرى ابناً وسمته مواب وهو أبو الموابين إلى اليوم وولدت الصغيرة ابناً سمته ابن عمي وهو أبو العمونيين إلى اليوم وفي السفر الخـامس مـن التـوراة بزعمهم أن موسى قال لبني إسرائيل إن ا   تعالى   قال لمـا انتهينا إلى صحراء بني مواب قال لي لا تحارب بني مواب

ولا تقاتلهم فإني لم أجعل لكم فيما تحت أيديهم سهماً لأني قد ورثت بني لوط أدوا وجعلتها مسكناً لهم ثم ذكر أن موسـى قال لهم إن ا تعالى قال له أيضاً أنت تخاف اليوم حوز بني مواب المدينة التي تدعي عاد وتنزل في حوز بني عمون فلا تحاربهم ولا تقاتل أحداً منهم فإني لم أجعل لكم تحت أيـديهم سهماً لأنهم من بني لوط وقد ورثتهم تلك الأرض قال أبـو محمد رضي ا عنه في هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين با تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام فأولها ما ذكر عن بنتي لوط عليه السلام مـن قولهما ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء تعالي نسـق أبانا خمراً ونضاجعه ونستبق منه نسلاً فهذا كلام أحمق فـي غاية الكذب والبرد أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضـاجعهما إن هـذا لعجـب فكيـف والموضع معروف إلى اليوم ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه وبين قرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلا فرسخ واحد لا يزيد وهو ثلاثة أميال فقـط فهـذه سوأة والثانية إطلاق الكذاب الواضع لهذه الخرافة لعنـه ا هذه الطومة على ا عز وجل من أنه أطلق نبيـه ورسـوله

صلى ا عليه وسلم على هذه الفاحشة العظيمـة مـن وطء ابنتيه واحدة بعد أخرى فإن قالوا لا ملامة عليه في ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران وهو لا يعلم من هما قلنا فكيف عمل إذ رآهما حاملتين وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغيـر رشـدة وإذ رآهما تربيان أولاد الزنا هذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقـة المبالغين في الاستخفاف با تعالى وبرسله علـيهم السـلام والثالثة إطلاقهم على ا تعالى أنه نسب أولاد ذينك الزنيمين فرخي الزنا إلى ولادة لوط عليه السلام حتى ورثهما بلـدين كما ورث بني إسرائيل وبني عيسو ابني إسحاق سواء سواء تعالى ا عن هذا علواً كبيراً فإن قالوا كان مباحاً حينئذ قلنا فقد صح النسخ الذي تنكرونه بلا كلفة وقـال قبـل هـذا إن إبراهيم إذ أمره ا تعالى بالمسير مـن حـران إلـى أرض كنعان أخذ مع نفسه امرأته سارة وابن أخيه لوط بن هـاران وذكروا في بعض توراتهم أنه كلمته الملائكة وأن ا تعـالى أرسلهم إليه فصح بإقرارهم أنه نبي ا عـز وجـل وهـم يقولون أنه بقي في تلك المغارة شريداً طريداً فقيراً لا شـيء له يرجع إليه فكيف يدخل في عقل من لـه أقـل إيمـان أن إبراهيم عليه السلام يترك ابن أخيه الذي تغرب معه وآمن به

ثم تنبأ مثله يضيع ويسكن في مغارة مع ابنتيه فقيـراً هالكـاً وهو على ثلاثة أميال منه وإبراهيم على ما ذكر في التوراة عظيم المال مفرط الغنى كثير اليسار من الـذهب والفضـة والعبيد والإماء والجمال والبقر والغنم والحمير ويقولون فـي توراتهم أنه ركب في ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشـر مقـاتلاً لحرب الذين سبوا لوطاً وماله حتى استنقذوه ومالـه فكيـف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع ليست هذه صفات الأنبيـاء ولا كرامة ولا صفات من فيه شيء من الخيـر لكـن صـفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلوا بها ونعوذ بـا مـن الخذلان فصل وفي موضعين من توراتهم المبدلة أن سـارة امرأة إبراهيم عليه السلام أخذها فرعون ملك مصر وأخذها ملك الخلص أبو مالك مرة ثانية وأن ا سبحانه وتعالى أرى الملكين في منامهما ما أوجب ردها إلى إبراهيم عليه السلام وذكر أن سن إبراهيم عليه السلام إذ انحدر من حران خمسة وسبعون عاماً وأن إسحق ولد له وهو ابن مائة سنة ولسـارة إذ ولد تسعون عاماً فصح أنه كان يزيد عليها عشر سـنين وذكر أن ملك الخلص أخذها بعد أن ولدت إسـحاق وهـي

عجوز مسنة بإقرارها بلسانها إذ بشرت بإسحاق فكيف بعـد أن ولدته وقد جاوزت تسعين عاماً ومن المحال أن تكون في هذا السن تفتن ملكاً وأن إبراهيم قال في كلتا المـرتين هـي أختي وذكر عن إبراهيم أنه قال للملك هي أختي بنـت أبـي لكن ليست من أمي فصارت لي زوجة فنسـبوا فـي نـص توراتهم إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته وقد وقفـت على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم وهو إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغزالي فقال لـي إن نـص اللفظة في التوراة أخت وهي لفظة تقع في العبرانيـة علـى الأخت وعلى القريبة فقلت يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القريبة ههنا قوله لكن ليست من أمي وإنما هي بنـت أبـي فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب وأقل ما في هـذا إثبـات النسخ الذي تفرون منه فخاط ولم يأت بشيء فصل ثم ذكـر موت سارة وقال تزوج إبراهيم عليه السلام امـراة اسـمها قطورة وولدت له زمران ويقشان ومدان ومـديان ويشـبق وشوحا وأعطى إبراهيم جميع ماله لإسحاق وأعطـى بنـي الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق قال أبو محمد رضـي ا عنه هذا نص الكلام كله متتابعاً مرتباً ولم يذكر له زوجة في

حياة سارة ولا أمة لها ولد إلا هاجر أم إسماعيل عليه السلام ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا أمة ولا ولداً غير قطـورة وبنيها وفي كتبهم أن قطورة هذه بنت ملك الربذ وهو موضع عمان اليوم بقرب البلقا وهذه أخبار يكذب بعضـها بعضـاً

فصل ثم ذكر أن رفعة بنت بتوئيل بن تارخ زوجة إسـحاق عليه السلام كانت عاقراً قال فشـفعه ا وحملـت وازدحـم الولدان في بطنها وقالت لو علمت أن الأمر هكذا كان يكون ما طلبته ومضت لتلتمس علماً من ا عز وجل فقال لها ا في بطنك أمتان وحزبان يفترقان منه أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير فلما كانت أيام الولادة إذا بتؤمين في بطنها وخرج الأول أحمر كله كفروة من شعر فسمي عيسـو وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب عيسو فسماه يعقوب قال أبو محمد رضي ا عنه لا مؤنة على هؤلاء السفلة في أن ينسبوا الكذب إلى ا عز وجل وحاش أن يكـذب ولا خلاف بينهم في أن عيسو لم يخدم قط يعقوب وأن بني عيسو لم تخدم قط بني يعقوب بل في التوراة نصاً أن يعقوب سجد على الأرض سبع مـرات لعيسـو إذ رآه وأن يعقـوب لـم يخاطب عيسو إلا بالعبودية والتذلل المفرط وأن جميـع أولاد

يعقوب حاشا بنيامين الذي لم يكن ولد بعد كلهم سجدوا لعيسو وأن يعقوب أهدى لعيسو مداراة له خمسمائة رأس وخمسين رأساً من إبل وبقر وحمير وضأن ومعز وأن يعقوب رآها منة عظيمة إذ قبلها منه وأن بني عيسو لم تزل أيديهم على إقفاء بني إسرائيل من أول دولتهم إلى انقطاعها إما يتملكون عليهم أو يكونون على السواء معهم وأن بني إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بني عيسو فأعجبوا لهذه الفضائح أيها المسلمون واحمدوا ا على السلامة مما ابتلي به غيركم من الضلال والعمى فصل ثم ذكر أن إسحاق قال لابنه عيسو يا بني ق شخت ولا أعلم يوم موتي فاخرج وصد لي صيداً واصنع لي منه طعاماً كما أحب وائتني به لآكله كي تباركك نفسي قبل أن أموت وإن رفقة أم عيسو ويعقوب أمرت يعقوب ابنها أن يأخذ جديين وتصنع هي منهما طعاماً ويأتي يعقوب إلى إسحاق أبيه ليأكله ويبارك عليه وأن يعقوب قال لأمه أن عيسو أخي أشعر وأنا أجرد لعل أبي أن يحس بي وأكون عنده كاللاعب وأجاب على نفسي لعنة لا بركة فقالت له أمه علي استدفاع لعنتك وإن يعقوب فعل ما أمرته به أمه فأخذت هي ثياب عيسو ابنها الأكبر وألبستها يعقوب وجعلت

جلود الجديين على يديه وعلى حلقه وأعطته الطعام وجاء به إلى أبيه فقال له يا أبي فقال له إسحاق من أنت يا ولدي قال يعقوب أنا ابنك عيسو بكرك صنعت جميع ما قلت لي فاجلس وتأكل من صيدي لتبارك علي وأن إسحاق قال ليعقوب تقدم حتى أجسك يا بني هل أنت ابني عيسو أم لا فتقدم يعقـوب فجسه إسحاق وقال الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو وقال هل أنت هو ابن عيسو فقال أنا فبارك عليه وقال له في بركتك تلك.

تخدمك الأمم وتخضع لك الشعوب وتكـون مـولي إخوتك وتسجد لك بنوا أمك ثم ذكر أن عيسو أتى بالصيد إلى إسحاق فلما عرف إسحاق القصة قال لعيسو عن يعقوب قد صيرته سلطاناً وجعلت جميع إخوته عبيداً فرغب إليه عيسو أن يباركه أيضاً ففعل وقال في بركته هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فـوق وبسـيفك تعـيش ولأخيك تستعبد ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك قال أبو محمد رضي ا عنه وفي هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات فأول ذلك إطلاقهم على نبي ا يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه وهذا مبعد عمـن

فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء فكيف من نبـي مع أبيه نبي أيضاً هذه سوآت مضاعفات أين ظلمـة هـذا الكذب من نور الصدق في قـول ا تعـالى يخـادعون ا والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وثانية وهي أخبارهم ان بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مـأخوذة بغـش وخديعـة وتخابث وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا ولعمري أنهـا لطريقة اليهود فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع إلا الشـاذ وثالثة وهي إخبارهم أن ا تعالى أجرى حكمـه وأعطـى نعمته على طريق الغش والخديعة وحاش من هذا ورابعة وهي التي لا يشك أحد في أن إسحاق عليه السلام إذ بـارك يعقوب إذ خدعه بزعم النذل الذي كتب لهم هذا الهوس إنما قصد بتلك البركة عيسو وله دعا لا ليعقـوب فـأي منفعـة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل وما أشـبه هـذه القضـية إلا بحمق الغالية من الرافضة القائلين أن ا تعالى بعث جبريل إلى علي فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد وهكذا بارك إسـحاق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب فعلى كلتـا الطائفتين لعنة ا فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية.

وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام وهو نبي ا تعـالى ورسـوله فـي أربعة مواضع أولها قوله لأبيه إسحاق أنا ابنك عيسو وبكرك فهذه كذبتان في نسق لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكـره وثالثة قوله لأبيه صنعت جميع ما قلت لي فاجلس وكل مـن صيدي فهذه كذبتان في نسق لأنه لم يكن قال لـه شـيئاً ولا أطعمه من صيده وكذبات أخر وهي بطلان بركة إسـحاق إذ قال له تخدمك الأمم وتخضع الشعوب وتكون مولي إخوتـك ويسجد لك بنو أمك وقوله لعيسو ولأخيك تستعبد وهذه كذبات متواليات وا ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعـده ولا خضعت لهم الشعوب ولا كانوا موالي إخوتهم ولا سجد لهـم ولا له بنوا أمه بل بنوا بني إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة وفي كل أمة وهم خضوا للشعوب قديماً وحـديثاً فـي أيـام دولتهم وبعدها فإن قالوا سيكون هذا قلنا لهم قد حصلتم على الصغار يقيناً والأماني بضائع السخفاء هيهات ترجى ربيع أن تحيي صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها لاسيما مع تقصي جميع الآماد التي كانوا ينبون بأنها لا تنقضي حتـى يرجـع أمرهم واعلموا أن كل أمة أدبرت فإنهم ينتظرون من العودة

ويمنون أنفسهم من الرجعة بمث ما تمنى به بنـوا إسـرائيل أنفسها ويذكرون في ذلك مواعيد كمواعيدهم فأملٌ كاملٍ ولا فرق كانتظار مجوس الفرس بهرام هماوند راكـب البقـرة وانتظار الروافض للمهدي وانتظار النصارى الذين ينتظرون في السحاب تمن يلذ المستهام بمثله وإن كان لا يغني فتـيلاً ولا يجدي وغيظ على الأيام كالنار في الحشا ولكنـه غـيظ الأسير على الجد وأما قوله تكون مولي إخوتك ويسجد لـك بنو أمك فلعمري لقد صح ضد ذلك جهاراً إذ في توراتهم أن يعقوب كان راعي ابن عمه لابان ابن نـاحور بـن لامـك وخادمه عشرين سنة وأنه بعد ذلك سجد هو وجميـع ولـده حاشا من لم يكن خلق منهم بعد لأخيه عيسو مراراً كثيرة وما سجد عيسو قط ليعقوب قط ولا ملك قط أحد من بني يعقوب بني عيسو وأن يعقوب تعبد لعيسو في جميع خطابه له ومـا تبعد قط عيسو ليعقوب وسأله عيسو عـن أولاده فقـال لـه يعقوب هم أصاغر من ا بهم على عبدك وأن يعقوب طلب رضاء عيسو وقال له إني نظرت إلى وجهك كمن نظر إلـى بهجة ا فارض عني واقبل ما أهـديت إليـك وأن عيسـو بالحرا قبل هدية يعقوب حينئذٍ فما نرى عيسـو وبنيـه إلا

موالي يعقوب وبنيه وكذلك ملك بنوا عيسوا بإقرار تـوراتهم ميراثهم لساعير وهي جبال الشراة وبنوا لوط ميراثهم بمواب وعمان قبل أن يملك بنو إسرائيل ميراثهم بفلسطين والأردن بدهر طويل ثم لم يزالوا يتغلبون علـى بنـي إسـرائيل أو يساوونهم طول دولة بني إسرائيل بإقرار كتبهم وما ملك بنو إسرائيل قط بني عيسو ولا بني لـوط ولا بنـي إسـماعيل بإقرارهم ولقد بقي بنوا عيسو وبنوا لوط بـإقراركتبهم فـي ميراثهم بساعير ومواب وعمان بعد هلاك دولـة إسـرائيل واخروجهم عن ميراثهم ثم ملكهم بنوا إسماعيل إلى اليوم فما نرى تلك البركة كانت إلا معكوسة ونعوذ با من الخـذلان ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث في زعمهـم أن تخرج معكوسة منكوسة فصل ثم ذكر أن يعقوب إذ مضـي إلى خله لابان بن نثوال خطب إليه ابنته راحيل وقـال لـه أخدمك سبع سنين في راحيل ابنتك الصغرى فقال له لابـان إن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها رجلاً آخر أقم عنـدي وخدم يعقوب في راحيل سبع سنين وصـارت عنـده أيامـاً يسيرة في محبته لها وقال يعقوب للابان أعطني زوجتـي إذ قد كملت أيامي فأدخل بها وجمع لابان جميع أهل الموضـع

وصنع وليمة فلما كان بالعشي أخذ ليئة ابنتـه وزفهـا إليـه ودخل بها فلما كان بالغد ورأى أنها ليئة قال للابـان مـاذا صنعت أليس في راحيل خدمتك فلم خدعتني فقال لابـان لا نصنع هذا في موضعنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى أكمل أسبوع هذه وأعطيك أيضاً هذه بخدمة تخدمها سـبع سـنين أخرى وصنع يعقوب كذلك وأكمل أسبوع ليئة وأعطى راحيل ابنته لتكون له زوجة قال أبو محمد رضي ا عنه في هـذا الفصل آبدة الدهر وهي إقرارهم أن يعقـوب عليـه السـلام تزوج راحيل فأدخلت عليه غيرها فحصلت ليئة إلى جنبه بلا نكاح وولد لها منه ستة ذكور وابنة وهذا هو الزنا بعينه أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة وقد أعاذ ا نبيه من هذه السـوءة وأعاذ أنبياءه عليهم السلام موسى وهارون وداود وسـليمان من أن يكونوا من مثل هذه الولادة وهذا يشهد ضرورة أنهـا من توليد زنديق متلاعب بالديانات.

فإن قالوا لابد أنه قد تزوجها إذ علم أنها ليست التـي تزوج.

قلنا فعلي أن نسمح لكم بهذا فالنسخ ثابت ولابـد لأن نكاح أختين معاً حرام في توراتكم وقد قال لي بعضهم فـي

هذا لم تكن الشرائع نازلة من ا تعالى قبل موسى فقلت هذا كذب أليس في نص توراتكم أن ا تعالى قال لنـوح عليـه السلام كل دبيب حي يكون لكـم أكلـه كخضـراء العشـب أعطيتكم لكن اللحم بدمه لا تأكلوه وأما دماؤكم فـي أنفسـكم فسأطلبها فهذه شريعة إباحة وتحريم قبل موسى عليه السـلام فصل وبعد ذلك ذكر أن يعقوب رجع من عند خالـه لابـان نسائه وأولاده قال ولما أصبح أجاز امرأتيه وجارتيه وأحـد عشر من ولده المخاضة وبقي وحده وصارعه رجـل إلـى الصبح فلما عجز عنه ضرب حق فخذه فانخلع حـق فخـذ يعقوب في مصارعته معه وقال له خلني لأنه قد طلع الفجـر قال لست أدعك حتى تبارك علي فقال له كيف اسـمك قـال يعقوب قال له لست تدعى من اليوم يعقوب بل إسرائيل مـن أجل أنك كنت قوياً على ا فكيف على الناس فقال له يعقوب عرفني باسمك فقال له لم تسألني عن اسمي وبارك عليه في ذلك الموضع فسمي يعقوب ذلك الموضع فنيئيل وقال رأيـت ا تعالى مواجهة وسلمت نفسي وبزغت له الشمس بعـد أن جاوز فنيئيل وهو يعرج من رجله ولهذا لا يأكل بنوا إسرائيل العقب الذي على حق الفخذ إلى اليوم لأنه ضرب حق فخـذ

يعقوب لمس ا   وانقباضه قال أبو محمد في هـذا الفصـل شنعة عفت على كل ما سلف يقشعر منها جلود أهل العقـول وبا   العظيم لولا أن ا   عز وجل قص علينا كفرهم بقـولهم يد ا   مغلولة وبقولهم إن ا   فقير ونحن أغنياء لمـا نطقـت ألسنتنا بحكاية   هذه العظائم لكنا نحكيه منكرين له كما نتلـوه فيما نصه عز وجل لنا تحذيراً من إفكهم   قـال أبـو محمـد رضي ا   عنه ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع ا   عز وجل تعالى ا   عن ذلك وعن كل شبه لخلقه فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة وأما أهل العقول فـلا لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا إن ا   عز وجل عجز   عن أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم وحقق ذلك قولهم عن ا   تعالى أنه قال كنت قوياً علـى ا   تعـالى فكيف على الناس ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانيـة أنه لذلك سماه إسرائيل وإيل بلغتهم هو اسم ا   تعالى بلا شك ولا خلاف فمعناه أسر ا   تذكيراً   بذلك الضبط الذي كان بعد المصارعة إذ قال له دعني فقال له يعقوب لا أدعـك حتـى تبارك علي ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقـوب

صارع الوهيم وقال أن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك فإنمـا صارع ملكاً من الملائكة فقلت لهم سياق الكلام يبطـل مـا تقولون ضرورة فيه كنت قوياً على ا فكيف علـى النـاس وفيه أن يعقوب قال رأيت ا مواجهة وسـلمت نفسـي ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ولا يبلغ من مس الملك لما نص يعقوب أن يحرم على بني إسـرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك وفيـه أنـه سـمي الموضع بذلك فنيئيل لأنه قابل فيه إيل وهو ا عز وجل بلا احتمال عندكم ثم لو كان ملكاً كما تدعون عند المناظرة لكان أيضاً من الخطاء تصارع نبي وملك لغير معنى فهذه صـفة المتحدين في العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء فإن قيل قـد رويتم أن نبيكم صارع ركانة بن عبد يزيد قلنا نعم لأن ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحداً يقاومه في جزيرة العـرب ولم يكن رسول ا صلى ا عليه وسلم موصـوفاً بـالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام فقال له إن صرعتني آمنـت بـك ورأى إن هذا من المعجزات فأمره عليه السلام بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت وأسلم ركانة بعد مدة فبين الأمـرين فـرق كما بين العقل والحمق ولكن لكل مقام مقال ولكـن إذا أكـل

الملائكة عندكم كسور الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشـاي واللبن والسمن والفطاير فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس في الطرقات وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة فصل وفي الفصل المذكور أن ا تعالى قال ليعقوب لسـت تدعي من اليوم يعقوب لكن إسرائيل ثم في السفر الثاني مـن توراتهم قال ا تعالى قل لآل يعقوب وعرف بني إسـرائيل فقد سماه بعد ذلك يعقوب وهذه نسبة الكذب إلى ا تعـالى فصل ثم قال وبينا إسرائيل بذلك الموضع ضاجع رأوا بـين ابن ليئة سرية أبيه بلهة وهي أم دان ونفتالي وهمـا أخـواه وابنا يعقوب ثم أكد هذا بأن ذكر في قرب آخر السفر الأول ذكر موت يعقوب عليه السلام ومخاطبته لبنيه ابنـاً ابنـاً أن يعقوب قال لرؤابين ابنه أنك صعدت علـى سـرير أبيـك ووسخت فراشه وليس مما ابتذلت فراشي تخاص بعد أن ذكر في توراتهم أن شكيم بن حمور الحوى أخذ دينة بنت يعقوب عليه السلام واضطجع معها وأذلها ثم بعد ذلك خطبها إلـى يعقوب أبيها إلى أن ذكر قتل لاوي وشمعون لحمور وشـكيم ابنه وجميع أهل مدينته وإنكار يعقوب على ابنيه قتلهما لهـم قال أبو محمد رضي ا عنه معاذ ا أن يخذل ا نبيه ولا

يعصمه في حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ثم لا ينكر ذلك بأكثر من التعزير الضعيف فقط فصل وبعد ذلـك قـال وأولاد يعقوب اثنا عشر فأولاد ليئة رؤابـين بكـر يعقـوب وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وأبنـاء راحيـل يوسف وبنيامين وابنا بلهة أمة راحيل دان ونفتالي وابنا قـال أبو محمد رضي ا عنه هذا كذب ظاهر لأنه ذكر قبـل أن بنيامين لم يولد ليعقوب إلا بافراشا بقرب بيت لحـم علـى أربعة أميال من بيت المقدس بعد رحيله من فدان ارام بدهر وا تعالى لا يتعمد الكذب ولا ينسى هذا النسيان فصل وبعد ذلك قال وكان إسرائيل يحب يوسف لأنه كان ولد لـه فـي شيخوخته قال أبو محمد رضي ا عنه هذه العلـة توجـب محبة بنيامين لأنه ولد له بعد يوسف بازيد من سـت سـنين بنص توراتهم وتوجب مشاركة يساكر وزبولون في المحبـة ليوسف لأنه ذكر قبل هذا أن يعقوب قال للابان خاله خدمتك عشرين سنة من ذلك أربع عشرة سنة لابنتيك وست سـنين لأدواتك وذكر أن بعد سنين أعطاه ليئة فقط وأن ليئة ولـدت له روابين ثم شمعون ثم لاوي ثم يهوذا ثم قعدت عن الولـد وأن راحيل أعطت بعد ذلك يعقوب أمتهـا بلهـة فتزوجهـا

فولدت له دانا ثم نفتالي ثم أعطت ليئة أمتها زلفـة ليعقـوب فتزوجها فولدت له جاداً ثم أشير ثم أطلقت له راحيل مماسة ليئة في لقاح أخذتها منها فولدت له راحيل يوسف ثـم بعـد ولادة يوسف ابتدأ يعقوب بمعاملة خاله لابان علـى أجـرة ذكرها لرعاية غنمه فرعاها له ست سنين هـذا كلـه نـص توراتهم فصح أن يسوف كان له عند تمام الست سنين سـت سنين فقط بلا شك وإن جميع اولاد يعقوب حاشا بنيامين فإنما ولدوا ولابد في السبع سنين التي كانت قبـل السـت سـنين المذكورة بلا شك والأولاد سبعة ففي كل عشرة أشهر ولادت ولداً لا يمكن أقل من هذا فلا شك في أن زابولون لا يزيـد على يوسف إلا سنة واحدة فقط ولا يزيد عليـه يسـاكر إلا سنتين فقط وأقل هذا على أ تلفي المدة التي ذكرنـا أن ليئـة قعدت فيها عن الولد والمدة التي اعتزلها فيها يعقوب ولابـد أن لها مقداراً ما فعلى هذا فزابلون ويوسف ولدا معاً والمـدة تضييق عن هذه القسمة ففي هذا الخبر كـذب مقطـوع بـه ضرورة ولابد ولا يجوز قليل الكذب ولا كثيـره علـى ا تعالى ولا على نبي من الأنبياء فصح أنها مفتعلة مبدلة ولـو

كان لهذا الخبر وجه وإن غمض ومخرج وإن بعد أو أمكنت فيه حيلة أو ساغ فيه تأويل ما ذكرناه ونسأل ا العافية.

وفي توراتهم عند ذكر أولاد عيسـو خبـال شـديد وتخليط في الأسماء والوالدات إلا أنه ربما خرج على وجوه بعيدة ضعيفة فلم نعتن بإيراده لذلك ولكن نبهنا عليه فالأظهر الأغلب فيه الكذب وأنه إيراد جاهل بتلك القضية بـلا شـك فصل ثم ذكر بيع إخوة يوسف ليوسـف وأن إخوتـه كـانوا مجتمعين حينئذ يرعون إذ وادهم ثم قال وفي ذلـك الزمـان اعتزل يهوذا عن إخوته وكان مع رجل من أهل عدلام يدعي اسمه حيرة فبصر في ذلك الموضع بابنة رجل كنعاني اسمه شوع فتزوجها وضاجعها فحملت وولدت ولداً اسمه عيرا ثم حملت ووضعت ثانياً وسماه أونان ثم حملت ووضعت وسمته شيلة ثم أمسكت عن الولد فزوج يهوذا عير بكر ولده امـرأة وكان عير بكر يهوذا مذنباً بين يدي السيد ولذلك قتل فقـال يهوذا لابنه أونان أدخل إلى امرأة أخيك وضـاجعها لتحيـي نسله فلما علم أنه لا ينسب إليه من ولد له منها دخـل إلـى امرأة أخيه وكان يعزل عنها لئلا يولد لأخيه منه ولذلك أهلكه السيد للفاحشة التي اطلع عليها منه فعند ذلك قال يهوذا لثامار

كنته كوني أرملة في بيت أبيك إلى أن يكبر ابني شيلة وكان يتوقع أن يصيبه من الموت ما أصـاب أخـاه إن ضـاجعها فسكنت في بيت أبيها وبعد أيام كثيرة توفيت بنت شوع امرأة يهوذا فصبر يهوذا وتسلى عنه حزنها وتوجه إلـى جـزاز غنامه مع حيرة صديقه العدلامي إلى تمنة وقيل لثامـار إن ختنك صاعد إلى تمنة ليجزأ غنامه فألقت عن نفسـها ثيـاب الأرامل وتقنعت وقعدت في مجمع الطرق المسـلوكة التـي تمنة فعلت ذلك مذ كبر شيلة ولم تزوج منه فلما رآها يهـوذا ظنها زانية وكانت غطت وجهها لئلا تعرف فمال إليها وقـلا ائذني لي في مضاجعتك وكان يجهل أنها كنته فقالت له ماذا تعطيني إن أمكنتك من مضاجعتي قال لها أبعث إليك جـدياً من الغنم فقالت نعم إن أعطيتني رهناً إلى أن تبعث ما وعدت فقال لها يهوذا وما أرهنه لك قالت أرهن لي خاتمك وحزامك والعصا التي بيدك فحبلت من مضاجعة واحدة ثـم انطلقـت وألقت الشكل التي كانت فيه وعادت إلى شكل الأرامل وبعث يهوذا الجدي مع صديقه العدلامي ليأخذ من المـرأة الـرهن الذي وضعه عندها فسأل عنها إذ لم يجدها من سـكان ذلـك الموضع فقال أين المرأة القاعدة في مجمع الطرق فقالوا له لم

تكن في هذا الموضع زانية فانصرف إلى يهوذا فقال له لـم أجدها وقال لي سكان ذلك الموضع لم تكن ههنا زانية فقـال له يهوذا تأخذ ما عندها مخافة ان تكون ضـحكة فـإني قـد أرسلت الجدي إليها وأنت تقول لم أجدها وبعد ثلاثة أشـهر قيل ليهوذا إن كنتك ثامار قد زنت وقد بدا بطنها يظهر فقال يهوذا أخرجوها لتحرق فلما أخرجت بعثت إلى يهـوذا إنمـا حبلت من الذي له هذا فاعرف هذا الخاتم والزنار والعصـا فلما عرف قال هي أعدل مني إذ منعتها شـيلة ولـدي ولـم يضاجعها بعد ذلك فلما أدركتها الولادة ظهر فيها تؤمان ففي وقت خروجهما بدر أحدهما وأخرج يده فربطت القابلة فـي يده خيطاً أرجواناً وقالت هذا يخرج أولاً فأدخل يده إلى نفسه وأخرج الولد الآخر فقالت له القابلة لم افترصت أخاك فسمي فارصاً وبعده خرج الذي ربط في يـده الخـيط الأرجـوان وسمي زارح ثم الفصل قال أبو محمد رضي ا عنه ثم بعد فصول وقصص ذكر أولاد يعقوب المولودين بالشأم الـذين دخلوا معه مصر إذ بعث يوسف عليه السلام فيهم كلهم فذكر يهوذا وبنيه الثلاثة الأحيأ شـيلة وفـارص وزارح وذكـر لفارص هذا نفسه اثنين وهما حصرون وحامول ابنا فـارص

بن يهوذا المذكور قال أبو محمد رضي ا عنه ففـي هـذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة وكذب فاحش مفرط القبح فأمـا العار فالذي ذكر عن يهوذا من طلبه الزنا بامرأة لقيها فـي الطريق على أن يعطيها جدياً ثم جوره فـي الحكـم عليهـا بالحرق فلما علم أنه صاحب الخصلة أسقط الحكم عن نفسـه وعنها ثم شنعة أخرى وهي قوله أن أونان بـن يهـوذا لمـا عرف أنه لا ينسب إليه من يولد له من امرأته التي تزوجهـا بعد موت أخيه جعل يعزل عنها وهذا عجب جداً أن تلد امرأة من رجل من زوجها من لا ينسب إليه لكن إلى غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا فلعل فيهم الآن ولادات وأنسان في كتبهم مثل هذه فهذه وا أمور سمجة ثم دع يهوذا فليس نبياً ولا ينكر ممن ليس نبياً مثل هذا إنما الشأن كله والعجب فـي أنهم مطبقون بأجمعهم قطعاً على أن سليمان بن داود عليهما السلام بن أشماي بن عونين بن يوغز بن بشاي بن مخشون ابن عمينا ذاب بن نورام بن حصرون بن فارص المذكور بن يهوذا فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من تلك الـولادة الخبيثة راجعين إلى ولادة الزنا ثم أقبح ما يكون مـن الزنـا رجل مع امرأة ولده حاش من هذا الإفك المفتري ولقد قال

لي بعضهم إذ قررته على هذا الفصل إن هذا كـان مباحـاً حينئذ فقلت له فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك وكيف يكون مباحاً وهي لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلـك المعاملـة الخبيثة بالجدي المسخوط والرهن الملعون وإنما وطئها على أنها زانية إذ اغتلم إليها لا على أنها امرأة الميت ولده إلا إن قلتم إن الزنا جملة كان مباحاً حينئذ فقد قرت عيونكم فسكت خزيان كالحاً وتا ما رأيت أمة تقر بـالنبوة وتنسـب إلـى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الكفرة فتارة ينسبون إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته فولدت له إسحق عليهما السـلام ثـم ينسبون إلى يعقوب أنه تزوج إلى امرأة فدست إليه أخـرى ليست امرأته فولدت له أولاداً منهم انتسل موسى وهـارون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام ثم ينسبون إلى روبان بن يعقوب أنه زنى بربيبته زوج النبي أبيـه وأم أخويه ثم ينسبون إلى نبيه يعقوب عليه السلام أنه فسق بهـا كرهاً وافتضها غلبة ثم ينسبون إلى يهوذا ما ذكرنا من زنـاه بامرأة ولديه فحبلت وولدت من الزنا ولداً منه انتسـل داود وسليمان عليهما السلام ثم ينسبون إلى يوشع بن نـون أنـه تزوج رحب الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنا لكل مـن

دب وهب في مدينة أريحا ثم ينسبون إلى عمران ابن فهـث بن لاوي أنه تزوج عمته أخت والده واسمها يوحانذ ولـدت لجده بمر فولد له منها هارون وموسى عليهما السلام هكـذا ذكر نسبها في قرب آخر السفر الرابع ثم ينسبون إلى داوود عليه السلام أنه زنى جهاراً بامرأة رجل من جنده محصـنة وزوجها حي وأنها ولدت منه من ذلك الزنا ابناً ذكراً ثم مات ذلك الفرخ الطيب ثم تزوجها وهي أم سـليمان بـن داوود عليهما السلام ثم ينسبون إلى أمثون بن داود عليهما السـلام أنه فسق بسراري أبيه علانية أمام الناس ثم ينسـبون إلـى سليمان عليه السلام العهر وأنه تزوج نسـاء لا يحـل لـه زواجهن وأنه بنى لهن بيوت الأوثان وقرب لهـن القـرابين للأوثان مع ما ذكرنا قبل ونذكر إن شاء ا تعالى من نسبتهم الكذب إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف عليهم السـلام ولكن أين هذا مما في توراتهم من نسبتهم لعب الصراع إلى ا تعالى مع يعقوب والكذب المفضوح فيما وعده وأخبر به فعلى من يصدق بشيءٍ من كل هذا الإفك لعنة ا وغضـبه فأعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم وما افتراه الكفرة أسـلافهم الإنتان على ا تعالى وعلى رسله عليهم السلام ثم على كل

كتاب حقق فيه شيء من هذا وعلى كاتبه لعنة ا وغضـبه عدد كل شيءٍ خلق ا فأحمدوا ا معاشر المسلمين على ما هداكم له من الملة الزهراء التي لم يشبها تبديل ولا تحريـف والحمد رب العالمين قال أبو محمد رضي ا عنه وأمـا الكذبة الفاحشة المفضوحة التي هي مـن المحـال المحـض والافتراء المجرد فهو ما أذكره إن شاء ا تعـالى فتـأملوه تروا عجباً ذكر في توراتهم نصاً أن يهوذا بن يعقوب كـان مع إخوته يرعون إذ وادهم إذ باعوا أخاهم يوسف وأن يهوذا أشار عليهم ببيعه وإخراجه من الجب ليخلصـه بـذلك مـن الموت ثم ذكر بعد ذلك أن يهوذا اعتزل عن إخوته وصـار مع حيرة العدلامي ورأى ابنة رجل كنعـاني اسـمه شـوع فتزوجها وولدت له ولداً اسمه عير ثم ولداً آخر اسمه أونـان ثم ولداً آخر اسمه شيلة كما ذكرنا آنفاً حرفاً حرفاً وذكر بعد ذلك أن عير تزوج امرأة اسمها ثامار ودخل بها وكان مذنباً ولذلك قتله ا تعالى فزوجها من أخيه أونان فكان يعزل عنها فمات لذلك وبقيت أرملة ليكبر شيلة وتزوج منه وأن شـيلة كبر ولم تزوج منه وقد اعترف بذلك يهوذا إذ قال هي أعدل مني إذ منعتها شيلة ابني وذكر بعد ذلك أنها تحيلـت حتـى

زنت بيهوذا نفسه والد زوجها وحبلت منه وولدت منه تؤامين فارص وزارح كما ذكرنا قبل ثم ذكر بعد ذلك نسل يعقـوب وأولاد أولاده المولودين بالشام ودخلوا معه مصر فذكر فيهم حصرون وحامول ابني فارص بن يهوذا فاضبطوا هذا وذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام إذ بلغ ست عشرة سـنة كان يرعى ذوداً مع إخوته عند أبيه وأنهم باعوه فصح أنـه كان ابن سبع عشرة سنة إذ باعوه وهكذا ذكر في توراتهم ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل علـى فرعون وفسر له رؤياه في البقـرات والسـنابل وولاه أمـر مصر ابن ثلاثين سنة ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليـه السلام كان إذ دخل أبوه مصر مع جميع أهلـه ابـن تسـع وثلاثين سنة هذا منصوص فيها بلا خلاف من أحـد مـنهم فصح يقيناً أنه لم يكن بين دخول يعقوب مع نسله مصر وبين بيع يوسف إلا اثنان وعشرون سنة وربما أشهر يسيرة زايدة لا أقل ولا أكثر هذا حساب ظاهر لا يخفى على جاهـل ولا عالم وقد ذكر في توراتهم أن في هذه المدة تزوج يهوذا بنت شوع وولدت له ولداً ثم ثانياً ثم ثالثاً وأن الأكبر بلغ فـزوج زوجة ثم مات بعد دخوله بها فزوجت بعده من أخيه فكـان

يعزل عنها فمات وبقيت مدة حتى كبر الثالث ولم تزوج منه فزنت بيهوذا والد زوجها فولد له منها تؤامان ثم ولد لأحـد ذينك التؤمين ابنان وهذا محال ممتنع لا خفاء بـه لا يمكـن البتة في طبيعة بشر ولا سبيل إليه في الجبلة والبنية بوجـه من الوجوه هبك أن يهوذا اعتزل عن إخوته وتـزوج بنـت شوع بإثر بيع يوسف بيوم وحبلت زوجته وولدت له الولـد الأكبر في عامها الثاني ثم الثاني في عام آخر ثم الثالث فـي عام ثالث وهبك أن الأكبر زوج وله اثنا عشر عاماً من جملة اثنين وعشرين عاماً وبقي معها ما بقي معها مـا بقـي ثـم زوجت من الثاني وله اثنا عشر عاماً فبقي يعزل عنها لـئلا ينسب إلى أخيه من يولد له منها ثم مات وبقيـت تنتظـر أن يكبر شيلة وتزوج منه حتى طال عليها ورأت أنه قد كبر ولم تزوج منه وهذا لا يكون البتة في أقل من عام فهـذه أربعـة عشر عاماً ثم زنت بيهوذا فحملت فولدت فهذا عـام أو أقـل بيسير فلم يبق من الاثنين وعشرين عاماً إلا سبعة أعوام إلى ثمانية أعوام لا أكثر البتة فمن المحال الممتنع في العقـل أن يوجد لرجل ابن ثمان سنين أو سبع سنين ولدان ما رأيـت أجهل بالحساب من الذي عمل لهم التوراة وحاش أن يكون

هذا الخبر البارد الكاذب عن ا تعالى أو عن موسى عليـه السلام ولا عن إنسان يعقل ما يقول ويستحي من تعمد الكذب الفاضح ونسأل ا تعالى العافيةت فصل وبعد ذلك ذكر عدد بني يعقوب المولودين بالشام عند خاله لابان الداخلين معـه مصر فذكر الذين ولدت له ليئة وهم ست ذكور وابنة واحدة وذكر أولاد هؤلاء الستة وسماهم فذكر لرأو بين أربعة ذكور ولشمعون ستة ذكور وللاوي ثلاثة ذكور وليهوذا ثلاثة ذكور وابني ابن له فهم خمسة وليساخر أربعة ذكور ولزابلون ثلاثة ذكور المجتمع من بني ليئة في نص توراتهم بحق تسميتهم.

هؤلاء بنو ليئة وعدد أولادها وبناتها ثلاثة وثلاثـون هكذا نص توراتهم وهذا خطأ في الحساب تعالى ا عـن أن يخطىء في الحساب أو يخطىء فيه موسى عليه السلام فصح أنها من توليد جاهل غث أو من عابث سخر بهـم وكشـف سوآتهم فصل ثم ذكر بعد هذا أولاد راحيل فـذكر يوسـف وبنيامين وبنيهما قال وهم أربعة عشر ذكراً أولاد زلفي عاد وأشار وبنيهما وهم ستة عشر وذكر أولاد بلهة دان ونفتـالي وبنيهما قال وهم سبعة ثم وصل ذلك بأن قال وعـدد نسـل يعقوب الذين دخلوا معه مصر سوى نساء أولاده ستة وستون

وأبناء يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان فجميع الداخلين إلى مصر سبعون قال أبو محمد رضي ا عنه هذا خطأ فاحش لأن المجتمع من الأعداد المذكورة تسعة وستون فإذا أسقطت منهم ولدي يوسف اللذان ولدا له بمصر بقي سبعة وسـتون وهو يقول ستة وستون فهذه كذبة ثم قال فجميع الداخلين معه إلى مصر سبعون فهذه كذبة ثانية وقد قدمنا أن الذي عمـل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب وليست هذه صفة ا عز وجل ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب وتعمده على ا تعالى وعن تكلف ما يحسن ولا يقـوم بـه وذكر في هذا الفصل قصة أخرى فيها الاعتراض إلا أنهـا تخرج على وجه ما فلذلك لم نفرد لها فصلاً وهي أنه ذكـر أولاد بنيامين فقال بالع وباكر واشبيل وجير ونعمان وابجـي وروش ومفيم وحفيم وارد ثم ذكر في السـفر الرابـع مـن توراتهم فذكر بالع واشبيل واجير ومفيم وحفيم فقط ثم قـال وأبناء بالع ازد ونعمان ابني بالع فإن لم يكن هذا على أنه لم ينسل من أولئك العشرة إلا خمسة الذين ذكرهم فـي الرابـع وإن ازد ونعمان ابني بالع هما غير ازد ونعمان ابني بنيامين وإلا فهي كذبة وقد قلنا إن كل ما يمكن تخريجه بوجـه وإن

بعد فلسنا نخرجه في فضائح كتابهم المكذوب فصل ثم ذكـر بركة يعقوب عليه السلام على بنيه وأنه وضع يـده اليمنـى على رأس افرايم بن يوسف واليسرى على رأس منسي بـن يوسف وإن ذلك شق على يوسف عليه السلام وقال لا يحسن هذا يا أبت لأن هذا بكر ولدي فاجعل يمينك على رأسه يعني منسي فكره ذلك يعقوب وقال علمت يا بني علمت وسـتكثر ذرية هذا وتعظم ولكن أخوه الأصغر يكون أكثر منه نسـلاً وعدداً يعني أن افرايم يكون عدد نسله أكثر من عـدد نسـل منسي ثم ذكر في مصحف يوشع أن بني منسـي كـانوا إن دخلوا الشام وقسمت عليهم الأرض اثنين وخمسين ألف مقاتل وسبعماية وإن بني أفرايم كانوا حينئذ اثنين وثلاثـين ألفـاً وخمسمائة وذكر في كتاب لهم معظم عندهم اسمه سفطيم أنه ذكر بني إسرائيل قبل داود عليه السلام أربعة من ملوك بني منسي وأربعة من بني أفرايم وأن من جملـة بنـي منسـي المذكورين رجلاً اسمه مفتاح بن علفاذ قتل من بني أفـرايم اثنين وأربعين ألف مقاتل حتى كاد يستأصلهم وفي كتاب لهم آخر معظم عندهم أيضاً اسمه ملاخيم أنه ملك عشرة أسـباط من بني إسرائيل بعد سليمان عليه السـلام إلـى أن ذهـب

الأسباط المذكورون وسبوا من بني أفرايم ملكين كانت مدتهما جميعاً ستة وعشرين سنة فقط وهما باريعـام وابنـه نابـاط ووليهم من بني منسي خمسة ملوك واتصلت دولتهم مائة عام وعامين وهما زحر بابن باريعام بن نواس بن نهر باحار بن بهو كلهم ملك بن ملك بن ملك بن ملك بن ملك ولم يكن فيمن ملك الأسباط العشرة أقوى ملكاً من هؤلاء المنسـانين وهـذا ضد قول يعقوب الذي حكوه عنه وحاش أن يكـذب نبـي فيما ينذر به من ا عز وجل فإن قالوا إن يوشع بـن نـون وربورانسه وملحي المورشي النبي كلهم كان من بني أفرايم وكان بنو أفرايم إذ أخرجوا من مصر أربعين ألـف مقاتـل وخمسمائة مقاتل ومائتي مقاتل وكان بنو منسي يومئذ اثنـين وثلاثين ألف مقاتل ومائتي مقاتل قلنا لم تذكروا أن يعقـوب قال يكون الشرف في نسل أفرايم إنما حكيـتم أنـه قـال إن أفرايم يكون أكثر نسلاً وعدداً من منسي على التأبيد والعموم وإيصال البركة لا على وقت خاص قليل ثـم يعـود الأمـر بخلاف ذلك فتبطل البرطة ويصير فصل ثم ذكر عن يعقوب عليه السلام أنه قال لرأوبين فـي ذلـك الوقـت أنـت أول المواهب مفضل في الشرف مفضل فـي العـز ولا تفضـل

منهملة ماء قال أبو محمد رضي ا عنه هذا كلام يكذب أوله آخره فصل ثم ذكر أنه عليه السلام قـال ليهـوذا حينئـذ لا تنقطع من يهوذا المخصرة ولا من نسله قائد حتـى يـأتيني المبعوث الذي هو رجاء الأمم قال أبو محمد رضي ا عنـه وهذا كذب قد انقطعت من ولد يهوذا المخصرة وانقطعت من نسله القواد ولم يأت المبعوث الذي هو رجاؤهم وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا من عهد بخت نصر مذازيد من ألف عام وخمسمائة عام إلا مدة يسيرة وهي مدة زربائيل بن صلتائيل فقط وقد قررت على هذا الفصل أعلمهـم وأجـدلهم وهـو أشموال بن يوسف اللاوي الكاتب المعروف بابن النفرال في سنة أربع وأربعمائة فقال لي لم تزل رؤس الجواليت ينتسلون من ولد داوود وهم من بني يهوذا وهي قيادة وملك ورياسـة فقلت هذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم وإنما هي تسمية لا حقيقة لها ولا لـه قيادة ولا بيده مخصرة فكيف وبعد احرب بابن برام لم يكـن من بني يهوذا وال أصلاً مدة من ستة أعوام ثم بعـده نشـأ الملقب صدقيا بن يوشيا لم يكن منهم لأحد له معين ولا مـن يملك على أحد اثنين وسبعين عاماً متصلة حتى ولي زربابيل

ثم انقطع الولاة منهم جملة لا رأس جالوت ولا غيـره مـدة
ولات الهارونيين ملكاً ملكاً مئين من السنين ليس لأحد مـن
يهوذا في ذلك أمر إلى دولة المسلمين أو قبلها بيسير فاوقعوا
اسم رأس الجالوت على رجل من بني داود إلى اليوم إلا أن
بعض المؤرخين القدما كذر أن هردوس وابنيه وابـن ابنـه
اعريفاس بن اعريفاس كانوا من بني يهوذا والأظهر أنهم من
الروم عند كل مؤرخ فظهر كذب هؤلاء الأنزال بيقين وحاش
أن يكذب نبي فصل ثم ذكر أن يعقوب عليه السلام قـال
للاوي وشمعون سأبددهما في يعقوب وأفرقهما في إسـرائيل
قال أبو محمد رضي ا عنه أما لاوي فكان نسله مبدداً فـي
بني إسرائيل كما ذكر وأما بنو شمعون فلا بل كانوا مجتمعين
في البلد الذي وقع لهم كسائر الأسباط ولا فرق وليس إنـذار
النبوة مما يكذب في قصة ويصدق في أخرى هـذه صـفات
إنذارات الحساب القاعدين على الطرق للنساء ولمن لا عقـل
له فصل وقال في السفر الثاني من توراتهم أن ا تعالى قال
لموسى عليه السلام قل لفرعون السيد يقول الأسرائيل بكـر
ولدي ويقول لك ائذن لولـدي ليخـدمني وإن كرهـت الآن
سأهلك بكر ولدك قال أبو محمد رضي ا عنه هذا عجـب

ناهيك به ليت شعري ماذا ينكرون على النصارى بعد هـذا وهل طرق للنصارى سبيل الكفر في أن يجعلوا ولداً ونهج لهم طريق التثليث على ما ذكرنا قبل هـذا إلا هـذه الكتـب الملعونة المبدلة إلا أن النصارى لم يدعوا بنوة تعـالى إلا لواحد أتى بمعجزات عظيمة وأما هذه الكتب السخيفة وكـل من تدين بها فإنهم ينسبون بنوةً إلى جميع بنـي إسـرائيل وهم أوسخ الأمم وأرذلهم وكفرهم أوحش وجعلهـم أفحـش فصل ثم ذكر أن هارون ألقى العصا بين يدي فرعون وعبيده فصارت حية فدعى فرعون بالعلماء والسحرة وفعلوا بالرقى المصري مثل ذلك ولكن عصى موسى ازدرت عصيهم.

ثم ذكر أن موسى وهارون فعلا ما أمرهمـا السـيد فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدي فرعون وعبيده فعاد دماً ومات كل حوت فيه ونتن النهر ولم يجد المصريون سبيلاً إلى الشرب منه وصار الماء في جميع أرض مصـر دماً ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم.

ثم ذكر أن هارون مد يده على مياه مصر وخرجـت الضفادع منها وغطت أرض مصر ففعل السحرة برقاهم مثل ذلك وأقبلوا بالضفادع على أرض مصر ثم ذكر أن هـارون

مد يده بالعصا وضرب بها غبار الأرض فتخلق منها بعوض في الآدميين والأنعام وعاد جميع الغبار بعوضاً فـي جميـع أرض مصر فلم يفعل السحرة مثل ذلـك برقـاهم ورامـوا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه فقال السحرة لفرعون هـذا صنع ا قال أبو محمد رضي ا عنه هذه الآبدة المصـمئلة والصيلم المطبقة ولو صح هذا لبطلت نبـوة موسـى عليـه السلام بل نبوة كل نبي ولو قدر السحرة على شيءٍ من جنس ما يأتي به النبي لكان باب السحرة وباب مدعي النبوة واحداً ولما انتفع موسى بازدراه عصاه لعصيهم ولا بعجزهم عـن البعوض وقد قدروا على قلب العصي حيات وعلـى إعـادة الماء دماً وعلى المجيء بالضفادع ولما كان لموسـى عليـه السلام عليهم بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقـط ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون الملعونون لكـان فرعـون صادقاً في قوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ولا منفعة لهم في قول السحرة في البعوض هذا صنع ا لأنه يقـال لبنـي إسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع ا قلب العصا حية والماء دماً والمجيء بالضفادع بل من غير صنع ا وهذه عظيمة تقشعر منها الجولد أين هذا الإفك المفترى

البارد من نور الحق الباهر إذ يقول ا عـز وجـل " إنمـا صنعوا كيد ساحر " وإذ يقول تعالى " وجاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمـن المقربين قالوا يا موسى إما أن تلقي وإمـا أن نكـون نحـن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فـإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنـا برب العالمين رب موسى وهارون " وإذ يقول تعالى " فـإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى " فـأخبر عز وجل أن الذي عمل موسى حق وأن عصاه صارت ثعباناً على الحقيقة بقوله تعالى " فإذا هي ثعبان مبين " فصح أنـه تبين ذلك لكل من رآه يقيناً وأخبر أن الذي عمل السحرة إنما هو إفك وتخييل وكيد وهذا هو الحق الذي تشهد به العقول لا في الكتاب المبدل المحرف.

فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها وهذا الذي يصححه البرهان إذ لا يحيل الطبائع إلا خالقها شـهادة لرسله وأنبيائه وفرقاً بين الصدق والكذب لا قـولهم عمـل

السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهـان علـى صدق قوله وعند تحديه لهم على أن يأتوا بمثلـه إن كـانوا صادقين وهو كاذب فأتوا بمثله فانظروا النتيجة يرحمكم ا .

هذه سوءة تشهد شهادة قاطعة صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذي يسمونه الحماس ويدعون أنـه توراة موسى عليه السلام إنما كان زنديقاً مسـتخفاً بالبـاري تعالى ورسله وكتبه وحاش لموسى صلى ا عليه وسلم منه وأنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطبائع وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناس أخر واختراع الأمور والمعجزات في البنية يقدر على ذلك بالرقى والصناعات.

واعلموا أن من صدق بهذا مبطل للنبوة بلا مرية إذ لا فرق بين النبي وغيره إلا في هذا الباب فإذا أمكـن لغيـر النبي فلم يبق إلا دعوى لا برهان عليها ونعـوذ بـا مـن الضلال.

ولقد شاهدناهم متفقين إلى اليوم على أن رجلاً مـن علمائهم ببغداد دخل من بغداد إلى قريظة فـي يـوم واحـد وأنبت قرنين في رأس رجل من بني الإسكندراني كان ساكناً بقرب دار اليهود عند فندق الحرقة كان يـؤذي يهـود تلـك

الجهة ويسخر منهم وهذه كذبـة وفضـيحة لا نظيـر لهـا والموضع مشهور عندنا بقرطبة داخل المدينـة وبنـو عبـد الواحد بن يزيد الإسكندري من بيته رفيعة مشهورة أدركنـا آخرهم كانت فيهم وزارة وعمالة ليس فيهم مغمور ولا خفي إلى أن بادوا ما عرف قط أحد منهم هذه إلا حموقة مختلفة.

والقوم بالجملة أكذب البرية أسلافهم وأخلافهم وعلى كثرة ما شاهدنا منهم ما رأيت فيهم قط متحرياً للصـدق إلا رجلين فقط فصل قال أبو محمد رضي ا عنه وفي قصـة قلب الماء دماً فضيحة أخرى ظاهرة الكذب وهي أن في نص الكلام الذي يزعمونه التوراة ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وأنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها لتعود دماً وتصير ماء في آنية التراب والخشب دماً ففعل موسى وهارون كما أمرهما به السيد إلى قوله وصـار الماء في جميع أرض مصر دماً ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم واشتد قلب فرعون ولم يسمع لهما علـى حـال ثـم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه إلى هـذا أيضـاً وحفر جميع المصريين حوالي النهر ليصيبوا الماء منها لأنهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر قال أبو محمد رضـي

ا عنه هذا نص كتابهم فأخبر أن كل ماء كان بمصر في أنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها وأواني الخشب والتراب والماء كله في جميع أرض مصر صار دماً فأي ماء بقي حتى تقلبه السحرة دماً كما فعل موسى وهارون أبى ا إلا فضيحة الكذابين وخزيهم فإن قالوا قلبوا ماء الآبار التي حفرها المصريون حول النهر قلنا لهم فكيف عاش الناس بلا ماء أصلاً أليس هذه فضائح مرددة وهل يخفى أن هذا من توليد ضعيف العقل أو زنديق مستخف لا يبالي بما أتى به من الكذب ونعوذ با من الضلال فصل وبعد ذلك ذكر ا تعالى أمر موسى أن يقول لفرعون ستكون يدي على مكسبك الذي لك في الفحوص وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك وأغنامك بوباء شديد ويظهر السيد هذا في الأرض ففعل السيد ذلك في يوم آخر وماتت جميع دواب المصريين ولم يمت لبني إسرائيل دابة فاشتد قلب فرعون ولم يأذن لهم.

ثم ذكر بعد ذلك أمر ا تعالى موسى بأن يأخذ ما حملت الكف من رماد الكانون ويلقيه إلى السماء بين يدي فرعون ليصير غباراً في جميع أرض مصر فيكون في الآدميين والأنعام خراجات ونفاطات فأخذ رماداً من كانون

ووقف بين يدي فرعون ورماه موسى إلى السماء وصارت منه نفاطات في الآدميين والأنعام ولم تقدر السحرة على الوقوف عند موسى لما كان أصابهم من ألم النفاطات وكان مثل ذلك في جميع أرض مصر والسحرة فشدد ا قلب فرعون ولم يسمع لهما على حال ما عهد السيد إالى موسى.

وبعد ذلك قال إن ا أمر موسى أن يقول لفرعون غداً هذا الوقت أمطر برداً كثيراً جداً لم ينزل مثله على مصر من اليوم الذي أسست فيه إلى هذا الوقت فابعث واجمع أنعامك وكل من تملكه في الفدان فكل ما أدركه البرد في الفدان ولم يدخل البيوت فمن خاف وعيد السيد من عبيد فرعون أدخل عبيده وأنعامه في البيوت ومن استهان بوعيد السيد أبقى عبيده وأنعامه في الفدان.

وقال السيد لموسى مد يدك إلى السماء لينزل البرد في جميع أرض مصر فمد موسى يده بالعصا فأتى السيد بالرعد والبرد المختلف على الأرض ثم أمطر السيد البرد في جميع أرض مصر مخلوطاً بنار ولم ينزل بعظمة في تلك الأرض من حين سكن ذلك الجنس فأهلك البرد في جميع أرض مصر كلما ظهر به في الفدادين من الآدميين والأنعام

وجميع عشبهما وكسر جميع شجرها ولم ينزل منه شيء في أرض قوس حيث كان بنو إسرائيل قال أبو محمد رضي ا عنه تأملوا هذا الكذب الهجين اللائح.

ذكر أولاً أن موسى أتى بالوباء وأخبر عن ا تعالى أنه قال لفرعون سأهلك مكسبك الذي في الفحوص وخيلـك وحميرك وجمالك وبقرك وأغنامك فعمم جميع الناس ما أدخل في البيوت وما لم يدخل يعم جميع الحيوان صنفاً صنفاً ثـم أخبر أن جميع دواب المصريين ماتت ولم تمت لبني إسرائيل ولا دابة ثم ذكر أمر النفاطات ثم ذكر أمر البرد وأن موسى أنذر فرعون من ا تعالى وأمره بإدخال أنعامه في البيـوت وأن ما أدرك البرد منها في الفحص يهلك فليت شـعري أي دابة بقيت لفرعون وأهل مصر وقد ذكر أن الوبـاء أهلـك جمعيها وبين الإبل والحمير والخيل والغنم والبقر أليس هـذا عجباً وليس يمكن أن يقول إن دواب بني إسـرائيل هلكـت آخراً إذ سلمت أولاً لأنه قد بين أنه لم يقع من البرد شيء في أرض قوس حيث سكنى بني إسرائيل ولم يكن بين آية وآيـة بإقرارهم وقت يمكن فيه جلب أنعام إليهم من بلد آخر لأنه لم يكن بين الآية والآية إلا يوم أو يومان أو قريب مـن ذلـك

ومصر واسعة الأعمال ولا تتصل بشيءٍ من العماير بل بين جميع انتهاء أقطارها من كل جهة وبين أقرب العماير إليهـا مسيرة أيام كثيرة كالشـام وبـلاد الغـرب وأرض النوبـة والسودان وأفريقة فظهر كذب من عمل ذلك الكتاب المبـدل المحرف المفترى الذي يزعمونه التوراة وحاش من ذلـك والحمد على السلامة من مثل عملهم وضلالهم كثيراً فصل وبعد ذلك قال وكان مسكن بني إسرائيل بمصر أربـع مائـة وثلاثين سنة فلما انقضت هذه السنون خـرج ذلـك اليـوم معسكر السيد من أرض مصر قال أبو محمد رضي ا عنه هذه فضيحة الدهر وشهرة الأبد وقاصمة الظهر يقول هاهنـا أن مسكن بني إسرائيل بمصر أربع ماية سنة وثلاثون سـنة وقد ذكر قبل أن فاهاث بني لاوي دخل مصر مع جده يعقوب ومع أبيه لاوي ومع سائر أعمامه وبني أعمامـه وإن عمـر فاهاث بن لاوي المذكور كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سـنة وأن عمران بن فاهاث بن لاوي المذكور كان عمره مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة وأن موسى بن عمران بن فاهـاث بـن لاوي المذكور كان إذ خرج ببني إسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة هذا كله منصوص كما نذكره في الكتاب الذي

يزعمون أنه التوراة فهبك أن فاهاث دخل مصر ابن شهر أو أقل وأن عمران ابنه ولد بعد موته وأن موسى بـن عمـران ولد بعد موت أبيه ليس يجتمع من كل ذلك إلا ثلاث مائة عام وخمسون عاماً فقط فأين الثمانون عاماً الباقية من جملة أربع مائة سنة وثلاثين سنة.

فإن قالوا نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته قلنا قد بين في التوراة أنه كان إذ دخلـه ابن سبع عشرة سنة وأنه كان إذ دخلها أبوه وإخوته ابن تسع وثلاثين سنها فأما كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنـين وعشرين سنة ضمها إلى ثلثماية سنة وخمسين سنة يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة أيـن الثمـاني والخمسون الباقية من أربعماية وثلاثين سنة هـذه شـهرة لا نظير لها وكذب لا يخفى على أحد وباطل يقطع بأنه لا يمكن البتة أن يعتقده أحد في رأسه شيء من دماغ صحيح لأنـه لا يمكن أن يكذب ا تعالى في دقيقة ولا أن يكـذب رسـوله صلى ا عليه وسلم عامداً ولا مخطئاً في دقيقـة فيقـره ا تعالى على ذلك فكيف ولابد أن يسقط من هذه المـدة سـن فاهاث إذ ولد له عمران وسن عمران إذ ولد له موسى عليه

السلام والصحيح الذي يخرج على نصوص كتـبهم أن مـدة بني إسرائيل مذ دخل يعقوب وبنوه مصر إلى أن خرجـوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن إلا مائتي عـام وسـبعة عشر عاماً فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عام ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحـدها لكفـت فـي أنهـا موضوعة مبدلة من حمار في جهله أو مستخف سخر بهـم ولابد فصل وبعد ذلك قال وعند ذلك مجـد موسـى وبنـو إسرائيل بهذه السورة وقالوا مجد بنا السيد فإنه يعظم ويشرف وأغرق في البحر الفرس وراكبه قوتي ومديحي للسيد وقـد صار خلاصي هذا إلهي أمجده وإله أبي أعظمه السيد قاتـل كالرجل القادر وفي السفر الخامس اعلموا أن السـيد إلهكـم الذي هو نار أكول قال أبو محمد رضي ا عنه هذه سـؤة من السوآت لتشبيه ا عز وجل بالرجل القادر ويخبر بأنـه نار.

هذه مصيبة لا تجبر ولقد قال بعضهم أليس ا تعالى يقول عندكم " ا نور السماوات والأرض " قلت نعم وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ سأله أبو ذر.

هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه.

وهذا بين ظاهر أنه لم يعن النور المرئي لكن نور لا يرى.

فلاح أن معنى نور السماواتوالأرض إذ ثبت أنه ليس هو النور المرئي الملون أنه الهادي لأهلهما فقط وأن النـور اسم من أسماء ا تعالى فقط وأما قوله تعالى " مثل نـوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة إلى قوله ولو لـم تمسسه نار " فإنه شبه نوره الذي يهدي به أولياءه بالمصباح الذي ذكر فإنه شبه مخلوقاً بمخلوق.

وبيان ذلك قوله تعالى متصلاً بالكلام المـذكور فـي الآية نفسها " نور على نور يهدي ا لنوره من يشاء " فصح ما قلناه يقيناً من أنه تعالى إنما عنى بنوره هداه للمؤمنين فقط وهذا أصح تشبيه يكون لأن نور هـداه فـي ظلمـة الكفـر كالمصباح في ظلمة الليل فصل ثم وصف المن النازل عليهم من السماء فقال وكان أبيض شبيهاً بزريعة الكزبر ومذاقهـه كالسميد المعل ثم قال في السفر الرابع كـان المـن شـبيهاً بزريعة الكزبر ولونه إلى الصفرة وكان طعمه كطعم الخبـز المعجون بالزيت قال أبو محمد رضي ا عنه هذا تنـاقض في الصفة واللون والطعم وإحدى الصفتين تكذب الأخرى بلا

شك فصل وبعد ذلك قال إن ا عز وجل قال لبني إسـرائيل لقد رأيتموني كلكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة ثم قال بعد ذلك ثم صعد موسـى وهـارون ونـاداب وابيهـو وسبعون رجلاً من المشايخ ونظروا إلى إله إسرائيل وتحـت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي وكسماء صافية ولـم يمـد الرب يده إلى خيار بني إسرائيل الذين نظروا إلى ا وأكلوا وشربوا وقال بمقربة من ذلك وكان منظر عظمة السيد كنار آكلة في قرن الحيل يراه جماعة من بني إسرائيل قـال أبـو محمد رضي ا عنه هذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفـاء به وليس هذا كقول ا تعالى " وجاء ربك والملك صفاً صفاً " ولا كقوله تعالى " إلا أن يأتيهم ا في ظلل مـن الغمـام والملائكة " ولا كقول رسول ا صلى ا عليه وسلم.

ينزل ا تبارك وتعالى كل ليلة في ثلث الليل الباقي إلى سماء الدنيا.

لأن هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل إنما هـي أفعال يفعلها ا عز وجل تسمى مجيئاً وإتياناً وتنزلاً ولا مثل قوله تعالى " يد ا فوق أيديهم " " ويبقى وجه ربك " وسائر ما في القرآن من مثل هذا فكله ليس بمعنى الجارحـة لكـن

على وجوه ظاهرة في اللغة قد بيناها في غير هـذا المكـان عمدتها إن كل ذلك خبر عن ا تعالى لا يرجع بشيء مـن ذلك إلى سواه أصلاً ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله في السفر الخامس كلمكم ا من وسط اللهيب فسـمعتم صوته ولم تروا له شخصاً وهاتان قضيتان تكذب كل واحدة منهما الأخرى ولابد فصل وبعد ذلك قال فلما أطال موسـى المقام اجتمع بنو إسرائيل إلى هارون وقالوا قم واعمـل لنـا إلهاً يتقدمنا فإننا لا ندري ما أصاب موسـى الرجـل الـذي أخرجنا من مصر فقال لهم هارون اقلعوا أقراط الذهب عـن آذان نسائكم وأولادكم وبناتكم وائتوني بها ففعلوا ما أمرهم به وأتوه بالأقراط فلما قبضها هارون أفرغها وعمل لهم منهـا عجلاً وقال هذا إلهكم يا بني إسرائيل الـذي أخـرجكم مـن مصر فلما بصر بها هارون بنى مذبحاً بين يدي العجل وبرح مسمعاً غداً عيد السيد فلما قاموا صباحاً قربـوا لـه قربانـاً وأهدوا له هدايا وقعدت العامة تأكل وتشرب وقاموا للعب.

ثم ذكر إقبال موسى وأنه لما تدانى مـن المعسـكر بصر بالعجل وجماعات تنثني وبعد ذلك ذكر أنه قال لهارون ماذا فعلت بك هذه الأمة إذ جعلتم تذنبون ذنباً عظيماً فقال له

هارون لا تغضي سيدي فإنك تعرف رأي هذه الأمة في الشر قالوا لي اعمل لنا إلهاً يتقدمنا لأننا نجهل ما أصاب موسـى الذي أخرجنا من مصر فقلت لهم من كان عنده منكم ذهـب فليقبل به إلي وألقيته في النار وخرج لهم منه هذا العجل فلما رأى موسى القوم قد تعروا وكان هارون قد عراهم بجهالـة قلبه وصيرهم بين يدي أعداهم عراة قال أبو محمد رضـي ا عنه هذا الفصل عفا على ما قبله وطم عليـه أن يكـون هارون وهو نبي مرسل يتعمد أن يعمل لقومه إلهاً يعبدونـه من دون ا عز وجل وينادي عليه غداً عيد السـيد ويبنـي للعجل مذبحاً ويساعدهم على تقريب القربـان للعجـل ثـم يجردهم ويكشف استاههم للرقص وللغناء أمام العجـل إلا أن تكون أحق استاه كشفت إن هذا لعجب نبـي مرسـل كـافر مشرك يعمل لقومه إلهاً من دون ا أو يكون العجل ظهـر من غير أن يتعمد هارون عمله فهذه وا معجزة كمعجزات موسى ولا فرق إلا أن هذا هو الضلال والتلبيس والإشـكال والتدليس المبعد عن ا تعالى إذ لو كان هذا لما كان موسى أولى بالتصديق من عابد العجل الملعون أترى بعد استخفاف النذل الذي عمل لهم هذه الخرافة بالأنبيـاء علـيهم السـلام

استخفافاً حاش   من هذا أو ترون بعد حمق من يؤمن بـأن هذا من عند موسى رسول ا   وكليمه عن ا   تعـالى حمقـاً نحمد ا   على العافية أين هذا الهوس البارد والكذب المفترى من نور الحق الذي يشهد له العقل بالصحة الذي جـاء بـه محمد رسول ا   صلى ا   عليه وسلم عن ا   عز وجل حقاً إذ يقول في هذه القصة نفسها ما لا يمكن سواه " واتخذ قـوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا   أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين   " وقولـه عز وجل " فَكَذَلِكَ أَلْقَى السامِرِي فَأَخْرج لَهم عِجلًا جسدا لَـه خُوار فَقَالُوا هذَا إِلَهكُم وإِلَه موسى فَنَسِيَ فَلَا يرون أَلا يرجِـع إِلَيهم قَولًا ولَا يملِك لَهم ضرا ولَا نَفْعاً لَقَد قَالَ لَهم هارون مِن قَبلُ يا قَومِ إِنما فُتِنتُم بِهِ وإِن ربكُم الرحمن فَاتبِعونِي وأَطِيعوا أَمرِي قَالُوا لَن نبرح علَيهِ عاكِفِين حتى يرجِع إِلَينَا موسى قَالَ يا هارون ما منَعك إِذْ رأَيتَهم ضلوا أَلا تَتبِعن أَفَعصيتَ أَمرِي قَالَ يا ابن أُم لَا تَأْخُذْ بِلِحيتِي ولَا بِرأْسِي إِني خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرقْتَ بين بنِي إِسرائِيلَ ولَم تَرقُب قَولِي " وقوله " قَالَ ابن أُم إِن الْقَوم استَضعفُونِي وكَادواْ يقْتُلُونَنِي" فهذا هو الصدق حقـاً إنما عمل لهم العجل الكافر الضال السامري وأمـا هـارون

فنهاهم عنه جهده وإنهم عصوه وكادوا يقتلونـه وقـد بـين الصبح لذي عينين ولاح صدق قوله تعالى من كذب الآفكين.

وأما الخوار فقد صح عن ابن عباس مـا لا يجـوز سواه وأنه إنما كان دوي الريح تدخل من قبله وتخرج مـن دبره وهذا هو الحق لأنه تعالى أخبر أنه لا يكلمهم ولو خار من عند نفسه لكان ضرباً من الكلام ولكانت حياة فيه وهـو محال إذ لا تكون معجزة ولا إحالة لغير نبي أصـلاً وبـا تعالى التوفيق فصل وفي خلال هذه الفصول ذكر أن ا عز وجل قال لموسى دعني أغضب عليهم وأهلكهم وأقدمك على أمة عظيمة وأن موسى رغب إليه وقال له تـذكر إبـراهيم وإسرائيل وإسحاق عبيدك الذين خلقتهم بيدك وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى يكونوا كنجوم السماء وأورثـتهم جميـع هـذه الأرض التي وعدتهم بها ويملكونها فحن السيد ولم يـتم مـا كان أراد إنزاله من المكروه بأمته قال أبو محمد رضـي ا عنه في هذا الفصل عجايب.

أحدها إخباره بأن ا تعالى لم يتم ما أراد إنزاله من المكروه بهم وكيف يجوز أن يريد ا عز وجل إهلاك قـوم

قد تقدم وعده لهم بأمور ولم يتمها لهم بعد وحاش مـن أن يريد إخلاف وعده فيريد الكذب.

وثانيها نسبتهم البدآء إلى ا عز وجل وحاش من ذلك والعجب من إنكار من أنكر منهم النسخ بعـد هـذا ولا نكرة في النسخ لأنه فعل من أفعال ا أتبعه بفعل آخر مـن أفعاله مما قد سبق في علمه كونه كذلك وهذه صفة كل ما في العالم من أفعاله تعالى وأما البدآ فمن صفات من يهم بالشيء ثم يبدو له غيره وهذه صفة المخلوقين لا صفة من لم يزل لا يخفى عليه شيء يفعله في المستأنف.

وثالثها قوله فيها ويمكلونها وهذا كذب ظـاهر مـا ملكوها إلا مدة ثم خرجوا عنها إلى الأبد وا تعالى لا يكذب ولا يخاف وعده فصل وبعد هذا ذكـر أن ا تعـالى قـال لموسى اذهب واصعد من هذا الموضع أنت وأمتـك التـي أخرجت من مصر إلى الأرض التي وعـدت بهـا مقسـماً إبراهيم وإسحاق ويعقوب لا ورثها نسلهم وابعث بين يـديك ملكاً لإخراج الكنعانيين والأمـوريين والحثيـين والفـرزيين والحويين واليبوسيين تدخل في أرض تفيض لبنـاً وعسـلاً لست أنزل معكم لأنكم أمة قساة الرقاب لئلا تهلك بـالطريق

فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها فقال السيد لموسى قل لبني إسرائيل أنتم أمة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة وأهلكم فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعل بكـم وبعد ذلك بفصول قال إن موسى قال تعالى إن كنت سيدي عني راضياً فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا وبعد ذلك إن ا تعالى قال لموسى سأخرج بنفسي بين يديك قال أبـو محمـد رضي ا عنه في هذا الفصل كذبتان وتشـبيه محقـق أمـا الكذبتان.

فأحدهما قوله أنه سيبعث بين يـدي موسـى ملكـاً لإخراج الأعداء وأما هو تعالى فليس ينزل معهم ثـم نـزل معهم وهذا كذب لا مخاص منه تعالى ا عن هذا وحاش له من أن يقول سأفعل ثم لا يفعل وأن يقول لا أفعل ثم يفعل.

والثانية قوله إني سأنزل إليكم مرة وأهلككم ثـم لـم يفعل حاش من هذا وأما التشبيه المحقق فامتناعه مـن أن ينزل بنفسه واقتصاره على أن يبعث ملكاً لنصرتهم ثم أجاب إلى النزول معهم وهذا ما لا يسوغ فيه ما يسوغ فمن حديث التنزيل من أنه فعل بفعله تعالى لأنه لو كان هذا لكان إرسال الملك أقوى ما يوجد في العالم فإذ قد بطل فقد صح أنه نزول

نقلة ولابد فصل وفي خلال هذه الفصول قال وكان السيد يكلم موسى مواجهة فماً بفم كما يكلم المرء صـديقه وإن موسـى رغب إلى ا تعالى أن يراه وأن ا تعالى قال له سـأدخلك في حجر وأحفظك بيميني حتى أجتاز ثم أرفع يدي وتبصر ورائي لأنك لا تقدر أن ترى وجهي ففـي هـذين الفصـلين تشبيه شنيع قبيح جداً من إثبات آخر بخلاف الوجه وهذا مـا لا مخرج منه فصل وفي السفر الثالث أن الباري تعالى قـال له من ضاجع امرأة عمه أو خاله أو كشـف عـورة بنتـه فيحملان جميعاً ذنوبهما ويموتان من غير أولاد قال أبو محمد رضي ا عنه كنا ذكرنا أننا لا نخرج عليهم مـن تـوراتهم كلاماً لا يفهم معناه إذ للقائل أن يقول قد أصاب ا بـه مـا أراد لكن هذا المكان لم يتخلف فيه وعدنا لأنها شريعة فصل وفي السفر الرابع ذلك أن عدد بني إسرائيل الخارجين مـن مصر القادرين على القتال خاصة من كان ابن عشرين سـنة فصاعداً كانوا ستمائة ألـف مقاتـل وثلاثـة آلاف مقاتـل وخمسمائة مقاتل وخمسين مقاتل وأنه لا يدخل في هذا العدد من كان له أقل من عشرين ولا من لا يطيق القتال ولا النساء جملة وإن عددهم إذ دخلوا الأرض المقدسة ست مائة ألـف

رجل والف رجل وسبع مائة رجل وثلاثون رجلاً لم يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة وأن على هؤلاء قسمت الأرض المغنومة وعلى النساء وعلى من كان دون العشرين أيضاً.

وفي كتبهم أن داود عليه السلام أحصى في أيامه بني إسرائيل فوجد بني يهوذا خاصة خمسماية ألف مقاتل ووجد التسع الأسباط الباقية حاش بني لاوي وبني بنيامين فلم يحصهما ألف ألف مقاتل غير ثلاثين ألفاً وسوى من لا يقدر على القتال من صبي أو شيخ أو معذور وكل هؤلاء إنما كانوا في فلسطين والأردن وبعض عمل الغور فقط والبلد المذكور بحالته كما كان لم يزد بالاتساع ولا نقص وفي كتبهم أيضاً أن ابنا ابن ربعام بن سليمان بن داود قتل من العشرة الأسباط من بني إسرائيل خمس مائة ألف رجل وأن ابنا قتل اثنين وخمسين ألف مقاتل قال أبو محمد رضي ا عنه البلد المذكور باق لم ينقض ولا صغرت أرضه وحده بإقرارهم في الجنوب غزة وعسقلان ورجح وطرق من جبال الشراة بلد عيسو ولا خلاف بينهم في أنهم لم يملكوا قط قرية فما فوقها من هذه البلاد وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها محاربين مرة لبني إسرائيل ومراراً عليهم وحد ذلك

البلاد في القرب البحر الشامي وحده في الشمال صور وصيدا وأعمال دمشق التي لا يختلفون في انهم لم يملكوا قط منهـا مضرب وتدوانهم لم يزالوا من أول دولـتهم إلـى آخرهـا محاربين لهم فمرة عليهم ومرة لهم وفي أكثر ذلك يملكـون بني إسرائيل ويسومونهم سوء العذاب ومـرة يخـرج بنـو إسرائي عن ملكهم فقط وحد البلاد المذكور في الشرق بـلاد مواب وعمون وقطعة من صحراء العرب التي هي الفلـوات والرمال.

ولا خلاف بينهم في ان نص توراتهم أن ا تعـالى قال لموسى وبني إسرائيل إلى هنا لا تحاربوا بني عيسو ولا بني مواب ولا بني عمون فإني لم أورثكم من بلادهم وطـأة قدم فما فوقها لأني قد ورثت بين عيو وبني لوط هذه الـبلاد كما ورثت بني إسرائيل تلك التي وعدتهم بها وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها يحاربونهم فمرة يملكهم بنو عمون وبنو مواب ومرة يخرجون عن رقهم فقط وطول بلاد بنـي إسرائيل المذكورة بمساحة الخلفاء المحققة من عقبـة أنيـق وهي على أربعة وخمسين ميلاً من دمشق إلى طبرية ثمانية أميال وهي جبل أفرايم إلى الطور اثني عشر مـيلاً وإلـى

اللجون اثني عشر ميلاً إلى علمين عندهما ينقطع عمل الأردن ومبدأ عمل فلسطين ميل واحد إلى الرملة نحو أربعين ميلاً إلى عسقلان ثمانية عشر ميلاً وموضع الرملة هو كان آخر عمل بني إسرائيل فذلك ثلاثة وسبعون ميلاً وعرضه من البحر الشامي إلى أول عمل جبل الشراة وأول عمل مواب وأول عمل عمان نحو ذلك أيضاً وعمل صغير شرقي الأردن يسمى الغور فيه مدينة بيسان تكون أقل من ثلاثين ميلاً ولا يزيد وكان هذا العمل الذي بشرقي الأردن بزعمهم وقع لبني رؤابين وبني جاد ونصف بني منسي بن يوسف عليه السلام لأنه كان يصلح لرعي المواشي وكان هؤلاء أصحاب بقر وغنم فأعجبوا لهذا الكذب المفضوح وهذا المحال الممتنع أن تكون المسافة المذكورة تقسم أرضها على عدد يكون أبناء العشرين منهم فصاعداً خاصة أزيد من ستماية ألف فأين من دون العشرين وأين النشأ والكل بزعمهم أخذ سهمه من الأرض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها واعلموا أنه لا يمكن البتة أن يكون في المساحة المذكورة على أن تكون مساحة كل قرية ميلاً في ميل مزارعها ومشاجرها إلا ستة آلاف قرية ومائتا قرية هذا على أن يكون

جميع العمل المذكور عمراناً متصلاً لا مرج فيه ولا شجر أولاً أرض محجرة لا تعمر ولا أرض مرملة كذلك ولا سبخة ملح كذلك وهذا محال أن يكون فعلي هذا يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مائة رجل أو نحو ذلك سوى من هو دون العشرين بينهم وسوى النساء ولا سبيل البتة على هذا أن يدركوا فيها المعاش وهذا كذب لا خفاء به لاسيما إذ بلغوا ألف ألف مقاتل وخمس مائة مقاتل سوى من لا يقاتل وسوى النساء أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قول ا تعالى حاكياً عن فرعون أنه قال إذ تبع بني إسرائيل " إن هؤلاء لشرذمة قليلون " هذا الذي لا يجوز غيره ولا يمكن سواه أصلاً وكذبة أخرى وهي أنهم ذكروا في كتاب يوشع أن البلاد المذكور كان فيه من المدن في سهم بني يهوذا مائة مدينة وأربعة مدن وفي سهم بني شمعون سبع عشرة مدينة وفي سهم بنيامين ثمان وعشرون مدينة وفي سهم بني زبلون اثني عشر مدينة وفي سهم بني نفتالي تسع عشرة مدينة وفي سهم بني دان ثمان عشرة مدينة فذلك مائتا مدينة واثنتان وست وثلاثون مدينة قال في الكتاب المذكور سوى قراها لا يحصيها إلا ا عز وجل وذكر فيه أنه وقع لنصف بني

منسي بن يوسف بشرقي الأردن باشان وعملها وأن مـدائنهم المحصنة ستون مدينـة سـوى قارهـا لا يحصـيها إلا ا فالمجتمع من هذا المدن المذكورة ثلاث مائة مدينة غير أربع مدن ولم يذكر عدد مدائن بني رؤابين ولا عدد مدائن بنـي عاد ولا عدد مدائن نصف بني منسي الذي بغرب الأردن ولا مدائن بني أفرايم وهذه الأسباط التي لم تذكر مدنها تقع على ما توجبه توراتهم في الربع من جميع بني إسرائيل يقع لهـم على هذا الحساب نحو مائة مدينة إذا ضمت إلى العدد الـذي ذكرنا فتمام الجميع نحو أربعمائة مدينة فأعجبوا لهذه الشهرة أن تكون البقعة التي قد ذكرنا مساحتها على قلتها وتفاهتهـا تكون فيها هذه المدن وقد ذكر أن نصف سبط بنـي منسـي الذين وقعوا بشرقي الأردن ووقع في خطهم سـتون مدينـة كانوا ستة وعشرين ألف رجل مقاتلين كلهم ليس فيهم ابن أقل من عشرين سنة والعمل باق إلى اليوم لعله اثني عشر مـيلاً في مثلها ما رأيت أقل حياً من الذي كتب لهم تلـك الكتـب المرذولة وسخم بها وجوههم ونعوذ با من الضلال فصـل ويتصل بهذا الفصل فصل آخر هو أشنع منـه فـي شـهرة الكذب وشنعة المحال وظهور التوليد وبشاعة الافتعال ذكـر

في صدر السفر الثاني إذ ذكر خروج بني إسرائيل عن مصر مع موسى عليه السلام أن ا تعالى أمر موسى أن يعد بنـي إسرائيل بعد خروجهم من مصر بسنة واحدة وشهر واحد فقد فعد جميع قبائلهم فقال هؤلاء أكابر البيوت في قبائلهم حنوك وفلو وحصرون وكرمي وهم بنو رؤابين بكر ولد إسـرائيل هذه قبائل روابين.

وذكر في أول السفر الرابع أن مقدمهم كان اليصور بن شديئور وأن عددهم كان ستة وأربعين ألف رجل لم يعـد منهم من له أقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق الحـرب وذكر في صدر السفر الثاني فقال وبنـو شـمعون يموئيـل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشأول بن الكنعانيـة هـذه قبائل شمعون.

وذكر في أول السفر الرابع أن مقدمهم كان شلوميئيل بن صور يشداي وأن عددهم كان تسعة وخمسين ألف رجـل لم يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة ولا مـن لا يطيـق الحرب.

وقال في صدر السفر الثاني هذه تسمية بني لاوي في قبائلهم جرشون وقهات ومراري وابنا جرشون لبني وشمعي

في قبائلهما وبنوقهات عمرام ويصهار وحبـرون وعزيئيـل وابنا مراري محلى وموشي هذه أنساب بني لاوي في قبائلهم فتزوج عمران يوكابد عمته فولدت له موسى وهارون وبنـو يصهار قورح ونافج وذكري وبنو قـورح أسـير والقانـة وابياساف وبنو عزيئيل ميشائيل والصافان وستري فتـزوج هارون إلى اليشابع بنت عمينا داب أخت نحشون فولدت لـه ناداب وابيهو العازار وايثامار فتزوج العازار بن هارون في بنات بني فوطيئيل فولدت فيخاس وقال فـي صـدر السـفر الرابع فكلم السيد موسى في مغازسينا وقال له عد بني لاوي في بيوت آبائهم وأهاليهم فكل ذكر ابن شهر فصاعداً حسبهم موسى كما عهد إليه السيد فوجد ولد لاوي علـى أسـمائهم مسمين جرشون وقهات ومراري وولد جرشون لبني وشمعي وولد قهات عمرام ويصهار وعزيئيل وولد مـراري محلـي وموشي وأنه عد عامة ذكور بني جرشون ابن شهر فصاعداً فكانوا ستة آلاف وخمس مائة كانوا في ساقة القبة في الغرب تحت أيدي الياساف بن لا يل وبعد ذلك ذكر أنه حسب ألفـي رجل وستماية رجل وثلاثين رجلاً ثم قال هذه نسـبة قهـات خرج منه رهط عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل فحسـب

من كان منهم ذكراً ابن شهر فصاعداً فوجدهم ثمانيـة آلاف رجل وستمائة ذكر مقدمهم ليصافان بن عزيئيـل المـذكور وأمرهم أن يكونوا في جنوب القبة حاشا موسـى وهـارون وأولادهما فإنهم يكونون أمام القبة في الشرق وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة إلى ابن خمسين سنة فقط فوجـدهم ألفي رجل وسبعمائة رجل وخمسين رجلاً وذكر أنه حسـب بني مراري محلي وموشي بني مراري ومن كان منهم ابـن شهر فصاعداً من الذكور فوجدهم ستة آلاف ومائتين مقدمهم صوريئيل ابن أبيحايل وأمرهم أن يكونوا في شمال القبة وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى خمسين سنة فوجدهم ثلاثة آلاف رجل ومائتي رجل وبعد أن ذكر من كان من بني لاوي ابن شهر فصاعداً من الذكور كما أوردنا قال فجميع اللاوايين الذين حسب موسى وهارون من كل ذكر من ابن شهر فصاعداً اثنان وعشرون ألفاً.

وأن السيد أوحى إلى موسى أحسب بكور ذكور ولد إسرائيل المذكور من ابن شهر فصاعداً وتأخذ لي اللاويـين عن بكور جميع ولد إسرائيل فعد موسى بكور ولـد بنـي إسرائيل المذكور من ابن فصاعداً فوجدهم اثنين وعشرين ألفاً

ومائتين وثلاثة وسبعين فقال السيد لموسى خذ بني لاوي عن بكور ذكور ولد إسرائيل ليكون بنو لاوي لي وعن المـائتين والثلاثة والسبعين الزائدين عن عدد بني لاوي تأخذ عن كل واحد خمسة أثقال بوزن الهيكل فأخذ موسى دراهم الزائـدين فبلغت ألفاً وثلاثمائة وخمسة وستين ثقلاً وأعطاها لهـارون وولده على ما عهد عليه السيد.

ثم ذكر في سفر يوشع أن العازار بن هارون بنفسـه أتى إلى يوشع بن نون إذ فتحت الأرض المقدسة وكلمه فـي أن يعطي بني لاوي مدائن للسكنى ففعل وأنه وقـع لبنـي هارون خاصة ثلاثة عشرة مدينة من مـدائن بنـي يهـوذا وبنيامين وشمعون وأنه وقع لسائر بني فاهاث بن لاوي عشر مدائن بني يهوذا وبنيامين وشمعون وأنه وقع لسـائر بنـي فاهاث بن لاوي عشر مدائن بني دان وبني أفرايم ونصـف سبط منسي الذين مع سائر الأسباط وأنه وقع لبني جرشـون بن لاوي ثلاث عشرة مدينة من مدائن يساخار وأشير ونفتالي ونصف سبط منسي الذي بشرقي الأردن وأنـه وقـع لبنـي مراري بن لاوي ثنتي عشرة مدينة من مدائن بني زابلـون وبني روأبين وجاد بن يعوقب بشرقي الأردن فـذلك لبنـي

لاوي ثمان وأربعون مدينة وذكر في السفر الرابع أنه أحصى أيضاً بني جاد بن يعقوب الرجال خاصة من كان منهم ابـ ن عشرين سنة فصاعداً المبارزني للحـ رب فوجـ دهم خمسـ ة وأربعين ألف رجل وخمسين رجلاً مقـ دمهم الياسـ اف بـ ن رعوئيل.

وأ ه أحصى بني يهوذا الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً المبارزين للحرب خاصة فوجـ دهم أربعة وسبعين ألفاً وستمائة رجل وقد ذكر قبل وبعد أ هـ ذا العدد كله إنما هم من ولد شيلة وفارص وزارح بني يهـ وذا فقط مقدمهم نحشون بن عميناداب ابن أرام بن حصرون ابن فارص بن يهوذا بن إسرائيل.

وأنه أحصى بني يساكر الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً المبارزين للحرب خاصة فوجـ دهم أربعة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل مقدمهم نثنائيل بن صوغر وأنه أحصى بني زبلون الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً المبارزين للحرب خاصة فوجـ دهم سبعة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل مقدمهم الياب بـ ن حيلون وأنه حسب بني يوسف عليه السلام الذكور خاصة من

كان منهم ابن عشرين فصاعداً المبارزين للحـرب خاصـة فوجدهم اثنين وسبعين ألف رجل وسبعمائة رجل منهم مـن ولد أفرايم بن يوسف أربعون ألف رجل وخمسـمائة رجـل ومقدمهم اليشمع بن عميهود ومن ولد منسي بن يوسف اثنان وثلاثون ألف رجل ومائتا رجل مقدمهم جمليئيل بن فدهصور وأنه حسب بني بنيامين الذكور خاصة من كان مـنهم ابـن عشرين سنة فصاعداً المبارزين للحرب خاصة فكانوا خمسة وثلاثين ألف رجل وأربعمائة رجل مقدمهم ابيدن بن جدعوني وأنه حسب بني دان الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعداً من المبارزين للحرب خاصة فكانوا اثنـين وسـتين ألف رجل وسبعمائة رجل مقدمهم أخيعزر بـن عميشـداي وكلهم من ولد حوشيم بن دان وأنه حسب بني أشير الـذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعداً مـن المبـارزين للحرب خاصة فوجدهم واحد وأربعين ألف رجل وخمسـمائة رجل مقدمهم فجعيئيل ابن عكرن وأنه حسب بني نفتالي من كان منهم من الذكور خاصة ابـن عشـرين فصـاعداً مـن المبارزين للحرب خاصة فوجدهم ثلاثة وخمسين ألف رجـل وأربعمائة رجل مقدمهم أخيرع ابن عينن وأن هذا الحسـاب

كان بعد عام واحد وشهر واحد من خروجهم من مصر حاشا قسمة المدائن المذكورة وأنها بعد دخولهم فلسطين والأردن.

فليتأمل كل ذي تمييز صحيح من الخاصة والعامـة هذا الكذب الفاحش الذي لا خفاء به والمحال الممتنع والجهل المفرط الموجب كل ذلك ضرورة أنها كتب محرفة مبدلة من تحريف فاسق سخر بهم وأنها لا تمكن وأنها ألبتة أن تكـون من عند ا ولا من عند نبي ولا من عمل صادق اللهجة.

فمن ذلك أخباره بأن رجال بني دان كانوا إذا خرجوا من مصر اثنتين وسبعين ألفاً وسبعمائة رجل لم يعد فيهم من كان منهم ابن أقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق البـروز للحرب ولا النساء وأنهم كلهم راجعون إلى حوشيم بـن دان وحده ولم يكن لدن بإقرارهم ولد غير حوشـيم مـع قـرب أنسابهم من حوشيم لأن في نص توراتهم أن ا تعالى قـال لإبراهيم عليه السلام أن الجيل الرابع من الأولاد يرجعـون إلى الشام فاضبطوا هذا يظهر لكم الكذب علانية لا خفاء بـه وأن بني يهوذا كانوا أربعة وسبعين ألفاً وستمائة رجل لـيس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة وكلهم راجعـون كمـا ذكرنا إلى ثلاثة أولاد ليهوذا لم يعقب له غيرهم وفي الحيـاة

يومئذ رئيسهم نحشون بن عمينا داب بن أرام ابن حصـرون بن فارص بن يهوذا وأن بني يوسف عليه السلام كانوا اثنين وسبعين ألف رجل وسبعمائة رجل ليس يعد فيهم من له أقـل من عشرين سنة وكلهم راجع إلى أفرايم ومنسي لـم يعقـب ليوسف غيرهما وفيهم يومئذ في الحياة صلفحاد بن حافر بن جلعاد بن منسي بن يوسف عليه السلام وقد ذكر أيضاً فـي توراتهم أولا أفرايم فلم يجعل له ثلاثة ذكـور ولـم يجعـل لمنسي إلا ولدين وذكر أولاد جلعاد المذكور بن منسي ولـم يجعل له إلا ستة ذكور فقط.

فاجعلوا لمنسي وأفرايم أقصى ما يمكـن أن يكـون للرجل من الأولاد ثم لجلعاد وإخوته وبني عمه مثل ذلك ثـم لحافر وطبقته مثل ذلك وانظروا هل يمكن أن يبلغ ذلك ثلـث هذا العدد والأمر في ولد دان أفحش من سائر ما فـي ولـد إخوته وإن كان الكذب في كـل ذلـك فاحشـاً لأن البضـع والسبعين ألف رجل وزيادة لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة يرجعون إلى ثلاثة من ولد يهوذا واثنين من ولد يوسف وأما الاثنان وستون ألف رجل ونيف لا يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة فإنما يرجع إلى واحد فقط لم يمكن لدان غيـره

بلا خلاف منهم فكيف إذا أضيف إلى هذا العدد من له أقـل من عشرين سنة من الرجال والأغلب أنهم قريب من عـدد المتجاوزين عشرين سنة أو أقـل بيسـير وجميـع النسـاء والأغلب أنهن في عدد الرجال أو قريباً من ذلك فيجتمع من ولد حوشيم بن دان وحده في مدة مائتي عام وسـبعة عشـر عاماً نحو مائة ألف وستين ألف إنسان هذا المحال الممتنـع الذي لم يكن قط في العالم على حسب بنيته وتربيته ويجتمـع من ولد يوسف عليه السلام على هذا أرجح من مائتي ألـف إنسان ومن ولد يهوذا نحو ذلك وليس يمكنهم أن يقولـوا أن الطبقات من الولادات كانت كثيرة جداً الوجهين أحدهما قوله في توراتهم أن الجيل الرابع من الأولاد يرجعون إلى الشـام والثاني أن الذي ذكر أنسابهم من بني لاوي وبني يهوذا وبني يوسف وبني رأوبين كانوا متقاربين فـي التعـدد كموسـى وهارون ومريم بني عمران بن فاهاث بن لاوي بن إسرائيل واليصافان بن عزيئيل بن فاهاث بـن لاوي بـن إسـرائيل وقورح وإخوته بنو يصهار بن فاهاث بن لاوي بن إسرائيل ونحشون وإخوته بنو عمينا داب بن أرام بن حصـرون بـن فارص بن يهوذا بن إسرائيل وأحار بن كرمي بن سيداي بن

شيلة بن يهوذا بن إسرائيل ودابان وأبيرام ابنـا البـاب بـن ملوكن بن روبان بن إسرائيل وإخـوتهم وأولادهـم وأولاد أولادهم هذا نص ذكر أنسابهم في توراتهم فوضح أن الأمـر متقارب في تعددهم وظهر بهذا عظيم الكذب الفـاحش فـي الأعداد التي ذكروا ولا يمكنهم البتة أن يقولـوا أنـه كـان لإسرائيل غير من سمينا من الأولاد الاثني عشر ولا أنه كان لأولاد إسرائيل المذكورين غيـر مـن سـمينا مـن الأولاد وعددهم أحد وخمسون رجلاً فقط لبنيامين عشرة ولجاد سبعة ولشمعون ستة ولرؤبين وأشير وليساكر ونفتالي لكل واحـد منهم أربعة أربعة وليهوذا وللاوي وزبلون لكل واحد مـنهم ثلاثة ثلاثة وليوسف اثنان ولدان واحد فيا للناس كيف يمكـن أن يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلاً فقط في مدة مائتي عام وسبعة عشر عاماً فقط أزيد من ألفي ألف إنسـان هـذا غاية المحال الممتنع لأنه نص في توراتهم أنه انتسـل نهـم ستماية ألف وثلاثة آلاف رجال كلهم لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة ولعل من دون العشرين عاماً منهم يقاربون هذا العدد ثم النساء ولعلهن نحو هذا العدد فأعجبوا لهذه الفضائح.

وقد رام بعض من صككت وجهه من علمائهم بهـذه الفضيحة أن يلوذ بهذا السقب فقلت دع عنك هذا التمويه فقـد سدت عليك توراتك كل المذاهب لأن فيها بعلمك حيث ذكـر خروجهم من مصر وحيث ذكر دخولهم إلى الشـام وحيـث ذكر قسمة الأرض عليهم في سفر يوشع ذكر أفخاذ قبـائلهم وتسمية أسباطهم اسماً اسماً فلم يزد على من سمينا ولا واحداً فلو كان ما تقول لكانت أيضاً قد كذبت في هذا الموضـع إذ ذكرت بزعمك هذا قسمة الأرض ورتبة الجيـوش وأعـداد الأسباط بخلاف ما تزعم فلا بد فيها من الكذب المتيقن كيفما تصرفت الحال فسكت خاسئاً.

فإن قيل ألم يقل يعقوب إذ عرض عليه يوسف ابنـه أفرايم ومنسي فقال له يعقوب أفرايم ومنسـي يكونـان لـي وينسبان إلي ومن ولد لك بعدهما ينسبان إليك.

قلنا لا يخلو يوسف عليه السلام من أن لا يكون لـه ولد غيرهما ممن أعقب خاصة كما نقول نحن وتشـهد بـه نصوص توراتكم وجميع كتبكم أو يكون ليوسف ولـد أعقب غير أفرايم ومنسي فلو كان ذلك فكتبكم كلها كاذبة أولها عن آخرها من التوراة فما ورآها لأنه في كل مكان ذكر فيه رتبة

معسكر الأسباط سبطاً سبطاً وعددهم إذ خرجوا من مصـر وعددهم إذ دخلوا الشام وعددهم إذ أهدوا الكباش والعجـول وحقاق الذهب وعددهم إذ وقفوا على الجبلين للبركة واللعنـة وعددهم إذ نقشت أسماؤهم في الفصوص المرتبة على صدر هارون في أزيد من ألف موضع في سائر كتبهم ولم يـذكر ليوسف الإسبطين فقط سبط منسـي وسـبط أفـرايم فبطـل الاعتراض بذلك الكلام المذكور وبا التوفيق.

وقد علم كل من يميز م الرجال والنساء أن الكثـرة الخارجة من الأولاد لم توجد في العالم لصعوبة الأمـر فـي تربية أطفال الناس ولكون الإسقاط في الحوامل ولإبطاء حمل المرأة بين بطن وبطن ولكثرة الموت في الأطفال فهذه أربع عوارض قواطع دون الكثرة الخارجية في الأولاد للناس ثـم كون الإناث في الولادات أيضاً ولو طلبنا أن نعد من عاش له عشرون ولداً فصاعداً من الذكور وبلغوا الحلم فما وجـدناهم إلا في الندرة ثم في القليل من الملوك وذوي اليسار المفـرط الذين تنطلق أيديهم عن الكثير من النساء والإماء ثـم علـى الخدام اللواتي هن العون على التربية والكفاية وعلى كثـرة المال الذي لا يكون المعاش إلا به وأما من لا يجد إلا الكتاب

وفوقه مما لا يبلغ الإكثار من الوفر ولا يقدر إلا على المرأة والمرأتين ونحو ذلك فلا يوجد هذا فيهم البتـة بوجـه مـن الوجوه ولا يمكن ذلك أصلاً لهم لما ذكرنا آنفاً من القواطـع الموانع وقد شاهدنا الناس وبلغتنا أخبار أهل الـبلاد البعيـدة وكثر بحثنا عما غاب عنا منا ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة في أخبار من سلف من عرب وعجم في كثير من الأمم فما وجدنا في ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور فـي المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد إلا مـن أربعـة عشر ذكراً فأقل وأما ما زاد إلى العشرين فنادر جـداً هـذه الحال في جميع بلاد أهل الإسلام والذي بلغنا عـن ممالـك النصارى إلى أرض الروم وممالك الصقالبة والترك والهنـد والسودان قديماً وحديثاً وأما الثلاثون فأكثر فما بلغنا ذلك إلا عن نفر يسير عمن سلف.

منهم أنس بن مالك الأنصـاري وخليفـة بـن أبـي السعدي وأبو بكرة فإن هؤلاء لم يموتوا حتى مشي بين يدي كل واحد منهم مائة ذكر من ولده وعمر بن عبد الملك فإنـه كان يركب معه ستون رجلاً من ولده وجعفر بن سليمان بن علي بن عبد ا بن العباس فإنه عاش له أربعون ذكراً مـن

ولده سوى أبنائهم وعبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبـد الرحمن بن معاوية فإنه ولد له خمسة وأربعون ذكراً عـاش منهم نيف وثلاثون وموسى ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فإنه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابناً ذكوراً كلهم وكان أبـوه أميراً على اليمن مرة قائماً ومرة والياً للمـأمون ووصـيف مولى المعتصم التركي كان له خمسة وخمسون ذكراً بالغون من ولده الأدنين وتامرت مولي بني مناد صاحب طـرابلس فإنه كان يركب ومعه ثمانون ذكراً من أولاده الأدنين إلا أن هذا كان يغتصب كل امرأة أعجبته من أمة أو حرة بولـدها ورجل من ملوك البربر من بني دمر معتزلي كـان يركـب معه مائتا فارس من ولده وولد ولده وتميم بن يزيد بن يعلـي بن محمد العرني فإنه بلغنا أنه كان له نيف وخمسون ذكـراً بالغون وكان ملك بني نفر من ملك بلاداً عظيمة وأبو البهار بن زيري ابن منكاد فكان يركب معه ثلاثون ذكراً من ولـده الأدنين ومرزوق بن أشكر بن الثغري بجهـة لارده فكـان يركب معه ثلاثون فارساً من ولده الأدنين وبلغنا عن ملك من ملوك الهند أنه كان له ثمانون ولداً ذكوراً بالغون.

وتذكر اليهود في تواريخهم أن رئيساً كان يدبر أمرهم كلهم يسمى جدعون ابن بواش من بني منسي بن يوسف عليه السلام كان له سبعون ولداً ذكوراً وإن آخر منهم أيضاً من سبط منسي يسمى بابين بن جلعاد كان له اثنان وثلاثون ولداً ذكوراً وآخر من مدبريهم اسمه عبدون بن هلال من بني أفراييم بن يوسف كان له أربعون ابناً ذكوراً بالغون وآخر من مدبريهم من سبط يهوذا اسمه افصان من سكان بيت لحم كان له ثلاثون زوجة وثلاثون ابناً ذكوراً وثلاثون بنتاً وتزعم الفرس أن جودرز الملك علي كرمان كان له تسعون ابناً ذكوراً بالغون فإذا كانت هذه الصفة لم نجدها منذ نحو ثلاثة آلاف عام إلا في أقل من عشرين إنساناً في مشارق الأرض ومغاربها في الأمم السالفة والخالفة ممن علت حاله وامتد عمره وكثرت أمواله وعياله فكيف يتأتى من هذا العدد ما لم يسمع بمثله قط في الدهر لا في نادر ولا في شاذ لبني إسرائيل كافة بمصر وحالهم فيها معروفة مشهورة لا يقدر أحد على إنكارها وهي أنهم كانوا في حياة يوسف عليه السلام في كفاف من العيش أصحاب غنم فقط ولم يكونوا في يسار فائض ثم كانوا بعد موت يوسف وإخوته

عليه السلام في فاقة عظيمة وعذاب ونصب وسخرة متصلة وذل راتب وبلاءٍ دائب وتعب زاهق يكاد يقطع عـن الشـيع فكيف عن الاتساع في العيال والأشرفي الاستكثار من الولـد فهذه كذبة عظيمة مطبقة فاضحة.

وثانية وهي أن في توراتهم أنهم كانوا ساكنين فـي أرض قوس فقط وأن معاشهم كان من المواشي فقط.

وذكر في توراتهم أنهم إذ خرجوا من مصر خرجوا بجميع مواشيهم.

فاعجبوا أيها السامعون وتفكروا ما الذي يكفي ستمائة ألف وثلاثة آلاف لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة سوى النساء للقوت والكسوة من المواشي ثم اعلموا يقيناً أن أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشي فكيف أرض قوس وحدها وهم يقولون فـي تـوراتهم أن إبـراهيم ولوطاً عليهما السلام لم يحمل كثرة مواشيهم أرض واحـدة ولا أمكنهما أن يسكنا معاً فكيف بمواش تقوم بأزيد من ألـف ألف وخمسمائة ألف إنسان لقد كان الذي عمل لهم هذه اكتب الملعونة المكذوبة ضعيف العقل قليل الفكرة فيما يطلـق بـه قلمه فهذه كذبة فاحشة ثانية عظيمة جداً.

وثالثة أنه ذكر في توراتهم أنهم كانوا كلهم يسخرون في عمل الطوب وتا إن ستمائة ألف طـواب لكثيـر جـداً لاسيما في قوس وحدها وليس يمكنهم أن يقولوا أنهم كـانوا متفرقين فإن توراتهم تقول غير هـذا وتخبـر أنهـم كـانوا مجتمعين ذكر ذلك في مواضع جمة منها حيث أمرهم بـذبح الخرفان ومس العنب بالدم ومنها حيث أباح لهـم فرعـون الخروج مع موسى عليه السـلام فكـانوا كلهـم مجتمعـين بمواشيهم يوم خروجهم وهذه كذبة عظيمة ثالثة لا خفاء بها.

والرابعة أنه ذكر بني لاوي ثلاثة رجال فقط قهـات وجرشون ومراري وأن ذكور نسل هؤلاء الثلاثة فقط كـانوا اثنين وعشرين ألفاً من الذكور خاصة من ابن شهر فصاعداً من جملتهم ثمانية آلاف رجل وخمسمائة رجل وثمانون رجلاً ليس فيهم ابن أقل من ثلاثين سنة ولا ابن أكثر من خمسـين سنة ثم ذكر أولاد مراري فلم يذكر لـه إلا ولـدين محلـي وموشي فقط وذكر أولاد جرشون بن لاوي فلم يذكر لـه إلا ولدين لبني وشمعي وذكر أولاد قهات بن لاوي فلم يذكر إلا أربعة فقط عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل فرجع نسـل لاوي كله إلى هؤلاء الثمانية فقط ثم لم يجعلوا لتوجيه التأويل

في كذبهم مساغاً بل عد أولاد عمرام بأنهم موسى وهـارون عليهما السلام فقط والعازار وفرصوم ابنـي موسـى عليـه السلام وكانا صغيرين حينئذ جداً وأربعة أولاد لهارون عليه السلام وعد أولاد يصهار فذكر قورح وإخوته وثلاثـة أولاد لقورح وبقي سائر العدد المذكور من الألوف وهـي ثمانيـة آلاف رجل وستمائة رجل لا يعد فيهم ابن أقل من شهر مـن بني قهات خاصة راجعاً إلى أولاد حبرون وعزيئيل وأخوي قورح فقط هذا والصافان بن عزيئيل حي مقدم طبقته سوى النساء ولعل عددهن كعدد الرجال وهذا من الحمق الـذي لا نظير له ومن قلة الحياء في الدرجة العليا ومن الكذب البحث في المقدمة ومن المحال في المحل الأقصى وجار مجـرى الخرافات التي تقال عند السمر بالليل ولعمـري لـو ضـل بتصديق هذا الهوس الفاجر واحد واثنان لكان عجباً فكيف أن يضل به عالم عظيم وجيل بعد جيل مـذ أزيـد مـن ألـف وخمسمائة عام مذ كتب لهم عزر الوراق هذا السخام الـذي أضلهم به ونحمد ا على عظيم نعمته علينا كثيـراً ونسـأله العصمة في باقي أعمارنا مما امتحن به من شاء ضلاله آمين آمين.

والخامسة قوله في سفر يوشع أنه وقع لبني هـارون ثلاث عشر مدينة والعازار بن هارون حي قائم فيا للناس أفي المحال أكثر من أن يدخل في عقل أحد أن نسل هارون بعـد موته بسنة وأشهر يبلغ عدد الأيسعة للسكنى إلا ثلاث عشرة مدينة هل لهذا الحمق دواء إلا الغل والقيد والمجمعة وما يتبع ذلك من الكي والسوط ونعوذ با من الخذلان.

وكذبة سادسة ظريفة جداً وهي أنه ذكر في توراتهم أن عدد ذكور بني جرشون بن لاوي من ابن شهر فصـاعداً كانوا ستة آلاف وخمسمائة وإن عدد ذكور بني قهـات بـن لاوي من ابن شهر فصاعداً كانوا ثمانية آلاف وستمائة وإن عدد ذكور بني مراري بن لاوي من ابن شهر فصاعداً كانوا ستة آلاف ومائتين ثم قال فجميع الذكور من بني لاوي مـن ابن شهر فصاعداً اثنان وعشرون ألفاً فكان هذا ظريفاً جـداً وشيئندي منه الاباط وهل يجهل أحد أن الأعداد المذكورة إنما هي يجتمع منها واحد وعشرون ألفاً وثلاث مائة.

هذا أمر لا ندري كيف وقع أتراه بلغ المسخم الوجه الذي كتب لهم هذا الكتاب الأحمق من الجهل بالحساب هـذا المبلغ أن هذا لعجب ولقد كان الثور أهدي منه والحمار أنبه

منه بلا شك أترى لم يأت بعده من اليهود مذ أزيد من ألـف عام وخمسمائة عام من تبين له أن هذا خطـاء وباطـل ولا يمكن أن يدعي هنا غلط من الكتاب ولا وهم من الناسخ فـي بعض النسخ لأنه لم يدعنا في لبس من ذلك ولا في شك من فساد ما أتى به بل أكد ذلك وبينه وفضحه وأوضحه بأن قال إن بكور ذكور بني إسرائيل كـانوا اثنـين وعشـرين ألفـاً ومائتين وثلاثة وسبعين وإن ا تعالى أمر موسى أن يأخـذ بني لاوي الذكور عن بكور ذكور بني إسـرائيل وأن يأخـذ عن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين من بكور ذكور بني إسرائيل عن الاثنين وعشرين ألفاً من بني لاوي عـن كـل رأس خمسة أشقال فضة فاجتمع من ذلك ألف شقل وثلمثائـة شقل وخمسة وستون شقلاً فارتفع الأشـكال جملـة وبـا التوفيق.

وتا ما سمعنا قط بأخبث طينة ولا أفسد جبلة ممـن كتب لهم هذا الضلال إلا من اتبعه وصدق بضلاله فهذه ست كذبات في نسق لو لم يكن في توراتهم منها إلا واحدة لكـان برهاناً قاطعاً موجباً لليقين بأنها كتاب موضوع بلا شك مبدل محرف صغير مكذوب فكيف بجميع ما أوردنـا مـن ذلـك

ونورد إن شاء ا ونعوذ با من الخذلان ويتلو هـذا كذبـة شائعة بشيعة شنيعة وهي أنهم لا يختلفون في أن داود عليـه السلام هو ابن ابشباي بن عونيذ بن بوعز بن اشلومون بـن نحشون بن عمينا داب بن ارام بن حصرون لا يختلفون فـي أن عونيذ المذكور جد داوود أبا أبيه كانت أمه روث العمونية التي لها كتاب مفرد من كتب النبوة ولا يختلفون في أن مـن خروجهم من مصر إلى ولاية داود عليه السلام كانت ستمائة سنة وست وستين.

وفي نص التوراة عندهم وبلا خلاف منهم أن مقدمهم بني يهوذا إذ خرجوا من مصر كان نحشون بن عمينـا داب المذكور وأنه أخو امرأة هارون عليه السلام.

وفي نص توراتهم أنهم قالوا قال ا تعـالى أنـه لا يدخل الأرض المقدسة من خرج من مصر وله عشرون سنة فصاعداً لا يهوشع بن نون الافرايمـي وكالـب بـن يفنـة اليهوذاني فصح ضرورة أن نحشون مـات فـي التيـه وأن الداخل في أرض الشام هو ابنه سلومان.

فأقسموا الآن ستمائة وستين على أربع ولادات فقـط وهذه ولادة بوعز بن شلومون الداخل ثم ولادة عونيـذ بـن

بوعز بن روث العمونية ثم ولادة ابشاي بن عونيذ ثـم ولادة داود عليه السلام ثم أبشاي ثم لا تختلف كتبهم فـي أن داود عليه السلام ولي ثلاث وثلاثون سنة عند تمام الستمائة سـنة وست وستين فينبغي أن تسقط سنو داود إذ ولي مـن العـدد المذكور يكون الباقي خمسمائة سنة وثلاثـاً وسـبعون سـنة لثلاث ولادات وهـي ولادة أبشـاي وولادة عونيـذ وولادة بوعز.

فتأملوا بن كم كان واحد منهم إذ ولد له ابنه المذكور تعلموا أنه كذب مستحيل في نسبة ذلك من أعمارهم يومئـذ لأن في كتبهم نصاً أنه لم يعش أحد بعد موسى عليه السـلام في بني إسرائيل مائة وثلاثين سـنة إلا يهويـاراع الكـوهن الهاروني وحده وبالضرورة يجب أن كل واحد ممن ذكرنـا كان له أزيد من مائة ونيف وأربعين إذ ولد له ابنه المـذكور وهذه أقوال يكذب بعضها بعضاً فصح ضرورة لا محيد عنها أنها كلها مبدلة مستعملة محرفة مكذوبة ملعونـة وثبـت أن ديانتهم المأخوذة من هذه الكتب ديانة فاسدة مكذوبة من عمل الفساق ضرورة كالشيء المدرك بالعيان واللمس ونحمـد ا على السلامة فصل ثم وصف قيام بني إسرائيل على موسـى

عليه السلام وطلبهم منه اللحم للأكل وذكروا أشـواقهم إلـى القرع والقثاء والبصل والكراث والثوم الذي تشبه رائحته في الروائح عقولهم في العقول وذكروا ضجرهم من المـن وا عز وجل قال لموسى عليه السلام تقول للعامة تقدسوا غـداً تأكلوا اللحم ها أنا أسمعكم قائلين من ذا يطعمنا أكل اللحم قد كنا بخير بمصر ليعطينكم السيد اللحم فتأكلون لـيس يومـاً واحداً ولا يومين ولا خمسة ولا عشرة حتى تكمل أيام الشهر حتى يخرج على مناخركم ويصيبكم التخم لما تخليـتم عـن السيد الذي هو في وسطكم ويكون قدامه قائلين لماذا أخرجنا من مصر فقال موسى تعالى ستمائة ألف رجل وأنت تقول أنا أعطيهم اللحوم شهراً طعماً أترى تكثير بذبائح البقر والغنم فيقتاتون بها أم تجتمع حيتان البحر معاً لتشبعهم فقال له الرب أترى يد السيد عاجزة سترى أن يوافيك كلامي أم لا ثم ذكر أن ا تعالى أرسل ريحاً فأتت بالسماني من خاف البحر إلى بني إسرائيل فأكلوها ودخل اللحم بين أضراسهم وأصـابتهم التخم وأخذها وباء شديد مات منهم به كثير وإن هذا كان في الشهر الثاني من خروجهم من مصر قال أبو محمد رضـي ا عنه في هذا الفصل آيات من ا رب العالمين وما تـأتي

له طامة ألا تكاد تنسي ما قبلها فأول ذلك إخبار اللعين المبدل للتوراة بأن ا تعالى إذ قال لموسى غداً تأكلون اللحم إلـى تمام الشهر قال له موسى هم ستمائة ألف رجل وأنت تقـول أنا أعطيهم اللحوم طعاماً شهياً أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها أو تجتمع حيتان البحر معاً لتشبعهم قال أبو محمد رضي ا عنه حاش أن يراجع رجل له من العقل مسـكة ربه عز وجل هذه المراجعة وأن يشك في قوته علـى ذلـك وعلى ما هو أعظم منه فكيف رسول نبي أترى موسى عليه السلام دخله قط شك في أن ا تعالى قادر علـى أن يكثـر بذبائح البقر والغنم حتى يشبعهم أو على أن يأتيهم من حيتان البحر بما يشبعهم منه حاش من ذلك أتـراه خفـي علـى موسى عليه السلام أن ا تعالى هو الذي يرزق جميع بنـي آدم في شرقي الأرض وغربها اللحم وغير اللحم وأنه تعالى رازق سائر الحيوانات كلها من الطائر والعـائم والمنسـاب والماشي على رجلين وأربع وأكثر حتى يسـتنكر أن يشـبع شرذمة قليلة لا قدر لها من اللحم حاش له من ذلـك فكيـف يقول موسى عليه السلام هذا الكلام الأحمق حاش له من ذلك وقبل ذلك بعام وشهر وبعض آخـر طلبـوا اللحـم فأتـاهم

بالسماني والمن وأكلوا ذلك بنص توراتهم أتراه نسي ذلك في هذه المدة اليسيرة أو يظن أنه قدر على الأولى ويعجز عن الثانية حاشا له من هذا الهوس.

ثم زيادة في بيان هذا الكذب في توراتهم أن بني إسرائيل إذ خرجوا من مصر مع موسى خرجوا بجميع مواشيهم من البقر والغنم وأن أهل بيت منهم ذبحوا جدياً أو خروفاً في تلك الليلة.

وذكر في مواضع منها أنهم أهدوا الكباش والتيوس والخرفان والجديان والبقر والعجول إلى قبة العهد.

وذكروا في آخرها أن بني روابين وبني جاد ونصف سبط بني منسي كان معهم غنم كثير ومن البقر عدد لا يحصى في حين ابتداء قتالهم وفتحهم لأرض الشام فأي عبرة في إشباعهم من اللحم واللحم حاضر معهم كثير لا قليل ثلاثة من الغنم كانت تكفي الواحد منهم شهراً كاملاً وثور واحد كان يكفي أربعة منهم شهراً كاملاً على أن يأكلوا اللحم قوتاً حتى يشبعوا بلا خبز فكيف إذا تأدموا به فأي عجب في إشباعهم باللحم حتى يراجع موسى ربه تعالى بإنكار ذلك من قوة ربه عز وجل فهل في العالم أحمق ممن كتب هذه الكذبة

الشنيعة الباردة السخيفة الممزوجة بالكفر اللهم لك الحمد على تسليمك لنا مما امتحنتهم به.

فإن قالوا إن في كتابكم أن ا تعالى قال لزكريا " إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى " الآية وأن زكريا قال لربه تعالى " أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً قال كذلك قال ربك هو علي هين " الآية " قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ".

وفي كتابكم أيضاً أن الملك قال لمريم " أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت رب أنى يكون لي غلام " الآية " قال كذلك قال ربك هو علي هين " الآية.

قلنا ليس في جواب زكريا ومريم عليهما السلام اعتراض على بشرى الباري عز وجل لهما كما في كتابكم عن موسى عليه السلام ولا في كلام زكريا ومريم عليهما السلام إنكار على أن يعطيهما ولدين وهما عقيم وبكر إنما سألا أن يعرفا الوجه الذي منه يكون الولد فقط لأن إنني في اللغة العربية التي بها نزل القرآن بلا خلاف أن معناها من أين فصح ما قلنا من أنهما سألاه أن يعرفهما ا تعالى من أن يكون لهما الولدان أو من أي جهة بنكاح زكريا لامرأة

أخرى أم نكاح رجل لمريم أم من اختراعه تعـالى وقدرتـه فإنما سأل زكريا الآية ليظهر صدقه عند قومه ولـئلا يظـن أنهما أخذاه وادعياه هذا هو ظاهر الآيتين اللتين ذكرنا مـن القرآن دون تكلف تأويل بنقل لفظ أو زيادة أو حذف بخلاف ما حكيتم عن موسى من الكلام الذي لا يحتمل إلا التكـذيب فقط فصل وبعد ذلك ذكر قيام مريم وهارون أخـو موسـى عليه السلام معاندين لموسى من أجل امرأته الحبشية قال أبو محمد رضي ا عنه وكيف تكون حبشية وقد قال فـي أول توراتهم أنها بنت يثرون المدياني وهو بلا شك من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام فأحد هذين القولين يكذب الآخر فصل ذكر كما ذكرنا أن في الشهر الثاني من السنة الثانيـة مـن خروجهم من مصر كان طلبهم اللحم كما ذكرنا وأنه بعد ذلك وقع لهارون ومريم الشغب مع موسى أخيهما عليـه السـلام كما ذكرنا وأن مريم مرضت وأخرجت من المعسكر سـبعة أيام حتى برئت ثم رجعت وأن بعد ذلك وجـه موسـى ا تعالى الاثني عشر رجلاً الذين كان من جملتهم هوشع ابـن نون الافرايمي وكالاب بن يفنـة اليهـوذاني ليـروا الأرض المقدسة وذكر أنهم طافوها في أربعين يومـاً ثـم رجعـوا

وخوفوا بني إسرائيل حاشا كالب وهوشـع وأن ا   تعـالى سخط عليهم وأهلكهم وأوحى إلى موسى أما جيفكم فسـتكون ملقاة في المفاز ويكون أولادكم سابحين في المفـاز أربعـين سنة على عدد الأربعين يوماً التي دوختم فيها البلد اجعل لكم كل يوم سنة وتكافئون أربعين سنة بخطاياكم وأنهم بقوا فـي التيه أربعين سنة فلما أتموها أمرهم ا   عز وجل بالحركـة فتحركوا ثم ماتت مريم أخت موسى عليها السلام ثـم مـات هارون عليه السلام ثم حارب موسى عوج وسحون الملكـين وأخذ بلادهما وأعطى بلادهما لبني روابين وبني جاد ونصف سبط منسي ثم حارب المدينتين وقتل ملوكهما ثم إنـه عليـه السلام مات وله مائة سنة وعشرون سنة وفي صدر توراتهم أنه عليه السلام قال أبو محمد رضي ا   عنـه هـذا كـذب فاحش وقد قلنا أن الذي عمل لهم التوراة التي بأيديهم كـان قليل العلم بالحساب ثقيل اليد فيه جداً أو عياراً ماجناً مستخفاً لا دين له سخر منهم بأمثال التيوس والحمير لأنه إذا خـرج وله ثمانون سنة وبقي بعد خروجه سنة أو شهر ثـم تـاهوا أربعين سنة ثم قاتلوا ملوكاً عدة وقتلـوهم وأخـذوا بلادهـم وأموالهم فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيـادة علـى المائـة

وعشرين سنة أكثر من سنة ولابد والأغلب أنهما سنتان زائدتان فكذب ولابد في سن موسى إذ مات أو كذب الوعد الذي أخبر عن ا تعالى بتيههم أربعين سنة حاشا للباري تعالى أن يكذب أو أن يغلط في دقيقة أو أقل وحاشا لنبيه صلى ا عليه وسلم من مثل ذلك وصح أنها مولدة موضوعة فصل ثم ذكر في السفر الخامس فقال إن طلع فيكم نبي وادعى أنه رأى رؤيا وأتاكم بخبر ما يكون وكان ما وصفه ثم قال لكم بعد ذلك اتبعوا أبناء إلهة الأجناس فلا تسمعوا له قال أبو محمد رضي ا عنه في هذا الفصل شنعة من أشنع الدهر وتدسيس كافر مبطل للنبوات كلها لأنه أثبت النبوة بقوله إن طلع فيكم نبي ويصدقه في الأخبار بما يكون ثم أمرهم بمعصيته إذا دعاهم إلى اتباع آلهة الأجناس وهذا تناقض فاحش ولئن جاز أن يكون نبي يصدق فيما ينذر به يدعو إلى الباطل والكفر فلعل صاحب هذه الوصية من أهل هذه الصفة وما الذي يؤمننا من ذلك وها هنا شيء يوجب تصديقه واتباعه ويبينه من الكاذبين إلا ما صحح نبوته من المعجزات فلما لزمت معصيته إذا أمر بباطل فإن معصية موسى لازمة وغير جائزة في شيء مما أمر به إذ لعله أمر

بباطل إذ كان في الممكن أن يكون نبي يأتي بالمعجزات يأمر بباطل وحاش من أن يقول موسى عليه السلام هذا الكلام وا ما قاله قط ولقد كذب عليه الكذب المبدل للتوراة وكذلك حاش أن يظهر آية على يدي من يمكن أن يكذب أو يأمر بباطل هذا هو التلبيس من ا على عبـاده ومـزج الحـق بالباطل وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حـق ولا إبطال باطل.

واعلموا أن هذا الفصل من توراتهم والفصل الملعون الذي فيه أن السحرة عملوا مثل بعض ما عمل موسى عليـه السلام فإنهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كـل نبي يقرون له بنبوة قطعاً لأنه لا فرق فيهمـا بـين موسـى وسائر أنبيائهم وبين الكذابين والسحرة وحاش من هذا وبه تعالى نعوذ من الخذلان.

هذا مع قوله بعد ذلك وأيما نبي أحدث فيكم من ذاته نبوة مما لم نأمر به ولم أعهد إليه به أو تنبأ فيكم يدعو للآلهة والأوثان فاقتلوه فإن قلتم في أنفسكم من أين يعلم أنه من عند ا أو من ذاته فهذا علمه فيكم إذا أنبأ بشيء ولم يكن فاعلموا أنه من ذاته قال أبو محمد رضي ا عنه هذا كلام صـحيح

وهذا مضاد للذي قبله من أنه ينبىء بالشيء فيكون كما قـال وهو مع ذلك يدعو إلى عبادة غير ا والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لا مؤنة عليهم أن ينسـبوا إلـى الأنبياء عليهم السلام الكفر والضلال والكذب والعمد كالـذي ذكرنا قبل وكنسبتهم إلى هارون عليه السلام أنه هـو الـذي عمل العجل لبني إسرائيل وبنى له مذبحاً وقرب له القربـان وجرد استاه قومه للرقص والغناء قدام العجل عـراة وكمـا نسبوا إلى سليمان عليه السلام أنه قرب القرابين للأوثان على الكدي وأنه قتل يواب بن صوريا صبراً وهو نبي مثله وكما نسبوا إلى شاول وهو نبي عندهم يوحي إليه قتـل النفـوس ظلماً ونسبوا إلى بلعام بن باعورا وهو نبي عندهم يوحي ا تعالى إليه مع الملائكة العون على الكفر وأن موسى وجيشه قتلوه ثم نسبوا النبوة إلى منسي بـن حزقيـا الملـك وهـو بإقرارهم كافر ملعون يعبد الأوثان ويقتل الأنبياء وينسـبون المعجزات إلى شمسون الدابي وهو عندهم فاسـق مشـهور بالفسق متعشق للفواسد ملم بهن وينسبون المعجـزات إلـى السحرة فأعجبوا لعظيم بليتهم واحمـدوا ا علـى السـلام واسألوه العافية لا إله إلا هو فصل ثم قال في آخر توراتهم

فتوفي موسى عبد ا بذلك الموضع في أرض مواب مقابـل بيت فغور ولم يعرف آدمي موضع قبره إلى اليـوم وكـان موسى يوم توفي ابن مائة وعشرين سنة لم ينقص بصره ولا تحركت أسنانه فنعاه بنو إسرائيل في أوطنة مـواب ثلاثـين يوماً وأكملوا نعيه ثم إن يشوع ابن نون امتلأ من روح ا إذ جعل موسى يديه عليه وسمع له بنو إسرائيل وفعلوا ما أمر ا به موسى ولم يخلف موسى في بني إسرائيل نبي مثله ولا من يكلمه ا مواجهة في جميع عجائبه التي فعل على يديـه بأرض مصر في فرعون مع عبيده وجميع أهل مملكتـه ولا من صنع ما صنع موسى في جماعة بني إسرائيل قال أبـو محمد رضي ا عنه هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صـادقة فـي أن توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تحرض بجهله أو تعمد بفكره وأنها غير منزلة من عند ا تعالى إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته فكان يكون أخباراً عنهما لم يكن بمساق ما قد كان وهـذا هـو محـض الكذب تعالى ا عن ذلك وقوله لم يعرف قبره آدمـي إلـى اليوم بيان لما ذكرنا كاف وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويـل

ولابد قال أبو محمد رضي ا عنه ها هنا انتهى ما وجـدنا من التوراة لليهود التي اتاق عليهـا الربـانيون والعانـانيون والعيسويون والصدوقيون منهم مع النصارى أيضاً بلا خلاف منهم فيها من الكذب الظاهر في الأخبار وفيما يخبر به عـن ا تعالى ثم عن ملائكته عن رسـله علـيهم السـلام مـن المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة إلى الأنبياء علـيهم السلام ولو لم يكن فيها إلا فصل واحد من الفصـول التـي ذكرنا لكان موجباً ولابد لكونها موضـوعة محرفـة مبدلـة مكذوبة فكيف وهي سبعة وخمسون فصلاً من جملتها فصول تجمع الفصل الواحد منها سبع كـذبات أو مناقضـات فأقـل سوى ثمانية عشر فصلاً تتكاذب فيها نص توراة اليهود مـع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى والكذب لائح ولابد في إحدى الحكايتين فما ظنكم بمثل هذا العدد مـن الكـذب والمناقضة في مقدار توراتهم وإنما هي مقدار مائـة ورقـة وعشرة أوراق في كل صفحة منها من ثلاثة وعشرين سطراً إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساح أقرب يكون في السـطر بضع عشرة كلمة قال أبو محمد رضي ا عنه ونحن نصف إن شاء ا تعالى حال كون التوراة عند بني إسـرائيل مـن

أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبهـا لهـم عـزرا الوراق بإجماع من كتبهم واتفاق من علمـائهم دون خـلاف يوجد من أحد منهم في ذلك وما اختلفوا فيه من ذلـك نبهنـا عليه ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة وبا تعالى نستعين قال أبو محمد رضي ا عنه دخـل بنـو إسـرائيل الأردن وفلسطين والغور مع يوشع بن نون مدبر أمرهم عليه السلام إثر موت موسى عليه السلام ومع يوشع العازار بن هارون عليه السلام صاحب السرادق بما فيه وعنده التوراة لا عنـد أحد غيره بإقرارهم فدبر يوشع عليه السـلام أمـرهم فـي استقامة وألزمهم للدين إحدى وثلاثين سنة مذ مات موسـى عليه السلام إلى أن مات يوشع ثم دبرهم فيخاس بن العازار بن هارون وهو صاحب السرادق والكوهن الأكبر والتـوراة عنده لا عند أحد غيره خمساً وعشرين سـنة فـي اسـتقامة والتزام للدين ثم مات وطائفة منهم عظيمة يزعمون أنه حـي إلى اليوم وثلاثة أنفس إليه وهم الياس النبي الهاروني عليـه السلام ومليكصيذق بن فالج بن عابر بن ارفحشاذ بن سام بن نوح عليه السلام والعبد الذي بعثه إبراهيم عليه السلام فلمـا

انقضت المدة المذكورة لفيخاس بن العزار كفر بنو إسـرائيل وارتدوا كلهم وعبدوا الأوثان علانية فملكهم كذلك ملك صور وصيدا مدة ثمانية أعوام على الكفر.

ثم دبر أمرهم عسال بن كنار بن أخي كالاب بن يفنة بن يهوذا أربعين سنة على الإيمان ثم مات فكفر بنو إسرائيل كلهم وارتدوا وعبدوا الأوثان علانية فملكهم كـذلك عقلـون ملك بني مواب ثمان عشرة سنة على الكفر ثم دبر أمـرهم أهوذ بن قاراقيل أنه من سبط أفرايم وقيل من سبط بنيـامين واختلف أيضاً في مدة رئاسته فقيل ثمانون سنة وقيل وخمس وخمسون سنة على الإيمان إلى أن مات ثم دبرهم سمعان بن غاث بن سبط أشار خمساً وعشرين سنة على الإيمان ثم مات فكفر بنو إسرائيل كلهم وعبدوا الأوثان جهاراً فملكهم كـذلك مراش الكنعاني عشرين سنة على الكفر ثم دبـرت أمـرهم دبورا النبتية من سبط يهوذا وكان زوجهـا رجـلاً يسـمى السدوث من سبط أفرايم إلى أن ماتت وهم على الإيمان فكان مدة تدبيرها لهم أربعون سنة فلما ماتت كفر بنـو إسـرائيل كلهم وارتدوا وعبدوا الأوثان جهاراً فملكهم عوزيـب وزاب ملك بني مدين سبع سنين على الكفر ثم دبر أمرهم جـدعون

بن بواس من سبط أفرايم وقيل بل من سـبط منسـي وهـم يصفون أنه كان نبياً وكان له واحد وسـبعون ابنـاً ذكـوراً فملكهم على الإيمان أربعين سنة ثم مات وولي ابنه أبو ملك ابن جدعون وكان فاسقاً خبيث السيرة فارتـد جميـع بنـي إسرائيل وكفروا وعبدوا الأوثان جهاراً وأعانه أخوالـه مـن أهل نابلس من بني إسرائيل من سبط يوسف بتسعين ديراً من بيت ماعل الصنم ومضوا معه فقتل جميع إخوته حاشا واحداً منهم أفلت وبقي كذلك ثلاث سنين إلى أن قتل ودبرهم بعـده مولع بن قوامن سبط يساخر ولم نجد بياناً هل كـان علـى الإيمان أو على الكفر خمساً وعشرين سنة ثم مات ثم دبـر أمرهم بعدها بابين بن جلعاد من سبط منسي اثنين وعشـرين عاماً على الإيمان إلى أن مات وكان له اثنان وثلاثون ولداً ذكوراً قد ولي كل واحد منهم مدينة من مدائن بني إسـرائيل فارتد بنو إسرائيل كلهم بعد موته وعبدوا الأوثـان جهـاراً وملكهم بنوا عمون ثلاث عشرة سنة متصلة على الكفر ثم قام فيهم رجل من سبط منسي اسمه هيلع بن جلعاد ولا يختلفون في أنه كان ابن زانية وكان فاسقاً خبيث السيرة نذران أظفره ا بعدوه أن يقرب سبحانه أول من يلقاه من منزله فـأول

من لقيه ابنته ولم يكن له ولد غيرها فوفي بنـذره وذبحهـا قرباناً وكان في عصره نبي فلم يلتفت إليه وأنه قتل من بني أفرايم اثنين وأربعين ألف رجل فملكهم ست سنين ثم مـات فوليهم بعده أفصات من سبط يهوذا من سكان بيت لحم وكان له ثلاثون ابناً ذكوراً فوليهم سبع سنين وقيل ست سنين ثـم مات والأظهر من حاله على ما توجبه أخبـارهم الاسـتقامة ووليهم بعده إيلون من سبط زبلون عشر سنين إلى أن مات.

وولي بعده عبدون بن هلال بن سبط أفرايم ثمـاني سنين على الإيمان وكان له أربعون ولداً ذكوراً فلمـا مـات ارتد بنو إسرائيل كلهم وكفروا وعبدوا الأوثان جهاراً فملكهم الفلسطينيون وهم الكنعانيون وغيرهم أربعين سنة على الكفر ثم دبرهم شمشون ابن مانوح من سبط داني وكان مـذكوراً عندهم بالفسق واتباع الزواني فدبرهم عشرين سنة وينسبون إليه المعجزات ثم أسر ومات فدبر بنو إسرائيل بعضهم بعضاً في سلامة وإيمان أربعين سنة بلا رئيس يجمعهم ثم دبـرهم الكاهن الهاروني على الإيمان عشرين سنة إلى أن مات ثـم دبرهم مشموال بن فتان النبي من سبط أفرايم قبل عشـرين سنة وقيل أربعين سنة كل ذلك فـي كتـبهم علـى الإيمـان

وذكروا أنه كان له ابنان قوهال وببـايجوران فـي الحكـم ويظلمان الناس وعند ذلك رغبوا إلى شموال أن يجعل لهـم ملكاً فولى عليهم شاول الدباغ بن قيش بن انيل بن شارون بن بورات بن آسيا بن خس من سبط بنيامين وهو طالوت فوليهم عشرين سنة وهو أول ملك كـان لهـم ويصـفونه بـالنبوة وبالفسق والظلم والمعاصي معاً وأنه قتل من بني هارون نيفاً وثمانين إنساناً وقتل نسائهم وأطفالهم لأنهم أطعموا داود عليه السلام خبزاً فقط فاعلموا الآن أنه كان مـذ دخلـوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنـوا بعبادة الأصنام فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام والثانية ثمانيـة عشر عاماً والثالثة عشرين عاماً والرابعـة سـبعة أعـوام والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر والسادسة ثمانيـة عشـر عاماً والسابعة أربعين عاماً.

فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمـادي الكفـر ورفـض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم واتباع كتابهم أحـد علـى ظهـر الأرض غيرهم.

ثم مات شاول المذكور مقتولاً وولـى أمـرهم داود عليه السلام وهم ينسبون إليه الزنا علانية بأم سليمان عليـه السلام وأنها ولدت منه من الزنا ابناً مات قبل ولادة سـليمان فعلى من يضيف هذا إلى الأنبياء عليهم السلام ألف ألف لعنة وينسبون إليه أنه قتل جميع أولاد شاول لذنب أبـيهم حاشـا صغيراً مقعداً كان فيهم فقط وكانت مدته عليه السلام أربعين سنة.

ثم ولي سليمان عليه السلام وقد وصفوه بما ذكرنـا قبل وذكروا عنه أن نفقته فرضها على الأسباط لكـل سـبط شهر من السنة وأن جنده كانوا اثني عشر ألف فارس علـى الخيل وأربعين ألفاً على الرمك خلافاً لما في التـوراة أن لا يكثروا من الخيل وهو بني الهيكل في بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة الآن والقربان والتوراة والتـابوت وسكينة بني هارون فكانت ولايته أربعين سنة ثم مات عليـه السلام فافترق أمر بني إسرائيل فصار بنو يهوذ وبنو بنيامين لبني سليمان بن داود عليه السلام في بيت المقـدس وصـار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم يسكن بنابلس على ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس وبقوا كذلك إلى ابتداء

إدبار أمرهم على ما نبين إن شاء ا تعالى فنذكر بحول ا تعالى وقوته أسماء ملوك بني سليمان عليه السلام وأديـانهم ثم نذكر ملوك الأسباط العشرة وبا عز وجل نتأيد ليرى كل واحد كيف كانت حال التوراة والديانة في أيام دولتهم قال أبو محمد رضي ا عنه ولي أثر موت سليمان بن داود عليـه السلام ابنه رحبعام بن سليمان وله ست عشرة سنة وكانـت ولايته سبعة عشر عاماً فأعلن الكفر طـول ولايتـه وعبـد الأوثان جهاراً هو وجميع رعيته وجنده بلا خـلاف مـنهم ويقولون أن جنده كانوا مائة ألف وعشرين ألفاً مقاتلاً وفـي أيامه غزي ملك مصر في سبعة آلاف فارس وخمسة عشـر ألف رجل إلى بيت المقدس فأخذها عنوة بالسـيف وهـرب رحبعام وانتهب ملك مصر المدينة والقصر والهيكل وأخذ كل ما فيها ورجع إلى مصر سالماً غانماً ثم مات رحبعام علـى الكفر فولي مكانه ابنه أبياوهل ثمان عشرة سنة فبقي علـى الكفر هو وجنده ورعيته وعلى عبادة الأوثان علانية وكانت ولايته ست سنين ويقولون قتل من الأسـباط العشـرة فـي حروبه معهم خمسمائة ألف إنسان ثم ولي بعد موته ابنه اشا بن ابيا وله عشر سنين وكان مؤمناً فهـدم بيـوت الأوثـان

وأظهر الإيمان وبقي في ولايته إحدى وأربعين سـنة علـى الإيمان وذكروا أن جنده كانوا ثلاثمائة ألف مقاتل من بنـي يهوذا واثنين وخمسين ألفاً من بني بنيامين ومات وولي بعده ابنه يهوشافاط بن اشا وهو ابن خمس وثلاثين سـنة فكانـت ولايته خمساً وعشرين سنة وذكروا عنه أنه كان على الإيمان إلى أن مات فولي ابنه يهورام بن يهوشافاط ولم نجـد أمـر سيرته ودينه إلا أنه كان مؤلفاً العبادة الأوثان من ملوك سائر الأسباط وولي له اثنان وثلاثون سنة وكانت ولايتـه ثمانيـة أعوام ومات فولي مكانه ابنه اخزيا وله اثنان وعشرون سنة فأظهر الكفر وعبادة الأصنام في جميع رعيته وكانت ولايته سنة وقتل فوليت أمه عثليا بنت عمري ملك العشرة الأسباط فتمادت على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان وقتلـت الأطفال وأمرت بإعلان الزنا في البيت المقدس وجميع عملها وعهدت أن لا تمنع امرأة ممن أراد الزنا معها وعهدت أن لا ينكر ذلك أحد فبقيت كذلك ست سنين إلى أن قتلت فولي ابن ابنها يواش بن اخزيا وله سبع سنين فاتصلت ولايته أربعـين سنة وأعلن الكفر وعبادة الأوثان وقتل زكريا النبـي عليـه السلام بالحجارة ثم قتله غلمانه فولي بعده ابنه امصـيا بـن

يواش وله خمس وعشرون سنة فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته فبقي كذلك إلى أن قتل وهو على الكفر وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة وفي أيامه انتهب ملك الأسباط العشرة البيت المقدس وأغاروا على كل ما فيه مرتين ثم ولي بعده عزيا بن امصيا وله ست عشرة سنة فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته إلى أن مات وكانت ولايته اثنين وخمسين سنة وهو قتل عاموص النبي عليه السلام الداوودي فولي بعده ابن يوثام بن عزيا وله خمس وعشرون سنة ولم نجد له سيرة وكانت ولايته ست عشرة سنة فمات فولي مكانه ابنه احاز بن يوثام وله عشرون سنة فأعلن الكفر وعبادة الأوثان وكانت ولايته ست عشرة سنة فأعلن الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات فولي بعده ابنه حزقيا بن اجاز وله خمس وعشرون سنة وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة فأظهر الإيمان وهدم بيوت الأوثان وقتل خدمتهما وبقي على الإيمان إلى أن مات هو وجميع رعيته وفي السنة السابعة من ولايته انقطع ملك العشرة الأسباط من بني إسرائيل وغلب عليهم سليمان الأعسر ملك الموصل وسباهم ونقلهم إلى أمد وبلاد الجزيرة وسكن في بلاد الأسباط

العشرة أهل أمد والجزيرة فأظهروا دين السامرة الذين هناك إلى إلى اليوم ثم مات حزقيا وولي بعده ابنه منسي بن حزقيا وله ثنتا عشرة سنة ففي السنة الثالثة من ملكه أظهر الكفـر وبنى بيوت الأوثان وأظهر عبادتها هو وجميع أهل مملكتـه وقتل شعيا النبي قيل نشره بالمنشار من رأسه إلى مخرجـه وقيل قتله بالحجارة وأحرقه بالنار والعجب كله أنهم يصفون في بعض كتبهم بأن ا أوحى إليه مع ملك من الملائكة وأن ملك بابل كان أسره وحمله إلى بلده وأدخله في ثور نحـاس وأوقد النار تحته فدعا ا فأرسل إليه ملكاً فأخرجه من الثور ورده إلى بيت المقدس وأنه تمادى مع ذلك كله علـى كفـره حتى مات وكانت ولايته خمساً وخمسين سنة فقولوا يا معشر السامعين بلد تعلن فيه عبادة الأوثان وتبني هياكلها ويقتل من وجد فيه من الأنبياء كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب ا سالماً أم كيف يمكن هذا فلما مات منسي ولي مكانه ابنه أمون بـن منسي وهو ابن اثنين وعشرين عاماً فكانت ولايتـه سـنتين على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات فولي مكانـه ابنـه يوشيا بن آمون وهو ابن ثمان سنين ففي السنة الثالثـة مـن ملكه أعلن الإيمان وكسر الصلبان وأحرقها واستأصل هياكلها

وقتل خدامها ولم يزل على الإيمان إلى أن قتل قتلـه ملـك مصر وفي أيامه أخذ أرميا النبي السرداق والتابوت والنـار وأخفاها حيث لا يدري أحد لعلمه بفوت ذهاب أمرهم ثم ولي بعده ابنه يهوخار بن يوشيا وهو ابن ثلاث وعشرين سنة فرد الكفر وأعلن إلى عبادة الأوثان وأخذ التـوراة مـن الكـاهن الهاروني ونشر منها أسماء ا حيث وجدها وكانت ولايتـه ثلاثة أشهر وأسره ملك مصر فولي مكانه الياقيم بن يوشـيا أخوه وهو ابن خمس وعشرين سنة فأعلن الكفر وبنى بيوت الأوثان هو وجميع أهل مملكته وقطع الـدين جملـة وأخـذ التوراة من الهاروني فأحرقها بالنار وقطع أثرهـا وكانـت ولايته إحدى عشرة سنة ومات فولي مكانه ابنه يهوياكين بن الياقيم وتلقب نخيا وهو ابن ثمان عشرة سنة فأقام على الكفر وأعلن عبادة الأوثان وكانت ولايته ثلاثة أشهر وأسره بخـت نصر فولي مكانه عمه متينا بن يوشيا وتلقب صدقيا وهو ابن إحدى وعشرين سنة فثبت على الكفر وأعلن عبادة الأوثـان هو وجميع أهل مملكته وكانت ولايته إحدى عشر سنة وأسره بخت نصر وهدم البيت والمدينـة واستأصـل جميـع بنـي إسرائيل وأخلى البلد منهم وحملهم مسبيين إلى بلاد بابل وهو

آخر ملوك بني إسرائيل وبني سليمان جملة فهذه صفة ملوك بني سليمان بن داود عليهما السلام.

فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلـى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكـل فقط وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قـط ولا واحد فما فوقه بل كانوا معلنين بعبادة الأوثان مخيفين للأنبياء مانعين القصد إلى بيت المقدس لم يكن فـيهم نبـي قـط إلا مقتولاً أو هارباً مخافاً.

فإن قيل أليس قد قتل الياس جميع أنبياء بابل لأجـل الوثن الذي كان يعبده الملك والنخلة التي كانت تعبدها بنـي إسرائيل وهم ثمانمائة وثمانون رجلاً.

قلنا إنما كان ذلك بإقرار كتبهم في مشهد واحـد ثـم هرب ومن وقته وطلبته امرأة الملك لتقتله وما بصره أحـد فأول ملوك الأسباط العشرة يربعام بن نابطا الافرايمي وليهم إثر موت سليمان النبي صلى ا عليه وسلم فعمل من حينـه عجلين من ذهب وقال هذان إلا إلاهاكم اللذان خلصاكم مـن مصر وبنى لهما هيكلين وجعل لهما سدنة من غير بني لاوي وعبدهما هو وجميع أهل مملكته ومنعهم من المسير إلى بيت

المقدس وهو كان شريعتهم لا شريعة لهم غير القصـد إليـه والقربان فيه فملك أربعاً وعشرين سنة ثم مات وولـي ابنـه ناداب بن يربعام على الكفر المعلن سنتين ثم قتل هو وجميع أهل بيته وولى بعشا بن ايلة من بني يسـاكر علـى عبـادة الأوثان علانية أربع وعشرين سنة وولي ولده ايلة بن بعشـا على الكفر وعبادة الأوثان سنتين إلى أن قام عليه رجل مـن قواده اسمه زمري فقتله وجميع أهل بيته وولي زمري سبعة أيام فقتل وأحرق عليه داره وافترق أمـرهم علـى رجلـين أحدهما يسمى تبني بن جينة والآخر عمري فبقيا كذلك اثنتي عشرة عاماً ثم مات تبني وانفرد بملكهم عمري فبقي كـذلك ثمانية أعوام على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات وولـي بعده ابنه اخاب بن عمري على أشد ما يكـون مـن الكفـر وعبادة الأوثان إحدى وعشرين سنة وفي أيامه كان اليـاس النبي عليه السلام هارباً عنه في الفلوات وعن امرأته بنـت ملك صيدا وهما يطلبانه للقتل ثم مات اخـاب وولـي ابنـه اخزيا بن أخاب على الكفر وعبادة الأوثان ثلاث سـنين ثـم مات وولي مكانه أخوه يهورام ابن أخاب على الكفر وعبادة الأوثان اثنتي عشرة سنة إلى أن قتل هو وجميع أهـل بيتـه

وفي أيامه كان اليسع عليه السلام وولي مكانه ياهو بن نمشي من سبط منسي فكان أقلهم كفراً هدم هياكل ما علـى الـوثن وقتل سدنته إلا أنه لم ينقص قطع عبادة الأوثان بـل تـرك الناس عليها ولم يظهر الإيمان فولي كذلك ثمانية وعشـرين سنة ومات وولي مكانه ابنه يهواحاز بن ياهو سـبع عشـرة سنة فبنى بيوت الأوثان وأعلن عبادتها هو ورعيته إلـى أن مات وفي كتبهم أن أمر الأسباط العشرة ضعف فـي أيامـه حتى لم يكن معه من الجند إلا خمسون فارساً وعشـرة آلاف رجل فقط لأن ملك دمشق غلب عليهم وقتلهم وولـي مكانـه ابنه يواش بن يهواحاز ست عشرة سنة على أشد مـن كفـر أبيه وأخذ في عبادة الأوثان وهو الذي غزا بيـت المقـدس وأغار عليه وعلى الهيكل وأخذ كل ما فيه وهدم مـن سـور المدينة أربعمائة ذراع وهرب عنه ملك يهوذا ثم مات وولي مكانه ابنه بارنعام بن يواش خمساً وأربعين سنة على مثـل كفر أبيه وعبادة الأوثان وغزا أيضاً بيت المقـدس وهـرب أمامه ملكها الداوودي فأتبعه فقتله ثم مات وولي مكانه ابنـه زخريا بن بارنعام بن يواش بن يهواحاز بن ياهو بن نمسـي ستة أشهر على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن قتل هو وجميع

أهل بيته وولي مكانه شلوم ابن نامس من سبط نفتالي فملـك شهراً واحداً على الكفر وعبادة الأوثان ثم قتل وولـي بعـده مياخيم بن قارا من سبط يساكر عشرين سنة علـى عبـادة الأوثان والكفر ومات.

وولي مكانه ابنه محيا بن مياخم على الكفر وعبـادة الأوثان سنتين إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته وولي مكانـه ناجح بن مليا من سبط داني فملك ثمانياً وعشرين سنة علـى الكفر وعبادة الأوثان إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته.

وفي أيامه أجلي تباشر ملك الجزيرة بنـي روأبـين وبني جاد ونصف سبط منسي من بلادهم بالغور وحملهم إلى بلاده وسكن بلادهم قوماً من بلادهم ثم ولي مكانه هوسيع بن إيلا من سبط جاد على الكفر وعبادة الأوثان سبع سنين إلـى أن أسره كما ذكرنا سليمان الأعسر ملك الموصـل وحملـه والتسعة الأسباط ونصف سبط منسي إلى بلاده أسرى وسكن بلادهم قوماً من أهل بلاده وهم السامرية إلى اليوم وهوسـيع هذا آخر ملوك الأسباط العشـرة وانقضـى أمـرهم فبقايـا المنقولين من أمد والجزيرة إلى بلاد بني إسرائيل هم الـذين ينكرون التوراة جملة وعندهم نزراة أخرى غير هـذه التـي

عند اليهود ولا يؤمنون بنبي بعد موسى عليـه السـلام ولا يقولون بفضل بيت المقدس ولا يعرفونه ويقولون أن المدينة المقدسة هي نابلس فأمر توراة أولئك أضـعف مـن تـوراة هؤلاء لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبي أصلاً ولا كانوا هنالك أيام دولة بني إسرائيل وإنما عملها لهم رؤساهم أيضاً.

فقد صح يقيناً أن جميع أسباط بني إسـرائيل حاشـا سبط يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بني هـارون بعـد سليمان عليه السلام مدة مائتي عام وواحد وسبعين عاماً لـم يظهر فيهم قط إيمان ولا يوماً واحداً فما فوقه وإنمـا كـانوا عباد أوثان ولم يكن قط فيهم نبي إلا مخاف ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر ولا كان عندهم شـيء مـن شرائعها أصلاً مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم وهم عشرون ملكاً قد سميناهم إلى أن أوجلوا ودخلـوا فـي الأمم وتدينوا بدين الصابئين الذين كـانوا بيـنهم متملكـين وانقطع رسم رميمهم إلى الأبد فلا يعرف منهم عـين أحـد وظهر يقيناً أن بني يهوذا وبني بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة على أعـوام علـى اختلاف من كتبهم في ذلك في بضعة عشر عاماً وقد قلنا أنها

كتب مدخولة فاسدة ملك هذين السبطين في هذه المدة من بني سليمان بن داود عليهما السلام تسعة عشر رجلاً ومن غيرهم امرأة تموا بها عشرين ملكاً قد سميناهم كلهم آنفاً كانوا كفاراً معلنين بعبادة الأوثان حاشا خمسة منهم فقط كانوا مـؤمنين ولا مزيد وهم اشا بن أسا ولي إحدى وأربعين سـنة وابنـه يهوشافاط بن اشا ولي خمساً وعشرين سنة فهذه ستة وستون اتصل فيهم الكفر ظاهراً وعبادة الأوثان ثم ثمانيـة أعـوام ليورام بن يهوشافاط لم نجد له حقيقة ديـن فحملنـاه علـى الإيمان لسبب أبيه ثم اتصل الكفر ظاهراً وعبادة الأوثان في ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين عامـاً مـع كفـر سـائر أسباطهم فعمهم الكفر وعبادة الأوثان في أولهم وآخرهم فأي كتاب أو أي دين يبقى مع هذا ثم ولي حزقياً المـؤمن تسـعاً وعشرين سنة ثم اتصل الكفر بعد فـي عـامتهم وملـوكهم وعبادة الأوثان سبعاً وخمسين سنة ثم ولي يوشـا المـؤمن الفاضل إحدى وثلاثين سنة ثم لم يل بعده إلا كـافر معلـن بعبادة الأوثان مدة اثنين وعشرين عاماً وستة أشهر منهم من نشر أسماء ا من التوراة ومنهم من أحرقها وقطع أثرها ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم إيمان إلا الكفر وقتل الأنبياء عليهم

السلام إلى أن انقطع أمرهم جملة بغارة بخت نصر وسبوا كلهم وهدم البيت واستأصل أثره إلى غاراة كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذي لم يكن التوراة عند أحد إلا فيه لم يترك فيها شيء مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام رحبعام بن سليمان ومرتين في أيام امصيا الملك من قبل صاحب العشرة الأسباط إلى أن أملها عليهم من حفظة عزرا الوراق الهاروني وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خللٌ كثير فأصلحه وهذا يكفي وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً ولا القبة ولا التابوت واختلف في النار كانت عندهم أم لا ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهوراً ضعيفاً أيضاً ولم تزل تتداولها الأيدي مع ذلك إلى أن جعل أنطاكيوس الملك الذي بنى أنطاكية وثناً للعبادة في بيت المقدس وأخذ بني إسرائيل بعبادته وقربت الخنازير على مذبح البيت ثم تولى أمرهم قوم من بني هارون بعد مئين من السنين وانقطعت القرابين

فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التي بأيديهم اليوم وأحدث لهـم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلاً مـن القـرابين وعملوا لهم ديناً جديداً ورتبوا لهم الكنائس فـي كـل قريـة بخلاف حالهم طول دولتهم وبعد هلاك دولتهم بأزيـد مـن أربعمائة عام وأحدثوا لهم اجتماعاً في كل سبت على ما هـم عليه اليوم بخلاف ما كان طول دولتهم فإنه لم يكن لهم فـي شيءٍ من بلادهم بيت عبادة ولا مجمع ذكر وتعلم ولا مكـان قربان قربة البتة إلا بيت المقدس وحده وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط وبرهان هذا أن في سفر يوشـع بـن نون بإقرارهم أن بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط منسي إذ رجعوا بعد فتح بلاد الأردن وفلسطين إلى بلادهم بشرقي الأردن بنوا مذبحاً فهم يوشع بن نون وسائر بنـي إسـرائيل بغزوهم من أجل ذلك حتى أرسلوا إليه أننا لم نقمه لا لقربان ولا لتقديس أصلاً ومعاذ ا أن نتخذ موضع تقـديس غيـر المجتمع عليه الذي في السرادق وبيت ا فحينئذ كف عـنهم ففي دون هذا كفاية لمن عقل في أنها كتاب مبـدل مكـذوب موضوع ودين معمول خلاف الدين الذي يقرون أن موسـى عليه السلام أتاهم به وما يزيد الشيطان منهم أكثر من هـذا

ولا في الضلال فوق هذا ونعوذ با من الخذلان وأيضاً فإن في التوراة التي ترجمها السبعون شيخاً لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وفشوها هي مخالفة للتي كتبهـا لهـم عـزرا الوراق وتدعي النصارى أن تلك التي ترجم السبعون شـيخاً في اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام التـي من أجل ذلك الاختلاف تولد بين تـاريخ اليهـود وتـاريخ النصارى زيادة ألف عام ونيف على ما نذكر بعد هذا إن شاء ا تعالى فإن كان هو كذلك فقد وضح اليقين وكذب السبعين شيخاً وتعمدهم لنقل الباطل وهم الذين عنهم أخذوا دينهم وأفٍ أفٍ لدين أخذ عن متيقن كذبه.

وايضاً فإن في السفر الخامس من أسفار التوراة الذي يسمونه التكرار أن ا تعالى قال لموسى اصنع لوحين على حال الأولين واصعد إلى الجبل واعمل تابوتـاً مـن خشـب لأكتب في اللوحين العشر كلمات التي أسـمعكم السـيد فـي الجبل من وسط اللهيب عند اجتماعكم إليه وبري بهما إلـي فانصرفت من الجبل وجعلتهما في التابوت وهما فيـه إلـى اليوم وفي السفر المذكور أيضاً بعد هذا الفصل قال ومن بعد أن كتب موسى هذه العهود في مصحف واستوعبها أمر بني

لاوي حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم خذوا هذا المصحف واجعلوه في المذبح واجعلوا عليه تابوت عهد الـرب إلهكـم ليكون عليكم شاهداً وقال قبل ذلك في السفر المذكور أيضـاً إذا استجمعتم على تقديم ملك عليكم على حال ملوك الأجناس فلا تقدموا إلا من ارتضاه الرب من عدد إخوتكم ولا تقدموا أجنبياً على أنفسكم إلى أن قال فإذا قعد على سـرير ملكـه فليكتب من هذا التكرار في مصحف ما يعطيه الكوهن المتقدم من بني لاوي بما يشاكله ويكون ذلك معه فيقرأه كـل يـوم طول ولايته ليخاف الرب إلهه ويذكر كتابه وعهده فهذا كلـه بيان واضح بصحة ما قلنا من أن العشر كلمات ومصـحف التوراة إنما كان في الهيكل فقط تحت تـابوت العهـد وفـي التابوت فقط عند الكوهن الأكبر وحده لأنه بإجماعهم لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه وفيه أيضاً أنـه أمـر أن يكتب الكوهن المذكور من السفر الخامس فقط شيئاً يمكن أن يقرأه الملك كل يوم ومثل هذا لا يكون إلا يسيراً جداً ورقـة أو نحو ذلك مع أنهم لا يختلفون في أنه لم يلتفت إلى ذلـك ألبتة بعد سليمان عليه السلام أحد من ملوكهم إلا أربعـة أو خمسة كما قدمنا فقط من جملة أربعين ملكاً وأيضاً فإنه قـال

في السفر المذكور ثم كتب موسى هذا الكتاب وبري به إلـى الكهنة من بني لاوي الذين كانوا يحسنون عهد الرب وقـال لهم موسى إذا اجتمعتم للتقديس بين يدي الرب إلهكـم فـي الموضع الذي تخيره الرب فاقرؤا ما في هذا المصحف في جماعة بني إسرائيل عند اجتماعهم فقط يسمعوا ما يلـزمهم قال أبو محمد رضي ا عنه وفي نص توراتهم أنهم كانوا لا يلزمهم المجيء إلى بيت المقدس إلا ثلاث مرات في كل سنة فقط فإنما أمر بنص التوراة كما أوردنا أن يقرأهـا علـيهم الكوهن الهاروني عند اجتماعهم فقط فثبت أنها لم تكن إلا في الهيكل فقط عند الكوهن الهاروني فقط لا عند أحد سواه وقد أوضحنا قبل أن العشرة الأسباط لم يدخل قط بيـت المقـدس منهم أحد بعد موت سليمان عليه السلام إلى أن انقطعوا وأن بني يهوذا وبنيامين لم يجتمعوا إليه إلا فـي عهـد الملـوك الخمسة المؤمنين فقط فظهر بهذا كلما قلنا وصح تبديلها بيقين ولاشك في أن تلك المدة الطويلة التي هي أربعمائة سنة غير شيء قد كان في الكهنة الهارونيين ما كان في غيـرهم فـي الكفر والفسق وعبادة الأوثان كالذي يذكرون عن ابني علـي الهاروني وغيرهما ممن يقرؤن في كتبهم أنهم خدموا الأوثان

وبيوتها من بني هارون وبني لاوي ومن هذه صـفته فـلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به وهذه كلها براهين أضوء مـن الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها قال أبو محمـد رضي ا عنه إلا سورة واحدة ذكر في توراتهم أن موسـى عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلـم جميـع بنـي إسـرائيل ليحفظوها ويقوموا بها ولا يمتنع أحد من نسلهم من حفظهـا وهذا نصها حرفاً بحرف اسمعي يا سموات قـولي وتسـمع الأرض كلامي يكثر كالمطر وبل كالرذاذ كلامـي ويكـون كالمطر على العشب وكالرذاذ على الخصب لأني أنادي باسم الرب فيعظمه الرب الهنا الذي أكمل خلقته واعتدلت أحكامـه ا الأمين الذي لا يجوز العدل القيوم أذنب لديه غير أوليائه ومحت الأمة العاصية المستحيلة وهذا شكر للرب يـا أمـة جاهلة قيمة أما هو أبوكم الذي خلقكم ومليكم فتذكروا القـديم وفكروا في الأجناس وسلوا ىبـاكم فيعلمـونكم وأكـابركم فيعرفونكم إذا كان يقسم العلي الأجناس ويميز بـين يـد آدم جعل قسمة الأجناس على حساب بني إسرائيل فهم الرب أمته ويعقوب قسمته وجده في الأرض المقفرة وفي موضع قبـيح غير مسلوك فأطلقه وأقبل به وحفظه كحفظ الشـعر للعـين

وأطارهم كما يستطير العقاب بفراخها وتحوم عليها وتبسـط جناحها حفظاً لها فأقبل بهم وحملهم على منكبيه فالرب وحده كان قائدهم ولم يكن معه إله غيره فجعلهم في أشرف أرضه ليأكلوا خبزها ويصيبوا عسل حجارتها وزيت جنادلها وسمن مواشيها ولبن ضأنها وشحوم خرفانها وكباش بنـي بلسـان ولحوم التيوس لبان البر ودم العنب وتعاصوا سمنوا ودبـروا وأشعوا ثم تخلوا من ا خالقهم وكفروا با مسلمهم فـألجوه لعبادتهم الأوثان إلى أن سخط عليهم ولسجودهم للشـيطان لا ولسجودهم لإلهه الأجناس كانوا يجهلونها ولم يعدها قبلهم آباؤهم فتخلوا من ا الذي ولدهم فنسبو الرب خالقهم فبصر الرب بهذا وغضب له إذ تحلى بنوه وبناته فقال اخفي وجهي عنهم حتى أعلم آخر أمرهم فإنها أمة كافرة عاصـية وقـد أسخطوني بعبادة من لـيس إلهـاً وأغضـبوني بفواحشـهم وسأغيرهم على يدي أمة ضعيفة وأخف بهم على يدي أمـة جاهلة ويتقدم غضبي نار تحرق إلى الهـواء فتـأتي علـى الأرض بمعاتسته وتذهب أصول الجبال فأجمع عليهم بـأس وأثقبهم بنبلي وأهلكهم جوعاً وأجعلهم طعماً للطيـر وأسـلط عليهم أنياب السباع وأعصب عليهم الحياة فإن برزوا أهلكتهم

رماحاً وإن تحصنوا أهلكت الشاب منهم والعـذار والطفـل والشيخ رعباً حتى أقول أين هم فأقطع من الأرض ذكـرهم لكني رفهت عنهم لشدة حرد أعدائهم لئلا يزهوا ويقولوا أيدينا القوة فعلت لا الرب فهذه الأمة لا أرى لها ولا تمييز فليتهـا عرفت وفهمت وأبصرت ما يدركها في آخر أمرها كيف يتبع واحد منهم ألفاً ويفر عن اثنين عشرة آلاف أما هذا بأن ربهم أسلمهم وربهم أعاق فيهم ليس إلهنا مثل آلهتهم وصار حكماً كرمهم من كرم سدوم وعناقيـدهم مـن أربـاض عـامورا فعناقيدهم عناقيد المرارة وشرابهم مرارة الثعابيبن ومن السم الذي لا دواء له أما هذا في علمي ومعروف في خزائني لي الانتقام وأنا أكافىء في وقته فترهق أرجلكم فكان قـد حـان وقت خرابهم وإلى ذلك تسرع الأزمنة سيحكم الـرب علـى أمته ويرحم عبيده إذا أبصرهم قد ضـعفوا وأغلـق علـيهم وذهبوا وذهب أواخرهم وقال أين آلهتهم التي يتقون ويأكلون من قربانهم ويشربون منه فليقوموا وليغيثـوهم فـي وقـت حاجتهم.

فتبصروا تبصروا أنا وحدي ولا إله غيري أنا أميت وأنا أحيي وأنا أمرض وأنا أبري ولا يتخلص شي من يـدي

فأرفع إلى السماء يدي وأقول بحياتي الدائمة لـئن حـددت رمحي كالصاعقة وابتدأت يميني بالحكم لا كافـاني أعـدائي وأهل السنان ولأسكرن نبلي دماً ولأقطعن برمحـي لحومـاً فأمد حوايا معشر الأجناس أمة فإنه سيأخذ بدماء عبيده وينتقم من أعدائهم ويرحم أرضهم قال أبو محمد رضي ا عنه هذه السورة التي أبيحت لهم وأمروا بحفظها وكتابتها لا ما سواها بنص توراتهم بزعمهم وقد بينا قبل أنهم لم يشتغلوا بعد موت سليمان عليه السلام لا بهذه السـورة ولا بغيرهـا إلا مـدة الملوك الخمسة فقط لاقدانهم عبدوا كلهـم الأوثـان وقتلـوا الأنبياء وأخافوهم وشردوهم هذا ما لا يشك فيـه كـافر ولا مؤمن.

على أن هذه في السورة من الفضائح ما لا يجوز أن ينسب إلى ا عز وجل مثل قوله إن ا تعالى هـو أبـوهم الذي ولدهم وأنهم بنوه وبناته حاش من هذا وهل طـرق للنصارى وسهل عليهم أن يجعلوا ولداً إلا ما وجدوا فـي هذه الكتب الملعونة المكذوبة المبدلة بأيدي اليهود وليس فـي العجب أكثر من أن يجعلهم أنفسهم أولاد ا تعالى وكل مـن عرفهم يعرف أنهم أو ضر الأمم وأبـردهم طلعـة وأغـثهم

مفاظع وأتمهم خبثاً وأكثرهم غشاً وأجبنهم نفوسـاً وأشـدهم مهانة وأكذبهم لهجة وأضعفهم همة وأرعنهم شمائل بل حاش من هذا الاختيار الفاسد.

ومثل قوله في هذه السورة أنه تعالى حملهـم علـى منكبيه.

ومثل قوله أنه قد قسم الأجناس من بني آدم وجعـل قسمة الأجناس على حساب بني إسرائيل وجعلهم سهمه فهذا كذب ظاهر حاش منه لأن أولاد بني إسرائيل ثنتا عشـر فعلى هذا يجب أن يكون أجناس بني آدم اثنتي عشر ولـيس الأمر كذلك فإن كان عني من تناسل من بني إسرائيل فكذب حينئذ أشنع وأبشع لأن عددهم لا يستقر على قدر واحد بـل كل يوم يزيدون وينقصون بالولادة والموت هذا ما لا شك فيه فكل هذه براهين واضحة بأنها محرفة مبدلة مكذوبة فإن هي كذلك فلا يجوز البتة في عقل أحد أن يشـهد فـي تصـحيح شريعة ولا في نقل معجزة ولا في إثبات نبوة وبنقل مكذوب مفتري موضوع هذا ما لا شك فيه وقد قلنا أو نقول إن نقـل اليهود فاسد مدخول لأنه راجع إلى قوم أتبعوا من أخـرجهم من الذل والبلاء والسخرة والخدمة في عمل الطـوب وذبـح

أولادهم عند الولادة وحال لا يصبر عليها كلب مطلـق ولا حمار مسيب إلى العز والراحة والعافية والتملك للأموال وأن يكونوا آمرين مخدومين آمنين على أولادهـم وأنفسـهم ولا ينكر في مثل هذا الحال أن يشهد المخاص للمخاص بكل مـا يريد منه ومع هذا كله فإن اتباعهم لموسى عليه السلام الذي أخرجهم من تلك الحالة إلى هذه الأخرى وطاعته له كانـت مدخولة ضعيفة مضطربة.

وقد ذكر في نص توراتهم إذ عملوا العجل نادوا هذا إله موسى الذي يخلصهم من مصر ومرة أخرى أرادوا قتله وتصايحوا قدم على أنفسنا قائداً ونرجع إلى مصر ومع هـذا كله قولهم إن السحرة عملوا مثل كثير مما عمل موسـى وإن كل ذلك بيان ممكن بصناعة معروفة وفي هذا كفايـة وهـم مقرون بلا خلاف من أحد منهم أنه لم يتبع موسى أمة سواهم ولا نقلت لهم معجزة طائفة غيرهم وأما النصـارى فعـنهم أخذوا نبوة موسى ومعجزاته وأمـا سـائر الأمـم والملـل كالمجوس والفرس والصابئين والسريانين والمنانية والسمنية والبراهمة والهند والصين والترك فلا أصلاً ولا علـى أديـم

الأرض مصدق بنبوة موسى وبالتوراة التي بأيديهم إلا هـم ومن هو شعبة منهم كالنصارى.

وأما نحن المسلمون فإنما قبلنا نبوة موسى وهـارون وداود وسليمان والياس واليشع عليهم السلام وصدقنا بـذلك وآمنا بهم وإن موسى الذي أنذر بمحمد صلى ا عليه وسلم لأخبار رسول ا صلى ا عليـه وسـلم بصـحة نبـوتهم ومعجزاتهم فقط ولولا إخباره عليه السلام بذلك مـا كـانوا عندنا إلا كشموال وايراث وحداث وحقاي وحبقون وعـدوا ويؤال وعاموص وعوبديا وميسخا وناحوم وصفينا وملاخي وسائر من تقر اليهود بنبوته كإقرارهم بنبوة موسـى سـواء بسواء ولا فرق بين طرق نقلهم لنبـوة جمـيعهم ونحـن لا نصدق نقل اليهود في شيء من ذلك بل نقول إنه قد كـان تعالى أنبياء في بني إسرائيل أخبر بذلك ا تعالى في كتابـه المنزل على نبيه الصادق المرسل فنحن نقطع بنبوة من سمي لنا منهم ونقول في هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد صـلى ا عليه وسلم أسماءهم.

ا عز وجل أعلم إن كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهـم وإن لم يكونوا أنبياء فلسنا نؤمن بهم.

آمنا با وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله.

وهكذا نقر بنبوة صالح وهود وشـعيب وإسـماعيل وبأنهم رسل ا يقيناً ولا نبالي بإنكار اليهـود لنبـوتهم ولا بجهلهم بهم لأن الصادق عليه السلام شهد برسـالتهم وأمـا التوراة فما وافقنا قط عليها لأننا نحن نقر بتوراةٍ حقٍ أنزلهـا ا تعالى على موسى عليه السلام وأصـحابه لأنـه تعـالى أخبرنا بذلك في كتابه الناطق على لسان رسول ا صلى ا عليه وسلم الصادق ونقطع على أنها ليست هذه التي بأيديهم بنصها بل حرف كثيرم منهم وبدل وهم يقرون بهـذه التـي بأيديهم ولا يعرفون التي نؤمن نحن بها وكـذلك لا نصـدق بشريعتهم التي هم عليها الآن بل نقطع بأنها محرفة مبدلـة مكذوبة وهم لا يؤمنون بموسى الذي بشر بمحمد صـلى ا عليه وسلم وبرسالته وبأصحابه.

فاعلموا أننا لم نوافقهم قط على التصديق بشيء مـن دينهم ولا مما هم عليه ولا مما بأيديهم من الكتاب ولا بالنبي الذي يذكرونه لما قد أوضحناه من فسـاد نقلهـم ووضـوح الكذب فيه وعموم الدواخل فيه قال أبو محمد رضي ا عنه ونذكر إن شاء ا تعالى طرفاً مما في سائر الكتـب التـي

عندهم التي يضيفونها إلى الأنبياء عليهم السلام من الفساد كالذي ذكرنا في توراتهم ولا خلاف في أن اهتبالهم بالتوراة كان أشد وأكثر أضعاف مضاعفة من اهتبالهم بسائر كتب أنبيائهم.

أما كتاب يوشع فإن فيه براهين قاطعة بأنه أيضاً تاريخ ألفه لهم بعض متأخريهم بيقين وأن يوشع لم يكتبه قط ولا عرفه ولا أنزل عليه.

فمن ذلك أن فيه نصاً فلما انتهى ذلك إلى دوسراق ملك بيوس التي بنى فيها سليمان بن داود بيت المقدس فعل أمراً ذكره قال أبو محمد رضي ا عنه ومن المحال الممتنع أن يخبر يوشع أن سليمان بنى بيت المقدس ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة ولم يأت هذا النص في كتاب يوشع المذكور على سبيل الإنذار أصلاً إنما مساقه بلا خلاف منهم مساق الأخبار عنما قد مضوا.

وفيه قصة بشيعة جداً وهي أن عخار بن كرمي بن سذان بن شيلة بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام غل من المغنم خيطاً أرجواناً وحق ذهب فيه خمسون مثقالاً ومائتا درهم فضة فأمر يوشع برجمه ورجم بنيه ورجم بناته حتى

يموتوا كلهم بالحجارة وأمر بإحراق مواشيه كلها وحـاش أن يحكم نبي بهذا الحكم فيعاقب بأغلظ العقوبة من لا ذنب له من ذرية لم تجن شيئاً بجناية أبيهم مع أن نـص التـوراة لا يقتل الأب بذنب الابن ولا الابن بذنب الأب.

فلابد ضرورة من أن يقولوا نسخ يوشع هذا الحكـم فيثبتوا النسخ من نبي لشريعة نبي قبله وفي شريعة موسـى أيضاً أو ينسبوا الظلم وخلاف أمر ا إلى يوشـع فيجعلـوه ظالماً عاصياً مبدلاً لأحكامه وما فيها حظ لمختـار مـنهم وبا تعالى التوفيق.

وفيه أن كل من دخل مـن بنـي إسـرائيل الأرض المقدسة فإنهم كانوا مختونين وفيه أبناء تسعة وخمسين عاماً وأقل وإن موسى عليه السلام لم يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحداً هذا مع إقرارهم أن ا تعالى شدد في الختان وقال من لم يختتن في يوم أسبوع ولادته فلتنف نفسـه مـن أمته بمعنى فليقتل فكيف يضيع موسى هذه الشريعة الوكيـدة حتى يختتنهم كلهم يوشع بعد موت موسى بدهر.

ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم فقال لي كانوا في التيه في حل وارتحال فقلت له فكان ماذا فكيف وليس كما تقولون بل كانوا يبقون المدة الطويلة في مكان واحد.

وفي نص كتاب يوشع بزعمكم أنه إنما ختنهم إذ جازوا الأردن قبل الشروع في الحرب وفي أضيق وقت وختنهم كلهم حينئذ وهم رجال كهول وشبان وتركوا الختان إذ لا مؤنة في ختانهم أطفالاً تحمله أمه مختوناً كما تحمله غير مختون ولا فرق فسكت منقطعاً وأما الكتاب الذي يسمونه الزبور ففي المزمور الأول منه قال لي الرب أنت ابن اليوم ولدتك قال أبو محمد رضي ا عنه فأي شيء تنكرون على النصارى في هذا الباب ما أشبه الليلة بالبارحة.

وفيه أيضاً أنتم بنو ا وبنو العلي كلكم وهذه أطم من التي قبلها ومثل ما عند النصارى أو أنتن.

وفيه في المزمور الرابع وأربعين منه عرشك يا ا في العالم وفي الأبد قضيت العدل قضيت ملكك أحببت الصلاح وأبغضت المكروه وكذلك دهنك إلهك بزيت الفرح بين إشراكك قال أبو محمد رضي ا عنه هذه سوأة الأبد ومضيعة الدهر وقاصمة الظهر وإثبات إله آخر على ا

تعالى دهنه بالزيت إكراماً له ومجازاة على محبته الصـلاة وإثبات إشراك ا تعالى وهذا دين النصارى بلا مؤنة ولكن إثبات إلهٍ دون ا وقد ظهر عند اليهود هذا علانية على مـا نذكر بعد أن شاء ا تعالى وبعده بيسير يخاطب ا تعـالى وقفت زوجتك عن يمينك وعقاصها من ذهب أيتهـا الابنـة اسمعي وميلي بأذنيك وأبصر وآنسي عشيرتك وبيـت أبيـك فيهواك الملك وهو الرب وا فاسجدي له طوعاً قـال أبـو محمد رضي ا عنه ما شاء ا كان أنكرنا الأولاد فأتونـا بالزوجة والأختان تبارك ا فما نرى لهم علـى النصـارى فضلاً أصلاً ونعوذ با من الخذلان.

وفيه في المزمور الموفي مائة وسبعاً قال الرب لربي اقعد على يميني حتى أجعل أعداك كرسي قدميك قـال أبـو محمد رضي ا عنه هذا كالذي قبله في الجنون والكفر رب فوق رب ورب يقعد عن يمين رب ورب يحكـم علـى رب ونعوذ با من الخذلان.

وفيه في المزمور السادس وثمانين منه يقـول روح القدس لصيهون يقال رجل ورجل ولد فيها وهو الذي أسسها الرب العلي الذي خلقها عند مكتنه الأمة قال أبو محمد رضي

ا عنه هذا دين النصارى الذي يشنعون به عليهم من أن ا ولد صهيون لو انهدمت الجبال من هذا ما كان عجباً.

وفيه في المزمور السابع وسبعين منـه الـرب قـام كالمنتبه من نومه كالجبار الذي يقر به إثر الخمار كما يقـوم الجريش وفيه اتقوا ربكم الذي قوته كقوة الجريش قـال أبـو محمد رضي ا عنه ما سمع في الحمق اللفيف ولا في الكفر السخيف بمثل هذا الفعل مرة يشبه قيام ا تعالى بالمنتبه من نومه وقد علمنا أنه لا يكون المرأ أكسل ولا أحوج إلى التمدد ولا أثقل حركة منه حين قيامه منه ومرة يشبهه بجبار ثمـل وما عهد للمرأ وقت يكون فيه أنكد ولا أثقل عينين ولا أخبث نفساً ولا آلم صداعاً ولا أضعف عويلاً منه في حان الخمـار ومرة يمثله بالجريش وما الجريش وا ما هو إلا ثور مـن الثيران بقرن في وسط رأسه حاش من هذه النحوس التي حق من يؤمن بها السوط حتى يعتدل دماغه ويحمق بالكـل ويقذف الناس بالحجارة ويسقط عنه الخطاب ونعوذ با من البلاء.

وفيه من المزمور الحادي وثمانين قام ا في مجتمع الآلهة وقف آله العزة وسطهم.

وهذه حماقة ممزوجة بكفر سمج مجتمع الآلهة وقيام الله بينهم ووقوفه في وسط أصحابه ما شاء الله كان إلا أن هذا أخبث من قول النصارى لأن الآلهة عند النصارى من ثلاثة وهم عند هؤلاء السفلة الأراذل جماعة ونعوذ بالله من الخذلان.

وفيه في المزمور الثامن والثمانين من ذا يكون مثل الله في جميع بني الله.

وبعده يقول إن داود يدعوني والداً وأنا جعلته بكر بني وبعده إن عرش داود يبقى ملكه سرمداً أبداً قال أبو محمد رضي الله عنه هذه كالتي قبلها صارت الآلهة قبيلة وبنوا أب وكان فيهم واحد هو سيدهم ليس فيهم مثله والآخرون فيهم نقص بلا شك تعالى الله عن ذلك ونحمده كثيراً على نعمة الإسلام ملة التوحيد الصادقة التي تشهد العقول بصحتها وصحة كل ما فيها مع كذب الوعد في بقاء ملك داود سرمداً.

وفيها مما يوافق قول الملحدين الدهرية الناس كالعشب إذا خرجت أرواحهم نسوا ولا يعلمون مكانهم ولا يفهمون بعد ذلك قال أبو محمد رضي الله عنه وإن دين

اليهود ليميل إلى هذا ميلاً شديداً لأنه ليس في توراتهم ذكـر معاد أصلاً ولا لجزاء بعد الموت وهذا مذهب الدهرية بـلا كلفة فقد جمعوا الدهرية والشك والتشبيه وكل حمق في العالم على أن فيه بما لم يطلقهم ا على تبديله وأبقاه حجـة لنـا عليهم ومعجزة لنبينا صلى ا عليه وسلم.

وفي المزمور الحادي وستين منه أن العرب وبنـي سبا يؤدون إليه المال ويتبعونه وإن الدم يكون له عنده ثمـن وهذه صفة الدية التي ليست إلا في ديننا وفيه أيضاً ويظهـر من المدينة هكذا نصاً وهذا إنذار بين برسول ا صـلى ا عليه وسلم وأما الكتب التي يضيفونها إلـى سـليمان عليـه السلام فهي ثلاثة واحدها يسمى شارهسير ثم معنـاه شـعر الأشعار وهو على الحقيقة هوس الأهواس لأنه كلام أحمق لا يعقل ولا يدري أحد منهم مراده إنما هو مرة يتغزل بمـذكر ومرة يتغزل بمؤنث ومرة يأتي منه بلغم لازج بمنزلة ما يأتي به المصدوع والذي فسد دماغه وقد رأيت بعضهم يذهب إلى أنه رموز على الكيميا وهذا وسواس آخر ظريـف والثـاني يسمى مثلاً معناه الأمثال فيه مواعظ وفيه أن قـال قبـل أن يخلق ا شيئاً في البدء من الأبد أنا صرت ومن القديم قبـل

أن تكون الأرض وقبل أن تكون النجوم أنا قد كنت اســتلمت وقد كنت ولدت وليس كان خلق الأرض بعد ولا الأنهار وإذ خلق ا السماواتقد كنت حاضراً وإذ كان يجعل للنجوم حــداً صحيحاً ويدق بها وكان يوثق السماوات في العلــو ويقــدر عيون المياه وإذ كان يحدق على البحر تنجمه ويجعل للميــاه نحى لئلا تجاوز جوزها وإذ كان يعلق أساسات الأرض أنــا معه كنت مهيئاً للجميع قال أبو محمد رضي ا عنه فهل في الملحنة أكثر من هذا وهل يضاف هذا الحمــق إلــى رجــل معتدل فكيف إلى بني إسرائيل وهل هذا الإشــراك صــحيح وحاش أن يقول سليمان عليه السلام هذا الكلام تــا مــا عبط أهل الإلحاد بإلحادهم إلا هذا ومثله ورأيــت بعضــهم يخرج هذا على أنه إنما أراد علم ا تعالى قال أبــو محمــد رضي ا عنه ولا يعجز من لا حيأ له عن أن يقلب كل كلام إلى ما اشتهى بلا برهان ووصف الكلام عن موضعه ومعناه إلى معنى آخر لا يجوز إلا بدليل صحيح غير ممتنع المــراد في اللغة والثالث يسمى فوهلات معناه الجوامع فيــه إن قــال مخاطباً تعالى اخترني أمير إلا أمتك وحاكماً على بنيــك وبناتك وهذا كالذي سلف وحاش أن يكون له بنات وبنون

لاسيما مثل بني إسرائيل في كفرهم في دينهم وضعفهم فـي دنياهم ورذالتهم في أحوالهم النفسية والجسدية.

وفي كتاب حزقيا يقول السيد سأمد يدي علـى بنـي عيسو وأذهب عن أرضهم الآدميين والأنعام وأفقرهم وأنـتقم منهم على يدي أمتي بني إسرائيل قال أبو محمد رضـي ا عنه وهذا ميعاد قد ظهر كذبه يقيناً لأن بني إسرائيل قد بادوا جملة وبنو عيسو باقون في بلادهم بنص كتبهم ثم بعد ذلـك باد بنو عيسو فما على أديم الأرض منهم أحد يعرف أنه منهم وصارت بلادهم للمسلمين وسكانها لخم وغيرهم من العـرب وبطل بذلك أن يدعوا أن هذا يكون في المستأنف وفي كتاب لشعيا أنه رأى ا عز وجل شيخاً أبيض الرأس واللحية وهذا تشبيه حاشا لنبي أن يقوله.

وفيه قال الرب من سمع قط مثل هـذا أنـا أعطـي غيري أن يلد ولا ألد أنا وأنا الذي أرزق غيري أفأكون أنـا بلا ابن قال أبو محمد رضي ا عنه هذا أطم ما سمع به أن يقيس ا عز وجل نفسه في كون البنين على خلقه وكل هذا أشنع من قول النصارى في إضافة الشرك والولد والزوجـة إلى ا تعالى ونعوذ با من الخذلان قال أبو محمد رضـي

ا عنه لم نكتب مما في الكتب التي يضيفونها إلى الأنبيـاء عليهم السلام إلا طرفاً يسيراً دالاً علـى فضـيحتها أيضـاً وتبديلها وقد قلنا إنهم كانوا في بلد صغير محاط بـه ثـم لا ندري كيف يمكنهم اتصال شيءٍ من ذلك إلى نبي من أنبيائهم لاسيما من لم يكن إلا في أيام كفرهم مخافاً ومقتولاً فصح بلا شك أنها من توليد من عمل لهم الصلوات التي هـم عليهـا والشرائع التي يقرون أنها من عمل أحبارهم الثابتة إذ ظهر دينهم وانتشرت بيوت عبادتهم فصارت لهم مجامع يتعلمـون فيها دينهم وعلماء يعلمونهم في كل بلد بخلاف ما أوضـحنا أنهم كانوا عليه أيام دولتهم الأولى من كونهم كلهـم كفـاراً أميين من السنين وكونهم لا مسجد لهم أصلاً إلا بيت المقدس ولا مجمع بعلم لهم أصلاً ولا عالماً يعلمهم بوجه من الوجوه ولا جامع لشيءٍ من كتبهم والحمـد رب العـالمين ولـو تقصينا ما في كتب أنبيئاهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جداً وفيما أوردناه كفاية قال أبو محمد رضي ا عنه وقـد اعترض بعضهم فيما كان يدعي عليهم من تبـديل التـوراة وكتبهم والمضافة إلى الأنبياء قبل أن يبين لهم أعيان ما فيها من الكذب البحت فقال قد كان في مدة دولتهم أنبيـاء وبعـد

دولتهم ومن المحال أن يقر أولئك الأنبياء على تبديلها قال أبو محمد رضي ا عنه فجواب هذا القول أن يقـال إن كـان يهودياً كذبت ما في شيءٍ من كتبكم أنه رجع إلى البيت مـع زربائيل بن صيلئال بن صدقياً الملك نبني أصـلاً ولا كـان معه في البيت نبي بإقرارهم أصلاً وكان ذلك قبل أن يكتبهـا لهم عزرا الوراق بدهر وقبل رجوعهم إلى البيت مع زربائيل مات دانيال آخر أنبيائهم في أرض بابل وأما الأنبياء الـذين كانوا في بني إسرائيل بعد سليمان فكلهم كما بينا إما مقتـول بأشنع القتل أو مخاف مطرود منفي لا يسمع منهم كلمـة إلا خفية حاشا مدة الملوك المؤمنين الخمسة في بنـي يهـوذا أو بني بنيامين خاصة وذلك قليل تلاه ظهـور الكفـر وحـرق التوراة وقتل الأنبياء وهو كان خاتمة الأمر وعلى هذا الحال وافاهم انقراض دولتهم أيضاً فليس كل نبي يبعث بتصـحيح كتاب من قبله فبطل اعتراضهم بكون الأنبياء فيهم جملة.

وإن كان نصرانياً يقر بالمسيح وزكريا ويحيى عليهم السلام قيل له إن المسيح بلا شك كانت عنده التوراة المنزلة كما أنزلها ا تعالى وكان عنده الإنجيل المنزل قال ا تعالى " ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني

إسرائيل " إلا أنه عرض في النقل عنه بعد رفعه عارض أشد وأفحش من العارض في النقل إلى موسى عليه السلام فـلا كافة في العالم متصلة إلى المسيح عليه السلام أصلاً والنقـل إليه راجع إلى خمسة فقط وهم متى وباطره بن نونا ويوحنـا ابن سبذاي ويعقوب ويهوذا أبناء يوسف فقط ثم لم ينقل عـن هؤلاء إلا ثلاثة فقط وهو لوقا الطبيب الأنكـاكي ومـارقس الهاروني وبولس البنياميني وهؤلاء كلهم كذابون وقد وضح عليهم الكذب جهاراً على ما نوضحه بعد هـذا إن شـاء ا تعالى وكل هؤلاء مع ما صح من كذبهم وتدليسهم في الـدين فإنما كانوا منتشرين بإظهار دين اليهود ولزوم السبت بنص كتبهم ويدعون إلى التثليث سراً وكانوا مع ذلـك مطلـوبين حيث ما ظفروا بواحد منهم ظـاهراً قتـل فبطـل الإنجيـل والتوراة برفع المسيح عليه السلام بطلاناً كلياً وهذا الجـواب إنما كان يحتاج إليه قبل أن يظهر من كذب توراتهم وكتـبهم ما قد أظهرنا وأما بعد ما أوضحنا من عظيم كذب هذه الكتب بما لا حيلة فيه فاعتراضـهم سـاقط لأن يقـين الباطـل لا يصححه شيء أصلاً كما أن يقين الحق لا يفسده شيء أبداً.

فاعلموا الآن أن ما عورض به الحق المتيقن ليبطـل به أو عورض به دون الكذب المتيقن ليصحح به فإنما هـو سغب وتمويه وإيهام وتخييل وتحيل فاسد بلا شك لأن يقينين لا يمكن البتة في البنية أن يتعارضا أبداً وبا تعالى التوفيق.

فإن قيل فإنكم تقرون بالتوراة والإنجيـل وتشـهدون على اليهود والنصارى بما فيها من ذكر صفات نبيكم وقـد استشهد نبيكم عليهم بنصها في قصة الراجم للزاني المحصن.

وروي أن عبد ا بن سلام ضرب يد عبد ا بـن صوريا إذ وضعها على آية الرجم.

وروي أن النبي صلى ا عليه وسلم أخـذ التـوراة وقال آمنت بما فيك.

وفي كتابكم " يا أهل الكتاب لستم على شـيءٍ حتـى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ".

وفيه أيضاً " قل فـأتوا بـالتوراة فاتلوهـا إن كنـتم صادقين " وفيه أيضاً " إنا أنزلنا التوراة فيها هـدى ونـور يحكم بها النبيون الذين أسـلموا للـذين هـادوا والربـانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب ا وكانوا عليه شـهداء "

وفيه " وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل ا   فيه ومن لم يحكم بما أنزل ا   فأولئك هم الفاسقون " وفيه " ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فـوقهم ومـن تحت أرجلهم " وفيه " يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنـوا بمـا نزلنا مصدقاً لما معكم ".

قلنا وبا   التوفيق كل هذا حق حاشا قوله عليه السلام آمنت بما فيك فإنه باطل لم يصح قط وكله موافق لقولنا فـي التوراة والإنجيل بتبديلهما وليس شيء منه حجة لمن ادعـى أنهما قال أبو محمد رضي ا   عنه أمـا إقرارنـا بـالتوراة والإنجيل فنعم وأي معنى لتمويهكم بهذا ونحن لم ننكرهما قط بل نكفر من أنكرهما إنما قلنا إن ا   تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام حقاً وأنزل الزبور على داود عليه السلام حقاً وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السـلام حقـاً وأنـزل الصحف على إبراهيم وموسى عليهما السلام حقاً وأنزل كتباً لم يسم لنا على أنبياء لم يسموا لنا حقاً نؤمن بكل   ذلك قـال تعالى " صحف إبراهيم وموسى " وقال تعالى " وإنه لفي زبر الأولين " وقلنا ونقول إن كفار بني إسرائيل بـدلوا التـوراة والزبور   فزادوا ونقصوا وأبقى ا   تعالى بعضه حجة عليهم

كما شاء " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " " لا معقب لحكمه " وبدل كفار النصارى الإنجيل كذلك فزادوا ونقصوا وأبقـى ا تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء لا يسأل عمـا يفعـل وهم يسألون.

فدرس ما بدلوا من الكتب المذكورة ورفعه ا تعالى كما درست الصحف وكتب سائر الأنبياء جملة فهذا هو الذي قلنا وقد أوضحنا البرهان على صحة ما أوردنا من التبـديل والكذب في التوراة والزبور ونورد إن شاء ا تعـالى فـي الإنجيل وبا تعالى نتأيد.

فظهر فساد تمويههم بأننا نقـر بـالتوراة والإنجيـل والزبور ولم ينتفعوا بذلك في تصحيح ما بأيديهم من الكتـب المكذوبة المبدلة والحمد رب العالمين.

وأما استشهادنا على اليهود والنصارى بما فيهما من الإنذار بنبينا صلى ا عليه وسلم فحق وقد قلنا آنفـاً أن ا تعالى أطلعهم على تبديل ما شاء رفعه من ذينك الكتابين كما أطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الأنبياء الذين قتلوهم بأنواع المثل وكف أيديهم عما شاء إبقاءه مـن ذينـك الكتابين حجة عليهم كما كاف أيديهم ا تعـالى عمـن أراد

أيضاً كرامته بالنصر من أنبيائه الذين حال بين الناس وبـين أذاهم.

وقد أغرق ا تعالى قوم نوح عليه السـلام وقـوم فرعون نكالاً لهم وأغرق آخرين شهادة لهـم وأملـى لقـوم ليزدادوا فضلاً.

هذا ما لا ينكره أحد من أهل الأديان جملة وكان مـا ذكرنا زيادة في أعلام النبي صلى ا عليه وسلم الواضـحة وبراهينه اللائحة والحمد   رب العالمين.

فبطل اعتراضهم علينا باستشهادنا رسول ا صـلى ا عليه وسلم بالتوراة في أمـر رجـم الزانـي المحصـن وضرب بن سلام رضي ا عنه يد ابن صـوريا إذ جعلهـا على آية الرجم فحق وهو مما قلنا آنفاً إن ا تعـالى أبقـاه خزياً لهم وحجة عليهم وإنما يحتج عليهم بهذا كله بعد إثبات رسالته صلى ا عليه وسلم بالبراهين الواضـحة البـاهرة بالنقل القاطع للعذر على ما قد بينا ونبين إن شاء ا تعـالى ثم نورد ما أبقاه ا تعالى في كتبهم المحرفة من ذكره عليه السلام إخزاء لهم وتبكيتاً وفضيحة لضلالهم لا لحاجة منا إلى ذلك أصلاً والحمد   رب العالمين.

وأما الخبر بأن النبي عليه السلام أخذ التوراة وقـال آمنت بما فيك.

فخبر مكذوب موضوع لم يأت قط من طـرق فيهـا خير ولسنا نستحل الكلام في الباطل لو صح فهو من التكلف الذي نهينا عنه كما لا يحل توهين الحق ولا الاعتراض فيه.

وأما قول ا عز وجل " يا أهل الكتاب لستم علـى شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم " فحق لا مرية فيه وهكذا نقول ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبـداً لرفع ما أسقطوا منها فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمـد صلى ا عليه وسلم فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل ا منهما وجداؤ عدم ويكذبون بما يدل فيهما مما لم ينزله ا تعالى فيهما وهذه هي إقامتهما حقاً فلاح صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل والحمد رب العالمين.

وأما قوله تعالى " قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنـتم صادقين " فنعم إنما هو في كذب كذبوه ونسبوه إلى التـوراة على جاري عادتهم زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في

توراتهم فبكتهم عليه السلام في ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين فظهر كذبهم.

وكم عرض لنا هذا مع علمائهم في مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة فالقوم لا مؤنة عليهم من الكذب حتى الآن إذا طمعوا بالتخلص من مجلسهم لا يكون ذلك إلا بالكذب وهذا خلق خسيس وعار لا يرضى به مصحح ونعوذ با من مثل هذا.

وأما قوله تعالى " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب ا " فنعم هذا حق على ظاهره كما هو وقد قلنا إن ا تعالى أنزل التوراة وحكم بها النبيون الذين أسلموا كموسى وهارون وداود وسليمان ومن كان بينهم من الأنبياء عليهم السلام ومن كان في أزمانهم من الربانيين والأحبار الذين لم يكونوا أنبياء بل كانوا حكاماً من قبل الأنبياء عليهم السلام ومن كان في أزمانهم من الربانيين والأحبار قبل حدوث التبديل.

هذا نص قولنا وليس في هذه الآية أنها لم تبدل بعد ذلك أصلاً لا بنص ولا بدليل.

وأما من ظن لجهله من المسلمين أن هذه الآية نزلت في رجم النبي صلى ا عليه وسلم لليهوديين اللـذين زنيـا وهما محصنان فقد ظن الباطل وقال بالكذب وتأول المحـال وخالف القرآن لأن ا تعالى قد نهى نبينا عليه السلام عـن ذلك نصاً بقوله " وَأنزلْنَا إِلَيك الْكِتَاب بِالْحق مصدقًا لما بـين يديهِ مِن الْكِتَابِ ومهيمِنًا علَيهِ فَاحكُم بينَهم بِما َأنزلَ اللّـه ولاَ تَتبِع َأهواءهم عما جاءك مِن الْحق ِلكُل جعلْنَا مِنكُم شِـرعةً ومِنْهاجا ولَو شَاء اللّه لَجعلَكُم ُأمةً واحِدةً " وقال عز وجل " ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل ا إليك " قال أبو محمد رضي ا عنه فهذا نص كلام ا عـز وجل الذي ما خالفه فهو باطل.

وأما قوله تعالى " وليحكم أهل الإنجيل بما أنـزل ا فيه " فحق على ظاهره لأن ا تعالى أنـزل فيـه الإيمـان بمحمد صلى ا عليه وسلم واتباع دينه ولا يكونـون أبـداً حاكمين بما أنزل ا تعالى فيه إلا باتباعهم دين محمد صلى ا عليه وسلم فإنما أمرهم ا تعالى بالحكم بما أنزل فـي الإنجيل الذي ينتمون إليه فهم أهله ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلاً وليس بإنجيل ولا أنزله ا تعالى كما هو قـط

والآية موافقة لقولنا وليس فيها أن الإنجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل إنما فيه إلزام النصارى الذين يتسمون بأهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل ا فيه وهم على خلاف ذلك.

وأما قوله تعالى " ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم " فحق كما ذكرناه قبل ولا سبيل لهم إلى إقامة التوراة والإنجيل المنزلين بعد تبديلهما إلا بالإيمان بمحمد صلى ا عليه وسلم فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل حقاً لإيمانهم بالمنزل فيهما وجحدهم ما لم ينزل فيهما وهذه هي إقامتهما حقاً.

وأما قوله تعالى " يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم " فنعم هذا عموم قام البرهان على أنه مخصوص وأنه تعالى إنما أراد مصدقاً لما معكم من الحق لا يمكن غير هذا لأننا بالضرورة ندري أن معهم حقاً وباطلاً ولا يجوز تصديق الباطل ألبتة فصح أنه إنما أنزله تعالى مصدقاً لما معهم من الحق وقد قلنا أن ا تعالى أبقى في التوراة والإنجيل حقاً ليكون حجة عليهم وزائداً في خزيهم وبا تعالى التوفيق فبطل تعلقهم بشيءٍ مما ذكرنا والحمد

رب العالمين قال أبو محمد رضي ا عنه وبلغنا عن قـوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بأن التـوراة والإنجيـل اللذين بأيدي اليهود والنصارى محرفان وإنما حملهم على هذا قلة اهتبالهم بنصوص القرآن والسنن أترى هؤلاء ما سمعوا قول ا تعالى " يا أهل الكتاب لم تلبسـون الحـق بالباطـل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون " وقوله تعالى " وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " وقوله تعالى " وإن منهم لفريقـاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ومـا هـو مـن الكتاب ويقولون هو من عند ا وما هو من عند ا " إلـى آخر الآية وقوله تعالى " يحرفون الكلم عن مواضعه " ومثل هذا في القرآن كثير جداً.

ونقول لمن قال من المسلمين إن نقلهم نقـل تـواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة لاشك في أنهم لا يختلفون في أن ما نقلوه من ذلك عن موسى وعيسى عليهما السلام لا ذكـر فيه لمحمد صلى ا عليه وسلم أصلاً ولا إنذاراً بنبوته فـإن صدقهم هؤلاء القائلون في بعض نقلهم فواجب أن يصـدقهم في سائره أحبوا أم كرهوا وإن كذبوهم فـي بعـض نقلهـم وصدقوهم في بعض فقد تناقضوا وظهرت مكـابرتهم ومـن

الباطل أن يكون نقل واحد جاء مجيئاً واحـداً بعضـه حـق وبعضه باطل فقد تناقضوا وما ندري كيف يسـتحل مسـلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل وهو يسمع كلام ا عز وجل " محمد رسول ا والذين معه أشداء على الكفـار رحمـاء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً مـن ا ورضـواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التـوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شـطأه فـآزره فاسـتغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار " ولـيس شيء من هذا فيما بأيدي اليهود والنصارى مما يدعون أنـه التوراة والإنجيل فلابد لهؤلاء الجهال من تصديق ربهم جـل وعز أن اليهود والنصارى بدلوا التوراة والإنجيل فيرجعـون إلى الحمق ويكذبوا ربهـم جـل وعـز ويصـدقوا اليهـود والنصارى فيلحقوا بهم ويكون السؤال عليهم كلهـم حينئـذ واحداً فيما أوضحناه من تبديل الكتابين وما أوردناه مما فيهما من الكذب المشاهد عياناً مما لم يأت نـص بـأنهم بـدلوهما لعلمنا بتبديلهما يقيناً كما نعلم ما نشهده بحواسنا مما لا نـص فيه.

وقد اجتمعت المشاهدة والنص.

حدثنا أبو سعيد الجعفري.

حدثنا أبو بكر الأرفوي محمد بن علي المصري.

ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس.

ثنا أحمد بن شعيب عن محمد بن المثني عن عثمـان بن عمر.

ثنا علي هو ابن المبارك.

ثنا يحيى بن أبي كثير عن سلمة عبد الـرحمن بـن عوف عن أبي هريرة رضي ا عنه قال.

كان أهـل الكتـاب يقـرؤون التـوراة بالعبرانيـة ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية فقال رسول ا صـلى ا عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنـا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد قـال أبـو محمد رضي ا عنه وهـذا نـص قولنـا والحمـد رب العالمين.

ما نزل القرآن والسنة عن النبي صلى ا عليه وسلم بتصديق صدقنا به.

وما نزل النص بتكذيبه أو ظهر كذبه كذبنا به.

وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ما أمرنا رسـول ا صلى ا عليه وسلم أن نقوله كما قلنا في نبوة من لم يأتنـا باسمه نص والحمد رب العالمين.

حدثنا البخاري.

ثنا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بـن عوف.

أنا ابن شهاب بن عبيد ا بن عبد ا ابن عتبة بـن مسعود قال ابن عباس.

كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتـابكم الـذي أنزل على رسوله صلى ا عليه وسلم حدث تقرؤنه محضـاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتـاب ا تعـالى وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقد قالوا هو مـن عنـد ا ليشتروا به ثمناً قليلاً قال أبو محمد رضي ا عنه هذا أصح إسناد عن ابن عباس رضي ا عنه عنه وهو نفـس قولنـا وماله في ذلك من الصحابة مخالف.

وقد روينا أيضاً عن عمر رضي ا عنه أنـه أتـاه كعب الحبر بسفر وقال له هذه التوراة أفأقرؤها فقال له عمر بن الخطاب إن كنت تعلم أنها التي أنزل ا علـى موسـى فاقرأها آناء الليل والنهار فهذا عمر لم يحققها قال أبو محمد رضي ا عنه ونحن إن شاء ا تعالى نذكر طرفاً يسيراً من كثير جداً من كلام أحبارهم الذين عنهم أخذوا كتابهم ودينهم وإليهم يرجعون في نقلهم لتوراتهم وكتب الأنبيـاء وجميـع شرائعهم ليرى كل ذي فهم مقدارهم من الفسق والكذب فيلوح أنهم له كانوا كذابين مستخفين بالدين وبا تعالى التوفيق.

ولقد كان يكفي من هذا إقرارهم بأنهم عملوا لهم هذه قال أبو محمد رضي ا عنه ذكر أحبارهم وهو في كتـبهم مشهور لا ينكرونه عند من يعرف كتبهم أن إخوة يوسف إذ باعوا أخاهم طرحوا اللعنة على كل من بلغ إلى أبيهم حيـاة ابنه يوسف ولذلك لم يخبره ا عز وجل بذلك ولا أحد مـن الملائكة.

فأعجبوا لجنون أمة تعتقد أن ا خاف أن يقع عليـه لعنة قوم باعوا النبي أخاهم وعقوا النبي أباهم أشـد العقـوق وكذبوا أعظم الكذب فوا لو لم يكن في كتبهم إلا هذا الكذب

وهذا الحمق وهذا الكفر لكانوا به أحمـق الأمـم وأكفـرهم وأكذبهم فكيف ولهم ما قد ذكرنا ونذكر إن شاء ا تعالى.

وفي بعض كتبهم أن هارون عليه السـلام قـال تعالى إذ أراد أن يسخط على بني إسرائيل يا رب لا تفعـل فلنا عليك ذمام وحق لأن أخي وأنا أقمنا لك مملكة عظيمـة قال أبو محمد رضي ا عنه وهذه طامـة أخـرى حاشـا لهارون عليه السلام أن يقول هذا الجنون أين هـذا الهـوس وهذه الرعونة من الحق النير إذ يقول تعالى " يمنون عليـك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل ا يمن علـيكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين " وفـي بعـض كتـبهم أن الصورتين اللتين أمر ا تعالى موسى أن يصورهما علـى التابوت خلف الحجلة في السرادق إنمـا كانتـا صـورة ا وصورة موسى عليه السلام معه تعالى ا عن كفرهم علـواً كبيراً.

وفي بعض كتبهم أن ا تعالى قال لبني إسرائيل من تعرض لكم فقد تعرض حدقة عيني.

وفي بعض كتبهم أن علة تردد بني إسـرائيل مـع موسى في التيه أربعين سنة حتى ماتوا كلهم إنما كانـت لأن

فرعون كان بنى على طريق مصر إلى الشام صنماً سـماه باعل صفون وجعله طلسماً لكل من هرب من مصر يحيـره ولا يقدر على النفاد.

فأعجبوا لمن يجيز أن يكون طلسم فرعون يغلب ا تعالى ويجيز بتيه موسى ومن معه حتى يموتوا فـأين كـان فرعون عن هذه القوة إذ غرق في البحر.

وفي بعض كتبهم أن دينة بنت يعقوب عليها السـلام إذ غصبها شكيم بن حمور وزنا بها حملت وولدت ابنـة وأن عقاباً خطف تلك الفرخة الزنا وحملها إلى مصر ووقعت في حجر يوسف فرباها وتزوجها وهذه تشبه الخرافـات التـي يتحدث بها النساء بالليل إذا غزلن.

وفي بعض كتبهم أن يعقوب إنما قال في ابنه نفتـال ايل مطلق لأنه قطع من قرية إبراهيم عليه السلام التي بقرب بيت المقدس إلى منف التي بمصر ورجع إلى قرية الخليـل في ساعة من النهار لشدة سرعة لا لأن الأرض طويت لـه ومقدار ذلك مسيرة نيف وعشرين يوماً.

وفي بعض كتبهم مما لا يختلفون فـي صـحته أن السحرة يحيون الموتى على الحقيقة وأن ههنا أسماء تعالى

ودعاء وكلاماً ومن عرفه من صالح أو فاسق أحال الطبـائع وأتى بالمعجزات وأحيى الموتى وإن عجوزاً ساحرة أحيـت لشاول الملك وهو طالوت شموال النبي بعـد موتـه فليـت شعري إذا كان هذا حقاً فما يؤمنهم أن موسى وسـائر مـن يقرون بنبوته كانوا من أهل هذه الصفة ولا سبيل إلى فـرق بين شيء من هذا أبداً.

وفي بعض كتبهم أن بعض أحبارهم المعظيمن عندهم ذكر لهم أنه رأى طائراً يطير في الهواء وأنه باض بيضـة وقعت على ثلاث عشرة مدينة فهدمتها كلها.

وفي بعض كتبهم أن المرأة المدينة التي ذكـر فـي التوراة التي زنى بها زمري بن خالو من سبط شمعون طعنه فنخاس بن العزار بن هارون برمحه فنفذه ونفذ المرأة تحتـه ثم رفعهما في رمحه إلى السماء كأنهما طائران فـي سـفود وقال هكذا نفعل بمن عصاك قال كبير من أحبـارهم معظـم عندهم أنه كان تكسير عجز تلك المرأة مقدار مزرعة مـدى خردل وفي كتبهم أن طول لحية فرعون كان سـبعماية ذراع وهذه وا مضحكة تسلي الثكالى وترد الأحزان قـال أبـو

محمد رضي ا عنه عن مثل هؤلاء فلينقل الدين وتباً لقوم أخذوا كتبهم ودينهم عن مثل هذا الرقيع الكذاب وأشباهه.

وفي بعض كتبهم المعظمة أن جباية سليمان عليه السلام في كل سنة كانت ستمائة ألف قنطار وستة وثلاثين ألف قنطار من ذهب وهم مقرون أنه لم يملك قط إلا فلسطين والأردن والغور فقط وأنه لم يملك قط رفج ولا غزة ولا عسقلان ولا صور ولا صيدا ولا دمشق ولا عمان ولا البلقا ولا مواب ولا جبال الشراة فهذه الجباية التي لو جمع كل الذهب الذي بأيدي الناس لم يبلغها من أين خرجت وقد قلنا أن الأحبار الذين عملوا لهم هذه الخرافات كانوا ثقالاً في الحساب وكان الحياء في وجوههم قليلاً جداً.

وذكورا أنه كان لمائدة سليمان عليه السلام في كل سنة إحدى عشر ألف ثور وخمسمائة ثور وزيادة وستة وثلاثين ألف شاة سوى الإبل والصيد فانظروا ماذا يكفي لحوم من ذكرنا من الخبز وقد ذكروا عدداً مبلغه ستة آلاف مدى في العام لمائدته خاصة واعلموا أن بلاد بني إسرائيل تضيق عن هذه النفقات هذا مع قولهم أنه عليه السلام كان يهدي كل سنة ثلثي هذا العدد من برٍ ومثله من زيت إلى ملك

صور فليت شعري لأي شيء كان يهاديه بذلك هل ذلـك إلا لأنه كفؤه ونظيره في الملك وهذه كلمات كذبات ورعونـة لا خفاء بها وأخبار متناقضة.

وذكروا أنه كانت توضع في قصر سـليمان عليـه السلام كل يوم مائة مائدة ذهب على كل مائدة مائة صـفحة ذهب وثلاثمائة طبق ذهب على كل طبق ثلاثمائة كأس ذهب فأعجبوا لهذه الكذبات الباردة.

واعلموا أن الذي عملها كان ثقيل الذهن في الحساب مقصراً في علم المساحة لأنه لا يمكن أن يكون قطر دائـرة الصفحة أقل من شبر وإن لم تكن كـذلك فهـي صـحيفة لا صحفة طعام ملك فوجب ضرورة أن تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة أشبار في مثلها لا أقل سوى حاشـيتها وأرجلها.

واعلموا أن مائدة من ذهب هذه صفتها لا يمكن ألبتة أن يكون في كل مائدة من تلك الموائد أقل من ثلاثـة آلاف رطل ذهب فمن يرفعها ومن يضعها ومـن يغسـلها ومـن يمسحها ومن يديرها فهذا الذهب كله وذا الأطباق من أين.

فإن قيل أنتم تصدقون بأن ا تعالى أتـاه ملكـاً لا ينبغي لأحد من بعده وأن ا سخر له الريح والجن والطيـر وعلمه منطق الطير والنمل وأن الريح كانت تجـري بـأمره وأن الجن كانوا يعملون له المحاريـب والتماثيـل والجفـان والقدور.

قلنا نعم ونكفر من لم يؤمن بذلك وبين الأمرين فرق واضح وهو أن الذي ذكرت مما نصدق به نحـن هـو مـن المعجزات التي تأتي بمثلها الأنبياء عليهم السلام داخل كلـه تحت الممكن في بنية العالم والذي ذكروه هو خارج عن هذا الباب داخل في حد الكذب والامتناع في بنية العالم.

وفي بعض كتبهم المعظمة عنـدهم إن زارح ملـك السودان غزا بيت المقدس في ألف ألف مقاتل وأن اسابن ابنا الملك خرج إليه في ثلاثمائة ألف مقاتل مـن بـين يهـوذا وخمسين ألف مقاتل من بني بنيامين فهزم السودان.

وهذا كذب فاحش ممتنع لأن من أقرب موضع مـن بلاد السودان وهم النوبة إلى مسقط النيل في البحر نحو مسيرة ثلاثين يوماً.

ومن مسقط النيل إلى بيت المقدس نحو عشرة أيـام صحارى ومفاوز ألف ألـف مقاتـل لا تحملهـم إلا الـبلاد المعمورة الواسعة وأما الصحارى الجرد فلا ثم في مصـر جميع أعمال مصر فكيف يخطوها إلى بيـت المقـدس هـذا ممتنع في رتبة الجيوش وسيرة الممالك ومن البعيد أن يكون عند ملك السودان حيث يتسع بلادهم ويكثر عددهم اسم بيـت المقدس فكيف أن يتكلفوا غزوها لبعد تلك البلاد عن النوبـة وأما بلد النوبة والحبشة والبجاة فصغير الخطة قليـل العـدد وإنما هي خرافات مكذوبة باردة وفي كتاب لهم يسمى شـعر توما من كتاب التلموذ والتلموذ هو معولهم وعمـدتهم فـي فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم وهو من أقوال أحبارهم بـلا خلاف من أحد منهم ففي الكتاب المذكور أن تكسـير جبهـة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع حاش مـن الصور والمساحات والحدود والنهايات.

وفي كتاب آخر من التلموذ يقال له سادرناشيم ومعناه تفسير أحكام الحيض أن في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب وفي اصبعه خاتم تضيء منه الشـمس والكواكـب

وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفوت تعـالى ا عن هذه الحماقات.

ومما أجمع عليه أحبارهم لعنهم ا أن من شـتم ا تعالى وشتم الأنبياء يؤدب ومن شتم الأحبار يموت أي يقتل.

فاعجبوا لهذا واعلموا أنهم ملحـدون لا ديـن لهـم يفضلون أنفسهم على الأنبياء عليهم السلام وعلـى ا عـز وجل ومن الأحبار فعليهم ما يخرج من أسافلهم وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى أن أحبـارهم الـذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام اتفقوا على أن رشوا بولس البنياميني لعنه ا وأمروه بإظهار دين عيسى عليه السلام وأن يضل أتباعهم ويدخلهم إلـى القـول بالإهيته وقالوا له نحن نتمحل إثمك في هذا ففعل وبلغ مـن ذلك حيث قد ظهر.

واعلموا يقيناً أن هذا عمل لا يستسهله ذو دين أصلاً ولا يخلو أتباع المسيح عليه السلام عند أولئك الأحبار لعنهم ا من أن يكونوا على حق أو على باطل لابد من أحدهما.

فإن كانوا عندهم على حق فكيف استحلوا ضلال قوم محقين وإخراجهم عن الهدى والدين إلى الضلال المبين هـذا وا لا يفعله مؤمن با تعالى أصلاً.

وإن كانوا عندهم على ضلال وكفر فحسـبهم ذلـك منهم وإنما يسعى المؤمن ليهدي الكافر والضـال وإمـا أن يقوي بصيرته في الكفر ويفتح له فيه أبواباً أشد وأفحش مما هو عليه فهذا لا يفعله أيضاً من يؤمن با تعالى قطعـاً ولا يفعله إلا ملحد يريد يسخر بمن سواه فعن هؤلاء أخذوا دينهم وكتب أنبيائهم بإقرارهم.

فأعجبوا لهذا وهذا أمر لا نبعده عنهم لأنهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا فبعد عليهم بلوغ إربهم من ذلـك وذلـك بإسلام عبد ا بن سبأ المعـروف بـابن السـوء اليهـودي الحميري لعنه ا ليضل من أمكنه من المسلمين فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيعون في علي رضي ا عنه أن يقولوا بإلهية علي ونهج بولس لاتباع المسيح عليه السلام من أن يقولـوا بإلهيته وهم الباطنية والغالية إلى اليوم وأخفهم كفراً الإمامية على جميعهم لعائن ا تترى وأشنع من هذا كله نقلهم الـذي لا تمانع بينهم فيه عن كثير من أحبارهم المتقـدمين الـذين

عنهم أخذوا دينهم ونقل توراتهم وكتب الأنبياء بـأن رجـلاً اسمه إسماعيل كان إثر خراب البيت المقدس سمع ا تعالى يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته ويلي على مـا أخربت من بيتي ويلي على ما فرقت من بني وبناتي فـأمتي منكسة حتى أبني بيتي وأردد إليه بني وبناتي.

قال هذا النذل الموسخ ابن الأنذال إسماعيل فأخذ ا تعالى بثيابي وقال لي أسمعتني يا بني يا إسماعيل قلت لا يا رب فقال لي يا بني يا إسماعيل بارك علي قال الجيفة المنتنة فباركت عليه ومضيت قال أبو محمد رضي ا عنه لقد هان من بالت عليه الثعالب وا ما في الموجودات أرذل ولا أنتن ممن احتاج إلى بركة هذا الكلب الوضر فأعجبوا لعظيم مـا انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع.

فمنها أخباره عن ا تعالى أن يـدعو علـى نفسـه بالويل مرة بعد مرة الويل حقاً على من يصدق بهذه القصـة وعلى الملعون الذي أتى بها.

ومنها وصفه ا تعالى بالندامة على ما فعـل ومـا الذي دعاه إلى الندامة أتراه كان عاجزاً هذا عجب آخر وإذا

كان نادماً على ذلك فلم تمادى على تبديدهم وإلقـاء الـنجس عليهم حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحكة في أدبارهم كما نـص في آخر توراتهم ما في العالم صفة أحمق مـن صـفة مـن يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة.

ومنها وصفه ا تعالى بالبكاء والأنين.

ومنها وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أم لا حتى سأله عن ذلك ثم أظرف شيء إخباره عن نفسـه بأنـه أجاب بالكذب وأن ا تعالى قنع بكذبه وجاز عنده ولم يـدر أنه كاذب.

ومنها كونه بين الخرب وهي مأوى المجـانين مـن الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية ونحوهما.

ومنها وصفه ا تعالى بتنكيس القامة.

ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنة والمنتن وبا الذي لا إله إلا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هـذه المبالغة الذي بلغها هذا اللعين ومن يعظمه وبا تعالى نتأيـد ولولا ما وصفه ا تعالى من كفرهم وقولهم يد ا مغلولـة وا فقير ونحن أغنياء ما انطلق لنا لسان بشيء مما أوردنا

ولكن سهل علينا حكاية كفرهم ما ذكره ا تعالى لنا من ذلك ولا أعجب من أخبار هذا الكلب لعنه ا عن نفسه بهذا الخبر فإن اليهود كلهم يعني الربانيين منهم مجمعون على الغضـب على ا وعلى تلعيبه وتهوين أمره عز وجل فإنهم يقولـون ليلة عيد الكبور وهي العاشرة من تشرين الأول وهي أكتوبر يقوم الميططرون ومعنى هذه اللفظة عندهم الرب الصـغير تعالى ا عن كفرهم قال ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكي قليلاً قليلاً ويلي إذ خربت بيتي وأيتمت بني وبنـاتي فـأمتي منكسة لا أرفعها حتى أبني بيتي وأردد إليـه بنـي وبنـاتي ويردد هذا الكلام.

واعلموا أنهم أفردوا عشرة أيـام مـن أول أكتـوبر يعبدون فيه رباً آخر غير ا عز وجل فحصلوا على الشرك المجرد.

واعلموا أن الرب الصغير الذي أفردوا لـه الأيـام المذكورة يعبدونه فيها من دون ا عز وجـل هـو عنـدهم صندلفون الملك خادم التاج الذي في رأس معبـودهم وهـذا أعظم من شرك النصارى.

ولقد وقفت بعضهم على هذا فقال ليس ميطـرون ملك من الملائكة.

فقلت وكيف يقول ذلك الملك ويلي على ما خربـت من بيتي وفرقت بني وبناتي وهل فعل هذا إلا ا عز وجل.

فإن قالوا تولى ذلك الملك ذلك الفعل بأمر ا تعالى.

قلنا فمن المحال الممتنع ندامة الملك على مـا فعلـه بأمر ا تعالى هذا كفر من الملك لو فعله فكيـف إن يحمـد ذلك منه وكل هذا إنما هو تحيل منهم عند صـك وجـوههم بذلك.

وإلا فهم فيه قسمان.

قسم يقول أنه ا تعالى نفسه فيصغرونه ويحقرونـه ويعيبونه.

وقسم يقول أنه رب آخر دون ا تعالى.

واعلموا أن اليهود يقومون في كنائسهم أربعين ليلـة متصلة من إيلول وتشـرين الأول وهمـا سـتنبر وأكتـوبر فيصيحون ويولولون بمصائب.

منها قولهم لأي شيءٍ تسلمنا يا ا هكذا ولنا الـدين القيم والأثر الأول لم يا ا تتصمم عنا وأنت تسمع وتعمـى وأنت مبصر هذا جزآ من تقدم إلى عبوديتـك وبـدر إلـى الإقرار بك لم يا ا لا تعاقب من يكفر الـنعم ولا تجـازي بالإحسان ثم تبخسنا حظنا وتسلمنا لكـل معتـد وتقـول إن أحكامك عدلة.

فأعجبوا لوغادة هؤلاء الأوبـاش ولرذلـة هـؤلاء الأنذال الممتنين على ربهم عز وجل المستخفين به وبملائكته وبرسله وتا ما بخسهم ربهم حظهم وما حقهم إلا الخزي في الدنيا والخلود في النار في الآخرة وهو تعالى موفيهم نصيبهم غير منقوص واحمدوا ا على عظيم منته علينـا بالإسـلام الملة الزهراء التي صححتها العقول وبالكتاب المنـزل مـن عنده تعالى بالنور المبين والحقائق الباهرة نسأل ا تثبيتنـا على ما منحنا من ذلك بمنه إلـى أن نلقـاه مـؤمنين غيـر مغضوب علينا ولا ضالين قال أبو محمد رضي ا عنه هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والمناقضات اللائحة التي لا شك معه في أنها كتـب مبدلـة محرفة مكذوبة وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ولم

يبق بأيديهم بعد هذا شيء أصلاً ولا بقي في فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه والحمد له رب العالمين.

وإياكم أن يجوز عليكم تمويه من يعارضكم بخرافـة أو كذبة فإننا لا نصدق في ديننا بشيء أصلاً إلا ما جاء فـي القرآن أو ما صح بإسناد الثقات ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلـى رسول ا صلى ا عليه وسلم فقط وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل واعلموا أننا لم نكتب من فضائحهم إلا قلـيلاً مـن كثير ولكن فيما كتبنا كفاية قاطعة في بيان فساد كل ما هـم عليه وبا تعالى التوفيق تم الجزؤ الأول من فصل الملـل ويليه الجزؤ الثاني أوله قال أبو محمد رضي ا عنه وأمـا الإنجيل وكتب النصارى فنحن إن شاء ا إلى آخره

الجزء الثاني

بسم ا الرحمن الرحيم قال أبو محمد وأما الإنجيـل وكتب النصارى فنحن إن شاء ا تعالى موردون من الكذب المنصوص في أناجيلهم ومن التناقض الذي فيها أمراً لا يشك كل من رأه في أنهم لا عقول لهم وأنهم مخذولون جملة وأما فساد دينهم فلا إشكال فيه على من له مسـكة عقـل ولسـنا نحتاج إلى تكلف برهان فـي أن الأناجيـل وسـائر كتـب

النصارى ليست من عند ا عز وجل ولا من عند المسـيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام التي عند اليهود لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بأيديهم منزلة من عند ا عز وجل على موسى عليه السلام فاحتجنا إلى إقامة البرهـان علـى بطلان دعواهم في ذلك وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤنـة كلها لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عنـد ا علـى المسيح ولا أن المسيح أتاهم بها بل كلهم أولهم عن آخـرهم ريوسـيهم وملـيكهم ونسـطوريهم ويعقـوبهم ومـارونيهم وبولقانيهم لا يختلفون من أنها أربعة تواريخ ألفهـا أربعـة رجال معروفون في أزمان مختلفة فأولها تاريخ ألفـه متـى اللاواني تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليـه السلام وكتبه بالعبرانية في بلد يهوذا بالشام يكون نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط والآخر تـاريخ ألفـه مـارقش الهاروني تلميذ شمعون الصفا بن توما المسمى باطرة بعـد اثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح عليـه السـلام وكتبـه باليونانية في بلد أنطاكية من بلاد الروم ويقولون أن شمعون المذكور هو ألفه ثم محى اسمه من أوله ونسبه إلـى تلميـذه

مارقش يكون أربعاً وعشرين ورقة بخط متوسط وشـمعون المذكور تلميذ المسيح.

والثالث تاريخ ألفه لوقا الطبيـب الأنطـاكي تلميـذ شمعون باطرة أيضاً كتبه باليونانية في بلد أقاية بعد تـأليف مارقش المذكور يكون من قدر إنجيل متى.

والرابع تاريخ ألفه يوحنا ابن سيذاي من تلميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية في بلـد اشينية يكون أربعاً وعشرين ورقة بخط متوسط ويوحنا هـذا نفسه هو ترجم إنجيل متى صاحبه من العبرانية إلى اليونانية ثم ليس للنصارى كتاب قديم يعظمونه بعد الأناجيل الأربعـة إلا الافركسيس وهو كتاب ألفه لوقا الطبيب المـذكور فـي أخبار الحواريين وأخبار صاحبه بولس البنياميني وسـيرهم وقتلهم يكون نحو خمسين ورقة بخط مجموعة وكتاب الوحي والإعلان ألفه يوحنا ابن سيذاي المذكورو هو كتاب في غاية السخف والركاكة ذكر فيه ما رآه في الأحلام وإذ أسري به وخرافات باردة والرسائل القانونية وهي سبع رسـائل فقـط منها ثلاث رسائل ليوحنا ابن سـيذاي المـذكور ورسـالتان لباطرة شمعون المذكور ورسالة واحدة ليعقوب ابن يوسـف

النجار والأخرى لأخيه يهوذا ابن يوسف تكون كل رسالة من ورقة إلى ورقتين في غاية البرد والغثاثة ورسائل بولس تلميذ شمعون باطرة وهي خمس عشرة رسالة تكون كلهـا نحـو أربعين ورقة مملوءة حمقاً ورعونة وكفراً ثم كل كتاب لهـم بعد ذلك فلا خلاف بينهم في أنـه تـأليف المتـأخرين مـن أساقفتهم وبطارقتهم كمجامع البطارقة والأساقفة الكبار الستة وسائر مجامعهم الصغار وفقههم في أحكامهم الـذي عملـه ركديد الملك وبه يعمل نصارى الأندلس ثم لسائر النصـارى أحكام أيضاً عملها لهم من شاء ا أن يعملها من أساقفتهم لا يختلفون في هذا كله أنه كما قلنا ثم أخبـار شـهدائهم فقـط فجميع نقل النصارى أوله عن آخره حيث كانوا فهو راجـع إلى الثلاثة الذي سمينا فقط وهم بـولس ومـارقش ولوقـا وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط وهم باطرة ومتى ويوحنا ويعقوب ويهوذا ولا مزيد وكل هؤلاء فأكذب البريـة وأخبثهم على ما نبين بعد ذلك إن شاء ا تعـالى علـى أن بولس حكى في الافركسيس وفي إحدى رسائله أنه لم يبق مع باطرة إلا خمسة عشر يوماً ثم لقيه مرة أخرى بقـي معـه أيضاً يسيراً ثم لقيه الثالثة فأخذا جميعاً وصلبا إلى لعنة ا إلا

أن الأناجيل الأربعة والكتب التي ذكرنا أن عليها معتمـدهم فإنها عند جميع فرق النصارى في شـرق الأرض وغربهـا على نسخة واحدة ورتبة واحدة لا يمكن أحد أن يزيـد فيهـا كلمة واحدة ولا ينقص منها أخرى إلا افتضح عنـد جميـع النصارى مبلغة كما هي إلى مارقش ولوقا ويوحنا لأن يوحنا هو الذي نقل إنجيل متى عن متى ورسائل بولس مبلغة كذلك إلى بولس واعلموا أن أمر النصارى أضعف من أمر اليهود بكثير لأن اليهود كانت لهم مملكة وجمع عظيم مـع موسـى عليه السلام وبعده وكان فيهم أنبياء كثير ظاهرون آمـرون مطاعون كموسى ويوشع وشموال وداود وسـليمان علـيهم السلام وإنما دخلت الداخلة في التوراة بعـد سـليمان عليـه السلام إذ ظهر فيهم الكفر وعبادة الأوثان وقتـل الأنبيـاء وحرق التوراة ونهب البيت مرة بعد مرة فاتصل كفر جميعهم إلى أن تلفت دولتهم على ذلك وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مائة وعشرون رجلاً فقط هكذا في الافركسـيس ونسـوة منهم امرأة وكيل هردوس وغيرها كن ينفقن عليه أمـوالهن هكذا في نص إنجيلهم وإن كل من آمـن بـه فـإنهم كـانوا

مستترين مخافين في حياته وبعده يدعون إلى دينه سـراً ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ولا يظهر دينـه وكل من ظفر به منهم قتل إما بالحجارة كما قتل يعقوب ابن يوسف النجار واشطيبن الذي يسمونه بكر الشـهداء وغيـره وإما صلب كما صلب باطرة وأندرياس أخوه وشمعون أخـو يوسف النجار وفليش وبولس وغيرهما أو قتلوا بالسيف كمـا قتل يعقوب أخو يوحنا وطومار وبرتلوما ويهوذا بن يوسـف النجار ومتى أو بالسم كما قتل يوحنا ابن سيذاي فبقوا علـى هذه الحالة لا يظهرون البتة ولا لهم مكان يأمنون فيـه مـدة ثلاثماية سنة بعد رفع المسيح عليه السلام وفي خـلال ذلـك ذهب الإنجيل المنزل من عند ا عز وجل إلا فصولاً يسيراً أبقاها ا تعالى حجة عليهم وخزياً لهم فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم واجتمعوا وكان سبب تنصره أن أمه هلاني كانت بنت نصراني فعشقها أبوه وتزوجها فولدت له قسطنطين فربتـه على النصرانية سراً فلما مـات أبـوه وولـي هـو أظهـر النصرانية بعد أعوام كثيرة من ولايته ومع ذلك فما قدر على إظهارها حتى رحـل عـن روميـة مسـيرة شـهراً إلـى

القسطنطينية وبناها ومع ذلك فإنما كان أريوسياً هـو وابنـه بعده يقولان إن المسيح عبد مخلوق نبي تعالى فقط وكـل دين كان هكذا فمحال أن يصح فيه نقل متصل لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يؤخذ إلا سراً تحت السيف لا يقدر أهله على حمايته ولا على المنع من تبديله ثم لما ظهر ديـنهم تنصـر قسطنطين كما ذكرنا فشا فيهم دخول المنانية بغتة وكان فيهم غير منانية مدلسون عليهم فأمكنهم بهـذا أن يـدخلوهم مـن الضلال فيما أحبوا ولا تمكنوا البتة أن ينقل أحد عن شمعون باطرة ولا عن يوحنا ولا عن متى ولا عن مارقش ولا عن لوقا ولا عن بولس آية ظاهرة ولا معجزة باهرة لما ذكرنـا من أنهم كانوا مستترين مختفين مظاهرين بدين اليهود مـن التزام السبت وغيره طول حياتهم إلى أن ظفر بهـم فقتلـوا فكلما تضيفه النصارى إلى هؤلاء من المعجزات فأكـذوبات موضوعة لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد كالذي تدعي اليهود لأحبارهم ورؤس مثانيهم وكالذي تدعيه المنانية لماني سواء بسواء وكالذي تدعيه الروافض لمن يعظمون وكالذي تدعيـه طوائف من المسلمين لقوم صالحين كإبراهيم ابن أدهم وأبي مسلم الخولاني وشيبان الراعي وغيرهم وكل هذا كذب وإفك

وتوليد لأن كل من ذكرنا فإنما نقله راجع إلى من لا يـدري ولا يقوم بكلامه حجة ولا صح برهـان سـمعي ولا عقلـي بصدقه وهكذا كان أصحاب ماني مع ماني إلا أنه ظهر نحو ثلاثة أشهر إذ مكر به بهرام بن بهرام الملك وأوهمه أنه قـد آمن به حتى ظفر بجميع أصحابه فصلب ماني وصلبهم كلهم إلى لعنة ا فكل معجزة لم تنقل نقلاً يوجب العلم الضروري كافة عن كافة حتى يبلغ إلى المشاهدة فالحجة لا يقـوم بهـا على أحد ولا يعجز عن توليدها من لا يقوم له.

قال أبو محمد معتمد النصارى كله الذي لا معتمد لهم غيره من قولهم بالتثليث وأن المسيح إله وابـن ا واتحـاد اللاهوتية بالناسوتية والتحامه به إنما هو كله على أنـاجيلهم وعلى ألفاظ تعلقوا بها مما في كتب اليهود كالزبور وكتـاب أشعيا وكتاب أرميا وكلمات يسيرة من التوراة وكتاب سليمان وكتاب زخريا قد نازعتهم اليهود في تأويلها فحصلت دعوى مقابلة لدعوى وما كان فهو باطل وموهوا بأن التوراة وكتب الأنبياء بأيديهم وبأيـدي اليهـود سـواء لا يختلفـون فيهـا ليصححوا نقل اليهود لسواد تلك الكتب ثم يجعلوا تلك الألفاظ التي فيها الحجة في دعواهم وتأويلهم ليس بأيديهم حجة غير

هذا أصلاً ولا جملة سوى هذه وقد أوضحنا بحول ا تعالى وقوته فساد أعيان تلك الكتب وأوضحنا أنها مفتعلـة مبدلـة لكثرة ما فيها من الكذب وأوضحنا أيضاً فساد نقلها وانقطاع الطريق منهم إلى من نسب إليه تلك الكتب بما لا يمكن أحداً دفعه البتة بوجه من الوجوه وبينا آنفاً بحول ا تعالى وقوته فساد نقل النصارى جملة وإقرارهم بأن أناجيلهم ليست منزلة ولكنها كتب مؤلفة لرجال ألفوها فبطل كل تعلق لهم والحمـد رب العالمين ثم نورد إنشاء ا تعالى تكذيبهم في دعواهم أن التوراة عند اليهود وعندهم سواء ونورد ما يخالفون فيـه نص التوراة التي بأيدي اليهود حتى يلوح لكل أحـد كـذب دعواهم الظاهرة من تصديقهم لنصوص التوراة التـي عنـد اليهود ونرى تكذيبهم لنصوصها فيبطل بذلك تعلقهم بما فيها وبما في نقل اليهود إذ لا يصح لأحد الاحتجاج بتصحيح ما يكذب ثم نذكر بعون ا عز وجل مناقضات الأناجيل والكذب الفاحش المفضوح الموجود في جميعها وبا تعالى التوفيـق فيرتفع الإشكال في ذلك جملة ويستوي في معرفة بطلان كل ما بأيدي الطائفتين كل من اغتر بكتمانهم لما فضـحناه منـا ومنهم من الخاصة والعامة ومن سائر الملل أيضـاً ويصـح

عند كل من طالع كلامنا هذا أن الذين كتبوا الأناجيل وألفوها كانوا كذابين مجاهرين بالكذب لتكاذبهم فيما أوردوه فيها من الأخبار وأنهم كانوا مستخفين مهلكين لمن اغتر بهم والحمـد

رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام السالم مـن كل غش البري من كل توليد الوارد من عند ا عز وجل لا من عند أحد دونه ذكر ما تثبته النصـارى بخـلاف نـص التوراة وتكذيبهم لنصوصها التي بأيدي اليهود وادعاء بعض علماء النصارى أنهم اعتمدوا في ذلك علـى التـوراة التـي ترجمها السبعون شيخاً لبطليموس لا علـى كتـب عـزراء الوراق واليهود مؤمنون بكلتي النسـختين والخـلاف عنـد النصارى موجود فيها قال أبو محمد في توراة اليهود التي لا اختلاف فيها بين الربانية والعانانية والعيسوية منهم لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة سنة ولد له ولد كشبهه وجنسه وسـماه شيث وعند النصارى بلا اختلاف بين أحـد مـنهم ولا مـن جميع فرقهم لما أتى على آدم مائتان وثلاثون سنة ولـد لـه شيث وفي التوراة التي عند اليهود كما ذكرنا لما عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد أنيوش وعند النصارى كلهم لمـا عاش شيث مايتي سنة وخمس سنين ولد أنيوش وفي التوراة

عند التي اليهود كما ذكرنا أن أنيوش لما عاش تسعين سـنة
ولد قينان وعند النصارى كلهم أن أنيوش لما عاش تسـعين
سنة ومايه سنة ولد قينان وفي التوراة التي عند اليهود كمـا
ذكرنا أن قينان لما عاش سبعين سنة ولـد مهـلال وعنـد
النصارى كلهم أن قينان لما عاش ماية سنة وسبعين سلنة ولد
مهلال وفي التوراة التي عند اليهود كما ذكرنا أن مهلال لما
بلغ خمساً وستين سنة ولد يارد وعنـد النصـارى كلهـم أن
مهلال لما بلغ مائة سنة وخمساً وستين سنة ولد يارد واتفقت
الطائفتان في عمر يارد إذ ولد له خنوخ وفي التـوراة التـي
عند اليهود كما ذكرنا أن خنوخ لما بلغ خمساً وستين سنة ولد
متوشالخ وأن جميع عمر خنوخ كان ثلاثمائة سـنة وخمسـاً
وستين سنة وعند النصارى كلهم أن خنوخ لما بلغ مائة سنة
وخمساً وستين سنة ولد متوشالخ وأن جميع عمر خنوخ كان
خمس مائة سنة وخمساً وستين سنة ففي هذا الفصل تكـاذب
بين الطائفتين في موضعين أحدهما سن خنوخ إذ ولـد لـه
متوشالخ والثانية كمية عمر خنوخ واتفقت الطائفتـان علـى
عمر متوشالخ إذ ولد له لامخ وعلى عمر لامخ إذ ولـد لـه
نوح وعلى عمر نوح إذ ولد له سام وحام ويافث وعلى عمر

سام إذ ولد له أرفخشاذ وفي التوراة التي عند اليهـود كمـا ذكرنا أن أرفخشاذ لما بلغ خمساً وثلاثين سنة ولد له شـالخ وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائة سنة وخمساً وثلاثين سـنة وعند النصارى كلهم أن أرفخشاذ لما بلغ مائة سنة وخمسـاً وثلاثين سنة ولد له قينان وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائـة سنة وخمساً وستين سنة وأن قينان لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له شالخ فبين الطائفتين في هذا الفصل وحده اختلاف في ثلاثة مواضع أحدهما عمر أرفخشاذ جملة والثاني سـن أرفخشاذ إذ ولد له ولده والثالث زيادة النصارى بين أرفخشاذ وشالخ قينان وإسقاط اليهود له وفي التوراة عند اليهود كمـا ذكرنا أن شالخ لما بلغ ثلاثين سنة ولد له عابر وأن عمـر شالخ كان أربعمائة سنة وثلاثين سنة وعند النصارى كلهم أن شالخ لما بلغ مائة وثلاثين سنة ولد له عابر وأن عمر شـالخ كله كان أربعمائة سنة وستين سنة ففي هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين في موضعين أحدهما سن شالخ إذ ولد لـه عـابر والثاني كمية عمر شالخ وعند اليهود كما ذكرنا في التـوراة أن فالغ إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له راغوا وعند النصارى كلهم أن فالغ لما بلغ مائة وثلاثين سنة ولد له راغوا وفي تـوراة

اليهود كما ذكرنا أن راغوا لما بلغ اثنين وثلاثين سنة ولد له شاروع وعند النصارى كلهم أن راغوا لما بلغ مائة سنة واثنين وثلاثين سنة ولد له شاروع وفي التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن شاروع إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور وكان عمر شاروع كله مائتي عام وثلاثين عاماً وعند النصارى كلهم أن شاروع إذ بلغ ثلاثين سنة ومائة سنة ولد له ناحور وأن عمر شاروع كله كان ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ففي هذا الفصل بين الطائفتين تكاذب في موضعين أحدهما عمر شاروع جملة والثاني سن شاروع إذ ولد له ناحور وفي التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن ناحور لما بلغ تسعاً وعشرين سنة ولد له تارخ وأن عمر ناحور كله كان مائة سنة وثمانياً وأربعين سنة وعند النصارى كلهم أن ناحور لما بلغ تسعاً وسبعين سنة ولد له تارخ وأن عمر ناحور كله كان مائتي عام وثمانية أعوام ففي هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين في موضعين أحدهما عمر ناحور كله والثاني سن ناحور إذ ولد له تارخ وفي التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن تارخ كان عمره كله مائتي عام وخمسة أعوام وعند النصارى كلهم أن تارخ كان عمره كله مائتي عام وثمانية

أعوام قال أبو محمد فتولد مـن الاخـتلاف المـذكور بـين الطائفتين زيادة عن ألف عام وثلاثمائة عام وخمسين عامـاً عند النصارى في تاريخ الدنيا على ما هو عند اليهـود فـي تاريخها وهي تسعة عشر موضعاً كما أوردنا فوضح اختلاف التوراة عندهم ومثل هذا من التكاذب لا يجوز أن يكون مـن عند ا عز وجل أصلاً ولا من قول نبي البتة ولا من قـول صادق عالم من عرض الناس فبطل بهذا بلا شك أن تكـون التوراة وتلك الكتب منقولة نقلاً يوجب صحة العلم لكن نقـلاً فاسداً مدخولاً مضطرباً ولابد للنصارى ضرورة مـن أحـد خمسة أوجه لا مخرج لهم عن أحدها إما أن يصـدقوا نقـل اليهود للتوراة وأنها صحيحة عن موسـى عـن ا تعـالى ولكتبهم وهذه طريقتهم في الحجاج والمناظرة فإن فعلوا فقـد أقروا على أنفسهم وعلى أسلافهم الذين نقلهم عـنهم ديـنهم بالكذب إذ خالفوا قول ا تعالى وقول موسى عليه السلام أو يكذبوا موسى عليه السلام فيما نقل عن ا عز وجل وهم لا يفعلون هذا أو يكذبوا نقل اليهود للتـوراة ولكتـبهم فيبطـل تعلقهم بما في تلك الكتب مما يقولون أنه إنذار بالمسيح عليه السلام إذ لا يجوز لأحد أن يحتج بما لا يصح نقله أو يقولوا

كما قال بعضهم إنهم إنما عولوا فيما عندهم على ترجمة السبعين شيخاً الذين ترجموا التوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام لبطليموس فإن قالوا هذا فإنهم لا يخلون ضرورة من أحد وجهين إما أن يكونوا صادقين في ذلك أو يكونوا كاذبين في ذلك فإن كانوا كاذبين في ذلك فقد سقط أمرهم والحمد رب العالمين إذ لم يرجعوا إلا إلى المجاهرة بالكذب وإن كانوا صادقين في ذلك فقد حصلت توراتان متخالفتان متكاذبتان متعارضتان توراة السبعين شيخاً وتوراة عزراء ومن الباطل الممتنع كونهما جميعاً حقاً من عند ا واليهود والنصارى كلهم مصدق مؤمن بهاتين التوراتين معاً سوى توراة السامرية ولابد ضرورة من أن تكون إحداهما حقاً والأخرى مكذوبة فأيهما كانت المكذوبة فقد حصلت الطائفتان على الإيمان بالباطل ضرورة ولا خير في أمة تؤمن بيقين الباطل وإن كانت توراة السبعين شيخاً هي المكذوبة فلقد كانوا شيوخ سوء كذابين ملعونين إذ حرفوا كلام ا تعالى وبدلوه ومن هذه صفته فلا يحل أخذ الدين عنه ولا قبول نقله وإن كانت توراة عزراء هي المكذوبة فقد كان كذاباً إذ حرف كلام ا تعالى ولا يحل أخذ شيء من الدين عن كذاب ولابد

من أحد الأمرين أو يكون كلاهما كذباً وهذا هو الحق اليقـين الذي لا شك فيه لما قدمنا مما فيهـا مـن الكـذب الفاضـح الموجب للقطع بأنها مبدلة محرفة وسقطت الطائفتـان معـاً وبطل دينهم الذي إنما مرجعه إلى تلك الكتب المكذوبة ونعوذ قال أبو محمد فتأملوا هذا الفصل وحده ففيه كفاية في تـيقن بطلان دين الطائفتين فكيف بسائر ما أوردنـا إذا استضـاف إليه وفي التوراة عند اليهود وعند النصارى اختلاف آخـر اكتفينا منه بهذا القدر والحمد رب العالمين علـى عظـيم نعمته علينا بالإسلام المنقول نقل الكواف إلـى رسـول ا المعصوم صلى ا عليه وسلم البريء من كل كذب ومن كل محال الذي تشـهد لـه العقـول بالصـحة والحمـد رب العالمين .

ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة

والكذب الظاهر الموضوع فيها قال أبو محمـد أول ذلك مبدأ الخلق مبدأ إنجيل متى اللاوانـي الـذي هـو أول الأناجيل بالتأليف والرتبة مصحف نسبة يسوع المسيح ابـن داود ابن إبراهيم وإبراهيم ولد إسحق وإسحق ولـد يعقـوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ويهوذا ولد من ثامـان فـارض وتارخ ثم إن فارض ولد حضروم وحضروم ولد آرام وآرام ولد عمينا ذاب وعمينا ذاب ولد بخشون الخارج من مصـر أخو زوجة هارون وبخشون ولد أشلومون وأشلومون ولد له من راحاب بوعز وبوعز ولد له من روث عوبيذ وعوبيذ ولد له ايشاي وايشاي ولد لـه داود الملـك وولـد داود الملـك أشلومون وأشلومون ولد رجيعـام ورجيعـام ولـد البيـوت والبيوت ولد أشا وأشا ولد يهوشافاظ ويهوشافاظ ولد يهورام ويهورام ولد أحزياهو وأحزياهو ولد يوثام ويوثام ولد أحـاز وأحاز ولد أحزيا وأحزيا ولد منشا ومنشا ولد أمون وأمـون ولد يوشياهو ويوشياهو ولد نحنيا وإخوته وقت الرحلة إلـى بابل وبعد ذلك ولد لنحنيا صلتيايل وصلتيايل ولـد روبابيـل وروبابيل ولد أبيوث وأبيوث ولد ألياحيم وألياحيم ولـد أزور

وأزور ولد صدوق وصدوق ولد أحيم وأحـيم ولـد أليـوث وأليوث ولد العزار والعزار ولد مثان ومثان ولـد يعقـوب ويعقوب ولد يوسف خطيب مريم التي ولدت يسـوع الـذي يدعى مسيحاً فصار من إبراهيم إلى داود أربعة عشـر أبـاً ومن داود إلى وقت الرحلة أربعة عشر أباً ومن وقت الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أباً فجميع المواليد من إبراهيم إلـى المسيح اثنان وأربعون مولوداً قال أبو محمد رضي ا عنـه ففي هذا الفصل خلاف لما في التوراة وكتب اليهود التي هي عندهم في النقل كالتوراة وهمـا كتـاب ملاخـيم وكتـاب وبراهياميم فقال هاهنا تارخ بن يهوذا وفي التوراة زارح بن يهوذا وهذا اختلاف في الاسم وكذب مـن أحـد الخبـرين والأنبياء لا يكذبون وقال ههنا أحزيا هو بن هورام وفي كتب اليهود أحزيا بن يورام وهذا اختلاف في الأسماء ووحي ا تعالى لا يحتمل هذا فأحد النقلين كاذب بلا شك وقـال ههنـا يوثام بن أحزيا هو وفي كتب اليهود المذكورة يوثـام ابـن عزريا بن أمصيا بن أش بن أحزيا فأسقط ثلاثة آباء مما في كتب اليهود وهذا عظيم جداً فإن صدقوا كتب اليهـود وهـم مصدقون بها فقد كذب متى وجهل وإن صدقوا متى فإن كتب

اليهود كاذبة لابد من أحد ذلك فقد حصلوا علـى التصـديق بالشيء وضده معاً وقال ههنا أحزياهو بن أحاز بـن يوثـام وفي كتب اليهود المذكورة حزقيا بن أحاز بن يوثـام وهـذا اختلاف في الاسم والوحي لا يحتمل هذا فأحد النقلين كـاذب بلا شك وقال هاهنا نحليا بن يوشياهو بن أمون وفـي كتـب اليهود التي ذكرنا نحنيا بن الياقيم بن موشيا بن أموز فأسقط متى الياقيم وخالف في اسم يوشيا بن أمون وهذا عظيم وكما قدمنا من كذبهم ولابد إذ يصدقون بالشيء والضد له معاً وهم لا يختلفون في أن متى رسول معصوم أجل عنـد ا مـن موسى ومن سائر الأنبياء كلهم وهو قد قال في أول كلمة من إنجيله مصحف نسبة المسيح بن داود بن إبراهيم ثم لم يـأت إلا بنسب يوسف النجار زوج مريم الذي عندهم هو ربيـب إلههم زوج أمه فكيف يقول أنه يذكر نسبة المسيح ثم يـأتي بنسبة يوسف النجار والمسيح عند هذا التيس البوال ليس هو ولد يوسف أصلاً فقد كذب هذا القذر كذباً لا خفـاء بـه ولا مدخل للمسيح في هذا النسب أصلاً بوجه من الوجـوه إلا أن يجعلوه ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا ولا نحـن ولا جمهور اليهود أما هم فيقولون أنه ابن ا من مريم وأنه إلـه

وابن إله وامرأة تعالى ا عـن هـذا وأمـا نحـن فنقـول والعيسوية من اليهود معنا والأريوسية والبولقانية والمقدونية من النصارى أنه عبد آدمي خلقه ا تعالى في بطن مـريم عليها السلام من غير ذكر وأما جمهور اليهـود لعـنهم ا فيقولون أنه لغير رشدة حاشى من ذلك بل إن طائفة قليلة من اليهود يقولون أنه ابن يوسف النجار وما نرى متـى إلا شاهداً لقولهم ومحققاً له وإلا فكيف يبدأ بأنه يـذكر نسـب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا يوسف النجار إلى داود ولـو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر لكنـه لـم يذكر نسب مريم أصلاً ثم لم يستحي النذل من أن يحقق مـا ابتدأ به فبعد أن أتم نسب يوسف النجار قال من الرحلة إلـى المسيح أربعة عشر اباً فجميع المواليد من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولوداً فأكد هذا الملعون كذبه وأن المسيح ولد يوسف ولابد ضرورة من أحدهما وإلا فكيـف يكـون مـن الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أباً والمسيح ليس هـو ابنـاً لأحدهم ولا هم آباء له فكيف يكون من إبراهيم إلى المسـيح اثنان وأربعون مولوداً ولا مدخل للمسيح في تلك الولادات إلا

كمدخله في ولادات أهل الصين وأهل الهند وأهل طلعة وسقر وسقرال ولا فرق.

هذه فضائح الدهر وما لا يأتي به إلا أنجس البرية ونعوذ با من الخذلان ثم كذب آخر وجهل زايد وهما قوله فبين إبراهيم إلى داود أربعة عشر أباً قال أبو محمد رضي ا عنه هذا كذب إنما هم على ما ذكر ثلاثة عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويهوذا وزارح وحضروم وآرام وعمينا ذاب وبخشون وأشلومون وبوعز وعوبيذ وايشاي فهؤلاء ثلاثة عشر اباً ثم داود ولا يجوز البتة أن يعد داود في آباء نفسه فيجعل أباً لنفسه فهذه ملحنة ثم قال ومن داود إلى الرحلة أربعة عشر اباً وليس كذلك لأن نحنيا هو الراحل بنص قول متى وأنه لم يولد له على قول صلتيايل إلا بعد الرحلة فهم أشلومون ورجيعام وأبيوث وأشا ويهوشافاظ ويهورام وأحزياهو ويوثام وأحاز وأحزياهو وميشا وأمون وبوشاهو ونحنيا وقد عد داود قبل فإن عده ههنا فقد حققوا الكذب في الفصل الذي قبله وإن عده هناك فقد كذبوا في العدد الثاني أو جعلوا نحنيا أباً لنفسه وهذا هوس ثم قال ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أباً وهذا فصل جمع كذبتين

عظيمتين أحدهما أنه إذا عد صلتيايل ثم من بعده إلى يوسف النجار فليسوا إلا اثني عشر رجـلاً فقـط وهـم صـلتيايل وورويابيل وأبيوث والياخيم وأزور وصدوق وأجيم وأليـوث والعازر وماثان ويعقوب ويوسف فإن عد فيهم نحنيا كـانوا ثلاثة عشر وهو يقول أربعة عشر فاعجبوا لهذا الحمق وهذا الضلال واعجبوا لرعونة من جاز هذا عليه واعتقده ديناً ثـم إن كان عنى أنهم آباء المسيح فيوسف والد المسـيح وكفـي بهذا عندهم كفراً فقد كفر متى أو كذب وجهل لابد مـن أ د ذلك ثم قوله فمن إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولـوداً فهذا كذب فاحش وجهل مفرط لأنه إذا عد إبراهيم ومن بعده إلى يوسف وعد يوسف أيضاً فإنما هم أربعون فقط فإن عـد المسيح وجعله ولد يوسف لم يكونوا أيضاً إلا واحد وأربعين فقط فاعجبوا ممن يدين تعالى بهذا الحمق واحمدوه علـى السلامة هذا إلى الكذب المفضوح الذي في نسب داود عليـه السلام إلى بخشون بن عمينا ذاب لأن بخشون بنص توراتهم هو الخارج من مصر وهو مقدم بني يهوذا ولم يدخل بـنص التوراة أرض القدس لأن كل من خـرج مـن مصـر ابـن عشرين سنة فصاعداً ماتوا كلهم في التيه بنص التوراة فـإذا

عدت الولادات من أشلومون ابن بخشون الذي دخـل أرض المقدس إلى داود عليه السلام وجدوا أربعة فقط وهم داود بن أشاي ابن عوبيذ بن بوعر بن أشلمون الداخل مصر المذكور ولا يختلفون يعني اليهود والنصارى معـاً مـن أن دخـول أشلمون المذكور مع يوشع وبني إسرائيل الأرض المقدسـة إلى مولد داود عليه السلام خمسمائة سنة وثلاثاً وسبعين سنة فيجب على هذا أن يقول أن أشـلومون لـم يـدخل الأرض المقدسة إلا وهو أقل من سنة وأنه لم يولد لكل واحـد مـنهم ولده المذكور إلا وله مائة سنة ونيف وأربعون سنة وكتـبهم تشهد ككتاب ملاخيم وبراهياميم وغيرهما وتقطع أنه لم يعش أحد من بني إسرائيل بعد موسى عليه السـلام مائـة سـنة وثلاثين سنة إلا يهوراع الكوهن الهاروني وحده فكـم هـذا الكذب وهذا الافتضاح فيه وهذه الشهرة العظيمة لا ينفكـون من كذبة إلا إلى أخرى ومن سوأة إلا إلى سوأةٍ ونعوذ بـا من البلاء فاعجبوا لما افتتح به هذا الكذاب وأحسن مـا فـي خالد وجهه فقس على الغائب بالشاهد ثم ذكر لوقا الطبيب في الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام فقال أنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار المنسوب إلى علي إلى ماثان إلى لاوي

إلى ملكي إلى يمتاع إلى يوسف إلى متاتيا إلى حاموص إلى ماحوم إلى أشلا إلى أنحا إلى فاهاث إلى منيشا إلى صـمغي إلى مصداق إلى يهندع إلى يوحنا إلى رشا إلى روبابيل إلى صلتيايل إلى بادي إلى ملكي إلى مر إلى أريع إلى قرصـام إلى اليران إلى هار إلى يشوع إلى لونا إلى الياخيم إلى ملكا اياز إلى يمتاع إلى متاتا إلى ناثان إلى داود النبي صـلى ا عليه وسلم ثم ذكر نسب داود كما ذكره متى حرفاً قال أبو محمد رضي ا عنه فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ما أفحشها وأوحشها وأقذرها وأوضرها وأرذلها وأنذلها متـى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أباً فأباً ولوقـا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذي ذكر متـى حتـى يخرجه إلى ناتان بن داود أخـي سـليمان بـن داود ولابـد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذباً فيكذب متى أو لوقـا أو لابد أن يكون كلا النسبين كذباً فيكذب الملعونان جميعاً ولا يمكن البتة أن يكون كلا النسبتين حقاً ولوقا عندهم لـوق ا صورهم والاق وجوههم ولقاهم البلاء وألقى علـيهم الـدمار واللعنة في الجلالة فوق جميع الأنبياء عليهم السـلام فهـذه

صفة أناجيلهم فاحمدوا ا تعالى أيها المؤمنون على السلامة والعصمة وقال بعض أكابر من سلف منهم من مضـليهم أن أحد هذين النسبين هو نسب الولادة والنسب الآخر نسب إلى إنسان تبناه على ما قد كان في قديم زمن بني إسرائيل من أن من مات ولا ولد له وتزوج آخر امرأته نسب إلى الميت من ولدت من هذا الحي فقلنا لمنا عارضنا منهم بهذا الهوس من لك بهذا وأين وجدته للوقا أو لمتى والدعوى لا يعجز عنهـا أحد وهي باطلة إلا أن يعضدها برهان وبعد هذا فأي النسبين هو نسب الولادة وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة فأيهمـا قال قلب عليه قوله وقيل له هذه دعوى بلا برهان فإن قال أن لوقا لم يقل أن فلاناً ولد فلاناً كما قاله متى لكن قال المنسوب إلى علي قلنا وهكذا قال في آباء علي أباً فأباً إلى داود ثم إلى إبراهيم ثم إلى نوح ثم إلى آدم سواء بسواءٍ في اسم بعد اسم وفي أب بعد أب ولا فرق افترى نسب داود إلـى إبـراهيم وإبراهيم إلى نوح ونوح إلى آدم كان أيضاً على الإضافة لا على الحقيقة كما قلت في نسب يوسف إلى علي هذا عجـب فإذ لا سبيل إلى تصحيح هذه الدعوى فهي كـذب ووضـح

الكذب في أحد النسـبين ضـرورة عيانـاً والحمـد رب العالمين.

فصل وفي الباب الثالث من إنجيل متى فلحق يسوع يعني المسيح بالمفاز وساقه الروح إلى هنالك ولبث فيه ليقيس إبليس نفسه فيه فلما أن مضى أربعين يومـاً بلياليهـا جـاع فوقف إليه الجساس وقال له إن كنت ولـد ا فـأمر هـذه الجنادل تصير لك خبزاً فقال يسوع قد صـار مكتوبـاً بـأن عيش المرء ليس بالخبز وحده ولكن في كل كلمة تخرج من فم ا تعالى وبعد هذا أقبل إبليس في المدينة المقدسة وهـو واقف في أعلى بنيانها وقال له إن كنت ولد ا فتـرام مـن فوق فإنه قد صار مكتوباً بأنه سـيبعث ملائكـة يرفـدونك ويدفعون عنك حتى لا يصيب قدمك مكروه فأجابـه يسـوع وقال له قد صار مكتوباً أيضاً أن لا يقيس أحد العبيد إلهه ثم عاد إليه إبليس وهو في أعلى جبل منيف فأظهر لـه زينـة جميع الدنيا وشرفها وقال له إني سأملكك كل مـا تـرى إن سجدت لي فقال له يسوع اذهب يا منافق مقهقراً فقد كتب أن لا يعبد أحد غير السيد إلهه ولا يخدم سواه فتأيس عنه إبليس عند ذلك وتنحى عنه وأقبلت الملائكة وتولت خدمته.

وفي الباب الرابع من إنجيل لوقا فانصرف يسوع من الأردن محشواً من روح القدس وقاده الـروح إلـى القفـار ومكث فيه أربعين يوماً وقايسه إبليس فيه ولم يأكل شيئاً فـي تلك الأربعين يوماً فلما أكملها جاع فقال له إبليس إن كنـت ابن ا فأمر هذا الحجر أن يصير خبزاً فأجابه يسوع وقـال له قد صار مكتوباً أنه ليس عيش الآدمي في الخبز وحده إلا في كل كلمة ثم قاده إبليس إلى جبل منيف عال وعـرض عليه ملك جميع الدنيا من وقته وقال له سأملكك هذا السلطان وأنزلك بعظمته لأني قد ملكته وأنا أعطيه من وافقنـي فـإن سجدت لي كان لك أجمع فأجابه يسوع وقال له قـد صـار مكتوباً أن تعبد السيد إلهك وتخدمه وحده ثم ساقه إلى بلاشلام وصعده ووقفه على صخرة البيت في أعلاه وقال له إن كنت ولد ا فتسبسب من ههنا لأنه مكتـوب أن يبعـث ملائكـة لحرزك وحملك في الأكف حتى لا تعثر بقدمك في حجر ولا يصيبك مكروه فأجابه يسوع وقال له قد كتـب أيضـاً أن لا تقيس السيد إلهك قال أبو محمد رضي ا عنـه فـي هـذا الفصل عجائب لم يسمع بأطم منها أولهـا إقـرار الصـادق عندهم بأن إبليس قاد المسيح مرة إلى جبل منيف وانقاد لـه

ومضى معه وقاده مرة أخرى إلى أعلى صخرة فـي بيـت المقدس فما نراه إلا ينقاد لإبليس حيث قاده ولا يخلو مـن أن يكون قاده فانقاد له مطيعاً سامعاً فما نراه إلا منصرفاً تحـت حكم الشيطان وهذه وا منزلة رذيلة جداً أو يكون قاده كرهاً فهذه منزلة المصروعين الذين يتخبطهم الشيطان من المـس حاشى للأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله وابن إله بـزعمهم وما سمع قط بأحمق من هذا الهوس ونحمد ا على عظـيم منته ثم الطامة الأخرى كيف يطمع إبليس عند هؤلاء النوكي في أن يسجد له خالقه وفي أن يعبده ربه وفي أن يخضع لـه من فيه روح اللاهوت أم كيف يدعو إبليس ربه وإلهه إلى أن يعبده وا إني لأقطع أن كفر إبليس وحمقه لم يبلغا قط هـذا المبلغ فهذه آبدة الدهر ثم عجب آخر كيف يمني إبلـيس رب الدنيا وخالقها ومالكها ومالكه وإلهنا وإلهه في أن يملكه زينة الدنيا فهذه كما تقول عامتنا أعطه من خبزه كسيرة ما هـذه الوساوس التي لا ينطلق بها إلا لسـان مـن حقـه سـكنى المارستان أو عيار كافر مستخف بقوم نـوكي يـوردهم ولا يصدرهم ما شاء ا كان فإن قالوا إنما دعا الناسوت وحـده وإياه عنى إبليس وحده قلنا فإن اللاهوت والناسوت عنـدكم

متحدان بمعنى أنهما صارا شيأ واحداً والمسيح عنـدكم إلـه معبود وقد قلتم هاهنا أن إبليس قاد المسيح فانقاد له المسـيح ودعاه إبليس إلى عبادته والسجود له ومناه إبليس بملك الدنيا وقال للمسيح وقال له المسيح أو قال ليسوع وقال له يسـوع وعلى قولكم أنه إنما خاطب الناسوت إنما دعا نصف المسيح ونصف يسوع وإنما مني بزينة الدنيا نصف المسيح فقد كذب لوقا ومتى على كل حال وأهل الكذب همـا فكيـف ونـص كلامهما جزت ألسنتهما في لظى يمنع من هذا ويوجـب أن إبليس إنما دعا اللاهوت لأنه قال له إن كنت ابن ا فافعـل كذا ولو لم يكن من هذا في الأناجيل إلا هذا الفصل الأبخـر وحده لكفى فكيف وله فيها نظائر جمـة ونحمـد ا علـى السلامة فصل قال أبو محمد رضي ا عنه وذكر في الفصل الذي تكلمنا عليه أن المسيح عليه السلام احتشـى مـن روح القدس وفي أول باب من إنجيل لوقا أن يحيى بـن زكريـا احتشى من روح القدس في بطن أمه وأن أم يحيى احتشـت أيضاً من روح القدس فما نرى للمسيح من روح القـدس إلا كالذي ليحيى ولأم يحيى من روح القدس ولا فرق فأي فضل له عليهما فصل قال أبو محمد في الباب الثالث من إنجيـل

متى فلما بلغه حبس يحيى بن زكريا تنحى إلى جلجال وتخلى من مدينة ناصرة ورحل وسكن في كفر ناحوم على السـاحل في رابلون وتفتالي ليتم قول شعيا النبي حيـث قـال أرض رابلون وتفتالي وطريق البحر خاف الأردن وجلجال الأجناس وكل من كان بها في ظلمة يبصرون نوراً عظيماً ومن كـان ساكناً في ظلال الموت بها يطلع النور علـيهم ومـن ذلـك الموضع ابتدأ يسوع بالوصية وقال توبوا فقد تدانى ملكـوت السماء وبينا هو يمشي على ريف البحر بحر جلجال إذ بصر بأخوين أحدهما يدعى شمعون المسمى باطرة والآخر باطرة والآخر أندرياس وهما يدخلان شباكهما فـي البحـر وكانـا صيادين فقال لهما اتبعاني أجعلكما صيادي الآدميين فتخليـا وقتهما ذلك من شباكهما واتبعاه ثم تحرك من ذلك الموضـع وبصر بأخوين أيضاً وهما يعقوب ويوحنا بن سـيذاي فـي مركب مع أبيهما يعدان شباكهما فدعاهما فتخليا ذلك الوقـت من شباكهما ومن أبيهما ومتاعهما واتبعاه هذا نص كلام متى في إنجيله حرفاً حرفاً وفي أول باب من إنجيل مارقش قـال فبعد أن بلي يحيى أقبل يسوع إلى جلجال ملك ا وقـال إن الزمان قد تم وتدانى ملك ا فتوبوا وتقبلوا الإنجيـل فلمـا

خطر جوار بحر جلجال نظر إلى شمعون وأنـدرياس وهـم يدخلان شبكتهما في البحر وكانا صيادين فقال لهمـا يسـوع اتبعاني أجعلكما صيادين للآدميين فتركا ذلك الوقت الشـبكة واتبعاه ثم تمادى قليلاً فأبصر يعقوب بن سيذاي وأخاه يوحنا وهما في المركب يهندمان شبكتهما فدعاهما فتركا والـدهما مع العمالين بأجرة في المركب واتبعاه هذا نص كلام مارقش في إنجيله حرفاً حرفاً وقال في الباب الرابع من إنجيل لوقـا وبينما الجماعات يوماً تزدحم عليه رغبة في استماع كلام ا وكان في ذلك الوقت واقفاً على ريف بحيرة بشيرات إذ بصر بمركبين في البحيرة قد نزل عنهما أصحابهما لغسل شـباكهم فدخل يسوع أحدهما الذي كان لشمعون وسأله أن يتنحى بـه عن الريف قليلاً فقعد في المركب وجعل يوصي الجماعـات منه فلما أمسك عن الوصية قـال لشـمعون لجـج وألقـوا جرافاتكم الصيد فقال له شمعون يا معلم قد عنينا طول الليل ولم نصب شيئاً ولكنا سنلقي الجرافة بأمرك وقولك فلما ألقاها قبضت على حيتان كثيرة جليلة فكادت تقطع الجرافـة مـن كثرتها فاستعانوا بأصحاب المركـب الثـاني وسـألوهم أن يعينوهم على إخراجهم لها فاجتمعوا عليها وشـحنوا منهـا

المركبين حتى كادا أن يغرقا فلما بصر بذلك شمعون الـذي يدعى باطرة سجد ليسوع وقال اخرج عني يا سـيدي لأنـي إنسان مذنب وكان قد حار وكل من كان معـه لكثـرة مـا أصابوا من الحيتان وحار يعقوب ويوحنا ابنا سـيذاي فقـال يسوع لشمعون لا تخف فإنك ستصطادد من اليوم الآدميـين فخرجوا إلى الريف الآخر مركبهم وتخلوا من جميع ما كان لهم واتبعوه هذا نص كلام لوقا في إنجيله حرفاً حرفاً وفـي أول باب من إنجيل يوحنا بن سبذاي قال وفي يوم آخر كـان يحيى بن زكريا المعمد واقفاً ومعه تلميذان من تلاميذه فبصر بيسوع ماشياً فقال هذا خروف ا فسمع ذلك منه التلميـذان واتبعا يسوع فالتفت إليهما يسوع إذ رآهما يتبعانه وقال لهما ما الذي طلبتما قالا له يا معلم أين مسكنك فقال لهمـا أقـبلا فأبصرا فتوجها معه ورأيا مسكنه وباتا عنده ذلك اليوم وكانا في الساعة العاشرة وكان أحد التلميذين اللذين اتبعاه أندرياش أخو شمعون المسمى باطره أحد الاثني عشـر فلقـي أخـاه شمعون وهو أحد اللذين سمعا من يحيى واتبعاه إذ نظر إليه وقال له وجدنا المسيح ثم أقبل إليه به فلما بصر به المسـيح قال له أنت شمعون بن يوثا وأنت تسـمى كيفـا وترجمتـه

الحجر وهذا نص كلام يوحنا في إنجيله حرفاً حرفاً قال أبو محمد رضي ا عنه فاعجبوا لهذه الفضائح وتأملوها اتفـق متى ومارقش على أن أول ما كانت صحبة شمعون بـاطره وأخيه أندرياش ابني يونا للمسيح فإنها كانت بعد أن سـجن يحيى بن زكريا إذ وجدهما المسيح وهما يدخلان شبكتهما في البحر للصيد وقال لوقا أنه وجدهما ما صحباه إذ وجدهما قد نزلا من المركب لغسل شباكهما وأنهما كانا قد تعبا طـول الليل ولم يصيدا شيأ وقال يوحنا إن أول ما صـحباه إذ رآه أندرياش أخو شمعون باطره وهو واقف مع يحيى بن زكريا وأنه كانت تلميذاً ليحيى وأن يحيى حينئذ كان يعمد للناس فلما سمع أندرياش قول يحيى إذ رأى المسيح هـذا خـروف ا ترك يحيى وصحب المسيح وذلك في الساعة العاشرة وبـات عنده تلك الليلة ثم مضى إلى أخيه شمعون بـاطره وأخبـره وأتى به إلى المسيح فصحبه وهي أول صحبته له فبعضـهم يقول أول صحبة باطره وأخيه أندرياش للمسيح كانـت بعـد سجن يحيى بن زكريا وهو قول متى ومارقش وبعضهم يقول أن أول صحبة شمعون باطره وأندرياش للمسيح كانت قبـل أن يسجن يحيى وهو قول يوحنا وبعضهم يقول أول صـحبة

باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ وجدهما يدخلان شـبكتهما للصيد جميعاً فتركاها وصحباه من حينئذ وهـو قـول متـى ومارقش وبعضهم يقول إن أول صحبة بـاطره وأنـدرياش للمسيح كانت إذ رآه أندرياش وهو واقف مع يحيى وهو تلميذ يحيى يومئذ فرأى المسيح ماشياً فقال يحيى هذا خـروف ا فترك أندرياش يحيى وصحب المسيح من حينئذ ثم مضى إلى أخيه شمعون وعرفه أنه قد وجد المسيح وأتى به إليه فصحبه من حينئذ وهو قول يوحنا فهذه أربع كذبات في نسق إحداها في الوقت الذي كان ابتدأ صحبتهما للمسيح فيه والأخرى في الموضع الذي كانت أول صحبتهما للمسيح فيه والثالثة فـي رتبة صحبتهما للمسيح امعاً أم أحدهما قبل الثاني والرابعـة في صفة الحال التـي وجـدهما عليهـا أول مـا صـحباه وبالضرورة ندري أن أحد هذه الاختلافات الأربعة كذب بلا شك ومثل هذا لا يمكن ألبتة أن يكون من عند ا عز وجـل ولا من عند نبي ولا من عند صادق بل من كذاب عيـار لا يبالي بما حدث وأغرب شيء في ذلك قولهم كلهم أن يوحنـا بن سيذاي هو ترجم إنجيل متى من العبرانية إلى اليونانيـة فإذا رأى هذه القصص في إنجيل متى بخلاف ما عنده فلابد

ضرورة من أن يكون عرف أن قول متى كذب أو عرف أنه حق لابد من أحدهما ضرورة فإن كان قول متى كذباً فقـد استجاز يوحنا أن يورد الكذب عن صاحبه المقدس الذي هو عندهم أكبر من موسى ومن سائر الأنبياء وإن كان قول متى حقاً فقد قصد يوحنا لإيراد الكذب فيما أخبر هو به في إنجيله لابد من أحدهما ولقد كانت هذه وحدها تكفي فـي بيـان أن الأناجيل من عمل كذا بين ملعونين شاهت وجوههم وحاقـت بهم لعنة ا فصل وفي الباب الرابع من إنجيـل متـى أن المسيح قال لتلاميذه لا تحسبوا أني جئت لنقض التوراة وكتب الأنبياء إنما أتيت لإتمامها أمين أقول لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد ياء واحدة ولا حرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع فمن حال عهداً من هذه العهود الصغيرة وحمـل الناس على تحليله فسيدعى في ملكوت السموات صغيراً ومن أتمه وحض الناس على إتمامه فسيدعى في ملكوت السموات عظيما وفي الباب السادس عشر من إنجيل متـى سـتحول السموات قال أبو محمد رضي ا عنـه وهـذه نصـوص تقتضي التأبيد وتمنع من النسخ جملة ثم لم يمض بعد الفصل الأول المذكور إلا أسطار يسيرة حتى ذكر متى أنه قال لهـم

المسيح قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق قـال وأنا أقول لكم من فارق امرأته إلا لزنا فقد جعل لها سـبيلاً إلى الزنا ومن تزوج مطلقة فهو فاسق وهـذا نقـض لحكـم التوراة الذي ذكر أنه لم يأت لنقضها لكن لإتمامها ثم يحكون عن بولس الملعون أنه نهى عن الختان وهو من أوكد شرائع التوراة وعن شمعون باطرة المسخوط أنه أباح أكل الخنزير وكل حيوان وطعام حرمته التوراة ثم هم قد نقضوا شـرائع التوراة كلها أولها عن آخرها من السبت وأعياد اليهود وغير ذلك وهم مع هذا العمل لا يختلفون في أن المسـيح وجميـع تلاميذه بعده لم يزالوا يتلازمـون السـبت وأعيـاد اليهـود وفصحهم إلى أن ماتوا على ذلك وأن المسيح إنما أخذ ليلـة الفصح وهو يفصح على سنة اليهود وشريعتهم فكيف هذا فلا بد لهم من أن يضيفوا الكذب إلى المسيح جهاراً إذ أخبر أنـه لم يأت لنقض التوراة ثم نقضها فصح أنه أتى لما أخبر أنه لم يأت له من نقضها وهذا كذب لا مذحل عنه ولابد لهم من أن يقروا من أن المسيح مسخوط يدعى في ملكـوت السـموات صغيراً لا عظيماً لأنه هكذا أخبر هو عمن حال عهداً صغيراً من عهودها وهو قد حل عهوداً كباراً من عهودها إذ حـرم

الطلاق وقد أباحته التوراة ونهى عن القصاص الذي جـاءت به التوراة فقل قد قيل العين بالعين والسن والسن وأنا أقول لا تكافئوا أحداً بسيئة ولكن من لطم خدك الأيمن فانصـب لـه الأيسر قال أبو محمد رضي ا عنه ولابد لهم من أن يشهدوا على أنفسهم أولهم عن آخرهم وسالفهم عن خالفهم بمعصـية ا تعالى ومخالفة المسيح وأنهم يدعون في ملكوت السموات صغاراً إذ نقضوا حكم التوراة أولها عن آخرها ولا يمكـنهم ههنا دعوى النسخ البتة لأنهم حكوا كما أوردنا عن المسـيح أنه قال أقول لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيـد بـاء واحدة ولا حرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع فمنع من النسخ جملة وأن في هذا لعجباً لا نظير له وحمقاً وضلالاً ما كنا نصدق بأن أحداً يدين به لولا أنا شـاهدناهم ونسـأل ا السلامة ثم ذكر في الباب الثامن عشر من إنجيـل متـى أن المسيح قال للحواريين الاثني عشر بأجمعهم ومـن جملـتهم يهوذا الأشكر يوطا الذي دل عليه اليهـود برشـوة ثلاثـين درهماً كل ما حرمتموه في الأرض يكون محرماً في السماء وكل ما حللتموه في الأرض يكون محللاً في السـماء وفـي الباب السادس عشر من إنجيل متى أنه قال هذا القول لباطره

وحده قال أبو محمد رضي ا عنه وهذا تناقض عظيم كيف يكون التحليل والتحريم للحواريين أو لباطره مع قوله أنه لـم يأت لتبديل التوراة لكن لإتمامها وأنه من نقض من عهودهـا عهداً صغيراً دعي في ملكوت السموات صغيراً وأن السماء والأرض تبيدان قبل أن تبيد من التوراة باء واحدة أو حرف واحد ولئن كان صدق في هذا فإن في نص التـوراة أن ا تعالى قد لعن من صلب في خشبة وهم يقولون أنه صلب في خشبة ولاشك في أن باطرة شمعون أخا يوسف وأنـدرياش أخو باطرة وفليش وبولس صلبوا في الخشـب فعلـى قـول المسيح لا يبيد شيء من التوراة حتى يتم جميعها فكل هؤلاء ملعونون بلعنة ا تعالى فـاعجبوا لضـلال هـذه الفرقـة المخذولة فما سمع بأطم من هذه الفضائح أبداً فصـل وفـي الرابع عشر من إنجيل متى أن المسيح قال لهم أنا أقول لكـم كل من سخط على أخيه بلا سبب فقـد استـوجب القتـل وإ أضرت إليك عينك اليمنى فافقأها وأذهبها عن نفسك فـذهابها عنك أحسن من إدخال جسدك الجحيم وإن أضرت إليك يدك اليمنى فابرأ منها فذهابها منك أحسن من إدخال جسدك النار قال أبو محمد رضي ا عنه وهذه شرائع يقرون أن المسيح

عليه السلام أمرهم بها وكفهم عنها بلا خلاف بين أحد مـنهم ولا يرون القضاء بشيء منها فهم علـى مخالفـة المسـيح بإقرارهم وهم لا يرون الختان والختان كان ملة المسيح وكان مختوناً والمسيح وتلاميذه لم يزالوا إلى أ مـاتوا يصـومون صوم اليهود ويفصحون فصحهم ويلتزمون السـبت إلـى أن ماتوا وهم قد بدلوا هذا كله وجعلوا مكـان السـبت الأحـد وأحدثوا صوماً آخر بعد أزيد من مائة عام بعد رفع المسـيح فكفى بهذا كله ضلالاً وكفراً وليس منهم أحد يقدر على إنكار شيء من هذا فإن قالوا إن المسيح أمرهم باتباع أكابرهم قلنا لا عليكم أرأيتم لو أن بطارقتكم اليوم أجمعوا على إبطال مـا أحدثه بطارقتكم بعد مائة عام من رفع المسيح وأحدثوا لكـم صياماً آخر ويوماً آخر غير يوم الأحد وفصحاً آخر وردوكم إلى ما كان عليه المسيح من تعظيم السبت وصـوم اليهـود وفصحهم أكان يلزمكم اتباعهم فإن قالوا لا قلنا ولم وأي فرق بين اتباع أولئك وقد خالفوا ما نص عليه المسيح والحواريون وبين اتباع هؤلاء فيما أحدثوه آنفاً فإن قالوا إن أولئك لعنـوا ومنعوا من تبديل ما شرعوا قلنا لهم وأي لعن وأي منع أعظم من منع المسيح من تبديل شيء من عهود التوراة ثم قد بدله

من أطعتموه في تبديله له فقد صار منع من بعد المسيح أقوى من منع المسيح وإن قالوا نعم كنا نتبعهم أقروا أن ديـنهم لا حقيقة له وإنه إنما هو اتباع ما رع أكابرهم من تبـديل مـا كانوا عليه ويقال لهم أرأيتم إن أحدث بعض بطارقتكم شرائع وأحدث الآخرون منهم أخر ولعنت كل طائفة منهم من عمل بغير ما شرعت فكيف يكون الحال فأي دين أوسخ وأضـل وأفسد من دين من هذه صفته ولقد كان لهم فيما أوردنا مـن هذا الفصل كفاية في بطلان كل ما هم عليه لو كان لهم مسكة عقل وحق لكل دين مرجعه إلى متـى الشـرطي ويوحنـا المستخف ومارقش المرتد ولوقا الزنـديق وبـاطره اللعـين وبولس الموسوس الاضلال لهم في دينهم أن تكون هذه صفته والحمد على عظيم نعمته علينا فصل وفي الباب الخـامس من إنجيل متى أن المسيح قال لهم ليكن دعاؤكم علـى مـا أصف لكم أبانا السماوي تقدس اسمك ثم قال بعد ذلـك وقـد علم أبوكم أنكم ستحتاجون إلى جميع هذا وفي آخر الإنجيـل أنه قال لهم أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم فما نـرى للمسيح من البنوة تعالى إلا ما لسائر الناس ولا فرق فمن

أين حصره بأنه ابن ا   عز وجل دون سائرهم كلهـم إلا أن كذبوه في هذا القول فليختاروا أحد الأمرين ولابد.

من أين خصوا كل من سوى المسيح بأن ا   تعـالى إلهه ولم يقولوا أن   ا   إله المسيح كما قال هو بلسانه فلابـد ضرورة من الإقرار بأن ا   هو إله المسيح   وأن سائر الناس أبناء ا   تعالى أو يكذبوا المسيح في نصف كلامه وحسـبك بهذا فساداً   وضلالاً تعالى ا   عن أن يكون أباً لأحـد أو أن يكون له ابن لا المسيح ولا غيره بل   هو تعالى إله المسـيح وإله كل من هو غير المسيح أيضاً فصل وكثير ما يحكـون في جميع   الأناجيل في غير ما موضع أنه إذا أخبر المسـيح عن نفسه سمي نفسه ابن الإنسان ومن   المحال والحمـق أن يكون الإله ابن إنسان أو أن يكون ابن إله وابن إنسان معـاً وأن يلد   إنسان إلهاً ما في الحمق والمحال والكفر أكثر مـن هذا ونعوذ با   من الضلال فصل وفي   الباب التاسـع مـن إنجيل متى فبينا يسوع هذا إذ أقبل إليه أحد أشـراف ذلـك الموضع وقال   له إن ابنتي توفيت وأنا أرغب إليك أن تذهب إليها وتمسها بيدك لتحيى ثم ذكر أنه لما   دخل بيـت القائـد وأبصر بالنوايح والبواكي قال لهن اسكتن فإن الجاريـة لـم

تمت ولكنها راقدة فاستهزأت الجماعة بـه ولمـا خرجـت الجماعة عنها دخل عليها وأخذ بيدها ثم أقامها حية وذكر هذه القصة نفسها في الباب السابع من إنجيل لوقا إلا أنه قال فيها إن أباها قال له قد أشرفت على الموت وأنه نهض معه فلقيه رسول يخبره بأن الجارية قد ماتت فلا تعنه وأن المسيح قال لأبيها لا تخف وآمن فتحيى فلما بلغا البيت لم يدخل مع نفسه في البيت إلا باطرة ويوحنا ويعقوب وأبو الجاريـة وكانـت الجماعة تبكي وتلتدم فقال لهم لا تبكوا فإنها راقـدة وليسـت ميتة فاستهزؤا به معرفة بموتها فأخذ بيدها ودعاها وقال يا جارية قومي فانصرف عنها زوجها وقامت من وقتها وأمـر أن تطعم طعاماً وجاء أبواها وأمرهما أن لا يعلما أحداً بمـا فعل وذكر مثل هذا في الباب الخامس من إنجيل مارقش قال أبو محمد في هذا الفصل مصايب جمة أحدها كان يكفي فـي أنه إنجيل موضوع مكذوب أولها حكايتهم عن المسـيح أنـه كذب جهاراً إذ قال لهم لم تمت إنما هي حية راقدة ليسـت ميتة فإن كان صادقاً في أنها ليست ميتة فلـم يـأت بآيـة لا بعجيبة وحاشى أن يكذب نبي فكيف إله ولـيس لهـم أن يقولوا أن الآية هي إبراؤها من الإغماء لأن في نص إنجيلهم

أنه قال لأبيها آمن فتحيا بانتك فلابد من الكـذب فـي أحـد القولين والثانية أن متى ذكر أن أباها جاء إلى المسيح وهـي قد ماتت وأخبره بموتها ودعاه ليحييها ولوقا يقول إن اباهـا أتى إلى المسيح وهي مريضة لم تمت وأتى به ليبريها بعـد وأن الرسول لقيه في الطريق وقال له لا تعنه فقد ماتت فأحد النذلين كاذب بلا شك فعليهما لعاين ا وسخطه فلا يجـوز أخذ الدين عن كذاب والثالثة انفراد المسيح عن الناس عنـد مجيئه بهذه الآية حاشى أبويها وثلاثـة مـن أصـحابه ثـم استكتامه إياهم ذلك والآيات لا تطلب لها الخلوات ولا تسـتر عن الناس وفي الأناجيل من هذا كثير من أنه لم يقـدر فـي بعض الأوقات على آية مرة بحضرة بلاطس ومرة بحضرة اليهود وأنه قال لمن طلب منه آية إنكم لا ترون آية إلا آيـة يونس إذ بقي في بطن الحوت ثلاثاً وما كان هكذا فإنما هـي أخبار مسترابة وكذبات مفتعلة ونقل عمن لا خير فيه وبـا تعالى التوفيق فصل وفي الباب العاشر من إنجيـل متـى أن المسيح جمع إلى نفسه اثني عشر رجلاً من تلاميذه وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ينفوها وأن يبرؤا من كل مرض وهذه أسماؤهم أولهم شمعون المسمى بباطرة وأندرياش أخوه

ويعقوب ابن سيذاي ويوحنا أخوه وفيلبس وبرتلوما وطومـا ومتى الجابي ويعقوب ويهوذا أخوه وشمعون الكنعاني ويهوذا الأشكريوطا الذي دل عليه بعد ذلك فبعـث يسـوع هـؤلاء الاثني عشر وقال لهم لا تسلكوا فـي سـبيل الأجنـاس ولا تدخلوا في مداين السامريين ولكن احتضروا إلـى الضـان التالفة من بني إسرائيل ففي هذا الفصل طامتان إحداهما قوله أنه أعطى أولئك الاثني عشر وسماهم بأسمائهم كلهم سلطاناً على الأرواح النجسة وأن يبرؤا من كل مرض وسمى فـيهم يهوذا ولم يدع للانتكال وجهاً بل صرح بأنه هـو الـذي دل عليه بعد ذلك اليهود حتى أخذوه وصلبوه بزعمهم وضـربوه بالسياط ولطموه واستهزؤا به وقد كذبوا لعـنهم ا فكيـف يجوز أن يقرب ا تعالى ويعطـي السـلطان علـى الجـن والإبراء من كل مرض من يدري أنه هو الذي يـدل عليـه ويكفر بعد ذلك هذا مع قول يوحنا فـي إنجيلـه أن يهـوذا المذكور كان سارقاً وأنه كان يخطف كل ما كان يهدى إلى المسيح ويذهب به فلابد ضرورة من أحد وجهين بلا ثالـث أصلاً إما أن يكون المسيح اطلع على ما اطلع عليه يوحنا من سرقة يهوذا وخبث باطنه وأعطاه مع ذلك الآيات والمعجزات

وجعله واسطة بينه وبين الناس وجعله أن يحرم ويحال فيكون ما حرم وحال محرماً ومحللاً في السـموات فهـذه مصـيبة وتوقيع بالكفار وتقديم لمن لا يستحق وسخرية بالدين ولـيس هذه صفة الإله ولا من فيه خير أو يكون خفي على المسـيح من خبث نية يهوذا ما عرف غيره فهذه عظيمـة أن يكـون الإله يجهل ما خلق فهل سمع قط بأحمق من هذه القصـص وممن يعتقدها حقاً والثانية قوله لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولا تدخلوا مداين السامريين واحتضروا إلى الضأن المبـددة التالفة من نسل بني إسرائيل وأنه لم يبعث إلا إلـى الضـأن التالفة من بني إسرائيل وهذا إنما أمرهم بأن يكملوه بعد رفعه بإقرارهم كلهم أنه طول كونه في الأرض لم يفارقه أحد منهم ولا نهضوا داعين إلى بلد آخر البتة فقد خـالفوه وعصـوه لأنهم لم يذهبوا إلا إلى الأجناس فهم عصاة عـز وجـل فساق بإقرارهم فصل وفي هذا البـاب نفسـه بـإقرارهم أن المسيح قال لتلاميذه وإذا طلبتم في هذه المدينة فاهربوا إلى أخرى أمين أقول لكم لا تستوعبون مداين بني إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان يعني رجوعه إلى الدنيا ظاهراً بعد رفعـه إلى جميع الناس وفي الباب السابع من إنجيل مارقش وفـي

أول الباب التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح قال لهم إن مـن هؤلاء الوقوف بعض قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ملـك ا مقبلاً بقدرة قال أبو محمد وكذب هذا المقول قـد ظهـر علانية فقد استوعبوا مداين بني إسرائيل وغيرها ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدرة علانية قبل أن يموت كل مـن بحضرته يومئذ وحاش أن يكذب نبي فكيف غله ففي هـذا الفصل وحده كفاية لو كان ثم عاقل في أن الذين كتبوا هـذه الأناجيل كانوا كذا بين قوم سوء فإن في صحيح حـديثكم أن نبيكم صلى ا عليه وسلم قال وأشار إلى ذلك الغلام في حد الصبا وأنه كان يقول للأعراب إذا سألوه متى تقوم السـاعة فيشير إلى أصغرهم ويقول أن يستكمل هذا عمره لـم يأتـه الموت حتى تقوم الساعة قلنا هذا لفظ غلط فيه قتادة ومعبـد ابن هلال فحدثا به عن أنس على ما توهمـاه مـن معنـى الحديث ورواه ثابت ابن أسلم البناني عن أنـس كمـا قالـه رسول ا صلى ا عليه وسلم بلفظه فقال قامـت علـيكم ساعتكم وهكذا رواه الثقاة أيضاً عـن عائشـة أم المـؤمنين رضي ا عنها عن النبي صلى ا عليه وسـلم كمـا رواه ثابت عن أنس وقال أنه عليه السلام قال أن هذا لا يستوفي

عمره حتى تقوم عليه ساعتكم يعني وفاة أولئك المخاطبين له وهذا هو الحق الذي لا شك فيه ولا خلاف في أن ثابتاً البناني أثقف لألفاظ الأخبار من قتادة ومعبد فكيف وقـد وافقتـه أم المؤمنين ونحن لا ننكر غلط الرواة إذا قام عليه البرهان أنه خطأ وقد صح في القرآن والأخبار الثابتة من طريق عمر بن الخطاب رضي ا عنه وابنه وغيرهما عن النبي صـلى ا عليه وسلم أنه لا يدري متى تقوم الساعة أحد إلا ا ولو قال النصارى واليهود مثل هذا في نقلة كتبهم مـا عنفنـاهم ولا أنكرنا عليهم وجود الغلط في نقلهم وإنمـا ننكـر علـيهم أن ينسبوا يعني اليهود والنصارى إلى ا تعالى الكذب البحـت ويقطعون أنه من عند ا تعالى وننكر علـى النصـارى أن يجعلوا من صح عنه الكذب معصوماً يأخذون عنه دينهم وأن يحققوا كل خبر متناقض وكل قضية يكذب بعضها بعضـاً ونعوذ با من الخذلان فصل وفي هذا الباب نفسه أن المسيح قال لهم لا تحسبوا أني جئت لأدخل بين أهل الأرض الصلح لا السيف وإنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه وبـين الابنـة وأمها وبين الكنة وختنتها وأن يعادي المرء أهل خاصته وفي الباب الثاني عشر من إنجيل لوقا أن المسيح قال لهـم إنمـا

قدمت لألقي في الأرض ناراً وإنما أراد لي إشعالها والتعطش فيها جميعها وأنا بذلك منتصب إلى تمامه أتظنون أني أتيـت لأصلح بين أهل الأرض لا ولكن لأفرق بينهم فيكون خمسة متفرقين في بيت ثلاثة على اثنين واثنان علـى ثلاثـة الأب على الولد والولد على الأب والابنة علـى الأم والأم علـى الابنة والختنة على الكنة والكنة على الختنة فهذان فصـلان كما ترى وفي الباب التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح قال لهم لم نبعث لتاف الأنفس لكن لسلامتها وفي الباب العاشر مـن إنجيل يوحنا أن المسيح قال من سمع كلامي ولـم يحفظـه فلست أحكم أنا عليه فإني لم آت لأحكم على الدنيا وأعاقبهـا لكن إلى تبليغ أهل الدنيا قال أبو محمد هذان الفصلان ضـد الفصلين اللذين قبلهما وكل واحد من المعنيين يكذب الآخـر صراحاً فإن قيل إنه إنما أراد أنه لم يبعث لتاف الأنفس التي آمنت به قلنا قد عم ولم يخص وبرهان بطلان تأويلكم هـذا من أنه إنما عني أنه لم يبعث لتاف النفوس المؤمنة به إنمـا هو نص هذا الفصل في الباب التاسع من إنجيل لوقا هو وكما نورده إن شاء ا تعالى قال عن المسيح أ ه بعث بين يديـه رسلاً وجعلوا طريقهم على السامرية ليعدوا له بها فلم يقبلوه

لتوجهه إلى بلاشلام فلما رأى ذلك يوحنا ويعقوب قالا له يـا سيدنا أيوافقك أن تدعو فتنزل عليهم ناراً من السماء وتحرق عامتهم كما فعل الياس فرجع إليهم وانتهرهم وقال الذي أنتم له أرواح لم يبعث الإنسان لتلف الأنفس لكن لسـلامتها ثـم توجهوا إلى حصن آخر قال أبو محمد فارتفع الإشكال وصح أنه لم يعن بالأنفس التي بعث لسلامتها بعض النفـوس دون بعض ولكن عنى كل نفس كافرة به ومؤمنـة بـل لا كمـا يسمعون إنما قال ذلك إذ أراد أصحابه هلاك الذين لم يقبلـوه فظهر تكاذب الكلام الأول وحاشى أن يكـذب الرسـول المسيح عليه السلام لكن الكذب بلا شك من الفساق الأربعـة الذين كتبوا تلك الأناجيل المحرفة المبدلة ثم في هذا الفصـل نص جلي على أنه مبعوث مأمور فصح أنه نبي كما يقـول أهل الحق إن كانوا صدقوا في هذا الفصـل وبـا تعـالى التوفيق فصل وفي الباب المذكور نفسه أن المسيح قال مـن قبل نبياً على اسم نبي فإنه يكافأ بمثل أجر النبي قـال أبـو محمد وهذا كذب ومحال لأنه لا تفاضل للناس عند ا تعالى في الآخرة إلا بأجورهم التي يعطيهم ا تعالى فقط لا بشيء آخر أصلاً فمن كان أجره فوق أجر غيره فهـو بالضـرورة

أفضل منه والآخر بلا شك دونه ومن كان أجره مثـل أجـر آخر فهما بلا شك سواء في الفضل هذا يعلم ضرورة بالحس فلو كان كل من اتبع نبياً له مثل أجر النبي لكان أهل الإيمان كلهم في الآخرة سواء لا فضل لأحد على أحد عند ا تعالى وهذا يعلم أنه كذب ومحال وبالضرورة ولو كان هذا لوجـب أن يكون أجر كل من النصارى مثل أجر بـاطرة والتلاميـذ وبولس ومارقش ولوقا وليس منهم أحد يقول بهذا ولا يدخله في الممكن فكلهم متفق على أن إلههم كذب وحاش من أن يكذب نبي من أنبيائه أو رجل صادق من أهل الإيمان وبـا تعالى التوفيق فصل وفي الباب الثاني عشر من إنجيل متـى أن المسيح قال وقد ذكر يحيى بن زكريا أنا أقول لكـم أنـه أكثر من نبي وهو الذي قيل فيه وأنا باعث ملكي بين يـديك ليعدلك طريقك قال أبو محمد في هذا الفصـل كـذب فـي موضعين أحدهما قوله في يحيى أنه أكثر من نبي وهذا محال لأنه لا يخلو يحيى وغير يحيى من الناس من أن يكون أوحى إليه أو لم يوحي إليه ولا سبيل إلى قسم ثالث فإن كان أوحى إليه فهو نبي ولا يمكن وجود أكثر من نبي في الناس إلا أن يكون رسولاً نبياً ويحيى رسول ا بإجماعهم وإن كان لـم

يوح إليه فهذه منزلة يستوي فيها الكافر والمؤمن ولا يجـوز أن يكون من لا يوحي ا إليه مثل من استخلصـه ا عـز وجل بالوحي إليه فكيف أن يكون أكثر منه والكذبـة الثانيـة قوله أن يحيى هو الذي قيل فيه وأنا باعث ملكي بين يـديك لأن يحيى على هذا القول ملك وهذا كذب بحت لأنه إنسـان ابن رجل وامرأة عاش إلى أن قتل وليس هذه صـفة الملـك ويحيى لم يكن ملكاً وفي هذا الفصل لكن بعد هذا أنه قال أن يحيى آدمي فهذا القول كذب على كل حـال وحاشـا أن يكذب نبي لا ولا رجل فاضل فصل وفي الباب المـذكور أن المسيح قال لهم أمين أقول لكم لم يولد مـن الآدميـين أحـد أشرف من يحيى المعمد ولكن من كان صغيراً في ملكـوت السماء فهو أكبر منه قال أبو محمد تأملوا هذا الفصل تـروا مصيبة الدهر فيهم وقرة عيون الأعداء وهـو لا يمكـن أن يقوله ولا ينطق به صبي يرجى فلاحه ولا أمة وكعاء إلا أن تكون مدخولة العقل أثبت أنه لم يولد في الآدميين أشرف من يحيى وغذا كان كما زعم أن الصغير في ملكوت السماء أكبر من يحيى فكل من يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أكبـر من يحيى فوجب من هذا أن كل مؤمن مـن بنـي آدم فهـو

أفضل من يحيى وأن يحيى أرذل وأصغر من كل مؤمن فما هذا الهوس وما هذا الكذب وما هذه الغباوة السمجة في الدين وكم هذا التناقض وا ما قال المسيح قط شـيئاً مـن هـذه الرعونة وما قالها إلا الكذاب متى ونظراؤه عليهم لعنـة ا ولقد كانوا في غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين فصل وفـي الباب المذكور أن المسيح قال لهم كل كتـاب ونوبـة فـإن منتهاها إلى يحيى قال أبو محمد رضي ا عنه وفـي هـذا الفصل على صغره كذبتان إحداهما قوله قيل أن يحيى أكبـر من نبي مع ما في الإنجيل من أن يحيى سئل فقيل له أنبـي أنت قال لا وقال ههنا إن كل نبوة منتهاها إلى يحيى فمـرة ليس هو نبياً ومرة هو نبي آخر الأنبيا ومرة هو أكبـر مـن نبي تبارك ا كم هذا التخليط والكذب الفاحش والأخرى قوله فيه إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى وليس بعد النهاية شـيء فهو على هذا آخر الأنبياء وفي الباب الرابع عشر من إنجيل متى أن المسيح قال لهم إني باعث إلـيكم أنبيـاء وعلمـاء ستقتلون منهم وتصلبون فقد كذب القول بـأن يحيـى آخـر الأنبياء ومنتهى النبوة إليه والنصارى مقرون بأنه قـد كـان بعده أنبياء وأن نبياً أتى إلى بولس فأنذره بأنه سيصلب ذكـر

ذلك لوقا في الافركسيس فقد حصلوا على تكذيب المسيح في قوله وفي بعض هذا كفاية فصل وفي البـاب المـذكور أن المسيح قال لهم أتاكم يحيى وهو لا يأكل ولا يشرب فقلتم هو مجنون ثم أتاكم ابن الإنسان يعني نفسه يأكل ويشرب فقلـتم هذا خواف شروب للخمـر خليـع صـديق للمسـتخرجين والمذنبين قال أبو محمد رضي ا عنه في هذا الفصل كذب وخلاف لقول النصارى أما الكذب فإنه قال ههنـا أن يحيـى كان لا يأكل ولا يشرب حتى قيل فيه أنه مجنون مـن أجـل ذلك وفي الباب الأول من إنجيل مارقش أن يحيى ابن زكريا هذا كان طعامه الجراد والعسل الصحراوي وهـذا تنـاقض وأحد الخبرين كذب بلا شك وأما خلاف قول النصارى فإنـه ذكر أن يحيى كان لا يأكل ولا يشرب وأن المسيح كان يأكل ويشرب وبلا شك إن من أغناه ا عز وجـل عـن الأكـل والشرب من الناس فقد أبانه ورفع درجته عمن لم يغنه عـن الأكل والشرب منهم فيحيى أفضل من المسيح بلا شك علـى هذا وقصة ثالثة وهي اعتراف المسيح على نفسه بأنه يأكـل ويشرب وهو عندهم إله فكيف يأكل الإله ويشرب مـا فـي الهوس أكثر من هذا فإن قالوا إن الناسوت منه هو الذي يأكل

ويشرب قلنا وهذا كذب منكم على كل حـال لأنـه إذا كـان المسيح عندكم لاهوتاً وناسوتاً معاً فهو شيئان فإن كان إنمـا يأكل الناسوت وحده فإنما أكل الشيء الواحـد مـن جملـة الشيئين ولم يأكل الآخر فقولوا إذا أكل نصف المسيح وشرب نصف المسيح وإلا فقد كذبتم بكل حال وكذب أسـلافكم فـي قولهم أكل المسيح ونسبتم إلى المسيح الكذب بخبره عن نفسه أنه يأكل وإنما يأكل نصفه لا كله والقول أنذال بالجملة فصل وفي الباب المذكور أن المسيح قال لا يعلم الولد غيـر الأب ولا يعلم الأب غير الولد قال أبو محمد رضي ا عنه هـذا عجب جداً لأن المسيح عندهم ابن ا بلا خلاف بيـنهم وا تعالى عن كفرهم هو والد المسيح وأبوه وهكذا يطلق النـذل باطرة في رسائله المنتنة متى ذكر ا فإنما يقـول قـال ا والد ربنا المسيح أمراً كذا وكذا ثم ها هنا قال إن المسيح قال إنه لا يعلم الأب إلا الابن ولا يعلم الابن إلا الأب فقد وجـب ضرورة أن التلاميذ وسائر النصارى لا يعلمون ا تعـالى أصلاً ولا يعرفون المسيح البتة فهم جهلاء با تعالى وبالابن ومن جهل ا تعالى ولم يعرفه فهو كافر فهم كفـار كلهـم أسلافهم وأخلافهم أو كذب المسيح في هذا الكـلام أو كـذب

النذل متى لابد وا من أحدها وقد أعـاذ ا تعـالى عبـده
ورسوله المسيح من الكذب فبقيت الاثنتان وهما والذي سمك
السماء حق أن النصارى جهال با تعالى وأن الشرطي متى
ملفق جاهل فعلى جميعهم ما يستحقون من ا نعم وفي هـذا
القول الملعون الذي أضافوه إلى المسيح عليه السلام القطـع
بأن الملائكة والأنبياء السالفين كلهم ليس منهم أحد يعرف ا
تعالى فاعجبوا لعظيم فسق هذا الأحمق متى وعظيم حماقـة
من قلده في دينه ونحمد ا على السلامة كثيراً فصل وفـي
الباب المذكور أن بعض التوراويين قال للمسيح يا معلم إنـا
نريد أن نأتينا بآية فقال لهم المسيح يا نسل السوء ويا نسـل
الزنا تسألون آية ولا ترون منها آية غير آية يـونس النبـي
فكما أن يونس النبي كان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثـلاث
ليال كذلك يكون ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثـة أيـام
بلياليها قال أبو محمد رضي ا عنه لو لم يكن في إنجـيلهم
إلا هذا الفصل الملعون وحده لكفى في بطلان جميع أناجيلهم
وجميع دينهم فإنه قد جمع عظيمتين إحداهما تحقيق أنـه لـم
يأت مخالفيه قط بآية وإقرار المسيح بذلك بزعمهم وأن آياته
التي يذكرون إنما كانت خفية وفي السر بحضرة النزر القليل

الذين اتبعوه ومثل هذا لا تقوم به حجة علـى المخـالف أو تحقيق الكذب على المسيح في أنه يخبر أنهم لا يـرون آيـة وهو يريهم الآيات لابد من إحداهما والفصل الثـاني وهـو الطامة الكبرى حكايتهم عن المسيح أنه قال عن نفسـه كمـا بقي يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها كذلك يبقى هـو في جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها لأنهم مجمعون وفي جميع أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وقام من القبـر قبل الفجر من ليلة الأحد فلم يبق في جوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ويوماً ويسيراً من يوم ثان فقط وهذه كذبـة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح لابد منها أو كـذب أصـحاب الأناجيل وهم أهل الكذب وحسبنا ا فصل وفي الباب الثالث عشر من إنجيل متى أن المسيح قال يشبه ملكـوت السـماء بحبة خردل ألقاها رجل في فدانه وهي أدق الزراريع كلهـا فإذا نبتت استعلت على جميع البقول والزراريع حتى ينـزل في أغصانها طير السماء ويسكن إليها قال أبو محمد حاشـى للمسيح عليه السلام أن يقول هذا الكلام لكن النذل الذي قالـه كان قليل البصارة بالفلاحة وقد رأينا نبات الخردل ورأينا من

رأه في البلاد البعيدة فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شـيئاً منه يمكن أن يقف عليه طائر ومثل هذه المسامحات لا تقـع لنبي أصلاً فكيف عز وجل فصل وفي آخر الباب المذكور أن المسيح رجع إلى بلاده وجعل يوصي جماعتهم بوصـايا يعجبون منها وكانوا يقولون من أين أوتي هذه العلوم وهـذه القدرة أما هذا ابن الحداد وأمه مريم وإخوته يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا واخواته أما هؤلاء كلهم عندنا فمـن أيـن أوتي هذا وكانوا يشكون فيه فقال لهم يسوع ليس يعدم النبي حرمته إلا في بيته وبلاده ولتشككهم وكفرهم لم يطلع في ذلك الموضع عجايب كثيرة وفي الباب الخامس من إنجيل مارقش قال وكانت الجماعة تسمع منه وتعجب منه العجب الشديد من وصيته ويقولون من أين أوتي هذا وما هذه الحكمـة التـي رزقها ومن أين هذه الأعاجيب التي ظهرت على يديه ألـيس هو ابن الحداد وابن مريم أخو يوسف ويعقـوب وشـمعون ويهوذا ليس اخواته هن ههنا معنا وكان يقول لهم يسوع ليس يكون نبي بغير حرمة إلا في وطنه وبين عشيرته وفي أهـل بيته وليس كان يقوى أن يفعل هنالك آية لكن وضع يديه على مرضى قليل فأبرأهم وفي الباب الثامن من إنجيل لوقا فلمـا

دخل والد المسيح البيت وبعد هذا بيسير قال فكان يعجب منه أبوه وأمه وبعده بيسير قول مريم أمه له فقد طلبك أبوك وأنا معه وفي الباب السابع منه أقبلت إليه أمه وإخوته وفي الباب الثامن عشر من إنجيل يوحنا وبعد هذا نزل إلى قفر ناحوم ومعه أمه وإخوته وتلاميذه وفي الباب السابع من إنجيل يوحنا وكان إخوته لا يؤمنون به قال أبو محمد في هذه الفصول ثلاث طوام نذكرها طامة طامة إن شاء ا تعالى أولها اتفاق الأناجيل الأربعة على أنه كان له والد معروف من الناس وإخوة وأخوات سمى الإخوة بأسمائهم وهم أربعة رجال سوى الأخوات ولا يعول في ذلك إلا على إقرار أمه بأن له والداً طلبه معها وهو يوسف الحداد أو النجار فأما أمه فقد اتفقنا نحن واليهود وجمهور النصارى على أنها حملت به حمل النساء وولدته كما تلد النساء أولادهن إلا طايفة من النصارى قالت لم تحمل به ولكن دخل من أذنها وخرج من فرجها في الوقت كالماء في الميزاب ولكن بقي علينا أن نعرف كيف تقول أمه عليها السلام عن النجار أو الحداد أنه أبوه ووالده فإن قالوا إن زوج الأم يسمى في اللغة أباً قلنا هبكم أن هذا كذلك كيف العمل في هؤلاء الذين اتفقت

الأناجيل على أنهم إخوته وأخواته وإنما هـم أولاد يوسـف النجار أو الحداد وما وجد قط في اللغـة العبرانيـة أن ولـد الربيب من غير الأم يسمى أخاً إلا أن يقولوا إن مريم ولدتهم من النجار فقد قال هذا طائفة من قدمائهم منهم بليان مطران طليطلة ونحن نبرأ إلى ا تعالى مما يقول هؤلاء الكفرة أن يكون لآله معبود أم أو خال أو خالة أو ابن خالة أو ربيب أو أخ أو أخت وتباً لعقول يدخل هذا فيها من أن ا تعالى ربيباً هو زوج أمه وليس يمكنهم أن يقولوا إنما أراد كتاب الأناجيل أنهم إخوته في الإيمان والدين لأن يوحنا قد رفع الإشكال في ذلك وقال ومعه إخوته وتلاميذه فجعلهم طبقتين وقال أيضـاً إن إخوته كانوا لا يؤمنون به وتبا لولا أنا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن من يلعب بقذره وما يخرج من سـفله يصـدق بشيء من هذا الحمق ولكن تبارك من أرانا بهذا أنه لا ينتفع أحد ببصره ولا بسمعه ولا بتمييزه إلا أن يهديه خالق الهدى والضلال نسأل ا الذي هدانا لملة الإسلام البيضاء الواضحة السليمة من كل ما ينافره العقل أن لا يضلنا بعد إذ هدانا حتى نلقاه على ملة الحق ونحلة الحق ومذهب الحق نـاجين مـن خلال الكفر ونحل الضلال ومذاهب الخطأ وفي كل ما أوردنا

بيان واضح في أن الذين ألفـوا الأناجيـل كـانوا عيـارين مستخفين بمن أضلوه متلاعبـين بالـدين والطامـة الثانيـة إقرارهم بأن المسيح لم يكن يقوى في ذلك المكان على آيـة ولو كان لهم عقل لعلموا أن هذه ليست صفة آله يفعـل مـا يشاء بل صفة عبد مخلوق مدبر لا يملك من أمره شيئاً كمـا قال لرسول ا صلى ا عليه وسلم.

قل إنما الآيات عند ا .

والثالثة إقرارهم أن المسيح سمعهم ينسبونه إلى ولادة الحداد وأنه أبوه ولم ينكر ذلك عليهم فقد حققوا عليـه أحـد شيئين لا ثالث لهما البتة إما أنه سمع الحق من ذلك فلم ينكره وفي هذا ما فيه من خلاف قولهم جملة وإما أنه سمع الباطل والكذب فأقر عليه ولم ينكره وهذه صفة سوء وتلبـيس فـي الدين قال أبو محمد وفي هذه الفصول مما لم يطلق ا تعالى أيديهم على تبديله من الحق قوله لا يعدم النبي حرمته إلا في وطنه وأهل بيته فيا عقول الأطفال ويا أدمغة الإوز لو عقلتم أما كان يكفيكم أن تقولوا فيه ما قال في نفسه وما شهد العيان بصدقه وصحته فيه وتتركوا الرعونة التي لم تقدروا منذ ألف عام على بيان ما تعتقدونه منها بقلـوبكم ولا قـدرتم علـى

العبادة عنها بألسنتكم وكلما رمتم وجهاً من وجوه النوك انفتق عليكم باب منه لا قبل لكم به ونعوذ با من الضلال فصـل وفي الباب السادس عشر من إنجيل متى أن المسـيح قـال لباطرة إليك أبرأ بمفاتيح السموات فكل ما حرمته في الأرض يكون محرماً في السموات وكل ما أحللته على الأرض يكون حلالاً في السموات وبعد هذا الكلام بأربعة أسطر أن المسيح قال لباطرة نفسه متصلاً بالكلام المذكور اتبعني يا مخـالف ولا تعارضني فإنك جاهل بمرضاة ا وإنما تدري مرضـاة الآدميين قال أبو محمد في هذا الفصل على قلته وأنه قليـل ومنتن كبعض ما يشبهه مما نكره ذكره سوءتان عظيمتـان إحداهما أنه بريء إلى باطرة النذل بمفاتيح السـموات وولاه خطة إلاهية التي لا تجوز لغير ا تعالى وحده لا شريك له من أن كل ما حرمه في الأرض كان حراماً فـي السـموات وكل ما حلله في الأرض كان حلالاً في السموات والثانية أنه إثر براءته إليه بمفاتيح السموات وتوليته خطة الربوبية إمـا شريكاً تعالى في التحريم والتحليل وإما منفرداً دونه عـز وجل بهذه الصفة قال له في الوقت أنه مخالف معارض لـه جاهل بمرضات ا عز وجل لا يدري إلا مرضات الآدميين

فوا لئن كان صدق في الآخرة لقد حزق في الأولى إذ ولي ما لا ينبغي إلا تعالى جاهلاً بمرضاة ا مخالفـاً لـه لا يدري إلا رضاء الناس وأن هذه لسوأة الأبد إذ من هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيف أو بيت زبل ولئن كـان صدق وأصاب في الأولى لقد كذب في الثانية ووا ما قـال المسيح قط شيئاً مما ذكروا عنه في الأولى لأنها مقالة كـافر شر خلق ا عز وجل وما يبعد أنه قال له الكلام الثاني فهو وا كلام حق يشهد المنافق على اللعين به باطرة شاه وجهه وعليه سخط وغضبه ثم عجب ثالث أننا قد ذكرنا قبل أن في الباب الثاني عشر من إنجيل متى أن المسيح أشـرك مـع باطرة في هذه الخطة التي أفرده بها ها هنا سـائر الاثنـي عشر تلميذاً وفي جملتهم السارق الكافر الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهماً أخذها منهم وأنه قـال لجمـيعهم مـا حرمتموه في الأرض كان حراماً في السموات وما حللتمـوه في الأرض كان حلالاً في السموات فيا ليت شـعري كيـف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولاهم من ذلك فأحـل بعضـهم شيئاً وحرمه آخر منهم كيف يكون الحال في السموات وفـي الأرض لقد يقع أهلهما مع هؤلاء السفلة في شغل وفي حرمة

وحل معاً فإن قيل لا يجوز أن يختلفوا قلنا سـبحان ا وأي خلاف أعظم من تحليل يهوذا إسلامه إلـى اليهـود وأخـذه ثلاثين درهماً رشوة على ذلك إلا أن كان عزله عـن خطـة إلاهية بعد أن ولاه إياها فلعمري إن من قدر أن يوليها أنـه لقادر على العزل عنها ولعمري لقد رذلت هذه المنزلة عنـد هؤلاء الأرذال حقاً إذ يليها السراق ومن لا خيـر فيـه ثـم يعزلون عنها بلا مؤنة تعالى ا وا لـو دكـت الجبـال والأرض دكاً وخرت السموات العلى وصعق بكـل ذي روح عند سماع كفر هؤلاء الخساس لما كان ذلك بكبير وحسـبنا ا ونعم الوكيل ولا يخلو هذا القول من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أنه أراد أنا باطرة والتلاميذ المولين هذه الخطـة لا يحللون شيئاً ولا يحرمون إلا بوحي من ا عز وجـل فـإن كان هذا فقد كذب في قوله الذي ذكرنا قبل أن كـل نبـوة فمنتهاها إلى يحيى بن زكريا لأن هؤلاء أنبيـاء علـى هـذا القول وإما أنه أراد أنه قد جعل لباطرة وأصحابه ابتداء الحكم في التحريم والتحليل من عند أنفسهم بلا وحي من ا تعالى فيجب على هذا أنهم متى حرموا شيئاً حرمه ا تعالى اتباعاً لتحريمهم ومتى حللوا شيئاً حلله ا تعالى اتباعـاً لتحلـيلهم

فلئن كان هكذا فإن لخطة خسـف ونـرى لبـاطرة النـذل وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكاماً على ا تعالى ولقد صار عز وجل تابعاً لهم وحاشى تعالى من هذا كله وما نـرى باطرة المنتن وأصحابه الرذلة حصلوا من مفاتيح السـموات ومن خطة إلاهية إلا على حلق اللحى بالنتف وعلى ضـرب الظهور بالسياط والصلب أما باطرة فدبره إلى فوق ورأسـه إلى أسفل والحمد رب العالمين قال أبو محمد لـيعلم كـل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمـون أنهـم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام كبارة ومتـى الشـرطي ويوحنا ويعقوب ويهوذا الاخساء لم يكونوا قط مؤمنين فكيف حواريين بل كانوا كذابين مستخفين با تعالى إمـا مقـرين بإلاهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيـه كغلـو السبائية وسائر فرق الغالية في علي رضي ا عنه وكقـول الخطابية بإلاهية أبي الخطاب وأصـحاب الحـلاج بإلهيـة الحلاج وسائر كفار الباطنية عليهم اللعنة من ا والغضـب وإما مدسوسين من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد ديـن أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم كانتصاب عبد ا بـن سبأ الحميري والمختار بن أبي عبيد وأبي عبد ا العجـاني

وأبي زكريا الخياط وعلي النجار وعلي بن الفضل الجنـدي وسائر دعاة القرامطة والمشارقة لإضلال شيعة علي رضي ا عنه فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف وسلم ا من ذلـك من لم يكن من الشيعة وأما الحواريون الذين أثنـي علـيهم فأولئك أولياء ا حقاً ندين ا عز وجل ولا ندري أسماءهم لأن ا تعالى لم يسمهم لنا إلا إننا نبت ونوقن ونقطـع بـأن باطرة الكذاب ومتى الشرطي ويوحنـا المسـتخف ويهـوذا ويعقوب النذلين ومارقس الفاسق ولوقا الفاجر وبولس الجاهل ما كانوا قط من الحواريين لكن من الطائفة التي قال ا فيها.

وكفرت طائفة.

وبا تعالى التوفيق فصل وفي آخر الباب السـادس عشر من إنجيل متى وأعلم يسوع من ذلك الوقت تلاميذه بما ينبغي له أن يفعله من دخول برشلام وحمل العذاب من أكابر أهلها وعلمائهم وقتلهم له وقيامه في الثالث فخلا به بـاطرة وقال له تعفى عن هذا يا سيدي ولا يصيبك منه شيء وفـي الباب السابع عشر من إنجيل متى أن المسيح قـال لتلاميـذه سيبلى ابن الإنسان في أيدي الناس ويقتل ويحيا فـي الثالـث يعني نفسه فحزنوا لذلك حزناً شديداً وفي أول الباب الثـامن

من إنجيل مارقش أن المسيح قال لتلاميذه إن ابـن الإنسـان يبلى به في أيدي الآدميين فيقتلونه فإذا قتل يقوم فـي اليـوم الثالث وإنهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام وفي قـرب آخـر الباب الثامن من إنجيل لوقا أن المسيح قـال للاثنـي عشـر تلميذاً أنا متصعد إلى برشلام ونكمل كل ما نبأت به الأنبياء عن ابن الإنسان ويسيرون به إلى الأجناس يسـتهزؤن بـه ويجلدونه ويبصقون فيه وبعد جلدهم إياه يقتلونه ويحيا فـي اليوم الثالث فلم يفهموا عنه مما ألقي إليهم شيئاً وكان هـذا عندهم معقداً لا يفهمونه قال أبو محمد رضي ا عنه في هذه الفصول ثلاث كذبات من طوام الكذب إحداها اتفاق الأناجيل المذكورة كما أوردنا على أن المسيح أخبرهم عن نفسه أنـه يقتل وجميع الأناجيل الأربعة متفقة عند ذكرهم لصلبه علـى أنه مات على الخشبة حتف أنفه ولم يقتل أصـلاً إلا أن فـي بعضها أنه طعنه بعد موته أحد الشرط برمح في جنبه فخرج من الطعنة دم وماء وفي هذا إثبات الكـذب علـى المسـيح لاتفاقهم كما أوردنا على أنه أخبرهم بأنه يقتل واتفاقهم كلهـم على أنه لم يقتل وهذه سوءة جداً وحاشى أن يكذب نبي أو ينذر بباطل هذه علامة الكذابين لا علامة أهل الصدق وثانيها

اتفاق الأناجيل المذكورة كما أوردنا على أنه قال ويقوم فـي الثالث ثم اتفقت الأناجيل كلها على أنه لم يحيى ولا قـام إلا في الليلة الثانية فإنه دفن في آخر يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وحسبك أنهم ذكروا أنه لم يحنط استعجالاً لئلا تـدخل عليهم ليلة السبت وأنه قام ليلة الأحد قبل الفجر وهذه كذبـة فاحشة نسبوها إلى المسيح وحاشى له من مثلها وكذبة ثالثـة وهي إخبار متى أنهم فهموا مراده بهذا القول وأنهم حزنـوا حزناً شديداً لذلك وأن باطرة قال له تعفي عن هذا يا سـيدي ولا يصيبك منه شيء وإخبار مارقس ولوقا أنهم لم يفهمـوا مراده بهذا الكلام وهذا تكاذب فاحش لا يجوز أن يقع مـن صادقين فكيف من معصومين فلاح يقيناً عظيم الكـذب مـن الذين وضعوا هذه الأناجيل وأنهم كانوا فساقاً لا خيـر فـيهم وبا تعالى التوفيق فصل وفي الباب السابع عشر من إنجيل متى أن المسيح قال لتلاميذه لئن كان لكم إيمان على قدر حبة الخردل لتقولن للجبل ارحل من هنا فيرحـل ولا يتعاصـى عليكم شيء وقبله متصلاً به أن تلاميذه عجزوا عن برائـه قال لتشككم وفي الباب الحادي عشر مـن إنجيـل متـى أن المسيح دعا على شجرة تين خضراء فيبست من وقتها فعجب

التلاميذ فقال لهم المسيح أمين أقول لكم لئن آمنتم ولم تشكوا ليس تفعلون هذا في التينة وحدها ولكن متى قلتم لهذا الجبـل انقلع وانطرح في البحر تم لكم وفي الباب الحادي عشر مـن إنجيل يوحنا أن المسيح قال لتلاميذه من آمن بـي سـيفعل الأفاعيل التي أفعلها أنا وسيفعل أعظم منها قال أبـو محمـد رضي ا عنه في هذه الفصول ثلاث طـوام مـن الكـذب عظيمة لا تخلو التلاميذ المذكورون ثم هؤلاء الأشقياء بعدهم إلى اليوم من أن يكونوا مؤمنين بالمسيح أو غير مؤمنين ولا سبيل إلى قسم ثالث فإن كانوا مؤمنين فقد كذب المسيح فيمـا وعدهم به في هذه الفصول جهاراً وحاشى له من الكذب وما منهم أحد قط قدر أن تأتمر له ورقة فكيف على قلـع جبـل وإلقائه في البحر وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار ولا خير في كافر ولا يجوز أن يصـدق كـافر ولا أن يؤخذ الدين عن كافر ولابد لهم من أن يجيبوا إذا سألناهم في قلوبكم مقدار حبة خردل من إيمان أم لا وتؤمنون بالمسيح أم لا فإن قالوا نعم نحن مؤمنون به والإيمان في قلوبنا قلنا كذب المسيح يقيناً فيما أخبر به من أن من في قلبه مقـدار حبـة خردل من إيمان يأمر الجبل بأن ينقلع فينقلع وا مـا مـنكم

أحد يقدر على تيبيس شجرة بدعائه ولا على قلع جبـل مـن موضعه وإن قالوا ليس في قلوبنا قدر حبة خردل من إيمـان ولا نحن مؤمنون به قلنا صدقتم وا حقاً.

وشهدوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون.

صدق ا عز وجل وأنبياؤه وكذب متـى وبـاطرة ويوحنا ومارقش ولوقا وسائر النصارى الكذابون ولقد قلـت هذا لبعض علمائهم فقال لي إنما عني بشجرة الخردل التـي تعلو على جميع الزرايع حتى يسكن الطير فيها لقلت له لـم يقل في الأناجيل مثل شجرة الخردل إنما قـال مثـل حبـة الخردل وقد وصفها المسيح بإقرارهم بأنهـا أدق الزرايـع وأيضاً فإنه ليس إلا مؤمن أو كافر وأما الشاك فإنه متى دخل الإيمان شك بطل وحصل صاحبه في الكفر فكيف ولم يدعنا المسيح بإقرارهم في شك من هذا التأويل الفاسد بل زعمـوا أنه قال لهم لتشككم لئن كان لكم إيمان قـدر حبـة الخـردل لتقولن للجبل وقال في إنجيل يوحنا كما أوردنا لئن آمنتم ولم تشكوا فإنما أراد بيقين بهذه النصوص التصديق الـذي هـو خلاف الشك لا غاية العمل الصالح وقال كما أوردنـا فـي إنجيل يوحنا من آمن بي سيفعل الأفاعيل التي أفعل أنا فعـن

هذا الإيمان به سألناكم أفي قلوبكم هو أم لا فقولوا ما بدا لكم قال أبو محمد وأما أنا فلو سمعت هذا القول ممن يدعي النبوة لما ترددت في اليقين بأنه كذاب ووا ما قالها المسيح قـط ولا اخترع هذا الكذب إلا أولئك السفلة متى ويوحنا وأمثالهم والعجب كله إقرار متى في الفصل المذكور كما أوردنـا أن المسيح قال له ولأصحابه أنهم إنمـا عجـزوا عـن إبـراء المجنون لشكهم فشهد عليهم بالشك وأنه لو كان لهم إيمان لم يعجزوا عن ذلك فلا يخلو المسيح عليه السلام فيما حكوا عنه من الكذب أن يكون كاذباً أو صادقاً فإن كان كاذباً فهذه صفة سوء والكاذب لا يكون نبياً فكيف إلهاً وإن كان صادقاً فـإن الذين أخذوا عنهم دينهم ويسمونهم تلاميذ وأنهم فوق الأنبياء كفار شكاك فكيف يأخذون دينهم عن كفار شكاك لا مخـرج لهم من إحداهما ولو لم تكن إلا هذه في أناجيلهم كلها لكفـت في إبطالها وإبطال جميع ما هم عليه من دينهم المنـتن ثـم العجب كله كيف يشهد عليهم بالشك وهم يحكون أنه قد ولاهم خطة إلاهية وولاهم رتبة الربوبية في أن كلما حرمـوه فـي الأرض كان حراماً في السموات وكلما حللـوه فـي الأرض كان حلالاً في السموات فكيف يجتمع هذا مع هذا وهل يأتي

بهذا التناقض من دماغه سالم أو فيه آفة يسيرة بل هـذا وا توليد آفك كاذب واختراع عيار متلاعب ونعوذ با عز وجل من الخذلان فصل في قرب آخر الباب الثـامن عشـر مـن إنجيل متى أن المسيح قال لتلاميذه إذا اجتمع اثنان منكم على أمر فليس يسألان شيئاً على الأرض إلا أجـابهم إليـه أبـي السماوي وحيث اجتمع اثنان أو ثلاثـة علـى اسـمي فأنـا متوسطهم قال أبو محمد في هذا الفصل ظريف جداً وكذب لا يمطل ظهوره ولا يخلو أن يكون عني بهذه المخاطبة تلاميذه خاصة أو كل من آمن به وأي الأمرين كان فهو كذب ظاهر وما يشك أحد في أن تلاميذه سألوا أن يجيبهم من دعوه إلـى ما دعوه إليه من دينهم وأن يتخاص من فتن من أصحابه فما أعطاهم شيئاً من ذلك الذي سماه أباه السماوي.

فإن قيل لم يسألون قط شيئاً من ذلك قلنا هذه طامـة أخرى لئن كان هذا فهم غاشون للناس غير مرتدين لصلاحهم بل ساعون في هلاكهم هيهات هذه منزلة مـا أعطاهـا ا تعالى قط أحدا من خلقه صدق ا ورسوله صلى ا عليـه وسلم إذ أخبرنا أن ربه تعالى قال له.

سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر ا لهم.

وأخبرنا عليه السلام أنه دعا أن لا يجعل بأسنا بينن ـا بعده فلم يجبه ا تعالى إلى ذلك هذا هو الحق الذي لا مزيد فيه والقول الذي صحبه الصدق والحمد رب العالمين ل ـم يفخر بما لم يعط ولا أنزل نفسه فوق قدرها صلى ا علي ـه وسلم فصل وفي الباب المذكور أن المسيح قال لهم إن أس ـاء إليك أخوك المؤمن فعاقبه وحدك فيما بينك وبينه فإن س ـمع منك فقد ربحته وإن لم يسمع فخذ إلى نفسك رجلاً أو رجلين لكيما تثبت كل كلمة بشهادة شاهدين أو ثلاثة فإن لم يس ـمع فاعلم بخبره الجماعة فإن سمع الجماعة فليكن عندك بمنزل ـة المجوسي والمستخرج ثم بعده بأسطار يسيرة قال وعند ذلك تداني إليه باطرة وقال يا سيدي فإن أساء إلي أخي أت ـأمرني أن أغفر له سبعاً فقال له يسوع لست أقول لك س ـبعاً ولك ـن سبعين في سبعة قال أبو محمد هذا ضد قوله في الثالثة فليكن عندك بمنزلة المجوسي والمستخرج ولا سبيل إل ـى الجم ـع بينهما فصل وفي الباب الموفى عشرين من إنجيل متى إن أم ابني سيذاي أقبلت إليه مع ولديها فحنت ورغبت إليه فقال لها

ما تريدين فقالت له أحب أن تقعد ابني هذين أحـدهما عـن يمينك والآخر عن شمالك في ملكك فقـال يسـوع تجهلـين السؤال أيصبران على شرب الكأس التي اشرب فقالا نصبر فقال لهما ستشربان بكأسي وليس إلى تجليسكما عن يمينـي وشمالي إلا لمن وهب ذلك إلى أبي قال أبو محمد ففي هـذا الفصل بيان أنه ليس إليه من الأمر شيء وأنه غير الأب كما يقولون بخلاف دينهم فإذ هو غير الأب وكلاهما إلـه فهمـا إلهان اثنان متغايران أحدهما قوي والآخـر ضـعيف لأنـه بإقراره ليس له قدرة على تقريب أحد إلا من وهب له ذلـك الذي يسمونه أباً وليت شرعي كيف يجتمع ما ينسبون إليـه ههنا من الاعتراف بأنه ليس بيده أن يجلس أحداً عن يمينـه ولا عن شماله وإنما هو بيد ا تعالى مع ما ينسبون إليه من أنه قدر على إعطاء مفاتيح السموات والأرض لأنـذل مـن وجد وهو باطرة وأنه يفعل كل ما يفعله الأب وأن ا تعالى قد تبرأ إليه من الحكم وأن ا تعالى ليس يحكم بعد على أحد وسائر تلك الفضائح المهلكة مع تكاذبها وتدافعها وشـهادتها بأنها ليست من عند ا ولا من عند نبي أصلاً لكـن توليـد كذاب كافر ونعوذ با تعالى فصل وفي الباب الحادي عشر

من إنجيل متى فلما تداني المسيح من يرشـلام وكـان فـي موضع يقال له تتفيا جوار جبل الزيتون بعث رجلـين مـن تلاميذه وقال لهما امضيا إلى الحصن الذي يقابلكما وستجدان فيه حمارة مربوطة بفلوها فحلا عنهما وأقبلا إلي بهما فـإن تعرضكما أحد فقولا إن السيد يريدهما فيدعكما مـن وقتـه وكان ذلك ليتم به قول النبي القائل لابنه صـهيون سـيأتيك ملكك متواضعاً على حمارة وابن أتان فتوجه التلميذان وفعلا كما أمرهما به واقبلا بالحمارة وفلوها وألقوا ثيـابهم عليهـا وأجلسوه من فوقها وفي الباب التاسع من آخر إنجيل مارقش فلما بلغ المسيح تتفيا إلى جبل الزيتون أرسـل اثنـين مـن تلاميذه وقال لهما اذهبا إلى الحصن الذي بحيـا لكمـا فـإذا دخلتما ستجدان فلو أمر بوظالم يركبه بعد أحد من الآدميـين حلاه واقبلا به إلي فإن قال لكما أحد ما هذا الـذي تفعـلان فقولا له إن السيد يحتاج إليه فيخليه لكما فانطلقا ووجدا الفلو مربوطاً قبالة رحبة الباب في زقاقين فحلاه فقال لهما بعـض الوقوف هنالك ما لكما تحلان الفلو فقالا له كالـذي أمرهمـا يسوع فتركوه لهما وساقا الفلو إلى يسوع فحملوا عليه ثيابهم وركب من فوق قال أبو محمد فهاتان قضيتان كـل واحـدة

منهما تكذب الأخرى متى يقول ركب حمارة ومارقش يقول ركب فلواً والعجب كله من استشهادهم لذلك بقول النبي يأتيك ملكك راكباً على حمارة وابن أتان وما كان المسيح قط ملك برشلام فهذه كذبة أخرى وأظرف شيء استشهادهم لصحة أمره بركوبه حمارة أتراه لم يدخل قط برشلام إنسان على حمارة سواه هذه وا مضحكة من مضاحك السخفاء ولقد أخبرني الحسين بن بقي صاحبنا نور ا وجهه أنه وقف عالماً من علمائهم على هذا الفصل قال فقال إنما هذا رمز والحمارة هي التوراة قال فأضحكني قوله وقلت له فالإنجيل هو الفلو قال فسكت وعلم أنه أتى بما يوجب السخرية منه فصل وفي الباب الثالث عشر من إنجيل متى أن يسوع قال لهم إذا قام الناس لا يتزوجون ولا يتناكحون لكنهم يكونون كأمثال ملائكة ا في السماء وفي الباب السادس عشر من إنجيل متى وأيضاً في الباب الثاني عشر من إنجيل مارقش أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أخذه لا شربت بعدها من نسل الزرجون حتى أشربها معكم جديدة في ملكوت ا وفي الباب الرابع عشر من إنجيل لوقا أن المسيح قال للحواريين الاثني عشر أنتم الذين صبرتم معي في جميع مصائبي فإني ألخص

لكم الوصية على ما لخصها لي أبي لتطعموا وتشربوا على مائدتي في الملك وتجلسوا على عروش حاكمين على اثنـي عشر سبطاً من بني إسرائيل قال أبو محمد ففي الفصل الأول أن الناس في الآخرة لا يتناكحون وفي الفصول الثلاثة بعده أن في الجنة أكلاً وشرباً للخبـز والخمـر علـى الموائـد والنصارى ينكرون كل هذا ولا مؤنة علـيهم فـي تكـذيبهم للمسيح مع إقرارهم بعبادتهم له وأنه ربهـم لاسـيما وفـي الفصل الأول أن الناس في الجنة كالملائكة وفي التوراة التي يصدقون بها أن الملائكة أكلات عند لـوط وعنـد إبـراهيم الفطاير واللحم واللبن والسمن وإذا كانت الملائكة يـأكلون والناس في الجنة مثلهم فالناس في الجنة يأكلون ويشربون بلا شك بموجب التوراة والإنجيل ولا سـيما وقـد أخبـروا أن المسيح بعد أن مات ورجع إلى الدنيا ولقي تلاميذه طلب منهم ما يأكل فأتوه بحوت مشوي فأكل معهم وشرب شراب عسل بعد موته فإذا كان الإله يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل فأي فكرة في شرب الناس وأكلهم في الجنة وإذا كـان ا تعالى عندهم اتخذ ولداً من امرأة اصطفاها فأي عجب في اتخاذ الناس النساء في الجنة وهذا هو طبعهم الذي بناهم ا

عليه إلا أن في رعونة هؤلاء النوكي لعبـرة لمـن اعتبـر والحمد رب العالمين وعجب آخر وهو وعده الاثني عشر تلميذاً بأنهم يقعدون على عروش حاكمين على الاثني عشـر سبطاً من بني إسـرائيل فوجـب ضـرورة كـون يهـوذا الاشكريوطا فيهم ولا يجوز أن يخاطب بهذا أصحابه دونـه لأنه قد أوضح أنهم اثنا عشر على اثني عشر سبطاً من بني إسرائيل فوجب ضرورة كونه فيهم وهو الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهماً فلابد من أنه لم يذنب في ذلـك وهـذا كذب لأنه قد قال في مكان آخر ويل لذلك الإنسان الذي كان أحب إليه لو لم يخلق أو كذب المسيح في هذا الوعد المذكور ولابد من إحداهما فصل وفي الباب الثالث والعشـرين مـن إنجيل متى أن المسيح كاشف علماء بني إسرائيل وقـال مـا تقولون في المسيح وابن من هو قالوا هو ابن داود فقال لهـم كيف يسميه داود بالروح إلاهاً حيث كنت قال ا لالاه اقعـد على يميني حتى أجعل من أعدائك كرسياً لقدميك فإن كـان داود يدعوه إلاهاً كيف هو ولده فلم يقدر مـنهم أحـد علـى مراجعته قال ابو محمد هذا هو الحق من قول المسيح عليـه السلام ولقد أنكر عليه السلام المنكر حقاً والعجب أن هـؤلاء

الأنذال المنتمين إلى أتباعه عليه السـلام لا يختلفـون فـي
الاحتجاج بهذا الفصل المذكور وهو عليه السلام قد أنكـر أن
يكون المسيح ابن داود وهم يسمونه في الأناجيل كلهـا بأنـه
ابن داود فاعجبوا فصل وفي الباب المذكور أن المسيح قـال
لتلاميذه أنتم إخوان ولا تنتسبوا إلى أب علـى الأرض فـإن
أباكم السماوي واحد قال أبو محمد في هذا الفصل فضيحتان
عظيمتان إحداهما إخباره أن ا تعالى هو أبو التلاميذ فتراهم
مثله سواء بسواء فلم خصه النصارى بأن يقولوا أنه ابن ا
دون أن يقولوا عن تلاميذه متى ذكروهم أنهم أبناء ا تعالى
ا عن هذا الكفر وعن أن يكون أباً أو ابناً والأخرى قولـه
لهم لا تنتسبوا إلى أب على الأرض والنصـارى والأناجيـل
يطلقون أن شمعون بن يوثا ويعقوب ويوحنـا ابنـا سـيذاي
ويهوذا ويعقوب ابنا يوسف فقد أقروا بثباتهم علـى معصـية
المسيح إذ نهاهم أن ينتسبوا إلى أب على الأرض وهم أبـداً
ملازمون مخالفة أمره في ذلك متدينون بعصيانه فصل وفي
الباب الخامس عشر من إنجيل متى أن المسيح أنذر تلاميـذه
بما يكون في آخر الزمان من الزلازل والـبلاء وقـال لهـم
فادعوا أن لا يكون هروبكم في شتاء ولا في سبت قال أبـو

محمد هذا بيان واضح بلزومهم حفظ السبت إلى انقضاء أمرهم وإلى حلول الزلازل بهم وهم على خلاف ذلك هذه أمة لا عقول لهم فصل وفي الباب المذكور أن المسيح قال لهم سيتور مسحاء الكذب وأنبياء الكذب ويطلعون العجائب العظيمة والآيات حتى يغلط من يظن به الصلاح وفي الباب الحادي عشر من إنجيل مارقش سيقوم مسيخون كذابون وأنبياء كذابون ويأتون بالآيات والبدائع ليخدعوا إن أمكن أيضاً إلا المختارين.

قال أبو محمد.

هذا الفصل مع الفصل الأخير الذي في توراة اليهود في السفر الخامس الذي نصه.

إن طلع فيكم نبي وادعى أنه رأى رؤيا وأتاكم بخبر ما يكون وكان ما وصفه ثم قال لكم بعد اتبعوا إلهة الأجناس فلا تسمعوا له مع الفصل الذي فيه من التوراة إن السحرة عملوا مثل ما عمل موسى في قلب العصا حية وإحالة الماء دماً والمجيء بالضفادع كاف في إبطال ما أتى به موسى والمسيح عليهما السلام وكل نبي يقرون بنبوته لأنه إذا جاز أن يأتي نبي كاذب بالمعجزات وأمكن أن يكذب النبي

الصادق فيما ينذر به وأمكن أن يعمل السحرة مثل شيء من آيات نبي فقد امتزج الحق بالباطل ولم يكن إلى تمييز أحدهما من الآخر طريق أصلاً وهذا إفساد الحقائق وإبطال موجب الحق وتكذيب الحواس وإذا أمكن عند اليهود والنصارى ما ذكرناه مما في توراتهم وأناجيلهم فما الذي يؤمنهم من أن موسى عليه السلام والمسيح وسائر أنبيائهم إنما كانوا سحرة وكاذبين شهدنا با شهادة الحق أن هذه الفصول المذكورة من عمل برهمي مكذب بالنبوة جملة أو مناني مكذب بنبوة الأنبياء المذكورين عليهم السلام وأن موسى وعيسى عليهما السلام لم يقولا قط شيئاً مما في هذه الفصول الخبيثة الملعونة وأما نحن فلا نجيز البتة أن يكذب نبي ولا أن يأتي غير نبي بمعجزة ولا ساحر ولا كذاب ولا صالح الصناعة فإن قيل أنكم تقولون أن الدجال يأتي بالمعجزات قلنا حاش من هذا وما الدجال إلا صاحب عجائب كأبي العجائب ولا فرق إنما هو محيل يتحيل بحيل معروفة كل من عرفها عمل مثل عمله وقد صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أن المغيرة بن شعبة سأله هل مع الدجال نهر ماء وخبز ونحو ذلك فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلم هو أهون على ا من ذلك وصح

أيضاً عنه عليه السلام أن الدجال صاحب شبه وبا التوفيق
فصل وفي الباب المذكور أن المسيح قال فمن ذلـك اليـوم
وذلك الوقت لا يدري أحد ما بعده لا الملائكة ولا أحد غيـر
الأب وحده وفي الباب الحادي عشر من إنجيل مـارقش أن
المسيح قال السموات والأرض تذهب وكلامي لا يبيـد أبـداً
ومن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يدري أحـد مـا بعـده ولا
الملائكة في السماء ولا ابن الإنسان ما عدا الأب قـال أبـو
محمد في هذا الفصل يوجب ضرورة أن المسيح هو غير ا
تعالى لأنه أخبر أن هاهنا شيأ يعلمه ا تعالى ولا يعلمه هو
وإذا كان بنص إنجيلهم الابن لا يعلم متى الساعة والأب يعلم
متى هي فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غيـر الأب وإذا
كان كذلك فهما اثنان متغايران أحدهما يجهل مـا لا يجهلـه
الآخر وهذا الشرك الذي عليه يحومون وهذا ما يبطله العقل
أن يكون إلهان أحدهما ناقص فصح ضرورة أن من هو غير
ا تعالى فهو مخلوق مربوب وبطـل هوسـهم وتخلـيطهم
والحمد رب العالمين أو يكذبوا المسيح في هـذا الفصـل
ولابد فصل وفي الباب السادس والعشرين من إنجيل متى أن
المسيح قال لباطرة ليلة أخذ أمين أقول لكم سـتجحدني هـذه

الليلة قبل صرخة الديك ثلاثاً فقال باطرة لا يكون هذا ولـو بلغت القتل وفي الباب الثاني عشر من إنجيـل مـارقش أن المسيح قال لباطرة أمين أقول لك إنك أنت اليوم فـي هـذه الليلة قبل أن يرفع الديك صوته مرتين ستجحدني ثلاثاً فكان باطرة يعيد القول حتى لو أمكنني أن أمـوت معـك لسـت أجحدك وفي الباب التاسع عشر من إنجيل لوقا أن المسـيح قال لباطرة أنا أعلمك أنه لا يصرخ الديك هذه الليلـة حتـى تجحدني ثلاثاً وأنك لم تعرفني وفي الباب الحادي عشر مـن إنجيل يوحنا أن المسيح قال أمين أقول لك لا يصرخ الـديك حتى تجحدني ثلاثاً فاتفق متى ولوقا ويوحنا على أنه قال له أنك تجحدني ثلاث مرات قبل أن يصـرخ الـديك وهكـذا أوصف كل واحد منهم عن باطرة أنه هكذا فعل اذمين الغلام والأمة والقوم الذين كانوا يصطلون على النار وقال مـارقش أنه قال له قبل أن يصرخ الديك مرتين تجحدني ثلاث مرات وهكذا وصف مارقش عن باطرة وأنه فعل ليلتئذٍ فإن خادمـه الكوهن قالت له أنت من أصحاب يسوع فجحد ثـم صـرخ الديك ثم قالت للخادمين الواقفين هنالك هذا من أولئك فجحـد ثانية ثم قال له الواقفون هنالك حقاً أنت منهم فجحـد ثالثـة

أيضاً ثم صرخ الديك ثانية فعلى قول مارقش كذب متى ولوقا ويوحنا لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرات أو كذب المسيح في إخباره بذلك إن كان هؤلاء صـدقوا لابـد مـن إحداهما وعلى قول متى ولوقا ويوحنا كذب مـارقش أيضـاً كذلك لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرات أو كـذب المسيح ولابد من إحداهما والكذب واقع في أحد الخبرين فلا بد ثم طامة أخرى وهي اتفاق متى ومارقش على أن المسيح أخبر باطرة بأنه سيجحده تلك الليلة وأن بـاطرة رد خبـره وقال له لا يكون هذا فلولا أن المسيح كان عند باطرة ممـن يكذب في خبره ما كذبه مواجهة مرة بعد مرة أو كفر باطرة إذ كذب ربه أو نبياً لابد من إحداهما فإن كان كفـر بـاطرة فكيف يعطي مفاتيح السموات لمرتد كافر مكذب با تعالى أو لنبي من الأنبياء جهاراً أم كيف تولي مرتبة التحريم والتحليل من يكذب ا تعالى أو نبيه أو كيف يؤخذ الدين عمن كـذب ربه أو كذب خبر نبي عن ا تعالى جهاراً في آخر سـاعة كان فيها معه وختم بذلك عمله ما سمعنا بأوسخ عقولاً مـن أمة هذه صفة دينهم وكتابهم وأئمتهم ونعوذ با من الخذلان وفي الباب الثامن والعشرين من إنجيل متى أن الخشبة التـي

صلب عليها المسيح أخذ لحملها سخرة سيمون وفـي البـاب الثامن عشر من إنجيل مارقش أن تلك الخشبة التـي صـلب عليها يسوع أخذ لحملها سيمون القيرواني والـد الإسـكندر وورفه وفي الباب الموفي عشرين من إنجيل لوقا أنه سخر لحمل تلك الخشبة شمعون القيرواني وفي الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا أن يسوع نفسه هو الذي حملت عليه الخشبة التي صلب فيها وهذا خلاف ما حكى أصحابه ولقد قـررت بعض علمائهم على هذا فقال لي كانت طويلة جداً فحملها هو وشمعون المذكور فقلت له ومن أين لك هذا وأيـن وجدتـه وسياق أخبار مؤلفي الإنجيل لا تدل على هذا ولو قلت أنـه ممكن أن يسخر كل واحد منها لحملها بعض الطريق لكـان أدخل في سياق الخبر فصل وفي الباب الثامن والعشرين من إنجيل متى أنه صلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخـر عن يساره وكان يشـتمانه ويتناولانـه محـركين رؤسـهما ويقولان يا من يهدم البيت ويبنيه في ثلاث سـلم نفسـك إن كنت ابن ا فانزل عن الصلب وفي الباب الثالث عشر مـن إنجيل مارقش أنه صلب معه لصان أحـدهما عـن يمينـه والآخر عن شماله واللذان صلبا معه كانا يستعجزانه وفـي

الباب الموفي عشرين من إنجيل لوقا وكـان أحـد اللصـين المصلوبين معه يسبه ويقول إن كنت أنت المسيح فسلم نفسك وسلمنا فأجابه الآخر وكشر عليه وقال أما تخاف ا وأنـت في آخر عمرك وفي هذه العقوبة أمـا نحـن فكوفئنـا بمـا استوجبنا وهذا لا ذنب له ثم قال ليسوع يا سيدي اذكرني إذا نلت ملكك فقال له يسوع أمين أقول لك اليوم تكون معي في الجنة قال أبو محمد إحدى القضيتين كذب بلا شك لأن متـى ومارقش أخبرا بأن اللصين جميعاً كانا يسبانه ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكر على الذي يسبه ويـؤمن به والصادق لا يكذب في مثل هذا وليس يمكـن هاهنـا أن يدعي أن أحد اللصين سبه في وقت وآمن به في آخـر لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر أنه أنكر على صـاحبه سبه إنكار من لم يساعده قط على ذلك وكلهم متفق علـى أن كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشـب فوجـب ضرورة أن لوقا كذب أو كذب من أخبره أو أن متى كـذب وكذب مارقش أو الذي أخبره ولابد فصل وفي آخر إنجيـل متى بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزالـه برغبـة يوسـف الارمازي العريف ودفنه في قبر جديد محفور فـي صـخرة

وغطاه بصخرة عظيمة وفي آخر إنجيل مارقش بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزاله برغبة يوسف الأرمازي العريف ودفنه في قبر عشي الجمعة والسبت وفي آخر إنجيل لوقا بعـد أن ذكر صلب المسيح وأن يوسف الأرمازي أتـى أول الليـل فرغب فيه فأجابه بلاطش إلى إنزاله فأنزله وجعله في قبـر جديد وفي آخر إنجيل يوحنا بعد أن ذكر صلب المسـيح وأن يوسف الأرمازي رغب فيه وأنزله ودفنه في قبر في بسـتان ثم قال متى وعند عشاء ليلة السبت التي تصبح في يوم الأحد اقبلت مريم المجدلانية ومريم الأخرى لمعاينة القبر فتزلـزل بهما الموضع زلزلة عظيمة ثم نزل ملك السيد من السـماء وأقبل ورفع الصخرة وقعد عليها وكان منظره كمنظر البرق وثيابه أنصع بياضاً من الثلج فمن خوفـه صـعق الحـرس وصاروا كالأموات فقال الملك للمرأتين لا تخافا قـد علمـت أنكما أردتما يسوع المصلوب ليس هو هاهنا قد حيـى وقـد تقدمكم إلى جلجال كما قال فانظرا إلى الموضع الذي جعـل فيه السيد وانهضا إلى تلاميذه وقولا لهم أنه قد حيى وفيهـا ترونه فنهضتا مسرعتين بفرح عظيم وأقبلتا إلـى التلاميـذ وأخبرتاهم الخبر فتلقاهما يسوع وقال السلام عليكما فوقفتـا

وترامتا إلى رجليه وسجدتا له فقال لهمـا يسـوع لا تخافـا واذهبا أعلما إخواني ليتوجهوا إلى جلجال وفيها يروني فأقبل بعض الحرس إلى المدينة وأعلم قواد القسيسين بما أصـابهم فرشوهم بمال عظيم ليقول الحرس إن تلاميذه طرقوهم لـيلاً وسرقوه وذهبوا به وهم رقود ففعلوا وانتشر الخبر في اليهود إلى اليوم وتوجه الأحد عشر تلميذاً إلى جلجال إلـى الجبـل الذي كان دلهم عليه يسوع فلما بصروا به خنعوا له وبعضهم شكوا فيه وقال مارقش فلما خلا يوم السبت اشترت مـريم المجدلانية ومريم أم يعقوب وشلوما حنوطاً ليأتين به ويدهنه فأقبلن يوم الأحد بكرة جداً إلى القبور وبلغـن هنالـك وقـد طلعت الشمس وهن يقلن من يحول لا الحجر عـن القبـر فنظرت فإذا بالحجر قد حول فدخلن في القبر فأبصرن فتتـى جالساً عن اليمين متغطياً بثوب أبيض فقال لهـن لا تفـزعن فإن يسوع الناصري المطلوب قد قام وليس هو هاهنا فانطلقن وقلن لتلاميذه ولباطرة أنه قد حيى وقد تقدمكم إلـى ججـال وهنالك تلقونه فقام بكرة يوم الأحد وتراءى لمريم المجدلانية فمضت وأعلمت الذين كانوا معه فلم يصدقوها وبعـد هـذا تظاهر لاثنين منهم وهما مسافران إلى قرية في صفة أخرى

فأخبرا سائرهم فلم يصدقوا أيضاً وآخر الأمر بينمـا الأحـد عشر تلميذاً متكئين إذ تظاهر لهم وفتح كفرهم وقسوة قلوبهم وقال لوقا فلما انفجر الصبح يوم الأحد بكرة جداً أقبل النسوة إلى القبر يحملن حنوطاً فوجدن الحجر مقلوعاً عـن القبـر فدخلن فيه فلم يجدن السيد فيه فتحيرن فوقف إليهن رجـلان في ثياب بيض فقالا لهن لا تطلبن حياً بين أموات قد قام ليس هو هاهنا فانصرفن وأعلمن الأحد عشر تلميذاً ومـن كـان معهم فلم يصدقوهن فقام باطرة مسرعاً إلى القبر فرأى الكفن وحده فعجب وانصرف ثم تراءى المسيح لرجلين منهم كانا ناهضين إلى حصن يقال له أماوس على سبعة أميال ونصف من أورشلم فلم يعرفاه حتى ارتفع عنهما وغاب فانصرفا في الوقت إلى أورشلم ووجد الأحد عشر تلميذاً مجتمعـين مـع أصحابهم فأخبراهم بالخبر فبينما هم يخوضون في هذا وقف يسوع في وسطهم فقال السلام عليكم أنا هـو فـلا تخـافوا فجزعوا وظنوه شيطاناً فقال لهم لم فزعتم أبصـروا قـدمي ويدي أنا هو فإن الشيطان ليس له لحم ولا عظام ثـم قـال أعندكم شيء يؤكل فأتوه بقطعة حوت مشوي وشربة عسـل فأكل وبرىء إليهم بالبقية ثم أوصاهم وارتفع عـنهم وقـال

يوحنا ففي يوم الأحد أقبلت مريم صباحاً والظلمات لم تنجـل بعد إلى القبر فرأت الصخرة مقلوعة عن القبر فرجعت إلـى شمعون باطرة وإلى التلميذ الآخر يعني يوحنا بهـذا نفسـه وقالت لهما نزع سيدي من القبر فوجدا الأكفان موضوعة ثم رجعوا فوقفت مريم باكية إلى القبر فرأت ملكين منتصـبين فقالا لها من تريدين فظنت أنه الحسان فقالت لـه سـيدي إن كنت أنت أخذته فقل لي أين وضعته فقال لها يا مريم فالتفتت وقالت معلمي فقال لها يسوع لا تمسيني لم أصعد بعـد إلـى أبي اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني صاعد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم قالت فأخبرتهم ثم بينما التلاميذ مجتمعون أقبـل يسوع ووقف في وسطهم وقال السلام عليكم وعرض عليهم يديه وجنبه ثم ذكر أن طوما أحد الاثني عشر تلميذاً لم يكـن حاضراً فيهم في هذا الظهور فلما أتى وأخبروه فقال لئن لـم أبصر في يديه الصاق المسامير ولم أدخـل اصـبعي فـي موضع المسامير في جنبه لآمنت فلما كان بعد ثمانيـة أيـام اجتمعوا كلهم والأبواب مغلقة فأقبل يسوع ووقـف وسـطهم وقال لطوما أدخل اصبعك وأبصر كفي وهات يدك وأدخلهـا إلى جنبي ولا تكن كافراً بل كن مؤمناً فقال له طوما سـيدي

وإلهي ثم تراءى عند بحيرة الطبرية لشمعون باطرة وطوما وبطنها لي وابني سيذاي واثنين من التلاميذ سواهم وهم يصيدون في مركب في البحر قال أبو محمد فاعجبوا لهذه القصة وما فيها من الكذب والشنع يقول متى إن مريم ومريم أتتا إلى القبر عشاء ليلة السبت التي تصبح في يوم الأحد فوجدتاه قد قام ويقول مارقش إن مريم ومريم وغيرهما أتتا إلى القبر بعد طلوع الشمس من يوم الأحد فوجدته قد قام والظلمة لم تنجل بعد فهذه كذبات منهم في وقت بلوغهن إلى القبر وفيمن جاء إلى القبر أمريم وحدها أم مريم ومريم أخرى معها أم كلتاهما ومعهما نسوة أخر ويقول متى إن مريم ومريم رأتا الملك إذ نزل من السماء ورفع الصخرة بحضرتهما بزلزلة عظيمة وصعق الحرس وقال الملك للمرأتين لا تخافا إنه قد قام ويقول مارقش إن النسوة وجدن الصخرة قد قلعت بعد وأنه وقف إليهن رجلان مبيضان فاخبراهن بقيامه ويقول يوحنا أن مريم وحدها أتت ووجدت الصخرة قد قلعت ولم تر أحداً ورجعت حائرة فأخبرت شمعون ويوحنا حاكي القصة فنهضا معاً إلى القبر فلم يجدا فيه أحداً وانصرفا فالتفتت هي فإذا بالمسيح نفسه واقفاً وسلم

عليها وأخبرها بقيامه فهذا كذب آخر في وقت قلع الصـخرة وهل وجد عند القبر ملك واحد أو ملكان اثنان أم لم يوجد فيه أحد أصلاً ويقول متى إن المرأتين أتياهم بوصيته فصدقوهما وأنهم نهضوا كلهم إلى جلجال وهنالك اجتمعوا معه ويقـول مارقش أنه تراءى لمريم وأخبرتهم ولم يصدقوها ثم تـراءى لاثنين فأخبراهم فلم يصدقوهما ثم نزل عليهم كلهـم ويقـول لوقا إنهم لم يصدقوا النساء وأن باطرة نهض إلى القبر ولـم يجد شيئاً ولا رأى أحداً وأنه نزل بينهم بأوراشلم فرأوه حينئذٍ وأكل معهم الحوت المشوي وهذه صفة من لم يقصده إلـيهم إلا الجوع وطلب الأكل ويقول يوحنا أنه تراءى لعشرة منهم حاشى طوما ثم تراءى لهم ولطوما قال أبو محمد ومثل هـذا الاختلاف في قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه لا يمكن أن يقع من معصومين فصح أنهم كذابون لا يتحـرون الصدق فيما حدثوا به وما كتبوه ثم في هـذه القصـة قـول مارقش عن المسيح أنه بعد موته فتح كفر تلاميـذه وقسـوة قلوبهم فإذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب فكيف يجوز أخذ الدين عنهم أم كيف يجوز أن يعطي الإله مفاتيح السموات ويولي منزلة التحريم والتحليل كـافراً

قاسي القلب فكل هذا برهان واضح على أن أنـاجيلهم كتـب مفترات من عمل كذابين كفار ثـم فـي القصـة أن مـريم والتلاميذ كلهم كانوا يلتزمون بعد المسـيح صـيانة السـبت وتعظيمه وترك العمل فيه وكذلك آخر حمل الحنوط إليه حين دخل يوم الأحد فقد صح يقيناً أن هؤلاء المخاذيل ليسوا على دين المسيح ولا على ما مضى عليه تلاميذه بل علـى ديـن آخر فسحقاً لهم وبعداً والحمد رب العالمين علـى عظـيم نعمته علينا معشر الإسلام فصل وفي الثـامن مـن إنجيـل مارقش أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه أن دخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول المثري في ملكوت ا قـال أبو محمد هذا قطع من كلامه بأن كل غني فإنـه لا يـدخل الجنة أبداً وفي اتباعه أغنياء كثيرة وما رأينا قط أمة أحرص على جمع المال من الدراهم وغير ذلك وادخاره ومنعه دون أن ينتفعوا منه بشيء ولا أن يتصـدقوا منـه بشـيء مـن الأساقفة والقسيسين والرهبان في كل دير وكل كنيسة في كل بلاد وكل وقت فعلى موجب كلام إلاههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فهذا وا حق وأنا على ذلكم من الشاهدين فصل وفي الثامن من إنجيل مارقش أن باطرة

قال ليسوع المسيح ها نحن قد خلينا الجميع واتبعناك فأجابه يسوع وقال له أمين أقول لكم ليس من أحد ترك بيتاً أو إخوة وأخوات أو والد ووالدة أو أولاد لأجل الإنجيل إلا ويعطى مائة ضعف مثله الآن في هذا الزمان من البيوت والأخوة والأخوات والأمهات والأولاد والفدادين مع التبعات وفي العالم الكائن الحياة الدائمة قال أبو محمد هذا موعد كاذب مضمون لا يمكن الوفاء به وهبك خيرجون هذا على أنه يعوض هذا من أهل دينه أولاداً وإخوة وأخوات وأمهات كيف الحيلة في وعده من آمن به وترك ماله أن يعوض عن الفدان الذي يتركه مائة فدان وعن البيت مائة بيت الآن عاجلاً في الدنيا سوى ما له في الآخرة وهذا كما ترى فصل وفي الباب الثامن من إنجيل مارقش أن رجلاً قال للمسيح أيها المعلم الصالح فقال له المسيح لم تقول لي صالح ا هو الصالح وحده وفي التاسع من إنجيل يوحنا أن المسيح قال أنا الراعي الصالح فمرة ينكر أن يكون صالحاً وأن لا صالح إلا ا ومرة يقول أنه صالح وكل هذا كذب عليه من توليد هؤلاء الأنذال فصل وفي آخر إنجيل مارقش أن المسيح قال لتلاميذه اذهبوا إلى جميع الدنيا وبشروا جميع الخلائق بالإنجيل فمن

آمن يكون سالماً ومن لم يؤمن يعاقب وهذه الآيات تصحب الذين يؤمنون وهي سيماهم على أسمى ينفون الجن ويتكلمون باللغات الجديدة ويقلعون الثعابين وإن شربوا شربة قتالة لم تضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فينقهون قال أبو محمد في هذا الفصل أعجوبتان من الكذب إحداهما قوله بشروا بالإنجيل فدل هذا على إنجيل أتاهم به المسيح وليس هو عندهم الآن وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجال معروفين ليس منها إنجيل لا ألف بعد رفع المسيح عليه السلام بأعوام كثيرة ودهر طويل فصح أن ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح بأنه أتاهم به وأمرهم بالدعاء إليه قد ذهب عنهم لأنهم لا يعرفونه أصلاً هذا ما لا يمكن سواه والفصل الثاني قولهم أنه وعد كل من آمن بدعاء التلاميذ فإنهم يتكلمون بلغات لم يعرفوها وأنهم ينفون الجن عن المجانين وأنهم يضعون أيديهم على المرضى فينقهون وأنهم يقلعون الثعابين وإن شربوا شربة قتالة لا تضرهم قال أبو محمد وهذا وعد ظاهر الكذب جهاراً ما منهم أحد يتكلم بلغة لم يعلمها ولا منهم أحد ينفي جنياً ولا منهم أحد يضع يده على مريض فيبرأ ولا منهم أحد يقلع ثعباناً ولا منهم أحد

يسقي السم فلا يؤذيه وهم معترفون بـأن يوحنـا صـاحب الإنجيل قتل بالسم وحاشى أن يأتي نبي بمواعيد خاسـئة كاذبة فكيف إله فاعلموا أن الأنذال الذين كتبوا هذه الأناجيـل كان أسهل شيء عليهم نسبة الكذب إلى المسيح عليه السلام فصل وبعد هذا الفصل متصلاً به والرب لما أن تكلـم بهـذا قبض إلى السماء وجلس عن يمين ا قال أبو محمـد هـذا شرك أحمق رب يقبض أن هذا العجب ورب يجلس عن يمين ا هذان ربان وإلهان الواحد أجل من الثاني لأن المقعود عن يمينه أسنى مرتبة من المقعد على اليمين بلا شك ونعوذ با من الخذلان فصل وفي أول إنجيل لوقا أن نفراً قبلنا رامـوا وصف الأشياء التي كملت فينا كالذي دلنا عليه معشر الـذين عاينوا الأمر وكانوا حملة الحديث فرأيت أن أقفو آثارهم من أوله على التجويد وأكتبه لك أيها الكريم لأن تفهم حق الكلام الذي علمته واطلعت عليه وأنت بـه مـاهر هـذا يبـين أن الأناجيل تواريخ مؤلفة كما ترى بنص كلام لوقا فصل وفـي أول إنجيل لوقا الذي هو تاريخه المؤلف في أخبار المسـيح قال لوقا كان بعد هردوس والي بلد يهوذا كوهن يدعي زكريا من دولة إيحا وزوجته من بنات هارون تسمى اليشبات ثـم

ذكر كلاماً فيه مجيىء جبرائيل الملك عليه السلام إلى مـريم عليها السلام أم المسيح عليه السلام وأنه قال لها في جملـة كلام كثير وقد حبلت اليشبات قرينتك على قـدمها وعقرهـا فأخبر أن اليشبات هارونية وأنها قرينة لمريم فعلى هذا فمريم أيضاً هارونية والنصارى كلهم متفقون على ما فـي جميـع الأناجيل من أن المسيح هو ابن داود من نسـل داود عليـه السلام وفي مواضع كثيرة منها يورثه ا ملك أبيه داود وأن العمي والمباطين والمرضى والمجانين والجن كانوا يقولـون له يا ابن داود فلا ينكر ذلك عليهم ولا يختلـف النصـارى واليهود في أن المسيح المنتظر هو من ولد داود والمسيح مع هذا كله قد أنكر في الباب الثالث عشر من إنجيل متى كمـا أوردنا قبل أن يكون المسيح من ولد داود فكيف هذا الاختلاط والتلاون ومع هذا كله فلا نرى على ما ذكرنا تنسبه النصارى إلا إلى أنه ولد يوسف النجار الداوودي الذي يزعمـون أنـه كان زوج مريم وهذه طامة وسوءة لا يدري لهـا وجـه أن ينسبوه إلى رجل ولم يلده وأقل ما في هذا الكذب الذي هو في الدنيا عار وبرهان على الضلال وفي الآخرة نار ونعوذ با من الخذلان فصل وفي الباب الثاني من إنجيل لوقا فلما دخل

أبو المسيح به البيت ليقربا عنه ما أمرا به أخذه شمعون فـي يديه وبعد ذلك في الباب المذكور وكان أبواه مختلفـين إلـى بورشلام كل سنة أيام الفصح فلما بلغ ثنتـي عشـرة سـنة وصعدا إلى بورشلام على حال سنتهما في يوم العيد وهبطـا عند انقراضه بقي يسوع في بورشلام وجهل ذلك أبواه وظناه في الطريق مقبلاً فسارا يومهم وهما يطلبانه عنـد الأقـارب والإخوان فلما لم يجداه انصرفا إلى بورشـلام طـابين لـه فوجداه في الثالث قاعداً مع العلماء في البيت وهو يسمع منهم ويكاشفهم فكان يعجب منه كل من سمعه ومن يراه من حسن حديثه وحسن مراجعته فقالت له أمه لم أشخصتنا يا بني وقد طلبك أبوك وأنا معه محزونين فقال لهمـا لـم طلبتمـاني أتجهلان أنه يجب علي ملازمة امرآي فلم يفهما عنه جوابـه فانطلق معهما إلى ناصرة وكان بطوع لهما قال أبو محمـد كيف يطلق لوقا وهو عندهم أجل من موسى عليه السلام أن يوسف النجار والد المسيح في غير ما موضع ويكرر ذلـك كأنه يحدث بحديث معهود أم كيف تقول مريم لابنها طلبـك أبوك تعني زوجها بزعمك وكيف يكون أباه ولا أب له وإنما يطلق هذا الإطلاق في الربيب فيمن يعرف أبوه فيقـال لـه

أبوك عن ربيبه بمعنى كافله لأنه لا إشكال فيه وأما مـن لا أب له من بني آدم فإطلاق الأبوة فيه على زوج أمه إشـكال وتلبيس وتطريق إلى البلاء أم كيف تبقى مريم العذارء مـع زوجها بزعمهم فض ا أفواههم أزيد من ثلاث عشرة سـنة كما يبقي الرجل مع امرأته يغقان عليهما باباً واحداً أم كيـف يصح مع هذا عند هؤلاء أنه مولود من غير ذكر أيـن هـذا الزور المفتري من النور المقتفي قول ا حقـاً فـي وحيـه الناطق إلى رسوله الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث قال.

فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إنـي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسـول ربـك لأهب اك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعلـه آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً فحملته فانتبذت بـه مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنـي مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.

إلى قوله.

فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئـت شـيئاً فرياً يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمـك بغياً فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إني عبد ا آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً.

قال أبو محمد هذا هو الحق الواضح الـذي يصـدق بعضه بعضاً لا الكذب المتناقض وهذا الذي لا يمكن سـواه لأنه لو كان لها زوج لم ينكر أحد ولادتها ولو لم يقم برهان بكلامه في المهد لما جاز عندنا ولا عند أحد من الناس أنهـا حملت به من غير ذلك ولكان ذلك دعوى كاذبة لا يجوز أن يصدقها أحد لاسيما مع زعمهم أنها سكنت مع زوجها أزيـد من ثلاثة عشر عاماً في بيت واحد يهديان عند ولادتـه مـا يهدي الأبوان من اليهود بحكم التوراة عن ابنيهما وتقول لـه أمه هذا أبوك وفعل أبوك ثم أطم من هذا إقرارهم بـأن لـه أربعة إخوة ذكور شمعون ويهوذا ويعقوب ويوسف وأخوات ثم لا يذكرون للنجار امرأة غير مريم تكون هـؤلاء الأولاد للنجار من تلك المرأة وهذه فضيحة الدهر وقاصمة الظهـر ومطلق السنة القائلين أنها أتت من زوج أو من عهر وحاشـا

من ذل تصحح هذا كله أنهم مدسوسون من عنـد اليهـود لإفساد مذاهبهم ونعوذ با من الخذلان فصل وفـي البـاب الرابع من إنجيل لوقا وكانت العامة تشهد له وتعجب لقولـه وما كان يوصيهم به وكانت تقول أما هذا ابن يوسف النجار فقال لهم نعم قد علمت أنكم ستقولون لي يا طبيب داو نفسـك وافعل في موضعك كما بلغنا أنك فعلته بقفر ناحوم أمين أقول لكم أنه لا يقبل أحد من الأنبياء في موضعه قال أبو محمد في هذا الفصل ثلاث عطايم أحدها قولهم له أما هذا ابن يوسـف فقال نعم فهذا تحقيق أنه ولد النجار وحاشـى مـن ذلـك والثانية اعترافه واتفاقهم على أنه لم يـأت بآيـة بحضـرة الجماعة وإنما ذكر أنه أتى بالآيات في القفار والثالثة وهـي الحق قوله لهم أنه نبي وهذا الذي أفلت من تبديلهم وأبقاه ا عز وجل حجة عليهم والحمد رب العالمين فصـل وفـي الباب الثاني عشر من إنجيل لوقا أن المسيح قال من قال شيئاً في ابن الإنسان يغفر له ومن سب روح القدس لا يغفر لـه قال أبو محمد هذا إبطال لقولهم كاف لأن ابن الإنسان عنـد هؤلاء هو روح القدس نفسه ونص كلام المسيح ها هنا يبين أنهما شيئآن متغايران أحدهما يغفر لمن سبه والآخر لا يغفر

لمن سبه وهذا بيان رافع للإشكال جملة فإن كان المسيح هو ابن الإنسان فليس هو روح القدس أصلاً بنص كلامـه وإن كان هو روح القدس فليس هو ابن الإنسان كذلك أيضاً ولئن كان ابن الإنسان هو روح القدس فقد كذب المسيح إذ فـرق بينهما فجعل أحدهما يغفر لمن سبه والآخر لا يغفر لمن سبه وفي هذا كفاية فصل وفي الباب الموفي عشرين من إنجيـل لوقا فلما بلغوا إلى الموضع الذي يدعي الأجرد صلبوه فيـه وصلبوا معه السارقين العاصين عن يمينه وشماله فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم يجهلون ما يصنعون ولا يدرون فعلهم قال أبو محمد في هذا الفصـل شـنعتان عظيمتـان علـى النصارى كافيتان في وساخة دينهم وبيان فساد كل مـا هـم عليه جهاراً أولها أن نسألهم فنقول لهم المسيح إله عنـدكم أم لا فمن قولهم نعم فيقال لهم فإلى من دعا ورفع طلبتـه فـإن كان دعا غيره فهو إله يدعو إلهاً آخر وهذا شرك وتغاير بين الآلهة وهم لا يقولون هذا وإن كان دعا نفسه فهذا هوس إنما حكمه أن يقول قد غفرت لكم وهم يصرحون فـي الأناجيـل بأنه يغفر ذنوب من شاء فأين كان عن هذه الصفة إذ دعا إلهاً غيره والثانية أن يقال لهم هل أجيبت دعوته هذه أم لا فـإن

قالوا لم تجب دعوته قلنا ليس في الخزي أكثر من إله يـدعو فلا يستجاب له ولا في النحس فوق هذا وعلى هذا فما بيـده من الربوبية إلا كذب ثور شارد في جدور كما بيـد سـائر المخلوقين يدعو فيجاب مرة ولا يجاب مرة وإن قـالوا بـل أجيبت دعوته قلنا لهم فاعلموا أنكم وأسلافكم كلكم في سـبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم وكيف يستحلون سب قوم قد غفر لهم إلههم وأسقط عنهم الملامة في صلبهم له أمـا لكـم عقول تعرفون بها مقدار ما أنتم عليه من الضلال الذي ليس في العالم أحد على مثله بل كان ضلالة فهي دونه فإن قيـل وما أنكرتم من هذا وأنتم تقولون إن ا تعالى دعا الكفار إلى الإيمان منهم إنما أمرهم أمر تعجيز فأخبرونا أنتم مـن هـو المدعو لهم ليغفر لهم فنجيبه أو نعصيه ولا مخاص من هـذا فصل وفي آخر إنجيل لوقا أنه بعد صلبه تراآى لرجلين مـن تلاميذه وهما لا يعرفانه فقال لهما ما هذا الذي تخوضان فيه وتحزنان له فقال أحدهما وهو الذي يسـمي كلوبـاش أنـت وحدك غريب بيرشلام إذ تجهل ما كان بها هذه الأيام فقـال لهما وما ذلك فقالا له من خبر يسوع الناصري الذي كان نبياً مقتدراً في أفعاله وكلامه عند ا وعند الناس وكيف اجتمـع

قواد القسيسين على قتله وصلبه إلى آخر كلامهما وأنه قـال لهما يا جهال ويا من عجزت عن فهم مقالة الأنبياء قلـوبهم أما كان هذا واجباً أن يلقاه المسيح وبعد ذلك يبلغ إلى عظمته قال أبو محمد فهؤلاء أصحابه يقولون أنه كان نبياً عنـد ا وعند الناس وهو يسمع بزعمهم ولا ينكر ذلك فهلا قالوا فيه هكذا لقد طمس الشيطان أبصار قلوبهم ولوي ألسنتهم عن أن يقولوا ذلك ولا مرة في الدهر بل يكذبونـه أشـد التكـذيب وحسبنا ا ونعم الوكيل فصل وفي إنجيل متـى ومـارقش ولوقا أنه قبل أخذه سجد ودعا وقال يا أبي كل شيء عنـدك ممكن فاعفني من هذه الكأس لكن لا أسـأل إرادتـي لكـن إرادتك زاد لوقا في إنجيله قال فتراى له ملك السيد معزياله فأطال صلاته حتى سال العرق منه وتساقطت نقطه كتساقط نقط الدم إذا انسكب في الأرض وفي إنجيل متى ومارقش أنه صاح بأعلى صوته وهو مصلوب إلهي إلهي لم اسلمتني ثـم فاضت نفسه قال أبو محمد فيا للناس أهذه صفة إلـه وهـل يحتاج الإله إلى ملك يعزيه وهل يدعو الإله في أن يصـرف عنه كأس المنية وإله يعرق من صـعوبة الحـال إذا أيقـن بالموت وإله يسلمه إله أفي الحمق شيء يفوق هذا فإن قـالوا

لنا إنما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتية قلنـا لهـم أنـتم تقولون في كل هذا فعل المسيح وقال المسيح والمسيح عندكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة وكلكم تقولون أن اللاهوت اتحد بالناسوت فأنتم كذبتم وأنـتم طرقتم إلى هذا وأنتم أضفتم كل هذا إلى اللاهوت وإنما كـان الحق على أصلكم هذا الملعون أن تقولوا فعل نصف المسيح وقال نصف المسيح فعلى كل حال قد كذبتم وسخفتم وفي هذا كفاية لمن عقل فصل وفي أول إنجيل يوحنـا وهـو أعظـم الأناجيل كفراً وأشدها تناقضاً وأتمها رعونة فأول كلمة فيـه في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت عند ا وا كان الكلمة بها خلقت الأشياء ومن دونها لم يخلق شيء فالذي خلق فهو حياة فيها قال أبو محمد فهل سمع بأعظم سخفاً وأتم تناقضـاً من هذا الكلام كيف تكون الكلمة هي ا وتكون عند ا فا إذاً كان عند نفسه ثم قوله أن الذي خلق بالكلمة هو حياة فيها فعلى هذا حياة ا مخلوقة فروح القدس على نص كلام هـذا الرجل مخلوق لأن روح القدس عند جميعهم هـو حيـاة ا وهذا خلاف قول جميع النصارى لأن الحياة التي في الكلمـة مخلوقة بنص كلام يوحنا وا بنص كلام يوحنا هو الكلمـة

وهذا هدم لملة النصارى من قرب ثم أطم من هـذا كلـه إذ كانت حياة الكلمة مخلوقة والكلمـة هـي ا فـا حامـل لأعراض مخلوقة فيه فاعجبوا ثم اعجبوا وبعد هذا الفصـل على ما نورد إن شاء ا تعالى والكلمة كانت بشراً مع قوله الكلمة هي ا فا بشر على نص كلام هذا النذل يوحنا عليه من ا اللعائن المتواترة فصل وبعد ذلك ذكر المسيح فقـال فإنه كان في الدنيا وبه خلقت الدنيا ولم يعرفه أهل الدنيا قال أبو محمد هذا من الحمق المزور كيف يكون في الدنيا وبـه خلقت الدنيا لئن كان إلهاً كما يقولون فهو خلـق الـدنيا ولا يجوز أن تخلق به وإن كان إنما به خلقت الدنيا ولم يخلقهـا هو فليس هو إلاهاً ولا خالقها وإنما هو آلة من الآلات خلقت الدنيا به وحاشى أن يخلق بآلة لكن كما قال فـي وحيـه الناطق إلى رسوله الصادق الـذي لا يتنـاقض كلامـه ولا يتعارض اخباره.

إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

وأين يجتمع قوله ها هنا إن به خلقت الدنيا مع الكذب الذي يصفونه إلى المسيح من أنه قال بزعمهم أنا أخلق وأبي يخلق وإن لم أعمل كما يعمل أبي فلا تصدقوني حاشى من

أن يقول نبي هذا الكذب وهذا الحمق إذاً كان يكونان إلهـين متغايرين اثنين كل واحد منهما غير الآخر وكل واحد منهما يخق كما يخلق الآخر ثم مرة هو إله يخلق ومرة هـو آلـة يخلق به ألا هذا هو الضلال المبين والخبال المتـين فصـل وبعد ذلك قال فمن يقبله منهم وآمن باسمه أعطاهم سلطاناً أن يكونوا أولاد ا أولئك المؤمنون به الذين لم يتوالدوا مـن دم ولا من شهوة اللحم ولا باءة رجل لكـن توالـدوا مـن ا فالتحمت الكلمة والكلمة كانت بشراً وسـكنت فينـا ورأينـا عظمتها كعظمة ولد ا قال أبو محمد وفي هذا الفصل مـن الكفر ما لو انهدمت الجبال منه لكان غير نكيـر نسـأل ا العافية أيها الناس فتأملوا قول هذا النذل أن المؤمنين بالمسيح هم أولاد ا فالنصارى إذاً كلهم أولاد ا فأي منزلة للمسيح عندهم إذ هو ولد ا وهم أولاد ا فـاعجبوا لقـول هـذا المستخف المستهزىء بالسفلة الذين قلدوا ديـنهم مثلـه إن المؤمنين بالمسيح لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم ولا باءة الرجل لكن توالدوا من ا هكذا هم هكذا فكيـف تولـد يوحنا من سيذاي وامرأته الأحياء ما هـذا إلا مـن عظـيم المجاهرة بالباطل والكذب فإن قالوا هذا مجاز قلنا مجاز فـي

ماذا بل هو الكذب البحت   البارد والحمق وهذا نفسه قلتم عن المسيح فما الفرق بين القولين ولعل ذلك أيضاً مجاز كما هو مجاز ما رأينا قط أحمق من هؤلاء ولا أوقح من خدودهم ثم اعجبوا لقوله فالتحمت الكلمة وسكنت فينا فكيف تصير الكلمة لحماً وقد قال إنها هي ا   فا   إذاً صار لحماً ودماً وسكن في أولئك الأقذار حسبنا ا   ونعم الوكيل فصل ثم قال إثر هذا إن ا   لم يره أحد قط ما عدا ما وصف عنه الولد الذي هو فـي حجر أبيه قال أبو محمد هذا عجب آخر قد قال آنفاً أن الكلمة هي ا   وأنها التحمت وصار لحماً وسكنت فيهم فـا   عـز وجل على قولهم صار لحماً وسكن فيهم فكيف لم يره أحد ثم قوله إلا ما وصف عنه   الولد الفرد الذي هو في حجر أبيـه فوجب من هذا أن الولد هو غيـر الأب لأن مـن المحـال الممتنع أن يكون ا   في حجر نفسه فصح ضرورة أن الابن عندهم على نصوص الأناجيل هو غير الأب وهم لا يثبتـون على هذا بل مرة هو والأب عندهم شيء واحد وكـل هـذا منصوص في أناجيلهم وكل قضية منها تكذب الأخرى فكلها كذب بلا شك ونعوذ با   من الضلال فصل وفي الباب الأول من إنجيل يوحنا إذ ذكر شهادة يحيى بن زكريا إذ بعث إليـه

اليهود من برشلام الكهنة واللاونيين وكاشفوه عن نفسه فأقر ولم يجحد وقال لهم لست أنا المسيح قالوا أيراك الياس قال لا قالوا فأنت نبي قال لا قال أبو محمد كيف يكون هذا مع قول المسيح في إنجيل متى ومارقش كما أوردنا قبل أن كل نبـوة وكل كتاب فمنتهاها إلى يحيى وقوله فيه أنه أكثر مـن نبـي فمرة هو نبي وانتهت إليه كل نبوة ومرة هو أكثر من نبـي ومرة يقول هو عن نفسه أنه ليس نبياً فلا بد ضـرورة مـن الكذب في إحدى هذه الأقوال وحاشى أن يكـذب المسـيح ويحيى عليهما السلام لكن كذب وا النذلان متى الشـرطي ويوحنا العيار فصل وبعده في الباب نفسه قال ويومـاً آخـر رأى يحيى المسيح مقبلاً إليه فقال هذا صار خروف ا قال أبو محمد هذه طامة أخرى بينما كان كلمة ا وابن ا وإلهاً يخلق صار خروف ا وحاشى أن يضاف إليه خروف إلا على سبيل الخلق والملك إنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح أو لمن يربيه للعجلة أو لصـبي يلعـب بـه ويصبغه بالحنا وتعالى ا عز وجل عن كل هذا فصح أنهـا من عمل عيار مستخف ونعوذ با من الضلال فصل وبعده بيسير في الباب نفسه أن يحيى بن زكريا قال عـن عيسـى

شهدت بأن هذا سليل ا قال أبو محمد شهدت أنـا بنفسـي وعقلي وجسدي بشهادة ا التامة أن هذه كذبة كذبها اللعـين يوحنا على رسول ا صلى ا عليه وسلم وابـن رسـوله يحيى بن زكريا وأن ا تعالى وجل عن أن يكون له سـليل وأعجب شيء نسبتهم إلى يحيى عليه السلام أنـه قـال فـي المسيح هذا خروف ا هذا سليل ا وإنما الخروف سـليل النعجة والكبش اللهم العن هؤلاء الأنتان فما سـمعنا بـأعظم استخفافاً با تعالى وبرسله عليهم السلام منهم فصـل وفـي الباب الثالث من إنجيل يوحنا أن يحيى عليه السلام قال عن المسيح قد رضي الأب عن الولد وبرىء إليه بجميع الأشياء وفي الباب الخامس من إنجيل يوحنا أيضاً ولهذا كانت اليهود تريد قتله لأنه ليس كان يفسخ عليهم سنة السبت فقـط لكنـه كان يدعي ا أباً ويسوي نفسه به وبعده بيسير أن المسـيح قال كما يحيي الموتى ويقيمهم كذلك يحيي الابن من وافقـه وما يحكم الأب على أحد لأنه يرد الحكم إلى سليله قال أبـو محمد هذه الطامة أنست كل طامة سلفت ولا حول ولا قـوة إلا با كيف ينطلق لسان أحد بهذا الكفر الفاحش الفظيع من أن ا تعالى قد اعتزل الحكم فلا يحكم على أحد لأنه برىء

بالحكم وبجميع الأشياء إلى ولده حاشى من هذا إنما عهدنا هذا من فعل الملوك إذا شاخوا وضـعفوا وأرادوا الانفـراد لراحاتهم ولذاتهم وترتيب الأمر لأولادهم لئلا ينازعهم الأمر بعدهم غيرهم فحينئذ يسلمون الأمر إليهم في الظاهر وأما في الباطن فلا هذا كفر ما قدرنا أحداً ينطلق بـه لسـانه حتـى سمعناه من قبل هذا الكافر يوحنا لعنه ا والحمـد علـى عظيم نعمته علينا كثيراً فصل وبعده بيسير في الباب الخامس من إنجيل يوحنا أن المسيح قال فكما احتوى الأب الحياة في ذاته كذلك ملك ولده الاحتواء على الحياة في ذاتـه وأعطـاه سلطاناً وملكه الحكومة والسلطان والحياة كما هي للأب لأنه ابن الإنسان قال أبو محمد فهل سمع قط بأسخف مـن هـذه المقالة إذ أخبر أن من أجل أن المسيح هو ابن الإنسان ساواه ا بنفسه وهذا كله يوجب أنه غير ا ولا بد لأن المعطـي المملك هو غير المعطي المملك بلا شك فصل وبعده بيسـير في الباب نفسه أن المسيح قال ولا أقوى أن أفعل من ذاتـي شيئاً لكن أحكم بما اسمع وحكمي عدل لأني لست أنفذ إرادتي إلا إرادة أبي الذي بعثني فإن كنت أشهد لنفسي فإن شـهادتي غير مقبولة ولكن غيري يشهد لي وفي الباب السـادس مـن

إنجيل يوحنا أيضاً أن المسيح قال إنما نزلت من السماء لأتم إرادة أبي الذي بعثني لا إرادتي وفي الباب السابع من إنجيل يوحنا أنه قال المسيح ليس علمي لي لكن للذي بعثني وفـي الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا أيضاً أن المسيح قال لهم لو أحببتموني لفرحتم بمسيري إلى الأب لأن الأب أكبر مني قال أبو محمد فهل في العبودية والتذلل بالحق تعالى أكثر من هذا وكيف يجتمع هذا الكلام مع الذي قبله بأسطار مـن أنه مساو وأن ا لا يحكم بعد على أحد لكن يبرأ بـالحكم كله إلى ولده أما في هذه المناقضات السـخيفة عبـرة لمـن اعتبر ثم عجب آخر قوله ها هنا إن كنـت أشـهد لنفسـي فشهادتي غير مقبولة ثم قال في آخر الباب السابع من إنجيل يوحنا إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حـق فـاعجبوا لهـذا الاختلاط وهكذا ذكر في الباب السادس من إنجيل يوحنـا أن جماعة من تلاميذه لما سمعوا هذه الأقوال المختلطة ارتـدوا وفارقوه كما نذكر بعد هذا إن شاء ا تعـالى فصـل وفـي الباب السادس من إنجيل يوحنا أنه لما أطعم الخمسـة آلاف إنسان من خمس خبز وحوتين وفضل من شبعهم اثنتا عشرة سلة من خبز قال الجماعة هذا النبي حقاً فيا للعجب هلا قالوا

فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة فصل ثم ذكـر السـادس المذكور أنه أتى بكلام كثير لا يعقل من جملته أنه قال لهـم أمين أقول لكم لئن لم تأكلوا لحم ابن الإنسان وتشربوا دمه لن تنالوا الحياة الدائمة فيكم فمن أكل لحمي وشرب دمي ينـال الحياة الدائمة وأنا أقيمه يوم القيامة فلحمي هو طعام صـادق ودمي شراب صادق فمن أكل لحمي وشرب دمي كان فـي وكنت فيه ثم ذكر يوحنا أنه قال جماعة من التلاميذ هذا كلام شاق ومن أجل ذلك ارتد جماعة من التلاميذ وذهبوا عنه قال أبو محمد وهذا الكلام وسواس صحيح لا يقولـه إلا مخـتلط وقد أعاذ ا نبيه منه فصل وفي الباب السابع مـن إنجيـل يوحنا أن إخوة يسوع قالوا اذهب إلى بلد يهوذا واخرج مـن ها هنا لتعاين تلاميذك عجايبك التي تطلع فليس يختفي أحـد بفعل يريد أن يطلع عليه فإذا كنت تريد هذا فاطلع علي نفسك أهل الدنيا وكانوا إخوته لا يؤمنون قال أبو محمد ففي هذا أنه كان يختفي بمعجزاته كما ترى فصل وفي الباب السابع مـن إنجيل يوحنا أنه أتى إلى المسيح بامرأة قد زنت فلم يوجـب عليها شياء وأطلقها قال أبو محمد وهم على خلاف هذا فقـد زوروا المسيح وجوروه أو فليشهدوا على أنفسـهم بـالجور

والظلم فصل وفي آخر الباب السابع من إنجيـل يوحنـا أن المسيح قال أنا لا أحكم على أحد وإن حكمت فحكمي عـدل لأني لست وحيداً ولكني أنا وأبي الذي بعثنـي وقيـل فـي توراتكم أن شهادة رجلين مقبولة فإني أؤدي الشـهادة عـن نفسي ويشهد لي الذي بعثني قال أبو محمد ليت شعري كيف يجتمع هذا الفصل مع الذي أوردنا في الباب الثالث من إنجيل يوحنا أيضاً من أن ا تعالى لا يحكم بعد على أحد لأنه قـد براء بالحكم كله إلى ولده المسيح فصل وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم أنا رجل أديت إلـيكم الحـق الذي سمعته عن ا فهذا إقراره بأنه رجل يؤدي ما سمع فقط مع استشهادهم في الباب الثاني عشر من إنجيل متى بقـول شعيا النبي في المسيح من أن ا تعالى قال فيه هذا غلامـي المصطفى وحبيبي اذي تخيرته فصح أنه نبي مـن الأنبيـاء وعبد ا فصل وفي الباب التاسع من إنجيل يوحنا أن اليهود قالوا للمسيح لسنا نرجمك لعمل صالح إلا للشتيمة ولا دعائك الربوبية وأنت إنسان فقال لهم المسيح أما قد كتب في كتابكم الزبور حيث يقول أما قلتم أنتم آلهة وبنو العلي كلكم فإن كان سمى ا الذي كلمهم آلهة ولا سبيل إلـى تحريـف الكتـاب

وتبديله فلم تقولون فيمن بارك ا عليه وبعثه إلى الدنيا أنـه شتم إذا قلت أني ابن ا إن كنت لا أفعل أفعـال أبـي فـلا تصدقوني إلى قوله لتعلموا أني في الأب والأب فـي وفـي الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا أن بلش الحواري قـال للمسيح يا سيدنا أرنا الأب ويكفينا فقال له المسيح طول هـذا الزمان كنت معكم ولم تعرفوني يا بلش من رآني فقـد رأى الأب فكيف تقول أنت أرنا الأب أليس تؤمن أني أنا في الأب وأن الأب هو في فكيف هذا مع قول يوحنا الذي ذكرنا فـي أول إنجيله أن الأب لم يره أحد قط فصل وفي الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا المذكور أن المسيح قال لتلاميذه أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم قال أبو محمد إذا كان هو فـي الأب والأب فيه وهو في التلاميذ والتلاميذ فيه فالأب في التلاميـذ والتلاميذ في الأب ضرورة فأي مزية له عليهم وهل هو وهم إلا سواء في كونه وكونهم في ا وكون ا فيهم وفيه ثم هذا الكلام لا يعقل ولا يفهم منه إلا الاستخفاف والكفر فقط لأنـه إن كان فيهم بذاته فقد صاروا له مكاناً وصار تعالى محدوداً وهذه صفة المحدث وإن كان فيهم بتدبيره فهكذا يدبر في كل حي وميت وكل جماد وكل عرض ولا فرق ولا فضيلة فـي

هذا أصلاً فصل وفي الباب الثاني عشر من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم لست أسميكم بعد عبيد الآن العبد لا يدري ما يصنع سيده قد سميتكم إخواناً وفي آخر الباب المـذكور أن المسيح قال أنا من ا خرجت ومن الأب انبثقت ففـي أحـد هذين الفصلين أن التلاميذ قد أعتقوا من عبودية الباري وأنهم إخوانه وهو خرج من ا ومنه انبثق فيهم كذلك أيضاً فـأي مزية له عليهم مع سخف هذا الكلام وأنـه لا يـدري لهـذا الانبثاق معنى أصلاً والانبثاق لا يكون إلا مـن الأجسـام ضرورة فصل وفي الباب الثالث عشر من إنجيل يوحنا فـي أوله أن المسيح قال رافعاً عينيه إلى السماء يا أبتـاه قـد آن الوقت فشرف ولدك لكيما يشرفك ولدك وبعـده بيسـير أن المسيح قال أنا شرفتك على الأرض قال أبو محمد هـذه مصيبة الدهر لم يقنعوا للمسـيح بنبـوة ا حتـى وصـفوه بمساواته تعالى ثم لم يقنعوا بمساواته تعالى حتى قالوا إن ا تعالى قد انعزل له عن الحكم وليس يحكم على أحـد وأنه قد برىء بالملك والحكم كله إلى المسيح ثم لم يقنعوا له بالعزلة والخمول حتى جعلوا المسيح يشرف ا تعـالى يـا للناس هل سمعتم بأعظم من هذا الكفر وا وا قطعاً ما قال

هذا الكلام قط مؤمن با   أصلاً وما كانوا إلا دهرية مستخفين رقعاء فعليهم أضعاف كل لعنة لعنها ا   تعالى من سواهم من الكفرة قال أبو محمد وفي إنجيل يوحنا أن المسيح قـال أنـا أميت نفسي وأنا أحييها فليت شعري كيف يمكـن أن يحيـي نفسه وهو ميت قال أبو محمد فهذه سبعون فصلاً في أناجيلهم من كذب بحت ومناقضة لا حيلة فيها ومنها فصـول يجمـع الفصل منها ثلاث كذبات فاقل على قلة مقدار أناجيلهم وجملة أمرهم في المسيح عليه السلام أنه مرة بنص أناجيلهم ابن ا   ومرة هو ابن يوسف وابن داود وابن الإنسان ومرة هو آلـة يخلق ويرزق ومرة هو خروف ا   ومرة هو في ا   وا   فيه ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه ومرة هو علم ا   وقدرتـه ومرة لا يحكم على أحد ولا ينفذ إرادته ومرة هو نبي وغلام ا   ومرة أسلمه ا   إلى أعدائه ومرة قد انعزل ا   لـه عـن الملك وتولاه هو وصار يشرف ا   تعالى ويعطـي مفـاتيح السموات لباطرة ويولي أصحابه خطة التحريم والتحليل فـي السموات والأرض ومرة يجوع ويطلب ما يأكـل ويعطـش ويشرب ويعرق من الخوف ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيهـا تيناً يأكله ويفشل فيركب حماره ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب

رأسه بالقصبة ويزق في وجهه ويضـرب ظهـره بالسـياط ويميته الشرط ويتهكمون به ويسـقي الخـل فـي الحنظـل ويصلب بين سارقين ويسمر يداه ومات في الساعة ودفن ثـم يحيى بعد الموت ولم يكن له هم إذ حيى بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه الخبز والحوت المشوي وسقوه العسل ثم انطلق إلى شغله هذا كله نص أناجيلهم وهم قد اقتصروا في دينهم من هذا كله على أنه آلة معبود فقـط وهم ينفون من إله مع ا وأناجيلهم وأمانـاتهم توجـب أن المسيح آلة آخر غير ا بل يقعد عن يمين ا وأنه أكبر منه وهو يخلق كما يخلق ويحيى كما يحيى ا والضرورة توجب أنهم قائلون.

ذكر بعض ما في كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس

قال أبو محمد قال يوحنا بن سيذاي في إحدى رسائله الثلاث يا أحباي نحن الآن أولاد ا ولم يظهر بعد ما نحـن كائنون وقد نعلم أنه إذا ظهر سيكون أمثالاً له لأننا نراه كما هو قال أبو محمد أفي الكفر أعظم من كفر هذا الكذاب أنهم أولاد ا وأنهم سيكونون مثل ا إذا ظهر وقال هذا اللعـين

في كتاب الوحي والإعلان أنه رأى ا عز وجل شيخاً أبيض الرأس واللحية ورجلاه من لاطون والمسيح يقرأ بين يديه في كتاب من ذهب والملائكـة يقولـون هـذا خـروف الـرب والأسواق قائمة بين يديه القمح كذا وكذا قفيزاً بدينار والخمر كذا وكذا قسطاً بدينار والزيت كذا وكذا قسطاً بدينار فهل هذا إلا هزل وعيارة وتماجن وتطايب وقال شمعون في إحـدى رسائله يومئذ يأتي الرب كمجيء اللص فلعمري لقد شبه ربه تشبيهاً هو أولى به ولا مؤنة على هذين الكلبين وعلى يهوذا ويعقوب اللعينين في رسائلهم الفارغة من كل خيـر البـاردة المملوءة من كل كفر وهوس أن يقولوا قال ا والـد ربنـا المسيح وفعل ا والد سيدنا المسيح كأنهم وا إنما يخبرون عن نسب من الأنساب وولادة من الـولادات وقـال بـولس اللعين في إحدى رسائله وهي التي إلى أهل غلا ربـه فـي الباب السادس نشهد لكل إنسان يختن أنه يلزمـه أن يحفـظ شرائع التوراة كلها وقال أيضاً قبل ذلـك إن اختتنـتم فـإن المسيح لا ينفعكم فاعجبوا لهذا واعلموا أنه قد ألزمهم دينـين أما من كان مختوناً فإن شرايع التوراة كلها تلزمه ولا ينفعـه المسيح وأما من كان غير مختون فالمسيح ينفعه ولا يلزمـه

شرايع التوراة وهو وسائر التلاميـذ كـانوا بإجمـاع مـن النصارى مختونين كلهم فوجب أن المسيح لا يـنفعهم وأن شرائع اليهود كلها لهم لازمة وأكثر من بين أظهر المسلمين منهم اليوم مختونون وإن كان بولس صادقاً فإن المسـيح لا ينفعهم وأن شرائع التوراة كلهم لهم لازمة وإن كان بـولس كاذباً في ذلك فكيف يأخذون دينهم عن الكذاب ولابـد مـن إحداهما وقال أيضاً في إحدى رسائله أن يوحنا بـن سـيذاي ويعقوب بن يوسف النجار وباطرة أمروه أن يكون هو يدعو إلى ترك الختان ويكونون هم يدعون إلى الختان قـال أبـو محمد هذا غير طريق التحقيق في الدعاء إلى الدين وإنما هي دعوة حيلة وإضلال مبنية لا حقيقة لها وقال بولس إن يعقوب ابن يوسف النجار كان مرائياً يتحفظ من مداخلـة الأجنـاس بحضرة اليهود وأن بولس واجهه بذلك في أنطاكيـة وعنفـه على ذلك أفيجوز أخذ الدين عن مراء مدلس وقال هذا اللعين بولس أيضاً في إحدى رسائله أن يسوع بينما كان في صورة ا لم يغتنم أن يكون مساوياً بل أذل نفسه ولبس صـورة عبد قال أبو محمد فهل سمع قط بأوحش مـن هـذا الكفـر وأحمق من هذا الكلام أو أسخف من هذا الاختيار وهل يتذلل

الإنسان ويحمل كل بلاء في الدنيا إلا ليصل إلى رضـى ا تعالى فقط فليت شعري هل بعد الوصول إلـى مسـاواة ا تعالى عند هؤلاء الأقذار منزلات تبتغي فيرفضـها المسـيح لينال أعلى منها اللهم قد ذكرنا تلك المنزلة وهي التي وصفها يوحنا اللعين في إنجيله من أن ا تعالى عن كفرهم اعتـزل عن الملك والحكم وولاهما المسيح وتبرأ إليه بكل شيء ثم إن امسيح شرفه ا تعالى عن ذلك اللهم العن عقولاً يجوز فيها هذا الحمق وقال هذا النذل في بعض رسائله إني كنت أتمنى أن أكون محروماً من المسيح قال أبو محمد ليت شعري من ضغطه وما المانع له من أن يكفر بالمسيح فيبلغ مناه ويصير محروماً منه ووا إنه لمحروم منه بلا شك وقال هذا النـذل بولس أيضاً في بعض رسائله الخسيسة اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يطلبون الحكمة ونحن نشرع أن المسيح قد صلب وهذا القول عند اليهود فتنة وعند الأجناس جهل ونقص وعند المختنين من اليهود واليونانيين أن المسيح علم ا وقدرتـه لأن ما كان جهلاً عند ا هو أحكم ما يكون عند الناس ومـا هو ضعيف عند ا هو أقوى ما يكون عند الناس قـال أبـو محمد فهل في بيان قحة هذا النذل وسـخريته لمـن اتبعـه

وتحقيق ما تدعيه اليهود من أن أسلافهم دسوا هـذا الـرذل بولس لإضلال أتباع المسيح عليه السلام أكثر من هذا القول في إبطاله الآيات والحكم وقوله إن أحكم ما يكون عند الناس هو الجهل عند ا فمحصول هذا الكلام اتركوا العقل وموجبه واطلبوا الحمق وتدينوا به نعوذ با مما ابتلاهم بـه وقـال بولس أيضاً في بعض رسائله إنه لا تبقى دعوة كاذبـة فـي الدين أكثر من ثلاثين سنة قال أبو محمد هو عندهم لعنهم ا أصدق من موسى بن عمران عليه السلام فإن كان صادقاً فما يحتاج معهم إلى برهان في صحة دين الإسلام ونبوة محمـد صلى ا عليه وسلم سوى هذا فإن لهذه الـدعوى أربعمايـة عام ونيفاً وخمسين عاماً ظاهرة والحمـد رب العـالمين فيلزمهم أن يرجعوا إلى الحق أو يكذبون بولس بشيرهم وقال بعض من يعظمونه من أسلافهم وهـو يوحنـا فـم الـذهب بطريارك القسطنطينية في كتاب لـه معـروف عنـدهم أن الشجرة التي أكل منها آدم وبسببها أخرج من الجنـة كانـت شجرة تين وأن ا تعالى أنزل تلك الشـجرة بعينهـا إلـى الأرض وهي التي دعا المسيح عليها فيبست إذ طلب فيها تيناً يأكله فلم يجد وهي نفسها الخشبة التي صـلب عليهـا قـال

وبرهان ذلك أنك لا تجد غاراً إلا وعلى فمه شجرة تين نابتة فاعجبوا لهذا الهزل والعيارة والمجـون والبرهـان البـديع واعلموا أنهم بأجمعهم متفقون على أن يصوروا في كنائسهم صورة يقولون هي صورة الباري عز وجل وعلا وأخـرى صورة المسيح وأخرى صورة مريم وصورة باطرة وصورة بولس والصليب وصورة جبرائيل وميكائيل وصورة إسرافيل ثم يسجدون للصور سجود عبادة ويصومون لها تديناً وهـذا هو عبادة الأوثان بلا شك والشرك المحض وهـم ينكـرون عبادة الأوثان ثم يعبدونها علانةيو حجتهم في هذا حجة عبادة نفساً وهي أنهم يتقربون بذلك إلى أصحاب تلك الصور لا إلى الصور بأعيانها واعلموا أنهم لم يزالوا بعد المسيح بأزيد من ماية عام يصومون في شهر كانون الآخر إثر عيد الحجـيج أربعين يوماً متصلة ثم يفطرون ثم يعيدون الفصح مع اليهود اقتداء بالمسيح إلى أن أبطل ذلك عليهم خمسة من البطاركـة أجمعوا على ذلك ونقلوا صيامهم وفصحهم إلى ما هم عليـه اليوم فكيف ترون هذا الدين ولعب أهله به وحكمهم بأن مـا مضي عليه المسيح والحواريون ضلال وكفر ولا يختلفـون أصلاً في أن شرائعهم كلها إنما هي مـن عمـل أسـاقفتهم

وملوكهم علانية فهل تطيب نفس من به مسكة عقل على أن يبقى ساعة على دين هذه صفته فكيف أن يلقـى ا تعـالى على دين يقر بلسانه ويعلم بقلبه أنه ليس من عند ا تعـالى ولا مما أتى به نبي ونعوذ با من الخـذلان ومـن عظـيم هوسهم قولهم كلهم أن المسيح أتى ليأخذ بجراحتـه آلامنـا وبكلومه ذنوبنا وهذا كلام في غاية السخف ليت شـعري أي ألم أخذ بجراحته أم كيف تؤخذ ذنوب الناس بكلوم المسيح ما نراهم إلا يألمون ويذنبون كما يألم غيرهم ولا فـرق ومـن فضائحهم دعواهم أن هلاني والدة قسطنطين أول من تنصر من ملوك الروم وذلك بعد أزيد من ثلثماية عـام مـن رفـع المسيح وجدت الخشبة التي صلب فيها المسيح والشوك الذي جعل على رأسه والدم الذي طار من جنبه والمسامير التـي ضربت في يده فليت شعري أين وجدوا هذا السخام كله وأهل ذلك الدين كله مطرودون مقتولون حيث وجدوا المدينة خالية أزيد من مائتي عام لا أنيس بها ثم من لهم بأنها تلـك وأيـن يبقى أثر الدم ومسامير وشوك وخشبة تلك المدة العظيمة في البلاد الخالية المقفرة ولاشك في أنه إذ صلب كمـا يقولـون كان أصحابه مختفين وأعداؤه لا يلتفتون إلى أمره أيكون في

السخف أعظم من هذا وما عقولهم إلا كعقول مـن يصـدق بالعنقاء وبكل ما لا يمكن واعلموا أن كل ما يدعونه لبـاطرة ويوحنا ومارقش وبولس من المعجـزات فإنهـا أكـذوبات موضوعة لأن هؤلاء الأربعة لم يكونوا من رفع المسيح عليه السلام ومذ تنصر بولس إلا مطلوبين مشردين مضـروبين كالزنادقة مستترين وقد ذكر بولس عـن نفسـه أن اليهـود ضربوه خمس مرات بالقضبان كل مرة تسعاً وثلاثين جلـدة وأنه رجم بالحجارة في جمع عظيم وتدلى من سور دمشـق في قفة خوف القتل ومع ذلك تظاهروا بدين اليهود إلـى أن صلبوا وقتلوا إلى لعنة ا   ولا يجوز أن تصـح معجـزة إلا بنقل كافة عن مثلها ممن شاهد ذلك ظاهراً ولكـن دعـوى النصارى ذلك لمن ذكرنا ولغيرهم مـن أسـلافهم معجـزة كدعوى المنانية لماني سواء بسواء فإنه لم يزل مسـتتراً إلا شهوراً يسيرة إذ اختدعه بهرام بن بهرام الملك حتـى ظفـر وبأصحابه فقتلهم كلهم وكدعوى اليهود لأحبـارهم السـالفين ولرؤس السبت المعجزات بالصناعات وكدعوى أصـحاب الحلاج للحلاج وكدعوى طوائف من المسلمين مثل ذلك مـن المعجزات لشيبان الراعي ولإبراهيم بن أدهم ولأبـي مسـلم

الخولاني ولعبد ا بن المبارك رحمة ا عليهم وعلى غيرهم من الصالحين وكل ذلك كذب وتوليد من لا خير فيه وإحالة على أشياء مغيبة لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد وكل طائفة ممن ذكرنا تعارض دعواها بدعوى سائر الطوائف ولا سبيل إلى الفرق بين شيء من هذه الدعاوي وقد قلنا لا يمكن البتة وجود معجزة إلا لنبي فقط ثم لا تصح إلا بنقل يقطع العذر ويوجب العلم للكافر والمؤمن إلا من كابر حسه وغالط نفسه وقال هذا سحر فقط وكذلك ما اغتر به كثير من جهالهم مما رأوا من عظم اجتهاد رهبانهم أصحاب الصوامع والديارات والمطوس عليهم أبواب البيوت فليعلموا أنه ليس عندهم من الاجتهاد في العبادة إلا جزء من أجزاء كثيرة مما عند المنانية وشدة اجتهادهم والذي عند الصابئين من ذلك أعظم فإنه يبلغ الأمر بهم إلى أن يخصي الواحد نفسه ويسمل عيني نفسه اجتهاداً في العبادة والذي عند الهندو أكثر من هذا كله فإنهم لا يزالون يحرقون أنفسهم في النار تقرباً إلى البد ولا يزالون يرمون أنفسهم من أعالي الجبال كذلك فأين اجتهادٍ من اجتهاد وعباد الهند لا يمشون إلا عراة ولا يلتبسون من الدنيا بشيء أصلاً فأين هذا من هذا لو عقلوا ولم

ير قط أشد جريمة من جاهل مقلد لاسيما إذا اتفق أن يكـون سوداوياً ضعيفاً وإن شئت فتأمل أساقفة النصارى وقسيسـهم وجتالقتهم تجدهم جفلة أفسق الخلق وأزناهم وأجمعهم للمال لا سبيل إلى أن تجد منهم واحداً بخلاف هذا وكذلك إن اغتـروا بصبر أوائلهم للقتل على دينهم حتى عملوا لهم الشائنات إلى اليوم فإن ذلك لا يتجزأ من صبر المنانية علـى القتـل فـي الثبات على دينهم ومن صبر دعاة القرامطة على القتل أيضاً وكل هذا لا يتعلل به إلا جاهل سخيف مقلد متهالـك وإنمـا الحمق فيما أوجبته براهين العقول التي وضعها ا تعالى فينا لتمييز الحق من الباطل ونبا بها عن البهايم فقـط ثـم فـي الاعتدال والاقتصار على ما جاء صاحب به الشريعة التـي قام البرهان بصحتها عن ا عز وجل وجماع ذلك ما جرى عليه أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسـلم فـي حياتـه وبعده عليه السلام قال أبو محمد وبقـي لهمـا اعتراضـان نذكرهما إن شاء ا تعالى أحدهما إن قالوا قال ا عز وجل في كتابكم حكاية عن المسيح عليه السلام أنه قال.

من أنصاري إلى ا قال الحواريون نحن أنصار ا

فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة.

فأين.

الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

وقال تعالى أيضاً مخاطباً للمسيح عليه السلام.

إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفـروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

قلنا نعم هذا خبر حق ووعد صدق وإنما أخبر تعالى عن المؤمنين ولم يسمهم ولا شك في أن من ثبت عليه الكذب من باطرة ويوحنا ومتى ويهوذا ويعقوب ليسوا منهم لكـنهم من الكفار المدعين له الربوبية كذباً وكفراً وأما الموعـودون بالنصر إلى يوم القيامة المؤمنون بالمسيح عليه السلام فهـم نحن المسلمون المؤمنون به حقاً وبنبوته ورسالته لا من كفر به وقال أنه كذاب وقال أنه إله أو ابن إله تعالى ا عن ذلك والثاني إن قالوا إن في كتابكم.

وجاء ربك والملك صفاً صفاً.

وفيه.

هل ينظرون إلا أن يأتيهم ا في ظلل مـن الغمـام والملائكة وقضي الأمر.

فهلا قلتم فيما في التوراة والإنجيل كما تقولون فيما في كتابكم قلنا بين الأمرين فرق بين كما بين قطبي الفلك وذلك أن الذي في القرآن ظاهر لا يحتاج فيه إلى تأويل إنما معنى وجاء ربك ويأتيهم ا هو أمر معلوم في اللغة التي بها نزل القرآن مشهود فيه تقول جاء الملك وأتانا الملك وإما أتى جيشه وسطوته وأمره فليس فيما تلوتم أمر ينكر وليس كذلك ما كتبنا في توراتكم وأناجيلكم من التكاذب والتناقض والحمد رب العالمين قال أبو محمد واعترضوا أيضاً بأن قالوا كيف تحققون نقلكم لكتابكم وأنتم مختلفون أشد الاختلاف في قراءتكم له وبعضكم يزيد حروفاً كثيرة وبعضكم يسقطها فهذا باب وأيضاً فإنكم تروون بأسانيد عندكم في غاية الصحة أن طوائف من أصحاب نبيكم عليه السلام ومن تابعيهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرؤا القرآن بألفاظ زائدة ومبدلة لا تستحلون أنتم القراءة بها وإن مصحف عبد ا بن مسعود خلاف مصحفكم وأيضاً فإن طوائف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون عنهم دينكم يقولون إن عثمان بن عفان أبطل قراآت كثيرة صحيحة وأسقطها إذ كتب المصحف الذي جمعكم عليه وعلى حرف واحد من الأحرف السبعة

التي أنزل بها القرآن عندكم وأيضاً فإن الروافض يزعمـون
أن أصحاب نبيكم بدلوا القرآن وأسقطوا منه وزادوا فيه قـال
أبو محمد كل هذا لا متعلق لهم بشيء منه على ما نبين بمـا
لا إشكال فيه على أحد من الناس وبا تعالى التوفيـق أمـا
قولهم إننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضـنا يزيـد حروفـاً
وبعضنا يسقطها فليس هذا اختلافاً بل هو اتفاق منا صـحيح
لأن تلك الحروف وتلك القراآت كلها مبلغ بنقل الكواف إلـى
رسول ا صلى ا عليه وسلم أنها نزلت كلها عليه فأي تلك
القراآت قرأنا فهي صحيحة وهي محصورة كلها مضـبوطة
معلومة لا زيادة فيها ولا نقص فبطل التعلق بهذا الفصل و
تعالى الحمد وأما قولهم أنه قد روى بأسانيد صـحاح عـن
طائفة من أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسـلم ومـن
التابعين الذي نعظم ونأخذ ديننا عنهم أنهم قرأوا وفي القرآن
قراآت لا نستحل نحن القراءة بها فهذا حق ونحن وإن بلغنـا
الغاية في تعظيم أصحاب رسول ا صلى ا عليـه وسـلم
ورضوان ا عليهم وتقربنا إلى ا عز وجل بمحبتهم فلسنا
نبعد عنهم الوهم والخطأ ولا نقلدهم في شيء مما قالوه إنمـا
نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول ا صلى ا عليه وسلم

بما هو عندهم بالمشاهدة والسماع لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه برأى وبظن فلا نقول بذلك ولو أنكم أنتم فعلتم كذلك بأحباركم وأساقفتكم الذين بينكم وبين الأنبياء عليهم السلام ما عنفناكم بل كنـتم علـى صواب وهدى متبعين للحق المنزل مجانبين للخطاء المهمل لكن لم تفعلوا هكذا بل قلدتموهم في كل ما شرعوه لكم فهلكتم في الدنيا والآخرة وتلك القراآت التي ذكرتم إنما هي موقوفة على الصاحب أو التابع فهي ضرورة وهم مـن الصـاحب والوهم لا يعري منه أحد بعد الأنبياء عليهم السلام أو وهـم ممن دونه في ذلك وأما قولهم أن مصحف عبد ا بن مسعود خلاف مصحفنا فباطل وكذب وإفك مصحف عبـد ا بـن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك وقراءته هي قـراءة عاصـم المشهورة عند جميع أهل الإسلام في شرق الـدنيا وغربهـا نقرأ بها كما ذكرنا وبغيرها مما قد صح أنه كله منزل مـن عند ا تعالى فبطل تعلقهم بهذا والحمد رب العالمين وأما قولهم إن طائفة من علمائنا الذين أخذنا عنهم ديننا ذكروا أن عثمان بن عفان رضي ا عنه إذ كتب المصحف الذي جمع الناس عليه أسقط ستة أحرف من الأحرف المنزلة واقتصـر

على حرف منها فهو مما قلنا وهو ظن ظنه ذلك القائل أخطأ فيه وليس كما قال بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس وهو أن عثمان رضي ا عنه لم يك إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد والقراء يعلمون الصبيان والنساء وكل من دب وهب واليمن كلها وهي في أيامه مدن وقرى والبحرين كذلك وعمان كذلك وهي بلاد واسعة مدن وقرى وملكها عظيم ومكة والطايف والمدينة والشام كلها كذلك والجزيرة كذلك ومصر كلها كذلك والكوفة والبصرة كذلك في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصي عددهم إلا ا تعالى وحده فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلاً وأما قولهم أنه جمع الناس على مصحف فباطل ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا ولا ذهب عثمان قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه إنما خشي رضي ا عنه أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين أو أن يهم وأهم من أهل الخير فيبدل شيئاً من المصحف يفعل ذلك عمداً وهذا وهماً فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال فكتب مصاحف مجتمعاً عليها وبعث إلى كل أفق مصحفاً لكي إن وهم واهم أو بدل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه فانكشف الحق وبطل

الكيد والوهم فقط وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ولو فعل عثمان ذلك أو أراده لخرج عـن الإسلام ولما مطل ساعة بل الأحرف السبعة كلها عندنا قائمة كما كانت مثبوتة في القراآت المشهورة المأثورة والحمـد رب العالمين وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القراآت فإن الروافض ليسوا من المسلمين إنما هي فرق حدث أولهـا بعد موت النبي صلى ا عليه وسلم بخمس وعشرين سـنة وكان مبداؤها أجابة ممن خذله ا تعالى لـدعوة مـن كـاد الإسلام وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصـارى فـي الكذب والكفر وهي طوائف أشدهم غلواً يقولون بإلهية علـي بن أبي طالب والإهية جماعة معه وأقلهم غلـواً يقولـون إن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين فقوم هذا أقـل مراتبهم في الكذب أيستشنع منهم أن كذب يأتون به وكل من لم يزجره عن الكذب ديانة أو نزاهة نفس أمكنه أن يكذب ما شاء وكل دعوى بلا برهان فليس يستدل بها عاقـل سـواء كانت له أو عليه ونحن إن شاء ا تعالى نـأتي بالبرهـان الواضح الفاضح لكذب الروافض فيما افتعلوه من ذلك قـال أبو محمد مات رسول ا صلى ا عليه وسلم والإسلام قـد

انتشر وظهر في جميع جزيرة العرب مـن منقطـع البحـر المعروف ببحر القلزم ماراً إلى سواحل اليمن كلها إلى بحـر فارس إلى منقطعة ماراً إلى الفرات ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام إلى بحر القلزم وفي هذه الجزيرة مـن المـدن والقرى ما لا يعرف عدده إلا ا عز وجل كاليمن والبحرين وعمان ونجد وجبلي طي وبلاد مضـر وربيعـة وقضـاعة والطايف ومكة كلهم قلنا أسلم وبنوا المساجد ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا قد قـرأ فيهـا القـرآن فـي الصلوات وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتـب ومـات رسول ا صلى ا عليه وسلم والمسلمون كذلك ليس بيـنهم اختلاف في شيء أصلاً بل كلهم أمة واحـدة وديـن واحـد ومقالة واحدة ثم ولي أبو بكر سنتين وسـتة أشـهر فغـزى فارس والروم وفتح اليمامة وزادت قراءة النـاس للقـرآن وجمع الناس المصاحف كأبي وعمر وعثمان وعلـي وزيـد وأبي زيد وابن مسعود وسائر الناس في البلاد فلم يبق بلد إلا وفيه المصاحف ثم مات رضي ا عنه والمسلمون كما كانوا لا اختلاف بينهم في شيء أصلاً أمة واحدة ومقالة واحدة إلا ما حدث في آخر حياة رسول ا صلى ا عليه وسلم وأول

خلافة أبي بكر رضي ا عنه من ظهور الأسود العنسي في جهة صنعا ومسيلمة في اليمامة يدعيان النبوة وهما في ذلـك مقران بنبوة محمد صلى ا عليه وسلم معلنان بـذلك ومـن انقسام العرب ومن باليمن من غيرهم أربعة أقسام إثر موته عليه السلام فطائفة ثبتت على ما كانت عليه من الإسلام لـم تبدل شيئاً ولزمت طاعة أبي بكر وهم الجمهـور والأكثـر وطائفة بقيت على الإسلام أيضاً إلا أنهم قالوا نقيم الصـلاة وشرايع الإسلام إلا أنا لا نؤدي الزكاة إلـى أبـي بكـر ولا نعطي طاعة لأحد بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم وكان هؤلاء كثيراً إلا أنهم دون من ثبت على الطاعة ويبين هـذا قول الحطيئة العبسي أيورثها بكراً إذا مات بعده فتلك لعمـر ا قاصمة الظهر وإن التي طالبتم فمنعتم لكالتمر أو أحلـى لدي من التمر يعني الزكاة ثم ذكر القبائل الثابتة على الطاعة فقال فباست بني سعد واسناه طي وباست بني دودان حاشـى بني النضر قال أبو محمد لكن وا باستاه بني نضر وباست الحطيئة حلت الدائرة والحمد رب العالمين وطائفة ثالثـة أعلنت بالكفر والردة كأصحاب طليحة وسجاح وسـائر مـن ارتد وهم قليل بالإضافة إلى من ذكرنا إلا أن في كل قبيـل

من المؤمنين من يقاوم المرتدين فقد كان باليمامة ثمامة بـن أثال الحنفي في طوايف من المسلمين محاربين لمسيلمة وفي قوم الأسود أيضاً كذلك وفي بني تميم وبني أسد الجمهور من المسلمين وطايفة رابعة توقفت فلم تـدخل فـي أحـد مـن الطوائف المذكورة وبقوا يتربصون لمن تكون الغلبة كمالـك بن نويرة وغيره فأخرج إليهم أبو بكر البعوث فقتل مسـيلمة وقد كان فيروز وذاذوية الفارسـيان الفاضـلان رضـي ا عنهما قتلا الأسود العنسي فلم يمض عام واحد حتى راجـع الجيمع الإسلام أولهم عن آخرهم وأسلمت سـجاح وطليحـة وغيرهم وإنما كانت نزعة من الشيطان كنار اشتعلت فأطفأها ا للوقت ثم مات أبو بكر وولي عمر ففتحت بلاد الفـرس طولاً وعرضاً وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقـرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً وبقي كذلك عشرة أعوام وأشهراً والمؤمنون كلهم لا اختلاف بينهم في شيء بل ملة واحدة ومقالة واحدة وإن لـم يكـن عنـد المسلمين إذ مات عمر مائة ألف مصحف من مصـر إلـى العراق إلى الشام إلى اليمن فما بين ذلك فلم يكن أقل ثم ولي

عثمان فزادت الفتوح واتسع الأمر فلـو رام أحـد إحصـاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر وبقي كذلك اثني عشر عامـاً حتى مات وبموته حصل الاختلاف وابتداء أمـر الـروافض واعلموا أنه لو رام اليوم أحد أن يزيد في شـعر النابغـة أو شعر زهير كلمة أو ينقص أخرى ما قدر لأنه كان يفتضـح الوقت وتخالفه النسخ المثبوتة فكيف القرآن في المصـاحف وهي من آخر الأندلس وبلاد البربر وبلاد السودان إلى آخر السند وكابل وخراسان والترك والصقالبة وبلاد الهند فما بين ذلك فظهر حمق الرافضة ومجاهرتها بالكذب ومما يبين كذب الروافض في ذلك أن علي بن أبي طالب الذي هـو عنـد أكثرهم إله خالق وعند بعضهم نبي ناطق وعند سائرهم إمام معصوم مفروضة طاعته ولي الأمر وملك فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعاً ظاهر الأمر ساكناً بالكوفة مالكـاً للدنيا حاشى الشام ومصر إلى الفرات والقـرآن يقـرأ فـي المساجد في كل مكان وهو يؤم الناس به والمصاحف معـه وبين يديه فلو رأى فيه تبديلاً كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك ثم إلى ابنه الحسن وهو عندهم كأبيه فجرى علـى ذلك فكيف يسوغ لهؤلاء النوكي أن يقولوا إن في المصـحف

حرفاً زايداً أو ناقصاً أو مبدلاً مع هذا ولقد كان جهـاد مـن حرف القرآن وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهـل الشـام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ورأي خلافة فقط فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه والحمد رب العـالمين قال أبو محمد ونحن إن شاء ا تعالى نذكر صفة وجوه النقل الذي عند المسلمين لكتابهم ودينهم ثم لما نقلوه عـن أئمـتهم حتى يقف عليه المؤمن والكافر والعالم والجاهل عياناً إن شاء ا تعالى فيعرفون أين نقل سائر الأديان من نقلهـم فنقـول وبا تعالى التوفيق.

إن نقل المسلمين لكل ما ذكرنا ينقسم أقسـاماً سـتة أولها شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثـالهم جـيلاً جيلاً لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصـف غيـر معانـد للمشاهدة وهو القرآن من المكتوب في المصاحف في شـرق الأرض وغربها لا يشكون ولا يختلفون في أن محمد بن عبد ا بن عبد المطلب أتي به وأخبر أن ا عز وجل أوحى به إليه وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا ومن ذلك الصلوات الخمس فإنه لا يختلـف مـؤمن ولا كافر ولا يشك أحد أنه صلاها بأصحابه كل يوم وليلة فـي

أوقاتها المعهودة وصلاها كذلك كل من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم هكذا إلى اليوم لا يشك أحد في أن أهل السند يصلونها كما يصليها أهل الأندلس وأن أهل أرمينية يصلونها كما يصليها أهل اليمن وكصياح شهر رمضان فإنه لا يختلف كافر ولا مؤمن ولا يشك أحد في أنه صامه رسول ا صلى ا عليه وسلم وصامه معه كل من اتبعه في كل بلد كل عام ثم كذلك جيلاً جيلاً إلى يومنا هذا وكالحج فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه عليه السلام حج مع أصحابه وأقام المناسك ثم حج المسلمون من كل أفق من الآفاق كل عام في شهر واحد معروف إلى اليوم وكجملة الزكاة وكسائر الشرائع التي في القرآن من تحريم القرائب والميتة والخنزير وسائر شرائع الإسلام وكآياته من شق القمر ودعاء اليهود التي تمنى الموت وسائر ما هو في نص القرآن مقرؤ ومنقول وليس عن اليهود ولا عند النصارى في هذا النقل شيء أصلاً لأن نقلهم لشريعة السبت وسائر شرائعهم إنما يرجعون فيها إلى التوراة ويقطع نقل ذلك ونقل التوراة إطباقهم على أن أوائلهم كفروا بأجمعهم وبرؤا من دين موسى وعبدوا الأوثان علانية دهوراً طوالاً ومن المحال

أن يكون ملك كافر عابد أوثان هو وأمته كلها معـه كـذلك يقتلون الأنبياء ويخنقونهم ويقتلون من دعل إلـى ا تعـالى يشتغلون بسبت أو بشريعة مضافة إلى ا سـبحانه وتعـالى عن هذا الكذب الذي لا شك فيه ويقطع بالنصارى عن مثـل هذا عدم نقلهم إلا عن خمسة رجال فقط وقد وضح الكـذب عليهم إلى ما أوضحنا من الكذب الذي في التوراة والإنجيـل القاضي بتبديلهما بلا شك والثاني شيء نقلته الكافة عن مثلها حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول ا صلى ا عليـه وسـلم ككثير من آثاته ومعجزاته التي ظهرت يوم الخنـدق وفـي تبوك بحضرة الجيش وككثير من مناسك الحج وكزكاة التمر والبر والشعير والورق والإبـل والـذهب والبقـر والغـنم ومعاملته أهل خيبر وغير ذلك كثير مما يخفى على العامـة وإنما يعرفه كواف أهل العلـم فقـط ولـيس عنـد اليهـود والنصارى من هذا النقل شيء أصلاً لأنه يقطع بهم دونه ما قطع بهم دون النقل الذي ذكرنا قبل من أطباقهم على الكفـر الدهور والطوال وعدم إيصال الكافة إلى عيسى عليه السلام والثالث ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلـغ إلـى النبـي صلى ا عليه وسلم يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبـره

ونسبه وكلهم معروف الحـال والعـين والعدالـة والزمـان والمكان على أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقـل الكواف إما إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم مـن طـرق جماعة من الصحابة رضي ا عنهم وإما إلى الصاحب وإما إلى التابع وإما إلى أمام أخذ عن التابع يعرف ذلك من كـان من أهل المعرفة بهذا الشأن والحمد رب العـالمين وهـذا نقل خص ا تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلهـا وابقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور مذ أربعمائة عام وخمسين عاماً في المشرق والمغـرب والجنـوب والشـمال يرحل في طلبه من لا يحصى عددهم إلا خالقهم إلى الآفـاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان الناقد قريباً منه قد تولى ا تعالى حفظه عليهم والحمد رب العالمين فـلا تفـوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيءٍ من النقل إن وقعت لأحدهم ولا يمكن فاسقاً أن يقحم فيه كلمة موضوعة و تعالى الشكر وهذه الأقسام الثلاثة التي نأخذ ديننا منها ولا نتعـداها إلـى غيرها والحمد رب العالمين والرابع شـيء نقلـه أهـل المشرق والمغرب أو الكافة أو الواحد الثقة عن أمثالهم إلـى أن يبلغ من ليس بينه وبين النبي صلى ا عليـه وسـلم إلا

واحد فأكثر فسكت ذلك المبلوغ إليـه عمـن أخبـره بتلـك الشريعة عن النبي صلى ا عليه وسلم فلم يعرف من هـو فهذا نوع يأخذ به كثير من المسلمين ولسنا نأخذ به البتة ولا نضيفه إلى النبي صلى ا عليه وسلم إذ لم نعرف من حدث به عن النبي صلى ا عليه وسلم وقد يكون غير ثقة ويعلـم منه غير الذي روي عنه ما لم يعرف منه الذي روى عنـه ومن هذا النوع كثير من نقل اليهود بل هو أعلى ما عنـدهم إلا أنهم لا يقربون فيه من موسى كقربنا فيه من محمد صلى ا عليه وسلم بل يقفون ولابد حيث بينهم وبين موسى عليـه السلام أزيد من ثلاثين عصراً في أزيد من ألف وخمسـمائة عام وإنما يبلغون بالنقل إلـى هـلال وشـماني وشـمعون ومرعقيبا وأمثالهم وأظن أن لهم مسألة واحدة فقط يروونهـا عن حبر من أحبارهم عن نبي من متأخري أنبيائهم أخـذها عنه مشافهة في نكاح الرجل ابنته إذا مات عنها أخوه وأمـا النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط على أن مخرجه من كذاب قد صح كذبه والخامس شيء نقل كما ذكرنا إما بنقل أهل المشرق والمغرب أو كافة عن كافة أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى النبي صلى ا عليـه

وسلم إلا أن الطريق رجلاً مجروحـاً يكـذب أو غفلـة أو مجهول الحال فهذا أيضاً يقول به بعض المسلمين ولا يحـل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الأخذ بشيء منه وهذه صفة نقل اليهود والنصارى فيما أضافوه إلى أنبيائهم لأنه يقطع بهم كفار بلا شك ولا مرية والسادس نقلٌ نقل بأحد الوجوه التـي قدمنا إما بنقل من بين المشرق والمغرب أو بالكافة أو بالثقة عن الثقة حتى يبلغ ذلك إلى صاحب أو تابع أو إمام دونهمـا أنه قال كذا أو حكم بكذا غير مضاف ذلك إلـى رسـول ا صلى ا عليه وسلم كفعل أبي بكر في سـبي أهـل الـردة وكصلاة الجمعة صدر النهار وكضـرب عمـر الخـراج وإضعافه القيمة على رقيق حاطب وغير ذلك كثير جداً فمن المسلمين من يأخذ بهذا ومنهم من لا يأخذ به ونحن لا نأخـذ به أصلاً لأنه حجة في فعل أحد دون من أمرنا ا تعـالى باتباعه وأرسله إلينا ببيان دينه ولا يخلو فاضل من وهم ولا حجة فيمن يهم ولا يأتي الوحي ببيان وهمه وهذا الصنف من النقل هو صفة جميع نقل اليهود لشرائعهم التي هم عليها الآن مما ليس في التوراة وهو صفة جميع نقل النصارى حاشـى تحريم الطلاق إلا أن اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا في ذلك إلى

صاحب نبي أصلاً ولا إلى تابع له وأعلى من يقـف عنـده النصارى شمعون ثم بولس ثم أساقفهم عصراً عصـراً هـذا أمر لا يقدر أحد منهم على إنكاره ولا إنكار شيء منه إلا أن يدعي أحد منهم كذباً عند من يطمع في تجويزه عليـه ممـن يظن به جهلاً بما عنده فقط وأما إذا قررهم على ذلـك مـن يدرون أنه يعرف كتبهم فلا سبيل لهم إلى إنكاره اصلاً قـال أبو محمد ونقل القرآن وما فيه من إعلام النبـي صـلى ا عليه وسلم كالإنذار بالغيوب وشق القمر ودعاء اليهود إلـى تمني الموت والنصارى إلى المباهلة وجميـع العـرب إلـى المجيء بمثل القرآن وبتوبيخهم بالعجز عنه وبتوبيخ اليهـود بأنهم لا يتمنون الموت وقصة الطير الأبابيل ورميها أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وكثير من الشرائع وكثير من السنن فإنه نقل كل ذلك اليماني والمضري والربيعـي والقضـاعي وكلهم أعداء متباينون متحاربون يقتل بعضهم بعضاً لـيس هناك شيء يدعوهم إلى المسامحة في نقلهم له ثم نقله عـن هؤلاء من بين المشرق والمغرب وكانت العرب بلا خـلاف قوماً لقاحاً لا يملكهم أحد كمضر وربيعة وإياد وقضـاعة أو ملوكاً في بلادهم يتوارثون الملك كابراً عن كـابر كملـوك

اليمن وعمان وشهر بن بارام ملك صفا والمنذر بن سـاوى ملك البحرين والنجاشي ملك الحبشة وجيفـر وعيـاذ ابنـي الجلندي ملكي عمان فانقادوا كلهم لظهـور الحـق وبهـوره وآمنوا به صلى ا عليـه وسـلم طوعـاً وهـم آلاف آلاف وصاروا إخوة كبني أب وأم وانحل كل من أمكنه الانحـلال عن ملكه منهم إلى رسله طوعاً بلا خوف غزز ولا إعطـاء مال ولا بطمعٍ في عز بل كلهم أقوى جيشاً من جيشه وأكثر مالاً وسلاحاً وأوسع بلاداً من بلاده كذي الكلاع وكـان ملكـاً متوجاً ابن ملوك متوجين تسجد له جميع رعيته يركب أمامه ألف عبد من عبيده سوى بني عمه من حمير وذي ظليم وذي زود وذي مران وذي عمرو وغيرهم كلهم ملوك متوجـون في بلادهم هذا كله أمر لا يجهله أحد من حملة الأخبار بـل هو منقول كنقل كون بلادهم في مواضعها وهكذا كان إسلام جميع العرب أولهم كالأوس والخزرج ثم سائرهم قبيلة قبيلـة لما ثبت عندهم من آياته وبهرهم من معجزاته ومـا اتبعـه الأوس والخزرج إلا وهو فريد طريد قد نابذه قومه حسداً له إذ كان فقيراً لا مال له يتيماً لا أب له ولا أخ ولا ابن أخ ولا ولد أمياً لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل يرعـى غـنم

قومه بأجرة يتقوت بها فعلمه ا تعالى الحكمـة دون معلـم وعصمه من كل من أراده بلا حرس ولا حاجب ولا بـواب ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من أراد قتلـه مـن شـجعان العرب وفتاكهم كعامر بن الطفيل واربد بن جزءٍ وغورث بن الحارث وغيرهم مع إقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسـجاح وطليحة الأسود وهو مكذب لهم فهل بعد هذا برهان أو بعـد هذه الكفاية من ا تعالى كفاية وهو لا يبغي دنيا ولا يمنـي بها من اتبعه بل أنذر الأنصار بالأثرة عليهم بعـده وتـابعوه على الصبر على ذلك قام له أصحابه على قدم فمنعهم وأنكر ذلك عليهم وأعلمهم أن القيام تعـالى لا لخلقـه ورضـوا بالسجود له فاستعظم ذلك وأنكره إلا وحده ولا شك في أن هذه ليست صفة طالب دنيا قط أصلاً ولا صفة راغـب فـي غلبة ولا بعد صوت بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كـان له أدنى فهم فهذا هو الحق لا ما تدعيه النصارى من الكـذب البحت في أن الملوك دخلوا دينهم طوعاً وقد كذبوا في ذلـك لأن أول ملك تنصر قسطنطين باني القسطنطينية بعـد نحـو ثلاثمائة عام من رفع المسيح عليه السلام فأي معجزة صحت عنده بعد هذه المدة وإنما نصرته أمه لأنها كانت نصـرانية

بنت نصراني تعشقها أبوه فتزوجها هذا أمر لا تنـاكر بـين النصارى فيه والنشأة لا خفاء بما تؤثره في الإنسان وأما من اتبع النبي صلى ا عليه وسلم فإنهم اتبعوه إذ بلغهم خبـره في حياته عليه السلام للآيات التي كانت له بحضـرة جميـع أصحابه كإعجاز القرآن وانشقاق القمر ودعاء اليهـود إلـى تمني الموت وإخبارهم بعجزهم عن ذلك وأنهـم لا يتمنونـه أصلاً والإنذار بالغيوب وتبعان عين تبوك فهي كـذلك إلـى اليوم ونبعان الماء من بين أصابعه بحضرة العسكر وإطعامه النفر الكثير من طعام يسير مراراً جمة بحضـرة الجمـوع وإخباره بأكل الأرضة كل ما في الصحيفة المكتوبة على بني هاشم وبني المطلب حاشى أسماء ا تعالى فقـط وأنظـاره بمصارع أهل بدر بحضرة الجيش موضعاً موضعاً وبـالنور الواقع في سوط الطفيل بن عمرو الدوسي وحنـين الجـذع بحضرة جميعهم ودفع اربد عنه وقضاء غرماء جابر من تمر يسير مشى بجنبه وتزويد عمرو أربعمائة راكب مـن تمـر يسير بقي بجنبه ورميه هو إذان بتراب عم عيونهم وخروجه بحضرة مائة من قريش وهم لا يرونه ودخول الغـار وهـم عليه لا يرونه وفتح الباب في حجر صلد في جنب الغار لـم

يكن فيه قط ولو كان هنالك يومئذ لما أمكنه الاختفاء فيه لأنه ليس بين البابين إلا أقل من ثمانية أذرع وهو ظاهر إلى اليوم كل عام وكل حين يزوره أهل الأرض من المسلمين ولو رام فتح الباب الثاني في ذلك الحجر أهل الأرض ما قدروا على إزاحته سالماً عن مكانه ولو كان ذلك الباب هنالك يومئذ لرآه الطالبون له بلا مؤونة لأنهم لم يكونوا إلا جموع قريش لعلهم ميئون كثيرة وآثار رأسه المقدس في ذلك الحجر وآثار كتفيه ومعصمه وظاهر يده باق إلى اليوم فعل ا تعالى منقول نقل الكواف جيلاً عن جيل ورمي الجمار الـذي ترميـه مـا لا يحصيه إلا ا تعالى كل عام ثم لا يزيد حجمـه فـي ذلـك الموضع ورمى ا تعالى جيش أبرهة صاحب الفيل إذ غزا مكة عام مولده صلى ا عليه وسلم بالحجارة المنكرة بأيدي طير منكرة ونزلت في ذلك سورة من القرآن متلوة إلى اليوم وكان ذلك ببركته عليه السلام وإنذاراته وشكوى البعير إليـه وإبراء عيني علي من الرمد بحضرة الجماعات فـي سـاعة وسوخ قوائم فرس سراقة إذ تبعه ودرور الشاة التي لا لـبن لها مراراً وتسبيح الطعام وكلام الذئب ومجيئه وقوله للحكـم إذ حكي مشيته كن كذلك فلم يزل يـرتعش إلـى أن مـات

ودعاؤه للمطر فأتى للوقت وفي الصـحو فـانجلى للوقـت وظهور جبريل عليه السلام مرتين مرة في صورة دحية ثـم أتى دحية بحضرة الناس وأخرى في صورة رجل لم يعرفـه أحد ولا رؤي بعدها وقوله إذ خطب بنت الحارث ابن عوف بن أبي حارثة المزني فقال له أبوها أن بها بياضاً فقال لتكن كذلك فبرصت في الوقت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر المشهور وغير هذا كثير جداً مع ما ذكرنا من أن أول مـن تنصر من الملوك قسطنطين بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفـع المسيح فوا ما قدر على إظهار النصرانية حتى رحل عـن رومية مسيرة شهر وبني برنطية وهي قسطنطينية ثم أجبر الناس على النصرانية بالسيف والعطاء وكان مـن عهـوده المحفوظة أن لا يولي ولاية إلا من تنصر والناس سراع إلى الدنيا نافرون عن الأدنى وكان مع هذا كلـه علـى مـذهب أريوس لا على التثليث ولكن هذا مـن دعـوى النصـارى وكذبهم مضاف إلى ما يدعونه من أنهم بعد هذه المدة الطويلة وبعد خراب بيت المقدس مرة بعد أخرى وبقائـه خرابـاً لا ساكن فيه نحو مائتي عام وسبعين عاماً وجدوا الشوك الـذي وضع على رأس المسيح بزعمهم والمسامير التي ضربت في

يديه والدم الذي طار من جنبه والخشبة التي صاب عليها فلا أدري ممن العجب أممن اخترع مثـل هـذه الكذبـة الغثـة المفضوحة أم ممن قبلها وصدق بها ودان باعتقادها وصـاب وجهه للحديث بها ليت شعري أين بقي ذلك الشوك وذلك الدم سالمين وتلك المسامير وتلك الخشبة طول تلك المدة وأهـل ذلك الدين مطرودون مقتولون كقتل من تستر بالزندقة اليـوم وتلك المدينة خراب الدهور الطوال لا يسكنها أحد إلا السباع والوحش وقد شاهدنا ملوكاً جلت لهم الأتباع والأولاد والشيع والأقارب صلبوا فما مضت مدة يسيرة حتى لم يبـق لتلـك الخشب أثر فكيف أمر لا طالب له وبدول قد انقطعت وبـلاد قد أقفرت وخلت ونسيت أخبارها وهذه البردة التـي كانـت للنبي صلى ا عليه وسلم والقصعة والسيف على أن الدولة متصلة لم تتخرم منذ حينئذ والحمد رب العالمين قد دخلت الداخلة في القصعة ولاسيف حتى لا يقين عندنا منهما اليـوم ولولا تداول الخلفاء للباس البردة أبد الآبد فينقل أمرها جـيلاً بعد جيل والمنبر كذلك لما قطعنا عليهما ولكن التداول لهمـا أمة بعد أمة وهما قائمان ظاهران للناس هو واجـب اليقـين بهما ورفع الشك فيهما وكذلك كل ما جرى هذا المجرى ثم لم

يلبث دين النصارى أن مات قسطنطين أول من تنصر من ملوك الدنيا ثم مات ابنه قسطنطين وولي ملك ترك النصرانية ورجع إلى عبادة الأوثان إلى أن مات ثم ولي رجل من أقارب قسطنطين فرجع إلى النصرانية وأما ديانة اليهود فما صفت فيها نيات بني إسرائيل وموسى عليه السلام حي بين أظهرهم ومازالوا مائلين إلى إظهار عبادة الأوثان ثم تكذيبهم كلهم بالشريعة التي أتاهم بها بعد موته عليه السلام طبقة بعد طبقة إلى انقطاع دولتهم فكيف إن يتبعه غيرهم قال أبو محمد وبرهان ضروري لمن تدبره حسي لا محيد عنه وهو أنه لا خلاف بين أحد من اليهود والنصارى وسائر الملل في أن بني إسرائيل كانوا بمصر في أشد عذاب يمكن أن يكون من ذبح أولادهم وتسخيرهم في عمل الطوب بالضرب العظيم والذل الذي لا يصبر عليه كلب مطلق فأتاهم موسى عليه السلام يدعوهم إلى فراق هذا الأسر الذي قتل النفس أخف منه وإلى الحرية والملك والغلبة والأمن ومضمون ممن هو في أقل من تلك الحال أن يسارع إلى كل من يطمع على يديه بالفرج وأن يستجيب له إلى كل ما دعاه إليه وإن أكثر من في هذا البلاء يستخير عبادة من أخرجه منه لاسيما إلى العز

والحرمة وكانوا أيضاً أهل عسكر مجتمع وبني عمر يمكنهم التواطؤ ثم كانوا أهل بلد صغير جداً قد تكنفهم الأعداء مـن كل جانب وأما عيسى عليه السلام فما اتبعه إلا نحـو اثنـي عشر رجلاً معروفين ونساء قليل وعدد لا يبلغ جميعم وفـي جملتهم الاثنا عشر إلا مائة وعشرين فقط هكذا فـي نـص إنجيلهم وكانوا مشردين مطرودين غير ظـاهرين ولا يقـوم بمثل هؤلاء ضرورة يقين العلم وأما محمد صلى ا عليـه وسلم فلا يختلف أحد في مشرق الأرض وغربها أنه عليـه السلام أتى إلى قوم لقاح لا يقرون بملك ولا يطيعون لأحـد ولا ينقادون لرئيس نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم منذ ألوف من الأعوام قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والأنفة في طباعهم وهم أعداد عظيمـة قـد ملـؤوا جزيرة العرب وهي نحو شهرين في شهرين قـد صـارت طباعهم طباع السباع وهم ألوف الألـوف قبائـل وعشـائر يتعصب بعضهم لبعض أبداً فدعاهم بلا مال ولا اتبـاع بـل خذله قومه إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غـرم الزكـاة ومن الحرية والظلم إلى جري الأحكام عليهم ومـن طـول الأيدي بقتل من أحبوا وأخذ مال من أحبوا إلى القصاص من

النفس ومن قطع الأعضاء ومن اللاطمة من أجل مـن فـيهم لأقل علج غريب دخل فيهم وإلى إسقاط الأنفة والفخر إلـى ضرب الظهور بالسياط أو بالنعال إن شربوا خمراً أو قـذفوا إنساناً وإلى الضرب بالسوط والرجم بالحجارة إلى أن يموتوا إن زنوا فانقاد أكثرهم لكل ذلك طواً بلا طمع ولا غلبـة ولا خوف ما منهم أحد أخذ بغلبة إلا مكة وخيبر فقط وما غـزا قط غزوة يقاتل فيها إلا تسع غزوات بعضها عليه وبعضـها له فصح ضرورة أنهم إنما آمنوا به طوعاً لا كرهاً وتبـدلت طبائعهم بقدرة ا تعالى من الظلم إلى العدل ومن الجهل إلى العلم ومن الفسق والقسوة إلى العدل العظيم الذي لـم يبلغـه أكابر الفلاسفة وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثـأر وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه وأعدى الناس له صحبة الأخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ولا رياسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم ولا مال يتعجلونه فقد علم النـاس كيف كانت سيرة أبي بكر وعمر رضي ا عنهمـا وكيـف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة فهـل هذا إلا بغلبة من ا تعالى على نفوسهم وقسره عـز وجـل لطباعهم كما قال تعالى.

لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلـوبهم ولكن ا   ألف بينهم.

ثم بقي عليه السلام كذلك بين أظهرهم بـلا حـارس ولا ديوان جند ولا بيت مال محروساً معصوماً وهكذا نقلـت آياته ومعجزاته فأيما يصح من أعلام الأنبياء المذكورين مـا نقل عنه عليه السلام بصحة الطريق إليه وارتفـاع دواعـي الكذب والعصبية جملة عن اتباعه فيه فجمهورهم غرباء من غير قومه لم يمنهم بدنيا ولا وعدهم بماك وهذا لا ينكره أحد من الناس وأيضاً فإن سيرة محمد صلى ا   عليه وسلم لمـن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة وتشهد له بأنـه رسـول ا   صلى ا   عليه وسلم حقاً فلو لم تكن له معجزة غير سـيرته صلى ا   عليه وسلم لكفى وذلك أنه عليه السلام نشأ كما قلنا في بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ولا خرج عن تلك البلاد قط إلا خرجتين إحداهما إلى الشام وهو صبي مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع والأخرى أيضاً إلى أول الشام ولم يطـل بها البقاء ولا فارق قومه قط ثم أوطـأه ا   تعـالى رقـاب العرب كلها فلم تتغير نفسه ولا حالت سيرته إلـى أن مـات ودرعه مرهونة في شعير لقوت أهله أصواع ليست بالكثيرة

ولم يبت قط في ملكه دينار ولا درهم وكـان يأكـل علـى الأرض ما وجد ويخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويؤثر على نفسه وقتل رجل من أفاضل أصحابه مثل فقده يهد عسـكراً قتل بين أظهر أعدائه من اليهود فلم يتسبب إلى أذى أعدائـه بذلك إذ لم يوجب ا تعالى له ذلك ولا توصل بـذلك إلـى دمائهم ولا إلى ذم واحد منهم ولا إلى أموالهم بل فـداه مـن عند نفسه بمائة ناقة وهو في تلك الحال محتاج إلـى بعيـر واحد يتقوى به وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك مـن ملـوك الأرض وأهل الدنيا من أصحاب بيوت الأموال بوجـه مـن الوجوه ولا يقتضي هذا أيضاً ظاهر السيرة والسياسة فصـح يقيناً بلا شك أنه إنما كان متبعاً ما أمر به ربه عز وجل كان ذلك مضراً به في دنياه غاية الإضرار أو كان غير مضر به وهذا عجب لمن تدبره ثم حضرته المنية وأيقن بالموت ولـه عم أخو أبيه هو أحب الناس إليه وابن عم هو مـن أخـص الناس به وهو أيضاً زوج ابنته التي لا ولد ه غيرها وله منها ابنان ذكران وكلا الرجلين المذكورين عمه وابن عمه عنـده من الفضل والدين والسياسة في الدنيا والبأس والحلم وخلال الخير ما كان كل واحد منهما حقيقاً بسياسة العالم كله فلـم

يحابيهما وهما من أشد الناس غناء عنه ومحبة فيه وهو مـن أحب الناس فيهما إذ كان غيرهما متقدماً لهما في الفضل وإن كانا بعيد النسب منه بل فوض الأمر إليه قاصداً إلى مر الحق واتباع ما أمر به ولم يورث ورثته ابنته ونساءه وعمه فلسـاً فما فوقه وهم كلهم أحب الناس إليه وأطوعهم له وهذه أمور لمن تأملها كافية مغنية في أنه إنما تصرف بأمر ا تعالى له لا بسياسة ولا بهوى فوضح بما ذكرنا و الحمد كثيـراً أن نبوة محمد صلى ا عليه وسلم حق وأن شريعته التي أتـى بها هي التي وضحت براهينهـا واضـطرت دلائلهـا إلـى تصديقها والقطع على أنها الحق الذي لا حق سواه وأنها دين ا تعالى الذي لا دين له في العالم غيـره والحمـد رب العالمين عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماتـه على ما وفقنا من الملة الإسلامية ثم على ما يسرنا عليه مـن النحلة الجماعية السنية ثم على ما هدانا له من التدين والعمل بظاهر القرآن وبظاهر السنن الثابتة عنه صلى ا عليه وسلم عن باعثه عز وجل ولم يجعلنا ممن يقلد أسلافه وأحباره دون برهان قاطع وحجة قاهرة ولا ممن يتبع الأهـواء المضـلة المخالفة لقوله وقول نبيه صلى ا عليه وسلم ولا ممن يحكم

برأيه وظنه دون هدى من الله ورسوله اللهم كما ابتدأتنا بهذه النعمة الجليلة فأتمها علينا وأصحبنا إياها ولاتخالف بها عنا حتى تقبضنا إليك ونحن متمسكون بها فنلقاك بها غير مبدلين ولا مغيرين اللهم آمين رب العالمين وصل اللهم على محمد عبدك ورسولك وخليلك وخاتم أنبيائك خاصة وعلى أنبيائك عامة وعلى ملائكتك كافة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ذكر فصول يعترض بها جهلة الملحدين على ضعفة المسلمين

قال أبو محمد إنا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا في زماننا هذا ووجدهما قد تفاقم الداء بهما فأما إحداهما فقد جلت المصيبة فيها وبها وهم قوم افتتحوا عنفوان فهمهم وابتداؤا دخولهم إلى المعارف بطلب علم العدد ونزواته وطبائعه ثم تدرجوا إلى تعديل الكواكب وهيئة الأفلاك وكيفية قطع الشمس والقمر والدراري الخمسة وتاقطع فلكي النيرين والكلام في الأجرام العلوية وفي الكواكب الثابتة وانتقالها وإبعاد كل ذلك وإعظامه وفيما دون ذلك من الطبيعيات وعوارض الجو ومطالعة شيء من كتب الأوائل وحدودها

التي نصبت في الكلام وما مازج بعض ما ذكرنا مـن آراء الفلاسفة في القضاء بالنجوم وأنها ناطقة مدبرة وكذلك الفلـك فأشرفت هذه الطائفة من أكثر ما طالعت مما ذكرنـا علـى أشياء صحاح براهينها ضرورية لائحة ولم يكن معها من قوة المننة وجودة القريحة وصفاء النظر ما تعلم به إن من أصاب في عشرة آلاف مسألة مثلاً فجائز أن يخطىء فـي مسـئلة واحدة لعلها أسهل من المسائل التي أصاب فيها فلم تفرق هذه الطائفة بين ما صح مما طلعوه بحجة برهانية وبين ما فـي أثناء ذلك وتضاعيفه مما لم يأت عليه من ذكره من الأوائـل إلابإقناع أو بشغب وربما بتقليد ليس معه شيء مما ذكرنـا فحملوا كل ما أشرفوا عليه محملاً واحداً وقبلوه قبولاً مستوياً فسترى فيهم العجب وتداخلهم الزهو وظنوا أنهم قد حصـلوا على مباينة العالم في ذلك وللشيطان موالج خفيـة ومـداخل لطيفة كما قال رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم فتوصل إليهم من باب غامض نعوذ با منه وهو أنهم كما ذكرنا أصغار من كل شيء مـن علـوم الديانة التي هي الغرض المقصود من كل ذي لب والتي هي نتيجة العلوم التي طالعوا لو عقلوا سبلها ومقاصدها فلم يعبؤا

بآية من كتاب ا تعالى الذي هـو جـامع علـوم الأولـين والآخرين والذي لم يفرط فيه من شيء والذي من فهمه كفاه ولابسنة من سنن رسول ا صلى ا عليه وسلم التي هـي بيان الحق ونور الألباب ولم تلق هذه الطائفة المذكورة مـن حملة الدين إلا أقواماً لا عناية عندهم بشيء مما قدمناه وإنما عنيت من الشريعة بأحد ثلاثة أوجه إما بألفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ولا يهتمون بفهمها وإما بمسـائل مـن الأحكام لا يشتغلون بدلايلها ومنبعثها وإنما حسبهم منها مـا أقاموا به جاههم وحالهم وأما بخرافات منقولـة عـن كـل ضعيف وكذاب وساقط لم يهتبلوا قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ولا مرسل من مسند ولاما نقل عن النبي صلى ا عليه وسلم مما نقل عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه عن أهـل الكتاب فنظرت الطائفة الأولـى مـن هـذه الآخـرة بعـين الاستهجان والاحتقار والاستهجال فتمكن الشيطان منهم وحل فيهم حيث أحب فهلكوا وضلوا واعتقدوا أن دين ا تعالى لا يصح منه شيء ولا يقوم عليه دليل فاعتقدوا أكثروا الإلحـاد والتعطيل وسلك بعضهم طريق الاستخفاف والإهمال وإطراح ثقل الشرائع واستعمال الفرائض والعبادات وآثروا الراحـات

وركوب اللذات من أنواع الفواحش المحرمات من الخمـور والزنا واللواطة والبغاء وترك الصلوات والصـيام والزكـاة والحج والغسل وقصدوا كسب المال كيف تيسر وظلم العبـاد واستعمال الأهزال وترك الجد والتحقيق وتدين الأقل مـنهم بتعظيم الكواكب فأسفت نفس المسلم الناصح لهذه الملة وأهلها على هلاك هؤلاء المساكين وخروجهم عن جملة المـؤمنين بعد أن غذوا بلبان الإسلام ونشؤا في حجور أهله نسـأل ا العصمة من الضلال لنا ولا بنائنا واك إخواننا من المسلمين ونسأله تدارك من زلت قدمه وهوت نقله أنه على كل شـيء قدير وأما الطائفة الثانية فهم قوم ابتدؤا الطلب لحديث النبـي صلى ا عليه وسلم فلم يزيدوا على طلب علو الإسناد وجمع الغرائب دون أن يهتموا بشيء مما كتبوا ويعلموا به وإنمـا تحملوه حملاً لا يزيدون على قراءته دون تدبر معانيه ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به ونه لم يـأت هـملاً ولا قالـه رسول ا صلى ا عليه وسلم عبثاً بل أمرنا بالتفقـه فيـه والعمل به بل أكثر هذه الطائفة لا يعمل عندهم إلا ما جـاء من طريق مقاتل بن سليمان والضحاك بن مـزاحم وتفسـير الكلبي وتلك الطبقة وكتب البذي التي إنمـا هـي خرافـات

موضوعات وأكذوبات مفتعلات ولدها الزنادقة تدليساً علـى الإسلام وأهله فأطلقت هذه الطائفة كل اختلاط لا يصح مـن أن الأرض على حوت والحوت على قرن ثور والثور علـى الصخرة والصخرة على عاتق ملك والملـك علـى الظلمـة والظلمة على ما لا يعلمه إلا ا عز وجل وهذا يوجـب أن جرم العالم غير متناه وهذا هو الكفر بعينـه فنـافرت هـذه الطبقة التي ذكرنا كل برهان ولم يكن عندها أكثر من قولهم نهينا عن الجدال فليت شعري من نهاهم عنه وا عز وجـل يقول في كتابه المنزل على نبيه المرسـل صـلى ا عليـه وسلم.

وجادلهم بالتي هي أحسن.

وأخبر تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا.

يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا.

وقد نص تعالى في غير موضع مـن كتابـه علـى أصول البراهين وقد نبهنا عليها في غير ما موضع من كتابنا هذا وحض تعالى على التفكر في خلق السـموات والأرض ولا يصح الاعتبار في خلقهما إلا بمعرفة هيأتهمـا وانتقـال الكواكب في أفلاكهما واخـتلاف حركاتهـا فـي التغريـب

والتشريق والأفلاك تداويرها وتعارض تلـك الأدوار علـى رتبة واحدة وكذلك معرفة الدوائر والمنطقة والميل والاستواء وكذلك معرفة الطبائع وامتزاج العناصر الأربعة وعوارضها وتركيب أعضاء الحيوان من عصـبه وعضـله وعظامـه وعروقه وشراايينه واتصال أعضائه بعضها بـبعض وقـواه المركبة فمن أشرف على ذلك وعلمـه رأي عظـيم القـدرة وتيقن أن كل ذلك صنعة ظاهرة وإرادة خـالق مختـار لأن اختلاف تلك الحركات يضطر إلى المعرفة بأن شيئاً منهـا لا يقوم بنفسه دون ممسك مدبر لا إله إلا هو ولا خالق سـواه ولا مدبر حاشاه ولا فاعل مخترع إلا هو ثم زاد قوم مـنهم فأتوا بالأفيكة التي تقشعر منها الذوائب وهي إن أطلقـوا أن الدين لا يؤخذ بحجة فأقروا عيون الملحدين وشهدوا أن الدين لا يثبت إلابالدعاوي والغلبة وهذا خلاف قوله عز وجل.

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

وقوله تعالى.

فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان.

هذا قول ا عز وجل وما جاء به نبيـه صـلى ا عليه وسلم وفي ذلك الكفاية والغناء عن قول كل قائل بعـده

وقد حاج ابن عباس الخوارج وما علمنا أحداً من الصـحابة رضي ا عنهم نهى عن الاحتجاج فلا معنى لرأي من جاء بعدهم فكان كلام هذه الطائفة مغرياً للطائفة الأولى بكفرهـا ومغبطاً لهم لشركهم إذ لم يروا في خصومهم في الأغلب إلا من هذه صفته ثم زادت هذه الطائفة الثانية غلواً في الجنـون فعابوا كتبنا لا علم لهم بها ولا طالعوها ولا رأوا منها كلمـة ولا قرؤها ولا أخبرهم عنما فيها ثقة كالكتب التي فيها هيئـة الأفلاك ومجاري النجوم والكتب التي جمعها أرسـطاطاليس في حدود الكلام قال أبو محمد وهذه الكتب كلها كتب سـالمة مفيدة دالة على توحيد ا عز وجل وقدرته عظيمة المنفعـة في انتقاد جميع العلوم وعظم منفعة الكتب التي ذكرنـا فـي الحدود ففي مسائل الأحكام الشـرعية بهـا يتعـرف كيـف التوصل إلى الاستنباط وكيف تؤخذ الألفاظ علـى مقتضـاها وكيف يعرف الخاص من العام والمجمل من المفسر وبنـاء الألفاظ بعضها على بعض وكيف تقديم المقـدمات وإنتـاج النتائج وما يصح من ذلك صحة ضرورية أبداً وما يصـح مرة وما يبطل أخرى وما لا يصح البتة وضرب الحدود التي من شذ عنها كان خارجاً عن أصله ودليل الخطاب قال أبـو

محمد فلما رأينا عظيم المحنة فيما تولد في الطائفتين اللتـين ذكرنا رأينا من عظيم الأجر وأفضل العمل بيان هذا البـاب المشكل بحول ا تعالى وقدرته وتأييده فنقول وبه عز وجل نتأيد ونستعين إن كل ما صح ببرهان أي شيء كان فهو في القرآن وكلام النبي صلى ا عليه وسلم منصوص مسـطور يعلمه كل من أحكم النظر وأيده ا تعالى بفهم وأما كل مـا عدا ذلك مما لا يصح ببرهان وإنما هـو إقنـاع أو شـغب فالقرآن وكلام النبي صلى ا عليه وسلم منه خاليان والحمد رب العالمين قال أبو محمد ومعاذ ا أن يأتي كـلام ا سبحانه وتعالى وكلام نبيه صلى ا عليه وسلم بمـا يبطلـه عيان أو برهان إنما ينسب هذا إلى القرآن والسـنة مـن لا يؤمن بهما ويسعى في إبطالهما.

ويأبى ا إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

ولسنا من تفسير الكلب الكذاب ومن جرى مجراه في شيء ولا نحن من نقل المتهمين في شأن إنما نحتج بما نقلـه الأئمة الثقاة الأثبات من رؤساء المحدثين مسنداً فمـن فـتش الحديث الصحيح وجد فيه كل ما قلنا والحمد رب العالمين وإنما الباطل ما ادعته الطائفة الأولى مـن نطـق الكواكـب

وتدبيرها وهذا كفر لا حجة عندهم على ما قالوه منه أكثر من أن المحتج لهم قال لما كنا نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل منا وهذا الذي ذكروه ليس بشيء لأن الكواكـب وإن كان لها تأثير في العالم ظاهر فليس تأثيرها تأثير مالـك واختيار يدل على ذلك ما قد ذكرناه في كتابنا هذا من الدلائل على أن الكواكب مضطرة لا مختارة وإنما تأثيرهـا كتـأثير النار بالإحراق والماء بالتبريد والسم بإفساد المزاج والطعـام بالتغذية والفلفل بحذو اللسان والإهليلج بالقبض للفم وما جرى هكذا من سائر ما في العالم وكل ذلك غير ناطق والكواكـب والأفلاك جارية هذا المجرى لأن تأثيرهـا تـأثير واحـد لا يختلف وحركتها حركة واحدة لا تختلف وليس كذلك المختارة ولقد قال لي بعضهم وقد عارضته بهذا أن المختار الفاضـل يلزم أفضل الحركات فلا يتعداها وتلك الحركة الدورية هـي أفضل الحركات فقلت له وما دليلك على أن تلـك الحركـة أفضل الحركات ومن أين صارت الحركة من شـرق إلـى غرب أو من غرب إلى شرق أفضل من الحركة من جنـوب إلى شمال أو من شمال إلى جنوب وكيف يكون عندكم أفضل الحركات والأفلاك الثمانية تنتقل من غرب إلى شرق والتاسع

من شرق إلى غرب فأي هاتين الحركتين قلتم أنهـا أفضـل عندكم وقد اختار الآخر الحركة التي ليست أفضـل فظهـر فساد هذا القول بيقين وهذه دعاوي مجردة بلا برهـان ومـا كان هكذا فقد سقط ولا فرق بينك وبين من قال بل الحركـة علو أفضل أو على خط مستقيم سائرة وراجعة ونحن نجـد تلك الأجرام تسفل في بعض ممراتها وتشرف فـي بعـض وتسقط في بعض على قولكم وتوافق بزعمكم بروح نحـس مظلمة وأخرى نيرة سعيدة وبعض الأفلاك يقطع من غـرب إلى شرق وهو حركة جميعها إلا الأعلى فإنه يتحـرك مـن شرق إلى غرب فليست هذه أفضل الحركات فبطل قـولهم والحمد رب العالمين قال أبو محمد وكذلك مـاذكره مـن ذكر ذلك منهم من الكرور عند انتهاء آلاف مـن الأعـوام ذكروها وانتصاب الكواكب الثابتة على نصبٍ ما من قطعها لفلكها فهذا أيضاً كذب مجرد ودعوى ساقطة لا دليل عليهـا ولا يعجز عن مثلها أحد ولم يأتوا على شيءٍ من ذلك بشغب ولا بإقناع فكيف ببرهان وإنما هو تقليـد لـبعض قـدماء الصابئين فمثل هذه الحماقات والخرافات هي الـذي دفعتـه الشريعة الإسلامية وأبطلته وأما ما قامت عليه البراهين فهو

في القرآن والسنة موجود نصاً واستدلالاً ضرورياً والحمد رب العالمين .

مطلب بيان كروية الأرض

قال أبو محمد وهذا حين نأخذ إن شاء ا تعالى فـي ذكر بعض ما اعترضوا به وذلك أنهم قالوا إن البراهين قـد صحت بأن الأرض كروية والعامة تقول غير ذلك وجوابنـا وبا تعالى التوفيق إن أحداً من أئمة المسـلمين المسـتحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي ا عنهم لم ينكروا تكوير الأرض ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة بل البراهين من القـرآن والسنة قد جاءت بتكويرها قال ا عز وجل.

يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل.

وهذا أوضح بيان في تكوير بعضـها علـى بعـض مأخذو من كور العمامة وهو إدارتها وهذا نص على تكـوير الأرض ودوران الشمس كذلك وهي التي منها يكون ضـوء النهار بإشراقها وظلمة الليل بمغيبها وهي آية النهار بـنص القرآن قال تعالى.

وجعلنا آية النهار مبصرة.

فيقال لمن أنكر ما جهل من ذلك من العامة أليس إنما افترض ا عز وجل علينا أن نصـلي الظهـر إذا زالـت الشمس فلابد من نعم فيسألون عن معنى زوال الشمس فلابد من أنه إنما هو انتقال الشمس عن مقابلة من قابـل بوجهـه القرص واستقبل بوجهه وأنفه وسط المسافة التي بين موضع طلوع الشمس وبين موضع غروبها في كل زمان وكل مكان وأخذها إلى جهة حاجبه الذي يلي موضع غـروب الشـمس وذلك إنما هو في أول النصف الثاني من النهار وقد علمنا أن المداين من معمور الأرض آخذة على أديمها من مشرق إلى مغرب ومن جنوب إلى شمال فيلـزم مـن قـال إن الأرض منتصبة الأعلى على غير مكورة أن كل من كان ساكناً فـي أول المشرق أن يصلي الظهر في أول النهار ضرورة ولابد إثر صلاة الصبح بيسير لأن الشمس بلا شـك تـزول عـن مقابلة ما بين حاجبي كل واحد منهم في أول النهار ضرورة ولابد أن كان امر على ما تقولون ولا يحل لمسلم أن يقول إن صلاة الظهر تجوز أن تصلى قبل نصف النهـار ويلـزمهم أيضاً أن من كان ساكناً في آخر المغرب إن الشمس لا تزول عن مقابلة ما بين حاجبي كل واحد منهم إلا في آخر النهـار

فلا يصلون الظهر إلا في وقت لا يتسع لصلاة العصر حتى تغرب الشمس وهذا خارج عن حكم دين الإسلام وأما من قال بتكويرها فإن كل من ظهر الأرض لا يصلي الظهر إلا إثـر انتصاف نهاره أبداً على كل حال وفي كل زمان وفـي كـل مكان وهذا بين لا خفاء بل وقال عز وجل.

سبع سموات طباقاً.

وقال تعالى.

ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق.

وهكذا قام البرهان من قبل كسوف الشمس والقمـر بعض الدراري لبعض على أنها سبع سموات وعلـى أنهـا طرائق وقوله تعالى طرائق يقتضي متطرقاً فيه وقال تعالى.

وسع كرسيه السموات والأرض.

وهذا نص ما قام عليه البرهان من انطباق بعضـها على بعض وإحاطة الكرسي بالسموات السبع وبالأرض وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم فاسألوا ا الفردوس الأعلى فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن وقال تعالى.

الرحمن على العرش استوى.

وأخبر هذان النصان بأن ما على العرش هو منتهـى الخلق ونهاية العالم وقال تعالى.

إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كـل شيطان مارد.

وهذا هو نص ما قام البرهان عليه من أن الكواكـب المرمي بها هي دون سماء الدنيا لأنها لو كانت في السـماء لكان الشياطين يصلون إلى السماء أو كانت هي تخرج عـن السماء وإلا فكانت تلك الشهب لا تصل إليهم إلا بذلك وقـد صح أنهم ممنوعون من السماء بالرجوم فصح أن الرجـوم دون السماء وأيضاً فإن تلك الرجوم ليست نجوماً معروفـة أصلاً وإنما هي شهب ونيازك من نـار تتكوكـب وتشـتعل وتطفأ ولا نار في السموات أصلاً فلم نجد الاختلاف إلا فـي الأسماء لاختلاف اللغات وقد اعترض القاضي منذر بن سعيد في هذا فجعل الأفلاك غير السموات قـال أبـو محمـد ولا برهان على ما ذكر إلا أنه قـال إن السـموات هـي فـوق الأرض وهذا ليس بشيء لأن التحـت والفـوق مـن بـاب الإضافة لا يقال في شيء تحت إلا وهو فوق لشـيء آخـر

حاشى مركز الأرض فإنه تحت مطلق لا تحـت لـه البتـة وكذلك كل ما قيل فيه أنه فوق فهو أيضاً تحت لشيء آخـر حاشى الصفحة العليا من الفلك إلا علـى المقسـوم بقسـمة البروج فهي فوق لا فوق لها البتة فالأرض على هذا البرهان الشاهد هي مكان التحت للسموات ضرورة فمن حيث كانـت السماء فهي فوق الأرض ومن حيث قابلتهـا الأرض فهـي تحت السماء ولابد وحيث ما كان ابن آدم فرأسه إلى السماء ورجلاه إلى الأرض وقد قال ا عز وجل.

ألم يروا كيف خلق ا سبع سموات طباقـاً وجعـل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً.

وقال تعالى.

جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سـراجاً وقمـراً منيراً.

فأخبر ا تعالى إخباراً لا يرده إلا كافر بأن القمـر في السماء وأن الشمس أيضاً في السماء ثم قد قام البرهـان الضروري المشاهد بالعيان على دورانها حول الأرض مـن مشرق إلى مغرب ثم من مغرب إلى مشرق فلو كان على ما يظن أهل الجهل لكانت الشمس والقمـر إذا دارا بـالأرض

وصارا فيما يقابل صفحة الأرض التي لسنا عليها قد خرجا عن السماء وهذا تكذيب   تعالى فصح بهذا أنه لا يجوز أن يفارق الشمس والقمر السموات ولا أن يخرجا عنها لأنهما كيف دارا فهما في السموات فصح ضرورة أن السموات مطابقة طباقاً على الأرض وأيضاً فقد نص تعالى كما ذكرنا على أن الشمس والقمر والنجوم في السموات ثم قال تعالى.

وكلٌ في فلك يسبحون.

وبالضرورة علمنا أنه لا يمكن أن يكون جرم في وقت واحد في مكانين فلو كانت السموات غير الأفلاك وكانت الشمس والقمر بنص القرآن في السموات وفي الفلك لكانا في مكانين في وقت غير متداخلين واحد وهذا محال ممتنع ولا ينسب القول بالمحال إلى ا عز وجل إلا أعمى القلب فصح أن الشمس في مكان واحد وهو سماء وهو فلك وهكذا القول في القمر وفي النجوم وقوله تعالى وكلٌ في فلك يسبحون نص جلي على الاستدارة لأنه أخبر تعالى أن الشمس والقمر والنجوم سابحة في الفلك ولم يخبر تعالى أن لها سكوناً فلو لم تستدر لكانت على أباد الدهور بل في الأيام اليسيرة تغيب عنا حتى لا نراها أبداً لو مشت على طريق

واحد وخط واحد مستقيم أو معوج غير مستدير لكنا أمامهـا أبداً وهذا باطل فصح بما نراه من كرورها من شـرق إلـى غرب وغرب إلى شرق أنها دائرة ضـرورة وكـذلك قـال رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ سئل عن قول ا تعالى.

والشمس تجري لمستقرٍ لها.

فقال عليه السلام مستقرها تحت العـرش وصـدق صلى ا عليه وسلم لأنها أبداً تحت العرش إلى يوم القيامـة وقد علمنا أن مستقر الشيء هو موضعه الذي يلزم فيـه ولا يخرج عنه وإن مشى فيه من جانب إلى جانب حدثنا أحمد بن عمر بن أنس العذري ثنا عبد ا ابن أحمد الهـروي حـدثنا عبد ا بن أحمد بن حمويه السرخسي حدثنا إبـراهيم بـن خزيم ثنا عبد بن حميد حدثني سليمان بن حرب الواسحي ثنا حماد بن سلمة عن اياسي بن معاوية المزني قـال السـماء مقببة هكذا على الأرض وبه إلى عبد بن حميد حدثني يحيى بن عبد الحميد عن يعقوب عن جعفر هو ابن أبي وحشية عن سعيد بن جبير قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال أرأيت قول ا عز وجل.

سبع سموات ومن الأرض مثلهن.

قال ابن عباس هن ملتويات بعضهن علـى بعـض

حدثنا عبد ا بن ربيع التميمي ثنا محمد بن معاوية القرشي حدثنا أبو يحيى زكريا ابن يحيى الساجي البصري قال أنبأنا عبد الأعلى ومحمد بن المثنى وسلمة بن شبيب قالوا كلهم ثنا وهب بن جرير بن حازم قال سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال جاء أعرابي إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال يا رسول ا جهدت الأنفس وضاع العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق ا لنا فذكر الحديث بطولـه وفيه أنه صلى ا عليه وسلم قال للأعرابي ويحك تدري ما ا إن عرشه على سمواته وأرضه هكذا وقال بأصابعه مثل القبة ووصف لهم ابن جرير بيده وأمال كفه وأصابعه اليمنى وقال هكذا حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ثنا أحمد بن عـون ا وأحمد بن عبد البصير قالا جميعاً أنبأنا قاسم بن اصبع ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن بشار بنـدار ثنـا عبد الصمد بن عبد الوارث التنوري ثنا شعبة عن الأعمـش هو سليمان بن مسلم البطين عن سعيد بن جبيـر عـن ابـن

عباس قال كل في فلك يسبحون فلك كفلك المغزل قـال أبـو محمد وذكروا أيضاً قول ا عز وجل عن ذي القرنين.

وجدها تغرب في عين حمئة وقريء.

أيضاً حامية قال أبو محمد وهذا هو الحق بلا شـك وذو القرنين كان في العين الحمئة الحامية حمئة من حماتهـا حامية من استحرارها كما تقول رأيتك في البحر تريد أنك إذ رأيته كنت أنت في البحر وبرهان هذا أن مغرب الشـمس لا يجهل مقدار عظيم مساحته إلا جاهل ومقدار مـا بـين أول مغربها الشتوي إذا كانت من آخر رأس الجدي إلـى آخـر مغربها الصيفي إذا كانت من رأس السرطان مرئي مشـاهد ومقداره ثمان وأربعون درجة من الفلك وهو يـوازي مـن الأرض كلها بالبرهان الهندسي أقل من مقدار السدس يكـون من الأميال نحو ثلاثة آلاف ميل ونيف وهذه المساحة لا يقع عليها في اللغة اسم عين البتة لاسيما أن تكون عينـاً حمئـة حامية وباللغة العربية خوطبنا فلم تيقنا أنها عين بإخبـار ا عز وجل الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه علمنا يقيناً أن ذا القرنين انتهى به السير في الجهة التي مشى فيها من المغارب إلى العين المذكورة وانقطع له إمكان

المشي بعدها لاعتراض البحار هنالك وقد علمنا بالضـرورة أن ذا القرنين وغيره من الناس ليس يشغل مـن الأرض إلا مقدار مساحة جسمه فقط قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً ومـن هذه صفته فلا يجوز أن يحيط بصره مـن الأرض بمقـدار مكان المغارب كلها لو كان مغيبها في عين من الأرض كما يظن أهل الجهل ولابد من أن يلقى خط بصره مـن حدبـة الأرض أو من نشز من أنشازها ما يمنع الخط من التمـادي إلى أن يقول قائل إن تلك العين هي البحـر فـلا يجـوز أن يسمى البحر في اللغة عيناً حمئة ولا حامية وقد أخبر ا عز وجل أن الشمس تسبح في الفلك وأنها إنما هي مـن الفلـك سراج وقول ا تعالى هو الصدق الذي لا يجوز أن يختلـف ولا يتناقض فلو غابت في عين في الأرض كما يظـن أهـل الجهل أو في البحر لكانت الشمس قد زالـت عـن السـماء وخرجت عن الفلك وهذا هو الباطل المخالف لكلام ا عـز وجل حقاً نعوذ من ذلك فصح يقيناً بلا شك أن ذا القرنين كان هو في العين الحمئة الحامية حين انتهى إلى آخر البـر فـي المغارب وبا التوفيق لاسيما مع ما قام البرهان عليه من أن

جرم الشمس أكبر من جرم الأرض وبا تعـالى التوفيـق

وبرهان آخر قاطع وهو قول النصارى.

وجدها تغرب في عين حامية.

وقري حمئة.

ووجدها عندها قوماً.

فصح ضرورة أنه وجد القوم عنـد العـين لا عنـد الشمس وقال ا عز وجل.

جنة عرضها السموات والأرض.

وقد صح الإجماع والنص علـى أن أرواح الأنبيـاء صلوات ا عليهم في الجنة إلا في قول من لا يعد من جملة أهل الإسلام ممن يقول بفناء الأرواح وأنها أعراض وكـذلك أرواح الشهداء في الجنة وأخبر رسول ا صـلى ا عليـه وسلم أنه رآهم ليلة أسري به في السموات سماء سـماء آدم في سماء الدنيا وعيسى ويحيى في الثانية ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى وإبـراهيم في السادسة والسابعة صلى ا على جميعهم وسـلم فصـح ضرورة أن السموات هي الجنات وقد قال عليه السـلام أن

أرواح الشهداء طير أخضر تعلق في ثمار الجنة ومن المحال الممتنع الذي لا يظنه مسلم أن تكون أرواح الشهداء طيـور خضر وأرواح الأنبياء في غير الجنة إذ هم أولى بكل فضل ولا مكان فضل من الجنة حدثنا أحمد بن عمـر بـن أنـس العذري حدثنا أبو ذر الهروي أنا أحمد بن عبـدان الحـافظ النيسابوري بالأهواز أنا محمد بن سهل المقري حدثنا محمـد بن إسماعيل البخاري مؤلف الصحيح أنا أبو عاصم النبيل أنا عبد ا بن أمية بن عبد ا بن خالد بن أسيد أنا محمد بـن جبير عن صفوان بن يعلى عن أبيه عن النبي صلى ا عليه وسلم قال البحر من جهنم أحاط به سرادقها حدثنا يونس بـن عبد ا بن مغيث أنا أحمد بن عبد ا بن عبد الرحيم حـدثنا أحمد بن خالد أنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمـد ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن عثمان بن غيـاث عن عكرمة مولي بن عباس عن ابن عباس عن كعب قـال والبحر المسجور يسجر فيكون جهنم حدثنا عبد ا بن ربيع التميمي أنا عبد ا بن محمد بن عثمان الأسدي أنا أحمد بن خالد حدثنا علي بن عبد العزيز أنا الحجـاج بـن المنهـال السلمي أنا مهدي بن ميمون عن محمد بن عبد ا ابن أبـي

يعقوب الضبي عن بشر هو ابن سعاف قال كنا مع عبـد ا بن سلام يوم الجمعة في المسجد فقال وإن الجنة في السـماء والنار في الأرض وذكر كلاماً كثيراً وبه إلى الحجـاج بـن المنهال حدثنا حماد بن سلمة عن داد عن سعيد بن المسـيب أن علي بن أبي طالب قال ليهودي أين جهنم قال في البحـر قال علي بن أبي طالب ما أظنه إلا قد صدق حدثنا المهلـب الأسدي حدثنا ابن مياس حدثنا بن مسرور حدثنا يونس بـن عبد الأعلى حدثنا عبد ا ابن وهب عن شبيب بن سعيد عن المنهال عن شقيق بن سلمة عن بن سمعود قال الأرض كلها يومئذ نار والجنة من ورائها وأولياء ا في ظل عـرش ا تعالى قال أبو محمد وقال ا تعالى.

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سـابق النهار.

فبين تعالى أن الشمس أبطأ من القمر وهكـذا قـام البرهان بالرصد أن الشمس تقطع السماء في سـنة والقمـر يقطعها في ثمانية وعشرين يوماً ثم نص تعالى على أن الليل لا يسبق النهار فبين تعالى بهذا حكم الحركة الثانية التي للفلك

الكلي وهي التي تتم في كل يوم وليلة دورة وتتساوى فيهـا جميع الدراري والشمس والقمر والنجوم وقال تعالى.

فضرب بينهم بسور له باب باطنـه فيـه الرحمـة وظاهره من قبله العذاب.

وأخبر تعالى أن أرواح الكافرين لا تفتح لهم أبـواب السماء ولا يدخلون الجنة فصح أن من فتحـت لـه أبـواب السماء دخل الجنة وأخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أن شدة الحر من فيح جهنم وأن لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف وإن ذلك أشد ما نجد من الحر والبرد وإن نارنا هذه أبرد من نار جهنم بتسع وستين درجة وهكذا نشاهد من فعل الصواعق فإنها تبلغ من الإحراق والأذى فـي مقـدار اللمحة ما لا تبلغه نارنا في المدد الطوال وقـال رسـول ا صلى ا عليه وسلم إن آخر أهل الجنة دخـولاً فيمـا بعـد خروجه من النار يعطى مثل الدنيا عشر مرات رويناه مـن طريق أبي سعيد الخدري مسنداً وصح أيضـاً مسـنداً عـن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن الدنيا في الآخرة كاصـبع في اليم قال أبو محمد وهذا إنما هو في نسبة المسافة لا فـي نسبة المدة لأن مدة الآخرة لا نهاية لها وما لا نهاية له فـلا

ينسب منه شيء البتة بوجه من الأوجه ولا هو أيضاً نسـبة من السرور واللذة ولا من الحزن والبلاء فإن سرور الـدنيا مشوب بألم ومتناه وحزنها متناه مـنقض وسـرور الآخـرة وحزنها خالصان غير متناهيين وهكذا قام البرهان من قبـل رويتنا لنصب السماء أبداً على أنه لا نسـبة لـلأرض عنـد السماء ولا قدر وقال عز وجل.

جنة عرضها السموات والأرض.

وقال تعالى.

وجني الجنتين دان.

وذكر رسول ا صلى ا عليه وسلم أن للجنة ثمانية أبواب وقال عليه السلام فاسألوا ا الفردوس الأعلـى فإنـه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الـرحمن فصـح يقيناً أنهما جنتـان إحـداهما عـرض السـموات والأرض والأخرى عرضها كعرض السماء والأرض وقوله تعالى.

وةلمن خاف مقام ربه جنتان.

إنما هو خبر عن الجميع أن لهم هاتين الجنتين فالتي عرضها السموات والأرض هي السموات السبع لأن عرض

الشيء منه بلا شك وكل جرم كرسي فـإن جميـع إبعـاده عروض فقط وذكرت الأرض هنا لدخولها في جملة مسـاحة السموات ولإحاطة السموات بها والتي عرضـها كعـرض السماء والأرض هي الكرسي المحيط بالسـموات والأرض قال ا تعالى.

وسع كرسيه السموات والأض.

فصح أن عرضه كعرض السموات والأرض مضافاً بعض ذلك إلى بعض فصح أن لها ثمانية أبواب في كل سماء باب وفي الكرسي باب وصح أن العرش فوق أعـلا الجنـة وهو محل الملائكة وموضعها ليس من الجنة في شيء بل هو فوقها وكذلك قوله تعالى.

الذين يحملون العرش ومن حوله.

بيان جلي بأن على العرش جرماً آخر فيه الملائكـة وقد ذكر أن البرهان يقوم بذلك من أحكم النظر فـي الهيئـة وهذه نصوص ظاهرة جلية دون تكلف تأويل قال أبو محمـد وقوله تعالى كعرض السماء ذكر لجنس الموات لأن السموات اسم للجنس يدل عليه قوله تعالى.

وسع كرسيه السموات والأرض.

قال أبو محمد ومثل هذا كثير مما إذا تدبره المتـدبر دل على صحة ما قلناه من أن كل ما ثبـت ببرهـان فهـو منصوص في القرآن وكلام النبي صلى ا عليه وسلم .

مطلب بيان كذب من ادعى المدة الدنيا

عدداً معلوماً قال أبو محمد وأما اختلاف الناس فـي التاريخ فإن اليهود يقولون للدنيا أربعـة آلاف سـنة ونيـف والنصارى يقولون للدنيا مسة آلاف سنة وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا وأما من ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب وقال ما لم يأت قط عن رسول ا صلى ا عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليـه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا أمراً لا يعلمـه إلا ا عز وجل قال ا تعالى.

ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم.

وقول رسول ا صلى ا عليه وسلم ما أنـتم فـي الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض هذا عنه عليه السلام ثابت وهـو

عليه السلام لا يقول إلا عين الحق ولا يسامح بشـيء مـن الباطل وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقـدار أعـداد أهـل الإسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض وأنه الأكثر علم أن للدنيا عدداً لا يحصيه إلا ا الخالق تعالى وكذلك قولـه صلى ا عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن السـاعة لا يعلم متى تكون إلا ا عز وجل لا أحد سواه فصح أنه عليه السلام إنما عني شدة القرب لا فضل طول الوسـطى علـى السبابة إذ لو أراد فضل ذلك لأخذت نسبة ما بين الاصـبعين ونسب ذلك من طول الوسطى فكان لا يعلم بذلك متى تقـوم الساعة وهذا باطل وأيضاً فكان تكون نسبته عليه السلام إيانا إلى من قبلنا بأنه كالشعرة في الثور كذباً ومعاذ ا من ذلـك فصح أنه عليه السلام إنما أراد شدة القرب وله عليه السلام مذ بعث أربعمائة عام ونيف وا أعلم بمقدار ما بقـي مـن عمر الدنيا فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف لقلته وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى فهذا الذي قالـه عليـه السلام من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقمة فـي ذراع الحمار قال أبو محمد وقد رأيت بخط الأمير أبي محمد

عبد ا بن عبد الرحمن بن الناصري رحمه ا قال حـدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بداله اثنان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمائة ألف سنة قال أبو محمد إلا أن لكل ذلك أولاً ومبدأ ولا بد من نهاية لم يكن شيء من العالم موجوداً قبلهـا و الأمر من قبل ومن بعد ومما اعترض به بعضهم إن قال أنتم تقولون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ويلبسـون ويطـأون النساء وإن هنالك جواري أبكاراً خلقن لهم وذلك المكـان لا فساد فيه ولا استحالة ولا مزاج وهذه أشياء كـوائن فواسـد فكيف الأمر قال أبو محمد إن ها هنا ثلاثة أجوبـة أحـدها برهان ضروري سمعي والثاني برهان نظري مشاهد والثالث إقناعي خارج على أصول المعارض لنا فالأول وهو الـذي يعتمد عليه وهو أن البرهان الضروري قد قدمناه على أن ا عز وجل خلق الأشياء وابتدعها مخترعاً لها لا من شيء ولا على أصل متقدم وإذ لا شك في هذا فليس شيء متـوهم أو مسئول يتعذر من قدرة الخالق عز وجل إذ كل ما شاء كونه كونه ولا فرق بين خلقه عز وجل كل ذلك في هـذه الـدار وبين خلقه كذلك في الدار الآخرة وقـد أخبرنـا رسـول ا

صلى ا عليه وسلم الذي قامت البراهين الضرورية على أن ا عز وجل بعثه إلينا ووسطه للتبليغ عنه وعلى صدقه فمما أخبر به أن الأكل والشرب واللباس والوطيء هنا لك وكـان هذا الخبر الذي اخبرنا به الصادق عليه السلام داخلاً في حد الممن لا في الممتنع ثم لما أخبرنا ا تعالى به على لسـان رسوله صلى ا عليه وسلم صح علمنا به ضرورة فبان أنه في حد الواجب وأما الجواب الثاني فهو أن ا عـز وجـل خلق أنفسنا ورتب جواهرها وطباعها الذاتية رتبة لا تستحيل البتة على التذاذ المطـاعم والمشـارب والـروائح الطيبـة والمناظر الحسنة والأصوات المطربة والملابـس المعجبـة على حسب موافقة كل ذلك لجوهر أنفسنا هذا ما لا مدفع فيه ولا شك في أن النفوس هي الملتـذة بكـل مـا ذكرنـا وأن الحواس الجسدية هي المنافذ الموصلة لهذه الملاذ إلى النفوس وكذلك المكاره كلها وأما الجسد فلا حس له البتة فهذه طبيعة جوهر أنفسنا التي لا سبيل إلى وجودها دونها إذا جمـع ا يوم القيامة بين أنفسنا وبين الأجساد المركبة لها وعادت كما كانت جوزيت هنالك ونعمت بملاذها وبما تستدعيه طباعهـا التي لم توجد قط إلا كذلك ولا لها لذة سواها إلا أن الطعـام

الذي هنالك غير معانى بنار ولا ذو آفات ولا مستحيل قـذراً ودماً ولا ذبح هنالك ولا آلام ولا تغير ولا موت ولا فسـاد وقد قال ا تعالى.

لا يصدعون عنها ولا ينزفون.

وتلك الملابس غير محوكـة بنسـج ولا فانيـة ولا متغيرة ولا تقبل البلاء وتلك الأجساد لا كدر فيها ولا خلـط ولا دم ولا أذى وتلك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا حسد ولا حرص قال ا تعالى.

ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً.

وأخبر رسـول ا صـلى ا عليـه وسـلم عـن المخرجين من النار أنهم يطرحون في نهر على باب الجنـة فإذا نقوا وهذبوا هذا نص لفظ رسول ا صـلى ا عليـه وسلم ثم بعد التنقية أخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أنهم حينئذ يصيرون إلى الجنة فصح أن الملاذ من هذه الأشـياء والمتناولات تصل إلى النفوس هنالك على حسـب اخـتلاف وجود النفس لها وتغاير أنواع التذاذها بها وأوقعـت عليهـا الأسماء لإفهامنا المعنى المراد وقد روينا عن ابن عباس مـا حدثناه يحيى ابن عبد الرحمن بن مسعود حدثنا قاسـم بـن

اصبغ حدثنا إبراهيم بن عبد ا العبسي حـدثنا وكيـع بـن الجراح أنبأنا الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس أنه قال ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء وهذا سند في غايـة الصحة وهو أول حديث في قطعة وكعي المشهورة قال أبـو محمد وأما الوطىء فهو هنالك كما عندنا ههنا لأنه ليس فيـه مؤنة ولا استحالة وإنما هو التذاذ النفس بمداخلة بعض الجسد المضاف إليها لجسد آخر فقط وأما الجواب الثالث الإقنـاعي وهو موافق لأصولهم ولسنا نعتمد عليه فهو قدماء الهند قـد ذكروا في كلامهم في الأفلاك والبروج ووجوه المطالع أنـه يطلع مع كل وجه من وجوه البروج صور وصفوها وذكروا أنه ليس في العالم الأدنى صورة إلا وهي في العالم الأعـلا قال أبو محمد وهذا إيجاب منهم أن هنالك ملابس ومشـارب ومطاعم ووطئاً وأنهاراً وأشجار وغير ذلك قال أبـو محمـد وعارضني يوماً نصراني كان قاضياً على نصارى قرطبـة في هذا وكان يتكرر على مجلسي فقلت له أوليس فيما عندكم في الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه ليلـة أكـل معهم الفصح وفيها أخذ بزعمهم وقد سقاهم كأساً من خمـر وقال إني لا أشربها معكم أبداً حتـى تشـربوها معـي فـي

الملكوت عن يمين ا تعالى وقال في قصة الفقير المسـمى العاذار الذي كان مطرحاً على باب الغني تلحـس الكـلاب جراح قروحه وأن ذلك الغني نظر إليه في الجنة متكئاً فـي حجر إبراهيم عليه السلام فناداه الغني وهو في النار يا أبـي يا إبراهيم ابعث إلى العاذار بشيء من ماء يبل بـه لسـاني وهذا نص على أن في الجنة شراباً من ماء وخمـر فسـكت النصراني وانقطع وأما التوراة التي بأيدي اليهود فليس ذكـر لنعيم الآخرة أصلاً ولا لجزاء بعد الموت البتة قال أبو محمد وكذك الجواب في أكل أهل النار وشربهم سواء بسواء كمـا ذكرنا وبا تعالى التوفيق قال أبو محمد والأرض أيضاً سبع طباق منطبقة بعضها على بعض كإطباق السموات لإخبـار خالقنا بذلك وليس ذلك قبل الخبر في حد الممتنع بل في حـد الممكن وذكر قوم قول ا تعالى.

يوم تبدل الأرض غير الأرض والمسوات.

فقلنا قول ا هذا حقاً وقد قال عز وجل.

وفتحت السماء فكانت أبواباً.

وقال عز وجل.

يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن.

وقال تعالى.

وحملت الأرض والجبال فدكتا دكةً واحـدة فيومئـذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها.

وقال تعالى.

إذا السماء انشقت.

وقال تعالى.

وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلـت وأذنـت لربها وحقت.

وقال تعالى.

إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت.

وقال تعالى.

إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبـال سيرت.

وقال تعالى.

إن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما.

وقال تعالى.

كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين.

وقال تعالى وذكر أهل الجنة.

خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شـاء ربك عطاء غير مجذوذ.

فكل كلامه تعالى حق لا يجوز الاقتصار على بعضه دون بعض فصح يقيناً أن تبديل السموات والأرض إنما هـو تبديل أحوالها لا إعدامها لكن إخلاؤها من الشـمس والقمـر والكواكب والنجوم وتفتيحها أبواباً وكونها كالمهل وتشـققها ووهيها وانفطارها وتدكدك الأرض والجبال وكونها كـالعهن المنفوش وتسييرها وتسجير البحار فقط وبهذا تتألف الآيـات كلها ولا يجوز عن هذا أصلاً ومن اقتصر على آية التبـديل كذب كل ما ذكرنا وهذا كفر ممن فعله ومن جمعها كلها فقد آمن بجميعها وصدق ا تعالى في كل ما قال وهذا يوجب ما قلنا ضرورة وبا تعالى التوفيق قال أبو محمد قـد أكملنـا

والحمد كثيراً الكلام على الملل المخالفة لدين الإسلام الذي هو دين ا تعالى على عباده الذي لا دين لـه فـي الأرض غيره إلى يوم القيامة وأوضحنا بعـون ا تعـالى وتأييـده البراهين الضرورية على إثبات الأشياء ووجودها ثـم علـى حدوثها كلها جواهرها وأعراضها بعد إن لم تكن ثم على أن لها محدثاً واحداً مختاراً لم يزل وحده لا شيء معه وأنه فعل لا لعلة وترك لا لعلة بل كما شاء لا إله إلا هو ثم على صحة النبوات ثم على صحة نبوة محمد بن عبد ا بن عبد المطلب صلى ا عليه وسلم وأن ملته هي الحق وكل ملـة سـواها باطل وأنه آخر الأنبياء وملته آخر الملل فلنبدأ الآن بعون ا تعالى وتأييده في ذكر نحل المسلمين وافتراقهم فيهـا وبيـان الحق في كل وبا نستعين بسم ا الرحمن الرحيم قال الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم رضي ا عنه إذ قد أكملنا بعون ا الكلام في الملل فلنبدأ بحول ا عز وجل في ذكر نحل أهل الإسلام وافتراقهم فيها وإيراد ما شغب به من شغب منهم فيما غلط فيه من نحلته وإيراد البراهين الضرورية على إيضاح نحلة الحق من تلك النحل كما فعلنا في الملل والحمد رب العالمين كثيراً ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم

قال أبو محمد فرق المقرين بملة الإسلام خمسة وهـم أهـل السنة والمعتزلة والمرجئية والشيعة والخوارج ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق وأكثر افتراق أهل السنة فـي الفتيـا ونبذ يسيرة من الاعتقادات سننبه عليها إن شاء ا تعالى ثم سائر الفرق الأربعة التي ذكرنا ففيها ما يخالف أهل السـنة الخلاف البعيد وفيهم ما يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئية إلى أهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة الفقيه إلى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معاً وأن الأعمال إنما هي شرائع الإيمان وفرائضه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بـن صفوان والأشعري ومحمد بن كرام السجستاني فـإن جهمـاً والأشعري يقولون أن الإيمان عقد بالقلب فقـط وإن أظهـر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية ومحمد بن كرام يقول هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه وأقرب فرق المعتزلة إلى أهل السنة أصحاب الحسـين بـن محمد النجار وبشر بن غياث المريسي ثم أصحاب ضـرار ابن عمرو وأبعدهم أصحاب أبي الهزيـل وأقـرب مـذاهب الشيعة إلى أهل السنة المنتمون إلى أصـحاب الحسـن بـن صالح بن حي الهمزاني الفقيه القائلون بأن الإمامة في ولـد

علي رضي ا عنه والثابت عن الحسن بن صالح رحمه ا هو قولوا أن الإمامة في جميع قريش وتولى جميع الصـحابة رضي ا عنهم إلا أنه كان يفضل علياً على جميعهم وأبعدهم الإمامية وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة أصحاب عبـد ا بن يزيد الإباضي الفزاري الكوفي وأبعدهم الأزارقة وأما أصحاب أحمد بن حابط وأحمد بن مالوس والفضل الحراني والغالية من الروافض والمتصوفة والبطيحية أصحاب أبـي إسماعيل البطيحي ومن فارق الإجماع من العجاردة وغيرهم فليسوا من أهل الإسلام بل كفار بإجماع الأمة ونعوذ با من الخذلان ذكر ما اعتمدت عليه كل فرقة من هذه الفرق ممـا اختصت به قال أبو محمد أمـا المرجئيـة فعمـدتهم التـي يتمسكون بها الكلام في الإيمان والكفر ما هما والتسمية بهما والوعيد واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلفـت غيـرهم وأمـا المعتزلة فعمدتهم التي يتمسكون بها الكلام في التوحيد ومـا يوصف به ا تعالى ثم يزيد بعضـهم الكـلام فـي القـدر والتسمية بالفسق أو الإيمان والوعيد وقد يشارك المعتزلة في الكلام فيما يوصف ا تعالى به جهم بن صفوان ومقاتل بـن سليمان والأشعرية وغيرهم من المرجئية وهشام بن الحكـم

وشيطان الطاق واسمه محمـد بـن جعفـر الكـوفي وداود الحواري وهؤلاء كلهم شيعة إلا أننا اختصصنا المعتزلة بهذا الأصل لأن كل من تكلم في هذا الأصل فهو غير خارج عن قول أهل السنة أو قول المعتزلة حاشا هؤلاء المذكورين من المرجئية والشيعة فإنهم انفردوا بأقوال خارجة عن قول أهل السنة والمعتزلة وأما الشيعة فعمدة كلامهـم فـي الإمامـة والمفاضلة بين أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم واختلفـوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم وأما الخوارج فعمدة مذهبهم الكلام في الإيمان والكفر ما هما والتسـمية بهمـا والوعـد والإمامة واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيـرهم وإنمـا خصصنا هذه الطوائف بهذه المعاني لأن من قال إن أعمـال الجسد إيمان فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وإن مؤمناً يكفر بشيء من أعمال الذنوب وإن مؤمناً بقلبه وبلسانه يخلد في النار فليس مرجئياً ومن وافقهم على أقوالهم ها هنا وخالفهم فيما عدا ذلك من كل ما اختلف المسلمون فيه فهـو مرجيء ومن خالف المعتزلة في خلـق القـرآن والرؤيـة والتشبيه والقدر وأن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لكـن فاسق فليس منهم ومن وافقهم فيما ذكرنـا فهـو مـنهم وإن

خالفهم فيما سوى ما ذكرنا مما اختلف فيه المسلمون ومـن وافق الشيعة في أن علياً رضي ا عنه أفضل النـاس بعـد رسول ا صلى ا عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده مـن بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلـف فيـه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شـيعياً ومـن وافـق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقـول بالخروج على أئمة الجور وإن أصحاب الكبائر مخلدون فـي النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهـو خـارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيمـا ذكرنا فليس خارجياً قال أبو محمد وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم الصحابة رضي ا عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة ا عليهم ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلـى يومنا هذا ومن اقتدى بهم من العـوام فـي شـرق الأرض وغربها رحمة ا عليهم قال أبو محمد وقـد تسـمى باسـم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام على أنه لـيس مسـلماً مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط وآخرون استحلوا نكـاح بنـات البنـين

وبنات البنات وبنات بني الإخوة وبنات بني الأخوات وقـالوا إن سورة يوسف ليست من القرآن وآخرون منهم قالوا يحـد الزاني والسارق ثم يستتابون من الكفر فإن تابوا وإلا قتلـوا وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا بتناسـخ الأرواح وآخرون منهم قالوا إن شحم الخنزير ودماغه حلال وطوائف من المرجئية قالوا إن إبليس لم يسأل ا قط النظرة ولا أقـر بأن خلقه من نار وخلق آدم من تراب وآخـرون قـالوا إن النبوة تكتسب بالعمل الصالح وآخرون كانوا من أهل السـنة ففعلوا فقالوا قد يكون في الصالحين من هـو أفضـل مـن الأنبياء ومن الملائكة عليهم السلام وأن من عرف ا حـق معرفته فقد سقطت عنهم الأعمال والشرائع وقـال بعضـهم بحلول الباري تعالى في أجسـام خلقـه كـالحلاج وغيـره وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا فقال بعضهم بالآهية علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة بعده ومنهم من قال بنبوته وبتناسخ الأرواح كالسيد الحميري الشاعر وغيـره وقالـت طائفة بنبوة المغيرة بن أبي سعيد مولي بني بجلة وبنبوة أبي منصور العجلي وبزيع الحايك وبيان ابن سـمعان التميمـي وغيرهم وقال آخرون منهم برجعة علي إلى الدنيا وامتنعـوا

من القول بظاهر القرآن وقالوا إن لظاهره تأويلات فمنها أن قالوا السماء محمد والأرض أصـحابه وأن ا يـأمركم أن تذبحوا بقرة أنها هي فلانة يعني أم المؤمنين رضي ا عنها وقالوا العدل والإحسان هو علي والخبث والطـاغوت فـلان وفلان يعنون أبا بكر وعمر رضي ا عنهما وقالوا الصلاة هي دعاء الإمام والزكاة هي ما يعطي الإمام والحج القصـد إلى الإمام وفيهم خناقون ورضاخون وكـل هـذه الفـرق لا تتعلق بحجة أصلاً وليس بأيديهم إلا دعوى الإلهـام والقحـة والمجاهرة بالكذب ولا يلتفتون إلى مناظرة ويكفي من الـرد عليهم أن يقال لهم ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنـه ألهـم بطلان قولكم ولا سبيل إلى الانفكاك من هـذا وأيضـاً فـإن جميع فرق الإسلام متبرئة منهم مكفرة لهم مجمعـون علـى أنهم على غير الإسلام نعوذ با من الخذلان قال أبو محمـد والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد علـى جميـع الأمـم وجلالة الخطير في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسـمون أنفسـهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم فلمـا امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب

أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ففـي كل ذلك يظهر ا سبحانه وتعالى الحق وكان مـن قـائمتهم ستقادة واستاسيس والمقنع وبابك وغيرهم وقبل هـؤلاء رام ذلك عمار الملقب بخداش وابو سلم السراج فـرأوا أن كيـده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام واسـتمالوا أهـل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول ا صلى ا عليه وسلم واستشناع ظلم علي رضي ا عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام فقوم منهم أدخلوهم إلـى القـول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين إذ لا يجوز أن يؤخذ الدين من هؤلاء الكفار إذ نسبوا أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم إلى الكفر وقوم خرجوا إلى نبـوة مـن ادعوا له النبوة وقوم سلكوا بهم المسلك الذي ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا فـأوجبوا علـيهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هي سـبع عشر صلاة في كل صلاة خمسة عشر ركعة وهذا قول عبد ا بن عمرو بن الحرث الكندي قبـل أن يصـير خارجيـاً صفرياً وقد سلك هذا المسلك أيضاً عبد ا بن سبأ الحميري

اليهودي فإنه لعنه ا أظهر الإسلام لكيد أهله فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضي ا عنه وأحرق علي بن أبي طالب رضي ا عنه منهم طوائف أعلنوا بالإلهية ومن هـذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة قائلتان بالمجوسية المحضة ثم مذهب مردك الموبذ الذي كان على عهد أنوشروان ابن قيماد ملك الفرس وكان يقول بوجوب تأسي الناس فـي النسـاء والأموال قال أبو محمد فإذا بلغ الناس إلى هـذين الشـعبين أخرجوه عن الإسلام كيف شاؤا إذ هذا هو غرضهم فقط فا ا عباد ا اتقوا ا في أنفسكم ولا يغـرنكم اهـل الكفـر والإلحاد ومن موه كلامه بغير برهان لكن بتمويهات ووعـظ على خلاف ما أتاكم به كتاب ربكم وكلام نبـيكم صـلى ا عليه وسلم فلا خير فيما سواهما واعلموا أن دين ا تعـالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سر تحته كله برهان لا مسامحة فيه واتهموا كل من يدعوا أن يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سراً وباطناً فهي دعاوي ومخارق واعلموا أن رسول ا صلى ا عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم

أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سـر ولا رمـز ولا باطن غير ما دعي الناس كلهم إليه ولو كتمهم شيئاً لما بلـغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر فإياكم وكل قول لم يبن سبيله ولا وضح دليله ولا تعوجاً عنما مضى عليه نبيكم صلى ا عليه وسلم وأصحابه رضي ا عنهم.

قال أبو محمد وقد أوضحنا شنع جميع هذه الفرق في كتاب لنا لطيف اسمه النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبايح المردية من أقوال أهل البدع مـن الفـرق الأربـع المعتزلة والمرجئية والخوارج والشيع ثم أضفناه إلـى آخـر كلامنا في النحل من كتابنا هذا وجملة الخير كله أن تلزمـوا ما نص عليكم ربكم تعالى في القرآن بلسان عربي مبين لـم يفرط فيه من شيء تبياناً لكل شيء وما صح عن نبيكم صلى ا عليه وسلم برواية الثقاة من أئمة أصحاب الحديث رضي ا عنهم مسند إليه عليه السلام فهما طريقتان يوصلانكم إلى رضى ربكم عز وجل ونحن نبتدي من هنا إن شاء ا تعالى في المعاني التي هي عمدة ما افترق المسلمون عليـه وهـي التوحيد والقدر والإيمان والوعيد والإمامـة والمفاضـلة ثـم

أشياء تسميها المتكلمون اللطائف ونورد كل ما احتجـوا بـه ونبين بالبراهين الضرورية إن شاء ا تعالى وجه الحق من كل ذلك كما فعلنا فيما خلى بعون ا تعالى وتأييده ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فأول ذلك .

الكلام في التوحيد ونفي التشبيه

قال أبو محمد ذهبت طائفة إلى القول بأن ا تعـالى جسم وحجتهم في ذلك أنه لا يقوم في المعقول إلا جسـم أو عرض فلما بطل أن يكون تعالى عرضاً ثبت أنه جسم وقالوا إن الفعل لا يصح إلا من جسم والباري تعالى فاعل فوجـب أنه جسم واحتجوا بآيات من القرآن فيها ذكر اليـد واليـدين والأيدي والعين والوجه والجنب وبقوله تعالى وجـاء ربـك ويأتيهم ا في ظلل من الغمام والملائكـة وتجليـه تعـالى وبأحاديث للجبل فيها ذكر القدم واليمين والرجل والأصـابع والتنزل قال أبو محمد ولجميع هذه النصوص وجوه ظـاهرة بينة خارجة على خلاف ما ظنوه وتأولوه قـال أبـو محمـد وهذان الاستدلالان فاسدان أما قولهم أنه لا يقوم في المعقول إلا جسم أو عرض فإنها قسمة ناقصة وإنما الصواب أنـه لا يوجد في العالم إلا جسم أو عرض وكلاهما يقتضي بطبيعته وجود محدث له فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثها جسماً أو عرضاً لكان يقتضي فاعلاً فعله ولا بد فوجب بالضرورة أن فاعل الجسم والعرض ليس جسماً ولا عرضاً وهذا برهـان يضطر إليه كل ذي حس بضرورة العقل ولابد وأيضاً فلـو

كان الباري تعالى عن إلحادهم جسماً لاقتضى ذلك ضـرورة أن يكون له زمان ومكان هما غيره وهذا إبطـال التوحيـد وإيجاب الشرك معه تعالى لشيئين سواه وإيجاب أشياء معـه غير مخلوقة وهذا كفر وقد تقدم إفسادنا لهذا القـول وأيضـاً فإنه لا يعقل البتة جسم إلا مؤلف طويـل عـريض عميـق ونظارهم لا يقولون بهذا فإن قالوه لزمهم أن له مؤلفاً جامعاً مخترعاً فاعلاً فإن منعوا من ذلك لزمهم أن لا يوجبوا لما في العالم من التأليف لا مؤلفاً ولا جامعاً إذ المؤلف كلـه كيفمـا وجد يقتضي مؤلفاً ضرورة فإن قالوا هو جسم غير مؤلـف قيل لهم هذا هو الذي لا يعقل حقاً ولا يتشكل في النفس البتة فإن قالوا لا فرق بين قولنا شيء وبين قولنا جسم قيل لهم هذه دعوى كاذبة على اللغة التي بها يتكلمون وأيضاً فهو باطـل لأن الحقيقة أنه لو كان الشيء والجسم بمعنى واحـد لكـان العرض جسماً لأنه شيء وهذا باطل يتعين والحقيقة هي أنه لا فرق بين قولنا شيء وقولنا موجود وحق وحقيقة ومثبـت فهذه كلها أسماء مترادفة على معنى واحد لا يختلف ولـيس منها اسم يقتضي صفة أكثر من المسمى بذلك حق ولا مزيد وأما لفظة جسم فإنها في اللغة عبارة عن الطويل العـريض

العميق المحتمل للقسمة ذي الجهات السصت التي هي فـوق وتحت ووراء وأمام ويمين وشمال وربما عدم واحدة منهـا وهي الفوق هذا حكم هذه الأسماء في اللغة التي هذه الأسماء منها فمن أراد أن يوقع شيئاً منها على غير موضوعها فـي اللغة فهو مجنون وقاح وهو كمن أراد أن يسمي الحق باطلاً والباطل حقاً وأراد أن يسمي الذهب خشباً وهذا غاية الجهـل والسخف إلا أن يأتي نص بنقل اسم منها عن موضوعه إلى معنى آخر فيوقف عنده وإلا فلا وإنما يلزم كل مناظر يريـد معرفة الحقائق أو التعريف بها أن يحقق المعاني التـي يقـع عليها الاسم ثم يخبر بعد بها أو عنها بالواجب وأمـا مـزج الأشياء وقلبها عن موضـوعاتها فـي اللغـة فهـذا فعـل السوفسطائية الوقحاء الجهال الغابنين لعقولهم وأنفسهم فـإن قالوا لنا إنكم تقولون أن ا عز وجل حي لا كالأحياء وعليم لا كالعلماء وقادر لا كالقادرين وشيء لا كالأشياء فلم منعـتم القول بأنه جسم لا كالأجسام قيل لهم وبا تعالى التوفيق.

لولا النص الوارد بتسميته تعالى بأنه حـي وقـدير وعليم ما سميناه بشيء من ذلك لكن الوقـوف عنـد الـنص فرض ولم يأت نص بتسميته تعالى جسماً ولا قام البرهـان

بتسميته جسماً بل البرهان مانع من تسميته بذلك تعالى ولـو أتانا نص بتسميته تعالى جسماً لوجب علينا القول بذلك وكنـا جينئذ نقول أنه لا كالأجسام كما قلنا في عليم وقد يرو حـي ولا فرق وأما لفظة شيء فالنص أيضاً جاء بهـا والبرهـان أوجبها على ما نذكر بعد هذا إن شاء ا تعالى وقالت طائفة منهم أنه تعالى نور واحتجوا بقوله تعالى.

ا نور السموات والأرض.

قال أبو محمد ولا يخلو النور من أحد وجهين إما أن يكون جسماً وإما أن يكون عرضاً وأيهمـا كـان فقـد قـام البرهان أنه تعالى ليس جسماً ولا عرضاً وأما قوله تعالى.

ا نور السموات والأرض.

فإنما معناه هدى ا بتنوير النفـوس إلـى نـور ا تعالى في السموات والأرض وبرهان ذلك أن ا عز وجـل أدخل الأرض في جملة ما أخبر أنه نور له فلو كان الأمـر على أنه النور المضيء المعهود لما خبأ الضياء ساعة مـن ليل أو نهار البتة فلما رأينا الأمر بخلاف ذلـك علمنـا أنـه بخلاف ما ظنوه قال أبو محمد ويبطل قول من وصـف ا تعالى بأنه جسم وقول من وصفه بحركة تعالى ا عن ذلـك

إن الضرورة توجب أن كل متحرك فذو حركة وأن الحركـة لمتحرك بها وهذا من باب الإضافة والصورة في المتصـور لمصتور وهذا أيضاً من باب الإضافة فلو كان كل مصـور متصوراً وكل محرك متحركاً لوجب وجود أفعال لا أوائـل لها وهذا قد أبطلناه فيما خلا من كتابنا بعون ا تعالى لنـا وتأييده إيانا فوجب ضرورة وجود محـرك لـيس متحركـاً ومصور ليس متصوراً ضرورة ولابد وهو البـاري تعـالى محرك المتحركات ومصور المصورات لا إله إلا هو وكـل جسم فهو ذو صورة وكل ذي حركة فهو ذو عرض محمول فيه فصح أنه تعالى ليس جسماً ولا متحركاً وبـا تعـالى التوفيق وأيضاً فقد قدمنا أن الحركة والسكون مـدة والمـدة زمان وقد بينا فيما خلا من كتابنا أن الزمان محدث فالحركة محدثة وكذلك السكون والباري تعالى لا يلحقه الحدث إذ لـو لحقه محدثاً يقتضي محدثاً فالباري تعالى غير متحـرك ولا ساكن وأيضاً فإن الجسم إنما يفعل آثاراً في الجسم فقـط ولا يفعل الأجسام فالباري إذن تعالى على قول المجسمة إنما هو فاعل آثاراً في الأجسام فقط لا فاعل أجسام العالم تعـالى ا عن ذلك علواً كبيراً فإن قالوا فإنكم تسمونه فاعلاً وتسـمون

أنفسكم فاعلين وهذا تشبيه قلنا لهم وبا تعـالى التوفيـق لا يوجب ذلك تشبيهاً لأن التشبيه إنما يكون بالمعنى الموجـود في كلا المتشبهين لا بالأسماء وهذه التسمية إنما هي اشتراك في العبارة فقط لأن الفاعل من متحرك باختيار أو باضطرار أو عارف أو شاك أو مريد أو كان باختيـار أو ضـمير أو اضطرار كذلك فكل فاعل منا فمتحرك وذو ضـمير وكـل متحرك فذو حركة تحركه وأعراض الضمائر انفعالات فكل متحرك فهو منفعل وكل منفعل فلفاعل ضرورة وأما الباري تعالى ففاعل باختيار واختراع لا بحركة ولا بضـمير فهـذا اختلاف لا اشتباه وبا تعالى التوفيق وكذلك العرض لـيس جسماً والجسم ليس عرضاً والباري تعالى لـيس جسـماً ولا عرضاً فهذان الحكمان لا يوجبان اشتباهاً أصلاً بل هذا عين الاختلاف لكن الاشتباه إنما يكون بإثبات معنى في المشتبهين به اشتبها ولو أوجب ما ذكرنا اشتباهاً لوجب أن يكون لشـبه الجسم في الجسمية لأنه ليس عرضاً وإن يكون لشبه العرض في العرضية لأنه ليس جسماً فكان يكون جسـماً لا جسـماً عرضاً لا عرضاً معاً وهذا محال فصح أن بالنفي لا يجـب الاشتباه أصلاً وبا تعالى التوفيق قال أبو محمد ومن قال أن

ا تعالى جسم لا كالأجسام فليس مشتبهاً لكنه الحد في أسماء ا تعالى إذ سماه عز وجل بما لم يسم به نفسه وأما من قال أنه تعالى كالأجسام فهو ملحد في أسمائه تعالى ومشبه مـع ذلك قال أبو محمد وأما إطلاق لفظ الصفاة تعـالى عـز وجل فمحال لا يجوز لأن ا تعالى لم ينص قط في كلامـه المنزل على لفظة الصفات ولا على لفظ الصفة ولا حفظ عن النبي صلى ا عليه وسلم بأن تعالى صفة أو صفات نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضي ا عـنهم ولا عن أحد من خيار التابعين ولا عن أحد مـن خيـار تـابعي التابعين ومن كان هكذا فلا يحل لأحد أن ينطق به ولو قلنـا أن الإجماع قد تيقن على ترك هذه اللفظة لصدقنا فلا يجـوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده بل هي بدعة منكرة قـال ا تعالى.

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل ا بها من سلطان إن تتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقـد جاءهم من ربهم الهدى.

قال أبو محمد وإنما اخترع لفظ الصـفات المعتزلـة وهشام ونظراؤه من رؤساء الرافضة وسلك سبيلهم قوم مـن

أصحاب الكلام سلكوا غير مسلك السلف الصالح ليس فـيهم أسوة ولا قدوة وحسبنا ا ونعم الوكيل.

ومن يتعد حدود ا فقد ظلم نفسه.

وربما أطلق هذه اللفظة من متـأخري الأئمـة مـن الفقهاء من لم يحقق النظر فيها فهي وهلة من فاضـل وزلـة عالم وإنما الحق في الدين ما جاء عن ا تعالى نصاً أو عن رسوله صلى ا عليه وسلم كذلك أو صح إجماع الأمة كلها عليه وما عدا هذا فضلال وكل محدثة بدعة فإن اعترضـوا بالحديث الذي رويناه من طرق عبد ا بن وهب عن عمرو ابن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الرجاء محمـد بن عبد الرحمن عن أمه عمرة عن عائشة رضي ا عنهـا في الرجل الذي كان يقرأ قل هو ا أحد في كل ركعة مـع سورة أخرى وأن رسول ا صلى ا عليه وسـلم أمـر أن يسأل عن ذلك فقال هي صفة الرحمن فأنا أحبها فأخبره عليه السلام أن ا يحبه فالجواب وبا تعالى التوفيـق إن هـذه اللفظة انفرد بها سعيد بن أبي هلال وليس بالقوي قد ذكـره بالتخليط يحيى وأحمد بن حنبل وأيضاً فإن احتجاج خصومنا بهذا لا يسوغ على أصولهم لأنه خبر واحد لا يوجب عندهم

العلم وأيضاً فلو صح لما كان مخالفاً لقولنا لأننا إنما أنكرنا قول من قال إن أسماء الله تعالى مشتقة من صفات ذاته فأطلق لذلك على العلم والقدرة والقوة والكلام أنها صفات وعلى من أطلق إرادة وسمعاً وبصراً وحياة وأطلق أنها صفات فهذا الذي أنكرناه غاية الإنكار وليس في الحديث المذكور ولا في غيره شيء من هذا أصلاً وإنما فيه أن قل هو الله أحد خاصة صفة الرحمن ولم ننكر هذا نحن بل هو خلاف لقولهم وحجة عليهم لأنهم لا يخصون قل هو الله أحد بذلك دون القرآن ودون الكلام والعلم وغير ذلك وفي هذا الخبر تخصيص لقوله قل هو الله أحد وحدها بذلك وقل هو الله أحد خبر عن الله تعالى بما هو الحق فنحن نقول فيها هي صفة الرحمن لمعنى أنها خبر عنه تعالى حق فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم لنا وأيضاً فمن أعجب الباطل أن يحتج بهذا الخبر فيما ليس فيه منه شيء من يخالفه ويعصيه في الحكم الذي ورد فيه من استحسان قراءة قل هو الله أحد في كل ركعة مع سورة أخرى فلهذه الفضائح فلتعجب أهل العقول وأما الصفة التي يطلقون هم فإنما هي في اللغة واقعة على عرض في جوهر لا على غير ذلك أصلاً وقد قال تعالى.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

فأنكر تعالى إطلاق الصفات جملة فبطل تمويه مـن موه بالحديث المذكور ليستحل بذلك ما لا يحل مـن إطـلاق لفظة الصفات حيث لم يأت بإطلاقها فيه نـص ولا إجمـاع أصلاً ولا أثر عن السلف والعجب من اقتصارهم على لفظة الصفات ومنعهم من القول بأنها نعوت وسمات ولا فرق بين هذه الألفاظ لا في لغة ولا في معنى ولا في نـص ولا فـي إجماع

القول في المكان والاستواء

قال أبو محمد ذهبت المعتزلة إلـى أن ا سـبحانه وتعالى في كل مكان واحتجوا بقول ا تعالى

ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم.

وقوله تعالى.

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.

وقوله تعالى.

ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون.

قال أبو محمد قول ا تعالى يجب حمله على ظاهره ما لم يمنع من حمله على ظاهره نص آخـر أو إجمـاع أو ضرورة حس وقد علمنا أن كل ما كان في مكان فإنه شاغل لذلك المكان ومالىء له ومتشكل بشكل المكـان أو المكـان متشكل بشكله ولابد من أحد الأمرين ضرورة وعلمنا أن مـا كان في مكان فإنه متناه بتناهي مكانه وهو ذو جهات ست أو خمس متناهية في مكانه وهذه كلها صفات الجسم فلما صـح ما ذكرنا علمنا أن قوله تعالى ونحن أقرب إليه مـن حبـل الوريد ونحن أقرب إليه منكم وقوله تعالى مـا يكـون مـن نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم إنما هو التدبير لذلك والإحاطة به فقط ضرورة لانتفاء ما عدا ذلك وأيضاً فإن قولهم فـي كـل مكان خطأ لأنه يلزم بموجب هذا القول أنه يملأ الأماكن كلها وأن يكون ما في الأماكن فيه ا تعالى ا عن ذلـك وهـذا محال فإن قالوا هو فيها بخلاف كون المتمكن في المكان قيل لهم هذا لا يعقل ولا يقوم عليه دليل وقد قلنا أنـه لا يجـوز إطلاق اسم على غير موضوعه في اللغة إلا أن يأتي به نص فيقف عنده وندري حينئذ أنه منقول إلى ذلك المعنى الآخـر وإلا فلا فإذ صح ما قد ذكرنا فلا يجوز أن يطلق القول بـأن

ا تعالى في كل مكان لا على تأويل ولا غيره لأنه حكم بأنه تعالى في الأمكنة لكن يطلق القول بأنه تعالى معنا فـي كـل مكان ويكون قولنا حينئذٍ في كل مكان إنما هـو مـن صـلة الضمير الذي هو النون والألف اللذان في معنا لا مما يخبـر به عن ا تعالى وهذا هو معنى قوله هو معهم أينما كـانوا وهو معكم أينما كنتم وذهب قوم إلى أن ا تعالى في مكـان دون مكان وقولهم هذا يفسد بما ذكرنا آنفاً ولا فرق واحـتج هؤلاء بقوله تعالى.

الرحمن على العرش استوى.

قال أبو محمد وقد تأول المسلمون فـي هـذه الآيـة تأويلات أربعة أحدها قول المجسمة وقد أبنا بحول ا فساده والآخر قالته المعتزلة وهو أن معناه استولى وأنشـدوا قـد استوى بشر على العراق قال أبو محمد وهذا فاسد لأنه لـو كان ذلك لما كان العرش أولى بالاستيلاء عليه مـن سـائر المخلوقات ولجاز لنا أن نقول الرحمن على الأرض اسـتوى لأنه تعالى مستولٍ عليها وعلى كل ما خلق وهذا لا يقوله أحد فصار هذا القول دعوى مجردة بلا دليل فسقط وقال بعـض أصحاب بن كلاب أن الاستواء صـفة ذات ومعنـاه نفـي

الاعوجاج قال أبو محمد وهذا القول في غاية الفساد لوجـوه أحدها أنه تعالى لم يسم نفسه مستوياً ولا يحل لأحد أن يسـم ا تعالى بما لم يسم به نفسه لأن من فعل ذلك فقد ألحد فـي أسمائه حدود ا أي مال عن الحق وقد حد ا تعـالى فـي تسميته حدوداً فقال تعالى.

ومن يتعد حدود ا فقد ظلم نفسه.

وثانيها أن الأمة مجمعة على أنه لا يدعو أحد فيقول يا مستوي ارحمني ولا يسمي ابنه عبد المستوي وثالثها أنـه ليس كل ما نفي عن ا عز وجل وجب أن يوقع عليه ضده لأننا ننفي عن ا تعالى السـكون ولا يحـل أن يسـمى ا متحركاً وننفي عنه الحركة ولا يجوز أن يسمى ساكناً وننفي عنه الجسم ولا يجوز أن يسمى سماماً وننفي عنه النـوم ولا يجوز أن يسمى يقظاناً ولا منتبهاً ولا أن يسمى لنفي الانحناء عنه مستقيماً وكذلك كل صفة لم يأت بهـا الـنص فكـذلك الاستواء والاعوجاج منفيان عنه معاً سبحانه وتعالى وتعالى ا عن ذلك لأن كل ذلك من صفات الأجسام ومـن جملـة الإعراض وا قد تعالى عن الأعراض ورابعها أنه يلزم من قال بهذا القول الفاسد أن يكون العرش لم يزل تعالى ا عن

ذلك لأنه تعالى علق الاستواء بالعرش فلو كان الاستواء لم يزل لكان العرش لم يزل وهذا كفر وخامسها أنه لو كان الاستواء لم يزل لكان العر لم يزل وهذا كفر وخامسها أنه لو كان الاستواء ههنا نفي الاعوجاج لم يكن لإضافة ذلك إلى العرش معنى ولكان كلاماً فاسداً لا وجه له فإن اعترضوا فقالوا إنكم تسمونه سميعاً بصيراً وأنه لم يزل كذلك فيلزمكم على هذا أن المسموعات والمبصرات لم تزل قلنا لهم وبا تعالى نتأيد هذا لا يلزمنا لأننا لا نسمي ا عز وجل إلا بما سمى به نفسه فنقول قال ا تعالى السميع البصير فقلنا بذلك أنه لم يزل وهو السميع البصير بذاته كما هو ولا نقول لا يسمع ولا يبصر فنزيد على ما أتى به النص شيئاً ونحن نقول أنه تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بالمبصرات يرى المرئيات ويسمع المسموعات ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك كما قال تعالى.

إنني معكما أسمع وأرى.

وهذا كله معنى العلم الذي لا يقتضي وجوداً لمعلومات لم تزل لكن يعلم ما يكون أنه سيكون على حقيقته ويعلم ما هو كما هو ويعلم ما قد كان كما قد كان وهذا نجده

حساً ومشاهدة وضرورة لأننا فيما بيننا قـد نعلـم أن زيـداً سيموت وموته لم يقع بعد وليس هكذا قولهم في الاستواء لأنه مرتبط بالعرش فإن قالوا لنا فإذن معنى سميع بصـير هـو معنى عليم فقولوا أنه تعالى يبصـر المسـموعات ويسـمع المرئيات قلنا وبا تعالى التوفيق ما يمنع من هذا ولا ننكره بل هو صحيح لأن ا تعالى إنما قـال أسـمع وأرى فهـذا إطلاق له على كل شيء على عمومه وبا تعـالى التوفيـق والقول الرابع في معنى الاستواء هو أن معنى قولـه تعـالى على العرش استوى أنه فعل فعله في العرش وهـو انتهـاء خلقه إليه فليس بعد العرش شيء ويبين ذلك أن رسـول ا صلى ا عليه وسلم ذكر الجنات وقال فاسألوا ا الفردوس الأعلى فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفـوق ذلـك عـرش الرحمن فصح أنه ليس وراء العرش خلق وأنه نهاية جـرم المخلوقات الذي ليس خلفه خلاء ولا ملاء ومـن أنكـر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقـد لحـق بقول الدهرية وفارق الإسلام والاستواء في اللغة يقع علـى الانتهاء قال ا تعالى .

فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً.

أي فلما انتهى إلى القوة والخير وقال تعالى.

ثم استوى إلى السماء وهي دخان.

أي أن خلقه وفعله انتهى إلى السماء بعـد أن رتـب الأرض على ما هي عليه وبا تعالى التوفيق وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عداه فأمـا القـول الثالث في المكان فهو أن ا تعالى لا في مكان ولا في زمان أصلاً وهو قول الجمهور من أهل السنة وبه نقول وهو الذي لا يجوز غيره لبطلان كل ما عداه ولقوله تعالى.

ألا إنه بكل شيء محيط.

فهذا يوجب ضرورة أنه تعالى لا في مكان إذ لو كان في المكان لكان المكان محيطاً به من جهة ما أو من جهـات وهذا منتف على الباري تعالى بنص الآية المذكورة والمكان شيء بلا شك فلا يجوز أن يكون شيء في مكان ويكون هو محيطاً بمكانه هذا محال في العقل بعلم امتناعـه ضـرورة وبا تعالى التوفيق وأيضاً فإنه لا يكون في مكان إلا ما كان جسماً أو عرضاً في جسم هذا الذي لا يجوز سواه ولا يتشكل في العقل والوهم غيره البتة وإذا انتفى أن يكون ا عز وجل

جسماً أو عرضاً فقد انتفى أن يكون في مكان أصـلاً وبـا تعالى نتأيد وأما قوله تعالى.

ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية.

فقوله الحق نؤمن به يقيناً وا أعلم بمراده في هـذا القول ولعله عنى عز وجل السموات السبع والكرسي فهـذه ثمانية أجرام هي يومئذ والآن بيننا وبين العرش ولعلهم أيضاً ثمانية ملائكة وا أعلم نقول ما قال ربنا تعالى ونقطع أنـه حق يقين على ظاهره وهو أعلم بمعناه ومراده وأما الخرافات فلسنا منها في شيء ولا يصح في هذا خبر عن رسـول ا صلى ا عليه وسلم ولكنا نقول هذه غيوب لا دليل لنا على المراد بها لكنا نقول.

آمنا به كل من عند ربنا.

وكل ما قاله ا تعالى فحق ليس منه شـيء منافيـاً للمعقول بل هو كله قبل أن يخبرنا به تعالى في حد الإمكـان عندنا ثم إذا أخبر به عز وجل صار واجباً حقاً يقيناً وقد قال تعالى.

الذين يحملون العرش ومن حوله.

فصح يقيناً أن للعرش حملة وهم الملائكة المنقـادون لأمره تعالى كما نقول أنا أحمل هذا الأمـر أي أقـوم بـه وأتولاه وقد قال تعالى أنهم يفعلون ما يأمرون.

وأنهم يتنزلون بالأمر وأما الحامل للكـل والممسـك للكل فهو ا عز وجل قال ا تعالى.

إن ا يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده.

الكلام في العلم قال ا عز وجل

أنزله بعلمه.

فأخبر تعالى أنه له علماً ثم اختلف الناس في علم ا تعالى فقال جمهور المعتزلة إطلاق العلم عز وجل إنما هو مجاز لا حقيقة وإنما معناه أنه تعالى لا يجهل وقـال سـائر الناس إن تعالى علماً حقيقة لا مجازاً ثم اختلف هـؤلاء فقال جهم بن صفوان وهشام بن الحكم ومحمد بـن عبـد ا ابن سيرة وأصحابهم أن علم ا تعالى هو غيـر ا تعـالى وهو محدث مخلوق سمعنا ذلك ممن جالسناه منهم وناظرناهم عليه وقالت طوائف من أهل السنة علم ا تعالى غير مخلوق

لم يزل وليس هو ا ولا هو غير ا وقال الأشعري في أحد قوليه لا يقال هو ا ولا هو غير ا وقال في قول له آخـر وافقه عليه الباقلاني وجمهور أصحابه أن علم ا تعالى هـو غير ا وخلاف ا وأنه مع ذلك غير مخلوق لم يزل وقال أبو الهذيل العلاف وأصحابه علم ا لم يزل وهو ا وقالت طوائف من أهل السنة علم ا لم يزل وهو غيـر مخلـوق وليس هو غير ا تعالى ولا نقول هو ا وكان هشـام بـن عمر القوطي أحد شيوخ المعتزلة لا يطلق القول بأن ا لـم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها ليس لأنه لا يعلم ما يكون قبل أن يكون بل كان يقول إن ا تعالى لم يـزل عالمـاً بأنـه ستكون الأشياء إذا كانت قال أبو محمد فأما مـن أنكـر أن يكون تعالى علم فإنهم قالوا لا يخلو لو كان تعالى علم من أن يكون غيره أو يكون هو هو فإن كان غيره فلا يخلـو من أن يكون مخلوقاً أو لم يزل وأي الأمرين كان فهو فاسـد فإن كان هو ا فا علم وهذا فاسد قال أبو محمد أما نفـس قولهم في أن ليس تعالى علم فمخالف للقرآن وما خـالف القرآن فباطل ولا يحل لأحد أن ينكر ما نص ا تعالى عليه وقد نص ا تعالى على أنه له علماً فمن أنكره فقد اعترض

على ا تعالى وأما اعتراضاتهم التي ذكرنا ففاسـدة كلهـا وسنوضح فسادها إن شاء ا تعالى في إفسادنا لقول الجهمية والأشعرية لأن هذه الاعتراضات هي اعتراضـات هـاتين الطائفتين وبا تعالى التوفيق قال أبو محمد احتج جهم بـن صفوان بأن قال لو كان علم ا تعالى لم يزل لكان لا يخلـو من أن لا يكون هو ا أو هو غيره فإن كان علم ا غير ا وهو لم يزل فهذا تشريك تعالى وإيجاب الأذليـة لغيـره تعالى معه وهذا كفر وإن كان هو ا فا علم وهذا إلحـاد وقال نسأل من أنكر أن يكون علم ا تعالى هو غيره فنقول أخبرونا إذا قلنا ا ثم قلنا إنه عليم فهل فهمتم من قولنا عليم شياء زايداً غير ما فهمتم من قولنا ا أم لا فإن قلتم لا أحلتم وإن قلتم نعم أثبتم معنى آخر هو غير ا وهو علمه وهكـذا قالوا في قدير وقوي وفي سائر ما ادعوا فيه الصفات وقـال أيضاً إننا نقول إن ا تعالى عالم بنفسه ولا نقول أنه قـادر على نفسه فصح أن علمه تعالى هو غيـر قدرتـه وإذ هـو غيرها فهما غير ا تعالى وقد يعلم ا تعالى قادراً مـن لا يعلمه عالماً ويعلمه عالماً من لا يعلمه قادراً فصح أن كـل ذلك معان متغايرة واحتج بهذا كله أيضاً من رأى أن علم ا

تعالى لم يزل وأنه مع ذلك غير ا تعالى وأنه غير قدرتـه أيضاً واحتج بآيات من القرآن مثل قوله تعالى.

ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين.

ومثل هذه قال أبو محمد من قال بحدوث العلم فإنـه قول عظيم جداً لأنه نص بأن ا تعالى لم يعلم شـيئاً حتـى أحدث لنفسه علماً وإذا ثبت أن ا تعالى يعلم الآن الأشـياء فقد انتفى عنه الجهل بها يقيناً فلو كان يوماً من الدهر لا يعلم شيئاً مما سيكون فقد ثبت له الجهل به ولابد من هذا ضرورة وإثبات الجهل تعالى كفر بلا خلاف لأنه وصـفه تعـالى بالنقص ووصفه يقتضي له الحدوث ولابد وهذا باطـل ممـا قدمنا من انتفاء جميع صفات الحدوث عـن الفاعـل تعـالى وليس هذا من باب نفي الضدين عنه كنفينا عنه تعالى الحركة والسكون لأن نفي جميع الضدين موجود عمـا لـيس فيـه أحدهما ولا كلاهما وأما إذا ثبت للموصوف بعض نوع مـن الصفات وانتفى عنه بعض ذلك النوع فلا بد ههنا ضـرورة من إثبات ضده مثال ذلك الحجر انتفى عنه العلـم والجهـل وأما الإنسان إذا ثبت له العلم بشيء وانتفى عنه العلم بشيء آخر فقد وجب ضرورة إثبات الجهل له بما لم يعلمه وهكـذا

في كل شيء فإذا قد صح هذا فالواجب النظـر فـي إفسـاد احتجاجهم فأما قولهم لو كان علم ا لم يزل وهو غيـر ا تعالى لكان ذلك شركاً فهو قول صحيح واعتراض لا يـرد وأما قولهم لو كان هو ا لكان ا علماً فهذا لا يلزم على ما نبين بعد هذا إن شاء ا وجملة ذلك أننا لا نسـمي ا عـز وجل إلا بما سمى به نفسه ولم يسم نفسه علماً ولا قدرة فـلا يحل لأحد أن يسميه بذلك وأما قولهم هل يفهم من قول القائل ا كالذي يفهم من قوله عالم فقط أو يفهم من قولـه عـالم معنى غير ما يفهم من قوله ا فجوابنا وبا تعالى نتأيد أننا لا نفهم من قولنا قدير وعالم إذا أردنا بذلك ا تعالى إلا مـا نفهم من قولنا ا فقط لأن كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة أصلاً لكن إذا قلنا هو ا تعالى بكل شيء عليم ويعلـم الغيب فإنما يفهم من كل ذلك أن ههنا له تعالى معلومات وأنه لا يخفى عليه شيء ولا يفهم منه البتة أن له علماً هو غيره وهكذا نقول في يقدر وفي غير ذلك كله وأما قولهم أننا نقول أنه تعالى عالم بنفسه ولا نقول أنه قادر على نفسه فقد كـذب من قال ذلك وإفك بل كل ذلك سواء وهو تعالى قادر علـى نفسه كما هو عالم بها ولا فرق بين ذلك وقد سقط عن هـذا

السؤال جملة وقد تكلمنا على تفصيل هذا السؤال بعـد هـذا ويلزمهم ضرورة إذ قالوا أنه تعالى غير قادر على نفسه أنه عاجز عن نفسه وإطلاق هذا كفر صريح وأما قولهم أنه قـد يعلم ا تعالى قادراً من لا يعلمه عالماً ويعلمه عالماً مـن لا يعلمه قادراً فلا حجة في ذلك لأن جهل من جهل الحق لـيس بحجة على الحق وقد نجد من يعلم ا عز وجل ويعتقد فيـه أنه عز وجل جسم فليست الظنون حجة في إبطال حـق ولا في تحقيق باطل فصح أن علم ا تعالى حق وقدرته حـق وقوته حق وكل ذلك ليس هو غير ا تعالى ولا العلم غيـر القدرة ولا القدرة غير العلم إذ لم يأت دليل بغير هذا لا مـن عقل ولا من سمع وبا تعالى التوفيق وجهم بـن صـفوان سمرقندي يكنى أبا محرز مولى لبني راسب من الأزد وكان كاتباً للحارث بن شريح التميمي أيام قيامه بخراسان وظفـر مسلم بن أحوز التميمي بجهم في تلك الأيام فضرب عنقه قال أبو محمد ومعنى كل ما جاء في القرآن من الآيـات التـي ذكروا هو ما نبينه إن شاء ا تعالى بحوله عز وجل وهـو أنه لما أخبرنا ا عز وجل بأن أهل النار لوردوا لعادوا لما نهوا عنه وأخبرنا عز وجل بأنه يعلم متـى تقـوم السـاعة

وأخبرنا بما تقول أهل الجنة وأهل النار قبل أن يقولوا وسائر ما في القرآن من الأخبار الصادقة عما لم يكن بعـد علمنـا بذلك إن علمه تعالى بالأشياء كلها متقدم لوجودها ولكونهـا ضرورة وعلمنا أن كلامه عز وجل لا يتناقض ولا يتـدافع وأن المراد بقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم وسائر ما في القرآن من مثل هذا إنما هو علـى ظـاهره دون تكلـف تأويل بل على المعهود وبيننا كقوله تعالى.

فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى.

إنما هو كله على حسب إدراك المخاطب ومعنى ذلك أي حتى نعلم من يجاهد منكم مجاهداً ونعلم من يصير مـنكم صابراً وهذا لا يكون إلا في حين جهادهم وحين صـبرهم وأما قبل أن يجاهدوا ويصبروا فإنما علمهم غير مجاهـدين وغير صابرين وأنهم سيجاهدون ويصبرون فـإذا جاهـدوا علمهم حينئذٍ مجاهدين وإنما الزمان في كل هذا للمعلوم وأما علمه تعالى ففي غير زمان وليس ههنا تبدل علم وإنما يتبدل المعلوم فقط والعلم بكل ذلك لم يزل غير متبدل فإن قالوا متى علم ا زيداً ميتاً فإن قلتم لم يزل يعلمه ميتاً وجب أن زيداً لم يزل ميتاً وهذا محال وإن قلتم لم يعلمه ميتاً حتى مات فهذا

قولنا لا قولكم فالجواب عن هذا أننا لا نقول شيئاً مما ذكـر ولكننا نقول إن ا عز وجل لم يزل يعلم أنه سيخاف زيـداً وأنه سيعيش كذا وكذا وأنه سيموت في وقت كـذا فعلـم ا تعالى بكل ذلك واحد لا يتبدل ولا يستحيل ولا زاد فيه تبـدل الأحوال التي للمعلوم شيئاً ولا نقص منه عـدمها شـيئاً ولا أحدث له حدوث ذلك علماً لم يكن وإنما تغاير المعلومـات لا العلم ولا العليم ولا القدرة ولا القدير والفرق بين القول متى علم ا زيداً ميتاً وبين القول متى علمت زيداً ميتاً فرق بين وهو أن علمي بأن زيداً مات هو عرض حدث فـي الـنفس بحدوث موت زيد وهو غير علمي بـأن زيـداً حـي وأنـه سيموت لأن علمي بأن زيداً سيموت إنمـا هـو علـم بأنـه ستحدث حال مقتضية لموته يوماً ما لا علمنا بوجود المـوت وعلمي بأن زيداً ميت علم بوجود الموت فهو غيـر العلـم الأول وكلاهما عرض مخلوق في النفس وعلم ا تعالى ليس كذلك لأنه ليس هو شيئاً غير ا عز وجل ولو كان علـم ا محدثا لوجب ضرورة أن يكون على حكم سـائر المحـدثات وبضرورة العقل نعلم أن العلم كيفية عرض والعرض لا يقوم البتة إلا في جسم ومحال أن يكون العلم محمولاً فـي غيـر

العالم به فكان يجب من هذا القول بالتجسيم وهذا قـول قـد بطل بما قدمنا من البراهين على وجوب حدوث كـل جسـم وعرض فإن قال قائل علم الله تعالى عـرض حـادث فـي المعلوم قائم به لا بالباري عز وجل ولا بنفسه قلنا له وبـالله تعالى التوفيق بنص القرآن علمنا أن الله عز وجل عنده علم الساعة وعلم ما لا يكون أبداً إن لو كان كيف كان يكـون إذ يقول تعالى.

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

ولقوله تعالى لنوح عليه السلام.

إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.

وأخبر تعالى أنهم مغرقون فلو كان علـم الله تعـالى عرضاً قائماً في المعلـوم والمعلـوم الـذي هـو السـاعة غيرموجود بعد والعلم موجود بيقين فلا بد ضرورة من أحد أمرين لا ثالث لهما إما أن يكون المعلوم موجوداً لوجود العلم به وهذا باطل بضرورة الحس لأن المعلوم الذي ذكرنا معدوم فيكون معدوماً موجوداً في حين واحد من جهـة واحـدة أو يكون العلم الموجود قائماً بمعلوم معـدوم فيكـون عـرض موجود محمولاً في حامل معدوم وهذا تخليط ومحال فاسـد

البتة وإنما كلامنا هذا مع أهل ملتنا المقرين بـالقرآن وأمـا سائر الملل فليس نكلمهم في هذا لأنها نتيجة مقدمات سوالف ولا يجوز الكلام في النتيجة إلا بعد إثبات المقدمات فإن ثبتت المقدمات ثبتت النتيجة والبرهان لا يعارضه برهان فكل مـا ثبت ببرهان فعورض بشيء فإنما هو شغب بلا شك وإن لـم تصح المقدمات فالنتيجة باطلة دون تكلف دليل ومقدمات مـا ذكرنا هي إثبات التوحيد وحدوث العالم ونقل الكواف لنبـوة محمد صلى ا عليه وسلم وللقرآن فإن ذكروا الآيات التـي في القرآن مثل.

لعله يتذكر أو يخشى لعلكم تؤمنون لعلكم تشـكرون لعلكم تذكرون.

ونحو ذلك فإنما هي كلهـا بمعنـى لام العاقبـة أي ليتذكر ولتؤمنوا وليشكروا وليتذكروا وليخشى علـى ظـاهر الأمر عندنا من إمكان كل ذلك منا كما قال عز وجل.

ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.

وقال عز وجل.

ثم لتكونوا شيوخاً.

فهذا أيضاً على الإمكان ممن عـاش والأول علـى الممكن من الناس عند الخطاب والدعاء إلى ا تعالى وكذلك كل ما جاء في القرآن بلفظة أو فإنما هو على أحد وجهين أما على الشك من المخاطبين لا من ا تعـالى وأمـا بمعنـى التخيير في الكل كقول القائل جالس الحسن أو ابـن سـيرين برهان ذلك ورود النص بأنه تعالى لا يضل ولا ينسى وأنـه قد علم أن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب وكما قال تعالى أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن وبهذا تتألف النصوص كلها فلم يبق لأهل القول بحدوث العلم إلا أن يقولوا أنه تعالى خلق شيئاً ما كان حاملاً لعلمه بالساعة قال أبو محمد وهـذا من السخف ما هو من العلم لأن علم العالم لا يقوم بغيره ولا يحمله سواه هذا أمر يعلم بالضرورة والحـس فمـن ادعـى دعوى لا يأتي عليها بدليل فهي باطلة فكيف إذا أبطلها الحس وضرورة العقل ويبين ما قلنا نصاً قوله تعالى حاكياً عن نبيه موسى عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل.

عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فـي الأرض فينظر كيف تعملون.

هذا مع قوله تعالى.

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسـدن فـي الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكـان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمـددناكم بـأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً إن أحسنتم أحسنتم لأنفسـكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجـوهكم وليـدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً عسـى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا.

فهذا نص قولنا أنه قد علم تعالى ما يفعلون وأخبـر بذلك ثم مع هذا أخرج الخطاب بالمعهود عندنا بلفظ عسـى وفينظر قال أبو محمد فإذقد صح ما ذكرنا فقد ثبت ضرورة أن قول القائل متى علم ا زيداً ميتاً سؤال فاسد بالضـرورة لأن متى سؤال عن زمان وعلم ا تعالى ليس فـي زمـان أصلاً لأنه ليس هو غير ا تعالى وقد مضى البرهان علـى أن ا تعالى ليس في زمان ولا في مكـان وإنمـا الزمـان والمكان للمعلوم فقط بما بينا وبـا تعـالى التوفيـق فـإن اعترض معترض بقول ا عز وجل.

ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

فقال إن من للتبعيض ولا يتبعض إلا محدث مخلوق ولا يحاط إلا بمخلوق محدث وقد نص ا تعالى أنه يحـاط بما شاء من علمه فوجب أن علمه مخلوق لأنه محاط ببعضه وهو متبعض فالجواب وبا تعالى التوفيق أن كلام ا تعالى واجب أن يحمل على ظاهره ولا يحال عن ظاهره البتـة إلا أن يأتي نص أو إجماع أو ضرورة حس على أن شيئاً منـه ليس على ظاهره وأنه قد نقل عن ظاهره وأنه قد نقل عـن ظاهره إلى معنى آخر فالانقياد واجب علينا لما أوجبه ذلـك النص والإجماع لا يأتي إلا بحق وا تعـالى لا يقـول إلا الحق وكل ما أبطله برهان ضروري فليس بحق فإذ هذا كما قلنا وقد ثبت ضرورة أن علم ا تعالى لـيس عرضـاً ولا جسماً أصلاً لا محمولاً فيه ولا في غيره ولا هو شيء غيـر الباري عز وجل فبالضرورة نعلم أن معنى قوله عز وجـل ولا يحيطون بشيء من علمه إنما المراد العلم المخلوق الذي أعطاه عباده وهو عرض في العالمين محمول فـيهم وهـو مضاف إلى ا عز وجل بمعنى الملك وهذا لا شك فيه لأنه لا علم لنا إلا ما علمنا قال ا عز وجل.

وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.

يريد تعالى ما خلق من العلوم وبثها في عباده كمـا قال الخضر لموسى عليهما السلام أني على علم من علم ا لا تعلمه أنت وأت على علم من علم ا لا أعلمه أنـا ومـا نقص علمي وعلمك من علم ا إلا كما نقص هذا العصفور من البحر قال أبو محمد فهذه إضافة الملك وكما قال تعـالى في عيسى أنه روح ا وهذا كله إضافة الملك فهـذا معنـى قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وقد نفى ا تعالى الإحاطة من الخلق به فقال عز وجل ولا يحيطون به علماً قال أبو محمد ويخرج أيضاً علـى ظـاهره أحسـن خروج دون تأويل ولا تكلف فيكون معنى قولـه تعـالى ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء أي من العلم با تعالى وهذا حق لا شك فيه لأننا لا نحيط من العلم به تعالى إلا بما علمنا فقط قال تعالى ولا يحيطون به علماً فيكون معنى من علمه أي من معرفته فإن قالوا فما معنـى دعـائكم ا فـي الرحمة والمغفرة وهل يخلو أن يكون سبق علمـه بالرحمـة فأي معنى للدعاء فيما لا بد منه وهل هو إلا كمن دعي فـي طلوع الشمس غداً أو في أن يجعل إنساناً إنسـاناً أو فـي أن تكون الأرض أرضاً وإن كان سبق في علمه تعالى خـلاف

ذلك فأي معنى في الدعاء فيما لا يكون وهل هـو إلا كمـن دعى في أن لا تقوم الساعة أو في أن لا يكون الناس ناسـاً فيقال لهم وبا التوفيق الدعاء عمل أمرنا ا تعـالى بـه لا على أنه يرد قدراً ولا أنه يكون من أجله ما لا يكون لكن ا تعالى قد جعل في سابق علمه الدعاء الذي سبق فـي علمـه قبوله يكون سبباً لما سبق في علمه كونه كما جعل في سابق علمه الغذا بالطعام والشراب سبباً لبلوغ الأجل الذي سبق في علمه البلوغ إليه وكذلك مساير الأعمال وقد نص تعالى على أنه تعالى يعلم آجال العباد قال تعالى.

فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

ومع ذلك فقد جعل تعالى الأكل والشرب سـبباً إلـى استيفاء ذلك المقدار وكل ذلك سابق في علمـه عـز وجـل والدعاء هكذا وكذلك التداوي على سبيل الطب ولا فرق وقد أخبرنا تعالى أنه يصلي على نبيه صـلى ا عليـه وسـلم وأمرنا مع ذلك بالدعاء بالصلاة عليه وقال تعـالى قـل رب احكم بالحق فأمرنا بالدعاء بذلك وقد علمنا أنه تعالى لا يحكم إلا بالحق فصح ما قلنا من أن الدعاء عمل أمرنا به فـنحن نعمله حيث أمرنا عز وجل به ولا نعمله حيث لم نؤمر بـه

والحمد رب العالمين فإذ قد بطل بعون ا تعالى وتأييـده قول من قال إن علم ا تعالى هو غيـر ا تعـالى وهـو مخلوق فلنتكلم بعون ا تعالى وتأييده على قول من قـال إن علم ا تعالى قال أبو محمد هذا قول لا يحتاج في رده إلـى أكثر من أنه شرك مجرد وإبطال للتوحيد لأنه إذا كان مع ا تعالى شيء غيره لم يزل معه فقد بطل أن يكون ا تعـالى كان وحده بل قد صار له شريك في أنه لم يزل وهـذا كفـر مجرد ونصرانية محضة مع أنها دعوىساقطة بلا دليل أصلاً وما قال بهذا أحد قط من أهل الإسـلام قبـل هـذه الفرقـة المحدثة بعد الثلاث ماية عام فهو خروج عن الإسلام وتـرك للإجماع المتيقن وقد قلت لبعضهم إذ قلتم أنه لم يزل مـع ا تعالى شيء آخر هو غيره وخلافه ولم يـزل معـه فلمـاذا أنكرتم على النصارى إلا اقتصارهم على الثلاثة فقـط ولـم يجعلوا معه تعالى أكثر من ذلك فأمسكت عنه إن صرح بأن قولهم أدخل في الشرك من قول النصارى وقـولهم هـذا رد لقول ا عز وجل قل هو ا أحد فلو كان مع ا غير ا لم يكن ا أحد قال أبو محمد وما كنا نصدق من أن نتمي إلـى الإسلام يأتي بهذا لولا أنا شاهدناهم وناظرناهم ورأينا ذلـك

صراحاً في كتبهم ككتاب السمناني قاضـي الموصـل فـي عصرنا هذا وهو من أكابرهم وفي كتاب المجالس للأشعري وفي كتب لهم أخر قال أبو محمد والعجب مـع هـذا كلـه تصريح الباقلاني وابن فورك في كتبهما في الأصول وغيرها بأن علم ا تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد وهذه حماقة ممزوجة بهوس إذ جعلوا ما لم يزل محدوداً بمنزلة المحدثات وكل ما أدخلناه على المنانية والنصارى ومن يبطل التوحيـد فهو داخل على هذه الفرقة حرفاً بحرف فأغنانا أن نحيل على ذلك عن تكراره ونعوذ با من الخذلان قال أبو محمد هـذا مع قولهم إن التغاير لا يكون غلا فيما جاز أن يوجد أحدهما دون الآخر قال أبو محمد وهذه غاية السخافة لأنه دعوى بلا برهان عليها لا من قرآن ولا سنة ولا معقول ولا لغة أصلاً وما كان هكذا فهو باطل ويلزمهم على هذا أن الخلق ليسـوا غير الخالق تعالى لأنه لا يجوز أن يوجد الخلق دون الخالق فإن قالوا جايز أن يوجد الخالق دون الخلق قلنا نعم فمن أين لكم أن أحد التغاير هو أنه لا يجوز أن يوجد أحدهما أيهمـا كان دون الآخر وهذا ما لا سبيل لهم إليه ويلزمهم لزومـاً لا ينفكون عنه إن الإعراض ليست غير الجواهر لأنه لا يجوز

البتة ولا يمكن ولا يتوهم وجود أحدهما دون الآخـر جملـة ونعوذ با من الخذلان قال أبو محمد وحد التغاير الصـحيح هو ما شهدت له اللغة وضرورة الحس والعقل وهو أن كـل مسميين جاز أن يخبر عن أحدهما بخبر ما لا يخبر به عـن الآخر فهما غيران لا بد من هذا وبالجملة ما لم يكـن غيـر الشيء نفسه فهو غيره وما لم يكن غير الشيء فهـو نفسـه وبا تعالى التوفيق قال أبو محمد فإذ قـد بطـل بعـون ا تعالى وتأييده قول من قال إن علم ا تعالى هو غير ا ثـم جعله مخلوقاً أو لم يزل فلنقل سائر الأقوال في هذه المسـألة إن شاء ا عز وجل ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم قال أبو محمد من قال إن علم ا تعالى لي هو ا تعالى ولا هو غيره ولكنه صفة ذات لم يزل فكلام فاسد محال متناقض يبطل بعضه بعضاً لأنهم إذ قالوا علم ا تعالى ليس هـو ا فقد أوجبوا بهذا القول ضرورة أنه غيره ثم غيره ثم إذ قالوا ولا هو غيره فقد أبطلوا الغيرية وأوجبوا بهذا القول ضرورة أنه هو فصح أنه سواء قول القائل لا هو ولا غيـره وقـول القائل هو هو وهو غيره فإن معنى هاتين القضيتين واحد لا يختلف وكلا العبارتين باطل مناقض لا يعقل نفي وإثبات معاً

وهذا تخليط الممرورين نعوذ با من الخذلان والعجب مـن احتجاج بعضهم في هذا الباطل بأن قال إن الطول ليس هـو الطويل ولا هو غيره قال أبو محمد وهذا من أطم ما يكـون من الجهل والمكابرة إذ لا يدري هذا القائل أن الطويل جوهر جسم قائم بنفسه حامل لطوله ولسائر أعراضه وإن الطـول عرض من الأعراض محمول في الطويل غير قـائم بنفسـه فمن جهل أن المحمول غير الحامل وأن القائم بنفسه هو غير ما لا يقوم بنفسه فهو عديم حس وينبغي له أن يعلم قبـل أن يهدر ونحن نريه الطين الطويل يدور فيذهب الطول والتربيع ويأتي التدوير والذي كان طويلاً باق بحسه فهل يخفى علـى سالم التمييز أن الذاهب غير الآتي وأن الفاني غيـر البـاقي فبالضرورة نعلم أن الطول غير الطويل ثم نقول لمن تعلـق بهذه العبارة الفاسدة أخبرونا هل يخلو كل اسمين متغـايرين من أحد وجهين ضرورة لا ثالث لهما البتة أمـا أن يكـون الاسمان واقعين معاً على شيء واحد يعبر بـذينك الاسـمين على ذلك الشيء الذي علق عليه وأما أن يكـون الاسـمان واقعين على شيئين اثنين يعبر بكل اسم منهما على حدته عن الشيء الذي علق عليه ذلك الاسم هذان وجهـان لابـد مـن

أحدهما ضرورة لكل اسمين وأي هذين كان فهو مبطل لتخليط من قال لا هو ههو ولا غيره وقد زاد بعضهم في الشعوذة والسفسطة وإفساد الحقائق فأتى بدعوى فاسدة وذلك أن قال لا يكون الشيء غير الشيء إلا إذا أمكن أن ينفرد أحدهما عن الآخر قال أبو محمد وهذه دعوى مجردة بلا دليل فلو لم يكن إلا هذا لسقط هذا التمويه فكيف وهي قضية فاسدة لأنها توجب أن كلية الإعراض ليست غير كلية الجواهر لأنه لا سبيل إلى انفراد الجواهر عن الإعراض ولا انفراد الإعراض عن الجواهر فكفى فساداً بكل هذيان أدى إلى مثل هذا التخليط قال أبو محمد حد التغاير في الغيرين هو أن كل شيء أخبر عنه بخبر ما لا يكون ذلك الخبر في ذلك الوقت خبراً عن الشيء الآخر فهو بالضرورة غير ما لا يشاركه في ذلك الخبر وليس في كل ما يعلم ويوجد شيئان يخلوان من هذا الوصف بوجه من الوجوه وهذا مقتضى لفظة الغير في اللغة وبا تعالى التوفيق مع أن هذا أمر يعلم بضرورة الحس والعقل وحد الهوية هو أن كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر

ولا بد وأيضاً فكل اسمين مختلفين لا يخبـر عـن مسـمى أحدهما بشيء إلا كان ذلك الخبر خبراً عن مسـمى الاسـم الآخر ولابد أبداً فمسماهما واحد بلا شك فإذ قد صح فسـاد هذا القول فلنقل بعون ا تعالى في عبارة الأشعري الأخرى وهو قوله هو هو ولا يقال هو غيره فنقول أنه لم يزد في هذه العبارة على أن قال لا يقال في هذا شيء قال أبو محمد وهذا خطاء لأنه لابد ضرورة من أحد هذين القولين فسـقط هـذا القول أيضاً إذ ليس فيه بيان الحقيقة وأما قول أبي الهذيل أن علم ا هو ا فإنه تسمية منه للباري تعالى باسـتدلال ولا يجوز أن يخبر عن ا تعالى ولا أن يسمى باستدلال البتـة لأنه بخلاف كل ما خلق فلا دليل يوجب تسميته بشيء مـن الأسماء التي يسمى بها شيء من خلقه ولا أن يوصف بصفة يوصف بها شيء من خلقه ولا أن يخبر عنه بما يخبر به عن شيء من خلقه إلا أن يأتي نص بشيءٍ من ذلك فيوقف عنده فمن وصفه تعالى بصفة يوصف بها شيء من خلقه أو سماه باسم يسمي به شيء من خلقه استدلالاً على ذلك بما وجد في خلقه فقد شبهه تعالى بخلقه وألحد في أسمائه وافترى الكـذب ولا يجوز أن يسمى ا تعالى ولا أن يخبر عنه إلا بما سمى

به نفسه أو أخبر به عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى ا عليه وسلم أو صح به إجماع جميع أهل الإسـلام المتيقن ولا مزيد وحتى وإن كان المعنى صحيحاً فلا يجـوز أن يطلق عليه تعالى اللفظ وقد علمنا يقيناً أن ا عز وجـل بنى السماء قال تعالى.

والسماء بنيناها بأيد.

ولا يجوز أن يسمى بناء وأنه تعالى خالـق أصـباغ النبات والحيوان وأنه تعالى قال.

صبغة ا .

ولا يجوز أن يسمى صباغاً وهكذا كل شيءٍ لم يسـم به نفسه وليس يجب أن يسمى ا تعالى بأنه هو علمـه وإن صح يقيناً أن له علماً ليس هو غيره لما ذكرنا وبا تعـالى التوفيق وقد صح أن ذات ا تعالى ليست غيره وأن وجهـه ليس غيره وأن نفسه ليست غيره وأن هذه الأسماء لا يعبـر عنها إلا عنه تعالى لا عن شيء غيره تعالى البتة ولا يجوز أن يقال أنه تعالى ذات ولا أنه وجه ولا أنه نفس ولا أنه علم ولا أنه قدرة ولا أنه قوة لما ذكرنا من امتناع أن يسمى عالم يسم به نفسه عن رجل وأما علم المخلوقين فهو شيء غيرهم

بلا شك لأنه يذهب ويعاقبه جهل والباري تعـالى لا يشـبهه غيره في شيءٍ من هذه الأشياء البتة بل هو تعـالى خـلاف خلقه في كل وجه فوجب أن علمه تعالى ليس غيـره وقـال تعالى ليس كمثله شيء قال أبو محمد فإن قال لنـا قائـل إذ العلم عندكم ليس هو غير ا تعالى وأن قدرته ليست غيـره وأن قوته ليست غيره تعالى فأنتم إذاً تعبدون العلم والقـدرة والقوة فجوابنا في ذلك وبا تعالى التوفيق إننا إنما نعبـد ا تعالى بالعمل الذي أمرنا به لا بما سواه ولا ندعوه كما أمرنا تعالى قال عز وجل.

و الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه.

وقال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا ا مخلصـين لـه الدين.

فنحن لا نعبد إلا ا كما أمرنا ولا نقول أننـا نعبـد العلم لأن ا تعالى لم يطلق لنا أن نطلق هذا اللفـظ ولا أن نعتقده ثم نسألهم عنما سألونا عنه بعينه فنقول لهم أنتم تقرون أن وجه ا وعين ا ويد ا ونفس ا ليس شيء من ذلـك غير ا تعالى بل ذلك عندكم هو ا فأنتم إذاً تعبدون الوجه

واليد والعين والذات فإن قالوا نعم قلنا لهم فقولوا في دعائكم يا يد ا ارحمينا ويا عين ا ارضـي عنـا ويـا ذات ا اغفري لنا فإياك نعبد وقولوا نحن خلق وجه ا وعبيد عين ا فإن جسروا على ذلك فنحن لا نجيز الإقدام على ما لـم يأذن به ا ولا نتعدى حدوده فإن شهدوا فلا نشهد معهم.

ومن يتعد حدود ا فقد ظلم نفسه.

والذي ألزمونا من هذا فهو لازم لهـم لأنـه سـؤال رضوه وصححوه ومن رضي شيئاً لزمه ونحن لم نرض هذا السؤال ولا صححناه فلا يلزمنا وبا تعالى التوفيق قال أبـو محمد وأجمع المسلمون على القول بما جاء به نص القـرآن من أن ا تعالى سميع بصير ثم اختلفوا فقالت طائفة من أهل السنة والأشعرية وجعفر بن حرب من المعتزلة وهشام بـن الحكم وجميع المجسمة نقطع أن ا سميع بسمع بصير ببصر وذهبت طوائف من أهل السنة منهم الشافعي وداود ابن علي وعبد العزيز بن مسلم الناني رضي ا عنه م وغيرهم إلـى أن ا تعالى سميع بصير ولا نقول بسمع ولا ببصر لأن ا تعالى لم يقله ولكن سميع بذاته وبصير بذاته قال أبو محمـد وبهذا نقول ولا يجوز إطلاق سمع ولا بصر حيث لم يأت به

نص لما ذكرنا آنفاً من أنه لا يجوز أن يخبر عنه تعالى ما لم يخبر عن نفسه واحتج من أطلق علـى ا تعـالى السـمع والبصر بأن قال لا يعقل السميع إلا بسمع ولا يعقل البصـير إلا ببصر ولا يجوز أن يسمى بصيراً إلا من له بصـر ولا يسمى سميعاً إلا من له سمع واحتجوا أيضاً في هـذا ومـا ذهبوا إليه من أن الصفات متغايرة بأنه لا يجوز أن يقال أنه تعالى يسمع المبصرات ولا أنه يبصـر المسـموعات مـن الأصوات وقالوا هذا لا يعقل قال أبو محمـد وكـل هـذين الدليلين شغبي فاسد أما قولهم لا يعقل السميع إلا بسـمع ولا يعقل البصر إلا ببصر فيقال لهم وبا تعالى التوفيق أما فيما بيننا فنعم وكذلك أصلاً لم نجد قط في شيء من العالم الـذي نحن فيه سميعاً إلا بسمع ولا وجد فيه بصير إلا ببصر فإنـه لم يوجد قط أيضاً فيه سمعي إلا بجارحة يسمع بها ولا وجد قط فيه عالم إلا بضمير فلزمهم أن يجروا على ا تعالى هذه الأوصاف وتعالى ا عن ذلك علواً كبيراً وهم لا يقولون هذا ولا يستجيزونه وأما المجسمة فإنهم أطلقوا هذا وجوزوه وقد مضى نقض قولهم بعون ا وتأييده ويلزم الطائفتين كلتيهمـا إذا قطعوا بأن تعالى سمعاً وبصراً لأنه سميع بصـير ولا

يمكن أن يكون سميع بصير إلا إذا سمع وبصر لاسيما وقـد صح النص بأن له تعالى عيناً وأعيناً أن يقولوا أنه ذو حدقـة وناظر وطباق في العين وذو أشفار وأهداب لأننا نشاهد فـي العالم ولا يمكن البتة أن تكون عين الذي عـين يـرى بهـا ويبصر إلا هكذا وإلا فهي عين ذات عاهة أو كعيون بعـض الحيوان التي لا يطبقها وكذلك لا يكون في المعهود ولا يمكن البتة أن يكون سميع في العالم إلا بإذن ذات صاماخ فيلزمهم أن يثبتوا هذا كلـه وإلا فقـد أبطلـوا اسـتدلالهم وزودوا استشهادهم بالمعهود والمعقول فإن أطلقوا هذا كلـه تركـوا مذهبهم وخرجوا إلى أقبح قول المجسمة مما لا يرضى بـه أكثر المجسمة وقد ذكرنا فساد قولهم قبـل والحمـد رب العالمين فإذا جوزوا أن يكون الباري تعالى سـميعاً بصـيراً بغير جارحة وهذا خلاف ما عهدوا في العـالم وجـوزوا أن يكون له تعالى عين بلا حدقة ولا ناظر ولا طباق ولا أهداب ولا أشفار وهذا أيضاً خلاف ما عهدوا في العالم فلا ينكـروا قول من قال إنه سميع لا يسمع بصير لا يبصر وإن كان ذلك خلاف ما عهدوا في العالم على أن بين القولين فرقاً واضحاً وهو أننا نحن لم نلتزم أن نحل تسميته عز وجل قياساً علـى

ما عهدنا بل ذلك حرام لا يجوز ولا يحل لأنه ليس في العالم شيء يشبهه عز وجل فيقاس عليه قال ا تبارك وتعالى.

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فقلنا نعم إنه سميع بصير لا كشيء من البصراء ولا السامعين مما في العالم وكل سميع وبصير في العالم فهو ذو سمع وبصر فا تعالى بخلاف ذلك بنص القرآن فهو سـميع كما قال لا يسمع كالسامعين وبصير كمـا قـال لا يبصـر كالمبصرين لا يسمي ربنا تعالى إلا بما سمي به نفسـه ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به عن نفسه فقط كما قال تعالى هـو السميع البصير فقلنا نعم هو السميع البصير ولم يقل تعالى إن له سمعاً وبصرا فلا يحل لأحد أن يقول إن له سمعاً وبصراً فيكون قائلاً على ا تعالى بلا علم وهذا لا يحل وبا تعالى نعتصم وأما خصومنا فإنهم أطلقوا أنه لا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير في أنه ذو سـمع وبصـر فيلـزمهم ضرورة أن لا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير في أنه ذو جارحة يسمع بها ويبصر بهـا ولابـد ولـولا تلـك الجارحة ما سمي أحد من العالم سميعاً ولا بصيراً ولا أبصر أحد شيئاً فإن ذكروا قول ا تعالى.

لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بهـا ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.

قلنا لهم وبا التوفيق هذه الآية أعظم حجـة علـيكم لأن ا تعالى نص فيها على أنهم لـم يـروا بعيـونهم مـا يتعظون به ولا سمعوا بآذانهم ما يقبلونه من الهدى فلما كانت العيون والآذان لا ينتفع بها استحق الذم والنكـال فلـولا أن العين والأذن بهما يكون السمع والبصر ضـرورة ولابـد لا بشيء دونهما ما استحق الذم من رزق أذناً وعيناً سالمتين فلم يسمع بهما ويبصر ما يهتدي به بعون ا عز وجل له ومـا كان يكون معنى لذكر ا عز وجل العين والأذن في السـمع والبصر بها لو جاز أن يكون سمع وبصر دونهمـا فبطـل قولهم بالقرآن ضرورة وبالحس وبديهة العقل والحمد رب العالمين وأما ما موهوا به من قولهم أنه لولا أن لـه سـمعاً وبصراً لجاز أن يقال أنه تعـالى يسـمع الألـوان ويـرى الأصوات فهذا كلام لا يطلق في كل شيءٍ على عمومه لأننا إنما خوطبنا بلغة العرب فلا يجوز أن نستعمل غيرها فيمـا خوطبنا به والذي ذكرتم من روية الأصوات وسماع الألوان

لا يطلق في اللغة التي خوطبنا فيما بيننا فليس لنا أن نـدخل في اللغة ما ليس فيها إلا أن يأتي بذلك نص فنقلبه على اللغة ثم نقول أنه لو قال قائل أنه تعالى سـميع للألـوان بصـير بالأصوات بمعنى عالم بها لكان ذلك جائزاً ولما منع من ذلك برهان فنحن نقول سمعت ا عز وجل يقول كذا وكذا ورأينا ا تعالى يقول كذا وكذا ويأمر بكذا ويفعل كذا بمعنى علمنا فهذا لا ينكره أحد ولافرق بين هذا وبين ما سألوا عنه وأيضاً فإن ا عز وجل يقول.

أو لم يروا إلى الطير فوقهم صـافات ويقـبض مـا يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيءٍ بصير.

وهذا عموم لكل شيءٍ كما قلنا فلا يجوز ن يخص به شيء دون شيء إلا بنص آخر أو إجمـاع أو ضـرورة ولا سبيل إلى شيءٍ من هذا فصح ما قلناه وبا تعالى التوفيـق وقال تعالى.

يعلم السر وأخفى.

فصح أن بصيراً وسميعاً وعليماً بمعنى واحد ثم نقول لهم وبا تعالى التوفيق إنه تعالى بإجماع منا ومـنكم هـو السميع البصير وهو أحد غير متكثر ولا نقول إنـه السـميع

للألوان البصير بالأصوات إلا على الوجه الذي قلنا ولـيس ذلك يوجب أن السميع غير البصير فالـذي أردتـم إلزامـه ساقطه وإنما اختلفت معلوماته وإنما هو تعالى واحد وعلمـه بها كلها واحد يعلمها كلها بذاته لا يعلم هو غيره البتة وبـا تعالى التوفيق فإن قال قائل أتقولون أن ا عز وجل لم يزل سميعاً بصيراً قلنا نعم لم يزل ا تعالى سميعاً بصيراً عفـواً غفوراً عزيزاً قديراً رحيماً وهكذا كل ما جاء في القرآن بكان ا كما جاء كان ا سميعاً بصيراً ونحو ذلك لأن قوله كـان إخبار عنما لم يزل إذا أخبر بذلك عن نفسه لا عمن سواه فإن قالوا أتقولون لم يزل ا خالقاً خلاقاً رازقاً قلنا لا نقول هـذا لأن ا تعالى لم ينص على أنه كان خالقاً خلاقاً رازقاً لكنـا نقول لم يزل الخلاق الرزاق ولم يزل ا تعالى لا يخلق ولا يرزق ثم خلق ورزق من خلق وهذا يوجب ضـرورة أنهـا أسماء أعلام لا مشتقه لأنه لو كان خالق ورازق مشتقين من خلق ورزق لكان لم يزل ذا خلق يخلقه ويرزقه فإن قيل فإن السميع والبصير والرحمن والرحيم والعفو والغفور والملـك كل ذلك يقتضي مسموعاً ومبصراً ومرحوماً ومغفـوراً لـه ومعفواً عنه ومملوكاً قلنا المعنى في سميع وبصير عـن ا

تعالى هو المعنى في عليم ولا فرق وليس ما يظن أهل العلم من أن له تعالى سمعاً وبصراً مختصين بالمسموع والمبصر تشبيهاً بخلقه سوى علمه لأن ا تعالى لم ينص علـى ذلـك فيلزمنا أن نقوله ولا يجوز أن يخبر عن ا بغير ما أخبـر عن نفسه لأن ا تعالى يقول.

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فصح أنه تعالى سميع ليس كمثله شيء من السامعين بصير لا كمثل شيء من البصراء فإن قال قائل أتقولـون أن ا عز وجل لم يزل يسمع ويرى ويدرك قلنـا نعـم لأن ا عز وجل قال.

إنني معكما أسمع وأرى.

وقال تعالى.

وهو يدرك الأبصار.

وقال تعالى.

وا يسمع تحاوركما.

وصح الإجماع بقول سمع ا لمن حمده وصح النص فما أذن ا لشيء اذنه لنبي حسن الصوت يتغنـى بـالقرآن

فنقول إن يسمع ويرى وأسمع وأرى ويدرك كل ذلك بمعنـى واحد وهو معنى يعلم ولا فـرق وأمـا الاذن لنبـي حسـن الصوت فهي من الاذن بمعنى القبول كمـا يـأذن الحاجـب لمأذون له في الدخول وليس من الأذن التي هي الجارحة ولو كان كما تظنون لكان بصره للمبصرات وسمعه للمسموعات محدثاً ولكان غير سميع حتى سمع وغير بصير حتى أبصر ولم يدرك حتى أدرك وحاشا له تعالى من هـذا فكـل هـذا بمعنى العلم ولا مزيد فإن قيل فإن ا تعالى يقول.

وربك يخلق ما يشاء ويختار.

قلنا نعم وخلق ا تعالى فعل له محدث له واختيـاره تعالى هو خلقه لا غيره وليس هذا من يسمع ويبصر ويـرى ويدرك في شيء لأن معنى كل هذا ومعنى العلم سـواء ولا يجوز أن يكون معنى يخلق ويختار ومعنى العلم وأما العفـو والغفور والرحيم والحليم والملك فلا يقتضي شيء من هـذا وجود مرحوم معه ولا معفو عنه مغفور له معه ولا مملوك محلوم عنه معه بل هو تعالى رحيم بذاته عفو بذاته غفـور بذاته ملك بذاته مع النص الوارد بأنه تعالى كان كذلك وهـي أسماء أعلام له عز وجل فإن ذكروا الحديث الصحيح عـن

رسول ا صلى ا عليه وسلم ما بينهم وبين أن يـروه إلا رداء الكبرياء على وجهه لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره ففي هذا الخبر إبطال لقولهم لأن فيـه أن الصر منته ذو نهاية وكل ذي نهاية محـدود وكـل محـدود محدث وهم لا يقولون هذا لكن معناه أن البصر قد يسـتعمل في اللغة بمعنى الحفظ قال النابغة رأيتـك ترعـاني بعـين بصيرة وتبعث حراساً علي وناظرا فمعنى هذا الخبـر لـو كشف تعالى الستر الذي جعل دون سطوته لأحرقت عظمتـه ما انتهى إليه حفظه ورعايته من خلقه وكذلك قول عائشة أم المؤمنين رضي ا عنه ا الحمـد الـذي وسـع سـمعه الأصوات إنما هو بمعنى أن علمه وسع كل ذلك يعلم السـر وأخفى ثم نريد بياناً بعون ا تعالى فنقول إن قولكم لا يعقل سميع إلا بسمع ولا بصير إلا ببصر فإن كان هذا صـحيحاً يوجب أن يقال إن ا سمعاً وبصراً فإنه لا يعقل من له مكر إلا وهو ماكر ولا من كان من الماكرين إلا وهو مـاكر ولا يعقل أحد مما يستهزىء إلا وهو مستهزىء ولا يعقـل أحـد ممن يكيد إلا وهو كياد ولا يعقل من له كيد ومكر إلاو هـو كياد ومكار ولا يكون خادع إلا يسمى الخادع الخـداع وذو

خدائع ولا يعقل من نسي إلا وهو ناسٍ وذو نسيان هذا هـ و الذي لا سبيل إلى أن يوجد في العالم خلافه وقد قال تعالى.

وأكيد كيداً.

وقال تعالى.

ا يستهزىء بهم.

وقال تعالى.

وهو خادعهم.

وقال تعالى.

أفأمنوا مكر ا .

وقال تعالى.

ومكروا ومكر ا وا خير الماكرين.

وقال تعالى.

قل تعالى المكر جميعاً وقال تعالى.

نسوا ا فنسيهم.

وقال تعالى.

سخر ا منهم فيلزمهم إذا سـمعوا ربهـم تعـالى ووصفوا من طريق استدلالهم قياسـهم ومـا شـاهدوه فـي الحارض عندهم أن يسموه ماكراً فيقولوا يا مـاكر ارحمنـا ويسموا بينهم عبـد المـاكر وكـذلك القـول فـي الكيـاد والمستهزىء والخداع والناسي والساخر وإلا فقـد تناقضـوا وتلاعبوا بصفات ربهم تعالى وبدينهم فإن قـالوا إن هـذه الصفات ذم وعيب وإنما نصفه عز وجـل بصـفات المـدح لزمهم مصيبتان عظيمتان إحداهما إطلاقهم أن ا عز وجـل أخبر عن نفسه في هذه الآيات بصفات الذم والعيب وهذا كفر والثانية أن يصفوا ربهم بكل صفة مدح وحمد فيما بينهم وإن لم يأت بها نص وإلا فقد تناقضوا وقصروا فيصـفوه بأنـه عاقل وأنه شجاع جلد سخي حسن الأخلاق نزيه النفس تـام المرؤة كامل الفضائل ذو هيئة نبيل نعم المرء ويقولـوا أنـه تياه قياساً على أنه تعالى جبار متكبر ويقولوا أنه مستكبر فهو والمتكبر في اللغة سواء وذو تيه وعجب وذهو ولا فرق بين هذا وبين المكر والكبرياء فيما بيننا فإن فعلوا هـذا خرجـوا عن الإسلام بالإجماع إلا أن يعذروا بشدة الجهـل وظلمتـه وعماه وأن يفروا عن ذلك تركوا ما قد دانوا به من تسـمية

ا تعالى ووصفه بأن له سمعاً وبصراً وسائر مـا وصـفوه تعالى به بآرائهم الفاسدة مما لم يأت به نص كقـولهم قـديم ومتكلم ومريد وأن له إرادة لم تزل وسائر ما اجترؤا عليـه بغير برهان من ا عز وجل وأيضاً فإن هذه الصفات التـي منعوا منها لأنها بزعمهم صفات ذم فـإن السـمع والبصـر والحياة أيضاً صفات نقص لأنه أعراض دالة على الحـدوث فيمن هي فيه فإن قالوا ليست تعالى كذلك قيل لهم ولا تلك الصفات أيضاً إذا أطلقتموها عليه أيضاً صفات ذم ولا فـرق ولقد قال لي بعضهم إنما قلنا أن ا تعالى يكيد ويسـتهزىء ويمكر وينسى وهو خادعهم على معنى أنه تعالى يقارضـهم على هذه الأفعال منهم بجزاء يسمى بأسمائها فقلت لهم نعـم هكذا نقول ولمن ننازعك في هذا فتستريح إليه بل قلنـا لكـم سموه تعالى مستهزئاً وكياداً وخداعاً وماكراً وناسياً وساخراً على معنى أنه مقارض لهم على هذه الأفعال مـنهم بجـزاء يسمىبأسمائها كما قلتم في يكيد ويستهزىء وينسـى وهـو خادعهم سواء بسواء ولا فرق وقد قلتم إن الأفعال توجـب لفاعلها أسماء فعلها فسكت خاسئاً وهذا ما لا انفكـاك منـه وبهذا وبما ذكرنا يعارض كل من قال إننا سمينا ا تعـالى

عالماً لنفي الجهل وقادراً لنفي العجز ومتكلماً لنفي الخـرس وحياً لنفي الموت فإنهم لا ينفكون من هذا البتة وأمـا نحـن فلولا النص الوارد بعليم وقدير وعالم الغيب والشهادة وقادر على أن يخلق مثلهم والحي لما جاز أن يسـمى ا تعـالى بشيءٍ من هذا أصلاً ولا يجوز أن يقال حي بحياة البتة فـإن قالوا كيف يكون حي بلا حياة قلنا لهم وكيف يكون حي غير حساس ولا متحرك بإرادة ولا ساكن بإرادة هذا ما لا يعقـل البتة ولا يعرف ولا يتوهم وهم يجرون عليه تعالى الحس ولا الحركة ولا السكون فإن قالوا إن تسمينا إياه حكيماً يغني عن عاقل وكريماً يغني عن سخي وجباراً متكبـراً يغنـي عـن متجبر ومستكبر وتياه وزاه وقوياً يغني عن شجاع وجلد قلنا هذا ترك منكم لما أصلتموه من إطلاق السمع والبصر والحياة والإرادة وأنه متكلم واحتجاجكم بأن من كان سميعاً فلابد لـه من سمع ومن كان بصيراً فلابد له من بصر ومن كان حيـاً فلابد له من حياة ومن كان مريداً فلا بد له من إرادة ومـن كان له كلام فهو متكلم فأطلقتم كل هذا على ا عز وجل بلا برهان فإن ناب عندكم ما ورد به النص من حكـيم وقـوي وكريم ومتكبر وجبار عن عاقل وشجاع وسـخي ومتجبـر

ومستكبر وتياه وزاه فلم تجيزوا أن تسموا الباري عز وجـل بشيءٍ من هذا فكذلك فقولوا كما قلنا نحن إن سميعاً وبصيراً وحياً وله كلام ويريد يغني عن تجويز ذكر السمع والبصـر والإرادة ومتكلم ولا فرق هذا علي أن قولكم إن قوياً يغنـي عن شجاع خطأ فرب قوي غير شجاع وشجاع غيـر قـوي وكذلك أيضاً كان الرحمن يغني عن رحيم والخالق يغني عن الباري وعن المصور فإن قالوا لا يجوز الاقتصـار علـى بعض ما أتي به النص ولا يجوز التعدي إلى ما لم يأت بـه النص قلنا لهم قد اهتديتم ووفقتم لرشدكم ولقيتم ربكم تعـالى بحجة ظاهرة في أنكم لم تتعدوا حدوده ولا ألحدتم في أسمائه ولا خالفتم ما أمركم به وبا تعالى التوفيق مـع أن الـذي ألزمناهم هو ألزم لهم مما التزموه لأن بالضرورة نعلم نحـن وهم أن الفعل لا يقوم بنفسه ولابد له ضرورة من أن يضاف إلى فاعله فلا بد أيضاً من إضافة الفاعل إليه علـى معنـى وصفة بأن فعله هذا ما لا يقوم في العقل وجود شـيء فـي العالم بخلاف هذه الرتبة وقد وجدنا في العلام أشياء كثيرة لا تحتاج إلى وصفها بصفة لتنفي عنها ضد تلك الصفة كالسماء والأرض لا يجوز أن يوصف منها شيء بالبصر لنفي العمي

ولا بالعمي لنفي البصر فإذا لم نضطر إلى ذلك في وصف الأشياء فيما بيننا بطل قياسهم الباري تعالى على بعض ما في العالم وكان إطلاق شيءٍ من جميع الصفات على خالق الصفات والموصوفين أبعد وأشد امتناعاً إلا بما سمي به نفسه فنقر بذلك وندري أنه حق ولا نتعداه إلى ما سواه أفلا يستحي من التزم إذا وجد أشياء من العالم توصف بالحياة لنفي الموت وبالبصر لنفي العمي ولم يجر على قياسه هذا الفاسد من أن يأتي بتسميته مستهزئاً وكياداً وقد قال تعالى أنه يستهزىء ويكيد فهلا غذ وفقه ا تعالى للإمساك عن تصريف الفعل ها هنا جري على ذلك التوفيق فلم يزد على نص ا تعالى من سميع وبصير وحي شيا أصلاً ولكن التناقض سهل من لم يعتصم بكتاب ا عز وجل وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم واستعمل رأيه وقياسه في دينه وفيما يجريه على ا تعالى نعوذ با من الضلال والخذلان وبهذا يبطل إلزام من أراد من المعتزلة إلزامنا أن نسمي ا تعالى مسياء لخلقه السيئات وشرير الشرور لخلقه قال أبو محمد وقد شغب بعضهم فيما ادعوه من أن كل صفة أضافوها إلى ا تعالى فهو غير سائر صفاته بأن ا تعالى

موصوف بأنه يعلم نفسه ولا يوصف بالقدرة على نفسه قالوا فلو كان العلم والقدرة واحداً لجريا في الإطلاق مجرى واحداً قال أبو محمد وقد بينا بطلان هذا في كلامنا قبل بعـون ا عز وجل ونزيد بعون ا عز وجل فنقول وبه نتأيد التغـاير إنما يقع في المعلومات والمقدورات لا في القـادر ولا فـي العالم ولا شك عندنا وعندهم في أن العليم والقدير واحد وهو تعالى عليم بنفسه ولا يقال عندهم قدير على نفسه فـإذا لـم يوجب هذا الحكم أن يكون القدير غير العليم فهو غير موجب أن يكون العلم غير القدرة بلا شك ثم نقول لهم أخبرونا عـن علم ا تعالى بحياة زيد قبل موته وبإيمانه قبل كفره هل هو العلم بكفره وموته أو هو غير العلم بذلك فإن قالوا إن العلـم بموت زيد هو غير العلم بحياته وعلمه بإيمانه هو غير علمه بكفره لزمهم تغاير العلم والقول بحدوثه وهم لا يقولون هـذا وإن قالوا علمه تعالى بإيمان زيد هو علمه بكفـره وعلمـه بحياة زيد هو علمه بموته قيل فإذا تغاير المعلوم تحت العلـم لا يوجب تغاير العلم في ذاته عندكم فمن أيـن أوجبـتم أن تغاير المعلوم والمقدور موجب لتغاير العلم والقدرة والحقيقة من كل ذلك أنه لا حقيقة أصلاً إلا الخالق تعالى وخلقه وأن

كل ما لم ينص الله تعالى عليه من وصفه لنفسه ومن أسمائه فلا يحل لأحد أن يخبر عنه تعالى وأن كل ما نص الله عز وجل عليه من أسمائه وما أخبر به تعالى عن نفسه فهو حق ندين الله تعالى بالإقرار به ونعلم أن المراد بكل ذلك هو الله لا شريك له وأنها كلها أسماء يعبر بها عنه تعالى ولا يرجع منها شيء إلى غير الله تعالى البتة تعالى الله أن يكون معه شيء آخر غيره وأقر بعضهم بحضرتي أن مع الله تعالى سبعة عشر شيئاً متغايرة كلها قديم لم تزل وكلها غير الله تعالى ورأيت في كتاب لبعضهم أنها خمسة عشر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وذكروا أن تلك الأشياء هي السمع والبصر والعين واليد والوجه والكلام والعلم والقدرة والإرادة والعزة والرحمة والأمر والعدل والحياة والصدق قال أبو محمد لقد قصروا من طريق النص ومن طريق العقل أيضاً عن أصولهم فأين هم عن النفس والجلال والإكرام والجبروت والكبرياء واليدين والأعين والأيدي والقدم والحمد والقوة فهذه كلها منصوص عليها كالعلم والقدرة وأين هم عن الحلم من حليم والكرم من كريم والعظمة من عظيم والتوبة من تواب والهبة من وهاب والقرب من قريب واللطف من لطيف

والسعة من واسع والشكر من شاكر والمجد من مجيد والود من ودود والقيام من قيوم وهذا كثير جداً ويتجاوز أضعاف الأعداد التي اقتصروا عليها بتحكيمهم بالضلال والإلحاد في أسمائه عز وجل وقد زاد بعضهم فيما ادعوه من صفات الذات الاستوا والتكليم والقدم والبقاء ورأيت للأشعري في كتابه المعروف بالموجز أن ا تعالى إذ قال إنك بأعيننا إنما أراد عينين وبالجملة فكل من لم يخف ا عز وجل فيما يقول ولم يستحي من الباطل لم يبال بما يقول وقد قلنا أنه لم يأت نص بلفظ الصفة قط بوجه من الوجوه لكن ا تعالى أخبرنا بأن له علماً وقوة وكلاماً وقدرة فقلنا هذا كله حق لا يرجع منه إلى شيء غير ا تعالى أصلاً وبه تعالى نتأيد قال أبو محمد ويقال لمن قال إنما سمي ا تعالى عليماً لأنه له علماً وحكيماً لأن له حكمة وهكذا في سائر أسمائه وادعى أن الضرورة توجب أنه لا يسمى عالماً إلا من له علم وهكذا في سائر الصفات إذا قستم الغائب بزعمكم تريدون ا عز وجل على الحاضر منكم فبالضرورة ندري أنه لا علم عندنا إلا ما كان في ضمير ذي خواطر وفكر تعرف به الأشياء على ما هي عليه فإن وصفتم ربكم تعالى بذلك ألحدتم ولا خلاف في

هذا من أحد وتركتم أقوالكم وإن منعتم من ذلك تركتم أصلكم في اشتقاق أسمائه تعالى من صفات فيه وأيضاً فإن عليمـاً وحكيماً ورحيماً وقديراً وسائر ما جـرى هـذا المجـرى لا يسمى في اللغة إلا نعوتاً وأوصافاً ولا تسمى أسماء البتة وأما إذا سمي الإنسان حليماً أو حكيماً أو رحيماً أو حياً وكان ذلك اسماً له فهو حينئذ أسماء أعلام غير مشتقة بلا خلاف مـن أحد وكل هذه فإنما هي عز وجل أسماء بـنص القـرآن ونص السنة والإجماع من جميع أهل الإسلام قال ا تعالى.

و الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون.

وقال قل ادعوا ا أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى.

وقال تعالى هو ا الذي لا غله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان ا عما يشركون هو ا الخالق البـارىء المصـور لـه الأسـماء الحسنى.

وقال رسول ا صلى ا عليه وسـلم إن تسـعةً وتسعين اسماً ماية إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر

يحب الوتر ولم يختلف أحد من أهل الإسلام في أنها أسـماء
تعالى ولا في أنها لا يقال أنها نعوت له عـز وجـل ولا
أوصاف ا ولو وجد في المتأخرين من يقول ذلك لكان قولاً
باطلاً ومخالفة لقول ا تعالى ولا حجة في أحد فـي الـدين
دون رسول ا صلى ا عليه وسلم فإذ لا شك فيمـا قلنـا
فليست مشتقة من صفة أصلاً ويقال لهم إذا قلتم إنها مشـتقة
فقولوا لنا من اشتقها فإن قالوا إن ا تعالى اشتقها لنفسه قلنا
لهم هذا هو القول على ا تعالى بالكذب الذي لم يخبـر بـه
عن نفسه وقفوتم في ذلك ما لم يأتكم به علـم وإن قـالوا إن
رسول ا صلى ا عليه وسلم اشتقها قلنا كذبتم على رسول
ا صلى ا عليه وسلم أوحي بها إليه فقط فصح يقينـاً أن
القول بأنها مشتقة فرية على ا تعالى وكذب عليـه ونعـوذ
با من ذلك وصح بهذا البرهان الواضح أنه لا يدل حينئـذ
عليم على علم ولا قدير على قدرة ولا حي على حياة وهكذا
في سائر ذلك وإنما قلنا بـالعلم والقـدرة والقـوة والعـزة
بنصوص أخر يجب الطاعـة لهـا والقـول بهـا ووجـدنا
المتأخرين من الأشعرية كالباقلاني وابن فـورك وغيرهمـا
قالوا إن هذه السماء ليست أسماء تعالى ولكنها تسميات له

وأنه ليس إلا اسم واحد لكنه قول إلحاد ومعارضة عز وجل بالتكذيب بالآيات التي تلونا ومخالفة لرسول ا صـلى ا عليه وسلم فيما نص عليه من عدد الأسماء وهتك لإجماع أهل الإسلام عامهم وخاصهم قبل أن تحدث هذه الفرقة ومما أحدثه أهل الإسلام في أسماء ا عز وجل القيدم قـال أبـو محمد وهذا لا يجوز البتة لأنه لم يصح به نـص البتـة ولا يجوز أن يسمى ا تعالى بما لم يسم به نفسه وقد قال تعالى.

والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم.

فصح أن القديم من صفات المخلوقين فلا يجـوز أن يسمى ا تعالى بذلك وإنما يعرف القديم في اللغة من القدمية الزمانية أي إن هذا الشيء أقدم من هذا بمدة مخصورة وهذا منفي عن ا عز وجل وقد أغنى ا عز وجل عـن هـذه التسمية بلفظة أول فهذا هو الاسم الذي لا يشاركه تعالى فيه غيره وهو معنى أنه لم يزل وقد قلنا بالبرهان أن ا تعـالى لا يجوز أن يسمى بالاستدلال ولا فرق بين من قال أنه يسمي ربه جسماً إثباتاً للوجود ونفياً للعدم وبين من سماه قديماً إثباتاً لأنه لم يزل ونفياً للحدوث لأن كلا اللفظتين لم يأت به نـص فإن قال من سماه جسماً ألحد لأنه جعله كالأجسام قيـل لـه

ومن سماه قديماً قد ألحد في أسمائه لأنه جعله كالقدماء فـإن قال ليس في العالم قدماء أكذبه القرآن بما ذكرنا وأكذبته اللغة التي بها نزل القرآن إذ يقول كل قائل في اللغة هذا الشـيء أقدم من هذه وهذا أمر قديم وزمان قديم وشيخ قديم وبنـاء قديم وهكذا في كل شيء وأما نفي خلق الإيمان فهذا أعجـب ما أتوا به وهل الإيمان الأفعل المؤمن الظـاهر منـه يزيـد وينقص ويذهب البتة وهو خلق ا تعـالى وهـذه صـفات الحدوث نفسها فإن قالوا أن ا هو المؤمن قلنا لهم نعم هـو المؤمن المهيمن المصور فأسماؤه بذلك أعلام لا مشتقة مـن صفات محمولة فيه عز وجل تعالى ا عن ذلك إلا ما كـان مسمى له عز وجل لفعل فعله فهذا ظاهر كالخالق والمصور فإن قلتم في هذا أيضاً أنها صفات لم تزل لزمكم أنه تعـالى المصور بتصوير لم يزل قال أبو محمد وقـال بعضـهم إن قولنا سميع بسمع بصير ببصر حي بحياة لا يوجب تشـابهاً ولا يكون الشيء شبهاً للشيء إلا إذا ناب منابه وسد مسـده قال أبو محمد وهذا كلام في غاية السخافة لأنه دعوى بـلا برهان لا من شريعة ولا من طبيعة وما اختلفت قط اللغـات

والطبائع والأمم في أن النسبة بين المشبهات إنما هو بصفاتها في الأجسام وبذواتها في الإعراض وقد قال ا تعالى.

وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم.

فليت شعري هل قال ذو مسكة من عقل أن الحميـر والكلاب والخنافس تنوب منابنا أو تسدنا وقال تعالى حاكيـاً عن الأنبياء عليهم السلام أنهم قالوا.

إن نحن إلا بشر مثلكم.

فهل قال قط مسلم أن الكفار ينوبون عـن الأنبيـاء ويسدون مسدهم وقال تعالى.

كأنهن الياقوت والمرجان.

فهل قال ذو مسكة من عقل إن الياقوت ينوب منـاب الحور العين ويسد مسدهن ومثل هذا في القرآن كثيـر جـداً وفي كلام كل أمة والعجب أنهم بعد أن أتوا بهـذه العظيمـة نسوا أنفسهم فجعلوا التشابه في بعض الأحوال يوجب شـرع الشرائع قياساً وهذا دين لم يأذن به ا تعالى فهم أبـداً فـي الشيء وضده والبناء والهدم ونعوذ با من الخذلان قال أبو

محمد وحقيقة التماثل والتشابه هو أن كل جسمين اشتبها فإنما يشتبهان بصفة محمولة فيهما أو بصفات فيهما وكل عرضين فإنما يشتبهان بوقوعهما تحت نوع واحد كالحمرة والحمرة .

الكلام في الحياة

قال أبو محمد وقالوا أن الدليل أوجـب أن البـاري تعالى حي لأن أفعال الحكمة لا تقع إلا من الحي وأيضاً فإنه لا يعقل إلا حي أو ميت قلنا إمكان وقوع الفعل مـن الميـت صح وقوعه من الحي ولابد ثم انقسم هؤلاء قسمين فطائفـة قالت هو تعالى حي لا بحياة وطائفة قالت بل هو تعالى حـي بحياة واحتجت أنه لا يعقل أحد حياً إلا بحياة ولم يكن الحـي حياً إلا لأن له حياة ولولا ذلك لم يكن حياً قالوا ولو جاز أن يكون حياً لأن له حياة لكن لأنه فاعل فقط عـالم قـادر ولا يكون العالم القادر الفاعل إلا حياً قال أبو محمد وكلا القولين في غاية الفساد لاتفاق الطائفتين على أن سموا ربهم تعـالى حياً من طريق الاستدلال إما لنفي الموت والجمادية عنه وإما لأنه فاعل قادر عالم ولا يكون الفاعل القادر العالم إلا حيـاً يلزمهم أن يطردوا استدلالهم هذا وإلا فهم متناقضـون وإذا طردوا استدلالهم هذا لزمهم ولابد أن يقولوا أنه تعالى جسم لأنهم لم يعقلوا قط فاعلاً ولا حكيماً ولا عالماً ولا قـادراً إلا جسماً فإذا لم يكن هذا دليلاً على أنه جسم فليس دليلاً علـى أنه حي وأيضاً فإن اتفاقهم على ما ذكرنا موجب على الطائفة

الأولى أن يطردوا أيضاً استدلالهم وإلا فهو فاسد فنقول أنه لا يكون القادر العالم فيما بيننا إلا ذا حياة ولا يكـون حيـاً إلا بحياة لا يعقل غير هذا أصلاً ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم فقال إذا كان الحي لا يجب أن يقال أن لـه حياة من أجل أنه حي ولا أنه إذا كان حياً وجب أن يكون له حياة ولا أنه سمى الحي حياً لأن له حياة فكذلك لم يجـب أن يكون الفاعل فاعلاً لأنه حي لكن لأن له فعلاً فقط ولا وجب أن يكون الفاعل فاعلاً لأنه عالم قادر لكن لأن له فعلاً وكذلك المؤلف لم يسم مؤلفاً لأن فيه تأليفاً ولا سمي الحكيم حكيمـاً لإحكامه الفعل ولا وجب المؤلف أن يكون محـدثاً للتـأليف الذي فيه على أن من قال بعض هذه القضايا فهو أصح قولاً ممن قال إن كون الحي حياً لا يقتضي بـذلك الاسـتدلال أن يكون له حياة لأننا لم نجد قط حياً إلا بحياة ولا توهمنا ذلـك إلا بالعقل ولا يتشكل في العقل البتة ولا يدخل فـي الممكـن بدليل وقد وجدنا العنكبوت والنحل والخطاف تحكـم أفعالهـا وبنائها بالطين وبالشمع مسدساً على رتبة واحدة وبالنسج ثـم لا يجوز أن يسمى شيء منها حكيماً فإن قال إنما أقول أنـه حي استدلالاً بأنه لا يموت والحي هو الذي لا يمـوت فقـط

كان قد أتى بأسخف قول وذلك يلزمه أن يقول أننا لسنا أحياء لأننا نموت وأنه لا حي في العالم لأن من قول هذا القائل أن الملائكة تموت فليس في العالم حي على قولـه وقـد أتـى بعضهم بهذيان ظريف فقال قد وجدنا شيئاً فيه حيـاة ولـيس حياً وهو يد الإنسان ورجله قال أبو محمد ولقد كان ينبغـي لمن هذا مقداره من الجهل أن يتعلم قبل أن يتكلم أمـا علـم الجاهل أن الحياة إنما هي للنفس لا للجسد وأن الحي إنما هي النفس لا الجسد أما سمع قول ا عز وجل.

فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فـي الصدور.

وليت شعري لو عكس عليه هذا السخف فقيل له بل يد الإنسان حية ولا حياة فيها بماذا كان ينفصـل مـن هـذا الجنون المطابق لجنونه ثم إذ قد بطل قـول هـؤلاء فنقـول بحول ا تعالى وقوته للطائفة الأخرى التي قالت أنه تعـالى حي بحياة استدلالاً بالشاهد ما الفرق بينكم وبين من قال هـو تعالى جسم لأن الأفعال لا تقع إلا من جسم فإنه على أصولكم لا يعقل إلا جسم وعرض فلما بطل إمكان الفعل من العرض صح وقوعه من الجسم فقط ولابد ولما صـح أن العـالم لا

يكون إلا جسماً ذا ضمير صح أنه تعالى جسـم ذو ضـمير ولما صح أنه قادر والقادر لا يكون إلا جسماً صح أنه جسـم فبأي شيء راموا الانفصال به عكس عليهم مثله سواء بسواء في استدلالهم وما التزموه لزمهم فإن قالوا أنه تعالى أخبر أنه حي ولم يخبر أنه جسم قلنا لهم وبا التوفيق وإن ا تعـالى لم يخبر بأن له حياة فإن قالوا إن الحي يقتضي أن له حيـاة قلنا لهم والحي يقتضي أنه جسم وهكذا أبداً فإن قالوا أنه تعال قال.

وتوكل على الحي الذي لا يموت.

فوجب أن يكون حياً بحياة قيل لهم وإن وجب هـذا فقال تعالى.

لا تأخذه سنة ولا نوم.

فقولوا أنه تعالى يقظان فإن قالوا لم ينص تعالى على أنه يقظان قيل لهم ولا نص تعالى على أن له حياة فإن قالوا الحي يقتضي حياة قيل لهم ومن ليس نائماً ولا وسنان فهـو يقظان ولا فرق ويقال لهم أخبرونا ماذا نفيـتم عنـه تعـالى بإيجاب الحياة له أنفيتم عنه بذلك الموت المعهود والمواتيـة المعهودة أم موتاً غير معهود ومواتية غير معهودة ولا سبيل

إلى قسم ثالث فإن قالوا نفينا عنه الموت المعهود والمواتيـة المعهودة قلنا لهم إن الموت المعهود والمواتية المعهـودة لا ينتفيان البتة إلا بالحياة المعهودة التي هي الحـس والحركـة والسكون الإراديان وهذا خلاف قولكم ولو قلتمـوه لأبطلنـا قولكم بما أبطلنا به قول المجسمة وإن قالوا ما نفينـا عنـه تعالى إلا موتاً غير معهود ومواتية غير معهودة قلنـا لهـم وبا تعالى التوفيق هذا لا يعقل ولا يتوهم ولا قام به دليـل ولا يجوز أن ينتفي ما ذكرتم بحياة يقتضـيها اسـم الحـي المعقول وهكذا نقول في قولهم سميناه تعالى سـميعاً لنفـي الصمم وبصيراً لنفي العمى ومتكلماً لنفي الخرس فنسألهم هل نفيتم بذلك كله الخرس المعهود والصمم المعهـود والعمـى المعهود أم صمماً لا يعهد وعمى غير المعهود وخرساً غيـر المعهود فإن قالوا نفينا المعهود من كل ذلك قلنا إن الصـمم المعهود لا ينتفي إلا بالسمع المعهود الذي هو بإذن سـالمة والعمى المعهود لا ينتفي إلا بالبصر المعهود الذي هو حدقة سالمة والخرس المعهود لا ينتفي إلا بالكلام المعهود الذي هو صوت من لسان وحنك وشفتين فإن قالوا بل نفينا من كل من ذلك غير المعهود قلنا هذا لا يعقل ولا يتوهم ولا يصح بـه

دليل ولا ينتفي بما أردتم نفيه به وأيضاً فإن الباري تعالى لو كان حياً بحياة لم يزل وهي غيره لوجب ضرورة أن يكـون تعالى مؤلفاً مركباً من ذاته وحياته وسائر صفاته ولكان كثيراً لا واحداً وهذا إبطال الإسلام ونعوذ با من الخذلان قال أبو محمد وأما قولهم إنما خاطبنا ا بما نعقل ودعواهم أن فـي بديهة العقول أن الفاعل لا يكون إلا عالماً بعلم هو غيره حياً بحياة هي غيره قادراً بقدرة هي غيره متكلماً بكلام هو غيره سميعاً بسمع هو غيره بصيراً ببصر هو غيره فإنا نقول وبا تعالى نتأيد أن هذه القضية كما ذكروا ما لم يقم برهان علـى خلاف ذلك ثم نسألهم هل عقلتم قط أو توهمتم ناراً محرقـة تنبت في الشجر المثمر وهذه صفة جهنم التـي أنكرتموهـا كفرتم وهل عقلتم قط طيراً حيـاً يؤكـل دون أن يمـوت أو يعاني بنار وهذه صفة الجنة التي إن أنكرتموها كفرتم ومثل هذا كثير وإنما الحق أن لا نخرج عما عهدناه وما عقلناه إلا أن يأتي برهان فإن قنعوا بهذا القدر من الـدعوى فليقنعـوا بمثل هذا من المجسمة إذ قالوا إنما خاطبنا ا تعالى بما نفهم ونعقل لا بما لا يعقل وقد أخبرنا تعالى أن له عينـاً ويـداً ووجهاً وأنه ينزل ويجيء في ظلل من الغمام قالوا فكل هـذا

محمول على ما عقلنا من أنها جوارح وحركات وأنها جسـم وأقنعوا به منهم أيضاً إذ قالوا أببديهة العقل وأولـه عرفنـا ووجب أنه لا يكون الفاعل إلا جسماً في مكـان وبضـرورة العقل علمنا أنه لا شيء إلا بجسم أو عرض وما لـم يكـن كذلك فهو عدم وإن ما لم يكن عرضاً فهو جسـم والبـاري تعالى ليس عرضاً فهو جسم ولابد وأقنعوا بمثل هـذا مـن المعتزلة إذ قالوا في إبطال الرؤية بضرورة العقل عرفنا أنه لا يرى إلا جسم ملون وما كان في حيز وإذ قالوا بضرورته وبديهته علمنا أن كل من فعل شيئاً فإنما يوصف به وينسـب إليه فلو أنه تعالى خلق الشر والظلم لنسب إليه ووصف بهما واقنعوا بهذا من الدهرية إذ قالوا بضرورة العقل علمنا أنه لا يكون شيئاً إلا من شيء أو في شيء قال أبـو محمـد فكـل طائفة من هذه الطوائف تدعي الباطل على العقول والحقيقـة في هذا هو أن كل من ادعى في شيء ما أنه يعرف ببديهـة العقل وضرورته وأوله أن ينظر في تلك الدعوى فإن كانـت مما ترجع إلى الحواس المشاهدة فهي دعوى كاذبة فاسدة لأن العقول توجب أشياء لا تشكل في الحواس كالألوان التـي لا يتوهمها الأعمى ولا يتشكلها بحاسة وهو موقن بها بضرورة

عقله لصحة الخبر وتواتره عليها بوجودها وكالصوت الـذي لا يتوهمه البتة ولا يشكله من ولد أصم أصلح وهـو مـوقن بعقله بصحة الأصوات لتواتر الخبر عليه بصحتها وإن كانت تلك الدعوى ترجع إلى مجرد العقل دون توسط الحواس فهي دعوى صادقة وهذه الدعاوي التي ذكرنا عـن الأشـعرية والمجسمة والمعتزلة والدهرية فإنما غلطوا فيها لأنهم نسـبوا إلى أول العقل ما أدركوه بحواسهم وقد قلنا أن العقل يوجـب ولا بد معرفة أشياء لا تدرك بـالحواس ولاسـيما دعـوى الدهرية فإنها تعارض بمثلها من أن بضرورة العقل وأولـه علمنا أنه لا يمكن وجود جسم وعرض في زمان لا أول لـه وهذا هو الحق لا دعواهم التي عولوا فيها على ما شـاهدوا بحواسهم فقط وبا تعالى التوفيق وأيضـاً فيقـال لهـم إذا سميتموه حياً لنفي الموت والمواتية عنه تعالى وقادراً لنفـي العجز وعالماً لنفي الجهل فيلزمكم ولابد أن تسموه حساسـاً لنفي الخدرعنه وسماماً لنفي الجسم عنـه ومتحركـاً لنفـي السكون والجمادية عنه وعاقلاً لنفي ضد العقل عنه وشجاعاً لنفي الجبن عنه فإن امتنعوا من ذلك كانوا قد ناقضـوا فـي استدلالهم في تسميتهم إياه حياً عالماً قادراً جواداً فإن قالوا أنه

لا يجوز أن يسمى بشيء مما ذكرنا لأنه لم يأت به نص قيل لهم وكذلك لم يأت نص بأن له تعالى حياة ولا بأنه إنما سمي حياً عالماً قادراً لنفي أضداد هذه الصفات عنه لكن لما جـاء النص بأنه تعالى يسمي الحي العالم القدير سميناه بذلك ولولا النص ما جاز لأحد أن يسمي ا تعالى بشيء م ذلـك لأنـه كان يكون مشبهاً له بخلقه لاسيما ولفظة الحي تقع في اللغـة على العالم المميز بالحقائق قال تعالى.

لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين.

فأراد بالحي ها هنا العالم المميز بالإيمان المقر بـه وأيضاً فإنهم يدعون أنهم ينكرون التشبيه ثم يركبونـه أتـم ركوب فيقولون لما لم يكن الفعال عندنا إلا حياً عالماً قـادراً وجب أن يكون الباري الفاعل للأشياء حياً عالماً قادراً وهذا نص قياسهم له على المخلوقات وتشبيهه تعالى بهم ولا يجوز عند القائلين بالقياس أن يقاس الشيء إلا على نظيره وأما أن يقاس الشيء على خلافه من كل جهة وعلى ما لا يشبهه في شيء البتة فهذا ما لا يجوز أصلاً عند أحد فكيـف والقيـاس كله باطل لا يجوز وأيضاً فإن الحياة التي لا يعـرف أحـد بالعقل حياة غيرها إنما هي الحس والبركـة الإراديـة ولا

يعرف أحد الحي إلا بالحساس المتحرك بإرادة وهـذا أمـر يعرف بالضرورة فمن أنكر ذلك فقد أنكر الحس والمشـاهدة والضرورة وخرج عن أن يكلم فإن قال قائل منهم إن الموات قد يتحرك فلم يزد على أن أبان عن قوة جهله لأنه إنما قلنـا الحركة الإرادية فإذا لم يفرق هـذا الجاهـل بـين الحركـة الإرادية والاضطرارية فينبغي له أن يتعلم قبل أن يتكلم وكل حركة ظهرت من غير حي فليست حركة إرادية لـه لكنهـا تحريك المحرك له إما الباري تعالى وإما من دونـه وممـا يبطل قولهم ضرورة أنه إنما سمي تعالى حياً لأنه عالم قادر وجودنا أحياء كثيرة ليسوا علماء ولا قادرين كالأطفال حـين ولادتهم وكالنائم المستثقل وكالمخدور من المجانين وكضعاف الدود والصوداب وما لا ينتقل عن محله كالوصل وغيـره وكالمريض من سائر الحيون فهذه كلها أحياء ليس شيء منها عالماً ولا قادراً فصح ضرورة أنه لا معنى للحيـاة يـرتبط بالعلم والقدرة لكن الحق في ذلك أن بعض الأحياء عالم قادر وليس كل حي عالماً قادراً ولا سبيل إلى وجود حـي غيـر حساس ولا متحرك بإرادة فإن ذكروا المغمى عليه فذلك عائد عليهم لأنه ليس عالماً ولا قادراً وأما الحس ففيه بالضـرورة

ولو جش جشاً قوياً لتألم ولأخبر بذلك عند انتباهـه وكـذلك الحس والحركة الإرادية باقيان لابـد فـي بعـض أعضـاء المخدور والمغمى عليه ولابد وقد بينا الواجب في هذا وهـو أنه لا يسمى ا عز وجـل ولا نخبـر عنـه مـن طريـق الاستدلال باسم يشاركه فيه شيء من خلقه ولا بخبر يشاركه فيه شيء من خلقه ولكننا نقول أنه تعالى لا يجهل شيئاً أصلاً وهذه صفة لا يستحقها أحد دونه تعالى ونقول لا يغفل البتـة ولا يضل ولا يسهو ولا ينام ولا يتحير ولا ينحل ولا يخفـى عليه متوهم ولا يعجز عن مسئول عنه ولا ينسى وكل هـذا فلا يستحقه مخلوق دونه تعالى أصلاً ثم نقر بمـا جـاء بـه القرآن والسنن كما جاء لا نزيد ولا ننقص منـه ولا نحيلـه فنؤمن بأنه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه وأمالفظ الصفة في اللغة العربية وفي جميع اللغات فإنما هـو عبارة عن معنى محمول في الموصوف بها لا معنى للصفة غير هذا البتة وهذا أمر لا يجوز إضافته إلى ا تعالى البتة إلا أن يأتي نص بشيء أخبر ا تعالى به عن نفسه فنؤمن به وندري حينئذ أنه اسم علم لا مشتق من صفة أصلاً وأنه خبر عنه تعالى لا يراد به غيره عز وجل ولا يرجع منه إلى سواه

البتة والعجب كل العجب أنهم يسمون ا حياً لأنهم لم يجدوا الفعل يقع إلا من حي ثم يقولون أنه لا كالأحياء فعادوا إلى دليلهم فأفسدوه لأنهم إذا أوجبوا وقوع الفعل من حي ليس كالأحياء الذين لا تقع الأفعال إلا منهم فقد أبطلوا أن يكون ظهور الأفعال دليلاً على أنها من حي كما عهدوه وقد علمنا يقيناً أن القدرة من كل قادر في العالم فإنما هي عرض فيه وأن الحياة في الحي المعهود بضرورة العقل عرض فيه أيضاً وإن العلم في كل عالم في العالم كذلك وقد وافقونا على أن الباري تعالى بخلاف ذلك فإذ قد بطل أن يكون هذا موصوفاً بصفة القادر فيما بيننا والعالم منا التي لولاها لم يكن العالم عالماً والقادر قادراً فإن الفعل فيما بيننا لا يقع إلا من أهل تلك الصفة فقد بطل ضرورة أن يسمى الباري تعالى باسم قادر أو عالم أو حي استدلالاً بأن الفعل فيما بيننا لا يقع إلا من عالم قادر وإذ قد جوزوا وجود علم ليس عرضاً وحياة ليست عرضاً وهذا أمر غير معقول أصلاً فلا ينكر وجود حي لا بحياة وسميع لا بسمع وبصير لا ببصر وكل هذا خروج عن المعهود ولا فرق وإنما يستجاز الخروج عن المعهود إذ جاء به نص من الخالق عز وجل أو قام به

برهان ضروري وإلا فلا ولم يأت نص قط بلفظ الحيـا ولا الإرادة ولا السمع ولا البصر واحتج بعضهم في معارضـة من قال إن الحي لا يكون إلا حساساً متحركاً بإرادة لأننا لـم نشاهد قط حياً إلا حساساً متحركاً بإرادة فقال هذا المعترض إن من اتفق له أن لا يرى نباتاً إلا أخضـر ولا أخضـر إلا نباتاً فقطع بأن كل أخضر فهو نبات فقد أخطأ قال أبو محمد فأول ما يقال له قل هذا لنفسك في استدلالك بأنك لم تر قـط فعالاً إلا حياً عالماً قادراً ولا فرق ثم نعوذ بعون ا تعـالى إلى بيان ما شغبوا به مما لا يعرفون الفرق بينه وبين ما يقع عليه فنقول وبا تعالى التوفيق أن الأعراض تنقسـم إلـى قسمين أحدهما ذاتي لا يتوهم بطلانـه إلا بـبطلان حاملـه كالحس والحركة الإرادية للحي وكـذلك احتمـال المـوت للإنسان مع إمكان التمييز للعلوم والتصرف في الصـناعات وما أشبه هذا ومن هذه الأعراض تقـوم فصـول الأشـياء وحدودها التي تفرق بينها وبين غيرها من الأنواع التي تقـع معها تحت جنس واحد فهذا القسم مقطوع على وجوده في كل ما وقع اسم حامله عليه والقسم الثاني غيري وهو ما يتـوهم بطلانه ولا يبطل بذلك ما هو فيه كاجترار البعير وحـلاوة

العسل وسواد الغراب فإن وجد عسل مر وقد وجدناه لم يبطل بذلك أن يكون عسلاً وكذلك لو وجد غراب أبيض وقد وجـد لم يبطل بذلك أن يكون غراباً فمثل هذا القسم لا يقطع علـى أنه موجود ولابد أبداً فهذا الفرق بين ما شغب به من النبـات لأنه إن توهم النبات أحمر أو أصفر لم يبطل أن يسمى نباتـاً ولكنه إن توهم أن يكون النبات غير نام من الأرض ولا متغذ برطوباتها منجذباً بحر الهواء ورطوبته فإنه لا يكـون نباتـاً أصلاً وأيضاً فقد قال بعضهم أنه قد يعرف الباري حياً من لا يعرفه حساساً متحركاً بإرادة قيل له وقد يعرفه حيـاً مـن لا يعرف أن له حياة وقد يعرفه جسماً من لا يعرفه مؤلفـاً ولا محدثاً وليس توهم الجهال لما توهموه من الحماقـات حجـة على أهل العقول والعلوم والحمد رب العالمين قـال أبـو محمد وبرهان ضروري وهو أن كل صفة في العـالم فهـي ضرورة ولابد عرض بين الطرفين أو أحد ذينـك الطـرفين وإما ذات ضد فحاملها بالضرورة قابل للأضداد فلا عالم في العالم إلا والجهل منه متوهم ولا قادر في العالم إلا والعجـز منه متوهم ولا حي في العالم إلا والسكون والحركة والحـس والحذر متوهمات كلها منه وقد علمنا أن ا تعـالى أرحـم

الراحمين حقاً لا مجازاً من أنكر هذا فهو كافر حـلال دمـه
وماله وهو تعالى يبتلي الأطفال بالجدري واواكـل والجـن
والذبحة والأوجاع حتى يموتوا وبالجوع حتى يموتوا كـذلك
ويفجع الآباء بالأبناء وكذلك الأمهات والأحياء بعضهم ببعض
حتى يهلكوا ثكلاً ووجداً وكذلك الطير بأولادها وليست هـذه
صفة الرحمة بيننا فصح يقيناً أنها أسماء سمى ا تعـالى
بها نفسه غير مشتقة من صفة محمولة فيه تعالى وحاشا لـه
من ذلك فإن قالوا إن العالم القادر الحي الأول الرحيم بخلاف
هذا قيل لهم صدقتم وهذا إبطال منكم لاستدلالكم بالشاهد بينكم
على تسمية الباري وصفاته قال أبو محمد وأما وصفنا الباري
تعالى بأنه الواحد الأول الحق الخالق من طريق الاسـتدلال
فإنه لا يلزمنا في ذلك شيء مما ألزمناه خصومنا لأنه قد قام
البرهان بأنه خالق ما سواه وليس في العالم خالق البتة بوجه
من الوجوه وقد قام البرهان على أنه تعالى واحد لا واحد في
العالم غيره البتة بوجه من الوجوه وكل ما في العالم فمتكثـر
باحتمال القسمة والتحري وقد قام البرهان على أنـه تعـالى
الأول والأول في العالم البتة بوجه من الوجوه وكل ما فـي
العالم ينافي الأول وقام البرهان بأنه تعالى الحق بذاتـه وإن

كل ما في العالم فإنما هو محقق له تعالى وإنما كـان حقـاً بالباري جل وعز ولولاه لم يكن حقـاً فهـذا هـو البرهـان الصحيح الثابت الذي لا يعارض ببرهان البتة وهذا هو نفي التشبيه ثم إننا ننفي عن الباري تعالى جميع صـفات العـالم فنقول أنه تعالى لا يجهل أصلاً ولا يغفل البتة ولا يسهو ولا ينام ولا يحس ولا يخفى عليه متوهم ولا يعجز عن مسـئول عنه لأننا قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا أن ا تعالى بخلاف خلقه من كل وجه فإذ ذاك كذلك فواجب نفي كل ما يوصـف به شيء مما في العالم عنه تعالى على العموم وأمـا إثبـات الوصف أو التسمية له تعالى فلا يجوز إلا بنص ونخبر عنه تعالى بأفعاله عز وجل فنقول أنه تعالى محي الموتى ومميت الأحياء إلا أن لا يثبت إجماع في إباحة شيء من ذلك ولولا الإجماع على إباحة إطلاق بعض ذلك ها هنا لمـا أجزنـاه ونقول أنه تعالى بكل شيء عليم لم يزل كذلك والمعنى فـي هذا أنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأشياء على حسب هيئة كل مخلوق منها لا على أن الأشياء لم تزل موجودة فـي علمـه معاذ ا من هذا ولكن نقول لم يزل تعالى يعلم أنه سـيحدث كل ما يكون شيئاً إذا أحدثه على ما يكون عليه إذا كان وبا

تعالى التوفيق قال أبو محمد ونجمع إن شاء ا تعالى ها هنا بيان الرد على من أقدم أن يسمي ا تعالى بغير نص لكـن بما دله عليه عقله وظنه أنه حسن ومدح أو استدلالاً بما سمى به تعالى نفسه أو تصريفاً من ذلك أو قياساً على ما شاهد من خلقه فنقول وبا تعالى التوفيق أن ا تعالى سـمى نفسـه الرحمن الرحيم يغني عن ذلك قيل له نقضـت أصـلك لأن الحي يغنى على هذا عن أن يقال أن له حياة وأيضـاً فـإن الرحمن يغني عن الرحيم فإن قال قد وردالنص به قيـل لـه صدقت ولا تتعد ما جاء به النص وامنع ما سواه وسمى نفسه العليم فسمه الداري الحبر الفهم الزكي العارف النبيل فكل هذا مدح ومعناه في اللغة بمعنى عليم ولا فـرق وسـمى نفسـه الكريم فسمه السخي والجواد وسمى نفسه الحكيم فسمه الناقد العاقل وسمى نفسه العظيم فسمه الفخم الضخم وسمى نفسـه الحليم فسمه المجتمل المتأني الصابر الصبور الصبار وأخبر أنه قريب فسمه الداني المجاور المياسر وسمى نفسه الواسـع فسمه الرحب العريض وسمى نفسه العزيز فسـمه الـرئيس وأخبر أنه شاكر وشكور فسمه الحامد الحماد وسمنى نفسـه القهار فسمه الظافر وسمى نفسه الآخر فسمه الثاني والتـالي

والخاتم وسمى نفسه الظاهر فسمه العارف والداري وسـمى نفسه الكبير فسمه الرئيس والمتقدم وسمى نفسه القدير فسـمه المطيق والمستطيع وسمى نفسه العلي فسمه العالي والرفيـع والسامي وسمى نفسه البصير فسمه المعاين وسـمى نفسـه الجبار فسمه المتجبر الزاهي التياه وسمى نفسه المتكبر فسمه المستكبر المتعاظم المتنحي وسمى نفسه البر فسمه الزاكـي المواصل وسمى نفسه المتعالي فسمه المتعظم المترفع وسمى نفسه الغني فسمه الموسر الملي المكثر الوافر وسمى نفسـه الولي فسمه الصديق المصادق الوالي الحبيب وسمى نفسـه القوي فسمه الجاد النجد الشجاع الجليد الشديد الباطش وسمى نفسه الحي وأخبر أن له نفساً فسمه المتحرك الحساس واقطع بأن له روحاً بمعنى النفس وسمى نفسه السميع البصير فسمه الشمام الذواق وسمى نفسه المجيد فسـمه الشـريف الماجـد وسمى نفسه الحميد فسمه المحمد المحمود الممدوح الممـدح وسمى نفسه الودود فسمه الواد المحب الحبيب الوديد وسمى نفسه الصمد فسمه المصمت وسـمى نفسـه الحـق فسـمه الصحيح الثابت وسمى نفسه اللطيف فسمه الخفيـف وذكـر تعالى أن له مكراً وكيداً فقل إن له دهاء ونكراً وحساً وتحيلاً

وخدائع فهذا كله في اللغة وفيما بيننا سـواء وسـمى نفسـه المتين فسمه الواضح البين اللائح البادي وسمى نفسه المؤمن فسمه المسلم المصدق وسمى نفسه البـاطن فسـمه الخفـي الغائب المتغيب وسمى نفسه الملك والمليك فسـمه السـلطان وصح بالسنة أنه يسمى جميلاً فسمه قال أبو محمد فإن أبـى من كل هذا نقض أصله وكذلك إن قال إن بعض ذلك يغنـي عن بعض لزمه إسقاط الحياة لأن الحي يغني عن ذكر الحياة على هذا الأصل ولزمه أن لا يقول أنه متكلم لأن الكلام مغن عن ذلك ولزمه أيضاً إسقاط السمع والبصر لأنـه اسـتغنى بالسميع والبصير ولزمه أيضاً إسقاط ما جاء بـه الـنص إذا كان بعضه يغني عن بعض والملك يغني عن مليـك وأحـد يغني عن واحد وجبار يغني عن متكبر وخالق يغنـي عـن الباري وهكذا في سائر الأسماء فلم يبق إلا الرجـوع إلـى النصوص فقط فإذ قد صح هذا بيننا فلا يحل أن يسـمى ا عز وجل القديم ولا الحنان ولا المنان ولا الفـرد ولا الـدايم ولا الباقي ولا الخالد ولا العالم ولا الـداني ولا الرائـي ولا السامع ولا المعتلي ولا العالي ولا المتبارك ولا الطالـب ولا الغالب ولا الضار ولا النافع ولا المـدرك ولا المبـدىء ولا

المعيد ولا الناطق ولا القادر ولا الـوارث ولا الباعـث ولا القاهر ولا الجليل ولا المعطي ولا المنعم ولا المحسـن ولا الحكم ولا الحاكم ولا الواهب ولا الغفـار ولا المضـل ولا الهادي ولا العدل ولا الرضي ولا الصادق ولا المتطول ولا المتفضل ولا المان ولا الخير ولا الحافظ ولا البيدع ولا الإله ولا المجمل ولا المحيي ولا المميت ولا المنصف ولا بشيء لم يسم به نفسه أصلاً وإن كان في غاية المدح عندنا أو كان متصرفاً من أفعاله تعالى إلا أن نخبر عنه بكل هـذا الـذي ذكرنا بالإضافة إلى ما نذكر مع الوصف حينئذ والإخبار عن فعله تعالى فهذا جائز حينئذ فيجوز أن يقال عـالم الخفيـات عالم بكل شيء عالم الغيب والشهادة غالب على امره غالـب على كل من طغى أو نحو هذا القادر على ما يشـاء القـاهر للملوك وارث الأرض ومن عليها المعطي لكل مـا بأيـدينا الواهب لنا كل ما عندنا المنعم على خلقه المحسن إلى أوليائه الحاكم بالحق المبدي لخلقه المعيد له المضل لأعدائه الهـادي لأوليائه العدل في حكمه الصادق في قوله الراضـي عمـن أطاعه الغضبان على من عصاه الساخط على أعدائه الكـاره لما نهى عنه بديع السموات والأرض إلـه الخلـق محيـي

الأحياء والموتى مميت الأحياء والموتى المنصف ممن ظالم
باني الدنيا وداحيها ومسويها ونحو هذا لأن كل هذا إخبار
عن فعله تعالى وهذا مباح لنا بإجماع وهو من تعظيمه تعالى
ومن دعائه عز وجل وليس لنا أن نسميه إلا بنص وكذلك
نقول إن تعالى كيداً ومكراً وكبرياء وليس هذا من المدح
فيما بيننا بل هو فيما بيننا ذم ولا يحل أن نقول أن تعالى
عقلاً وشجاعة وعفة ودهاء وفهماً وذكاء وهذا غاية المدح
فيما بيننا فبطل أن يراعي فيما يخبر به عن ا تعالى ما هو
مدح عندنا أو ما هو ذم عندنا بل النص فقط وبا تعالى
التوفيق ومن البرهان على هذا أن رسول ا صلى ا عليه
وسلم قال إن تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد من
أحصاها دخل الجنة فلو كانت هذه الأسماء التي منعنا منها
جائزاً أن تطلق لكانت أسماء ا تعالى أكثر من مائة ونيف
وهذا باطل لأن قول رسول ا صلى ا عليه وسلم مائة
غير واحد مانع من أن يكون له أكثر من ذلك ولو جاز ذلك
لكان قوله عليه السلام كذباً وهذا كفر ممن أجازه وبا تعالى
التوفيق وقال تعالى وعلم آدم الأسماء كلها فأسماؤه بلا شك
كما هي داخلة فيما علمه آدم عليه السلام وتخصيص كلامه

عليه السلام لا يحل فإذ ذلك كذلك فمن هو الذي اشتقها مـن الصفات فإن قالوا هو اشتقها كذبوا على ا   تعالى جهـاراً إذ أخبروا عنه بما لم يخبر به تعالى عن نفسه وهذا عظيم نعوذ با منه وهذه كلها براهين كافية لمن عقـل وبـا   تعـالى التوفيق والحمد   رب العالمين .

الكلام في الوجه واليد والعين والجنب والقدم

والتنزل والعزة والرحمة والأمر والـنفس والـذات والقوة والقدرة والأصابع قال أبو محمد قال ا عز وجل.

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

فذهبت المجسمة إلى الاحتجاج بهذا في مذهبهم وقال الآخرون وجه ا تعالى إنما يراد به ا عز وجل قال أبـو محمد وهذا هو الحق الذي قام البرهان بصحته لما قدمنا من إبطال القول بالتجسيم وقال أبو الهذيل وجه ا هو ا قـال أبو محمد وهذا لا ينبغي أن يطلق لأنه تسـمية وتسـمية ا تعالى لا تجوز إلا بنص ولكنا نقول وجه ا ليس هو غيـر ا تعالى ولا نرجع منه إلى شيء سوى ا تعـالى برهـان ذلك قول ا تعالى حاكياً عمن رضي قوله.

إنما نطعمكم لوجه ا .

فصح يقيناً أنهم لم يقصدوا غير ا تعالى وقوله عز وجل.

أينما تولوا فثم وجه ا .

إنما معناه فثم ا تعالى بعلمه وقبوله لمن توجه إليه وقال تعالى.

يد ا فوق أيديهم.

وقال تعالى.

لما خلقت بيدي.

وقال تعالى.

مما عملت أيدينا أنعاماً.

وقال.

بل يداه مبسوطتان.

وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين فذهبت المجسمة إلى ما ذكرنا مما قد سلف من بطلان قولهم فيه وذهبت المعتزلة إلى أن اليد النعمة وهو أيضاً لا معنى له لأنها دعوى بلا برهان وقال الأشعري إن المراد بقول ا تعالى أيدينا إنما معناه اليدان وإن ذكر الأعين إنما معناه عينان وهذا باطل مدخل في قول

المجسمة بل نقول إن هذا إخبار عن ا تعالى لا يرجع مـن ذكر اليد إلى شيء سواه تعالى ونقر أن تعالى كما قال يداً ويدين وأيدي وعين وأعيناً كما قال عز وجل.

ولتصنع على عيني.

وقال تعالى.

فإنك بأعيننا.

ولا يجوز لأحد أن يصف ا عز وجل بأن له عينين لأن النص لم يأت بذلك ونقول إن المراد بكل ما ذكرنـا ا عز وجل لا شيء غيره وقال تعالى حاكياً عن قول قائل.

قال يا حسرتا على ما فرطت في جنب ا .

وهذا معناه فيما يقصد به إلى ا عز وجـل وفـي جنب عبادته وصح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم وكلتا يديه يمين وعن يمين الرحمن فهو مثل قوله.

وما ملكت أيمانكم.

يريد وما ملكتم ولما كانت اليمين في لغة العرب يراد بها الحظ للأفضل كما قال الشماخ إذا ما راية رفعت لمحمـدٍ تلقاها عرابه باليمين يريد أنه يتلقاها بالسعي الأعلى كان قوله

وكلتا يديه يمين أي كل ما يكون منه تعالى من الفضل فهـو الأعلى وكذلك صح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنـه قال أن جهنم لا تمتلىء حتى يضع فيها قدمه وصح أيضاً في الحديث حتى يضع فيها رجله ومعنى هذا ما قد بينه رسول ا صلى ا عليه وسلم في حديث آخر صحيح أخبر فيه أن ا تعالى بعد يوم القياممة يخلق خلقاً يـدخلهم الجنـة وأنـه تعالى يقول للجنة والنار لكل واحدة منكما ملؤها فمعنى القدم في الحديث المذكور إنما هو كما قال تعالى.

إن لهم قدم صدق عند ربهم.

يريد سالف صدق فمعناه الأمة التي تقدم في علمـه تعالى أنه يملأ بها جهنم ومعنى رجله نحو ذلك لأن الرجـل الجماعة في اللغة أي يضع فيها الجماعة التي قد سـبق فـي علمه تعالى أنه يملأ جهنم بها وكذلك الحـديث الصـحيح أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال إن قلب المـؤمن بـين اصبعين من أصابع ا عز وجل أي بين تدبيرين ونعمتـين من تدبير ا عز وجل ونعمه إما كفاية تسـره وإمـا بـلاء يأجره عليه والاصبع في اللغة النعمة وقلب كل واحـد بـين توفيق ا وجلاله وكلاهما حكمه عز وجـل وأخبـر عليـه

السلام أن ا يبدوا للمؤمن يوم القيامة في غير الصورة التي عرفوها وهذا ظاهر بين وهو أنهم يرون صورة الحال مـن الهول والمخافة غير التي يظنون في الدنيا وبرهان صحة هذا القول قوله صلى ا عليه وسلم في الحديث المـذكور غيـر الذي عرفتموه بها وبالضرورة نعلم أننا لم نعلم عز وجل في الدنيا صورة أصلاً فصح ما ذكرناه يقيناً وكذلك القول في الحديث الثابت خلق ا آدم على صورته فهذه إضافة ملـكٍ يريد الصورة التي تخيرها ا سبحانه وتعـالى ليكـون آدم مصور عليها وكل فاضل في طبقته فإنه ينسب إلى ا عـز وجل كما نقول بيت ا عن الكعبة والبيوت كلها بيـوت ا تعالى ولكن لا يطلق على شيء منها هذا الاسم كمـا يطلـق على المسجد الحرام وكما نقول في جبريل وعيسى عليهمـا السلام روح ا والأرواح كلها عز وجل ملك له وكالقول في ناقة صالح عليه السلام ناقة ا والنوق كلها عز وجل فعلى هذا المعنى قيل على صورة الرحمن والصور كلهـا تعالى هي ملك له وخلق له وقد رأيت لابن فورك وغيره من الأشعرية في الكلام في هذا الحديث أنهم قالوا في معنى قوله عليه السلام أن ا خلق آدم على صورته إنما هو على صفة

الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار واجتماع صفات الكمـال فيه وأسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه وجعل لـه الأمـر والنهي على ذريته كما كان   كل ذلك قال أبو محمـد هـذا نص كلام أبي جعفر السمعاني عن شيوخه حرفاً حرفاً وهذا كفر مجرد لا مرية فيه لأنه سوى بين ا   عز وجل وآدم في الحياة والعلم والاقتدار واجتماع صفات الكمـال فيهمـا وا   يقول ليس كمثله شيء ثم لم يقنعوا بها حتى جعلـوا سـجود الملائكة لآدم كسجودهم   عز وجل ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أن سجودهم   تعالى سـجود عبـادة ولآدم سجود تحية وإكرام ومن قال إن الملائكة عبـدت آدم كمـا عبدت ا   عز وجل فقد اشرك ثم زاد في الأمر والنهي لآدم على ذريته كما هو   تعالى وهذا شرك لا خفاء به ولوددنـا أن نعرف ما هي صفات الكمال التي ذكر هذا الإنسان أنهـا اجتمعت في آدم كما اجتمعت في ا   عز وجل أن هذا الإلحاد والاستخفاف با   تعالى لا ندري كيف تكلم وأنطق لسانه من يعرف أن ا   تعالى لم يكن له كفواً أحـد ووا   إن صـفات الكمال في الملائكة لأكثر منها في آدم وإن صفات الاثنـين التي شاركوا فيها آدم عليه السلام كصفات الجـن ولا فـرق

بين الحياة والعلم والقوة والتناسل وغير ذلك فالكل على هـذا على صورة ا تعالى هذا القول الملعون قائلة ونعوذ با من الضلال وكذلك ما صح عن النبي صلى ا عليه وسلم عـن يوم القيامة أن ا عز وجل يكشف عن ساق فيخرون سـجداً فهذا كما قال ا عز وجل في القرآن.

يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود.

وإنما هو إخبار عن شدة الأمر وهو الموقـف كمـا تقول العرب قد شمرت الحرب عن الأدب سامي الطرف من آل مازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا والعجب ممـا ينكر هذه الأخبار الصحاح وإنما جاءت بما جاء به القـرآن نصاً ولكن من ضاق علمه أنكر ما لا علم له به وقد عـاب ا هذا فقال.

بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله.

واختلاف الناس في الأمر والرحمة والعزة فقال قـوم هي صفات ذات لم تزل وقال آخرون لم يزل ا تعـالى ا العزيز الرحمن الرحيم بذاته وأما الرحمة والأمر فمخلوقـان قال أبو محمد والرجوع عند الاختلاف إنما هو إلى القـرآن وكلام رسول ا صلى ا عليه وسلم قال تعالى.

فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى ا والرسـول إن كنتم تؤمنون با واليوم الآخر.

ففعلنا فوجدنا ا تعالى يقول.

وكان أمر ا مفعولا.

والمفعول مخلوق بلا خلاف وقال ا تعالى.

وا غالب على أمره.

وبلا شك في أن المغلوب عليه مخلوق وأنـه غيـر الغالب عليه وقال تعالى.

لا تدري لعل ا يحدث بعد ذلك أمراً.

وهذا بيان جلي لا إشكال فيه على أن الأمر محـدث وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم يحدث من أمره مـا شاء فصح بيقين أن أمر ا تعالى محـدث مخلـوق وقـال الأشعرية لم يزل ا تعالى آمراً لكل من أمره بما يأمره بـه إذا وجد قال أبو محمد وهذا باطل متيقن لأنه لو كان كـذلك لكان ا تعالى لم يزل آمراً لنا بالصلاة إلى بيت المقدس لـم يزل آمراً لنا بأن لا نصلي إلى بيت المقدس لكن إلى الكعبـة فيكون آمراً بالفعل للشيء والترك له معاً وهذا تخليط جل ا

تعالى عنه وأيضاً قاله يلزمهم في نهي ا تعالى عما نهى عنه أنه لم يزل لأنه لا فرق بين أمره تعالى وبين نهيه فإن قالوا بل نهيه محدث وأمره قديم قلنا لهم ما قولكم فيمن عكس عليكم فقال بل نهيه لم يزل وأما أمره فمحدث وكلا القولين تخليط وأيضاً فإنهم مقرون بأن القديم لا يتغير ولا يبطل وقد صح أمره تعالى لنا بالصلاة إلى بيت المقدس ثم قد بطل الأمر بذلك وعدم وانقطع فلو كان أمره تعالى لم يزل لوجب أن لا يبطل ولا يعدم وهذا كفر مجرد ممن أجازه وإن قالوا إن أمره تعالى لنا بالصلاة إلى بيت المقدس باق أبداً لم يسقط ولا نسخ ولا بطل ولا أحاله تعالى بأمر آخر كفروا بلا خلاف والذي يدخل على هذا القول الفاسد أكثر من هذا وقال تعالى.

قل الروح من أمر ربي.

فلو كان الأمر غير مخلوق ولم يزل لكان الروح كذلك لأنه منه ومعاذ ا من هذا ولا خلاف بين المسلمين في أن أرواحهم مخلوقة وكيف لا يكون كذلك وهي معذبة في النار أو منعمة في الجنة وقال.

يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا مـن أذن له الرحمن وقال صواباً.

وصح عن رسول ا صلى ا عليه وسـلم سـبوح قدوس رب الملائكة والروح قال أبو محمد والمربوب مخلوق بلا شك فإن اعترض معترض بقول ا عز وجل.

الإله الخلق والأمر.

ورام بهذا إثبات أن الخلق غير الأمر فلا حجة له في هذا لأن ا عز وجل قال.

يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الـذي خلقـك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك.

فقد فرق ا سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الخلق والتسوية والتعديل والتصوير ولا خلاف في أن كل هذا خلق مخلوق وقال تعالى.

خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم.

فعطف تعالى الرزق والإماتة والإحياء على الخلـق بلفظة ثم فلو كان عطف الأمر على الخلق دلـيلاً علـى أن الأمر غير الخلق لوجب ولا بد أن يكون الـرزق والإماتـة

والإحياء والتصوير كلها غير الخالق وغير مخلوقات وهذا لا يقوله مسلم فبطل استدلالهم على أن الأمـر غيـر مخلـوق لعطفه على الخالق وقد عطف تعالى جبريل علـى الملائكـة فليس العطف على الشيء مخرجاً له عنه إذا قام برهان على أنه داخل فيه وقد قام برهان النص بأن أمر ا تعالى مخلوق وأنه قدر مقدور مفعول وأما إذا لـم يـأت برهـان يـدخل المعطوف في المعطوف عليه فهو غيره بلا شك هـذا حكـم اللغة وبا تعالى التوفيق وأما العزة فقد قال ا تعالى.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

قال أبو محمد والمربوب مخلوق بلا شك وليس قوله تعالى.

فلله العزة جميعاً.

بموجب أن العزة لم تزل لأنه تعالى قال.

فلله المكر جميعاً.

وقال تعالى.

قل الشفاعة جميعاً.

وليس هذان النصان بلا خلاف موجبين أن الشفاعة غير مخلوق إلا أن ها هنا عزة ليست غير الله تعالى فهي غير مخلوقة وهي التي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام حلف بها فقال وعزتك في حديث خلق الجنة والنار قال أبو محمد ومن الباطل أن يحلف جبريل بغير الله عز وجل وأما الرحمة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق مائة رحمة فقسم في عباده رحمة واحدة فبها يتراحمون ورفع التسعة والتسعين ليوم القيامة يرحم بها عباده أو كما قال عليه السلام وهذا رفع للإشكال جملة في أن الرحمة مخلوقة ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن إدخال الله عز وجل الجنة من أدخله فيها برحمته تعالى وأن بعثته محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لمن آمن به وكل ذلك مخلوق بلا شك وأما القدرة والقوة فقد قال عز وجل.

ألم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة.

وحدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخي حدثنا القربري حدثنا محمد ابن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن بن عيسى حدثنا

عبد الرحمن ابن أبي الموال سمعت محمد بن المنكدر يحدث عبد ا بن الحسن قال أخبرني جابر بن عبد ا قـال كـان رسول ا صلى ا عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة فذكر الحديث وفيه اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقـدرتك وأسألك من فضلك قال أبو محمد والقول في القـدرة والقـوة كالقول في العلم سواء بسواء في اختلاف الناس علـى تلـك الأقوال وتلك الحجاج ولا فرق وقولنا في هذا هو مـا قلنـاه هنالك من أن القدرة والقوة تعالى حقاً وليسـتا غيـر ا تعالى ولا يقال هما ا تعالى وقال تعالى.

كتب على نفسه الرحمة.

وقال تعالى.

ويحذركم ا نفسه.

فنفس ا تعالى إخبار عنه لا عن شيء غيره أصلاً فإن ذكر ذاكر قول ا عز وجل حكاية عن عيسـى عليـه السلام أنه يقول لربه تعالى.

تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنـك أنـت علام الغيوب.

قلنا هذا على ظاهره وعلى الحقيقة لأن كل غيب فهو معلوم في علم ا العليم بكل شيء فجرى الكلام علـى مـا يتخاطب به الناس مما لا يتوصلون إلى العبارة عما يريدون لا به وهذا معهود من القول أن يقول القائل نفـس الشـيء وحقيقته يراد بذلك الشيء لا ما سواه وكذلك القول في الذات ولا فرق فقوله عليه السلام ولا أعلم ما في نفسك إنما معنـاه بلا شك ولا أعلم ما عندك وما في علمك وصح عن رسـول ا صلى ا عليه وسلم أنه أخبر أن ا تعالى ينزل كل لية إذا بقي ثلث الليل إلى سماء الدنيا قال أبو محمد وهذا إنما هو فعل يفعله ا تعالى في سماء الدنيا من الفتح لقبول الـدعاء وإن تلك الساعة من مظـان القبـول والإجابـة والمغفـرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين وهذا معهود في اللغة تقول نزل فلان عن حقه بمعنى وهبه لي وتطول به علـي ومـن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول ا صلى ا عليه وسلم علق التنزل المذكور بوقت محدود فصح أنـه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذٍ وقد علمنا أن ما لـم يزل فليس متعلقاً بزمان البتة وقد بين رسول ا صـلى ا عليه وسلم في بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلـك الفعـل

وهو أنه ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكاً ينادي فـي ذلـك الوقت بذلك وأيضاً فإن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنـه فصـح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى في ذلك الوقت لأهل كـل أفق وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله في إبطـال القول بالجسم بعون الله وتأييده ولو انتقل تعالى لكان محدوداً مخلوقاً مؤلفاً شاغلاً لمكان وهذه صفة المخلوقين تعـالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقد حمد الله إبـراهيم خليلـه ورسـوله وعبده صلى الله عليه وسلم إذا بين لقومه بنقلة القمر أنه ليس رباً فقال.

فلما أفل قال لا أحب الآفلين.

وكل منتقل عن مكان فهو آفل عنه تعالى الله عن هذا وكذلك القول في قوله تعالى.

وجاء ربك والملك صفاً صفاً.

وقوله تعالى.

هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل مـن الغمـام والملائكة وقضي الأمر.

فهذا كله على ما بينا من أن المجيء والإتيـان يـوم القيامة فعل يفعله ا تعالى في ذلك اليوم يسمى ذلك الفعـل مجيئاً وإتياناً وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه ا أنه قال وجاء ربك إنما معناه وجاء أمر ربك قال أبو محمد لا تعقـل الصفة والصفات في اللغة التي بها نزل القرآن وفـي سـائر اللغات وفي وجود العقل وفي ضرورة الحـس إلا أعراضـاً محمولة في الموصوفين فإذا جوزوها غير أعراض بخـلاف المعهود فقد تحكموا بلا دليل إذ إنما يصار إلى مثل هذا فيما ورد به نص ولم يرد قط نص بلفظ الصفات ولا بلفظ الصفة فمن المحال أن يؤتى بلفظ لا نص فيه يعبر به عن خـلاف المعهود وقال تعالى.

للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء و المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

ثم قال تعالى.

فلا تضربوا الأمثال إن ا يعلم وأنتم لا تعلمون.

فلو ذكروا الأمثال مكان الصفات لـذكر ا تعـالى لفظة المثل لكان أولى ثم قد بين ا تعالى غاية البيان فقـال فلا تضربوا الأمثال وقد أخبر ا تعالى بأن لـه المثـل

الأعلى فصح ضرورة أنه لا يضرب له مثل إلا ما أخبر بـه تعالى فقط ولا يحل أن يزاد على ذلك شيء أصـلاً وبـا تعالى التوفيق .

الكلام في المائية

قال أبو محمد ذهب طوائف من المعتزلة إلى أن ا تعالى لا مائية له وذهب أهل السنة وضرار بن عمر وإلى أن ا تعالى مائية قال ضرار لا يعلمها غيره قال أبـو محمـد والذي نقول به وبا تعالى التوفيق أن له مائية هـي أنيتـه نفسها وأنه لا جواب لمن سأل ما هو الباري إلا ما أجاب به موسى عليه السلام إذ سأله فرعون وما رب العالمين ونقول أنه لا جواب ها هنا لا في علم ا تعالى ولا عنـدنا إلا مـا أجاب به موسى عليه السلام لأن ا تعالى حمد ذلـك منـه وصدق فيه ولو لم يكن جواباً صحيحاً تاماً لا نقص فيه لمـا حمده ا واحتج من أنكر المائية بأن قال لا تخلو المائية من أن تكون هي ا أو تكون غيره فإن كانت غيره والمائية لـم تزل فلم يزل مع ا تعالى غيره وهذا شرك وكفر قالوا وإن كانت هو هي وكنا لا نعلمها فقد صرنا لا نعلم ا عز وجل وهذا إقرار بأننا نجهله والجهل با تعالى كفر به وقالوا لـو

أمكن أن تكون له مائية لكانت له كيفية قال أبو محمد وهـذا من جهلهم بحدودالكلام وبمواقع الأسماء على المسـميات إذ مائية الشيء إنما هي الجواب في سؤال السائل بما هو وهذا سؤال عن حقيقة الشيء وذاته فمن ابطل المائية فقـد أبطـل حقيقة الشيء المسئول عنه بما هو لكن أول مراتب الإثبـات فيما بيننا هي الأنية وهي إثبات وجود الشيء فقط وهذا أمـر قد علمناه وأحطنا به ولا يتبعض العلم بذلك فـيعلم بعضـه ويجهل بعضه ثم يتلو الالية التي هي جواب السائل بهل فيما بيننا السؤال بما هو وأما في الباري تعالى فالسؤال بما هـو هو السؤال بهل هو والجواب في كليهما واحد فنقول هو حق واحد أول خالق لا يشبهه شيء من خلقه وإنما اختلفت الآنية والمائية في غير ا تعالى لاختلاف الأعراض في المسئول عنه وليس ا تعالى كذلك ولا هو حامل أعراضاً أصلاً هـا هنا نقف ولا نعلم أكثر ولا ها هنا أيضاً شيء غير هذا إلا ما علمنا ربنا تعالى من سائر أسمائه كالعليم والقدير والمـؤمن والمهيمن وسائر أسمائه وقد أخبر تعالى علـى لسـان نبيـه صلى ا عليه وسلم أن له تسعة وتسعين اسماً مائـة غيـر واحد قال تعالى ولا يحيطون به علماً قال أبو محمـد وهـذا

كلام صحيح على ظاهره إذ كل ما أحاط به العلم فهو متنـاه محدود وهذا منفي عن ا عز وجل وواجب في غيره لوقوع العدد المحاط به في إعراض كل ما دونه تعالى ولا يحاط بما لا حدود له ولا عدد له فصح يقيناً أننا نعلم ا عز وجل حقاً ولا نحيط به علماً كما قال تعالى قال أبو محمد فالآلية في ا تعالى هي المائية التي أنكرها أهل الجهل بحقـائق الأمـور وبالقرآن وبالسنن نحمد ا عز وجل على ما من به علينا من تيسيرنا لاتباع كتابه وتدبره وطلب سنن نبينا محمد صلى ا عليه وسلم والوقوف عندهما ومعرفتنا بأن العقل لا يحكم بـه على خالقه لكن يفهم به أوامره تعالى ويميز به حقـائق مـا خلق فقط وما توفيقنا إلا با وأما قولهم لو كانت لـه مائيـة لكانت له كيفية فكلام قوم جهال بالحقائق وقد بينا وبان لكـل ذي عقل أن السؤال بما هو الشيء غير السؤال بكيـف هـو الشيء وأن المسئول عنه بإحدى اللفظتين المذكورتين غيـر المسئول عنه بالأخرى وأن الجـواب عـن إحـداهما غيـر الجواب عن الأخرى وبيان ذلك أن السؤال بما هو إنما هـو سؤال عن ذاته واسمه وأن السؤال بكيف هو إنما هو سـؤال

عن حاله وأعراضه وهذا لا يجوز أن يوصف بـه البـاري تعالى فلاح الفرق ظاهراً وبا تعالى التوفيق .

مسائل في السخط والرضا والعدل والصدق

والملك والخالق والجود والإرادة والسخاء والكرم وما يخبر عنه تعالى بالقدرة عليه وكيف يصح السؤال في ذلك كله قال أبو محمد نقول لم يزل ا تعالى عالماً بأنه سيسخط على الكفار وسيرضى على المؤمنين وسيعذب بالنار من عصاه وسينعم بالجنة من أطاعه وسيعدل إذا حكم وسيصدق إذا أخبر ولم يزل عالماً بأنه سيخلق ما يخلق وأنه رب ما يخلق من العالمين ومالك كل شيء ويوم الدين وأن له ملك كل ما يخلق لأن كل ما ذكرنا يقتضي وجود كل ما علق به وكل ما علق به محدث لم يكن ثم كان ولم يزل تعالى عليماً بكل ذلك وأنه سيكون كل ما يكون على ما هو كائن عليه إذا كونه وأما الإرادة فقد أثبتها قوم من صفات الذات وقالوا لم تزل الإرادة ولم يزل ا تعالى قال أبو محمد وهذا خطأ لبرهانين ضروريين أحدهما أن ا تعالى لم ينص على أنه مريد ولا على أن له إرادة وقد قدمنا البرهان فيما سلف من كتابنا على أنه لا يجوز أن يشتق أسماء ولا صفات

وأوردنا من ذلك أنه لا يقال أنه تعالى متبارك ويقال تبـارك ا ولا يقال أنه مستهزىء ويقال ا يستهزىء بهم ولا أنـه عاقل وكذلك لا يجوز أن يقال أنه تعالى بـاق ولا دائـم ولا ثابت ولا سخي ولا جواد لأنه تعالى لم يسم به نفسه لكن يقال المتعالي كما قال تعالى ويقال هو الكـريم الغنـي ولا يقـال الموسر ويقال هو القوي ولا يقال الجلد ويقال لـم يـزل ولا زال هو الأول والآخر والظاهر والباطن ولا يقال هو الخفي ولا الغائب ولا البارز ولا المشتهر ويقال هو الغالـب علـى أمره ولا يقال هو الظافر والمعنى في كل ما ذكرنا من اللغة واحد فمن أطلق عليه تعالى بعض هذه الصـفات والأسـماء ومنع من بعضها فقد ألحد في أسمائه عز وجل وأقدم إقـداماً عظيماً نعوذ با من ذلك وأيضاً فإن الإرادة من ا تعالى لو كانت لم تزل لكان المراد لم يزل بنص القرآن لأن ا عـز وجل قال.

إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

فأخبر تعالى أنـه إذا أراد الشـيء كـان وأجمـع المسلمون على تصويب قول من قال ما شأ ا كان والمشيئة هي الإرادة فصح بما ذكرنا صحة لا شك فيها أن الواجب أن

يقال أراد ا   كما قال تعالى إذا أراد شيئاً ونقول أنه تعـالى يريد ما أراد ولا يريد ما لم يرد كما قال تعالى.

يريد ا   بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

وقال تعالى.

أولئك الذين لم يرد ا   أن يطهر قلوبهم وإذا أراد ا بقوم سوءا.

وقال تعالى.

فمن يرد ا   أن يهديه يشرح صدره للإسـلام ومـن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً.

فنحن نقول كما قال ا   تعالى أراد ويريد ولم يـرد ولا يريد ولا نقول أن له إرادة ولا أنه مريد لأنه لم يأت نص من ا   تعالى بذلك ولا من رسوله صلى ا   عليه وسـلم ولا جاء ذلك قط من أحد من السلف رضي ا   عنهم أجمعين ولا بحدود الكلام وحقائق مائيات المخلوقات وكيفياتها فهم يتبعون ما ترآى لهم ويقتحمون المهالك بلا هدى من ا   عز وجـل نعوذ با   من ذلك وقد قال تعالى.

ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.

فنص تعالى على أن من لم يرد ما اختلف فيه إلى كتابه وإلى كلام رسوله صلى ا عليه وسلم وإلى إجماع العلماء من الصحابة والتابعين رضي ا عنهم أجمعين ولا من سلك سبيلهم بعدهم فلم يعلم ما استنبطه بظنه ورأيه وليس ننكر المحاجة على القصد إلى تبيين الحق وتبينه بل هذا هو العمل الفاضل الحسن وإنما ننكر الإقدام في الدين بغير برهان من قرآن أو سنة أو إجماع بعد أن أوجبه برهان الحس وأول بديهة العقل والنتائج الثابتة من مقدماته الصحيحة من صحة التوحيد والنبوة فإذا ثبتا بما ذكرنا فضرورة العقل توجب الوقوف عند جميع ما قاله لنا الرسول الذي بعثه ا تعالى إلينا وأمرنا بطاعته وأن لا يعترض عليه بالظنون الكاذبة والآراء الفاسدة والقياسات السخيفة والتقليد المهلك فإن قال قائل وما الذي يمنع من أن نقول لم يزل ا مريداً لما أراد كونه إذا كونه قلنا وبا تعالى التوفيق يمنع من ذلك أن ا عز وجل أخبر نصاً بأنه إذا أراد شيئاً كونه فكان فلو كان تعالى لم يزل مريداً لكان لم يزل ما يريد وهذا إلحاد ويقال

لهم أيضاً وما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم فقال لم يزل ا تعالى غير مريد لأن يخلق حتى خلق وهذا لا انفكاك منه قال أبو محمد ولو أن قائلاً يقول أن الخلق هو المراد كونـه من ا تعالى فهو مراد ا تعالى وهو الإرادة نفسها وأنه لا إرادة له إلا ما خلق لما أنكرنا ذلك وإنما ننكر قول من يجعل الإرادة صفة ذات لم تزل لأنه يصف ا تعالى بما لم يصف ا تعالى به نفسه وقول من يجعلها صفة فعل وأنهـا غيـر الخلق لأنه يلزمه أن تلك الإرادة إما مرادة مخلوقة وإما غير مرادة ولا مخلوقة فإن قال هي مرادة مخلوقة قيل لـه أهـي مرادة بإرادة هي غيرها ومخلوقة بخلق هـو غيرهـا أم لا بإرادة ولا بخلق فإن قال هي مرادة بلا إرادة أتى بالمحـال الذي يبطله العقل ولم يأت به نص فيلزمـه الوقـوف عنـده وكذلك قوله مخلوقة بغير خلق وإن قال هي مرادة بإرادة هي غيرها ومخلوقة بخلق هو غيرها لزمـه فـي إرادة الإرادة وخلق خلقها ما ألزمناه في الإرادة وفي خلقها وهكـذا أبـداً وهذا يوجب وجود محدثات لا نهاية لعددها وهذا هـو قـول الدهرية الذي أبطله ا تعالى بضرورة العقل والنص على ما بينا في صدر كتابنا وبا تعالى التوفيق فإن قـال إن الإرادة

ليست مرادة ولا مخلوقة أتى بقول يبطله ضرورة العقل لأن القول بإرادة غير مرادة ولا مخلوقة أتى بقول يبطله ضرورة العقل لأن القول بإرادة غير مرادة محال غيـر موجـود لا بحس فيما بيننا ولا بدليل فيما غاب عنا فهو قـول بمجـرد الدعوى فهو باطل ضرورة وكذلك يلزمه إن قال أنها محدثة غير مخلوقة ما يلزم من قال أن العالم محدث لا محدث لـه وقد تقسم بطلان هذا القول بالبراهين الضرورية وبا تعالى التوفيق وأما تسمية ا عز وجل جواداً سخياً أو صفته تعالى بأن له تعالى جوداً وسخاء فلا يحـل ذلـك البتـة ولـو أن المعتزلة المقدمين على تسمية ربهم جواداً يكون لهم علم بلغة العرب أو بحقيقة الأسماء ووقوعها على المسميات أو بمعاني الأسماء والصفات ما أقدموا على هذه العظيمة ولا وقعوا في الائتساء بالكفار القائلين أن علة خلق ا تعالى لما خلق إنمـا هي جودة حتى أوقعهم ذلك في القول بأن العالم لم يزل ولكن المعتزلة معذورون بالجهل عذراً يبعـدهم عـن الكفـر ولا يخرجهم عن الإيمان لا عذراً يسقط عنهم الملامة لأن التعلم لهم معروض ممكن ولكن لا هادي لمـن أضـل ا تعـالى ونعوذ با من الخذلان قال أبو محمد والمـانع مـن ذلـك

وجهان أحدهما أنه تعالى لم يسم بذلك نفسه ولا وصف بـه نفسه ولا يحل لأحد أن يتعدى حدود ا لاسيما فيما لا دليـل فيه إلا النص فقط والوجه الثاني أن الجود والسخاء في لغـة العرب التي بها خاطبنا ا تعالى وبها نتفاهم مرادنا إنما هما لفظان واقعان على بذل الفضل عن الحاجة لا يعبـر بلفـظ الجود والسخاء إلا عن هذا المعنى وهذا المعنى مبعد عن ا عز وجل لأنه تعالى لا يحتاج إلى شيء فيكون له فضل ببذله فيسمى ببذله له سخياً وجواداً ويوصف من أجل بذله بجـود وسخاءٍ أو يكون بمنعه بخيلاً أو شحيحاً أو موصوفاً ببخل أو شح قال أبو محمد ولا يختلف اثنان من كل من في العالم في أن امرءا له ماء عذب حاضر لا يحتاج إليه وطعـام عظـيم فاضل لا حاجة به إليه ورأى رجلاً من عـرض النـاس أو عبداً من عبيده يموت جوعاً وعطشاً فلم يسقه ولا أطعمه فإنه في غاية البخل والشح والقسوة والظلم وا تعالى يرى كثيراً من عباده وأطفالاً من أطفالهم لا ذنب لهم وهم يموتون جوعاً وعطشاً وعنده مخادع السموات وخزائن الأرض ولا يرحمهم بنقطة ماء ولا لقمة طعام حتى يموتوا كذلك ولا يوصف من أجل ذلك بشح ولا بخل ولا ظلم ولا قسوة بـل هـو أرحـم

الراحمين والرحيم الكريم والذي لا يظلم ولا يجور كما سمى نفسه فبطل قياسهم الفاسد في الصفات الغائب عنـدهم علـى الشاهد وبطل أن يوصف الله عز وجل بشيءٍ من ذلك وليس لأحد أن يحيل الأسماء اللغوية عن موضعها في اللغة إلا أن يأتي نص بإحالة شيءٍ من ذلك فيوقف عنده ومن تعدى هـذا الحكم فإنه مبطل للتفاهم كله نعم وللحقائق بأسرها إلا أنـه لا يعجز أحد عن أن يسمي الباطل حقاً والحق باطلاً وأن يحيل الأسماء كلها عن مواضعها وهـذا خـروج عـن الشـرائع والمعقول ولكننا نقول أنه كريم كما قال تعالى ولا يبعد عنـا أن تسمى نعم الله على عباده على عباده كرماً وأن الله تعالى كريماً نستحسن إطلاق ذلك ونسميها أيضاً فضلاً.

قال الله تعالى.

ذلك فضل الله.

وقد ثبت النص بأن له تعالى كرمـاً وحـدثنا عبـد الرحمن بن عبد الله بن خالد أنا إبراهيم بـن أحمـد أنبأنـا الفربري أنا البخاري قال لي خليفة بن خياط أنا يزيـد بـن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك وعن معتمر بـن سليمان سمعت أبي يحدث عن قتادة عن أنس بن مالك عـن

النبي صلى ا عليه وسلم قال لا يزال يلقى فيها وتقول هـل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قد قد بعزتك وكرمك قال أبو محمـد وقـد اضطرب الناس في السؤال عن أشياء ذكروها وسألوا هـل يقدر ا تعالى عليها أم لا واضطربوا أيضاً في الجواب عن ذلك قال أبو محمد ونحن مبينون بحول ا وقوته وجه تحقيق السؤال عن ذلك وتحقيق الجواب فيه دون تخليط ولا حـول ولا قوة إلا با العلي العظيم فنقول وبا تعالى التوفيـق أن السؤال إذا حقق بلفظ يفهم السائل منه مـراد نفسـه ويفهـم المسئول مراد السائل عنه فهو سؤال صحيح والجواب عنه لازم ومن أجاب عنه بأن هذا سؤال فاسد وأنه محال فإنما هو جاهل بالجواب منقطع متسلل عنه وأما السؤال الـذي يفسـد بعضه بعضاً وينقض آخره أوله فهو سؤال فاسد لم يحقق بعد وما لم يحقق السؤال عنه فلم يسأل عنه وما لم يسأل عنه فلا يلزم عنه جواب على مثله فهاتان قضيتان جامعتان وكافيتان في هذا المعنى لا يشذ عنهما شيء منه إلا أنه لابد من جواب ببيان حوالته لا على تحقيقه ولا على تشكله ولا على توهمه وبا تعالى التوفيق ثم نحد.

المسئول عنه في هذا الباب بحدٍ جـامع بحـول ا
تعالى وقوته فيرتفع الإشكال في هذه المسـألة إن شـاء ا
تعالى فنقول وبا تعالى التوفيق وبه نتأيد أن الشيء المسئول
عنه في هذا الباب إن كان إنما سأل السائل عن القدرة علـى
إحداث فعل مبتدأ أو على إعدام فعل مبتدأ فالمسـئول عنـه
مقدور عليه ولا تحاشى شيئاً والسؤال صحيح والجواب عنه
بنعم لازم وإن كان المسئول عنه ما لا ابتدأ له فالسؤال عـن
تغييره أو إحداثه أو إعدامه سؤال متفاسد لا يمكن السائل عنه
فهم معنى سؤاله ولا تحقيق سؤاله وما كان هكـذا لا يلـزم
الجواب عنه على تحقيقه ولا على تشكله لأن الجواب عـن
التشكل لا يكون إلا عن سؤال وليس ها هنا سؤال أصلاً ثـم
نقول وبا تعالى نتأيد أن من الواجب أن نبـين بحـول ا
تعالى وقوته ما المحال وعلى أي معنى تقع هذه اللفظة وعما
ذا يعبر با عنه فإن من قام بشيء ولم يعرف تحقيـق معنـاه
فهو في غمرات من الجهل فنقول وبا تعالى نتأيد إن المحال
ينقسم أربعة أقسام لا خامس لها أحـدها محـال بالإضـافة
والثاني محال في الوجود والثالث محال فيما بيننا فـي بنيـة
العقل عندنا والرابع محال مطلق فالمحال بالإضافة مثل نبات

اللحية لابن ثلاث سنين وإحباله امرأة وكلام الأبله الغبي في دقائق المنطق وصوغه الشعر العجيب وما أشبه هـذا فهـذه المعاني موجودة في العالم ممن هي ممكنة منه ممتنعة مـن غيرهم وأما المحال في الوجود فكـانقلاب الجمـاد حيوانـاً والحيوان جماداً أو حيواناً آخر وكنطـق الحجـر واختـراع الأجسام وما أشبه هذا فإن هذا كله ليس ممكناً عندنا البتة ولا موجوداً ولكنه متوهم في العقل متشكل في النفس كيف كـان يكون لو ن وبهذين القسمين تأتي الأنبياء عليهم السلام فـي معجزاتهم الدالة على صدقهم في النبوة وأما المحال فيما بيننا في بنية العقل فكون المرء قائماً قاعداً لا قاعداً معاً وسائر ما لا يتشكل في العقل فيما يقع فيه التأثير لو أمكـن فيمـا دون الباري عز وجل فهذه الوجوه الثلاثة من سأل عنها أيقدر ا تعالى عليها فهو سؤال صحيح مفهوم معروف وجهه يلـزم الجواب عنه بنعم إن ا قادر على ذلك كله إلا أن المحال في بنية العقل فيما بيننا لا يكون البتة في هذا العالم لا معجـزة لنبي ولا بغير ذلك البتة هذا واقع في النفس بالضـرورة ولا يبعد أن يكون ا تعالى يفعل هذا في عالم لـه آخـر وأمـا المحال المطلق فهو كل سؤال أوجب على ذات الباري تغييراً

فهذا هو المحال لعينه الذي ينقض بعضه بعضاً ويفسد آخره أوله وهذا النوع لم يزل محالاً في علم ا تعـالى ولا هـو ممكن فهمه لأحد وما كان هكذا فليس سؤالاً ولا سأل سـائله عن معنى أصلاً وإذا لم يسأل فلا يقتضي جواباً على تحقيقه أو توهمه لكن يقتضي جواباً بنعم أو لا لئلا ينسب بذلك إلـى وصفه تعالى بعدم القدرة الذي هو العجز بوجه أصلاً وإن كنا موقنين بضرورة العقل بأن ا تعالى لم يفعله قط ولا يفعلـه أبداً وهذا مثل من سأل أيقدر ا تعالى على نفسه أو على أن يجهل أو على أن يعجز أو أن يحدث مثله أو على إحداث ما لا أول له فهذه سؤالات تفسد بعضها بعضـاً تشـبه كـلام الممرورين والمجانين وكلام من لا يفهم وهذا النوع لم يـزل ا تعالى يعلمه محالاً ممتنعاً باطلاً قبل حدوث العقل وبعـد حدوثه أبداً وأما المحال في العقل وهو القسم الثالـث الـذي ذكرنا قبل فإن العقل مخلوق محدث خلقه ا تعالى بعد أن لم يكن وإنما هو قوة من قوى النفس عرض محمول فيها أحدثه ا تعالى وأحدث رتبه على ما هي عليه مختاراً لذاك تعالى وبضرورة العقل نعلم أن من اخترع شيئاً لم يكن قط لا على مثال سلف ولا عن ضرورة أوجبت عليه اختراعه لكن اختار

أن يفعله فإنه قادر على ترك اختراعه قادر علـى اختـراع غيره مثله أو خلافه ولا فرق بين قدرته على بعـض ذلـك وبين قدرته على سائره فكل ما خلقه ا تعالى محـالاً فـي العقل فقط فإنما كان محالاً مذ جعله ا تعالى محالاً وحـين أحدث صورة العقل لا قبل ذلك فلو شاء تعالى أن لا يجعله محالاً لما كان محالاً وكذلك من سأل هل يقدر ا تعالى على أن يجعل شيئاً موجوداً معدوماً معاً في وقت واحد أو جسـماً في مكانين أو جسمين في مكان وكل ما أشبه هذا فهو سؤال صحيح وا تعالى قادر على كل ذلك لو شاء أن يكونه لكونه ومن البرهان على ذلك ما نراه في منامنا مما لا شـك أنـه محال في حال اليقظة ممتنع يقيناً ونراه في منامنـا ممكنـاً محسوساً مرئياً ببصر النفس مسموعاً بسـمعها فبالضـرورة يدري كل ذي حس أن الذي جعل المحال ممكناً في النوم كان قادراً على أن يوجده ممكناً في اليقظة وكذلك من سأل هل ا تعالى قادر على أن يتخذ ولداً فالجواب أنه تعالى قادر علـى ذلك وقد نص عز وجل على ذلك في القرآن قال ا تعالى.

لو أراد ا أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلـق مـا يشاء.

وكذلك قال تعالى.

لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه مـن لـدنا إن كنـا فاعلين.

قال أبو محمد ومن لم يطلق أن ا عز وجل يقـدر على ذلك وحسن قوله بأن قال لا يوصف ا بالقدرة علـى ذلك فقد قطع بأن ا عز وجل لا يقدر إذ لا واسـطة فـيمن يوصف بالقدرة على شيء ما ثم وصف في شيء آخر بأنـه لا يقدر عليه فقد خرج من أنه لا يقدر عليه وإذا وجب أن لا يقدر فقد ثبت أنه عاجز ضرورة عما لا يقدر عليـه ولابـد ومن وصف ا تعالى بالعجز فقد كفر وأيضاً فإن من قال لا يوصف ا تعالى بالقدرة على المحال فقـد جعـل قدرتـه سبحانه وتعالى متناهية وجعل قوته عز وجل منقطعة محدودة وملزومة بذلك ضرورة أن قوته تعالى متناهية عرض وأنـه تعالى فاعل بطبيعة فيه متناهية وهذا تحديد للباري عز وجل وكفر به مجرد وادخال له في جملة المخلوقين ومعنى قولنـا أن ا تعالى يقدر على المعدوم وعلى المحال إنما هـو مـا نبينه إن شاء ا تعالى وهو أن سؤال السائل عـن المحـال وعن المعدوم وهو بلا شك سؤال موجود مسموع ملفوظ به

فجوابنا له هو أنا حققنا أن ا تعالى قادر على أن يخلق لذلك اللفظ معنى يوجده وهذا جواب صحيح معقول وهـذا قولنـا وليس إلا هذا القول وقول على الأسواري الذي يقول أن ا تعالى لا يقدر على غير ما علم أنه يفعله جملـه وأمـا مـن خالفنا وخالف الأسواري فلا بد له من الرجوع إلى قولنـا أو الوقوع في قول الأسواري وإن زعم لأنه متى ما وصف ا تعالى بالقدرة على شيء لم يفعله من إبراء مريض أو خلـق شيء أو تحريك شيء ساكن فإنه قدر وصفه بالقـدرة علـى إحالة علمه وتكذيب حكمه وتكذيب حكمه وهذا هو المحـال فقد قال بقولنا ولا بد أو بقول الأسواري ولابد وأما كل سؤال أدى إلى القول في ذاته عز وجل فإننا نقول إن كل ما سـأل عنه سائل لا نحاشي شيئاً فإن ا تعالى قـادر عليـه غيـر عاجز عنه إلا أن من السؤالات سؤالات لا يستحل سـماعها ولا يستحل النطق بها ولا يحل الجلوس حيث يلفظ بها وهي كل ما فيها كفر بالباري تعالى واستخفاف به أو بنبـي مـن أنبيائه أو بملك من ملائكته أو بآية من آياته عز وجل قـال عز وجل.

أن إذا سمعتم آيات ا   يكفر بها ويستهزأ بهـا فـلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم.

وقال عز وجل.

قال أبو محمد ولو أن سائلاً سالنا هل ا   قادر علـى أن يمسخ هذا   الكافر قرداً أو كلباً لقلنا نعم ولو أنـه أراد أن يسألنا هذا السؤال فيمن يلزمنا تعظيمه من ملـك أو نبـي أو صاحب نبي أو مسلم فاضل لم يحل لنا الاستماع إليه ولكنا قد أجبناه جواباً كافياً بأن ا   تعالى قادر على كل ما يسأل عنـه لا نحاشى شيئاً فمن تمادى بعد هذا الجـواب الكـافي فإنمـا غرضه التشنيع فقط والتمويه وهذان من دلائل العجـز عـن المناظرة والانقطاع والحمد   رب العالمين قال أبو محمـد والناس في هذا الباب   على أقسام فمبدؤها من الطرف قـول من قال لا يوصف ا   تعالى بالقدرة على غير ما يفعل   وهو قول على الأسواري أحد شيوخ المعتزلة واعلموا أنـه لابـد لكل من منع من أن يقدر ا   تعالى على محال أو على شيء مما يسال عنه السائل فلابد ضرورة من المصير إلى هـذا القول وظهور تناقضه وتفاسد قوله وخروجه إلـى المحـال البحث الذي فر عنه بزعمه على ما نبينه بعد هذا إن شاء ا

تعالى قال أبو محمد وقد قالت طائفة بمعنى هذا القول إلا أنها استشنعت عبارة الأسواري فقالت إن الله تعالى قادر على كل شيء ولكن إن سألنا سائل فقال أيقدر الله تعالى على أمر كذا مع تقدم علمه بأنه لا يكون قالوا في الجواب أنه تعالى لا يوصف بالقدرة على ذلك قال أبو محمد وهذا الإخفاء لأنهم أوجبوا قدرته وأعدموها على شيء واحد وهو الباطل بلا خفاء وقالت طائفة إن الله تعالى قادر على غير ما فعل إلا أنه لا يوصف بالقدرة على أصلح مما فعل بعباده وهو قول جمهور المعتزلة وقالت طائفة أن الله تعالى قادر على غير ما فعل إلا أنه لا يقدر على الظلم ولا على الجور ولا على اتخاذ الولد ولا على إظهار معجزة على يد كذاب ولا على شيء من المحال ولا على نسخ التوحيد وهذا قول النظام وأصحابه والأشعرية وإن كانوا مختلفين في مائية الظلم وقالت طائفة أن الله تعالى قادر على غير ما فعل وعلى الجور والظلم والكذب إلا أنه لا يقدر على المحال مثل أن يجعل الشيء معدوماً موجوداً معاً وقائماً قاعداً معاً أو في مكانين معاً وهذا قول البلخي وطوائف من المعتزلة قال أبو محمد والذي عليه أهل الإسلام كلهم ومن سلف من الصحابة

رضي ا عنهم ومن بعدهم قبل أن تحدث هذه الضـلالات وهذا الإقدام الشنيع الذي لولا ضلال من ضل به ما انطلقت ألسنتنا به ولا سمحت أيدينا بكتابته ولكنا نحكيـه حكايـة ا ضلال من ضل فقال المسيح ابن ا والعزير ابن ا ويد ا مغلولة وا فقير ونحن أغنياء وإذ قال للإنسان اكفر وكمـا أنذر رسوله صلى ا عليه وسلم بـأن النـاس لا يزالـون يتساءلون فيما بينهم حتى يقولوا هذا ا خلق الخلق فمن خلق ا فقول أهل الإسلام عامتهم وخاصتهم قبل ما ذكرنا هو أن ا تعالى فعال لما يشاء وعلى كل شيء قدير وبهـذا جـاء القرآن وكل مسئول عنه وإن بلغ الغاية من قال أبـو محمـد وقال لي بعضهم إن القرآن إنما جاء بأن ا تعالى يفعل مـا يشاء ونحن لا ننكر هذا وإنما نمنع من أن يوصف ا تعالى بالقدرة على ما لا يشاء وبالقدرة على ما ليس بشيء فقلت له قد قال ا تعالى يرزق من يشاء ويقدر فعم عز وجـل ولـم يخص فلا يحل لأحد تخصيص قدرته تعالى أصـلاً وقـال تعالى.

قل إن ا قادر على أن ينزل آية.

وقال تعالى.

ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين.

وقال تعالى.

إنا لقادرون على أن نبدل أمثالكم وننشـئكم فيمـا لا تعلمون.

وقال تعالى.

ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمـن يكفـر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون.

وقال تعالى.

أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى.

وقال تعالى عن نوح النبي صلى ا عليه وسلم أنـه قال.

استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء علـيكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً.

مع قوله تعالى.

إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.

وقال تعالى.

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فـوقكم أو من تحت أرجلكم.

وقال تعالى.

عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن.

فهذا نص على أن يفعل خلاف ما سبق في علمه من هدى من علم أنه لا يهديه ومن تعذيب من علم أنه لا يعـذب أبداً وتبديل أزواج قد علم أنه لا يبدلهن أبداً وكل هذا نـص على قدرته على إبطال علمه الذي لم يزل وعلى تكذيب قوله الذي لا يكذب أبداً ومثل هذا في القرآن كثير فمـن أعجـب قولاً وأتم ضلالة ممن يوجب بقوله إن ا تعالى كذب وأنـه تعالى مع ذلك غير قادر على الكذب مع قوله تعالى.

عند مليك مقتدر.

وقال تعالى.

هو العليم القدير.

وقوله تعالى.

وكان ا   عليماً قديراً.

فأطلق تعالى لنفسه القدرة وعم ولم يخص فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه قال أبو محمد فـإن قـال قائل فما يؤمنكم إذ هو تعالى قادر علـى الظلـم والكـذب والمحال من أن يكون قد فعله أو لعله سيفعله فتبطل الحقائق كلها ولا تصح ويكون كلما أخبرنا به كذباً قال أبـو محمـد وجوابنا في هذا هو أن الذي أمننا من ذلك ضرورة المعرفـة التي قد وصفها ا تعالى في نفوسنا كمعرفتنا أن ثلاثة أكثر من اثنين وأن المميز مميز والأحمق أحمـق وأن النخـل لا يحمل زيتوناً وأن الحمير لا تحمل جمالاً وأن البغال لا تتكلم في النحو والشعر والفلسفة وسائر ما استقر في النفوس علمه ضرورة وإلا فليخبرونا ما الذي أمنهم ما ذكرنا ولعله قد كان أو سيكون ولا فرق فإذ قد صح إطباق كل من يقر با مـن جميع الملل أن هذا العالم ليس في بنيته كون المحال المذكور فيه مع موافقته أكثر المخالفين لنا على أن هذا كله فـإن ا تعالى قادر عليه ولكن لا يفعله فالذي أمنهم من أنـه تعـالى

يفعله هو الذي أمننا من أن نفعل ما قالوا لنا فيه لعله قد فعله أو سيفعله ولا فرق وإن هذا العالم ليس في بنيته كون المحال المذكور فيه وأنه تعالى لا يجور ولا يكـذب وبالضـرورة الموجبة علمنا القول بحدوث العالم وبأن له صانعاً لا يشـبهه لم يزل وبان ما ظهر من الأنبياء عليهم السلام فمـن عنـده تعالى وأن تلك المعجزات موجبة تصديقهم وهم أخبرونـا أن ا تعالى لا يكذب ولا يظلم وأنه تعالى قد أخبرنا بأنـه قـد تمت كلماته صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وأنه تعـالى قـادر وليس كل ما يقدر عليه يفعله فإن كان السائل من هذا متـديناً بدين الإسلام أو النصارى أو اليهود أو المجوس أو الصابئين أو البراهمة أو كل من يدين بأن ا حق فإنهم مجمعون على أنه تعالى لا يكذب ولا يظلم وكل من نفى الخالق فليس فيهم أحد يقول أنه يظلم أو يكذب فقد صح إطباق جميـع سـكان الأرض قديماً وحديثاً لا نحاشي أحداً على أن ا تعـالى لا يظلم ولا يكذب فلو لم يكونوا مضطرين إلى القول بهذا لوجد فيهم ولو واحد يقول بخلاف ذلك ومن المحـال أن تجتمـع طبائعهم كلهم على هذا إلا لضرورة وضعها ا عز وجل في نفوسهم كضرورتهم إلى معرفة ما أدركوه بحواسهم وبدايـة

عقولهم وأيضاً فنقول لمن سأل هذا السؤال أيمكن أن يكـون إنسان في الناس قد توسوس وأوهمته ظنونه الكاذبة وتخيلـه الفاسد وهوسه أن الأشياء على خلاف ما هي عليه وأن الناس على خلاف ما هم عليه ويتصور عنده هذا الظن الفاسد أنـه حق لا يشك فيه أم ليس يمكن أن يكون هذا في العـالم فـإن قالوا لا يمكن أن يكون هذا في العالم أتوا بالمحـال البحـت وكابروا وإن قالوا بل هو ممكن موجود في الناس كثير مـن هذه صفته قيل لهم فما يؤمنكم من أن تكونوا بهـذه الصـفة ونقول لمن يؤمن با العظيم منهم أيقدر ا تعالى علـى أن يجيل حواسك كما فعل بصاحب الصفراء الذي يجد العسـل مراً كالعلقم وبصاحب ابتداء الماء النازل في عينيـه فيـرى خيالات لا حقيقة لها وكمن في سمعه آفة فهو يسمع طنيناً لا حقيقة له أم لا يقدر فإن قالوا يقدر قيل له فما يؤمنك من أنك بهذه الصفة فإن قال إن كل من يحضرني يخبرني بأن لست من أهل هذه الصفة قيل له وهكذا يظن ذلك الموسـوس ولا فرق فإنه لابد أن يقول إني أرى أني بخلاف هـذه الصـفة ضرورة وعلماً يقيناً قلنا له بمثل هذا سواء بسـواء أمنـا أن يكون ا يظلم أو يكذب أو يحيل طبيعة لغيـر نبـي يفعـل

المحال مع قدرته على ذلك ولا فرق قال أبو محمـد ويقـال لجميع هذه الفرق حاشا من قال بقول علي الأسـواري هـل شنعتم على علي الأسواري لأنه إذا وصف ا تعالى بأنه لا يقدر على غير ما فعل فقد وصفه تعالى بالعجز ولابد فلا بد من نعم فيقال لهم فإن هذا نفسه لازم لكم في قولكم بأنـه لا يقدر على الظلم والكذب ولا على المحال ولا على نفسه لازم لكم في قولكم بأنه لا يقدر على الظلـم والكـذب ولا علـى المحال ولا على نفسه أولاً أصلح مما فعل بعباده ضرورة لا ينفكون من ذلك فإن قلتم إن هذا لا يلزمنا قيل لكم ولا يعجز علي الأسواري عن أن يقول أيضاً إن هذا لا يلزمني وهذا لا انفكاك منه ويقال لهم إذا أخبر صلى ا عليه وسلم أنه سيقيم الساعة وسيميت زيداً يوم كذا يقدر أن لايميته في ذلك اليـوم وعلى أن يميته قبل ذلك اليوم أم لا فإن قالوا لا لحقوا بقـول الأسواري وإن قالوا نعم أقروا أنه يقدر على تكـذيب قولـه وهذا هو القدرة على الكذب التي أبطلوا ونسـألهم أيضـاً إذ أمرنا ا تعالى بالدعاء ومنه ما قد علم أنه لا يجيب الداعي به هل أمرنا بالدعاء من ذلك فيما لا يستطيع ولا يقدر عليـه أم فيما يقدر عليه فإن قـالوا فيمـا لا يقـدر عليـه لحقـوا

بالأسواري وأوجبوا على ا تعالى القول بالمحال إذ زعموا أنه أمرنا بأن نرغب إليه في أن يفعل ما لا يقدر عليه تعالى ا عن ذلك وإن قالوا بل فيما يقدر عليه أقروا أنه يقدر على إبطال علمه والذي يدخل هذا الذي هو الكفر المجـرد مـن إبطال دلائل التوحيد وإبطال حدوثه العالم وخلاف الإجمـاع غير قليل فإن قال علي الأسواري لا يلزمني إثبـات العجـز بنفي القدرة بل أنفي عنه الأمرين جميعاً كما قلـتم أنـتم أن نفيكم عنه تعالى الحركة لا يلزمه السكون ونفي السـكون لا يلزمه الحركة كما تنفون عنه الضدين جميعاً من الشـجاعة والجبن وسائر الصفات التي نفيتموها وأضدادها قـال أبـو محمد فنقول وبا التوفيق إن هذا تمويه ضعيف لأننا نحـن في نفي هذه الصفات عنه تعالى جارون على سنن واحد وفي نفي جميع صفات المخلوقين عنها كلها وأنتم قد أثبتم له قدرة على أشياء ونفيتم عنه قدرة على غيرها فوجـب ضـرورة إثبات العجز عنه في الأشياء التي وصفتموه بعـدم القـدرة عليها وأما نحن فلو وصفناه بالشجاعة في شيء أو بالحركـة في وجه ما أو وصفناه بالعقل في شيء ما ثم نفينا عنه هـذه الصفات في وجه آخر للزمنا حيث وصفناه بشيء منها نفـي

ضدها وللزمنا حيث نفينا عنه ضدها أن نثبتها له ولابد كمـا فعلنا في الرحمة والسخط فإننا إذا وصفناه بالرحمة لأبي بكر الصديق فقد نفينا عنه عز وجل السخط عليه وإذا نفينا عنـه لأبي جهل فقد أثبتنا له بذلك السـخط عليـه وهـذا برهـان ضروري فإن موه مموه فقال ألستم تقولون أن ا تعـالى لا يعلم الحي ميتاً فهل تثبتون له بنفي العلم ها هنا الجهل قلنا له وهذا أيضاً تمويه آخر بل أوجبنا له بذلك العلم حقاً لأننـا إذا نفينا عنه العلم بخلاف ما الأشياء فقد أثبتنا له تعـالى العلـم بحقيقة ما الأشياء وهل ها هنا شيء يجهل أصلاً وإنما الجهل بشيء حق الجاهل به فقط قال أبو محمد وقد قلنا لمن ناظرنا منهم أنكم تنسبون تعالى علماً لم يزل فأخبرونا هل يقـدر ا تعالى على أن يميت اليوم من علم أنه لا يميته إلا غـداً وهل يقدر ربكم على أن يزيل الآن بنية عن مكان قد علـم أنها لا تزول عنه إلا غداً وعلى رحمة من مات مشركاً مـع قوله تعالى أنه لا يرحمه أصلاً أم لا يقدر على ذلك فقال لنا منهم قائل أن ا تعالى قادر على ذلك فقلنا له قد أقررتم أنه يقدر على إحالة علمه الذي لم يزل وعلى تكذيب كلامه وهذا إبطال قولكم صراحاً وقال منهم قائلون أنه تعالى قادر علـى

ذلك ولو فعله لكان قد سبق في علمه أنه سيكون كمـا فعـل فقلنا لهم لم نسألكم إلا هل يقدر على ذلك مع تقدم علمه أنه لا يكون فضجروا ها هنا وانقطعوا ولجأ بعضهم إلـى القطـع بقول علي الأسوري في أنه لا يقدر على ذلك فقلنا لهـم إذا كان تعالى لا يقدر على شيء غير ما فعل ولا على نقل بنية عن موضعها فهو إذاً مضطر مجبر وذو طبيعة جارية على سنن واحد نعم ويلزم الأسواري ومن قال بقوله إن استطاعة ا ليست قبل فعله البتة وإنما هي مع فعله ولابد لأنه لو كان مستطيعاً قبل الفعل لكان قادراً على أن يفعل في الوقت الذي علم أنه لا يفعل فيه وهذا خلاف قوله نصاً وهـو يقـول إن الإنسان مستطيع قبل الفعل فهو أتم طاقة وقدرة من ا تعالى ويلزمه أيضاً القول بحدوث قدرة ا تعالى ولابد إذ لو كانت قدرته لم تزل لكان قادراً على الفعل قبل أن يفعل ولابد وهذا خلاف قوله وهذا كفر مجرد إذ يقول إن الإنسان قادر علـى غير ما علم ا تعالى أن يفعله وا تعالى لا يقدر على ذلك فإن هؤلاء جمعوا إلى تعجيز ربهم القول بأنهم أقـوى منـه وهذا على أشد ما يكون من الكفر والشرك والحماقة قال أبو محمد وكلهم يقول بهذا المعنى لأن جميعهم يقـول إن كـل

مخلوق فهو قادر على كل ما يفعله من اتخاذ ولـد وحركـة وسكون وغير ذلك وأن الباري تعالى لا يقدر على شيء من ذلك وهذا كفر وحش جداً قال أبو محمد وسألناهم أيضاً فقلنا لهم أتقرون أن الله تعالى لم يزل قـادراً علـى أن يخلـق أم تقولون أنه لم يزل غير قادر على أن يخلق ثم قدر فقول كل من لقينا منهم وقول جميع أهل الإسلام أن الله عز وجل لـم يزل قادراً على أن يخلق قال أبو محمد وهم وجميـع أهـل الإسلام منكرون على من قال من أهل الإلحاد أن الله تعـالى لم يزل خالقاً قاطعون بأن لم يزل يخلق محال متفاسد قال أبو محمد صدقوا في ذلك إلا أنهم إذا أقروا أن قول من قال أنـه لم يزل يخلق محال وأقروا أنه لم يزل قادراً على ذلك فقـد أقروا بصحة قولنا وأنه تعالى قادر على المحال ولابـد مـن هذا أو الكفر والقول بأنه تعالى لم يزل غير قادر والحمـد لله على هداه لنا إلى الحق قال أبو محمد وسألناهم أيضاً فقلنا لهم هل يجوز عندكم أن يدعي الله تعالى في أن يفعل ما لا يقدر على سواه أو في أن لا يفعل ما لا يقدر على فعله فإن قالوا نعم أتوا بالمحال وإن قالوا لا يجوز ذلك قيل لهم فقد أمرنـا الله تعالى أن ندعوه فنقول رب احكم بالحق ولا تحملنا ما لا

طاقة لنا به وهو عندكم لا يقدر على الحكم بغير الحق ولا أن يحملنا ما لا طاقة لنا به قال أبو محمد ومن عجائـب الـدنيا أنهم يسمعون ا تعالى يقول.

وقالت اليهود عزير بن ا وقالت النصارى المسيح بن ا وأن ا ثالث ثلاثة وأن ا هو المسيح بن مريم وا فقير ونحن أغنياء ويد ا مغلولة وكمثل الشـيطان إذ قـال للإنسان اكفر.

ولا يشك مسلم في أن هذا كله كذب فأي حماقة أشنع من قول من قال إن ا قادر على أن يقول كل ذلك حاكياً ولا يقدر أن يقوله من غير أن يقول ما قيل هـذه الأقـوال مـن إضافتها إلى غيره وهذا قول يغني ذكره وسخافته عن تكلف الرد عليه قال أبو محمد ثم سألناهم فقلنا لهم من أين علمـتم أن ا تعالى لا يقدر على الكذب أو المحال أو الظلم أو غير ما فعل فلم تكن لهم حجة أصلاً إلا أن قالوا لو قـدر علـى شيء من ذلك لما أمنا أن يكون فعله أو لعله سيفعله فقلنا لهم ومن أين أمنتم أن يكون قد فعله أو لعله سيفعله فلم تكن لهـم حجة أصلاً إلا أن قالوا لأنه لا يقدر على فعله قال أبو محمد فحصل من هذا أن حجتهم أنه تعالى لا يقـدر علـى الظلـم

والكذب والمحال وغير ما فعل أنه لا يقدر على شـيء مـن ذلك فاستدلوا على قولهم بذلك القول نفسه وهذه سفسطة تامة وحماقة ظاهرة وجهل قوي لا يرضى به لنفسه إلا سـخيف العقل ضعيف الدين فلا بد ضرورة من أن يرجعوا إلى قولنا في أنه بالضرورة علمنا أنه تعالى لا يفعل شيئاً من ذلك كما قال أبو محمد وأما نحن فإن برهاننا على صـحة قولنـا أن البرهان قد قام على أنه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه فـي شيء من الأشياء والخلق عاجزون عن كثير مـن الأمـور والعجز من صفة المخلوقين فهو منفي عن ا عـز وجـل جملة وليس في الخلق قادر بذاته على كل مسئول عنه فوجب أن الباري تعالى هو الذي يقدر على كل مسئول عنه وكذلك الكذب والظلم من صفات المخلوقين فوجب يقيناً أنهما منفيان عن الباري تعالى فهذا هو الذي آمننا من أن يظلم أو يكـذب أو يفعل غير ما علم أنه يفعله وإن كان تعالى قادراً على ذلك وقلنا لهم أيضاً إذا كان عز وجل لا يوصف بالقـدرة علـى إبطال علمه فكان لا يوصف بالقدرة على أمانته اليوم من علم أنه لا يميته إلا غداً لأنه لا قدرة له على ذلك ولو كـان لـه على ذلك قدرة لوصف بها فإذا جاء غد فأماته فله قدرة على

إماتته حينئذٍ فقد حدثت له قدرة بعد أن لم تكن وهذا يوجـب أن قدرته تعالى حادثة وهذا خلاف قولهم قال أبو محمد وفي هذا أيضاً محال آخر وهو أنه إذا حدثت له قدرة بعد أن لـم تكن فمن أحدثها له أهو أحدثها لنفسه أم غيره أحدثها لـه أم حدثت بلا محدث فإن قالوا هو أحدثها لنفسه سئلوا بلا قـدرة أحدث لنفسه القدرة أم بقدرة أخرى فإن قالوا أحـدث لنفسـه قدرة بلا قدرة أتوا بالمحال وإن قالوا بل بقدرة اثبتوا قدرة لم تزل بخلاف قولهم وإن قالوا غيره أحدثها له أو حدثت بـلا محدث لحقوا بقول الدهرية وكفروا وفي قولهم هذا من خلاف المعقول وخلاف القرآن وخلاف البرهان ما يضيق به نفوس المؤمنين والحمد على معافاته لنا مما ابتلاهم به وقالوا لو فعل تعالى كل ذلك كيف كان يسمى فقلنا هذا سؤال سـخيف عما لا يكون أبداً وهو كمن سأل لو طار الإنسان كم ريشـة كانت تكون له وما أشبه هذا من الحماقـة المـأمون كونهـا وتسمية الباري تعالى إليه لا إلينا وبا تعالى التوفيق وقـال أبو الهذيل العلاف إن لما يقدر ا تعالى عليه كـلاً وآخـراً كماله أول فلو خرج آخره إلى الفعل ولا يخرج لم يكـن ا تعالى قادراً على شيء أصلاً ولا على فعل شيءٍ بوجه مـن

الوجوه وقال عبد ا ابن أحمد بن محمود الكعبي مـا نعلـم أحداً يعتقد هذا اليوم إلا يحيى بن بشر الأرجاني وادعـى أن أبا الهذيل تاب عن هذا القول قال أبو محمد وهذا كفر مجرد لا خفاء به لأنه يجوز على ربه تعالى الكون في صفة الجماد أو المخدور المفلوج مع صحة الإجماع علـى خـلاف هـذا القول الفاسد مع خلافه للقرآن ولموجب العقل وبديهتـه كـذا عنده وأظنه لقد شبهه تعالى بالمخلوقين قال أبو محمد وأمـا الأسواري فجعل ربه تعالى مضطراً بمنزلة الجماد ولا فرق ولا قدرة له على غير ما فعل وهذه حال دون حـال البـق والبراغيث وأما أبو الهذيل فجعل قدرة ربه تعـالى متناهيـة بمنزلة المختارين من خلقه وهذا هو التشبيه حقاً وأما النظـام والأشعرية فكذلك أيضاً وجعلوا قدرة ربهم تعـالى متناهيـة يقدر على شيءٍ ولا يقدر على آخر وهذه صفة أهل الـنقص وأما سائر المعتزلة فوصفوه تعالى بأنه لا نهاية لمـا يقـدر عليه من الشر وأن قدرته على الخير متناهية وهذه صفة شر وطبيعة خبيثة جداً نعوذ با منها إلا بشر بن المعتمر فقوله في هذا كقول أهل الحق وهو أن لا تتنـاهى قدرتـه أصـلاً والحمد رب العالمين .

الكلام في الرؤية

قال أبو محمد: ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان إلى أن الله تعالى لا يرى في الآخرة وقد روينا هذا القول عن مجاهد وعذره في ذلك أن الخبر لم يبلغ إليه ورويناه هذا القول أيضاً عن الحسن البصري وعكرمة وقد روي عن عكرمة والحسن إيجاب الرؤية له تعالى.

وذهبت المجسمة إلى أن الله تعالى يرى في الدنيا و الآخرة.

وذهب جمهور أهل السنة والمرجئة وضرار بن عمرو من المعتزلة إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة ولا يرى في الدنيا أصلاً.

وقال الحسن بن محمد النجار: هو جائز ولم يقطع به.

قال أبو محمد: أما قول المجسمة ففاسد بما تقدم من كلامنا في هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين وعمدة من أنكر أن الرؤية المعهودة عندنا لا تقع إلا على الألوان لا على ما عداها البتة وهذا مبعد عن الباري عز وجل.

وقد احتج من أنكر الرؤية علينا بهذه الحجة بعينهـا وهذا سوء وضع منهم لأننا لم نقل قط بتجويز هـذه الرؤيـة على الباري عز وجل و إنما قلنا أنه تعالى يرى في الآخـرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة في العـين الآن لكـن بقـوة موهوبة من ا تعالى وقد سماها بعض القائلين بهذا القـول الحاسة السادسة وبيان ذلك أننا نعلم ا عز وجل بقلوبنا علماً صحيحاً هذا ما لا شك فيه فيضع ا في الأبصار قوة تشاهد بها ا وترى بها كالتي وضع في الدنيا في القلب و كـالتي وضعها ا عز وجل في أذن موسى صلى ا عليـه وسـلم حتى شاهد ا وسمعه مكلماً له واحتجت المعتزلة بقـول ا عز وجل: " لا تدركه الأبصار ".

قال أبو محمد: هذا لا حجة لهم فيـه لأن ا تعـالى إنما نفى الإدراك و الإدراك عندنا في اللغة معنى زائد علـى النظر والرؤية وهو معنى الإحاطة ليس هـذا المعنـى فـي النظر والرؤية فالإدراك منفي عن ا تعالى على كل حـال في الدنيا والآخرة برهان ذلك قول تعالى عز وجل: " فَلَمـا تَراءى الْجمعانِ قَالَ أَصحاب موسى إِنا لَمدركُون قَالَ كَلا إِن معِي ربي سيهدِين " ففرق ا عز وجل بين الإدراك والرؤية

فرقاً جلياً لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله فلما ترآى الجمعان وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً فصمت منهم الرؤية لبني إسرائيل ونفى ا الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم كلا إن معي ربي سيهدين فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم ولا في أن ما نفاه ا تعالى عز وجل فهو غير الذي أثبته فالإدراك غير الرؤية والحجة لقولنا هو قول ا تعالى: " وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة " واعترض بعض المعتزلة وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي فقال: إن إلى هاهنا ليست حرف جر لكنها اسم وهي واحدة الآلاء وهي النعم فهي في موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة.

قال أبو محمد: وهذا بعيد لوجهين أحدهما أن ا تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت له النضرة وهي النعمة والنعمة نعمة فإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن ينتظر ما قد حصل لها وإنما ينتظر ما لم يقع بعد والثاني تواتر الأخبار عن النبي صلى ا عليه وسلم ببيان أن المراد بالنظر هو الرؤية لا ما تأوله المتأولون وقال بعضهم: إن معناها إلى ثواب ربها أي منتظرة ناظرة.

قال أبو محمد: هذا فاسد جداً لأنه لا يقال نظرت إلى فلان بمعنى انتظرته.

قال أبو محمد: وحمل الكلام على ظاهره الذي وضع له في اللغة فرض لا يجوز تعديه إلا بنص أو إجماع لأن من فعل غير ذلك أفسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله فإن قال قائل: إن حمل اللفظ على المعهود أولى من حمله على غير المعهود قيل له الأولى في ذلك حمل الأمور على معهودها في اللغة ما لم يمنع من ذلك نص أو إجماع أو ضرورة ولم يأت نص ولا إجماع ولا ضرورة تمنع ما ذكرنا في معنى النظر وقد وافقتنا المعتزلة على أنه لا عالم عندنا إلا بضمير وأنه لا فعال إلا بمعاناة ولا رحيم إلا برقة قلب ثم أجمعوا معنا على أن ا تعالى عالم بكل ما يكون بلا ضمير وأنه عز وجل فعال بلا معاناة ورحيم بلا رقة فأي فرق بين تجويزهم ما ذكرناه وبين تجويزهم رؤية و نظراً بقوة غير القوة المعهودة لولا الخذلان ومخالفة القرآن والسنن نعوذ با من ذلك.

وقد قال بعض المعتزلة: أخبرونا إذا رؤي الباري أكله يرى أم بعضه.

قال أبو محمد: وهذا سؤال تعلموه من الملحـدين إذا سألونا نحن و المعتزلة فقالوا: إذا علمتم الباري تعالى أكلـه تعلمونه أم بعضه.

قال أبو محمد: وهذا سؤال فاسد مغالط بـه لأنهـم أثبتوا كلاً وبعضاً حيث لا كل ولا بعض و الكل والبعض لا يقعان إلا في ذي نهاية والباري تعالى خالق النهاية والمتناهى فهو عز وجل لا متناه ولا نهاية فلا كل له ولا بعض.

قال أبو محمد: والآية المذكورة والأحاديث الصحاح المأثورة في رؤية ا تعالى يـوم القيامـة موجبـة القبـول لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها ورؤية ا عز وجل يـوم القيامة كرامة للمؤمنين لا حرمنا ا ذلك بفضله ومحـال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن جميع العارفين به تعـالى يرونه في الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار في الآخرة بلا شك فإن قال قائل: إنما أخبر تعالى بالرؤية عن الوجه قيل وبا تعالى التوفيق: معروف في اللغة التي بها خوطبنا أن تنسب الرؤية إلى قال بعض الأعراب: أنافس من ناجاك مقدار لفظة وتعتاد نفسي أن نأت عنك معينها وإن وجوهاً يصطبحن بنظرة إليك لمحسود عليك عيونها .

الكلام في القرآن

وهو القول في كلام الله تعالى قال أبو محمد:

واختلفوا في كلام الله عز وجل بعد أن أجمع أهل الإسلام كلهم أن لله تعالى كلاماً وعلى أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف فكل هذا لا اختلاف فيه بين أحد من أهل الإسلام ثم قالت المعتزلة إن كلام الله تعالى صفة فعل مخلوق وقالوا أن الله عز وجل كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة وقال أهل السنة أن كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل وأنه غير مخلوق وهو قول الإمام أحمد بن حنبل وغيره رحمهم الله وقالت الأشعرية كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله تعالى وأنه ليس لله تعالى إلا كلام واحد.

قال أبو محمد: واحتج أهل السنة بحجج منها أن قالوا أن كلام الله تعالى لو كان غير الله لكان لا يخلو من أن يكون جسماً أو عرضا فلو كان جسماً لكان في مكان واحد ولو كان ذلك لكنا ولو كان عرضاً لاقتضى حاملاً ولكان كلام الله تعالى الذي هو عندنا هو غير كلامه الذي عند غيرنا وهذا

محال ولكان أيضاً يغنى بغناء حامله وهذا لا يقولونه وبـ‍ا تعالى التوفيق.

قالوا: ولو سمع موسى عليه السلام كلام ا تعـ‍الى من غير ا تعالى لما كان له عليه السلام في ذلـ‍ك فضـ‍ل علينا لأننا نسمع كلام ا عز وجل مـ‍ن غيـ‍ره فصـ‍ح أن لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو أنه عليه السلام سمع كلام ا بخلاف من سواه وأيضاً فقد قامت الدلائل على أن ا تعالى لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجـ‍وه ولا بمعنى من المعاني فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقاً وجب ضرورة أن يكون كلام ا تعالى ليس مخلوقاً وليس غير ا تعالى - كما قلنا - في العلم سواء بسواء.

قال أبو محمد: وأما الأشعرية فيلزمهم في قـ‍ولهم أن كلام ا غير ا ما ألزمناهم في العلم وفي القـ‍درة سـ‍واء بسواء مما قد تقصيناه قبل هذا والحمد رب العالمين وأمـ‍ا قولهم ليس تعالى إلا كلام واحد فخلاف مجرد تعـ‍الى ولجميع أهل الإسلام لأن ا عز وجل يقول: " قل لو كـ‍ان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي "

ويقول تعالى: " ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات ا ".

قال أبو محمد: ولا ضلال أضل ولا حياء أعـدم ولا مجاهرة أطم ولا تكذيب أعظم ممن سمع هذا الكلام الذي لا يشك مسلم أنه خبر ا تعالى الذي لا يأتيه باطل من بـين يديه ولا من خلفه بأن كلمات لا تنفذ ثم يقول هو من رأيه الخسيس أنه ليس تعالى إلا كلام واحد فإن ادعـوا أنهـم فروا من أن يكثروا مع ا أكذبهم قولهم أن هاهنـا خمسـة عشرة شيئاً كلها متغايرة وكلها غير ا وخلاف ا وكلها لم تزل مع ا تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال أبو محمد: وقالت أيضاً هذه الطائفة المنتمية إلى الأشعرية أن كلام ا تعالى عز وجل لم ينزل بـه جبريـل عليه السلام على قلب محمد صلى ا عليه وسلم وإنما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام ا تعالى وأن الذي نقرأ في المصاحف ويكتب فيها ليس شيء منها كلام ا وأن كلام ا تعالى الذي لم يكن ثم كان ولا يحل لأحد أن يقول إنمـا قلنا أن تعالى لا يزايل الباري ولا يقوم بغيره ولا يحل في الأماكن ولا ينتقل ولا هو حروف موصولة ولا بعضه خيـر

من بعض ولا أفضل ولا أعظم من بعض وقالوا لم يزل ا تعالى قائلاً لجهنم: " هل امتلأت " وقائلاً للكفـار " اخسـؤوا فيها ولا تكلمون " ولم يزل تعالى قائلاً لكل ما أراد تكوينـه كن.

قال أبو محمد: وهذا كفر مجرد بلا تأويل وذلك أننـا نسألهم عن القرآن أهو كلام ا أم لا فإن قالوا ليس هو كلام ا كفروا بإجماع الأمة وإن قالوا بل هو كلام ا سـألناهم عن القرآن أهو الذي يتلى في المساجد ويكتب في المصاحف ويحفظ في الصدور أم لا! فإن قالوا لا كفروا بإجماع الأمـة وإن قالوا نعم تركوا قولهم الفاسد وأقروا أن كلام ا تعـالى في المصاحف ومسموع من القراء ومحفوظ في الصدور كما يقول جميع أهل الإسلام.

قال أبو محمد: وقال قوم في اللفظ بالقرآن ونسـبوا إلى أهل السنة أنهم يقولون أن الصوت غير مخلوق والخـط غير مخلوق.

قال أبو محمد: وهذا باطل وما قال قـط مسـلم أن الصوت الذي هو الهواء غير مخلوق وأن الخط غير مخلوق.

قال أبو محمد: والذي نقول به وبا تعالى التوفيـق هو ما قاله ا عز و جل ونبينا محمد صلى ا عليه وسلم لا نزيد على ذلك شيئاً وهو أن قول القائل القرآن وقوله كـلام ا كلاهما معنى واحد واللفظان مختلفان والقرآن هو كـلام ا عز وجل على الحقيقة بلا مجاز ونكفر من لم يقل ذلـك ونقول أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذي هو كلام ا تعالى على الحقيقة على قلب محمد صلى ا عليه وسلم كما قال تعالى " نزل به الروح الأمين على قلبـك لتكـون مـن المنذرين " ثم نقول أن قولنا القرآن وقولنـا كـلام ا لفـظ مشترك يعبر به عن خمسة أشياء فنسمي الصوت المسـموع الملفوظ به قرآناً ونقول أنه كلام ا تعـالى علـى الحقيقـة وبرهان ذلك هو قول ا عز وجل: " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام ا " وقوله تعالى: " وقـد كان فريق منهم يسمعون كلام ا ثم يحرفونه من بعـد مـا عقلوه " وقوله تعالى: " فاقرؤوا ما تيسر من القرآن " وأنكر على الكفار وصدق مؤمني الجن في قولهم: " إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد " فصح أن المسموع وهـو الصـوت الملفوظ به هو القرآن حقيقة وهو كلام ا تعالى حقيقة مـن

خالف هذا فقد عاند القرآن ويسمى المفهوم من ذلك الصوت قرآناً وكلام ا على الحقيقة فإذا فسرنا الزكاة المذكورة فـي القرآن والصلاة والحج وغير ذلك قلنا في كل هذا كـلام ا وهو القرآن ونسمي المصحف كله قرآناً وكلام ا وبرهاننـا على ذلك قول ا عز وجل: " إنه لقرآن كريم فـي كتـابٍ مكنون " وقول رسول ا صلى ا عليه وسـلم إذ نهـى أن يسافر بالقرآن إلى أرض الحرب لئلا ينالـه العـدو وقولـه تعالى: " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتـاب والمشـركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من ا يتلو صحفاً مطهـرة فيها كتب قيمة " وكتاب ا تعالى هو القرآن بإجماع الأمـة فقد سمى رسول ا صلى ا عليه وسلم المصـحف قرآنـاً والقرآن كلام ا تعالى بإجماع الأمة فالمصـحف كـلام ا تعالى حقيقة لا مجازاً ونسمي المستقر في الصـدور قرآنـاً ونقول أنه كلام ا تعالى برهاننا على ذلك قول رسـول ا صلى ا عليه وسلم إذ أمر بتعاهد القرآن وقال عليه السلام: " إنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم مـن عقلهـا " وقال ا تعالى: " بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم " فالذي في الصدور هو القرآن وهو كـلام ا علـى

الحقيقة لا مجازاً ونقول كما قال رسول ا صلى ا عليـه وسلم أن آية الكرسي أعظم آية في القـرآن وأن أم القـرآن فاتحة الكتاب لم ينزل في القرآن ولا في التـوراة ولا فـي الإنجيل مثلها وأن قل هو ا أحد تعدل ثلث القرآن وقال ا عز وجل: " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخيـر منهـا أو مثلها " فإن قالوا إنما يتفاضل الأجر على قراءة ذلك قلنا لهم نعم ولا شك في ذلك ولا يكون التفاضل في شيء مما يكون فيه التفاضل إلا في الصـفات التـي هـي أعـراض فـي الموصوف بها وأما في الذوات فلا ونقول أيضاً أن القـرآن هو كلام ا تعالى وهو علمه وليس شيئاً غير الباري تعـالى برهان ذلك قول ا عز وجل: " ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم " وقال تعالى: " وتمـت كلمـة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته " وباليقين يدري كـل ذي فهم أنه تعالى إنما عني سابق علمه الذي سـلف بمـا ينفـذه ويقضيه.

قال أبو محمد: فهذه خمسة معان يعبر عن كل معنى منها بأنه قرآن وأنه كلام ا ويخبر عن كـل واحـد منهـا إخباراً صحيحاً بأنه القرآن وانه كلام ا تعالى بنص القرآن

والسنة للذين أجمع عليهما جميع الأمة وأما الصـوت فهـو هواء مندفع من الحلق والصدر والحنك واللسـان والأسـنان والشفتين إلى آذان السامعين وهو حروف الهجاء والهواء.

وحروف الهجاء والهواء كل ذلك مخلوق بلا خلاف قال ا عز وجل: " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومـه ليبين لهم " وقال تعالى: " بلسان عربـي مبـين " واللسـان العربي ولسان كل قوم هي لغتهم واللسان واللغات كل ذلـك مخلوق بلا شك والمعاني المعبر عنها بالكلام المؤلـف مـن الحروف المؤلفة إنما هي ا تعـالى والملائكـة والنبيـون وسموات وأرضون وما فيهما من الأشياء وصـلاة وزكـاة وذكر أمم خالية والجنة والنار وسائر الطاعات وسائر أعمال الدين وكل ذلك مخلوق حاشا ا وحده لا شريك لـه خـالق كلما دونه وأما المصحف فإنما هو ورق من جلود الحيـوان ومركب منها ومن مداد مؤلف من صمغ وزاج وعفص وماء وكل ذلك مخلوق وكذلك حركة اليد في خطه وحركة اللسان في قراءته واستقرار كل ذلك في النفوس هذه كلها أعـراض مخلوقة وكذلك عيسى عليه السلام هو كلمة ا وهو مخلوق بلا شك قال ا تعالى: " بكلمة منه اسمه المسيح " وأما علـم

ا تعالى فلم يزل وهو كلام ا تعالى وهو القرآن وهو غير مخلوق وليس هو غير ا تعالى أصلاً ومن قال أن شيئاً غير ا تعالى لم يزل مع ا عز وجل فقد جعل عـز وجـل شريكاً ونقول أن عز وجل كلاماً حقيقة وأنه تعـالى كلـم موسى ومن كلم من الأنبياء والملائكة عليهم السلام تكليمـاً حقيقة لا مجازاً ولا يجوز أن يقال البتة أن ا تعالى مـتكلم لأنه لم يسم بذلك نفسه ومن قال أن ا تعالى مكلم موسى لم ننكره لأنه يخبر عن فعله تعالى الذي لم يكن ثم كان ولا يحل لأحد أن يقول إنما قلنا أن كلاماً لنفي الخرس عنـه لمـا ذكرنا قبل من أنه إن كان يعني الخرس المعهود فإنه لا ينتفي إلا بالكلام المعهود الذي هو حركة اللسان والشفتين وإن كان إنما ينفي خرساً غير معهود فهذا لا يعقل أصـلاً ولا يفهـم وأيضاً فيلزمه أن يسميه تعالى شـماماً لنفـي الخشـم عنـه ومتحركاً لنفي الخدر وهذا كله إلحاد في أسمائه عـز وجـل لكن لما قال ا تعالى أن له كلاماً قلناه وأقررنا به ولو لـم يقله عز وجل لم يحل لأحد أن يقوله وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة أشياء وقوعاً مستوياً صحيحاً منها أربعة مخلوقة وواحد غير

مخلوق لم يجز البتة لأحد أن يقول أن القرآن مخلوق ولا أن يقال أن كلام ا مخلوق لأن قائل هذا كاذب إذا أوقع صـفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن واسم كلام ا عز وجل ووجب ضرورة أن يقال أن القرآن لا خالق له ولا مخلوق وأن كلام ا تعالى لا خـالق ولا مخلـوق لأن الأربعة المسميات منه ليست خالقة ولا يجوز أن تطلق على القرآن ولا على كلام ا تعالى اسـم خـالق ولأن المعنـى الخامس غير مخلوق ولا يجوز أن توضع صفة البعض على الكل الذي لا تعمه تلك الصفة بل واجب أن يطلق نفي تلـك الصفة التي للبعض على الكل وكذاك لو قال قائل أن الأشياء كلها مخلوقة أو قال للحق مخلوق أو قال كل موجود مخلوق لقال الباطل لإن ا تعالى شيء موجود حق ليس مخلوقاً لكن إذا قال ا تعالى خالق كل شيء جاز ذلك لأنه قـد أخـرج بذكر ا تعالى أن المخلوق في كلامه الأشكال ومثال ذلـك في ما بيننا أن ثياباً خمسة الأربعة منها حمر والخامس غيـر أحمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذباً ولكان من قال هذه الثياب ليست حمراً صادقاً وكذلك من قال الإنسـان طبيـب يعني كل إنسان لكان كاذباً ولو قال ليس الإنسان طبيباً يعني

كل إنسان لكان صادقاً وكذلك لا يجوز أن يطلـق أن الحـق مخلوق ولا أن العلم مخلوق لأن اسم الحـق يقـع علـى ا تعالى وعلى كل موجود واسم العلم يقع على كل علم وعلـى علم ا عز وجل وهو غير مخلوق لكن يقال الحـق غيـر مخلوق والعلم غير مخلوق هكذا جملة فإذا بين فقيل كل حق دون ا تعالى فهو مخلوق وكل علم دون ا تعـالى فهـو مخلوق فهو كلام صحيح وهكذا لا يجوز أن يقال أن كلام ا مخلوق ولا أن القرآن مخلوق ولكن يقال علم ا غير مخلوق وكلام ا غير مخلوق والقرآن غير مخلوق ولو أن قائلاً قال أن ا مخلوق وهو يعني صوته المسموع أو الألف والـلام والهاء أو الحبر التي كتبت هذه الكلمة به لكان فـي ظـاهر قوله عند جميع الأمة كافراً ما لم يبين فيقول صوتي أو هـذا الخط مخلوق.

قال أبو محمد: فهذه حقيقة البيان في هـذه المسـألة الذي لم نتعد فيه ما قاله ا عز وجل ورسوله صلى ا عليه وسلم وأجمعت الأمة كلها على جملته وأوجبتـه الضـرورة والحمد رب العالمين فإن سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضي أن اللفظ المسموع هو غيـر القـرآن

وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه وهو كلام ا عز وجل نفسه كما قال تعالى: " حتى يسمع كلام ا " وكلام ا تعالى غير مخلوق لما ذكرنا وأما من أفرد السؤال عـن الصوت وحروف الهجا والحبر فكل ذلك مخلوق بلا شك.

قال أبو محمد: ونقول أن ا تعالى قد قال ما أخبرنا أنه قاله وأنه تعالى لم يقل بعدما أخبرنا أنـه سـيقول فـي المستأنف ولكن سيقوله ومن تعد هذا فقد كذب ا جهلاً وأما من قال أن ا تعالى لم يزل قائلاً كن لكل ما كونه أو يريد تكوينه فإن هذا قول فاحش موجب أن العالم لم يـزل لأن ا تعالى أخبرنا أنه تعالى: " إنما أمره إذا أراد شيئاً إن يقول له كن فيكون " فصح أن كل مكون فهو كائن إثر قول ا تعالى له كن بلا مهلة فلو كان ا تعالى لم يزل قائلاً كن لكان كل مكون لم يزل وهذا قول من قال أن العالم لم يزل وله مـدبر خالق لم يزل وهكذا كفر مجرد نعوذ با منه وقول ا تعالى هو غير تكليمه لأن تكليم ا تعالى من كلم فضيلة عظيمة.

قال أبو محمد: قال ا تعالى: " منهم من كلـم ا " وأما قوله فقد يكون سخطاً قال تعالى أنه قال لأهل النـار: " اخسئوا فيها ولا تكلمون " وقال لإبليس: " ما منعك أن تسجد

لما خلقت بيدي " قال اخرج منها ولا يجوز أن يقال إبليس كليم ا ولا أن أهل النار كلماء ا فقول ا عز وجل محدث بالنص وبرهان ذلك أيضاً قول ا تعالى: " إن الذين يشترون بعهد ا وإيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم ا ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم " ثم قال تعالى أنه قال لهم: " اخسئوا فيها ولا تكلمون " وقال تعالى أنهم قالوا: " ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون " فنص تعالى على أنه لا يكلمهم وأنه يقول لهم فثبت يقيناً أن قول ا تعالى هو غير كلامه وغير تكليمه لكن يقول كل كلام وتكليم فهما قول وليس كل قول منه تعالى كلاماً ولا تكليماً بنص القرآن ثم نقول وبا تعالى التوفيق إن ا تعالى أخبرنا أنه كلم موسى وكلم الملائكة عليهم السلام وثبت يقيناً أنه كلم محمداً صلى ا عليه وسلم ليلة الإسراء وقال تعالى: " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم ا " فخص ا تعالى بتكليمه بعضهم دون بعض كما ترى وقال تعالى: " وما كان لِبشَرٍ أن يكلمه الله إلا وحيا أو مِن وراء حِجابٍ أو يرسِلَ رسولًا فَيوحِي بِإِذْنِهِ ما يشَاء " ففي هذه

الآيات والحمد   أكبر نص على تصحيح كل ما قلناه في هذه المسئلة وما توفيقنا إلا با   وأخبرنا تعالى في هذه الآية أنه لا يكلم بشراً إلا بأحد هذه الوجوه الثلاثة فقـط فنظرنـا فيهـا فوجدناه تعالى قد سمى ما تأتينا به الرسل عليهم السلام تكليماً انتقل منه للبشر فصح بذلك أن الذي أتتنا به رسـله علـيهم السلام هو كلام ا   وأنه تعالى قد كلمنا بوحيه الذي أتتنا بـه رسله عليهم السلام وأننا قد سمعنا كلام ا   عز وجل الـذي هو القرآن الموحى إلى النبـي بـلا شـك والحمـد   رب العالمين.

ووجدناه تعالى قد سمى وحيه إلـى أنبيـاءه علـيهم السلام تكليماً لهم ووجدناه عز وجل قد ذكر وجهاً ثالثاً وهـو التكليم الذي يكون من وراء حجاب وهو الذي فضل به بعض النبيين على بعض وهو الذي يطلق عليه تكليم ا   عز وجـل دون صلة كما كلم موسى عليه السلام " من شاطئ الـوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة " وأما القسمان الأولان فإنما يطلق عليهما تكليم ا   عز وجل بصلة لا مجرداً فنقول: كلم ا   جميع الأنبياء بالوحي إليهم ونقول: في القسم الثـاني كلمنا ا   تعالى في القرآن على لسان نبيه عليه السلام بوحيه

إليه ونقول: قال لنا ا عز وجل " أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " ونقول: أخبرنا ا تعالى عن موسى وعيسى وعن الجنـة والنار في القرآن وفيما أوحى ا إلى رسوله صلى ا عليه وسلم ولو قال قائل: حدثنا ا تعالى عن الأمم السالفة وعـن الجنة والنار في القرآن على لسان رسوله صـلى ا عليـه وسلم لكان قولاً صحيحاً لا مدفع له لأن ا تعالى يقـول: " ومن أصدق من ا حديثاً " وكذلك يقول قص ا علينا أخبار الأمم في القرآن قال تعالى: " نحـن نقـص عليـك أحسـن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن " ونقول: سمعنا كلام ا تعالى في القرآن على التحقيق لا مجازاً وفضل علينا الملائكة والأنبياء عليهم السلام في هذا بالوجه الثاني الذي هو تكليمهم بالوحي إليهم في النوم واليقظة دون وسيطة ملك لكن بكـلام مسموع بالآذان معلوم بالقلب زائد على الوحي الـذي هـو معلوم بالقلب فقط أو مسموع من الملك عن ا تعالى وهـذا هو الوجه الذي خص به موسى عليه السلام مـن الشـجرة ومحمد صلى ا عليه وسلم ليلة الإسراء من المستوا الـذي سمع فيه صريف الأقلام وسائر من كلم ا تعالى كذلك مـن النبيين والملائكة عليهم السلام قال تعـالى: " تلـك الرسـل

فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم ا ورفع بعضـهم درجات " وقال تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعـل " ولا يجوز أن يكون شيء من هذا بصوت أصلاً لأنـه كـان يكون حينئذ يفيد بوسيطة مكلم غير ا تعالى وكـان ذلـك الصوت بمنزلة الرعد الحادث بالجو والقزع الحـادث فـي الأجسام والوحي أعلى من هذه منزلـة والتكلـيم مـن وراء حجاب أعلى من سائر الوحي بنص القـرآن لأن ا تعـالى سمى ذلك تفضيلاً كما تلونا وكل ما ذكرنا وإن كان يسـمى تكليماً فالتكليم المطلق أعلى في الفضيلة من التكليم الموصول كما أن كل روح فهو روح ا تعالى على الملك لكن إذا قلنا روح ا على الإطلاق يعني بذلك جبريل أو عيسى علـيهم السلام كان ذلك فضيلة عظيمة لهما.

قال أبو محمد: وإذا قرأنا القرآن قلنا كلامنا هذا هـو كلام ا تعالى حقيقة لا مجازاً ولا يحل حينئذ لأحد أن يقول ليس كلامي هذا كلام ا تعالى وقد أنكر ا عز وجل هـذا على من قاله إذ يقول تعالى: " سأرهقه صعوداً أنه فكر وقدر فقتل كيف قدر " إلى قوله تعالى فقال: " إن هـذا إلا سـحر يؤثر أن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر ".

قال أبو محمد: وكذلك يقول أحدنا ديني دين محمـد صلى ا عليه وسلم وإذا عمل عملاً أوجبته سنة قال عملـي هذا عمل رسول ا صلى ا عليه وسلم ولا يحل لأحد مـن المسلمين أن يقول: ديني غير دين رسول ا صلى ا عليه وسلم ولو قال ذلك لوجب قتله بالردة وكذلك ليس له أن يقول إذا عمل عملاً جاءت به السنة عن رسول ا صلى ا عليه وسلم هذا غير عمل رسول ا صلى ا عليه وسلم ولو قاله لأدب ولكان كاذباً وكذلك يقول أحدنا ديني هو دين ا عـز وجل يريد الذي أمر به عز وجل ولو قال ديني غير دين ا عز وجل لوجب قتله بالردة وكذلك يقول إذا حـدث أحـدنا حديثاً عن رسول ا صلى ا عليه وسلم صـحيحاً كلامـي هذا هو نفس كلام رسول ا صلى ا عليه وسلم ولو قـال إن كلامي هذا هو غير كلام رسول ا صلى ا عليه وسلم لكان كاذباً وهذه أسماء أوجبتها ملة ا عز وجـل وأجمـع عليها أهل الإسلام ولم يخف علينا ولا على من سـلف مـن المسلمين أن حركة لسان رسول ا صلى ا عليـه وسـلم غير حركة ألسنتنا وكذلك حركة أجسامنا في العمل وكذلك ما توصف به النفوس من العلم ولكن التسمية في الشريعة ليست

إلينا إنما هي تعالى ولرسوله صلى ا عليه وسلم فمـن خالف هذا كان كمن قال فرعون وأبو جهل مؤمنان وموسى ومحمد كافران فإذا قيل له في ذلك قال أو ليس أبـو جهـل وفرعون مؤمنين بالكفر ومحمد وموسى كافران بالطـاغوت فهذا وإن كان لكلامه مخرج فهو عند أهـل الإسـلام كـافر لتعديه ما أوجبته الشريعة من التسمية وقد شـهدت العقـول بوجوب الوقوف عند ما أوجبه ا تعالى في دينه فمـن عـد عن ذلك وزعم أنه اتبع دليل عقله في خلاف ذلك فليعلم أنـه فارق قضية العقل الصادقة الموجبـة للوقـوف عنـد حكـم الشريعة وخالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم قال تعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين الهدى ويتبـع غيـر سـبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً " نعـوذ با من ذلك.

قال أبو محمد: قال بعضهم فإذا سمعنا نحن كلام ا تعالى وسمعه موسى عليه السلام فأي فرق بينه وبيننا قلنـا أعظم الفرق وهو أن موسى والملائكة عليهم السلام سـمعوا ا تعالى يكلمهم ونحن سمعنا كلام ا تعالى من غيره وقـد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم لابن مسعود إذ أمره أن

يقرأ عليه القرآن فقال له ابن مسعود: يا رسـول ا أقـرأه عليك وعليك أنزل قال: إني أحب أن أسمعه من غيري فصح يقيناً أن القرآن الذي أنزله ا تعالى نفسه فسمعه من غيـره وقالوا فكلام ا تعالى إذاً يحل فينا قلنا هذا تهويل بارد ونعم إذا سمى ا تعالى كلامنا إذا قرأنا كلاماً له تعالى فنحن نقول بذلك ونقول أن كلام ا في صدورنا وجار علـى ألسـنتنا ومستقر في مصاحفنا ونبرأ ممن أنكر ذلـك بقولـه الفاسـد المخرج له عن الإسلام ونعوذ با من الخذلان.

الكلام في إعجاز القرآن

قال أبو محمد: قد ذكرنا قيام البرهان عن أن القرآن معجز قد أعجز ا عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن بتعجيز رسول ا صلى ا عليه وسلم كل من ذكرنا عن أن يأتوا بمثله وتبكيتهم بذلك في محافلهم وهذا أمر لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر وأجمع المسلمون على ذلك ثـم اختلف أهل الكلام في خمسة أنحاء من هذه المسالة فـالنحو الأول قول روي عن الأشعري وهو أن المعجز الذي تحـدى الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مـع ا تعـالى ولـم يفارقه قط ولا نزل إلينا ولا سمعناه وهذا كـلام فـي غايـة

النقصان والبطلان إذ من المحال أن يكلف أحـد أن يجـيء بمثل لما لم يعرفه قط ولا سمعه وأيضاً فيلزمه ولا بد بل هو نفس قوله أنه إذا لم يكن المعجز إلا ذلك فإن المسموع المتلو عندنا ليس معجزاً بل مقدوراً على مثله وهذا كفر مجـرد لا خلاف فيه لأحد فإنه خلاف للقرآن لأن ا تعـالى ألـزمهم بسورة أو عشر سور منه وذلك الكـلام الـذي هـو عنـد الأشعري هو المعجز ليس له سوراً ولا كثيراً بل هو واحـد فسقط هذا القول والحمد رب العالمين.

وله قول آخر كقول جميع المسلمين إن هذا المتلو هو المعجز والنحو الثاني هل الإعجاز متماد أم قد ارتفع بتمـام الحجة به في حياة رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال بعض أهل الكلام أن الحجة قد قامت بعجز جميـع العـرب عـن معارضته ولو عورض الآن لم تبطل بذلك الحجة التـي قـد صحت كما أن عصا موسى إذ قامت حجته بانقلابها حية لـم يضره ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت وكذلك سائر الآيات وقال جمهور أهل الإسلام أن الإعجاز باق إلى يوم القيامـة والآية بذلك باقية أبداً كما كانت.

قال أبو محمد: وهذا هو الحق الذي لا يحـل القـول بغيره لأنه نص قول ا تعالى إذ يقول: " قل لئن اجتمعـت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثلـه ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ".

قال أبو محمد: فهذا نص جرى على أنـه لا يـأتون بمثله بلفظ الاستقبال فصح يقيناً أن ذلك على التأبيـد وفـي المستأنف أبداً ومن ادعى أن المراد بذلك الماضي فقد كـذب لأنه لا يجوز أن تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل إلى معنـى الماضي إلا بنص أخر جلي وارد بذلك أو بإجماع متـيقن أن المراد به غير ظاهره أو ضرورة ولاسبيل في هذه المسـألة إلى شيء من هذه الوجوه وكذلك قوله تعـالى: " قـل لـئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا " عموم لكل إنس وجـن أبداً لا يجوز تخصيص شيء من ذلك أصلاً بغير ضـرورة ولا إجماع.

قال أبو محمد: ومن قال بالوقف وأنه ليس للعمـوم صيغة ولا للظاهر فلا حجة هاهنا تقوم لـه علـى الطائفـة المذكورة فصح أن إعجاز القرآن باق إلى يوم القيامة والحمد رب العالمين.

والنحو الثالث ما المعجز منه أنظمه أم في نصه من الإنذار بالغيوب فقال بعض أهل الكلام أن نظمه ليس معجزاً وإنما إعجازه ما فيه من الأخبار بالغيوب وقال سـائر أهـل الإسلام بل كلا الأمرين معجز نظمه وما فيه مـن الأخبـار بالغيوب وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو ضلال وبرهـان ذلك قول ا تعالى: " فأتوا بسورة من مثله " فـنص تعـالى على أنهم لا يأتون بمثل سورة من سوره واكثر سوره لـيس فيها أخبار بغيب فكأن من جعل المعجز الأخبار الـذي فيـه بالغيوب مخالفاً لما نص ا تعالى على أنه معجز من القرآن فسقطت والنحو الرابع ما وجه إعجازه فقالت طائفـة وجـه إعجازه كونه في أعلى مراتب البلاغة وقالت طوائف إنمـا وجه إعجازه أن ا منع الخلق من القدرة علـى معارضـته فقط فأما الطائفة التي قالت إنما إعجازه لأنه في أعلـى درج البلاغة فإنهم شغبوا في ذلك بأن ذكروا آيات منه مثل قولـه تعالى: " ولكم في القصاص حياة " ونحو هذا وموه بعضـهم بأن قال لو كان كما تقولون مـن أن ا تعـالى منـع مـن معارضته فقط لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون مـن الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ.

قال أبو محمد: ما نعلم لهم شغباً غير هذين وكلاهما لا حجة لهم فيه أما قولهم لو كان كما قلنا لوجب أن يكـون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام فكانت تكون الحجة أبلـغ فهذا هو الكلام الغث حقاً لوجوه أحدها أنه قول بلا برهـان لأنه يعكس عليه قوله بنفسه فيقال له بل لو كـان إعجـازه لكونه في أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه لأن هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجـة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم.

وثانيها أنه لا يسأل ا تعالى عما يفعل ولا يقال لـه لم عجزت بهذا النظم دون غيره ولم أرسلت هـذا الرسـول دون غيره ولم قلبت عصا موسى حية دون أن تقلبها أسـداً وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجبه قط عقل وحسب الآيـة أن تكون خارجة عن المعهود فقط.

وثالثها أنه حين طردوا سؤالهم ربهم بهـذا السـؤال الفاسد لزمهم أن يقولوا هلا كان هذا الإعجاز في كلام بجمع اللغات فيستوي في معرفة إعجازه العرب والعجم لأن العجم لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بأخبار العرب فقط فبطل هـذا الشغب الغث والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: وأما ذكرهم " ولكم في القصاص حياة " وما كان نحوها من الآيات فلا حجة لهم فيها ويقال لهم: إن كان كما تقولون ومعاذ ا من ذلك فإنما المعجز منه علـى قولكم هذه الآيات خاصة وأما سائره فلا وهذا كفر لا يقولـه مسلم فإن قالوا جميع القرآن مثل هذه الآيات في الإعجاز قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرها إذاً وهل هذا منكم إلا إيهام لأهل الجهل أن من القرآن معجزاً وغير معجز ثم نقول لهم قول ا تعالى: " ِإنا َأوحينَا ِإلَيك كما َأوحينَا ِإلَى نُوحٍ والنَبِيين مِن بعدِهِ وَأوحينَا ِإلَى ِإبراهِيم وِإسماعِيلَ وِْإسحقَ ويعقُوب والأَسباطِ وعِيسى وَأيوب ويونُس وهارون وسلَيمان وآتَينَا داوود زبورا " أمعجز هو على شروطكم في كونه في أعلى درج البلاغة أم ليس معجزاً فإن قالوا لـيس معجـزاً كفروا وإن قالوا أنه معجز صدقوا وسألوا هل على شروطكم في أعلى درج البلاغة فإن قالوا نعم كابروا وكفـروا مـؤنتهم لأنها أسماء رجال فقط ليس على شروطكم في البلاغة فلـو كان إعجاز القرآن لأنه في درج البلاغة لكان بمنزلة كـلام الحسن وسهل بن هرون والجاحظ وشعر أمرئ القيس ومعاذ ا من هذا لأن كل ما يسبق في طبقته لم يؤمن إن يأتي من

يماثله ضرورة فلا بد لهم من هذه الخطة أو من المصير إلـى قولنا أن ا تعالى منع من معارضته فقط وأيضاً فلـو كـان إعجازه من أنه في أعلى درج البلاغة المعهودة لوجـب أن يكون ذلك الآية ولما هو أقل من آية وهذا ينقض قـولهم أن المعجز منه ثلاث آيات لا أقل فإن قالوا فقولـوا أنـتم هـل القرآن موصوف بأنه في أعلى درج البلاغة أم لا قلنا وبـا تعالى التوفيق إن كنتم تريدون أن ا قد بلغ به ما أراد فنعم هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلـغ منهـا وإن كنتم تريدون هل هو في أعلـى درج البلاغـة فـي كـلام المخلوقين فلا لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه وبرهان هذا أن إنساناً لو أدخل في رسالة له أو خطبة أو تأليف أو موعظة حروف الهجـاء المقطعة لكان خارجاً عن البلاغة المعهودة جملة بـلا شـك فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً وأن ا تعالى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميـع كـلام الخلـق برهان ذلك أن ا حكى عن قوم من أهل النار أنهم يقولـون إذا سئلوا عن سبب دخولهم النار " لم نك من المصلين ولـم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنـا نكـذب

بيوم الدين حتى أتانا اليقين " وحكى تعالى عن كافر قـال: " إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر " وحكـى عـن آخرين أنهم قالوا: " لن نؤْمِن لَك حتى تَفْجر لَنَا مِـن الأرضِ ينبوعا أَو تَكُون لَك جنةٌ من نخِيلٍ وعِنَـبٍ فَتُفَجـر الأَنْهـار خِلالَها تَفْجِيرا أَو تُسقِطَ السماء كَما زعمتَ علَينَـا كِسـفًا أَو تأْتِي بِاللّهِ والْملآئِكَةِ قَبِيلاً أَو يكُون لَك بيتٌ من زخْـرفٍ أَو تَرقَى فِي السماء ولَن نؤْمِن لِرقِيك حتى تُنَزلَ علَينَـا كِتَابـا نقْرؤُه " فكان هذا كله إذ قاله غير ا عز وجل معجـز بـلا خلاف إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير ا تعالى معجز لكن لما قاله ا تعالى وجعله كلاماً له أصاره معجزاً ومنع من مماثلته وهذا برهان كافٍ لا يحتاج إلـى غيـره والحمد .

والنحو الخامس ما مقـدار المعجـز منـه فقالـت الأشعرية ومن وافقهم أن المعجز إنما هو مقدار أقل سـورة منه وهو إنا أعطيناك الكوثر فصاعداً وإن ما دون ذلك ليس معجزاً واحتجوا في ذلك بقول ا تعالى: " فأتوا بسورة من مثله " قالوا ولم يتحد تعالى بأقل من ذلك وذهب سائر أهـل الإسلام إلى أن القرآن كله قليله وكثيره معجز وهذا هو الحق

الذي لا يجوز خلافه ولا حجة لهم في قوله تعـالى: " فـأتوا بسورة من مثله " لأنه تعالى لم يقل إن ما دون السورة لـيس معجزاً بل قد قال تعالى على أن يأتوا بمثل هذا القـرآن ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز ثم تعارضهم في تحديـدهم المعجـز بسـورة فصاعدا فنقول أخبرونا ماذا تعنون بقولكم أن المعجز مقـدار سورة أسورة كاملة لا أقل أم مقدار كـوثر فـي الآيـات أم مقدارها في الكلمات أم مقدارها في الحروف ولا سبيل إلـى وجه خامس فإن قالوا المعجز سورة تامة لا أقل لـزمهم أن سورة البقرة حاشا آية واحدة أو كلمة واحدة من آخرهـا أو من أولها ليست معجزة وهكذا كل سورة وهذا كفر مجرد لا خفاء به إذ جعلوا كل سورة في القرآن سوى كلمة من أولها أو من وسطها من آخرها فمقدور على مثلها وإن قالوا بـل مقدارها من الآيات لزمهم أن آية الدين ليست معجزة لأنهـا ليست ثلاث آيات ولزمهم مع ذلك أن والفجر وليـال عشـر والشفع والوتر معجز كآية الكرسي وآيتان إليها لأنها ثـلاث آيات وهذا غير قولهم ومكابرة أيضاً أن تكون هذه الكلمـات معجزة حاشا كله غير معجزة ولزمهم أيضـاً أن والضـحى

والفجر والعصر هذه الكلمات الثلاث فقط معجـزات لأنهـن ثلاث آيات فإن قالوا هن متفرقات غير متصـلات لـزمهم إسقاط الإعجاز عن ألف آية متفرقة وإمكان المجيء بمثلهـا ومن جعل هذا ممكناً فقد كابر العيان وخرج عـن الإسـلام وأبطل الإعجاز عن القرآن وفي هذا كفاية لمن نصح نفسـه ولزمهم أيضاً أن " ولكم في القصاص حياة " لـيس معجـزاً وهذا نقض لقولهم في أنه في أعلى درج البلاغة وكذلك كـل ثلاث آيات غير كلمة وهذا خروج عن الإسلام وعن المعقول وإن قالوا بل في عدد الكلمات أو قالوا عدد الحروف لـزمهم شيئان مسقطان لقولهم أحدهم إبطال احتجاجهم بقوله تعالى: " بسورة من مثله " لأنهم جعلوا معجزاً ما ليس سورة ولم يقل تعالى بمقدار سورة فلاح تمويههم والثاني أن سورة الكـوثر عشر كلمات اثنان وأربعون حرفاً وقد قال تعالى: "ِإنا َأوحينَا ِإلَيك كَما َأوحينَا ِإلَى نُوحٍ والنِبِيين ِمن بعـدِهِ وَأوحينَـا ِإلَـى ِإبراهِيم وِإسماعِيلَ وِإسحقَ ويعقُوب والأَسباطِ وعِيسى وَأيوب ويونُس وهارون وسلَيمان وآتَينَا داوود زبورا " اثنتا عشـرة كلمة اثنان وسبعون حرفاً وإن اقتصرنا على الأسـماء فقـط كانت عشر كلمات اثنين وستين حرفاً فهـذا أكثـر كلمـات

وحروفاً من سورة الكوثر فينبغي أن يكون هذا معجزاً عندكم ويكون " ولكم في القصاص حياة " غير معجز فإن قـالوا إن هذا غير معجز تركوا قولهم في إعجاز مقدار أقل سورة في عدد الكلمات وعدد الحروف وإن قالوا بل هو معجز تركـوا قولهم في أنه في أعلى درج البلاغة ويلزمهم أيضاً أننـا إن أسقطنا من هذه الأسماء اسمين ومن سورة الكوثر كلمات أن لا يكون شيء من ذلك معجز فظهر سقوط كلامهم وتخليطه وفساده وأيضاً فإذا كانت الآية منه أو الآيتان غيـر معجـزة وكانت مقدوراً على مثلها وإذا كان ذلك فكله مقـدور علـى مثله وهذا كفر فإن قالوا إذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم إن إعجازه إنما هو من طريق البلاغة لأن طريق البلاغة في الآية كهو في الـثلاث ولا فرق والحق من هذا هو ما قاله ا تعالى: " قـل لـئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثـل هـذا القـرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " وإن كل كلمـة قائمة المعنى يعلم إذا تليت أنها من القرآن فإنها معجـزة لا يقدر أحد على المجيء بمثلها أبداً لأن ا تعالى حـال بـين الناس وبين ذلك كمن قال إن آية النبوة إن ا تعالى يطلقني

على المشي في هذا الطريق الواضحة ثم لا يمشي فيها أحد غيري أبداً أو مدة يسميها فهذا أعظم ما يكون من الآيات وإن الكلمة المذكورة أنها متى ذكرت في خبر على أنها ليست قرآناً فهي غير معجزة وهذا هو الذي جاء به النص والذي عجز عنه أهل الأرض مذ أربعمائة عام وأربعين عاماً ونحن نجد في القرآن إدخال معنى بين معنيين ليس بينهما كقوله تعالى " وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك " وليس هذا من بلاغة الناس في ورد ولا في صدر ومثل هذا في القرآن كثير والحمد رب العالمين.

الكلام في القدر

قال أبو محمد: اختلف الناس في هذا الباب فـذهبت طائفة إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة لـه أصلاً وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الأزارقة وذهبت طائفة أخرى إلى أن الإنسان ليس مجبراً وأثبتـوا لـه قـوة واستطاعة بها يفعل ما اختار فعله ثم افترقت هـذه الطائفـة على فرقتين فقالت إحداهما الاستطاعة التي يكون بها الفعـل لا تكون إلا مع الفعل ولا يتقدمه البتة وهذا قول طوائف من أهل الكلام ومن وافقهم كالنجار والأشعري ومحمد بن عيسى برغوث الكاتب وبشر بن غياث المريسـي وأبـي عبـد ا العطوي وجماعة من المرجئة والخوارج وهشام بن الحكـم وسليمان بن جرير وأصحابهما وقالت الأخرى أن الاستطاعة التي يكون بها الفعل هي قبل الفعل موجودة في الإنسان وهو قول المعتزلة وطوائف من المرجئة كمحمد بن شبيب ومـؤنس بن عمران وصالح قبة والناسي وجماعـة مـن الخـوارج والشيعة ثم افترق هـؤلاء علـى فـرق فقالـت طائفـة إن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضاً للفعل ولتركـه وهـو قول بشر بن المعتمر البغدادي وضرار بن عمـرو الكـوفي

وعبد ا بن غطفان ومعمر بن عمرو العطـار البصـري وغيرهم من المعتزلة وقال أبو الهذيل محمـد بـن الهـذيل العبدي البصري العلاف لا تكون الاستطاعة مع الفعل البتـة ولا تكون إلا قبله ولا بد وتفنى مع أول وجود الفعل وقال أبو اسحق بن إبراهيم بن سيار النظام وعلي الإسواري وأبو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان الأصم ليست الاستطاعة شيئاً غير نفس المستطيع وكذلك أيضاً قالوا في العجز أنه لـيس شـيئاً غير العاجز إلا النظام فإنه قال هو آفة دخلت على المستطيع.

قال أبو محمد: فأما من قال بالإجبار فإنهم احتجـوا فقالوا لما كان ا تعالى فعالاً وكان لا يشبهه شيء من خلقه وجب أن لا يكون أحد فعالاً غيره وقالوا أيضاً معنى إضـافة الفعل إلى الإنسان إنما هو كما تقول مات زيد وإنما أماته ا تعالى وقام البناء وإنما أقامه ا تعالى.

قال أبو محمد: وخطأ هذه المقالـة ظـاهر بـالحس والنص وباللغة التي بها خاطبنا ا تعالى وبها نتفـاهم فأمـا النص فإن ا عز وجل قال في غير موضع من القـرآن " جزاء بما كانوا يعملون لم تقولون مـا لا تفعلـون وعملـوا الصالحات " فنص تعالى على أننا نعمل ونفعل ونصنع وأمـا

الحس فإن بالحواس وبضرورة العقل وببديهية علمنـا يقينـاً علماً لا يخالج فيه الشك أن بين الصحيح الجوارح وبين مـن لا صحة بجوارحه فرقـاً لائحـاً لجوارحـه لأن الصـحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختـاراً لهـا دون مانع والذي لا صحة لجوارحه لو رام ذلك جهـده لـم يفعله أصلاً ولا بيان أبين من هذا الفرق والمجبر في اللغـة هو الذي يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده فأما من وقع فعله باختياره وقصده فلا يسمى في اللغة مجبـراً وإجمـاع الأمة كلها على لا حول ولا قوة إلا با مبطل قول المجبرة ووجب أن لنا حولاً وقوة ولكن لم يكن لنا ذلك إلا با تعالى ولو كان ما ذهب إليه الجهمية لكان القول لا حول ولا قوة إلا با لا معنى له وكذلك قوله تعالى: " لمـن شـاء مـنكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء ا رب العـالمين " فـنص تعالى على أن لنا مشيئة إلا أنها لا تكون منا إلا أن يشاء ا كونها وهذا نص قولنا والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: ومن عرف عناصـر الأشـياء مـن الواجب والممتنع والممكن أيقن بالفرق بين صحيح الجوارح وغير صحيحها لأن الحركة الاختيارية بأول الحس هي غير

الاضطرارية وإن الفعل الاختياري من ذي الجوارح المؤوفة وهو من ذي الجوارح الصحيحة ممكن وإننا بالضرورة نعلم أن المقعد لو رام القيام جهده لما أمكنه ونقطع يقيناً أنه لا يقوم وأن الصحيح الجوارح لا ندري إذا رأيناه قاعداً يقوم أم يتكئ أم يتمادى على قعوده وكل ذلك منه ممكناً وأما من طريق اللغة فإن الإجبار والاضطرار والغلبة أسماء مترادفة وكلها واقع على معنى واحد لا يختلف وقوع الفعل ممن لا يؤثره ولا يختاره ولا يتوهم منه خلاف البتة وأما من آثر ما يظهر منه من الحركات والاعتقاد ويختاره ويميل إليه هواه فلا يقع عليه اسم إجبار ولا اضطرار لكنه مختار والفعل منه مراد متعمد مقصود ونحو هذه العبارات عن هذا المعنى في اللغة العربية التي نتفاهم بها فإن قال قائل فلم أبيتم ها هنا من إطلاق لفظة الاضطرار و أطلقتموها في المعارف فقلتم أنها باضطرار وكل ذلك عندكم خلق ا تعالى في الإنسان فالجواب أن بين الأمرين فرقاً بيناً وهو أن الفاعل متوهم منه ترك فعله وممكن ذلك منه وليس ذلك ما عرفه يقيناً ببرهان لأنه لا يتوهم البتة انصرافه عنه ولا يمكنه ذلك أصلاً فصح أنه مضطر إليها وأيضاً فقد أثنى ا عز وجل على قوم

دعوه فقالوا: " ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به " وقد علمنـا أن الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة في اللغة العربيـة ألفـاظ مترادفة كلها واقع على معنى واحد وهذه صفة من يمكن عنه الفعل باختياره أو تركه باختياره ولا شك في أن هؤلاء القوم الذين دعوا هذا الدعاء قد كلفوا شيئاً من الطاعات والأعمـال واجتناب المعاصي فلولا أن ها هنا أشياء لهم بها طاقة لكان هذا الدعاء حمقاً لأنهم كانوا يصيرون داعين ا عز وجـل في أن لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به وهم لا طاقة لهم بشـيء من الأشياء فيصير دعاءهم في أن لا يكلفوا ما قد كلفوه وهذا محال من الكلام وأما احتجاجهم بأن ا تعالى لما كان فعالاً وجب أن لا يكون فعال غيره فخطأ من القول لوجوه أحـدها أن النص قد ورد بأن للإنسان أفعالاً وأعمالاً قال تعـالى: " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كـانوا يفعلـون " فأثبت ا لهم الفعل وكذلك نقـول أن الإنسـان يصـنع لأن النص قد جاء بذلك ولولا النص ما أطلقنا شـيئاً مـن هـذا وكذلك لما قال ا تعالى: " وفاكهة مما يتخيرون " علمنا أن للإنسان اختياراً لأن أهل الدنيا وأهل الجنة سواء فـي أنـه تعالى خالق أعمال الجميع على أن ا تبارك وتعالى قـال "

وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " فعلمنـا أن الاختيار الذي هو فعل ا تعالى وهو منفي عن سواه وهـو غير الاختيار الذي أضافه إلى خلقه ووصفهم به ووجدنا هذا أيضاً حساً لأن الاختيار الذي توحد ا تعالى به هو أن يفعل ما شاء كيف شاء وإذا شاء وليست هذه صفة شيء من خلقه وأما الاختيار الذي أضافه ا تعالى إلى خلقه فهو ما خلـق فيهم من الميل إلى شيء ما و الإيثار له على غيره فقط وهنا غاية البيان وبا تعالى التوفيق.

ومنها أن الاشتراك في الأسماء لا يقـع مـن أجلـه التشابه ألا ترى انك تقول ا الحي والإنسان حي والإنسـان حليم كريم عليم وا تعالى حليم كريم عليم فليس هذا يوجب اشتباهاً بلا خلاف وإنما يقع الاشتباه بالصفات الموجودة فـي الموصوفين والفرق بين الفعل الواقع من ا عز وجل والفعل الواقع منا هو أن ا تعالى اخترعه وجعله جسماً أو عرضاً أو حركة أو سكوناً أو معرفة أو إرادة أو كراهية وفعل عـز وجل كل ذلك فينا بغير معاناة منه وفعل تعالى لغير علة وأما نحن فإنما كان فعلاً لنا لأنه عز وجـل خلقـه فينـا وخلـق اختيارنا له وأظهره عز وجل فينا محمولاً لاكتساب منفعة أو

لدفع مضرة ولم نخترعه نحن وأما من قال بالاستطاعة قبـل الفعل فعمدة حجتهم إن قالوا لا يخلو الكافر من أحد أمـرين إما أن يكمن مأموراً بالإيمان أو لا يكون مأموراً به فإن قلتم أنه غير مأمور بالإيمان فهذا كفر مجرد وخـلاف للقـرآن والإجماع وإن قلتم هو مأمور بإيمان وهكذا تقولون فلا يخلو من أحد وجهين إما أن يكون أمر وهو يستطيع ما أمـر بـه فهذا قولنا لا قولكم أو يكون أمر وهو لا يستطيع ما أمر بـه فقد نسبتم إلى ا عز وجل تكليف ما لا يستطاع ولزمكم أن تجيزوا تكليف الأعمى أن يرى والمقعد أن يجري أو يطلـع إلى السماء وهذا كله جور وظلم والجور والظلم منفيان عن ا عز وجل ولا تخلو تلك الاستطاعة من أن يكون المـرء أعطيها والفعل موجود أو أعطيها والفعل غير موجود فـإن كان أعطيها والفعل موجود فلا حاجة به إليها إذ قـد وجـد الفعل منه الذي يحتاج إلى الاستطاعة ليكون ذلك الفعل بهـا وإن كان أعطيها والفعـل غيـر موجـود فهـذا قولنـا أن الاستطاعة قبل الفعل قالوا وا تعـالى يقـول: " و علـى الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " قالوا فلو لم تتقـدم الاستطاعة الفعل لكان الحج لا يلزم أحداً قبل ان يحج وقـال

تعالى: " وعلى الذين يطيقونه فدية طعـام مسـكين " وقـال تعالى: " فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً " فلـو كانـت الاستطاعة للصوم لا تتقدم للصوم ما لزمت أحداً الكفارة بـه وقال تعالى: " يحلفون با لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم وا يعلم أنهم لكاذبون " فصح أن استطاعة الخـروج موجودة مع عدم الخروج وقال تعالى " فاتقوا ا ما استطعتم " ولهم أيضاً في خلق الأفعال اعتـراض نـذكره إنشـاء ا تعالى وبا التوفيق والحمد رب العالمين.

باب الاستطاعة

قال أبو محمد: إن الكلام على حكم لفظة قبل تحقيق معناها ومعرفة المراد بها وعن أي شيء يعبر بذكرها طمس للوقوف على حقيقتها فينبغـي أولاً أن نقـف علـى معنـى الاستطاعة فإذا تكلمنا عليه وقررنا بحول ا تعـالى وقوتـه سهل الإشراف على صواب هذه الأقوال من خطئها بعون ا تعالى وتأييده فنقول وبا تعالى نتأيد.

إن من قال أن الاستطاعة هي المستطيع قـول فـي غاية الفساد ولو كان لقائله أقل علم باللغة العربية ثم بحقـائق الأسماء والمسميات ثم بماهية الجواهر والأعراض لم يقـل

هذا السخف أما اللغة فإن الاستطاعة إنما هي مصدر استطاع يستطيع استطاعة والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب الذي هو فعل الضارب والحمرة التي هـي صـفة الأحمـر والاحمرار الذي هو صفة المحمر وما أشبه هـذا والصـفة والفعل عرضان بلا شك في الفاعل منا وفـي الموصـوف والمصادر هي أحداث المسمين بالأسماء بإجماع من أهل كل لسان فإذا كانت الاستطاعة في اللغة التي بها نتكلم نحن وهم إنما هي صفة في المستطيع فبالضرورة نعلم أن الصفة هـي غير الموصوف لأن الصفات تتعاقب عليه فتمضـي صـفة وتأتي أخرى فلو كانت الصفة هي الموصوف لكان الماضي من هذه الصفات هو الموصوف الباقي ولا سبيل إلى غيـر هذا البتة فإذ لا شك في أن الماضي هو غير الباقي فالصفات هي غير الموصوف بها وما عدا هـذا فهـو مـن المحـال والتخليط فإن قالوا أن الاستطاعة ليست مصدر اسـتطاع ولا صفة المستطيع كابروا وأتوا بلغة جديدة غير اللغة التي نزل بها القرآن والتي لفظة الاستطاعة التي فيها نتنازع إنما هـي كلمة من تلك اللغة ومن أحال شيئاً من الألفاظ اللغوية عـن موضوعها في اللغة بغير نص محيل لها ولا بإجماع من أهل

الشريعة فقد فارق حكم أهل العقول والحيـاء وصـار فـي نصاب من لا يتكلم معه ولا يعجز أحـد أن يقـول الصـلاة ليست ما تعنون بها وإنما هي أمر كذا والماء هو الخمر وفي هذا بطلان الحقائق كلها وأيضاً فإننا نجد المرء مستطيعاً ثـم نراه غير مستطيع لخدر عرض فـي أعضـائه أو لتكتيـف وضبط أو لإغماء وهو بعينه قائم لم ينتقص منه شيء فصح بالضرورة أن الذي عدم من الاستطاعة هو غير المسـتطيع الذي كان ولم يعدم هذا أمر يعرف بالمشاهدة والحس وبهـذا أيقنا أن الاستطاعة عرض مـن الأعـراض تقبـل الأشـد الأضعف فنقول استطاعة أشد مـن اسـتطاعة واسـتطاعة أضعف من استطاعة وأيضاً فأن الاستطاعة لها ضد وهـو العجز والأضداد لا تكون إلا أعراضاً تقتسم طرفـي البعـد كالخضرة والبياض والعلم والجهل والذكر والنسيان وما أشبه هذا وهذا كله أمر يعرف بالمشاهدة ولا ينكره إلا أعمى القلب والحواس ومعاند مكـابر للضـرورة والمسـتطيع جـوهر والجوهر لا ضد له فصح بالضرورة إن الاستطاعة هي غير المستطيع بلا شك وأيضاً فلو كانت الاستطاعة هي المستطيع لكان العجز أيضاً هو العاجز والعاجز هو المستطيع بالأمس

فعلى هذا يجب أن العجز هو المستطيع فإن تمادوا على هـذا لزمهم أن العجز عن الأمر هو الاستطاعة عليه وهذا محـال ظاهر فإن قالوا أن العجز غير المستطيع هو آفة دخلت على المستطيع سئلوا عن الفرق الذي من أجله قالوا أن الاستطاعة هي المستطيع ومنعوا أن يكون العجز هو العاجز ولا سـبيل لوجود فرق في ذلك وبهذا نفسه يبطل قـول مـن قـال أن الاستطاعة هي بعض المستطيع سواء بسواء لأن العرض لا يكون بعضاً للجسم وأما من قال أن الاستطاعة كل ما توصل به إلى الفعل كالإبرة والدلو والحبل وما أشبه ذلك فقول فاسد تبطله المشاهدة لأنه قد توجد هـذه الآلات وتعـدم صـحة الجوارح فلا يمكن الفعل فإن قالوا قد تعدم هذه الآلات وتوجد صحة الجوارح ولا يمكن الفعل قلنا صدقتم وبوجـود هـذه الآلات تم الفعل إلا أن لفظة الاستطاعة التـي فـي معناهـا نتنازع هي لفظة قد وضعت في اللغة التي بها نتفاهم ونعبـر عن مرادنا على عرض في المستطيع فليس لأحد أن يصرف هذه اللفظة عن موضوعها في اللغة برأيه من غير نص ولا إجماع ولو جاز هذا لبطلت الحقائق ولم يصح تفاهم أبداً وقد علمنا يقيناً أن لفظة الاستطاعة لم تقع قط في اللغة التي بها

نتفاهم على حبل ولا على مهماز ولا على إبرة فإن قالوا قـد صح عن أئمة اللسان كابن عباس وابن عمـرو رضـي ا عنهما إن الاستطاعة زاد وراحلة قيل لهم نعم قد صح هـذا ولا خلاف بين أحد له فهم باللغة أنهما عنيا بذلك القوة علـى وجود زاد وراحلة وبرهان على ذلك أن الزاد والراحلة كثير في العالم وليس كونهما في العالم موجباً عندهما فرض الحج على ما لا يجدهما فصح ضرورة أنهما عنيا بذلك القوة على إحضار الزاد والراحلة والقوة على ذلك عرض كما قلنا وبا تعالى التوفيق وهكذا القول أيضاً أن ذكـروا قـول ا عـز وجل: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن ربـاط الخيـل ترهبون به عدو ا وعدوكم " لأن هذا هو نـص قولنـا أن القوة عرض ورباط الخيل عرض فسقط هذا القول والحمد رب العالمين فإذا قد سقطت هذه الأقـوال كلهـا وصـح أن الاستطاعة عرض من الأعراض فواجب علينا معرفة ما تلك الأعراض فنظرنا ذلك بعون ا عز وجل وتأييـده فوجـدنا بالضرورة الفعل لا يقع باختيار الأمن صحيح الجوارح التي يكون بها ذلك الفعل يقيناً أن سلامة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة ثم نظرنا سالم الجوارح لا يفعل مختاراً إلا حتـى

يستضيف إلى ذلك إرادة الفعـل فعلمنـا أن الإرادة أيضـاً محركة للاستطاعة ولا نقول أن الإرادة اسـتطاعة لأن كـل عاجز عن الحركة فهو مريد لها وهو غيـر مسـتطيع وقـد علمنا ضرورة أن العاجز عن الفعل فليس فيه استطاعة للفعل لأنهما ضدان والضدان لا يجتمعان معاً ولا يمكن أيضـاً أن تكون الإرادة بعض الاستطاعة لأنه كان يلزم من ذلك أن في تعاجز المريد استطاعة ما لأن بعض الاستطاعة اسـتطاعة وبعض العجز عجز ومحال أن يكون في العاجز عن الفعـل استطاعة له البتة فالاستطاعة ليست عجزاً فمن استطاع على شيء وعجز عن أكثر من ففيه استطاعة على مـا يسـتطيع عليه هي غير استطاعة التي فيه على ما استطاع عليه وبا تعالى التوفيق ثم نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعـل قد يعترضه دون الفعل مانع لا يقدر معه على الفعل أصـلاً فعلمنا أن هاهنا شيئاً آخر به تتم الاستطاعة ولابد وبه يوجـد الفعل فعلمنا ضرورة هذا الشيء إذ هو تمام الاسـتطاعة ولا تصح الاستطاعة إلا به فهو باليقين قوة إذ الاسـتطاعة قـوة وأن ذلك الشيء قوة بلا شك فقد علمنا أنه ما أتى به من عند ا تعالى لأنه تعالى مؤتي القوى إذ لا يمكن ذلك لأحد دونه

عز وجل فصح ضرورة أن الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع وهذان الوجهان قبل الفعل وقوة أخـرى مـن عند ا عز وجل وهذا الوجه مع الفعل باجتماعهمـا يكـون الفعل وبا تعالى التوفيق ومن البرهان على صحة هذا القول إجماع الأمة كلها على سؤال ا تعالى التوفيق والاستعاذة به من الخذلان فالقوة التي ترد من ا تعالى على العبد فيفعـل بها الخير تسمى بالإجماع توفيقاً وعصمة وتأييداً والقوة التي ترد من ا تعالى فيفعل العبد بها الشر تسـمى بالإجمـاع خذلاناً والقوة التي ترد من ا تعالى على العبد فيفعل بها ما ليس طاعة ولا معصية تسمى عوناً أو قوة أو حولاً وتبـين من صحة هذا صحة قول المسلمين لا حول ولا قوة إلا با والقوة لا تكون لأحد البتة فعل إلا بها فصح أنه لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم وكذلك يسمى تيسيراً قال رسول ا صلى ا عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقد وافقنا جميـع المعتزلة على أن الاستطاعة فعل ا عز وجل وأنه لا يفعل أحد خيراً ولا شراً إلا بقوة أعطاه ا تعالى إياهـا إلا أنهـم قالوا يصلحوا بها الخير والشر معاً قال أبو محمـد: فجملـة القول في هذا بأن عناصر الأخبار ثلاثـة وهـو ممتنـع أو

واجب أو ممكن بينهما هذا أمر بضرورة الحس والتمييز فإذا الأمر كذلك فإن عدمت صحة الجوارح كان له.

مانع إلى الفعل وأما الصـحيح الجـوارح المرتفـع الموانع فقد يكون منه الفعل وقد لا يكون فهذه هي الاستطاعة الموجودة قبل الفعل برهان ذلك قول ا عز وجل حكاية عن القائلين: " لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم وا يعلم أنهم لكاذبون " فأكذبهم ا في إنكارهم استطاعة الخروج قبل الخروج وقوله تعالى: " و على الناس حـج البيـت مـن استطاع إليه سبيلاً " فلو لم تكن هنا استطاعة قبل فعل المرء الحج لما لزم الحج إلا من حج فقط ولما كان أحـد عاصـياً بترك الحج لأنه لم يكن مستطيعاً للحج حتى يحج فـلا حـج عليه ولا هو مخاطب بالحج وقوله تعالى: " فمـن لـم يجـد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لـم يسـتطع فإطعام ستين مسكيناً " فلو لم يكن على المظاهر العائد لقولـه استطاعته على الصيام قبل أن يصـوم لمـا كـان مخاطبـاً بوجوب الصوم عليه إذا لم يجد الرقبة أصلاً ولكان حكمه مع عدم الرقبة وجوب الإطعام فقط وهذا باطل وقول رسول ا صلى ا عليه وسلم لمن بايعه فمن لم يستطع فقاعداً فمن لم

يستطع فعلى جنب وهذا إجماع متيقن لاشك فيه فلو لم يكـن الناس مستطيعين للقيام قبل القيام لمـا كـان أحـد مـأموراً بالصلاة قبل أن يصليها كذلك ولكان معذوراً أن صلى قاعداً وعلى جنب بكل وجه لأنه إذا صلى كذلك لم يكن مسـتطيعاً للقيام وهذا باطل وقوله صلى ا عليه وسلم: " إذا أمـرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم " فلو لم يكـن هاهنـا اسـتطاعة لشيء مما أمرنا به أن نفعله لما لزمنا شيء مما أمرنا به مما لم نفعله ولكنا غير عصاة بالترك لأننا لم نكلف بالنص إلا ما استطعنا.

وقوله صلى ا عليه وسـلم أتسـتطيع أن تصـوم شهرين قال فلو لم يكن أحد مستطيعاً للصوم إلا حتى يصوم لكان هذا السؤال منه عليه السلام محالاً وحاشى له من ذلـك ومما يتبين صحة هذا وأن المراد في كل ما ذكـر ناصـحة الجوارح وارتفاع الموانع قول ا تعالى: " خَاشِعةً أَبصارهم تَرهقُهم ذِلةٌ وقَد كَانُوا يدعون إِلَى السجودِ وهـم سـاِلِمون " فنص تعالى على أن في عدم السلامة بطلان الاستطاعة وأن وجود السلامة بخلاف ذلك فصـح ان سـلامة الجـوارح استطاعة وإذا صح هذا فبيقين ندري أن سـلامة الجـوارح

يكون بها الفعل وضده والعمل وتركه والطاعـة والمعصـية لأن كل هذا يكون بصحة الجوارح فإن قال قائل فإن سلامة الجوارح عرض والعرض لا يبقى وقتين قيل له هذه دعوى بلا برهان والآيات المذكورات مبطلة لهذه الدعوى وموجبـة أن هذه الاستطاعة من سلامة الجوارح وارتفـاع الموانـع موجودة قبل الفعل ثم لو كان ما ذكرتم ما كان فيه دفع لمـا قاله عز وجل من ذلك ثم وجدنا ا تعالى قد قال: " وكانوا لا يستطيعون سمعاً " وقال تعالى حاكيا قول الخضـر لموسـى عليه السلام: " إنك لن تستطيع معي صبراً " وقـال: " ذلـك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً " وعلمنا أنه كلام ا تعالى لا يتعارض ولا يختلف قال ا تعالى: " ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فيقنا أن الاستطاعة التي أثبتها ا تعالى قبل الفعل هي غير الاستطاعة التي نفاها مع الفعل ولا يجوز غير ذلك البتة فإذ ذلك كذلك فالاستطاعة كما قلنـا شيئان أحدهما قبل الفعل وهو سـلامة الجـوارح وارتفـاع الموانع والثاني لا يكون إلا مع الفعل وهو القوة الواردة مـن ا تعالى بالعون والخذلان وهو خلق ا تعالى للفعل في من ظهر منه وسمي من أجل ذلك فاعلاً لما ظهر منه إذ لا سبيل

إلى وجوه معنى غير هذا البتة فهذا هو حقيقة الكـلام فـي الاستطاعة بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والإجمـاع وضرورة الحس وبديهة العقل فعلى هذا التقسيم بين الكـلام في هذا الباب فإذا نفينا وجود الاستطاعة قبل الفعـل فإنمـا نعني بذلك الاستطاعة التي بها يقع الفعل ويوجد واجباً ولا بد وهي خلق ا تعالى للفعل في فاعله وإذا أثبتنا الاسـتطاعة قبل الفعل فإنما نعني بها صحة الجوارح وارتفـاع الموانـع التي يكون الفعل بها ممكناً متوهماً لا واجباً ولا ممتنعاً وبها يكون المرء مخاطباً مكلفاً مأموراً منهياً وبعد مهما يسقط عنه الخطاب والتكليف و يصير الفعل منه ممتنعاً ويكون عـاجزا عن الفعل.

قال أبو محمد: فإذ قد تبين ما الاستطاعة فنقول بعون ا عز وجل فيما اعترضت به المعتزلة الموجبة للاستطاعة جملة قبل الفعل ولا بد فنقول وبا تعالى التوفيق أنهم قـالوا أخبرونا عن الكافر المأمور بالإيمان أهـو مـأمور بمـا لا يستطيع أم بما يستطيع فجوابنا وبا تعالى نتأيد إننا قد بينـا آنفاً أن صحة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة وحامل هذه الصفة مستطيع بظاهر حاله من هذا الوجه وغير مستطيع ما

لم يفعل ا عز وجل فيه ما به يكون تمام استطاعته ووجود الفعل فهو مستطيع من وجه غير مستطيع من وجه آخر وهذا مع أنه نص القرآن كما أوردنا فهو أيضـاً مشـاهد كالبنـاء المجيد فهو مستطيع بظاهر حالـه ومعرفتـه بالبنـاء غيـر مستطيع للآلات التي لا يوجد البناء إلا بها وهكذا في جميـع الأعمال وأيضاً فقد يكون المرء عاصياً تعالى فـي وجـه مطيعاً له في آخر مؤمناً با كافراً بالطاغوت فإن قالوا فقد نسبتم تكليف ما لا يستطاع قلنا هذا باطل ما نسـبنا إليـه تعالى إلا ما أخبر به عن نفسه أنه لا يكلـف أحـد إلا مـا يستطيع بسلامة جوارحه وقد يكلفه ما لا يستطيع في علم ا تعالى لان الاستطاعة التي بها يكون الفعل ليست فيه بعد ولا يجوز أن يطلق على ا تعالى أحد القسمين دون الآخر وأما قولهم أن هذا كتكليف المقعد الجري والأعمى النظر وإدراك الألوان والارتفاع إلى السماء فإن هذا باطل لأن هؤلاء ليس فيهم شيء من قسمى الاستطاعة فلا استطاعة لهم أصلاً وأما الصحيح الجوارح ففيه أحد قسمى الاستطاعة وهـو سـلامة الجوارح ولولا أن ا عز وجل آمننا بقوله تعالى: " ما جعل عليكم في الدين من حرج " لكان غير منكـر ان يكلـف ا

تعالى الأعمى إدراك الألوان والمقعد الجري والطلوع إلى السماء ثم يعذبهم عند عدم ذلك منهم و تعالى أن يعذب من شاء دون ان يكلفه وأن ينعم من شاء دون أن يكلفه كما رزق من شاء العقل وحرمه الجماد والحجارة وسائر الحيوان وجعل عيسى بن مريم نبياً في المهد حين ولادته وشد على قلب فرعون فلم يؤمن قال تعالى: " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " وليس في بداية العقول حسن ولا قبيح لعينه البتة وقالت المعتزلة متى أعطي الإنسان الاستطاعة أقبل وجود الفعل فإن كان قبل وجود الفعل قالوا فهذا قولنا وإن كان حين وجود الفعل فما حاجتنا إليها فجوابنا وبا تعالى التوفيق إن الاستطاعة قسمان كما قلنا فأحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثاني مع الفعل وهو خلق ا للفعل في فاعله ولولاهما لم يقع الفعل كما قال ا عز وجل ولو كانت الاستطاعة لا تكون قبل الفعل ولا بد ولا تكون مع الفعل أصلاً كما زعم أبو الهذيل لكان الفاعل إذا فعل عديم الاستطاعة وفاعلاً فعلاً لا استطاعة له على فعله حين فعله وإذ لا استطاعة له عليه فهو عاجز عنه فهو فاعل عاجز عما يفعل معاً وهذا تناقض ومحال ظاهر.

قال أبو محمد: ولهم الزامات سخيفة هي لازمة لهـم كما تلزم غيرهم سواء بسواء منها قولهم متى أحرقت النـار العود أفي حال سلامته أم وهو غير محتـرق فـإن كانـت أحرقته في حال سلامته فهو إذاً محرق غيـر محـرق فـإن كانت أحرقته وهو محرق فما الذي فعلت فيه وكسؤالهم متى كسر المرء العود أكسره وهو صحيح فهو إذاً مكسور صحيح أو كسره وهو مكسور فما الذي أحدث فيه وكسـؤالهم متـى أعتق المرء عبده أفي حال رقه فهو حر عبد أو فـي حـال عتقه فأي معنى لعتقه إياه ومتى طلق المرء زوجته أطلقهـا وهي غير مطلقة فهي مطلقة لا مطلقة معاً أم طلقهـا وهـي مطلقة فما الذي أثر فيها طلاقه ومتى مات المرء في حياتـه مات أم وهو ميت ومثل هذا كثير.

قال أبو محمد: وكل هذه سفسطة وسؤالات سـخيفة مموهة والحق فيها أن تفريق النار أجزاء ما عملت فيه هـو المسمى إحراق وليس للإحراق شيء غير ذلك فقولهم هـل أحرقت وهو محرق تخليط لأن فيه إيهاماً أن الإحراق غيـر الإحراق وهذه سخافة وكذلك كسر العود إنما هو إخراجه عن حال الصحة والكسر نفسه هو حال العـود حينئـذ وكـذلك

إخراج العبد من الرق إلى عتقه هو عتقه و لا مزيد ليست له حال أخرى وكذلك خروج المرأة من الزوجية إلى الطلاق هو تطليقها نفسه وكذلك فراق الروح للجسد وهو الإماتة والموت نفسه ولا مزيد وليست ها هنا حال أخرى وقع الفعـل فيهـا وبا تعالى التوفيق.

الكلام في أن إتمام الاستطاعة

لا يكون إلا مع الفعل لا قبله قال أبو محمـد: يقـال لمن قال أن الاستطاعة كلها ليست إلا قبل الفعل وأنها قبـل الفعل بتمامها وتكون أيضاً مع الفعل أخبرونا عن الكافر هل يقدر قبل أن يؤمن في حال كفره على الإيمان قدرة تامة أم لا وعن تارك الصلاة هل يقدر قدرة تامة على الصلاة في حال تركه وعن الزاني هل يقدر في حال زناه على ترك الزنـى بأن لا يكون منه زنى أصلاً أم لا وبالجملة فالأوامر كلها إنما هي أمر بحركة أو أمر بسكون أو أمر باعتقاد إثبات شيء ما أو أمر باعتقاد إبطال شيء ما وهذا كله يجمعه فعل أو ترك فأخبرونا هل يقدر الساكن المأمور بالحركة على الحركة حال السكون أو يقدر المتحرك المأمور بالسكون على السكون في حال الحركة وعن معتقد إ بطال شيء ما وهو مأمور باعتقاد

إثباته هل يقدر في حال اعتقاده إبطاله على اعتقاد إثباته أم لا وعن معتقد إثبات شيء ما وهو مأمور باعتقاد إبطالـه هـل يقدر في حال اعتقاده إثباته على اعتقاد إبطالـه أم لا وعـن المأمور بالترك وهو فاعل ما أمر بتركه أيقدر على تركه في حال فعله فيكون فاعلاً لشيء تاركاً لذلك الشيء معـاً أم لا فإن قالوا نعم هو قادر على ذلك كـابروا العيـان وخـالفوا المعقول والحس وأجازوا كل طامة من كون المـرء قاعـداً قائماً معاً ومؤمناً با كافراً به معاً وهذا أعظم ما يكون مـن المحال الممتنع وإن قالوا أنه لا يقدر قدرة تامة يكـون بهـا الفاعل لشيء هو فاعل لخلافه قالوا الحق ورجعوا إلى أنه لا يستطيع أحد استطاعة تامة يقع بها الفعل إلا حتى يفعله وكل جواب أجابوا به ها هنا فإنما هو إيهام ولواذ ومدافعة بالراح لأنه إلزام ضروري حسي متيقن لا محيد عنه وبا تعـالى التوفيق فإن قالوا لسنا نقول أنه يقدر أن يجمع بـين الفعلـين المتضادين معا ولكننا قلنا أنه قادر على أن يترك ما هو فيـه ويفعل ما أمر به قيل لهم هذا هو نفسه الذي أردنا منكم وهو أنه لا يقدر قدرة تامة ولا يستطيع استطاعة تامة على فعل ما دام فاعلاً لما يمانعه فإذا ترك كل ذلك وشرع فيما أمـر بـه

فحينئذ تمت قدرته واستطاعته لابد من ذلك وهذا هو نفس ما موهوا به في سؤالهم لنا هل أمر ا تعالى العبد بما يستطيع قبل أن يفعله أم بما لا يستطيع حتى يفعله وهـذا لهـم لازم لأنهم شنعوه وعظموه وأنكروه ونحن لا ننكره ولا نرى ذلك إلزاماً صحيحاً فقبحه عائد عليهم وإنما يلـزم الشـيء مـن يصححه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وقد أجاب في هذه المسألة عبد ا بن أحمد الكعبي البلخي أحد رؤساء الأصلح من المعتزلـة بـأن قال إننا لا نختلف في أن ا عز وجل قادر علـى تسـكين المتحرك وتحريك الساكن وليس يوصف بالقـدرة علـى أن يجعله ساكناً متحركاً معاً.

قال أبو محمد: وليس كما قال الجاهل الملحـد فيمـا وصف ا تعالى به بل ا تعالى قادر على أن يجعل الشيء ساكناً متحركاً معاً في وقت واحد من وجه واحد ولكن كـلام البلخي هذا لازم لمن التزم هذه الكفرة الصلعاء مـن أن ا تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال ويقال لهم لم لا يوصف بالقدرة على ذلك ألأن له قدرة على ذلك ولا يوصف بهـا أم لأنه لا قدرة له على ذلك ولا محيد لهم عن هذا وهذه طائفـة

جعلت قدرة ا تعالى متناهية بل قطعوا قطعاً بأنه تعـالى لا يقدر على الشيء حتى يفعله وهذا كفر مجرد لا خفـاء بـه ونعوذ با من الخذلان .

قال أبو محمد: ويقال للمعتزلة أيضا أنتم تقرون أيضاً معنا بأن ا تعالى لم يزل عليماً بأن كل كائن فإنه سـيكون على ما هو عليه إذا كان ولم يزل ا تعالى يعلـم أن فلانـاً سيطاء فلانة في وقت كهذا فتحمل منه بولد يخلقه ا تعـالى من منيهما الخارج منهما عند جماعه إياها وأنه يعيش ثمانين سنة ويملك ويفعل ويصنع فإذا قلتم أن ذلك الفلان يقدر قدرة تامة على ترك ذلك الوطأ الذي لم يزل ا تعالى يعلـم أنـه سيكون وأنه يخلق ذلك الولد منه فقد قطعتم بأنه قادر على أن يمنع ا من خلق ما قد علم أنه سيخلقه وأنه قادر قدرة تامة على إبطال علم ا عز وجل وهذا كفر ممن أجازه فإن قـال قائل فإنكم أنتم تطلقون أن المرء مستطيع قبل الفعل لصـحة جوارحه فهذا يلزمكم قلنا هذا لا يلزمنا لأننا لم نطلق أن لـه قدرة تامة على ذلك أصلاً بل قلنا أنه لا يقدر على ذلك قدرة تامة البتة ومعنى قولنا أنه مستطيع بصحة جوارحه أي أنـه متوهم منه ذلك لو كان ونحن لم نطلق الاستطاعة إلا علـى

هذا الوجه حيث أطلقها ا عز وجل فإن قالوا أن ا تعـالى قادر على كل ذلك ولا يوصف بالقدرة على فسخ علمه الذي لم يزل قلنا وهذا أيضاً مما تكلمنا فيه آنفاً بل ا تعالى قادر على كل ذلك بخلاف خلقه على ما قد مضى كلامنا فيه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وقد نص ا تعالى على ما قلنا بقوله عز وجل: " سيحلفون با لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم وا يعلم أنهم لكاذبون " إلـى قولـه: " ولـو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره ا انبعاثهم فثبطهم وقيـل اقعدوا مع القاعدين " فأكذبهم ا تعالى في نفيهم عن أنفسهم الاستطاعة التي هي صحة الجوارح وارتفاع الموانع ثم نص تعالى على أنه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا أمر تكـوين لا أمر بالقعود لأنه تعالى ساخط عليهم لقعودهم وقد نص تعالى على أنه: " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكـون " فقد ثبت يقيناً أنهم مستطيعون بظاهر الأمـر بالصـحة فـي الجوارح وارتفاع الموانع وإن ا تعالى كون فيهم قعـودهم فبطل أن يتم استطاعتهم لخلاف فعلهم الذي ظهر منهم وقال عز وجل: " من يهدِ الله فَهو الْمهتَدِي ومن يضلِلْ فَلَن تَجِد لَه

وليا مرشدا " فبين عز وجل بياناً جلياً أن من أعطاه الهـدى اهتدى ومن أضله فلا يهتدي فصح يقيناً أن بوقوع الهدى له من ا تعالى وهو التوفيق يفعل العبد ما يكون به مهتدياً وأن بوقوع الأضلال من ا تعالى وهو الخذلان وخلـق ضـلال العبد يفعل المرء ما يكون به ضالاً فإن قال قائل معنى هـذا من سماه ا مهتدياً ومن سماه ضالاً قيل له هذا باطـل لأن ا تعالى نص على أن من أضله ا فلن تجد له ولياً مرشداً فلو أراد ا تسميته كما زعمتم لكان هذا القول منه عز وجل كذباً لأن كل ضال فله أولياء على ضلاله يسـمونه مهتـدياً وراشداً وحاشا من الكذب فبطل تأويلهم الفاسد وصح قولنا والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: وقال ا تعالى مخبراً عن الخضـر الذي آتاه ا تعالى العلم والحكمة والنبوة حاكياً عن موسـى عليه السلام وفتاه: " فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمه مـن عندنا وعلمناه من لدنا علماً " وقال تعالى مخبراً عنه ومصدقاً عنه وما فعلته عن أمري فصح أن كل ما قال الخضر عليـه السلام فمن وحي ا عز وجل ثم أخبر عز وجل بأن الخضر قال لموسى عليه السلام: " أنك لن تستطيع معي صبراً " فلم

ينكر ا تعالى كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام لكن أجابه بقوله: " ستجدني إن شاء ا صابراً ولا أعصي لـك أمراً " فلم يقل له موسى عليه السلام إني مستطيع للصبر بل صدق قوله في ذلك إذا أقره ولم ينكره ورجا أن يجد ا لـه استطاعه على الصبر فيصبر ولم يوجبه موسى عليه السـلام أيضاً لنفسه إلا أن يشاء ا تعالى ثم كرر عليه الخضر بعـد ذلك مرات أنه غير مستطيع للصبر إذ لم يصبر فلم ينكر ذلك موسى عليه السلام فهذه شهادة ثلاثة أنبياء محمد وموسـى والخضر صلى ا عليه وسلم وأكبر من شهادتهم شهادة ا عز وجل بتصديقهم في ذلك إذ قد نصه ا تعالى علينا غير منكر له بل مصدقاً لهم وهذا لا يرده إلا مخذول وقال عـز وجل: " وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانـت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يسـتطيعون سـمعاً " فنص تعالى نصاً جلياً على أنهم كانوا لا يستطيعون السـمع الذي أمروا به وأنهم مع ذلك كانت أعينهم في غطـاء عـن ذكر ا عز وجل ومع ذلك استحقوا على ذلك جهنم وكـانوا في ظاهر الأمر مستطيعين بصحة جوارحهم وهذا نص قولنا بلا تكلف والحمد رب العالمين على هداه لنا وتوفيقه إيانا

لا إله إلا هو وقال تعالى ": إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضـلوا فـلا يستطيعون سبيلا " فنفى ا عز وجل استطاعة شيء مـن السبل غير سبيل الضلال وحده وفي هذا كفاية لمـن عقـل وقال تعالى: " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن ا " فـنص تعالى على إن من لم يأذن له في الإيمان لم يؤمن وإن مـن أذن له في الإيمان آمن وهذا الأذن هو التوفيق الذي ذكرنـا فيكون به الإيمان ولا بد وعدم الأذن هو الخذلان الذي ذكرنا نعوذ با منه وقال تعالى حاكياً عن يوسف عليـه السـلام ومصدقاً له إذ يقول: " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيـدهن " فنص تعالى على أن رسوله صلى ا عليه وسلم إن لم يعنه بصرف الكيد صبا وجهل وأنه تعالى صرف الكيد عنه فسلم وهذا نص جلي على أنه إذا وفقه اعتصم واهتدى وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم خليله ورسوله صـلى ا عليـه وسـلم ومصدقاً له: " لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين " فهذا نص على أن من أعطاه ا عز وجل قوة الإيمان آمـن واهتدى وأن من منعه تلك القوة كان من الضالين وهذا نص

قولنا والحمد رب العالمين وقال تعالى: " واصـبر ومـا صبرك إلا با " فنص تعالى على أنه أمره بالصبر ثم اخبره أنه لا صبر له إلا بعون ا تعالى فإذا أعانه بالصبر صـبر وقال تعالى: " إن تحرص على هداهم فإن ا لا يهدي مـن يضل وهذا نص جلي على أن من أضله ا تعالى بالخـذلان له فلا يكون مهتدياً وقال تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا علـى قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً " فهذا نص لا إشكال فيه على أن ا عز وجل منعهم أن يفقهوه فإن قال قائل إنما قال تعالى أنه يفعل ذلك بالذين لا يؤمنون ولذلك قال تعالى: " وما يضل به إلا الفاسقين " وكذلك يطبـع ا علـى قلـوب الكافرين " قيل له وبا تعالى التوفيق لو صح لك هذا التأويل لكان حجة عليك لأنه تعالى قد منعهم للتوفيق وسلط علـيهم الخذلان وأضلهم وطبع على قلوبهم فاجعله كيف شئت فكيف وليس ذلك على ما تأولت ولكن الآيات ظواهرها وعلى مـا يقتضيه لفظها دون تكلف هو أن ا تعالى لما أضلهم صاروا ضالين فاسقين حين أضلهم لا قبل أن يضلهم وكـذلك إنمـا صاروا لا يؤمنون حين جعل بينهم وبينه حجاباً وحين جعـل

على قلوبهم أكنة وفي آذانهم الوقر لا قبل ذلك وإنما صاروا كافرين حين طبع على قلوبهم لا قبل ذلك وقـال تعـالى: " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً " فنص تعالى على أنه لولا أن ثبت نبيه صلى ا عليـه وسـلم بـالتوفيق لركن إليهم فإنما يثبت رسول ا صلى ا عليه وسلم حين ثبته ا عز وجل لا قبل ذلك ولو لم يعطه التثبيـت وخذلـه لركن إليهم وضل واستحق العذاب على ذلك ضعف الحيـاة وضعف الممات فتباً لكل مخذول يظن في نفسه الخسيسة أنه مستغن عما افتقر إليه محمد صلى ا عليه وسلم من توفيـق ا وتثبيته وإنه قد استوفى من الهدى ما لا مزيد عليه وإنـه ليس عند ربه أفضل مما أعطاه بعد ولا أثر وقد أمرنا عـز وجل أن نقول: " إياك نعبد وإياك نستعين اهـدنا الصـراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب علـيهم ولا الضالين " فنص ا تعالى على أمرنا بطلب العون منـه وهذا نص قولنا والحمد رب العالمين فلو لم يكن ها هنـا عون خاص من آتاه ا إياه اهتدى ومن حرمه إياه وخذلـه ضل لما كان لهذا الدعاء معنى لأن الناس كلهم كانو يكونون معانين منعماً عليهم مهديين وهذا بخلاف الـنص المـذكور

وقال تعالى: " ختم ا   على قلوبهم وعلـى سـمعهم وعلـى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " فنص تعالى على أنـه ختم على قلوب الكافرين وإن على سمعهم وأبصارهم غشاوة حائلة بينهم وبين قول الحق فمن هو الجاعل هـذه الغشـاوة على سمعهم وعلى أبصارهم إلا الذي ختم على قلوبهم عـز وجل وهذا هو الخذلان الذي ذكرنا ونعوذ با   منه وهذا نص على أنهم لا يستطيعون الإيمان ما دام ذلـك الخـتم وعلـى قلوبهم والغشاوة على أبصارهم وأسماعهم فلو أزالها تعـالى لآمنوا ألا أن يعجزوا ربهم عز وجل على إزالة ذلـك فهـذا خروج عن الإسلام وقال تعالى: " ولولا فضـل ا   علـيكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا " فنص تعالى كمـا تـرى على أنه من لم يتفضل عليه ولـم يرحمـه اتبـع الشـيطان ضرورة فصح ان التوفيق به يكون الإيمان وإن الخذلان بـه يكون الكفر والعصيان وهو اتباع الشيطان ومعنى قوله تعالى ألا قليلاً على ظاهره وهـو اسـتثناء مـن المـنعم علـيهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمة ا   تعالى لهم أي لاتبعتم الشيطان إلا قليلا لم يرحمهم ا   فاتبعوا الشـيطان إذ رحمكم أنتم فلم تتبعوه وهذا نص قولنا و   تعالى الحمد وقال

تعالى: " فما لكم في المنافقين فئتين وا أركسهم بما كسـبوا أتريدون أن تهدوا من أضل ا ومن يضلل ا فلن تجد له سبيلاً وهذا نص مت قلناه أن من أضله ا تعالى لا سبيل له إلى الهدى وأن الضلال وقع مع الإضـلال مـن ا تعـالى للكافر والفاسق وقال تعالى: " ذلك هدى ا يهدي بـه مـن يشاء من عباده " فأخبر تعالى أن عنده هدى يهدي بـه مـن يشاء من عباده فيكون مهتدياً وهذا تخصيص ظاهر كما ترى وقال تعالى: " فمن يرد ا أن يهديه يشرح صدره للإسـلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء " فهذا نص ما قلنا وإن ا تعالى قد نص قائلاً لنا أن من أراد هداه شرح صدره للإسلام فآمن بلا شـك وإن مـن أراد ضلاله ولم يرد هداه ضيق صدره وأحرجه حتى يكـون كمريد الصعود إلى السماء فهذا لا يؤمن البتة ولا يسـتطيع وهو في ظاهره مستطيع بصحة جوارحه.

قال أبو محمد: إن الضال لمن ضل بعد ما ذكرنا من النصوص التي لا تحتمل تأويلاً ومن شـهادة خمسـة مـن الأنبياء إبراهيم وموسى ويوسف والخضر ومحمـد علـيهم السلام بأنهم لا يستطيعون فعلاً لشيء من الخير إلا بتوفيـق

ا تعالى لهم وإنهم إن لم يوفقهم ضلوا جميعاً مع ما أوردنا من البراهين الضرورية المعروفة بالحس وبديهة العقل.

قال أبو محمد: ومـن عـرف تراكيـب الأخـلاق المحمودة والمذمومة علم أنه لا يستطيع أحد غير مـا يفعـل مما خلقه ا عز وجل فيه فتجد الحافظ لا يقدر على تـأخر الحفظ والبليد لا يقدر على الحفظ والفهيم لا يقدر على الغباوة والغبي لا يستطيع ذكاء الفهم والحسود لا يقدر علـى تـرك الجسد والنزيه النفس لا يقدر على الحسد والحريص لا يقدر على ترك الحرص والبخيل لا يقدر على البذل والجبـان لا يقدر على الشجاعة والكذاب لا يقدر على ضبط نفسـه عـن الكذب كذلك يوجدون من طفولتهم والسيء الخلـق لا يقـدر على الحلم والحي لا يقدر على القحة والوقح لا يقدر علـى الحياة والعي لا يقدر على البيان والطيوش لا يقـدر علـى الصبر والغضوب لا يقدر على الحلم والصبور لا يقدر على الطيش والحليم لا يقدر على الغضب والعزيز النفس لا يقدر على المهانة والمهين لا يقدر على عزة النفس وهكذا في كل شيء فصح أنه لا يقدر أحد إلا على ما يفعل بمـا يـتم ا

تعالى فيهم القوة على فعله وإن كان خلاف ذلك متوهماً منهم بصمة البنية وعدم المانع.

قال أبو محمد: والملائكة والحـوار العـين والجـن وجميع الحيوان كله في الاستطاعة سواء كما ذكرنا ولا فرق بين شيء في ذلك كله وكلهم قد خلق ا عـز وجـل فـيهم الاستطاعة الظاهرة بصحة الجوارح ولا يكون منهم فعل إلا بعون وارد من ا تعالى إذا ورد كان الفعل معه ولا بد قـد خلق ا عز وجل فيهم اختياراً وإرادة وحركة وسكوناً هـم أفعالهم على غيرها والملائكة وحور العين معصـومون لـم يخلق ا تعالى فيهم معصية أصلاً لا طاعة ولا معصية وأما الذي يقدر على كل ما يفعل وما لا يفعل ولم يزل قادراً على كل ما يخطر بالقلب فهو واحد لا شريك له وهـو ا عـز وجل ليس كمثله شيء ولم يكن له كفواً أحـد وبـا تعـالى التوفيق.

الكلام في الهدى والتوفيق

قال أبو محمد: احتجت المعتزلة بقول ا عز وجل " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهـدى " وبقولـه تعالى: " إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليـه فجعلنـاه

سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفـوراً إنـا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالاً وسعيراً ".

قال أبو محمد: وهذا حق وقد قال تعالى: " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا ا واجتنبوا الطاغوت فمـنهم من هدى ا ومنهم من حقت عليه الضلالة " فأخبر تعالى أن الذين هدى بعض الناس لا كلهم وقال تعالى: " إن تحـرص على هداهم فإن ا لا يهدي من يضل " وهي قراة مشـهورة عن عاصم بفتح الياء من يهدي وكسر الدال فأخبر تعالى أن في الناس من لم يهده وقال تعالى: " من يضلل ا فلا هادي له " فأخبر تعالى أن الذين أضل فلم يهدهم وقال تعالى " فمن يرد ا أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضـله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السـماء " فـأخبر تعالى أن الذين هدى غير الذي أضل ومثل هذا كثير وكـل ذلك كلام ا عز وجل وكله حـق لا يتعـارض ولا يبطـل بعضه بعضاً قال ا تعالى: " ولو كان من عنـد غيـر ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فصح يقيناً أن كل ما أوردنا مـن الآيات فكلها متفق لا مختلف فنظرنا في الآيـات المـذكورة فوجدناها ظاهرة لائحة وهو أن ا تعالى أخبر أنـه هـدى

ثمود فلم يهتدوا وهدى الناس كلهم السبيل ثم هم بعد إما شاكر وإما كفور وأخبر تعالى في الآيات الأخر أنه هـدى قومـاً فاهتدوا ولم يهد آخرين فلم يهتدوا فعلمنا ضرورة أن الهـدى الذي أعطاه ا عز وجل جميع الناس هو غير الذي أعطـاه بعضهم ومنعه بعضهم فلم يعطهم إيـاه هـذا أمـر معلـوم بضرورة العقل وبديهته فإذ لا شك في ذلك فقـد لاح الأمـر وهو أن الهدى في اللغة العربية من الأسماء المشتركة وهي التي يقع الاسم منها على مسميين مختلفين بنوعهما فصـاعداً فالهدى يكون بمعنى الدلالة تقول هديت فلاناً الطريق بمعنى أريته إياه ووقفته عليه وأعلمته إياه سـواء سـلكه أو تركـه وتقول فلان هاد بالطريق أي دليل فيه فهذا الهدى الذي هداه ا ثمود وجميع الجن والملائكة وجميـع الأنـس كـافرهم ومؤمنهم لأنه تعالى دلهم على الطاعات والمعاصي وعرفهم ما يسخط مما يرضي فهذا معنى ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون على الخير والتيسير له وخلقه لقبـول الخيـر فـي النفوس فهذا هو الذي أعطاه ا عز وجل الملائكـة كلهـم والمهتدين من الأنس والجن ومنعه الكفـار مـن الطـائفتين والفاسقين فيما فسقوا فيه ولو أعطاهم إياه تعالى لما كفـروا

ولا فسقوا وبا تعالى التوفيق ومما يبين هذا قوله تعالى في الآيات المذكورة: " إنا هديناه السبيل " فبين تعالى أن الـذي هداهم له فهو الطريق فقط وكذلك أيضاً قوله تعـالى: " ألـم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين " فهذا نـص قولنا والحمد رب العالمين وكذلك قوله تعالى: " ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم مـن الجنة والناس أجمعين " وقوله تعالى: " ولو شاء ا لجمعهم على الهدى " وهذا بلا شك غير ما هدى جميعهم عليه مـن الدلالة والتبيين للحق من الباطل.

قال أبو محمد: وقوله تعالى أن الذين كفروا وظلموا لم يكن ا ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم.

قال أبو محمد: فهذا نص جلي على ما قلنا وبيان أن الدلالة لهم على طريق جهنم يحملون فيه إليها هدى لهم إلـى تلك الطريق ونفى عنهم تعالى في الآخرة كل هدى إلى شيء من الطرق إلا طريق جهنم ونعوذ با من الضلال.

قال أبو محمد: وقال بعض من يتعسف القول بلا علم أن قول ا عز وجل " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمـى على الهدى " وقوله تعالى: " إنا هديناه السبيل " وقوله تعالى:

" وهديناه النجدين " إنما أراد تعالى بكـل ذلـك المـؤمنين خاصة.

قال أبو محمد: وهذا باطل لوجهين أحدهما تخصيص الآيات بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل والثاني أن نـص الآيات يمنع من التخصيص ولا بد وهو أن ا تعالى قال: " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " فرد تعـالى الضمير في فاستحبوا العمى على الهدى إلى المهديين أنفسهم فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا وأيضاً فإن ا تعـالى قـال لرسوله صلى ا عليه وسلم: " ليس عليك هداهم ولكـن ا يهدي من يشاء " وقال له تعالى: " وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم " فصح يقيناً أن الهدى الواجب على النبي صـلى ا عليه وسلم هو الدلالة وتعليم الدين وهو غير الهدى الذي ليس هو عليه وإنما هو تعالى وحده فإن ذكر ذاكر قول ا عز وجل: " ولو علم ا فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولـوا وهم معرضون " فليس هذا على ما ظنه من لا ينعم النظـر من أن ا وحده لو أسمعهم لم يسمعوا بذلك بل ظاهر الآيـة مبطل لهذا الظن لأنه تعالى قال: " ولو علم ا فـيهم خيـراً لأسمعهم " فصح يقيناً أن من علم ا تعالى فيه خيراً أسمعه

وثبت أن فيه خيراً ثم قال تعالى: " لتولوا وهم معرضون " لو أسمعهم لم يسمعوا فصح يقيناً أنه أراد بلا شك أنه لو أسمعهم لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لا يجوز غير هذا أصلاً لأنه تعالى قد نص على أن إسماعه لا يكون إلا لمن علم فيه خيراً ومن المحال الباطل أن يكون من علم ا تعـالى فيـه خيراً يتولى عن الخير ويعرض عنـه فبطـل مـا حرفـوه بظنونهم من كلام ا عز وجل وكذلك قوله تعـالى: " إنـا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً " فإنه تعالى قسـم مـن هدى السبيل قسمين كفوراً وشاكراً فصح ان الكفـور أيضـاً هدى السبيل فبطل ما توهموه من الباطل و تعـالى الحمـد وصح ما قلنا.

قال أبو محمد: وقد تلونا من كلام ا تعالى في الباب الذي قبل هذا والباب الذي قبله متصلاً به نصوص كثيرة بأن ا تعالى أضل من شاء من خلقه وجعل صـدورهم ضـيقة حرجة فإن اعترضوا بقول ا تعالى عن الكفار أنهم قالوا: " وما أضلنا إلا المجرمون " فلا حجة لهم في هـذه الوجـوه أحدها أنه قول كفار قد قالوا الكذب وحكى ا تعالى حينئذ " وا ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كـذبوا علـى أنفسـهم

وضل عنهم ما كانوا يفترون " فإن أبوا إلا الاحتجاج بقـول الكفار فليجعلوه إلى جنب قول إبليس: " رب بمـا أغـويتني لأزينن لهم في الأرض " والوجه الثاني أننا لا ننكر إضـلال المجرمين وإضلال إبليس لهم ولكنه إضـلال آخـر لـيس إضلال ا تعالى لهم والثالث أنه لا عذر لأحـد فـي أن ا تعالى أضله ولا لوم على الخالق تعالى في ذلك وأمـا مـن أضل آخر من دون ا تعالى فهو ملوم وقد فسر ا تعـالى إضلاله لمن يضل كيف هو وفسر تعـالى ذلـك الإضـلال تفسيراً أغنانا به عن تفسير الخلعاء العيارين كالنظام والعلاف وثمامة وبشر بن المعتمر والجاحظ والناشي وما هنالك مـن الأحزاب ومن تبعهم من الجهال فبين تعالى في نص القـرآن أن إضلاله لمن أضل من عباده إنما هو أن يضـيق صـدره عن قبول الإيمان وأن يحرجه حتى لا يرغـب فـي تفهمـه والجنوح إليه ولا يصبر عليه ويوعر عليه الرجوع إلى الحق حتى يكون كأنه يتكلف في ذلك الصعود إلى السماء وفسـر ذلك أيضاً عز وجل في آيه أخرى قد تلوناها آنفاً بأنه يجعـل أكنه على قلوب الكافرين يحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والإصاخة لبيانه وهداه وإن يفقهوه وإنه جعل تعـالى بيـنهم

وبين قول الرسول صلى ا عليه وسلم حجاباً مانعاً لهم من الهدى وفسره أيضاً تعالى بأنه ختم على قلوبهم وطبع عليهـا فامتنعوا بذلك من وصول الهدى إليها وفسر تعالى إضـلال من دونه فقال تعالى أنه جعلهم أئمة يدعون إلى النار وفسر تعالى أيضاً القوة التي أعطاها المؤمنين وحرمهـا الكـافرين بأنها تثبيت على قبول الحق وأنه تعالى يشرح صدورهم لفهم الحق واعتقاده والعمل به وأنه صرف لكيد الشيطان ولفتنتـه عنهم نسأل ا أن يمدنا بهـذه العطيـة وأن يصـرف عنـا الإضلال بمنه وإن لا يكلنا إلى أنفسنا فقد خاب وخسر مـن ظن في نفسه أنه قد استكمل القوى حتى اسـتغنى عـن أن يزيده ا تعالى توفيقاً وعصمة ولم يحتج إلى خالقه فـي ان يصرف عنه فتنته ولا كيده لاسيما من جعل نفسه أقوى على ذلك من خالقه تعالى ولم يجعل عند خالقه قوه يصرف بهـا عنه كيد الشيطان نعوذ با مما امتحنهم به ونبـرأ إلـى ا خالقنا تعالى من الحول والقوة كلها إلا ما أتانا منها متفضـلاً علينا وأما كل ما جاء في القرآن من إضلال الشياطين للناس وإنسائهم إياهم ذكر ا تعالى وتزيينهم لهم ووسوستهم وفعل بعض الناس ذلك ببعض فصحيح كما جاء في القـرآن دون

تكاف وهذا كله إلقاء لما ذكرنا في قلوب الناس وهو مـن ا تعالى خالق لكل ذلك في القلـوب وخـالق لأفعـال هـؤلاء المضلين من الجن والإنس وكذلك قوله تعالى: " حسداً مـن عند أنفسهم " لأنه فعل أضيف إلى النفس لظهوره منها وهـو خلق ا تعالى فيها فإن ذكروا قول ا تعالى: " وما كان ا ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون فهـو كمـا قال اك عز وجل وهو حجة على المعتزلـة لأن ا تعـالى أخبر أنه لا يضل قوماً حتى يبين لهم ما يتقون وما يلزمهم " وصدق ا عز وجل لأن المرء قبل أن يأتيه خبر الرسـول غير ضال بشيء مما يفعل اصلاً فإنما سمى ا تعالى فعلـه في العبد إضلالاً بعد بلوغ البيان إليه لا قبـل ذلـك وبـا التوفيق فصح بهذه الآية أنه تعالى يضلهم بعد ان يبين لهـم وقد فسر بعضهم الإضلال بأنه منع اللطف الـذي يقـع بـه الإيمان فقط.

قال أبو محمد: ونصوص القرآن تزيـد علـى هـذا المعنى زيادة لا شك فيها وتوجب أن الإضلال معنـى زايـد أعطاه ا للكفار والعصاة وهو ما ذكرنا من تضييق الصدور وتحريجها والختم على القلوب والطبع عليها وأكنانها عن أن

يفقهوا الحق فإن قالوا إن هذا فعل النفوس كلها إن لم يمـدها ا تعالى بتوفيق قلنا لهم من خلقها هذه الخلقة المفسدة إن لم يؤيدها بالتوفيق فإن قالوا ا تعالى هو خلقها كذلك أقروا بأن ا تعالى أعطاها هذه البلية وركب فيها هذه الصفة المهلكـة فإن فروا إلى قول معمر والجاحظ أن هذا كله فعل الطبيعة لم يتخلصوا من سؤالنا وقلنا لهم فمن خلق النفس وخلق فيها هذه الطبيعة الموجبة لهذه الأفاعيل فإن قالوا ا سبحانه وتعـالى أقروا بأن ا تعالى أعطاها هذه الصفة المهلكة لهـا إن لـم يمدها بلطف وتوفيق وكذلك إن قالوا أن النفس هـي فعلـت الطبيعة الموجبة لهذه المهالك كانوا مع خروجهم من الإسلام بهذا القول محيلين أيضاً محالاً ظاهراً لأن النفس لو فعلـت هي طبيعتها لكانت إما مختارة لفعلها وإما مضطرة إلى فعلها على ما هي عليها فإن كانت مختارة فقد يجب أن تقع طبيعتها مراراً بخلاف مالا توجد إلا عليه وإن كانت مضطرة فمـن خلقها مضطرة إلى هذا الفعل فلا بـد مـن انـه ا تعـالى فرجعوا ضرورة إلى أن ا تعالى هو الذي أعطاهـا هـذه الصفة المهلكة التي بها كانت المعصية مع أنه لم يقل أحد من

المسلمين أن النفس أحدثت طبيعتها مع أنه أيضاً قول يبطلـه الحس والمشاهدة وضرورة العقل.

قال أبو محمد: وأما القائلون بالأصلح من المعتزلـة فإنهم انقطعوا هاهنا وقالوا لا ندري ما معنى الإضـلال ولا معنى الختم على قلوبهم ولا الطبع عليها وقال بعضهم معنى ذلك أن ا تعالى سماهم ضالين وحكم انهم ضـالون وقـال بعضهم معنى أضلهم أتلفهم كما تقول ضللت بعيـري وهـذه كلها دعاوي بلا برهان.

قال أبو محمد: لم نجد لهم تأويلاً أصلاً في قـول ا عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام أنه قال: " إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء ".

قال أبو محمد: وهذا هو الإضـلال حقـاً وهـو أن يحملهم اللجاج والعمى في لزوم أصل قد ظهر فساده وتقليـد من لا خير فيه من أسلافهم على أن يدعوا أنهم لا يعرفون ما معنى الضلال والختم والطبع والأكنة على القلوب وقد فسـر ا كل ذلك تفسيراً جلياً وأيضاً فإنها ألفاظ عربيـة معروفـة المعاني في اللغة التي نزل بها القرآن فلا يحل لأحد صرف لفظة معروفة المعنى في اللغة عن معناها التي وضعت لـه

في اللغة التي بها خاطبنا الله تعالى في القرآن إلى معنى غير ما وضعت له إلا أن يأتي بذلك نص قرآن أو كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع من علماء الأمة كلها على أنها مصروفة عن ذلك المعنى إلى غيره أو يوجب صرفها ضرورة حس أو بديهة عقل فيوقف حينئذ عند ما جاء من ذلك ولم يأت في هذه الألفاظ التي أضلهم الله تعالى فيها وخيرهم الشيطان عن فهمها نص ولا إجماع ولا ضرورة بأنها مصروفة عن موضعها في اللغة بل قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل ميسر لما خلق له " فبين عليه السلام أن الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى المؤمن للخير الذي له خلقه وأن الخذلان تيسرة الفاسق للشر الذي له خلقه وهذا موافق للغة والقرآن والبراهين الضرورية العقلية ولما عليه الفقهاء والأئمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعامة المسلمين حاشا من أضله الله على علم من أتباع العيارين الخلعاء كالنظام وثمامة والعلاف والجاحظ.

قال أبو محمد: ونبين هذا أيضاً بياناً طبيعياً ضرورياً لا خفاء به بعون الله تعالى وتأييده على من له أدنى بصر بالنفس وأخلاقها وقدرة الله تعالى في اختراعها فنقول وبالله

تعالى التوفيق إن ا عز وجل خلق نفس الإنسـان مميـزة عاقلة عارفة بالأشياء على ما هي عليه فهمه بما تخاطب به وجعلها مأمورة منهية فعالة منعمة معذبة ملتذة آلمة حساسـة وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين فـي التـأثير وهمـا التمييز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبة على آثار النفس فالتمييز هو الذي خص به نفس الإنسان والجـن والملائكـة دون الحيوان الذي لا يكلف والذي ليس ناطقاً و الهوى هـو الذي يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان الذي ليس ناطقاً من حب اللذات والغلبة.

قال أبو محمد: وهذه القوة في كل الحيـوان حاشـا الملائكة فإنما فيها قوة التمييز فقط ولذلك لم يقع منها معصية أصلاً بوجه من الوجوه فإذا عصم ا النفس غلـب التمييـز بقوة من عنده هي له مدد وعون فجرت أفعال النفس على ما رتب ا عز وجل في تمييزها من فعل الطاعات وهذا هـو الذي يسمى العقل وإذا خذل جل وعز النفس أمد الهوى بالقوة هي الإضلال فجرت أفعال النفس على ما رتب ا عز وجل في هواها من الشهوات وحب الغلبـة والحـرص والبغـي والحسد وسائر الأخلاق الرذلة والمعاصي وقد قامت البراهين

على أن النفس مخلوقة وكذلك جميع قواها المنتجة عن قوتيها الأولتين التمييز والهوى كل ذلك مخلوق مركب في الـنفس مرتب على ما هو عليه فيها كل جار على طبيعته المخلوقـة لجري كيفياته بها على ما هي عليه فإذا قد صح أن كل ذلك خلاق ا تعالى فلا مغلب لبعض ذلك على بعض إلا خـالق الكل وحده لا شريك له وقد نص ا تعالى على ذم الـنفس جملة إلا من رحمها ا تعالى وعصمها قال عز وجل: " إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي " فأخبر عـز وجـل بنص ما قلنا فصح أن المرحومة المستثناة لا تـأمر بالسـوء وبا تعالى التوفيق قال ا تعالى: " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هـي المـأوى " وذم ا تعالى الهوى في غير ما موضع من كتابه وهذا نص ما قلنا وحسبنا ا ونعم الوكيل.

الكلام في القضاء والقدر

قال أبو محمد: ذهب بعض الناس لكثـرة اسـتعمال المسلمين هاتين اللفظتين إلى أن ظنوا أن فيهما معنى الإكراه والإجبار وليس كما ظنوا وإنما معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا ا تعالى ورسوله صلى ا عليه وسلم وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا أنه الحكم فقط ولذلك يقولون القاضي بمعنى الحاكم وقضى ا عز وجل بكذا أي حكم به ويكـون أيضاً بمعنى أمر قال تعالى: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه " إنما معناه بلا خلاف أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إيـاه ويكون أيضاً بمعنى أخبر قال ا تعالى: " وقضينا إليه ذلـك الأمر إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين " بمعنى أخبرنـاه أن دابرهم مقطوع بالصباح وقال تعالى: " وقضينا إلـى بنـي إسرائيل في الكتاب لتفسدنا في الأرض مرتين ولتعلن علـواً كبيراً " أي أخبرناهم بذلك ويكون أيضاً بمعنـى أراد وهـو قريب من معنى حكم قال ا تعالى: " إذا قضى أمراً فإنمـا يقول له كن فيكون " ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه ومعنـى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء تقول قدرت البناء تقديراً إذا رتبته وحددته قال تعالى: " وقدر

فيها أقواتها " بمعنى رتب أقواتها وحددها وقال تعالى: " إنـا كل شيء خلقناه بقدر " يريد تعالى برتبة وحد فمعنى قضـى وقدر حكم ورتب ومعنى القضاء والقدر حكم ا تعالى فـي شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا فقط وبا تعالى التوفيق.

الكلام في البدل

قال أبو محمد: قال بعض القائلين بالاسـتطاعة مـع الفعل إذا سئل هل يستطيع الكافر ما أمر به من الإيمان أم لا يستطيع فأجاب أن الكافر مستطيع للإيمان على البدل بمعنى أن لا يتمادى في الكفر لكن يقطعه ويبدل منه الإيمان.

قال أبو محمد: والذي يجب أن يجيب به هو الجواب الذي بينا صحته بحول ا تعالى وقوته فـي كلامنـا فـي الاستطاعة وهو ان نقول هو مستطيع فـي ظـاهر الأمـر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه غير مستطيع للجمـع بـين الإيمان والكفر ما دام كافراً وما دام لا يؤتيه ا عز وجـل العون فإذا آتاه إياه تمت استطاعته وفعل ولا بد فإن قيل فهو مكلف مأمور قلنا نعم فإن قيل أهو عاجز عن ما هو مـأمور به ومكلف أن يفعله قلنا وبا التوفيق هو غير عاجز بظاهر

بنيته لسلامة جوارحه وارتفاع الموانع وهو عاجز عن الجمع بين الفعل وضده ما لم ينزل ا تعالى له العون فيتم ارتفـاع العجز عنه ويوجد الفعل ولا بد وتقول أن العجز فـي اللغـة إنما يقع على الممنوع بآفة على الجوارح أو بمانع ظاهر إلى الحواس والمأمور بالفعل ليس بظاهر أمره عاجزاً إذ لا آفة في جوارحه ولا مانع له ظاهراً وهو في الحقيقة عاجز عـن الجمع بين الفعل وضده وبين الفعل وتركه وعن فعل ما لـم يؤته ا تعالى عوناً عليه وعن تكذيب علم ا تعالى الذي لم يزل بأنه لا يفعل إلا ما سبق علمه تعالى فـي هـذه حقيقـة الجواب في هذا الباب والحمد رب العالمين فإن قيل فهـو مختار لما يفعل قلنا نعم اختياراً صحيحاً لا مجازاً لأنه مريد لكونه منه محب له مؤثر على تركـه وهـذا معنـى لفظـة الاختيار على الحقيقة وليس مضطراً ولا مجبراً ولا مكروهاً لأن في هذه ألفاظ في اللغة لا تقع إلا على الكاره لما يكـون منه في هذه الحال وقد يكون المرء مضطراً مختاراً مكرهـاً في حالة واحدة كإنسان في رجله أكلة لا دواء له إلا بقطعها فيأمر أعوانه مختاراً لأمره إياهم بقطعها وبحسمها بالنار بعد القطع ويأمرهم بإمساكه وضبطه وأن لا يلتفتوا إلى صـياحه

ولا إلى أمره لهم بتركه إذا أحس الألـم ويتوعـدهم علـى التقصير في ذلك الضرب والنكال الشديد فيفعلون به ذلك فهو مختار لقطع رجله إذ لو كره ذلك كراهة تامة لم يكرهه أحد على ذلك وهو بلا شك كاره لقطعها مضطر إليه إذ لو وجـد سبيلاً بوجه من الوجوه دون الموت إلى تـرك قطعهـا لـم يقطعها وهو مجبر مكره بالضبط من أعوانه حتى يتم القطع والحسم إذ لو لم يضبطوه ويعسـروه ويقهـروه ويكرهـوه ويجبروه لم يمكن من قطعها البتة إنما أتينا بهذا لـئلا ينكـر الجاهلون أن يكون أحد يوجد مختاراً من وجه مكرهـاً مـن وجه آخر عاجزاً من وجه مستطيع من آخر قادر من وجـه ممنوعاً من آخر وبا تعالى نتأيد.

الكلام في خلق ا عز وجل لأفعال خلقه

قال أبو محمد: اختلفوا في خلق ا تعـالى لأفعـال عباده فذهب أهل السنة كلهم وكل من قال بالاسـتطاعة مـع الفعل كالمريسي وابن عون والنجارية والأشعرية والجهميـة وطوائف من الخوارج والمرجئة والشيعة إلى ان جميع أفعال العباد مخلوقة خلقها ا عز وجل في الفاعلين لها ووافقهـم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة ضرار بـن عمـرو

وصاحبه أبو يحيى حفص الفرد وذهب سائر المعتزلة ومـن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشـيعة إلـى أن أفعال العباد محدثة فعلها فاعلوها ولم يخلقها ا عـز وجـل على تخليط منهم في مائية أفعال النفس إلا بشر بن معتمـر عطف فقال إلا أنه ليس شيء من أفعال العباد إلا و تعالى فيه فعل من طريق الاسم والحكم يريد بذلك أنه ليس للنـاس فعل إلا و تعالى فيه حكم بأنه صواب أو خطأ ونسميه بأنه حسن أو قبيح طاعة أو معصية.

قال أبو محمد: وقد أدى هذا القول الفاحش الملعـون رجلاً من كبار المعتزلة وهو عباد بن سلمان تلميذ هشام بن عمرو الفوطي إلى ان قال أن ا تعالى لم يخلق الكفار لأنهم ناس وكفر معاً لكن خلق أجسامهم دون كفرهم.

قال أبو محمد: ويلزمه مثل هذا نفسه في المـؤمنين وفي جميع الملائكة والجن لأنـه لـيس إلا مـؤمن وكـافر والمؤمن إنسان وإيمانه أو ملك وإيمانـه أو جنـي وإيمانـه وكفره فعلى قول هذا البائس السخيف لا يجوز أن يقـال أن ا تعالى خلق من الناس ولا الجن ولا الملائكة سـعيد بـل يكون القول بهذا كذباً وحسبك بهذا القـول خلافـاً للقـرآن

وللمسلمين وقال معمر والجاحظ أن أفعال العباد كلها إلا فعل لهم فيها وإنما نسب إليهم مجازاً لظهورها منهم وإنها فعـل الطبيعة حاشا الإرادة قال أبو محمد: ومن تدبر هذا القول علم أنه أقبح من قول جهم وجميع المجبرة لأنهم جعلـوا أفعـال العباد طبيعة اضطرارية كفعل النار للإحراق بطبعها وفعـل الثلج للتبريد بطبعه وفعل السقمونيا في إحـدارها الصـفراء بطبعها وهذه صفة الأموات لا صفة الأحياء المختـارين وإذا لم يبق على قول هذين الرجلين للإنسان فعل إلا الإرادة فقـد وجدنا الإرادة لا يقدر الإنسان على صرفها ولا إحالتهـا ولا على تبديلها بوجه من الوجوه وإنما يظهر من المرء تبـديل حركاته وسكونه وأما إرادته فلا حيلة له فيها ونحن نجد كل قوي الآلة من الرجال يحب وطيء كل جميلة يسـتمتع بهـا لولا التقوى ويحب النوم عن الصـلاة فـي الليـالي القـارة والهواجر الحارة ويحب الأكل في أيام الصوم ويحب إمساك ماله عن الزكاة وإنما يأتي خلاف ما يريد مغالبـة لإرادتـه وقهراً لها وأما صرفاً لها فلا سبيل له إليه فقد تـم الإخبـار صحيحاً على قول هذين الرجلين وحسبنا ا ونعم الوكيل.

قال أبو محمد: والبرهان على صحة قول من قال أن الله تعالى خلق أعمال العباد كلها نصوص من القرآن وبراهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحس لا يغيب عنها إلا جاهل وبالله تعالى التوفيق فمن النصوص قول الله عز وجل: " هل من خالق غير الله ".

قال أبو محمد: هذا كاف لمن عقل واتقى الله وقد قال لي بعضهم إنما أنكر الله تعالى أن يكون ها هنا خالق غيره يرزقنا كما في نص الآية.

قال أبو محمد: وجواب هذا أنه ليس كما ظن هذا القائل بل القضية قد تمت في قوله غير الله ثم ابتدأ عز وجل بتعديد نعمه علينا فأخبرنا أنه يرزقنا من السماء والأرض وقال تعالى: " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " وهذا برهان جلي على أن الدين مخلوق لله عز وجل وقال تعالى: " واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا ".

قال أبو محمد: ومنهم مـن يعبـد المسـيح وقالـت الملائكة وصدقوا بل كانوا قوماً يعبدون الجن فصح أن كـل من عبدوه منهم المسيح والجن لا يخلقون شيئاً ولا يملكـون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فثبت يقيناً أنهم مسرفون مديرون وأن أفعالهم مخلوقة لغيرهم وقال تعالى: " أفمن يخلـق كمـن لا يخلق أفلا تذكرون ".

قال أبو محمد: وهذا نص جلي على إبطال أن يخلق أحد دون ا تعالى شيئاً لأنه لو كان هاهنا أحد غيره تعـالى يخلق لكان من يخلق موجوداً جنساً في حيز ومن لا يخلـق جنساً آخر وكان الشبه بين من يخلق موجوداً وكان مـن لا يخلق لا يشبه من يخلق وهذا إلحاد عظيم فصح بنص هـذه الآية أن ا تعالى هو يخلق وحده وكل من عـداه لا يخلـق شيئاً فليس أحد مثله تعالى فليس من يخلق وهـو ا تعـالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه وقال تعالى: " ولكل وجهـة هو موليها " وهذا نص جلي من كذبه كفر وقد علمنـا أنـه تعالى لم يأمر بتلك الوجهات كلها بل فيها كفر قـد نهـى ا عز وجل عنه فلم يبقى إذ هو مولي كل وجهة إلا أنه خـالق كل وجهة لا أحداً من الناس وهذا كاف لمن عقـل ونصـح

نفسه منه ومنها قول ا عز وجل: " هذا خلق ا فـأروني ماذا خلق الذين من دونه " وهذا إيجاب لأن ا تعالى خلـق كل ما في العالم وإن كل من دونه لا يخلق شيئاً أصلاً ولـو كان هاهنا خالق لشيء من الأشياء غيـر ا تعـالى لكـان جواب هؤلاء المقررين جواباً قاطعاً ولقالوا له نعـم نريـك أفعالنا خلقها من دونك ونعم هاهنا خالقون كثير وهـم نحـن لأفعالنا وقوله عز وجل: " أم جعلوا شركاء خلقوا كخلقـه فتشابه الخلق عليهم قل ا خالق كل شـيء " وهـذا بيـان واضح لا خفاء به لأن الخلق كله جواهر وإعراض ولا شك في أنه لا يفعل الجواهر أحد دون ا تعالى وإنما يفعلـه ا عز وجل وحده فلم تبق إلا الأعراض فلو كان ا عز وجل خالقاً لبعض الأعراض ويكون الناس خالقين لبعضها لكـانوا شركاء في الخلق ولكانوا قد خلقوا كخلقـة خلـق إعراضـاً وخلقوا إعراضاً وهذا تكذيب تعالى ورد للقـرآن مجـرد فصح أنه لا يخلق شيئاً غير ا عز وجل وحده والخلق هـو الاختراع فا مخترع أفعالنا كسائر الأعراض ولا فرق فإن نفوا خلق ا تعالى لجميع الأعراض لزمهم أن يقولوا أنهـا أفعال لغير فاعل أو أنها فعل لمن ظهرت منه من الأجـرام

الجمادية وغيرها فإن قالوا هي أفعال لغير فاعل فهذا قـول أهل الدهر نصاً ويكلمون حينئذ بما يكلم به أهل الـدهر وإن قالوا أنها أفعال الإجرام كانوا قد جعلـوا الجمـادات فاعلـة مخترعة وهذا باطل محال وهو أيضاً غير قولهم فالطبيعة لا تفعل شيئاً مخترعة له وإنما الفاعل لما ظهر منهـا خـالق الطبيعة المظهر منها ما ظهر فهو خـالق الكـل ولابـد و الحمد ومنها قوله تعالى: " أتعبدون ما تنحتـون وا خلقكـم وما تعملون " وهذا نص جلي على أنه تعالى خالـق أعمالنـا وقد فسر بعضهم قوله تعالى: " وا خلقكم وما تعملون " أنه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التي تعمل منها الأوثان.

قال أبو محمد: وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه لأنه لا يقول أحد في اللغة التي بها خوطبنا في القرآن وبها نتفاهم فيما بيننا أن الإنسان يعمل العـود أو الحجر هذا ما لا يجوز في اللغة أصلاً ولا في المعقول وإنما يستعمل ذلك موصولاً فنقول عملت هذا العود صـنماً وهـذا الحجر وثناً فإنما بين تعالى خلقه الصنمية التي هـي شـكل الصنم ونص تعالى على ذلك بقوله تعـالى: " أتعبـدون مـا تنحتون وا خلقكم وما تعملون " فإنما عملنا النحت بـنص

الآية وبضرورة المشاهدة فهي التي علمنا وهي التي أخبـر تعالى انه خلقها.

قال أبو محمد: وقد ذكر عن كبير منهم وهو محمـد بن عبد ا الإسكافي أنه كان يقول أن ا تعالى لـم يخلـق العيدان ولا الطنابير ولا المزامير ولقد يلـزم المعتزلـة أن توافقه على هذا لأن الخشبة لا تسمى عوداً ولاطنبـوراً لـو حاف إنسان لا يشتري طنبوراً فاشترى خشباً لم يحنث وكذلك لو حاف أن لا يشتري خشباً فاشترى طنبوراً لم يحنـث ولا يقع في اللغة على الطنبور اسم خشبة وقال تعـالى: " خلـق السماوات والأرض " فهي مخلوقة بنص القرآن وقـد قـال بعضهم إنما قال تعالى: " خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام " فكانت أعمال الناس مخلوقة في تلك الأيام.

قال أبو محمد: لم ينف ا عز وجل ان يخلق شـيئاً بعد الستة أيام بل قد قال عز وجل: " يخلقكـم فـي بطـون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق " وقال تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنـا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنـا المضـغة عظامـاً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك ا أحسـن

الخالقين " فكان هذا كله في غير تلك الستة الأيام فإذ قد جاء النص بأن ا تعالى يخلق بعد تلك الأيام أبداً ولا يزال يخلق بعد ناشئة الدنيا ثم لا يزال يخلق نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أبداً بلا نهاية إلا أن عمـوم خلقـه تعـالى للسـموات والأرض وما بينهما باق على كل موجود وقال بعضـهم لا نقول أن أعمالنا بين السماء والأرض لأنهـا غيـر مماسـة للسماء والأرض.

قال أبو محمد: وهذا عين التخليط لأن ا تعالى لـم يشترط المماسة في ذلك وقد قال تعالى: " والسحاب المسخر بين السماء والأرض " فصح ان السحاب ليست مماسة لسماء ولا للأرض فهي إذاً على قول هذا الجاهـل غيـر مخلوقـة ويلزمه أيضاً أن يقول بقول معمر والجاحظ في أن ا تعالى لم يخلق الألوان ولا الطعوم ولا الـروائح ولا المـوت ولا الحياة لان كل هذا غير مماس للسماء ولا للأرض.

قال أبو محمد: وأما قول معمر والجاحظ أن كل هذا فعل الطبيعة فغباوة شديدة وجهل بالطبيعة ومعنى لفظ البيعة إنما هي قوة الشيء تجري بها كيفياته على مـا هـي عليـه وبالضرورة نعلم أن تلك القوة عرض لا يعقل وكل ما كـان

مما لا اختيار له من جسم أو عـرض كالحجـارة وسـائر الجمادات فمن نسب إلى ما يظهر منها أنها أفعالها مخترعـه لها فهو في غاية الجهل وبالضرورة نعلم ان تلـك الأفعـال خالق غيرها فيها ولا خالق هاهنا إلا خالق الكل وهـو ا لا إله إلا هو.

قال أبو محمد: ومن بلغ ههنا فقد كفانـا ا تعـالى شأنه لمجاهرته بالجهل العظيم والكفر المجرد فـي موافقتـه أهل الدهر وتكذيبه القرآن إذ يقول ا تبارك وتعالى: " الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً " وقوله تعالى: " يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكـل " فأخبر تعالى أن تفاضلها في الطعوم من فعله عز وجل نعوذ با مما ابتلاهم به وأقحمهم فيه وقال معمـر معنـى قولـه تعالى: " خلق الموت والحياة " إنما معناه الإماتة والإحياء.

قال أبو محمد: فما زاد على أنه أبدى تمـام جهلـه بوجهين بينين أحدهما إحالته النص من كلام ربه تعالى بـلا دليل والثاني أنه لم يزل عما لزمه لأن الموت والحياة همـا الإماتة والإحياء بلا شك لأن الحياة والإحياء هو جمع النفس مع الجسد المركب الأرضي والموت والإماتة شـيء واحـد

وهو التفريق بين النفس والجسد المذكور فقط فإذا كان جمـع النفس والجسد وتفريقهما مخلوقين تعالى فقـد صـح ان الموت والحياة مخلوقان له تعالى يقيناً وبطـل تمويـه هـذا المجنون.

قال أبو محمد: ومن النصوص القاطعة في هذا قول ا تعالى: " إنا كل شيء خلقناه بقدر " فلجأ بعضـهم إلـى دعوى الخصوص وذكر قول ا تعالى: " تدمر كـل شـيء بأمر ربها فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم " وقوله تعـالى: " وأوتيت من كل شيء " وقوله: " فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا ".

قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه لأن قولـه تعالى تدمر كل شيء بأمر ربها بيان جلي على أنهـا إنمـا دمرت كل شيء أمرها ا تعالى بتدميره لا ما لم يأمرها فهو عموم لكل شيء أمرها به وقوله تعالى وأوتيت من كل شيء فمن للتعبيط فمن آتاه ا شيئاً من الأشياء فقد آتاه مـن كـل شيء لأنه قد آتاه بعض الأشياء وأما قوله تعالى ففتحنا عليهم أبواب كل شيء فحق ونحن لا ندري كيفية ذلك الفتح إلا أننا ندري أن ا تعالى صدق فيما قال وأنه تعالى إنمـا آتـاهم

بعض الأشياء التي فتح عليهم أبوابها ثم لو صح برهان فـي بعض هذا العموم أنه ليس على ظـاهره وإنمـا أريـد بـه الخصوص لما وجب من ذلك أن يحمل كـل عمـوم علـى خلاف ظاهره بل كل عموم فعلى ظاهره حتى يقوم برهـان بأنه مخصوص أو أنه منسوخ فيوقـف عنـده ولا يتعـدى بالتخصيص وبالنسخ إلى ما لم يقم برهان بأنـه منسـوخ أو مخصوص ولو كان غير هذا لما صحت حقيقة في شيء من أخبار ا تعالى ولا صحت شريعة أبداً لأنه لا يعجز أحد في أمر من أوامر ا تعالى وفي كل خبر من أخباره عز وجـل أن يحمله على غير ظاهره وعلى بعض ما يقتضيه عمومـه وهذا عين السفسطة والكفر والحماقة ونعوذ با من الخذلان ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر.

قال أبو محمد: ومن ذلك قوله تعالى: " ما َأصاب ِمن مصِيبةٍ ِفي الْأرضِ ولَا ِفي َأنفُسِكُم ِإلا ِفي ِكتَابٍ من قَبـل َأن نبرَأها ِإن ذَلِك علَى اللهِ يسِير ِلكَيلَا تَأْسوا علَى ما فَاتَكُم ولَـا تَفْرحوا ِبما آتَاكُم .

قال أبو محمد: فنص ا على أنه برأ المصائب كلها فهو بارئ لها والبارئ هو الخالق نفسه بلا شك فصح يقينـاً أن ا تعالى خالق كل شيء إذ هو خالق كل ما أصاب فـي الأرض وفي النفوس ثم زاد تعالى بياناً برفع الأشكال جملـة بقوله تعالى " لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " فبين تعالى أن ما أصاب الأموال والنفوس من المصـائب فهو خالقها وقد تكون تلك المصائب أفعال الظالمين بـإتلاف الأموال وأذى النفوس فنص تعالى على أن كل ذلك خلق لـه تعالى وبه عز وجل التوفيق وأما من طريـق النظـر فـإن الحركة نوع واحد وكما يقال على جملة النوع فهو يقال مقول على أشخاص ذلك النوع ولا بد فإن كـان النـوع مخلوقـاً فأشخاصه مخلوقة وأيضاً فلو كان في العـالم شـيء غيـر مخلوق عز وجل لكان من قال العالم مخلـوق والأشـياء مخلوقة وما دون ا تعالى مخلوق كاذب لأن في كل ذلـك عندهم ما ليس بمخلوق ولكان من قال العالم غير مخلوق ولم يخلق ا تعالى الأشياء صادقاً ونعوذ با تعالى من كل قول أدى إلى هذا ونسألهم هل ا تعالى إله العالم ورب كل شيء أم لا فإن قالوا نعم سئلوا أعموماً أو خصوصاً فإن قالوا بـل

عموماً صدقوا ولزمهم ترك قولهم إذ من المحال أن يكـون تعالى إلهاً لما لم يخلق وإن قالوا بل خصوصاً قيل لهم ففـي العالم إذاً ما ليس ا إلهاً وما لا رب له وإن كان هذا فإن من قال أن ا تعالى رب العالمين كاذب وكان من قال ليس ا إلهاً للعالمين ولا برب العالمين صادقاً وهـذا خـروج عـن الإسلام وتكذيب تعالى في قوله أنه رب العالمين وخـالق كل شيء وقد وافقونا على أن ا تعـالى خـالق حركـات المختارين من سائر الحيوان غير الملائكة والإنـس والجـن وبالضرورة ندري الحركات الاختيارية كلها نوع واحد فمـن المحال الباطل أن يكون بعض النوع مخلوقاً وبعضه غيـر مخلوق.

قال أبو محمد: واعترضوا بأشياء من القرآن وهـي أنهم قالوا قال ا عز وجل: " فويل للذين يكتبـون الكتـاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند ا ليشتروا به ثمنـاً قلـيلا " وقال تعالى: " لتحسبوه من الكتاب وما هـو مـن الكتـاب ويقولون هو من عند ا وما هو من عند ا " وقال تعالى " فتبارك ا أحسن الخالقين " وقوله تعالى: " وتخلقون أفكـا وقوله تعالى: " صنع ا الذي أتقن كل شيء " وقوله: " الذي

أحسن كل شيء خلقه " وقوله: " ما ترى في خلق الـرحمن من تفاوت " واعترضوا بأشياء من طريق النظـر وهـي إن قالوا إن كان ا تعالى خالق أعمال العباد فهو إذاً يغضب مما خلق ويكره ما فعل ويسخط فعله ولا يرضى ما فعل ولا مـا دبر وقالوا أيضاً كل من فعل شيئاً فهو مسمى به ومنسـوب إليه لا يعقل غير ذلك فلو خلق ا الخطاء والكذاب والظلـم والكفر لنسب كل ذلك إليه تعالى ا عن ذلك وقالوا أيضاً لا يعقل فعل واحد من فاعلين هذا فعله كله أو هذا فعلـه كلـه وقالوا أيضاً أنتم تقولون عن ا تعالى خالق الفعل وإن العبـد اكتسبه فأخبرونا عن هذا الاكتساب الذي انفرد به العبد أهـو خلق أم هو غيره فإن قلتم هو خلق ا لـزمكم أنـه تعـالى اكتسبه وأنه مكتسب له إذ الكسب هو الخلـق وإن قلـتم أن الكسب هو غير الخلق وليس خلقاً تعـالى تـركتم قـولكم ورجعتم إلى قولنا وقالوا أيضاً إذا كانت أفعالكم مخلوقـه تعالى وأنتم تقولون أنكم مستطيعون على فعلها وعلى تركها فقد أوجبتم أنكم مستطيعون على أن لا يخلق ا تعالى بعض خلقه وقالوا أيضاً إذا كان فعلكم خلقاً تعالى وعذبكم علـى فعلكم فقد عذبكم على ما خلق وقالوا أيضاً قد فرض ا علينا

الرضا بما خلق فإن كان الظلم والكفر والكذب ممـا خلـق ففرض علينا الرضا بالكفر والظلم والكذب.

قال أبو محمد: هذه عمدة اعتراضاتكم التي لا يشـذ عنها شيء من تفريعاتهم وكل ما ذكروا لا حجة لهم فيه على ما نبين إن شاء ا تعالى بعونه وتأييده ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فنقول وبا تعالى نستعين أمـا قـول ا تعالى: " ويقولون هو من عند ا وما هو من عند ا " فلا حجة لهم في هذا لأن أول الآية في قوم كتبوا كتاباً وقالوا هذا من عند ا فأكذبهم ا تعالى في ذلك واخبر أنه ليس منزلاً من عنده ولا مما أمر به عز وجل ولم يقل هؤلاء القـوم إن هذا الكتاب مخلوق فأكذبهم ا تعالى في ذلك وقال تعالى إن ذلك الكتاب ليس مخلوقاً تعالى فبطل تعلقهم بهـذه الآيـة جملة ولا شك عند المعتزلة وعندنا فـي أن ذلـك الكتـاب مخلوق تعالى لأنه قرطاس أو أديم ومداد وكل مخلوق بلا شك وأما قوله: " تبارك ا أحسن الخالقين " فقـد علمنـا أن كلام ا تعالى لا يتعارض ولا يتدافع وقال تعالى: " ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فإذ لا شك فـي هذا فقد وجدناه تعالى أنكر على الكافرين فقـال تعـالى: " أم

جعلوا شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل ا
خالق كل شيء وهو الواحد القهار " فهذه الآية بينت ما تعلق
به المعتزلة وذلك أن قوماً جعلوا شركاء خلقوا كخلقه
فجعلوهم خالقين فأنكر وا تعالى ذلك فعلى هذا خرج قوله
تعالى: " تبارك ا أحسن الخالقين " كما قال تعالى: " يكيدون
كيداً وأكيد كيداً " وقال: " ومكروا ومكر ا " ويبين بطلان
ظنون المعتزلة في هذه الآية قول ا تعالى: " ويوم يناديهم
أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد " أفيكون مسلماً من
أوجب تعالى شركاً من أجل قول ا تعالى للكفار الذين
جعلوا له شركاء أين شركائي ولا شك في أن هذا الخطاب
إنما خرج جواباً عن إيجابهم له الشركاء تعالى ا عن ذلك
وكذلك قوله تعالى: " ذق إنك أنت العزيز الكريم " وقد علمنا
أن كلام ا تعالى كله هو على حكم ذلك المعذب لنفسه في
الدنيا إنه العزيز الكريم وقد علمنا بضرورة العقل والنص أنه
ليس تعالى شركاء وأنه لا خالق غيره عز وجل وأنه
خالق كل شيء في العالم من عرض أو جوهر وبهذا خرج
قوله تعالى: " أحسن الخالقين " مع قوله تعالى: " أفمن يخلق
كمن لا يخلق " فلو أمكن أن يكون في العالم خالق غير ا

تعالى يخلق شيئاً لما أنكر ذلك عز وجل إذ هو عز وجـل لا ينكر وجود الموجودات وإنما ينكر الباطل فصح ضرورة لا شك فيها أنه لا خالق غير ا تعالى فإذ لا شك في هذا فليس في قول ا تعالى: " أحسن الخالقين " إثبات لأن في العـالم خالقاً غير ا تعالى يخلق شيئاً وبا تعالى التوفيـق وأمـا قوله: " وتخلقون إفكاً " وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال: " إني أخلق لكم من الطين كهيئـة الطيـر " وقـول زهير بن أبي سلمى المزني: وأراك تخلق ما فريت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري فقد قلنا ان كلام ا تعالى لا يختلـف وقد قال تعالى: " أفمن يخلق كمن لا يخلق " وقال تعـالى: " واتخَذُوا مِن دونِهِ آلِهةً لا يخْلُقُون شَيئًا وهـم يخْلَقُـون ولـا يملِكُون لِأنفُسِهِم ضرا ولَا نَفْعا ولَا يملِكُون موتًا ولَا حياةً ولَا نُشُورا " وبيقين علم كل ذي عقل أن من جملة أولئك الآلهـة الذين اتخذهم الكفار الملائكة والجن والمسيح عليه السلام قال تعالى: " لقد كفر الذين قالوا إن ا هو المسيح ابن مـريم " وقال ا تعالى حاكياً عن الملائكة أنهم قالوا عن الكفار: " بل كانوا يعبدون الجن " فقد صح يقيناً بـنص هـذه الآيـة أن الملائكة والجن والمسيح عليه السلام لا يخلقون شيئاً أصـلاً

ولا يختلف اثنان في أن جميع الإنس في فعلهم كمن ذكرنا إن كانوا هؤلاء يخلقون أفعالهم فسائر الناس يخلقون أفعالهم وإن كان هؤلاء لا يخلقون شيئاً من أفعـالهم فسـائر النـاس لا يخلقون شيئاً من أفعالهم فإن ذلك كذلك وكلام ا عز وجل لا يختلف فإذ لا شك في هذا فإن الخلق الذي أثبته ا عز وجل للمسيح عليه السلام في الطير وللكفار في الإفك هـو غيـر الخلق الذي نفاه عنهم وعن جميع الخلق لا يجوز البتة غيـر هذا فإن هذا هو الحق بيقين فالخلق الذي أوجبـه ا تعـالى لنفيه ونفاه عن غيره هو الاختراع والإبداع وإحداث الشـيء من لا شيء بمعنى من عدم إلى وجود وأمـا الخلـق الـذي أوجبه ا تعالى فإنما هو ظهور الفعل منهم فقط وانفـرادهم به وا تعالى خالقه فيهم برهان ذلك أن العرب تسمي الكذب اختلاقاً والقول الكاذب مختلقاً وذلك القول بلا شك إنما هـو لفظ ومعنى واللفظ مركب من حروف الهجاء وقد كان كـل ذلك موجود النوع قبل وجود أشخاص هؤلاء المختلقين وهذا لقوله عز وجل: " أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " وكقوله تعالى: " فلم تقتلوهم ولكن ا قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى " فبيقين يدري كل ذي حس

يؤمن با تعالى وبالقرآن " إن الزرع والقتل والرمي الـذي نفاه عن الناس وعن المؤمنين وعن رسول ا صلى ا عليه وسلم هو غير الزرع والقتل والرمي الذي أضـافه إلـيهم لا يمكنه البتة غير ذلك لأنه تعالى لا يقول إلا الحق فـإذ ذلـك كذلك فإن الذي نفاه عمن ذكرنا هو خلق كل شيء واختراعه وإبداعه وتكوينه وإخراجه من عدم إلى وجود والذي أوجـب لهم منه ظهوره فيهم ونسبة ذلك كله إليهم كذلك نقط وبـا تعالى التوفيق وقول زهير: " وأراك تخلق ما فريت " لا يشك من له أقل فهم بالعربية أنه لم يعن الإبداع ولا إخراج الخلق من عدم إلى وجود وإنما أراد النفاذ في الأمـور فقـط فقـد وضح أن لفظة الخلق مشتركة تقع على معنيين أحـدهما تعالى لا لأحد دونه وهو الإبداع من عدم إلى وجود والثـاني الكذب فيما لم يكن أو ظهور فعل لم يتقدم لغيره أو نفاذ فيما حاول وهذا كله موجود من الحيوان وا تعالى خالق كل ذلك وبا تعالى التوفيق وبهذا تتألف النصوص كلها وأما قولـه تعالى: " صنع ا الذي أتقن كل شيء " فهو علـيهم لا لهـم لأن ا تعالى أخبر أن بصنعه أتقن كل شيء وهـذا علـى عمومه وظاهره فا تعالى صانع كل شيء وإتقانـه لـه أن

خلقه جوهراً أو عرضاً جاريين على رتبة واحدة أبداً وهـذا عين الإتقان وأما قوله تعالى: " أحسن كل شيء خلقه " فإنهما قراءتان مشهورتان من قراءات المسلمين إحداهما احسن كل شيء خلقه بإسكان اللام فيكون خلقه بدلاً من كل شيء بـدل البيان فهذه القراءة حجة علـيهم لأن معناهـا أن ا تعـالى أحسن خلقه لكل شيء وصدق ا عز وجل وهكذا نقـول أن خلق ا تعالى لكل شيء حسن وا تعالى محسن في كـل شيء والقراءة الأخرى خلقه بفتح اللام وهذه أيضاً لا حجـة لهم فيها لأنه ليس فيها إيجاب لأن هاهنا شيئاً لـم يخلـق ا عز وجل ومن ادعى أن هذا في اقتضاء الآية فقد كذب وإنما يقتضي لفظة الآية أن كل شيء فا خلقه كمـا فـي سـائر الآيات وا تعالى أحسنه إذ خلقه وهذا قولنا وكذا نقـول أن الإنسان لا يفعل شـيئاً إلا الحركـة أو السـكون والاعتقـاد والإرادة والفكر وكل هذه كيفيات وأعراض حسن خلقها مـن ا عز وجل قد أحسن رتبتها وإيقاعها في النفوس والأجساد وإنما قبح ما قبح من ذلك من الإنسان لأن ا تعالى سـمى وقوع ذلك أو بعضها ممن وقعت منه قبيحاً وسمى بعض ذلك حسناً كما كانت الصلاة إلى بيت المقدس حركة حسن إيمانـاً

ثم سماها تعالى قبيحة كفراً وهذه تلك الحركة نفسها فصح أنه ليس في العالم شيء حسن لعينه ولا شيء قبيح لعينه لكن ما سماه ا تعالى حسناً فهو حسن وفاعله محسن قال ا تعالى: " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم " وقال ا تعالى: " هل جـزاء الإحسان إلا الإحسان " وما سماه ا تعالى قبيحاً فهو حركة قبيحة وقد سمى ا تعالى خلقه لكل شيء في العـالم حسـناً فهو كله من ا تعالى حسن وسمى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء فبعض ذلك قبحه فهو قبيح وبعض ذلك حسنه فهـو حسن وبعض ذلك قبحه ثم حسنه فكان قبيحاً ثم حسن وبعض ذلك حسنه ثم قبحه فكان حسناً ثم قبح كما صارت الصـلاة إلى الكعبة حسنة بعد ان كانت قبيحة وكذلك جميـع أفعـال الناس التي خلقها ا تعالى فيهم كالوطء قبل النكـاح وبعـده وكسبي من نقض الذمة وسائر الشريعة كلها وقـد اتفقـت المعتزلة معنا على أن خلق ا تعـالى للخمـر والخنـازير والأحجار المعبودة من دونه حسن بلا شك وهو سماه قبـائح وأرجاساً وحراماً ونجساً وسيئاً وخبيثاً وهكذا القول في خلقه للأعراض في عباده ولا فرق وكذلك وافقنا أكثرهم على أنه تعالى خلق فساد الدماغ والجنون والمتولـد منـه والجـذام

والعمى والصمم والفالج والحدبة والأدرة كل ذلك من خلـق ا تعالى له حسن وكله فيما قبيح رديء جداً يستعاذ با منه وقد نص ا تعالى على أنه خلق المصائب كلها فقـال عـز وجل: " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على ا يسير " فـنص تعالى على أنه برأ المصايب كلها وبرأ هو خلق بلا خـلاف من أحد ولا فرق بين إلزامهم إيانا أن ا تعالى أحسن الكفر والظلم والجور والكذب والقبائح إذ خلق كـل ذلـك وبـين إقرارهم معنى أن ا تعالى قد أحسن الخمر والخنازير والدم والميتة والعذرة وإبليس وكل ما قـال أن إلـه مـن دون ا تعالى والأوثان المعبودة من دون ا تعالى والمصايب كلهـا والأمراض والعاهات إذ خلق كل ذلك فأي شيء قـالوه فـي هذه الأشياء فهو قولنا في خلق ا تعالى للكفر بـه ولشـتمه والظلم والكذب ولا فرق كل ذلك وقد أحسـن ا خلقـه إذ حركة أو سكوناً أو ضميراً في النفس وسمى ظهـوره مـن العبد قبيحاً موصوفاً به الإنسان وأما قوله تعالى: " ما تـرى في خلق الرحمن من تفاوت " فلا حجة لهم في هذا أيضاً لأن التفاوت المعهود هو ما نافر النفوس أو خرج عن المعهـود

فنحن نسمي الصورة المضطربة بأن فيها تفاوتاً فليس هـذا التفاوت الذي نفاه ا تعالى عن خلقه فإن ليس هو هذا الذي يسميه الناس تفاوتاً فلم يبق إلا أن التفاوت الذي نفاه ا تعالى تفاوت لكذب قول ا عز وجل: " ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت " ولا يكذب ا تعالى إلا كافر فبطل ظن المعتزلة إن الكفر والظلم والكذب والجور تفاوت لأن كل ذلك موجود في خلق ا عز وجل مرئي فيه مشاهد بالعين فيـه فبطـل احتجاجهم والحمد رب العالمين فإن قال قائـل فمـا هـذا التفاوت الذي أخبر ا عز وجل أنه لا يرى في خلقه قيل لهم نعم وبا التوفيق وهو اسم لا يقع على مسمى موجـود فـي العالم أصلاً بل هو معدوم جملة إذ لو كان شيئاً موجوداً في العالم لوجد التفاوت في خلق ا تعالى وا تعالى قد أكـذب هذا وأخبر أنه لا يرى في خلقه ثم نقول وبا تعالى التوفيق أن العالم كله ما دون ا تعالى وهو كله مخلـوق تعـالى أجسامه وأعراضه كلها لا نحاشي شيئاً منهـا ثـم إذا نظـر الناظر في تقسيم أنواع أعراضه وأنـواع أجسـامه جـرت القسمة جرياً مستوياً في تفصيل أجناسه وأنواعـه بحـدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة وهيئـة

واحدة إلى أن يبلغ إلى الأشخاص التي تلي أنواع الأنواع لا تفاوت في شيء من ذلك البتة بوجه من الوجوه ولا تخـالف في شيء منه أصلاً ومن وقف على هذا علـم أن الصـورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتـان معـاً تحت نوع الشكل والتخطيط ثم تحت نوع الكيفية ثم تحت اسم العرض وقعاً مستوياً لا تفاضل فيه ولا تفاوت في هذا بوجه من التقسيم وكذلك أيضاً نعلم أن الكفـر والإيمـان بالقلـب واقعان تحت نوع الاعتقاد ثم تحت فعل الـنفس ثـم تحـت الكيفية والعرض وقوعاً مستوياً لا تفاضل فيه ولا تفاوت من هذا الوجه من التقسيم وكذلك أيضاً نعلم أن الإيمان والكفـر باللسان واقعان تحت نوع قرع الهواء بآلات الكلام ثم تحـت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية وتحت اسم العرض وقوعـاً حقاً مستوياً لا تفاوت فيه ولا اختلاف وهكذا القول في الظلم والإنصاف وفي العدل والجور وفي الصدق والكـذب وفـي الزنا والوطء الحلال وكذلك كل ما في العالم حتـى يرجـع جميع الموجودات إلى الرأس الأول التي لـيس فوقهـا رأس يجمعها إلا كونها مخلوقة تعالى وهـي الجـوهر والكـم والكيف والإضافة على ما بينا في كتاب التقريب والحمـد

رب العالمين فانتفى التفاوت عن كل مـا خلـق ا تعـالى وعادت الآية المذكورة حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها وهي أنه لو كان وجود الكفر والظلم تفاوتـاً كمـا زعموا لكان التفاوت موجوداً في خلق الرحمن وقد كذب ا تعالى ذلك ونفى أن يرى في خلقه تفاوت وأما اعتراضهم من طريق النظر بأن قالوا أنه تعـالى إن كـان خلـق الكفـر والمعاصي فهو إذاً يغضب مما فعل ويغضب مما خلـق ولا يرضى ما صنع ويسخط ما فعل ويكره ما يفعل وإنه يغضب ويسخط من تدبيره وتقديره فهذا تمويه ضعيف ونحن لا ننكر ذلك إذ أخبرنا ا عز وجل بذلك وهو تعالى قد أخبرنـا أن يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه وأنه يكره كل ذلـك ويغضب منه فليس إلا التسليم لقول ا تعالى نعـم نعكـس عليهم هذا السؤال نفسه فنقول لهم ألـيس ا خلـق إبلـيس وفرعون والخمر والكفار فلا بد من نعم فنقول لهم أيرضـى عز وجل عن هؤلاء كلهم أم هو ساخط لهم كاره لهم غضبان عليهم غير راض عنهم فنقول لهم هذا نفس ما أنكرتم من انه تعالى سخط تدبيره وغضب من فعله وكره ما خلق ولعنه فإن قالوا لم يكره عين الكافر ولا سخط شخص إبليس ولا كـره

عين الخمر لم نسلم لهم ذلك لأنه تعالى قد نص على أنه تعالى لعن إبليس والكفار وإنهم مسخوطون ملعونون مكروهون من ا تعالى مغضوب عليهم وكذا الخمر والأوثان وقال: " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه " وقال تعالى: " أو لحم خنزير فإنه رجس " وقد سمى ا تعالى كل ذلك رجس ثم أمر بعد ذلك باجتنابه وأضاف كل ذلك إلى عمل الشيطان ولا خلاف في أنه عز وجل خالق كل ذلك فهو خالق الرجس بالنص ولا فرق في المعقول بين خلق الرجس وخلق الكفر والظلم والكذب وقوله تعالى: " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " فعلى قول هؤلاء المخاذيل أنه تعالى يغضب مما ألهم ويكرهه وإلهامه فعله بلا شك ضرورة فقد صح عليهم ما شنعوا به من أنه يغضب من فعله أيضاً فيقال لهم هل ا تعالى قادر على منع الظالم من المظلوم وعلى منع الذين قتلوا رسل ا صلى ا عليهم وسلم وعلى أن يحول بين الكافر وكفره وأن يميته قبل أن يبلغ وبين الزاني وزناه بإضعاف جارحته أو بشيء يشغله به أو تيسير إنسان يطل عليهما أم هو عاجز عن ذلك كله قادر على شيء منه

ولا سبيل إلى قسم ثالث فإن قالوا هو غير قادر على شـيء من ذلك عجزوا ربهم وكفروا وبطلت أدلتهم علـى إحـداث العالم إذ أضعفوا قدرته عن هذا اليسير السهل وإن قالوا بـل هو قادر على ذلك كله فقد أقروا أيضاً على أنه تعـالى رأى المنكر والكفر والزنى والظلم فأقره ولم يغيره وأطلق أيـدي الكفار على قتل رسله ضربهم ومع إقراره لكل ذلك فلم يكتف بكل ذلك إلا حتى قواهم بجوارحهم وآلاتهم وكف كل مـانع وهذا على قولهم أنه رضا منه تعالى بالكفر واختيـاراً منـه تعالى لكل ذلك وهذا كفر مجرد وأما أنه يغضب ممـا أقـر ويسخط مما أعان عليه ويكره ما فعل من إقرارهم على كـل ذلك وهذا هو الذي شنعوا به لا بد من أحد الوجهين ضرورة وكلاهما خلاف قولهم إلا ان هذا لازم لهم على أصولهم ولا يلزمنا نحن شيء منه لأننا لا نقبح إلا ما قبح ا تعـالى ولا نحسن إلا ما حسن ا تعالى فإن قالوا إنما أقره لينتقم منـه وإنما يكون سفهاً وعبثاً لو أقره أبداً قيل لهم أي فـرق بـين إقراره تعالى الكفر والظلم والكذب ساعة وبين إبقائـه إيـاه ساعة بعد ساعة وهكذا أبداً بلا نهاية أو بنهاية فـي الحسـن والقبح وإلا فعرفونا الأمد الذي يكون إقرار الكفـر والكـذب

والظلم إليه حكمة وحسناً وإذا تجاوزه صـار عبثـاً وعيبـاً وسفهاً فإن تكلفوا أن يحدوا في ذلـك حـداً أتـوا بـالجنون والسخف والكذب والدعوى التي لا يعجز عنها أحد وإن قالوا لا ندري وردوا الأمر في ذلك إلى ا عز وجل صدقوا وهذا هو قولنا أن كل ما فعله ا تعالى من تكليف مـا لا يطـاق وتعذيبه عليها وخلقه الكفر والظلم في الكافر والظالم وإقراره كل ذلك ثم تعذيبها عليه وخلقه الكفر وغضبه منه وسـخطه إياه كل ذلك من ا تعالى حكمة وعدل وحق وممـن دونـه تعالى سفه وظلم وباطل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأما قولهم أن من فعل شيئاً أن ينسب إليه ويسمي به نفسه وأنه لا يعقل ولا يوجد غير هذا إيجابهم بهذا الاستدلال أن يسمى ا تعالى ظالماً لأنه خلق الظلم وكذلك من الكفر والكذب فهـذا ينتقض عليهم من وجهين أحدهما أن هذا تشبيه محض لأنهم يريدون أن يحكموا على الباري تعـالى بـالحكم الموجـود الجاري على خلقه ويقال لهم إذ لم تجدوا فاعلاً في الشاهد إلا جسماً ولا عالماً إلا بعلم هو غيره ولا حياً إلا بحيـاة هـي عرض فيه ولا مخبراً عنه إلا جسماً أو عرضاً وما لم يكـن كذلك فهو معدوم ولا يتوهم ولا يعقل ثم رأيتم الباري تعـالى

بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجـدتم فقـد وجب ضرورة أن لا يحكم عليه تعالى بالحكم علينا فـي أن يسمى من أفعاله ولا في أن ينسب إليه كما ينسب إلينـا بـلا خلاف ذلك بالبرهان الضروري هو أن ا عز وجل خلـق كل ما خلق من ذلك مخترعاً له كيفية مركبة في غيره فهكذا هو فعل ا تعالى فيما خلق وأما فعل عباده لما فعلوا فإنمـا معناه أنه ظهر ذلك الفعل عرضاً محمولاً في فاعله لأنه إمـا حركة في متحرك وأما سكون في ساكن أو اعتقاد في معتقد أو فكر في مفتكر أو إرادة في مريد ولا مزيد فبين الأمـرين بون بائن لا يخفى على من له أقل فهم وأما المـدح والـذم واشتقاق اسم الفعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو أنه لا يستحق أحد مدحاً ولا ذماً إلا من مدحه ا تعالى أو ذمـه وقد أمرنا ا تعالى بحمده والثناء عليه فهو عز وجل محمود على كل ما فعل محبوب لذلك وأما من دونه تعالى فمن حمد ا تعالى فعله الذي أظهره فيه فهو ممدوح محمود ومـن ذم عز وجل فعله الذي أظهره فيه فهو مذموم ولا مزيد وبرهان هذا إجماع أهل الإسلام على أنه لا يستحق الحمد والمدح إلا من أطاع ا عز وجل ولا يستحق الذم إلا من عصـا وقـد

يكون المرء مطيعاً محموداً اليوم ممدوحاً بفعله إن فعله اليوم وكافراً مذموماً به إن فعله غداً كالحج في أشهر الحج وفـي غير أشهر الحج ولصوم يوم الفطـر والأضـحى وصـوم رمضان وكالصلاة في الوقت وقبل الوقـت وبعـد الوقـت وكسائر الشرائع كلها وقد وجدنا فاعلاً للكذب قائلاً له وفاعلاً للكفر قائلاً به وهما غير مذمومين ولا يسمى واحـد منهمـا كاذباً ولا كافراً وهما الحاكي والمكره فبطل ما ظنت المعتزلة من انه كل من فعل الكذب فهو كاذب ومن فعل الكفر فهـو كافر ومن فعل الظلم فهو ظالم وصح أنه لا يكون كاذبـاً ولا كافراً ولا ظالماً إلا من سماه ا تعالى كافراً وكاذباً وظالمـاً وإنه لا كفر ولا ظلم ولا كذب إلا ما سماه ا كفـراً وكـذباً وظلماً وصح بالضرورة التي لا محيد عنها أنه لـيس فـي العالم شيء محمود ممدوح لعينه ولا مذموم لعينه ولا كفـر لعينه ولا ظلم لعينه وأما ما لا يقع عليـه اسـم طاعـة ولا معصية ولا حكمها هو ا تعالى فلا يجوز أن يوقـع عليـه مدح ولا حمد ولا ذم إلا بنص من قبله فنحمده كما امرنا أن نقول الحمد رب العالمين وأما من دونه ممـن لا طاعـة تلزمه ولا معصية كالحيوان من غير الملائكة وكالحور العين

والإنس والجن وكالجمادات فلا يستحق حمداً ولا ذماً لأن ا
تعالى لم يأمر بذلك فيها فإن وجد له تعالى أمر بمدح شـيء
منها أو ذمه وجب الوقوف عند أمره تعالى كـأمره تعـالى
بمدح الكعبة والمدينة والحجـر الأسـود وشـهر رمضـان
والصلاة وغير ذلك وكأمره تعالى بـذم الخمـر والخنزيـر
والميتة والكنيسة والكفر والكذب وما أشبه ذلك وأما ما عـدا
هذين القسمين فلا حمد ولا ذم واما اشتقاق اسم الفاعل مـن
فعله فكذلك أيضاً ولا فرق وليس لأحد أن يسمي شيئاً إلا بما
أباحه ا تعالى في الشريعة أو في اللغة التي أمرنا بالتخاطب
بها وقد وجدناه تعالى أخبرنا بأن له كيداً ومكراً ويمكر ويكيد
ويستهزئ وينسى من نسيه وهذا لا تدفعه المعتزلة ولو دفعته
لكفرت لردها نص القرآن وهم مجمعون معنا علـى أنـه لا
يسمى باسم مشتق من ذلك فلا يقال ماكر من أجـل أن لـه
مكراً ولا أنه كياد من أجل أنه يكيد وأن له كيداً ولا يسـمى
مستهزئاً من أجل أنه يستهزئ بهم فقد أبطل ما أصلوه من أن
كل فعل فعلاً فإنه يسمى منه وينسب إليه ولا يشغب هاهنـا
مشغب مع من لا يحسن المناظرة فيقول إنما قلنا أنـه يكيـد
ويستهزئ ويمكر وينسى على المعارضة بذلك فإنا نقول لـه

صدقت ولم نخالفك في هذا لكن ألزمناك أن تسـميه تعـالى كياداً وماكراً ومستهزئاً وناسياً على معنى المعارضـة كمـا تقول فإن أبى من ذلك وقال أن ا تعالى لم يسم بشيء مـن ذلك نفسه فقد رجع إلى الحق ووافقنا فـي أن ا تعـالى لا يسمى ظالماً ولا كافراً ولا كاذباً من أجل خلقه الظلم والكفـر والكذب لأنه تعالى لم يسم بذلك نفسه وإن أنكر ذلك تنـاقض وظهر بطلان مذهبه.

قال أبو محمد: وقد وافقونا على ان ا تعالى خلـق الخمر وحبل النساء ولا يجوز ان يسمى خمـاراً ولا محـبلاً وأنه تعالى خلق أصباغ القمارى والهداهد والحجـل وسـائر الألوان ولا يسمى صباغاً وأنه تعالى بنى السـماء والأرض ولا يسمى بناء وأنه تعالى سقانا الغيـث وميـاه الأرض ولا يسمى سقاء ولا ساقياً وأنه تعالى خلـق الخمـر والخنـازير وإبليس ومردة الشياطين وكذلك كل سوء وسـيء وخبيـث ورجس وشر ولا يسمى من أجل ذلك مسيئاً ولا شريراً فأي فرق بين هذا كله وبين أن يخلق الشر والظلم والكفر والكذب ومعاصي عباده ولا يسمى بذلك مسيئاً ولا ظالماً ولا كـافراً ولا كاذباً ولا شريراً ولا فاحشاً والحمد على ما من به من

الهدى والتوفيق وهو المستزاد من فضله لا إله إلا هو ويقال لهم أيضاً أنتم تقرون بأنه خلق القوة التي بها يكـون الكفـر والظلم والكذب وهيأها لعباده ولا يسمونه من أجل ذلك مغوياً على الكفر ولا معيناً للكافر في كفره ولا مسـبباً للكفـر ولا واهباً للكفر وهذا بعينه هو الذي عبتم وأنكرتم ويقـال لهـم أيضاً أخبرونا عن تعذيبه أهل جهنم في النيران أمحسن هـو بذلك إليهم أم مسيء فإن قالوا بل محسن إليهم قالوا الباطـل وخالفوا أصلهم وسألناهم أن يسألوا ا عز وجل بأنفسهم ذلك الإحسان نفسه وإن قالوا أنه مسيء إليهم كفروا به وإن قالوا ليس نسيء إليهم قلنا لهم فهم في إساءة أو في إحسـان فـإن قالوا ليسوا في إساءة كابروا العيان وإن قالوا بل هـم فـي إساءة قلنا لهم هذا الذي أنكرتم أن يكون منه تعالى إليهم حال هي غاية الإساءة ولا يسمى بذلك مسيئاً وأما نحن فنقول لهم إنهم في غاية المساءة والإساءة والسخط إليهم وعليهم ولـيس السخط إحساناً إلى المسخوط عليه وكذلك اللعنة للملعون وإنه تعالى محسن على الإطلاق ولا نقول أنه مسيء أصلاً وبا تعالى التوفيق و الأصل في ذلك ما قلناه من انه لا يجوز أن يسمى ا تعالى إلا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه إلا بمـا

أخبر به عن نفسه ولا مزيد فإن قالوا إذا جوزتم أن يفعل ا تعالى فعلاً ما هو ظلم بيننا ولا يكون بذلك ظالماً فجوزنا أن نخبره بالشيء على خلاف ما هو ولا يكون بذلك كاذبـاً وإن لا يعلم ما يكون ولا يكون بذلك جاهلاً وإن لا يقـدر علـى شيء ولا يكون بذلك عاجزاً قيل لهم وبا تعالى التوفيق هذا محال من وجهين أحدهما أننا قد أوضحنا أنه ليس في العـالم ظلم لعينه ولا بذاته البتة وإنما الظلم بالإضافة فيكون قتل زيد إذ نهي ا عنه ظلماً وقتله إذا أمر ا بقتله عدلاً وأما الكذب فهو كذب لعينه وبذاته فكل من اخبر بخبر بخلاف ما هو فهو كاذب إلا أنه لا يكون ذلك إثماً ولا مذموماً إلا حيث أوجـب ا تعالى فيه الإثم والذم فقط وكذلك القول في الجهل والعجز أنهما جهل لعينه وعجز لعينه فكل من لم يعلم شيئاً فهو جاهل به ولا بد وكل من لم يقدر على شيء فهو عاجز عنه ولا بد والوجه الثاني ان بالضرورة التي بها علمنا من نواة التمر لا يخرج منها زيتونة وإن الفرس لا ينتج جملاً بها عرفنـا ان ا تعالى لا يكذب ولا يعجز ولا يجهل لأن كل هـذه مـن صفات المخلوقين عنه تعالى منفية إلا ما جاء نص بأن يطلق الاسم خاصة من أسمائها عليه تعالى فيقف عنده وأيضا فـإن

أكثر المعتزلة يحقق قدرة الباري تعالى على الظلم والكـذب ولا يجيزون وقوعهما منه تعالى وليس وصفهم إياه عز وجل بالقدرة على ذلك بموجب إمكان وقوعه منه تعالى فلا ينكروا علينا أن نقول أن ا عز وجل فعل أفعالاً هي منـه تعـالى عدل وحكمة وهي منا ظلم وعبث وليس يلزمنا مع ذلـك أن نقول انه يقول الكذب ويجهل فبطل هذا إلا لزام والحمـد رب العالمين وأيضاً فإننا لم نقل أنه تعالى يظلـم ولا يكـون ظالماً ولا قلنا أنه يكفر ولا يسمى كافراً ولا قلنا أنه يكـذب ولا يسمى كاذباً فيلزمنا ما أرادوا وإلزامنا إياه وإنما قلنا أنـه خلق الظلم والكذب والكفر والشر والحركة والطول والعرض والسكون إعراضاً في خلقه فوجب أن يسمى خالقاً لكل ذلـك كما خلق الجوع والعطش والشبع والري والسـمن والهـزال واللغات ولم يجز أن يسمى ظالماً ولا كاذبـاً ولا كـافراً ولا شريراً كما لم يجز عندنا وعندهم أن يسمى من أجـل خلقـه لكل ما ذكرناه متحركاً ولا ساكناً ولا طويلاً ولا عريضاً ولا عطشان ولا ريان ولا جائعاً ولا شابعاً ولا سميناً ولا هزيلاً ولا لغوياً وهكذا كل ما خلق ا تبارك وتعالى فإنمـا يخبـر عنه بأنه تعالى خالق له فقط ولا يوصف بشيء مما ذكرنا إلا

من خلقه ا عرضاً فيه واما قولهم لا يفعل فعل من فـاعلين هذا فعله كله وهذا فعله فإن هذا تحكم ونقصان من القسـمة أوقعهم فيها جهلهم وتناقضهم وقولهم إنما يستدل بالشاهد على الغايب وهذا قول قد أفسدناه في كتابنا في الأحكام في أصول الأحكام بحمد ا تعالى ونبين هاهنا فساده بإيجـاز فنقـول وبا تعالى التوفيق أنه ليس عن العقل الذي هو التمييز شيء غائب أصلاً وإنما يغيب بعض الأشياء من الحواس وكل مـا في العالم فهو مشاهده في العقل المـذكور لأن العـالم كلـه جوهر حامل وعرض محمول فيه وكلاهما يقتضي خالقاً أولاً واحداً لا يشبهه شيء من خلقه في وجه من الوجوه فإن كانوا يعنون بالغائب الباري عز وجل فقد لزمه بالحاضر وفي هذا كفاية بل ما دل الشاهد كله إلا ان ا تعالى بخلاف كل مـن خلق من جميع الوجوه وحاشا أن يكون جل وعـز غائبـاً عنا بل هو شاهد بالعقل كما نشاهد بالحواس كل حاضر ولا فرق بين صحة معرفتنا به عز وجل بالمشاهدة بضـرورة العقل وبين صحة معرفتنا لسائر ما نشاهده ثم نرجع إن شاء ا تعالى إلى إنكارهم فعلاً واحداً من فاعلين فنقـول وبـا تعالى التوفيق إنما امتنع ذلك فيما بيننا في الأكثـر لا علـى

العموم لما شاهدناه من أنه لا تكون حركة واحدة في الأغلب لمتحركين ولا اعتقاد واحد لمعتقدين ولا إرادة واحدة لمريدين ولا فكرة واحدة لمفتكرين ولكن لو أخذ اثنان سفاً واحـداً أو رمحاً واحداً فضربا به إنساناً فقطعاه أو طعناه بـه لكانـت حركة واحدة غير منقسمة لمتحركين بها وفعلاً واحداً غيـر منقسم لفاعلين هذا أمر يشاهد بـالحس والضـرورة وهـذا منصوص في القرآن من أنكـره كفـر وهـو أن القـراءة المشهورة عند المسلمين " إنما أنا رسول ربك لأهـب لـك غلاما زكيا " وليهب لك غلاما زكيا كـلا القـراءتين بنقـل الكواف عن رسول ا صلى ا عليه وسلم عـن جبريـل صلى ا عليه وسلم فإذا قرئت بالهمز فهو إخبـار جبريـل رسول ا صلى ا عليه وسلم الروح الأمين إنه هو الواهب لها عيسى عليه السلام وإذا قرئت بالياء فهـو مـن إخبـار جبريل عن ا عز وجل لأن ا تعالى هو الواهب لها عيسى عليه السلام فهذا فعل من فاعلين نسب إلى ا عـز وجـل الهبة لأنه تعالى هو الخالق لتلك الهبة ونسبت الهبة أيضاً إلى جبريل لأنه منه ظهرت إذ أتى بها وكذلك قوله عز وجل: " وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى " فأخبر ا تعـالى أنـه

رمى وأن نبيه رمى فأثبت تعالى لنبيه صلى ا   عليه وسـلم الرمي ونفاه عنه معاً وبالضرورة ندري أن كـلام ا   عـز وجل لا يتناقض فعلمنا أن الرمي الذي نفاه ا   عز وجل عن نبيه صلى ا   عليه وسلم هو غير الرمي الذي أثبتـه لـه لا يظن غير هذا مسلم البتة فصح ضرورة أن نسبة الرمي إلى ا   عز وجل   لأنه خلقه وهو تعالى خالق الحركة التي هـي الرمي و ممضي الرمية وخالق مسير الرمي وهذا هو المنفي عن الرامي وهو النبي صلى ا   عليه وسلم وصح أن الرمي للذي أثبته ا   عز وجل لنبيه صلى ا   عليه وسلم هو ظهور حركة الرمي منه فقط وهذا هو نص قولنا دون تكاف وكذلك قوله تعالى: " فلم تقتلوهم ولكن ا   قتلهم " والقول فـي هـذا كالقول في الرمي ولا فرق وكذلك قوله تعالى: " زينا لكـل أمة عملهم " وقوله تعالى: " وزين لهم الشيطان مـا كـانوا يعملون " ضرورة أن تزيين ا   لكل أمة عملها إنما هو خلقه لمحبة أعمالهم في نفوسهم وأن تزيين الشيطان لهم أعمـالهم إنما هو بظهور الدعاء إليها وبوسوسته وقال تعالى حاكياً عن عيسى عليه السلام أنه قال: " أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيـراً بـإذن ا   وأبـرئ الأكمـه

والأبرص وأحيي الموتى بإذن ا " أفليس هـذا فعـلاً مـن فاعلين من ا تعالى ومن المسيح عليه السلام بـنص الآيـة وهل خالق الطير ومبرئ الأكمه والأبرص إلا ا وقد أخبر عيسى إذ يخلق ويبرئ فهو فعل من فاعلين بلا شك وقال عز وجل مخبراً عن نفسه أنه يحيي ويميت وقال عيسـى عليـه السلام عن نفسه وأحيي الموتى بإذن ا فبالضرورة نعلم أن الميت الذي أحياه عليه السلام والطير الذي خلق بنص القرآن فإن ا تعالى أحياه وخلقه وعيسى عليه الصـلاة والسـلام أحياه وخلقه بنص القرآن فهذا كله فعل من فاعلين بلا شـك وبا تعالى التوفيق وهكذا القول في قوله تعالى: " وأحلـوا قومهم دار البوار جهنم " وقد علمنا يقيناً أن ا تعـالى هـو الذي أحلهم فيها بلا شك لكن لما ظهر منهم السبب الذي حلوا به دار البوار أضيف ذلك إليهم كما قال تعالى عن إبليس: " كما أخرج أبويكم من الجنة " وقد علمنا يقيناً أن ا تعالى هو أخرجهما وأخرج إبليس معهما لكن لما ظهـر مـن إبلـيس السبب في خروجهما أضيف ذلك إليه وكما قـال تعـالى: " لتخرج الناس من الظلمات إلى النور " فنقول أن محمداً صلى ا عليه وسلم أخرجنا من الظلمات إلى النور وقد علمنـا أن

المخرج له عليه السلام ولنا هو ا تعالى لكـن لمـا ظهـر السبب في ذلك منه عليه السلام أضيف الفعل إليه فهذا كله لا يوجب الشرك بينهم وبين ا تعالى كما تموه المعتزلة وكـل هذا فعل من فاعلين وكذلك سائر الأفعال الظاهرة من الناس ولا فرق وقال تعالى: " إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً " وقـال تعالى: " وأملي لهم إن كيدي متين " وقال تعالى: " الشـيطان سول لهم وأملى لهم " فعلمنا ضرورة أن إملاء ا تعالى إنما هو تركه إياهم دون تعجيل عقاب بل بسط لهم من الدنيا ومد لهم من العمر ما كان لهم عوناً على الكفر والمعاصي وعلمنا أن إملاء الشيطان إنما هو بالوسوسة وإنساء العقاب والحض لهم على المعاصي وقال تعالى: " أفرأيتم ما تحرثـون أأنـتم تزرعونه أم نحن الزارعون " فهذا فعل من فاعلين ضرورة نسب إلى ا تعالى لأنه اخترعه وخلقه وأنماه ونسب إلينـا لأننا تحركنا في زرعه فظهرت الحركة المخلوقة فينا فهـذه كلها أفعال خلقها ا تعالى وأظهرها في عباده فقـط وبـا تعالى نتأيد.

قال أبو محمد: وتحقيق هذا القول في الأفعال هو أن ا سبحانه وتعالى خلق كل ما خلق قسـمين فقـط جـوهراً

حاملاً وعرضاً محمولاً ناطقاً وغير ناطق فغير الحـي هـو الجماد كله والناطق هو الملائكة وحور العين والجن والإنس فقط وغير الناطق هو كل ما عدا ذلك من الحيوان ثم خلـق تعالى في الجمادات وفي الحي غير الناطق وفي الحي الناطق حركة وسكوناً وتأثيراً قد ذكرناه آنفاً فالفلك يتحرك والمطـر ينزل والوادي يسيل والجبل يسكن والنار تحرق والثلج يبرد وهكذا في كل شيء بهذا جاء القرآن وجميـع اللغـات قـال تعالى: " تلفح وجوههم النار " وقال تعالى: " فسـالت أوديـة بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً وقال تعالى: " فأمـا الزبـد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فـي الأرض وقـال تعالى: " والفلك تجري في البحر بأمره والفلك التي تجـري في البحر بما ينفع الناس " ومثل هذا كثير جداً وبهذا جـاءت اللغات في نسبة الأفعال الظاهرة في الجمادات إليها لظهورها فيها فقط لا يختلف لغة في ذلك وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: " أجنبني ونبي أن نعبد الأصـنام رب أنهـن أضللن كثيراً من الناس " فأخبر أن الأصـنام تضـل وقـال تعالى: " تذروه الرياح وهذا أكثر من أن يحصى والأعراض أيضاً تفعل كما ذكرنا قال عز وجل: " والعمل الصالح يرفعه

وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم " فالظن يردى والعمل يرفع ولم تختلف أمة في صحة القول أعجبني عمـل فـلان وسرني خلق فلان ومثل هذا كثير جداً وقد وجدنا الحر يحلل ويصعد والبرد يجمد ومثل هذا كثير جداً وقد بيناه والكل خلق ا عز وجل وأما حركة الحي غير الناطق والحي النـاطق وسكونهما وتأثيرهما فظاهر أيضاً ثم خلق سبحانه وتعالى في الحي غير الناطق وفي الحي الناطق قصداً ومشيئة لم يخلـق ذلك في الجماد كإرادة الحيوان الرعي وتركه والمشي وتركه والأكل وتركه وما أشبه هذا ثم خلق تعالى في الحي النـاطق تمييزاً لم يخلقه في الحي غير الناطق ولا في الجمـاد وهـو التصرف في العلوم والمعارف هذا كله أمر مشاهد وكل ذلك خلق ا تعالى فيما خلقه فيه ونسب الفعل في كل ذلك إلـى من أظهره ا تعالى منه فقط فخلق تعالى كما ذكرنـا فـي الحي الناطق الفعل والاختيار والتمييز وخلق في الحي غيـر الناطق الفعل والاختيار فقط وخلق في الجمال الفعل فقط وهو الحركة والسكون والتأثير كما ذكرنا وبالجملة فلا فرق بـين من كابر وجاهر فأنكر فعل المطبوع بطبعه وقال ليس هـو فعله بل هو فعل ا تعالى فيه فقط وبين آخر جاهر وكـابر

فأنكر فعل المختار باختياره وقال ليس هو فعله بل هو فعـل ا تعالى فيه فقط وكلا الأمرين محسوس بالحس معلوم بأول العقل وضرورته أنه فعل لما ظهر منه ومعلـوم كـل ذلـك بالبرهان الضروري أنه خالق ا تعالى في المطبـوع وفـي المختار فإن فروا إلى القول بأن ا تعالى لـم يخلـق فعـل المختار وأنه فعل المختار فقد قلنا قد بينا بطلان هـذا قبـل ولكن نعارضكم هاهنا بأن منكم من يقول بأن ا تعالى أيضاً لم يخلق فعل المطبوع وأنه فعل المطبوع فقط كمعمر وغيره من كبار المعتزلة فإن قالوا أخطأ من قال هذا وكفر قلنا لهـم وأخطأ أيضاً وكفر من قال أن أفعال المختار لم يخلقهـا ا تعالى ولا فرق فإن قالوا أن ا تعالى هو خـالق الطبيعـة والمطبوع الذين ينسبون الفعل إليهما فهو خالق ذلك الفعل قلنا لهم وا عز وجل هو خالق المختار وخالق اختياره وخـالق قوته وهم الذين ينسبون الفعل إليهم فهو عز وجل خالق ذلك الفعل ولا فرق.

قال أبو محمد: وهذا الذي ذكرنا من إضافة التـأثير وجميع الأفعال إلى كل من ظهرت منه من جماد أو عـرض أوحي أو ناطق أو غير ناطق فهو الذي تشهد به الشريعة وبه

جاء القرآن والسنن كلها وبه تشهد البينة لأنه أمر محسـوس مشاهد وبه تشهد جميع اللغات من جميع أهل الأرض قاطبة لا نقول لغة العرب فقط بل كل لغة لا نحاشي شيئاً منها وما كان هكذا فلا شيء أصح منه فإن قـالوا تسـمون الجمـاد والعرض كاسباً قلنا لا لأنا لا نتعدى ما جاءت به اللغة مـن أحال اللغة التي بها نزل القرآن برأيه فقد دخل في جملة من قال ا تعالى فيه: " يحرفون الكلم عن مواضـعه " ولحـق بالسوفسطائية في أبطالهم التفاهم ولو جاءت اللغة بذلك لقلناه كما نقول أن ا عز وجل فاعل ذلك ولا نسميه كاسباً فـإن قيل أتقولون أن الجمادات والعرض عامل قلنا نعم لأن اللغـة جاءت بذلك وبه نقول الحديد يعمل والحر يعمل في الأجسام وهكذا في غير ذلك فإن قيل أتقولـون للجمـاد والعـرض استطاعة وقوة وطاقة وقدرة قلنا إنما نتبع اللغة فقط فنقول إن الجمادات والأعراض قوى يظهر بها ما خلق ا تعالى فيها من الأفعال وفيها طاقة لها ولا نقول فيها قدرة ولا نمنع مـن أن نقول فيها طاقة قال ا تعالى: " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد " فنقول الحديد ذو بأس شديد وذو قوة عظيمة وذو طاقة وقد قلنا لكم لا نتعدى في التسمية والعبارة جملة ما جاءت به

اللغة ولا نتعدى في تسمية ا تعالى والخبر عنه ما جاء بـه القرآن ونص عليه رسول ا صلى ا عليه وسلم وهذا هو الذي صح به البرهان وما عداه فباطل وضلال وبا تعـالى التوفيق وأما اعتراضهم بهل الخلق هو الكسب أو غيره فنعم كسبنا لما ظهر منا وبطن وكل صنعنا وجميع أعمالنا وأفعالنا لذلك هو خلق عز وجل فينا كما ذكرنا لأن كل ذلك شيء وقال تعالى: " إنا كل شيء خلقناه بقدر " ولكننـا لا نتعـدى باسم الكسب حيث أوقعه ا تعالى مخبراً لنا بأننا نجزي بما كسبت أيدينا وبما كسبنا في غير موضع من كتابه ولا يحـل أن يقال أنه كسب تعالى لم يقله ولا أذن في قوله ولا يحل ان يقال أنها خلق لنا لأن ا تعالى لم يقله ولا أذن في قولـه لكن نقول هي خلق كما نص على أنه خالق كـل شـيء ونقول هي كسب لنا كما قال تعالى: " لها ما كسبت وعليهـا ما اكتسبت " ولا نسميه في الشريعة ولا فيما يخبر به عـن ا عز وجل لأن ا خالق الألسنة الناطقة بالأسماء وخـالق الأسماء وخالق المسميات حاشاه تعالى وخالق الهواء الـذي ينقسم على حروف الهجاء فتتركب منها الأسماء فإذا كانـت الأسماء مخلوقة والمسميات دونه تعالى مخلوقـة عـز

وجل والمسمون الناطقون بآلاتهم مخلوقين عز وجل فليس لأحد إيقاع اسم على مسمى لم يوقعه ا تعالى عليـه فـي الشريعة أو أباح إيقاعه عليه بإباحته الكلام باللغة التي أمرنا ا عز وجل بالتفاهم بها وبأن نتعلم بها ديننا ونعلمه بها وقد نص تعالى على هذا القول وقال منكراً على قوم أوقعوا اسماً على مسميات لم يأذن ا تعالى بها ولا بإيقاعها عليها: " إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل ا بهـا مـن سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جـاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى " فأخبر عز وجل ان من أوقع اسماً على مسمى لم يأت به نص بإيجابه أو بالإذن فيه بالشريعة أو بجملة اللغة فإنما يتبـع الظـن والظـن أكـذب الحديث وإنما يتبع هواه وقد حرم ا تعالى اتبـاع الهـوى وأخبر تعالى أن الهدى قد جاء من عنده وقال تعالى: " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " فلـيس لأحـد أن يتعدى القرآن والسنة اللذين هما هدى ا عـز وجـل وبـه التوفيق فصح ضرورة أنه ليس لأحد ان يقول أن أفعالنا خلق لنا ولا أن ها كسب عز وجل ولكن الحق الذي لا يجـوز خلافه هو أنها خلق تعالى كسب لنا كما جاء في هدى ا

الذي هو القرآن وقد بينـا أيضـاً أن الخلـق هـو الإبـداع والاختراع وليس هذا لنا أصلاً فأفعالنـا ليسـت خلقـاً لنـا والكسب إنما هو استضافة الشيء إلـى جاعلـه أو جامعـه بمشيئة ا وليس يوصف ا تعالى بهذا في أفعالنا فلا يجوز أن يقال هي كسب له تعالى وبه نتأيد وأيضاً فقد وافقونا كلهم على تسمية الباري تعالى بأنه خالق للأجسام وكلهـم حاشـا معمراً وعمرو بن بحر الجاحظ موافقون لنـا علـى تسـمية الباري تعالى بأنه خـالق للأعـراض كلهـا حاشـا أفعـال المختارين وكلهم ومعمر والجاحظ أيضاً موافقون لنـا علـى تسمية الباري تعالى بأنه خـالق الأمانـة والأحيـاء وكلهـم موافقون لنا على أنه تعالى إنما سمي خالقاً لكـل مـا خلـق لإبداعه إياه وكم يكن قبل ذلك فإذا ثبت بالبرهان اختراعـه تعالى لسائر الأعراض التي خالفونا فيها وجب أن يسمى خلقاً له عز وجل ويسمى هو تعالى خالقاً لها وأما اعتراضهم بأنه إذا كانت أفعالنا خلقاً تعالى وكان متوهماً منا ومسـتطاعاً عليه في ظاهر امرنا بسلامة جوارحنـا ان لا تكـون تلـك الأفعال فقد ادعينا أننا مستطيعون في ظاهر الأمر بسـلامة

الجوارح وأنه متوهم منا منع ا من أن يخلقها وهـذا كفـر مجرد ممن أجازه.

قال أبو محمد: وهذا لازم للمعتزلة على الحقيقة لا لنا لأنهم القائلون أنهم يقدرون ويستطيعون على الحقيقـة علـى ترك أفعالهم وعلى ترك الوطء الذي قد علم ا تعالى أنه لا بد أن يكون وأن يخلق منه الولد وعلى ترك الضرب الذي قد علم ا أنه لا بد ان يكون وأنه يكون منه الموت وانقضـاء الأجل المسمى عنده وعلى ترك الحرث والزرع الذي قد علم ا تعالى أنه لا بد أن يكون وأن يكون منه النبات الذي تكون منه الأقوات والمعاش فيلزمهم ولا بد أهم قادرون على منـع ا تعالى مما قد علم وقال أنه سيفعل.

قال أبو محمد: ومن بلغ هاهنا فلا بد أن يرجع إمـا تائباً محسناً إلى نفسه أو خاسئاً غاوياً مقاداً منقطعاً أو يتمادى على طرد قوله فيكفر ولا بد مع خلافـه لضـرورة الحـس والمشاهدة وضرورة العقل والقرآن وبا تعالى التوفيق وأما نحن فجوابنا ها هنا أننا لم نستطع قط على فعل ما لم يعلم ا أننا سنفعله ولا على ترك ما علم أننا نفعله ولا على فسخ علم ا تعالى أصلاً ولا على تكذيبه عز وجل في فعل ما أمـر

تعالى به وإن كنا في ظاهر الأمر نطلق ما أطلق الله تعالى من الاستطاعة التي لا يكون بها إلا ما علم الله تعالى أنه يكون ولا مزيد وهي استطاعة بإضافة لا استطاعة على الإطلاق لكن نقول هو مستطيع بصحة جوارحه أي أنه متوهم كون الفعل منه فقط فإن قالوا فأمركم الله تعالى بأن تكذبوا قوله وتبطلوا علمه إذ أمركم بفعل ما علم أنه لا تفعلونه قلنا عند تحقيق الأمر فإن أمره عز وجل لمن علم أنه لا يفعل ما أمر به أمر تعجيز كقوله: " قل كونوا حجارة أو حديداً " وكقوله: " من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ".

قال أبو محمد: وقد تحيرت المعتزلة هاهنا حتى قال بعضهم لو لم يقتل زيد لعاش وقال أبو الهذيل لو لم يقتل لمات وشغب القائلون بأنه لو لم يقتل لعاش بقول الله عز وجل " وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب " وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من سره أن ينسأ في أجله فليصل رحمه ".

قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه بـل هـو بظاهره حجة عليهم لأن النقص في اللغة التي بها نزل القرآن إنما هو من باب الإضافة وبالضرورة علمنا أن مـن عمـر ماية عام وعمر آخر ثمانين سنة فإن الذي عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاماً فهذا هـو ظـاهر الآيـة ومقتضاها على الحقيقة لا ما يظنه من لا عقل له من أن ا تعالى جار تحت أحكام عباده إن ضربوا زيداً أماته وإن لـم يضربوه لم يمته من أن علمه غير محقق فربما أعاش زيـداً ماية سنة وربما أعاشه أقل وهذا هو البداء بعينه ومعـاذ ا تعالى من هذا القول بل الخلق كله مصرف تحت أمر ا عز وجل وعلمه فلا يقدر أحد على تعدي ما علم ا تعـالى أن يكون ولا يكون البتة إلا ما سبق في علمه أن يكون والقتـل نوع من أنواع الموت فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل لكان يموت أو ليعيش فسؤاله سخيف لأن إنما يسأل لو لم يمت هذا الميت أكان يموت أو كان لا يموت وهذه حماقـة جـداً لأن القتل علة لموت المقتول كما أن الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الأمراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولا فـرق وأما قول رسول ا صلى ا عليه وسلم " من سره أن ينسأ

في أجله فليصل رحمه " فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وإنما معناه أن ا عز وجل لم يزل يعلم أن زيـ دأً سيصل رحمه وأن ذلك سبب إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا كل حي في الدنيا لأن من علم ا تعالى أنه سيعمره كذا وكذا من الدهر فإنه تعالى قد علم وقدر أنه سيتغدى بالطعـ ام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المـ دة التي لابد من استيفائها والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق في علم ا عز وجل كما هو لا يبدل قال تعالى: " ما يبدل القول لدي " ولو كان على غير هذا لوجب البداء ضرورة ولكـ ان غير عليم بما يكون متشككاً فيه لا يكون أم لا يكون وجاهلا به جملة وهذه صفة المخلوقين لا صفة الخالق وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذا.

قال أبو محمد: ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا قال ا تعالى عز وجل: " لو كنتم في بيوتكم لبرز الـ ذين كتـ ب عليهم القتل إلى مضاجعهم " وقال تعالى: " قل لـ ن يـ نفعكم الفرار أن فررتم من الموت أو القتل " وقال تعالى: " أينمـ ا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بـ روج مشـ يدة " وقـ ال تعالى منكر القول قوم جرت المعتزلة في ميدانهم: " الـ ذين

قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عـن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين " وقال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا ومـا قتلـوا ليجعل ا ذلك حسرة في قلوبهم وا يحيي ويميت " وقـال تعالى: " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن ا كتاباً مؤجلاً ".

قال أبو محمد: وهذه نصوص لا يبعد من ردها بعـد ان سمعها عن الكفر نعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: ومره بعضهم بأن ذكر قول ا تعالى " ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ".

قال أبو محمد: وهذه الآية حجة عليهم لأنـه تعـالى نص على أنه قضى أجلاً ولم يقل لشيء دون شيء لكن على الجملة ثم قال تعالى " وأجل مسمى عنـده " فهـذا الأجـل المسمى عنده هو الذي قضى بلا شك إذ لو كان غيره لكـان أحدهما ليس أجلاً إذا أمكن التقصير عنه أو مجاوزته ولكان الباري تعالى مبطلاً إذ سماه أجلاً وهذا كفر لا يقوله مسـلم وأجل الشيء هو ميعاده الذي لا يتعداه وإلا فليس يسمى أجلاً البتة ولم يقل تعالى أن الأجل المسمى عنده هو غير الأجـل

الذي قضى فأجل كل شيء منقضى أمره بالضرورة نعلم ذلك ويبين ذلك قوله تعالى: " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " وقال: " ولن يؤخر ا نفساً إذا جاء أجلهـا " وقد أخبرنا تعالى بذلك أيضاً فقال: " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن ا كتاباً مؤجلا " فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذي هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك وبا تعالى التوفيق وأما الأرزاق فإن ا تعالى أخبرنا فقال: " ا الذي خلقكـم ثـم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم " وقال تعالى: " وخلقناكم أزواجاً " فكل مال حلال فإنما نقول أنه تعالى رزقنا إياه وكل امـرأة حلال فإننا نقول أن ا تعالى زوجنا إياها أو ملكنا إياها وأما من أخذ مالاً بغير حق أو امرأة بغير حق فلا يجوز أن يقول أنه تعالى رزقنا إياه ولا أن ا تعالى ملكنا إيـاه ولا أن ا أعطانا إياه ولا أن ا تعالى زوجنا إياها ولا أن ا تعـالى ملكنا إياها ولا أنكحنا إياها لأن ا تعالى لم يطلـق لنـا أن نقول ذلك وقد قلنا أن ا تعالى له التسمية لا لنا لكن نقول أن ا ابتلانا بهذا المال وبهذه المرأة وامتحنا بهما وأضلنا بهمـا وخلق تملكنا إياهما ونكاحها لنا واستعمالنا إياهما ولا نقـول

أنه أطعمنا الحرام ولا أباح لنا الحرام ولا وهب لنا الحـرام ولا آتانا الحرام كما ذكرنا من التسمية وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وأما قولهم أليس إذا كانت أفعالكم لكم و تعالى فقد وجب أنكم شركاؤه فيها فالجواب وبا تعـالى التوفيق أن هذا من أبرد ما موهوا به وهو عائد عليهم لأنهم يقولون أنهم يخترعون أفعـالهم ويخلقونهـا وهـي بعـض الأعراض وأن ا تعالى يفعل سـائر الأعـراض ويخلقهـا ويخترعها فهذا هو عين الإشراك والتشبيه في حقيقة المعنى وهو الاختراع تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً وأما نحن فـلا يلزمنا إيجاب الشركة تعالى فيما قلنا لأن الإشراك لا يجب بين المشتركين إلا باتفاقهما فيما اشتركا فيه وبرهان ذلك أن أموالنا ملك لنا وملك عز وجل بإجماع منا ومنهم ولـيس ذلك بموجب أن تكون شركاؤه فيها لاختلاف جهات الملـك لأن ا تعالى إنما هو مالك لها لأنها مخلوقة له تعالى وهـو مصرفنا فيها وناقلها عنا وناقلنا عنها كيف شـاء ا تعـالى وهي ملكنا لأنها كسب لنا وملزمون إحكامهـا ومبـاح لنـا التصرف فيها بالوجوه التي أباحها ا تعالى لنا وأيضاً فنحن عالمون بأن محمداً رسول ا وا تعالى عالم بذلك ولـيس

ذلك موجباً لأن نكون شركاؤه في ذلك العلم لاختلاف الأمـر في ذلك لأن علمنا عرض محمول فينا وهو غيرنا وعلـم ا تعالى ليس هو غيره ومثل هذا كثير جداً لا يحصى في دهر طويل بل لا يحصيه مفصلاً إلا ا وحده لا شريك له فكيف لم يجب الاشتراك البتة بين ا تعالى وبيننا عندهم في هـذه الوجوه كلها ووجب أن يكون شـركاؤه فـي شـيء لـيس للاشتراك البتة فيه مدخل وهو خلقه تعالى لا فعال لنـا هـو فاعل لها بمعنى مخترع لها ونحـن فـاعلون لهـا بمعنـى ظهورها محمولة فينا وهذا خلاف فعل ا تعالى لها وقد قال بعض أصحابنا بأن الأفعال تعالى من جهة الخلق وهي لنا من جهة الكسب.

قال أبو محمد: وقد تذاكرت هذا مع شيخ طرابلسـي يكنى أبا الحسن معتزلي فقال لـي وللأفعـال جهـات وزاد بعضهم فقال أو ليست أعراضاً والعرض لا يحمل العـرض والصفة لا الصفة.

قال أبو محمد: وهذا جهل من قائله وقضية فاسدة من أهذار المتكلمين ومشاغلهم وقول يـرده القـرآن والمعقـول والإجماع من جميع اللغات والمشاهدة فأما القـرآن فـإن ا

تعالى يقول: " عذاب عظيم وعذاب أليم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر " وقال تعالى: " وأنبتها نباتاً حسناً " وقال تعالى: " إن كيد الشيطان كان ضعيفا " وقال تعالى: " ومكروا مكراً كبارا " وقال تعالى: " إن كيدكن عظيم " وقال تعالى: " وجاؤوا بسحر عظيم " وقال تعالى: " صفراء فاقع لونها " وقال تعالى: " قد بدت البغضاء من أفواههم " وقـال تعالى: " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصـالح يرفعـه " وقال تعالى: " وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم " وقـال تعالى: " اتبعوا ما أسخط ا " وقال تعالى: " فلما أضاءت ما حوله " وقال تعالى: " تلفح وجوههم النار " وقال تعـالى: " فأخذتكم الصاعقة " وقال تعالى: " مما تنبت الأرض " وقـال تعالى: " لما يتفجر منه الأنهار " وقال تعالى: " فيخرج منه الماء " وقال تعالى: " فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فـي الأرض وقال تعالى: " والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ".

قال أبو محمد: فوصف ا تعالى العـذاب بـالعظم وبالإيلام وبأن فيه أكبر وأدنى ووصف النبات بالحسن وكيد

الشيطان بالضعف وكيد النساء بالعظم والمكر بالكبر والسحر بالعظم واللون بالفقوع وذكر أن البغضاء تبـدو وأن الكـلام الطيب يصعد إليه تعالى وأن الأعمال الصالحة ترفع الكـلام الطيب وأن الظن يردي وأن الردي يسخط ا تعالى ومثـل هذا في القرآن وسنن رسول ا صلى ا عليه وسلم أكثـر من أن يجمع إلا في جزء ضخم فكيف يساعد امـرأ مسـلما لسانه على إنكار شيء من هذا بعد شهادة ا عز وجل بمـا ذكرنا وأما إجماع اللغات فكل لغة لا ينكر أحد فيهـا القـول بصورة حسنة وصورة قبيحة وحمرة مشرقة وحمرة مضيئة وحمرة كدرة ولا يختلف أحد من أهل الأرض في أن يقـول لي صف عمل فلان وهذا عمل موصوف وصفة عمل كـذا وكذا وهذا هو الذي أنكروا بعينه وهو أكثر من أن يحصـى وأما الحس والعقل والمعقول فبيقين يدري كـل ذي فهـم أن الكيفيات تقبل الأشد والأضعف هذه خاصة الكيفية التي توجد في غيرها وكل هذا عرض يحمل عرضـاً وصـفة تحمـل صفة.

قال أبو محمد: وقد عارضني بعضهم في هذا فقال لو أن العرض يحمل العرض لحمل ذلك العرض عرضاً آخـر

وهكذا أبداً وهذا يوجب وجود أعراض لا نهاية لهـا وهـذا باطل.

قال أبو محمد: فقلت أن المشاهدات لا تـدفع بهـذه الدعوة الفاسدة وهذا الذي ذكرت لا يلزم لأننا لم نقل أن كـل عرض فواجب أن يحمل أبداً لكنا نقول أن من الأعراض ما يحمل الأعراض كالذي ذكرنا ومنها ما لا يحمل الأعـراض وكل ذلك جار على ما رتبه ا عز وجل وعلى ما خلقه وكل ذلك له نهاية تقف عندها ولا يزيد ونحن إذا وجد فيما بيننـا جسم يزيد على جسم آخر زيادة ما في طولـه أو عرضـه فليس يجب من ذلك أن الزيادة موجودة إلى ما لا نهايـة لـه لكن تنتهي الزيادة إلى حيث رتبها ا عز وجل وتقف وإنما العلم كله معرفة الأشياء على ما هي عليه فقط ونقـول لهـم أتخالف حمرة التفاحة حمرة الخوخة أم لا فلا بد لهم مـن أن يقروا بأنها قد تخالفها في صفة ما إلا ان ينكروا العيان فنقول لهم أتخالف الحمرة الصفرة أم لا فلا بد أيضاً من نعم فنقول لهم أخلاف الحمرة للحمرة هو خلاف الحمرة للصـفرة أم لا فلا بد من لا ولو قالوا نعم للزمهم أن الصفرة هي الحمرة إذا كانت الصفرة لا تخالفها الحمرة إلا بما تخالف فيه الحمـرة

الحمرة الأخرى والخضرة فإذاً في الحمرة والصفرة صفتان بهما يختلفان غير الصفة التي بها تخالف الحمرة الحمرة الأخرى والخضرة فقد صح يقيناً أن الصفة قد تحمل الصفة وأن العرض قد يحمل العرض لضرورة المشاهدة على حسب ما رتبه ا تعالى وكل ذلك ذو نهاية ولا بد وتحقيق الكلام في هذه المعاني وتناهيها هو أن العالم كله جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد والجوهر أجناس وأنواع والعرض أجناس وأنواع والأجناس محصورة ببراهين قد ذكرناها في كتاب التقريب عمدتها أن الأجناس أقل عدداً من الأنواع المنقسمة تحتها بلا شك والأنواع أكثر عدداً من الأجناس إذ لا بد من ان يكون تحت كل جنس نوعان أو أكثر من نوعين والكثرة والقلة لا يقعان ضرورة إلا في ذي نهاية من مبدأه ومنتهاه لأن ما لا نهاية له فلا يمكن أن يكون شيء أكثر منه ولا أقل منه ولا مساوياً له لأن هذا يوجب النهاية ولا بد فالعالم إذاً ذو نهاية لأنه ليس شيئاً غير الأجناس والأنواع التي للجواهر والأعراض فقط والمعاني إنما هي للأشياء المعبر عنها بالألفاظ فقط فإذ هذا كما ذكرنا فإنما نقيس الأشياء بصفاتها التي تقوم منها حدودها مثل أن نقول

ما الإنسان فنقول جسم ملون ونفس فيـه تمكـن أن تكـون متصرفة في العلوم والصناعات يقبل الحياة والموت فيقال ما الجسم وما النفس وما اللون وما الصناعات وما العلوم ومـا الحياة وما الموت فإذا فسرت جميع هذه الألفاظ ورسمت كل ما يقع عليه وفعلت كذلك في جميع الأجناس والأنـواع فقـد انتهت المعاني وانقطعت ولا سبيل إلى التمادي بـلا نهايـة أصلاً لأن كل ما ينطق به أو يعقل فإنه لا يعـدو الأجنـاس والأنواع البتة والأنواع والأجناس محصورة كما بينا وكل ما خرج من الأشخاص إلى حد الفعل فقد حصره العدد لأنه ذو مبدأ وكل ما حصره العدد فمتناه ضرورة فجميع المعاني من الأعراض وغيرها محصورة بما ذكرنا من البرهان الصحيح الذي ذكرنا أن كل ما في العلم مما خرج إلى الوجـود فـي الدهر مذ كان العالم من جنس أو عرض فهو كله محصـور عدده متناه أمده ذو غاية في ذاته في مبدأه ومنتهـاه وعـدده وبا التوفيق وقد نعجز نحن عن عد شعور أجسامنا ونـوقن أنها ذات عدد متناه بلا شك فليس قصور قولنا عن إحصـاء عدد ما في العالم بمعترض على وجوب وجود النهايـة فـي جميع أشخاص جواهره وأعراضه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وأما قولهم إذا كان فعلنا خلقاً عـز وجل ثم عذبنا عليه فإنما عذبنا على خلقه فـالجواب وبـا تعالى التوفيق أن هذا لا يلزم ولو لزمنا للزمهم إذا كان تعالى يعذبنا على إرادتنا وحركتنا الواقعتين منا أن يعـذبنا علـى حركة لنا أو على كل إرادة لنا بل على كل حركة في العـالم وعلى كل إرادة فإن قالوا لا يعذبنا إلا على حركتنا وإرادتنـا الواقعين منا بخلاف أمره عز وجل وكذلك نقول نحن أنه لا يعذبنا إلا على خلقه فينا الذي هو ظاهر منا بخـلاف أمـره وهو منسوب إلينا ومكتسب لنا لإيثارنا إياه المخلوق فينا فقط لا على كل ما خلق فينا أو في غيرنا ولا فرق ولو أخبرنـا تعالى أنه يعذبنا على ما خلق في غيرنا لقلنا به ولصدقناه كما نقر أنه يعذب أقواماً على ما لم يفعلوه قط ولا أمروا به لكن على ما يفعله غيرهم ممن جاء بعدهم بألف عام لأن أولئـك كانوا أول من فعل مثل ذلك الفعل قال ا تعالى: " وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم " وقال تعالى حاكياً عن أحد ابنـي آدم عليه السلام أنه قال: " إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمـك فتكون من أصحاب النار " وقال تعالى: " ليحملوا أوزارهـم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علـم ألا

ساء ما يزرون " وليس هذا معارضاً لقوله تعالى: " وما هـم بحاملين من خطاياهم من شيء " بل كلا الآيتين متفقـة مـع الأخرى لأن الخطايا التي نفى ا عز وجل أن يحملها أحـد عن أحد بمعنى أن يحط حمل هذا لها من عذاب العامل بها شيئاً فهذا لا يكون لأن ا عز وجل نفاه وأما الحمـل لمثـل عقاب العامل للخطيئة مضاعفاً زائداً إلى عقابه غير حاط من عقاب الآخر شيئاً فهو واجب موجود وكذلك أخبرنا رسـول ا صلى ا عليه وسلم أن من سن سنة في الإسـلام سـيئة كان عليه مثل وزر من عمل بها أبداً لا يحـط ذلـك مـن أوزارهم العاملين لها شيئاً ولو أن ا تعالى أخبرنا أنه يعذبنا على فعل غيرنا دون أن نسنه وإنه يعذبنا على غيـر فعـل فعلناه أو على الطاعة لكان كل ذلك حقـاً وعـدلاً ولوجـب التسليم له ولكن ا تعالى وله الحمد قد آمننا من ذلك بقولـه تعالى: " لا يضركم من ضل إذا أهتديتم " ولحكمه تعالى أننا لا نجزي إلا بما عملنا أو كنا مبتدئين له فآمنا ذلك و تعالى الحمد وقد أيقنا أيضاً أنه تعالى يأجرنا على ما خلق فينا مـن المرض والمصائب وعلى فعل غيرنا الذي لا أثر لنـا فيـه كضرب غيرنا لنا ظلماً وتعذيبهم لنا وعلى قتل القاتل لمـن

قتل ظلماً وليس هاهنا من المقتول صبر ولا عمل أصلاً فإنما أجر على فعل غير مجرداً إذا أحدثه فيه وكذلك مـن أخـذ غيره ماله والمأخوذ ماله لا يعلم بذلك إلى أن مات فأي فرق بين أن يأجرنا على فعل غيرنا وعلى فعله تعالى في إحراق مال من لم يعلم باحتراق ماله وبين أن يعذبنا على ذلـك لـو شاء عز وجل وأما قولهم فرض ا عز وجل الرضى بمـا قضى وبما خلق فإن كان الكفر والزنا والظلـم ممـا خلـق ففرض علينا الرضى بذلك فجوابنا إن ا عز وجل لم يلزمنا قط الرضا بما خلق وقضى بكل ما ذكر بل فرض الرضـى بما قضى علينا من مصيبة في نفس أو فـي مـال مظهـر تمويههم بهذه الشبهة.

قال أبو محمد: فإن احتجوا بقول ا عز وجل: " ما أصابك من حسنة فمن ا وما أصابك من سيئة فمن نفسك " فالجواب أن يقال لهم وبا تعالى التوفيق إن هذه الآية أعظم حجة على أصحاب الأصلح وهم جمهور المعتزلة في ثلاثـة أوجه وهي حجة على جميع المعتزلة في وجهين لأن في هذه الآية إن ما أصاب الإنسان من حسنة فمن ا وما أصابه من سيئة فمن نفسه وهم كلهم لا يفرقون بين الأمرين بل الحسن

والقبيح من أفعال المرء كل ذلك عنده من نفس المرء لا خلق ا تعالى في شيء من فعله لا حسنة ولا قبيحة فهـذه الآيـة مبطلة لقول جميعهم في هذا الباب والوجه الثاني إنهم كلهـم قائلون إنه لا يفعل المرء حسنة ولا قبيحـة البتـة إلا بقـوة موهوبة من ا تعالى مكنة بها مـن فعـل الخيـر والشـر والطاعة والمعصية تمكيناً مستوياً وهي الاسـتطاعة علـى اختلافهم فيها فهم متفقون على أن البـاري تعـالى خالقهـا وواهبها كانت نفي المستطيع أو بعضها أوعرضا فيه وفـي هذه الآية فرق بين الحسن والسيء كما ترى وأمـا الوجـه الثالث الذي خالف فيه القائلون بالأصلح خاصة هـذه الآيـة فإنهم يقولون أن ا تعالى لم يؤيد فاعل الحسنة بشيء مـن عنده تعالى لم يؤيد به فاعل السيئة والآية مخبرة بخلاف ذلك فصارت الآية حجة عليهم ظاهرة مبطلة لقولهم وأمـا قولنـا نحن فيها فهو ما قاله ا عز وجل إذ يقول متصلاً بهذه الآية دون فصل: " قل كل من عند ا فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن ا وما أصابك مـن سيئة فمن نفسك ثم قال تعالى بأثر ذلك بعد كلام يسير: " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافاً

كثيراً " فصح بما ذكرنا أن كل هذا الكلام متفق لا مختلـف فقدم ا تعالى أن كل شيء من عنده فصح بالنص أنه تعالى خالق الخير والشر وخالق كل ما أصاب الإنسان ثـم أخبـر تعالى ما أصابنا من حسنة فمن عنده وهذا هو الحق لأنه لا يجب لنا تعالى عليه شيء فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لاشيء لنا فيه وإحسان منه إلينا لن نستحقه قـط عليـه وأخبر عز وجل أن ما أصابنا من مصيبة فمن أنفسنا بعد أن قال إن الكل من عند ا تعالى فصح أننا مستحقون بالنكـال لظهور السيئة منا وإننا عاصون بذلك كما حكم علينا تعـالى فحكمه الحق والعدل ولا مزيد وبا تعالى التوفيق فإن قـالوا فإذا كان ا خالقكم وخالق أفعالكم فأنتم والجمادات سواء قلنا كلا لأن ا تعالى خلق فينا علماً تعرف به أنفسـنا الأشـياء على ما هي عليه وخلق فينا مشيئة لكل ما خلق فينـا ممـا يسمى فعلاً لنا فخلق فيه استحسان ما يستحسنه واستقباح ما يستقبحه وخلق تصرفاً في الصناعات والعلوم ولم يخلق فـي الجمادات شيئاً من ذلك فنحن مختارون قاصـدون مريـدون مستحسنون أو كارهون متصرفون علماً بخلاف الجمـادات فإن قيل فأنتم مالكون لأمـوركم مفـوض إلـيكم أعمـالكم

مخترعون لأفعالكم قلنا لا لأن الملك والاختراع لـيس هـو لأحد غير ا تعالى إذ الكل مما في العالم مخترع له وملـك له عز وجل والتفويض فيه معنى من الاسـتغناء ولا غنـي بأحد عن ا عز وجل وبه نتأيد.

قال أبو محمد: فإذ قد أبطلنا بحول ا تعالى وقوتـه كل ما شغب به المعتزلة في أن أفعال العباد غير مخلوقة تعالى فلنأت ببرهان ضروري إن شاء ا تعالى على صحة القول بأنها مخلوقة تعالى فنقول وبه عز وجـل نتأيـد أن العالم كله مادون ا تعالى ينقسم قسمين جوهر وعـرض لا ثالث لهما ثم ينقسم الجوهر إلى أجناس وأنواع ولكـل نـوع منها فصل يتميز به مما سواه من الأنواع التي يجمعها وإياه جنس واحد وبالضرورة نعلم أن ما لزم كل ما تحته إذ محال أن تكون نار غير حارة أو هواء راسـب بطبعهـأو إنسـان جهال بطبعه وما أشبه هذا ثم بالضرورة نعلم أن الإنسان لا يفعل شيئاً إلا الحركة والسكون والفكر والإرادة وهذه كلهـا كيفيات يجمعها مع اللون والطعم والمجسة والأشكال جـنس الكيفية فمن المحال الممتنع أن يكون بعض ما تحت النـوع الواحد والجنس الواحد مخلوقاً وبعضه غير مخلوق وهذا أمر

يعلمه باطلاً من له أدنى علم بحدود العالم وانقسامه وحركتنا وسكوننا يجمع كل ذلك مع كل حركة في العالم وكل سـكون في العالم نوع من الحركة ونوع من السكون ثم ينقسـم كـل ذلك قسمين ولا مزيد حركة اضطرارية وحركـة اختياريـة وسكوناً اختيارياً وسكوناً اضطرارياً وكل ذلك حركـة تحـد بحد الحركة وسكون يحد بحد السكون ومن المحال أن يكون بعض الحركات مخلوقاً تعالى وبعضـها غيـر مخلـوق وكذلك السكون أيضاً فإن لجؤوا إلى قول معمر في أن هـذه الأعراض كلها فعل ما ظهرت فيه بطباع ذلك الشيء سـهل أمرهم بعون ا تعالى وذلك أنهم إن أقـروا أن ا تعـالى خالق المطبوعات ومرتب الطبيعة على ما هي عليـه فهـو تعالى خالق بل ظهر منها لأنه تعالى هو رتب كونه وظهوره على ما هو عليه رتبة لا يوجد بخلافها وهذا هو الخلق بعينه ولكنهم قوم لا يعلمون كالمتكسع في الظلمـات وكمـا قـال تعالى: " كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم علـيهم قـاموا " نعوذ با من الخذلان وأيضاً فإن نوع الحركات موجود قبل خلق الناس فمن المحال البين أن يخلق المرء ما قد كان نوعه موجوداً قبله وأيضاً فإن عمدتهم في الاحتجاج على القـائلين

بأن العالم لم يزل إنما هـي مقارنـة الأعـراض للجـواهر وظهور الحركات ملازمة للمتحرك بها فإذا كان ذلك دلـيلاً باهراً على حدوث الجواهر وأن ا تعالى خلقها فما المـانع أن يكون ذلك دليلاً باهراً أيضاً على حدوث الأعـراض وأن ا تعالى خلقها لولا ضعف عقول القدرية وقلة علمهم نعـوذ با مما امتحنهم به ونسأله التوفيق لا إله إلا هو وأيضاً فإن ا تعالى قال: " إذاً لذهب كل إله بما خلق " فأثبت تعالى من خلق شيئاً فهو له إله فيلزمهم بالضرورة إنهم آلهة لأفعـالهم التي خلقوها وهذا كفر مجرد إن طردوه وإلا لزمهم الانقطاع وترك قولهم الفاسد وأيضاً فإن من خلق شيئاً لم يعنه غيـره عليه لكن انفرد بخلقه فبالضرورة يعلم أنه يصرف ما خلـق كما يفعله إذا شاء ويتركه إذا شاء ويفعلـه حسـناً إذا شـاء وقبيحاً إذا شاء فإذ هم خلقوا حركاتهم وإرادتهـم منفـردين بخلقها فليظهروها إلى أبصارنا حتى نراهـا أو نلمسـها أو ليزيدوا في قدرها وليخالفوها عن رتبتها فإن قالوا لا نقـدر على ذلك فليعلموا انهم كاذبون في دعاويهم خلقها لأنفسـهم فإن قالوا: إنما نفعلها كما قوانا ا على فعلها فليعلموا أن ا تعالى إذاً هو المقوي على فعل الخير والشر فإن به عز وجل

كان الخير والشر وإذ لولا هو لم يكن خير ولا شر وبه كانا فهو كونهما وأعان عليهما وأظهرهما واخترعهما وهذا معنى خلقه تعالى لهما وبا تعالى التوفيق ومن البرهـان أن ا تعالى خالق أفعال خلقه قوله تعالى حاكياً عن سحرة فرعون مصدقاً لهم مثنياً عليهم في قلوهم: " ربنا أفرغ علينا صبراً " فصح أنه خالق ما يفرغه من الصبر الذي لو لم يفرغه على الصابر لم يكن له صبر وأيضاً فإن جنس الحركـات كلهـا والسكون كله والمعارف كلها جنس واحد وكل ما قيل عـن الكل قيل على جميع أجزائه وعلى كل بعض مـن أبعاضـه فنسألهم عن حركات الحيوان غير الناطق وسكونه ومعرفتـه بما يعرف من مضاره ومنافعه في أكله وشربه وغير ذلـك أكل ذلك مخلوق تعالى أم هو غير مخلوق فإن قالوا كـل ذلك مخلوق كانوا قد نقضوا هذه المقدمات التي يشهد العقـل والحس بتصديقها وظهر فساد قولهم في التفريق بين معرفتنا ومعرفة سائر الحيوان وبين حركاتنا وبين حركـات سـائر الحيوان وبين سكوننا وسكونهم وهذه مكابرة ظاهرة ودعـوة بلا برهان وإن قالوا بل كل ذلك غير مخلوق ألزمناهم مثـل ذلك في سائر الأعضاء كلها فإن تناقضوا كفونا أنفسـهم وإن

تمادوا لزمهم أنه تعالى لم يخلق شيئاً من الأعـراض وهـذا إلحاد ظاهر وإبطال للخالق وكفى بهذا إضلالاً ونعوذ با من الخذلان ويكفي من هذا أن الأعراض تجري علـى صـفات الفاعل ونحن نجد الحكيم لا يقدر على الطيش والبـذاء وإن الطياش البذيء لا يقدر على الحياء والصبر والسيء الخلـق لا يقدر على الحلم والحليم لا يقدر على النزق والسـخي لا يقدر على المنع والشحيح لا يقدر على الجود وقال تعالى: " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحـون " فصـح أن مـن الناس موقى شح نفسه مفلحاً وغير موقي ولا مفلح وكـذلك الزكي لا يقدر على البلادة والبليد لا يقدر على الزكا والحافظ لا يقدر على النسيان والناسي لا يقدر علـى ثبـات الحفـظ والشجاع لا يقدر على الجبن والجبان لا يقدر على الشجاعة هكذا في جميع الأخلاق التي عنها تكون الأفعال فصـح ان ذلك خلق تعالى لا يقدر المرء على إحالة شيء من ذلـك أصلاً حتى أن مخرج صوت أحدنا وصفة كلامـه لا يقـدر البتة على صرفه كما خلق عليه مـن الجهـارة والخفـاء أو الطيب والسماحة وكذلك خطه لا يمكنه صرفه عما رتبه ا تعالى عليه ولو جهد وهكذا جميع حركات المرء حتى وقـع

قدميه ومشيه فلو كان هو خالق كل ذلك لصرفه كمـا يشـاء فإذا ليس فيه قوة على صرف شيء من ذلك عن هيئته فقـد ثبت ضرورة أنه خلق ا تعالى فيمن نسب في اللغة على أنه فاعله وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وأكثرت المعتزلة في التولد وتحيرت فيه حيرة شديدة فقالت طائفة ما يتولد عن فعل المـرء مثـل القتل و الألم المتولد عن رمي السهم وما أشبه ذلك فإنه فعل ا عز وجل وقال بعضهم بل هو فعل الطبيعة وقال بعضهم بل هو فعل الذي فعل الفعل الذي عنه تولد وقال بعضهم فعل لا فاعل له وقال جميع أهل الحق أنه فعـل ا عـز وجـل وخلقه فالبرهان في ذلك هو البرهان الذي ذكرنا فـي خلـق الأفعال من أن ا تعالى خالق كل شيء وبا تعالى التوفيق.

الكلام في التعديل والتجوير

قال أبو محمد رحمه ا : هذا الباب هو أصل ضلالة المعتزلة نعوذ با من ذلك على أننا رأينا منهم من لا يرضى عن قولهم فيه.

قال أبو محمد: وذلك أن جمهورهم قالوا وجدنا مـن فعل الجور في الشاهد كان جائراً ومن فعل الظلم كان ظالماً ومن أعان فاعلاً على فعله ثم عاقبه عليه كان جائراً عابثـاً قالوا والعدل من صفات ا تعالى والظلم والجور منفيان عنه قال تعالى: " وما ربك بظلام للعبيد " وقال تعالى: " وما ربك بظلام للعبيد " وقال تعالى: " وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " وقال تعالى فما كان ا ليظلمهم " وقال تعالى " لا ظلم اليوم ".

قال أبو محمد: وقد علم المسلمون أن ا تعالى عدل لا يجور ولا يظلم ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ولكن ليس هذا على ما ظنه الجهال مـن أن عقـولهم حاكمة على ا تعالى في أن لا يحسن منه إلا مـا حسـنت عقولهم وأنه يقبح منه تعالى ما قبحت عقولهم وهذا هو تشبيه

مجرد تعالى بخلقه إذ حكموا عليه بأنه تعالى يحسن منه ما حسن منا ويقبح منه ما قبح منا ويحكم عليه في العقـل بمـا يحكم علينا.

قال أبو محمد: وهذا مذهب يلزم كل من قال لما كان الحي في الشاهد لا يكون إلا بحياة وجب أن يكـون البـاري تعالى حياً بحياة وليس بين القولين فرق وكلاهما لازم لمـن التزم أحدهما وكلاهما ضلال وخطأ وإنما الحق هو أن كل ما فعله ا عز وجل أي شيء كان فهو منه عـز وجـل حـق وعدل وحكمة وإن كان بعض ذلك منا جوراً وسفهاً وكل ما لم يفعله ا عز وجل فهو الظلم والباطل والعبث والتفـاوت وأما أجراؤهم الحكم على البارئ تعالى بمثل ما يحكـم بـه بعضنا على بعض فضلال بين وقول سبق له أصـل عنـد الدهرية وعند المنانية وعند البراهمة وهو أن الدهرية قالـت لما وجدنا الحليم فيما بيننا لا يفعل إلا لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة ووجدنا من فعله ما لا فائدة فيه فهو عابث هذا الشيء لا يعقل غيره قالوا ولما وجدنا في العالم ضراً وشراً وعبثاً وأقذاراً ودوداً وذباباً ومفسدين انتفى بذلك أن يكون له فاعـل حكيم وقالت طائفة منهم مثل هذا سواء بسواء إلا أنهم زادوا

فقالوا علمنا بذلك أن للعالم فاعلاً سفيهاً غير البـاري تعـالى وهو النفس وأن الباري الحكيم خلاها تفعل ذلك ليريها فسـاد ما تخيلته فإذا استبان ذلك لها أفسده الباري الحكـيم تعـالى حينئذ وأبطله ولم تعد النفس إلى فعل شيء بعدها.

قال أبو محمد: وأبطال هذا القول يثبت ما يبطل بـه قول المعتزلة سواء بسواء ولا فرق وقالت المنانية بمثل مـا قالت الدهرية سواء بسواء إلا أنها قالت ومن خلق خلقاً ثـم خلق من يضل ذلك فهو ظالم عابث ومن خلق خلقاً ثم سـلط بعضهم على بعض وأغرى بين طائع خلقه فهو ظالم عابـث قالوا فعلمنا أن خالق الشر وفاعله هو غير خالق الخير.

قال أبو محمد: وهذا نص قـول المعتزلـة إلا أنهـا زادت قبحاً بأن قالت أن ا تعالى لم يخلق من أفعال لا خيراً ولا شراً وأن خالق الأفعال الحسنة والقبيحة هـو غيـر ا تعالى لكن كل أحد يخلق فعل نفسه ثم زادت تناقضاً فقالت أن خالق عنصر الشر هو إبليس ومردة الشياطين وفعله كل شر وخالق طباعهم على تضادها هو ا تعالى وقالت البراهمـة أن من العبث وخلاف الحكمة ومن الجور البين أن يعـرض

ا تعالى لما يعلم انهم يعطبون عنده ويستحقون العـذاب أن وقعوا فيه يريدون بذلك إبطال الرسالة والنبوات كلها.

قال أبو محمد: وبالضرورة تعلم أنه لا فرق بين خلق الشر وبين خلق القوة التي لا يكون الشر إلا بها ولا بين ذلك وبين خلق من علم ا عز وجل أنه لا يفعل إلا الشر وبـين خلق إبليس وأنظاره إلى يوم القيامة وتسليطه علـى إغـواء العباد وإضلالهم وتقويته على ذلك وتركهم يضـلهم إلا مـن عصم ا منهم فإن قالوا أن خلق ا تعالى إبليس وقوى الشر وفاعل الشر خير وعدل وحسن صدقوا وتركوا أصلهم الفاسد ولزمهم الرجوع إلى الحق في أن خلقه تعالى للشر والخيـر ولجميع أفعال عباده وتعذيبه من شاء منهم ممـن لـم يهـده وإضلاله من أضله وهداه من هدى كل ذلـك حـق وعـدل وحسن وإن أحكامنا غير جارية عليه لكن أحكامـه جاريـة علينا وهذا هو الحق الذي لا يخفى إلا على مـن أضـله ا تعالى نعوذ با من إضلاله لنا ولا فرق بـين شـيء ممـا ذكرناه في العقل البتة وبرهان ضروري.

قال أبو محمد: يقال لمن قال لا يجوز أن يفعـل ا تعالى إلا ما هو حسن في العقل منا ولا أن يخلق ويفعل مـا

هو قبيح في العقل في ما بينا منا يا هؤلاء إنكم أخذتم الأمـر من عند أنفسكم ثم عكستموه فمعظم غلطكم وإنما الواجب إذ أنتم مقرون بأن ا تعالى لم يزل واحداً وحده ليس معه خلق أصلاً ولا شيء موجود لا جسم ولا عرض ولا جـوهر ولا عقل ولا معقول ولا سفه ولا غير ذلك ثم أقررتم بلا خلاف منكم انه خلق النفوس وأحدثها بعد ان لم تكـن وخلـق لهـا العقول وركبها في النفوس بعد ان لم تكن العقول البتة أن لا تحدثوا على الباري تعالى حكماً لازماً له من قبل بعض خلقه فليس في الجنون أفحش من هذا البتة ثم أخبرونا إذا كان ا وحده لا شيء موجود معه ففي أي شـيء كانـت صـورة الحسن حسنة وصورة القبيح قبيحة وليس هنالك عقل أصـلاً يكون فيه الحسن حسناً والقبيح قبيحاً ولا كانت هنالك نفـس عاقلة أو غير عاقلة فيقبح عندها القبيح ويحسن الحسن فبأي شيء قام تحسين الحسن وتقبيح القبيح وهما عرضان لا بـد لهما من حامل ولا حمل أصلاً ولا محمول ولا شيء حسـن ولا شيء قبيح حتى أحدث ا تعالى النفوس وركـب فيهـا العقول المخلوقة وقبح فيها على قولكم ما قبح وحسـن فيهـا على قولكم ما حسن فإذ لا سبيل إلى أن يكون مـع البـاري

تعالى في الأزل شيء موجود أصلاً قبيح ولا حسن ولا عقل يقبح فيه شيء أو يحسن فقد وجب يقيناً ألا يمتنع من قدرة ا تعالى وفعله شيء يحدثه لقبح فيه ووجب ألا يلزمـه تعـالى شيء لحسنه إذ لا قبح ولا حسـن البتـة فيمـا لـم يـزل فبالضرورة وجب أن ما هو الآن عندنا قبيح فإنه لم يقبح بلا أول بل كان لقبحه أول لم يكن موجوداً قبله فكيف أن يكـون قبيحاً قبله وكذلك القول في الحسن ولا فرق ومـن المحـال الممتنع جملة أن يكون ممكناً أن يفعل الباري تعـالى حينئـذ شيئاً ثم يمتنع منه فعله بعد ذلك لأن هذا يوجب إمـا تبـدل طبيعة وا تعالى منزه عن ذلك وأما حـدوث حكـم عليـه فيكون تعالى متعبداً وهذا هو الكفر السخيف نعوذ با منـه فإن قالوا لم يزل القبيح قبيحاً في علم ا عز وجل ولم يـزل الحسن حسناً في علمه تعالى قلنا لهم هبكم أن هذا كما قلـتم فعليكم في هذا حكمان مبطلان لقولكم الفاسد أحـدهما أنكـم جعلتم الحكم في ذلك لما في المعقول لا لما سبق في علم ا عز وجل فلم تجعلوا المنع من فعل ما هو قبيح عندكم ألا لأن العقول قبحته فأخطأتم في هذا والثاني أنه تعالى أيضاً لم يزل يعلم أن الذي يموت مؤمناً فإنه لا يكفر ولم يزل تعالى يعلـم

أن الذي يموت كافراً لا يؤمن فلم جوزتم قدرته على إحالة ما علم من ذلك وتبديله ولم تجوزوا قدرته تعالى على إحالة مـا علم حسناً إلى القبح وإحالة ما علم قبيحاً إلى الحسن ولا فرق بين الأمرين أصلاً فإذا ثبت ضرورة أنه لا قـبح لعينـه ولا حسن لعينه البتة وانه لا قبيح إلا ما حكم ا تعالى بأنه قبيح ولا حسن إلا ما حكم بأنه حسن ولا مزيد وأيضاً فإن دعواكم أن القبيح لم يزل قبيحاً في علم ا تعالى ما دليلكم على هـذا بل لعله تعالى لم يزل عليماً بأن أمر كذا يكون حسناً برهـة من الدهر ثم يقبحه فيصير قبيحاً إذا قبحه لا قبل ذلـك كمـا فعل تعالى بجميع الملل المنسوخة وهذا أصـح مـن قـولكم لظهور براهين هذا القول وبا التوفيق ولم يـزل سـبحانه وتعالى عليماً أن عقد الكفر والقول به قبـيح مـن العبـد إذاً فعلهما معتقداً لهما لأن ا قبحهما لا لأنهما حركة أو عرض في النفس وهذا هو الحق لظهور براهين هذا أيضـاً لا لأن ذلك قبيح لعينه ويقال لهم أيضاً أخبرونا من حسن الحسن في العقول ومن قبح القبح في العقول فإن قالوا ا عز وجل قلنا لهم أفكان ا تعالى قادر على عكس تلك الرتبة إذ رتبها على أن يرتبها بخلاف ما رتبها عليه فيحسن فيها القبـيح ويقـبح

فيها الحسن فإن قالوا نعم أوجبوا أنه لم يقبح شيء إلا بعد ان حكم ا تعالى بقبحه ولم يحسن شيء إلا بعـد ان حكـم ا تعالى بحسنه وأنه كان له تعالى أن يفعل بخلاف ما فعل وله ذلك الآن وأبداً وبطل أن يكون تعالى متعبداً لنفسه وموجبـاً عليه ما يكون ظالماً مذموماً إن خالفه وإن قالوا لا يوصـف تعالى بالقدرة على ذلك عجزوا ربهم تعالى ولـزمهم القـول بمثل قول علي الأسواري من أنه تعالى لا يقدر على غير ما فعل فحكم هذا الردي الدين والعقل بأنه أقدر من ربه تعـالى وأقوى لأنه عند نفسه الخسيسة يقدر على ما فعل وعلى ما لم يفعل وربه تعالى لا يقدر إلا على ما فعل ولو علم المجنـون أنه جعل ربه من الجمادات المضطرة إلى ما يبدو منهـا ولا يمكن أن يظهر منها غير ما يظهر لسـخنت عينـه ولطـال عويله على عظيم مصيبته نعوذ با من الخذلان ومن عظـم ما حل بالقدرية المتنطعين بالجهل والعمى والحمد علـى توفيقه إيانا حمداً كثيراً كما هو أهله.

قال أبو محمد: ويقال لهم هبكم شنعتم في القبيح بأنه قبيح فلم نفيتم عن ا عز وجل خلق الخير كله وخلق الحسن كله فقلتم لم يخلق ا تعالى الإيمان ولا الإسلام ولا الصـلاة

ولا الزكاة ولا النية الحسنة ولا اعتقاد الخير ولا إيتاء الزكاة ولا الصدقة ولا البر لأن خلق هذا قبيح أم كيف الأمر فبـأن تمويهكم بذكر خلق الشر وأنتم قد استوى عندكم الخير والشر في أن ا تعالى لم قال أبو محمد: وقرأت في مسائل لأبـي هشام عبد السلام ابن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي رئيس المعتزلة وابن رئيسهم كلاماً له يردد فيه كثيـراً دون حياء ولا رقبة يجب على ا أن يفعل كذا كأنـه المجنـون يخبر عن نفسه أو عن رجل من عرض الناس فليت شـعري أما كان له عقل أو حس يسائل به نفسه فيقول ليت شـعري من أوجب على ا تعالى هذا الذي قضى بوجوبه عليـه ولا بد لكل وجوب وإيجاب من موجب ضرورة وإلا كان يكـون فعلاً لا فاعل له وهذا أكفر مما أجازه فمن هذا الموجب على ا تعالى حكماً ما وهذا لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أن يكون أوجبه ا عليه بعض خلقه أما العقل وأما العاقل فإن كان هذا فقد رفع القلم عنه وأف لكل عقـل يقوم فيه أنه حاكم على خالقه ومحدثه بعد أن لم يكن ومرتبه على ما هو عليه ومصرفه على ما يشاء وإما أن يكون تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يزل غير موجب لـه علـى

نفسه فإن قال بهذا قيل له فقد كان غير واجب عليـه حتـى أوجبه فإذ هو كذلك فقد كان مباحاً له أن يعذب من لم يقـدره على ترك ما عذبه عليه وعلى خلاف سائر ما ذكـرت أنـه أوجبه على نفسه وإذا أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يكـن واجباً عليه فممكن له أن يسقط ذلك الوجوب عن نفسه وإمـا أن يكون تعالى لم يزل موجباً ذلك على نفسه فإن قال بهـذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الإسلام وعن جميع الشرائع وهما أن الباري تعالى لم يزل فاعلاً ولم يزل فعله معه لأن الإيجاب فعل ومن لم يزل موجباً فلم يزل فاعلاً وهذا قـول أهل الدهر نفسه.

قال أبو محمد: ولا بمانع بين جميع المعتزلـة فـي إطلاق هذا الجنون من أنه يجب على ا أن يفعل كذا ويلزمه ان يفعل كذا فأعجبوا لهذا الكفر المحض وبهذا يلوح بطـلان ما يتأولونه في قول ا تعالى: " وكان حقـاً علينـا نصـر المؤمنين " وقوله تعالى: " كتب على نفسه الرحمة " وقولـه علي السلام حق العباد على ا أن لا يعذبهم يعني إذا قالوا لا إله إلا ا وحق على ا أن يسقيه من طينة الخبال يعني عن شارب الخمر وإن كل هذا إنما هو أن ا تعالى قضى بـذلك

وجعله حتماً واجباً وكونه حقاً فوجب ذلك منه تعالى لا عليه فأبدلت من من على وحروف الجر يبدل بعضها من بعض ثم نقول لهم من خلق إبليس ومردة الشياطين والخمر والخنازير والحجارة المعقودة والميسر والأصنام والأزلام وما أهل لغير ا به وما ذبح على النصب فمن قولهم وقول كل مسـلم أن ا تعالى خالق هذا كله فلنسألهم أشيء حسن هو كل ذلك أم رجس وقبيح وشر فإن قالوا بل رجس وقبيح ونجس وشـر وفسق صدقوا وأقروا أنه تعالى خلـق الأنجـاس والـرجس والشر والفسق وما ليس حسناً فإن قالوا بل هي حسـان فـي إضافة خلقها إلى ا تعالى وهي رجس ونجس وشر وفسـق تسمية ا تعالى لها بذلك قلنا صدقتم وهكذا نقول أن الكفـر والمعاصي هي في أنها أعراض وحركات خلـق تعـالى حسن من خلق ا تعالى كل ذلك وهي من العصاة بإضافتها إليهم قبائح ورجس وقال عز وجل: " إنما الخمـر والميسـر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان " وقال تعالى: " أو لحم خنزير فإنه رجس " فليخبرونا بأي ذنب كان من هذه الأشياء وجب أن يسخطها ا تعالى وأن يرجسـها ويجعـل غيرها طيبات هل هاهنا إلا أنه تعالى فعل ما يشاء وأي فرق

بين أن يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعقل ويرضى عما شـاء من ذلك فيعلي قدره ويأمر بتعظيمه كناقـة صـالح والبيـت الحرام وبين أن يفعل ذلك أيضاً فيمن يعقل فيقرب بعضاً كما شاء ويبعد بعضاً كما شاء وهذا ما لا سبيل إلى وجود الفرق فيه أبداً ثم نسألهم هل حابى الله تعالى من خلقـه فـي أرض الإسلام بحيث لا يلفي إلا داعياً إلى الدين محسناً له على من خلقه في أرض الزنج والصين والروم بحيـث لا يسـمع إلا ذاماً لدين المسلمين مبطلاً له وصاداً عنـه وهـل رأوا قـط وسمعوا بمن خرج من هذه البلاد طالباً لصحة البرهان على الدين فمن أنكر هذا كابر العيان والحس ومن أذعن لها ترك قول المعتزلة الفاسد.

قال أبو محمد: والقـول الصـحيح هـو أن العقـل الصحيح يعرف بصحته ضرورة أن الله تعالى حاكم على كل ما دونه وأنه تعالى غير محكوم عليه وأن كل ما سواه تعالى فمخلوق له عز وجل كان جوهراً حاملاً أو عرضاً محمولاً لا خالق سواه وأنه يعذب من يشاء أن يعذبه ويرحم من يشاء أن يرحمه وأنه لا يلزم أحداً إلا ما ألزمه الله عز وجل ولا قبيح إلا ما قبح الله ولا حسن إلا ما حسن الله وأنه لا يلزم لأحـد

على الله تعالى حق ولا حجة و الله تعالى على كل من دونـه وما دونه الحق الواجب والحجة البالغة لو عـذب المطيعـين والملائكة والأنبياء في النار مخلدين لكان ذلك له ولكان عدلاً وحقاً منه ولو نعم إبليس والكفار في الجنة مخلدين كان ذلـك له وكان حقاً وعدلاً منه وإن كل ذلك إذ أباه الله تعالى وأخبر أنه لا يفعله صار باطلاً وجوراً وظلماً وأنه لا يهتدي أحد إلا من هداه الله عز وجل ولا يضل أحد إلا أضله الله عز وجل ولا يكون في العالم إلا ما أراده الله عز وجل كونه من خير أو شر وغير ذلك وما لم يرد عز وجل كونه فلا يكون البتة وبالله تعالى التوفيق ونحن نجد الحيوان لا يسـمى عـدوان بعضها على بعض قبيحاً ولا ظلماً ولا يلام علـى ذلـك ولا يلام على من ربى شيئاً منها على العدوان عليها فلو كان هذا النوع قبيحاً لعينه وظلماً لعينه لقبح متى وجد فلما لـم يكـن كذلك صح أنه لا يقبح شيء لعينه البتة لكن إذا قبحه الله عز وجل فقط فإذا قد بطل قولهم بالبرهان الكلي الجامع لأصـلهم الفاسد فلنقل بحول الله تعالى وقوته في إبطال أجزاء مسائلهم وبالله تعالى نستعين فأول ذلك أن نسألهم فنقول عرفونا مـا هذا القبيح في العقل أعلى الإطلاق فقال قائلون من زعمائهم

منهم الحارث بن علي الوراق البغدادي وعبد ا بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي وغيرهما أن كل شيء حسن بوجه ما قلت يمتنع وقوع مثله من ا تعالى لأنه حينئذ يكون حسناً إذ ليس قبيحاً البتة على كل حال وأما ما كان قبيحاً علـى كـل حال فلا يحسن البتة فهذا منفي عن ا عز وجل أبداً قـالوا ومن القبيح على كل حال أن تفعل بغيرك ومـا لا تريـد أن يفعل بك وتكليف ما لا يطاق ثم التعذيب عليه.

قال أبو محمد: وظن هؤلاء المبطلون إذ أتوا بهـذه الحماقة أنهم أغربوا وقرطسوا وهـم بالحقيقـة وقـد هـذوا وهدروا وهذا عين الخطاء وإنما قبح بعض هـذا النـوع إذ قبحه ا عز وجل وحسن بعضه إذ حسـنه ا عـز وجـل والعجب من مباهتتهم في دعواهم ان المحاباة ظلم ولا ندري في أي شريعة أم في أي عقل وجدوا أن المحاباة ظلم وأن ا تعالى قد أباحها إلا حيث شاء وذلـك أن للرجـل أن يـنكح امرأتين وثلاثاً وأربعاً من الزوجات وذلك له مباح حسن وأن يطأ من إمائه أي عدد أحب وذلك له مباح حسـن ولا يحـل للمرأة أن تنكح غير واحد ولا يكون عبدها وهذا منه حسـن وبالضرورة ندري أن في قلوبهن من الغيرة كما في قلوبنـا

وهذا محظور في شريعة غيرنا والنفار منه موجود في بعض الحيوان بالطبع والحر المسلم ملكه أن يستعبد أخـاه المسـلم ولعله عند ا تعالى خير من سيده في دينـه وفـي أخلاقـه وقنوته ويبيعه ويهبه ويستخدمه ولا يجوز ان يستعبده هو أحد لا عبده ذلك ولا غيره وهذا منه حسن وقد أحب رسـول ا صلى ا عليه وسلم لنفسه المقدسة ما أكرمه ا تعالى بـه من أن لا ينكح أحد من بعده من نسائه أمهاتنا رضـوان ا عليهن وأحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعـد أزواجهن وكل ذلك حسن جميل الصواب ولو أحب ذلك غيره كان مخطي الإرادة قبيحاً ظالماً ومثل هذا أن تتبع كثير جـداً إذ هو فاش في العالم وفي أكثر الشريعة فبطل هـذا القـول الفاسد منهم وقد نص ا تعالى على إباحة ما ليس عدلاً عند المعتزلة بل على الإطلاق وعلى المحاباة حيث شاء وكل ذلك عدل منه قال عز وجل: " ولن تسـتطيعوا أن تعـدلوا بـين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل " وقال تعالى: " فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم " فأباح تعـالى لنا أن لا نعدل بين ما ملكت أيماننا وأباح لنا محاباة من شئنا منهن فصح أن لا عدل إلا ما سماه ا عدلاً فقـط وإن كـل

شيء فعله ا فهو العدل فقط لا عدل سـوى ذلـك وكـذلك وجدنا ا تعالى قد أعطى الابن الذكر من الميراث حظـين وإن كان غنياً مكتسباً وأعطى البنت حظاً واحداً وإن كانـت صغيرة فقيرة فبطل قول المعتزلة وصح أن ا تعالى يحابي من يشاء ويمنع من يشاء وإن هذا هو العـدل لا مـا تظنـه المعتزلة عدلاً بجهلها وضعف عقولها وأما تكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه فإنما قبح ذلك فيما بيننا لأن ا تعالى حـرم ذلك علينا فقط وقد علمت المعتزلة كثرة عدد من يخالفهم في أن هذا لا يقبح من ا تعالى الذي لا أمر فوقـه ولا يلزمـه حكم عقولنا وما دعواهم على مخالفيهم في هذه المسألة أنهـم خالفوا قضية العقل ببديهته إلا كدعوى المجسم علـيهم أنهـم خالفوا قضية العقل ببديهته إذ أجازوا وجود الفعل ممن ليس جسماً وإذ أجازوا حياً بلا حياة وعالماً لا بعلم.

قال أبو محمد: وكلتا الدعويين على العقول كاذبة وقد بينا في ما سلف من كتابنا هذا غلط من ادعى في العقل مـا ليس فيه وبينا أن العقل لا يحكم به على ا الذي خلق العقل ورتبه على ما هو به ولا مزيد وبا تعالى التوفيـق وقـال

بعض المعتزلة أن من القبيح بكل حال والمحظور في العقـل بكل وجه كفر نعمة المنعم وعقوق الأب.

قال أبو محمد: وهذا غاية الخطأ لأن العاقل المميـز بالأمور إذا تدبرها علم يقيناً أنه لا منعم علـى أحـد إلا ا وحده لا شريك له الذي أوجده من عدم ثم جعل له الحـواس والتمييز وسخر له ما في الأرض و كثيراً مما فـي السـماء وخوله المال وإن كل منعم دون ا عز وجل فإن كان منعماً بمال فإنما أعطى من مال ا عز وجل فالنعمة عز وجل دونه وإن كان ممرضاً أو معتقاً أو خائفاً من مكـروه فإنمـا صرف في ذلك كلما وهبه ا عز وجل من الكـلام والقـوة والحواس والأعضاء وإنما تصرف بكل ذلك في ملك ا عز وجل وفيما هو تعالى أولى به منه فالنعمة عز وجل دونه فا تعالى هو ولي كل نعمة فإذ لا شك في ذلك فلا منعم إلا من سماه ا تعالى منعماً ولا يجب شكر مـنعم إلا بعـد أن يوجب تعالى شكره فحينئذ يجب وإلا فلا ويكون حينئذ من لم يشكره عاصياً فاسقاً أتى كبيرة لخلاف أمر ا تعالى بذلك فقط ولا فرق بين تولدنا من مني أبوينا وبـين تولـدنا مـن التراب الأرضي ولا خلاف في أنه لا يلزمنا بر التـراب ولا

له علينا حق ليس ذلك إلا لأن ا تعالى لم يجعل لـه علينـا حقاً وقد يرضع الصغير شاة فلا يجب لها عليه حـق لأن ا تعالى لم يجعله لها وجعله للأبوين وإن كانا كافرين مجنونين ولم يتوليا تربيتنا بل اشتغلا عنا بلذاتهما ليس هاهنا إلا أمر ا تعالى فقط وبرهان آخر أن امرأ لو زنى بـامرأة عالمـاً بتحريم ذلك أو غير عالم إلا أنه ممل لا يلحـق بـه الولـد المخلوق من نطفته النزلة من ذلك الوطء فإن بـره لا يلـزم ذلك الولد أصلاً ويلزمه بر أمه لان ا تعالى أمره بذلك لها ولم يأمره بذلك في الذي تولد من نطفته فقط ولا فـرق فـي العقل بين الرجل والمرأة في ذلك ولا فرق في المعقول وفي الولادة تولد الجنين من نطفة الواطئ لأمه بـين أولاد الزنـا وأولاد الرشدة لكن لما ألزم ا تعالى أولاد الرشدة المتولدين عن عقد نكاح أو ملك يمين فاسدين أو صحيحين بر آمـائهم وشكرهم وجعل عقوقهم من الكبائر لزمنا ذلك ولما لم يلزم ذلك أولاد الزنية لم يلزمهم وقد علمنا نحـن وهـم يقينـاً أن رجلين مسلمين لو خرجا في سفر فأغار أحدهما على قريـة من قرى دار الحرب فقتل كل رجل بالغ فيها وأخذ جميـع أموالهم وسبى ذراريهم ثم خمسن ذلك بحكم الإمـام العـدل

ووقع في حظه أطفال قد تولى هو قتل آبائهم وسبى أمهـاتهم ووقعن أيضاً بالقسمة الصحيحة في حصته فنكحهن وصرف أولادهن في كنس حشوشه وخدمة دوابه وحرثه وحصاده ولم يكلفهم من ذلك إلا مـا يطيقـون وكسـاهم وأنفـق علـيهم بالمعروف كما أمر ا تعالى فإن حقه واجـب علـيهم بـلا خلاف ولو أعتقهم فإنه منعماً عليهم وشكره فـرض علـيهم وكذلك لو فعل ذلك بمن اشتراه هو مسلم بعد وأغار الثـاني على قرية للمسلمين فأخذ صبياناً من صبيانهم فاسترقهم فقط ولم يقتل أحداً ولا سبى لهم حرمة فربى الصبيان أحسن تربية وكانوا في قرية شقاء وجهد وتعب وشظف عيش وسوء حال فرفه معايشهم وعلمهم العلم والإسلام وخولهم المال ثم أعتقهم فلا خلاف في أنه لا حق له عليهم وإن دمه وعداوته فـرض عليهم وإنه لو وطئ امرأة منهن وهو محصن وكان أحدهم قد ولي حكماً للازمه شدخ رأسه بالحجارة حتى يموت أفلا يتبين لكل ذي عقل من أهل الإسلام إنه لا محسن ولا منعم إلا ا تعالى وحده لا شريك له إلا من سماه ا تعـالى محسـناً أو منعماً ولا شكر لازماً لأحد على أحد إلا من ألزمه ا تعالى شكره ولا حق لأحد على أحد إلا من جعل ا تعالى له حقـاً

فيجب كل ذلك إذ أوجبه ا تعالى وإلا فلا وقد أجمعوا معنـا على أن من أفاض إحسان الدنيا على إنسان أفاضه بوجـه حرمه ا تعالى فإنه لا يلزمه شكره و إن من أحسـن إلـى آخر غاية الإحسان فشكره بأن أعناه في دنياه بما لا يجـوز في الدين فإنه مسيء إليه ظالم فصح يقيناً أنه لا يجب شـيء ولا يحسن شيء ولا يقبح شيء إلا ما أوجبه ا تعالى فـي الدين أو حسنه ا تعالى في الدين أو قبحه ا في الدين فقط وبا تعالى نتأيد وقال بعضهم الكذب قبيح على كل حال.

قال أبو محمد: وهذا كالأول وقد أجمعوا معنا علـى بطلان هذا القول وعلى تحسين الكذب في مواضع خمسة إذ حسنه ا تعالى وذلك نحو إنسان مسلم مستتر من أمام ظالم يظلمه ويطلبه فسأل ذلك الظالم هـذا الـذي اسـتتر عنـده المطلوب وسأل أيضاً كل من عنده خبره وعـن مالـه فـلا خلاف بين أحد من المسلمين في أنه أن صدقه ودلـه علـى موضعه وعلى ماله فإنه عاص عز وجل فاسق ظالم فاعل فعلاً قبيحاً وإنه لو كذبه وقال له لا أدري وكـان مكانـه ولا مكان ماله فإنه مأجور محسن فاعل فعلاً حسناً وكذاك كذب الرجل لامرأته فيما يستجر به مودتهـا وحسـن صـحبتها

والكذب في حرب المشركين فيما يوجـد بـه السـبيل إلـى إهلاكهم وتخليص المسلمين منهم فصح أنه قبح الكذب حيـث قبحه ا عز وجل ولولا ذلك ما كان قبيحاً بالعقل أصـلاً إذ ما وجب بضرورة العقل فمحال أن يستحيل في هـذا العـالم البتة عما رتبه ا عز وجل في وجود العقل إياه كذلك فصح كذبهم على العقول وقال بعضهم الظلم قبيح.

قال أبو محمد: وهذا كالأول ونسألهم ما معنى الظلم فلا يجدون إلا أن يقولوا أنه قتل الناس وأخذ أموالهم وآذاهم وقتل المرء نفسه أو التشويه بها أو إباحـة حرمـه للنـاس ينكحونهن وكل هذا فليس شيء منه قبيحاً لعينه وقد أباح ا عز وجل أخذ أموال قوم بخراسان من أجل ابن عمهم قتـل بالأندلس رجلاً خطأ لم يرد قتله لكن رمى صيداً مباحاً له أو رمى كافراً في الحرب فصادف المسلم السهم وهو خارج من خلف جبل فمات ووجدناه تعالى قد أباح دم من زنـى وهـو محصن ولم يطئ امرأة قط إلا زوجة له عجـوزاً شـعرها سوداء وطئها مرة ثم ماتت ولا يجد من أن ينكح ولا من أن يتسرى وهو شاب محتاج إلى النساء وحرم دم شيخ زنى وله مائة جارية كالنجوم حسناً إلا أنه لم يكن له قط زوجة وأمـا

قتل المرء نفسه فقد حسن ا تعالى تعريض المـرء نفسـه للقتل في سبيل ا عز وجل وصدمة الجموع التي يوقن أنـه مقتول في فعله ذلك وقد أمر عز وجل من قبلنا بقتـل نفسـه قال تعالى: " فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكـم عند بارئكم فتاب عليكم " ولو أمرنا عز وجل بمثل ذلك لكان حسناً كما كان حسناً أمره عز وجل بذلك بني إسرائيل وأمـا التشويه بالنفس فإن الختان والإحرام والركوع والسجود لولا أمر ا تعالى بذلك وتحسينه إياه لكان لا معنى له ولكان على أصولهم تشويهاً ودليل ذلك أن امرأ من الناس لـو قـام ثـم وضع رأسه في الأرض في غير صلاة بحضرة الناس لكان عابثاً بلا شك مقطوعاً عليه بالهوس وكذلك لو تجرد المـرء من ثيابه أمام الجموع في غير حج ولا عمرة وكشف رأسـه ورمى بالحصى وطاف ببيت مهرولاً مسـتديراً بـه لكـان مجنوناً بلا شك لاسيما أن امتنع من قتل قملة ومن فلا رأسه ومن قص أظافره وشاربه لكن لما أمر ا عز وجل بما أمر به من ذلك كان فرضاً واجباً وحسناً وكان تركه قبيحاً وأنكره كفراً وأما أباح المرء حرمه للنكاح فهذا أعجب ما أتوا به أما علموا أن ا تعالى خلى بين عبده وإمائه يفجر بعضه ببعض

وهو قادر على منعهم من ذلك فلم يفعل بل قوى آلاتهم وقوى شهواتهم على ذلك بإقرار المعتزلة فهذا من ا حسن ومـن عباده قبيح لأن ا قبحه ولا مزيد ولو حسنه تعالى لحسن أما شاهدوا إنكاح الرجال بناتهم من رجال ثم يطلق الرجل منهم المرأة فمن آخر ثم آخر وهكذا ما أمكنهم وكـذلك إن مـات عنها فأي فرق في المعقول بين إباحة وطئها بلفظ زوجتـك وأو أنكحتك وبين حظر وطئها بألا طلاق عليه بلفظـة قـم فطاها فهل هاهنا قبيح إلا ما قبحه ا عز وجل أو حسن إلا ما حسن ا عز وجل وقال بعضهم الكفر قبيح علـى كـل حال.

قال أبو محمد: وهذا كالأول وما قبح الكفـر إلا لأن ا قبحه ونهى عنه ولولا ذلك ما قبح وقد أباح ا عز وجل كلمة الكفر عند التقية وأباح بها الدم في غير التقية ولـو أن أمرؤ اعتقد أن الخمر حرام قبل أن ينزل تحريمها لكان كافراً ولكان ذلك منه كفراً إن كان عالماً بإباحة الرسول صلى ا عليه ويلم ثم صار ذلك الكفر إيمان وصار الآن مـن اعتقـد تحليلها كافراً وصار اعتقاد تحليلها كفراً فصح أن لا كفر إلا ما سماه ا تعالى كفراً ولا إيماناً إلا ما سـماه إيمانـاً وأن

الكفر لا يقبح إلا بعد أن قبحه ا عـز وجـل ولا يحسـن الإيمان إلا بعد أن حسنه ا عز وجل فبطل كل ما قالوه في الجور والكفر والظلم وصح أنه لا ظالم إلا ما نهى ا عنـه ولا جور إلا ما كان كذلك ولا عدل إلا ما أمر ا تعالى بـه أو إباحة أي شيء كان وبا تعالى التوفيق فإذ هذا كما ذكرنا فقد صح أنه لا ظلم في شيء من فعل الباري تعالى ولو أنـه تعالى عذب من لم يقدره على ما أمر به من طاعته لما كان ذلك ظلماً إذ لم يسميه تعالى ظلماً وكذلك ليس ظلمـاً خلقـه تعالى للأفعال التي هي من عباده عز وجل وكفـر وظلـم وجور لأنه لا آمر عليه تعالى ولا ناهياً بـل الأمـر أمـره والملك ملكه وقالوا تكليف ما لا يطاق ثم التعذيب عليه قبـيح في العقول جملة لا يحسن بوجه من الوجوه فيما بيننـا فـلا يحسن من الباري تعالى أصلاً.

قال أبو محمد: نسي هؤلاء القوم مالا يجب أن ينسى ويقال لهم أليس قول القائل فيما بيننا اعبدوني اسـجدوا لـي قبحاً لا يحسن بوجه من الوجوه ولا حال من الأحوال فلا بد من نعم فيقال لهم أوليس هذا القول من ا تعالى حسناً وحقاً فلا بد من نعم فإن قالوا إنما قبح ذلك منا لأننا لا نستحقه قيل

لهم وكذلك إنما قبح منا تكليف ما لا يطاق والتعـذيب عليـه لأننا لا نستحق هذه الصفة وأي شيء أتوا به من الفرق فهو راجع عليهم في تكليف ما لا يطاق ولا فرق وكذلك الممـتن بإحسانه الجبار المتكبر ذو الكبرياء قبيح في ما بيننا على كل حال هو من ا تعالى حسن وحق وقد سمى نفسـه الجبـار المتكبر وأخبر أن له كبرياء وهو تعالى يمن بإحسـانه فـإن قالوا حسن ذلك منه لأن كل خلقه قيل لهم وكذلك حسن منـه تكليف ما لا يستطيع ثم تعذيبه لأن كل خلقه وكذلك في مـا بيننا من عذب حيواناً بالنتف والضرب ثم أحسن علفه ورفهه فهو قبيح على كل وجه وفاعله عابث وهم يقولون أن الباري تعالى أباح ذلك الحيوان من أكلها وذبحها ثم يعوضها علـى ذلك وهذا منه عز وجل حسن ألا أن يلجؤا إلى أنه تعـالى لا يقدر على تعويض الحيوان إلا بعد إيلامها وتعذيبها فهذا أقبح قول وأبينه كذباً وأوضحه نخبة وأتمه كفراً وأذمـه للبـاري تعالى وحسبنا ا ونعم الوكيل فإن قالوا إن إيلام الحيوان قد يحسن فيما بيننا مثل أن يسقي الإنسان من يحب ماء الأدوية الكريهة ويحجمه ويكويه ليوصله بذلك إلى منافع لـولا هـذا المكروه لم يكن ليصل إليها.

قال أبو محمد: وهذا تمويه لم ينفكوا به مما سـألهم عنه أصحابنا في هذه المسألة ونحن لم نسألهم عمن لا يقـدر على نفعه إلا بعد الأذى الذي هو أقل من النفع الذي يصـل إليه بعد ذلك الأذى وإنما سألناهم عمن يقدر على نفعـه دون أن يبتديه بالأذى ثم لا ينفعه إلا حتى يؤذيه.

قال أبو محمد: وكذلك تكليف من يدري المرء أنه لا يطيقه وأنه إذا لم يطقه عذبه قبيح فيما بيننا فقال قائل مـنهم إن هذا قد يحسن فيما بيننا وذلك أن يكون المـرء يريـد أن يقرر عند صديقه معصية عبده له فيأمره وهو يدري انـه لا يطيعه فإن نهيه له حسن.

قال أبو محمد: وهذا كالأول ولا فرق ولـم نسـألهم عمن لم يقدر على تعريف صديقه معصـية غلامـه لـه إلا بتكليفه أمامه مالا يطيعه فيه ولا عمن لا يقدر علـى منـع العاصي له بأكثر من النهي وإنما نسألهم عمن لا منفعة لـه في أن يعلم زيد معصية غلامه له وعمـن يقـدر علـى أن يعرف زيداً بذلك ويقرره عنده بغير أن يأمر من لا يطيعـه وعمن يقدر على منعه من المعصية فلا يفعـل ذلـك إلا أن يعجزوا ربهم كما ذكرنا فهذا مع أنه كفر فهو أيضـاً كـذب

ظاهر لأنه تعالى قد أخبر عن أهل النار أنهم لوردوا لعادوا لما نهوا عنه فتقرر هذا عندنا تقرراً لو رأينا ذلك عياناً ما زادنا علماً بصحته وكذلك ما شاهدنا قوماً آخرين أرادوا ضروباً من المعاصي فحال ا تعالى بينهم وبينها بضروب من ألحوايل وأطلق آخرين ولم يحل بينهم وبينها بل قوي الدواعي لها ورفع الموانع عنها جملة حتى ارتكبوها فلاح كذب المعتزلة وعظيم إقدامهم على الافتراء على ا تعالى وشدة مكابرتهم العيان ومخالفتهم للمعقول وقوة جهلهم وتناقضهم نعوذ با من الخذلان ثم بعد هذا كله فأي منفعة لنا في تعريفنا أن فرعون يعصي ولا يؤمن وما الذي ضر الأطفال إذا ماتوا قبل أن يعرفوا من أطاع ومن عصى ونسألهم عمن أعطى آخر سيوفاً وخناجر وعتلاً للنقب وكل ذلك يصلح للجهاد ولقطع الطريق والتلصص وهو يدري أنه لا يستعمل شيئاً من ذلك في الجهاد إلا في قطع الطريق والتلصص وعمن مكن آخر من خمر وامرأة عاهرة وبغاء وأخلى له منزلاً مع كل ذلك أليس عابثاً ظالماً بلا خلاف فلا بد من نعم ونحن وهم نعلم أن ا عز وجل وهب لجميع الناس القوة التي بها عصوا وهو يدري أنهم يعصونه بها

وخلق الخمر وبثها بين أيديهم ولم يحل بينهم وبينهـا ولـيس ظالماً ولا عابثاً فإن عجزوه تعالى عن المنع من ذلك بلغـوا الغاية من الكفر فإن من عجز نفسه منا عن منع الخمر مـن شاربها وهو يقدر على ذلك لفي غاية الضعف والمهانـة أو مريداً لكون ذلك كما شاء لا معقب لحكمـه وهـذا قولنـا لا قولهم.

قال أبو محمد: فانقطعوا عند هذه ولم يكن لهم جواب إلا أن بعضهم قال إنما قبح ذلك منا لجهلنا بالمصالح ولعجزنا عن التعويض ولأن ذلك محظور وهذا محظور علينا ولو أن امرءاً له منا عبيد وقد صح عنده بأخبار النبي عليه الصلاة والسلام أنهم لا يؤمنون أبداً فإن كسوتهم وإطعامهم مباح له.

قال أبو محمد: وهذا عليهم لا لهم وإقراراً منهم بأنه إنما قبح ذلك منا لنه محرم علينا وكذلك كسوة العبيد الـذين يوقن أنهم لا يؤمنون وإنما حسـن ذلـك لأننـا مـأمورون بالإحسان إلى العبيد وإن كانوا كفاراً ولو فعلنـا بأهـل دار الحرب لكنا عصاة لأننا نهينا عن ذلك ليس ها هنا شيء يقبح ولا يحسن إلا ما أمر ا تعالى فقط وأما قولهم أن ذلك قـبح منا لجهلنا بالمصالح فليقنعوا بهذا فمن أجابهم بهذا بعينه في

الفرق بين حسن تكليف ا تعالى ما لا يطاق وتعذيبه عليـه منه وقبح ذلك منا وإنه إنما قبح منا لجهلنا بالمصالح.

قال أبو محمد: وأما نحن فكلا الجوابين عندنا فاسـد ولا مصلحة فيما أدى إلى النار والخلود فيها بلا نهاية ولكنـا نقول قبح منا ما نهانا ا عنه وحسن منا ما أمرنا به وكل ما فعله ربنا تعالى الذي لا آمر فوقه فهو عدل وحسن وبـا تعالى التوفيق.

وسألهم أصحابنا فقالوا إن المعهود بيننا أن الحكيم لا يفعل إلا لاجتلاب منفعة أو دفع مضرة ومن فعل لغير ذلـك فهو سفيه والباري تعالى يفعل لغير اجتلاب منفعة ولا لـدفع مضرة وهو حكيم.

فقالت طائفة من المعتزلة أن الباري تعـالى يفعـل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنهم وقالت طائفة منهم لم يكن الحكيم في ما بيننا حكيماً لأنه يفعـل لاجـتلاب المنافع ودفع المضار لأنه قد يفعل ذلك كل ملتذ وكل متشف وإن لم يكن حكيما وإنما سمي الحكيم حكيما لإحكامه عمله.

قال أبو محمد: وكل هذا ليس بشيء لأن من الحيوان ما يحكم عمله مثل الخطاف والعنكبوت والنحـل ودود القـز

ولا يسمى شيء من ذلك حكيما ولكن إنما سمي الحكيم حكيما على الحقيقة لالتزامه الفضائل واجتنابه الرذائل فهـذا هـو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيماً عاقلاً وهكذا هـو فـي الشريعة لأن جميع الفضائل إنما هي طاعات ا عز وجـل والرذائل إنما هي معاصيه فلا حكيم إلا من أطـاع ا عـز وجل واجتنب معاصيه وعمل ما أمره ربه عز وجل ولـيس من أجل هذا يسمى الباري حكيماً إنما سمي حكيماً لأنه سمى نفسه حكيماً فقط ولو لم يسمي نفسه حكيماً ما سميناه حكيمـاً كما لم نسمه عاقلاً إذ لم يسم بذلك ثم نقول لهم وأما قـولكم إنما سمي ا حكيماً لفعله الحكمة فأنتم مقرون أنـه أعطـى الكفار قوة الكفر ولا يسمى مع ذلك مقوياً على الكفر وأما من قال منهم أنه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عبـاده ودفـع المضار عنهم فكلام فاسد إذا قيل علـى عمومـه لأن كـل مستضر يفعله في دنياه وأخراه لم يصرف ا تعالى عنه تلك المضرة وقد كان قادراً على صرفها عنه إلا أن يعجزوه عن ذلك فيكفروا وسألهم أصحابنا فقالوا إذا كان ا عز وجل لا يفعل إلا ما هو عدل بيننا فلم خلق من يدري أنه يكفر به وأنه سيخلده بين أطباق النيران أبداً فأجابوا عن هذا بأجوبة فمـن

أظرفها أن كثيراً منهم قالوا لو لم يخلق من يكفر به ويخلـده في نار جهنم لما استحق العذاب أحد ولا دخل النار أحد.

قال أبو محمد: وتكفي من الدلالة على ضعف عقـل هذا الجاهل هذا الجواب ونقول له ذلك ما كنا نبغـي وهـل الخير كله على ما بيننا إلا أن لا يعذب أحـد بالنـار وهـل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذي لا عدل عندنا سـواه إلا نجاة الناس كلهم من الأذى واجتماعهم في النعيم الدائم ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون وأجاب بعضهم في هذا بأن قال لـو كان هذا لسلم الجميع من اللوم ولكان لا شـيء أوضـع ولا أخس من العقل لأن الذي لا عقل له سالم من العذاب واللـوم والأمم كلها مجمعة على فضل العقل.

قال أبو محمد: لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لـم يجب بهذا السخف لأن العقل على الحقيقة إنما هو اسـتعمال الطاعات واجتناب المعاصي وما عدا هذا فليس عقلاً بل هو سخف وحمق قال ا عز وجل حكاية عن الكفار أنهم قالوا: " لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصـحاب السـعير " ثـم صدقهم ا عز وجل في هذا فقال: " فاعترفوا بذنبهم فسـحقاً لأصحاب السعير " فصدق ا من عصاه أنه لا يعقل ثم نقول

لهم نعم لا منزلة أخس ولا أوضع ولا أسـقط مـن منزلـة وموهبة أدت إلى الخلود في النيران عقلاً كانت أو غير عقل على قولكم في العقل لو كان كون الإنسان حشرة أو دودة أو كلباً كان أحظى له وأسلم وأفضل عاجلاً وآجلاً وأحب إلـى كل ذي عقل صحيح وتمييز غير مـدخول وإذا كـان عنـد هؤلاء القوم العقل الموهوب وبالاً على صاحبه وسـبباً إلـى تكليفه أموراً لم يأت بها فاستحق النار فلا شك عند كـل ذي حس سليم في أن عدمه خير من وجوده فإن قالوا أن التكليف لم يوجب عليه دخول النار قلنا نعم ولكنه كان سبباً إلى ذلك ولولا التكليف لم يدخل النار أصلاً وقد شهد ا عـز وجـل بصحة هذا القول شهادة لا تخفى على مسـلم وهـي قولـه تعالى: " إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا: " فحمد ا تعالى إباءة الجمادات من قبول التمييـز الذي به وقع التكليف وتحمل أمانة الشرائع وذم عـز وجـل اختيار الإنسان لتحملها وسمي ذلك منه ظلماً وجهلاً وجـوراً وهذا معروف في بنية العقل والتمييز أن السلامة المضـمونة لا يعدل بها التغرير المؤدي إلى الهلاك أو إلى الغنم وقـال

بعضهم خلق ا عز وجل من يكفر ومن يعلم أنه يخلده فـي النار ليعظ بذلك الملائكة وحور العين.

قال أبو محمد: وهذا خبط لا عهد لنا بمثله وهذا غاية السخف والعبث والظلم فأما العبث فإن في العقول منا أن من عذب واحداً ليعظ به الآخر فغاية العبث والسخف وأما الجور فأي جور أعظم فيما بيننا من أن يخلق قوماً قـد علـم أنـه يعذبهم ليعظ بهم آخرين من خلقه مخلدين في النعـيم فهـلا عذب الملائكة وحور العين ليعظ بهم الجن والإنس وهل هذا على أصولهم إلا غاية المحاباة والظلم والعبث تعالى ا عن ذلك يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه وسألهم أصحابنا عن إيلام ا عز وجل الصغار والحيوان وإباحته تعالى ذبحها فوجموا عند هذه وقال بعضهم لأن ا تعالى يعوضهم على ذلك.

قال أبو محمد: وهذا غاية العبث فيما بيننا ولا شيء أتم في العبث والظلم ممن يعذب صغيراً ليحسن بعد ذلك إليه فقالوا أن تعويضه بعد العذاب بالجدري و الأمراض أتم ألـذ من تنعيمه دون تعذيب.

قال أبو محمد: وفي هذا عليهم جوابان أحـدهما أن يقول لهم أكان ا تعالى قـادراً علـى أن يـوفي الأطفـال

والحيوان ذلك النعيم دون إيلام أو كان غير قادر على ذلـك فإن قالوا كان غير قادر جمعـوا مـع الكفـر الجنـون لان ضرورة العقل يعلم بها انه إذا قدر على أن يعطيهم مقداراً ما من النعيم بعد الإيلام فلا شك في أنه قادر على ذلك المقـدار نفسه دون إيلام يتقدمه ليس في العقل غير هذا أصلاً إذ ليس ها هنا منزلة زائدة في القدرة ولا فعلان مختلفان وإنما هـو عطاء واحد لشيء واحد في كلا الوجهين وإن قالوا أنه قادر على ذلك فقد وجب العبث على أصولهم إذ كان قادراً علـى أن يعطيهم دون إيلام ما لم يعطهم إلا بعـد غايـة الإيـلام والجواب الثاني أن نريهم صبياناً وحيواناً أماتهم فـي خيـر دون إيلام وهذه محاباة وظلم للمؤلم منهم فقالوا إن المؤلم لم يزداد في نعيمه لأجل إيلامه فقلنا لهم فهذه محابـاة بزيـادة النعيم للمؤلم فهلا ألم الجميع ليستوي بينهم في النعيم أو هـلا تستوي بينهم في النعيم بأن لا يؤلم منهم أحداً وهـذا مـا لا انفكاك منه البتة وقال بعضهم فعل ذلك ليعظ بهم غيرهم.

قال أبو محمد: وهذا غاية الجـور بيننـا ولا عبـث أعظم من أن يعذب إنساناً لا ذنب له ليوعظ بـذلك آخـرون مذنبون وغير مذنبين وا تعالى قد أنكر هذا بقوله تعالى: "

ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى "
فقد انتفى ا عز وجل عن هذا الظلم حقاً ولقد كـان علـى
أصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة وإيلامه البغـاة لـيعظ بـذلك
غيرهم أدخل في العدل والحكمة من أن يؤلم طفلاً أو حيوان
لا ذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل لعل هذا الوجه قد صـار
سبباً إلى كفر كثير من الناس وأجاب بعضهم في ذلك بأن قال
إنما فعل ذلك عز وجل بالأطفال ليؤجر آباءهم.

قال أبو محمد: وهذا كالذي قبله في الجور بسواء ان
يؤذى من لا ذنب له ليأجر بذلك مذنباً أو غير مذنب حاشا
من هذا إلا ان في هذا مزية من التناقض لأن هـذا التعليـل
ينقض عليهم في أولاد الكفار وأولاد الزنى ممن قد ماتت أمه
وفي اليتامى من آبائهم وأمهاتهم ورب طفل قد قتل الكفار أو
الفساق أباه وأمه وترك هو بدار مضيعة حتى مات هـزلاً أو
أكلته السباع فليت شعري من وعظ بهذا أو من أوجر به مع
أن هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا البتة بوجه من الوجوه يعني
أن نؤذي إنساناً لا ذنب له لينتفع بذلك آخرون وهم يقولـون
أن ا تعالى فعل هذا فكان حسناً وحكمة ولجأ بعضهم إلـى

أن قال أن عز وجل في هذا سراً من الحكمة والعدل يوقن به وإن كنا لا نعلم لما هو ولا كيف هو.

قال أبو محمد: وإذ قد بلغوا ها هنا فقد قرب أمـرهم بعون ا تعالى وهو أن يلزمهم تصديق من يقول لهـم و تعالى في تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه عليـه سـر مـن الحكمة يوقن به ولا نعلمه.

قال أبو محمد: وأما نحن فلا نقول بهذا بل نقول أنه لا سر ها هنا أصلاً بل كل ذلك كما هو عدل مـن ا عـز وجل لا من غيره و الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهـم يسألون.

قال أبو محمد: ولجأت طائفتان مـنهم إلـى أمـرين أحدهما قول بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد فإنـه قـال أن الأطفال لا يألمون البتة.

قال أبو محمد: ولا ندري لعله يقول مثل ذلـك فـي الحيوان.

قال أبو محمد: وهذا انقطاع سمج ولجاج في الباطل قبيح ودفع للعيان والحس وكل واحد منا قـد كـان صـغيراً

ويوقن أننا كنا نألم الألم الشديد الذي لا طاقة لنا بالصبر عليه والثانية عليه أحمد بن حابط البصـري والفضـل الحربـي وكلاهما من تلاميذ النظام فإنهمـا قـالا أن أرواح الأطفـال وأرواح الحيوان كانت في أجساد قوم عصاة فعوقبـت بـأن ركبت في أجساد الأطفال والحيوان لتؤلم عقوبة لها.

قال أبو محمد: ومن هرب عن الإذعان للحق أو عن الإقرار بالانقطاع إلى الكفر والخروج عن الإسلام فقد بلـغ إلى حالة ما كنا نريد ان يبلغها لكن إذا آثر الكفر فإلى لعنـة ا وحر سعيره ونعوذ با من الخذلان وإنما كلامنا هذا مع من يتقي مخالفة الإسلام فأما أهل الكفرفقد تـم و الحمـد إبطالنا لقولهم وقد أبطلنا قول أصحاب التناسخ فـي صـدر كتابنا هذا والحمد فأغنى عن إعادته وإذا بلغ خصمنا إلى مكابرة الحس أو إلى مفارقة الإسلام فقد انقطع وظهر باطـل قوله و تعالى الحمد.

قال أبو محمد: فإن لجؤوا إلى قول معمر والجـاحظ وقالوا أن آلام الأطفال هي فعل الطبيعة لا فعل ا تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع بل نقول لهم هل ا عز وجـل قادر على معارضة هذه الطبيعة المقطعة لحم هـذا الصـبي

بالجدري والآكلة والخنازير المعديـة لـه ووجـع الحصـاة واحتبس البول أو الغائط أو انطلاق البطن حتى يموت والعدو القاسي القلب يرحمه ويتقطع له لعظيم مـا يـرى بـه مـن التضور والأوجاع بقوة من عنده تعالى يفرجوا بها عن هـذا الطفل المسكين المعذب أم هو تعالى غير قادر على ذلك فإن قالوا هو غير قادر على ذلك فما في العالم أعجز ممن تغلبـه طبيعة هو خلقها وطبعها ووضعها فيمن هي فيه وربما غلبها طبيب ضعيف من خلقه بعقار ضعيف من خلقه فهـل فـي الجنون والكفر أكثر من هذا القول أن يكون هو خلق الطبيعة ووضعها فيمن هي فيه ثم لا يقدر على كف عملها الذي هـو وضعه فيها وإن قالوا بل هو قادر على صرف الطبيعة وكفها ولم يفعل دخل في نفس ما أنكر وأقر على ربه على أصـله الفاسد بالظلم والعبث وبالضرورة ندري أن من رأى طفـلاً في نار أو ماء وهو قادر على استنقاذه بلا مؤونة ولم يفعـل فهو عابث ظالم ولكن ا تعالى يفعل ذلك وهو الحكم العـدل في حكمه لا العابث ولا الظالم وهذا هو الذي أعظموا من ان يكون قادراً على هدي الكفار ولا يفعل ولجأ بعضهم إلى أن قال لو عاش هذا الطفل لكان طاغياً قلنا لهم لم نسـألكم بعـد

عمن مات طفلاً إنما سألناكم عن إيلامه قبل بلوغه ثم نجيبهم عن قولهم فيمن مات من الأطفال أنه لو عاش لكان طاغياً فنقول لهم هذا أشد في الظلم أن يعذبه على ما لم يفعل بعد.

قال أبو محمد: قد وجدنا الله عز وجل قد حرم ذبح بعض الحيوان وأكله وأباح ذبح بعضه وأوجب ذبح بعضه إذا نذر الناذر ذبحه قرباناً فنقول للمعتزلة اخبرونا ما كان ذنب الذي أبيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار وأكله وما كان ذنب الذي حرم كل ذلك فيه حتى حرم العوض الذي تدعونه وما كان بخت الذي حرم إيلامه ووجدناه عز وجل قد أباح ذبح صغار الحيوان مع ما يحدث لأمهاتها من الحنين والوله كالإبل والبقر فأي فرق بين ذبحنا لمصالحنا أو لتعوض هي وبين ما حرم من ذبح أطفالنا وصغار أولاد أعدائنا لمصالحنا أو ليعوضوا فإن طردوا دعواهم في المصلحة لربهم أن كل من له مصلحة في قتل غيره كان له قتله فإن قالوا لا يجوز ذلك إلا حيث أباحه الله عز وجل تركوا قولهم ووقفوا للحق.

قال أبو محمد: وجدناه تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له الصاحبة والولد ويهود ومجوس إذا أعطونا ديناراً أو أربعة دنانير في العام وهم يكفرون بالله

تعالى وأباح قتل مسلم فاضل قد تاب وأصلح لزنى سلف منه وهو محصن ولم يبح لنا من استبقاء مشركي العرب من عباد الأوثان إلا بأن يسلموا ولا بد فأي فرق بين هـؤلاء الكفـار وبين الكفار الذين افترض علينا إبقاؤهم لذهب نأخذه منهم في العام.

قال أبو محمد: وقالوا لنا هل في أفعـال ا تعـالى عبث وضلال ونقص ومذموم فجوابنا وبا تعالى التوفيق أما أن يكون في أفعاله تعالى عبث يوصف به أو عيب مضـاف إليه أو ضلال يوصف به أو نقص ينسب إليه أو جور منه أو ظلم منه أو مذموم منه فلا يكون ذلك أصلاً بل كـل أفعالـه عدل وحكمة وخير وصواب وكلها حسن منه تعالى ومحمود منه ولكن فيها على من ظهر منه ذلك الفعـل وعبـث منـه وضلال منه وظلم منه ومذموم منه ثم نسألهم فنقول لهم هل في أفعاله تعالى سخف وجنون وفضـائح ومصـائب وقـبح وسخام وأقذار وإنتان ونجس وسخنه للعين وسواد للوجه فإن قالوا لا أكذبهم ا عز وجل بقوله تعالى: " ما أصـاب مـن مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبـل أن نبرأها " وموت الأنبياء وفرعون وإبليس وكل ذلك مخلـوق

وإن قالوا أن ا تعالى خالق كل ذلك ولكن لا يضاف شـيء منه إلى ا عز وجل على الوجه المذموم ولكن على الوجه المحمود قلنا هذا قولنا فيما سألتمونا عنه ولا فرق فإن قـالوا أترضون بأفعال ا عز وجل وقضائه قلنا نعم بمعنـى أننـا مسلمون لفعله وقضائه ومن الرضى بفعله وقضائه أن نكـره ما كره إلينا قال تعالى: " وكـره إلـيكم الكفـر والفسـوق والعصيان " ثم نسألهم عن هذا بعينه فنقول لهـم أترضـون بفعل ا تعالى وقضائه فإن قالوا نعم لزمهم الرضى بقتل من قتل من الأنبيـاء وبـالخمور والأنصـاب والآلام وبـإبليس ويلزمهم أن يرضى منهم بالخلود في النار من خلد فيها وفي هذا ما فيه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وسأل بعض أصحابنا بعض المعتزلة فقال إذا كان عندكم إنما خلق ا تعالى الكفار وهو يعلم انهم لا يؤمنون وأنه سيعذبهم بين أطباق النيران أبداً لـيعظ بهـم الملائكة وحور العين فقد كان يكفي من ذلك خلق واحد منهم فقال له المعتزلة ان المؤمنين الذين يدخلون الجنة والملائكـة وحور العين وجميع من لا عذاب عليه من الأطفال أكثر من الكفار بكثير جداً.

قال أبو محمد: ولم يخرج بهذا الجواب ممـا ألزمـه السائل لأن الموعظة كانت تتم بخلق واحد هذا لو كان يخلق من يعذب ليوعظ به آخر وجه في الحكمة بيننا وأيضاً فلـولا ذكره الملائكة لكان كاذباً في ظنه إن عدد الداخلين في الجنة من الناس أكثر من الداخلين النار لأن الأمر بخلاف ذلك لأن ا عز وجل يقول: " فأبى أكثر الناس إلا كفـورا " وقـال تعالى: " وما أكثر الناس ولو حرصـت بمـؤمنين " وقـال تعالى: " وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سـبيل ا " وقال تعالى: " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم " فليت شعري في أي حكمة وجدوا فيما بينهم أو بيننا أو في أي عدل خلق من يكون أكثرهم مخلدين في جهنم على أصول هؤلاء الجهال وأما نحن فإنه لو عذب أهل السماوات كلهم وجميع من عمر الأرض لكان عدلاً منه وحقاً له وحكمة منه ولو لم يخلق النار وأدخل كل من خلق الجنة لكان حقـاً منه وعدلاً وحكمة منه لا عدل ولا حكمة ولا حق إلا ما فعل وما أمر به.

قال أبو محمد: ولجأ قوم منهم إلى أن قـالوا أن ا تعالى لم يعلم من يكفر ولا من يؤمن وأقروا أنه لو علم مـن يموت كافراً لكان خلقه له جوراً وظلماً.

قال أبو محمد: وهؤلاء أيضاً مع عظيم ما أتوا به من الكفر في تجهيل ربهم تعالى فلـم يتخلصـوا ممـا ألـزمهم أصحابنا لأنه ليس من الحكمة خلق من لا يدري أيموت كافراً فيعذبه أم لا وهذا هو التغرير بمن خلق وتعريضهم للهلكـة على جهالة وهذا ليس من الحكمة ولا من العدل فيمـا بيننـا لمن يمكنه أن لا يغرر وقد كان الباري تعالى قادراً علـى أن لا يخلق كما قد كان لم يزل لا يخلق ثم خلق إلا أن يلجأ إلى أنه تعالى لا يقدر على أن لا يخلـق فيجعلـوه مضـطراً ذا طبيعة غالبة وهذا كفر مجرد محض ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: وإذا أقرت المعتزلة أن أطفال بني آدم كلهم أولاد المشركين وأولاد المسلمين في الجنة دون عـذاب ولا تقرير تكليف فقد نسوا قولهم الفاسد أن العقل أفضل مـن عدمه بل ما نرى السلامة على قولهم وضمانها والحصـول على النعيم الدائم في الآخرة بلا تقرير إلا في عـدم العقـل فكيف فارقوا هذا الاستدلال وأما نحن فنقول إن من أسعده ا

تعالى من الملائكة فلم يعرضهم لشيء من الفتن أعلى حـالاً من كل خلق غيرهم ثم بعدهم الذين عصم ا تعـالى مـن النبيين عليهم الصلاة والسلام وأمنهم من المعاصي ثـم مـن سبقت لهم من ا تعالى الحسنى من مؤمني الجـن والإنـس الذين لا يدخلون النار والحور العين اللاتي خلقن لأهل الجنة على أن لهؤلاء المذكورين حاشا الحور العـين حالـة مـن الخوف طول بقائهم في الدنيا ثم يوم الحشر في هول المطلع وشنعة ذلك الموقف الذي لا يقي به شيء إلا السلامة منه ولا يهنأ معه عيش حتى يخلص منـه وقـد تمنـى كثيـر مـن الصالحين العقلاء الفضلاء أن لو كانوا نسياً منسياً في الـدنيا ولا يعرضوا لما عرضوا له على أنهم قد آمنوا بالضمان التام الذي لا ينجس ولقد أصابوا في ذلك إذ السلامة لا يعـد لهـا شيء إلا عند عقول المعتزلة القائلين بأن الثواب والنعيم بعد الضرب بالسياط والضغط بأنواع العذاب والتعريض بكل بلية أطيب وألذ وأفضل من النعيم السالم من أن يتقدمه بلاء ثـم الأطفال الذين يدخلون الجنة دون تكليف ولا عذاب ومن بلغ ولا تمييز له ثم منزلة من دخل النار ثم أخرج منها بعـد أن دخل فيها على ما فيها من البلاء نعوذ با منه وأما من يخلد

في النار فكل ذي حس سليم توقن نفسه يقـين ضـرورة أن الكلاب والدود والقرد وجميع الحشرات أحسن حالاً في الـدنيا والآخرة منه وأعلى مرتبة وأتم سعداً وأفضل صفة وأكـرم عناية من عند الباري تعالى منه ويكفي من هـذا إخبـار ا تعالى إذ يقول: " ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابـاً " فـنص تعالى على أن حال الجمادية أحسن منـه حالـة فـاعجبوا للمعتزلة القائلين أن ا تعالى أعطى من يتمنى يوم القيامـة أن يكون تراباً أفضل عطية عنده ولم يترك في قدرته أصلح مما عمل به وأن خلقه له كان خيراً له من أن لا يخلقه ونحن نعوذ با لأنفسنا من أن يعمل بنا ما عمل بهم.

قال أبو محمد: ومن عجائبهم قولهم أن ا تعالى لـم يخلق شيئاً لا يعتبر به أحد من المكلفين.

قال أبو محمد: فنقول لهم ما دليلكم على هـذا وقـد علمنا بضرورة الحس أن تعالى في قعور البحار وأعماق الأرض أشياء كثيرة لم يرها إنسان قط فلم يبق إلا أن يـدعو عوض الملائكة والجن في عمق الجبال وقعور البحور فهـذه دعوة مفتقرة إلى دليل وإلا فهي باطلة قال عز وجل: " قـل

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " وأيضاً فما تبطل به دعوى هؤلاء القائلين بغير علم على ا .

إن ا تعالى إذا خلق زيداً وله من الطول كذا وكـذا فإنه لو خلقه على أقل من ذلك الطول بإصبع لكان الاعتبـار بخلقه سواء كما هو الآن ولا مزيد وهكذا كـل مقـدار مـن المقادير فإن ادعوا أن الزيادة في العدد زيـادة فـي العبـرة لزمهم أن يلزموا ربهم تعالى أن يزيد في مقدار طول كل ما خلق لأنه كان يكون زيادة فـي الاعتبـار وإلا فقـد قصـر وبالجملة فهو سهم لا يحصيه إلا الذي خلقهم نعوذ با ممـا ابتلاهم به.

قال أبو محمد: وهم مقرون أن العقول معطـاة مـن عند ا عز وجل فنسألهم أفاضل بين عباده فيما أعطاهم من العقول أم لا فإن قالوا لا كابروا الحس ولزمهم مع ذلـك أن عقل النبي صلى ا عليه وسـلم وتمييـزه وعقـل عيسـى وإبراهيم وموسى وأيوب وسائر الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسلام وتمييزهم عقل مريم بنت عمران وتمييزها بل تمييز جبريل وميكائيل وسائر الملائكة ثم تمييز أبي بكر الصـديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعقـولهم وتمييـز

أمهات المؤمنين وبنات النبي صلى ا عليه وسلم رضـوان ا على جميع من ذكرنـا وعقـولهن ثـم تمييـز سـقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وعقولهم ليس شيء من ذلك أفضل من العقل والتمييز المعطيين لهذا المخنث البغاء الزقان ولهذه الزانية الخليقة المتبرجة السحاقة ولهذا الشيخ الذي يلعب مع الصبيان بالكعاب في الخانات ويعجفهم إذا قدر ومن بلغ هذا المبلغ وساوى بين من أعطى ا عز وجل كل من ذكرنا من العقل والتمييز فقد كفى خصمه مؤونته وإن قـالوا بـل ا تعالى فاضل بين عباده فيما أعطاهم من العقل والتمييز قيـل لهم صدقتم وهذا هو المحاباة والجـور علـى أصـولكم ولا محاباة على الحقيقة أكثر من هذا وهي عندنا حق وعدل منه تعالى لا يسأل عما يفعل ولعمري أن فيهم لا عجباً إذ يقولون أن ا تعالى لم يعط أحداً من خلقه إلا ما أعطى سائرهم فهلا إن كانوا صادقين ساوى جميعهم إبراهيم النظام وأبا الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر والجبائي في دقة نظرهم وقـوتهم على الجدال إذ كلهم فيما منحهم ا عز وجل من ذلك سواء فإذ لا شك في عجزهم عن بلوغ ذلك فلا شك في أن كل أحد لا يقدر أن يزيد فيما منحه ا تعالى به وليس يمكنهم أصـلاً

أن يدعوا ها هنا أنهم كلهم قادرون على ذكاء الذهن وحـدة النظر وقوة الفطنة وجودة الحفظ و البتة لدقيق الحجة وإن لم يظهروا كما ادعوا ذلك فـي الأعمـال الصـالحة فصـحت المحاباة من ا تعالى يقيناً عياناً لا محيد عنه وبـا تعـالى التوفيق فإن قروا أن العقول والذكاء وقبـول العلـم وذكـاء الخاطر ودقة الفهم غير موهوبة من ا تعالى عز وجل قلنا لهم فمن خلقها فإن قالوا هي فعل الطبيعة قلنا لهم ومن خلـق الطبيعة التي فعلت العقول وكل ذلك بذاتها متفاضـلة فمـن قولهم ان ا تعالى خلقها فيقال لهم فهو موجب المحابـاة إذ رتب الطبيعة رتبة المحاباة ولا بد وإن قالوا لم تخلق الطبيعة ولا العقول لحقوا بالدهرية وصاروا إلى ما لـم يـرد لهـم المصير إليه وهذا لا مخلص لهم منه أصلاً وبـا تعـالى التوفيق وبالضرورة ندري أن من كان تمييزه أتم كان اهتداؤه واعتصامه أتم على أصولهم وهذا هو المحاباة التي أنكروها وسموها ظلماً وجوراً.

قال أبو محمد: ومهما أمكنهم من الدفاع والقحة فـي شيء ما فإنه لا يمكنهم اعتراض أصلاً فـي أن فضـل ا تعالى على المسيح بن مريم عليه الصلاة والسـلام وعلـى

يحيى بن زكريا إذ جعل عيسى نبياً ناطقاً عاقلاً فـي المهـد رسولاً حين سقوطه من بطن أمه وإذ أتى يحيى الحكم صبياً أتم وأعلا وأكثر من فضله على ولد في أقاصي بلاد الخـزر والزنج حيث لم يسمع قط ذكر محمد صلى ا عليه وسلم إلا متبعاً أقبح الذكر من التكذيب وانه كان متخيلاً وأكثـر مـن فضله بلا شك على فرعون إذ دعا موسى عليـه الصـلاة والسلام فقال: " وقَالَ موسى ربنَا إِنك آتَيتَ فِرعون ومـلأه زِينَةً وَأَموالاً فِي الْحياةِ الدنْيا ربنَا لِيضِلواْ عن سـبِيلِك ربنَـا اطْمِس علَى أَموالِهِم واشْدد علَى قُلُوبِهِم فَلاَ يؤْمِنُواْ حتى يرواْ الْعذَاب الأَلِيم قَالَ قَد أُجِيبت دعوتُكُما ".

قال أبو محمد: إن من ضل بعد هذا لضال وإن مـن قال أن فضل ا عز وجل وعطاءه لموسى وعيسى ويحيـى ومحمد صلى ا عليه وسلم وعصمته لهم كفضله وعطائـه على فرعون وملئه وعصمته لهم الذين نص عز وجل علـى أنه شد على قلوبهم شداً منعهم الإيمان حتى يـروا العـذاب الأليم فلا ينفعهم إيمانهم حينئذ لضعيف العقل قليـل العلـم مهلهل اليقين ولا بيان أبين من هذه الآية في تفضيل ا عز وجل بعض خلقه على بعض واختصاص بعضـهم بالهـدى

والرحمة دون بعض ومحاباته من شاء منهم وإضـلاله مـن ضل منهم وأيضاً فإنهم لا يستطيعون ان ا عز وجل فضل بني آدم على كثير ممن خلق قال تعالى: " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم ا ورفع بعضهم درجات " وقال تعالى: " ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض " وقـال تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فـي البـر والبحـر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيـر ممـن خلقنـا تفضيلا " وهي المحاباة بعينها التي هي عند المعتزلة جـور وظلم فيقال لهم على أصلكم الفاسد هـل لا رزق ا العقـل سائر الحيوان فيعرضهم بذلك للمراتب السني التي عرض لها بني آدم وهلا ساوى بين الحيوان وبيننا في أن لا يعرضـنا كلنا للمهالك والفتن فهل هذا إلا محاباة مجردة وفعل لما يشاء لا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل.

قال أبو محمد: وقد ذكر بعضهم أن ا تعالى قبح في عقول بني آدم أكل ما يعطيهم وأكل أموال غيرهم ولم يقـبح ذلك في عقول الحيوان.

قال أبو محمد: فأقر هذا الجاهل بأن ا تعالى هـو المقبح والمحسن فإذ ذلك كذلك فلا قبيح إلا ما قـبح ا ولا

محسن إلا ما حسن وهذا قولنا ولم يقبح ا تعالى قط خلقـه
لما خلق وإنما قبح منا كون ذلك الذي خلق من المعاصي فينا
فقط وبا تعالى التوفيق وإن الأمر لأبين من ذلك ألم تـروا
أن ا خلق الحيوان فجعل بعضهم أفضل من بعض بلا عمل
أصلاً ففضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق نعـم
وعلى نوق الأنبياء الذين هم أفضل من صالح وإنما أتينا بهذا
لئلا يقولوا أنه تعالى إنما فضلها تفضيلاً لصالح عليه السلام
وجعل تعالى الكلب مضروباً به المثل بالخساسـة والرذالـة
وجعل القردة والخنازير معذباً بعضه من عصاه بتصويره في
صورتها فلولا أن صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب فـي
صورتها أشد ما يكون من عذاب الدنيا ونكالها وجعل بعض
الحيوان متقرباً إلى ا عز وجل بذبحه وبعضه محرم ذبحه
وبعضه مأواه الرياض والأشجار والخضر وبعضـه مـأواه
الحشوش والرداع والدبر وبعضـه قويـاً وبعضـه ضـعيفاً
وبعضه منتفعاً به في الأودية وبعضه سماً قاتلاً وبعضه قوياً
على الخلاص ممن أراد بطيرانه وعدوه أو قوته وبعضـه لا
مهيناً مخاص عنده وبعضه خيلاً في نواصيها الخير يجاهـد
عليها العدو وبعضه سباعاً ضارية مسلطة على سائر الحيوان

ذاعرة لها قاتلة لها آكلة لها وجعل سائر الحيوان لا ينقصـر منها وبعضها حيات عادية مهلكة وبعضها مأكولاً على كـل حال فأي ذم كان لبعضه حتى سلط عليه غيره فأكله وقتلـه وأبيح ذبحه وقتله وإن لم يؤكل كالقمل والبراغيـث والبـق والوزغ وسائر الهوام ونها عن قتل النحل وعن قتل الصـيد في الحرمين والأحرام وأباحه في غير الحرمين والأحرام فإن قالوا أن ا تعالى يعوض ما أباح ذبحه وقتله منها قيـل لـه فهلا أباح ذلك فيما حرم قتله ليعوضه أيضاً وهذه محابـاة لا شك فيها مع أنه في المعهود من المعقول عين العبـث إلا أن يقولوا أنه تعالى لا يقدر على نعيمها إلا بتقديم الأذى فإنهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لها على من لم يبح ذلك فيهـا مـن سائر الحيوان مع أنه تعجيز عز وجل ولو ويقال لهم مـا لذي عجزه عن ذلك وأقدره على تنعيم من تقدم له الأذى في الدنيا أطبيعة فيه جارية على بنيتها أم فوقه وأهب لـه تلـك القدرة ولا بد من أحد هذين القولين وكلاهمـا كفـر مجـرد وأيضاً فإن قولهم يبطل بتنعيم ا عز وجل الأطفـال الـذين ولدوا أحياء وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم ولا تعـذيب فهلا فعل بجميع الحيوان كذلك على أصولكم فقد كـان عـز

وجل قادراً على ان يجعل غذاءنا في غير الحيوان لكن فـي النبات والثمار كعيش كثير من الناس في الـدنيا لا يـأكلون لحماً فما ضرهم ذلك في عيشهم شيئاً فهل ها هنـا إلا أن ا تعالى لا يجوز الحكم على أفعاله بما يحكم به علـى أفعالنـا لأننا مأمورون منهيون وهو تعالى آمرنا لا مأمور ولا منهي فكل ما فعله عدل وحكمة وحق وكل ما فعلناه فإنه إن وافـق أمره عز وجل كان عدلاً وحقاً وإن خالف أمره عـز وجـل كان جوراً وظلماً.

قال أبو محمد: وأما الحيوان فإن قولنا فيه هو نـص ما قاله ا عز وجل ورسوله صلى ا عليه وسلم إذ يقـول عز وجل: " وما من دابـة فـي الأرض ولا طـائر يطيـر بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون " وقال عز وجل: " وإذا الوحوش حشـرت " فنحن موقنون الوحوش كلها وجميع الدواب والطير تحشـر كلها يوم القيامة كما شاء ا تعالى ولما شاء عز وجل و أما نحن فلا ندري لماذا وا أعلم بكل شيء وقـال رسـول ا صلى ا عليه وسلم أنه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء فنحن نقر بهذا وبأنه يقتص يومئذ للشاة الجماء مـن

الشاة القرناء ولا ندري ما يفعل ا بهما بعد ذلـك إلا أنـا ندري يقيناً أنها لا تعذب بالنـار لأن ا تعـالى قـال: " لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى " وبيقين ندري أن هذه الصفة ليست إلا في الجن والإنس خاصة ولا علم لنا إلا مـا علمنا ا تعالى وقد أيقنا ان سائر الحيوان الذي في هذا العالم ما عدا الملائكة والحور والإنس والجن فإنـه غيـر متعبـد بشريعته وأما الجنة فإن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: " لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة " والحيوان حاشا من ذكرنـا لا يقع عليهم اسم مسلمين لأن المسلم هو المتعبـد بالإسـلام والحيوان المذكور غير متعبد بشرع فإن قـال قائـل أنكـم تقولون أن أطفال المسلمين وأطفال المشركين كلهـم بالجنـة فهل يقع على هؤلاء اسم مسلمين فجوابنا وبا تعالى التوفيق إن نقول نعم كلهم مسلمون بلا شك لقـول ا تعـالى: " وإِذْ أَخَذَ ربك مِن بني آدم مِن ظُهورِهِم ذُريتَهم وأَشْـهدهم علَـى أَنفُسِهِم أَلَستَ بِربكُم قَالُواْ بلَى " وقوله تعالى: " فأقم وجهـك للدين حنيفاً فطرة ا التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلـق ا " ولقول رسول ا صلى ا عليه وسلم: " كـل مولـود يولد على الفطرة " وروي على الملة " فـأبواه يهودانـه أو

ينصرانه أو يمجسانه أو يشركانه " ولقوله صـلى ا عليـه وسلم عن ا عز وجل إني خلقـت عبـادي حنفـاء كلهـم فاحتالتهم الشياطين عن دينهم فصح لهم كلهم اسـم الإسـلام والحمد رب العالمين وقد نص عليه السلام على أنـه رأى كل من مات طفلاً من أولاد المشركين وغيرهم في روضـة مع إبراهيم خليل ا صلى ا عليه وسلم وأما المجانين ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة نبي وقد هـرم أو أصـم لا يسمع فقد صح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه تبعث لهم يوم القيامة نار موقدة ويأمرون بدخولها فمن دخلها كانت عليه برداً ودخل الجنة أو كلاماً هذا معناه فنحن نؤمن بهـذا ونقر به ولا علم لنا إلا ما علمنا ا تعالى على لسان رسوله صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: وإذا قد بلغ الكلام هاهنا فلنصـله إن شاء ا تعالى راغبين في الأجر من ا عز وجل على بيان الحق فنقول وبا تعالى نتأيد أن ا تعالى قد نص كما ذكرنا أنه آخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وهذا نص جلـي على أنه عز وجل خلق أنفسنا كلها من عهد آدم عليه السلام لأن الأجساد حينئذ بلا شك كانت تراباً ومـاء وأيضـاً فـإن

المكلف المخاطب إنما هو النفس لا الجسد فصح يقيناً أن نفوس كل من يكون من بني آدم إلى يوم القيامة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلا شك ولم يقل ا عز وجل أنه أفنانا بعد ذلك ونص تعالى على انه خلق الأرض والماء حينئذ بقوله تعالى إنه جعل من الماء كل شيء حي وقوله تعالى: " خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش " وأخبر عز وجل أنه خلقنا من طين والطين هو التراب والماء وإنما خلق تعالى من ذلك أجسامنا فصح أن عنصر أجسامنا مخلوق منذ أول خلقه تعالى السماوات وأن أرواحنا وهي أنفسنا مخلوقة منذ أخذ ا تعالى عليها العهد وهكذا قال تعالى: " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم " وثم توجب في اللغة التي بها نزل القرآن التعقيب بمهلة ثم يصور ا تعالى من الطين أجسامنا من اللحم والدم والعظام بأن يحيل أعراض التراب والماء وصفاتهما فتصير نباتاً وحباً وثماراً يتغذى بها فتستحيل فينا لحماً وعظماً ودماً وعصباً وجلداً وغضاريف وشعراً ودماغاً ونخاعاً وعروقاً وعضلاً وشحماً ومنياً ولبناً فقط وكذلك تعود أجسامنا بعد الموت تراباً ولا بد وتصعد رطوباتها المائية

وأما جمع ا تعالى الأنفس إلى الأجساد فهي الحياة الأولـى بعد افتراقها الذي هو الموت الأول فتبقى كذلك فـي عـالم الدنيا الذي هو عالم الابتلاء ما شاء ا تعـالى ثـم ينقلنـا بالموت الثاني الذي هو فراق الأنفس للأجسـاد ثانيـة إلـى البرزخ الذي تقيم فيه الأنفس إلى يوم القيامة وتعود أجسامنا تراباً كما قلنا ثم يجمع ا عز وجل يوم القيامة بين أنفسـنا وأجسادنا التي كانت بعد أن يعيدها وينشرها من القبور وهي المواضع التي استقرت أجزاؤها فيها لا يعلمهـا غيـره ولا يحصيها سواه عز وجل لا إله إلا هو فهذه الحياة الثانية التي لا تبيد أبداً ويخلد الإنس والجن مؤمنهم في الجنة بلا نهايـة وكافرهم بالنار بلا نهاية وأما الملائكة وحور العين فكلهم في الجنة فيها خلقوا من النور وفيها يبقون أبداً بلا نهايـة ولـم ينقلوا عنها قط ولا ينقلون هذا كله نص قول ا عز وجل إذ يقول: " كيف تكفرون با وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم " وإذ يقول تعالى مصدقاً للقائلين: " ربنا أمتنا اثنتـين وأحييتنا اثنتين" فلا يشذ عن هذا أحد إلا من أبانه ا تعـالى بمعجزة ظهرت فيه كمن أحياه ا عـز وجـل آيـة لنبـي كالمسيح عليه السلام وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف

حذرروت فقال لهم ا موتوا ثم أحياهم فهؤلاء والذي أماتـه ا مائة عام ثم أحياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثـلاث مرات وأما من ظن أن الصعقة التي تكون يوم القيامة مـوت فقد أخطأ بنص القرآن الذي ذكرنا لأنها كانت تكون حينئـذ لكل أحد ثلاث موتات وثلاث إحياءات وهذا كـذب وباطـل وخلاف للقرآن وقد بين عز وجل هذا نصاً فقال تعـالى: " ويوم ينفَخُ فِي الصور فَفَزِع من فِي السـماواتِ ومـن فِـي الْأرضِ إلا من شَاء الله " فبين تعالى أن تلك الصعقة إنما هي فزع لا موت وبين ذلك بقوله تعالى في سورة الزمر: " ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء ا ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظـرون وأشـرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء " الآية فبين تعالى أن تلك الصعقة مستثنى منها من شـاء ا عز وجل وفسر بها الآية التي ذكرنا قبل وبينت أنها فزعة لا موتة وكذلك فسرها النبي غليه الصلاة والسلام بأنه أول من يقوم فيرى موسى عليه السلام قائماً فلا يدري أكـان ممـن صعق فأفاق أم جوزي بصعقة الطور فسماها إفاقة ولو كانت موتة ما سماها إفاقة بل إحياء فكذلك كانت صـعقة موسـى

عليه الصلاة والسلام يوم الطور فزعة لا موتة قال تعالى " وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك " وهذا ما لا خلاف فيه.

قال أبو محمد: فصح بما ذكرنا ان الدور سبع وهـي عالمون كل علم منها قائم بذاته فأولها دار الابتداء وعالمـه وهو الذي خلق عز وجل فيه الأنفس جملة واحدة وأخذ عليها العهد هكذا نص تعالى على أنها الأنفس بقوله عز وجـل: " وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم " وهي دار واحدة لأنهـم كلهم فيها مسلمون وهي دار طويلة على آخر النفوس جداً إلا على أول المخلوقين فهي قصيرة عليهم جداً وثانيها وهي دار الابتلاء وعالمه وهي التي نحن فيها وهي التـي يرسـل ا تعالى النفوس إليها من عالم الابتداء فتقيم فيه في أجسـادها متعبدة ما أقامت حتى تفارقه جيلاً بعد جيل حتـى تسـتوفي جميع الأنفس المخلوقة بسكناها الموفق لها فيه ثم ينقضي هذا العالم وهي دار قصيرة جداً على كل نفس في ذاتها لأن مدة عمر الإنسان فيها قليل ولو عمر ألف عام فكيـف بأعمـار جمهور الناس التي هي من ساعة إلى حدود المائة عـام ثـم داران اثنان للبرزخ وهما اللتان ترجع إليهما النفـوس عنـد

خروجها من هذا العالم وفراقها أجسادها وهما عند سماء الدنيا نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أنه رأى ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام آدم في سماء الدنيا وعن يمينه أسوده وعن يساره أسوده فسأل عنها فأخبر أنها نسم بنيه وأن الذين على يمينه أرواح أهل السعادة والذين عن يساره أرواح أهل الشقاء وقد نص الله تعالى على هذا نصاً فقال تعالى: " وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين " وقال تعالى: " فَأَما إِن كان مِن الْمقَرِبين فَروح وريحان وجنةُ نَعِيمٍ وَأَما إِن كان مِن أَصحابِ الْيمِينِ فَسلَام لك مِن أَصحابِ الْيمِينِ وَأَما إِن كان مِن الْمكَذِبين الضالين فَنُزلٌ من حمِيمٍ وتَصلِيةُ جحِيمٍ إِن هذَا لَهو حق الْيقِينِ فَسبح بِاسمِ ربك الْعظِيمِ " وقال تعالى: " ثُم كان مِن الذِين آمنُوا وتَواصوا بِالصبرِ وتَواصوا بِالْمرحمةِ أُولَئِك أَصحاب الْميمنَةِ والذِين كفَروا بِآياتِنَا هم أَصحاب الْمشْأَمةِ علَيهم نَار مؤْصدةٌ ".

قال أبو محمد رضي ا عنه: هكذا نص رسول ا صلى ا عليه وسلم على أن أرواح الشهداء في الجنة وكذلك الأنبياء بلا شك فمن الباطل أن يفوز الشهداء بفضل يحرمه الأنبياء وهم المقربون الذين ذكر ا تعالى أنهم في الجنة إذ يقول تعالى: " فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم " فهاتان داران قائمان لم يدخل أهلهما بعد لا الجنة ولا ناراً بنص القرآن والسنة وقال تعالى: " النار يعرضون عليها غدواً وعشي ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب " وقال تعالى حاكياً عن الكفار أنهم يقولون يوم البعث: " يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا " فصح أنهم لم يعذبوا في النار بعد وهكذا جاءت الأخبار كلها بأن الجميع يوم القيامة يصيرون إلى الجنة وإلى النار لا قبل ذلك حاشا الأنبياء والشهداء فقط ولا ينكر خروجهم من الجنة لحضور الحساب فقد دخل رسول ا صلى ا عليه وسلم الجنة ثم خرج عنها قال تعالى: " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى " وهما داران طويلتان على أول النفوس جداً حاشا آخر المخلوقين فهي قصيرة عليهم جداً وإنما ستقصرها الكفار كما قال عز وجل في القرآن لأنهم

انتقلوا عنها إلى عذاب النار نعوذ با منها فاستقلوا تلك المدة وإن كانت طويلة حتى ظنها بعضهم لشدة ما صاروا إليه يوماً أو بعض يوم وقال بعضهم إن لبثتم إلا عشرا ثم الدار الخامسة هي عالم البعث وهو يوم القيامة وهو عالم الحساب ومقداره خمسون ألف سنة قال تعالى: " في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميماً يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه " فصح أنه يوم القيامة وبهذا أيضاً جاءت الأخبار الثابتة عن رسول ا صلى ا عليه وسلم وأما الأيام التي قال ا تعالى فيها أن اليوم منها ألف سنة فهي آخر قال تعالى: " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون " وقال تعالى: " وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون " فهي أيام أخر بنص القرآن ولا يحل إحالة نص عن ظاهره بغير نص آخر أو إجماع بيقين أو ضرورة حس ثم الدار السادسة والسابعة داران للجزاء وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ولا فناء لهما ولا لمن فيهما نعوذ با من سخطه الموجب للنار

ونسأله الرضى منه الموجب للجنة وما توفيقنا إلا با الرحيم الكريم وأما من قال أن قوله تعالى في يوم القيامة إنما هـو مقداره خمسين ألف سنة لو تولى ذلك الحساب غيـره فهـو مكذب لربه تعالى مخالف للقرآن ولقول رسول ا صلى ا عليه وسلم في طول ذلك اليوم وبضرورة العقل ندري أنه لو كلف جميع أهل الأرض محاسبة أهل حصـر واحـد فيمـا أضمروه وفعلوه وموازنة كل ذلك ما قاموا به في ألف ألـف عام فبطل هذا القول الكاذب بيقين لا شك فيه وبا تعـالى التوفيق.

قال أبو محمد: وإذ قد بينا بطلان قول المعتزلة فـي تحكمهم على ربهم و إيجابهم عليه ما أوجبوا بآرائهم السخيفة وتشبيههم إياه بأنفسهم فيما يحسن منهم ويقبح و تجويزهم إياه فيما فعل وقضى وقدر فلنبين بحول ا وقوته أنهم المجورون له على الحقيقة لا نحن ثم نذكر ما نـص ا تعـالى عليـه مصدقاً لقولنا ومكذباً لقولهم وبا تعالى التوفيق فنقول وبا عز وجل نتأيد أن من المحال البين أن يقول المعتزلـة أننـا نجور ا تعالى ونحن نقول أنه لا يجوز البتة ولا جار قـط وإن كل ما فعل أو يفعل أي شيء كان فهو العـدل والحـق

والحكمة على الحقيقة لا شك في ذلك وأنه لا جـور إلا مـا سماه ا عز وجل جوراً وهو ما ظهر في عصاة عباده مـن الجنوالإنس مما خالف أمره تعالى وهو خالقه فيهم كما شـاء فكيف يكون مجور إليه عز وجل من هذه هي مقالته وإنمـا المجور لربه تعالى من يقول فيما أخبر ا عز وجل أنه خلقه هذا جور وظلم فإن قائل هذا القول لا يخلو ضرورة من أحد الوجهين لا ثالث لهما إما أنه مكذب لربه عـز وجـل فـي إخباره في القرآن أنه برأ المصائب كلها وخلقها وأنه تعـالى خلقنا وما نعمل وأنه خاق كل شيء بقدر محرف لكلام ربـه تعالى الذي هو غاية البيان عن مواضعه مبدل له بعـد مـا سمعه وقد نص ا تعالى فيمن يحرف الكلم عـن مواضـعه ويبدله بعدما سمعه ما نص فهذا خطة كفر إن التزمها والثانية وهي تصديق ا عز وجل في إخباره بذلك وتجويزه في فعله لا بد له من ذلك وهذه أيضـاً خطـة كفـر إن التزمهـا أو الانقطاع والتناقض والثبات على اعتقاد الباطل بـلا حجـة تقليداً للعيارين الشطار الفساق كالنظام والعلاف و بشر نخاس الرقيق ومعمر المتهم عندهم في دينه وثمامة الخليع المشهور بالقبائح والجاحظ وهو من عرف هذلاً وعيارة وانهمالاً وهذه

أسلم الوجوه لهم ونعوذ با من مثلها ثم هم بعد هذا صـنفان أصحاب اللطف وأصحاب اللطف فأما أصحاب الأصلح فإن أصحاب الأصلح يصفونهم بأنهم مجورون مجهولون لـه وأصحاب الأصلح يصفهم أصحاب اللطف بأنهم معجزون تعالى مشبهون له بخلقه فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقد نص ا تعالى على أنه يفعل ما يشاء بخلاف ما قالـت المعتزلة فقال عز وجل: " كذلك يضل ا من يشاء ويهـدي من يشاء " وأمرنا عز وجل أن نـدعوه فنقـول: " ربنـا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كمـا حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ".

قال أبو محمد: وهذا غاية البيان في أنه عز وجل له أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به وأنه لو شاء ذلك لكان من حقـه ولو لم يكن له ذلك لما أمرنا بالدعاء في أن لا يحملنا ذلـك ولكان الدعاء بذلك كالدعاء في أن يكون إلهـاً خالقـاً علـى أصولهم ونص تعالى كما تلونا على أنه قد حمل من كان قبلنا الإصر وهو الثقل الذي لا يطاق وأمرنا أن نـدعوه بـأن لا يحمل ذلك علينا وأيضاً فقد أمرنا تعالى في هـذه الآيـة أن

ندعوه في أن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وهذا تكليف مـا لا يطاق نفسه لأن النسيان لا يقدر أحد على الخـلاص منـه ولا يتوهم التحفظ منه ولا يمكن أحداً دفعه عن نفسه فلولا أن له تعالى أن يؤاخذنا بالنسيان من شاء من عباده لمـا أمرنـا بالدعاء في النجاة منه وقد وجدنا الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسلام مؤاخذين بالنسيان منهم أبونا آدم صـلى ا عليـه وسلم قال ا تعالى: " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسـي " يريد نسيانه عداوة إبليس له الذي حذره ا تعالى منها ثـم وآخذه على ذلك وأخرجه من الجنة ثم تاب عليه وهذا كلـه على أصول المعتزلة جور وظلم تعالى ا عن ذلك وقال عز وجل: " لو شاء ا ما أشركوا " ولو في اللغة التي بها نـزل القرآن حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيـره فصـح يقيناً أن ترك الشرك من المشركين ممتنع لامتناع مشيئة ا تعالى لتركه وقال تعالى: " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن ا " ومشيئة ا هي تفسير إذن ا وقال تعالى: " ولو أننـا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شـيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا إن يشاء ا " فهذا نص جلي علـى انه لا يمكن أحداً أن يؤمن إلا بإذن ا عز وجـل لـه فـي

الإيمان فصح يقيناً أن كل من آمن فلم يؤمن إلا بإذن ا عز وجل وإنه تعالى شاء أن يؤمن وإن كل من لم يؤمن فلم يأذن ا تعالى له في الإيمان ولا شاء ان يكون منه الإيمان هـذا نص هاتين الآيتين اللتين لا يحتملان تـأويلاً غيـره أصـلاً وليس لأحد أن يقول أنه تعالى عنى الإكراه على الإيمان لأن نص الآيتين مانع من هذا التأويل الفاسد لأنه تعالى أخبر أن كل من آمن فإنما آمن بإذن ا عز وجل وإن من لم يـؤمن فإن ا تعالى لم يشاء أن يؤمن فيلزمهم على هـذا أن كـل مؤمن في العالم فمكره على الإيمان وهذا شـر مـن قـول الجهمية وأشد فإن قالوا أن إذن ا تعالى ها هنا إنما أمـره لزمهم ضرورة أحد وجهين لا بد منهما إما ان يقولوا أن ا تعالى لم يأمر الكفار بالإيمان لأن النص قد جاء بأنه تعـالى لو أذن لهم لآمنوا وأما ان يقولوا أن كل من في العالم فهـم مؤمنون لأنهم عندهم مأذون لهم في الإيمان إذا كـان الإذن هو الأمر وكلا القولين كفر مجرد ومكابرة للعيان ونعوذ با من الضلال.

قال أبو محمد: الإذن هاهنا ومشيئته تعالى هو خلـق ا تعالى للإيمان فيمن آمن وقوله لإيمانه كن فيكون وعـدم

إذنه تعالى وعدم مشيئته للإيمان هو أن لا يخلق في المـرء الإيمان فلا يؤمن لا يجوز غير هذا البتة إذ قد صح أن الإذن ها هنا ليس هو الأمر وقال عز وجل " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا ا واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هـدى ا ومنهم من حقت عليه الضلالة " فأخبر تعـالى أنـه هـدى بعضهم دون بعض وهذا عند المعتزلة جور وقال تعـالى: " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس " فنص علـى انـه خلقهم ليدخلهم النار نعوذ با من ذلك وقال تعـالى: " ولـو شاء ا لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء " وأمر تعالى أن ندعوه فنقول: " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا " فنص تعالى على بزيغ قلوب من لم يهـدهم مـن الذين زاغوا إذ أزاغ ا قلوبهم وقال تعالى: " كـذلك حقـت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون " فقطـع تعـالى على ان كلماته قد حقت على الفاسقين انهم لا يؤمنون فمـن الذي حقق عليهم أن لا يؤمنوا إلا هو عز وجل وهذا جـور عند المعتزلة.

قال أبو محمد: وكل آية ذكرناها في باب الاستطاعة منهن حجة عليهم في هذا الباب وكل آية نتلوها إن شـاء ا

عز وجل في باب إثبات أن الله عز وجل أراد كـون الكفـر والفسق بعد هذا الباب منهي أيضاً حجة عليهم في هذا الباب وكذلك كل آية نتلوها إن شاء الله عز وجل في إبطال قـول من قال ليس عند الله تعالى شيء أصلح مما أعطـاه الله أبـا جهل وفرعون وأبا لهب مما يستدعي إلى الإيمان فإنها حجة عليهم في هذا الباب وبالله تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى: " وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق " وبقوله تعالى: " وما ربك بظلام للعبيد " وبقولـه تعالى: " وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " وبقولـه تعالى: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " وبقوله تعالى: " وما ربك بظلام للعبيد " وبقوله تعالى: " إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علـم الله فـيهم خيـراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ".

قال أبو محمد: وهذه حجة لنا عليهم لأنه تعالى أخبر أنه قادر على أن يسمعهم والإسماع ها هنا الهد بلا شك لأن آذانهم كانت صحاحاً ومعنى قوله تعالى: " ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون " إنما معناه بلا شك لتولوا عن الكفـر وهـم

معرضون عنه لا يجوز غير هذا لأنه محال أن يهـديهم ا وقد علم من قلوبهم خيراً فلا يهتدوا هذا تنـاقض قـد تنـزه كلامه عز وجل فصح أنه كما ذكرنا يقيناً.

قال أبو محمد: وسائرها لا حجة لهم في شيء منـه بل هو حجة لنا عليهم وهو نص قولنا أنه خلـق السـماوات والأرض وما بينهما بالحق وأفعـال العبـاد بـين السـماء والأرض بلا شك فا تعالى خلقها بالحق الذي هو اختراعه لها وكل ما فعل تعالى حق وإضلاله من أضل حق له ومنـه تعالى وهداه من هدى حق منه تعالى ومحاباته مـن حـابى بالنبوة وبالطاعة حق منه ونحن نبرأ إلى ا تعالى من كـل من قال أن ا تعالى خلق شيئاً بغير الحق أو أنه تعالى خلق شيئاً لاعباً أو أنه تعالى ظلم أحداً بل فعله عدل وصلاح ولقد ظهر لكل ذي فهم أننا قائلون بهـذه الآيـات علـى نصـها وظاهرها فأي حجة لهم علينا في هذه النصوص لـو عقلـوا وأما المعتزلة فيقولون أنه تعالى لم يخلق كثيـراً ممـا بـين السماوات والأرض لا سيما عباد بن سليمان منهم تلميذ هشام بن عمرو الفوطي القائل أن ا تعالى لم يخلق الجـدب ولا الجوع ولا الأمراض ولا الكفار ولا الفساق ومحمد بن عبـد

ا الإسكافي تلميذ جعفر بن حرب القائل أن ا تعـالى لـم يخلق العيدان ولا المزامير ولا الطنابير وكل ذلك ليس بخلق من خلق ا تعالى ا عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهـم يقولون أن ا عز وجل لو حابى أحداً لكان ظالماً لغيره وقد صح أن ا تعالى حابى موسى وإبراهيم ويحيـى ومحمـداً صلوات ا عليهم دون غيرهم ودون أبي لهب وأبي جهـل وفرعون والذي حاج إبراهيم في ربه فعلى قـول المعتزلـة يجب أن ا تعالى ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم وهذا ما لا مخاص لهم منه إلا بترك قولهم الفاسد وأما قوله تعالى: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " فهكذا نقول ما خلقهم ا تعالى إلا ليكونوا له عباداً مصرفين بحكمه فيهم منقـادين لتدبيره إياهم وهذه حقيقة العبادة والطاعة أيضاً عبادة وقـال تعالى حاكياً عن القائلين " أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنـا عابدون " وقد علم كل أحد ان قوم موسى عليه السـلام لـم يعبدوا قط فرعون عبادة تدين لكن عبدوه عبادة تذلل فكـانوا له عبيداً فهم له عابدون وكذلك قول الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن وقد علم كل أحد أنهم لم يعبـدوا الجـن عبادة تدين لكنهم عبدوهم عبادة تصرف لأمرهم وإغـوائهم

فكانوا لهم بذلك عبيداً فصح القول بأنهم يعبدونهم وهذا بـين وقال بعض أصحابنا معنى هذه الآية أنه تعالى خلقهم ليأمرهم بعبادته ولسنا نقول بهذا لأن فيهم من لم يأمره ا تعالى قط بعبادته كالأطفال والمجانين فصار تخصيصاً للآية بلا برهان والذي قلناه هو الحق الذي لا شك فيه لأنه المشاهد المتـيقن العام لكل واحد منهم واما ظن المعتزلة في هذه الآية فباطـل يكذبه إجماعهم معنا أن ا تعالى لم يزل يعلم أن كثيراً منهم لا يعبدونه فكيف يجوز أن يخبر أنه خلقهم لأمر قد علم أنـه لا يكون منهم إلا أن يصيروا إلى قول من يقول انه تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون فيتم كفر مـن لجـأ إلـى هـذا ولا يخلصون مع ذلك من نسبة العبث إلى الخالق تعالى إذ غرر من خلق فيما لا يدري أيعطبون فيه أم يفـوزون وتحيـرت المعتزلة القائلون بالأصلح وبإبطال المحاباة في وجه العـدل في ستة عشر باباً وهي العدل في إدامة العذاب العـدل فـي إيلام الحيوان العدل في تبليغ من في المعلوم أنه يكفر العدل في المخلوق العدل في إعطاء الاستطاعة العدل فـي الإرادة العدل في البدل العدل في الأمر العدل في عـذاب الأطفـال العدل في استحقاق العذاب في إخلاف أحوال المخلوقين العدل

في المعرفة العدل في اللطف العدل في الأصلح العدل فـي نسخ الشرائع العدل في النبوة.

وارده من الكافر والفاسق أم لم يشـأ ذلـك ولا أراد كونه قال أبو محمد: قالت المعتزلة أن ا تعالى لم يشـأ أن يكفر الكافر ولا أن يفسق الفاسق ولا ان يشتم تعـالى ولا أن يقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول ا عـز وجل: " ولا يرضى لعباده الكفر " وبقوله تعالى: " اتبعوا ما أسخط ا وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم " وقالوا من فعل ما أراد ا فهو مأجور محسن فإن كـان ا تعـالى أراد ان يكفر الكافر وأن يفسق الفاسق فقد فعلا جميعـاً مـا أراد ا منهما فهما محسنان مأجوران وذهب أهل السنة أن لفظة شاء وأراد لفظة مشتركة تقع إلـى معنيـين أحـدهما الرضـى والاستحسان فهذا منهي عن ا تعالى انه أراده أو شاءه في كل ما نهى عنه والثاني أن يقال أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده فهذا هو الذي نخبر به عن ا عز وجل في كل موجود في العالم من خير أو شر فسلكت المعتزلـة سـبيل السفسطة في التعلق في الألفاظ المشتركة الواقعة على معنيين فصاعداً أو التمويه الذي يضمحل إذا فتش ويفتضح إذا بحث

عنه وهذا سبيل الجهال الذي لا حيلة بأيـديهم إلا المخرفـة وقال أهل السنة ليس من فعل ما أراد ا تعالى وما شاء ا كان محسناً وإنما المحسن من فعل بأمر ا تعالى به ورضيه منه.

قال أبو محمد: ونسألهم فنقول لهم اخبرونا كـان ا تعالى قادراً على منع الكافر من الكفر والفاسق مـن الفسـق وعلى منع من شتمه من النطق ومن إمراره علـى خـاطره وعلى منع من قتل من قتل من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أم كان عاجزاً عن المنع من ذلك فإن قالوا لم يكن قادراً على المنع من شيء من ذلك فقد أثبتوا له معنى العجز ضـرورة وهذا كفر مجرد وإبطال لإلاهيته تعالى وقطع عليه بالضعف والنقص وتناهي القوة وانقطاع القدرة مع التناقض الفـاحش لأنهم مقرون أنه تعالى هو أعطاهم القوة التي بها كان الكفر والفسق وشتمه تعالى وقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام فمن المحال المحض أن يكون تعـالى لا يقـدر علـى أن لا يعطيهم الذي أعطاهم وهذه صفة المضطر المجبر وإن قالوا بل هو قادر على منعهم من ذلك أقروا ضرورة أنهم مريـد لبقائهم على الكفر وأنه المبقي للكافر والكفر وحالف الزمـان

الذي امتد فيه الكافر على كفره والفاسق على فسقه وهذا نفسه هو قولنا أنه أراد كون الكفر والفسق والشتم له وقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يرض عن شيء مـن ذلـك بـل سخطه تعالى وغضب على فعله وقالت المعتزلة إن كان ا تعالى أراد كون كل ذلك فهو إذاً يغضب مما أراد.

قال أبو محمد: ونحن نقر أنه تعالى يغضـب علـى فاعل ما أراد كونه منه ثم نعكس عليهم هذا السـؤال بعينـه فنقول لهم فإذا هذا عندكم منكر وأنتم مقرون به بأنـه قـادر على المنع منه فهو عندكم يغضب مما أقر ويسخط ما يقـره ولا يغيره ويثبت ما لا يرضى وهذا هو الذي شنعوا فيه ولا يقدرون على دفعه والشناعة عليهم راجعة لأنهم أنكروا مـا لزمهم وبالضرورة ندري أن من قدر على المنع من شيء فلم يفعل ولا منع منه فقد أراد وجود كونه ولو لم يـرد كونـه لغيره ولمنع منه ولما تركه يفعل فإن قالوا أنه حكيم وخلاهم دون منع لسر من الحكمة له في ذلك قيل له فاقنعوا بمثل هذا الجواب ممن قال لكم أنه أراد كونه لأنه حكيم كريم عزيـز وله في ذلك سر من الحكمة.

قال أبو محمد: وأما نحن فنقول أنه تعالى أراد كون كل ذلك ولا سر ها هنا وأن كل ما فعل فهو حكمة وحق وأن قولهم هذا هادم لمقدمتهم الفاسدة أنه يقبح من الباري تعالى ما يقبح منا وفيما بيننا وما علم قط ذو عقل أن عن خلـى منـا عدوه منطلق اليد على وليه وأحب الناس إليه يقتله ويعذبـه ويلطمه ويهينه ويتركه ينطلق على عبيده وإمائه يفجر بهـم وبهن طوعاً وكرهاً والسيد حاضر يرى ويسمع وهو قـادر على المنع من ذلك فلا يفعل بل لا يقنع بتـركهم إلا حتـى يعطي عدوه القوة على كل ذلك والآلات المعينة لـه ويمـده بالقوى شيئاً بعد شيء فليس حكيماً ولا حليماً ولكنـه عابـث ظالم جائر فيلزمهم على أصلهم الفاسد أن يحكموا علـى ا تعالى بكل هذا لأنهم معترفون بأنه تعالى فعل كل هذا وهـذا لا يلزمنا لأننا نقول أن ا تعالى يفعل ما يشاء وأن كل مـا فعل مما ذكرنا وغيره فهو كله منه تعالى حكمة وحق وعدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فبطل بضـرورة المشـاهدة قولهم أن ا تعالى لم يرد كون الكفر أو كون الفسق أو كون شتمه تعالى وقتل أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ولو لم يـرد كونه لمنع من ذلك كما منع من كون كل ما لم يرد أن يكون.

قال أبو محمد: ويكفي من هذا كله اجتماع الأمة على قول ما شاء ا كان وما لم يشأ لم يكن فهذا علـى عمومـه موجب أن كل ما في العالم كان أو يكون أي شيء كان فقـد شاء ا تعالى وكل ما لم يكن ولا يكون فلم يشأه ا تعـالى وقد نص ا تعالى نصاً لا يحتمل تأويلاً على أنه تعالى أراد كون كل ذلك فمن ذلك قوله تعالى: " لمـن شـاء مـنكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء ا رب العـالمين " فـنص تعالى نصاً جلياً على أنه لا يشاء أحد استقامة على طاعتـه تعالى إلا أن شاء ا تعالى أن يستقيم فلو صح قول المعتزلة أن ا تعالى شاء أن يستقيم كل مكلف لكان بنص القرآن كل مكلف مستقيم لأن ا تعالى عندهم قد شاء ذلك وهذا تكذيب مجرد تعالى نعوذ با من مثله فصح يقيناً لا مدخل للشك في صحته أنه تعالى شاء خلاف الاستقامة منهم ولم يشـأ أن يستقيموا بنص القرآن وقال تعالى: " وما جعلْنَا أَصحاب النارِ إلا ملَائِكَةً وما جعلْنَا عِدتَهم إلا فِتْنَةً للذِين كَفَروا لِيستَيقِن الذِين أُوتُوا الْكِتَاب ويزداد الذِين آمنُوا إِيمانًا ولَا يرتَاب الذِين أُوتُوا الْكِتَاب والْمؤْمِنُون ولِيقُولَ الذِين فِي قُلُوبِهم مرض والْكَافِرون

ماذَا أَراد الله بِهذَا مثَلًا كَذَلِك يضِل الله من يشَاء ويهدِي مـن يشَاء وما يعلَم جنُود ربك إِلا هو وما هِي إِلا ذِكْرى لِلْبشَرِ ".

قال أبو محمد: وهذه الآية غاية فـي البيـان لأن ا تعالى جعل عدة ملائكة النار فتنة للذين كفروا وليقولوا مـاذا أراد ا بهذا مثلاً فأخبر تعالى أراد أن يفتن الذين كفروا وأن يضلهم فيضلوا وأنه تعالى قصد إضلالهم وحكم بذلك كمـا قصد هدى المؤمنين وأراده وكذلك قال تعالى: " ولَو جعلْنَاه قُرآنًا أَعجمِيا لقَالُوا لَولَا فُصلَتْ آياتُه أَأَعجمِي وعربِي قُلْ هو لِلذِين آمنُوا هدى وشِفَاء والذِين لَا يؤْمِنُون فِي آذَانِهـم وقْـر وهو علَيهِم عمى أُولَئِك ينَادون مِن مكَانٍ بعِيدٍ ".

قال أبو محمد: فنص تعالى على أنه نـزل القـرآن هدى للمؤمنين وعمي للكفار و بيقين ندري أنه تعالى إذا نزل القرآن أراد أن يكون كما قال تعالى عمـي للكفـار وهـدى للمؤمنين وقال تعالى: " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كـان لنفس أن تؤمن إلا بإذن ا ويجعل الرجس علـى الـذين لا يعقلون " هكذا هي الآية كلها موصولة بعضها ببعض فـنص تعالى على أنه لو شاء لأمن الناس والجن وهم أهـل الأرض

كلهم ولو في لغة العرب التي بها خاطبنا ا عز وجل ليفهمنا حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح يقينـاً أن ا لم يشأ أن يؤمن كل من في الأرض وإذ لا شك في ذلك فباليقين أنه شاء منهم خلاف الإيمان وهو الكفر والفسق لا بد ولو كان ا تعالى أذن للكافرين في الإيمـان علـى قـول المعتزلة لكان كل من في الأرض قد آمن لأنه تعالى قد نص على أنه لا يؤمن أحد إلا بإذنه وهذا أمر من المعتزلة يكذبـه العيان فصح أن المعتزلة كذبت وأن ا تعالى صدق وأنه لم يأذن قط لمن مات كافراً في الإيمان وأن من عمي عن هـذه لأعمى القلب وكيف لا يكون أعمى القلب من أعمى ا قلبه عن الهدى وبالضرورة ندري أن قول ا تعالى: " وما كـان لنفس أن تؤمن إلا بإذن ا " حق وإن من لم يأذن ا تعالى إلا في الإيمان فإنه تعالى لم يشأ أن يؤمن وإذ لـم يشـأ أن يؤمن فبلا شك أنه تعالى شاء أن يكفر هذا مالا انفكاك منـه وقال تعالى: " ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو أننـا نزلنـا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا إن يشاء ا " فبين ا تعالى أتم بيان علـى أن الآيات لا تغني شيئاً ولا النذر وهم الرسل وإنه لا يـؤمن

من شيء من ذلك إلا من شاء ا عز وجل أن يؤمن فصـح يقيناً أنه لا يؤمن إلا من شاء ا إيمانه ولا يكفر إلا من شاء ا كفره فقال تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام أنه قال: " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن مـن الجـاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن " فبالضرورة نعلـم أن من صبا و جهل فإن ا تعالى لم يصرف عنه الكيـد الـذي صرفه برحمته عمن لم يصب ولم يجهل وإذا صرفه تعـالى عن بعض ولم يصرفه عن بعض فقد أراد تعالى إضلال من صبا وجهل وقال تعالى: " وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً " فليت شعري إذ قال تعالى أنه جعل قلوب الكافرين في أكنة ان يفقهوا القرآن وجعل الوقر في آذانهـم أتراه أراد أن يفقهوه و أراد أن لا يفقهوه وكيف يسوغ فـي عقل أحد أن يخبر تعالى أنه فعل عز وجل شيئاً لم يـرد أن يفعله ولا أراد كونه ولا شاء إيجاده وهذا تخليط لا يتشكل في عقل كل ذي مسكة من عقل فصح يقينـاً أن ا تعـال أراد كون الوقر في آذانهم وكون الأكنة على قلوبهم وقال تعالى: " ولو شاء ا لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء " فنص تعالى على أنه لم يرد أن يجعلنا أمة واحدة

ولكن شاء أن يضل قوماً ويهدي قوماً فصح يقيناً أنه تعـالى شاء إضلال من ضل وقال تعالى مثنياً على قوم ومصدقاً لهم في قولهم " قد افترينا على ا كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا ا منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ا ربنا " فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام واتباعهم قـول الحـق الذي شهد ا عز وجل بتصديقه أنهم إنما خلصوا من الكفر بأن ا تعالى نجاهم منه ولم ينج الكافرين منه وأن ا تعالى إن شاء ان يعودوا في الكفر عادوا فيه فصح يقيناً أنه تعـالى شاء ذلك ممن عاد في الكفر وقد قالت المعتزلة في هذه الآية معنى إلا أن يأمرنا ا بتعظيم الأصنام كما أمرنـا بتعظـيم الحجر الأسود والكعبة.

قال أبو محمد: هذا في غاية الفساد لأن ا تعالى لو أمرنا بذلك لم يكن عوداً في ملة الكفر بل كان يكـون ثباتـاً على الإيمان وتزايداً فيها وقال تعالى: " في قلـوبهم مـرض فزادهم ا مرضاً " فليت شعري إذ زاد لهم ا مرضاً أتراه لم يشأ ولا أراد ما فعل من زيادة المرض في قلوبهم وهـو الشرك والكفر وكيف يفعل ا ما لا يريد أن يفعل وهل هذا إلا إلحاد مجرد ممن قاله وقال تعالى: " ولو شاء ا ما اقتتل

الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكـن اختلفـوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكـن الله يفعل ما يريد " فنص تعالى على أنه لو شاء لـم يقتتلـوا فوجب ضرورة أنه شاء وأراد أن يقتتلوا وفي اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك فقد شاء الله تعالى كون الضـلال ووجـوده بنص كلامه تعالى وقال عز وجل: " ومن يرد الله فتنته فلـن تملك له من الله شيئا " فنص تعالى علـى انـه أراد فتنـة المفتتنين وهم الكفار وكفرهم الذين لم يملك لهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم من الله شيئاً فهذا نص على أن الله تعالى أراد كون الكفر من الكفار وقال تعالى: " أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم فـي الآخـرة عذاب عظيم ".

قال أبو محمد: وهذا غاية البيان في أنه تعالى لم يرد ان يطهر قلوبهم وبالضرورة ندري أن من يرد الله أن يطهر قلبه فقد أراد فساد دينه الذي هو ضد طهارة القلـب وقـال تعالى: " ولو شاء الله لجمعهم على الهدى " وهذا غاية البيان في أن الله تعالى لم يرد هدى الجميع وإذا لم يرد هداهم فقـد أراد كون كفرهم الذي هو ضد الهدى وقال تعالى: " ولو شئنا

لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ".

قال أبو محمد: هذا غاية البيان في أنه تعالى لم يشـأ هدى الكفار لكن حق قوله بأنهم لا بد من أن يكفروا فيكونوا من أهل جهنم وقال تعالى: " من يشأ ا يضلله ومـن يشـأ يجعله على صراط مستقيم فأخبر تعالى أنه شاء أن يضل من أضله وشاء ان يهدي من جعله على صراط مستقيم وهم بلا شك غير الذين لم يجعلهم على صراط مستقيم " وأراد فتنتهم وأن لا يطهر قلوبهم وأن يكونوا من أصحاب النار نعوذ با من ذلك وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال: " لئن لم يهدني ربي لأكونن من القـوم الضـالين " فشهد الخليل عليه السلام أن من لم يهـده ا تعـالى ضـل وصح أن من ضل فلم يهده ا عز وجل ومن لم يهـده ا وهو قادر على هداه فقد أراد ضلاله وإضلاله ولم يرد هـداه وقال تعالى: " ولو شاء ا ما أشركوا " فصح يقيناً لا إشكال فيه ان ا تعالى شاء أن يشركوا إذ نص على أنه لو شاء أن لا يشركوا ما أشركوا وقال تعالى: " يـوحي بعضـهم إلـى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه " وهـذا

نص على انه تعالى شاء أن يفعلوه إذ أخبر أنه لو شاء أن لا يفعلوه ما فعلوه وقال تعالى: " وكـذلك زيـن لكثيـر مـن المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسـوا علـيهم دينهم ولو شاء ا ما فعلوه فنص تعالى على أنه لو لم يشاء أن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ما أوحوه ولو شاء أن لا يلبس بعضهم دين بعض وأن لا يقتلـوا أولا دهم ما لبس عليهم دينهم ولا قتلوا أولا دهم فصح ضـرورة أنه تعالى شاء أن يلبس دين من التبس دينه وأراد كون قتلهم أولادهم وأن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وقال تعالى: " ولو شاء ا لسلطهم عليكم " فصح يقيناً أنـه تعالى سلط أيدي الكفار على من قتلوه من الأنبياء والصالحين وقال تعالى فمن يرد ا أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصـعد فـي السماء فنص على أنه يريد هـدى قـوم فيهـديهم ويشـرح صدورهم للإيمان ويريد ضلال آخرين فيضلهم بأن يضـيق صدورهم ويحرجها فكأنما كلفوا الصعود إلى السماء فيكفروا وقال تعالى: " واصبر وما صبرك إلا با " فـنص تعـالى على أن من صبر فصبره ليس إلا با فصح أن من صـبر

فإن ا أتاه الصبر ومن لم يصبر فإن ا عز وجل لم يؤتـه الصبر وقال تعالى: " ولا تنازعوا " فنهانا عـن الاخـتلاف وقال تعالى: " ولو شاء ربك لجعل الناس أمـة واحـدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم " فنص تعالى أنه خلقهم للاختلاف إلا من رحم ا منهم ولو شاء لم يختلفوا فصح يقيناً أن ا خلقهم لما نهاهم عنه من الاخـتلاف وأراد كون الاختلاف منهم وقال عز وجل: " تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير " وقال تعالى: " بعثنا علـيكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكـان وعـداً مفعولا " إلى قوله تعالى وليدخلوا المسجد كمـا دخلـوه أول مرة فنص تعالى على أنه أغرى الكفار وسلب المؤمنين فـي الملك وأنه بعث أولئك الذين دخلوا المسجد ودخلوه مسخط تعالى بلا شك فصح يقيناً أنه تعالى خلق كـل ذلـك و أراد كونه وقال عز وجل: " ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه ا الملك " فهذا نص جلي على ان ا أتى الملك ذلك الكافر فصح يقيناً أن ا تعالى فعل تمليكه وملكه على أهـل الإيمان ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن ذلك يسـخط ا

عز وجل ويغضبه ولا يرضاه وهو نفس الذي أنكرته المعتزلة وشنعت به.

قال أبو محمد: ونسألهم عما مضت الدنيا عليه منذ كانت من أولها إلى يومنا هذا من النصر النازل على ملوك أهل الشرك والملوك الجورة والظلم والغلبة المعطاة لهم على من ناوأهم من أهل الإسلام وأهل الفضل واحترام من أرادهم بالموت أو باضطراب الكلمة ويأت النصر لهم بوجوه الظفر الذي لا شك في أن ا تعالى فاعله من أماته أعدائهم من أهل الفضل وتأييدهم عليهم وهذا ما لا مخاص لهم في أن ا تعالى فاعله من أماته من أهل الفضل وتأييدهم عليهم وهذا ما لا مخاص لهم في أن ا تعالى أراد كونه وقال عز وجل: " ولكن كره ا انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين " فنص تعالى نصاً جلياً لا يحتمل تأويلاً على أنه كره أن يخرجوا في الجهاد الذي افترض عليهم الخروج فيه مع رسول ا صلى ا عليه وسلم فقد كره تعالى كون ما أراد ونص على أنه ثبطهم عن الخروج في الجهاد ثم عذبهم على التثبيط الذي أخبر تعالى أنه فعله ونص تعالى على أنه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا يقين ليس بأمر إلزام لأن ا تعالى

لم يأمرهم بالقعود عن الجهاد مع رسوله صلى ا عليه وسلم بل لعنهم وسخط عليهم إذ قعدوا فإذ لا شك في هذا فهو ضرورة أمر تكوين فصح ان ا تعالى خلق قعودهم المغضب له الموجب لسخطه وإذا نص تعالى على أمر فلا اعتراض لأحد عليه وقال عز وجل: " فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد ا ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون " وهذا نص جلي على أنه عز وجل أراد أن يموتوا وهم كافرون وأنه تعالى أراد كفرهم والقاف من تزهق مفتوحة بلا خلاف من أحد من القراء معطوفة على ما أراد ا عز وجل من أن يعذبهم بها في الدنيا والواو تدخل المعطوف في حكم المعطوف عليه بلا خلاف من أحد في اللغة التي بها خاطبنا ا تعالى.

قال أبو محمد: فإن قال قائل فإن ا عز وجل قال في الذين قعدوا عن الخروج مع رسول ا صلى ا عليه وسلم: " لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم " فلهذا ثبطهم قلنا لا عليكم أكانوا مأمورين بالخروج معه عليه السلام متوعدين بالنار إن قعدوا لغير عذر أم كانوا غير مأمورين بذلك فإذ لا

شك في أنهم كانوا مأمورين فقد ثبطهم ا عز وجـل عمـا أمرهم به وعذبهم على ذلك وخلق قعودهم عما أمرهم به ثـم نقول لهم أكان تعالى قادراً على ان يكف عن أهل الإسـلام خبالهم وفتنتهم لو خرجوا معهم أم لا فإن قالوا لم يكن قادراً على ذلك عجزوا ربهم تعالى وإن قالوا أنه تعالى كان قادراً على ذلك رجعوا إلى الحق وأقروا أن ا تعالى ثبطهم وكره كون ما افترض عليهم وخلق قعودهم الـذي عـذبهم عليـه ولامهم عليه كما شاء لا معقب لحكمه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: فإذ جاءت النصـوص كمـا ذكرنـا متظاهرة لا تحتمل تأويلاً بأنه عز وجل أراد ضلال من ضل وشاء كفر من كفر فقد علمنا ضرورة أن كلام ا تعـالى لا يتعارض فلما اخبر عز وجل أنه لا يرضى لعبـاده الكفـر فبالضرورة علمنا أن الذي نفا عز وجل هو غير الذي اثبـت فإذ لا شك في ذلك فالذي نفى تعالى هـو الرضـى بـالكفر والذي أثبت هو الإرادة لكونه والمشيئة لوجوده وهما معنيان متغايران بنص القرآن وحكم اللغة فإن أبت المعتزلـة مـن قبول كلام ربهم وكلام نبيهم صلى ا عليه وسـلم وكـلام إبراهيم ويوسف وشعيب وسائر الأنبياء صلى ا عليهم وسلم

وأبت أيضاً من قبول اللغة وما أوجبته البراهين الضـرورية مما شهدت به الحواس والعقول من ا تعالى لو لم يرد كون ما هو موجود كائن لمنع منه وقد قال تعالى " الـذين كـذبوا شعيباً كانوا هم الخاسـرين " فشـهد ا تعـالى بتكـذيبهم واستعاضته من ذلك بأصول المنانية أن الحكيم لا يريد كون الظلم ولا يخلقه فلبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمـون ولقد لجأ بعضهم إلى أن قال أن ا تعالى في هـذه الآيـات معنى ومراداً لا نعلمه.

قال أبو محمد: وهذا تجاهل ظاهر وراجع لنا علـيهم سواء بسواء في خلق ا تعالى أفعال عباده ثم يعذبهم عليهـا ولا فرق فكيف وهذا كله لا معنى له بل الآيات كلهـا حـق على ظاهرها لا يحل صرفها عنه لأن ا تعالى قال: " أفـلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " وقال تعالى: " قرآنـاً عربياً " وقال تعالى: " تبياناً لكل شيء " وقال تعالى: " أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم " وقال تعالى: " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " فأخبر تعالى أن القرآن تبيان لكل شيء فقالت المعتزلة أنه لا يفهمه أحد وأنه

ليس بياناً نعوذ با من مخالفة ا عز وجل ومخالفة رسول ا صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: ولا فرق بين ما تلونا من الآيات في أن ا تعالى شاء كون الكفر والضلال وبين قوله تعالى " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملـك ممـن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخيـر " وقولـه تعالى: " إن ا يفعل ما يشاء " وقال تعالى: " يجتبـي مـن رسله من يشاء " وقوله: " يرزق من يشاء " وقوله تعالى: " يختص برحمته من يشاء " وقوله تعالى: " فعال لما يريـد " فهذا العموم جامع المعاني هذه الآيات ونص القرآن وإجماع الأمة على ان ا عز وجل حكم بأن من حلف فقال إن شـاء ا أو إلا أن يشاء ا على أي شيء حلف فإنه إن فعل مـا حلف عليه أن لا يفعله فلا حنث عليه ولا كفارة تلزمـه لأن ا تعالى لو شاء لأنفذه وقال عز وجل: " ولا تقولن لشـيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء ا ".

قال أبو محمد: فإن اعترضوا بقول ا عـز وجـل وقالوا: " لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون " فلا حجة لهم في هذه الآية لأن ا عـز

وجل لا يتناقض كلامه بل يصدق بعضهم بعضاً وقد أخبـر تعالى أنه لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وأنه لـو لـم يشـاء أن يشركوا ما أشركوا وأنه شاء إضلالهم وأنه لا يريد أن يطهر قلوبهم فمن المحال الممتنع أن يكذب ا عز وجل قوله الذي أخبر به وصدقه فإذ لا شك في هذا فإن في الآية التي ذكروا بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان وهو أنه لـم يقـل تعالى أنهم كذبوا في قولهم: " لو شاء الرحمن ما عبـدناهم " فكان يكون لهم حينئذ في الآية متعلق وإنما أخبر تعالى أنهـم قالوا ذلك بغير علم عندهم لكن تخرصاً ليس في هذه الآيـة معنى غير هذا أصلاً وهذا حق وهو قولنا أن ا تعالى لـم ينكر قط فيها ولا في غيرها معنى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم بل صدقه في الآيات الأخر وإنما أنكر عز وجل أن قالوا ذلك بغير علم لكن بالتخرص وقد أكذب ا عز وجـل من قال الحق الذي لا حق أحق منه إذ قاله غير معتقد له قال عز وجل: " إِذَا جاءك الْمنَافِقُون قَالُوا نَشْهد إِنك لَرسولُ اللـهِ والله يعلَم إِنك لَرسولُه والله يشْهد إِن الْمنَافِقِين لَكَاذِبون ".

قال أبو محمد: فلما قالوا أصدق الكلام وهو الشهادة لمحمد صلى ا عليه وسلم بأنه رسول غير معتقدين لـ ذلك

سماهم ا تعالى كاذبين وهكذا فعل عز وجل في قولهم لـو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم قالوا هذا الكلام الذي هو الحق غير عالمين بصحته أنكر تعـالى علـيهم أن يقولوه متخرصين وبرهان هذا قول ا تعالى أثر هذه الآيـة نفسها: " أم أتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون " " بـل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثـارهم مهتـدون " فبين تعالى أنهم قالوا ذلك بغير علم من كتاب أتاهم وأن الذين قالوا معتقدين له إنما هو أنهم اهتدوا باتباع آثار آبائهم فهـذا هو الذي عقدوا عليه وهذا أنكر تعالى عليهم لا قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فبطل أن يكون لهم في الآية متعلق أصلاً والحمد رب العالمين فإن اعترضوا بقول ا عز وجل: " وقَالَ الَذِين َأَشْرَكُواْ لَو شَاء اللّه ما عبدنَا مِن دونِهِ مِن شَـيءٍ نحن ولا آباؤُنَا ولاَ حرمنَا مِن دونِهِ مِن شَيءٍ كَـذَلِك فَعـلَ الَذِين مِن قَبِلِهم فَهلْ علَى الرسل ِإلا الْبلاغُ الْمِبين ".

قال أبو محمد: فإن سكتوا ها هنا لم يهنهم التمويـه وقلنا لهم صلوا القراءة وأتموا معنى الآية فـإن بعـد قولـه تعالى: " فهل على الرسل إلا البلاغ المبين " متصلاً بـه: " ولقد بعثنا في كل أمـة رسـولاً أن اعبـدوا ا واجتنبـوا

الطاغوت فمنهم من هدى ا ومنهم من حقت عليه الضلالة ".

قال أبو محمد: فآخر هذه الآية يبين أولها وذلـك أن ا تعالى أيضاً لم يكذبهم فيما قالوه من ذلك بل حكـى عـز وجل انهم قالوا: " لو شاء ا ما عبدنا من دونه مـن شـيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء " ولم يكـذبهم في ذلك أصلاً بل حكى هذا القول عنهم كما حكـى تعـالى أيضاً قولهم: " ولئن سألتهم من خلـق السـماوات والأرض ليقولن ا " ولو أنكر عز وجل قولهم ذلك لأكذبهم فـإذ لـم يكذبهم فلقد صدقهم في ذلك والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: فإن اعترضوا بقول ا عز وجل: " سيقُولُ الذِين أَشْرَكُواْ لَو شَاء اللّه ما أَشْرَكْنَا ولاَ آباؤُنَـا ولاَ حرمنَا مِن شَيءٍ كَذَلِك كَذب الذِين مِن قَبلِهم حتى ذَاقُواْ بأْسنَا قُلْ هلْ عِندكُم من عِلْمٍ فَتُخْرِجوه لَنَا إِن تَتبِعون إِلا الظن وإِن أَنتُم إَلا تَخْرصون قُلْ فَلِلّهِ الْحجةُ الْبالِغَةُ فَلَـو شَـاء لَهـداكُم أَجمعِين قُلْ هلُم شُهداءكُم الذِين يشْهدون أَن اللّه حرم هـذَا فَإِن شَهدواْ فَلاَ تَشْهد معهم ولاَ تَتبِع أَهواء الذِين كَذبواْ بِآياتِنَا

والِذِين لاَ يؤْمِنُون ِبالآخِرِةِ وهم ِبربهم يعدِلُون قُلْ تَعالُواْ أَتْلُ ما حرم ربكُم علَيكُم أَلا تُشْرِكُواْ ِبِهِ شَيئًا ".

قال أبو محمد: إنما تلونا جميع الآيات على نسقها في القرآن واتصالها خوف أن يعترضوا بالآية ويسكتوا عند قوله يخرصون فكثيراً ما احتجنا إلى بيان مثل هذا من الاقتصـار على بعض الآية دون بعضها من تمويه من لا يتقي ا عز وجل.

قال أبو محمد: وهذه الآية من أعظـم حجـة علـى القدرية لأنه تعالى لم ينكر عليهم قولهم: " ولو شـاء ا مـا أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء " ولو أنكره لكذبهم فيه وإنما أنكر تعالى قولهم ذلك بغير علم وإن وافقوا الصدق والحق كما قدمنا آنفاً وقد بين تعالى أنه إنمـا أنكـر عليهم ذلك بقوله عز وجل في الآية نفسها " إن تتبعـون إلا الظن وإن انتم إلا تخرصون " ثم لم يدعنا تعالى في لبس من ذلك بل واتبع ذلك نسقاً واحداً بأن قال: " فلله الحجة البالغـة فلو شاء لهديكم أجمعين " فصدقهم عز وجل في قولهم إنه لو شاء ما أشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا ما حرمـوا وأخبـر تعالى أنه لو شاء لهداهم فاهتدوا وبين تعالى أن لـه الحجـة

عليهم في ذلك ولا حجة لأحد عليه تعالى وأنكر عز وجل أن اخرجوا ذلك فخرج العذر لأنفسهم أو فخرج الاحتجاج على الرسل عليهم السلام كما تفعل المعتزلة ثم بين تعالى أنه إنما أنكر أيضاً تكذيبهم رسله بقوله تعالى: " كذلك كذب الذين من قبلهم " بالذال المشددة بلا خلاف من القراء ودعواهم أن ا تعالى حرم ما ادعوا تحريمه وهم كاذبون بقوله تعالى: " قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن ا حرم هذا " فوضح بكل ما ذكرنا بطلان قول المعتزلة الجهال وبأن صحة قولنـا أن ا تعالى شاء كون كل ما في العالم من إيمان وشـرك وهـدى وضلال وإن ا تعالى أراد كون ذلك كله وكيف يمكـن أن ينكر تعالى قولهم لو شاء ا ما أشركنا وقد أخبرنا عز وجل بهذا نصاً في قوله في السورة نفسها: " اتبع ما أوحي إليـك من ربك لا إله إلا هو واعرض عن المشركين ولو شـاء ا ما أشركوا " فلا ح يقيناً صدق ما قلنا من انه تعالى لم يكذبهم في قولهم لو شاء ا ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنـا مـن دونه من شيء وهذا مثل ما ذكر ا تعالى مـن قـولهم: " أنطعم من لو يشاء ا أطعمه " فلم يورد ا عز وجل قولهم هذا تكذيباً بل صدقوا في ذلك بلا شك ولو شـاء ا لأطعـم

الفقراء والمجاويع وما أرى المعتزلة تنكر هذا وإنما أورد ا تعالى قولهم هذا لاحتجاجهم به في الامتنـاع مـن الصـدقة وإطعام الجائع وبهذا نفسه احتجت المعتزلة علـى ربهـا إذ قالت يكلفنا ما لا يقدرنا عليه ثم يعذبنا بعد ذلك على ما أراد كونه منا فسلكوا مسلك القائلين لم كلفنا ا عز وجل إطعـام هذا الجائع ولو أراد إطعامه لأطعمه.

قال أبو محمد: تباً لمن عارض أمـر ربـه تعـالى واحتج عليه بل الحجة البالغة ولو شاء لأطعم من ألزمنـا إطعامه ولو شاء لهدى الكافرين فآمنوا ولكنه تعالى لم يـرد ذلك بل أراد أن يعذب من لا يطعم المسكين ومن أضله مـن الكافرين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وحسـبنا ا ونعـم الوكيل وقالت المعتزلة معنى قوله تعالى: " ولـو شـاء ا لجمعهم على الهدى ولآمن من في الأرض " وسائر الآيـات التي تلوتهم إنما هو لو شاء عز وجل لاضطرهم إلى الإيمان فآمنوا مضطرين فكانوا لا يستحقون الجزاء بالجنة.

قال أبو محمد: وهذا تأويل جمعوا فيه بلايـا جمـة أولها أنه قول بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو ساقط ويقال لهم ما صفة الإيمان الضروري الذي لا يستحق

عليه الثواب عندكم وما صفة الإيمان غير الضروري الـذي يستحق به الثواب عندكم فإنهم لا يقدرون على فرق أصلاً إلا أن يقولوا هو مثل ما قال ا عز وجل إذ يقول تعالى: " يوم يأْتِي بعض آياتِ ربك لاَ ينفَع نَفْسا ِإيمانُها لَم تَكُن آمنَتْ مِـن قَبلُ َأو كَسبتْ ِفي ِإيمانِها خَيرا " ومثل قوله تعالى: " ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الـذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون " ومثل حالة المحتضر عنـد المعاينة التي لا يقبل فيها إيمانه وكما قيل لفرعـون: " الآن وقد عصيت قبل ".

قال أبو محمد: فيقال لهم كل هذه الآيات حـق وقـد شاهدت الملائكة تلك الآيات وتلك الأحوال ولم يبطل بـذلك قبول إيمانهم فهلا على أصولكم صار إيمانهم إيمان اضطرار لا يستحقون عليه جزاء في الجنة أما صار جـزاؤهم عليـه أفضل من جزاء كل مؤمن دونهم وهذا لا مخلص لهم منـه أصلاً ثم نقول لهم أخبرونا عن إيمان المـؤمنين إذ صـح عندهم صدق النبي بمشاهدة المعجزات من شق القمر وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير ونبعان الماء الغزير من بـين الأصابع وشق البحر وإحياء الموتى وأوضح كل ذلك بنقـل

التواتر الذي به صح ما كان قبلنا من الوقائع والملوك وغير ذلك مما يصير فيه من بلغه كمن شاهده ولا فرق في صـحة اليقين لكونهم هل إيمانهم إلا إيمان يقين قد صح عندهم وأنه حق ولم يتخالجهم فيه شك فإن علمهم به كعلمهـم أن ثلاثـة أكثر من اثنين وكعلمهم ما شاهدوه بحواسهم في أنه كله حق وعلموه ضرورة أم إيمانهم ذلك ليس يقيناً مقطوعاً بصـحة ما آمنوا به عنده كقطعهم على صحة ما علموه بحواسهم ولا سبيل إلى قسم ثالث فإن قالوا بل هو الآن يقـين قـد صـح علمهم بأنه حق لا مدخل للشك فيه عندهم كتيقنهم صحة مـا علموه بمشاهدة حواسهم قلنا لهم نعـم هـذا هـو الإيمـان الاضطراري بعينه وإلا ففرقوا وهذا الذي مـوهتم بأنـه لا يستحق عليه من الجزاء كالذي يستحق على غيـره وبكـل تمويهكم بحمد ا تعالى إذ قلتم ان معنى قوله تعالى لجمعهم على الهدى ولآمن من في الأرض إنه كان يضـطرهم إلـى الإيمان فإن قالوا بل ليس إيمان المؤمنين هكـذا ولا علمهـم بصحة التوحيد والنبوة على يقين وضرورة قيل لهم قد أوجبتم أن المؤمنين على شك في إيمانهم وعلـى عـدم يقـين فـي اعتقادهم وليس هذا إيماناً بل كفر مجرد ممن كان دينه هكذا

فإن كان هذا صفة إيمان المعتزلة فهم أعلم بأنفسهم وأما نحن فإيماننا والحمد إيمان ضروري لا مدخل للشك فيه كعلمنـا أن ثلاثة أكبر من اثنين وأن كل بناء فمبني وكل مـن أتـى بمعجزة فمحق في نبوته ولا نبالي إن كـان ابتـداء علمنـا استدلالاً أم مدركاً بالحواس إذ كانت نتيجة كل ذلك سواء في تيقن صحة الشيء المعتقد وبا تعالى التوفيق ثم نسألهم عن الذين يرون بعض آيات ربنا يوم لا ينفع نفساً إيمانها أكان ا تعالى قادراً على أن ينفعهم بذلك الإيمـان ويجـزيهم عليـه جزاءه لسائر المؤمنين أم هو تعالى غير قادر على ذلك فـإن قالوا بل هو قادر على ذلك رجعوا إلى الحق والتسليم عز وجل وأنه تعالى منع من شاء وأعطى من شاء وأنه تعـالى أبطل إيمان بعض من آمن عند رؤية آية من آياته ولم يبطل إيمان من آمن عند رؤية آية أخرى وكلها سواء فـي بـاب الإعجاز وهذا هو المحاباة المحضة والجـور البـين عنـد المعتزلة فإن عجزوا ربهم تعالى عن ذلك أحـالوا وكفـروا وجعلوه تعالى مضطراً مطبوعاً محكوماً عليه تعالى ا عن ذلك.

قال أبو محمد: وقد قال عز وجل: " فَلَولاَ كَانَتْ قَريةٌ آمنَتْ فَنَفَعها إِيمانُها إِلا قَوم يونُس لَمآ آمنُـواْ كَشَـفْنَا عـنْهم عذَاب الخِزي فِي الْحياةَ الدنْيا ومتعنَاهم إِلَى حِينٍ " فهـؤلاء قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فقبل ا عز وجل إيمـانهم وآمن فرعون وسائر الأمم المعذبة لما رأوا العذاب فلم يقبـل ا عز وجل منهم ففعل ا تعالى ما شاء لا معقب لحكمـه فظهر فساد قولهم في أن الإيمان الاضـطراري لا يسـتحق عليه جزاء جملة وصح أن ا تعالى يقبل إيمان من شاء ولا يقبل إيمان من شاء ولا مزيد ثم يقال لهم وبا تعالى التوفيق هبكم لو صح لكم هذا الباطل الغث الذي هديتم بـه مـن أن معنى قوله تعالى لجمعهم على الهدى إنما هو لاضطرهم إلى الإيمان فأخبرونا لو كان ذلك فأي ضرر كان يكون في ذلك على الناس والجن بل كان يكون في ذلك الخير كلـه ومـاذا ضر الأطفال إذ لم يكن لهم إيمان اختياري كما تزعمون وقد حصلوا على أفضل المواهب من السلامة من النار بالجملـة ومن هول المطلع وصعوبة الحساب وفظاعة تلك المواقـف كلها ودخل الجنة جميعهم بسلام آمنين منعمين لم يروا فزعاً رآه غيرهم وأيضاً فإن دعواهم هذه التي كذبوا فيها على ا

عز وجل إذ وصفوا عن مراد ا تعالى ما لم يقله تعالى فقد خالفوا فيها القرآن واللغة لأن اسم الهدى والإيمان لا يقعـان البتة على معنى غير المعنى المعهود في القرآن واللغة وهما طاعات ا عز وجل والعمل بها والقـول بهـا والتصـديق بجميعها الموجب كل ذلك بنص القرآن رضي ا عز وجـل وجنته ولا يسمى الجماد والحيوان غير الناطق ولا المجنـون ولا الطفل مؤمناً ولا مهتدياً إلا على معنـى جـرى أحكـام الإيمان على المجنون والطفل خاصة وبرهان ما قلنا قول ا تعالى: " ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فصح أن الهدى الذي لو أراد ا تعالى جمع الناس عليه وهو المنقـذ مـن النـار والذي لا يملأ جهنم من أهله وكذلك قوله تعالى: " وما كـان لنفس أن تؤمن إلا بإذن ا " فصح أن الإيمان جملة شـيء واحد هو المنقذ من النار الموجب للجنة وأيضاً فإن ا عـز وجل يقول: " من يهدِ الله فَهو الْمهتَدِي ومن يضلِلْ فَلَن تَجِد لَه ولِيا مرشِدا " ويقول: " إنك لا تهدي من أحببت ولكـن ا يهدي من يشاء " ويقول تعالى: " ليس عليك هداهم ولكن ا يهدي من يشاء " فهذه الآيات مبنية أن الهدى المذكور هـو

الاختياري عند المعتزلة لأنه تعالى يقول لنبيه صلى ا عليه وسلم: " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهـم جميعـاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " وقـال تعـالى: " لا إكراه في الدين " فصح يقيناً أن ا تعالى لم يرد قط بقولـه لجمعهم على الهدى ولآمن من في الأرض إيماناً فيه إكـراه فبطل هذرهم والحمد رب العالمين فإن قالوا لنا فـإذا أراد ا تعالى كون الكفر والضلال فأريدوا ما أراد ا تعالى من ذلك قلنا لهم وبا تعالى التوفيق ليس لنا أن نفعل ما لم نؤمر به ولا يحل لنا أن نريد ما لم يأمرنا ا تعالى بإرادته وإنمـا علينا ما أمرنا به فنكره ما أمرنا بكراهيته ونحب ما أمرنـا بمحبته ونريد ما أمرنا بإرادته ثم نسألهم هل أراد ا تعـالى إمراض النبي صلى ا عليه وسلم إذ أمرضه وموته صـلى ا عليه وسلم إذ أماته وموت إبراهيم ابنه إذ أماته أولم يرد ا تعالى شيئاً من ذلك فلا بد من أن ا تعالى أراد كون كل ذلك فيلزم أن يريدوا موت النبـي صـلى ا عليـه وسـلم ومرضه وموت ابنه إبراهيم لأن ا تعالى أراد كل ذلك فإن أجابوا إلى ذلك ألحدوا بلا خلاف وعصوا ا ورسـوله وإن أبوا من ذلك بطل ما أرادوا إلزامنا إياه إلا أنه لازم لهم على

أصولهم الفاسدة لا لنا لأنهم صححوا هذه المسألة ونحن لـم نصححها ومن صحح شيئاً لزمه ثم نقول لهم وبـا تعـالى التوفيق لسنا ننكر في حال ما يباح لنا فيه إرادة الكفـر مـن بعض الناس فقد أثنى ا عز وجل على ابن آدم فـي قولـه لأخيه: " إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين " فهذا ابن آدم الفاضل فقد أراد أن يكون أخوه من أصحاب النار وأن يبوء بإثمه مع إثم نفسـه وقد صوب ا عز وجل قول موسى وهارون عليهما السلام: " ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فـلا يؤمنـوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما " فهذا موسى وهارون عليهما السلام قد أرادا وأحبا أن لا يؤمن فرعـون وأن يموت كافراً إلى النار وقد جاء عن رسول ا صلى ا عليه وسلم إنه دعا على عتبة بن أبي وقاص أن يموت كافراً إلى النار فكان كذلك.

قال أبو محمد: وأصدق ا عز وجل أنا عن نفسـي التي هو أعلم بما فيها مني أن ا تعالى يعلم أني لأسر بموت عقبة بن أبي معيط كافراً وكذلك أمر أبي لهب لأذاهما رسول ا صلى ا عليه وسلم ولتتم كلمة العذاب عليهما وأن المرء

ليسر بموت من استبلغ في أذاه ظلماً بأن يموت علـى أقـبح طريقة وقد روينا هذا عن بعض الصالحين في بعض الظلمة ولا حرج على من ائتسى بمحمد وبموسى وبأفضل ابني آدم صلى ا عليه وسلم وليت شعري أي فرق بين لعن الكـافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب في النار وبين الدعاء عليه بأن يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الأمرين وحسـبنا ا ونعم الوكيل وقال عز وجل: " ولو شاء ا لسلطهم علـيكم " وقال تعالى: " وما النصر إلا من عند ا " وقال تعالى: " إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عـنكم " وقـال تعالى: " هو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة " فصح يقيناً أن ا تعالى سلط الكفار على من سلطهم علـيهم من الأنبياء وعلى أهل بئر معونة ويوم أحد ونصرهم إمـلاء لهم وابتلاء للمؤمنين وإلا فيقال لمن أنكر هذا أتـراه تعـالى كان عاجزاً عن منعهم فإن قالوا نعم كفروا وناقضوا لأن ا تعالى قد نص على أنه كف أيدي الكفار عن المؤمنين إذ شاء وسلط أيديهم على المؤمنين ولم يكفها إذ شاء.

قال أبو محمد: وقال بعض شيوخ المعتزلة أن إسلام ا تعالى من أسلم من الأنبياء إلى أعدائه فقتلوهم وجرحوهم

وإسلام من أسلم من الصبيان إلى أعدائه يحضونهم ويغلبونهم على أنفسهم بركوب الفاحشة إذا كان ليعوضهم أفضل الثواب فليس خذلاناً فقلنا دعونا من لفظة الخذلان فلسنا نجيزها لأن ا تعالى لم يذكرها في هذا الباب لكنا نقول لكم إذا كان قتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم ما يكون من الكفر وكان ا عز وجل بقولكم قد أسلم أنبياؤه صلوات ا عليهم إلـى أعدائه ليعوضهم أجل عوض فقد أقررتم بزعمكم أن ا عز وجل أراد إسلامهم إلى أعدائهم وإذا أراد ا عز وجل ذلـك بإقراركم فقد أراد بإقراركم كون أعظم ما يكون من الكفـر وشاء وقوع أعظم الضلال ورضي ذلك لأنبيائه عليهم السلام على الوجه الذي تقولونه كائناً ما كان وهذا لا مخلص لهـم منه وأيضاً فنقول لهذا القائل إذا كان إسلام الأنبياء إلى أعداء ا عز وجل يقتلونهم ليس ظلماً أو عبثـاً علـى تـوجيهكم المناقض لأصولكم في أنه أدى إلى أجـزل الجـزاء فلـيس خذلاناً وكذلك إسلام المسلم إلى عدوه يحضه ويرتكب فيـه الفاحشة فهو على أصولكم خير وعدل فيلزمكم أن تتمنوا ذلك وأن تسروا بما نيل من الأنبياء عليهم السلام فـي ذلـك وأن تدعوا فيه إلى ا تعالى وهذا خلاف قولكم وخلاف إجمـاع

أهل الإسلام وهذا لا مخاص لهم منه ولا يلزمنا نحـن ذلـك لأننا لا نسر إلا بما أمرنا ا تعالى بالسرور به ولا نتمنى إلا ما قد أباح لنا تعالى أن ندعوه فيه وكل فعله عز وجـل وإن كان عدلاً منه وخيراً فقد افترض تعالى علينا أن ننكـر مـن ذلك ما سماه من غيره ظلماً وأن نبرأ منه ولا نتمناه لمسـلم فإنما نتبع ما جاءت به النصوص فقط وبا تعالى التوفيـق وقال قائل من المعتزلة إذا حملتم قول تعـالى: " والـذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى " فما يدريكم لعلـه عليكم عمى.

قال أبو محمد: فجوابنا وبا تعالى التوفيـق أن ا تعالى قد نص على انه لا يكون عمـى إلا علـى الـذين لا يؤمنون ونحن مؤمنون و تعالى الحمد فقد أمنا ذلك وقد ذم ا تعالى قوماً حملوا القرآن على غير ظاهره فقال تعالى: " يحرفون الكلم عن مواضعه " فهذه صـفتكم علـى الحقيقـة الموجودة فيكم حساً فمن حمل القرآن على ما خوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول صلى ا عليه وسلم فالقرآن له هدى وشفاء ومن بدل كلنه عن مواضـعه وادعـى فيـه دعاوى برأيه وكهانات بطنه وأسراراً وأعرض عـن بيـان

الرسول صلى ا   عليه وسلم المبين عن ا   تعـالى بـأمره ومال إلى قول المنانية فهو الذي عليه القرآن عمـى وبـا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: ومن نوادر المعتزلة وعظيم جهلهـا وحماقتها وإقدامها أنهم قالوا أن الشهادة التي غبط ا   تعـالى بها الشهداء وأوجب لهم بها أفضل الجزاء وتمناها رسول ا صلى ا   عليه وسلم وأصحابه وفضلاء المسلمين ليس هـي قتل الكافر للمؤمن ولا قتل الظالم للمسلم البريء.

قال أبو محمد: وجنون المعتزلة وجهلهم و إهـذارهم ووساوسهم لا قياس عليها وحق لمن استغنى عـن ا   عـز وجل وقال أنه يقدر على ما لا يقدر عليه ربه تعالى وقال أن عقله كعقول الأنبياء عليهم السلام سواء بسواء أن يخذلـه ا عز وجل مثل هذا الخذلان نعوذ با   مـن خذلانـه ونسـأله العصمة فلا عاصم سواء أما سمعوا قول ا   عز وجل: " إن ا   اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهـم الجنـة يقاتلون في سبيل ا   فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً " وقوله تعالى: " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل ا   أموات بل أحياء "

ثم إنهم فسروا الشهادة بعقولهم فقالوا إنما الشهادة الصبر على الجراح المؤدي إلى القتل والعزم على التقدم إلى الحرب.

قال أبو محمد: وفي هذا الكلام من الجنـون ثلاثـة أضرب أحدها أنه كلام مبتدع لم يقبله أحد قبـل متـأخريهم المنسلخين من الخير جملة والثاني أنه لو وضح مـا ذكـروا لكانت الشهادة في الحياة لا بالموت لأن الصبر على الجراح والعزم على التقدم لا يكونان إلا في الحياة والشهادة في سبيل ا لا تكون بنص القرآن وصحيح الأخبار وإجماع الأمة إلا بالقتل والثالث أن الذي منه هربوا فيه وقعوا بعينيه وهـو أن الشهادة التي تمنى المسلمون بها أن كانت العزم على التقـدم إلى الحرب والصبر على الجراح المؤدية إلـى القتـل فقـد حصل تمني قتل الكفار للمسلمين وتمني أن يجرحوا المسلمين جراحاً تؤدي إلى القتل وتمني ثبات الكفار على الكفر حتـى يجرحوا أهل الإسلام جراحاً قاتلة وحرب الكفار للمسـلمين للمسلمين وثباتهم لهم وجراحهم إياهم معاص وكفر بلا شـك فقد حصلوا على تمني المعاصي وهو الذي به شنعوا وبـا تعالى التوفيق فبطل كل ما شنعت به المعتزلة والحمد رب العالمين كثيراً.

قال أبو محمد: وضل جمهور المعتزلة في فصل من القدر ضلالاً بعيداً فقالوا بأجمعهم حاشا ضرار بـن عمـرو وحفصاً الفرد وبشر بن المعتمر ويسيراً ممن اتبعهم أنه ليس عند ا تعالى شيء أصلح مما أعطاه جميع الناس كـافرهم ومؤمنهم ولا عنده هدي أهدى مما قـد هـدى بـه الكـافر والمؤمن هداً مستويا وأنه ليس يقدر على شيء هو أصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين ثم اختلف هؤلاء فقال جمهورهم أنـه تعالى قادر على أمثال ما فعل من الصلاح بلا نهايـة وقـال الأقل منهم وهم عباد ومن وافقه هذا باطل لأنه لا يجـوز أن يترك ا تعالى شيئاً يقدر عليه من الصلاح من أجـل فعلـه لصلاح ما وحجتهم في هذا الكفر الذي أتوا به أنه لـو كـان عنده أصلح أو أفضل مما فعل بالناس ومنعهم إياه لكان بخيلاً ظالماً لهم ولو أعطى شيئاً من فضله بعض الناس دون بعض لكان محابياً ظالماً والمحاباة جور ولو كان عنده ما يؤمن به الكفار إذاً أعطاهم إياه ثم منعهم إياه لكان ظالماً لهـم غايـة الظلم قالوا وقد علمنا أن إنساناً لو ملك أموالاً عظيمة تفضل عنه ولا يحتاج إليها فقصده جار فقير له تحل لـه الصـدقة فسأله درهماً يحيي به نفسه وهو يعلم فقره إليه ويعلـم أنـه

يتدارك به رمقه فمنعه لا لمعنى فإنه بخيل قالوا فلو علم أنـه إذا أعطاه الدرهم سهلت عليه أفعال كلفه إياها فمنعه من ذلك لكان بخيلاً ظالماً فلو علم أنه لا يصل إلى ما كلفه إلا بـ ذلك الدرهم فمنعه لكان بخيلاً ظالماً سفيهاً فهذا كل ما احتجوا به لا حجة لهم غير هذه البتة وذهب ضرار بن عمرو وحفـص الفرد وبشر بن المعتمر ومن وافقهم وهم قليل منهم إلـى أن عند ا عز وجل ألطافاً كثيرة لا نهاية لها لو أعطاها الكفار لآمنوا إيماناً اختياريا يستحقون به الثواب بالجنة وقد أشـار إلى نحو هذا ولم يحققه أبو علي الجباي وابنه أبو هاشم وكان بشر بن المعتمر يكفر من قال بالأصلح والمعتزلة اليوم تدعي أن بشراً تاب عن القول باللطف ورجع إلى القول بالأصلح.

قال أبو محمد: وحجة هؤلاء أنه تعالى قد فعل بهم ما يؤمنون عنده لو شاؤوا فليس لهم عليه غير ذلك ولا يلزمـه أكثر من ذلك فعارضهم أصحاب الأصـلح بـأن قـالوا أن الاختيار هو ما يمكن فعله ويمكن تركه فلو كان الكفار عنـد إتيان ا تعالى بتلك الألطاف يختارون الإيمـان لأمكـن أن يفعلوه وأن لا يفعلوه أيضاً فعادت الحال إلى ما هي عليه إلا أن يقولوا أنهم كانوا يؤمنون ولا بد فهذا اضطرار مـن ا

تعالى لهم إلى الإيمان لا اختيار قالوا ونحن لا ننكر هذا بـل ا تعالى قادر على أن يضطرهم إلى الإيمان كما قال تعالى: " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل " قالوا فالذي فعل ا تعالى بهم أفضل وأصلح.

قال أبو محمد: هذا لازم لمن لم يقل أن أفعال العبـاد مخلوقة تعالى لزوماً لا ينفكون عنه وأما نحن فلا يلزمنـا وإنما سألناهم هل ا تعالى قادر على أن يأتي الكفار بألطاف يكون منهم قال أبو محمد: كأن أصحاب الأصلح غيب عـن هذا العالم أو كأنهم إذا حضروا فيه سلبت عقولهم وطمسـت حواسهم وصدق ا فقد نبه على مثل هذا إذ يقول تعالى: " ولَقَد ذَرأْنَا لِجهنم كَثِيرا من الْجِن والإِنسِ لَهم قُلُوب لا يفْقَهون بِها ولَهم أَعين لا يبصِرون بِها ولَهم آذَان لا يسـمعون بِهـا أُولَـئِك كَالأَنْعامِ بلْ هم أَضل أُولَـئِك هم الْغَافِلُون " أتـرى هؤلاء القوم ما شاهدوا أن ا عز وجل منع الأموال قومـاً وأعطاها آخرين ونبأ قوماً وأرسلهم إلى عباده وخلق قومـاً آخرين في أقاصي أرض الزنج يعبدون الأوثان وأمات قوماً من أوليائه ومن أعدائه عطشاً وعنده مجادح السماوات وسقى آخرين الماء العذب أما هذه محاباة ظاهرة فإن قالوا أن كـل

ما فعل من ذلك فهو أصلح بمن فعله به سألناهم عن إماتتـه تعالى الكفار وهم يصيرون إلى النار وإعطائه تعـالى قومـاً مالاً ورياسة فبطروا وهلكوا وكانوا مـع القلـة والخمـول صالحين وأفقر أقواماً فسرقوا وقتلوا وكانوا في حال الغنـى صالحين وأصح أقواماً وجمل صورهم فكان ذلك سبباً لكون المعاصي منهم وتركوها إذ أسنوا وأمرض أقوامـاً فتركـوا الصلاة عمداً وضجروا وثربوا وتكلموا بما هـو الكفـر أو قريب منه وكانوا في صحتهم شاكرين يصلون ويصومون أهذا الذي فعل ا بهم كان أصلح لهم فإن قالوا نعم كـابروا المحسوس وإن قالوا لو عاشوا لزادوا قلنا لهـم فإنمـا كـان أصلح لهم أن يخترمهم ا عز وجل قبل البلـوغ أو يطيـل أعمارهم في الكفر ويملكهم الجيوش فيهلك بها أرض الإسلام ويقوي أجسادهم وأذهانهم فيضل بهم جماعة كما فعل لسـعيد الفيومي اليهودي وأباريطا اليعقوبي النصـراني والمتحققـين بالكلام من اليهودي والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية أما كان أصلح لهم ولمن ضل منهم أن يميتهم صغاراً.

قال أبو محمد: فانقطعوا فلجأ بعضهم إلـى أن قـال لعله قد سبق في علم ا تعالى أنه لو أماتهم صـغاراً لكفـر خلق من المؤمنين.

قال أبو محمد: وفي هذا الجواب من السخافة وجـوه جمة أولها أنه دعوى بالدليل والثاني أنهم لا ينفكون به ممـا ألزمناهم ونقول لهم كان ا عز وجل قادراً على أن يميـتهم ولا يوجب موتهم كفر أحد فإن قالوا لا عجزوا ربهم تعـالى وإن قالوا بل كان قادراً على ذلك ألزموه الجور والظلم على أصولهم ولا بد من أحد الأمرين والثالث أنه ما يسـمع فـي العالم بأسخف من قول من قال أن إنساناً مؤمناً يكفر من أجل صغير مات فهذا أمر ما شوهد قط في العالم ولا تـوهم ولا يدخل في الإمكان ولا في العقل وكم طفل يموت كل يوم منذ خلق ا تعالى الدنيا إلى يوم القيامة فهل كفر أحد قـط مـن أجل موت ذلك الطفل وإنما عهدنا الناس يكفرون عندما يقـع لهم من الغضب الذي يخلقه ا عـز وجـل فـي طبـائعهم وبالعصبية التي آتاهم ا عز وجل أسبابها وبالملـك الـذي أتاهم ا إياه إذا عارضهم فيه عارض والرابع أنه ليس فـي الجور ولا في العبث ولا في الظلم ولا في المحاباة أعظم من

أن يبقي طفلاً حتى يكفر فيستحق الخلود في النار ولا يميته طفلاً فينجو من النار من أجل صلاح قوم لولا كفر هذا المنحوس لكفر أولئك وما في الظلم والمحاباة أقبح من هذا وهل هذا إلا كمن وقف إنساناً للقتل فأخذ هو آخر من عرض الطريق فقتله مكانه فظهر فساد هذا القول السخيف الملعون.

قال أبو محمد: وقال بعضهم قد يخرج من صلبه مؤمنون.

قال أبو محمد: وقد يموت الكافر عن غير عقب وقد يلد الكافر كفاراً أضر على الإسلام منه ومع هذا فكل ما ذكرنا يلزم أيضاً في هذا الجواب السخيف وأيضاً فقد يخرج من صلب المؤمن كافر طاغ وظالم باغ يفسد الحرث والنسل ويثير الظلم ويميت الحق ويؤسس القتالات والمنكرات حتى يضل بها خلق كثير حتى يظنوا أنها حق وسنة فأي وجه لخلق هؤلاء على أصول المعتزلة الضلال نعم وأي معنى وأي إصلاح في خلق إبليس ومردة الشياطين وإعطائهم القوة على إضلال الناس من الحكمة المعهودة بيننا وبالضرورة نعلم أن من نصب المصائد للناس في الطرقات وطرح الشوك في ممشاهم فإنه عائب سفيه فيما بيننا وا تعالى خلق

كل ما ذكرنا بإقرارهم وهم الحكيم العليم ثم وجدناه تعالى قد شهد للذين بايعوا تحت الشجرة بأنه علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ثم أمات منهم من ولي منهم أمور المسـلمين سريعاً ووهن قوي بعضهم وملك عليهم زياداً والحجاج وبغاة الخوارج فأي مصلحة في هذا للحجاج ولقطـري أو لسـائر المسلمين لو عقلت المعتزلة ولكن الحق هو قولنا وهو أن كل ذلك عدل من ا وحق وحكمة وهـلاك ودمـار وإضـلال للحجاج المسلط ولقطري ونظايرهما أراد ا تعـالى بـذلك هلاكهم في الآخرة ونعوذ با من الخذلان ثم نسـألهم مـاذا تقولون إذا أمر ا عز وجل بجلد الحرة في الزنا ماية جلدة ويجلد الأمة نصف ذلك أليس هذا محاباة للأمة وإذا خول ا عز وجل قوماً أموالاً جمة فعاثوا فيها وحرم آخرين أما هـذا عين المحاباة والجور على أصلهم الفاسد فيمن منـع جـاره الفقير إلا أن يطردوا قولهم فيصير إلى قول مـن ذكـر أن الواجب يواسي الناس في الأمـوال والنسـاء علـى السـوا وبالجملة فإن القوم يدعون نفي التشبيه ويكفرون من شبه ا تعالى بخلقه ثم لا نعلم أحداً أشد تشبيهاً تعالى بخلقه منـه فيلزمونه الحكم ويحرون عليه لأمر والنهي ويشبهونه بخلقـه

تعالى فيما يحسن منه ويقبح ثم نقضوا أصولهم إذ من قولهم أن ما صلح بيننا بوجه من الوجوه فلسنا نبعده عن الباري تعالى ونحن نجد فيما بيننا يحابي أحد عبيده على الآخر فيجعل أحدهم مشرفاً على ماله وعياله وحاضناً لولده ويرتضيه لذلك من صغره بأن يعلمه الكتاب والحساب ويجعل الآخر رائضاً لدابته وجامعاً للزبل لبستانه ومنقياً لحشه ويرتضيه لذلك من صغره وكذلك الإماء فيجعل إحداهن محل إزاره ومطلباً لولده ويجعل الثانية خادماً لهذه في الطبخ والغسل وهذا عدل بإجماع المسلمين كلهم فلم أنكروا أن يحابى الباري من شاء من عباده بما أحب من التفضيل ووجدوا في الشاهد من يعطي المحاويج من ماله فيعطي أحدهم ما يغنيه ويخرجه عن الفقر وذلك نحو ألف دينار ثم يعطي آخر مثله ألف دينار ويزيد هألف دينار فإنه وإن حابى فمحسن غير ملوم فلم منعوا ربهم من ذلك وجوروه إذا فعله وهو تعالى بلا شك أتم ملكاً لكل ما في العالم من أحدنا لما خوله عز وجل من الأملاك ونقضوا أصلهم في أن ما حسن في الشاهد بوجه من الوجوه لم يمنعوا وقوعه من الباري جل وعز ووجدوا في الشاهد من يدخر

أموالاً عظيمة فيؤدي جميع الحقوق اللازمة له حتى لا يبقـى بحضرته محتاج ثم يمنع سائر ذلك فلا يسمى بخـيلاً فـلأي شيء منعوا ربهم جل وعز من مثل ذلك وجوروه وبخلوه إذا لم يعط أفضل ما عنده وهذا كله بين لا إشكال فيه.

قال أبو محمد: ونسألهم عن قول لهم عجيـب وهـو أنهم أجازوا أن يخلق ا عز وجل أضعف الأشـياء ثـم لا يكون قادراً على أضعف منه فهكذا هو قادر فاعل أصـلح الأشياء ثم لا يكون قادر على أصلح منـه وعلـى أصـغر الأشياء وهو الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقدر على أصغر منه.

قال أبو محمد: هذا إيجاب منهم لتناهي قدرة ا عز وجل وتعجيز له تعالى وإيجاب لحدوثه وإبطـال إلاهيتـه إذ التناهي في القوة صفة المحدث المخلوق لا صفة الخالق الذي لم يزل وهذا خلاف القرآن وإجماع المسـلمين وتشـبيه ا تعالى بخلقه في تناهي قدرتهم.

قال أبو محمد: ولكنه لازم لكل من قال بالجزء الذي لا يتجزأ وبالقياس لزوماً صحيحاً لا انفكاك لهم منه ونعـوذ با من هذه المقالات المهلكة بل نقول أن ا تعالى كل مـا خلق شيئاً صغيراً أو ضعيفاً أو كبيراً أو قوياً أو مصلحة فإنه

أبداً بلا نهاية قادر على خلق أصغر منه وأضـعف وأقـوى وأصلح.

قال أبو محمد: ونسألهم أيقدر ا تعالى على ما لـو فعله لكفر الناس كلهم فإن قالوا لا لحقوا بعلي الأسواري وهم لا يقولون بهذا ولو قالوه لأكذبهم ا تعالى إذ يقول: " ولـو بسط ا الرزق لعباده لبغوا في الأرض " وبقوله تعـالى: " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بـالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة " وإن قالوا نعم هو قادر على ذلك قلنا لهم فقد قطعتم بأنه تعالى يقدر على الشـر ولا يقـدر علـى الخير هذه مصيبة على أصولهم ولزمهم أيضاً فساد أصـلهم في قولهم أن من قدر على شيء قدر على ضده لأنهم يقولون أن ا تعالى يقدر على ما يكفر الناس كلهم عنده ولا يقـدر على ما يؤمن جميعهم عنده.

قال أبو محمد: ونسأل من قال منهم أنه تعالى يقـدر على مثل ما فعل من الصلاح بلا نهاية لا على أكثر من ذلك فنقول لهم أن على أصولكم لم تنفكوا من تجوير الباري جـل وعز لأن بضرورة الحس ندري إذا استضـافت المصـالح بعضها إلى بعض كانت أصلح من انفراد كل مصلحة علـى

الأخرى فإذا هو قادر عندكم على ذلك ولم يفعله بعباده فقد لزمه ما ألزمتموه لو كان قادراً على أصلح مما فعل ولم يفعله فقالوا هذا كالدواء والطعام والشراب لكل ذلك مقدار يصلح به من أعطيه فإذا استضافت إليه أمثاله كان ضرراً قال علي رضي ا عنه ولم يقل قط ذو عقل ومعرفة بحقايق الأمور إن غفار كذا مصلحة جملة وعلى كل حال ولا أن الأكل مصلحة أبداً وعلى الجملة ولا أن الشراب مصلحة بكل وجه أبداً وإنما الحق أن مقداراً من الدواء مصلحة لعلة كذا فقط فإن زاد أو نقص أو تعدى به تلك لعلة كان ضرراً وكذلك الطعام والشراب هما مصلحة في حال ما وبقدر ما فما زاد أو تعدى به وقته كان ضرراً ليس إطلاق اسم الصلاح في شيء من ذلك أولى من إطلاق اسم الضرر لأن كلا الأمرين موجود في ذلك كما ذكرنا وليس الصلاح من ا عز وجل للعبد والهدى له والخير من قبله عز وجل كذلك بل على الإطلاق والجملة وعلى كل حال بل كلما زاد الصلاح وكثر الهدى وكبر وزاد الخير وكبر فهو أفضل فإن قالوا نجد الصلاة والصيام إثماً في وقت ما وأجراً في آخر قلنا ما كان من هذا منهياً عنه فليس صلاحاً البتة ولا هو

هدى ولا خير بل هو إثم وخذلان وضلال وليس فـي هـذا كلمنا كم لكن فيما هو صلاح حقيقة وهدى حقيقة وخير حقيقة وهذا ما لا مخاص منه.

قال أبو محمد: وقال أصحاب الأصلح منهم أن مـن علم ا تعالى أنه يؤمن من الأطفال إن عاش أو يسـلم مـن الكفار إن عاش أو يتوب من الفساق إن عاش فإنه لا يجـوز البتة أن يميته ا قبل ذلك قالوا وكذلك من علم ا تعالى أنه إن عاش فعل خيرا فلا يجوز البتة أن يميته ا قبـل فعلـه قالوا ولا يميت ا تعالى أحداً إلا وهو يدري أنـه إن أبقـاه طرفة عين فما زاد فإنه لا شيئاً من الخير أصلاً بل يكفر أو يفسق ولا بد.

قال أبو محمد: وهذا من طوامهم التي جمعت الكفـر والسحق ولم ينفكوا بها فما فروا عنه مـن تجـوير البـاري تعالى بزعمهم وأما الكفر فإنه يلزمهم أن إبراهيم بن رسـول ا صلى ا عليه وسلم لو بلغ لكفر أو فسق وليت شعري إذ هذا عندهم كما زعموا فلم أمات بعضهم أثر ولادته ثم آخـر بعد ساعة ثم يوم ثم يومين وهكذا شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام إلى أن أمات بعضهم قبل بلوغه بيسير وكلهـم عنـدهم

سواء في أنهم لو عاشوا لكفروا أو فسقوا كلهم وإذ عنى بهم هذه العناية فلم أبقى من الأطفال من درى أنه يكفر ويفسق نعم ويؤتيهم القوى والتدقيق في الفهم كالفيومي سعيد بن يوسف والمعمس داود بن قزوان وإبراهيم البغدادي وأبي كثير الطبراني متكلمي اليهود وأبي ربطه اليعقوبي ومقرونيش الملكي من متكلمي النصارى وقردان بخت المثاني حتى أضلوا كثيراً يشبههم وتمويهاتهم ومخارفتهم ولا سبيل إلى وجود فرق أصلاً وهذا محاباة وجور على أصولهم ثم نجده تعالى قد عذب بعض هؤلاء الأطفال باليتم والقمل والعرى والبرد والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والأوجاع حتى يموتوا كذلك وبعضهم مرفه مخدوم منعم حتى يموت كذلك ولعلهما لأب وأم وكذلك يلزمهم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسائر الصحابة رضي ا عنهم نعم ومحمد صلى ا عليه وسلم وموسى وعيسى وإبراهيم وسائر الرسل عليهم الصلوة والسلام أن كل واحد منهم لو عاش طرفة عين على الوقت الذي مات فيه لكفر أو فسق ولزمهم مثل هذا في جبريل وميكائيل وحملة العرش عليهم السلام إن كانوا يقولون بأنهم يموتون فإن تمادوا على هذا كفروا وقد

صرح بعضهم بذلك جهارا وإن أبوا تناقضوا ولزمهم أن ا تعالى يميت من يدري أنه يزداد خيراً ويبقي من يدري أنـه يكفر وهذا عندهم على أصولهم عين الظلم والعبث.

قال أبو محمد: وأجاب بعضهم في هذا السؤال بـأن قال أن النبي صلى ا عليه وسلم امتحنه ا عز وجل قبـل موته بما بلغ ثوابه على طاعته فيه مبلغ ثوابه على كل طاعة تكون منه لو عاش إلى يوم القيامة.

قال أبو محمد: وهذا جنون ناهيك به لوجوده أولهـا أنه محاباة مجردة له عليه السلام على غيره وهلا فعل ذلـك بغيره وعجل راحتهم من الدنيا ونكدها وثانيها أن هذا القـول كذب بحت وذلك أن المحن في العالم معروفة وهي إما فـي الجسم بالعلل وأما في المال بالإتلاف وأمـل فـي النفـوس بالخوف والهوان والهم بالأهل والأحبة والقطع دون الأمل لا محنة في العالم تخرج عن هذه الوجوه إلا المحنة في الـدين فقط نعوذ با من ذلك فأما المحنة في الجسم فكذبوا وما مات عليه السلام إلا سليم الأعضاء سويها معافى من مثل محنـة أيوب عليه السلام وسائر أهل البلاء نعوذ با منه وأما فـي المال فما شغله ا عز وجل منه بما يقتضـي محنتـه فـي

فضوله ولا أحوجه إلى أحد بل أقامه على حد الغنى بـالقوت ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقر به من ربه عز وجل له: " وأما النفس فأي محنة لمن قال ا عز وجل له وا يعصمك مـن الناس " ولمن رفع له ذكره وضمن له إظهار دينه على الدين كله ولو كره أعداؤه وجعل شانئه الأبتر وأعزه بالنصر على كل عدو فأي خوف وأي هوان يتوقعه عليه السلام وأما أهله وأحبته فاخترم بعضهم فأجره فيهم كإبراهيم ابنـه وخديجـة وحمزة وجعفر وزينب وأم كلثوم ورقية بناته رضي ا عنهم وأقر عينه ببقاء بعضهم وصلاحه كعائشة وسـائر أمهـات المؤمنين وفاطمة ابنته وعلي والعباس والحسـن والحسـين وأولاد العباس وعبد ا بن جعفر وأبي سفيان بن الحـارث رضي ا عن جميعهم فأي محنة ها هنا أليس قد أعـاد ا تعالى من مثل محنة حبيب بن عدي سمية أم عمار رضي ا عنهم أليس من قتل من الأنبياء عليهم السـلام ومـن أنشـر بالمنشار وأحرق بالنيران أعظم محنة ومن خالفه قومه فلـم يتبعه منهم إلا اليسير وعذب الجمهور كهود وصالح ولـوط وشعيب وغيرهم اعظم محنة وهل هذه إلا مكابرة وحماقـة وقحة وأي محنة تكون لمن أوجب ا عز وجل على الجـن

والإنس طاعته وأكرمه برسالته وأمنه من كل الناس و أكـب عدوه لوجهه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهل هـذه إلا نعم وخصائص وفضائل وكرامات ومحاباة مجـردة لـه على جميع الإنس والجن وهل استحق عليه السلام هذا قـط على ربه تعالى حتى ابتدأه بهذه النعمة الجليلة وقد تحنث قبله زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي العدوي وقـيس بـن ساعدة الأبادي وغيرهما فما أكرموا بشيء من هـذا ولكـن نوك المعتزلة ليس عليه قياس.

قال أبو محمد: ومما سئلوا عنه أن قيل لهم أليس قـد علم ا تعالى أن فرعون والكفار إن أعاشهم كفـروا فمـن قولهم نعم فيقال لهم فلم أبقاهم حتى كفروا واخترم على قولكم من علم أنه إن عاش كفر وهذا تخليط لا يعقل ونقـول لهـم أيضاً أيما كان أصلح للجميع لا سيما لأهل النار خاصـة أن يخترعنا ا تعالى كلنا في الجنة كما فعل بالملائكة وحـور العين أم ما فعل بنا من خلقنا في الدنيا والتعريض للبلاء فيها وللخلود في النار.

قال أبو محمد: فلحوا عند هذه فقال بعضهم لم يخلق الجنة بعد فقلنا لهم هبكم أن الأمر كما قلتم فإنما كان أصـلح

للجميع أن يجعل ا عز وجل خلقها ثم يخلقنا فيها أو يـؤخر خلقنا حتى يخلقها ثم يخلقنا منها أما خلقه لنا حيث خلقنا فإن عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهي القدرة وشـبهاً لخلقـه وأبطلوا إلاهيته وجعلوه محيزاً ضعيفاً وهذا كفر مجرد ونفي السؤال أيضاً مع ذلك بحسبه أن يجعلنا كالملائكة وأن يجعلنا كلنا أنبياء كما فعل بعيسى ويحيى عليهمـا السـلام وسـائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال بعضهم ليس جهلنا بوجه المصلحة في ذلك مما يخرج هذا الأمر عن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكـم لـيس جهلنـا بوجـه المصلحة والحكمة في خلق ا تعالى لأفعـال عبـاده وفـي تكليفه الكافر والفاسق ما لا يطيق ثم يعذبهما على ذلك ممـا يخرجه عن الحكمة وهذا لا مخاص لهم منه.

قال أبو محمد: وأما نحن فلا نرضى بهذا بـل مـا جهلنا ذلك لكن نقطع على أن كل ما فعله ا تعالى فهو عين الحكمة والعدل وأن من أراد إجراء أفعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا فقد ألحدوا حظاً وضل وشبه ا عـز وجـل بخلقه لأن الحكمة والعدل بيننا إنما هما طاعة ا عز وجـل فقط لا حكمة ولا عدل غير ذلك إلا ما امرنا بـه أي شـيء

كان فقط وأما الله تعالى فلا طاعة لأحد عليه فبطل أن تكون أفعاله جارية على أحكام العبيد المأمورين المربوبين المسؤولين ما يفعلون لكن أفعاله تعالى جارية على العزة والقوة والجبروت والكبرياء والتسليم له وأن لا يسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال تعالى وقد خاب من خالف ما قال الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث على أصولهم على ربهم تعالى عن ذلك وقال متكلموهم لو خلقنا في الجنة لم نعلن مقدار النعمة علينا عن ذلك وقال متكلموهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك وكنا أيضاً نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وإدخالنا الجنة بعد استحقاقنا لها أتم في النعمة وأبلغ في اللذة وأيضاً فلو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد على ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وأيضاً فإن الله تعالى قد علم أن بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة.

قال أبو محمد: هذا كل ما قدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنا فنقول وبالله تعالى التوفيق أما قولهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم

مقدار النعمة علينا في ذلك فإننا نقول وبا تعالى نتأيد أكان ا تعالى قادراً على أن يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعـة نعلم بها قدرة النعمة علينا في ذلك أكثر من علمنا بذلك بعـد دخولنا فيها يوم القيامة أو كعلمنا ذلك أم كان غير قادر على ذلك فإن قالوا أكان غير قادر على ذلك عجزوا ربهم تعـالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على أمرنا ولا يقدر علـى غيـره وهذا لا يكون إلا لعرض داخل أو لبنية متناهية القوة وهـذا كفر مجرد وإن قالوا كان ا قادراً على ذلك أقروا بأنه عـز وجل لم يفعل بهم أصلح ما عنده وأن عنده أصلح مما فعـل بهم وأيضاً فإن كانوا أرادوا بذلك أن اللذة تعقـب الـبلاء و التعب أشد سروراً وأبلغ لزمهم أن يبطلوا نعم الجنة جملـة لأنه ليس نعيمها البتة كان الفتى لم يعر يوماً إذا اكتسى ولـم يفتقر يوماً إذا ما تمولا فلزم على هذا الأصل أن يحـدد ا عز وجل لأهل الجنة آلاماً فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللـذة وهذا خروج عن الإسلام ويلزمهم أيضاً أن يـدخل النبيـين والصالحين النار ثم يخرجهم منها إلى الجنة فتضاعف اللـذة والسرور أضعافاً بذلك ويقال لهم كنا نكون كالملائكة والحور العين فإن كانوا عالمين بمقدار ما هم فيه من نعيم ولذة فكنا

نحن كذلك وإن كانوا غير عالمين بمقدار ما هم فيه من اللذة والنعيم فهلا أعطاهم هذه المصلحة ولأي شيء منعهم هـذه الفضيلة التي أعطاها لنا وهم أهل طاعته التـي لـم تشـب بمعصية فإن قالوا أإن الملائكة وحور العين قد شاهدوا عذاب الكفار في النار فقام لهم مقام الترهيب قلنا لهم هل المحابـاة والجور إلا أن يعرض قوماً للمعطب ويبقيهم حتـى يكفـروا فيخلدوا في النار ليوعظ بهم قوم آخرون خلقوا فـي الجنـة والرفاهية سرمداً أبداً لا بد وهل عين الظلم إلا هذا فيما بيننا على أصول المعتزلة وكمن يقول من الطغاة قتل الثلث فـي صلاح الثلثين صلاح وهل في الشاهد عبث وسفه أعظم مـن عبث من يقول لآخر هات أضربك بالسياط وأردك من جبـل وأصفع في قفاك وأنتف سبالك وأمشيك في طريق ذات شوك دون راحة في ذلك ولا منفعة ولكن لا أعطيك بعد ذلك ملكاً عظيماً ولعلك في خلال ضربي إياك أن تتضرر فتقع في بئر منتنة لا خرج منها أبداً فأي مصلحة عند ذي عقل في هـذا الحال لا سيما وهو قادر على أن يعطيه ذلك الملـك دون أن يعرضه لشيء من هذا البلاء فهذه صفة ا عز وجل عنـد

المعتزلة لا يستحقون من أن يصفوا أنفسهم بأن يصـفوا ا تعالى بالعدل والحكمة.

قال أبو محمد: وأما نحن فنقول لـو أن ا تعـالى أخبرنا أنه يفعل هذا كان بعينه ما أنكرناه ولعلمنا أنـه منـه تعالى حق وعدل وحكمة.

قال أبو محمد: ومن العجب أن يكون ا تعالى يخلقنا يوم القيامة خلقاً لا نجوع فيه أبداً ولا نعطش ولا نبـول ولا نمرض ولا نموت وينزع ما في صدورنا من غل ثم لا يقدر على أن يخلقنا فيها ولا على أن يخلقنا خلقاً نلتذ معه بابتدائنا كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد فهل يفرق بين شيء من هذا إلا من لا عقل له أو مستخف بالباري تعالى وبالـدين وأمـا قولهم لو خلقنا ا تعالى في الجنة لكنا غير مستحقين لـذلك النعيم فإنا نقول لهم أخبرونا عن الأعمال التي استحققتم بهـا الجنة عند أنفسكم أفبضرورة العقل علمتم أن من عملها فقـد استحق الجنة ديناً واجباً على ربه تعالى أم لم تعلموا ذلك ولا وجب ذلك إلا حتى أعلمنا ا عز وجل أنه يفعل وجعل الجنة جزاء على هذه الأعمال فإن قالوا بالعقل عرفنـا اسـتحقاق الجنة على هذه الأعمال كابروا وكذبوا على العقل وكفـروا

لأنهم بهذا القول يوجبون الاستغناء عن الرسل عليهم الصلاة والسلام ولزمهم أن ا تعالى لم يجعل الجنة جزاء على هذه الأعمال لكن وجب ذلك عليه حتماً لا باختياره ولا بأنه لـو شاء غير ذلك لكان له وهذا كفر مجرد وأيضاً فإن شـريعة موسى عليه السلام في السبت وتحريم الشحوم وغير ذلك فقد كان الجنة جزاء على العمل بها ثم صارت الآن جهنم جزاء على العمل بها فهل ها هنا إلا أن ا تعالى أراد ذلـك فقـط ولو لم يرد ذلك لم يجب من ذلك شيء فإن قالوا بل ما علمنا استحقاق الجنة بذلك إلا بخبر ا تعالى أنه حكم بذلك فقـط قيل لهم فقد كان ا تعالى قادراً على أن يخبرنا أنـه جعـل الجنة حقاً لنا يخترعنا فيها كما فعل بالملائكة وحور العين و أيضاً فقد كذبوا في دعواهم استحقاق الجنة بأعمـالهم فـإن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال ما من أحد ينجيه عملـه أو يدخله الجنة عمله ولا أنت يا رسـول ا ولا أنـا إلا أن يتغمدني ا برحمة منـه أو كلامـاً هـذا معنـاه و أيضـاً فبضرورة العقل ندري أن ما زاد على المماثلة في الجـزاء فيما بيننا فإنه تفضل مجرد في الإحسان وجور في الإسـاءة هذا حكم المعهود في العقل فعل أصول المعتزلة يلـزمهم أن

بقاء أحدنا في الجنة أو في النار أكثر من مثل مدة إحسانه أو إساءته جزاء على ما سلف منه فضل مجرد وعقاب زايد على مقدار الجرم وقد فعله ا عز وجل بلا شك وهو عدل منه وحكمة وحق.

قال أبو محمد: وأما قولهم أن دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل أعلى درجة وأسنى رتبة من دخولها بالتفضل المجرد فنقول لهم وبا تعالى التوفيق هذا خطأ محض لأننا قد علمنا أن هذا الحكم إنما يقع بين الأكفاء والمتماثلين وأما ا فليس له كفواً أحد ومن كان عبداً لآخر فإن إقبال السيد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة أسنى له وأعلى وأشرف لرتبته وأرفع لدرجته من أن لا يعطيه شيئاً بمقدار ما يستحقه لخدمته ويستخبره إياه هذا ما لا ينكره إلا معاند فكيف وليس لأحد على ا حق وحينئذ كل ما وهبه ا تعالى لأحد من أنبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما أخبر تعالى أنه أوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقاً لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من ا عز وجل واختصاص مبتدأ لو لم ينعم به عز وجل لم يجب عليه شيء منه لا يقول غير هذا إلا مدخول الدين فاسد العقل.

قال أبو محمد: وهم يقرون أن الملائكة أفضل مـن الأنبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا في هذا ثم نقضوا هذا الأصل بأصلهم هذا السخيف من قولهم أن من دخل الجنة بعد التعريض للبلاء فهو أفضل من ابتداء النعمة والتقريب فنحن على قولهم أفضل من الملائكة على جميعهم السلام وقد قالوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء فعلى هذا التقريـر يجـب أن يكون نحن أفضل من الملائكة بدرجة وأفضل مـن النبيـين بدرجتين وهذا كفر مجرد وتناقض ظاهر وأما قولهم أننا لـو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد والتحذر فإننا نقول لهـم وبا تعالى التوفيق حتى لو كان ما يقولون لما منع من ذلك أن يخلقوا في الجنة ثم يطلعوا منها فيـروا النـار ويعـاينوا وحشتها وهولها وقبحها ونفار النفوس عنها كالذي يعرض لنا عند الاطلاع على الغير أن العميقة المظلمة وإن كنا قط لـم نقع فيها ولا شاهدنا من وقع فيها بل ذلك كان يكون أبلغ في التحذير من وصفها دون رؤية لكن كما فعل بالملائكة وحور العين فيكون ذلك أدعى لهم إلى الشكر والحمـد والاغتبـاط بمكانهم واجتناب ما نهوا عنه خوف مفارقة ما قـد حصـلوا عليه ثم نقول لهم أيضاً قولوا هذا فهم بعـد دخـولهم الجنـة

أمباح لهم الكفر والشتم والضرب فيما بينهم أم محظور عليهم لزمهم تمادي التوعد والتحذير هنالك قلنا نكون لو اخترعنـا فيها على الحال التي تكون فيها يوم القيامة ولا فرق وكـان يكون أصلح لجميعنا بلا شك فإن قالوا قد سبقت الطاعة فـي الدنيا قيل لهم وكذلك كانت تسبق منهم في الجنة كالملائكـة سواء بسواء وهـم لا يقولـون أن المعاصـي والتضـارب والتلاطم والتراكض والتشاتم مباح لهم في الجنة ولا يقولون هذا أحد فيحتاج إلى كسر هذا القول فإن لجؤوا إلى قول أبي الهذيل أن أهل الجنة مضطرون لا مختارون قيل لهم وكنـا نكون فيها كذلك أيضاً كما نكون يوم القيامة فيها فهذا كـان أصلح للجميع بلا شك وهذا ما لا انفكاك لهم منه.

قال أبو محمد: وأما قولهم أن ا علـم أن بعضـهم يكفر ولا بد فيجب عليه الخروج من الجنة قلنا لهم أيقدر ا على خلاف ما علم أم لا فإن قالوا نعم يقدر ولكن لا يفعـل أقروا أنه فعل من ترك ابتداءنا في الجنة إمضاء لما سبق في علمه غير ما كان أصلح لنا بلا شك ورجعوا إلى الحق الذي هو قولنا أنه تعالى فعل ما سبق في علمه من تكليف مـا لا يطاق ومن خلقه تعالى الكفر والظلم وإنعامه على من شـاء

وحده لا شريك له وتركوا قولهم في الأصـلح وإن قـالوا لا يقدر على غير ما علم أن يفعله جعلوه محيراً مضطراً عاجزاً متناهي القوة ضعيف القدرة محدثاً في أسوأ حالة منهم وهـذا كفر وخلاف للقرآن ولإجماع المسلمين ونعـوذ بـا مـن الخذلان.

قال أبو محمد: ونسـألهم أي مصـلحة للحشـرات والكلاب والبق والدود في خلقها حشرات ولم يخلقهـا ناسـاً مكلفين معرضين لدخول الجنة فإن قالوا لو جعلنا ناساً لكفروا قيل لهم فقد جعل الكفار ناساً فكفروا فهلا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا فكان أصلح لهم على قولكم وهذا ما لا مخاص منه.

قال أبو محمد: ونسألهم فنقول لهـم إذا قلـتم أن ا تعالى لا يقدر على لطف لو أتى به الكفـار لآمنـوا إيمانـاً يستحقون معه الجنة لكنه قادر على أن لا يضـطرهم إلـى الإيمان أخبرونا عن إيمانكم تستحقون به الثواب هل يشـوبه عندكم شك أم يمكن بوجه من الوجوه أن يكون عندكم باطلاً فإن قالوا نعم يشوبه شك ويمكن أن يكون باطلاً أقروا علـى أنفسهم بالكفر وكفونا مؤنتهم وإن قالوا لا يشـوبه شـك ولا

يمكن البتة أن يكون باطلاً قلنا لهم هذا هو الاضطرار بعينه ليست الضرورة في العلم شيئاً غير هذا إنما هـو معرفـة لا يشوبها شك لا يمكن اختلاف ما عرف بها فهـذا هـو علـم الضرورة نفسه وما عدا هذا فهو ظن وشك فـإن قـالوا أن الاضطرار ما علم بالحواس أو بأول العقل وما عداه فهو ما عرف بالاستدلال قلنا هذه دعوى فاسدة لأنها بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل وتقسيمنا هو الحق الذي يعرف ضرورة وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: ونسألهم أيما كان أصـلح للعـالم أن يكون برياً من السباع والأفاعي والدواب العادية أو أن يكون فيه كما هي مسلطة على الناس وعلى سائر الحيوان وعلـى الأطفال فإن قالوا خلق ا الأفاعي والسباع كخلـق الحفـر والحرث ومزجرة للكفار.

قال أبو محمد: وهذا من ظريف الجنون ولقد ضـل بخلقتها جموع من المخذولين ممن جرى مجرى المعتزلة في أن يتعقبوا على ا عز وجل فعله كالمنانية والمجوس الذين جعلوا إلهاً خالقاً غير الحكيم العدل ثم نقول للمعتزلة إن كانت كما تقولون مصلحة فكان الاستكثار من المصـلحة أصـلح

وأبلغ في الزجر والتحريف وكل هذه الدعاوي منهم حماقات ومكابرات بلا برهان ليست أجوبتهم فيها بأصح من أجوبـة المنانية والمجوس وأصحاب التناسخ بل كلهـا جاريـة فـي ميدان واحد من أنها كلها دعاوى فاسدة بلا برهان ينقضـها وكلها راجعة إلى أصل واحد وهو تعليل أفعال ا عز وجل الذي لا علة لها أصلاً والحكم عليه بمثل الحكم على خلقه فيم يحسن منه ويقبح تعالى ا عن ذلك.

قال أبو محمد: ويقال لأصحاب الأصلح خاصة مـا معنى دعائكم في العصمة وأنتم تقولـون أن ا تعـالى قـد عصم الكفار كما عصم المؤمنين فلم يعتصموا وما معنـى دعائكم في الإعادة من الخذلان وفي الرغبة في التوفيق وأنتم تقولون أنه ليس عنده أفضل مما قد أعطاكموه ولا في قدرته زيادة على ما قد فعله بكم وأي معنى لدعائكم في التوبة وأنتم تقطعون على أنه لا يقدر على أن يعينكم في ذلـك بمقـدار شعرة زائدة على ما قد أعطاكموه فهل دعـاؤكم فـي ذلـك الإضلال وهزل وهزء كمن دعا إلى ا أن يجعله من بنـي آدم أو أن يجعل النبي نبياً والحجر حجراً وهل بين الأمـرين فرق فإن قالوا أن الدعا عمل أمرنا ا تعالى به فقيل لهم إن

أوامره تعالى من جملة أفعاله بلا شك وأفعاله عندكم تجـري على ما يحسن في العقل ويقبح فيه في المعهود وفيمـا بيننـا وعلى الحكمة عندكم وقد علمنا أنه لا يحسن في الشاهد بوجه من الوجوه أن يأمر أحداً يرغب إليه فيما ليس بيده ولا فيمـا قد أعطاه إياه وكلا هذين الوجهين عبث وسفه وهم مقـرون بأجمعهم أن ا تعالى حكم بهذا وفعله وهو أمره لهم بالدعاء إليه أما فيما لا يوصف عندهم بالقدرة عليه وأمـا فيمـا قـد أعطاهم إياه وهو عندهم عدل وحكمة فنقضوا أصلهم الفاسـد بلا شك وأما نحن فإننا نقول أن الدعاء عمل أمرنا ا عـز وجل به فيما يقدر عليه ثم إن شاء أعطانا ما سألناه وإن شاء منعنا إياه لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل.

قال أبو محمد: وإن في ابتداء ا عز وجـل كتابـه المنزل إلينا بقوله تعالى آمراً لنا أن نقوله راضـياً منـا أن نقوله: " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت علـيهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ثم ختمه تعـالى كتابـه آمراً لنا أن نقوله راضياً بقوله: " قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " لا بين بيان فـي تكـذيب

القائلين بأن ليس عند ا تعالى أصلح مما فعل وإنـه غيـر قادر على كف وسوسة الشيطان ولا على هدى الكفار هـدى يستحقون به الثواب كما وعد المهتدين لأنه عز وجل نـص على أنه هو المطلوب منه العون لنا والهدى على صراط من خصه بالنعمة عليه لا إلى الصراط من غضب عليه تعـالى وضل ولولا أنه تعالى قادر على الهدى المذكور وإن عنـده عنواناً على ذلك لا يؤتيه إلا من شاء دون من لم يشأ وإنـه تعالى أنعم على قوم بالهدى ولم ينعم به على آخـرين لمـا أمرنا أن نسأله من ذلك ما ليس بقدر عليه أو ما قد أعطـاه إياه ونص تعال على أنه قادر على صرف وسوسة الشيطان فلولا أنه تعالى يصرفها عمن يشاء لما أمرنا عز وجـل أن نستعيذ مما لا يقدر على الإعاذة منه أو مما قد أعاذنـا بعـد منه.

قال أبو محمد: ولا مخاص لهم من هذا أصـلاً ثـم نسألهم أي مصلحة للعصاة في أن جعـل بعـض حركـاتهم وسكونها كبائر يستحقون عليها النـار وبعـض حركـاتهم وسكونهم صغائر مغفورة ولقد كان أصلح من أن يجعلها كلها صغائر مغفورة فإن قالوا هذا أزجر عن المعاصي وأصـلح

قيل لهم فهلا إذ هو كما تقولون جعلها جميعها كبائر زاجـرة فهو أبلغ في الزجر.

قال أبو محمد: وقد نص ا تعالى في القرآن آيـات كثيرة لا يحتمل تأويلاً بتكذيب المعجزين لربهم تعالى ولـيس يمكنهم وجود أي آية ولا سنة يتعلقون بها أصلاً فمنها قولـه تعالى: " إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهـدي مـن تشاء " أفلم يكن عنده أصلح من فتنة يضل بها بعض خلقـه حاشا من هذا الكفر والتعجيز وقال تعالى حاكياً عن الذين أثنى عليهم من مؤمني الجن انهم قالوا: " وأنا لا ندري أشـر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ".

قال أبو محمد: وصدقهم ا عز وجل في ذلك إذ لو أنكره لما أورده مثنياً عليهم بذلك وهذا في غاية البيان الـذي قد هلك من خالفه وبطل به قول الضلال الملحدين القائلين أن ا تعالى أراد رشد فرعون وإبليس وأنه ليس عنده أصـلح ولا يقدر لهما على هدى أصلاً وقال تعالى: " ولقـد ذرأنـا لجهنم كثيراً من الجن والإنس " فليت شعري أي مصلحة لهم في أن يذرأهم لجهنم نعوذ با من هذه المصلحة وقال تعالى: " وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته " فصـح

أنه تعالى هو الذي يقي السيئات وأن الذي رحمه هو الـذي وقاه السيئات لأن من لم يقه السيئات فلم يرحمه وبلا شك أن من وقاه السيئات فقد فعل به أصلح بمن لم يقه إياه هذا مـع قوله تعالى: " ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولو شاء ربـك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً " ولا يشك من لدماغه أقل سلامة أو في وجهه من برد الحياء شيء في أن هـذا كـان أصلح بالكفار من إدخالهم النار بأن لا يؤتهم ذلك الهدى وإن كانوا كما يقولون من دخولهم الجنة بغيـر اسـتحقاق وقـال تعالى: " ولَكِن الله حبب ِإلَيكُم الْإِيمان وزينَه ِفي قُلُوبِكُم وكَره ِإلَيكُم الْكُفْر والْفُسوقَ والْعِصيان ُأولَئِك هم الراشِدون " فليـت شعري أين فعله تعالى بهؤلاء - نسأل ا أن يجعلنا منهم - من فعله بالذين قال فيهم أنه ختم على قلوبهم وزين لهم سوء أعمالهم وجعل صدورهم ضيقة حرجة إن من سـاوى بـين الأمرين وقال أن ا تعالى لم يعط هـؤلاء إلا مـا أعطـى هؤلاء ولا أعطى من الهدى والاختصاص محمد وإبـراهيم وموسى وعيسى ويحيى والملائكة عليهم السلام إلا ما أعطى إبليس وفرعون وأبا جهل وأبا لهب والذي حاج إبراهيم فـي ربه واليهود والنصارى والمجـوس والمتقيلـين والشـرط

والبغائين والعواهر وثمود الـذين جـابوا الصـخر بـالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في الـبلاد فـأكثروا فيهـا الفساد بل سوى في التوفيق بين جميعهم ولم يقدر لهم علـى مزيد من الصلاح لقليل من الحياء عديم الدين وما جوابه إلا قوله تعالى: " إن ربك لبالمرصاد " وقال عز وجل: " كـان الناس أمة واحدة فبعث ا النبيين مبشرين ومنذرين ".

قال أبو محمد: فأيما كان أصلح للكفار المخلدين فـي النار أن يكونوا مع المؤمنين أمة واحدة لا عذاب علـيهم أم بعثة الرسل إليهم وهو عز وجل يدري أنهم لا يؤمنون فيكون ذلك سبباً إلى تخليدهم في جهنم وقال تعالى: " وأملي لهم أن كيدي متين " وقال تعالى: " ولاَ يحسبن الَذِين كَفَـرواْ أَنمـا نُملِي لَهم خَير لِّأَنفُسِهم إِنما نُملِي لَهم لِيزدادواْ إِثْما ولَهم عذَاب مهين " وقال تعالى: " أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون " وقـال تعـالى: " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ".

قال أبو محمد: وهذا غاية البيان في أن ا عز وجل أراد بهم وفعل بهم ما فيه فساد أديانهم وهلاكهم الذي هو ضد الصلاح وإلا فأي مصلحة لهم في أن يستدرجوا إلى الـبلاد

من حيث لا يعلمون وفي الإملاء لهم ليزدادوا إثمـاً ونـص تعالى أن كل ذلك الذي فعله ليس مسارعة لهم فـي الخيـر فبطل قول هؤلاء الهلكى جملة والحمد رب العالمين وقال تعالى: " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيهـا فحق عليها القول فدمرناها تدميراً فهل بعد هذا بيان عـن ا عز وجل أراد هلاكهم ودمارهم ولم يـرد صـلاحهم فـأمر مترفيها بأوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميراً " فأيمـا كـان أصلح لهم أن لا يؤمروا فيسلموا أو أن يؤمروا وهو تعـالى يدري أنهم لا يأتمرون فيدخلون النار فإن قالوا فاحملوا قوله تعالى أمرنا مترفيها على ظاهره قلنا نعم هكذا نقول ولم يقل تعالى أنه أمرهم بالفسق وإنما قال تعالى أمرناهم فقـط وقـد نص تعالى على انه لا يأمر بالفحشاء فصح قولنا أيضاً وقال عز وجل: " وإن تتَولوا يستَبدِلْ قَوما غَيركُم ثُم لَـا يكُونُـوا أَمثَالَكُم " فنص تعالى على أن أصحاب النبي صلى ا تعالى عليه وسلم لو تولوا لا يدل قوماً غيرهم لا يكونون أمثـالهم وبالضرورة نعلم انه عز وجل إنما أراد خيراً منهم فقد صح أنه عز وجل قادر على أن يخلق أصلح منهم وقال تعالى: " إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم " وفي هذا كفاية وقـال

تعالى: " عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن " فهل في البيان في أن ا تعالى قادر على أن يفعل أصلح مما فعل وإن عنده تعالى أصلح مما أعطى خلقه أبين أو أوضـح أو أصح من إخباره تعالى أنه قادر على أن يبدل نبيه صـلى ا عليه وسلم الذي هو أحب الناس إليه خيراً مـن الأزواج اللواتي أعطاه واللواتي هن خير الناس بعد الأنبيـاء علـيهم السلام.

قال أبو محمد: فبطل قول البقـر الشـاذة أصـحاب الأصلح في أنه تعالى لا يقدر على أصلح مما فعل بعباده.

قال أبو محمد: نسأل ا العافية ممـا ابـتلاهم بـه ونسأله الهدى الذي حرمهم إياه وكان قادراً قال أبو محمـد: كل من منع قدرة ا عز وجل عن شيء مما ذكرنا فلا شك في كفره لأنه عجز ربه تعالى وخالف جميع أهل الإسلام.

أ قال أبو محمد: وقالوا إذا كان عنده أصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا إياه وليس بخيلاً وخلق أفعال عبـاده وعـذبهم عليها ولم يكن ظالماً فلا تنكروا على من قال أنه جسـم ولا يشبه خلقه وأنه يقول غير الحق ولا يكون كاذباً.

قال أبو محمد: فجوابنا وبا تعالى التوفيق أنه تعالى لم يقل أنه جسم ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيهاً له بخلقه ولم يقل تعالى أن يقول غير الحق بل قد أبطل ذلك وقطع بأن قوله الحق فمن قال على ا ما لم يقله فهو ملحد كاذب على ا عز وجل وقد قال تعالى أنه خالق كل شيء وخلقنا وما نعمل وأنه لو شاء لهدى كل كافر وأنه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك فقلنا ما قال من كل ذلك ولم نقل ما لم يقل وقلنا ما قام به البرهان العقلي من أنه تعالى خالق كل موجود دونه وأنه تعالى قادر على كل ما يسأل عنه وأنه لا يوصف بشيء من صفات العباد لا ظلم ولا بخل ولا غير ذلك ولم نقل ما قد قام البرهان العقلي على أنه باطل من أنه جسم أو أنه يقول غير الحق وقال بعض أصحاب الأصلح وهو ابن بدد الغزال تلميذ محمد بن شبيب تلميذ النظام بلى إن عند ا ألطافاً لو أتى بها الكفار لآمنوا إيماناً يستحقون معه الثواب إلا أن الثواب قال أبو محمد: وهذا تمويه ضعيف لأننا إنما سألناهم هل يقدر ا تعالى على ألطاف إذا أتى بها أهل الكفر آمنوا إيماناً يستحقون به مثل هذا الثواب الذي يؤتيهم على الإيمان

اليوم أو أكثر من ذلك الثواب فلا بد لهم من تـرك قولـه أو يعجز ربه تعالى.

قال أبو محمد: ونسأل جميع أصحاب الأصلح فنقول لهم وبا تعالى التوفيق أخبرونا عن كل من شاهد بـراهين الأنبياء عليهم السلام ممن لم يؤمن به وصحت عنـده بنقـل التواتر هل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها أنهـا شواهد موجبة صدق نبوتهم أم لم يصح ذلك عندهم إلا بغالب الظن وبصفة أنها مما يمكن أن يكون تخييلاً أو سحراً أو نقلاً مدخولاً ولا بد من أحد الوجهين فإن قالوا بـل صـح ذلـك عندهم صحة لا مجال للشك فيها وثبت ذلك في عقولهم بـلا شك قلنا لهم هذا هو الاضطرار نفسه الذي لا اضطرار فـي العالم غيره وهذه صفة كل من ثبت عنده شيء ثباتاً متيقنـاً كمن يتيقن بالخبر الموجب للعلم موت فلان وكـون صـفين والجمل وكسائر ما لم يشاهد المرء بحواسه فالكل على هـذا مضطرون إلى الإيمان لا مختارون له وإن قالوا لـم يصـح عندهم شيء من ذلك هذه الصحة قلنا لهم فما قامت علـيهم حجة النبوة قط ولا صحت تعالى عليهم حجة ومن كـان هكذا فاختياره للإيمان إنما هو استحباب وتقليد واتبـاع لمـا

مالت إليه نفسه وغلب في ظنه فقط وفي هذا بطلان جميـع الشرائع وسقوط حجة ا تعالى

الكلام في هل تعالى نعمة على الكفار أم لا

قال أبو محمد: اختلف المتكلمون في هـذه المسـألة فقالت المعتزلة أن نعم ا تعالى على الكفار في الدين والدنيا كنعمه على المؤمنين ولا فرق وهذا قول فاسد قـد نقضـناه آنفاً و الحمد وقالت طائفة أخرى إن ا تعالى لا نعمة لـه على كافر أصلاً لا في دين ولا دنيا وقالت طائفة له تعـالى عليهم نعم في الدنيا فأم في الدين فلا نعمة لـه علـيهم فيـه أصلاً.

قال أبو محمد: قال ا عز وجل: " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى ا والرسول إن كنتم تؤمنون با واليـوم الآخر " قال أبو محمد: فوجدنا ا عز وجل يقول: " ا الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن ا لذو فضـل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون " وقال تعـالى: " الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم ا ربكم ".

قال أبو محمد: فهذا عموم بالخطاب بإنعام ا تعالى على كل من خلق ا تعالى وعموم لمن يشكر مـن النـاس والكفار من جملة ما خلق ا تعالى بلا شك وأما أهل الإسلام فكلهم شاكر تعالى بالإقرار به ثم يتفاضلون فـي الشـكر وليس أحد من الخلق يبلغ كل ما عليه من شـكر ا تعـالى فصح أن نعم ا تعالى في الدنيا على الكفـار كهـي علـى المؤمنين وربما أكثر في بعضهم في بعض الأوقـات قـال تعالى: " بدلوا نعمة ا كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهـنم يصلونها وبئس القرار وهذا نص جلي على نعـم ا تعـالى على الكفار وأنهم بدلوها كفراً فلا يحل لأحد أن يعارض كلام ربه تعالى برأيه الفاسد وأما نعمة ا في الدين فإن ا تعالى أرسل إليهم الرسل هادين لهم إلى ما يرضى ا تعالى وهذه نعمة عامة بلا شك فلما كفروا وجحدوا نعم ا تعالى في ذلك أعقبهم البلاء وزوال النعمة كما قال عز وجـل: " إن ا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " وبا تعالى نتأيد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتاب الإيمان والكفر والطاعات والمعاصي والوعـد والوعيد قال أبو محمد: اختلف الناس فـي ماهيـة الإيمـان

فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة ا تعالى بالقلب فقط وإن أظهر اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته فإذا عرف ا تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة وهذا قول أبي محرز الجهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري البصري و أصحابهما وذهب قوم إلى أن الإيمان هو إقرار باللسان با تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا هو قول محمد بن كرام السجستاني وأصحابه وذهب قوم إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان معاً فإذا عرف المرء الدين بقلبه وأقر بلسانه فهو مسلم كامل الإيمان والإسلام وإن الأعمال لا تسمى إيماناً ولكنها شرائع الإيمان وهذا قول أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهاء وذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح وأن كل طاعة وعمل خير فرضاً كان أو نافلة فهي إيمان وكلما ازداد الإنسان خيراً ازداد إيمانه وكلما عصى نقص إيمانه وقال محمد بن زياد الحريري الكوفي من آمن با عز وجل وكذب برسول ا صلى ا عليه وسلم

فليس مؤمناً على الإطلاق ولا كافراً على الإطـلاق ولكنـه مؤمن كافراً معاً لأنه آمن با تعالى فهـو مـؤمن وكـافر بالرسول صلى ا عليه وسلم فهو كافر.

قال أبو محمد: فحجة الجهمية والكرامية والأشـعرية ومن ذهب مذهب أبي حنيفة حجة واحدة وهي أنهم قالوا إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغة العـرب خاطبنـا ا تعالى ورسول ا صلى ا عليه وسلم والإيمان في اللغة هو التصديق فقط والعمل بالجوارح لا يسمى في اللغة تصـديقاً فليس إيماناً قالوا والإيمان هو التوحيد والأعمـال لا تسـمى توحيداً فليست إيماناً قالوا ولو كانت الأعمال توحيداً وإيماناً لكان من ضيع شيئاً منها قد ضيع الإيمان وفـارق الإيمـان فوجب أن لا يكون مؤمناً قالوا وهـذه الحجـة إنمـا تلـزم أصحاب الحديث خاصة لا تلزم الخوارج ولا المعتزلة لأنهم يقولون بذهاب الإيمان جملة بإضاعة الأعمال.

قال أبو محمد: ما لهم حجة غير ما ذكرنا وكل مـا ذكروا فلا حجة لهم فيه أصلاً لما نذكره إن شـاء ا عـز وجل.

قال أبو محمد: إن الإيمان هو التصديق في اللغة فهذا حجة على الأشعرية والجهمية والكرامية مبطلـة لأقـوالهم إبطالاً تاماً كافياً لا يحتاج معه إلى غيره وذلـك قـولهم أن الإيمان في اللغة التي بها نزل القرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الإطلاق وما سمي فقـط التصـديق بالقلـب دون التصديق باللسان إيماناً في لغة العرب وما قال قط عربي أن من صدق شيئاً قلبه فأعلن التكذيب به بقلبه وبلسـانه فإنـه يسمى مصدقاً به أصلاً ولا مؤمناً به البتة وكذلك ما سمي قط التصديق باللسان دون التصديق بالقلب إيماناً في لغة العـرب أصلاً على الإطلاق ولا يسمى تصديقاً في لغة العـرب ولا إيماناً مطلقاً إلا من صدق بالشيء بقلبه ولسانه معـاً فبطـل تعلق الجهمية والأشعرية باللغة جملة ثم نقول لمـن ذهـب مذهب أبي حنيفة في أن الإيمان إنما هو التصـديق باللسـان والقلب معاً وتعلق في ذلك باللغة إن تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيه أصلاً لأن اللغة يجب فيها ضرورة أن كل مـن صـدق بشيء فإنه مؤمن به وأنتم والأشعرية والجهميـة والكراميـة كلكم توقعون اسم الإيمان ولا تطلقونه إلا على صفة محدودة دون سائر الصفات وهي من صدق با عز وجل وبرسـوله

صلى ا عليه وسلم وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنـة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما قد أجمعت الأمة على انه لا يكون مؤمناً من لم يصدق به وهذا خلاف اللغة مجرد فإن قالوا أن الشريعة أوجبت علينا هذا قلنا صدقتم فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه في اللغة كما فعلتم آنفاً سواء بسواء ولا فرق.

قال أبو محمد: ولو كان ما قالوه صحيحاً لوجـب أن يطلق اسم الإيمان لكل من صدق بشيء ما ولكان من صدق بإلاهية الحلاج وبإلاهية المسيح وبإلاهية الأوثـان مـؤمنين لأنهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لا يقوله أحد مما ينتمـي إلى الإسلام بل قائله كافر عند جميعهم ونص القرآن بكفـر من قال بهذا قال تعالى: " ويريدون أن يفرقوا بين ا ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً " فهذا ا عز وجل شـهد بأن قوماً يؤمنون ببعض الرسل وبا تعالى ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك أن يطلق عليهم اسم قال أبو محمد: وقـول محمد بن زياد الحريري لازم لهذه الطوائف كلها لا ينفكـون

عنه على مقتضى اللغة وموجبها وهو قول لم يختلف مسلمان في أنه كفر مجرد وأنه خلاف للقرآن كما ذكرنا.

قال أبو محمد: فبطل تعلق هذه الطوائف باللغة جملة وأما قولهم أنه لو كان العمل يسمى إيماناً لكان من ضيع منه شيئاً فقد أضاع الإيمان ووجب أن لا يكون مؤمناً فإني قلـت لبعضهم وقد ألزمني هذا الإلزام كلاماً تفسيره وبسطه إننا لا نسمي في الشريعة اسماً إلا بأن يأمرنا ا تعالى أن نسميه أو يبيح لنا ا بالنص أن نسميه لأننا لا ندري مـراد ا عـز وجل منا إلا بوحي وارد من عنده علينا ومع هذا فإن ا عز وجل يقول منكراً لمن سمي في الشريعة شيئاً بغير إذنه عـز وجل: " إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل ا بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقـد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى " وقال تعالى: " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا " فصح أنه لا تسمية مباحة لملك ولا لأنـس دون ا تعالى ومن خالف هذا فقد افترى على ا عز وجل الكـذب وخالف القرآن فنحن لا نسمي مؤمناً إلا من سماه ا مؤمناً

ولا نسقط الايمان بعد وجوبه إلا عمن أسقطه ا عز وجـل عنه ووجدنا بعض الأعمال التي سماها ا عز وجل إيماناً لم يسقط ا عز وجل اسم الإيمان عن تاركها فلم يجز لنـا أن نسقطه عنه لذلك لكن نقول انه ضيع بعـض الإيمـان ولـم يضيع كله كما جاء النص على ما نبين إن شاء ا تعالى.

قال أبو محمد: فإذا سقط كل ما موهـت بـه هـذه الطوائف كلها ولم يبق لهم حجة أصلاً فلنقل بعون ا عـز وجل وتأييده في بسط حجة القول الصحيح الذي هـو قـول جمهور أهل الإسلام ومذهب الجماعة وأهل السنة وأصحاب الآثار من أن الإيمان عقد وقول وعمل وفي بسط ما أجملناه مما نقدنا به قول المرجئة وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: أصل الإيمان كما قلنـا فـي اللغـة التصديق بالقلب وباللسان معاً بأي شيء صدق المصـدق لا شيء دون شيء البتة إلا أن ا عز وجل على لسان رسول ا صلى ا عليه وسلم أوقع لفظة الإيمان على العقد بالقلب لأشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شـيء وأوقعها أيضاً تعالى على الإقرار باللسان بتلك الأشياء خاصة لا بما سواها وأوقعها أيضاً على أعمال الجوارح بكل ما هو

طاعة له تعالى فقط فلا يحل لأحد خلاف ا تعالى فيما أنزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة وأهلها فهو أملك بتصـريفها وإيقاع أسمائها على ما يشاء ولا عجب أعجب ممن أن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرماح أو لأعرابي أسدي أو سلمي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب بوال على عقبيه لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة وقطـع به ولم يعترض فيه ثم إذا وجد تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في إحالته عما أوقعه ا عليه وإذا وجد لرسول ا صلى ا عليه وسلم كلاما فعل به مثل ذلك وتا لقد كان محمد بن عبد ا بن عبد المطلـب بـن هاشم قبل أن يكرمه ا تعالى بالنبوة وأيام كونه فتى بمكـة بلا شك عند كل ذي مسكة من عقل أعلم بلغة قومه وأفصـح فيها وأولى بأن يكون ما نطق به من ذلك حجـة مـن كـل خندفي وقيسي وربيعي وإيادي وتميمي وقضاعي وحميري فكيف بعد أن اختصه ا تعالى للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه وأجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتي به فأي ضلال أضل ممن يسمع لبيد بن ربيعة بن مالك

بن جعفر بن كلاب يقول: فعلت فروع الأيهقـان وأطفلـت لجلهتين ظباؤها ونعامها فجعله حجة وأبو زياد الكلابي يقول ما عرفت العرب قط الأيهقان وإنما هو اللهق بيت معـروف ويسمع قول بن أحمر كناه نقاق عن مأموسة الحجر وعلمـاء اللغة يقولون أنه لم يعرف قط لأحد من العرب أنه سمى النار مأموسة إلا ابن أحمر فيجعله حجة ويجيز قول من قال مـن الأعراب هذا حجر من خرب وسائر الشواذ عن معهود اللغة مما يكثر لو تكلفنا ذكره ونحتج بكل ذلك ثم يمتنع من إيقـاع اسم الإيمان على ما أوقعه عليه ا تعالى ورسوله صلى ا عليه وسلم محمد بن عبد ا القرشي المسترضع في بني سعد بن بكر ويكابر في ذلك بكل باطل وبكل حماقة وبكـل دفـع للمشاهدة ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: فمن الأيات التي أوقع ا تعالى فيها اسم الإيمان على أعمال الديانة قوله عز وجل: " هو الـذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ".

قال أبو محمد: والتصديق بالشيء أي شيء كـان لا يمكن البتة أن يقع فيه زيادة ولا نقـص وكـذلك التصـديق بالتوحيد والنبوة لا يمكن البتة أن يكون فيه زيادة ولا نقـص

لأنه لا يخلو كل معتقد بقلبه أو مقر بلسانه بأي شيء أقر أو أي شيء اعتقد من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها أما أن يصدق بما اعتقد وأقر وأما أن يكذب بما اعتقد وأما منزلـة بينهمـا فهي الشك فمن المحال أن يكون إنساناً مكذباً بما يصدق بـه ومن المحال أن يشك أحد فيما يصدق به فلـم يبـق إلا أنـه مصدق بما اعتقد بلا شك ولا يجوز أن يكون تصديق واحـد أكثر من تصديق آخر لأن أحد التصديقين إذا دخلته داخلـة فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم أنـه قـد خـرج عـن التصديق ولا بد وحصل في الشك في أن معنى التصديق إنما هو أن يقطع ويوقن بصحة وجود ما صدق به ولا سبيل إلى التفاضل في هذه الصفة فإن لم يقطع ولا أيقن بصـحته فقـد شك فيه فليس مصدقاً به وإن لم يكن مصدقاً به فليس مؤمنـاً به فصح أن الزيادة التي ذكر ا عز وجل في الإيمان ليست في التصديق أصلاً ولا في الاعتقاد البتة فهي ضرورة فـي غير التصديق وليس ها هنا إلا الأعمال فصح يقيناً أن أعمال البر إيمان بنص القرآن وكذلك قول ا عز وجـل: " فأمـا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً " وقوله تعالى: " الذين قـال لهـم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً " فـإن

قال قائل معنى زيادة الإيمان ها هنا إنما هو لما نزلت تلـك الآية صدقوا بها فزادهم بنزولها إيماناً تصديقاً بشيء وارد لم يكن عندهم قيل لهم وبا تعالى التوفيق هذا محال لأنه قـد اعتقد المسلمون في أول إسلامهم أنهم مصـدقون بكـل مـا يأتيهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام في المستأنف فلا يزدهم نزول الآية تصديقاً لم يكونوا اعتقدوه فصح أن الإيمان الذي زادتهم الآيات إنما هو العمل بها الذي لم يكونوا عملـوه ولا عرفوه ولا صدقوا به قط ولا كان جائزاً لهـم أن يعتقـدوه ويعملوا به بل كان فرضاً عليهم تركه والتكـذيب بوجوبـه والزيادة لا تكون إلا في كمية عدد لا في ما سواه ولا عـدد للاعتقاد ولا كمية وإنما الكمية والعدد في الأعمال والأقـوال فقط فإن قالوا أن تلاوتهم لها زيادة إيمان قلنا صدقتم وهـذا هو قولنا والتلاوة عمل بجارحة اللسان ليس إقراراً بالمعتقـد ولكنه من نوع الذكر بالتسبيح والتهليل وقال تعـالى: " ومـا كان ا ليضيع إيمانكم " ولم يزل أهل الإسلام قبل الجهميـة والأشعرية والكرامية وسائر المرجئة مجمعين على أنه تعالى إنما عنى بذلك صلاتهم إلى بيت المقـدس قبـل أن ينسـخ بالصلاة إلى الكعبة وقال عز وجل: " اليوم أكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " وقال عـز وجل: " وما أمروا إلا ليعبدوا ا مخلصين له الدين حنفـاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " فنص تعالى على أن عبادة ا تعالى في حال إخلاص الدين لـه تعـالى وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواردتين في الشريعة كله ديـن القيمة وقال تعالى: " إن الدين عند ا الإسلام " وقال تعالى: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخـرة من الخاسرين " فنص تعالى أن الدين هو الإسلام ونص قبل على أن العبادات كلها والصلاة والزكاة هي الدين فأنتج ذلك يقيناً أن العبادات هي الدين والدين هو الإسلام فالعبادات هن الإسلام وقال عز وجل: " يمنون عليك أن أسـلموا يمنـون علَيك َأن َأسلَموا قُل لا تَمنوا علَي ِإسلَامكُم بل الله يمن علَيكُم َأن هداكُم ِللْإِيمانِ ِإن كُنتُم صادِقِين " وقال تعالى: " فأخرجنـا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غيـر بيـت مـن المسلمين " فهذا نص جلي على أن الإسلام هو الإيمان وقـد وجب قبل بما ذكرنا أن أعمال البـر كلهـا هـي الإسـلام والإسلام هو الإيمان فأعمال البر كلها إيمان وهـذا برهـان ضروري لا محيد عنه وبا تعالى التوفيق وقال تعالى: " فَلاَ

وربك لاَ يؤْمِنُون حتى يحكموك فِيما شَجر بينَهم ثُم لاَ يجِدواْ فِي أَنفُسِهم حرجا مما قَضيتَ ويسلمواْ تَسلِيما " فنص تعـالى وأقسم بنفسه أن لا يكون مؤمناً إلا بتحكيم النبـي صـلى ا عليه وسلم في كل ما عن ثم يسلم بقلبه ولا يجد فـي نفسـه حرجاً مما قضى فصح أن التحكيم شيء غير التسليم بالقلـب وأنه هو الإيمان الذي لا إيمان لمن لم يأت به فصح يقيناً أن الإيمان اسم واقع على الأعمال في كل ما في الشريعة وقـال تعالى: " ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريـدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً فصـح أن لا يكون التصديق مطلقاً إيماناً إلا حتى يستضيف إليه ما نـص ا تعالى عليه ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام قول ا عز وجل: " ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقـك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً " إلى قوله " يا ليتني لم أشرك بربي أحداً " فأثبت ا الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى إذ شك في البعث وقال تعـالى: " أفتؤمنـون بـبعض الكتاب وتكفرون ببعض " فصح أن من آمن بـبعض الـدين

وكفر بشيء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صدق مـن ذلك.

قال أبو محمد: وأكثـر الأسـماء الشـرعية فإنهـا موضوعة من عند ا تعالى على مسميات لم يعرفها العرب قط هذا أمر لا يجهله أحد من أهل الأرض ممن يدري اللغة العربية ويدري الأسماء الشرعية كالصلاة فإن موضوع هذه اللفظة في لغة العرب الدعاء فقط فأوقعها ا عز وجل على حركات محدودة معدودة من قيـام موصـوف إلـى جهـة موصوفة لا تتعدى وركوع كذلك وسجود كذلك وقعود كذلك وقراءة وذكر كذلك في أوقات محدودة وبطهـارة محـدودة وبلباس محدود متى لم تكن على ذلك بطلت ولم تكن صـلاة وما عرفت العرب قط شيئاً من هذا كله فضلاً على أن تسميه حتى أتانا بهذا كله رسول ا صلى ا عليه وسلم وقد قـال بعضهم أن في الصلاة دعاء فلم يخرج الاسـم بـذلك عـن موضوعه في اللغة.

قال أبو محمد: وهذا باطل لأنه لا خلاف بين أحد من الأمة في أن من أتى بعدد الركعات وقرأ أم القـرآن وقرآنـاً معها في كل ركعة وأتى بعد الركوع والسـجود والجلـوس

والقيام والتشهد وصلى على النبي صلى ا عليه وسلم وسلم بتسليمتين فقد صلى كما أمر وإن لم يدع بشيء أصلاً وفـي الفقهاء من يقول أن من صلى خلف الإمام فلم يقرأ أصلاً ولا تشهد ولا دعا أصلاً فقد صلى كما أمر وأيضـاً فـإن ذلـك الدعاء في الصلاة لا يختلف أحد من الأمة في أنه ليس شيئاً ولا يسمى صلاة أصلاً عند أحد من أهل الإسلام فعلى كل قد أوقع ا عز وجل اسم الصلاة على أعمال غير الـدعاء ولا بد وعلى دعاء محدود لم تعرفه العرب قط ولا عرفت إيقاع الصلاة على دعاء بعينه دون سائر الدعاء ومنها الزكاة وهي موضوع في اللغة للنماء والزيادة فأوقعها ا تعالى إعطـاء مال محدود معدود من جملة أموال ما موصـوفة محـدودة معدودة معينة دون سائر الأموال لقوم محدودين في أوقـات محدودة فإن هو تعدى شيئاً من ذلك لم يقع على فعلـه ذلـك اسم زكاة ولم تعرف العرب قط هذه الصفات والصـيام فـي لغة العرب الوقوف تقول صام النهار إذا طال حتـى صـار كأنه واقف بطوله قال امرئ القيس: إذا صام النهار وهجـرا وقال آخر وهو النابغة الذبياني: خيل صـيام وخيـل غيـر صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما فأوقع ا تعالى اسم

الصيام على الامتناع من الأكل والشرب والجماع وتعمد القيء من وقت محدود تبين الفجر الثاني إلى غروب الشمس في أوقات من السنة محدودة فإن تعدى ذلك لم يسم صياماً وهذا أمر لم تعرفه العرب قط فظهر فساد قول من قال أن الأسماء لا تنقل في الشريعة عن موضعها في اللغة وصح أن قولهم هذا مجاهرة سمجة قبيحة.

قال أبو محمد: فإذا قد وضح وجود الزيادة في الإيمان بخلاف قول من قال أنه التصديق فبالضرورة ندري أن الزيادة تقتضي النقص ضرورة ولا بد لأن معنى الزيادة إنما هو عدد مضاف إلى عدد وإذا كان ذلك فذلك العدد المضاف إليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه وقد جاء النص بذكر النقص وهو قول رسول ا صلى ا عليه وسلم المشهور المنقول نقل الكواف أنه قال للنساء: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم منكن " قلن يا رسول ا وما نقصان ديننا قال عليه السلام أليس تقيم المرأة العدد من الأيام والليالي لا تصوم ولا تصلي فهذا نقصان دينها.

قال أبو محمد: ولو نقص من التصديق شيء لبطـل عن أن يكون تصديقاً لأن التصديق لا يتبعض أصلاً ولصار شكاً وبا تعالى التوفيق وهم مقرون بأن امرأ لو لم يصـدق بآية من القرآن أو بسورة منه وصدق بسائره لبطـل إيمانـه فصح أن التصديق لا يتبعض أصلاً.

قال أبو محمد: وقد نص ا عز وجل على أن اليهود يعرفون النبي صلى ا عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل وقال تعـالى: " فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات ا يجحدون " واخبر تعالى عن الكفار فقال: " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن ا " فأخبر تعالى أنهم يعرفون صدقه ولا يكذبونه وهـم اليهـود والنصارى وهم كفار بلا خلاف من أحد من الأمة ومن أنكر كفرهم فلا خلاف من أحد من الأمة في كفره وخروجه عـن الإسلام ونص تعالى عن إبليس أنه عـارف بـا تعـالى وبملائكته وبرسله وبالبعث وأنه قال: " رب فأنظرني إلى يوم يبعثون " وقال: " قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسجدَ لِبشَرٍ خَلَقْتَه مِن صلْصالٍ من حمإٍ مسنُونٍ " وقال: " خلقتني من نار وخلقته من طين " وكيف لا يكون مصدقاً بكل ذلك وهو قد شاهد ابتداء خلق ا

تعالى لآدم وخاطبه ا تعالى خطاباً كثيرا وسأله ما منعك أن تسجد وأمره بالخروج من الجنة وأخبره أنه منظر إلى يـوم الدين وأنه ممنوع من إغواء من سبقت له الهداية وهو مـع ذلك كله كافر بلا خلاف أما بقوله عن آدم أنا خير منه وأمـا بامتناعه للسجود لا يشك أحد في ذلك ولو كان الإيمان هـو بالتصديق والإقرار فقط لكان جميع المخلدين في النار مـن اليهود والنصارى وسائر الكفار مؤمنين لأنهم كلهم مصدقون بكل ما كذبوا به في الدنيا مقرون بكل ذلك ولكـان إبلـيس واليهود والنصارى في الدنيا مؤمنين ضرورة وهـذا كفـر مجرد ممن أجازه وإنما كفر أهل النار بمنعهم من الأعمـال قال تعالى: " ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ".

قال أبو محمد: فلجأ هؤلاء المخاذيل إلى أن قالوا إن اليهود والنصارى لم يعرفوا قط أن محمداً رسول ا ومعنى قول ا تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أي أنهم يميزون صورته ويعرفون أن هذا الرجل هو محمد بن عبد ا بـن عبد المطلب الهاشمي فقط وأن معنى قوله تعـالى يجدونـه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل إنما هـو انهـم يجـدون سواداً في بياض لا يدرون ما هو ولا يفهمـون معنـاه وإن

إبليس لم يقل شيئاً مما ذكر ا عز وجل عنه انه قال مجـ داً بل قاله هاذلاً وقال هؤلاء أيضاً أنه ليس على ظهـ ر الأرض ولا كان قط كافر يدري أن ا حق وأن فرعون قط لم يتبين له أن موسى نبي بالآيات التي عمل.

قال أبو محمد: وقالوا إذا كان الكافر يصـ دق أن ا حق والتصديق إيمان في اللغة فهو مؤمن إذا أوفيه إيمان ليس به مؤمناً وكلا القولين محال.

قال أبو محمد: هذه نصوص أقوالهم التي رأيناها في كتبهم وسمعناها فهم وكان مما احتجوا به لهذا الكفر المجـ رد أن قالوا أن ا عز وجل سمى كل من ذكرنا كفاراً ومشركين فدل ذلك على أنه علم أن في قلوبهم كفراً وشـ ركاً وجحـ داً وقال هؤلاء أن شتم ا عز وجل وشتم رسول ا صلى ا عليه وسلم ليس كفراً لكنه دليل على أن في قلبه كفراً.

قال أبو محمد: وأما قولهم في أخبار ا تعالى عـ ن اليهود أنهم يعرفون رسول ا صلى ا عليه وسـ لم كمـ ا يعرفون أبناءهم وعن اليهود والنصارى أنهم يجدونه مكتوبـ اً عندهم في التوراة والإنجيل فباطل بحت ومجاهرة لا حيـ اء معها لأنه لو كان كما ذكروا لما كان في ذلك حجة تعالى

عليهم وأي معنى أو أي فائدة في أن يجيزوا صورته ويعرفوا انه محمد بن عبد ا بن عبد المطلب فقط أو في أن يجـدوا كتابا لا يفقهون معناه فكيف ونص الآية نفسها مكذبة لهم لأنه تعالى يقول الذين آتيناهم الكتابة يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقاً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون فنص تعالى أنهـم يعلمون الحق في نبوته وقال في الآية الأخـرى: " يجدونـه مكتوباً عندهم في التـوراة والإنجيـل يـأمرهم بـالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم " وإنما أورد تعالى معرفتهم لرسول ا صلى ا عليه وسلم محتجاً عليهم بذلك لا أنه أتى من ذلك بكلام لا فائدة فيه وأما قـولهم فـي إبليس فكلام داخل في الاستخفاف با عز وجل وبالقرآن لا وجه له غير هذا إذ من المحال الممتنع فـي العقـل وفـي الإمكان غاية الامتناع أن يكون إبليس يوافق في هزله عـين الحقيقة في ا تعالى كرم آدم عليه السلام عليه وأنه تعـالى أمره بالسجود فامتنع وفي أن ا تعالى خلق آدم من طـين وخلقه من نار وفي أخباره آدم أن ا تعالى نهاه عن الشجرة وفي دخوله الجنة وخروجه عنها إذ أخرجه ا تعالى وفـي

سؤاله ا تعالى النظرة وفي ذكره يوم يبعث العبـاد وفـي أخباره أن ا تعالى أغواه وفي تهديـده ذريـة آدم قبـل أن يكونوا وقد شاهد الملائكة والجنة وابتداء خلق آدم ولا سبيل إلى موافقة هازل معنيين صحيحين لا يعلمها فكيـف بهـذه الأمور العظيمة وأخرى أن ا تعالى حاشا له من أن يجـب هازلاً بما يقتضيه معنى هزله فإنه تعالى أمره بالسجود ثـم سأله عما منعه من السجود ثم أجابه إلى النظرة التي سأل ثم أخرجه عن الجنة وأخبره أنه يعصم منه من شاء من ذريـة آدم وهذه كلها معان من دافعها خرج عن الإسـلام لتكذيبـه القرآن وفارق المعقول لتجـويزه هـذه المحـالات ولحـق بالمجانين الوقحاء وأما قولهم أن أخبار ا تعالى بأن هؤلاء كلهم كفار دليلاً على أن في قلوبهم كفراً وأن شتم ا تعـالى ليس كفر ولكنه دليل على أن في القلب كفراً وإن كان كـافراً لم يعرف ا تعالى قط فهذه منهم دعاوي كاذبـة مفتـراة لا دليل لهم عليها ولا برهان لا من نص ولا سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من حجة عقل أصلاً ولا من إجماع ولا من قياس ولا من قول أحد من السلف قبل اللعين جهم ابن صفوان وما كان هكذا فهو باطل وإفك وزور فسقط قولهم هذا من قـرب

و الحمد رب العالمين فكيف والبرهان قائم بإبطـال هـذه الدعوى من القرآن والسنن والإجمـاع والمعقـول والحـس والمشاهدة الضرورية فأما القرآن فإن ا عز وجل يقول: " ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسـخر الشـمس والقمر ليقولن ا " وقال تعالى: " وما يؤمن أكثرهم با إلا وهم مشركون " فأخبر تعالى بأنهم يصدقون با تعالى وهـم مع ذلك مشركون قال تعالى: " وإن الذين أوتـوا الكتـاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ".

قال أبو محمد: هذه شهادة من ا مكذبة بقول هؤلاء الضلال لا يردها مسلم أصلاً.

قال أبو محمد: وبلغنا عن بعضهم انه قال في قـول ا تعالى: " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم " إن هذا إنكار من ا تعالى لصحة معرفتهم بنبوة رسول ا صـلى ا عليـه وسلم قال وذلك لأن الرجال لا يعرفون صحة أبنائهم علـى الحقيقة وإنما هو ظن منهم.

قال أبو محمد: وهذا كفـر وتحريـف للكلـم عـن مواضعه ويرد ما شئت منه.

قال أبو محمد: فأول ذلك أن هذا الخطـاب مـن ا تعالى عموم للرجال و النساء من الذين أوتوا الكتاب لا يجوز أن يخص به الرجال دون النساء فيكون من فعل ذلك مفترياً على ا تعالى وبيقين يدري كل مسلم أن رسول ا صـلى ا عليه وسلم بعث إلى النساء كمـا بعـث إلـى الرجـال والخطاب بلفظ الجمع المذكر يدخل فيه بلا خلاف من أهـل اللغة النساء والرجال وقد علمنا أن النساء يعـرفن أبنـاءهن على الحقيقة بيقين والوجه الثاني هو أن ا تعالى لم يقل كما يعرفون من خلقنا من نطفتهم فكان يسوغ لهذا الجاهل حينئذ هذا التمويه البارد باستكراه أيضاً وإنمـا قـال تعـالى كمـا يعرفون أبناءهم فأضاف تعالى البنوة إليهم فمن لم يقل أنهـم أبناءهم بعد أن جعلهم ا أبناءهم فقد كذب ا تعـالى وقـد علمنا أنه ليس كل من خلق من نطفة رجل يكون ابنه فولـد الزنا مخلوق من نطفة الإنسان ليس هو أباه في حكم الديانـة أصلاً وإنما أبناؤنا من جعلهم ا أبناؤنـا فقـط كمـا أن ا تعالى جعل أزواج رسول ا صلى ا عليه وسـلم أمهـات المؤمنين منهن أمهاتنا وإن لم يلدننا ونحن أبناءهن وإن لـم نخرج من بطونهن فمن أنكر هذا فنحن نصدقه لأنـه حينئـذ

ليس مؤمناً فلسن أمهاته ولا هو ابن لهن والوجه الثالث هـو أن ا تعالى إنما أورد الآية مبكتاً للذين أوتـوا الكتـاب لا معتذراً عنه لكن مخبراً بأنهم يعرفون صحة نبوة النبي صلى ا عليه وسلم بآياته وبما وجدوا في التوراة والإنجيل معرفة قاطعة لا شك فيها كما يعرفون أبناءهم ثم أتبع ذلـك تعـالى بأنهم يكتمون الحق وهم عالمون به فبطل هذر هذا الجاهـل المخذول والحمد رب العالمين وقال عز وجل: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " فنص تعـالى علـى أن الرشد قد تبين من الغي عموماً وقال تعالى: " ومـن يشـاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى " وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل ا " وهذا نص جلي من خالفه كفر في أن الكفار قد تبـين لهـم الحق والهدى في التوحيد والنبوة وقد تبين له الحـق فبيقـين يدري أن كل ذي حس سليم مصدق بلا شـك بقلبـه وقـال تعالى: " فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هـذا سـحر مبـين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ".

قال أبو محمد: وهذا أيضاً نص جلي لا يحتمل تأويلاً على أن الكفار جحدوا بألسنتهم الآيات التي أتى بها الأنبيـاء

عليهم الصلاة والسلام واستيقنوا بقلوبهم أنها حق ولم يجحدوا قط أنها كانت وإنما جحدوا أنها من عند ا فصح أن الـذي استيقنوا منها هو الذي جحدوا وهذا يبطل قول من قال مـن هذه الطائفة أنهم إنما استيقنوا كونها زهي عنـدهم حيـل لا حقائق إذ لو كان ذلك لكان هذا القول من ا تعـالى كـذباً تعالى ا عن ذلك لأنهم لم يجحدوا كونها وإنما جحدوا أنهـا من عند ا وهذا الذي جحدوا هو الذي استيقنوا بنص الآيـة وقال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون: " لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر " فمن قال أن فرعون لم يعلم أن ا تعالى حق ولا علم أن معجزات موسى حق من عند ا تعالى فقد كذب ربه تعـالى وهذا كفر مجرد وقد شغب بعضهم بأن هذه الآية قرأت لقـد علمت بضم التاء.

قال أبو محمد: وكلا القراءتين حق من عند ا تعالى لا يجوز أن يرد منهما شيء فنعم موسى عليه السـلام علـم ذلك وفرعون علم ذلك فهذه نصوص القرآن وأما من طريق المعقول والمشاهدة والنظر فإنا نقول لهم هل قامت حجة ا تعالى على الكفار كما قامت على المؤمنين بتبين براهينه عز

وجل لهم أم لم تقم حجة تعالى عليهم قط إذ لم يتبين الحق قط لكافر فإن قالوا أن حجة ا تعالى لم تقم قط على كافر إذ لم يتبين الحق للكفار كفروا بلا خلاف مـن أحـد وعـذروا الكفار وخالفوا الإجماع وإن أقروا أن حجة ا تعـالى قـد قامت على الكفار بأن الحق تبين لهم صدقوا ورجعـوا إلـى الحق وإلى قول أهل الإسلام وبرهان آخر أن كل أحـد مـذ عقلنا لم نزل نشاهد اليهود والنصارى فما سـمعهم أحـد إلا مقرين با تعالى وبنبوة موسى عليه السلام وأن ا تعـالى حرم على اليهود العمل في السبت والشحوم فمن الباطـل أن يتواطؤوا كلهم في شرق الأرض و غربها على إعـلان مـا يعتقدون خلافه بلا سبب داع إلى ذلك وبرهان آخر وهو أننا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لا يحصى عـددهم أسلموا وحسن إسلامهم وكلهم أولهم عن آخرهم يخبـر مـن استخبره متى بقوا أنهم في إسلامهم يعرفـون أن ا تعـالى حق وأن نبوة موسى وهارون حق كما كانوا يعرفون ذلك في أيام كفرهم ولا فرق ومن أنكر هذا قد كـابر عقلـه وحسـه ولحق بمن لا يستحق أن يكلم وبرهان آخر وهـو انهـم لا يختلفون في أن نقل التواتر يوجب العلم الضروري فوجـب

من هذين الحكمين أن اليهود والنصارى الذين نقل إليهم مـا أتى به عليه السلام من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضروري بصحة نبوته من أجلها وهذا لا محيـد لهـم عنه وبا تعالى التوفيق وأما قولهم أن شتم ا تعالى لـيس كفراً وكذلك شتم رسول ا صلى ا عليه وسلم فهو دعوى لأن ا تعالى قال: " يحلفون با ما قالوا ولقد قـالوا كلمـة الكفر وكفروا بعد إسلامهم " فنص تعالى على أن من الكـلام ما هو كفر وقال تعالى: " أن إذا سمعتم آيات ا يكفر بهـا ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم " فنص تعالى أن من الكلام في آيات ا تعالى ما هو كفر بعينه مسموع وقال تعالى: " قـل أبـا وآياتـه ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة " فنص تعـالى علـى أن الاستهزاء با تعالى أو بآياته أو برسول من رسـله كفـر فخرج عن الإيمان ولم يفعل تعالى في ذلك أني علمت أن في قلوبكم كفراً بل جعلهم كفاراً بنفس الاستهزاء ومن ادعى غير هذا فقد قول ا تعالى ما لم يقل وكذب على ا تعالى وقال عز وجل: " إِنما النسِيء زيادةٌ فِي الْكُفْرِ يضـل بِـهِ الـذِين

كَفَروا يحِلونَه عاما ويحرمونَه عاما ليواطِؤُوا عِدةَ ما حـرم اللّه فَيحِلوا ما حرم اللّه زين لَهم سوء أَعمالِهم والله لاَ يهدِي الْقَوم الْكَافِرِين ".

قال أبو محمد: وبحكم اللغة التي نزل بها القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون البتة إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حـرم ا تعالى فمن أحل ما حرم ا تعالى وهو عالم بأن ا تعـالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه وكل من حرم ما أحـل ا تعالى فقد أحل ما حرم ا عز وجل لأن ا تعالى حرم على الناس أن يحرموا ما أحل ا وأما خلاف الإجماع فإن جميع أهل الإسلام لا يختلفون فيمن أعلن جحد ا تعالى أو جحـد رسوله ا صلى ا عليه وسلم فإنه محكوم له بحكم الكفـر قطعاً وإما القتل أخذ الجزية وسائر أحكام الكفر وما شك قط أحد في هل هم في باطن أمرهم مؤمنون أم لا فكروا في هذا لا رسول ا صلى ا عليه وسلم ولا أحد من أصـحابه ولا أحد ممن بعدهم وأما قولهم إذا الكفار إذا كانوا مصدقين با تعالى وبنبيه صلى ا عليه وسلم بقلوبهم والتصديق في اللغة التي نزل القرآن هو الإيمان ففيهم بلا شك إيمان فالواجب أن

يكونوا بإيمانهم ذلك مؤمنين أو أن يكون فيهم إيمـان ليسـوا بكونهم فيهم مؤمنين ولا بد من أحد الأمرين.

قال أبو محمد: وهذا تمويه فاسد لأن التسـمية كمـا قدمنا تعالى لا لأحد دونه وقد أوضحنا البراهين علـى أن ا تعالى نقل اسم إيمان في الشريعة عن موضوعه في اللغة إلى معنى آخر وحرم في الديانة إيقاع اسـم الإيمـان علـى التصديق المطلق ولولا نقل ا تعالى للفظـة الإيمـان كمـا ذكرنا لوجب أن يسمى كل كافر على وجـه الأرض مؤمنـاً وأن يخبر عنهم بأن فيهم إيماناً لأنهم مؤمنون ولا بد بأشـياء كثيرة مما في العالم يصدقون بها هذا لا ينكره ذو مسكة من عقل فلو صح إجماعنا وإجماعهم وإجماع كل من ينتمي إلى الإسلام على انهم وإن صدقوا بأشياء كثيرة فإنه لا يحل لأحد أن يسميهم مؤمنين على الإطلاق ولا أن يقول أن لهم إيمانـاً مطلقاً أصلاً لم يجز لأحد أن يقول في الكافر المصدق بقلبـه ولسانه بأن ا تعالى حق والمصدق بقلبه أن محمد رسـول ا أنه مؤمن ولا أن فيه إيماناً أصلاً إلا حتى يأتي بما نقـل ا تعالى إليه اسم الإيمان من التصديق بقلبه ولسانه بـأن لا إله إلا ا وأن محمد رسول ا وأن كل ما جاء به حق وأنه

بريء من كل دين غير دينه ثم يتمادى بإقراره على مـا لا يتم إيمان إلا بالإقرار به حتى يموت لكنا نقول أن في الكافر تصديقاً با تعالى هو به مصدق با تعـالى ولـيس بـذلك مؤمناً ولا فيه إيمان كما أمرنا ا تعالى لا كما أمـر جهـم والأشعري.

قال أبو محمد: فبطل هذا القول المتفق على تكفيـر قائله وقد نص على تكفيرهم أبو عبيـد القاسـم فـي كتابـه المعروف برسالة الإيمان وغيره ولنا كتاب كبير نقضنا فيـه شبه أهل هذه المقالة الفاسدة كتبناه على رجل مـنهم يسـمى عطاف بن دوناس من أهل قيروان إفريقيـة وبـا تعـالى التوفيق.

قال أبو محمد: وأما من قال أن الإيمـان إنمـا هـو الإقرار باللسان فإنهم احتجوا بأن النبي صلى ا عليه وسلم وجميع أصحابه رضي ا عنهم وكل من بعدهم قـد صـح إجماعهم على أن من أعلن بلسانه بشهادة الإسلام فإنه عندهم مسلم محكوم له بحكم الإسلام وبقول رسـول ا صـلى ا عليه وسلم في السوداء أعتقها فإنها مؤمنة وبقوله صـلى ا

عليه وسلم لعمه أبي طالب قل كلمة أحاج لك بها عند ا عز وجل.

قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه أما الإجماع المذكور فصحيح وإنما حكمنا لهم بحكم الإيمان في الظـاهر ولم نقطع على أنه عند ا تعالى مؤمن وهكذا قال رسول ا صلى ا عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـهدوا أن لا إله إلا ا ويؤمنوا بما أرسلت به فإذا فعلوا ذلك عصـموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وبحسابهم على ا وقال عليه السلام من قال لا إله إلا ا مخلصاً من قلبه وأما قوله عليه السلام في السوداء أنها مؤمنة فظاهر الأمر كما قـال عليـه السلام إذ قال له خالد بن الوليد رب مصل يقول بلسانه مـا ليس في قلبه فقال عليه السلام إني لم أبعث لأشق عن قلوب الناس وأما قوله لعمه أحاج لك بها عند ا فنعم يحـاج بهـا على ظاهر الأمر وحسابه على ا تعالى فبطل كل ما موهوا به ثم نبين بطلان قولهم إن شاء ا تعالى فنقول وبا تعالى نتأيد أنه يبين بطلان قول هؤلاء قول ا عز وجل: " ومـن الناس من يقول آمنا با وباليوم الآخر وما هـم بمـؤمنين يخادعون ا والذين آمنوا وما يخـدعون إلا أنفسـهم ومـا

يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم ا مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون " وقوله عز وجـل: " ولاَ يحزنـك الـذِين يسارِعون فِي الْكُفْرِ إِنهم لَن يضروا اللّه شَيئاً يرِيد اللّـه أَلا يجعلَ لَهم حظا فِي الآخِرةِ ولَهم عـذَاب عظِـيم " " قالـت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يـدخل الإيمان في قلوبكم " وقال تعالى: " إنما المؤمنون الـذين إذا ذكر ا وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهـم إيمانـاً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وممـا رزقنـاهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً ".

قال أبو محمد: فإن قالوا إنما هذه الآية بمعنى أن هذه الأفعال تدل على أن في القلب إيماناً قلنا لهم لو كان ما قلـتم لوجب ولا بد أن يكون ترك من ترك شيئاً من هذه الأفعـال دليلاً على أنه ليس في قلبه إيمان وأنتم لا تقولون هذا أصلاً مع أن هذا صرف للآية عن وجههـا وهـذا لا يجـوز إلا ببرهان وقولهم هذا دعوى بلا برهان وقال تعـالى: " إنمـا المؤمنون الذين آمنوا با ورسوله وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا وأولئك هم الصادقون " وقال تعالى: " والـذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا

" فأثبت عز وجل لهم الإيمان الذي هو التصديق ثم أسقط عنا ولايتهم إذ لم يهاجروا فأبطل بذلك إيمانهم المطلق ثـم قـال تعالى: " والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل ا والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً " فصح يقيناً أن هـذه الأعمال إيمان حق وعدمها ليس إيماناً وهذا غاية البيان وبا تعالى التوفيق وقال تعالى: " إذا جاءك المنافقون قالوا نشـهد إنك لرسول ا وا يعلم إنك لرسوله وا يشهد إن المنافقين لكاذبون " فنص عز وجل في هذه الآية على من آمن بلسانه ولم يعتقد الإيمان بقلبه فإنه كافر ثم أخبرنا تعالى بـالمؤمنين من هم وأنهم الذين آمنوا وأيقنوا بألسـنتهم وقلـوبهم معـاً وجاهدوا في سبيل ا بأموالهم وأنفسهم وأخبـر تعـالى أن هؤلاء هم الصادقون.

قال أبو محمـد: ويلـزمهم أن المنـافقين مؤمنـون لإقرارهم بالإيمان بألسنتهم وهذا قول مخرج عن الإسلام وقد قال تعالى: " إن ا جامع المنافقين والكـافرين فـي جهـنم جميعاً " وقال تعالى: " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنـك لرسول ا وا يعلم إنك لرسوله وا يشـهد إن المنـافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل ا إنهم ساء ما

كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلـوبهم " فقطع الله تعالى عليهم بالكفر كما ترى لأنهم أبطنوا الكفر.

قال أبو محمد: وبرهان آخر وهو أن الإقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله عز وجل لأن أحدنا يلفـظ بالكفر حاكياً وقارئاً له في القرآن فلا يكون بذلك كافراً حتى يقرأنه عقده.

قال أبو محمد: فإن احتج بهذا أهل المقالة وقالوا هذا يشهد بأن الإعلان بالكفر ليس كفراً قلنا لـه وبـالله تعـالى التوفيق قد قلنا أن التسمية ليست لنا وإنما لله تعالى فلما أمرنا تعالى بتلاوة القرآن وقد حكى لنا فيه قول أهل الكفر وأخبرنا تعالى أنه لا يرضى لعباده الكفر خرج القارئ للقرآن بـذلك عن الكفر إلى رضى الله عز وجل و الإيمان بحكايته ما نص الله تعالى بأداء الشهادة بالحق قال تعـالى: " إلا مـن شـهد بالحق وهم يعلمون " خرج الشاهد المخبر عن الكافر بكفـره عن أن يكون بذلك كافراً إلى رضى الله عز وجل والإيمـان ولما قال تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً أخرج من ثبت إكراهه عـن أن يكـون بإظهار الكفر كافراً إلى رخصة الله تعالى على الإيمان وبقي

من أظهر الكفر لا قارياً ولا شاهداً ولا حاكياً ولا مكرهاً على وجوب الكفر له بإجماع الأمة على الحكم له بحكـم الكفـر وبحكم رسول ا صلى ا عليه وسلم بذلك وبنص القـرآن على من قال كلمة الكفر أنه كافر وليس قول ا عز وجـل ولكن من شرح بالكفر صدراً على ما ظنوه من اعتقاد الكفر فقط بل كان من نطق بالكلام الذي يحكم لقائـل عنـد أهـل الإسلام بحكم الكفر لا قارياً ولا شاهداً ولا حاكياً ولا مكرهاً فقد شرح بالكفر صدراً بمعنى أنه أن يقولوه وسواء اعتقده أو لم يعتقده لأن هذا العمل من إعلان الكفر على غير الوجـوه المباحة في إيراده وهو شرح الصدر به فبطل تمويههم بهـذه الآية وبا تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول ا تعالى: " ِإنما الْمؤْمِنُون الِذين آمنُوا ِباللهِ ورسـولِهِ ثُـم لَـم يرتَـابوا وجاهدوا ِبأَموالِهم وأَنفُسِهم ِفي سبِيل اللهِ ُأولَئِك هم الصادِقُون " فنص ا تعالى على الإيمان أنه شيء قبل نفي الارتيـاب ونفي الارتياب لا يكون ضرورة إلا بالقلب وحده فصـح أن الإيمان إذ هو قبل نفي الارتياب شـيء آخـر غيـر نفـي الارتياب والذي قبل نفي الارتياب هو القـول باللسـان ثـم التصديق بالقلب والجهاد مع ذلك بالبدن والنفس والمال فـلا

يتم الإيمان بنص كلام ا عز وجل إلا بهذه الأقسـام كلهـا فبطل بهذا النص قول من زعم أن الإيمـان هـو التصـديق بالقلب وحده أو القول باللسان وحده أو كلاهمـا فقـط دون العمل بالبدن وبرها آخر وهو أن نقول لهم أخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر أهم حين كونهم في النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذي بجحـدهم لكل ذلك ادخلوا النار وهل هم حينئذ مقرون بذلك بألسنتهم أم لا ولابد من أحدهما فإن قالوا هم عارفون بكل ذلك مقـرون به بألسنتهم وقلوبهم قلنا أنهم مؤمنون أم غير مـؤمنين فـإن قالوا هم غير مؤمنين قلنا قد تركتم قولكم أن الإيمـان هـو المعرفة بالقلب أو الإقرار باللسان فقط أو كلاهما فقط فـإن قالوا هذا حكم الآخرة قلنا لهم فإذ جوزتم نقل الأسـماء عـن موضوعها في اللغة في الآخرة فمن أين منعتم من ذلك فـي الدنيا ولم تجوزوه عز وجل فيها وليس في الحماقة أكثـر من هذا وإن قالوا بل هم مؤمنون قلنا لهم فالنـار إذاً أعـدت للمؤمنين لا للكافرين وهي دار المؤمنين وهذا خلاف القرآن والسنن وإجماع أهل الإسلام المتقين وإن قالوا بل هم غيـر عارفين بالتوحيد ولا بصحة النبوة في حال كمنهم في النـار

أكذبهم نصوص القرآن وكذبوا ربهم عز وجل في إخبار أنهم عارفون بكل ذلك هاتفون به بألسنتهم راغبون فـي الرجعـة والإقالة نادمون على ما سلف منهم وكذبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال إذ جعلوا من شـاهد القيمـة والحسـاب والجزاء غير عارف بصحة ذلك فصح بهذا أنه لا إيمان ولا كفر إلا ما سماه ا تعالى إيماناً وكفراً وشركاً فقط ولا مؤمن ولا كافر ولا مشرك إلا من سماه ا تعالى بشيء من ذلـك أما في القرآن وأما على لسان النبي صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: وأما من قال أن الإيمان هـو العقـد بالقلب والإقرار باللسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر مـن قال بهذه المقالة وإن كانت خطأ وبدعة واحتجوا بـأن قـالوا أخبرونا عمن قال لا إله إلا ا محمد رسول ا وبريء من كل دين حاشا الإسلام وصدق بكل ما جاء به النبي صلى ا عليه وسلم واعتقد ذلك لقلبه ومات إثر ذلك أمؤمن هـو أم لا فإن جوابنا أنه مؤمن بلا شك عند ا عز وجل وعندنا قالوا فأخبرونا أناقص الإيمان هو أم كامل الإيمان قالوا فإن قلـتم أنه كامل الإيمان فهذا قولنا وإن قلتم أنـه نـاقص الإيمـان سألناكم ماذا نقصه من الإيمان وماذا مع الإيمان.

قال أبو محمد: فجوابنا وبا تعالى التوفيق أنه مؤمن ناقص الإيمان بالإضافة إلى من له إيمان زائد بأعمـال لـم يعملها هذا وكل واحد فهو ناقص الإيمان بالإضافة إلى مـن هو أفضل أعمالاً منه حتى يبلغ الأمر إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم الذي لا أحد أتم إيماناً منه بمعنى أحسن أعمالاً منه وأما قولهم ما الذي نقصه من الإيمان فإنه نقصه الأعمال التي عملها غيره والتي ربنا عز وجل أعلم بمقاديرها.

قال أبو محمد: ومما يبـين أن اسـم الإيمـان فـي الشريعة منقول عن موضوعه في اللغة وإن الكفر أيضاً كذلك فإن الكفر في اللغة التغطية وسمي الزراع كـافراً لتغطيتـه الحب وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء قال ا عز وجل: " فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع " وقال تعالى: " كمثَل غَيثٍ أَعجب الْكُفار نَباتُه " يعني الزراع وقال لبيد بـن ربيعة: يمينها ألقت زكاة في كافر يعني الليـل ثـم نقـل ا تعالى اسم الكفر في الشريعة إلى جحد الربوبية وجحد نبـوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن أو جحد شيء ممـا أتى به رسول ا صلى ا عليه وسلم مما صح عند جاحده بنقل الكافة أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر مما

قد بيناه في كتاب الإيصال والحمد رب العالمين فلو أن إنساناً قال أن محمداً عليه الصلاة والسلام كافر وكل من تبعه كافر وسكت وهو يريد كافرون بالطاغوت كما قال تعالى: " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها " لما اختلف أحد من أهل الإسلام في أن قائل هذا محكوم له بالكفر وكذلك لو قال أن إبليس وفرعون وأبا جهل مؤمنون لما اختلف أحد من أهل الإسلام في أن قائل هذا محكوم له بالكفر وهو يريد مؤمنون بدين الكفر فصح عند كل ذي مسكة من يتحيز أن اسم الإيمان والكفر منقولان في الشريعة عن موضوعهما في اللغة بيقين لا شك فيه وأنه لا يجوز إيقاع اسم الإيمان المطلق على معنى التصديق بأي شيء صدق به المرء ولا يجوز إيقاع اسم الكفر على معنى التغطية لأي شيء غطاه المرء لكن على ما أوقع ا تعالى عليه اسم الإيمان واسم الكفر ولا مزيد وثبت يقيناً أن ما عدا هذا ضلال مخالف للقرآن وللسنن ولإجماع أهل الإسلام أولهم عن آخرهم وبا تعالى التوفيق وبقي حكم التصديق على حاله في اللغة لا يختلف في ذلك إنسي ولا جني ولا كافر ولا مؤمن فكل من صدق بشيء فهو مصدق به فمن

صدق با تعالى وبرسوله صلى ا عليه وسلم ولم يصـدق بما لا يتم الإيمان إلا به فهو مصدق وبا تعالى وبرسـوله صلى ا عليه وسلم وليس مؤمناً ولا مسـلماً لكنـه كـافر مشرك لما ذكرنا وبـا تعـالى التوفيـق والحمـد رب العالمين.

الطبقات الثلاث المذكورة قال أبو محمد: إن قال قائل أليس الكفر ضد الإيمان قلنا وبا تعالى التوفيق إطلاق هـذا القول خطأ لأن الإيمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا فمن تلك المعاني شيء يكون الكفر ضداً له ومنها مـا يكون الفسق ضداً له لا الكفر ومنها ما يكون الترك ضداً لـه لا الكفر ولا الفسق فأما الإيمان الذي يكون الكفر ضداً له فهو العقد بالقلب والإقرار باللسان فإن الكفر ضد لهـذا الإيمـان وأما الإيمان الذي يكون الفسق ضد له لا الكفر فهو ما كـان من الأعمال فرضاً فإن تركه ضد للعمل وهو فسق لا كفـر وأما الإيمان الذي يكون الترك له ضداً فهو كل ما كان مـن الأعمال تطوعاً فإن تركه ضد العمل به وليس فسقاً ولا كفراً برهان ذلك ما ذكرناه من ورود النصوص بتسمية ا عـز وجل أعمال البر كلها إيماناً وتسميته تعالى ما سمي كفراً وما

سمي فسقاً وما سمي معصية وما سمي إباحة لا معصية ولا كفراً ولا إيماناً وقد قلنا أن التسمية عز وجل لا لأحد غيره فإن قال قائل منهم أليس جحد ا عز وجل بالقلـب فقـط لا باللسان كفراً فلا بد من نعم قال فيجب على هـذا أن يكـون التصديق باللسان وحده إيماناً فجوابنا وبا تعالى التوفيق إن هذا كان يصح لكم لو كان التصديق بالقلب وحده أو باللسـان وحده إيماناً وقد أوضحنا آنفاً أنه ليس شيء من ذلـك علـى انفراده إيماناً وأنه ليس إيماناً إلا ما سماه ا عز وجل إيماناً وليس الكفر إلا ما سماه ا عز وجل كفراً فقط فإن قال قائل من أهل الطائفة الثالثة أليس جحد ا تعالى بالقلب وباللسـان هو الكفر كله فكذلك يجب أن يكون الإقـرار بـا تعـالى باللسان والقلب هو الإيمان كله قلنا وبا تعالى نتأيـد لـيس شيء مما قلتم بل الجحد بشيء مما صح البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ما قام البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ما قام البرهان أن النطق به كفر كفر والعمل بشيء مما قام البراهين بأنـه كفر كفر فالكفر يزيد وكلما زاد فيه فهو كفر والكفر يـنقص وكله مع ذلك ما بقي منه وما نقص فكله كفر وبعض الكفـر

أعظم وأشد وأشنع من بعض وكله كفر وقد أخبر تعالى عن بعض الكفر أنه تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشـق الأرض وتخر الجبال هداً وقال عز وجل: " هلْ تُجزون إلا ما كُنـتُم تَعملُون " ثم قال: " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار " وقال تعالى: " أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " فأخبر تعـالى أن قوماً يضاعف له العذاب فإذا كل هذا قول ا عز وجـل وقوله الحق فالجزاء على قدر الكفر بالنص وبعض الجـزاء أشد من بعض بالنصـوص ضـرورة والإيمـان يتفاضـل بنصوص صحاح وردت عن رسول ا صلى ا عليه وسلم والجزاء عليه في الجنة يتفاضل بلا خلاف فـإن قـال مـن الطبقتين الأولتين أليس من قولكم من عرف ا عـز وجـل والنبي صلى ا عليه وسلم وأقر بهما بقلبه فقط إلا أنه منكر بلسانه لكل ذلك أو لبعضه فإنه كافر وكذلك من قولكم أن من أقر با عز وجل وبرسوله صلى ا عليه وسلم بلسانه فقط إلا أنه منكر بقلبه لكل ذلك أو لبعضه فإنه كافر.

قال أبو محمد: فجوابنا نعم هكذا نقول قالوا فقد وجب من قولكم إذا كان بما ذكرنا كافراً أن يكون فعله ذلك كفـراً ولا بد إذ لا يكون كافراً إلا بكفره فيجـب علـى قـولكم أن

الإقرار با تعالى وبرسوله صلى ا عليه وسلم بالقلب كفر ولا بد ويكون الإقرار با تعالى أيضاً وبرسوله صـلى ا عليه وسلم باللسان أيضاً كفر ولا بد أنكم تقولون أنهما إيمان فقد وجب على قولكم أن يكونا كفراً إيماناً معاً وفاعلهما كافراً مؤمناً معاً وهذا كما ترون.

قال أبو محمد: فجوابنا وبا تعالى التوفيق إن هـذا شغب ضعيف وإلزام كاذب سموه لأننا لم نقل قـط أن مـن اعتقد وصدق بقلبه فقط با تعالى وبرسوله صلى ا عليـه وسلم وأنكر بلسانه ذلك أو بعضه فإن اعتقاده لتصديق ذلـك كفر ولا أنه كان بذلك كافراً وإنما قلنا أنه كفر بترك إقـراره بذلك بلسانه فهذا هو الكفر وبه صار كافراً وبـه أبـاح ا تعالى دمه أو أخذ الجزية منه بإجماعكم معنا وإجماع جميـع أهل الإسلام وكان تصديقه بقلبه فقط بكل ذلك لغواً محيطـاً كأنه لم يكن ليس إيماناً ولا كفراً ولا طاعة ولا معصية قـال تعالى: " لئن أشركت ليحبطن عملك " وقال تعالى يـا أيهـا الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمـالكم وأنـتم لا تشعرون " وبالضرورة يدري كل مسلم أن من حـبط عملـه

وبطل فقد سقط حكمه وتأثيره ولم يبق له رسم وكذلك لم نقل أن من أقر بلسانه وحده با تعالى وبرسوله صلى ا عليـه وسلم وجحد بقلبه أن إقراره بذلك بلسانه كفر ولا أنه كان به كافراً لكنه كان كافراً بجحده بقلبه لما جحد من ذلك وجحـده لذلك هو الكفر وكان إقراره بكل ذلك لغواً محبطاً كما ذكرنا لا إيماناً ولا كفراً ولا طاعة ولا معصية وبا تعالى التوفيق فسقط هذا الإيهام الفاسد فإن قال قائل مـنهم ألـيس بعـض الإيمان إيماناً وبعض الكفر كفراً وأراد أن يلزمنا من هذا أن العقد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح إذا كان ذلك إيماناً فإبعاضه إذا انفردت إيمـان أو أن نقـول أن إبعـاض الإيمان ليست إيماناً فيموه بهذا.

قال أبو محمد: فجوابنا وبا تعالى التوفيق أننا نقول ونصرح أنه ليس بعض الإيمان إيماناً أصـلاً بـل الإيمـان متركب من أشياء إذا اجتمعت صارت إيماناً كـالبلق لـيس السواد وحده بلقاً ولا البياض وحده بلقاً فإذا اجتمعا صارا بلقاً وكالباب ليس الخشب وحده باباً ولا المسامير وحدها باباً فإذا اجتمعا على شكل سمي حينئذ باباً وكالصلاة فإن القيام وحده ليس صلاة ولا الركوع وحده صلاة ولا الجلوس وحده صلاة

ولا القراءة وحدها صلاة ولا الذكر وحده صلاة ولا استقبال القبلة وحده صلاة أصلاً فإذا اجتمع كل ذلك سمي المجتمـع حينئذ صلاة وكذلك الصيام المفترض والمندوب إليـه لـيس صيام كل ساعة من النهار على انفرادها صياماً فإذا اجتمـع صيامها كلها يسمى صياماً وقد يقع في اليوم الأكل والجمـاع والشراب سهواً فلا يمنع ذلك من أن يكون صيامه صـحيحاً والتسمية عز وجل كما قدمنا لا لأحد دونه بل من الإيمان شيء إذا انفرد كان كفراً كمن قال مصدقاً بقلبه لا إله إلا ا محمد رسول ا فهذا إيمان فلو أفرد لا إله وسـكت سـكوتاً قطع كفر بلا خلاف من أحد ثم نسألهم فنقول لهم فإذا انفـرد صيامه أو صلاته دون إيمان أهي طاعة فمن قولهم لا فقـد صاروا فيما أرادوا أن يموهوا به علينـا مـن أن إبعـاض الطاعات إذا انفردت لم تكن طاعة بل كانت معصـية وإذا اجتمعت كانت طاعة.

قال أبو محمد: فإن قالوا إذا كـان النطـق باللسـان عندكم إيماناً فيجب إذاً عدم النطق بأن يسكت الإنسـان بعـد إقراره أن يكون سكوته كفراً فيكون بسكوته كافراً قلنا إن هذا يلزمنا عندكم فما تقولون إن سألكم أصحاب محمد من كـرام

فقالوا لكم إذا كان الاعتقاد بالقلب هو الإيمان عندكم فيجب إذا سها عن الاعتقاد وإحضاره ذكره أما في حال حديثه مع من يتحدث أو في حال فكره أو نومه أن يكون كافراً وأن يكون ذلك السهو كفراً فجوابهم أنه محمول على ما صح منه مـن الإقرار باللسان.

قال أبو محمد: ونقول للجهمية والأشعرية في قـولهم أن جحد ا تعالى وشتمه وجحد الرسول صـلى ا عليـه وسلم إذا كان كل ذلك باللسان فإنه ليس كفراً لكنه دليل على أن في القلب كفراً أخبرونا عن هذا الـدليل الـذي ذكـرتم أتقطعون به فتثبتونه يقيناً ولا تشكون في أن في قلبه جحـداً للربوبية وللنبوة أم هو دليل يجوز ويدخله الشك ويمكن أن لا يكون في قلبه كفر ولا بد من أحدهما فإن قالوا أنه دليـل لا نقطع به قطعاً ولا نثبته يقيناً قلنا لهم فما بالكم تحتجون بالظن الذي قال تعالى فيه: " إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً " وأعجب من هذا أنكم إنما قلـتم أن إعـلان الكفر إنما قلنا أنه دليل على أن في القلب كفراً لأن ا تعالى سماهم كفاراً فلا يمكننا رد شهادة ا تعالى فعاد هذا الـبلاء عليكم لأنكم قطعتم أنها شهادة ا عز وجل ثم لـم تصـدقوا

شهادته ولا قطعتم بها بل شككتم فيها وهذا تكـذيب مـن لا خفاء به وأما نحن فمعاذ ا من أن نقـول أو نعتقـد أن ا تعالى شهد بهذا قط بل من أدعى أن ا شهد بأن من أعلـن الكفر فإنه جاحد بقلبه فقد كذب على ا عز وجل وافتـرى عليه بل هذه شهادة الشيطان الذي أضل بها أولياءه وما شهد ا تعالى إلا بضد هذا وبأنهم يعرفـون الحـق ويكتمونـه ويعرفون أن ا تعالى حق وأن محمد رسول ا صـلى ا عليه وسلم حقاً ويظهرون بألسنتهم خلاف ذلك وما سماهم ا عز وجل قط كفاراً إلا بما ظهر منهم بألسنتهم وأفعالهم كمـا فعل بإبليس وأهل الكتاب وغيرهم وإن قالوا بل يثبـت بهـذا الدليل ونقطع به ونوقن أن كل من أعلن بما يوجب إطـلاق اسم الكفر عليه في الشريعة فإنه جاحد بقلبه لهم وبا تعالى التوفيق هذا باطل من وجوه - أولها - أنه دعوى بلا برهان - وثانيها - أنه علم غيب لا يعلمه إلا ا عز وجل والـذي يضمره وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم أني لم أبعث لأشق على قلوب الناس فمدعى هذا مدعى علم غيب ومدعي علم الغيب كاذب - وثالثها - أن القرآن والسنن كما ذكرنا قد جاءت النصوص فيهما بخلاف هذا كما تلونا قبل - ورابعها

- إن كان الأمر كما تقولون فمن أين اقتصرتم بالإيمان على عقد القلب ولم تراعوا إقرار اللسان وكلاهما عندكم مـرتبط بالآخر لا يمكن انفرادهما وهذا يبطل قولكم أنـه إذا اعتقـد الإيمان بقلبه لم يكن كافراً بإعلانه الكفر فجوزتم أن يكـون يعلن الكفر من يبطن الإيمان فظهر تناقض مذهبهم وعظـيم فساده - وخامسها - أنه كان يلزمهم إذا كان إعـلان الكفـر باللسان دليلاً على الجحد بالقلب والكفر به ولا بد فإن إعلان الإيمان باللسان يجب أيضاً أن يكون دليلاً قاطعاً باتاً ولا بـد على أن في القلب إيماناً وتصديقاً لا شك فيه لأن ا تعـالى سمى هؤلاء مؤمنين كما سمى أولئك كفاراً ولا فـرق بـين الشهادتين فإن قالوا أن ا تعالى قد أخبـر عـن المنـافقين المعلنين بالإيمان المبطنين للكفر والجحد قيل لهـم وكـذلك أعلمنا ا تعالى وأخبرنا أن إبليس وأهل الكتـاب والكفـار بالنبوة إنهم يعلنون الكفر ويبطنون التصديق ويؤمنون بأن ا تعالى حق وأن رسوله حق يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ولا فرق وكل ما موهتم به من الباطل والكذب في هؤلاء أمكـن للكرامية مثله سواء بسواء في المنافقين وقالوا لم يكفروا قط بإبطانهم الكفر لما سماهم ا بأنهم آمنوا ثم كفروا علمنا أنهم

نطقوا بعد ذلك بالكفر والجحد بشهادة ا تعالى بـ ذلك كمـا أدعيتم أنتم شهادته تعالى على ما في نفوس الكفار ولا فرق.

قال أبو محمد: وكلتا الشاهدتين من هاتين الطـائفتين كذب على ا عز وجل وما شهد ا عز وجل قـط علـى إبليس وأولى الكتاب بالكفر إلا بما أعلنوه مـن الاسـتخفاف بالنبوة وبآدم وبالنبي صلى ا عليه وسلم فقط ولا شهد تعالى قط على المنافقين بالكفر إلا بما أبطنوه من الكفر فقط وأمـا هذا فتحريف للكلام عن مواضعه وأفك مفتري ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: وانظروا قولهم قالوا مثل هذا أن يقول رسول ا صلى ا عليه وسلم لا يدخل هذه الدار اليـوم إلا كافر أو يقول كل من دخل هذه الدار اليوم فهو كـافر قـالوا فدخول تلك الدار دليل على أنه يعتقد الكفر لا أن دخول الدار كفر.

قال أبو محمد: وهذا كذب وتمويه ضعيف بأن دخول تلك الدار في ذلك اليوم كفر محض مجرد وقـد يمكـن أن يكون الداخل فيها مصدقاً با تعالى وبرسوله صلى ا عليه وسلم إلا أن تصديقه ذلك قد حبط بدخوله الدار برهان ذلـك

أنه لا يختلف اثنان من أهل الإسلام في أن دخول تلك الـدار لا يحل البتة لعائشة ولا لأبي بكر ولا لعلي ولا لأحـد مـن أزواج النبي صلى ا عليه وسلم ولا لأحـد مـن أصـحابه رضي ا عنهم كما أن ا تعالى قد نص على أنه علم مـا في قلوبهم وأنزل السكينة عليهم وإذ ذلك كذلك فقـد وجـب ضرورة أن هؤلاء رضي ا عنهم لو دخلوا تلك الدار لكانوا كفاراً بلا شك بنفس دخولهم فيها ولحبط إيمانهم فإن قالوا لو دخلها هؤلاء لم يكفروا كانوا هم قد كفروا لأنهم بهذا القـول قاطعون بأن كلامه صلى ا عليه وسلم كذب فـي قولـه لا يدخلها إلا كافر واحتج بعضهم في هذا المكان بقول الأخطل النصراني لعنه ا إذ يقول: إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً قال أبو محمد: فجوابنا علـى هـذا الاحتجاج أن نقول ملعون ملعون قائل هذا البيـت وملعـون ملعون من جعل قول هذا النصراني حجة في ديـن ا عـز وجل وليس هذا من باب اللغة التي يحتج فيها بالعربي وإن كان كافراً وإنما هي قضية عقلية فالعقل والحس يكذبان هـذا البيت وقضية شرعية فا عز وجل أصدق من النصـراني اللعين إذ يقول عز وجل: " يقولون بأفواههم ما لـيس فـي

قلوبهم " فقد أخبر عز وجل بأن من الناس من يقول بلسانه ما ليس في فؤاده بخلاف قول الأخطل لعنه ا أن الكلام لفـي الفؤاد واللسان دليل على الفؤاد فأما نحن فنصـدق ا عـز وجل ونكذب الأخطل ولعن ا من يجعل الأخطل حجة فـي دينه وحسبنا ا ونعم الوكيل فإن قالوا أن ا عز وجل قال: " ولتعرفنهم في لحن القول " قلنا لولا أن ا عز وجل عرفه بهم ودله عليهم بلحن القول ما كان لحن قولهم دليلاً علـيهم ولم يطلق ا تعالى هذا على كل أحد بل على أولئك خاصـة بل قد نص تعالى على آخرين بخلاف ذلك إذ يقول: " ومِمن حولَكُم من الأَعرابِ منَافِقُون ومِن أَهل الْمدِينَةِ مردواْ علَـى النفَاقِ لاَ تَعلَمهم نَحن نَعلَمهم سنُعذبهم مرتَين ثُم يردون إِلَـى عذَابٍ عظِيمٍ " فهؤلاء من أهل المدينة منافقون مردوا علـى النفاق لم يعلمهم قط رسول ا صلى ا عليه وسـلم بلحـن قولهم ولو أن الناس لم يضربوا قط كلام ربهم تعالى بعضـه ببعض وأخذوه كله على مقتضاه لاهتدوا لكن " من يهـده ا فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً " وقد قال عز وجل: " إِن الَذِين ارتَدوا علَى أَدبارِهِم من بعدِ ما تَبين لَهـم الْهدى الشيطَان سولَ لَهم وأَملَى لَهم ذَلِك بِأَنهم قَـالُوا لِلـذِين

كَرِهوا ما نَزلَ الله سنُطِيعكُم فِي بعضِ الْـأَمرِ والـله يعلَـم إِسرارهم فَكَيفَ إِذَا تَـوفتْهم الْملَائِكَـةُ يضـرِبون وجـوههم وأَدبارهم ذَلِك بِأَنهم اتبعوا ما أَسخَطَ الله وكَرِهوا رِضـوانَه فَأَحبطَ أَعمالَهم " فجعلهم تعالى مرتدين كفاراً بعد علمهم الحق وبعد أن تبين لهم الهدى بقوله للكفار ما قالوا فقط وأخبرنـا تعالى أنه يعرف أسرارهم ولم يقل تعـالى أنهـا جحـد أو تصديق بل قد صح أن في سرهم التصديق لأن الهـدى قـد تبين لهم ومن تبين له شيء فلا يمكن البتة أن يجحده بقلبـه أصلاً وأخبرنا تعالى أنه قد أحبط أعمالهم باتباعهم ما أسخطه وكراهيتهم رضوانه وقال تعالى: " يا أيها الـذين آمنـوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا لـه بـالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشـعرون " فهذا نص جلي وخطاب للمؤمنين بأن إيمانهم يبطـل جملـة وأعمالهم تحبط برفع أصواتهم فوق صوت النبي صـلى ا عليه وسلم دون جحد كان منهم أصلاً ولو كان مـنهم جحـد لشعروا له وا تعالى أخبرنا لأن ذلك يكون وهم لا يشعرون فصح أن من أعمال الجسد ما يكون كفراً مبطلاً لإيمان فاعله

جملة ومنه ما لا يكون كفراً لكن على ما حكم ا تعالى بـه في كل ذلك ولا مزيد.

قال أبو محمد: فإن قال قائل من أين قلتم أن التصديق لا يتفاضل ونحن نجد خضرة أشد من خضرة وشجاعة أشـد من شجاعة لا سيما والشجاعة والتصديق كيفيات من صفات النفس معاً فالجواب وبا تعالى التوفيق أن كل ما قبل مـن الكيفيات الأشد والأضعف فإنما يقبلهما بمزاج يداخلـه مـن كيفية أخرى ولا يكون ذلك إلا فيما بينه وبين ضـده منهـا وسائط قد تمازج كل واحد من الضدين أو في ما جاز امتزاج الضدين فيه كما نجد بين الخضرة والبياض وسائط من حمرة وصفرة تمازجهما فتولد حينئذ بالممازجة الشـدة والضـعف وكالصحة التي هي اعتدال مزاج العضو فإذا مـازج ذلـك الاعتدال فضل ما كان مرضه بحسب ما مازجه في الشـدة والضعف والشجاعة إنما هي استسـهلال الـنفس والثبـات والإقدام عند المعارضة في اللقاء فإذا ثبت الاثنـان فإثباتـاً واحداً وأقدما إقداماً مستوياً فهما في الشجاعة سواء وإذا ثبت أحدهما أو أقدم فوق ثبات الآخر وإقدامه كان أشـجع منـه وكان الآخر قد مازج ثباته أو إقدامه جبن وأما ما كان مـن

الكيفيات لا يقبل المزاج أصلاً فلا سبيل إلى وجود التفاضـل فيه وكل ذلك على حسب ما خلقه ا عز وجل من كل ذلـك ولا مزيد كاللون فإنه لا سبيل إلى أن يكون لون أشد دخـولاً في أنه لون من لون آخر إذ لو مازج الصدق غيره لصـار كذباً في الوقت ولو مازج تصديق شيء غيره لصار شكاً في الوقت وبطل التصديق جملة وبا تعالى التوفيق والإيمان قد قلنا أنه ليس هو التصديق وحده بل أشياء مع التصديق كثيرة فإنما دخل التفاضل في كثرة تلك الأشياء وقلتها وفي كيفيـة إيرادها وبا تعالى التوفيق وهكذا قال رسول ا صـلى ا عليه وسلم أنه يخرج من النار من في قلبه إذ قالوا شعيرة من إيمان ثم من في قلبه مثقال برة من أيمان ثم من فـي قلبـه مثقال ذرة من إيمان إلى أدنى أدنى من ذلك إنما أراد عليـه السلام من قصد إلى عمل شيء من الخير أو هـم بـه ولـم يعمله بعد أيكون مصدقاً بقلبه بالإسلام مقراً بلسانه كما فـي الحديث قال أبو محمد: ومن النصوص علـى أن الأعمـال إيمان قول ا تعالى: " فَلاَ وربك لاَ يؤْمِنُون حتى يحكمـوك فِيما شَجر بينَهم ثُم لاَ يجِدواْ فِي أَنفُسِهم حرجا ممـا قَضـيتَ ويسلمواْ تَسلِيما " فنص تعالى نصاً جلياً لا يحتمـل تـأويلاً

وأقسم تعالى بنفسه أنه لا يؤمن أحد إلا من حكم رسوله صلى ا عليه وسلم فيما شجر بينه وبين غيره ثم يسلم لما حكم به عليه السلام ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى وهذه كلها أعمال باللسان وبالجوارح غير التصديق بلا شك وفي هذا كفاية لمن عقل.

قال أبو محمد: ومن العجب قولهم أن الصلاة والصيام والزكاة ليست إيماناً لكنها شرائع الإيمان.

قال أبو محمد: هذه تسمية لم يأذن ا تعالى بها ولا رسوله صلى ا عليه وسلم ولا أحداً من الصحابة رضي ا عنهم بل الإسلام هو الإيمان وهو الشرائع والشرائع هي الإيمان والإسلام وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: واختلاف الناس في الكفر والشرك فقالت طائفة هي اسمان واقعان على معنيين وإن كل شرك كفر وليس كل كفر شركاً وقال هؤلاء لا شرك الأقوال من جعل شريكاً قال هؤلاء اليهود والنصارى كفاراً لا مشركون وسائر الملل كفار مشركون وهو قول أبي حنيفة وغيره وقال آخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وهو قول الشافعي قال أبو

محمد: واحتجت الطائفة الأولى بقول ا عز وجل: " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين " قالوا ففرق ا تعالى بين الكفار والمشركين وقالوا لفظة الشرك مأخوذة من الشريك فمن لم يجعل ا تعالى شريكاً فليس مشركاً.

قال أبو محمد: هذه عمدة حجتهم ما نعلم لهم حجـة غير هاتين.

قال أبو محمد: أما احتجاجهم بقول ا عز وجل: " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " فلو لم يأت في هذا المعنى غير هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذي أنزل هذه الآية هو القائل: " اتخَذُواْ َأحبارهم ورهبانَهم َأربابا من دون اللّهِ والْمسِيح ابن مريم وما ُأمِـرواْ ِإلا ِليعبدواْ ِإلَـها واحِدا لا ِإلَـه ِإلا هو سبحانَه عما يشْرِكُون " وقال تعالى: " وِإذْ قَالَ اللّه يا عِيسى ابن مريم َأَأنتَ قُلْـتَ ِللناسِ اتخِذُونِي وُأمي ِإلَـهينِ مِن دون اللّهِ قَالَ سبحانَك مـا يكُون ِلي َأن َأقُولَ ما لَيس ِلي بِحق ِإن كُنتُ قُلْتُه فَقَد عِلِمتَـه تَعلَم ما فِي نَفْسِي ولاَ َأعلَم ما فِي نَفْسِك ِإنـك َأنـتَ عـلام الْغُيوبِ " وقال تعالى عنهم أنهم قالوا أن ا ثالث ثلاثة وهذا كله تشريك ظاهر لإخفائه فإذ قد صح الشرك والتشريك فـي

القرآن من اليهود والنصارى فقد صح أنهم مشـركون وأن الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد وقد قلنا أن التسمية عز وجل لا لنا فإذ ذلك كذلك فقد صح أن قوله تعالى: " الـذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " كقوله تعـالى: " إن ا جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً " ولا خلاف بـين أحد من أهل الإسلام في أن المنافقين كفار وكقوله تعالى: " قُلْ من كَان عدوا لجِبرِيلَ فَإِنه نَزلَه علَى قَلْبِك بِـإِذْنِ اللّـهِ مصدقاً لما بين يديهِ وهدى وبشْرى ِللْمؤْمِنِين " ولا خلاف في أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى: فِيهمـا فَاكِهةٌ ونَخْلٌ ورمان " والرمان الرمان من الفاكهة والقـرآن نزل بلغة العرب والعرب تعيد الشيء باسمه وإن كانت قـد أجملت ذكره تأكيداً لأمره فبطل تعلق من تعلق بتفريـق ا تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبا تعالى التوفيـق وأما احتجاجهم بأن لفظ الشرك مأخوذ من الشريك فقد قلنا أن التسمية عز وجل لا لأحد دونه وله تعالى أن يوقع أي أسم شاء على أي مسمى شاء برهان ذلك أن مـن أشـرك بـين عبدين له في عمل ما أو بين اثنين في هبة وهبها لهما فإنه لا يطلق عليه اسم مشرك ولا يحل أن يقال أن فلاناً أشرك ولا

أن عمله شرك فصح أنها لفظة منقولة أيضاً عن موضـوعها في اللغة كما أن الكفر لفظة منقولة أيضاً عن موضوعها إلى ما أوقعها ا تعالى عليه والتعجب من أهـل هـذه المقالـة وقولهم أن النصارى ليسوا مشركين وشركهم أظهر وأشـهر من أن يجهله أحد لأنهم يقولون كلهم بعبـادة الأب والابـن وروح القدس وأن المسيح إله حق ثـم يجعلـون البراهمـة مشركين وهم لا يقرون إلا با وحده ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافراً إلا من جحد ا تعالى فقـط فـإن قال قائل كيف اتخذ اليهود والنصارى أرباباً من دون ا وهم ينكرون هذا قلنا وبا تعالى التوفيق أن التسمية عز وجل فما كان اليهود والنصارى يحرمـون مـا حـرم أحبـارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها وسمى ا تعالى هـذا العمـل باتخـاذ أرباب من دون ا وعبادة وهذا هو الشرك بلا خلاف كمـا سمي كفرهم بأن رسول ا صلى ا عليه وسلم نبي ناسـخ لما هم عليه كفر با عز وجل وإن كانوا مصدقين به تعالى لكن لما أحبط ا تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة فإن قالوا كيف تقولون أن الكفار مصدقون با تعالى وا تعالى يقول:

" لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى " ويقول تعالى: " وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصـلية جحيم " قلنا وبا تعالى نتأيد إن كل من خرج إلـى الكفـر بوجه من الوجوه فلا بد له من أن يكون مكذباً بشيء مما لا يصح الإسلام إلا به أورد أمراً من أمور ا عـز وجـل لا يصح الإسلام إلا به فهو مكذب بذلك الشـيء الـذي رده أو كذب به ولم يقل ا تعالى الذي كذب با عز وجل لكن قال كذب وتولى ولا قال تعالى و أما إن كان من المكذبين بـا وإنما قال تعالى من المكذبين الضالين فقط فمن كذب بـأمر من أمور ا عز وجل لا يصح الإسلام إلا به فهـو مكـذب على الإطلاق كما سماه ا تعالى وإن كان مصدقاً تعـالى وبمن صدق به.

قال أبو محمد: فإن قالوا كيف تقولـون أن اليهـود عارفون با تعالى والنصارى وا تعالى يقول " قاتلوا الذين لا يؤمنون با ولا باليوم الآخر ولا يحرمون مـا حـرم ا ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب قلنـا وبا تعالى التوفيق قد قلنا أن التسمية إلى ا عز وجـل لا لأحد دونه وقلنا أن اسم الإيمان منقول عن موضـوعه فـي

اللغة عن التصديق المجرد إلى معنى آخر زائد مع التصديق فلما لم يستوفوا تلك المعاني بطل تصديقهم جملة واسـتحقوا ببطلانه أن يسموا غير مؤمنين با ولا باليوم الآخر فإن قيل فهل هم مصدقون با وباليوم الآخر قلنا نعم فإن قيل ففـيهم موحدون تعالى قلنا نعم قيل فيهم مؤمنون با وبالرسول وباليوم الآخر قلنا لا لأن ا تعالى نص على كل مـا قلنـا فأخبر تعالى أنهم يعرفونه ويقرون به ويعرفون نبيه صـلى ا عليه وسلم وأنه نبي فأقررنا بذلك وأسقط ا عنهم اسـم الإيمان فأسقطناه عنهم ومن تعدى هذه الطريقة فقد كذب ربه تعالى وخالف القرآن وعاند الرسول وخـرق إجمـاع أهـل الإسلام وكابر حسه وعقله مع ذلك وبا تعـالى التوفيـق وهكذا نقول فيمن كان مسلماً ثم أطلق واعتقـد مـا يوجـب الخروج عن الإسلام كالقول بنبوة إنسان بعد النبي صلى ا عليه وسلم أو تحليل الخمر أو غير ذلك فإنه مصدق با عز وجل وبرسوله صلى ا عليه وسلم موحد عالم بكـل ذلـك وليس مؤمناً مطلقاً ولا مؤمناً با تعالى ولا بالرسول صـلى ا عليه وسلم ولا باليوم الآخر لما ذكرنـا آنفـاً ولا فـرق لإجماع الأمة كلها على استحقاق اسم الكفر على من ذكرنـا

وبا   تعالى التوفيق وصلى ا   على محمد وعلى آله وسـلم تسليماً والحمد   رب العالمين.

وهل الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد ومعنـى واحد أو لمسميين ومعنيين قال أبو محمد: ذهب قوم إلـى أن الإسلام والإيمان اسمان واقعان على معنيين   وأنه قد يكـون مسلم غير مؤمن واحتجوا بقـول ا   عـز وجـل: " قالـت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمـا يـدخل الإيمان في قلوبكم " وبالحديث المأثور عن رسول ا   صـلى ا   عليه وسلم إذ قال له سعد هل لك يا رسول ا   في فلان فإنه مؤمن فقال له رسول ا   صلى ا   عليه وسلم: أو مسلم.

وبالحديث المأثور عن رسول ا   صـلى ا   عليـه وسلم إذ أتاه جبريل صلى ا   عليه وسلم في صورة فتى غير معروف العين فسأله عن الإسلام فأجابه بأشياء في جملتهـا إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأعمال أخر مـذكورة فـي ذلـك الحديث فسأله عن   الَسلام فأجابه بأشياء من جملتها أن تؤمن با   وملائكته وبحديث لا يصح من أن المرء يخـرج عـن الإيمان إلى الإسلام وذهب آخرون إلى أن الإيمان والإسـلام لفظان مترادفان   على معنى واحد واحتجوا بقـول ا   عـز

وجل: " فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيهـا غير بيت من المسلمين " وبقوله تعالى: " يمنون عليـك أن أسلموا يمنون علَيك أَن أَسلَموا قُل لا تَمنوا علَي إِسلَامكُم بـل الله يمن علَيكُم أَن هداكُم لِلْإِيمان إِن كُنتُم صادِقِين ".

قال أبو محمد: والذي نقول به وبا تعالى التوفيـق أن الإيمان أصله في اللغة التصديق على الصفة التي ذكرنـا قبل ثم أوقعه ا عز وجل في الشريعة على جميع الطاعات واجتناب المعاصي إذا قصد بكل ذلك من عمل أو ترك وجه ا عز وجل وإن الإسلام أصله في اللغة التبرؤ تقول أسلمت أمر كذا إلى فلان إذا تبرأت منه إليه فسمي المسلم مسلماً لأنه تبرأ من كل شيء إلى ا عز وجل ثم نقل ا تعالى اسـم الإسلام أيضاً إلى جميع الطاعات وأيضاً فإن التبرؤ إلـى ا من كل شيء هو معنى التصديق فإنه لا يبرأ إلا ا تعـالى من كل شيء حتى يصدق به فإذا أريد بالإسلام المعنى الذي هو خلاف الكفر خلاف الفسق فهو والإيمان شيء واحد كما قال تعالى: " يمنون علَيك أَن أَسلَموا قُل لا تَمنوا علَي إِسلَامكُم بل الله يمن علَيكُم أَن هداكُم لِلْإِيمان إِن كُنتُم صادِقِين " وقـد يكون الإسلام أيضاً بمعنى الاستسلام أي أنه استسـلم للعلـة

خوف القتل هو غير معتقد لها فإذا أريد بالإسلام هذا المعنى فهو غير الإيمان وهو الذي أراد ا تعالى بقوله: " لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلـوبكم " وبهـذا تتألف النصوص المذكورة من القرآن والسنن وقد قال تعالى: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه " وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة فهذا هـو الإسلام الذي هو الإيمان فصح أن الإسلام لفظة مشتركة كما ذكرنا ومن البرهان على أنها لفظة منقولة عن موضوعها في اللغة أن الإسلام في اللغة هو التبرؤ فأي شـيء تبـرأ منـه المرء فقد أسلم من ذلك الشيء وهو مسلم كما أن من صـدق بشيء فقد آمن به وهو مؤمن به وبيقين لا شك فيه يدري كل واحد أن كل كافر على وجه الأرض فإنه مصـدق بأشـياء كثيرة من أمور دنياه ومتبرئ من أشياء كثيـرة ولا يختلـف اثنين من أهل الإسلام في أنه لا يحل لأحد أن يطلـق علـى الكفار من أجل ذلك أنه مؤمن ولا أنه مسلم فصح يقينـاً أن لفظة الإسلام والإيمان منقولة عن موضوعها في اللغة إلـى معان محددة معروفة لم تعرفه العرب قط حتى أنزل ا عز وجل بها الوحي على رسوله صلى ا عليه وسلم أنـه مـن

أتى بها استحق اسم الإيمان والإسلام وسمي مؤمناً مسلماً ومن لم يأت بها لم يسم مؤمناً ولا مسلماً وإن صدق بكل شيء غيرها أو تبرأ من كل شيء حاشى ما أوجبت الشريعة التبرأ منه وكذلك الكفر والشرك لفظتان منقولتان عن موضوعهما في اللغة لأن الكفر في اللغة التغطية والشرك أن تشرك شيئاً مع آخر في أي معنى جمع بينهما ولا خلاف بين أحد من أهل التمييز في أن كل مؤمن في الأرض في أنه يغطي أشياء كثيرة ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أنه لا يجوز أن يطلق عليه من أجل ذلك الكفر ولا الشرك ولا أن يسمى كافراً ولا مشركاً وصح يقيناً أن ا تعالى نقل اسم الكفر والشرك إلى إنكار أشياء لم تعرفها العرب وإلى أعمال لم تعرفها العرب قط كمن جحد الصلاة أو صوم رمضان أو غير ذلك من الشرائع التي لم تعرفها العرب قط حتى أنزل ا تعالى بها وحيه أو كمن عمد وثناً فمن أتى بشيء من تلك الأشياء سمي كافراً لا مشركاً ومن لم يأت بشيء من تلك الأشياء لم يسم كافراً أو مشركاً ومن خالف هذا فقد كابر الحس وجحد العيان وخالف ا تعالى ورسوله

صلى ا عليه وسلم والقرآن والسنن وإجماع المسلمين وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: واختلاف الناس في قول المسـلم أنـا مؤمن فروينا عن ابن مسعود وجماعة من أصحابه الأفاضل ومن بعده من الفقهاء أنه كره ذلك وكان يقول أنا مـؤمن إن شاء ا وقال بعضهم آمنت با وملائكتـه وكتبـه ورسـله وكانوا يقولون من قال أنا مؤمن فليقل إنه من أهل الجنة.

قال أبو محمد: فهذا ابن مسعود وأصحابه حجج فـي اللغة فإن جهال المرجئة الموهومون في نصر بدعتهم.

قال أبو محمد: والقول عندنا في هذه المسألة أن هذه صفة يعلمها المرء من نفسه فإن كان يدري أنه مصدق بـا عز وجل وبمحمد صلى ا عليه وسلم وبكل ما أتى به عليه السلام وأنه يقر بلسانه بكل ذلك فواجب عليه أن يعترف بذلك كما أمر تعالى إذ قال تعالى: " وأما بنعمة ربك فحـدث " ولا نعمة أوكد ولا أفضل ولا أولى بالشكر من نعمـة الإسـلام فواجب عليه أن يقول أنا مؤمن مسلم قطعاً عند ا تعالى في وقتي هذا ولا فرق بين قوله أنا مؤمن مسلم وبين قولـه أنـا أسود أو أنا أبيض وهكذا سائر صفاته التي لا يشـك فيهـا

وليس هذا من باب الامتداح والعجب في شيء لأنه فـرض عليه أن يحقن دمه بشهادة التوحيد قال تعالى: " قُولُواْ آمنـا بِاللّهِ ومآ ُأنزِلَ إِلَينَا وما ُأنزِلَ إِلَى إِبراهِيم وإِسماعِيلَ وإِسحقَ ويعقُوب والأسباطِ وما ُأوتِي موسى وعِيسى وما ُأوتِي النبِيون مِن ربهِم لاَ نُفَرقُ بين أَحدٍ منْهم ونَحن لَه مسلِمون " وقول بن مسعود عندنا صحيح لأن الإسلام والإيمان اسمان منقـولان عن موضوعهما في اللغة إلى جميع البر والطاعات فإنما منع ابن مسعود من القول بأنه مسلم مـؤمن علـى معنـى أنـه مستوف لجميع الطاعات وهذا صحيح ومن ادعى لنفسه هذا فقد كذب ولا شك بلا شك وما منع رضي ا عنـه مـن أن يقول المرء أني مؤمن بمعنى مصدق كيف وهو يقـول قـل آمنت با ورسله أي صدقت وأما من قال فقل أنك في الجنة فالجواب أننا نقول إن متنا على ما نحن عليه الآن فلا بد لنـا من الجنة بلا شك وبرهان ذلك أنه قد صح مـن نصـوص القرآن والسنن والإجماع من آمن با ورسـوله صـلى ا عليه وسلم وبكل ما جاء به ولم يأت بما هو كفر فإنـه فـي الجنة إلا أننا لا ندري ما يفعل بنا في الدنيا ولا نأمن مكر ا

تعالى ولا إضلاله ولا كيد الشيطان ولا ندري مـاذا نكسـب غداً ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: اختلاف الناس في تسمية المذنب مـن أهل ملتنا فقالت المرجئة هو مؤمن كامل الإيمـان وإن لـم يعمل خيراً قط ولا كف عن شر قط وقال بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد هو كافر مشرك كعابد الوثن بأي ذنب كـان منه صغيراً أو كبيراً ولو فعله على سـبيل المـزاح وقالـت الصغرية إن كان الذنب من الكباير فهو مشرك كعابد الـوثن وإن كان الذنب صغيراً فليس كافراً وقالت الأباضية إن كـان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثتـه ومناكحتـه وأكل ذبيحته وليس مؤمناً ولا كافراً على الإطلاق وروي عن الحسن البصري وقتادة رضي ا عنهما أن صاحب الكبيـرة منافق وقالت المعتزلة إن كان الذنب من الكبائر فهو فاسـق ليس مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً وأجازوا مناكحته وموارثتـه وأكل ذبيحته قالوا وإن كان من الصغاير فهو مؤمن لا شيء عليه فيها وذهب أهل السنة من أصحاب الحديث والفقهاء إلى أنه مؤمن فاسق ناقص الإيمان وقالوا الإيمان اسـم معتقـده وإقراره وعمله الصالح والفسق اسم عمله السيء إلا أن بين

السلف منهم والخلف اختلافاً في تارك الصلاة عمـداً حتـى يخرج وقتها وتارك الصوم لو مضى كذلك وتـارك الزكـاة وتارك الحج كذلك وفي قاتل المسلم عمداً وفي شارب الخمر وفيمن سب نبياً من الأنبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثاً قد صح عنده عن النبي صلى ا عليه وسلم فروينا عن عمـر بن الخطاب رضي ا عنه ومعاذ بن جبـل وابـن مسـعود وجماعة من الصحابة رضي ا عنهم وعن ابـن المبـارك وأحمد بن حنبل واسحق ابن راهوية رحمة ا عليهم وعـن تمام سبعة عشرة رجلاً من الصحابة والتـابعين رضـي ا عنهم أن من ترك صلاة فرض عامداً ذاكراً حتـى يخـرج وقتها فإنه كافر مرتد وبهذا يقول عبد ا ابـن الماجشـون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي وغيره وروينا عن عمر رضي ا عنه مثل ذلك في تـارك الحـج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك في تارك الزكاة والصـيام وفي قاتل المسلم عمداً وعن أبي موسى الأشعري وعبـد ا بن عمرو بن العاص في شارب الخمر وعـن اسـحق بـن راهوية أن من رد حديثاً صحيحاً عنده عن النبي صـلى ا عليه وسلم فقد كفر.

قال أبو محمد: واحتج من كفر المذنبين بقول ا عز وجل: " ومن لم يحكم بما أنزل ا فأولئك هـم الكـافرون " وبقوله تعالى: " فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشـقى الذي كذب وتولى " فهؤلاء كلهم ممن كذب وتولى والمكـذب المتولي كافر فهؤلاء كفار.

قال أبو محمد: والعجب أن المرجئة المسقطة للوعيد جملة عن المسلمين قد احتجوا بهذه الآية نفسها فقـالوا قـد أخبرنا أن ا عز وجل أن النار لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى فصح أن من لم يكذب ولا تولى لا يصلاها قالوا ووجدنا هؤلاء كلهم لم يكذبوا ولا تولوا بل هـم مصـدقون معترفون بالإيمان فصح أنهم لا يصلونها وأن المراد بالوعيد المذكور في الآيات المنصوصة إنما هو فعل تلك الأفاعيـل من الكفار خاصة.

قال أبو محمد: واحتج أيضاً من كفـر مـن ذكرنـا بأحاديث كثيرة منها سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مـؤمن ولا

ينهب نهبة ذات شرو حين ينهبها وهو مؤمن وترك الصـلاة شرك وإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم ومثل هذا كثير.

قال أبو محمد: وما نعلم لمن قال هو منـافق حجـة أصلاً ولا لمن قال أنه كافر نعمة إلا أنهم نزعـوا بقـول ا عز وجل: " ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا كفـراً وأحلـوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ".

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهم فيه لأن كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر وليس هو ملة ولا اسم دين فمن ادعى اسم دين وملة غير الإيمان المطلق والكفر المطلق فقد أتى بما لا دليل عليه وأما من قال هو فاسـق لا مـؤمن ولا كافر فما لهم حجة أصلاً إلا أنهم قالوا قد صح الإجماع على انه فاسق لأن الخوارج قالوا هو كافر فاسق وقال غيرهم هو مؤمن فاسق فاتفقوا قال أبو محمد: وهذا خلاف لإجماع من ذكر لأنه ليس منهم أحد جعل الفسق اسم دينه وإنمـا سـموا بذلك عملهم والإجماع والنصوص قد صح كل ذلك على أنه لا دين إلا الإسلام أو الكفر من خرج من أحدهما دخل فـي الآخر ولا بد إذ ليس بينهما وسيطة وكذلك قال رسـول ا صلى ا عليه وسلم: " لا يرث المسلم الكـافر ولا الكـافر

المسلم " وهذا حديث قد أطبق جميع الفرق المنتميـة إلـى الإسلام على صحته وعلى القول به فلم يجعل عليه السـلام ديناً غير الكفر والإسلام ولم يجعل هاهنا ديناً ثالثاً أصلاً.

قال أبو محمد: واحتجت المعتزلة أيضاً بأن قالت قال ا تعالى: " أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ".

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهم فيه لأن ا تعـالى قال: " أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمـون " فصح أن هؤلاء الذين سماهم ا تعالى مجـرمين و فسـاقاً وأخرجهم عن المؤمنين نصاً فإنهم ليسوا على دين الإسـلام وإذا لم يكونوا على دين الإسلام فهم كفار بلا شك إذ لا دين ها هنا غيرهما أصلاً برهان هذا قوله تعالى: " فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى " وقد علمنـا ضرورة أنه لا دار إلا الجنة والنار وأن الجنة لا يـدخلها إلا المؤمنون المسلمون فقط ونص ا تعالى علـى أن النـار لا يدخلها إلا المكذب المتولي والمتولي المكذب كافر بلا خلاف فلا يخلد في النار إلا كافر ولا يدخل الجنة إلا مؤمن فصـح أنه لا دين إلا الإيمان والكفر فقط وإذ ذلك كذلك فهؤلاء الذين سماهم ا عز وجل مجـرمين وفاسـقين وأخـرجهم عـن

المؤمنين فهم كفار مشركون لا يجوز غير ذلك وقال المؤمن محمود محسن ولي عز وجل والمذنب مذموم مسيء عدو قالوا ومن المحال أن يكون إنسان واحد محموداً مـذموماً محسناً مسيئاً عدواً ولياً له معاً.

قال أبو محمد: وهذا الذي أنكروه لا نكرة فيه بل هو أمر موجود مشاهد فمن أحسن من وجه وأساء من وجه آخر كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ولي فيما أحسن فيه من صلاة وهو مسيء مذموم عدو فيما أساء فيه من الزنا قال عز وجل: " وآخَرون اعتَرفُواْ بِذُنُوبِهم خَلَطُـواْ عمـلاً صالِحا وآخَر سيئًا عسى اللّه أَن يتُوب علَيهم إِن اللّه غَفُـور رحِيم " فبالضرورة ندري أن العمل الذي شهد ا عز وجل أنه سيء فإن عامله فيه مذموم مسيء عاص تعـالى ثـم يقال لهم ما تقولون إن عارضتكم المرجئة بكلامكـم نفسـه فقالوا من المحال أن يكون إنساناً واحداً محمـوداً مـذموماً محسناً مسيئاً عدواً ولياً له معاً ثم أرادوا تغليـب الحمـد والإحسان والولاية وإسقاط الذم والإساءة والعداوة كما أردتم أنتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والإساءة والعداوة وإسقاط الحمد والإحسان والولاية بما ينفصلون عـنهم فـإن قالـت

المعتزلة أن الشرط في حمده وإحسانه وولايتـه أن تجتنـب الكبائر قلنا لهم فإن عارضتكم المرجئة فقالت أن الشرط فـي ذمه وإساءته ولعنه وعداوته ترك شهادة التوحيد فإن قالـت المعتزلة أن ا قد ذم المعاصي وتوعد عليها قيل لهـم فـإن المرجئة تقول لكم أن ا تعالى قد حمد الحسنات ووعد عليها وأراد بذلك تغليب الحمد كما أردتم تغليب الذم فـإن ذكـرتم آيات الوعيد ذكروا آيات الرحمة.

قال أبو محمد: وهذا ما لا مخاص للمعتزلة منـه ولا للمرجئة أيضاً فوضح بهذا أن كلا الطـائفتين مخطئـة وأن الحق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التي في القرآن والسنن ويكفر من هذا كله قول ا عز وجل: " إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثـى " اليـوم تجزى كل نفس بما كسبت " وقوله تعالى: " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " وقال تعالى: " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جـاء بالسـيئة فـلا يجزى إلا مثلها " وقال تعالى: " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة مـن خـردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين " فصح بهذا كله أنه لا يخرجه عن

اسم الإيمان إلا الكفر ولا يخرجه عن اسم الكفر إلا الإيمـان وأن الأعمال حسنها حسن إيمان وقبيحها قبيح لـيس إيمانـاً والموازنة تقضي على كل ذلك ولا يحبط الأعمال إلا الشرك قال تعالى: " لئن أشركت ليحبطن عملك " وقالوا إذا أقـررتم أن أعمال البر كلها إيمان وأن المعاصي ليست أيمانـاً فهـو عندكم مؤمن غير مؤمن قلنا نعم ولا نكرة في ذلـك وهـو مؤمن بالعمل الصالح غير مؤمن بالعمل السيء كمـا نقـول محسن بما أحسن فيه مسيء غير محسن معاً بما أساء فيـه وليس الإيمان عندنا التصديق وحده فيلزمنا التناقض وهذا هو معنى قول النبي صلى ا عليه وسلم لا يزني الزاني حـين يزني وهو مؤمن أي ليس مطيعاً في زناه ذلك وهو مـؤمن بسائر حسناته واحتجوا بقول ا تعالى: " وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون " ففرق تعـالى بـين الفسق والإيمان.

قال أبو محمد: نعم وقد أوضحنا أن الإيمان هو كـل عمل صالح فبيقين ندري أن الفسق ليس إيماناً فمن فسق فلم يؤمن بذلك العمل الذي هو الفسق ولم يقل عز وجل أنـه لا يؤمن في شيء من سائر أعماله وقد قـال تعـالى: " إنمـا

المؤمنون الذين آمنوا با ورسوله ثم لم يرتـابوا وجاهـدوا بأموالهم وأنفسهم " فهؤلاء قد شهد ا تعالى لهم بالإيمان فإذا وقع منهم فسق ليس إيماناً فمن المحال أن يبطل فسقه إيمانـه في سائر أعماله وأن يبطل إيمانه في سائر الأعمال فسقه بل شهادة ا تعالى له بالإيمان في جهاده حق وبأنه لم يؤمن في فسقه حق أيضاً فإن ا عز وجل قال: " ومن لم يحكم بمـا أنزل ا فأولئك هم الكافرون " " ومن لم يحكم بما أنـزل ا فأولئك هم الفاسقون " " ومن لم يحكم بما أنزل ا فأولئك هم الظالمون " فيلزم المعتزلة أن يصرحوا بكفر كل عاص قـال أبو محمد: وأما نحن فنقول أن كل من كفر فهو فاسق ظـالم عاص وليس كل فاسق ظالم عاص كافراً بل قد يكون مؤمناً وبا تعالى التوفيق وقد قال تعالى: " وإن ربك لذو مغفـرة للناس على ظلمهم " فبعض الظلم مغفور بنص القرآن.

قال أبو محمد: وقالوا قد وجب لعن الفساق والظالمين وقال تعالى: " ألا لعنة ا على الظالمين " والمـؤمن يجـب ولايته والدعاء له بالرحمة وقد لعن رسول ا صلى ا عليه وسلم السارق ومن لعن أباه ومن غير منار الأرض فيلزمكم أن تدعوا على المرء الواحد باللعنة والمغفرة معاً.

قال أبو محمد: فنقول أن المؤمن الفاسق يتولى دينـه وملته وعقده وإقراره ويتبرأ من عمله الـذي هـو الفسـق والبراءة والولاية ليست من عين الإنسان مجردة فقط وإنمـا هي له أو منه بعمله الصالح أو الفاسد فإذ ذلك كذلك فبيقـين ندري أن المحسن في بعض أفعاله من المؤمنين نتولاه مـن أجل ما أحسن فيه ونبرأ من عمله السيء فقط وأما ا تعالى فإنه يتولى عمله الصالح عنده ويعادي عملـه الفاسـد وأمـا الدعاء باللعنة والرحمة معاً فلسنا ننكره بل هو معنى صحيح وما جاء عن ا قط ولا عن رسول ا صلى ا عليه وسلم نهي أن يلعن العاصي على معصيته ويترحم عليه لإحسـانه ولو أن امرأ زنى أو سرق وحال الحول على مالـه وجاهـد لوجب أن يحد للزنا والسرقة ولو لعن لأحسن لاعنه ويعطي نصيبه من المغنم ونقبض زكاة ماله ونصلي عليه عند ذلـك لقول ا : " خذ من أموالهم صدقة تطهـرهم وتـزكيهم بهـا وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم " وبيقين ندري أن قد كان في أولئك الذين كان عليهم السلام يقبض صدقاتهم ويصـلي عليهم مذنبون عصاة لا يمكن البتة أن يخلوا جميع جزيـرة العرب من عاص وكذلك كل من مات في عصـره عليـه

السلام وصلى عليه هو عليه السلام والمسلمون معه وبعـده فبيقين ندري أنه قد كان فيهم مذنب بلا شك وإذا صلى عليه ودعا له بالرحمة وإن ذكر عمله القبيح لعن وذم.

قال أبو محمد: ونعكس عليهم هذا السؤال نفسه فـي أصحاب الصغاير الذين يوقع عليهم المعتزلة اسـم الإيمـان فهذه السؤالات كلها لازمة لهم إذ الصغاير ذنوب ومعاص بلا شك إلا أننا لا نوقع عليها اسم فسق ولا ظلم إذا انفردت عن الكباير لأن ا تعالى ضمن غفرانها لمن اجتنب الكباير ومن غفر له ذنبه فمن المحال أن يوقع عليه اسم فاسـق أو اسـم ظالم لأن هذين اسمان يسقطان قبول الشهادة ومجتنب الكباير وإن تستر بالصغاير فشهادته مقبولة لأنه لا ذنب لـه وبـا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: ولنا على المعتزلة الزامـات أيضـاً تعمهم والخوارج المكفرة ننبه عليها عند نقضنا أقوال المكفرة إن شاء ا تعالى وبه نتأيد.

قال أبو محمد: ويقال لمن قال أن صـاحب الكبيـرة كافر قال ا عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا كتـب علـيكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى

فمن عفي له من أخيه شيء فأتباع بـالمعروف وأداء إليـه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلـك فله عذاب أليم " فابتدأ ا عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول ونص تعالى على أن القاتل عمداً وولي المقتول أخوان وقد قال تعالى: " إنما المؤمنون أخوة " فصح أن القاتل عمداً مؤمن بنص القرآن وحكم لـه بـأخوة الإيمان ولا يكون للكافر مع المؤمن بتلك الأخوة وقال تعالى: " وإِن طَائِفَتَان مِن الْمؤْمِنِين اقْتَتَلُوا فَأَصلِحوا بينَهما فَإِن بغَتْ إِحداهما علَى الْأُخْرى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبغِي حتى تَفِيء إِلَى أَمـرِ اللهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصلِحوا بينَهما بِالْعدل وأَقْسِطُوا إِن الله يحِب الْمقْسِطِين " فهذه الآية رافعة للشك جملة في قوله تعـالى أن الطائفة الباغية على الطائفة الأخرى من المؤمنين المـأمور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفيء إلى أمر ا تعـالى أخـوة للمؤمنين المقاتلين وهذا أمر لا يضل عنه إلاضـال وهـذه الآيتان حجة قاطعة أيضاً على المعتزلة أيضاً المسقطة اسـم الإيمان عن القاتل وعن كل من أسقط عن صاحب الكبـاير اسم الإيمان وليس لأحد أن يقول أنه تعالى إنما جعلهم إخواننا

إذا تابوا لأن نص الآية أنهم إخوان في حالة البغي وقبل الفئة إلى الحق.

قال أبو محمد: وقال بعضهم أن هذا الاقتتال إنما هو التضارب.

قال أبو محمد: وهذا خطأ فاحش لوجهين أحدهما أنه دعوى بلا برهان وتخصيص الآية بلا دليل وما كان هكـذا فهو باطل بلا شك والثاني أن ضرب المسلم للمسـلم ظلمـاً وبغياً فسق ومعصية ووجه ثالث وهو أن ا تعالى لو لم يرد القتال المعهود لما أمرنا بقتال من لا يزيد على الملاطمة وقد عم تعالى فيها باسم البغي فكل بغي فهو داخل تحـت هـذا الحكم.

قال أبو محمد: وقد ذكروا قول ا عز وجل: " ومـا كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ".

قال أبو محمد: فهذه الآية بظاهرها دون تأويل حجة لنا عليهم لأنه ليس فيها أن القاتل العامل ليس مؤمنـاً وإنمـا فيها نهي المؤمن عن قتل المؤمن عمداً فقط لأنه تعالى قال: " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا " وهكذا نقول لـيس للمـؤمن قتل المؤمن عمداً ثم قال تعالى: " إلا خطأ " فاستثنى ا عز

وجل الخطاء في القتل من جملة ما حرم من قتـل المـؤمن للمؤمن لأنه لا يجوز النهي عما لا يمكن الانتهاء عنـه ولا يقدر عليه لأن ا تعالى أمننا من أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به وكل فعل خطأ فلم ننه عنه بل قد قال تعالى: " ولَيس علَـيكُم جنَاح فِيما أَخْطَأْتُم بِهِ ولَكِن ما تَعمدتْ قُلُوبكُم " فبطل تعلقهـم بهذه الآية وكذلك قول رسول ا صلى ا عليه وسـلم: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " فهو أيضاً على ظاهره وإنما في هذا اللفظ النهي عن أن يرتدوا بعـده إلى الكفر فيقتتلوا في ذلك فقط وليس في هذا اللفظ أن القاتل كافر ولا فيه أيضاً النهي عن القتل المجرد أصلاً وإنما نهـى عنه في نصوص أخر من القرآن والسنن كما ليس في هـذا اللفظ أيضاً نهي عن الزنا ولا عن السرقة وليس فـي كـل حديث حكم كل شريعة فبطل تعلقهم بهذا الخبر وكذلك قولـه عليه السلام: " سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر " فهو أيضـاً على عمومه لأن قوله عليه السلام المسلم هاهنا عموم للجنس ولا خلاف في أن من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لإسـلامهم فهو كافر برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن في أن القاتل عمداً والمقاتل مؤمنان وكلامه عليه السلام لا يتعارض

ولا يختلف وكذلك قوله عليه السلام: " لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر لكم أن ترغبوا عن آبائكم " فإنه عليه السلام لم يقل كفر منكم ولم يقل أنه كفر با تعالى نعم ونحن نقر أن مـن رغب عن أبيه فقد كفر بأبيه وجده ويقـال لمـن قـال أن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولكنه كافر أو فاسق ألم يقـل ا عز وجل: " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشـركين حتـى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجـبكم " وقـال تعالى: " فَإِن عَلِمتُموهن مؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرجِعوهن إِلَى الْكُفارِ لَا هن حِل لهم ولَا هم يحِلون لَهن " وقال تعالى: " ولَا تُمسِكُوا بِعِصمِ الْكَوافِرِ " وقال تعالى: " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصـنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قـبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين " وفي سورة النساء محصنات غير مسافحات فهذه آيات في غاية البيـان في أنه ليس في الأرض إلا مـؤمن أو كـافر أو مؤمنـة أو كافرة ولا يوجد دين ثالث وأن المؤمنة حلال نكاحها للمؤمن وحرام نكاحها على الكافر وأن الكتابية حلال للمؤمن بالزواج

وللكافر فخبرونا إذا زنت المرأة وهي غير محصنة أو وهي محصنة أو إذا سرقت أو شربت الخمر أو قذفت أو أكلت مال يتيم أو تعمدت ترك الغسل حتى خرج وقت الصلاة وهي عالمة بذلك أو لم تخرج زكاة مالها فكانت عندكم بذلك كافرة أو بريئة من الإسلام خارجة عن الإيمان وخارجة من جملة المؤمنين أيحل للمؤمن الفاضل ابتداء نكاحها والبقاء معها على الزوجية إن كان قد تزوجها قبل ذلك أو يحرم على أبيها الفاضل أو أخيها البر أن يكونا لها وليين في تزويجها وأخبرونا إذا زنا الرجل أو سرق أو قذف أو أكل مال يتيم أو فر من الزحف أو سحر أو ترك الصلاة عمداً حتى خرج وقتها أو لم يخرج زكاة ماله فصار بذلك عندكم كافراً أو بريء من الإسلام وخرج عن الإيمان وعن جملة المؤمنين أيحرم عليه ابتداء نكاح امرأة مؤمنة أو وطؤها بملك اليمين أو تحرم عليه امرأته المؤمنة التي في عصمته فينفسخ نكاحها منه أو يحرم عليه أن يكون ولياً لابنته المؤمنة أو أخته المؤمنة في تزويجها وهل يحرم على التي ذكرنا والرجل الذي ذكرنا ميراث وليه المؤمن أو يحرم على وليهما المؤمن ميراثهما أو يحرم أكل ذبيحته لأنه قد فارق الإسلام في

زعمكم وخرج عن جملة المؤمنين فإنهم كلهـم لا يقولـون بشيء من هذا فمن الخلاف المجرد منهم تعالى أن يحـرم ا تعالى المؤمنة على من ليس بمؤمن فيحلونها هم ويحرم ا تعالى التي ليست مؤمنة على المؤمن ألا تكـون كتابيـة فيحلونها هم ويقطع ا تعالى الولاية بين المؤمن ومن لـيس مؤمناً فيبقونها هم في الإنكاح ويحرم ا تعالى ذبـائح مـن ليس مؤمناً إلا أن يكون كتابياً فيحلونها هم ويقطع عز وجـل الموارثة بين المؤمن ومن ليس مؤمناً فيثبتونهـا هـم ومـن خالف القرآن وثبت على ذلك بعد قيام الحجة عليه فنحن نبرأ إلى ا تعالى منه.

قال أبو محمد: وأكثر هذه الأمور التي ذكرنا فإنه لا خلاف بين أحد من أهل الإسلام فيها ولا بين فرقة من الفرق المنتمية إلى الإسلام وفي بعضها خلاف نشير إليه لئلا يظن ظان أننا أغفلناه فمن ذلك الخلاف في الزاني والزانيـة فـإن علي بن أبي طالب رضي ا عنه يفسخ النكاح قبل الـدخول بوقوعه من أحدهما والحسن البصري وغيره من السـلف لا يجيزون للزاني ابتداء النكاح مع مسلمة البتـة ولا للزانيـة أيضاً إلا أن يتوبا وبهذا نقول نحن ليس لأنهما ليسا مسـلمين

بل هما مسلمان ولكنها شريعة من ا تعالى واردة في القرآن في ذلك كما يحرم على المحرم النكاح مادام محرماً وبـا تعالى التوفيق وذلك قوله تعالى: " الزاني لا ينكح إلا زانيـة أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلـك على المؤمنين ".

قال أبو محمد: وفي هذه الآية أيضاً نص جلي علـى أن الزاني والزانية ليسا مشركين لأن ا تعالى فرق بينهمـا فرقاً لا يحتمل البتة أن يكون على سبيل التأكيد بل على أنهما صفتان مختلفان وإذا لم يكونا مشركين فهما ضرورة مسلمان بما قد بينا قبل من أن كل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر ومن لم يكن كافراً مشركاً فهو مؤمن إذ لا سبيل إلـى دين ثالث وبا تعالى التوفيق ومن الخلاف في بعـض مـا ذكرنا قول عمر بن الخطاب رضي ا عنه وإبراهيم النخعي أن المسلم إذا ارتد والمسلمة إذا لم يسلم زوجها فهي امرأتـه كما كانت إلا أنه لا يطؤها وروي عن عمر أيضاً أنها تخير في البقاء معه أو فراقه وكل هذا لا حجة فيه ولا حجة إلا في نص قرآن أو سنة واردة عن رسـول ا صـلى ا عليـه وسلم.

قال أبو محمد: وأيضاً فإن ا عز وجل قد أمر بقتل المشركين ولم يستثن منهم أحداً إلا كتابياً يغرم الجزيـة مـع الصغار أو رسولاً حتى يؤدي رسالته ويرجع إلى مأمنـه أو مستجيراً ليسمع كلام ا تعالى ثم يبلغ إلـى مأمنـه وأمـر رسول ا صلى ا عليه وسلم بقتل من بدل دينه فنسأل كل من قال بأن صاحب الكبيرة قد خرج مـن الإيمـان وبطـل إسلامه وصار في دين آخر إما الكفر وإما الفسـق إذا كـان الزاني والقاتل والسارق والشارب للخمر والقاذف والفار من الزحف وآكل مال اليتيم قد خرج عن الإسلام وتـرك دينـه أيقتلونه كما أمر رسول ا صلى ا عليه وسلم عن ا أم لا يقتلونه فيخالفون ا تعالى ورسوله صلى ا عليه وسلم ومن قولهم كلهم خوارجهم ومعتزليهم أنهم لا يقتلونه وأمـا فـي بعض ذلك حدود معروفة من قطع يد أو جلد مائة أو ثمانين وفي بعض ذلك أدب فقط وأنه لا يحل الدم بشيء من ذلـك وهذا انقطاع ظاهر وبطلان لقولهم لا خفاء به.

قال أبو محمد: وبعض شاذة الخوارج جسر فقال تقام الحدود عليهم ثم يستتابون فيقتلون.

قال أبو محمد: وهذا خلاف الإجماع المتيقن وخلاف للقرآن مجـرد لأن ا تعـالى يقـول: " والـذين يرمـون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلـدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا " فقد حرم ا تعالى قتلهم وافترض استبقاءهم مع إصـرارهم ولم يجعل فيهم إلا رد شهادتهم فقط ولو جاز قـتلهم فطيـف كانوا يؤدون شهادة لا تقبل بعد قتلهم.

قال أبو محمد: وقال ا عز وجل: " لا إكـراه فـي الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويـؤمن با فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ".

قال أبو محمد: لا خلاف بيننا وبينهم ولا بين أحد من الأمة في أن من كفر بالطاغوت وآمن با واستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فإنه مؤمن مسلم فلو كان الفاسـق غير مؤمن لكان كافراً ولا بد ولو كان كافراً لكـان مرتـداً يجب قتله وبا تعالى التوفيق قال ا عز وجل: " ما كـان للمشركين أن يعمروا مساجد ا شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم " وقال تعالى: " إنما يعمر مسـاجد ا من آمن با واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكـاة ولـم

يخش إلا ا فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين " فوجـب يقيناً بأمر ا عز وجل ألا يترك يعمر مساجد ا بالصـلاة فيها إلا المؤمنون وكلهم متفق معنا على أن الفاسق صـاحب الكبائر مدعو ملزم عمارة المساجد للصلاة مجبر على ذلـك وفي إجماع الأمة كلها على ذلك وعلى تركهم يصلون معنـا وإلزامهم أداء الزكاة وأخذها منهم وإلزامهم صيام رمضـان وحج البيت برهان واضح لا إشكال فيه على أنه لم يخـرج عن دين المؤمنين وأنه مسلم مؤمن وقال عز وجل: " يا أَيها الذِين آمنُواْ لاَ تُحِلواْ شَعَآئِر اللّهِ ولاَ الشهر الْحرام ولاَ الْهدي " إلى قوله تعالى: " اليوم يئس الذين كفـروا مـن ديـنكم " فخاطب تعالى المؤمنين باياس الكافرين عن دينهم ولا سـبيل إلى قسم ثالث وقال تعالى: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه " فصح أن لا دين إلا دين الإسلام وما عداه شـيء غير مقبول وصاحبه يوم القيامة خاسر وبا تعالى التوفيـق وقال عز وجل " المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " وقال تعالى: " والذين كفروا بعضهم أولياء بعـض " وقـال تعالى: " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " وقال تعالى: " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وا بما تعملـون بصـير "

فصح يقيناً أنه ليس في الناس ولا في الجن إلا مؤمن أو كافر فمن خرج عن أحدهما دخل في الآخر فنسألهم عن رجل من المسلمين فسق وجاهر بالكباير وله أختان إحداهما نصـرانية والثانية مسلمة فاضلة لأيتهما يكون هذا الفاسـق وليـاً فـي النكاح ووارثاً وعن امرأة سرقت وزنت ولها ابنا عم أحدهما يهودي والآخر مسلم فاضل أيهما يحل له نكاحها وهذا ما لا خلاف فيه ولا خفاء به فصح أن صاحب الكباير مؤمن وقال ا تعالى: " إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتـا " وقال تعالى: " إنما يتقبل ا من المتقين " فأخبرونا أتأمرون الزاني والسارق والقاذف والقاتل بالصلاة وتؤدبونـه أن لـم يصل أم لا فمن قولهم نعم ولو قـالوا لا لخـالفوا الإجمـاع المتيقن فنقول لهم أفتأمرونه بما هو عليه أم بما لـيس عليـه وربما يمكن أن يقبله ا تعالى أم بما يوقن أنه لا يقبله فـإن قالوا نأمره بما ليس عليه ظهر تناقضهم إذ لا يجوز أن يلزم أحد ما لا يلزمه وإن قالوا بل بما عليه قطعوا بأنه مؤمن لأن ا تعالى أخبر أن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتـاً وإن قالوا نأمره بما لا يمكن أن يقبل منـه أحـالوا إذ مـن المحال أن يؤمر أحد بعمل هو على يقين بأنه لا يقبـل منـه

وإن قالوا بل نأمره بما نرجو أن يقبل منه قلنا صدقتم وقد صح بهذا أن الفاسق من المتقين فيما عمل من عمل صالح فقط ومن الفاسقين فيما عمل من عمل صالح فقط ومن الفاسقين فيما عمل من المعاصي ونسألهم أيأمرون صاحب الكبيرة بتمتيع المطلقة إن طلقها أم لا فإن قالوا نأمره بذلك لزمهم أنه من المحسنين المتقين لأن ا تعالى يقول في المتعة حقاً على المحسنين وحقاً على المتقين فصح أن الفاسق محسن فيما عمل من صالح ومسيء فيما عمل من سيء فإن قالوا أن الصلاة عليه كما هي عندكم على الكفار أجمعين قلنا لا سواء لأنها وإن كان الكافر وغير المتوضئ والجنب مأمورين بالصلاة معذبين على تركها فإنا لا نتركهم يقيمونها أصلاً بل نمنعهم منها حتى يسلم الكافر ويتوضأ المحدث ويغتسل الجنب ويتوضأ أو يتيمم وليس كذلك الفاسق بل نجبره على إقامتها.

قال أبو محمد: وهذا لا خلاف فيه من أحد إلا أن الجبائي المعتزلي ومحمد بن الطيب الباقلاني ذهبا من بين جميع الأمة إلى إن كانت له ذنوب فإنه لا تقبل له توبة من شيء منها حتى يتوب من الجميع واتبعهما على ذلك قوم وقد

ناظرنا بعضهم في ذلك وألزمناهم أن يوجبوا على كل مـن أذنب ذنباً واحداً أن يترك الصلاة الفرض والزكـاة وصـوم رمضان والجمعة والحج والجهاد لأن إقامة كل ذلك توبة إلى ا من تركها فإذا كانت توبته لا تقبل من شيء حتى يتـوب من كل ذنب له فإنه لا يقبل له توبة من ترك صلاة ولا مـن ترك صوم ولا من ترك زكاة إلا حتى يتوب من كل ذنب له وهذا خلاف لجميع الأمة إن قالوه أو تناقض إن لم يقولوه مع أنه قول لا دليل لهم على تصحيحه أصلاً وما كان هكذا فهو باطل قال ا تعالى: " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صـادقين " وقال تعالى: " وأشهدوا ذوي عدل منكم " وقـال تعـالى: " وصالح المؤمنين " فصح يقيناً بهذا اللفظ أن فينا غير عـدل وغير صالح وهما منا ونحن المؤمنون فهو مؤمن بلا شـك وقال تعالى: " فإن تابوا " يعني من الشرك " وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين " وهذا نص جلي على أن من صلى من أهل شهادة الإسلام وزكى فهو أخونا في الدين ولم يقل تعالى ما لم يأت بكبيرة فصح أنه منا وإن أتى بالكبابر.

قال أبو محمد: فإن ذكروا قول ا تعالى: " مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء " وقوله تعالى: " ألم تر

إلى الذين تولوا قوماً غضب ا عليهم ما هم منكم ولا منهم " وراموا بذلك إثبات أنه لا مؤمن ولا كافر فهذا لا حجة لهـم فيه لأن ا تعالى إنما وصف بذلك المنافقين المبطنين للكفـر المظهرين للإسلام فهم لا مع الكفار ولا منهم ولا إلـيهم لأن هؤلاء يظهرون الإسلام وأولئك لا يظهرونـه ولا هـم مـع المسلمين ولا منهم ولا إليهم لإبطانهم الكفر وليس في هاتين الآيتين أنهم ليسوا كفاراً وقد قال عز وجل: " ومـن يتـولهم منكم فإنه منهم " فصح يقيناً أنهم كفار لا مؤمنون أصلاً وبا تعالى التوفيق ويقال لمن قال أن صاحب الكبيرة منـافق مـا معنى هذه الكلمة فجوابهم الذي لا جواب لأحـد فـي هـذه المسألة غيره هو أن المنافق من كان النفاق صـفته ومعنـى النفاق في الشريعة هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر فيقال له وبا تعالى التوفيق لا يعلم ما في النفوس إلا ا تعالى ثـم تلك النفس التي ذلك الشيء فيها فقط ولا يجوز أن نقطع على اعتقاد أحد الكفر إلا بإقراره بلسانه بالكفر وبوحي من عنـد ا تعالى ومن تعاطى علم ما في النفوس فقد تعـاطى علـم الغيب وهذا خطأ متيقن يعلم بالضرورة وحسبك من القـول سقوطاً أن يؤدي إلى المحال المتيقن وقد قيـل لرسـول ا

صلى ا عليه وسلم: " رب مصل يقول بلسانه ما ليس فـي قلبه " فقال عليه السلام: " إني لم أبعث لأشق علـى قلـوب الناس " وقد ذكر ا تعالى المنافقين فقال لرسول ا صـلى ا عليه وسلم: " وِممن حولَكُم من الأعرابِ منَافِقُون ومِـن أَهل الْمدِينَةِ مردواْ علَى النفَاقِ لاَ تَعلَمهم نَحن نَعلَمهم سنُعذبهم مرتَين ثُم يردون إِلَى عذَابٍ عظِيمٍ " فإذا كـان رسـول ا صلى ا عليه وسلم لا يعرف المنافقين وهم معه وهو يراهم ويشاهد أفعالهم فمن بعده أحرى أن لا يعلمهم ولقد كان الزناة على عهده صلى ا عليه وسلم والسرقة والشراب ومضيعوا فرض الصلاة في الجماعة والقاتلون عمداً والقذفة فما سـمى عليه السلام قط أحداً منهم منافقين بل أقام الحدود فـي ذلـك وتوعد بحرق المنازل وأمر بالدية والعفو وأبقاهم في جملـة المؤمنين وأبقى عليهم حكم الإيمان واسمه وقد قلنا أن التسمية في الشريعة عز وجل لا لأحد دونه ولم يأت قط عـن ا عز وجل تسمية صاحب الكبيرة منافقاً فإن قالوا قد صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال وقد ذكر خصالاً من كـن فيه كان منافقاً خالصاً وإن صام وصلى وقال إني مسلم وذكر عليه السلام تلك الخصال فمنها إذا حدث كـذب وإذا وعـد

أخاف وإذا ائتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وذكر عليه السلام أن من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصـلة من النفاق حتى يدعها قلنا له وبا تعـالى التوفيـق صـدق رسول ا صلى ا عليه وسلم وقد أخبرناك أن المنافق هـو من أظهر شيئاً وأبطن خلافه مأخوذ في أصل اللغة من نافقاء اليربوع وهو باب في جانب جحره مفتوح قد غطاه بشـيء من تراب وهذه الخلال كلها التي ذكرها رسول ا صلى ا عليه وسلم كلها باطن صاحبها بخلاف ما يظهر فهو منـافق هذا النوع من النفاق وليس هو النفاق الذي يظـن صـاحبه الكفر با برهان ذلك ما ذكرناه آنفاً من إجماع الأمة علـى أخذ زكاة مال كل من وصف رسول ا صلى ا عليه وسلم بالنفاق وعلى إنكاحه ونكاحها إن كانت امرأة وموارثته وأكل ذبيحته وتركه يصلي مع المسلمين وعلى تحريم دمه ومالـه ولو تيقنا أنه يبطن الكفر لوجب قتله وحرم نكاحه ونكاحهـا وموارثته وأكل ذبيحته ولم نتركه يصلي مع المسلمين ولكـن تسمية النبي صلى ا عليه وسلم من ذكر منافقاً كتسـمية ا عز وجل الذراع كفاراً إذ يقول ا تعـالى: " كمثـل غيـث أعجب الكفار نباته " لأن أصل الكفر في اللغة التغطية فمـن

ستر شيئاً فهو كافر له وأصل النفاق في اللغة ستر شيء وإظهار خلافه فمن ستر شيئاً وأظهر خلافه فهو منافق فيه وليس هذان من الكفر الديني ولا من النفاق الشرعي في شيء وبهذا تتألف الآيات والأحاديث كلها وبا تعالى التوفيق ثم نقول لمن قال بهذا القول هل أتيت بكبيرة قط فإن قال لا قيل له هذا القول كبيرة لأنه تذكية وقد نهى ا عز وجل عن ذلك فقال تعالى: " فلا تزكوا أنفسكم " وقد علمنا أنه لا يعرى أحد من ذنب إلا الملائكة والنبيين صلى ا عليهم وسلم وأما من دونهم فغير معصوم بل قد اختلف الناس في عصمة الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام وإن كنا قاطعين على خطأ من جوز على أحد من الملائكة ذنباً صغيراً أو كبيراً بعمد أو خطأ وعلى خطأ من جوز على أحد من النبيين ذنباً بعمد صغيراً أو كبيراً لكنا أعلمنا أنه لم يتفق على ذلك قط وإن قال بلى قد كان لي كبيرة قيل هل كنت في حال مواقعتك الكبيرة شاكاً في ا عز وجل أو في رسوله صلى ا عليه وسلم أو كافراً بهما أم كنت موقناً با تعالى وبالرسول صلى ا عليه وسلم وبما أتى به موقناً بأنك مسيء مخطئ في ذنبك فإن قال كنت كافراً أو شاكاً فهو أعلم بنفسه ويلزمه أن

يفارق وأمته المسلمتين ولا يرث من مات له من المسلمين ثم بعد ذلك لا يجوز له أن يقطع على غيره من المذنبين بمثـل اعتقاده في الجحد ونحن نعلم بالضرورة كذب دعواه وندري أننا في حين ما كان منا ذنب مؤمنون با تعالى وبرسـوله صلى ا عليه وسلم وإن قال بل كنت مؤمناً بـا تعـالى وبرسوله صلى ا عليه وسلم في حال ذنبي قيـل لـه هـذا إبطال منك للقول بالنفاق والقطع به على المذنبين.

قال أبو محمد: ففي إجماع الأمة كلها دون مختلـف من أحد منهم على أن صاحب الكبيرة مأمور بالصـلاة مـع المسلمين وبصوم شهر رمضان والحج وبأخذ زكـاة مالـه وإباحة مناكحته وموارثته وأكل ذبيحته وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة ويبتاع الأمة المسـلمة الفاضـلة ويطأهـا وتحريم دمه وماله وأن لا يؤخذ منه جزية ولا يصغر برهان صحيح على أنه مسلم مؤمن وفي إجماع الأمـة كلهـا دون مخالف على تحريم قبول شهادته وخبره برهان علـى أنـه فاسق فصح يقيناً أنه مؤمن فاسق ناقص الإيمان عن المؤمن الذي ليس بفاسق قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إن جـاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مـا

فعلتم نادمين " فأما من قال أنه كافر نعمة فما لهم حجة أصلاً إلا أن بعضهم نزع بقول ا تعالى: " الذين بدلوا نعمـة ا كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ".

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهم فيه لأن نص الآيـة مبطل لقولهم لأن ا تعالى يقول متصـلاً بقولـه: " وبـئس القرار وجعلوا أنداداً ليضلوا عن سبيله " فصح أن الآيـة في المشركين بلا شك وأيضاً فقد يكفر المرء نعمـة ا ولا يكون كافراً بل مؤمناً با تعالى كافراً لأنعمه بمعاصـيه لا كافراً على الإطلاق وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: اختلف الناس في هذا الباب فـذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد أو في شيء من مسائل الفتيا فهو كافر وذهبت طائفة إلى أنه كـافر في بعض ذلك فاسق غير كافر في بعضه على حسـب مـا أدتهم إليه عقولهم وظنونهم وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في مسائل الاعتقاد فهو كافر وأن من خـالفهم فـي مسـائل الأحكام والعبادات فليس كافراً ولا فاسقاً ولكنه مجتهد معذور أن الخطأ مأجور بنيته وقالت طائفة بمثل هذا فيمن خـالفهم في مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم في مسائل الاعتقادات

أن كان الخلاف في صفات ا عز وجل فهو كافر وإن كان فيما دون ذلك فهو فاسق وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفـر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا وإن كل من اجتهـد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور علـى حال إن أصاب الحق فأجران وإن أخطأ فأجر واحـد وهـذا قول ابن أبي ليلي وأبي حنيفة والشافعي وسـفيان الثـوري وداود بن علي رضي ا عن جميعهم وهو قول كـل مـن عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة رضي ا عنهم لا نعلم منهم في ذلك خلافاً أصلاً إلا من ذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك صلاة متعمداً حتى خرج وقتها أو تـرك أداء الزكاة أو ترك الحج أو ترك صيام رمضان أو شـرب الخمر واحتج من كفر بالخلاف في الاعتقادات بأشياء نوردها إن شاء ا عز وجل.

قال أبو محمد: ذكروا حديثاً عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن القدرية والمرجئية مجوس بهذه الأمة وحـديثاً آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة حاشا واحـدة فهي في الجنة.

قال أبو محمد: هذان حديثان لا يصحان أصلاً مـن طريق الإسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به واحتجوا بالخبر الثابـت عـن رسول ا صلى ا عليه وسلم: " من قال لأخيه فقـد بـاء بالكفر أحدهما ".

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهـم فيـه لأن لفظـه يقتضي أنه يأثم برميه للكفر ولم يقل عليه السلام أنه بـذلك كافر.

قال أبو محمد: و الجمهور من المحتجين بهذا الخبر لا يكفرون من قال لمسلم يا كافر في مشاتمة تجري بينهمـا وبهذا خالفوا الخبر الذي احتجوا به.

قال أبو محمد: والحق هو أن كل من ثبت لـه عقـد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع وأما بالـدعوة والافتراء فلا فوجب أن لا يكفر أحد بقول قاله إلا بأن يخالف ما قد صح عنده أن ا تعالى قاله أو أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قاله فستجيز خلاف ا تعالى وخـلاف رسـوله عليه الصلاة والسلام وسواء كان ذلك في عقد ديـن أو فـي نحلة أو في فتيا وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول ا

صلى ا عليه وسلم منقولاً نقل إجماع تواتر أو نقل آحاد إلا أن من خالف الإجماع المتقين المقطوع على صـحته فهـو أظهر في قطع حجته ووجوب تكفيره لا تفاق الجميع علـى معرفة الإجماع وعلى تكفير مخالفته برهان صحة قولنا قول ا تعالى: " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهـدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ".

قال أبو محمد: هذه الآية نص بتكفير من فعل ذلـك فإن قال قائل أن من اتبع غير سبيل المـؤمنين فلـيس مـن المؤمنين قلنا له وبا تعالى التوفيق ليس كل من اتبع غيـر سبيل المؤمنين كافراً لأن الزنا وشرب الخمر وأكل أمـوال الناس بالباطل ليست من سبيل المؤمنين وقد علمنـا أن مـن اتبعها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وليس مع ذلك كافراً ولكن البرهان في هذا قول ا عز وجل: " فلا وربك لا يؤمنـون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً " قال أبو محمد: فهذا هو الـنص الذي لا يحتمل تأويلاً ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان.

قال أبو محمد: وأما ما لم تقم الحجة على المخـالف للحق في أي شيء كان فلا يكون كافراً إلا أن يـأتي نـص بتكفيره فيوقف عنده كمن بلغه وهو في أقاصي الزنج ذكـر النبي صلى ا عليه وسلم فقط فيمسك عن البحث عن خبره فإنه كافر فإن قال قائل فما تقولون فيمن قال أنـا أشـهد أن محمداً رسول ا ولا أدري أهو قرشي أم تميمي أم فارسـي ولا هل كان بالحجاز أو بخرسان ولا أدري أحي هو أو ميت ولا أدري لعله هذا الرجل الحاضر أم غيره قيل له إن كـان جاهلاً لا علم عنده بشيء من الأخبار والسير لم يضره ذلـك شيئاً ووجب تعليمه ووجب تعليمه فإذا علم وصح عنده الحق فإن عاند فهو كافر حلال دمه وماله محكوم عليه حكم المرتد وقد علمنا أن كثيراً ممن يتعاطى الفتيا في دين ا عز وجل نعم وكثيراً من الصالحين لا يدري كم لموت النبي صلى ا عليه وسلم ولا أين كان ولا في أي بلد كان ويكفيه من كـل ذلك إقراره بقلبه ولسانه أن رجلاً اسمه محمـد أرسـله ا تعالى إلينا بهذا الدين.

قال أبو محمد: وكذلك من قال أن ربه جسم فإنـه إن كان جاهلاً أو متأولاً فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه

فإذا قامت الحجة عليه من القرآن والسنن فخالف مـا فيهمـا عناداً فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد وأم من قـال أن ا عز وجل هو فلان لإنسان بعينه أو أن ا تعالى يحـل فـي جسم من أجسام خلقه أو أن بعد محمد صلى ا عليه وسـلم نبياً غير عيسى بن مريم فإنه لا يختلف اثنان فـي تكفيـره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد ولو أمكن أن قـال أبو محمد: وأما من كفر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطـأ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفراً بل قـد أحسن إذا فر من الكفر وأيضاً فإنه لـيس للنـاس قـول إلا ومخالف ذلك القول يلزم خصمه الكفر في فساد قوله وطرده فالمعتزلة تنسب إلينا تجوير ا عز وجل وتشـبيهه بخلقـه ونحن ننسب إليهم مثل ذلك سواء بسـواء ونلـزمهم أيضـاً تعجيز ا عز وجل وأنهم يزعمون أنهم يخلقون كخلقـه وأن له شركاء في الخلق وأنهم مستغنون عن ا عز وجل ومـن أثبت الصفات يسمي من نفاها باقية لأنهم قالوا تعبدون غيـر ا تعالى لأن ا تعالى له صفات وأنتم تعبدون من لا صفة له ومن نفى الصفات يقول لمن أثبتها أنتم تجعلون مع ا عز

وجل لم تزل وتشركون به غيره وتعبدون غيـر ا لأن ا تعالى لا أحد معه ولا شيء معه في الأزل وأنتم تعبدون شيئاً من جملة أشياء لم تزل وهكذا في كل ما اختلف فيه حتى في الكون والجزء وحتى في مسائل الأحكام والعبادات فأصحاب القياس يدعون علينا خلاف الإجماع وأصحابنا يثبتون عليهم خلاف الإجماع وإحداث شرائع لم يأذن ا عز وجـل بهـا وكل فرقة فهي تنتفي بما تسميها به الأخرى وتكفر من قـال شيئاً من ذلك فصح أنه لا يكفر أحد إلا بنفس قولـه ونـص معتقده ولا ينتفع أحد بأن يعبر عن معتقده بلفظ يحسـن بـه قبحه لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط وأما الأحاديـث الواردة في أن ترك الصلاة شرك فلا تصـح مـن طريـق الإسناد وأما الأخبار التي فيها من قال لا إلـه إلا ا دخـل الجنة فقد جاءت أحاديث أخر بزيادة على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهي قوله عليه السلام: " أمرت أن أقاتـل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا " وأني رسول ا ويؤمنـوا بما أرسلت به فهذا هو الذي لا إيمان لأحد بدونه.

قال أبو محمد: واحتج بعض من يكفـر مـن سـب الصحابة رضي ا عنهم بقول ا عز وجل: " محمد رسول

الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " إلى قوله: " ليغيظ بهم الكفار " قال فكل من أغاظه أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر.

قال أبو محمد: وقد أخطأ من حمل الآية على هذا لأن الله عز وجل لم يقل قط أن كل من غاظه واحد منهم فهو كافر وإنما أخبر تعالى أنه يغيظ بهم الكفار فقط ونعم هذا حق لا ينكره مسلم وكل مسلم فهو يغيظ الكفار وأيضاً فإنه لا يشك أحد ذو حس سليم في أن علياً قد غاظ معاوية وأن معاوية وعمرو بن العاص غاظا علياً وأن عماراً غاظ أبا العادية وكلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد غاظ بعضهم بعضاً فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا وحاشا من هذا.

قال أبو محمد: ونقول لمن كفر إنساناً بنفس مقالته دون أن تقوم عليه الحجة فيعاند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجد في نفسه الحرج مما أتى به أخبرنا هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الإسلام الذي يكفر من لم يقل به إلا وقد بينه ودعا إليه الناس كافة فلا بد من نعم ومن أنكر هذا فهو كافر بلا خلاف فإذا أقر بذلك سئل

هل جاء قط عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه لم يقبل إيمان أهل قرية أو أهل محلة أو إنسان أتاه من حـر أو عبـداً أو امرأة إلا حتى يقران الاستطاعة قبل الفعل أو مع الفعل أو أن القرآن مخلوق أو أن ا تعالى يرى أو لا يـرى أو أن لـه سمعاً وبصراً وحياة أو غير ذلك من فضول المتكلمين التـي أوقعها الشيطان بينهم ليوقع بينهم العـداوة والبغضـاء فـإن ادعى أن النبي صلى ا عليه وسلم لم يدع أحـداً يسـلم إلا حتى يوقفه على هذه المعاني كان قد كذب بإجماع المسـلمين من أهل الأرض وقال ما يدري أنه فيه كـاذب وادعـى أن جميع الصحابة رضي ا عنهم تواطئوا على كتمان ذلك من فعله عليه السلام وهذا محال ممتنع في الطبيعة ثم فيه نسـبة الكفر إليهم إذ كتموا ما لا يتم إسلام أحد إلا به وإن قالوا أنه صلى ا عليه وسلم لم يدع قط أحداً إلى شيء من هذا ولكنه مودع في القرآن وفي كلامه صلى ا عليه وسلم قيـل لـه صدقت وقد صح بهذا أنه لو كان جهل شيء من هـذا كلـه كفراً لما ضيع رسول ا صلى ا عليه وسلم بيان ذلك للحر والعبد والحرة والأمة ومن جوز هذا فقد قال أن رسـول ا صلى ا عليه وسلم لم يبلغ كما أمر وهذا كفر مجرد ممـن

أجازه فصح ضرورة أن الجهل بكل ذلك لا يضر شيئاً وإنما يلزم الكلام منها إذا خاض فيها الناس فيلزم حينئذ بيان الحق من القرآن والسنة لقول ا عز وجل: " كونـوا قـوامين شهداء بالقسط " ولقول ا عز وجل: " لتبيننـه للنـاس ولا تكتمونه " فمن عند حينئذ بعد بيان الحق فهو كافر لأنـه لـم يحكم رسول ا صلى ا عليه وسلم ولا سلم لما قضى بـه وقد صح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن رجـلاً لـم يعمل خيراً قط فلما حضره المـوت قـال لأهلـه إذا مـت فأحرقوني ثم ذروا رمادي في يوم راح نصفه فـي البحـر ونصفه في البر فوا لئن قدر ا تعالى علي ليعذبني عـذاباً لم يعذبه أحد من خلقه وأن ا عز وجل جمع رماده فأحيـاه وسأله ما حملك على ذلك قال خوفك يا رب وأن ا تعـالى غفر له لهذا القول.

قال أبو محمد: فهذا إنسان جهل إلى أن مـات أن ا عز وجل يقدر على جمع رماده وإحيائه وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله وقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه أن معنى لئن قدر ا علي إنما هو لئن ضيق ا علي كمـا قال تعالى: " وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ".

قال أبو محمد: وهذا تأويل باطل لا يمكن لأنه كـان يكون معناه حينئذ لئن ضيق ا علي ليضيقن علي وأيضاً فلو كان هذا لما كان لأمره بأن يحرق ويذر رماده معنى ولا شك في أنه إنما قال أبو محمد: وأبين شيء مـن هـذا قـول ا تعالى: " إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يسـتطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء " إلى قوله: " ونعلـم إن قد صدقتنا " فهؤلاء الحواريون الذين أثنـى ا عـز وجـل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربـك أن ينزل علينا مائدة من السماء ولم يبطل بذلك إيمانهم وهذا ما لا مخاص منه وإنما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيـام الحجة وتبيينهم لها.

قال أبو محمد: وبرهان ضروري لا خلاف فيه وهو أن الأمة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم وهو أن كـل من بدل آية من القرآن عامداً وهو يدري أنها في المصاحف بخلاف ذلك وأسقط كلمة عمداً كذلك أو زاد فيها كلمة عامداً فإنه كافر بإجماع الأمة كلها ثم أن المرء يخطئ في الـتلاوة فيزيد كلمة وينقص أخرى ويبدل كلامه جاهلاً مقـدراً أنـه مصيب ويكابر في ذلك ويناظر قبل أن يتبين لـه الحـق ولا

يكون بذلك عند أحد من الأمة كافراً ولا فاسقاً ولا آثماً فـإذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء مـن تقـوم الحجة بخبره فإن تمادى على خطاه فهو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محالة وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة.

قال أبو محمد: واحتج بعضهم بأن قال ا تعالى: " قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ".

قال أبو محمد: وآخر هذه الآية مبطل لتـأويلهم لأن ا عز وجل وصل قوله يحسنون صنعاً بقوله: "أُولَئِك الَّذِين كَفَروا بِآياتِ ربهم ولِقَائِهِ فَحبِطَتْ أَعمالُهم فَلَا نُقِيم لَهـم يـوم الْقِيامةِ وزنًا ذَلِك جزاؤُهم جهنم بِما كَفَروا واتخَـذُوا آيـاتِي ورسلِي هزوا " فهذا يبين أن أول الآية في الكفار المخـالفين لديانة الإسلام جملة ثم نقول لهم لو نزلت هذه الآيـة فـي المتأولين من جملة أهل الإسلام كما تزعمـون لـدخل فـي جملتها كل متأول مخطئ في تأويل في فتيا لزمه تكفير جميع الصحابة رضي ا عنهم لأنهم قد اختلفوا وبيقين نـدري أن كل امرأ منهم فقد يصيب ويخطأ بل يلزمه تكفير جميع الأمة لأنهم كلهم لا بد من أن يصيب كل امرئ منهم ويخطئ بـل

يلزمه تكفير نفسه لأنه لا بد لكل من تكلم في شيء من الديانة من أن يرجع عن قول قاله إلى قول آخر يتبين له أنه أصـح إلا أن يكون مقلداً فهذه أسوأ لأن التقليد خطأ كلـه لا يصـح ومن بلغ إلى هاهنا فقد لاح غوامر قوله وبا تعالى التوفيق وقد أقر عمر بن الخطاب رضي ا عنه لرسول ا صـلى ا عليه أنه لم يفهم آية الكلالة فما كفره بذلك ولا فسـقه ولا أخبره أنه آثم بذلك لكن أغلظ له في كثرة تكـراره السـؤال عنها فقط وكذلك أخطأ جماعة من صحابة رضي ا عـنهم في حياة رسول ا صلى ا عليه وسلم في الفتيا فبلغه عليه السلام ذلك فما كفر بذلك أحد منهم ولا فسقه ولا جعله بذلك إثماً لأنه لم يعانده عليه السلام أحد منهم وهذا كفتيـا أبـي السنابل بعكك في آخر الأجلين والذين أفتوا على الزاني غير المحصن الرجم وقد تقصينا هذا في كتابنا المرسـوم بكتـاب الأحكام في أصول الأحكام هذا وأيضاً فإن الآية المذكورة لا تخرج على قول أحد ممن خالفنا إلا بحذف وذلك أنهم يقولون أن الذين في قوله تعالى الذين ضل سعيهم في الحيلة الـدنيا هو خبراً ابتداء مضمر ولا يكون ذلك إلا بحذف الابتداء كأنه قال هم الذين لا يجوز لأحد أن يقول في القـرآن حـذفاً إلا

بنص آخر جلي يوجب ذلك أو إجماع على ذلك أو ضـرورة حس فبطل قولهم وصار دعوى بلا دليل وأما نحن فإن لفظة الدين عندنا على موضوعها دون حذف وهو نعت للأخسرين ويكون خبراً لابتداء قوله تعالى: " أولئـك الـذين كفـروا " وكذلك قوله تعالى: " فَيحلِفُون لَه كَما يحلِفُون لَكُم ويحسـبون َأنهم علَى شَيءٍ َألَا ِإنهم هم الْكَاذِبون " فنعم هذه صفة القـول الذين وصفهم ا تعالى بهذا في أول الآية ورد الضمير إليهم وهم الكفار بنص أول الآية وقال قائلهم أيضاً فـإذا عـذرتم للمجتهدين إذا أخطأوا فأعذروا اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل فإنهم أيضاً مجتهدون قاصدون الخير فجوابنـا وبا تعالى التوفيق أننا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا وهذه خطة لم يؤتها ا عز وجل أحداً دونه ولا يدخل الجنة والنار أحد بل ا تعالى يدخلها من شاء فنحن لا نسمي بالإيمان إلا من سماه ا تعالى به كل ذلـك على لسان رسول ا صلى ا عليه وسلم ولا يختلف اثنـان من أهل الأرض لا نقول من المسلمين بل من كل ملة في أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قطع بالكفر على أهل كل ملة غير الإسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشى التي أتاهم بها

عليه السلام فقط فوقفنا عند ذلك ولا يختلف أيضاً اثنان في أنه عليه السلام قنع باسم الإيمان على كل من اتبعه وصدق بكل ما جاء به وتبرأ من كل دين سوى ذلك فوقفنا أيضاً عند ذلك ولا مزيد فمن جاء نص في إخراجه عن الإسلام بعد حصول اسم الإسلام له أخرجناه منه سواء أجمع على خروجه منه أو لا يجمع وكذلك من أجمع من أهل الإسلام على خروجه عن الإسلام فواجب اتباع الإجماع في ذلك وأما من لا نص في خروجه عن الإسلام بعد حصول الإسلام له ولا إجماع في خروجه أيضاً عنه فلا يجوز إخراجه عما قد صح يقيناً حصوله فيه وقد نص الله تعالى على ما قلنا فقال: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " وقال تعالى: " ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً " وقال تعالى: " قُلْ أَبِاللّهِ وآياتِهِ ورسولِهِ كُنتُم تَستَهزِؤُون لاَ تَعتَذِروا قَد كَفَرتُم بعد إِيمانِكُم " فهؤلاء كلهم كفار بالنص وصح الإجماع على أن كل من جحد شيئاً صح عندنا بالإجماع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى به فقد كفر وصح بالنص أن كل من

استهزأ بالله تعالى أو بملك من الملائكة أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام أو بآية من القرآن أو بفريضة من فرائض الدين فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر ومن قال بنبي بعد النبي عليه الصلاة والسلام أو جحد شيئاً صح عنده بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو كافر لأنه لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين خصمه.

قال أبو محمد: وقد شقق أصحاب الكلام فقالوا ما تقولون فيمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم قم صل فقال لا أفعل أو قال له النبي صلى الله عليه وسلم ناولني ذلك السيف أدفع به عن نفسي فقال له لا أفعل.

قال أبو محمد: وهذا أمر قد كفوا وقوعه ولا فضول أعظم من فضول من اشتغل بشيء قد أيقن أنه لا يكون أبداً ولكن الذي كان ووقع فإننا نتكلم فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال أبو محمد: قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أهل الأرض وهم أهل الحديبية بأن يحلقوا وينحروا فتوقفوا حتى أمرهم ثلاثاً وغضب عليه السلام وشكا ذلك إلى أم سلمة فما كفروا بذلك ولكن كانت معصية تداركهم الله

بالتوبة منها وما قال مسلم قط أنهم كفروا بـذلك لأنهـم لـم يعاندوه ولا كذبوه وقد قال سعد بن عبادة وا يا رسـول ا لئن وجدت لكاع يتفخذها رجل ادعهما حتـى آتـى بأربعـة شهداء قال نعم قال إذاً وا يقضي إربـه وا لا تجللنهمـا بالسيف فلم يكن بذلك كافراً إذ لم يكن عانداً ولا مكذباً بل أقر أنه يدري أن ا تعالى أمر بخلاف ذلك وسألوا أيضاً عمن قال أنا أدري أن الحج إلى مكة فرض ولكن لا أدري أهـي بالحجاز أم بخراسان أم بالأندلس وأنـا أدري أن الخنزيـر حرام ولكن لا أدري أهو هذا الموصوف الأقـرن أم الـذي يحرث به.

قال أبو محمد: وجوابنا هو أن من قال هذا فإن كان جاهلاً علم ولا شيء عليه فإن المشببين لا يعرفون هـذا إذا أسلموا حتى يعلموا وإن كان عالماً فهو عابث مستهزئ بآيات ا تعالى فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ومن قذف عائشة رضي ا عنها فهو كافر لتكذيبه القرآن وقد قذفها مسـطح وحمنة فلم يكفرا لأنهما لم يكونا حينئذ مكذبين   تعالى ولـو قذفاها بعد نزول الآية لكفر وأم ما سب أحد من الصـحابة رضي ا عنهم فإن كان جاهلاً فمعذور وإن قامـت عليـه

الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى وسـرق وإن عاند ا تعالى في ذلك ورسوله صلى ا عليه وسـلم فهـو كافر وقد قال عمر رضي ا عنه بحضرة النبي صـلى ا عليه وسلم عن حاطب وحاطب مهاجر بدرى دعني أضرب عنق هذا المنافق فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً بل كـان مخطئاً متأولاً وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم آيـة النفاق بغض قال أبو محمد: ومن أبغـض الأنصـار لأجـل نصرتهم للنبي صلى ا عليه وسلم فهو كـافر لأنـه وجـد الحرج في نفسه مما قد قضى ا تعالى ورسوله صـلى ا عليه وسلم من إظهار الإيمان بأيديهم ومن عاد علياً لمثل ذلك فهو أيضاً كافر وكذلك من عادى من ينصر الإسلام لأجـل نصرة الإسلام لا لغير ذلك وقد فرق بعضهم في الاخـتلاف في الفتيا والاختلاف في الاعتقاد بأن قال قد اختلف أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم في الفتيا فلم يكفر بعضـهم بعضاً ولا فسق بعضهم بعضاً.

قال أبو محمد: وهذا ليس بشيء فقد حـدث إنكـار القدر في أيامهم فما كفرهم أكثر الصحابة رضي ا عـنهم وقد اختلفوا في الفتيا واقتتلوا على ذلـك وسـفكت الـدماء

كاختلافهم في تقديم بيعة علي على النظر في قتلـة عثمـان رضي ا عنهم وقد قال ابن عباس رضي ا عنه: من شاء بأهلته عند الحجر الأسود أن الذي أحصى رمل عـالج لـم يجعل في فريضة واحدة نصفاً ونصفاً وثلثاً.

قال أبو محمد: وهنا أقوال غريبة جداً فاسدة منها أن أقواماً من الخوارج قالوا كل معصية فيها حد فليسـت كفـراً وكل معصية لا حد فيها فهي كفر.

قال أبو محمد: وهذا تحكم بلا برهان ودعـوى بـلا دليل وما كان هكذا فهو باطل قال تعالى: " قال أبو محمـد: فصح بما قلنا أن كل من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور آجراً واحداً لطلبه الحق وقصده إليه مغفور له خطؤه إذ لم يعتمـده لقول ا تعالى: " ولَيس علَيكُم جنَاح فِيما أَخْطَأْتُم بِهِ ولَكِن ما تَعمدتْ قُلُوبكُم " وإن كان مصيباً فله أجران أجـر لإصـابته وأجر آخر لطلبه إياه وإن كان قد قامت الحجة عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعـالى ولا لرسـوله صلى ا عليه وسلم فهو فاسق لجراءتـه علـى ا تعـالى

بإصراره على الأمر الحرام فإن عند عن الحق معارضـاً تعالى ولرسوله صلى ا عليه وسلم فهو كافر مرتد حـلال الدم والمال لا فرق في هذه الأحكام بين الخطأ في الاعتقـاد في أي شيء كان من الشريعة وبين الخطأ في الفتيا فـي أي شيء كان على ما بينا قبل.

قال أبو محمد: ونحن نختصرها هنـا أن شـاء ا تعالى ونوضح كل ما أطلنا فيه قال تعالى: " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " وقال تعالى: " لأُنذِركُم بِهِ ومـن بلَـغَ " وقال تعالى: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلم تسليماً " فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح أنه لا يكفـر أحد حتى يبلغه أمر النبي صلى ا عليه وسلم فإن بلغه فلـم يؤمن به فهو كافر فإن آمن به ثم اعتقد ما شاء ا أن يعتقده في نحلة أو فتيا أو عمل ما شاء ا تعالى أن يعمله دون أن يبلغه في ذلك عن النبي صلى ا عليه وسلم حكم بخلاف ما اعتقد أو قال أو عمل فلا شيء عليه أصلاً حتى يبلغه فـإن بلغه وصح عنه فإن خالفه مجتهداً فيما لم يبين له وجه الحق في ذلك فهو مخطئ معذور مأجور مرة واحدة كما قال عليه

السلام: " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فلـه أجر " وكل معتقد أو قائل أو عامل فهو حاكم في ذلك الشيء وإن خالفه بعمله معانداً للحق معتقداً بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق وإن خالفه معانداً بقوله أو قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك في المعتقدات والفتيا للنصوص التي أوردنا وهـو قول اسحق بن راهوية وغيره وبه نقول وبا تعالى التوفيق.

الكلام في تعبد الملائكة وتعبد الحور العين

والخلق المستأنف وهل يعصي ملك أم لا قال أبو محمد: قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون قال تعالى: " ويفعلون ما يؤمرون " ونص تعالى على أنه أمرهم بالسجود لآدم وقال تعالى: " وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " إلى قوله: " ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين " وقال تعالى: " وِلِلّهِ يسجد ما فِي السماواتِ وما فِي الأَرضِ مِن دآبةٍ والْملآئِكَةُ وهم لاَ يستَكْبِرون يخَافُون ربهم من فَوقِهِم ويفْعلُون ما يؤْمرون ويفعلون ما يؤمرون ".

قال أبو محمد: فنص الله تعالى على أنهم مأمورون منهيون متوعدون مكرومون موعودون بإيصال الكرامة أبداً مصرفون في كتاب الأعمال وقبض الأرواح وأداء الرسالة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما في العالم الأعلى والأدنى وغير ذلك كما خالقهم عز وجل به عليم وقوله تعالى: " إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش

مكين مطاع ثم أمين " فأخبر عز وجل أن جبريل عليه السلام مطاع في السموات أمين هنالك فصح أن هنالك أوامر وتدبير وأمانات وطاعة ومراتب ونص تعـالى علـى أنهـم كلهـم معصومون بقوله عز وجل: " عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " وبقوله: " ومن عنده لا يستكبرون عـن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهـار لا يفتـرون " وبقوله: " فَالِذين عِند ربك يسبحون له ِباالليل والنهار وهم لَـا يسأَمون " فنص تعالى على أنهم كلهم لا يسأمون من العبـادة ولا يفترون من التسبيح والطاعـة لا سـاعة ولا وقتـاً ولا يستحسرون من ذلك وهذا خبر عن التأييد لا يسـتحيل أبـداً ووجب أنهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون قـد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل أبد الأبد بلا نهاية فقال تعالى " قُلْ من كان عدوا لجِبريلَ فَإِنه نَزلَه علَى قَلْبِـك بِـإِذْنِ اللّـهِ مصدقاً لما بين يديهِ وهدى وبشْرى ِللْمؤْمِنين " فكفر تعالى من عادى أحد منهم فإن قال قائل كيف لا يعصـون وا تعـالى يقول: " ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهـنم " قلنا نعم هم متوعدون هم متوعدون على المعاصي كما توعد

رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ يقول له ربه عز وجل: " لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين " وقد علم عز وجل أنه عليه السلام لا يشرك أبداً وإن الملائكة لا يقول أحد منهم أبداً إني إله من دون ا وكذلك قوله تعالى: " يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين " وهو تعالى قد برأهن وعلم أنه لا يأتي أحد منهن بفاحشة أبداً بقوله تعالى: " الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِين والْخَبِيثُون لِلْخَبِيثَاتِ والطيباتُ لِلطيبين والطيبون لِلطيباتِ أُولَئِك مبرؤُون مِما يقُولُون لَهم مغْفِرةٌ ورزقٌ كَرِيم " لكن ا تعالى يقول ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فأخبر عز وجل بحكم هذه الأمور لو كانت وقد علم أنها لا تكون كما قال تعالى: " لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين " وكما قال: " لو أراد ا أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء " وكما قال تعالى: " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه " وكما قال تعالى: " قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً " وكل هذا قد علم ا تعالى أنه لا يكون أبداً وبا تعالى التوفيق فإن قال قائل أن الملائكة مأمورون ولا منهيون قلنا هذا باطل لأن كل مأمور بشيء

فهو منهي عن تركه وقوله تعالى: " يخافون ربهم من فوقهم " يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها وقال عز وجل: " وما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين ".

قال أبو محمد: وهذا مبطل ظن من ظن أن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل وقـد أعاذ ا عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بمـا ذكرنـا آنفاً أنهم لا يعصون ا ويفعلون ما يؤمرون وبإخباره تعالى أنهم لا يسأمون ولا يفترون ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل فوجب يقيناً أنه ليس في الملائكة البتة عاص لا بعمـد ولا بخطأ ولا بنسيان وقال عز وجل: " جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع " فكل الملائكة رسل ا عز وجل بنص القرآن والرسل معصومون فصـح أن هـاروت وماروت المذكورين في القرآن لا يخلو أمرهما مـن أحـد وجهين لا ثالث لهما إما أنم يكونا جنين من أحياء الجن كمـا روينا عن خالد بن أبي عمران وغيره وموضعهما حينئذ في الجو بدل من الشياطين كأنه قال ولكن الشـياطين كفـروا هاروت وماروت ويكون الوقوف على قوله ما أنـزل علـى الملكين ببابل ويتم الكلام هنا وأما أن يكونا ملكين أنـزل ا

عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخها فصارت كفراً كمـا فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمـادى الشياطين على تعليمها وهي بعد كفر كأنه قال تعالى: " ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكـين ببابل هاروت ومـاروت " ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى: " وما يعلمان مِن أَحدٍ حتى يقُولاَ إِنما نَحن فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُر فَيتَعلمون مِنْهما ما يفَرقُون بِهِ بين الْمرءِ وزوجِهِ وما هم بِضآرين بِهِ مِن أَحدٍ إِلا بِإِذْنِ اللّهِ ويتَعلمون ما يضرهم ولاَ ينفَعهم ولَقَد علِمواْ لَمنِ اشْتَراه ما لَه فِي الآخِرةِ مِن خَـلاَقٍ ولَبِئْس ما شَرواْ بِهِ أَنفُسهم لَو كَانُواْ يعلَمون ".

قال أبو محمد: فقول الملكين إنما نحن فتنة فلا تكفر قولاً صحيح ونهي عن المنكر وأما الفتنة فقد تكون ضـلالاً وتكون هدى قال ا عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام أنه قال لربه: " أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أن هي إلا فتنتـك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء " فصدق ا عـز وجـل قوله وصح أن يهدي بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشـاء وقال تعالى: " إنما أموالكم وأولادكم فتنة " وليس كـل أحـد يضل بماله وولده فقد كان للنبي صلى ا عليه وسـلم أولاد

ومال وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام وقال تعالى " وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للـذين كفروا ليستيقن الذين أوتو الكتاب ويزداد الذين آمنـوا إيمانـاً " وقال تعالى: " وأن لو استقاموا على الطريقة لأسـقيناهم مـاء غدقاً لنفتنهم فيه " فهذا سقياً الماء التـي هـي جـزاء عـن الاستقامة قد سماها ا تعالى فتنة فصح أن من الفتنة خيـراً وهدى ومنها ضلالاً وكفراً والملكان المذكوران كذلك كانـا فتنة يهتدي من اتبع أمرها في أن لا يكفر ويضل عصـاهما في ذلك وقوله تعالى: " فيتعلمون منهما ما يفرقون بـه بـين المرء وزوجه " حق لأن اتباع رسـل ا علـيهم الصـلاة والسلام هذه صفتهم يؤمن الزوج فيفرق إيمانه بينـه وبـين امرأته التي لم تؤمن وتؤمن فيفرق إيمانها بينها وبـين زوج الذي لم يؤمن في الدنيا والآخرة وفي الولاية ثم رجع تعالى إلى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل: " وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن ا " وهذا حق لأن الشياطين في تعليمهم ما قد نسخه ا عز وجل وأبطله ضارون من لإذن ا تعـالى باستضراره به وهكذا إلى آخر الآية وما قال عز وجل قـط أن هاروت وماروت علما سحراً ولا كفراً ولا أنهما عصـيا

وإنما ذكر ذلك في خرافة موضوعة لا تصح مـن طريـق الإسناد أصلاً ولا هي أيضاً مع ذلك عن رسول ا صلى ا عليه وسلم وإنما هي موقوفة على من دونـه عليـه السـلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد رب العالمين وهذا التفسير الأخير هو نص الآية دون تكلف تأويل ولا تقديم ولا تأخير ولا زيادة في الآية ولا نقص منها بل هـو ظاهرهـا والحق المقطوع به عند ا تعالى يقيناً وبا تعالى التوفيـق فإن قيل كيف تصح هذه الترجمة أو الأخرى وأنتم تقولون أن الملائكة لا يمكن أن يراهم إلا نبي وكذلك الشيطان ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس أو كيف تعلم الجن الناس قلنا وبا تعالى التوفيق أما الملائكة فيعلمون من أرسـلوا إليـه مـن الأنبياء خاصة وينهونهم عن الكفر كما نهـى النبـي عليـه الصلاة والسلام عن الكفر في نص القرآن وأمـا الشـياطين فتعلم الناس بالوسوسة في الصدور وتزيين البطل أو يتمثـل في صورة إنسان كما تمثل يوم بدر في صورة سراقة بـن مالك بن جعشم قال تعالى: " وإذْ زين لَهم الشيطَان َأعمـالَهم وقَالَ لاَ غَالِب لَكُم الْيوم مِن الناسِ وإِني جار لكُم فَلَما تَـراءتِ الْفِئَتَان نَكَص علَى عقِبيهِ وقَالَ ِإني برِيء منكُم ِإني َأرى مـا لاَ تَرون ِإني َأخَافُ اللّه واللّه شَدِيد الْعِقَـابِ " وأما الحور العـين

فنسوا أن مكرمات مخلوقات في الجنة لأولياء ا عز وجـل عاقلات مميزات مطيعات تعالى في النعـيم خلقـن فيـه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة والجنة إذا دخلهـا أهلهـا المخلدون فليست دار معصية وكذلك أهل الجنة لا يعصـون فيها أصلاً بل هم في نعيم وحمد تعالى وذكر له والتـذاذ بأكل وشراب ولباس ووطء لا يختلف في ذلـك مـن أهـل الإسلام اثنان وبذلك جاء القرآن والحمد رب العالمين وأما الولدان المخلدون فهم أولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبي صلى ا عليه وسلم وقد صح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن ا تعالى يخلق خلقاً يملأ بهم الجنـة فنحن نقر بهذا ولا ندري أمتعبدون مطيعون أم مبتدئون فـي الجنة وا تعالى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيـرة وأما الجن فإن رسول ا صلى ا عليه وسلم بعـث إلـيهم بدين الإسلام هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من الأمة فكافرهم في النار مع كافرنا وأما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقـال أبو حنيفة لا ثواب لهم وقال ابن أبي ليلـى وأبـو يوسـف وجمهور الناس إنهم في الجنة وبهذا نقـول لقـول ا عـز وجل: " أعدت للمتقين " لقوله تعالى حاكياً عنهم ومصدقاً لمن

قال ذلك منهم " و وَأَنا لَما سمِعنَا الْهدى آمنا بِهِ فَمن يؤْمِن بِربهِ فَلَا يخَافُ بخْسا ولَا رهقًا " وقوله تعالى حاكياً عنه: " قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهـدي إلى الرشد فآمنا به " وقوله تعالى: " إِن الَذِين آمنُـوا وعمِلُـوا الصالِحاتِ أُولَئِك هم خَير الْبرِيةِ جزاؤُهم عِند ربهم جنات عدنٍ تَجرِي مِن تَحتِها الْأَنْهار خَالِدِين فِيها أَبدا رضِـي الله عـنْهم ورضوا عنْه ذَلِك لِمن خَشِي ربه " إلى السورة وهذه صفة تعم الجن والإنس عموماً لا يجوز البتة أن يخـص منهـا أحـد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلاً على ا ما لا يعلـم وهـذا حرام ومن المحال الممتنع أن يكون ا تعالى يخبرنا بخبـر عام وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به ثم لا يبين ذلك لنـا هذا هو ضد البيان الذي ضمنه ا عز وجل لنا فكيف وقـد نص عز وجل على أنهم آمنوا فوجب أهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولا بد.

قال أبو محمد: وإذا الجن متعبدون فقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم فضلت على الأنبياء بست فذكرنا فيهـا أن عليه السلام بعث إلى الأحمر والأسود وكان من قبله من الأنبياء إنما يبعث إلى قومه خاصة وقد نص عليـه السـلام

على أنه بعث إلى الجن وقال عز وجل: " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّـه استَمع نَفَر من الْجِن فَقَالُوا إِنا سمِعنَا قُرآنًا عجبـا يهـدِي إِلَـى الرشْدِ فَآمنا بِهِ " إلى قوله تعالى: " وأَنا مِنا الْمسـلِمون ومِنـا الْقَاسِطُون فَمن أَسلَم فَأُولَئِك تَحروا رشَدا وأَما الْقَاسِطُون فَكَانُوا لِجهنم حطَبا " وإذ الأمر كما ذكرنا في يبعث إلى الجن نبـي من الإنس البتة قبل محمد صلى ا عليه وسلم لأنـه لـيس الجن من قوم أنسي وباليقين ندري أنهم قد أنذروا فصح أنهم جاءهم أنبياء منهم قال تعالى: " يا معشر الجن والإنـس ألـم يأتكم رسل منكم " وبا تعالى التوفيق.

هل تعصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال أبو محمد اختلف الناس في هل تعصى الأنبيـاء عليهم السلام أم لا فذهبت طائفة إلى أن رسل ا صـلى ا عليه وسلم يعصون ا في جميع الكبائر والصـغائر عمـداً حاشى الكذب في التبليغ فقد وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلاني من الأشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى وسمعت من يحكي عن بعـض الكراميـة أنهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب فـي البتليـغ أيضاً وأما هذا الباقلاني فانا رأينا في كتـاب صـاحبه أبـي

جعفر السمناني قاضي الموصل أنه كان يقول أن كل ذنـب دق أو جل فإنه جائز على الرسل حاشى الكذب في التبليـغ فقط قال وجائز عليهم أن يكفروا قال وإذا نهى النبـي عليـه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلاً على أن ذلك النهي قد نسخ لأنه قد يفعله عاصياً عـز وجـل قـال ولـيس لأصحابه أن ينكروا ذلك عليه وجوز أن يكون في أمة محمد عليه السلام من هو أفضل من قال أبو محمد وهذا كله كفر مجرد وشرك محض وردة عن الإسلام قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وما له موجبة للبراءة منه في الدنيا ويوم يقوم الإشهاد وذهبت طائفة إلى أن الرسل عليهم الصلاة والسـلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصـلاً وجـوزوا علـيهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك الأشعري وذهبت جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة والنجارية والخـوارج والشيعة إلا أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصـية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهـد الأشـعري شيخ ابن فورك والباقلاني المذكورين.

قال أبو محمد وهذا قول الذي يدين ا تعالى به ولا يحل لأحد أن يدين بسواه ونقول أنه يقع من الأنبياء السـهو

عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه ا تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد ا تعـالى إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلاً بـل ينبههم على ذلك ولا يداثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم كما فعل نبيه صلى ا عليه وسلم في أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضي ا عنهمـا وفـي قصة ابن مكتوم رضي ا عنه وربما يبغض المكروه فـي الدنيا كالذي أصاب آدم ويونس عليهما الصـلاة والسـلام والأنبياء عليهم السلام بخلافنا في هذا فإننا غير مؤآخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه ا عز وجل فلم يصـادف مراده تعالى بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجراً واحـداً وقد أخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أن ا تعالى قـرن بكل أحد شيطاناً وأن ا تعالى أعانه على شيطانه فاسلم فلا يأمره إلا بخير وأما الملائكة فبرآء من كل هذا لأنهم خلقـوا من نور محض لا شوب فيه والنور خير كله لا كـدر فيـه حدثنا عبد ا بن يوسف حدثنا أحمد بن فـتح حـدثنا عبـد الوهاب بن عيسى حدثنا أحمد بن محمد بن علي حدثنا مسلم بن الحجاج عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن عمر عن

الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول ا صلى ا عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف.

قال أبو محمد واحتجت الطائفة الأولى بآيات من القرآن وأخبار وردت ونحن إن شاء ا عز وجل نذكرها ونبين غلطهم فيها بالبراهين الواضحة الضرورية وبا تعالى التوفيق.

الكلام في آدم عليه السلام

قال أبو محمد فمما احتجوا به قول ا عز وجل " وعصى آدم ربه فغوى وقوله تعالى " ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " قال وا فقربها آدم فكان من الظالمين وقد عصى وغوى و قال تعالى " فتاب عليه " والمتاب لا يكون إلا من ذنب و قال تعالى " فأزلهما الشيطان " وإزلال الشيطان معصية وذكروا قول ا تعالى " فَلَما آتَاهما صالِحاً جعلاَ لَه شُركَاء فِيما آتَاهما فَتَعالَى اللّه عما يشْرِكُون " هذا كل ما ذكروا في آدم عليه السلام.

قال أبو محمد وهذا كله بخلاف ما ظنوا أمـا قولـه تعالى وعصى آدم ربه فغوى فقد علمنا أن كل خلاف لأمـر آمر فصورته صورة المعصية فيسمى معصية لذلك وغواية إلا أنه منه ما يكون عن عمد وذكر فهذه معصية على الحقيقة لأن فاعلها قاصد إلى المعصية وهو يدري أنها معصية وهذا هو الذي نزهنا عنه الأنبياء عليهم السلام ومنه ما يكون عن قصد إلى خلاف ما أمر به وهو يتاول في ذلـك الخيـر ولا يدري أنه عاص بذلك بل يظن أنه مطيع تعالى أو أن ذلك مباح له لأنه يتاول أن لأمر الوارد عليه ليس علـى معنـى الإيجاب ولا على التحريم لكن أما على الندب أن كان بلفـظ الأمر أو الكراهية إن كان بلفظ النهي وهذا شيء يقـع فيـه العلماء والفقهاء والأفاضل كثيراً وهذا هو الـذي يقـع مـن الأنبياء عليهم السلام ويؤاخذون به إذا وقع منهم وعلى هـذا السبيل أكل آدم من الشجرة ومعنى قوله تعالى " فتكونا مـن الظالمين " أي ظالمين لأنفسكما والظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فمن وضع الأمر أو النهـي فـي موضـع الندب أو الكراهة فقد وضع الشيء في غير موضعه وهـذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذي يقع بغير قصـد ولـيس

معصية لا الظلم الذي هو القصد إلى المعصية وهو يـدري أنها معصية وبرهان هذا ما قد نصه ا تعـالى مـن أن آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهى ا عز وجل لهما عن أكل الشجرة ليس على التحـريم وإنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلاً بـل يسـتحقان بـذلك الجزاء الحسن وفوز الأبد قال تعالى حاكياً عن إبليس أنـه " فَوسوس لَهما الشيطَان لِيبدِي لَهمـا مـا ووري عنْهمـا مِـن سوءاتِهما وقَالَ ما نَهاكُما ربكُما عن هـذِهِ الشجرةِ إلا أَن تَكُونَا ملَكَين أَو تَكُونَا مِن الْخَالِدِين وقَاسمهما إِني لَكُما لَمِن الناصِحِين فَدلاهما بِغُرورٍ " وقد قال عز وجل " ولقد عهدنا إلى آدم مـن قبل فنسي ولم نجد له عزما ".

قال أبو محمد فلما نسي آدم عليه السلام عهد ا إليه في أن إبليس عدو له أحسن الظن بيمينه.

قال أبو محمد ولا سلامة ولا براءة من القصد إلـى المعصية ولا أبعد من الجراءة على الذنوب أعظم من حـال من ظن أن أحداً لا يحلف حانثاً وهكذا فعل آدم عليه السـلام فإنه إنما أكل من الشجرة التي نهاه ا عنهـا ناسـياً بـنص القرآن ومتأولا وقاصداً إلى الخير لأنه قدر أنه يزداد حظـوة

عند ا تعالى فيكون ملكا مقرباً أو خالداً فيما هو فيـه أبـدا فأداه ذلك إلى خلاف ما أمره ا عز وجل به وكان الواجب أن يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لكـن تـأول وأراد الخير فلم يصبه ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجور ولكن آدم عليه السلام لما فعله ووجد به خراجه عـن الجنة إلى نكد الدنيا كان بذلك ظالماً لنفسه وقد سمى ا عز وجل قاتل الخطأ قاتلاً كما سمى العامد والمخطئ لم يتعمـد كعصية وجعل في الخطأ في ذلك كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين لمن عجز عن الرقبة وهو لم يتعمد ذنباً وأما قوله عز وجل " فَلَما آتَاهما صالِحاً جعلاَ لَه شُركَاء فِيما آتَاهما فَتَعالَى اللّه عما يشْرِكُون " فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومـن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر كفراً مجرداً بلا خلاف من أحد من الأمة ونحن ننكر على من كفر المسلمين العصاة العشارين القتالين والشرط الفاسقين فكيف من كفـر الأنبيـاء عليهم السلام وهذا الذي نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنـه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تـأليف من لا دين له ولا حياء لم يصح سندها قط وإنما نزلت فـي المشركين على ظاهرها وحتى لو صح أنها نزلـت فـي آدم

وهذا لا يصح أصلاً لما كانت فيه للمخالف حجة لأنه كـان يكون الشرك أو الشركاء المذكورون في الآية حينئـذ علـى غير الشرك الذي هو الكفر لكن بمعنى أنهمـا جعـلا مـع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام " يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من ا من شيء إن الحكم إلا عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كـان يغني عنهم من ا من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضـاها وأنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون " فأخبرنا عز وجل أن يعقوب عليه السلام أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة إشفاقاً عليهم أما من إصابة العين وإما مـن تعـرض عدو أو مستريب باجماعهم أو ببعض ما يخوفه عليهم وهـو عليه السلام معترف أن فعله ذلك وأمره إياهم بما أمرهم بـه من ذلك لا يغني عنهم من ا شيئاً يريده عز وجل بهم ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية في يعقوب عليه السلام وفـي سائر الأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى حاكياً عن الرسـل أنهم قال وا " إن نحن إلا بشر مثلكم " حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لحاجة النفس ونزاعها وتوقها إلى سلامة مـن يحب وإن كان ذلك لا يغني شيئاً كما كان عليه السلام يحـب

الفال المحسن فكان يكون على هذا معنى الشرك والشـركاء أن يكون عوذة أو تميمة أو نحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط إلا في الكفار لا في آدم عليه السلام.

الكلام في نوح عليه السلام

قال أبو محمد ذكروا قول ا عز وجل لنوح " فـلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ".

قال أبو محمد وهذا لا حجة لهم فيه لأن نوحاً عليـه السلام تاول وعد ا تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنـه من أهله على ظاهر القرابة وهذا لو فعله أحد لكان مـأجوراً ولم يسأل نوح تخليص من أيقن أنه ليس من أهله فتفرع على ذلك نهى عن أن يكون من الجاهلين فتندم عليه السلام مـن ذلك ونزع وليس هاهنا عند للمعصية البتـة وبـا تعـالى التوفيق.

الكلام في إبراهيم عليه السلام

قال أبو محمد ذكروا ما روى عن رسول ا صـلى ا عليه وسلم من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات وأنه قال إذ نظر في النجوم أني سقيم وبقوله فـي الكوكـب

والشمس والقمر هذا ربي وبقوله في سارة هذه أختي وبقوله في الأصنام إذ كسرها بل فعله كبيرهم هذا وبطلبه إذ طلب رؤية إحياء الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.

قال أبو محمد وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد رب العالمين أما الحديث أنه عليه السلام كذب ثلاث كذبات فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة عز وجل وفرضاً واجباً يعصى من تركه صح أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمنى خيراً وقد أباح عليه السلام كذب الرجل لمرأته فيما يستجلب به مودتها وكذلك الكذب في الحرب وقد أجمع أهل الإسلام على أن إنساناً لو سمع مظلوماً قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصباً فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصداً بذلك السلطان فسأل السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فإنه إن كتم ما سمع وأنكر أن يكون سمعه أو أنه يعرف موضعه أو موضع ماله فإنه محسن مأجور مطيع عز وجل وأنه إن صدق فأخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان

فاسقاً عاصياً عز وجل فاعل كبيرة مذموماً تماماً وقد ابيح الكذب في إظهار الكفر في التقية وكل ما روى عن إبـراهيم عليه السلام في تلك الكذبات فهو داخل في الصفة المحمـودة لا في الكذب الذي نهى عنه وأما قوله عن سارة هي أختـي فصدق هي أخته من وجهين قال ا تعالى " إنما المؤمنـون أخوة " و قال عليه السلام " لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه " والوجه الثاني القرابة وإنها من قومه ومن مستجيبيه قـال عز وجل " وإلى مدين أخاهم شعيباً " فمن عد هذا كذباً مذموماً من إبراهيم عليه السلام فليعده كذباً من ربه عز وجل وهـذا كفر مجرد فصح أنه عليه السلام صادق في قوله سارة أخته وأما قوله " فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم " فليس هـذا كذباً ولسنا ننكر أن تكون النجـوم دلائـل علـى الصـحة والمرض وبعض ما يحدث في العالم كدلالة البرق على نعول البحر وكدلالة الرعد على تولد الكمأة وكتولد المد والجـزر على طلوع القمر وغروبه واعـذاره وارتفاعـه وامتلائـه ونقصه وإنما المنكر قول من قال أن الكواكب هـي الفاعلـة المدبرة لذلك دون ا تعالى أو مشتركة معه فهذا كفـر مـن قائله وأما قوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فإنمـا هـو

تقريع لهم وتوبيخ كما قال تعالى " ذق أنك أنت العزيز الكريم " وهو في الحقيقة مهان ذليل مهين معذب في النـار فكـلا القولين توبيخ لمن قيلا له على ظنهم أن الأصنام تفعل الخير والشر وعلى ظن المعذب في نفسه في الدنيا أنه عزيز كريم ولم يقل إبراهيم هذا على أنه محقـق لأن كبيـرهم فعلـه إذ الكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه قصداً إلى تحقيق ذلك وأما قوله عليه السلام إذ رأى الشمس والقمر هذا ربي ف قال قوم إن إبراهيم عليه السلام قال ذلك محققـاً أول خروجه من الغار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع أن يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا وهو لم ير قط شمساً ولا قمراً ولا كوكباً وقد أكذب ا هذا الظن الكاذب بقوله الصادق " ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين " فمحال أن يكون من اتاه ا رشـده من قبل يدخل في عقله أن الكواكب ربه أو أن الشمس ربـه من أجل أنها أكبر قرصاً من القمر هذا ما لا يظنه إلا مجنون العقل والصحيح من ذلك أنه عليه السلام إنما قال ذلك موبخاً لقومه كما قال لهم نحو ذلك في الكبير من الأصنام ولا فرق لأنهم كانوا على دين الصابئين يعبدون الكواكب ويصـورون

الأصنام على صورها وأسمائها في هياكلهم ويعيـدون لهـا الأعياد ويذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرب والقـرابين والدخن ويقولون أنها تعقل وتدبر وتضر وتنفع ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبـر جرمهـا كما قال تعالى " فاليوم الذين آمنوا مـن الكفـار يضـحكون " فاراهم ضعف عقولهم في تعظيمهم لهذه الأجرام المسـخرة الجمادية وبين لهم أنهم مخطئون وأنها مـدبرة تنتقـل فـي الأماكن ومعاذ ا أن يكون الخليل عليه السلام أشـرك قـط بربه أو شك في أن الفلك بكل ما فيه مخلوق وبرهان قولنـا هذا أن ا تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر ولا عنفه على ذلك بل صدقه تعالى بقوله " وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علـى قومه نرفع درجات من نشاء " فصح أن هذا بخلاف ما وقـع لآدم وغيره بل وافق مراد ا عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل وأما قوله عليه السلام " رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " فلم يقرره ربنا عـز وجل وهو يشك في إيمان إبراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى ا عن ذلك ولكن تقرير الإيمان في قلبه وإن لم

ير كيفية إحياء الموتى فأخبر عليه السلام عن نفسه أنه مؤمن مصدق وإنما أراد أن يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك وما شك إبراهيم عليه السلام في أن ا تعالى يحيي الموتى وإنما أراد أن يرى الهيئة كما أننا لا نشك فـي صـحة وجـود الفيـل والتمساح والكسوف وزيادة النهر والخليفة ثم يرغب من لـم ير ذلك منا في أن يرى كل ذلك ولا يشك في أنه حق ليـرى العجب الذي يتمثله ولم تقع عليه حاسة بصره فقط وأما مـا روى عن النبي صلى ا عليه وسلم نحن أحق بالشك مـن إبراهيم فمن ظن أن النبي صلى ا عليه وسلم شك قط فـي قدرة ربه عز وجل على إحياء الموتى فقد كفر وهذا الحديث حجة لنا على نفي الشك عن إبراهيم أي لو كان الكلام مـن إبراهيم عليه السلام شكاً لكان من لم يشاهد من القـدرة مـا شاهد إبراهيم عليه السلام أحق بالشك فإذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم غير شاك فإبراهيم عليه السـلام أبعد من الشك.

قال أبو محمد ومن نسب هاهنا إلى الخليـل عليـه السلام الشك فقد نسب إليه الكفر ومن كفر نبيـاً فقـد كفـر وأيضاً فإن كان ذلك شكاً من إبراهيم عليه السلام وكنا نحـن

أحق بالشك منه فنحن إذاً شكاك جاحدون كفار وهـذا كـلام نعلم والحمد بطلانه من أنفسنا بل نحن و الحمد مؤمنون مصدقون با تعالى وقدرته على كل شيء يسأل عنه السائل وذكروا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لأنه لم يكن نهى عن ذلك قال تعالى " فلما تبين له أنه عدو تبرأ منه " فاثنى ا تعالى عليه بذلك فصح أن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان مدة حياته راجياً إيمانه فلمـا مات كافراً تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها تـم الكـلام فـي إبراهيم عليه السلام.

قال أبو محمد وذكروا قول ا تعالى في لوط عليـه السلام أنه قال " لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شـديد " فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم رحم ا لوطاً لقد كـان يأوي إلى ركن شديد فظنوا أن هذا القول منه عليـه السـلام إنكار على لوط عليه السلام أيضاً " هؤلاء بناتي هن أطهـر لكم ".

قال أبو محمد وهذا لا حجة لهم فيه أما قولـه عليـه السلام لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد فليس مخالفاً لقول رسول ا صلى ا عليه وسلم رحم ا لوطاً لقد كـان

يأوي إلى ركن شديد بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لأن لوطاً عليه السلام إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة أو عشـيرة أو اتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوي مـن ربه تعالى إلى أمنع قوة وأشد ركن ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى " ولولا دفع ا الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض " فهذا الذي طلب لـوط عليه السلام وقد طلب رسول ا صلى ا عليه وسـلم مـن الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى فكيـف ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السلام تا ما أنكر ذلـك رسول ا صلى ا عليه وسلم وإنما أخبر عليه السـلام أن لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد يعنـي مـن نصـر ا لـه بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك ومن اعتقد أن لوطـاً كـان يعتقد أنه ليس له من ا ركن شديد فقد كفر إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر وهذا أيضاً ظن سخيف إذ من الممتنـع أن يظن برب أراه المعجزات وهو دائباً يدعو إليه هذا الظن وأما قوله عليه السلام هؤلاء بناتي هن فإنمـا أراد التـزويج والوطء في المكان المباح فصح ما قلنا إذ مـن المحـال أن

يدعوهم إلى منكر وهو ينهاهم عن المنكر انقضى الكلام في لوط عليه السلام.

الكلام في أخوة يوسف عليهم السلام

قال أبو محمد واحتجوا بفعل أخوة يوسـف وبـيعهم أخاهم وكذبهم لأبيهم وهذا لا حجة لهم فيه لأن أخوة يوسـف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ولا جاء قط في أنهم أنبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من إجمـاع ولا مـن قول أحد من الصحابة رضي ا عنهم وأما يوسف صلى ا عليه وسلم فرسول ا بنص القرآن قال عز وجل " لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به " إلـى قوله " من بعده رسولا " وأما أخوته فأفعالهم تشهد أنهـم لـم يكونوا متورعين عن العظائم فكيف أن يكونوا أنبياء ولكـن الرسولين أباهم وأخاهم قد استغفر لهم وأسقطا التثريب عنهم وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم أنهم كانوا أنبياء قـول ا تعالى حاكياً عن الرسول أخيهم عليه السلام أنه قال لهم " أنتم شر مكاناً " ولا يجوز البتة أن يقول نبي من الأنبياء نعم ولا لقوم صالحين إذ توقير الأنبياء فرض على جميع النـاس لأن الصالحين ليسوا شراً مكانا وقد عق ابن نوح أباه بـأكثر

مما عق به أخوة يوسف أباهم إلا أن أخوة يوسف لم يكفروا ولا يحل لمسلم أن يدخل في الأنبياء من لم يـأت نـص ولا إجماع أو نقل كافة بصحة نبوته ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبياً وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم فـإن ذكروا في ذلك ما روى عن بعض الصحابة رضي ا عنهم وهو زيد بن أرقم إنما مات إبراهيم بن رسول ا صلى ا عليه وسلم لأنه لا نبي بعد رسول ا صلى ا عليه وسـلم وأولاد الأنبياء أنبياء فهذه غفلة شديدة وزلة عالم من وجـوه أولها أنه دعوى لا دليل على صحتها وثانيها أنه لو كان مـا ذكر لأمكن أن ينبأ إبراهيم في المهد كما نبئ عيسـى عليـه السلام وكما أوتي يحيى الحكم صبيا فعلى هذا القـول لعـل إبراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا من هذا وثالثها أن ولد نوح كان كافراً بنص القرآن عمل عمـلا غير صالح فلو كان أولاد الأنبياء أنبياء لكان هـذا الكـافر المسخوط عليه نبياً وحاشا من هذا ورابعها لو كان ذلـك لوجب ولا بد أن تكون اليهود كلهم أنبياء إلى اليوم بل جميع أهل الأرض أنبياء لأنه يلزم أن يكون الكـل مـن ولـد آدم لصلبه أنبياء لأن أباهم نبي وأولاد أولاده أنبيـاء أيضـاً لأن

آباءهم أنبياء وهم أولاد أنبياء وهكذا أبداً حتى يبلغ الأمر إلينا وفي هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه مـا لا خفاء به وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد ولعل من جهل مرتين يقول عنا هـذا ينكر نبوة أخوة يوسف ويثبت نبوة نبي المجـوس ونبـوة أم موسى وأم عيسى وأم إسحاق عليهم السلام فنحن نقول وبا تعالى التوفيق وبه نعتصم لسنا نقر بنبوة من لم يخبر ا عز وجل بنبوته ولم ينص رسول ا صلى ا عليه وسلم علـى نبوته ولا نقلت الكواف عن أمثالها نقلاً متصـلاً منـه إلينـا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبي صلى ا عليه وسلم بل ندفع نبوة من قام البرهان على بطـلان نبوتـه لأن تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على ا تعـالى لا يقـدم عليه مسلم ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بأن ا تعالى نبأه فأما أم موسى وأم عيسى وأم إسحق فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحي وإلى بعض منهن عن ا عز وجل بالأنباء بما يكون قبل أن يكون وهذه النبوة نفسها التي لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن وأما نبي المجوس فقـد صح أنهم أهل كتاب بأخذ رسول ا صلى ا عليـه وسـلم

الجزية منهم ولم يبح ا تعالى له أخذ الجزية إلا مـن أهـل الكتاب فقد نسب إليه أنه خالف ربه تعالى وأقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فإذ نحن على يقين من أنهم أهـل كتاب فلا سبيل البتة إلى نزول كتاب من عند ا تعالى على غير نبي مرسل بتبليغ ذلك الكتـاب فقـد صـح بالبرهـان الضروري أنهم قد كان لهم نبي مرسل يقيناً بلا شك ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الأنبياء عليهم السـلام وكل ما نقلته كافة على شرط عدم التواطئ فواجب قبوله ولا فرق بين ما نقلته كواف الكافرين أو كواف المسـلمين فيمـا شاهدته حواسهم ومن قال لا أصدق إلا مـا نقلتـه كـواف المسلمين فإنا نسأل بأي شيء صح عنده موت ملوك الـروم ولم يحضرهم مسلم أصلا وإنما نقلته إلينا يهود عن نصارى ومثل هذا كثير فإن كذب هذا غالط نفسه وعقله وكابر حسـه وأيضاً فإن المسلمين إنما علمنا أنهم محقـون لتحقيـق نقـل الكافة لصحة ما بأيديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ولا نعلم بالإسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينة وضرورة العقل وقد أخبر تعالى أن الأولين زبر و قال تعالى " ورسلا

قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " وفـي هذه كفاية وبا تعالى التوفيق.

الكلام في يوسف عليه السلام

وذكروا أيضاً أخذ يوسف عليه السلام أخاه وايحاشه أباه عليه السلام منه وأنه أقام مدة يقدر فيها على أن يعـرف أباه خبره وهو يعلم ما يقاسى به من الوجد عليه فلـم يفعـل وليس بينه وبينه إلا عشر ليال وبإدخاله صواع الملك وعـاء أخيه ولم يعلم بذلك سائر أخوته ثم أمر من هتف أيتها العيـر أنكم لسارقون وهم لم يسرقوا شيئاً وبقول ا تعالى " ولقـد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " وبخدمته لفرعون وبقوله للذي كان معه في السجن " اذكرني عند ربك.

قال أبو محمد وكل هذا لا حجة لهم في شـيء منـه ونحن نبين ذلك بحول ا تعالى وقوته فنقول وبـا تعـالى نتأيد أما أخذه أخاه وايحاشه أباه منه فلا شك فـي أن ذلـك ليرفق بأخيه وليعود أخوته إليه ولعلهم لو مضوا بأخيـه لـم يعودوا إليه وهم في مملكة أخرى وحيث لا طاعة ليوسـف عليه السلام ولا لملك مصر هنالـك وليكـون ذلـك سـبباً لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ولا سبيل إلى أن يظن برسول

ا صلى ا عليه وسلم الذي أوتى العلم والمعرفة بالتأويـل إلا أحسن الوجوه وليس من خالفنا نص بخلاف ما ذكرنا ولا يحل أن يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه فكيـف برسـول ا صلى ا عليه وأما ظنهم أنه أقام مدة يقدر فيها على تعريف أبيه خبره ولم يفعل فهذا جهل شديد ممن ظن هذا لأن يعقوب في أرض كنعان من عمـل فلسـطين فـي قـوم رحـالين خصاصين في لسان آخر وطاعة أخرى ودين آخـر وأمـة أخرى كالذي بيننا اليوم وبين من يضافينا من بلاد النصارى كفاليش وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ولا حي هو أو ميت أكثر من وعد ا تعالى بأن ينبئهم بفعلهم به ولا وجد أحداً يثق به فيرسل إليه للاختلاف الذي ذكرنا وإنما يستسهل هذا اليـوم من يرى أرض الشام ومصر لأمير واحد وملة واحدة ولساناً واحداً وأمة واحدة والطريق سابل والتجار ذاهبون وراجعون والرفاق سائرة ومقبلة والبرد ناهضة وراجعـة فظـن كـل بيضاء شحمة ولم يكن الأمر حينئذ كذلك ولكن كمـا قـدمنا ودليل ذلك أنه حين أمكنه لم يؤخره واستجاب أبـاه وأهلـه أجمعين عند ضرورة الناس إليه وانقيادهم له للجـوع الـذي

كان عم الأرض وامتيارهم من عنده فانتظر وعد ربه تعالى الذي وعده حين ألقوه في الجب فأتوه ضارعين راغبين كما وعده تعالى في رؤياه قبل أن يأتوه ورب رئيس جليل شاهدنا من أبناء البشاكس والافرنج لو قدر على أن يستجاب أبويـه لكان أشد الناس بداراً إلى ذلك ولكن الأمر تعذر عليهم تعذراً أخرجه عن الإمكان إلى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليـه السلام وأما قول يوسف لأخوته أنكم لسارقون وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذي كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم فقد صدق عليه السلام لأنهم سرقوه من أبيه وباعوه ولم يقل عليه السلام أنكم سرقتم الصواع وإنما قال نفقد صواع الملك وهو في ذلك صادق لأنه كان غير واجد له فكان فاقداً له بلا شك وأما خدمته عليه السلام لفرعون فإنما خدمه تقية وفي حـق لاستنقاذ ا تعالى بحسن تـدبيره ولعـل الملـك أو بعـض خواصه قد آمن به إلا أن خدمته له على كل حـال حسـنة وفعل خير وتوصل إلى الاجتماع بأبيه وإلى العدل وإلى حياة النفوس إذ لم يقدر على المغالبة ولا أمكنه غير ذلك ولا مرية في أن ذلك كان مباحاً في شريعة يوسف عليه السلام بخلاف شريعتنا قال ا تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً " وأما

سجود أبويه فلم يكن ذلك محظوراً في شريعتهما بل كان فعلاً حسناً وتحقيق رؤياه الصادق من ا تعالى ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام إلا أن الـذي لا شك فيه أنه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل وإنما كان سـجود كرامة فقط بلا شك وأما قوله عليه السلام للذي كان معه في السجن اذكرني عند ربك فما علمنا الرغبة في الانطلاق من السجن محظورة على أحد وليس في قوله ذلك دليل على أنه أغفل الدعاء إلى ا عز وجل لكنه رغب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه وهـذا فـرض مـن وجهين أحدهما وجوب السعي في كف الظلم عنـه والثـاني دعاؤه إلى الخير والحسنات وأما قوله تعالى " فأنساه الشيطان ذكر ربه " فالضمير الذي في أنساه وهو الهاء راجـع إلـى الفتى الذي كان معه في السجن أي أن الشـيطان أنسـاه أن يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام ويحتمل أيضـاً أن يكـون أنساه الشيطان ذكر ا تعالى ولو ذكر ا عز وجـل لـذكر حاجة يوسف عليه السلام وبرهان ذلك قول ا عز وجل " وادكر بعد أمة " فصح يقيناً أن المذكور بعد أمة هـو الـذي أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تـذكر وحتـى لـو صـح أن

الضمير من أنساه راجع إلى يوسف عليه السلام لما كان في ذلك نقص ولا ذنب إذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الأنبيـاء وأما قوله " همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتأخرين من قال أنه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ومعاذ ا مـن هـذا أن يظن برجل من صالحي المسـلمين أو مسـتوريهم فكيـف برسول ا صلى ا عليه وسلم فإن قيل أن هذا قد روى عن ابن عباس رضي ا عنه من طريق جيدة الإسناد قلنا نعـم ولا حجة في قول أحد إلا فيما صح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم فقط والوهم في تلك الرواية إنما هي بلا شك عمن دون ابن عباس أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك إذ إنما أخذه عمن لا يدري من هو ولا شك في أنه شيء سـمعه فـذكره لأنه رضي ا عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول ا صلى ا عليه وسلم ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علـم له به لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين أما أنه هم بالايقاع بها وضربها كما قال تعالى " وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه " وكما يقول القائل لقد هممت بك لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان أراه ا إياه استغنى به عن ضـربها وعلـم أن

الفرار أجدى عليه وأظهر لبراءته على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بأمر قد من القميص والوجه الثاني أن الكلام عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبراً آخر فقال وهـم بهـا لولا أن رأى برهان ربه وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تأويـل وبهذا نقول حدثنا أحمد بن محمد ابن عبد ا الطلمنكي حدثنا ابن عون ا أنبأنا إبراهيم بن أحمد ابن فراس حدثنا أحمد بن محمد بن سالم النيسابوري أنا إسحق ابن راهوية أنا المومـل بن إسماعيل الحميري حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناتي عن أنس بن مالك رضي ا عنه أن رسول ا صـلى ا عليه وسلم قرأ هذه الآية " ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب " قال رسول ا صلى ا عليه وسلم لما قال هـا يوسـف عليـه السلام قال له جبريل يا يوسف اذكر همك فقال يوسف " وما ابرئ نفسي أن النفس لأمارة بالسوء " فليس في هذا الحـديث على معنى من المعاني تحقيق الهم بالفاحشة ولكنه فيه أنه هم بأمر ما وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض وصح الوجه الأول والثاني معاً إلا أن الهم بالفاحشة باطل مقطوع علـى كل حال وصح أن ذلك الهم ضرب سيدته وهي خيانة لسيده إذ هم بضرب امرأته وبرهان ربه هاهنا هو النبوة وعصـمة

ا عز وجل إياه ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة وهـذا لا شك فيه ولعل من ينسب هذا إلى النبي المقدس يوسف ينـزه نفسه الرذلة عن مثل هذا المقام فيهلك وقد خشى النبي صلى ا عليه وسلم الهلاك على من ظن به ذلك الظـن إذ قـال للأنصاريين حين لقيهما هذه صفية.

قال أبو محمد ومن الباطل الممتنع أن يظن ظـان أن يوسف عليه السلام هم بالزنا وهو يسمع قول ا تعـالى " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء " فنسأل من خالفنـا عـن الهم بالزنا بسوء هو أم غير سوء فلا بد أنه سوء ولو قال أنه ليس بسوء لعاند الإجماع فإذ هو سوء وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهم بيقين وأيضاً فإنها قال ت " ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً " وأنكر هو ذلك فشهد الصادق المصـدق " إن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " فصـح أنها كذبت بنص القرآن وإذ كذبت بنص القرآن فما أراد بها قط سوء فما هم بالزنا قط ولو أراد بها الزنـا لكانـت مـن الصادقين وهذا بين جداً وكذلك قوله تعالى عنه أنه قال " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب

له ربه فصرف عنه كيدهن " فصح عنه أنه قط لم يصب إليها وبا تعالى التوفيق تم الكلام في يوسف عليه السلام.

الكلام في موسى عليه السلام وأمه

قال أبو محمد ذكروا قول ا تعالى " وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا علـى قلبهـا " فمعناه فارغاً من الهم بموسى جملة لأن ا عز وجـل قـد وعدها برده إليها إذ قال لها تعالى " إنا رادوه إليك وجـاعلوه من المرسلين " فمن الباطل المحض أن يكون ا تعالى ضمن لها رده إليها ثم يصبح قلبها مشغولاً لا بالهم بأمره هذا ما لا يظن بذي عقل أصلاً وإنما معنى قوله تعالى إن كادت لتبدي به أي سروراً بما أتاه ا عز وجل من الفضل وقولها لأخته قصيه إنما هو لترى أخته كيفية قدرة ا تعالى في تخليصـه من يدي فرعون عدوه بعد وقوعه فيهما وليتم بها ما وعدها ا تعالى من رده إليها فبعثت أخته لترده بالوحي وذكـروا قول ا تعالى عن موسى عليه السلام فأخذ برأس أخيه يجره إليه " قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي " قال وا وهـذه معصية أن يأخذ بلحية أخيه وشعره وهو نبي مثله وأسن منه ولا ذنب له.

قال أبو محمد وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج علـى وجهين أحدهما أن أخذه برأس أخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له إذ تأخر عن اتباعه إذ رآهم ضلوا ولم يأخذ بشـعر أخيه قط إذ ليس ذلك في الآية أصلاً ومن زاد ذلك فيها فقـد كذب على ا تعالى لكن هارون عليه السلام خشى بادرة من موسى عليه السلام وسطوة إذ رآه قد اشـتد غضـبه فـأراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه وليس في هذه الآيـة مـا يوجب غير ما قلنا ولا أنه مد يده إلى أخيه أصلاً وبا تعالى التوفيق والثاني أن يكون هارون عليه السلام قد يكون استحق في نظر موسى عليه السلام النكير لتأخيره عـن لحاقـه إذ رآهم ضلوا فأخذ برأسه منكراً عليه ولو كان هذا لكان إنمـا فعله مومى عليه السلام غضباً لربه عز وجل وقاصداً بـذلك رضاء ا تعالى ولسنا نبعد هذا من الأنبياء علهـم السـلام وإنما نبعد القصد إلى المعصية وهم يعلمون أنهـا معصـية وهذا هو معنى ما ذكره ا تعالى عن إبراهيم خليله صـلى ا عليه وسلم إذ قال " والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يـوم الدين " وقول ا تعالى لمحمد صلى ا عليه وسلم " ليغفـر لك ا ما تقدم من ذنبك وما تأخر " إنما الخطيئـة المـذكورة

والذنوب المغفورة ما وقع بنسيان أو بقصد إلـى ا تعـالى إرادة الخير فلم يوافق رضا ا عز وجل بذلك فقط وذكـروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام " أقتلـت نفسـاً زكية بغير نفس " فأنكر موسى عليه السلام الشـيء وهـو لا يعلمه وقد كان أخذ عليه العهد أن لا يسأله عن شيء حتـى يحدث له منه ذكراً فهذا أيضاً لا حجة لهم فيه لأن ذلك كـان على سبيل النسيان وقد بين موسى عليه السلام ذلك بقوله " لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً " فرغب إليه أنه لا يؤاخذه بنسيانه ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ما قلنا من أنهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبمـا قصدوا به ا عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد ا عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الأمر وقدر أن الغـلام زكي إذ لم يعلم له ذنباً وكان عند الخضر العلم الجلى بكفـر ذلك الغلام واستحقاقه القتل فقصد موسى عليه السلام لكلامه في ذلك وجه ا تعالى والرحمة وإنكار ما لم يعلـم وجهـه وذكروا قول موسى عليه السلام " فعلتها إذاً وانا من الضالين " فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة فإنه كـان ضـالاً عمـا اهتدى له بعد النبوة وضلال الغيب عن العلـم كمـا تقـول

أضللت بعيري لا ضلال القصد إلى الإثم وهكـذا قـول ا تعالى لنبيه صلى ا عليه وسلم " ووجدك ضالاً فهـدى " أي ضالاً عن المعرفة وبا تعالى التوفيق وذكروا قول ا عـز وجل عن بني إسرائيل " فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا ا جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم " قالوا وموسـى قـد سأل ربه مثل ذلك فقال " رب أرني أنظر إليك قال لن تراني " قال وا فقد سأل موسى عليه السلام أمراً عوقب سائلوه قبله.

قال أبو محمد وهذا لا حجة لهم فيه لأنه خارج على وجهين أحدهما أن موسى عليه السلام سأل ذلك قبل سـؤال بني إسرائيل رؤية ا تعالى وقبل أن يعلم أن سؤال ذلـك لا يجوز فهذا لا مكروه فيه لأنه سأل فضيلة عظيمة أراد بهـا علو المنزلة عند ربه تعالى والثاني أن بني إسرائيل سـألوا ذلك متعنتين وشكاكا في ا عز وجل وموسى سأل ذلك على الوجه الحسن الذي ذكرنا آنفاً.

الكلام على يونس عليه السلام

قال أبو محمد وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول ا تعالى عنه " وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقـدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

الظالمين " وقوله تعالى " فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون " وقوله لنبيه عليه السلام " فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لـولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم " وقوله تعالى " فالتقمه الحوت وهو مليم " قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل ومن أكبر ذنباً ممن ظن أن الله لا يقدر عليه وقد أخبر الله تعالى أن استحق الذم لولا أن تداركه نعمة الله عـز وجل وأنه استحق الملامة وأنه أقر على نفسه أنه كان مـن الظالمين ونهى الله تعالى نبيه أن يكون مثله.

قال أبو محمد هذا كله لا حجة لهم فيه بل هو حجـة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين أمـا أخبـار الله تعالى أن يونس ذهب مغاضباً فلم يغاضب ربه قط ولا قـال الله تعالى أنه غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كـان قـائلاً على الله الكذب وزائداً في القرآن ما ليس فيه هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل أنه يغاضب ربه تعالى فكيف أن يفعل ذلك نبياً من الأنبياء فعلمنا يقيناً أنه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك وأن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا رضاء الله عز

وجل وأما قوله تعالى " فظن أن لن نقدر عليه " فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء أو بضعيف من الرجال إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم ومن المحـال المتيقن أن يكون نبي يظن أن ا تعالى الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى أن آدمياً مثله يقدر عليه ولا شك في أن من نسب هذا للنبي صلى ا عليه وسلم الفاضل فإنه يشـتد غضبه لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه فكيف إلى يونس عليـه السلام الذي يقول فيه رسول ا صلى ا عليـه وسـلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقد بطل ظنهم بلا شك وصـح أن معنى قوله " فظن أن لن نقدر عليه " أي لن نضيق عليـه كما قال تعالى " وَأما إِذَا ما ابتَلَاه فَقَدر علَيهِ رِزقَه " أي ضيق عليه فظن يونس عليه السلام أن ا تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه إذ ظن أنه محسن في فعله ذلك وإنما نهى ا عز وجل لمحمد صلى ا عليه وسلم عن أن يكون كصاحب الحوت فنعم نهاه ا عز وجل عن مغضبته قومـه وأمـره بالصبر على أذاهم وبالمطاولة لهم وأما قول ا تعالى أنـه استحق الذم والملامة لولا النعمة التي تداركه بها للبث معاقباً

في بطن الحوت فهذا نفس ما قلناه مـن ان الأنبيـاء علـيهم السلام يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه مما يظنونـه خيـراً وقربة إلى ا عز وجل إذ لم يوافق مراد ربهم وعلى هـذا الوجه أقر على نفسه بأنه كان من الظالمين والظلـم وضـع الشيء في غير موضعه فلما وضع النبي صـلى ا عليـه وسلم المغاضبة في غير موضعها اعترف في ذلك بالظلم لا على أنه قصده وهو يدري أنه ظلم انقضى الكلام في يـونس عليه السلام وبا تعالى التوفيق.

وذكروا أيضاً قول ا تعالى حاكياً عـن داود عليـه السلام " وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلـوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان " إلى قوله فغفرنا له ذلك.

قال أبو محمد وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزؤن الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بنـي آدم بـلا شـك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية ومن قال أنهـم كـانوا ملائكـة معرضين بأمر النساء فقد كذب على ا عز وجل وقوله مـا

لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب ا عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة لأن ا تعالى يقول " هل أتاك نبأ الخصم " فقال هو لم يكونوا قط خصـمين ولا بغـي بعضهم على بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له أكفلنيها فاعجبوا لـم يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم ونعوذ با من الخذلان ثـم كل ذلك بلا دليل بل الدعوى المجردة وتا أن كل أمرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثـم يعرض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها وعن أن يترك صـلاته لطائر يراه هذه أفعال السفهاء المتكهوكين الفساق المتمـردين لأفعال أهل البر والتقوى فكيف برسول ا داود صـلى ا عليه وسلم الذي أوحي إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامـه لقد نزهه ا عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحـش ببالـه فكيف أن يستضيف إلى أفعاله وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة ا تعالى له فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهـذه الأفعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملـك ولا من نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبي يستغفر ا لمذنبي أهـل الأرض والملائكـة كمـا قـال ا تعـالى "

ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمـة وعلمـا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم " وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام " وظن داود إنما فتنـاه " وقولـه تعالى " فغفرنا له ذلك " فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه ا عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول ا صلى ا عليه وسلم يدعو في أن يثبت ا قلبه على دينه فأستغفر ا تعالى من هذا الظن فغفر ا تعالى له هذا الظن إذ لم يكن ما أتاه ا تعالى من ذلك فتنة.

الكلام في سليمان عليه السلام

وذكروا قول ا عز وجل عن سليمان عليه السلام " ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ".

قال أبو محمد ولا حجة لهم في هذا إذ معنـى قولـه تعالى فتنا سليمان أي أتيناه من الملك ما أختبرنا به طاعتـه كما قال تعالى مصدقاً لموسى عليه السلام في قوله تعالى " إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء " إن من الفتنة من يهدي ا من يشاء و قال تعالى " ألم أحسب النـاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الـذين مـن قبلهم فليعلمن ا الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " فهذه الفتنـة

هي الاختبار حتى يظهر المهتدي من الضال فهذه فتنـة ا
تعالى لسليمان إنما هي اختباره حتى ظهر فضله فقـط ومـا
عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم وأما الجسد
الملقى على كرسيه فقد أصاب ا تعالى به مـا أراد نـؤمن
بهذا كما هو ونقول صدق ا عز وجل كل من عند ا ربنا
ولو جاء نص صحيح في القرآن أو عن رسول ا صلى ا
عليه وسلم بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به فـإذا لـم يـأت
بتفسيره ما هو نص ولا خبر صحيح فلا يحل لأحـد القـول
بالظن الذي هو أكذب الحديث في ذلك فيكون كاذباً علـى ا
عز وجل إلا أننا لا نشك البتة في بطلان قول من قـال أنـه
كان جنيا تصور بصورته بل نقطع على أنه كذب وا تعالى
لا يهتك ستر رسوله صلى ا عليه وسلم هذا الهتك وكـذلك
نبعد قول من قال أنه كان ولداً له أرسله إلى السحاب ليربيـه
فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع
ا عز وجل بنية البشر عليه من اللبن والطعام وهذه كلهـا
خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح اسنادها قط وذكروا أيضاً
قول ا عز وجل عن سليمان عليه السلام " إني أحببت حب
الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفـق

مسحا بالسوق والأعناق " وتأولوا ذلك على ما قد نزه ا عنه من له أدنى مسكة من عقل من أهل زماننا وغيره فكيف بنبي معصوم مفضل في أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة.

قال أبو محمد وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت أفانين من القول والظاهر أنها من اختـراع زنديق بلا شك لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها واتلاف مال منتفع به بلا معنى ونسبة تضييع الصـلاة إلـى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف بنبي مرسل ومعنـى هذه الآية ظاهر بين وهو أنه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشـمس بالحجـاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمـر بردهـا فطفق مسحا بسوقها وأعناقها بيده براً بها وإكراماً لها هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة وكل هذا قد قـال ه ثقات المسلمين فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول ا صلى ا عليه وسلم وذكروا أيضاً الحديث الثابت من قـول رسول ا صلى ا عليه وسلم أن سليمان عليه السلام قـال

لاطوفن الليلة على كذا وكذا امرأة كل امرأة منهن تلد فارساً يقاتل في سبيل ا ولم يقل إن شاء ا .

قال أبو محمد وهذا ما لاحجة لهم فيه فإن من قصـد تكثير المؤمنين المجاهدين في سبيل ا عز وجل فقد أحسـن ولا يجوز أن يظن به أنه يجهل أن ذلك لا يكون إلا أن يشاء ا عز وجل وقد جاء في نص الحديث المذكور أنه إنما ترك إن شاء ا نسياناً فأوخذ بالنسيان في ذلك وقد قصد الخيـر وهذا نص قولنا والحمد رب العالمين تم الكلام في سليمان عليه الصلاة والسلام.

فصل وذكروا قوله تعالى " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ".

قال أبوم محمد وهذا ما لاحجة لهم فيه لأنه ليس في نص الآية ولا عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن هـذا المذكور كان نبياً وقد يكون أنباء ا تعالى لهذا المذكور آياته أنه أرسل إليه رسولاً بآياته كما فعل بفرعون وغيره فأنسلخ منها بالتكذيب فكان من الغاوين وإذا صح أن نبياً يعصى ا عز وجل تعمداً فمن المحال أن يعاقبه ا تعالى على مـا لا يفعل ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبـوة ولا يجـوز أن

يعاقب بذلك نبي البتة لأنه لا يكون منه ما يستحق بـه هـذا العقاب وبا تعالى التوفيق فصح يقيناً أن هذا المنسلخ لم يكن قط نبياً وذكروا قول رسول ا صلى ا عليه وسلم أن مـا من أحد إلا من ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا أو كلاماً هذا معناه.

قال أبو محمد وهذا صحيح وليس خلافاً لقولنا إذ قـد بينا أن الأنبياء عليهم السلام يقع منهم النسيان وقصد الشـيء يظنونه قربة إلى ا تعالى فأخبر عليه السلام أنه لم يـنجح من هذا أحد إلا يحيى ابن زكريا عليهما السلام فيقوم من هذا أن يحيى لم ينس شيئاً واجباً عليه قط ولا فعل إلا ما وافـق فيه مراد ربه عز وجل.

الكلام في محمد صلى ا عليه وسلم

قال أبو محمد وذكروا قول ا تعالى " لولا كتاب من ا سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم " وقوله تعالى " عبس وتولى إن جاءه الأعمى وما يدريك لعلـه يزكـى أو يـذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك إلا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهـى " وبالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السـلام

في والنجم إذا هوى وذكروا تلك الزيادة المفتراة التي تشـبه من وضعها من قولهم وإنها لهي الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجي وذكروا قول ا تعالى " وما أَرسلْنَا مِن قَبلِـك مِـن رسولٍ ولَا نَبِي إِلا إِذَا تَمنى أَلْقَى الشيطَان فِي أُمنِيتِهِ فَينسـخُ الله ما يلْقِي الشيطَان ثُم يحكِم الله آياتِهِ والله علِـيم حكِـيم " وبقوله تعالى " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غـداً إلا أن يشاء ا " وإن الوحي امتسك عنه عليـه السـلام لتركـه الاستثناء إذ سأله اليهود عـن الـروح وعـن ذي القـرنين وأصحاب الكهف وبقوله تعالى " وتخفى في نفسـك مـا ا مبديه وتخشى الناس وا أحق أن تخشاه " وبمـا روى مـن قوله عليه السلام لقد عرض على عذابكم أدنـى مـن هـذه الشجرة إذ قبل الفداء وترك قتل السرى ببدر وبما روى مـن قوله عليه السلام لو نزل عذاب ما نجى منـه إلا عمـر لأن عمر أشار بقتلهم وذكروا أنه عليه السلام مال إلى رأي أبـي بكر في الفدا والاستبقاء وبقوله تعالى " ليغفر لك ا ما تقدم من ذنبك وما تأخر " قال وا فإن لم يكن له ذنب فماذا غفر له وبأي شيء أمتن ا عليه في ذلك وبقوله صـلى ا عليـه وسلم لو دعيت إلى ما دعي إليه يوسف لأجبت فإنما هـذا إذ

دعي إلى الخروج من السجن فلم يجب إلى الخروج حتى قال للرسول " ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم " فأمسك عـن الخـروج مـن السجن وقد دعي إلى الخروج عنه حتـى اعتـرف النسـوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك ما كان شك فيه فـأخبر محمـد صلى ا عليه وسلم أنه لو دعي إلى الخروج مـن السـجن لأجاب وهذا التفسير منصوص في الحديث نفسه كما ذكرنـا من كلامه عليه السلام لو لبث في السجن ما لبث يوسف عليه السلام ثم دعيت لأجبت الداعي أو كلاماً هذا معناه وأما قول ا عز وجل " ليغفر اك ا ما تقدم من ذنبك وما تأخر " فقد بينا أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام ليست إلا ما وقع بنسـيان أو بقصد إلى ما يظنون خيراً مما لا يوافقون مراد ا تعالى منهم فهذان الوجهان هما اللذان غفر ا عز وجل له وأمـا قوله " لولاَ كِتَاب من اللّهِ سبقَ لَمسكُم فِيما أَخَذْتُم عذَاب عظِيم " فإنما الخطاب في ذلك للمسلمين لا ارسـول ا صـلى ا عليه وسلم وإنما كان ذلك إذ تنازعوا في غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المتشتتين عليه يبين ذلك قوله تعالى " يسألونك عـن الأنفال قل الأنفال والرسول فاتقوا ا وأصلحوا ذات بينكم

" وقوله تعالى في هذه السورة نفسها النازلة في هذا المعنى " يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون " وقوله تعالى قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذي احتج به من خالفنا " تريدون عرض الدنيا وا يريد الآخرة " فهذا نص القرآن وقد رد ا عز وجل الأمر في الأنفال المأخوذة يومئذ إلى رسول ا صلى ا عليـه وسـلم وأمـا الخبـر المذكور الذي فيه لقد عرض على عذابكم أدنـى مـن هـذه الشجرة ولو نزل عذاب ما نجى منه إلا عمر فهذا خبـر لا يصح لأن المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمـامي وهـو ممن قد صح عليه وضع الحديث أو سوء الحفـظ أو الخطـأ الذي لا يجوز معهما الرواية عنه ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من انه قصد الخير بذلك وأما قوله تعـالى " عـبس وتولى " الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش ورجا إسلامه وعلم عليه السلام أنه لو أسـلم لأسلم بإسلامه ناس كثير وأظهر الدين وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضـر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته وهذا غاية النظر للدين والاجتهـاد فـي

نصرة القرآن في ظاهر الأمر ونهاية التقرب إلى ا الذي لو فعله اليوم منا فاعل لأجر فعاتبه ا عز وجل على ذلـك إذ كان الأولى عند ا تعالى أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقي وهذا نفس ما قلناه وكما سهى عليه السـلام مـن اثنتين ومن ثلاث وقام من اثنتين ولا سبيل إلى أن يفعل مـن ذلك شيئاً تعمداً أصلاً نعم ولا يفعل ذلك تعمداً إنساناً منا فيه خير وأما الحديث الذي فيه وأنهـن الغرانيـق العلـى وإن شفاعتها لترتجى فكذب بحت موضوع لأنه لم يصح قط مـن طريق النقل ولا معنى للاشتغال به إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد وأما قوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسـول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ ا مـا يلقي الشيطان " الآية فلا حجة لهم فيها لأن الأماني الواقعـة في النفس لا معنى لها وقد تمنى النبي صلى ا عليه وسـلم إسلام عمه أبي طالب ولم يرد ا عز وجل كون ذلك فهـذه الأماني التي ذكرها ا عز وجل لا سـواها وحاشـا أن يتمنى نبي معصية وبا تعالى التوفيق وهذا الذي قلنـا هـو ظاهر الآية دون مزيد تكلف ولا يحل خـلاف الظـاهر إلا بظاهر آخر وبا تعالى التوفيق وأما قوله " ولا تقولن لشيء

إنني فاعل ذلك غداً إلا إن يشاء ا واذكر ربك إذا نسـيت "
فقد كفى ا عز وجل الكلام في ذلك ببيانه في أخر الآية أن
ذلك كان نسياناً فعوتب عليه السلام في ذلك وأما قوله تعالى "
وتخفي في نفسك ما ا مبديه وتخشى الناس وا أحـق أن
تخشاه " فقد انفنا من ذلك إذ لم يكن فيه معصية أصـلاً ولا
خلاف فيما أمره ا تعالى به وأن ما كان أراده زواج مبـاح
له فعله ومباح له تركه ومباح له طيه ومباح له إظهاره وإنما
خشى النبي صلى ا عليه وسلم الناس في ذلـك خـوف أن
يقولوا قولاً ويظنوا ظناً فيهلكوا كمـا قـال عليـه السـلام
للأنصاريين إنها صفية فاستعظما ذلك فأخبرهما النبي صـلى
ا عليه وسلم أنه إنما أخشى أن يلقي الشيطان في قلوبهمـا
شيئاً وهذا الذي خشيه عليه السلام على الناس مـن هـلاك
أديانهم بظن يظنونه به عليه السلام هو الذي يحققـه هـؤلاء
المخذولون المخالفون لنا في هذا الباب من نسبتهم إلى النبي
صلى ا عليه وسلم تعمد المعاصي فهلكت أديانهم وضـلوا
ونعوذ با من الخذلان وكان مراد ا عز وجل أن يبدي ما
في نفسه لما كان سلف في علمه من السعادة لأمنـا زينـب
رضي ا عنها.

قال أبو محمد فإن قال قائل أنكم تحتجون كثيراً بقول ا عز وجل " وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى " وبقوله " فَلاَ وربك لاَ يؤْمِنُون حتى يحكموك فِيما شَجر بينَهم ثُم لاَ يجِدواْ فِي أَنفُسِهم حرجا مما قَضيتَ ويسلمواْ تَسـلِيما " وبقوله تعالى " لقد كان لكم في رسول ا أسوة حسنة لمـن كان يرجو ا واليوم الآخر وذكر ا كثيراً " وبقوله عليـه السلام إني لأتقاكم وأعلمكم بما آتي وآذر وتقولـون مـن أجل هذه النصوص إن كل قول قال ه عليه السلام فبوحي من ا قال ه وكل عمل عمله فبإذن من ا تعالى ورضي منـه عمله فأخبرونا عن سلامه صلى ا عليه وسلم من ركعتـين ومن ثلاث وقيامه من اثنتين وصلاته الظهر خمساً وإخبـاره بأنه يحكم بالحق في الظاهر لمن لا يحل له أخذه ممن يعلـم أنه في باطن الأمر بخلاف ما حكم له به من ذلك أو بـوحي من ا تعالى وبرضاه فعل كل ذلك أم كيف تقولـون وهـل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلـك وهمـا يعلمان أن الأمر بخلاف ذلك أم لا.

قال أبو محمد فجوابنا وبا تعالى التوفيق أن كل ما ذكر هاهنا فبوحي من ا تعالى فعله وكل من قدر ولم يشك

في أنه قد أتم صلاته فا تعالى أمره بأن يسلم فإذا علم بعـد ذلك أنه سهى فقد لزمته شريعة الاتمام وسجود السهو برهان ذلك أنه لو تمادى ولم يسلم قاصداً إلى الزيادة فـي صـلاته على تقديره أنه قد أتمها لبطلت صلاته كلها بلا شك باطنـاً وظاهراً ولاستحق اسم الفسق والمعصية وكذلك من قدر أنـه لم يصل إلا ركعة واحدة وأنه لم يتم صلاته فـإن ا أمـره بالزيادة في صلاته يقيناً حتى لا يشك في الإتمام وبأن يقـوم إلى ثانية عنده فمتى علم بأن الأمر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو وبرهان ذلك أنه لـو قعد من واحدة عنده متعمداً مستهزئاً أو سلم من ثلاث عنـده متعمداً لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصـية لأنه فعل خلاف ما أمره ا تعالى به وكذلك أمره ا وأمرنا بالحكم بالبينة العدلة عندنا وباليمين من المنكر وباقرار المقر وإن كانت البينة عامدة للكذب في غير علمنا وكانت اليمـين والإقرار كاذبين في الباطن وافترض ا علينا بـذلك سـفك الدماء التي لو علمنا الباطن لحرمن علينا وهكذا في الفـروج والأموال برهان ذلك أن حاكماً لو شهد عنده بينة عدل عنده فلم يقض بها وقضى باليمين على المنكر الذي لا بينة عليـه

فحاف ثم قضى عليه لكان القاضي فاسقاً بلا خلاف عاصـياً
عز وجل لخلافه ما أمره ا سبحانه وتعالى به وإن وافق
حقاً لم يكن علم به وفرض على المحكوم عليه والمحكوم لـه
أن يرضيا بالحكم بالبينة واليمين وأن يصيرا في أنفسهما إلى
حقيقة علمهما في أخذ الحق وإعطائه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد وذكروا قـول ا تعـالى " حتـى إذا
استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا " بتخفيف
الذال وليس هذا على ما ظنه الجهال وإنما معناه أن الرسـل
عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر مـن قـومهم أنهـم
كذبوهم فيما وعدهم من نصرهم ومن المحال البين أن يدخل
في عقل من له أدنى رمق أن ا تعالى يكذب فكيف بصفوة
ا تعالى من خلقه وأتمهم علما وأعرفهم با عز وجل ومن
نسب هذا إلى نبي فقد نسب إليه الكفر ومن أجار إلـى نبـي
الكفر فهو المرتد بلا شك والذي قلنا هو ظاهر الآية ولـيس
فيها أن ا تعالى كذبهم حاشا من هذا وذكروا أيضاً قول
ا تعالى " فَإِن كُنتَ فِي شَكٍ مما أَنزلْنَا إِلَيك فَاسـأَل الـذِين
يقْرؤُون الْكِتَاب مِن قَبلِك لَقَد جاءك الْحق مِن ربك فَلاَ تَكُونَن
مِن الْممتَرِين قال أبو محمد إنما عهدنا هذا الاعتراض مـن

أهل الكتاب وغيرهم وأما من يدعى أنه مسلم فلا ولا يمكـن البتة أن يكون مسلم يظن أن رسول ا صلى ا عليه السلام كان شاكا في صحة الوحي إليه ولنا في هذه الآيـة رسـالة مشهودة وجملة حل هذا الشك إن في هذه الآيـة المـذكورة بمعنى ما التي للجحد بمعنى " وما كنت في شك مما أنزلنـا إليك " ثم أمره أن يسأل أهل الكتاب تقريراً لهم علـى أنهـم يعلمون أنه نبي مرسل مذكور عندهم في التوراة والانجيـل وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه وبيناه وأرينا أنه موافق لقولنا ولا يشهد شيء منه لقـول مخالفنـا وبا التوفيق ونحن الآن نأخذ بحول ا وقوته في الإتيـان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا وبطلان قول مخالفنا قال ا تعالى " وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامةما كَانَ لِبشَرٍ أَن يؤْتِيه اللّه الْكِتَاب والْحكْـم والنبوةَ ثُم يقُولَ لِلناسِ كُونُواْ عِبادا لي مِن دون اللّهِ ولَـكِن كُونُواْ ربانِيين بِما كُنتُم تُعلمون الْكِتَاب وبِما كُنتُم تَدرسـون "/C_QURAN> فوجدنا ا تعالى وهو أصدق القائلين قـد نفى عن الأنبياء عليهم السلام الغلول والكفر ولا خلاف بـين

أحد من الأمة في أن حكم الغلول كحكم سائر الذنوب قد صح الإجماع بذلك وأن من جوز على الأنبياء عليهم السلام شـيئاً من تعمد الذنب جوز عليهم الغلول ومن نفى عـنهم الغلـول نفى عنهم سائر الذنوب وقد صح نفي الغلول عنهم بكلام ا تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الإجماع علـى أنها سواء الغلول و قال عز وجل " أم حسب الذين اجترحوا السيئآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصـالحات سـواء محياهم ومماتهم سآء ما يحكمون ".

قال أبو محمد فلا يخلو مخالفنا الذي يجيز أن يكـون الأنبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئآت من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أن يقول في سائر الناس من لـم يعـص ولا اجترح سيئة قيل له فمن هؤلاء الذين نفي ا عنهم أن يكون الذين اجترحوا السيئآت مثلهم إذ كانوا غير موجـودين فـي العالم فلا بد من أن يجعل كلام ا عز وجل هذا فارغـاً لا معنى له وهذا كفر من قائله أو يقول هم الملائكة فـإن قـال ذلك رد قوله هذا قول ا تعالى في الآيـة نفسـها " سـواء محياهم ومماتهم سآء ما يحكمون " ولا نص ولا إجماع على أن الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به بـل البرهـان

موجب أن لا يموتوا لأن الجنة دار لا موت فيها والملائكـة سكان الجنان فيها خلقوا وفيها يخلدون أبداً وكـذلك الحـور العين وأيضاً فإن الموت إنما هو فراق النفس للجسد المراكب وقد نص رسول ا صلى ا عليه وسلم على أن الملائكـة خلقوا من نور فليس فيهم شيء يفارق شيئاً فيسمى موتاً فـإن اعترض معترض بقوله " كل نفس ذائقة الموت " لزمـه أن حمل هذه الآية على عمومها أن الحور العين يمتن فيجعـل الجنة دار موت وقد أبعدها ا تعالى عنه قال ا تعـالى " وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون " فعلمنا بهذا النص أن قوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت " إنما عنى بـه من كان في غير الجنة من الجن والأنس وسـائر الحيـوان المركب الذي يفارق روحه جسده وبا تعالى التوفيق ويـرد أيضاً قوله أن قال بهذا رسول ا صلى ا عليه وسلم ما من أحد إلا وقد ألم أو كاد إلا يحيى بن زكريا أو يقول إن فـي الناس من لم يجترح سيئة قط وإن من اجتـرح السـيئات لا يساويهم كما قال هز وجل فإن قال ذلك فإن الأنبياء علـيهم السلام عنده يجترحون السيئات وفي سـائر النـاس مـن لا يجترحها فوجب أن يكون في الناس من هـو أفضـل مـن

الأنبياء عليهم السلام وهذا كفر وما قدرنا أن أحداً ممن ينتمي إلى أهل الإسلام ولا إلى أهل الكتاب ينطلق لسانه بهذا حتى رأينا المعروف بابن الباقلاني فيما ذكر عنـه صـاحبه أبـو جعفر السمناني قاضي الموصل أنه قد يكون في الناس بعـد النبي صلى ا عليه وسلم من هو أفضل من النبي صلى ا عليه وسلم من حين يبعث إلى حين يموت فاسـتعظمنا ذلـك وهذا شرك مجرد وقدح في النبوة لا خفاء به وقد كنا نسـمع عن قوم من الصوفية أنهم يقولون أن الولي أفضل من النبي وكنا لا نحقق هذا على أحد يدين بدين الإسلام إلى أن وجدنا هذا الكلام كما أوردنا فنعوذ با من الارتداد.

قال أبو محمد ولو أن هذا الضال المضل يدري مـا معنى لفظة أفضل ويدري فضيلة النبوة لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا التكذيب للنبي صلى ا عليه وسلم إذ يقول أنـي لأتقاكم وإني لست كهيئتكم وإني لست مثلكم فإذ قد صـح بالنص أن في الناس من لم يجترح السيئة وإن مـن اجتـرح السيئآت لا يساويهم عند ا عز وجل فالأنبياء عليهم السـلام أحق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلا خلاف من أحد من أهـل الإسلام بقول ا عز وجل " ا يصطفي من الملائكة رسلا

ومن الناس " فأخبر تعالى أن الرسل صفوته من خلقه وقـد اعترض علينا بعض المخالفين بأن قال فما تقول فيمن بلـغ فآمن وذكر ا مرات ومات أثر ذلك أو في كافر أسلم وقاتل مجاهداً وقتل فجوابنا وبا التوفيق أن نقول أما مـن كـان كافراً ثم أسلم فقد اجترح من السيئآت بكفره ما هو أعظم من السموات والأرض وإن كان قد غفر له بإيمانـه ولكـن قـد حصل بلا شك من جملة من قد اجترح السيئآت وأما من بلغ فآمن وذكر ا تعالى ثم مات فقد كان هذا ممكنا في طبيعـة العالم وفي بنيته لولا قول ا عز وجل " أم حسـب الـذين اجترحوا السيئآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون " فإن ا تعالى قطع قطعاً لا يرده إلا كافر بأنه لا يجعل من اجتراح السيئآت كمن لم يجترحها ونحن نوقن أن الصحابة رضي ا عنهم وهـم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ليس منهم أحد إلا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا أن يكون من أسلم أثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضي ا عنهم وهذا خلاف قول النبي صلى ا عليه وسلم أنه لو كان لأحدنا مثل أحد ذهبـا فأنفقه لم يبلغ مد أحدهم ولا نصفه فإذ هذا كما قلنا فقـول ا

عز وجل وقول رسوله صلى ا عليه وسلم أحق بالتصـديق لا سيما مع قوله عليه السلام ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا فنحن نقطع قطعاً بما ذكرنا أنه لا سـبيل إلى أن يبلغ أحد حد التكليف إلا ولا بد له مـن أن يجتـرح سيئآت ا أعلم بها وبا التوفيق.

قال أبو محمد ومن البرهان على أنه لم يكن البتة أن يعصي نبي قوله صلى ا عليه وسلم ما كان لنبي أن تكون له خائنة إلا عين لما قال له الأنصاري هلا أو مأت إلى فـي قصة عبد ا بن سعد بن أبي سرح فنفي عليه السلام عـن جميع الأنبياء عليهم السلام أن تكون لهم خائنة إلا عين وهو أخف ما يكون من الذنوب ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل في هذا جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سرها وجهرها.

قال أبو محمد وأيضاً فإننا منـدوبون إلـى الإقتـداء بالأنبياء عليهم السلام وإلى الإيتساء بهم في أفعالهم كلها قال ا تعالى " لقد كان لكم في رسول ا أسوة حسنة لمن كـان يرجو ا واليوم الآخر " و قال تعالى " أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَـدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْـرَى لِلْعَالَمِينَ " فصح يقيناً أنه لو جاز أن يقع من أحد من الأنبياء

عليهم السلام ذنب تعمد صغيراً وكبيراً كان ا عز وجل قد حضنا على المعاصي وندبنا إلى الذنوب وهذا كفـر مجـرد ممن أجازه فقد صح يقيناً أن جميـع أفعـال الأنبيـاء التـي يقصدونها خير وحق.

قال أبو محمد وأيضاً فقد صح عن النبي صـلى ا عليه وسلم عظيم إنكاره على ذي الخويصرة لعنه ا ولعـن أمثاله إذ قال الكافر اعدل يا محمد إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه ا ف قال له رسول ا صلى ا عليه وسلم ويحك من يعدل إذا أنا لم أعدل ايأمنيني ا ولا تأمنوني وقولـه عليـه السلام لأم سلمة أم المؤمنين إذ سألته عن الذي قبل امرأتـه في رمضان إلا أخبرتها أني فعلت ذلك وغضب عليه السلام إذ قال له لست مثلنا قد غفر ا لك ما تقدم من ذنبـك ومـا تأخر فأنكر عليه السلام إذ جعل له ذنباً بعمد وإن صـغر و قال عليه السلام إني وا لأعلمكم با وأتقاكم أو كلامـاً هذا معناه فإن قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السـهو بدليل الندب إلى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا وبا تعـالى التوفيق إنكار ما ثبت كإجازة ما لم يثبت سـواء ولا فـرق والسهو منهم قد ثبت بيقين وأيضاً فإن ندب ا تعالى لنا إلى

الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم لأن الايتساء بالسهو لا يمكن إلا بسهو منا ومن المحال أن نندب إلى السهو أو نكلف السهو لأننا لو قصدنا إليه لم يكن حينئذ سهواً ولا يجوز أيضاً أن ننهي عن السهو لأن الانتهاء عن السهو ليس في بنيتنا ولا في وسعنا وقد قال تعالى " لا يكلف ا نفساً إلا وسعها " ونقول أيضاً إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ سها وأيضاً فإن ا تعالى لا يقر الأنبياء عليهم السلام على السهو بل ينبههم في الوقت ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا في الدين وهذا تكذيب عز وجل إذ يقول تعالى " تبياناً لكل شيء " وإذ يقول " اليوم أكملت لكم دينكم " وقوله تعالى " وقد فصل لكم ما حرم عليكم ".

قال أبو محمد فسقط قول من نسب إلى الأنبياء عليهم السلام شيئاً من الذنوب بالعمد صغيرها وكبيرها إذا لم يبق لهم شبهة يموهون بها أصلاً وإذ قد قامت البراهين على بطلانها ولحقوا بذي الخويصرة.

قال أبو محمد ولو جاز من الأنبياء عليهم السلام شيء من المعاصي وقد ندبنا إلى الايتساء بهم وبأفعالهم لكنا

قد أبيحت لنا المعاصي وكنا لا ندري لعل جميع دينا ضلال وكفر ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ولقد قلت يومـاً لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد ألـيس مـن الصغائر تقبيل المرأة الأجنبية وقرصها ف قال نعـم قلـت تجوز أنه يظن بالنبي صلى ا عليه وسلم أنه يقبـل امـرأة غيره متعمداً ف قال معاذ ا من هذا ورجع إلى الحق مـن حينه والحمد رب العالمين.

قال أبوم محمد قال ا تعالى " إنا فتحنا لـك فتحـاً مبيناً ليغفر لك ا ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويـتم نعمتـه عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ".

قال أبو محمد ومن الباطل المحال أن يتم ا نعمتـه على عبد ويعصى ا بما كبر وما صغر إذ لو كان ذلك لما كانت نعمة ا تعالى عليه تامة بل ناقصـة إذ خذلـه فيمـا عصى فيه و قال تعالى " إِنا أَرسلْنَاك شَاهِدا ومبشرا ونَـذِيرا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ ورسولِهِ وتُعزروه وتُـوقروه وتُسـبحوه بكْـرةً وأَصِيلًا " و قال ا تعالى " لاَ تَعتَذِرواْ قَد كَفَرتُم بعد إِيمـانِكُم إِن نعفُ عن طَآئِفَةٍ منكُم نُعذب طَآئِفَةً بِأَنهم كَانُواْ مجرِمِين ".

قال أبو محمد وما وقر رسول ا صـلى ا عليـه وسلم ولقد بلغ الغاية القصوى في الاستهزاء برسل ا صلى ا عليهم وسلم من جوز أن يكونوا سـراقا زنـاة ولاطـة وبغائين ووا ما نعلم كفراً أعظم من هذا ولا استهزاء بـا تعالى وبرسله وبالدين أعظم من كفر أهل هذه الم قال ة وليت شعري ما الذي أمنهم من كذبهم في البليغ لأنا لا ندري لعلهم بلغوا إلينا الكذب عن ا تعالى.

قال أبو محمد فنقول لهم ولعل أفعاله التي نأتى بهـا تبديل للدين ومعاص عز وجل ولا فرق.

قال أبو محمد وما نعلم أهل فرية أشد سعياً في إفساد الإسلام وكيده من الرافضة وأهل هذه الم قال ة فـإن كلتـا الطائفتين الملعونتين أجازتا تبديل الدين وتحريفه وصـرحت هذه الفئة مع ما أطلقت على الأنبياء من المعاصي بـأن ا تعالى إنما تعبدنا في دينه بغالب ظنوننا وأنه لا حكـم ا إلا ما غلب عليه ظن المرء منا وإن كان مختلفاً متناقضـاً ومـا نمتري في أنهم ساعون في إفساد أغمار المسلمين المحسنين بهم الظن نعوذ با من الضلال.

قال أبو محمد فإن قائل قائل إنكم تقولون أن الأنبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو والقصد إلى الخير إذا لم يوافق مراد ا تعالى فهـلا أوخـذ رسـول ا صلى ا عليه وسلم بسهوه في الصلاة قلنا له وبا تعـالى التوفيق قد غفر ا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام وهكـذا نـص عليه السلام في حديث الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبي إلى نبي فكل ذكر خطيئة أو سكت فلما ذكـروا النبـي صلى ا عليه وسلم قال قائلهم عبد غفر ا له ما تقدم مـن ذنبه وما تأخر فبطل أن يؤاخذ بما غفره ا وبـا تعـالى التوفيق.

قال أبو محمد فإن قال قائل أيجوز أن يكون نبي من الأنبياء عليهم السلام يأتي معصية قبل أن يتنبأ قلنا لا يخلـو من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أن يكون متعبداً بشريعة نبي أتى قبله كما كان عيسى عليه السلام وإما أن يكون قد نشـأ في قوم درست شريعتهم ودثرت ونسيت كما في بعثة محمد صلى ا عليه وسلم في قوم قد نسـوا شـريعة إسـماعيل وإبراهيم عليهما السلام قال تعالى " ووجدك ضالا فهدى " و

قال تعالى " لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم " فإن كان النبي متعبداً بشريعة ما فقد أبطلنا آنفاً أن يكون نبي يعصى ربـه أصـلاً وإن كان نشأ في قوم دثرت شريعتهم فهو غيـر متعبـد ولا مأمور بما لم يأته أمر ا تعالى به فليس عاصياً تعالى في شيء يفعله أو يتركه إلا أننا ندري أن ا عز وجل قد طهر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به لأن العيـب أذى وقـد حرم ا عز وجل أن يؤذى رسوله قال تعـالى " إن الـذين يؤذون ا ورسوله لعنهم ا في الدنيا والآخرة وأعـد لهـم عذاباً مهينا ".

قال أبو محمد فبيقين ندري أن ا تعالى صان أنبياءه عن أن يكونوا لبغية أو من أولاد بغى أو من بغايا بل بعـثهم ا تعالى في حسب قومهم فإذ لا شك في هذا فبيقين نـدري أن ا تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون بـه بعـد النبوة فدخل في ذلك السـرقة والعـدوان والقسـوة والزنـا واللياطة والبغي وأذى الناس في حريمهم وأموالهم وأنفسـهم وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره وقد صح عن النبي صلى ا عليه وسلم في هذا ما حدثناه أحمـد بـن محمد الطلمنكي أنا ابن فرج انا إبراهيم بن أحمد بن فـراس

أنبأنا أحمد بن محمد بن سالم النيسابوري انـا إسـحاق بـن راهويه انا وهب بن جرير بن حازم انا أبي أنبأنا محمد بـن إسحاق حدثني محمد بن عبد ا بن قيس بن مخرمـة عـن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب قال سمعت رسـول ا صلى ا عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما كان أهـل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني ا منها قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لها ترعى أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم فلما خرجت فجئت أدني دار مـن دور مكـة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت ما هذا قال وا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بـذلك الغنـاء وبـذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما أيقظنـي إلا مـس الشـمس فرجعت إلى صاحبي ف قال لي ما فعلت فأخبرته ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ما قيل لي فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عينـي فمـا أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي ف قال لي مـا فعلت قلت ما فعلت شيئاً فو ا ما هممت بعدها بسوء ممـا يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني ا بنبوته.

قال أبو محمد فصح أنه عليه السلام لم يعـص قـط بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا بعـدها ولا هـم قـط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ولا بعدها إلا مرتين بالسمر حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد والهـم حينئذ بالسمر ليس هماً بزنا ولكنه بما يحذوا إليه طبع البرية من استحسان منظر حسن فقط وبا تعالى التوفيق تم الكلام في الأنبياء عليهم السلام.

قال أبو محمد قد ذكرنا قبل أمر هاروت ومـاروت وتزيدها هنا بيناً في ذلك وبا تعالى التوفيق إن قوماً نسـبوا إلى ا تعالى ما لم يأت به قط أثر يجب أن يشتغل به وإنما هو كذب مفترى من أنه تعالى أنزل إلى الأرض ملكين وهما هاروت وماروت وأنهما عصيا ا تعـالى وشـربا الخمـر وحكما بالزور وقتلا النفس وزنيا وعلمـا زانيـة اسـم ا الأعظم فطارت به إلى السماء فمسخت كوكباً وهي الزهـرة وأنهما عذبا في غار ببابل وأنهما يعلمـان النـاس السـحر وحجتهم على ما في هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة ي قال له النخعى ومرة ي قال له الحنفي ما نعلم له رواية إلا هذه الكذبة ولـيس أيضـاً عـن

رسول ا صلى ا عليه وسلم ولكنه أوقفها على علي بـن أبي طالب رضي ا عنه وكذبة أخرى في أن حـد الخمـر ليس سنة رسول ا صلى ا عليه وسلم وإنما هـو شـيء فعلوه وحاشا لهم رضي ا عنهم من هذا.

قال أبو محمد ومن البرهان على بطلان هذا كله قول ا تعالى " الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه تنزيل من حكيم حميد لو ما تَأْتِينَا بِالْملائِكَـةِ إِن كُنـتَ مِـن الصادِقِين ما نُنَزِلُ الْملائِكَةَ إِلا بِالحق وما كَانُواْ إِذًا منظَرِين " فقطع ا عز وجل أن الملائكة لا تنزل إلا بـالحق ولـيس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمـة ولا تعلـيم العواهر أسماءه عز وجل التي يرتفع بها إلـى السـماء ولا السحر من الحق بل كل ذلك من الباطـل ونحـن نشـهد أن الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل وإذا لم تنزل به فقد بطل أن تفعله لأنها لـو فعلتـه فـي الأرض لنزلت به وهذا باطل وشهد عز وجل أنه لـو أنـزل علينـا الملائكة لما نظرنا فصح أنه لم ينزل قط ملك ظاهر إلا النبي بالوحي فقط وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد وكذلك قوله تعالى " ولو جعلناه ملكـا لجعلناه رجلا " فأبطل عز وجل أنه يمكن ظهور ملـك إلـى الناس و قال تعالى " ولو أنزلنا ملكا لقضـي الأمـر ثـم لا ينظرون " فكذب ا عز وجل كل من قال أن ملكا نزل قـط من السماء ظاهراً إلا إلى الأنبياء بالحق من عنـد ا عـز وجل فقط و قال عز وجل " وقَالَ الذِين لَا يرجون لِقَاءنَا لَولَا أُنزِلَ علَينَا الْملَائِكَةُ أَو نَرى ربنَا لَقَدِ استَكْبروا فِـي أَنفُسِـهِم وعتَو عتُوا كَبِيرا " الآية فرفع ا تعالى الأشكال بهذا النص في هذه المسألة وقرن عز وجل نزول الملائكة فـي الـدنيا برؤيته عز وجل فيها فصح ضرورة أن نزولهم في الدنيا إلى غير الأنبياء ممتنع البتة لا يجوز وأن من قال ذلك فقد قـال حجراً محجوراً أي ممتنعاً وظهر بها كذب مـن ادعـى أن ملكين نزلا إلى الناس فعلماهم السحر وقد استعظم ا عـز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة إلـى النـاس وسمى هذا الفعل استكباراً وعتواً وأخبر عز وجـل أننـا لا نرى الملائكة أبداً إلى يوم القيامة فقط وأنه لا بشرى يومئـذ للمجرمين فإذ لا شك في هذا كله فقد علمنا ضرورة أنـه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قـدمنا قبـل إمـا أن

هاروت وماروت لم يكونا ملكين وأن ما في قوله " وما أنزل على الملكين " نفى لأن ينزل على الملكين ويكون هـاروت وماروت حينئذٍ بدلاً من الشياطين كأنه قال ولكن الشـياطين هاروت وماروت ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا يعلمان الناس السحر وقد روينا هذا القـول عـن خالد ابن أبي عمران وغيره وروي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقـول أن هـاروت وماروت علجان من أهل بابل إلا أن الذي لا شك فيه علـى هذا القول أنهما لم يكونا ملكين وقد اعترض بعض الجهـال ف قال لي أبلغ من رفق الشيطان أن يقول للذي يتعلم السحر لا تكفر فقلت له هذا الاعتراض يبطل مـن ثـلاث جهـات أحدهما أن نقول لك وما المانع من أن يقول الشيطان ذلك أما سخرياً وأما لما شاء ا فلا سبيل لك إلى دليل مانع من هذا والثاني أنه قد نص ا عز وجل على أن الشيطان قال إنـي أخاف ا فقال تعالى " وإِذْ زين لَهم الشيطَان أَعمالَهم وقَالَ لاَ غَالِب لَكُم الْيوم مِن الناسِ وإِني جار لكُم فَلَما تَراءتِ الْفِئَتَـان نَكَص علَى عقِبيهِ وقَالَ إِني برِيء منكُم إِني أَرى ما لاَ تَرون إِني أَخَافُ اللّه واللّه شَدِيد الْعِقَابِ إلى قوله تعالى " إني أخاف

ا وا شديد العقاب " وقال تعالى " كمثل الشيطان إذ قـال للإنسان اكفر فلما كفر قال أني بريء منك إنـي أخـاف ا رب العالمين " فقد أمر الشيطان الإنسان بالكفر ثم تبرأ منـه وأخبره أنه يخاف ا وغر الكفار ثم تبرأ منهم و قـال أنـي أخاف ا فأي فرق بين أن يقول الشـيطان للإنسـان اكفـر ويغره ثم يتبرأ منه ويقول أني أخـاف ا وبـين أن يعلمـه السحر ويقول له لا تكفر والثالث أن معلم السحر بنص الآية قد قال للذي يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكاً أو شيطاناً قد علمه على قولك ما لا يحل و قال له لا تكفر فلم تنكر هـذا من الشيطان ولا تنكره بزعمك من الملك وأنت تنسب إليه أنه يعلم السحر الذي عندك ضلال وكفر وأما أن يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق بعلم ما على أنبياء فعلماهم الدين و قال ا لهم لا تكفروا نهياً عن الكفر بحق وأخبـراهم أنهم فتنة يضل ا تعالى بهما وبما أتيا به من كفر ويهـدي بهما من آمن به قال تعالى عن موسى أنه قال له " إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء " وكما قال تعالى " الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون " ثم نسخ ذلك الذي أنزل على الملكين فصار كفراً بعد أن كـان

إيماناً كما نسخ تعالى شرائع التوراة والانجيل فتمادت الجـن على تعليم ذلك المنسوخ وبالجملة فما في الآية من نـص ولا دليل على أن الملكين علما السحر وإنما هو إقحام أقحم بالآية بالكذب والافك بل وفيها بيان أنه لم يكن سحرا بقوله تعالى " ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل علـى الملكين ببابل " ولا يجوز أن يجعل المعطوف عليه شيئاً واحد ببرهان من نص أو إجماع أو ضرورة وإلا فلا أصلا وأيضاً فإن بابل هي الكوفة وهي بلد معروف بقربها محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح أنه خرافة موضوعة إذ لو كان ذلك لما خفى مكانهما على أهل الكوفة فبطل التعليق بهاروت وماروت والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد وقد ادعى قوم أن إبليس كـان ملكـاً فعصا وحاشا من هذا لأن ا تعالى قد أكذب هذا القـول بقوله تعالى " إلا إبليس كان من الجن " وبقوله " افتتخذونـه وذريته أولياء من دوني " ولا ذرية للملائكة وبقوله تعالى " إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " وبإخباره أنه خلق إبليس من نار السموم وصح عن النبي صلى ا عليه وسـلم أنه قال خلقت الملائكة من نور والنور غير النار بـلا شـك

فصح أن الجن غير الملائكة والملائكة كلهم خيار مكرمـون بنص القرآن والجن والأنس فيهما مذموم ومحمود فإن قـال قائل أن ا عز وجل ذكر أنهم قال وا " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لـك " وهـذا تزكية لأنفسهم وقد قال تعالى " فلا تزكوا أنفسكم " قلنا وبا تعالى التوفيق مدح المرء نفسه ينقسم قسمين أحدهما ما قصد به المرء افتخاراً بغياً وانتقاصاً لغيره فهذه هي التزكية وهـو مذموم جداً والآخر ما خرج مخرج الإخبار بـالحق كقـول رسول ا صلى ا عليه وسلم أنا سيد ولـد آدم ولا فخـر وفضلت على الأنبياء وكقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ولا يسمى هذا تزكية ومـن هذا الباب قول الملائكة ههنا برهان هذا أنه لو كـان قـولهم مذموماً لأنكره ا عز وجل عليهم فإذ لم ينكـره ا تعـالى فهو صدق ومن هذا الباب قولنا نحن المسلمون ونحن خيـر أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين نحن أنصار ا فكـل هذا إذا قصد به الحض على الخير لا الفخر فهو خيـر فـإن قال قائل أن ا تعالى قال لهم " إني أعلم ما لا تعلمون " قلنا نعم وما شك الملائكة قط أن ا تعالى يعلم مـا لا يعلمـون

وليس هذا إنكاراً وأما الجن فقد قلنا أنهـم متعبـدون بملـة الإسلام وقد صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أن الـروث والعظام طعام إخواننا من الجن وهذا بخـلاف حكمنـا فقـد يخصهم ا عز وجل بأوامر خلاف أوامرنـا كمـا للنسـاء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلـك وكما لقريش الإمامة وليست لغيرهم وكل ذلك دين الإسـلام وبا تعالى التوفيق وحسبنا ا ونعم الوكيل.

هل يكون مؤمنا من اعتقد الإسلام دون استدلال

أم لا يكون مؤمناً مسلماً إلا من استدل قال أبو محمد ذهب محمد بن جرير الطبري والأشعرية كلها حاشا السمناني إلى أنه لا يكون مسلماً إلا من استدل وإلا فليس مسلما و قال الطبري من بلغ الاحتلام أو الاشعار من الرجال والنسـاء أو بلغ المحيض من النساء ولم يعرف ا عـز وجـل بجميـع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حـلال الـدم والمال و قال أنه إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجـب تعليمها وتدريبهما على الاسـتدلال علـى ذلـك و قـال ت الأشعرية لا يلزمها الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ.

قال أبو محمد و قال سائر أهل الإسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لا يشك فيه و قـال بلسـانه لا إلـه إلا ا وأن محمداً رسول ا وإن كل ما جاء به حق وبرئ من كل دين سوى دين محمد صلى ا عليه وسلم فإنه مسلم مؤمن لـيس عليه غير ذلك.

قال أبو محمد فاحتجت الطائفة الأولى بأن قال ت قد اتفق الجميع على أن التقليد مذموم ومـا لـم يكـن يعـرف باستدلال فإنما هو تقليد لا واسطة بينهما وذكروا قول ا عز وجل " إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون " وقال تعالى " قَالَ أَولَو جِئْتُكُم بِأَهدى مِما وجدتم علَيهِ آبـاءكُم قَالُوا إِنا بِما أُرسِلْتُم بِهِ كَافِرون " وقال تعالى " وإِذَا قِيلَ لَهـم تَعالَواْ إِلَى ما أَنزلَ اللّه وإِلَى الرسول قَالُواْ حسبنَا ما وجـدنَا علَيهِ آباءنَا أَولَو كَان آباؤُهم لاَ يعلَمون شَـيئًا ولاَ يهتَـدون " وقال تعالى " وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضـلونا السبيلا " و قالوا فذم ا تعالى اتباع الآباء والرؤساء قـالوا وبيقين ندري أنه لا يعلم أحد أي الأمرين أهدى ولا هل يعلم الآباء شيأ أو لا يعلمون إلا بالدليل و قالوا كل مل لـم يكـن يصح بدليل فهو دعوي ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس

قولهما لكن بالدليل قال ا عز وجل " قل هاتوا برهـانكم إن كنتم صادقين " قالوا فمن لا برهان له فليس صادقاً في قولـه و قالوا ما لم يكن علما فهو شك وظن والعلـم هـو اعتقـاد الشيء على ما هو به عـن ضـرورة أو اسـتدلال قـالوا والديانات لا يعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطـل منها بالحواس أصلاً فصح أنه لا يعلم ذلك إلا عـن طريـق الاستدلال فإذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بمـا لـم يستدل عليه وإذا لم يكن عالما فهو شاك ضال وذكروا قـول رسول ا صلى ا عليه وسلم في مسآئله الملك في القبر ما تقول في هذا الرجل فأما المؤمن أو الموقن فإنه يقـول هـو محمد رسول ا قال وأما المنافق أو المرتاب فإنه يقـول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته قالوا وقد ذكر ا عز وجل الاستدلال على الربوبية والنبوة في غير موضـع مـن كتابه وأمر به وأوجب العلم به والعلم لا يكون إلا عن دليـل كما قلنا.

قال أبو محمد هذا كلما موهوا به قد تقصـيناه لهـم غاية التقصي وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه علـى مـا نبين بحول ا وقوته إن شاء ا تعالى لا إله إلا هو بعد أن

نقول قولاً نصححه المشاهدة إن جمهور هذه الفرقة أبعد من كل من ينتمي إلى البحث والاستدلال عن المعرفـة بصـحة الدلائل فأعجبوا لهذا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين.

قال أبو محمد أما قولهم قد أجمع الجميـع علـى أن التقليد مذموم وأن ما لا يعرف باستدلال فإنما هو أخذ تقليد إذ لا واسطة بينهما فإنهم شغبوا في هذا الإمكان وولبوا فتركوا التقسيم الصحيح ونعم أن التقليد لا يحل البتة وإنما التقليد أخذ المرء قول من دون رسول ا صلى ا عليه وسلم ممن لـم يأمرنا ا عز وجل باتباعه قط ولا بأخذ قوله بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه وأما أخذ المرء قول رسـول ا صـلى ا عليه وسلم الذي افترض علينـا طاعتـه وألزمنـا اتباعـه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة أمره وتوعدنا على ذلـك أشـد الوعيد فليس تقليداً بل هو إيمان وتصـديق واتبـاع للحـق وطاعة عز وجل وأداء للمفترض فموه هؤلاء القوم بـأن أطلقوا على الحق الذي هو اتباع الحق اسم التقليد الذي هـو باطل وبرهان ما ذكرنا أن امراء لو اتبع أحداً دون رسـول ا صلى ا عليه وسلم في قول قال ه لأن فلاناً قال ه فقـط واعتقد أنه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل بـه هـو

أيضاً فإن فاعل هذا القول مقلد مخطـى عـاص تعـالى ولرسوه ظالم آثم سواء كان قد وافق قوله ذلك الحق الذي قال ه ا ورسوله أو خالفه وإنما فسق لأنه اتبع من لـم يـؤمر باتباعه وفعل غير ما أمره ا عز وجل أن يفعلـه ولـو أن امراء اتبع قول ا عز وجل وقول رسول ا صلى ا عليه وسلم لكان مطيعاً نحسناً مأجوراً غير مقلد وسواء وافق الحق أو وهم فأخطأ وإنما ذكرنا هذا لنبين أن الـذي أمرنـا بـه وافترض علينا هو اتباع ما جاء به رسول ا صلى ا عليه وسلم فقط وأن الذي حرم علينا هو اتباع من دونه أو اختراع قول لم يأذن به ا تعالى فقط وقد صح أن التقليد باطـل لا يحل فمن الباطل الممتنع أن يكون الحق باطلاً معا والمحسن مسيئاً من وجه واحد معا فإذ ذلك كذلك فمتبع مـن أمـر ا تعالى باتباعه ليس مقلداً ولا فعله تقليداً وإنما المقلد من اتبـع من لم يأمره ا تعالى باتباعه فسقط تمـويههم بـذم التقليـد وصح أنهم وضعوه في غير موضعه وأوقعوا اسـم التقليـد على ما ليس تقليداً وبا تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بـذم ا تعالى اتباع الأباء والكبراء فهو مما قلنا آنفا سواء بسواء لأن اتباع الأباء والكبراء وكل من دون رسول ا صلى ا

عليه وسلم فهو من التقليد المحرم المذموم فاعله فقط قال ا عز وجل " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء " فهذا نص ما قلنا و الحمد.

قال أبو محمد وأما احتجـاجهم أنـه لا يعـرف أي الأمرين أهدى ولا هل يعلم الأباء شيئاً أم لا إلا بالدلايل وإن كل ما لم يصح به دليل فهو دعوى ولا فرق بـين الصـادق والكاذب بنفس قولهما وذكرهم قول ا تعالى " قـل هـاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " فإن هذا ينقسم قسمين فمن كـان من الناس تنازعه نفسه إلى البرهان ولا تستقر نفسـه إلـى تصديق ما جاء به مات شاكا أو جاحداً قبل أن يسـمع مـن البرهان ما يثلج صدره فقد مات كافراً وهو مخلد في النـار وهو بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسـول ا صـلى ا عليه وسلم حتى رأى المعجزات فهذا أيضاً لو مـات مـات كافراً بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام وإنما أوجبنا علـى من هذه صفته طلب البرهان لأن فرضاً عليه طلب ما فيـه نجاته من الكفر قال ا عز وجل " قوا أنفسكم وأهليكم نـارا وقودها الناس والحجارة " فقد افترض ا عز وجل على كل أحد أن يقي نفسه النار فهؤلاء قسم وهم الأقل مـن النـاس

والقسم الثاني من استقرت نفسه إلى تصديق مـا جـاء بـه رسول ا صلى ا عليه وسلم وسكن قلبه إلى الإيمان ولـم تنازعه نفسه إلى طلب دليل توفيقاً من ا عـز وجـل لـه وتيسيراً لما خلق له من الخير والحسنى فهؤلاء لا يحتاجون إلى برهان ولا إلى تكليف استدلال وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة والنساء والتجـار والصـناع والاكـرة والعبـاد وأصحاب الحديث الأيمة الذين يذمون الكلام والجدل والمرآء في الدين.

قال أبو محمد هم الذين قال لهم ا فيهم " ولَكِن الله حبب ِإلَيكُم الْإيمان وزينَه ِفي قُلُـوبِكُم وكَـره ِإلَـيكُم الْكُفْـر والْفُسوقَ والْعِصيان ُأولَِئك هم الراشِدون فَضلًا من اللهِ ونِعمةً والله علِيم حكِيم " و قال تعالى " فمن يرد ا أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء.

قال أبو محمد قد سمى ا عز وجل راشدين القـوم الذين زين الإيمان في قلوبهم وحببه إليهم وكره إليهم الكفـر والمعاصي فضلا منه ونعمة وهذا هو خلق ا تعالى للإيمان في قلوبهم ابتدأ وعلى ألسنتهم ولم يذكر ا تعالى في ذلـك

استدلالاً أصلاً وبا تعالى التوفيق ولـيس هـؤلاء مقلـدين لابابهم ولا لكبرائهم لأن هؤلاء مقرون بألسنتهم محققون في قلوبهم أن اباؤهم ورؤساءهم لو كفروا لما كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل أبائهم ورؤسائهم والبرأة منهم ويحسـون مـن أنفسهم النفار العظيم عن كل من سمعوا منـه مـا يخـالف الشريعة ويرون أن حرقهم بالنار أخف عليهم مـن مخالفـة الإسلام وهذا أمر قد عرفناه من أنفسنا حساً وشـاهدناه فـي ذواتنا يقيناً فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاسـتدلال ولا وجوهه ونحن و الحمد في غاية اليقين بدين الإسلام وكـل ما جاء به محمد صلى ا عليه وسلم نجد أنفسنا فـي غايـة السكون إليه وفي غاية النفار عن كل ما يعترض فيه بشـك ولقد كانت تخطر في قلوبنا خطرات سوء في خـلال ذلـك ينبذها الشيطان فنكاد لشدة نفارنا عنها أن نسمع خفقان قلوبنا استبشاعاً لهما كما أخبر رسول ا صلى ا عليه وسـلم إذ سئل عن ذلك ف قالوا له أن أحدنا ليحدث نفسه بالشيء مـا أنه يقدم فتضرب عنقه أحب إليه من أن يـتكلم بـه فـأخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم بأن ذلـك محـض الإيمـان وأخبر أنه من وسوسة الشيطان وأمر صلى ا عليه وسـلم

في ذلك بما أمر به من التعوذ والقرأة والتفل عن اليسار ثـم تعلمنا طرق الاستدلال وأحكمناها و تعالى الحمد فما زادنا يقيناً على ما كنا بل عرفنا أننا كنا ميسرين للحـق وصـرنا كمن عرف وقد أيقن بأن الفيل موجود سماعاً ولم يره ثم رآه فلم يزدد يقيناً بصحة أنيته أصلاً لكن أرانا صحيح الاستدلال رفض بعض الآراء الفاسدة التي نشأنا عليها فقط كالقول في الدين بالقياس وعلمنا أن كنا مقتدين بالخطـأ فـي ذلـك و تعالى الحمد وأن المخالفين لنا ليعرفون من أنفسهم ما ذكرنـا إلا أنهم يلزمهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولا بد فصح بما قلنا أن كل من امحض اعتقاد الحق بقلبه و قال ه بلسانه فهم مؤمنون محققون وليسوا مقلدين أصلاً وإنما كانوا مقلدين لو أنهم قالوا واعتدقوا أننا إنما نتبع في الـدين آباءنا وكبرآءنا فقط ولو أن اباءنا وكبرآءنا تركوا دين محمد صلى ا عليه وسلم لتركناه فلو قالوا هذا واعتقـدوه لكـانوا مقلدين كفاراً غير مؤمنين لأنهم إنما اتبعوا آباءهم وكبرآءهم الذين نهوا عن اتباعهم ولم يتبعوا النبي صلى ا عليه وسلم الذين أمروا باتباعه وبا تعالى التوفيق وإنما كاف ا تعالى الاتيان بالبرهان إن كانوا صادقين يعني الكفار المخالفين لما

جاء به محمد صلى ا عليه وسلم هذا نص الآية ولم يكلف قط المسلمين الاتيان بالبراهين وإلا سقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان والفريق بين الأمرين واضح وهو أن كل من خالف النبي صلى ا عليه وسلم فلا برهان له أصلاً فكلف المجيء بالبرهان تبكيتاً وتعجيزاً إن كانوا صادقين وليسوا صادقين بلا برهان لهم وأما من اتبع ما جاء به رسول ا صلى ا عليه وسلم فقد اتبع الحق الذي قامت البراهين بصحته ودان بالصدق الذي قامت الحجة البالغة بوجوبه فسواء علم هو بذلك البرهان أو لم يعلم حسبه أنه على الحق الذي صح بالبرهان ولا برهان على ما سواه فهو محق والحمد رب العالمين وأما قولهم ما لم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة أو استدلال قالوا والديانات لا تعرف صحتها إلا بالاستدلال فإن لم يستدل المرء فليس عالما وإذا لم يكن عالماً فهو جاهل شاك أو ظان وإذا كان لا يعلم الدين فهو كافر.

قال أبو محمد فهذا ليس كما قالوا لأنهم قضوا قضية باطلة فاسدة بنوا عليها هذا الاستدلال وهي إقحامهم في حد العلم قولهم عن ضرورة أو استدلال فهذه زيادة فاسدة لا

نوافقهم عليها ولا جاء بصحتها قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا لغة ولا طبيعة ولا قول صاحب وحد العلم على الحقيقة أنه اعتقاد الشيء على ما هو به فقط وكل من اعتقد شيئاً على ما هو به ولم يتخالجه شك فيه فهو عالم به وسواء كان عن ضرورة حس أو عن بديهة عقل أو عن برهان استدلال أو عن تيسير ا عز وجل له وخلقه لذلك المعتقد في قلبه ولا مزيد ولا يجوز البتة أن يكون محقق في اعتقاد شيء كما هو ذلك الشيء وهو غير عالم به وهذا تناقض وفساد وتعارض وبا تعالى التوفيق وأما قولهم في حديث رسول ا صلى ا عليه وسلم في مساءلة الملك فلا حجة لهم فيه بل هو حجة عليهم كما هو لمجرده لأن رسول ا صلى ا عليه وسلم إنما قال فيه فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو رسول ا ولم يقل عليه الصلاة والسلام فأما المستدل فحسبنا فوز المؤمن الموقن كيف كان إيمانه ويقينه و قال عليه الصلاة والسلام وأما المنافق أو المرتاب ولم يقل غير المستدل فيقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فنعم هذا قولنا لأن المنافق والمرتاب ليسا موقنين ولا مؤمنين وهذا صفة مقلد للناس لا محقق فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم كافية وبا تعالى

التوفيق وأما قولهم أن ا عز وجل قد ذكر الاسـتدلال فـي غير موضع من كتابه وأمر به وأوجب العلم بـه والعلـم لا يكون إلا عن استدلال فهذه أيضاً زيادة أقحموها وهي قولهم وأمر به فهذا لا يجدونه أبداً ولكن ا تعالى ذكر الاسـتدلال وحض عليه ونحن لا ننكر الاستدلال بل هـو فعـل حسـن مندوب إليه محضوض عليه كل من اطاقه لأنه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق نعـوذ با عز وجل من البلا وإنما ننكر كونه فرضاً على كل أحد لا يصح إسلام أحد دونه هذا هو الباطل المحض وأما قولهم إن ا تعالى أوجب العلم به فنعم وأما قولهم والعلم لا يكون إلا عن استدلال فهذا هي الدعوى الكاذبة التي أبطلناها آنفـاً وأول بطلانها أنها دعوى بلا برهان وبا تعـالى العزيـز الحكيم نتأيد.

قال أبو محمد هذا كلما شنعوا به قد نقضناه والحمـد رب العالمين فسقط قولهم إذ تعرى من البرهـان وكـان دعوى منهم مفتراة لم يأت بها نص قط ولا إجمـاع وبـا التوفيق.

قال أبو محمد ونحن الآن ذاكرون بعون ا وتوفيقه وتأييده البراهين على بطلان قولهم ولا حول قال أبو محمـد ي قال لمن قال لا يكون مسلما إلا من استدل أخبرنـا متـى يجب عليه فرض الاستدلال أقبل البلوغ أم بعده ولا بد مـن أحد المرين فلما الطبري فإنه أجاب بأن ذلـك واجـب قبـل البلوغ.

قال أبو محمد وهذا خطأ لأن من لم يبلغ ليس مكلفـاً ولا مخاطباً وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسـلم رفـع القلم عن ثلاثة فذكر الصغير حتـى يحـتلم فبطـل جـواب الطبري رحمه ا وأما الأشعرية فإنهم أتوا بما يمـلأ الفـم وتقشعر منها جلود أهل الإسلام وتصدء منها المسامع ويقطع ما بين قائلها وما بين ا عز وجل وهي أنهم قالوا لا يلـزم طلب الأدلة إلا بعد البلوغ ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة وصرحوا بما كنا نريد أن نلـزمهم ف قـالوا غيـر مساترين لا يصح إسلام أحد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق.

قال أبو محمد ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم أنه لا يكون أحد مسـلما

حتى يشك في ا عز وجل وفي صحة النبـوة وفـي هـل رسول ا صلى ا عليه وسلم صادق أم كاذب ولا سمع قط سامع في الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق بأقبح من قبل هؤلاء أنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر ولا يصح التصديق إلا بالجحد ولا يوصل إلى رضاء ا عز وجل إلا بالشك فيه وأن من اعتقد موقناً بقلبه ولسانه أن ا تعالى ربه لا إله إلا هو وأن محمداً رسول ا وأن دين الإسلام دين ا الـذي لا دين غيره فإنه كافر مشرك اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان فو ا لولا خذلان ا تعالى الذي هو غالب على أمره ما انطلق لسان ذي مسكة بهذه العظيمة وهذا يكفي من تكاف الـنقص لهذه الم قال ة الملعونة ومن بلغ هذا المبلغ حسـن السـكوت عنه ونعوذ با من الضلال ثم نقول لهم أخبرونا عـن هـذا الذي أوجبتم عليه الشك في فرض أو الشك في صحة النبـوة والرسالة كم تكون هذه المدة التي أوجبتم عليه فيه البقا شاكا مستدلا طالباً للدلائل وكيف أن لم يجد في قريتـه أو مدينتـه ولا في اقليمه محسناً للدلائل فرحل طالباً للدلائل فاعترضـته أهوال ومخاوف وتعذر من بحر أو مرض فاتصل له ذلـك ساعات وأياماً وجمعاً وشهوراً وسنين ما قولكم في ذلك فـإن

حدوا في المدة يوماً أو يومين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك كانوا متحكمين بلا دليلوقائلين بلا هدي من ا تعالى ولـم يعجـز أحد عن أن يقول في تحديد تلك المدة بزيادة أو نقصان ومن بلغ ها هنا فقد ظهر فساد قوله وأن قالوا لا يحد في ذلك حداً قلنا لهم فإن امتد كذلك حتى فنى عمـره ومـات فـي مـدة استدلاله التي حددتم له وهو شاك في ا تعالى وفي النبـوة أيموت مؤمناً ويجب له الجنة أم يموت كافراً وتجب له النار فإن قالوا يموت مؤمناً تجب له الجنة أتـوا بـأعظم الطـوام وجعلوا الشكاك في ا الذين هم عندهم شكاك مؤمنين مـن أهل الجنة وهذا كفر محض وتناقض لا خفاء به وكانوا مـع ذلك قد سمحوا في أن يبقى المرء دهره كله شاكاً في ا عز وجل وفي النبوة والرسالة فإن قالوا بل يموت كافراً تجب له النار قلنا لهم لقد أمرتموه بما فيه هلاكه وأوجبتم عليه ما فيه دماره وما يفعل الشيطان إلا هذا في أمره بما يـؤدي إلـى الخلود في النار وإن قالوا بل هو في حكم أهل الفترة قلنا لهم هذا باطل لأن أهل الفترة لم تأتهم النذارة ولا بلغهـم خبـر النبوة والنص إنما جاء في أهل الفترة ومن زاد في الخبر ما ليس فيه فقد كذب على ا عز وجل ثم نقول لهم وبا تعالى

التوفيق ما حد الاستدلال الموجب لاسم الإيمان عندكم وقـد يسمع دليلا عليه اعتراض الجزية ذلك الدليل أم لا فإن قالوا يجزيه قلنا لهم ومن أين وجب أن يجزيه وهو دليل معترض فيه وليس هذه الصفة من الدلائل المخرجة عن الجهل إلـى العلم بل هي مؤدية إلى الجهل الذي كان عليه قبل الاستدلال فإن قالوا بل لا يجزيه إلا حتى يوقن أنه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه تكلفوا ما ليس في وسع أكثرهم ومـا لا يبلغه إلا قليل من الناس في طويل من الـدهر وكثيـر مـن البحث ولقد درى ا تعالى أنهم أصفار من العلم بذلك يعنب أهل هذه الم قال ة الملعونة الخبيثة.

قال أبو محمد ومن البرهان الموضح لبطلان هذه الم قال ة الخبيثة أنه لا يشك أحد ممن يدري شيئاً من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهريـة في أن رسول ا صلى ا عليه وسلم مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان با تعالى وبمـا أتـى بـه ويقاتل من أهل الأرض من يقاتله ممن عند ويستحل سـفك دمائهم وسبي نسائهم وأولادهم وأخذ أموالهم متقرباً إلى ا تعالى بذلك وأخذ الجزية وأصغاره ويقبل ممن آمن به ويحرم

ماله ودمه وأهله وولده ويحكم له بحكم الإسلام وفيهم المرأة البدوية والراعي والراعية والغلام الصـحراوي والوحشـي والزنجي والمسبي والزنجية المجلوبة والرومـي والروميـة والأغثر الجاهل والضعيف في فهمه فما منهم أحد ولا مـن غيرهم قال عليه السلام إني لا أقبل إسلامك ولا يصح لـك دين إلا حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه.

قال أبو محمد لسنا نقول أنه لم يبلغنا أنه عليه السلام قال ذلك لأحد بل نقطع نحن وجميـع أهـل الأرض قطعـاً كقطعنا على ما شاهدناه أنه عليه السلام لم يقل قط هذا لأحد ولا رد إسلام أحد حتى يستدل ثم جرى على هـذه الطريقـة جميع الصحابة رضي ا عنهم أولهم عن آخرهم ولا يختلف أحد في هذا الأمر ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون عليه السلام يغفـل أن يبين للناس ما لا يصح لأحد الإسلام إلا به ثم تتفق علـى إغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الإسلام وتبينه لهـم هؤلاء الأشقياء ومن ظن أنه وقع من الدين على ما لا يقـع عليه رسول ا صلى ا عليه وسلم فهو كافر بـلا خـلاف فصح أن هذه الم قال ة خلاف للاجماع وخـلاف تعـالى

والرسوله صلى ا عليه وسلم وجميع أهل الإسلام قاطبة فإن قالوا فما كانت حاجة الناس إلى الآيـات المعجـزات وإلـى احتجاج ا عز وجل عليهم بالقرآن واعجازه بـه وبـدعاء اليهود إلى تمني الموت ودعاء النصارى إلى المباهلة وشـق القمر وقلنا وبا تعالى التوفيق إن الناس قسـمان قسـم لـم تسكن قلوبهم إلى الإسلام ولا دخلها التصديق فطلبـوا منـه عليه السلام البراهين فأراهم المعجزات فانقسـموا قسـمين طائفة آمنت وطائفة عندت وجاهرت فكفـرت وأهـل هـذه الصفة اليوم هم الذي يلزمهم طلب الاستدلال فرضاً ولا بـد كما قلنا وقسم آخر وفقهم ا تعالى لتصديقه عليـه السـلام وخلق عز وجل في نفوسهم الإيمان كما قال تعالى " بـل ا يمن عليكم إن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين " فهؤلاء آمنوا به عليه السلام بلا تكليف.

قال أبو محمد ويلزم أهل هذه الم قال ة أن جميع أهل الأرض كفار لا ألأقل وقد قال بعضهم أنهم مستدلون.

قال أبو محمد وهذه مجاهرة هو يدري أنه فيها كاذب وكل من سمعه يدري أنه فيها كاذب لأن أكثر العامـة مـن

حاضرة وبادية لا يدري ما معنـى الاسـتدلال فكيـف أن يستعمله.

قال أبو محمد ويلزم من قال بهذه الـم قـال ة أن لا يأكل من اللحم إلا ما ذبحه هو أو من يدري أنه مسـتدل وأن لا يطأ إلا زوجة أنها مستدلة ويلزم أن يشـهد علـى نفسـه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله وأن يفارق امرأته التي تزوج في تلك المدة وأن لا يرث أخاه ولا أباه ولا أمـه إلا أن يكونوا مستدلين وأن يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة وعمل المغيرية المنصورة في ذبح كل من أمكنهم وقتله وأن يستحلوا أموال أهل الأرض بل لا يحل لهم الكف عـن شيء من هذا كله لأن جهاد الكفار فـرض وهـذا كلـه أن التزموا طرد أصولهم وكفروا أنفسهم وأن لم يقولـوا بـذلك تناقضوا فصح أن كل من اعتقد الإسلام بقلبه ونطق به لسانه فهو مؤمن عند ا عز وجل ومن أهل الجنة سواء كان ذلك عن قبول أو نشأة أو عن استدلال وبا تعالى التوفيق وأيضاً فنقول لهم هل استدل من مخالفيكم في أقوالكم التي تدينون بها أحد أم لم يستدل قط أحد غيركم فلا بد مـن إقـرارهم بـأن مخالفيهم أيضاً قد استدلوا وهم عندكم مخطئـون كمـن لـم

يستدل وأنتم عندهم أيضاً مخطئون فإن قالوا إن الأدلة امنتنا من أن نكون مخطئين قلنا لهم وهذا نفسه هو قول خصومكم فإنهم يدعون أن أدلتهم على صواب قولهم وخطأ قـولكم ولا فرق ما زالوا على هذه الدعوى مذ كانوا إلى يومنا هذا فمـا نراكم حصلتم من استدلالكم إلا على ما حصل عليه من لـم يستدل سواء بسواء ولا فرق فإن قالوا لنا فعلى قـولكم هـذا يبطل الاستدلال جملة ويبطل الدليل كافة قلنا معاذ ا من هذا لكن أريناك أنه قد يستدل من يخطئ وقد يستدل من يصـيب بتوفيق ا تعالى فقط وقد لا يستدل من يخطئ وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق ا تعالى وكل ميسر لما خلق له والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة فمن وافق الحق الذي قامـت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن استدل أو لم يستدل ومن يسر للباطل الذي قام البرهان عنـد غيره ببطلانه فهو مبطل مخطئ أو كافر سواء استدل أو لـم يستدل وهذا هو الذي قام البرهان بصحته والحمـد رب العالمين وبا تعالى التوفيق.

الكلام في الوعد والوعيد

قال أبو محمد اختلاف الناس فـي الوعـد والوعيـد فذهبت كل طائفة لقول منهم من قال أن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولكنه كافراً وفاسق وأن كل من مات مصـراً علـى كبيرة من الكبائر فلم يمت مسلماً وإذا لم يمت مسـلماً فهـو مخلد في النار أبداً وإن من مات ولا كبيرة له أة تـاب عـن كبائره قبل موته فإنه مؤمن من أهل الجنة لا يـدخل النـار أصلاً ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير أو كبير فهو مخرج عن الإيمان والإسلام فإن مات عليه فهو غير مسـلم وغيـر مسلم مخلد في النار وهذه م قال ات الخوارج والمعتزلـة إلا أن بكر ابن أخت عبد الواحد ابن زيد قال في طلحة والزبير رضي ا عنهما أنهما كافران من أهل الجنة لأنهما من أهل بدر وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسـلم أن ا تعـالى قال لأهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قال فأهل بـدر إن كفروا فمغفور لهم لأنهم بخلاف غيرهم و قـال بعـض المرجئة لا تضر مع الإسلام سيئة كما لا ينفع مـع الكفـر حسنة قالوا فكل مسلم ولو بلغ على معصية فهو مـن أهـل الجنة لا يرى ناراً وإنما النار للكفار وكل هـاتين الطـائفتين تقربان أحداً لا يدخل النار ثم يخرج عنها بل من دخل النـار

فهو مخلد فيها أبداً ومن كان من أهل الجنة فهـو لا يـدخل النار و قال أهل السنة والحسين النجار وأصحابه وبشر بـن غياث المريسي وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن كيسان الأصم البصري وغيلان ابن مروان الدمشقي القدري ومحمـد بـن شبيب ويونس بن عمران وأبو العباس الناشـي والأشـعري وأصحابه ومحمد بن كرام وأصحابه أن الكفار مخلدون فـي النار وأن المؤمنين كلهم في الجنة وإن كانوا أصحاب كبـائر ماتوا مصرين عليها وأنهم طائفتان طائفة يدخلون النار ثـم يخرجون منها أي من النار إلى الجنة.

وطائفة لا تدخل النار إلا أن كل من ذكرنا قـالوا عز وجل أن يعذب من شاء من المؤمنين أصـحاب الكبـائر بالنار ثم يدخلهم الجنة وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم.

ثم افترقوا ف قال ت طائفة منهم وهو محمـد بـن شبيب ويونس والناشي إن عذب ا تعالى واحداً من أصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ثم أدخلهم الجنة.

وإن غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولا بد.

و قال ت طائفة بل يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وإن كانت ذنوبهم كثيرة مستوية وقد يغفر لمن هـو أعظـم جرماً ويعذب من هو أقل جرماً.

و قال ابن عباس وابن عمر رضي ا عنهم يغفـر لمن يشاء من أصحاب الكبائر ويعذب من يشـاء مـنهم إلا القاتل عمداً فإنه مخلد في النار أبداً و قال ت طائفة منهم من لقى ا عز وجل مسلماً تائباً من كل كبيرة أو لم يكن عمـل كبيرة قط فسيئآته كلها مغفورة وهو من أهل الجنة لا يـدخل النار ولو بلغت سيئآته ما شاء ا أن يبلغ ومن لقى ا عـز وجل وله كبيرة لم يتب منها فالحكم في ذلك الموازنة فمـن رجحت حسناته على كبائره وسيئآته كلها تسقط وهو من أهل الجنة ولا يدخل النار وإن استوت حسناته مع كبائره وسيئآته فهؤلاء أهل الأعراف ولهم وقفة ولا يدخلون النار ثم يدخلون الجنة ومن رجحت كبائره وسيئآته بحسناته فهؤلاء مجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب فمن لفحة واحـدة إلـى بقـاء خمسين ألف سنة في النار ثم يخرجون منهـا إلـى الجنـة بشفاعة رسول ا صلى ا عليه وسلم وبرحمة ا تعـالى وكل من ذكرنا يجازون في الجنة بعد بما فضـل لهـم مـن

الحسنات وأما من لم يفضل له حسنة من أهل الأعراف فمن دونهم وكل من خرج من النار بالشفاعة وبرحمة ا تعـالى فهم كلهم سواء في الجنة ممن رجحت له حسنة فصاعداً.

قال أبو محمد فأما من قال بأن صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك فإن حجتهم قول ا عز وجل " ألا إن أولياء ا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " وقوله تعـالى " من جاء بِالْحسنَةِ فَلَه خَير منْها وهم من فَزعٍ يومئِـذٍ آمِنُـون ومن جاء بِالسيئَةِ فَكُبتْ وجوههم فِي النار هلْ تُجزون إِلا ما كُنتُم تَعملُون " وقوله تعالى " والذين كسبوا السـيئات جـزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من ا من عاصـم كأنمـا أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النـار هم فيها خالدون " وقوله تعالى " ومن يعـص ا ورسـوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها " وبقوله تعـالى " ومـن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب ا عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما " وقوله " ولا يزنون ومن يفعـل ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن " وقوله تعالى " إن الذين يأكلون أمـوال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً "

وقوله تعالى " إن الـذين يرمـون المحصـنات الغـافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة " الآية وقوله تعالى " ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من ا ومأواه جهنم وبئس المصير " وقولـه " إنمـا جزاء الذين يحاربون ا ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا " إلى قوله تعالى " ولهـم فـي الآخـرة عذاب عظيم " وقوله تعالى " الذين يـأكلون الربـا " الآيـة وذكروا أحاديث صحت عن النبي صلى ا عليه وسلم فـي وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ومن قتل نفسه بسم أو حديد أو تردى من جبل فإنه يفعل ذلك به في جهنم خالداً ومن قتل نفسه حرم ا عليه الجنة وأوجب له النار وذكروا أن الكبيرة تزيل اسم الإيمان فبعضهم قال إلى شرك وبعضهم قال إلـى كفر نعمة وبعضهم قال إلى نفاق وبعضهم قال إلى فسق فـإذ ليس مؤمناً فلا يدخل الجنة لأنه لا يدخل الجنة المؤمنون هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة أصلاً غير ما ذكرنا وأما من خص القاتل بالتخليد فإنهم احتجوا بقوله تعـالى " ومـن يقتل مؤمناً متعمداً فقط وأما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فاحتجوا بقول ا تعالى " لا يصلاها إلا الاشقى الـذي

كذب وتولى " قالوا وهذه الآية مثبتة أن كل من توعده ا عز وجل على قتل أو زنا أو ربا أو غير ذلك فإنما هم الكفار خاصة لا غيرهم واحتجوا بقول رسول ا صلى ا عليه وسلم من قال لا إله إلا ا مخلصاً من قلبه دخل الجنة وإن سرق وإن شرب الخمر على رغم أنف أبي ذر وقول ا عز وجل " إن رحمة ا قريب من المحسنين " قالوا ومن قال لا إله إلا ا محمد رسول ا فقد أحسن فهو محسن فرحمة ا قريب منه ومن رحمه ا فلا يعذب و قالوا كما أن الكفر محبط لكل حسنة فإن الإيمان يكفر كل سيئة والرحمة والعفو أولى با عز وجل.

قال أبو محمد هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا أصلاً أو يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه وبا تعالى التوفيق وأما من قال إن ا تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقد يعذب من هو أقل ذنوباً ممن يغفر له فإنهم احتجوا بقول ا عز وجل " إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " وبعموم قوله تعالى " يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " وبقول رسول ا صلى ا عليه وسلم خمس صلوات كتبهن ا على العبد من جاء بهن لم

ينقص من حدودهن شيئاً كان له عند ا عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن لم يكن له عند ا عهد إن شاء عذبـه وإن شاء غفر له وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا قاضيتين على جميع الآيات التي تعلقت بها سائر الطوائف و قالوا الأمر كله لا معقب لحكمه فهو يفعل ما يشاء ما نعلم لهم حجة غيـر مـا ذكرنا.

قال أبو محمد وأما من قال بمثل هذا إلا أنه قـال ا تعالى إن عذب واحداً منهم عذب الجميع وإن غفـر لواحـد منهم غفر للجميع فإنهم قدرية جنحوا بهذا القول نحو العـدل ورأوا أن المغفرة لواحد وتعذيب من له مثل ذنوبـه جـور ومحاباة ولا يوصف ا عز وجل بـذلك وأمـا مـن قـال بالموازنة فإنهم احتجوا ف قالوا إن آيات الوعيـد وأخبـار الوعيد التي احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة والخـوارج فإنها لا يجوز أن تخص بـالتعلق بهـا دون آيـات العفـو وأحاديث العفو التي احتج بها من أسقط الوعيد وهي لا يجوز التعلق بها دون الآيات التي احتج بها من أثبت الوعيـد بـل الواجب جمع جميع تلك الآيات وتلك الأخبـار وكلهـا حـق وكلها من عند ا وكلها مجمل تفسيرها بآيـات الموازنـة

وأحاديث الشفاعة التي هي بيان لعموم تلـك الآيـات وتلـك الأخبار وكلها من عند ا قالوا ووجدنا ا عز وجل قد قال " ووضِع الْكِتَاب فَتَرى الْمجرِمِين مشْفِقِين مِما فِيهِ ويقُولُون يا ويلَتَنَا مال هذَا الْكِتَابِ لَا يغَادِر صغِيرةً ولَا كَبِيرةً إِلا أَحصاها ووجدوا ما عمِلُوا حاضِرا ولَا يظْلِم ربك أَحدا " و قال تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل " الآية و قال تعالى " فمن يعمـل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " و قـال تعالى " وما كان ا ليضيع إيمانكم " و قال تعالى " فإذا هـم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئاً " الآية و قال تعالى " ليجزي ا كل نفس ما كسبت إن ا سريع الحساب " و قال تعالى " واتقُواْ يوما تُرجعون فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُم تُـوفى كُل نَفْسٍ ما كَسبتْ وهم لاَ يظْلَمون " وقال تعالى " لتجـزى كل نفس بما تسعى " و قال تعالى " وأن ليس للإنسان إلا ما سعى " إلى قوله " الجزاء الأوفى " و قال تعالى " وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك " و قال تعالى " ليجزي الذين أسـاءوا بما عملوا " الآية وقال تعالى " هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت " و قال تعالى " وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم " و قـال

تعالى " وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند ا " الآية و قال تعالى " ليس بِأَمانِيكُم ولا أَمانِي أَهل الْكِتَابِ مـن يعمـلْ سوءا يجز بِهِ ولاَ يجِد لَه مِن دون اللّهِ ولِيا ولاَ نَصِيرا " الآية و قال تعالى " وما يفعلوا من خير فلن يكفروه " و قال تعالى " إِن اللّه لاَ يظْلِم مِثْقَالَ ذَرةٍ وإِن تَك حسنَةً يضاعِفْها ويـؤْتِ مِن لدنْه أَجرا عظِيما " و قال تعالى " إني لا أضـيع عمـل عامل منكم من ذكر أو أنثى " و قال تعالى " وجـاءت كـل نفس معها سائق وشهيد " إلى قوله تعالى " قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد " إلى قوله تعالى " وما أنا بظلام للعبيد " و قال تعالى " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه " إلى آخر السـورة و قال تعالى " إن الحسنات يذهبن السيئآت " و قال تعالى " ومن يرتَدِد مِنكُم عن دِينِهِ فَيمتْ وهو كَـافِر فَأُولَـئِك حبِطَـتْ أَعمالُهم فِي الدنْيا والآخِرةِ وأُولَـئِك أَصحاب النارِ هم فِيهـا خَالِدون " و قال تعالى " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالهـا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها الْيوم تُجزى كُلُّ نَفْـسٍ بِما كَسـبتْ لَـا ظُلْـم الْيـوم إِن اللـه سـرِيع الْحِسـابِ "/C_QURAN> هذا نص كلامه يوم القيامة وهو القاضي

على كل مجمل قالوا فنص ا عز وجل أنه يضع المـوازين القسط وأنه لا يظلم أحداً شيئاً ولا مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة من خير ومن شر فصح أن السيئة لا تحبط الحسنة وأن الإيمان لا يسقط الكبائر ونص ا تعالى أنه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وأنه ليس لأحد إلا ما سعى وأنه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسـنى وأنه تعالى يوفي الناس أعمالهم فدخل في ذلك الخير والشـر وأنه تعالى يجازي بكل خير وبكل سوء وعمل وهـذا كلـه يبطل قول من قال بالتخليد ضرورة وقول من قـال باسـقاط الوعيد جملة لأن المعتزلة تقول أن الإيمان يضـيع ويحـبط وهذا خلاف قول ا تعالى أنه لا يضيع إيماننـا ولا عمـل عامل منا و قالوا هم أن الخير ساقط بسيئة واحـدة و قـال تعالى " إن الحسنات يذهبن السيئآت " ف قالوا هم أن السيئآت يذهبن الحسنات وقد نص تعالى أن الأعمال لا يحبطهـا إلا الشرك والموت عليه و قال تعالى " من جـاء بالسـيئة فـلا يجزى إلا مثلها " فلو كانت سيئة أو كبيرة توجب الخلود في جهنم وتحبط الأعمال الحسنة لكانت كل سيئة أو كل كبيـرة كفراً ولتساوت السيئآت كلها وهذا خلاف النصوص وعلمنـا

بما ذكرنا أن الذين قال ا تعالى فيهم " لا خوف علـيهم ولا هم يحزنون " هم الذين رجحت حسناتهم على سيئآتهم فسـقط كل سيئة قدموها وصح أن قوله تعالى " ومن جـاء بِالسـيِّئَةِ فَكُبتْ وجوههم فِي النار هلْ تُجزون إلا ما كُنتُم تَعملُون " هو فيمن رجحت كبائرهم حسناتهم وإن السيئة الموجبة للخلـود هي الكفر لأن النصوص جاءت بتقسيم السيئآت ف قال تعالى " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم " فهـذه سيئآت مغفورة باجتناب الكبائر و قال تعالى " وجزاء سـيئة سيئة مثلها " و قال تعالى " ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " فأخبر تعالى أن من السيئات المجازى لها ما هو مقـدار ذرة ومنها ما هو أكبر ولا شك أن الكفر أكبر السيئآت فلو كانت كل كبيرة جزاءها الخلود لكانت كلها كفراً ولكانت كلها سواء وليست كذلك بالنص وأما وعيد ا بالخلود في القاتل وغيره فلو لم يأت إلا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها لكنه قـد قال تعالى " لا يصلاها إلا الأشقى الـذي كـذب وتـولى " وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض وقد صح أن القاتل ليس كافراً وإن الزاني ليس كافراً وأن أصـحاب تلـك الـذنوب المتوعد عليها ليسوا كفاراً بما ذكرنا قبل من أنهم مباح لهـم

نكاح المسلمات وأنهم مأمورون بالصلوات وأن زكاة أموالهم مقبوضة وأنهم لا يقتلون وأنه إن عفى عن القاتل فقتله مسلم فإنه يقتل ربه وأنه يرث ويورث وتؤكل ذبيحته فـإذ لـيس كافراً فبيقين ندري أن خلوده إنما هو مقام مدة ما وإن الصلى الذي نفاه ا تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى إنما هـو صلى الخلود لا يجوز البتة غير هذا وبهذا تتألف النصـوص وتتفق ومن المعهود في المخاطبة أن من وفد من بلد إلى بلد فحبس فيه لأمر أوجب احتباسه فيه مدة ما فإنه ليس من أهل ذلك البلد الذي حبس فيه فمن دخل في النار ثم أخرجه منهـا فقد انقطع عنه صليها فليس من أهلها وإنمـا أهلهـا وأهـل صليها على الاطلاق والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبـداً فهكذا جاء في الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ثم قال صلى ا عليه وسلم وأما أهل النار الذين هم أهلها يعني الكفار المخلدين فيها وقد قال عز وجل " وإن منكم إلا واردها كان على ربـك حتمـا مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً " فقد بين عليه السلام ذلك بقوله في الخبـر الصـحيح ثـم يضـرب الصراط بين ظهراني جهنم فبالقرآن وكلام رسول ا صلى

ا عليه وسلم صح أن ممر الناس من محشرهم إلى الجنـة إنما هو بخوضهم وسط جهنم وينجي ا أولياءه من حرهـا وهم الذين لا كبائر لهم أو لهم كبائر تابوا عنهـا ورجحـت حسناتهم بكبائرهم أو تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم وأنه تعالى يمحص من رجحت كبـائره وسـيئاته بحسـناته ثـم يخرجهم عنها إلى الجنة بإيمانهم ويمحق الكفار بتخليدهم في النار كما قال تعالى " وليمحص ا الـذين آمنـوا ويمحـق الكافرين " وأيضاً فإن كل آية وعيد وخبر وعيد تعلق به من قال بتخليد المذنبين فإن المحتجين بتلك النصـوص هـم أول مخالف لها لأنهم يقولون أن من أتى بتلك الكبائر ثـم تـاب سقط عنه الوعيد فقد تركوا ظاهر تلك النصوص فإن قـالوا إنما قلنا ذلك بنصوص اخر أوجبت ذلك قيل لهم نعم وكـذلك فعلنا بنصوص أخر وهي آيات الموازنة وأنه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير أو شر ولا فرق وي قال لمـن أسـقط آيات الوعيد جملة و قال أنها كلها إنما جاءت في الكفـار إن هذا باطل لأن نص القرآن بالوعيد على الفار مـن الزحـف ليس إلا على المؤمن بيقين بنص الآية في قوله تعالى " ومن يولهم يومئذ دبره " ولا يمكن أن يكون هذا في كافر أصـلاً

فسقط قول من قال بالتخليد وقول من قال بإسقاط الوعيد ولم يبق إلا قول من أجمل جواز المغفرة وجوز العقاب.

قال أبو محمد فوجدنا هذا القول مجملاً قـد فسـرته آيات الموازنة وقوله تعالى الذي تعلقوا به " إن ا   لا يغفـر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـاء " حـق علـى ظاهرها وعلى عمومها وقد فسرتها بإقرارهم آيات أخر لأنه لا يختلف في أن ا   تعالى يغفر أن يشرك به لمن تاب مـن الشرك بلا شك وكذلك قوله تعالى " ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " فهذا كله حق إلا أنه قد بين من هم الذين شاء أن يغفر لهم فإن صرتم إلى بيان ا   تعالى فهو الحـق وأن أبيـتم إلا الثبات على الأجمال فأخبرونا عن قول ا   تعالى " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمـة ا   إن ا   يغفر الذنوب جميعاً " وقوله تعالى " بل أنتم بشر ممن خلـق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " أترون أن هـذا العمـوم تقولون به فتجيزون أنه يغفر الكفر لأنه ذنب من الـذنوب أم لا وأخبرونا عن قول ا   عز وجل حاكياً عن عيسى عليـه السلام أنه يقول له تعالى يوم القيمة " يا عيسى ابـن مـريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهـين مـن دون ا   قـال

سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلتـه فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك " إلى قوله " وأنت على كل شيء شهيد " إلى قوله تجري مـن تحتهـا الأنهار أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وأمه الهين مـن دون ا تعالى في جواز المغفرة لهم لصدق قول ا تعـالى في هذا القول من التخبير بـين المغفـرة لهـم أو تعـذيبهم وأخبرونا عن قوله تعالى " قال عذابي أصيب به من أشـاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقـون ويؤتـون الزكاة " فمن قولهم أن المغفرة لا تكون البتة لمن كفر ومات كافراً وأنهم خارجون من هذا العموم ومن هذه الجملة بقولـه تعالى " إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " قيل لهم ولم خصصتم هذه الجملة بهذا الـنص ولـم تخصوا قوله تعالى " ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " بقوله " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفـت موازينه فأمه هاوية " وبقوله تعالى " هل تجزون إلا ما كنتم تعملون " وبقوله تعالى " اليوم تجزى كل نفس بما كسـبت " وهذا خبر لا نسخ فيه فإن قالوا نعم إلا أن يشاء أن يغفر لهم

قيل لهم قد أخبر ا تعالى أنه لا يشاء ذلك بإخباره تعالى أنه في ذلك اليوم يجزي كل نفس ما كسبت ولا فرق.

قال أبو محمد وقد أخبر النبي صلى ا عليه وسـلم أن الرجل يأتي يوم القيمة وله صدقة وصيام وصلاة فيوجـد قد سفك دم هذا وشتم هذا فتؤخذ حسناته كلها فيقتص لهم منها فإذا لم يبق له حسنة قذف من سيئاتهم عليه ورمى في النـار وهكذا أخبر عليه السلام في قوم يخرجون من النار حتى إذا نقوا وهذبوا أدخلوا الجنة وقد بين عليه السـلام ذلـك بأنـه يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة شعير من خير ثم من في قلبه مثقال برة من خير ثم من في قلبه مثقال حبـة مـن خردل ثم من في قلبه مثقال ذرة إلى أدنى أدنى أدنى من ذلك ثم من لم يعمل خيراً قط إلا شهادة الإسلام فوجب الوقـوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثـم ي قـال أخبرونا عمن لم يعمل شراً قط إلا اللمم ومن هم بالشر فلـم يفعله فمن قول أهل الحق أنه مغفور له جملة بقوله تعالى " إلا اللمم " وبقول رسول ا صلى ا عليـه وسـلم أن ا تجاوز قال أبو محمد وهذا ينقسم أقساماً أحدها من هم بسيئة أي شيء كانت من السيئآت ثم تركها مختاراً تعالى فهـذا

تكتب له حسنة فإن تركها مغلوباً لا مختاراً لم تكتب له حسنة ولا سيئة تفضيلاً من ا عز وجل ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ولو هم بحسنة ولم يعلمها كتبت له حسنة واحدة فـإن عملها كتب له عشر حسنات وهذا كله نص رسول ا صلى ا عليه وسلم وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب إلـى أن الهم بالسيئة إصرار عليها فقلت له هذا خطأ لأن الإصرار لا يكون إلا على ما قد فعله المرء بعد تماد عليـه أن يفعلـه وأما من هم بما لم يفعل بعد فليس إصراراً قال ا تعالى: " ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " ثم نسألهم عن عمل بالسيئات حاشا الكبائر عدداً عظيماً ولم يأت كبيرة قط ومات على ذلك أيجوزون أن يعذبه ا تعالى على ما عمـل مـن السيئات أم يقولون أنها مغفورة له ولا بد فـإن قـالوا أنهـا مغفورة ولا بد صدقوا وكانوا قد خصوا قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتركوا حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها أيضاً بنص آخر وإن قالوا بـل جائز أن يعذبهم ا تعالى على ذلك أكـذبهم ا بقولـه " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سـيئاتكم ونـدخلكم مدخلاً كريماً " ونعوذ با من تكذيب ا عز وجل ثم نسألهم

عمن عمل من الكبائر ومات عليها وعمل حسنات رجحـت بكبائره عند الموازنة أيجوز أن يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر أم هي مغفورة له ساقطة عنه فإن قالوا بل هـي مغفورة وساقطة صدقوا وكانوا قد خصوا عموم قوله تعـالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وجعلوا هؤلاء ممن شاء ولا بد أن يغفر لهم وإن قالوا بل جايز أن يعذبهم أكذبهم الله تعالى بقوله " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية " وبقوله " إن الحسنات يذهبن السيئات ".

قال أبو محمد: وكذلك القول فيمن تسـاوت حسـناته وكبائره وهم أهل الأعراف فلا يعذبون أصلاً فقد صح يقينـاً أن هؤلاء الطبقات الأربع هم الذين شاء الله تعالى أن يغفـر لهم بلا شك فبقي الذين لم يشاء الله تعالى أن يغفر لهم ولـم يبق من الطبقات أحد إلا من رجحت كبائره في الموازنة على حسناته فهو الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة وبرحمة الله عز وجل ف قالوا من هؤلاء من يغفر الله تعالى له ومنهم من يعذبه قلنا لهم أعندكم بهذا البيان نص وهم لا يجدونه أبداً فظهر تحكمهم بلا برهان وخلافهم لجميع الآيات التي تعلقوا بها فإنهم مقرون على أنها ليسـت علـى

عمومها بل هي مخصوصة لأن ا تعالى قال إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولا خلاف في أنه تعالى يغفر الشرك لمن آمن فصح أنها مجملة تفسيرها ساير الآيات والأخبار وكذلك حديث عبادة خمس صلوات كتـبهن ا تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص مـن حـدودهن شيئاً كان له عند ا عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهـن فليس له عند ا عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه فـإنهم متفقون على أن من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئاً إلا أنه قتل وزنى وسرق فإنه قد يعذب ويقولون إن لم يأت بهن فإنه لا يعذب على التأييد بل يعذب ثم يخرج عن النار.

قال أبو محمد: هذا ترك منهم أيضـاً لظـاهر هـذا الخبر.

قال أبو محمد: ولا فرق بين قول ا تعالى " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية " وبين قوله " وأما مـن خفت موازينه فأمه هاوية " كلاهما خبران جاز إبطال أحدهما جاز إبطال الآخر ومعاذ ا من هذا القول وكذلك قد منع ا تعالى من هذا القول بقوله تعالى " لا تختصموا لـدي وقـد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد "

ونحن نقول أن ا تعالى يعذب من يشاء ويرحم مـن يشـاء وأنه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وإن كل أحد فهـو في مشيئة ا تعالى إلا أننا نقول أنه تعالى قد بين من يغفـر له ومن يعذب وإن الموازين حق والموازنة حق والشـفاعة حق وبا تعالى التوفيق حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا أحمد بن عبد النصير حدثنا القاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الختني حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وكيـع بـن الجراح حدثنا سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن مجاهد عن ابن عباس في قول ا تعالى " وإنا لموفوهم نصيبهم غيـر منقوص " قال ما وعدوا فيه من خير وشر وهذا هـو نـص وإني وإن واعدته أو وعدته لمخاف إيعادي ومنجز موعـدي قال أبو محمد: وهذا لا شيء قد جعل فخر صبي أحمق كافر حجة على ا تعالى والعرب تفخر بالظلم قال الراجز: أحيـا أباه هاشم بن حرمله ترى الملوك حوله مغربله يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له وقد جعلت العرب مخاف الوعد كاذبـا قـال الشاعر أنشده أبو عبيدة معمر بن المثنى: أتوعدني وراء بني رباح كذبت لتقصرن يداك دوني فإن قـالوا خصـوا وعيـد الشرك بالموازنة قلنا لا يجوز لأن ا تعالى منع مـن ذلـك

قال تعالى " ومن يرتدد منكم عن دينه فيمـت وهـو كـافر فأولئك حبطت أعمالهم " فمن حبط عمله فلا خير له.

قال أبو محمد: وأهل النار متفاضلون في عذاب النار فأقلهم عذاباً أبو طالب فإنه توضع جمرتان مـن نـار فـي أخمصيه إلى أن يبلغ الأمر إلى قولـه تعـالى " أدخلـوا آل فرعون أشد العذاب " وقوله تعالى "إن المنافقين في الـدرك الأسفل من النار" ولا يكون الأشد إلا إلـى جانـب إلا دون و قال تعالى " ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ".

قال أبو محمد: والكفار معذبون على المعاصي التي عملوا من غير الكفر برهان ذلك قول ا سبحانه وتعالى " ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولـم نـك نطعـم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الـدين حتى أتانا اليقين " فنص تعالى على أن الكفار يعذبون علـى ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين.

قال أبو محمد: وأما من عمل منهم العتق والصدقة أو نحو ذلك من أعمال البر فحابط كل ذلك لأن ا عز وجـل قال أنه من مات وهو كافر حيط عمله لكن لا يعذب ا أحداً

إلا على ما عمل ما لم يعمل قال ا تعالى " هل تجـزون إلا ما كنتم تعملون " فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفـار يعذب على ذلك عذاباً زائداً فالذي أطعم المسكين مع كفره لا يعذب ذلك العذاب الزائد فهو أقل عذاباً لأنه لم يفعل من الشر ما عمل من هو أشد عذاباً لأنه عمل خيراً.

قال أبو محمد: وكل كافر عمل خيراً وشراً ثم أسـلم فإن كل ما عمل من خير مكتوب مجازى به في الجنة وأمـا ما عمل من شر فإن تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنـه وإن تمادى عليه أخذ بما عمل في كفره وبما عمل في إسلامه برهان ذلك حديث حكيم بن حزام عن رسول ا صـلى ا عليه وسلم أنه قال يا رسول ا أشياء كنت أتحنث بها فـي الجاهلية من عتق وصدقة وصلة رحم ف قال له رسـول ا صلى ا عليه وسلم أسلمت على ما سلف لك من خير فأخبر أنه خير وأنه له إذا أسلم و قال ت له عائشة رضي ا عنها يا رسول ا أرأيت ابن جدعان فإنه كان يصل الرحم ويقرى الضيف أينفع ذلك قال لا لأنه لم يقل يوماً " والِذي َأطْمع َأن يغْفِر ِلي خَطِيئَتي يوم الدين " فأخبر عليه السلام أنه لم ينتفع بذلك لأنه لم يسلم فاتفقت الأخبار كلها على أنه لو أسلم لنفعه

ذلك وأما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضـي ا
عنه بنص ما قلنا عن رسول ا صلى ا عليه وسـلم كمـا
قلناه فإن اعترض معترض بقول ا تعالى " لـئن أشـركت
ليحبطن عملك " ومن أسلم فليس من الخاسرين وقد بين ذلك
بقوله " ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كـافر فأولئـك
حبطت أعمالهم " وإن اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة بمـا
عمل في الكفر بقوله تعالى " قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف " قلنا لهم هذا حجة لنا لأن من انتهـى عـن
الكفر غفر له وإن انتهى عن الزنا غفر له وإن لم ينته عـن
الزنا لم يغفر له ما انتهى عنه ولم يغفر له ما لم ينته عنه ولم
يقل تعالى إن ينتهوا عن الكفر يغفر لهم سائر ذنوبهم والزيادة
على الآية كذب على ا تعالى وهي أعمال متغايرة كما ترى
ليست التوبة عن بعضها توبة عن سائرها فلكل واحد منهـا
حكم فإن ذكروا حديث عمرو بن العاص عن النبي صلى ا
عليه وسلم الإسلام يجب ما قبله فقد قلنا أن الإسـلام اسـم
لجميع الطاعات فمن أصر على المعصية فليس فعلـه فـي
المعصية التي يتمادى عليها إسلاماً ولا إيماناً كما قال رسول
ا صلى ا عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزنـي وهـو

مؤمن فصح أن الإسلام والإيمان هو جميع الطاعـات فـإذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الإسـلام الـذي يجب ما قبله وإذا لم يتب من معاصيه فلم يحسن في الإسلام فهو مأخوذ بالأول والآخر كما قال رسول ا صلى ا عليه وسلم وبهذا تتفق الأحاديث وكذلك قوله عليه السلام والهجرة تجب ما قبلها فقد صح عنه عليه السلام أن المهاجر من هجر ما نهاه ا عنه فمن تاب من جميع المعاصي التي سلفت منه فقد هجر ما نهاه ا عنه فهذه هي الهجرة التي تجب ما قبلها وأما قوله عليه السلام والحج يجب ما قبله فقد جاء أن العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فهذا على الموازنة التي ربنا عز وجل عالم بمراتبهـا ومقاديرها وإنما نقف حيث وقفنا ا تعالى ورسوله صلى ا عليه وسلم وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: واستدركنا قول رسول ا صـلى ا عليه وسلم في قاتل نفسه حرم عليه الجنة وأوجب له النـار مع قوله من قال لا إله إلا ا مخلصاً من قلبه حـرم عليـه النار وأوجب له الجنة.

قال أبو محمد: قال ا تعالى " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " فصح أن كلامه صلى ا عليه وسلم كله وحي من عند ا تعالى و قال عز وجل " ولو كان مـن عند غير ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فصح أن كل ما قال ه رسول ا صلى ا عليه وسلم فمن عند ا تعالى وأنه لا اختلاف في شيء منه وأنه كله متفق عليه فإذ ذلـك كـذلك فواجب ضم هذه الأخبار بعضها إلى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول ا وقوته فمعنى قوله صلى ا عليه وسلم في القاتـل حرم ا عليه الجنة وأوجب له النار مبني على الموازنة فإن رجحت كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم ا عليـه الجنـة حتى يقتص منه بالنار التي أوجبها ا تعالى جزاء على فعله وبرهان هذا حديث الذي أسلم وهاجر مع عمرو بن الحممـة الدوسي ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتألم به فقطع عـروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض أصحاب النبـي صـلى ا عليه وسلم في حال حسنة إلا يده وذكر أنه قيل له لن يصلح منك ما أفسدت ف قال رسول ا صلى ا وسلم اللهم وليديه فاغفر ومعنى قول رسول ا صلى ا عليه وسلم من قال لا إله إلا ا مخلصاً من قلبه حرم ا عليه النار وأوجـب لـه

الجنة فهذا لا يختلف فيه مسلمان أنه ليس على ظاهره منفرداً لكن يضمه إلى غيره من الإيمان لمحمد صلى ا عليه وسلم والبراءة من كل دين حاشا دين الإسلام ومعناه حينئـذ أن ا عز وجل أوجب له الجنة ولا بد إما بعد الاقتصـاص وإمـا دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة وحرم ا عليـه أن يخلد فيها ويكون من أهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى " لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ليس بِأَمانِيكُم ولا أَماني أَهل الْكِتَابِ من يعملْ سوءا يجز بِـهِ ولاَ يجِد لَه مِن دون اللّهِ ولِيا ولاَ نَصِيرا " وقوله تعالى " يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها " فنص الآية أنها في الكفار هكذا في نص الآية.

قال أبو محمد: وأما الكفارة فإن ا تعالى قـال: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سـيئاتكم ونـدخلكم مدخلاً كريماً ".

قال أبو محمد: ومن المحال أن يحرم ا تعالى علينا أمراً ويفرق بين أحكامه ويجعل بعضـه مغفـوراً باجتنـاب بعض ومؤاخذاً به إن لم يجتنب البعض الآخر ثم لا يبين لنا

المهلكات من غيرها فنظرنا في ذلك فوجدنا قوماً يقولون أن كل ذنب فهو كبيرة.

قال أبو محمد: وهذا خطأ لأن نص القرآن مفرق كما قلنا بين الكبائر وغيرها وبالضرورة ندري أنـه لا ي قـال كبيرة إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منها والكبـائر أيضـاً تتفاضل فالشرك أكبر مما دونه والقتل أكبر من غيـره وقـد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وأنه لكبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ مـن بولـه وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة فأخبر عليه السلام أنهما كبير وما هما بكبير وهذا بين لأنهمـا كبيـران بالإضـافة إلـى الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر وليسا بكبيرين بالإضـافة إلى الكفر والقتل.

قال أبو محمد: فبطل القول المذكور فنظرنا في ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب مما ليس بكبير منها لا يعلم البتة إلا بنص وارد فيها إذ هذا من أحكام ا تعالى التـي لا تعرف إلا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا ا تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب في القرآن وعلى لسان رسوله صلى ا عليه وسلم ووجدنا ذنوباً أخر لم ينص عليها بوعيد فعلمنا

يقيناً أن كل ما توعد ا تعالى عليه بالنار أو توعـد عليـه رسوله صلى ا عليه وسلم بالنار فهو كبير وكل مـا نـص عليه رسول ا صلى ا وسلم باستعظامه فهو كبير كقولـه عليه السلام اتقوا السبع الموبقات الشرك والسـحر والقتـل والزنا وذكر الحديث وكقوله عليه السلام عقوق الوالدين من الكبائر وكل ما لم يأت نص باستعظامه ولا جاء فيه وعيـد بالنار فليس بكبير ولا يمكن أن يكون الوعيد بالنـار علـى الصغائر على انفرادها لأنها مغفورة باجتناب الكبائر فصـح ما قلناه وبا تعالى التوفيق.

الموافاة

قال أبو محمد: اختلف المتكلمون في معنى عبـروا عنه بلفظ الموافاة وهم أنهم قالوا في إنسان مـؤمن صـالح مجتهد في العبادة ثم مات مرتداً كافراً وآخر كافر متمـرد أو فاس ثم مات مسلماً تائباً كيف كان حكم كل واحد منهما قبـل أن ينتقل إلى ما مات عليه عند ا تعالى فهذب هشـام بـن عمرو الفوطي وجميع الأشعرية إلى أن ا عز وجل لم يزل راضياً عن الذي مات مسلماً تائباً ولم يزل ساخطاً على الذي مات كافراً أو فاسقاً واحتجوا في ذلك بأن ا عز وجـل لا

يتغير علمه ولا يرضى ما سخط ولا يسخط ما رضي و قالت الأشعرية الرضا من الله عز وجل لا يتغير منه تعالى صفات الذات لأين ولآن ولا يتغير إن وذهب سائر المسلمين إلى أن الله عز وجل كان ساخطاً على الكافر والفاسق ثم رضي الله عنهما إذا أسلم الكافر وتاب الفاسق وأنه كان تعالى راضياً عن المسلم وعن الصالح ثم سخط عليهما إذا كفر المسلم وفسق الصالح.

قال أبو محمد: احتجاج الأشعرية ها هنا هو احتجاج اليهود في إبطال النسخ ولا فرق ونحن نبين بطلان احتجاجهم وبطلان قولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عز وجل نتأيد أما قولهم عن علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ولكن معلوماته تتغير ولم نقل أن علمه يتغير ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحداً يعلم كل شيء على تصرفه في جميع حالاته فلم يزل يعلم أن زيداً سيكون صغيراً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم ميتاً ثم مبعوثاً ثم في الجنة أو في النار ولم يزل يعلم أن سيؤمن ثم يكفر أو أنه يكفر ثم يؤمن أو أنه يكفر ولا يؤمن أو أنه يؤمن ولا يكفر وكذلك القول في الفسق والصلاح ومعلوماته تعالى في ذلك متغيرة مختلفة

ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات وأما قولهم أن ا
تعالى لا يسخط ما رضي ولا يرضى ما سخط فباطل وكذب
بل قد أمر ا تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشـحوم
ورضي لهم ذلك وسخط منهم خلافه وكذلك أحل لنا الخمـر
ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهـة مـن زمـن الإسـلام
ورضي لنا شرب الخمر وأكل رمضان والبغاء بـلا صـلاة
وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كله كما قال تعالى
" ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه " ثم فرض
علينا الصلاة والصوم وحرم علينا الخمر فسخط لنـا تـرك
الصلاة وأكل رمضان وشرب الخمر ورضي لنا خلاف ذلك
وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل ا تعالى عليماً أنه سيحل مـا
كان أحل من ذلك مدة كذا وأنه سيرضى منه ثم أنه سيحرمه
ويسخطه وأنه سيحرم ما حرم من ذلك ويسخطه مدة ثم أنـه
يحله ويرضاه كما علم عز وجل أنه سيحيى من أحياه مـدة
كذا وأنه يعز من أعزه مدة ثم يذله وهكذا المـؤمن يمـوت
مرتداً والكافر يموت مسلماً فإن ا تعالى لم يزل يعلـم أنـه
سيسخطه فعل الكافر ما دام كافراً ثم أنه يرضى عنه إذا أسلم
وأن ا تعالى لم يزل يعلم أنه يرضى عـن أفعـال المسـلم

وأفعال البر ثم أنه يسخط أفعاله إذا ارتـد أو فسـق ونـص القرآن يشهد بذلك قال تعالى " ولا يرضى لعباده الكفـر وإن تشكروا يرضه لكم " فصح يقيناً أن ا تعالى يرضى الشكر ممن شكره فيما شكره ولا يرضى الكفر ممن كفر إذا كفـر متى كفر كيف كان انت قال هذه الأحوال من الإنسان الواحد وقوله تعالى " ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهـو كـافر فأولئك حبطت أعمالهم " فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم أن لا يمكن أن يحبط عمل إلا وقد كان غيـر حـابط ومـن المحل أن يحبط عمل لم يكن محسوباً قط فصـح أن عمـل المؤمن الذي ارتد ثم مات كافراً أنه كان محسوباً ثم حبط إذا ارتد وكذلك قال ا تعالى " يمحو ا ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " فصح أنه لا يمحو إلا ما كان قد كتبه ومن المحل أن يمحى ما لم يكن مكتوباً وهذا بطلان قولهم يقيناً و الحمد وكذلك نص قوله تعالى " أولئك يبدل ا سيئاتهم حسـنات " فهذا نص قولنا وبطلان قولهم لأن ا تعالى سمى أفعـالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شـك ثـم أخبر تعالى أنه أحالها وبدلها حسنات مرضية فمن أنكر هـذا فهو مكذب تعالى وا تعالى مكذب له وكـذلك قـال ا

تعالى أنه سخط أكل آدم من الشجرة وذهاب يونس مغاضـباً ثم أخبر عز وجل أنه تاب عليهما واجتبى يونس بعد أن لامه ولا يشك كل ذي عقل أن اللائمة غير الاجتباء.

قال أبو محمد: ثم نقول لهم أفي الكافر كفر إذا كـان كافراً قبل أن يؤمن وفي الفاسق فسق قبل أن يتـوب وفـي المؤمن إيمان قبل أن يرتد أم لا فإن قالوا لا كابروا وأحـالوا وإن قالوا نعم قلنا لهم فهل يسـخط ا الكفـر والفسـق أو يرضى عنهما فإن قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم وإن قالوا بل يرضى عن الكفر والفسق كفروا ونسألهم عن قتل وحشى حمزة رضي ا عنه إرضاء كان تعالى فإن قـالوا نعـم كفروا وإن قالوا بل ما كان إلا سخطاً سـألناهم أيؤاخـذه ا تعالى به إذا أسلم فمن قولهم لا وهكذا في كل حسنة وسـيئة فظهر فساد قولهم وبا تعالى التوفيق وصلى ا على محمد وآله وصحبه وسلم.

الكلام في من لم تبلغه الدعوة

ومن تاب عن ذنب أو كفر ثم رجع فيما تـاب عنـه قال أبو محمد: قال ا عز وجل " لأنذركم به ومن بلـغ " و قال تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " فنص تعالى

ذلك على أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته لا من لم تبلغه وأنه تعالى لا يعذب أحداً حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل فصح بذلك أن من لم يبلغه الإسلام أصلاً فإنه لا عذاب عليه وهكذا جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف والأصلح الأصم ومن كان في الفترة والمجنون فيقول المجنون يا رب أتاني الإسلام وأنا لا أعقل ويقول الخرف والأصم والذي في الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار وي قال لهم ادخلوها فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فإنه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم بأرض الحبشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع فلا يبلغ إلى جعفر وأصحابه أصلاً لانقطاع الطرق جملة من المدينة إلى أرض الحبشة وبقوا كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك في دينهم شيئاً إذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض.

قال أبو محمد: ورأيت قوماً يذهبون إلى أن الشرائع لا تلزم من كان جاهلاً بها ولا من لم تبلغه.

قال أبو محمد: وهذا باطل بل هي لازمـة لـه لأن رسول ا صلى ا وسلم بعث إلى الإنس كلهم وإلى الجـن كلهم وإلى كل من لم يولد إذ بلغ بعد الولادة.

قال أبو محمد: قال ا تعالى آمراً أن يقـول " إنـي رسول ا إليكم جميعاً " وهذا عموم لا يجوز أن يخص منه أحداً و قال تعالى " أيحسب الإنسان أن يترك سدى " فأبطـل سبحانه أن يكون أحد سدى والسدى هو المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهي فأبطل عز وجل هذا الأمر ولكنه معـذور بجهلـه ومغيبه عن المعرفة فقط وأن من بلغه ذكر النبي صـلى ا عليه وسلم حيث ما كان من أقاصي الأرض ففـرض عليـه البحث عنه فإذا بلغته نذارته ففرض عليـه التصـديق بـه وأتباعه وطلب الدين اللازم له والخروج عن وطنه لذلك وإلا فقد استحق الكفر والخلود في النار والعذاب بـنص القـرآن وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج أن في حـين بعث النبي صلى ا عليه وسلم يلزم من في أقاصي الأرض الإيمان به ومعرفة شرائعه فإن ماتوا في تلك الحـال مـاتوا كفاراً إلى النار ويبطل هذا قول ا عز وجل " لا يكلـف ا نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " وليس فـي

وسع أحد علم الغيب فإن قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة أنه لا يلزم أحداً شيء من الشرائع حتى تبلغه قلنا لا حجة لهم فيها لأن كل ما كلف الناس فهو في وسعهم واحتمـال بنيـتهم إلا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفـوا ذلـك تكليفـاً يعذبون به إن لم يفعلوه وإنما كلفوه تكليف مـن لا يعـذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن له أمراً من الحكم مجملاً ولم يبلغه نصه ففرض عليه اجتهاد نفسه في طلب ذلك الأمر وإلا فهو عاص عز وجل قـال ا تعالى " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمـون " وبقولـه تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " وأما مـن تاب عن ذنب أو كفر ثم رجع إلى ما تاب عنه فإنه إن كـان توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث مستهزئ مخـادع تعالى قال ا تعالى " يخـادعون ا والـذين آمنـوا ومـا يخدعون إلا أنفسهم " إلى قوله " عذاب أليم بما كانوا يكذبون " وأما من كانت توبته نصوحاً ثابت العزيمة في أن لا يعـود فهي توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطة لكل ما تاب عنـه بالنص قال عز وجل " وإني لغفار لمن تاب وآمـن وعمـل

صالحاً " فإن عاد بعد ذلك إلى الذنب الذي تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد غفره ا له أبداً فإن ارتد ومات كافراً فقد سقط عنه الكفر وغيره.

قال أبو محمد: ولا تكون التوبة إلا بالندم والاستغفار وترك المعاودة والعزيمة على ذلك والخروج من مظلمة إن تاب عنها إلى صاحبها بتحال أو إنصاف ورأيت لأبي بكر أحمد بن علي بن يفجور المعروف بابن الأخشيد وهو أحد أركان المعتزلة وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة من الأتراك وولى أبوه الثغور وكان هذا أبو بكر ابنه يتفقه للشافعي فرأيت له في بعض كتبه يقول أن التوبة هي الندم فقط وإن لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة.

قال أبو محمد: هذا أشنع ما يكون من قول المرجئة لأن كل معتقد للإسلام فبلا شك ندري أنه نادم على كل ذنب يعمله عالماً بأنه مسيء فيه مستغفر منه ومن كان بخلاف هذه الصفة لكن مستحسناً لما فعل غير نادم عليه فليس مسلماً فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الأخشيد غير مؤاخذ بها لأنه تائب منها وهذا خلاف الوعيد فإن قال قائل فإنكم تقطعون على قبول إيمان المؤمن أفتقطعون على قبول توبة

التائب وعمل العامل للخير إن كل ذلك مقبول وهل تقطعون على المكثر من السيئات أنه في النار قلنا وبا تعالى التوفيق أن الأعمال لها شروط من توفية النية حقها وتوفية العمل حقه فلو أيقنا أن العمل وقع كاملاً كما أمر ا تعالى لقطعنا علـى قبول ا عز وجل له وأما التوبة فإذا وقعت نصوحاً فـنحن نقطع بقبولها وأما القطع على مظهر الخير بأنه فـي الجنـة وعلى مظهر الشر والمعاصي بأنه في النار فهذا خطأ لأننا لا نعلم ما في النفوس ولعل المظهر الخير مبطن للكفر أو مبطن على كباير لا نعلمها فواجب أن لا نقطع من أجل ذلك عليـه بشيء وكذلك المعلن بالكبائر فإنه يمكن أن يبطن الكفر فـي باطن أمره فإذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة أو لعـل له حسنات في باطن أمره تفيء على سيئاته فيكون من أهـل الجنة فلهذا وجب أن لا نقطع على أحد بعينه بجنة ولا نـار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضي ا عنهم بأنهم في الجنة وبأن ا علم ما في قلوبهم فأنزل السـكينة علـيهم وأهل بدر وأخل السوابق فإنا نقطع على هؤلاء بالجنـة لأن ا تعالى أخبرنا بذلك على لسان رسوله صلى ا عليه وسلم وحاشا من مات معلناً للكفر فإنا نقطع عليه بالنار ونقف فيمن

عدا هؤلاء إذا أننا نقطع على الصفات فنقول من مات معلنـاً للكفر أو مبطناً له فهو في النار خالداً فيها ومن لقي ا تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر أو متسايهما فهو فـي الجنة لا يعذب بالنار ومن لقي ا تعالى راجح الكبائر علـى الحسنات ففي النار ويخرج منها بالشفاعة إلى الجنة وبا قال أبو محمد: ورأيت بعض أصحابنا يذهب إلى شـيء يسـميه شاهد الحال وهو أن من كان مظهر الشـيء مـن الـديانات متحملاً للأذى فيه غير مستجاب بما يلقي من ذلك حالاً فإنـه مقطوع على باطنه وظاهره قطعاً لا شك فيه كعمر بن عبـد العزيز وسعيد بن المسيب والحسن البصري وابـن سـيرين ومن جرى مجراهم ممن قبلهم أو بعدهم فإن هؤلاء رضـي ا عنهم رفضوا من الدنيا ما لو استعملوه لمـا حـط مـن وجاهتهم شيئاً واحتملوا من المضض ما لو خففوه عن أنفسهم لم يقدح لهم ذلك فيهم عند أحد فهؤلاء مقطوع على إسلامهم عند ا عز وجل وعلى خيرهم وفضلهم وكذلك نقطع علـى أن عمر بن عبيد كان يدين بأبطال القدر بلا شك في بـاطن أمره وأن أبا حنيفة والشافعي رضي ا عنهما كانا في باطن أمرهما يدينان ا تعالى بالقياس وأن داود بن علي كان فـي

باطن الأمر يدين ا تعالى بإبطال القياس بلا شك وأن أحمد بن حنبل رضي ا عنه كان يدين ا تعالى بالتدين بالحديث في باطن أمره بلا شك وبأن القرآن غير مخلوق بـلا شـك وهكذا كل من تناصرت أحواله وظهر جده في معتقد وتـرك المسامحة فيه واحتمل الأذى والمضض من أجله.

قال أبو محمد: وهذا قول صحيح لا شك فيـه إذ لا يمكن البتة في بنية الطبائع أن يحتمل أحد أذى ومشقة لغيـر فائدة يتعجلها أو يتأجلها وبا تعالى التوفيق ولا بد لكـل ذي عقد من أن يتبين عليه شاهد عقده بما يبدو منه من مسـامحة فيه أو صبر عليه وأما من كان بغير هذه الصفة فلا نقطـع على عقده وبا تعالى التوفيق.

▲ الكلام في الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والكتبة

قال أبو محمد: اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع أن لا يخرج أحد مـن النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة واحتج المانعون بقـول

ا عز وجل " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " وبقوله عز وجل " يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئـذ " وبقولـه تعالى " قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً " وبقوله تعالى " واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شـيئاً ولا يقبـل منهـا شفاعة " وبقوله تعالى " من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيـه ولا خلة ولا شفاعة " وبقوله تعالى " فما لنا مـن شـافعين ولا صديق حميم " وبقوله تعالى " واتقُواْ يوماً لا تَجزِي نَفْس عن نفْسٍ شَيئاً ولاَ يقْبلُ مِنْها شَفَاعةٌ ولاَ يؤْخَذُ مِنْها عدلٌ ولاَ هـم ينصرون ".

قال أبو محمد: من يؤمن بالشـفاعة أنـه لا يجـوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا علـى بعـض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول ا صلى ا عليه وسلم الذي قال له ربه عز وجل " لتبين للناس مـا نزل إليهم " وقد نص ا على صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالى " لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهـداً " فأوجب عزل وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهداً بالشفاعة وصحت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لهـا قال تعالى " يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن لـه الـرحمن

ورضي له قولاً " و قال تعالى " ولا تنفع الشفاعة عنـده إلا لمن أذن له " فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفـع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله ولا أحد مـن الناس أولى بذلك من محمد صلى ا عليه وسلم لأنه أفضـل ولد آدم عليه السلام و قال تعالى " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وكم من ملوك في السموات لا تغنى شفاعتهم شـيئاً إلا من بعد أن يأذن ا لمن يشاء ويرضى " و قال تعالى " مـا من شفيع إلا من بعد إذنه " فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها ا عز وجل هي غير الشـفاعة التـي أثبتها عز وجل وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطلها ا عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار قال تعالى لا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضي عليهم فيموتـوا نعوذ با منها فإذ لا شك فيه فقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أوجب ا عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضـي قوله فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام وهكذا جاء الخبر الثابت.

قال أبو محمد: وهما شـفاعتان إحـداهما الموقـف ومسعه الحال وهو المقام المحمود الذي جاء النص في القرآن

به في قوله " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمـوداً " وهكـذا جاء الخبر الثابت نصاً والشفاعة الثانية فـي إخـراج أهـل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر وأما قول ا تعالى " قل لا أملك لكم ضراً ولا رشـداً ولا تملـك نفس لنفس شيئاً " فما خالفناهم في هذا أصلاً وليس هذا مـن الشفاعة في شيء فنعم لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً ولا رشداً ولا هدى وإنما الشفاعة رغبة إلى ا تعالى وضراعة ودعاء و قال بعض منكري الشفاعة أن الشفاعة ليسـت غـلا فـي المحسنين فقط واحتجوا بقوله تعالى " ولا يشفعون إلا لمـن ارتضى ".

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهم فيه لأن من أذن ا في إخراجه من النار وأدخله الجنة وأذن للشافع في الشـفاعة له في ذلك فقد ارتضاه وهذا حق وفضل ا تعالى على مـن قد غفر له ذنوب بأن رجحت حسناته على كبائره أو بأن لـم تكن له كبيرة أو بأن تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كـل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من ا تعالى وأمر بـه إلى الجنة ففيما ذا يشفع له وإنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فأدخل النار ولم يأذن تعالى بإخراجه منها إلا

بالشفاعة وكذلك الخلق في كونهم في الموقف هم أيضاً فـي مقام شنيع فهم أيضاً محتاجون إلى الشفاعة وبـا تعـالى التوفيق وبما صحت الأخبار من ذلك نقول.

وأما الميزان فقد أنكره قوم فخالفوا كلام ا تعـالى وإقداماً وتنطع آخرون فقالوا هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا إقدام آخر لا يحل قال ا عز وجل " ويقولون بأفواههم مـا ليس لهم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند ا عظيم ".

قال أبو محمد: وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن أو بما جاء عن رسول ا صلى ا عليه وسلم ولـم يأت عنه عليه السلام شيء يصح في صفة الميزان ولو صح عنه عليه السلام في ذلك شيء لقلنا به فإذ لا يصح عنه عليه السلام في ذلك فلا يحل لأحد أن يقول على ا عز وجل ما لم يخبرنا به لكن نقول كما قال ا عـ ز وجـ ل " ونضـع الموازين القسط ليوم القيامة " إلى قوله " وكفى بنا حاسبين " و قال تعالى " والوزن يومئذ الحق " و قال تعالى " فأما مـ ن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينـه فأمه هاوية " فنقطع على أن الموازين توضع يـ وم القيامـ ة لوزن أعمال العباد قال تعالى عن الكفار " فلا نقيم لهم يـ وم

القيامة وزناً " وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن لكن أعمالهم شائلة وموازينهم خفاف قد نص ا تعالى على ذلك إذ يقول " ومن خفت موازينه فأولئـك الـذين خسـروا أنفسهم في جهنم خالدون " إلى قوله " فكنتم بهـا تكـذبون " فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت مـوازينهم والمكذبون بآيات ا عز وجل كفار بلا شك ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين ا عز وجل بهـا لعبـاده مقـادير أعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التي لا تحس وزنها في موازيننا أصلاً فما زاد ولا ندري كيف تلك الموازين إلا أننا ندري أنها بخلاف موازين الدنيا وأن ميزان من تصـدق بدينار أو بلؤلؤة أثقل ممن تصدق بكذآنة وليس هـذا وزنـاً وندري أن إثم القاتل أعظم من إثم اللاطم وأن ميزان مصلي الفريضة أعظم من ميزان مصلي التطوع بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أن من صلى الصبح في جماعة كمن قام ليلة ومن صلى العتمة في جماعة فكأنما قام نصف ليلة وكلاهما فرض وهكذا جميع الأعمال فإنما يوزن عمل العبد خيره مع شره ولـو نصـح المعتزلة أنفسهم لعلموا أن هذا عين العدل وأما من قال بما لا

يدري أن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قـال ه قياسـاً علـى موازين الدنيا وقد أخطأ في قياسه إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرطسون وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الـواردة في ذلك فقط ولا نقول إلا بما جاء به قرآن أو سنة صـحيحة عن النبي صلى ا عليه وسلم ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ولا نكذب إلا بما فيهما إبطاله وبا تعالى التوفيق.

وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي صلى ا عليه وسلم ولمن ورد عليه من أمته ولا ندري لمن أنكره متعلقاً ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي صـلى ا عليه وسلم في هذا وغيره وبا تعالى التوفيق.

وأما الصراط فقد ذكرناه في الباب الأول الذي قبـل هذا وأنه كما قال رسول ا صلى ا عليه وسـلم يوضـع الصراط بين ظهراني جهنم ويمر علهي الناس فمخدوج وناج ومكردس في نار جهنم وأن الناس يمرون عليه علـى قـدر أعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك إلى من يقع في النار وهو طريق أهل الجنة إليها من المحشر في الأرض إلى السـماء وهو معنى قول ا تعالى " وإن منكم إلا واردها كان علـى ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظـالمين فيهـا

جثياً " وأما كتاب الملائكة لأعمالنا فحق قال الله تعالى " وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين " وقال تعالى " إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " وقال تعالى " وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك " و قال تعالى " إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ".

قال أبو محمد وكل هذا ما لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمي إلى الإسلام إلا أنه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب.

عذاب القبر قال أبو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

قال أبو محمد: وقد احتج من أنكره بقول الله تعالى " ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين " وبقوله قال أبو محمد: وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لأن فتنة القبر وعذابه والمساءلة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك قبر أو لم يقبر

برهان ذلك قول الله تعالى " ولو ترى إذ الظالمون في غمراتِ الْموتِ والْملآئِكةُ باسِطُواْ أيْدِيهِم أخْرِجوا أنفُسكُم الْيوم تُجزون عذاب الْهونِ بِما كُنتُم تقُولُون على اللّهِ غيْر الْحق وكُنتُم عن آياتِهِ تستكْبِرون " الآية وهذا قبل القيامة بلا شك وأثر الموت وهذا هو عذاب القبر و قال " إنما توفون أجوركم يوم القيامة " و قال تعالى في آل فرعون " النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب " فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر وإنما قيل عذاب القبر فأضيف إلى القبر لأن المعهود في أكثر الموتى أنهم يقبرون وقد علمنا أن فيهم أكيل السبع والغريق تأكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق فلو كان على ما يقدر من يظن أنه لا عذاب إلا في القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مساءلة ونعوذ بالله من هذا بل كل ميت فلا بد له من فتنة وسؤال وبعد ذلك سرور أو نكد إلى يوم القيامة فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون إلى الجنة أو النار وأيضاً فإن جسد كل إنسان فلا بد من العود إلى التراب يوماً ما كما قال الله تعالى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " فكل من ذكرنا من

مصلوب أو معلق أو محرق أو أكيل سبع أو دابة فإنه يعـود رماداً أو رجيعاً وينقطع فيعود إلى الأرض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها إلـى يوم القيامة وأما من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ لأن الآيات التي ذكرنا تمنع من ذلك ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثة وأحياناً ثلاثاً وهذا باطل وخلاف القرآن إلا مـن أحياه ا تعالى آية لنبي من الأنبياء و " الذين خرجوا مـن ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم ا موتوا ثم أحياهم " و " أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه ا بعد موتها فأماته ا مائة عام ثـم بعثـه " وكذلك قوله تعالى " ا يتوفى الأنفس حين موتها " إلى قوله " إلى أجل مسمى " فصح بنص القرآن أن روح من مـات لا يرجع إلى جسده إلا إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة وكذلك أخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه رأى الأرواح ليلـة أسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السـلام أرواح أهل السعادة وعن شماله أهل الشقاء وأخبر عليه السلام يـوم بدر إذ خاطب القتلى وأخبر أنهم وجدوا ما توعدهم به حقـاً قبل أن يكون لهم قبور فقال المسلمون يا رسول ا أتخاطب

قوماً قد جيفوا فقال عليه السلام ما أنتم بأسمع لما أقول منهم فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قـد جيفـوا وأعلمهم أنهم سامعون فصح أن ذلك لأرواحهم فقط بلا شـك وأما الجسد فلا حس له.

قال أبو محمد: ولم يأت قط عن رسول ا صلى ا عليه وسلم في خبر يصح أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة ولو صح ذلك عنه عليه السالم لقلنا به فـإذ لا يصح فلا يحل لأحد أن يقول وإنما انفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوى تركه شـعبة وغيره وسائر الأخبار الثابتة على خلاف ذلك وهذا الذي قلنا هو الذي صح أيضاً عن الصحابة رضي ا عنهم لم يصـح عن أحد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بـن سـعيد ابـن محمد بن عبد ا بن يزيد المقري عن جده محمد بن عبد ا عن سفيان بن عيينة عن منصور ابن صفية عن أمه صـفية بنت شيبة قال ت دخل ابن عمر المسجد فأبصر ابن الزبيـر مطروحاً قبل أن يصلب فقيل له هذه أسماء بنت أبـي بكـر الصديق فمال إليها فعزاها و قال أن هذه الجثث ليست بشيء وأن الأرواح عند ا فقال ت أسماء وما يمنعني وقد أهـدى

رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل وحدثنا محمد بن بيان ثنا أحمد بن عون ا حدثنا قاسم بـن اصـبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الحسيني ثنا أبو موسى محمد بن المثني الزمن ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان الثـوري عن أبي اسحق السبيعي عن أبي الأحوص عن ابن مسـعود في قول ا عز وجل " ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين " قال ابن مسعود هي التي في البقرة " وكنتم أمواتاً فأحيـاكم ثـم يميتكم ثم يحييكم " فهذا ابن مسعود وأسماء بنت أبي بكـر الصديق وابن عمر رضي ا عنهم ولا مخلاف من الصحابة رضي ا عنهم تقطع أسماء وابن عمـر علـى أن الأرواح باقية عند ا وأن الجثث ليست بشيء ويقطع ابن مسعود بأن الحياة مرتان قال أبو محمد: وقد صح عن النبي صـلى ا عليه وسلم أنه رأى موسى عليه السالم قائماً في قبره يصـلي ليلة الإسراء وأخبر أنه رآه في السماء السادسة أو السـابعة وبلا شك إنما رأى روحه وأما جسده فموارى بالتراب بـلا شك فعلى هذا أن موضع كـل روح يسـمى قبـراً فتعـذب الأرواح حينئذ وتسأل حيث كانت وبا تعالى التوفيق.

مستقر الأرواح قال أبو محمد اختلـف النـاس فـي مستقر الأرواح وقد ذكرنا بطلان قول أصحاب التناسخ فـي صدر كتابنا هذا والحمد رب العالمين فذهب قـوم مـن الروافض إلـى أن أرواح الكفـار ببيرهونـت وهـو بئـر بحضرموت وأن أرواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية وهذا قول فاسد لأنه لا دليل عليه أصلاً وما لا دليل عليه فهو ساقط ولا يعجز أحد عن أن يدعي للأرواح مكاناً آخر غيـر ما ادعاه هؤلاء وما كان هكذا فلا يدين به إلا مخذول وبـا تعالى التوفيق.

وذهب عوام أصحاب الحديث إلى أن الأرواح علـى أفنية قبورها وهذا قول لا حجة له أصلاً تصـححه الأخبـر ضعيف لا يحتج بمثله لأنه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث وما كان هكذا فهو ساقط أيضاً وذهب أبو الهذيل العلاف والأشعرية إلى أن الأرواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين فإذا مات الميت فلا روح هنالك أصـلاً ومـن عجائب أصحاب هذه الـم قـال ة الفاسـدة قـولهم أن روح الإنسان الآن غير روحه قبل ذلك وأنه لا ينفك تحـدث لـه روح ثم تفني وهكذا أبداً وأن الإنسان يبدل ألف ألـف روح

وأكثر في مقدار أقل من ساعة زمانية وهذا يشبه تخليط مـن هاج به البرسام وزاد بعضهم فقال إن صـحت الآثـار فـي عذاب الأرواح فإن الحياة ترد إلى أقل جزء لا يتجـزأ مـن الجسم فهو يعذب وهذا أيضاً حمق آخر ودعاوي في غايـة الفساد وبلغني عن بعضهم أنه يزعم أن الحياة ترد إلى عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم وتعلق بالحديث الثابت عن رسـول ا صلى ا عليه وسلم كان ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب.

قال أبو محمد: وهذا الخبر صحيح إلا أنه لا حجـة فيه لأنه ليس فيه أن عجب الذنب يحيا ولا أنه يركـب فيـه حياة ولا أنه يعذب ولا ينتقم وهذا كله مقحم في كلام النبـي صلى ا عليه وسلم وإنما في الحـديث أن عجـب الـذنب خاصة لا يأكله التراب فلا يحول تراباً وأنه منه ابتداء خلـق المرء ومنه يبتدأ إنشاؤه ثانية فقط وهذا خارج أحسن خروج على ظاهره وأن عجب الذنب خاصة تتبدد أجـزاؤه وهـي عظام تحسها لا تحول تراباً وأن ا تعالى يبتـدئ الإنشـاء الثاني يجمعها ثم يركب تمام الخلق للإنسان عليه وأنه أول ما خلق من جسم الإنسان ثم ركب عليه سائره وإذ هذا ممكن لو

لم يأت به نص فخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أحـق بالتصديق من كل خبر لأنه عن ا عز وجل قال تعالى " هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنـة فـي بطـون أمهاتكم " و قال تعالى " ما َأشْهدتهم خَلْقَ السماواتِ والْأرضِ ولَا خَلْقَ َأنفُسِهم وما كُنتُ متخِذَ الْمضِلين عضدا " و قال أبو بكر بن كيسان الأصم لا أدري ما الروح ولم يثبت شيء غير الجسد.

قال أبو محمد: وسنبين إن شاء ا تعالى فساد هاتين الم قال تين في باب الكلام في الروح والنفس من كتابنا هـذا بحول ا وقوته والذي نقول به في مستقر الأرواح هو مـا قال ه ا تعالى ونبيه صلى ا عليه وسلم لا يتعـداه فهـو البرهان الواضحوهو أن ا تعالى قال " وإذا أخذ ربك مـن بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسـهم ألسـت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هـذا غافلين " و قال تعالى " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثـم قلنـا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا " فصح أن ا عز وجل خلـق الأرواح جملة وهي الأنفس وكذلك أخبر عليـه السـلام أن

الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منهـا اختلف.

قال أبو محمد: وهي العاقلة الحساسة وأخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يـأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام وقبل أن يـدخلها في الأجساد والأجساد يومئذ تراب وماء ثم أقرها تعالى حيث شاء لأن ا تعالى ذكر ذلك بلفظة ثم التي توجـب التعقيـب والمهلة ثم أقرها عز وجل حيث شاء وهـو البـرزخ الـذي ترجع إليه عند الموت لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المنى المنحدر من أصـلاب الرجال وأرحام النساء كما قال تعالى " ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى " و قال عز وجـل " ولقـد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قـرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنـا العلقـة مضـغة فخلقنـا المضغة عظاماً " الآية وكذلك أخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه يجمع خلق ابن آدم في بطن أمه أربعين يومـاً ثـم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وهذا نص قولنا والحمد فيبلوهم ا عـز

وجل في الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الـذي رآها فيه رسول ا صلى ا عليه وسلم ليلة أسرى بع عنـد سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليـه السـلام وأرواح أهل السقاوة عن يساره عليه السلام وذلك عند منقطع العناصر وتعجل أرواح الأنبياء عليهم السلام وأرواح الشهداء إلى الجنة وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا القول الذي قلنا بعينه و قال علـى هـذا أجمع أهل العلم.

قال أبو محمد: وهو قول جميع أهل الإسـلام حتـى خالف من ذكرنا وهذا هو قول ا عز وجـل " فَأَصـحاب الْميمنَةِ ما َأصحاب الْميمنَةِ وَأصحاب الْمشْأمةِ مـا َأصـحاب الْمشْأمةِ والسابِقُون السابِقُون ُأولَئِك الْمقَربون ِفي جناتِ النعِيمِ " وقوله تعالى " وَأما ِإن كَان ِمن َأصحابِ الْيمِين فَسلَام لـك ِمن َأصحابِ الْيمِين وَأما ِإن كَان ِمن الْمكَذِبين الضالين فَنُزلٌ من حمِيمٍ وتَصلِيةُ جحِيمٍ ِإن هذَا لَهو حق الْيقِين " ولا تـزال الأرواح هنالك حتى يتم عـدد الأرواح كلهـا بنفخهـا فـي أجسادها ثم برجوعها إلى البرزخ المذكور فتقـوم السـاعة ويعيد عز وجل الأرواح ثانية إلى الأجساد وهي الحياة الثانية

ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلـدين أبداً.

قال أبو محمد: قول بعض الأشعرية معنى قول النبي صلى ا عليه وسلم في العهد المأخوذ في قول ا عز وجل " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشـهدهم على أنفسهم " إن إذ هاهنا بمعنى إذا فقول في غاية السـقوط لوجوه خمسة أولها أنه دعوى بلا دليل والثانية أن إذ بمعنـى إذا لا يعرف في اللغة وثالثها أنه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاماً لا يعقل ولا يفهم وإنما أورده عـز وجل حجة علينا ولا يحتج ا عز وجل إلا بما يفهم لا بما لا يفهم لأن ا تعالى قد تطول علينا بإسقاط الأصـر عنـا ولا أصر أعظن من تكليفنا فهم ما ليس في بنيتنا فهمه ورابعهـا أنه لو كان كما ادعى لما كان على ظهر الأرض إلا مـؤمن والعيان يبطل هذا لأننا نشاهد كثيراً من الناس لم يقولوا قـط ربنا ا ممن نشأ على الكفر وولد عليه إلى أن مات وممـن يقول بأن العالم لم يزل ولا محدث له من الأوائل والمتأخرين وخامسها أن ا عز وجل إنما أخبر بهذه الآية عما فعل ودلنا بذلك على أن الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد كما كـان

قبل حلوله فيه لأنه تعالى أخبرنا أنه أقام علينا الحجة بـ ذلك الإشهاد دليلاً كراهية أن نقول يوم القيامة أنا كنا نحن فيهـا عن هذا غافلين أي عن ذلك الإشهاد المذكور فصح أن ذلـك الإشهاد قبل هذه الدار التي نحن فيها التي أخبرنـا ا عـز وجل فيها بذلك الخبر وقبل يوم القيامة أيضاً فبطل بذلك قول بعض الأشعرية وغيرها وصح أن قولنا هـو نـص الآيـة والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: وإنما أتى المخالفون منهم أنهم عقدوا على أقوال ثم راموا رد كلام ا تعالى وكـلام رسـول ا صلى ا عليه وسلم إليها وهذا هو الباطـل الـذي لا يحـل ونحن و الحمد إنما أتينا إلى ما قال ه عز وجل وما صـح عن رسول صلى ا عليه وسلم فقلنا به ولم نحكم في ذلـك بطراً ولا هوى ولا رددناهما إلى قول أحد بل رددنا جميـع الأقوال إلى نصوص القرآن والسنن والحمد رب العالمين كثيراً وهذا هو الحق الذي لا يحق تعديه.

قال أبو محمد: وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر ا تعالى أنهم المقربون في جنات النعـيم وأنهـم غير أصحاب اليمين وكذلك أخبر عليهم السلام أنه رآهم في

السموات ليلة أسرى به في سماء سماء وكذلك الشهداء أيضاً هم في الجنة لقول ا عز وجل " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل ا أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون " وهذا الـ رزق للأرواح بلا شك ولا يكون إلا في الجنة وقد بين رسـول ا صلى ا عليه وسلم بالحديث الذي روي نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش وروينا هذا الحديث مبيناً من طريق ابن مسعود رضي ا عنه وأنهم الشهداء وبهذا تتألف الأحاديـث والآيـات والحمـد رب العالمين فإن قال قائل كيف تخرج الأنبيـاء علـيهم السـلام والشهداء من الجنة إلى حضور الموقف يوم القيامة قيل لـه وبا التوفيق لسنا ننكر شهادة القرآن والحـديث الصـحيح بدخول الجنة والخروج عنها قبل يوم القيامة فقد خلق ا عز وجل فيها آدم عليه السلام وحواء ثم أخرجهما منها إلى الدنيا والملائكة في الجنة ويخرجون منها برسالات رب العـالمين إلى الرسل والأنبياء إلى الدنيا وكل ما جاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره إلا جاهل أو مغفل أو رديء الدين وأما الـذي ينكر ولا يجوز أن يكون البتة فخروج روح من دخل الجنـة إلى النار فالمنع من هذا إجماع من جميع الأمة متيقن مقطوع

به وكذلك من دخلها يوم القيامة جزاء أو تفضلاً من ا عز وجل فلا سبيل إلى خروجه منها أبداً بالنص وبـا تعـالى التوفيق.

الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ

قال أبو محمد: اختلف الناس في حكم من مات مـن أطفال المسلمين والمشركين ذكورهم وإناثهم فقالت الأزارقة من الخوارج أما أطفال المشركين ففي النار وذهبت طائفـة إلى أنهم يوقد لهم يوم القيامة نار ويؤمرون باقتحامها فمـن دخلها منهم دخل الجنة ومن لم يدخلها مـنهم أدخـل النـار وذهب آخرون إلى الوقوف فيهم وذهب جمهور الناس إلـى أنهم في الجنة وبه نقول.

قال أبو محمد: فأما الأزارقة فاحتجوا بقول ا تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام أنه قـال " رب لا تـذر علـى الأرض من الكافرين دياراً أنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً " ويقول روي عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن خديجة أم المؤمنين رضي ا عنها قلـت يـا

رسول ا   أين أطفالي منك قال في   الجنة قال ت فأطفال من غيرك قال في النار فأعادت عليه فقال لها إن شئت أسمعتك تضاغيهم وبحديث آخر فيه الوائدة والموءودة فـي النـار و قالوا إن كانوا عندكم في الجنة فهم مؤمنون لأنـه لا يـدخل الجنة الأنفس مسلمة فإن كانوا مؤمنين فيلـزمكم أن تـدفنوا أطفال المشركين مع المسلمين وأن لا تتركوه يلتزم إذا بلـغ دين أبيه فتكون ردة وخروجاً عن الإسلام والكفر وينبغي لكم أن ترثوه وتورثوه من أقاربه من المسلمين.

قال أبو محمد: هذا كلما احتجوا به ما يعلم لهم حجة غير هذا أصلاً وكله لا حجة لهم فيه البتة أما قول نوح عليه السلام فلم يقل ذلك على كل كافر بل قال ذلك علـى كفـار قومه خاصة لأن ا   تعالى قال له " أنه لا يؤمن من قومـك إلا من قد آمن " فأيقن نوح عليه السلام بهذا الوحي أنـه لا يحدث فيهم مؤمن أبداً وإن كل من ولدوه إن ولدوه لم يكن إلا كافراً ولا بد وهذا هو نص الآية لأنه تعالى حكي أنه قال " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديـاراً " وإنمـا أراد كفار وقته الذين كانوا على الأرض حينئذ فقـط ولـو كـان للأزارقة أدنى علم وفقه   لعلموا أن هذا من كلام نوح عليـه

السلام ليس على كل كافر لكن على قوم نوح خاصـة لأن إبراهيم ومحمداً صلى ا عليهما وسلم كانا أبواهما كـافرين مشركين وقد ولدا خير الأنس والجن من المـؤمنين وأكمـل الناس إيماناً ولكن الأزارقة كانوا أعراباً جهالاً كالأنعام بـل هم أضل سبيلاً وهكذا صح عن النبي صلى ا عليه وسـلم من طريق الأسود بن سريع التميمي أنه عليه السـلام قـال أوليس خياركم أولاد المشركين.

قال أبو محمد: وهل كان أفاضل الصحابة رضي ا عنهم الذين يتولاهم الأزارقة كابن أبي قحافـة وعمـر بـن الخطاب وخديجة أم المؤمنين وغيرهم رضي ا عـنهم إلا أولاد الكفار فهل ولد آباؤهم كفاراً وهل ولدوا إلا أهل الإيمان الصريح ثم آباء الأزارقة أنفسهم كوالدنا نـافع ابـن الأزرق وغيرهم من شيوخهم هل كانوا إلا أولاد المشركين ولكن من يضلل ا فلا هادي له وأما حديث خديجة رضي ا عنهـا فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير وأما حديث الوائـدة فإنه جاء كما نذكره حدثنا يوسف بن عبد البر أنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر بن حمـاد حـدثنا مسدد عن المعتمر بن سليمان التميمي قال سمعت داود بـن

أبي هند يحدث عن عامر الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفي قال أتيت أنا وأخي رسول ا صلى ا عليه وسلم فقلنا له أن أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شيء قال لا قلنا فإن أمنا وأدت أختاً لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم الموءودة والوائدة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم.

قال أبو محمد: وهذه اللفظة يعني لم تبلغ الحنث ليست بلا شك من كلام رسول ا صلى ا عليه وسلم ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفي وأخيه فلما أخبر عليه السلام بأن تلك الموءودة في النار كان ذلك إنكاراً وإبطالاً لقولهما أنها لم تبلغ الحنث وتصحيحها لأنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنها لا يجوز إلا هذا القول لأن كلامه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضاً ويوافق لما أخبر به عز وجل ومعاذ ا من غير ذلك وقد صح أخبار النبي صلى ا عليه وسلم بأن أطفال المشركين في الجنة قال ا تعالى " وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ " فنص تعالى على أنه لا ذنب

للموءودة فكان هذا مبين لأن أخبار النبي صـلى ا عليـه وسلم بأن تلك الموءودة في النار أخبار عن أنها قـد كانـت بلغت الحنث بخلاف ظن أخويها وقد روي هذا الحديث عـن داود بن أبي هند محمد بن عدي وليس هو دون المعتمر ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه أيضاً داود بن أبي هند عبيـدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التي ذكرها المعتمر فأما حديث عبيدة فحدثناه أحمد بن محمد بن الجسور قال أنا وهب بـن ميسرة قال حدثنا محمد بن وضاح حدثنا أبو بكر بـن أبـي شيبة حدثنا عبيدة ابن حميد عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد قال أتيت النبي صـلى ا عليه وسلم أنا وأخي فقلنا يا رسول ا إن أمنـا كانـت تقري الضيف وتصل الرحم في الجاهلية فهل ينفعها ذلك شيئاً قال لا قال فإنها وأدت أختاً لنا في الجاهلية فهل ينفـع ذلـك أختنا شيئاً قال لا الوائدة والموءودة في النـار إلا أن تـدرك الإسلام فيعفوا ا عنها وأما حديث ابن أبي عـدي فحـدثناه أحمد بن عمر بن أنس العذري حدثنا أبو بدر عبد بن أحمـد الهروي الأنصاري حدثنا أبو محمد سعيد الخليل بـن أحمـد السجستاني حدثنا عبد ا بن محمد بن عبد العزيـز حـدثنا

أحمد بن محمد بن حنبل حدثنا محمد بن أبي عدي عـن داود ابن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سـلمة بـن يزيـد الجعفي قال انطلقت أنا وأخي إلى النبي صلى ا عليه وسلم فقلنا يا رسول ا إن مليكة كانـت تصـل الـرحم وتقـرى الضيف وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً قـال لا قال فإنها وأدت أختاً لها في الجاهلية فهل قال أبو محمـد: هكذا رويناه لها بالهاء على أنها أخت الوائدة.

قال أبو محمد: وهذا حديث قد رويناه مختصراً كمـا حدثاه عبد ا ابن ربيع التميمي حدثنا عمر ابن عبد الملـك الخولاني حدثنا محمد ابن بكر الوراق البصري حـدثنا أبـو داود السجستاني حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا يحيـى بـن زكريا بن أبي زائدة حدثني أبي عن عامر الشعبي قال قـال رسول ا صلى ا عليه وسلم الوائدة والموءودة في النـار قال يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال أبـي فحـدثني أبـو إسحاق بن عامر حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عـن النبي صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: وهذا مختصر وهو على ما ذكرنا أنه عليه السلام إنما عنى بذلك التي بلغت لا يجوز غير هذا لما

ذكرنا وبا تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بقول رسـول ا صلى ا عليه وسلم هم من آبائهم فإنما قال ه عليه السـلام في الحكم لا في الدين و تعالى أن يفرق بين أحكام عبـاده ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه وأيضاً فلا متعلق لهم بهـذا اللفظ أصلاً لأنه إنما فيه أنهم من آبائهم وهذا لا شك فيه أنهم توالدوا من آبائهم ولم يقل عليه السلام أنهم على دين آبـائهم وأما قولهم ينبغي أن تصلوا على أطفال المشركين وتورثوهم وترثوهم وأن لا تتركونهم يلتزموا دين آبائهم إذا بلغوا فإنهـا ردة فليس لهم أن يعترضوا على ا تعـالى فلـيس تركنـا الصلاة عليهم يوجب أنهم ليسوا مؤمنين فهؤلاء الشهداء وهم أفاضل المؤمنين لا يصلى عليهم وأما انقطاع المواريث بيننا وبينهم فلا حجة في ذلك على أنهم ليسوا مؤمنين فإن العبـد مؤمن فاضل لا يرث ولا يورث وقد يأخذ المسلم مال عبـده الكافر إذا مات وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبـد من عبيده يسلم ثم يموت قبل أن يباع عليه وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد إذ مات كافراً مرتداً وقتل على الردة وهذا معاذ بن جبل ومعاوية بن أبي سفيان ومسـروق بن الأجدع وغيرهم من الأئمة رضـي ا عـنهم يورثـون

المسلمين من أقاربهم الكفار إذا ماتوا و تعالى أن يفرق بين أحكام من شاء من عباده وإنما نقف حيث أوقفنا الـنص ولا مزيد وكذلك دفنهم في مقابر آبائهم أيضـاً وكـذلك تـركهم يخرجون إلى أديان آبائهم إذا بلغوا فإن ا تعـالى أوجـب علينا أن نتركهم وذلك ولا نعترض على أحكام ا عز وجل ولا يسأل عما يفعل وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم كل مولود على الملة حتى يكون أبواه يهودانـه وينصـرانه ويمجسانه ويشركانه.

قال أبو محمد فبطل أن يكون لهم فـي شـيء ممـا ذكرنا متعلق وإنما هو تشغيب موهوا به لأن كا مـا ذكرنـا فإنما هي أحكام مجردة فقط وليس فـي شـيء مـن هـذه الاستدلالات نص على أن أطفال المشركين كفار ولا علـى أنهم غير كفار وهذه النكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقـط وبا تعالى التوفيق وأما من قال فيهم بالوقف فإنهم احتجـوا بقول رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ سئل عـن الأطفـال يموتون فقال عليه السلام ا أعلم بما كانوا عاملين وبقولـه صلى ا عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين رضي ا عنهـا إذ مات صبي من أبناء الأنصار فقال ت عصفور من عصافير

الجنة فقال لها عليه السلام وما يدريك يا عائشة أن الله خلـق خلقاً للنار وهم في أصلاب آبائهم.

قال أبو محمد وهذان الخبران لا حجة لهم في شيء منهما إلا أنهما إنما قال هما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة وقد قال تعالى آمراً لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول " وما أدري ما يفعل بـي ولا بكم " قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخير وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدر أو هو عليه السلام لا يقول إلا مـا جاء به الوحي كما أمر الله عز وجل أن يقول " أن اتبـع إلا ما يوحى إلي " فحكم كل شيء من الدين لم يأت به الوحي أن يتوقف فيه المرء فإذا جاء للبيان فلا يحل التوقف عن القـول بما جاء به النص وقد صح الإجماع علـى أن مـا علمـت الأطفال قبل بلوغهم من قتل أو وطئ أجنبية أو شرب خمـر أو قذف أو تعطيل صلاة أو صوم فإنهم غير مؤاخذين فـي الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا وكذلك لا خلاف في أنـه

لا يؤاخذ ا عز وجل أحداً بما لم يفعله بل قد صـح عـن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فمن المحال المنفي أن يكون ا عز وجل يؤاخذ الأطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعـده لعملـوه وهـم لا يؤاخذهم بما عملوا ولا يختلف اثنان في أن إنساناً بالغاً مات مما لو عاشوا بعده لعملوه وهم لا يؤاخذهم بالزنا الـذي لـم يعمله وقد أكذب ا عز وجل من ظن هذا بقوله الصـادق " الْيوم تُجزى كُل نَفْسٍ بِما كَسبتْ لَا ظُلْم الْيوم إِن الله سـرِيع الْحِسابِ " وبقوله تعالى " هل تجزون إلا ما كنتم تعملـون " فصح أنه لا يجزي أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن فصـح أن قول رسول ا صلى ا عليه وسلم ا أعلم بما كـانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد وفي هذا اختلفنا لا فيمـا عـداه وإنما فيه أن ا تعالى يعلم ما لم يكن وما لا يكون لو كـان كيف كان يكون فقط ونعم هذا حق لا يشك فيه مسلم فبطل أن يكون لأهل التوقف حجة في شيء من هذين الخبرين إذ لـم يصح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم في هذه المسـألة بيان وأما من قال أنهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطـل لأن ا تعالى يقول " ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تـزر وازرة

وزر أخرى " وأما من قال أنهم توقد لهم نـار فباطـل لأن الأثر الذي فيه هذه القصة إنما جاء في المجانين وفـيمن لا يبلغه ذكر الإسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا إن شاء ا تعالى.

قال أبو محمد فلما بطلت هذه الأقاويل كلهـا وجـب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسألة ففعلنـا فوجدنا ا تعالى قد قال " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطـرة ا التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق ا ذلك الدين القيم " و قال عز وجل " قولوا آمنا با وما أنزل إلينا وما أنزل إلـى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط " إلى قوله " لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " إلى قوله " صبغة ا ومن أحسن من ا صبغة ونحن له عابدون " فنص عز وجل على أن فطر الناس على الإيمان وأن الإيمان هو صـبغة ا تعالى و قال عز وجل " وإذ أخذ ربك مـن بنـي آدم مـن ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " فصح يقيناً أن كل نفس خلقها ا تعالى من بني آدم ومـن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلاً مميزون فإذ ذلك كـذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بإيمانهم حاشا من بدل هذا العهد وهذه

الفطرة وهذه الصبغة وخرج عنها إلى غيرها ومـات علـى التبديل وبيقين ندري أن الأطفال لم يغيروا شيئاً من ذلك فهم من أهل الجنة وصح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة وروي عنه عليه السلام أنه قال على الملة فأباه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشـركانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاً وهل يجدون فهيا مـن جـدعاء حتى تكونوا أنتم الـذي تجـدعونها وهـذا تفسـير الآيـات المذكورات حدثنا عبد ا بن ربيع حدثنا محمد بن إسـحاق السكن حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا أبو داود سـليمان بن الأشعث حدثنا الحسن بن علي حدثنا الحجاج بن المنهـال قال سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد علـى الفطرة فقال هذا عندنا حيث أخذ ا العهد عليهم في أصلاب آبائهم حيث قال " ألست بربكم قالوا بلى " وقد صح أيضاً عن رسول ا صلى ا عليه وسلم من طريق عياض بن حمـار المجاشعي قال عن ا تعالى أنه قال خلقت عبـادي حنفـاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم فصح يقيناً أنه كل من مات قبل أن تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفاً وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والإنس عباد له عز وجل مخلوقين

وأيضاً فإن ا عز وجل أخبر بقول إبليس له تعالى أن يغوي الناس فقال تعالى " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا مـن اتبعك من الغاوين " فصح يقيناً أن الغواية داخلة على الإيمان وأن الأصل من كل واحد فهو الإيمان وكل مؤمن ففي الجنة وأيضاً فإن ا تعالى قال " فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى " وليست هذه صفة الصبيان فصح أنهم لا يدخلون النار ولا دار إلا الجنة أو النار فإذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك في الجنة وقد صح عن رسول ا صـلى ا عليه وسلم في الرؤيا الكبيرة التي رآها أنه رأى إبـراهيم عليه السلام في روضة خضراً مفتخر وفيها من كـل نـور ونعيم وحواليه من أحسن صبيان وأكثرهم فسأل عليه السلام عنهم فأخبر أنهم من مات من أولاد الناس قبل أن يبلغوا فقيل له يا رسول ا وأولاد المشـركين قـال وأولاد المشـركين فارتفع الإشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففـي الجنـة ولا يحل لأحد تعدى ما صح بالقرآن والسنن وبا تعالى التوفيق فإن قال قائل إذا قلتم أن النار دار جزاء فالجنـة كـذلك ولا جزاء للصبيان قلنا وبا تعالى التوفيق إنمـا نقـف عنـدما

جاءت به النصوص في الشريعة قد جاء النص بأن النار دار جزاء فقط وأن الجنة دار جزاء وتفضـل فهـي لأصـحاب الأعمال دار جزاء بقدر أعمالهم ولمن لا عمل له دار تفضل من ا تعالى مجرد وقد قال قوم أن الصبان هم خـدم أهـل الجنة وقد ذكر ا تعالى الوالدان المخلدين في غير موضـع من كتابه وأنهم خدم أهل الجنة فلعلهم هؤلاء وا أعلم.

قال أبو محمد: وأما المجانين لا يعقلون حتى يموتوا فإنهم كما ذكرنا يولدون على الملة حفناء مؤمنين ولم يغيروا ولا بدلوا فماتوا مؤمنين فهم في الجنة حدثنا أحمد بن محمـد الطلمنكي بالثغري قال حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بـن المفرج القاضي حدثنا محمد بن أيوب السموط البرقي أنبأنـا محمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز حدثنا محمد بن المثنـي أبو موسى الزمن حدثنا معاذ بن هشام الدستواني حدثنا أبـي عن قتادة عن الأسود بن سريع التميمي عن النبي صـلى ا عليه وسلم قال يعرض على ا الأصم الذي لا يسمع شـيئاً والأحمق والهرم ورجل مات في الفترة فيقول الأصـم رب جاء الإسلام ولم أسمع شيئاً ويقول الأحمق جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ويقول الذي مات في الفترة ما أتانا لك من رسول

قال البزاز وذهب عني ما قال الرابع قال فيأخـذ مـ واثيقهم ليطيعنه فيرسل ا إليهم ادخلوا النار فوا الذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلام.

الكلام في القيامة وتغيير الأجساد

اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القـول بالبعث في القيمة وعلى تكثير من أنكر ذلك ومعنى هذا القول أن لمكث الناس وتناسلهم في دار الابتلا التي هي الدنيا أمـداً يعلمه ا تعالى فإذا انتهى ذلك الأمد مـات كـل مـن فـي الأرض ثم يحيى ا عز وجل كل من مات مذ خلق ا عز وجل الحيوان إلى انقضاء الأمد المذكور ورد أرواحهم التـي كانت بأعيانها وجمعهم في موقف واحد وحاسبهم عن جميـع أعمالهم ووفاهم جزاؤهم ففريق من الجن والإنس في الجنـة وفريق في السعير وبهذا جاء القرآن والسنن قال تعالى " من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهـو بكل خلق عليم " و قال تعالى " وإن ا يبعث من في القبور " و قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قـال " رب أرنـي كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " إلى آخر الآية و قال تعالى " ألم تر إلى الذين خرجوا مـن

ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحيـاهم " و قال تعالى فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثـت قـال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبث مائة عام " إلى قولـه " وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً " الآية و قال تعالى عن المسيح عليه السلام " وأحيي الموتى بإذن الله " ولا يمكن البتة أن يكون الإحيا المذكور في جميع هذه الآيات إلا رد الروح إلى الجسد ورجوع الحس والحركة الإرادية التـي بعد عدمها منه لم يكن غير هذا البتة إلا أن أبا العاص حكـم بن المنذر بن سعيد القاضي أخبرني عن إسماعيل بن عبد الله الرعيني أنه كان ينكر بعث الأجساد ويقول أن النفس حـال فراقها الجسد تصير إلى معادها في الجنة أو النـار ووقفـت على هذا القول بعض العارفين بإسماعيل فذكر لي ثقاة منهم أنهم سمعوه يقول أن الله تعالى يأخذ من الأجساد جزء الحياة منها.

قال أبو محمد: وهذا تلبيس من القول لم يخرج بـه عن ما حكي لي عنه حكم بن المنذر لأنه ليس في الأجسـاد جزء الحياة إلا النفس وحدها.

قال أبو محمد: ولم ألق إسماعيل الرعيني قط على أني قد أدركته وكان ساكناً معي في مدينة من مداين الأندلس تسمى نجاية مدة ولكنه كان مختفياً وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعبادة وصلاة وصيام وا أعلم وحكم بن المنذر ثقة في قوله بعيد من الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكان قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة في القدر وتبرأ منه أيضاً إبراهيم بن سهل الأريواني وكان من روس المرية وتبرأ منه أيضاً صهره أحمد الطبيب وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغني عنه أنه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول ا صلى ا عليه وسلم إذا وقف على ميت فقال أما هذا فقد قامت قيامته وبأنه عليه السلام كانت الأعراب تسأله عن الساعة فينظر إلى أصغرهم فيخبرهم أنه استوفى عن يمت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم.

قال أبو محمد: وإنما عني رسول ا صلى ا عليه وسلم بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك إلى يوم البعث كما قال عز وجل " ثم إنكم يوم القيامة تبعثون " فنص تعالى على أن البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التي هي للمهلة وهكذا أخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة " قَالُوا يا ويلَنَا من بعثَنَا

مِن مرقَدِنَا هذَا ما وعد الرحمن وصدقَ الْمرسلُون " وأنه يـوم مقداره خمسون ألف سنة وأنه يحيي العظام ويبعث من فـي القبور في مواضع كثيرة من القرآن وبرهان ضروري وهو أن الجنة والنار موضعان ومكانان وكـل موضـع ومكـان ومساحة متناهية بحدوده بالبرهان الذي قدمنا على وجـوب تناهي الإجسام وتناهى كل ما له عدد ويقول ا تعالى " جنة عرضها السماوات والأرض " فلو لم يكن لتولد الخلق نهايـة لكانوا أبداً يحدثون بلا آخر وقد علمنا أن مصيرهم الجنة أو النار ومحال ممتنع غير ممكن أن يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الأماكن فوجب ضرورة أن للخلق نهاية فـإذ ذلـك واجب فقد وجب تناهى عالم الذر والتناسل ضـرورة وإنمـا كلامنا هذا مع من يؤمن بالقرآن وبنبوة محمد صلى ا عليه وسلم وادعى الإسلام وأما من أنكر الإسلام فكلامنا معه على ما رتبناه في ديواننا هذا من النقض على أهل الإلحاد حتـى تثبت نبوة محمد صلى ا عليه وسلم وصحة ما جـاء بـه فنرجع إليه بعد التنازع وبا تعالى التوفيق وقـد نـص ا تعالى على أن العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة وأما اللحم فإنما هو كسوة كما قال " ولقد خلقنا الإنسان من سـلالة

من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين " إلى قوله " فكسـونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك ا أحسن الخـالقين " فأخبر عز جل أن عنصر الإنسان إنما هـو العظـام الـذي انتقلت عن السلالة التي من طين إلى النطفة إلى العلقة إلـى المضغة إلى العظام وأن اللحم كسوة العظام وهذا أمر مشاهد لأن اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقى منه ما لا قدر له ثـم يكثر عليه لحم آخر إذا خصب الجسم وكذلك أخبرنـا عـز وجل أنه يبدل الخلق في الآخرة فقال " كلما نضجت جلـودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب " وفي الآثار الثابتـة أن جلود الكفار تغلظ حتى تكون نيفاً وسبعين ذراعاً وأن ضرسه في النار كأحد وكذلك نجد اللحم الذي فـي جسـد الإنسـان يتغذى به حيوان آخر فيستحيل لحماً لذلك الحيوان إذ ينقلـب دوداً فصح بنص القرآن العظام هي التي تحيى يوم القيامـة ومن أنكر ما جاء به القرآن فلا حظ له في الإسلام .

▲ الكلام في خلق الجنة والنار

ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنـة والنار لم يخلقا بعد وذهب جمهور المسلمين إلى أنهمـا قـد خلقتا وما نعلم لمن قال أنهما لم يخلقا بعد حجة أصلاً أكثـر

من أن بعضهم قال قد صح عن رسول ا صلى ا عليـه وسلم أنه قال وذكر أشياء من أعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة ويقول ا تعالى حاكياً عن امـرأة فرعون أنها قالت " رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة " قـالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في اسـتئناف البنـاء والغرس معنى.

قال أبو محمد: وإنما قلنا أنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث ا تعالى فيها ما يشاء من البنيان.

قال أبو محمد: والبرهان على أنهما مخلوقتان بعـد أخبار النبي صلى ا عليه وسلم أنه رأى الجنة ليلة الإسراء وأخبر عليه السلام أنه رأى سـدرة المنتهـى فـي السـماء السادسة و قال تعالى " عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى " فصح أن جنة المأوى هي السماء السادسة وقد أخبر ا عـز وجل أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى " لهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملـون " فليس لأحد بعـد هذا أن يقول أنها جنة غير جنة الخلد وأخبر عليه السالم أنـه رأي الأنبياء عليهم السلام في السماوات سماء سماء ولا شك

في أن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة فصح أن الجنات هي السماوات وكذلك أخبـر عليـه السـلام أن الفردوس الأعلى من الجنة التي أمرنا ا تعـالى أن نسـأله إياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة وكذلك أخبر عليه السلام أن النار اشتكت إلى ربـاه فأذن لها بنفسين وأن ذلك أشد ما نجده من الحر والبرد وكان القاضي منذر بن سعيد يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتـان إلا أنه كان يقول أنها ليست التي كان في آدم عليـه السـلام وامرأته واحتج في ذلك بأشياء منها أنه لو كانت جنة الخلـد لما أكل من الشجرة رجاء أن يكون من الخالدين واحتج أيضاً بأن جنة الخلد لا كذب فيها وقد كذب فيها إبليس و قال مـن دخل الجنة لم يخرج منها وآدم وامرأته عليهما السـلام قـد خرجا منها.

قال أبو محمد: كل هذا لا دليل له فيه أما قوله أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة رجاء أن يكون من الخالدين فقد علمنا أن أكله من الشجرة لم يكن ظنه في صواباً ولا أكله لها صواباً وإنما كان ظناً ولا حجة فيما كان هذه صفته وا عز وجل لم يخبره بأنه مخلد في الجنة بل قد كان فـي علـم ا

تعالى أنه سيخرجه منها فأكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذي لم يضمن له ولا تيقن به لنفسه وأما قوله أن الجنة لا كذب فيها وأن من دخلها لم يخرج منها وقد كـذب فيهـا إبليس وقد خرج منها آدم وامرأته فهذا لا حجة له فيه وإنمـا تكون كذلك إذا كانت جزاء لأهلها كما أخبر عز وجل عنهـا حيث يقول " لا تسمع فيها لاغية " فإنما هذا على المستأنف لا على ما سلف ولا نص معه على ما ادعى ولا إجماع واحتج أيضاً بقول ا عز وجل لآدم عليه السلام " إن لك ألا تجـوع فيها ولا تعرى " قال وقد عرى فيها آدم عليه السلام.

قال أبو محمد: وهذا لا يحجة فيه بل هو حجة عليـه لأن ا عز وجل وصف الجنة التي أسكن فيها آدم بأنهـا لا يجاع فيها ولا يعرى ولا يظمأ فيها ولا يضحى وهذه صـفة الجنة بلا شك وليس في شيء مما دون السماء مكـان هـذه صفته بلا شك بل كل موضع دون السماء فإنه لا بد أن يجاع فيه ويعرى ويظمأ ويضحى ولا بد من ذلك ضرورة فصـح أنه إنما سكن المكان الذي هذه صفته وليس هذا غير الجنـة البتة وإنما عرى آدم حين أكل من الشجرة فأهبط عقوبة له و

قال أيضاً قال ا عز وجل " لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً " وأخبر آدم أنه لا يضحى.

قال أبو محمد: وهذا أعظم حجة عليه لأنه لو كـان في المكان الذي هو فيه شمس لأضحى فيه ولا بد فصـح أن الجنة التي أسكن فيها آدم كانت لا شمس فيها فهي جنة الخلد بلا شك وأيضاً فإن قوله عز وجل " اسكن أنت وزوجك الجنة " إشارة إلى بالألف واللام ولا يكون ذلك إلى على معهود ولا تنطلق الجنة هكذا إلا على جنة الخلد ولا ينطلق هذا الاسـم على غيرها إلا بالإضافة وأيضاً فلو أسكن آدم عليه السـلام جنة في الأرض لم كان في إخراجه منها إلى غيرهـا مـن الأرض عقوبة بل قد بين تعالى أنها ليست في الأرض بقوله تعالى " وقُلْنَا اهبِطُواْ بعضكُم لِبعضٍ عدو ولَكُـم فِـي الأَرضِ مستَقَر ومتَاع إِلَى حِينٍ " فصح يقيناً بالنص أنه قد أهبط مـن الجنة إلى الأرض فصح أنها لم تكن في الأرض البتة وبـا تعالى التوفيق.

الكلام في بقاء أهل الجنة والنار أبداً

قال أبو محمد: اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها الأجهم بـن صـفوان

وأبا الهذيل العلاف وقوماً من الروافض فأما جهم فقـال أن الجنة وانلار يفنيان ويفنى أهلهما و قال أبو الهذيل أن الجنـة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلـذذون أو معذبون و قال ت تلك الطائفة من الروافض أن أهل الجنـة يخرجون من الجنة وكذلك أهل النار إلى حيث شاء ا .

قال أبو محمد: أما هذه الم قال ة ففي غايـة الغثاثـة والتعري من شيء يشغب به فكيف من إقناع أو برهان ومـا كان هكذا فهو ساقط وأما قول أبي الهذيل فإنه لا حجة له إلا أنه قال كلما قال أبو محمد: فظن أبو الهذيل لجهلـه بحـدود الكلام وطبايع الموجودات أن ما لم يخرج إلى الفعل فإنه يقع عليه العدد وهذا خطأ فاحش لأن ما لم يخرج إلى الفعل فليس شيئاً ولا يجوز أن يقع العدد إلا على شيء وإنما يقع العـدد على ما خرج إلى الفعل من حركات أهل النار والجنة متـى ما خرج فهو محدود متناه وهكذا أبداً وقد أحكمنا هذا المعنى في أول هذا الكتاب في باب إيجاب حدوث العـالم وتنـاهي الموجودات فأغنى عن إعادته وبا تعالى التوفيق فبطل مـا موه به أبو الهذيل و الحمد ثم نقول أن قوله هـذا خـلاف

للإجماع المتيقن وأيضاً فإن الذي فر منه في الحركات فإنـه لازم له في مدد سكونهم وتنعمهم وتألمهم لأنه مقـر بـأنهم يبقون ساكنين متنعمين متألمين بالعذاب وبالضرورة ندري أن للسكون والنعيم والعذاب مدداً يعد كل ذلك كما تعد الحركـة ومددها ولا فرق أيضاً فلو كان ما قال ه أبو الهذيل صحيحاً لكان أهل الجنة في عذاب واصب وفـي صـفة المخـدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقى البنج وهذا غاية النكد والشقاء ونعوذ با من هذا الحال وأما جهم بن صفوان فإنه احتج بقول ا تعالى " وأحصى كل شيء عدداً " وبقوله تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه " و قال كما لا يجـوز أن يوجـد شيء لم يزل غير ا تعالى فكذلك لا يجوز أن يوجد شـيء لا يزال غير ا تعالى.

قال أبو محمد: ما نعلم له حجة غير هذا أصلاً وكل هذا لا حجة له فيه أما قوله تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه " فإنما عنى تعالى الاستحالة من شيء إلى شيء ومن حال إلى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون ا تعالى وكذلك مدد النعيم في الجنة والعذاب في النار كلما فنيت مدة أحـدث ا عز وجل أخرى وهكذا أبداً بلا نهاية ولا آخر يدل على هذا

ما نذكره بعد أن شاء ا تعالى من الدلائل على خلود الجنـة والنار وأهلها وأما قوله تعالى " وأحصى كل شيء عدداً " فإن اسم الشيء لا يقع إلا على موجود والإحصاء لا يقع على ما ذكرنا إلا على ما خرج إلى الفعل ووجد بعد وإذا لم يخـرج من الفعل فهو لا شيء بعد ولا يجوز أن يعد لا شيء وكل ما خرج إلى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلهما فمحصي بلا شك ثم يحدث ا تعالى لهم مدداً آخر وهكذا أبـداً بـلا نهاية ولا آخر و قالوا هل أحاط ا تعالى علماً بجميع مـدة الجنة والنار أم لا فإن قلتم لا جهلتم ا وإن قلتم نعم جعلـتم مدتها محاطاً بها وهذا هو التناهي نفسه.

قال أبو محمد: إن ا تعالى إنما يعلم بالأشياء علـى ما هي عليه لأن من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطئ في اعتقاده ظان للباطل وليس علماً ولا حقاً ولا هو عالم به وهذا ما لا شك فيه وعلم ا عز وجل هـو الحق اليقين على ما هي معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو في علم ا تعالى ذو نهاية ولا سبيل إلى غير هذا البتـة وليس للجنة والنار مدد غير متناهية محاط بها وإنما لهما مدد كل ما خرج منها إلى الفعل فهو محصي محاط بعدده وما لم

يخرج إلى الفعل فليس بمحصي لكن علم ا تعالى أحاط أنه لا نهاية لهما وأما قوله كما لا يجوز أن يوجد شيء غير ا تعالى لا نهاية له لم يزل فإن هذه قضية فاسدة وقياس فاسـد لا يصح والفرق محال في الوجود كما ذكرنا في الرد علـى من قال بأن العالم لم يزل فأغنى عن إعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لأن إحداث ا تعالى شيئاً بعد شيء أبداً بلا غايـة متوهم ممكن لا حوالة فيه فقياس الممكـن المتـوهم علـى الممتنع المستحيل الذي لا يتوهم باطل عند القائلين بالقيـاس فكيف عند من لا يقول به فإن قال قائل أن كل ما مالـه أول فله آخر قلنا له هذه قضية فاسدة ودعوى مجزدة وما وجـب هذا قط لا بقضية عقل ولا بخبر لأن كون الموجودات لهـا أوائل معلوم بالضرورة لأن ما وجد بعد فقد حصـره عـدد زمان وجوده وكل ما حصره عدد فلذلك العدد أول ضـرورة وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد أبداً فيمكن الزيادة بلا نهاية وتمادي الموجود بخلاف المبدأ لأنه إذا أبقى وقتـاً جـاز أن يبقى وقتين وهكذا أبداً بلا نهاية وكل ما خرج من مدد البقاء إلى حد الفعل فذو نهاية با شك كذلك من العدد أيضاً ولم نقل أن بقاء الناس في هذه الدنيا له نهاية إلا من النص ولو أخبر

ا تعالى بذلك لأمكن وجاز أن تبقى الدنيا أبداً بـلا نهايـة ولكان ا تعالى قادراً على ذلك ولكن النص لا يحل خلافـه وكذلك لولا قال أبو محمد: والبرهان على بقاء الجنة والنـار بلا نهاية قول ا تعالى " خالدين فيها ما دامـت السـماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ " وقوله تعالى في غير موضع من القرآن " خالدين فيها أبدا " وقوله تعالى " لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى " مع صـحة الإجمـاع بذلك وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وروينا عن عبد ا بن عمـرو بـن العاص لو أقام أهل النار في النار ما شاء ا أن يبقوا لكـان لهم على ذلك يوم يخرجون فيها منها.

قال أبو محمد: وهذا إنما هـو فـي أهـل الإسـلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خالياً ولا يحل لأحد أن يظـن فـي الصـالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك وبـا تعـالى التوفيق تم كتاب الإيمان والوعيد وتوابعه بحمد ا وشـكره على حسن تأييده وعونه وصلى ا على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم.

بسم ا   الرحمن الرحيم

لا إله إلى ا   عدة للقائه الكلام في الإمامة والمفاضلة

قال الفقيه الإمام الأوحد أبو محمد علي بن أحمد بن حزم رضي ا   عنه اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئـة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجـوب الإمامـة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فـيهم أحكـام ا   ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول ا   صـلى ا   عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قال وا لا يلـزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحـق بيـنهم وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد وهم المنسوبون إلى نجـدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة.

قال أبو محمد: وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا علـى بطلانـه والقـرآن والسنة قد ورد بإيجاب الإمام من ذلـك قـول ا   تعـالى " أطيعوا ا   وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأئمة وإيجاب الإمامة وأيضاً فـإن

ا عز وجل يقول " لا يكلف ا نفسا إلا وسـعها " فوجـب اليقين بأن ا تعالى لا يكلف الناس ما لـيس فـي بنيـتهم واحتمالهم وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام النـاس بما أوجبه ا تعالى من الأحكام عليهم في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها ومنع الظـالم وإنصاف المظلوم وأخذ القصاص علـى تباعـد أقطـارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلـك ممتنع غير ممكن إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم علـيهم إمـا لأنها ترد في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء وإمـا خلافـاً مجرداً عليهم وهذا الذي لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حـد حتى قد ذهب الدين في أكثرها فلا تصـح إقامـة الـدين إلا بالإسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد فإذ لا بد من أحـد هذين الوجهين فإن الاثنين فصاعداً بينهما أو بينهم ما ذكرنـا فلا يتم أمر البتة فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا الإسناد إلـى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوي على الإنفاذ إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والإهمال معه أقل منـه مـع

الاثنين فصاعدا وإذ ذلك كذلك ففرض لازم لكـل النـاس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم إن قدروا على كف كله لزمهم ذلك وإلا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامة على أنه لا يجوز كون إمامين في وقت واحد في العالم ولا يجوز إلا إمام واحد إلا محمد بن كرام السجسـتاني وأبـا الصـباح السمرقندي وأصحابهما فإنهم أجازوا كون إمامين في وقـت وأكثر في وقت واحد واحتج هؤلاء بقول الأنصار أو من قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير واحتجـوا أيضاً بأمر علي والحسن مع معاوية رضي ا عنهم.

قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه لأن قـول الأنصار رضي ا عنهم ما ذكرنا لم يكن صواباً بـل كـان خطأ إذا أداهم إليه الاجتهاد وخالفهم فيه المهاجرون ولا بـد إذا اختلف القائلان على قولين متنافين من أن يكون أحـدهما حقاً والآخر خطأ وإذ ذلك كذلك فواجب رد ما تنازعوا فيـه إلى ما افترض ا عز وجل الرد إليه عند التنازع إذ يقـول تعالى " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلـى ا والرسـول إن كنتم تؤمنون با واليوم الآخر " فنظرنا في ذلـك فوجـدنا

رسول ا صلى ا عليه وسلم قد قال إذا بويـع لإمـامين فاقتلوا الآخر منهما و قال تعالى " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا " و قال تعالى " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " فحرم ا عز وجل التفرق والتنازع وإذا كان إمامان فقـد حصل التفرق المحرم فوجد التنازع ووقعـت المعصـية تعالى وقلنا ما لا يحل لنا وأما من طريق النظر والمصـلحة فلو جاز أن يكون في العالم إمامان لجاز أن يكون فيه ثلاثة وأربعة وأكثر فإن منع من ذلك مانع كان متحكماً بلا برهان ومدعياً بلا دليل وهذا الباطل الذي لا يعجز عنـه أحـد وإن جاز ذلك زاد الأمر حتى يكون في كل عالم إمام أو في كـل مدينة إمام أو في كل قرية إمام أو يكون كل أحد إماماً وخليفة في منزله وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا فصح أن قول الأنصار رضي ا عنهم وهلة وخطأ رجعوا عنـه إلى الحق وعصمهم ا تعالى من التمادي عليه وأمـا أمـر علي والحسن ومعاوية فقد صح عن النبي صـلى ا عليـه وسلم أنه أنذر بخارجة تخرج من طائفتين من أمة يقتلها أولي الطائفتين بالحق فكان قاتل تلك الطائفة علي رضي ا عنـه فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك أنذر عليـه السـلام بـأن

عماراً تقتله الفئة الباغية فصح أن علياً هو صـاحب الحـق وكان علي السابق إلى الإمامة فصح بعد أنه صاحبها وأن من نازعه فيها فمخطئ فمعاوية رحمه ا مخطئ مأجور مـرة لأنه مجتهد ولا حجة في خطأ المخطئ فبطـل قـول هـذه الطائفة وأيضاً فإن قول الأنصار رضي ا عنهم منا أميـر يخرج على أنهم إنما أرادوا أن يلي وال منهم فإذا مات ولي من المهاجرين آخر وهكذا أبداً لا على أن يكون إمامان فـي وقت وهذا هو الأظهر من كلامهم وأما علي ومعاوية رضي ا عنهما فما سلم قط أحدهما للآخر بل كل واحـد منهمـا يزعم أنه المحق وكذلك كان الحسن رضي ا عنه إلـى أن أسلم الأمر إلى معاوية فإذ هذا كذلك فقد صح الإجماع علـى بطلان قول ابن كرام وأبي الصباح وبطل أن يكون لهم تعلق في شيء أصلاً وبا تعالى التوفيق ثـم اختلـف القـائلون بوجوب الإمامة على قريش فذهب أهل السنة وجميع الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة إلى أن الإمامة لا تجـوز إلا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك وأنهـا لا تجوز فيمن كان أبوه من غير بني فهر بن مالك وإن كانـت أمه من قريش ولا في حليف ولا في مولى وذهبت الخوارج

كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة إلى أنها جايزة فـي كل من قام بالكتاب والسنة قرشياً كان أو عربياً أو ابن عبد و قال ضرار بن عمرو الغطفاني إذا اجتمع حبشـي وقرشـي كلاهما قائم بالكتاب والسنة فالواجب أن يقدم الحبشي لأنه قال أبو محمد: وبوجوب الإمامة في ولد فهر بن مالـك خاصـة نقول بنص رسول ا صلى ا عليه وسلم على أن الأئمـة من قريش وعلى أن الإمامة في قريش وهذه رواية جـاءت مجيء التواتر ورواها أنس بن مالك وعبد ا بن عمر بـن الخطاب ومعاوية وروي جابر بن عبد ا وجابر بن سـمرة وعبادة بن الصامت معناها ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار رضي ا عنهم يوم السقيفة وهم أهل الدار والمنعة والعدة والعدد والسابقة في الإسلام رضي ا عـنهم ومـن المحال أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجـة عليهم بنص رسول ا صلى ا عليه وسلم على أن الحـق لغيرهم في ذلك فإن قال قائل أن قول رسول ا صـلى ا عليه وسلم الأئمة من قريش يدخل في ذلك الحليف والمـولى وابن الأخت لقول رسول ا صلى ا عليه وسلم مولي القوم منهم ومن أنفسهم وابن أخت القوم منهم فالجواب وبا تعالى

التوفيق أن الإجماع قد تيقن وصح على أن حكـم الحليـف والمولى وابن الأخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن أخت فمن أجاز الإمامة في غير هؤلاء جوزها في هؤلاء ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولى وابن الأخت فإذا صح البرهان بأن لا يكون إلا في قريش لا فيمن ليس قرشياً صح بالإجماع أن حليف قريش ومولاهم وابـن أختهم كحكم من ليس قرشياً وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: و قال قوم أن اسم الإمامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولي الصلاة بأهل مسجد ما قلنا نعـم لا يقع على هؤلاء إلا بالإضافة لا بالإطلاق في قال فلان إمـام في الدين وإمام بني فلان فلا يطلق لأحدهم اسم الإمامة بـلا خلاف من أحد من الأمة إلا على المتولي لأمور أهل الإسلام فإن قال قائل بأن اسم الإمارة واقع بلا خلاف على من ولـي جهة من جهات المسلمين وقد سمي بالأمارة كـل مـن ولاه رسول ا صلى ا عليه وسلم جهة من الجهات أو سرية أو جيشاً وهؤلاء مؤمنون فما المانع من أن يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين فجوابنا وبا التوفيق أن الكذب محرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا فإنما هو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم

فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبـاً لأن هـذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك وإنمـا هو أمير بعض المؤمنين فصح أنه ليس يجوز البتة أن يوقـع اسم الإمامة مطلقاً ولا اسم أمير المؤمنين إلا على القرشـي المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم أو الواجب له ذلـك وإن عصاه كثير من المؤمنين وخرجوا عن الواجب علـيهم مـن طاعته والمفترض عليهم من بيعته فكانوا بذلك فئـة باغيـة حلالاً قتالهم وحربهم وكذلك اسم الخلافة بإطلاق لا يجـوز أيضاً إلا لمن هذه صفته وبا التوفيق واختلف القائلون بـأن الإمامة لا تجوز إلا في صلبة قريش فقالت طائفة هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط وهـذا قـول أهـل السـنة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة و قالت طائفة لا تجـوز الخلافة إلى في ولد العباس بن عبـد المطلـب وهـو قـول الراوندية و قالت طائفة لا تجوز الخلافة إلا في ولد علي ابن أبي طالب ثم قصروها على عبد ا بن معاوية بن عبـد ا بن جعفر بن أبي طالب وبلغنا عن بعض بني الحـارث بـن عبد المطلب أنه كان يقول لا تجوز الخلافة إلا في بني عبـد المطلب خاصة ويراها في جميع ولد عبد المطلب وهم أبـو

طالب وأبو لهب والحارث والعباس وبلغنا عن رجـل كـان بالأردن يقول لا تجوز الخلافة إلا في بني أمية بـن عبـد شمس وكان له في ذلك تأليف مجموع وروينا كتابـاً مؤلفـاً لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي ا عنه يحتج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا لولد أبي بكر وعمر رضي ا عنهما.

قال أبو محمد: فأما هذه الفرق الأربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق أن يشتغل بها إلا دعاوي كاذبة لا وجـه لهـا وإنما الكلام مع الذين يرون الأمر لولد العباس أو لولد علـي فقط لكثرة عددهم.

قال أبو محمد: احتج من ذهب إلـى أن الخلافـة لا تجوز إلى في ولد العباس فقط على أن الخلفاء من ولده وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضـون بهـذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العبـاس عصـب رسول ا صلى ا عليه وسلم ووارثه فإذا كان ذلك قال أبو محمد: وهذا ليس بشيء لأن ميراث العباس رضي ا عنـه لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة وأما المرتبة فما جاء قط في الديانات أنها تورث فبطل هذا التمويه جملة و الحمد ولو جاز أن تورث المراتب لكان من ولاه رسول ا صـلى

الله عليه وسلم مكاناً ما إذا مات وجب أن يرث تلك الولاية عاصبه ووارثه وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح بإجماع جميع أهل القبلة حاشا الروافض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل " وورث سليمان داود " وبقوله تعالى حاكياً عن زكريا عليه السلام أنه قال " فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ".

قال أبو محمد: وهذا لا حجة فيه لأن الرواة حملة الأخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بني إسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلاً يوجب العلم أن داود عليه السلام كان له بنون غير سليمان عليه السلام فصح أنه ورث النبوة وبرهان ذلك أنهم كلهم مجمعون على أنه عليه السلام ولي مكان أبيه عليهما السلام وليس له إلا اثنتي عشرة سنة ولداود أربعة وعشرون ابناً كباراً وصغاراً وهكذا القول في ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قوله عليه السلام " يرثني ويرث من آل يعقوب " وهم مئوا ألوف يرث عنه النبوة فقط وأيضاً فمن المحال أن يرغب زكريا عليه السلام في ولد يحجب عصبته عن ميراث

فإنما يرغب في هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها وقد نزه ا عز وجل مريم عليها السلام التي كانت في كفالته من المعجزات قال تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحـراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عنـد ا إن ا يرزق من يشاء بغير حساب " إلى قولـه " إنـك سميع الدعاء " وعلى هذا المعنى دعا ف قال " هب لي مـن لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضـياً " وأما من اغتر بقوله تعالى حاكياً عنه عليه السلام أنه قال " وإني خفت الموالي من ورائي " قيل له بطلان هذا الظـن أن ا تعالى لم يعطه ولداً يكون له عقب فيتصل الميراث لهـم بل أعطاه ولداً محصوراً لا يقرب النساء قال تعالى " وسـيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين " فصح ضرورة أنـه عليـه السلام إنما طلب ولداً نبياً لا ولداً يرث المال وأيضاً فلم يكن العباس محيطاً بميراث النبي صلى ا عليه وسلم وإنما كان يكون له ثلاثة أثمانه فقط وأما ميراث المكانة فقد كان العباس رضي ا عنه حياً قائماً إذ مات النبي صلى ا عليه وسلم فما ادعي العباس لنفسه قط في ذلك حقاً لا حينئذ ولا بعد ذلك وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا أنكر هو ولا غيره تـرك

ذكره فيها فصح أنه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال بـه والخلفاء من ولده والأفاضل منهم من غير الخلفاء لا يـرون لأنفسهم بهذه الدعوى ترفعاً عن سقوطها ووهيها وبا تعالى التوفيق " وأما القائلون بأن الإمامة لا تكون إلا في ولد علي بن أبي طالب أنه الخليفة بعده وأن الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه وعلى كتمان نص النبي صـلى ا عليـه وسلم وهؤلاء المسمون الروافض وطائفة قالت لم ينص النبي صلى ا عليه وسلم على علي لكنه كان أفضل الناس بعـد رسول ا صلى ا عليه وسلم وأحقهم بالأمر وهؤلاء هـم الزيدية نسبوا إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبـي طالب ثم اختلفت الزيدية فرقاً ف قالت طائفـة أن الصـحابة ظلموه وكفروا من خالفه من الصحابة وهم الجارودية و قالت أخرى أن الصحابة رضي ا عنهم لم يظلموه لكنه طابـت نفسه بتسليم حقه إلى أبي بكر وعمر رضي ا عنهما وأنهما إماما هدى ووقف بعضهم في عثمان رضي ا عنه وتـولاه بعضهم وذكرت طائفة أن هذا كان مذهب الفقيه الحسن بـن صالح بن حي الهمداني.

قال أبو محمد: وهذا خطأ وقد رأيت لهشام بن الحكم الرافضي الكوفي في كتابه المعروف بـالميزان وقـد ذكـر الحسن بن حي وأن مذهبه كان أن الإمامة في جميع ولد فهر بن مالك.

قال أبو محمد: وهذا الذي لا يليق بالحسن بن حـي غيره فإنه كان أحد أئمة الدين وهشام ابن الحكم أعلم به ممن نسب إليه غير ذلك لأن هشاماً كان جاره بالكوفـة وأعـرف الناس به وأدركه وشاهده والحسن بن حي رحمه ا يحـتج بمعاوية رضي ا عنه وبابن الزبير رضي ا عنهما وهـذا مشهور عنه في كتبه ورواياته من روي عنه وجميع الزيدية لا يختلفون في أن الإمامة في جميع ولد علي بن أبي طالـب من خرج منهم يدعو إلى الكتاب والسنة وجب سـل السـيف معه و قالت الروافض الإمامة في علي وحده بالنص عليه ثم في الحسن ثم في الحسين وادعوا نصاً آخر من النبي صـلى ا عليه وسلم عليهما بعد أبيهما ثم علي بن الحسين لقول ا عز وجل " وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب ا " قال وا فولد الحسين أحق من أخيه ثم محمد بن علـي بـن الحسين ثم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وهذا مـذهب

جميع متكلميهم كهشام بن الحكم وهشـام الجـواليقي وداود المواري وداود الرقي وعلي بن منصور وعلي بن هيثم وأبي علي السكاك تلميذ هشام بن الحكم ومحمد بـن جعفـر بـن النعمان شيطان الطاق وأبي مالك الحضـرمي وغيـرهم ثـم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفـر بن محمد فقالت طائفة بإمامة ابنه إسماعيل بن جعفر و قالت طائفة بإمامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل و قالـت طائفـة جعفر حي لم يمت و قال جمهور الرافضة بإمامة ابنه موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي بن موسى ثـم علي بن محمد بن علي بن موسى ثم الحسن بن علي ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقاً وثبت جمهورهم على أنه ولد للحسن بن علي ولد فأخفاه وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الأشهر و قال بعضهم بل مـن جارية اسمها نرجس و قال بعضهم بل من جارية له اسـمها سوسن والأظهر أن اسمها صقيل لأن صقيل هـذه ادعـت الحمل بعد الحسن بن علي سيدها فوقف ميراثه لـذلك سـبع سنين ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي وتعصـب لهـا جماعة من أرباب الدولة وتعصب لجعفر آخرون ثم انفـش

ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر أخوه وكـان مـوت الحسن هذا سنة ستين ومائتين وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وقد عير بها أنها في منزل الحسن بن جعفر النوبختي الكاتب فوجدت فيه وحملت إلى قصـر المعتضـد فبقيت هنالك إلى أن ماتت في القصر في أيام المقتدر فهم إلى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عامـاً وكانـت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بـن أبـي عبيـد وكيسان أبا عمرة وغيرهما يذهبون إلـى أن الإمـام بعـد الحسين محمد أخوه المعروف بابن الحنيفة ومن هذه الطائفة كان السيد الحميري وكثير عزة الشاعران وكانوا يقولون أن محمد ابن الحنيفة حي بجبل رضوي ولهم من التخلـيط مـا تضيق عنه الصحف.

قال أبو محمد: وعمدة هـذه الطوائـف كلهـا فـي الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء.

قال أبو محمد: لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنـا فهم لا يصدقونا ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فـنحن

لا نصدقها وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحـتج أو لم يصدقه لأن من صدق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذ مكابراً منقطعاً أن ثبت على ما كان عليه إلا أن بعض ما يشغبون به أحاديث صحاح نوافقهم على صحتها منها قول رسول ا صـلى ا عليـه وسلم لعلي رضي ا عنه أنت مني بمنزلـة هـارون مـن موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

قال أبو محمد: وهذا لا يوجب له فضلاً علـى مـن سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام لأن هارون لـم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام وإنمـا ولـي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نـون فتـى موسـى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الأمر بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم صاحبه فـي الغار الذي سافر معه إلى المدينة وإذا لم يكن علي نبياً كمـا كان هارون نبياً ولا كان خليفة بعد موت موسى على بنـي إسرائيل فقد صح أن كونه رضي ا عنه مـن رسـول ا صلى ا عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى إنما هو فـي

القرابة فقط وأيضاً فإنما قال له رسول ا صـلى ا عليـه وسلم هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ف قال المنافقون استقله فخلفه فلحق علي برسول ا صـلى ا عليه وسلم فشكى ذلك إليه ف قال له رسـول ا صـلى ا عليه وسلم حينئذ أنت مني بمنزلة هارون من موسى يريـد عليه السلام أنه استخلفه على المدينة مختاراً استخلافه كمـا استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام أيضاً مختاراً لاستخلافه ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبـوك على المدينة في أسفاره رجالاً سوى علي رضـي ا عنـه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيـره ولا ولاية الأمر بعده كما لـم يوجـب ذلـك لغيـره مـن المستخلفين.

قال أبو محمد: وعمدة ما احتجت به الإمامية أن قال وا لا بد من أن يكون إمام معصوم عنـده جميـع الشـريعة ترجع الناس إليه في أحكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين.

قال أبو محمد: هذا لا شـك فيـه وذلـك معـروف ببراهينه الواضحة واعلامه المعجزة وآياته البـاهرة وهـو

محمد بن عبد ا بن عبد المطلب رسول ا صلى ا عليه وسلم إلينا تبيان دينه الذي ألزمنا إياه صلى ا عليـه وسـلم فكان كلامه وعهوده وما بلغ من كلام ا تعالى حجة نافـذة معصومة من كل آفة إلى من بحضرته وإلى من كـان فـي حياته غائباً عن حضرته وإلى كل من يأتي بعد موته صـلى ا عليه وسلم إلى يوم القيامة من جن وإنس قال عز وجل " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أوليـاء " فهذا نص ما قلنا وإبطال اتباع أحد دون رسول ا صلى ا عليه وسلم وإنما الحاجة إلى فرض الإمامـة لتنفيـذ الإمـام عهود ا تعالى الواردة إلينا على من عند فقط لا لأن يـأتي الناس ما لا يشاؤنه في معرفته من الدين الـذي أتـاهم بـه رسول ا صلى ا عليه وسلم ووجدنا علي رضي ا عنه إذ دعي إلى التحاكم إلى القرآن أجاب وأخبر أن التحاكم إلى القرآن حق فإن كان علي أصاب في ذلك فهو قولنا وإن كان أجاب إلى الباطل فهذه غير صفته رضي ا عنه ولو كـان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام ل قال علي حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الإمام المبلغ عن رسـول ا صلى ا عليه وسلم فإن قال وا إذ مات رسول ا صلى ا

عليه وسلم فلا بد من إمام يبلغ الدين قلنا هذا باطل ودعـوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته وإنما الذي يحتاج إليـه أهل الأرض من رسول ا صلى ا عليه وسلم بيانه وتبليغه فقط سواء في ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومـن جاء بعده إذ ليس في شخصه صلى ا عليه وسـلم إذا لـم يتكلم بيان عن شيء من الدين فالمراد منه عليه السلام كـلام باق أبداً مبلغ إلى كل من في الأرض وأيضاً فلو كان ما قال وا من الحاجة إلى إمام موجود أبداً لا ننقض ذلك عليهم بمن كان غائباً عن حضرة الإمام في أقطار الأرض إذ لا سـبيل إلى أن يشاهد الإمام جميع أهل الأرض الذين في المشـرق والمغرب من فقير وضعيف وامـرأة ومـريض ومشـغول بمعاشه الذي يضيع إن أغفله فلا بد من التبليغ عـن الإمـام فالتبليغ عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه وهذا ما لا انفكاك لهم منه.

قال أبو محمد: لا سيما وجميع أئمتهم الذين يـدعون بعد علي والحسن والحسين رضي ا عنهم ما أمروا قط في غير منازل سكناهم وما حكموا على قرية فما فوقها بحكم فما الحاجة إليهم لا سيما مذ مائة عام وثمانين عاماً فإنهم يدعون

إماماً ضالاً لم يخلق كعنقاء مغرب وهم أولو فحـش وقحـة وبهتان ودعوى كاذبة لم يعجز عن مثلها أحد وأيضـاً فـإن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجـزة ظـاهرة عليه أو بنص تنقله العلماء عن النبي صلى ا عليه وسـلم على كل إمام بعينه واسمه ونسبه وإلا فهي دعوى لا يعجـز عن مثلها أحد لنفسه أو لمن شاء ولقد يلزم كل ذي عقل سليم أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف الذي ترتفع عقول الصبيان عنه وما توفيقنا إلا با عز وجل وبرهان آخر ضروري وهو أن رسول ا صلى ا عليـه وسلم مات وجمهور الصحابة رضي ا عنهم حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين فما منهم أحد أشار إلـى علي بكلمة يذكر فيها أن رسول ا صلى ا عليه وسلم نص عليه ولا ادعى ذلك قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ولا ادعاه له أحد في ذلك الوقت ولا بعده ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق أكثر من عشرين ألـف إنسـان متنابذي الهمم والنيات والأنساب أكثرهم موتون في صـاحبه في الدماء من الجاهلية على طي عهد عاهده رسول ا صلى ا عليه وسلم إليهم وما وجدنا قط رواية عن أحد بهذا النص

المدعى إلا رواية واحدة واهية عن مجهولين إلـى مجهـول يكنى بالحمراء لا يعرف من هو في الخلـق ووجـدنا عليـاً رضي ا عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع طائعاً مراجعاً غير مكره فكيـف حـل لعلي رضي ا عنه عند هؤلاء النوكى أن يبائع طايعاً رجلاً إما كافراً وإما فاسقاً جاحداً لنص رسول ا صلى ا عليـه وسلم ويعينه على أمره ويجالسه في مجالسه ويواليه إلـى أن مات ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعاً وصحبه وأعانه علـى أمـره وانكحه من ابنته فاطمة رضي ا عنها ثم أقبل ادخاله فـي الشورى أحد ستة رجال فكيف حل لعلي عند هؤلاء الجهـال أن يشارك بنفسه في شورى ضالة وكفر ويغر الأمـة هـذا الغرور وهذا الأمر أدى أبا كامل إلى تكفير علي بـن أبـي طالب رضي ا عنه لأنه في زعمه أعان الكفار على كفرهم وأيدهم على كتمان الديانة وعلى ما لا يتم الدين إلا به.

قال أبو محمد: ولا يجوز أن يظن بعلي رضـي ا عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الأسد الشجاع قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول ا صلى ا

عليه وسلم مرات يوم الجمل وصفين فما الذي جبنـه بـين هاتين الحالتين وما الذي ألف بين بصار الناس على كتمـان حق علي ومنعه ما هو أحق به مذ مات رسول ا صلى ا عليه وسلم إلى أن قتل عثمان رضي ا عنه ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه إذ دعا إلى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه حينئذ صـاحب الأمر والأولى بالحق ممن نازعه فما الذي منعه ومنعهم من الكلام وإظهار النص الذي يدعيه الكـذابون إذ مـات عمـر رضي ا عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة أيام أو يوم السقيفة وأظرف من هذا كله بقاؤه ممسكاً عن بيعة أبي بكر رضـي ا عنه ستة أشهر فما سئلها ولا أجبر عليها ولا كلفها وهـو متصرف بينهم في أموره فلولا أنه رأى الحق فيها واستدرك أمره فبايع طالباً حظ نفسه في دينه راجعاً إلى الحق لما بايع فإن قالت الروافض أنه بعد ستة أشهر رأى الرجـوع إلـى الباطل فهذا هو الباطل حقاً لا ما فعل علي رضي ا عنه ثم ولى علي رضي ا عنه فما غير حكماً من أحكام أبي بكـر وعمر وعثمان ولا أبطل عهداً من عهودهم ولو كـان ذلـك عنده باطلاً لما كان في سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد

ارتفعت التقية عنه وأيضاً فقد نازع الأنصار رضي ا عنهم أبا بكر رضي ا عنه ودعوا إلى بيعة سعد بن عبادة رضي ا عنه ودعا المهاجرون إلى بيعة أبي بكر رضي ا عـن جميعهم وقعد علي رضي ا عنه في بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ليس معه أحد غير الزبير بن العوام ثـم اسـتبان الحق للزبير رضي ا عنه فبايع سريعاً وبقي علي وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع أحد من لقائـه فلا يخلو رجوع الأنصار كلهم إلى بيعة أبي بكـر مـن أن يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه إليهم فأوجب ذلك الانقياد لبيعته أو فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل إلى قسـم رابع بوجه من الوجوه فإن قال وا بايعوه بغلبة كذبوا لأنه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقـت طويل ينفسح للوعيد ولا سلاح مأخوذ ومحال أن يترك أزيد من ألفي فارس أنجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه وهو أنهم بقوا ثمانيـة أعـوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهـم مـوطنين على الموت متعرضين مع ذلك للحرب مع قيصـر الـروم بمؤنة وغيرها ولكسرى والفرس ببصرى من يخاطبهم يدعوه

إلى اتباعه وأن يكون كأحد من بين يديه هذه صفة الأنصـار التي لا ينكرها إلا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنـع أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا معه فقط لا يرجع إلى عشيرة كثيرة ولا إلى موال ولا إلى عصبة ولا مال فرجعوا إليـه وهو عندهم مبطل وبايعوه بلا تردد ولا تطويل وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهـم وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهـور الحـق إليهم فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظـيم علـى مـا يعرفون أنه باطل دون خوف يضطرهم إلى ذلك دون طمـع يتعجلونه من مال أو جاه بل فيما ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك إلى رجل لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا قصر ممتنع فيه ولا موالي ولا مال فأين كان علي وهو الذي لا نظير له في الشـجاعة ومعـه جماعة من بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه لو كان عنده ظالماً وعن منعه وزجره بل فـد علم وا علي رضي ا عنه أن أبا بكر رضي ا عنه على الحق وإن من خالفه على الباطـل فـأذعن للحـق بعـد أن عرضت له فيه كبوة كذلك الأنصار رضي ا عنهم وإذ قـد

بطل كل هذا فلم يبق إلا أن علياً والأنصار رضي ا عـنهم إنما رجعوا إلى بيعة أبي بكر رضي ا عنه لبرهـان حـق صح عندهم عن النبي صلى ا عليه لا لاجتهاد كاجتهـادهم ولا لظن كظنونهم فإذ قد بطل أن يكون الأمر في الأنصـار وزالت الرياسة عنهم فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبي صلى ا عليـه وسـلم على إمامة علي ومن المحال أن تتفق آراؤهم كلهـم علـى معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم إلا أن تدعي الروافض أنهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شـاء مـن المحال أنه قد كان وإن الناس كلهم نسوه وفي هـذا إبطـال الحقائق كلها وأيضاً فإن كان جميع أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقـت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع إلى الروافض أمـره ومن بلغه إليهم وكل هذا عو هوس ومحال فبطل أمر النص على علي رضي ا عنه بيقين لا إشكال فيه والحمد رب العالمين فإن قال قائل أن علي بن أبي طالب رضي ا عنه كان قد قتل الأقارب بين يدي رسول ا صلى ا عليه وسلم

فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصـحابة ولـذلك انحرفوا عنه قيل له هذا تمويه ضعيف كاذب لأنه إن سـاغ لكم ذلك في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبـد الـدار وبني عامر لأنه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجـلاً أو رجالاً فقتل من بني عامر بن لؤي رجلاً واحداً وهو عمـرو بن ود وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجالاً وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عقبة والعاص بن سهل بن العاص بلا شك وشارك في قتل عتبة بن ربيعة وقيل قتل عقبة بـن أبي معيط وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الأنصـاري ولا مزيد فقد علم كل من له أقل علم بالأخبار أنه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منهم يوم السقيفة حل ولا عقد ولا رأي ولا أمر اللهم إلا أن أبا سفيان بن حرب بن أمية كان مائلاً إلـى علي في ذلك الوقت عصبية للقرابة لا تديناً وكان ابنه يزيـد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام ابن المغيـرة والمخزومي مائلين إلى الأنصار تديناً والأنصار قتلـوا أبـا جهل بن هشام أخاه وقد كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل إلى علي حين قصة عثمان وبعدها حتـى قتله معاوية على ذلك فعرفونا من قتل علي من بني تيم بـن

مرة أو من بني عدي بن كعب حتى يظن أهل القحة أنهما حقدا عليه ثم أخبرونا من قتل من الأنصار أو من جرح منهم أو من أذى منهم ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساو له وبعضهم متأخر عنه فأي حقد كان له في قلوب الأنصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى إبطال حقه وعلى ترك ذكر اسمه جملة وإيثار سعد بن عبادة عليه ثم على إيثار أبي بكر عليه وعمر عليه والمسارعة إلى بيعته بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يرونه غدواً وعشياً لا يحول بينهم وبينه أحد ثم أخبرونا من قتل علي من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يصفقوا كلهم على كراهية ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه إن هذه لعجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلاً ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص من القتل في المشركين كالذي كان لعلي فما الذي خصه باعتقاد الأحقاد له دونهم لو كان للروافض حياء أو عقل ولقد كان لأبي بكر رحمه ا
ورضي ا عنه في مضادة قريش في الدعاء إلى الإسلام ما لم يكن لعلي فما منعهم ذلك من بيعته وهو أسوأ الناس أثراً

عند كفارهم ولقد كان لعمر بن الخطاب رضي ا عنه في مغالبة كفار قريش وإعلانه الإسلام على زعمهم ما لم يكن لعلي رضي ا عنه فليت شعري ما الذي أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ويعادوا علياً من بينهم كلهم لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم حتى بلغ الأمر بهم إلى أن عدوا على سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد مولى رسول ا صلى ا عليه وسلم ورافع بن خديج الأنصاري ومحمد بن مسلمة الأنصاري وزيد بن ثابت الأنصاري وأبي هريرة وأبي الدراء وجماعة غير هؤلاء من المهاجرين أنهم لم يبايعوا علياً إذ ولي الخلافة ثم بايعوا معاوية ويزيد ابنه من أدركه وادعوا أن تلك الأحقاد حملتهم على ذلك.

قال أبو محمد: حمق الرافضة وشدة ظلمة جهلهم وقلة حيائهم هورهم في الدمار والبوار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح وليت شعري أي حماسة وأي كلمة حسنة كانت بين علي وبين هؤلاء أو أحد منهم وإنما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة في فرقة فلما أصفق المسلمون على ما أصفقوا عليه كائناً من كان دخلوا في الجماعة وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير رضي

ا عنه ومروان فإنهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن مروان بايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابـن الزبير ولا تفضيلاً لعبد الملك علي ابن الزبير لكن لما ذكرنا وهكذا كان أمرهم في علي ومعاوية فلاحت نوكـة هـؤلاء المجانين والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: وهذا زيد بن حارثة قتل يـوم بـدر حنظلة بن أبي سفيان وهذا الزبير بن العوام قتل يـوم بـدر أيضاً عبيدة بن سعيد بن العاص وهذا عمر بن الخطاب قتـل يومئذ العاص بن هشام بن المغيرة فهلا عاداهم أهل هـؤلاء المقتولين وما الذي خص علياً أولياء من قتل دون سائر مـن قلنا لولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم ثم لو كان ما ذكروه حقاً فما الذي كان دعا عمـر إلـى إدخالـه فـي الشورى مع من أدخله فيها ولو أخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد أو قصد إلى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه أحد في ذلك بكلمة فصح ضرورة بكل ما ذكرنا أن القوم أنزلـوه منزلته غير عالين ولا مقصرين رضي ا عـنهم أجمعـين وأنهم قدموا الأحق فالأحق والأفضـل فالأفضـل وسـاووه بنظرائه منهم ثم أوضح برهان وأبين بيان في بطلان أكاذيب

الرافضة أن علياً رضي ا عنه لما ادعي إلى نفسه بعد قتل عثمان رضي ا عنه سارعت طوائف المهاجرين والأنصار إلى بيعته فهل ذلك أحد من الناس أن أحداً منهم اعتذر إليـه مما سلف من بيعتهم لأبي بكر وعمر وعثمان أو هل تـاب أحد منهم من جحده للنص على إماماته أو قال أحد منهم لقـد ذكرت هذا النص الذي كنت أنسيته في أمر هذا الرجـل أن عقولاً خفي عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يـرد ا أن يهديها ثم مات عمر رضي ا عنـه وتـرك الأمـر شورى بين ستة من الصحابة علي أحدهم ولم يكن في تلـك الأيام الثلاثة سلطان يخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة مـن أحد ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلي رضي ا عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول ا صلى ا عليه وسلم أو من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم أما كان الواجب على علي أن يقول أيها الناس كم هذا الظلم لـي وكم هذا الكتمان بحقي وكم هذا الجحد لنص رسول ا صلى ا عليه وسلم وكم هذا الإعراض عن فضلي البـائن علـى هؤلاء المقرونين لي فإذ لم يفعل لا يدري لماذا أما كان فـي بني هاشم أحد له دين يقول هذا الكلام أمـا العبـاس عمـه

وجميع العالمين على توقيره وتعظيمه حتى أن عمر توسل به إلى ا تعالى بحضرة الناس في الاستسقاء وأما أحـد بنيـه وأما عقيل أخوه وأما أحد بني جعفر أخيه أو غيرهم فإذ لـم يكن في بني هاشم أحد يتقي ا عز وجل ولا يأخذه في قول الحق مادهنة أما كان في جميع أهل الإسلام من المهـاجرين والأ صار وغيرهم واحد يقول يا معشر المسلمين قد زالـت الرقبة وهذا علي له حق واجب بالنص وله فضل بائن ظاهر لا يمترى فيه فبايعوه فأمره بين أن أصفاق جميع الأمة أولها عن آخرها من برقة إلى أول خراسان ومن الجزيـرة إلـى أقصى اليمن إذ بلغهم الخبر على السكوت عـن حـق هـذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه وليس هناك شيء يخافونه لإحدى عجائب المحال الممتنع وفيهم الذين بـايعوه بعد ذلك إذ صار الحق حقه وقتلوا أنفسهم دونه فأين كـانوا عن إظهار ما تنبهت له الروافض الأنذال ثم العجب إذ كـان غيظهم عليه هذا الغيظ واتفاقهم على جحده حقه هذا الاتفـاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه أم كيف أكرموه وبروه وأدخلوه في الشورى و قال هشام بن الحكم كيف يحسن الظن

بالصحابة أن لا يكتموا النص على علي وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً فهل يحسن بهم الظن في هذا.

قال أبو محمد: لو علم الفاسق أن هذا القول أعظـم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف لأن علي بن أبـي طالـب رضي ا عنه أول من قاتل حين افترق الناس فكل ما لحـق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم أو من سوء الظن بهم فهو لاحق لعلي في قتاله ولا فرق بينه وبين سائر الصحابة فـي ذلك كله وبا تعالى التوفيق فإن خصه متحكم كـان كمـن خص غيره منهم متحكماً ولا فرق وأيضاً فإن اقتتالهم رضي ا عنهم أوكد برهان على أنهم لم يغاروا على ما رأوه باطلاً بل قاتل كل فريق منهم على ما رأوه حقاً ورضـي بـالموت دون الصبر على خلاف ما عنده وطائفة منهم قعدت إذ لم تر الحق في القتال فدل على أنه لو كان عندهم نص على علـي أو عند واحد منهم لأظهروه أو لأظهره كما أظهروا ما رأوا أن يبذلوا أنفسهم للقتال والموت دونه فإن قال وا قد أقـررتم أنه لا بد من إمام فبأي شيء يعرف الإمام لا سـيما وأنـتم خاصة معشر أهل الظاهر لا بنص قرآن أو خبر صـحيح وهذا أيضاً مما سألنا عنه أصحاب القياس والرأي.

قال أبو محمد: فجوابنا وبا   التوفيق أن رسول صلى ا   عليه وسلم   نص على وجوب الإمامة وأنه لا يحل بقـاء ليلة دون بيعة وافترض علينا بنص قوله الطاعـة للقرشـي إماماً واحداً لا ينازع إذا قادنا بكتاب ا   عز وجل فصح من هذه النصوص النص   على صفة الإمام الواجب طاعته كمـا صح النص على صفة الشهود في الأحكام وصفة المساكين والفقراء الواجب لهم الزكاة وصفة من يؤم في الصلاة وصفة من يجوز نكاحها من النساء وكذلك سائر الشريعة كلهـا ولا يحتاج إلى ذكر الأسماء إذ لم يكلفنا ا   عز وجل ذلك   فكـل قرشي بالغ عاقل بادر إثر موت الإمام الذي لم يعهد إلى أحد فبايعه واحد فصاعداً فهو الإمام الواجب طاعتـه مـا قادنـا بكتاب ا   تعالى وبسنة رسول ا   صلى ا   عليه   وسلم الذي أمر الكتاب باتباعها فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك أو أقيم عليه الحد   والحق فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خلع وولي غيره منهم فإن قال وا قد اختلف الناس في   تأويـل القـرآن والسنة ومنع من تأويلهما بغير نص آخر قلنا أن التأويل الذي لم يقم عليه برهان تحريف الكلم عن مواضعه وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة   وإنما الحجة في نـص

القرآن والسنن وما اقتضاء لفظهما العربي الذي خوطبنا به وبه ألزمتنا الشريعة.

قال أبو محمد: ثم نسألهم فنقول لهم أن عمدة احتجاجكم في إيجاب إمامتكم التي تدعيها جميع فرقكم إنما هي وجهان فقط أحدهما النص عليه باسمه والثاني شدة الفاقة إليه في بيان الشريعة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد فأخبروني بأي شيء صار محمد بن علي بن الحسين أولى بالإمامة من أخوته زيد وعمر وعبد ا وعلي والحسين فإن ادعوا نصاً من أبيه عليه أو من النبي صلى ا عليه وسلم أنه الباقر لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ولم يكونوا أولى بتلك الدعوى من الكيسانية في دعواهم النص على ابن الحنفية وإن ادعوا أنه كان من فضل من اخوته كانت أيضاً دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند ا عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره وكذلك يسألون أيضاً ما الذي جعل موسى بن جعفر أولى بالإمامة من أخيه محمد أو إسحاق أو علي فلا يجدون إلى غير الدعوى سبيلاً وكذلك أيضاً يسألون ما الذي خص علي بن موسى بالإمامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكراً فلا يجدون

شيئاً غير الدعوى وكذلك يسألون ما الذي جعل محمـد بـن علي بن موسى أولى بالإمامة من أخيه علي بن علـي ومـا الذي جعل علي بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بـن محمد وما الذي جعل الحسن بن علي بن محمد بن علي بـن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن علي فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة الذي لا حياء لصاحبها والتي لو ادعـى مثلها مدع للحسن بن الحسن أو لعبد ا بن الحسن أو لأخيه الحسن بن الحسن أو لابن أخيه علي بن الحسن أو لمحمد بن عبد ا القائم بالمدينة أو لأخيه إبراهيم أو لرجل مـن ولـد العباس أو من بني أمية أو من أي قـوم مـن النـاس كـان لساواهم في الحماقة ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين ولو قلت أو رقعة من الحيـاء فبطـل وجه النص وأما وجه الحاجة إليه في بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر أئمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس ومـا بأيديهم من ذلك شيء إلا دعاوي مفتعلة قد اختلفوا أيضاً فيها كما اختلف غيرهم من الفرق سواء سواء إلا أنهم أسوأ حالاً من غيرهم لأن كل من قلد إنساناً كأصحاب أبي حنيفة لأبـي حنيفة وأصحاب مالك لمالك وأصحاب الشـافعي للشـافعي

وأصحاب أحمد لأحمد فـإن لهـؤلاء المـذكورين أصـحاباً مشاهير نقلت عنهم أقوال صاحبهم ونقلوها هم عنه ولا سبيل إلى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم إلـى أن هذا قول موسى بن جعفر ولا أنه قول علي بن موسى ولا أنه قول محمد بن علي بن موسى ولا أنه قول علي بن محمد ولا أنه قول الحسن بن علي وأما من بعد الحسن بـن علـي فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة وأما من قبل موسى بن جعفر فلو جمع كل ما روى في الفقه عن الحسن والحسين رضـي ا عنهما لما بلغ عشر أوراق فما ترى المصلحة التي يـدعونها في إمامهم ظهرت ولا نفع ا تعالى بها قط فـي علـم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم ولا ظهر منهم بعد الحسـين رضي ا عنه من هؤلاء الذين سموا أحداً ولا أمر منهم أحد قط بمعروف معلن وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المنتمين إلى الإمامية القائلين بأن الدين عند أئمـتهم فمـا رأينـا إلا دعاوي باردة وارأ فاسدة كأسخف ما يكون من الأقـوال ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من أن يكونـوا مـأمورين بالسكوت أو مفسوحاً لهم فيه فإن يكونوا مأمورين بالسـكوت فقد أبيح للناس البقاء في الضلال وسقطت الحجة في الديانـة

عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الإسلام وهـذا فكر مجرد وهم لا يقولون بهذا أو يكونوا مأمورين بـالكلام والبيان فقد عصوا ا إذ سكتوا وبطلت إمامتهم وقـد لجـأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم في الأئمة إلى أن ادعوا الإلهام في ذلك فإذ قد صاروا إلى هذا الشغب فإن لا يضـيق عن أحد من الناس ولا يعجز خصومهم عن أن يدعوا أنهـم ألهموا بطلان دعواهم قال هشام بن الحكم لا بد أن يكون في أخوة الإمام آفات يبين بها أنهم لا يستحقون الإمامة.

قال أبو محمد: وهذه دعوى مردودة تزيد في الحماقة ولا ندري في زيد وعمرو وعبد ا والحسن وعلي بن علي بن الحسين آفات تمنع إلا أن الحسن أخا زيد ومحمـد كـان أعرج وما علمنا أن العرج عيب يمنع من الإمامة إنما هـو عيب في العبيد المتخذين للمشي وما يعجـز خصـومهم أن يدعوا في محمد بن علي وفي جعفر بن محمد وفي سـائر أئمتهم تلك الآفات التي ادعاها هشام لأخوتهم ثم أن بعـض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين فنسألهم من أي علم هذا الصغير جميع علم الشريعة وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره فلم يبق إلا أن يدعوا له الوحي فهذه نبـوة

وكفر صريح وهم لا يبلغون إلى أن يدعوا لـه النبـوة وأن يدعوا له معجزة تصحح قوله فهذه دعوى باطلة ما ظهر منها قط شيء أو يدعوا له الإلهام فما يعجز أحد عن هذه الدعوى.

قال أبو محمد: ولو لم يكن من الحجة علـى أن ا يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويزين لكل أمة عملهـا إلا وجود من يعتقد هذه الأقوال السخيفة لكـان أقـوى حجـة وأوضح برهان وإلا فما خالق ا عقلاً يسع فيه مثـل هـذه الحماقات والحمد على عظيم منته علينا وهو المسؤول منه دوامها بمنه آمنين.

قال أبو محمد: وأيضاً فلو كان الأمر فـي الإمامـة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضي ا عنه في سعة من أن يسلمها لمعاوية رضي ا عنه فيعينه علـى الضلال وعلى إبطال الحق وهدم الدين فيكون شريكه في كل مظلمة ويبطل عهد رسول ا صلى ا عليه وسلم ويوافقـه على ذلك الحسين أخوه رضي ا عنهما فما نقض قط بيعـة معاوية إلى أن مات فكيف استحل الحسن والحسين رضي ا عنهما إبطال عهد رسول ا صلى ا عليه وسـلم إليهمـا طائعين غير مكرهين فلما مات معاوية قام الحسين يطلـب

حقه إذ رأى أنها بيعة ضلالة فلولا أنه رأى بيعة معاوية حقاً لما سلمها له ولفعل كما فعل بيزيد إذ ولي يزيد هـذا مـالا يمتري فيه ذو إنصاف هذا ومع الحسن أزيد من مائة ألـف عنان يموتون دونه فتا لولا أن الحسن رضي ا عنه علـم أنه في سعة من إسلامها إلى معاوية وفي سـعة مـن أن لا يسلمها لما جمع بين الأمرين فأمسكها ستة أشهر لنفسه وهي حقه وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح بـل هـو الأفضل بلا شك لأن جده رسول ا صلى ا عليه وسلم قد خطب بذلك على المنبر بحضرة المسلمين وأراهـم الحسـن معه على المنبر و قال أن ابني هذا سيد ولعل ا أن يصـلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين رويناه مـن طريـق البخاري حدثنا صدقة أنبأنا ابن عيينة أنا موسى أنا الحسـن سمع أبا بكرة يقول أنه سمع ذلك وشهده من رسول ا صلى ا عليه وسلم وهذا من أعلامه صلى ا عليه وسلم وإنذاره بالغيوب التي لا تعلم البتة إلا بالوحي ولقد امتنع زيادة وهـو فقعة القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما أطاقـه معاوية إلا بالمداراة وحتى أرضاه وولاه فإن ادعوا أنـه قـد كان في ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لأن رسول ا صلى

ا عليه وسلم لا يأمر أحداً بالعون على إطفاء نور الإسـلام بالكفر وعلى نقض عهود ا تعـالى بالباطـل عـن غيـر ضرورة ولا إكراه وهذه صفة الحسن والحسين رضـي ا عنهما عند الروافض واحتج بعض الإمامية وجميع الزيديـة بأن علياً كان أحق الناس بالإمامة لبينونة فضله على جميعهم ولكثرة فضائله دونهم.

قال أبو محمد: وهذا يقع الكلام فيه إن شاء ا تعالى في الكلام في المفاضلة بين أصحاب رسـول ا صـلى ا عليه وسلم وأن الكلام هاهنا في الإمامة فقط فنقـول وبـا تعالى التوفيق عبكم أنكم وجدتم لعلي رضي ا عنه فضائل معلومة كالسبق إلى الإسلام والجهاد مع رسول ا صلى ا عليه وسلم وسعة العلم والزهد فهل وجدتم مثل ذلك للحسـن والحسين رضي ا عنهما حتى أوجبتم لهما بذلك فضلاً فـي شيء مما ذكرنا على سعد بن أبي وقاس وسعيد بن زيد وعبد ا بن عمر وعبد ا بن العباس هذا ما لا يقدر أحد على أن يدعي لهما فيه كلمة فما فوقها يعني مما يكونان به فوق مـن قد ذكرنا في شيء من هذه الفضائل فلم يبق إلا دعوى النص عليهما وهذا ما لا يعجز عن مثلـه أحـد ولـو اسـتجازت

الخوارج التوقح بالكذب في دعوى النص على عبد ا بـن وهب الراسي لما كان إلا مثل الرافضة في ذلك سواء بسواء ولو استحلت الأموية أن تجاهر بالكذب في دعوى النص على معاوية لكان أمرهم في ذلك أقوى من أمر الرافضـة لقولـه تعالى " ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسـرف في القتل أنه كان منصوراً " ولكن كل أمة ما عدا الرافضـة والنصارى فإنها تستحي وتصون أنفسـها عمـا لا تصـون النصارى والروافض أنفسهم عنه من الكذب الفاضح البـارد وقلة الحياء فيما يأتون به ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: وكذلك لا يجدون لعلي بـن الحسـين بسوقا في علم ولا في عمل على سعيد بن المسيب والقاسـم بن محمد وسالم بن عبد ا بن عمر وعروة بن الزبيـر ولا على أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن وكذلك لا يجدون لمحمد بن علي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل ولا ورع على عبـد الرحمن بن القاسم بن محمد ولا على محمد بن عمر وبن أبي بكر المنكدر ولا على أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عـوف ولا على أخيه زيد بن علي ولا على عبد ا بن الحسن بن

الحسن بن علي ولا على عمر بن عبد العزيـز وكـذلك لا
يجدون لجعفر بن محمد بسوقا في علم ولا في دين ولا فـي
عمل على محمد بن مسلم الزهري ولا على ابن أبي ذؤيـب
ولا على عبد ا بن عبد العزيز بن عبد ا بن عبد ا بـن
عمر ولا على بيد ا بن عمرو بن حفص بن عاصـم بـن
عمر ولا على ابني عمه محمد بن عبد ا بن الحسـن بـن
الحسن وعلى بن الحسن بن الحسن بل كـل مـن
ذكرنا فوقه في العلم والزهد وكلهم أرفع محـلاً فـي الفتيـا
والحديث لا يمنع أحد منهم من شيء من ذلك وهذا ابن عباس
رضي ا عنه قد جمع فقه في عشرين كتاباً ويبلـغ حديثـه
نحو ذلك إذا تقصى ولا تبلغ فتيا الحسن والحسـين ورقتـين
ويبلغ حديثهما ورقة أو ورقتين وكذلك على بن الحسـين إلا
أن محمد بن علي يبلغ حديثه وفتياه جـزأ صـغيراً وكـذلك
جعفر بن محمد وهم يقولون أن الإمام عنـده جميـع علـم
الشريعة فما بال من ذكرنا أظهروا بعض ذلك وهـو الأقـل
الأنقص وكتموا سائره وهو الأكثر الأعظم فإن كان فرضهم
الكتمان فقد خالفوا الحق إذ أعلنوا ما أعلنوا وإن كان فرضهم
البيان فقد خالفوا الحق إذ كتموا ما كتموا وأما من بعد جعفر

بن محمد فما عرفنا لهم علماً أصلاً لا من رواية ولا من فتيا على قرب عدهم منا ولو كان عندهم من ذلك شيء لعـرف كما عرف عن محمد بن علي وابنه جعفر وعن غيره مـنهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعواهم الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة التي هي من خرافات السمر ومضاحك السخفاء فإن رجعوا إلى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم أن المعجـزات لا تثبت إلا بنقل التواتر لا بنقل الأحاد الثقات فكيف بولد الوقحا الكذابين الذين لا يدري من هم وقد وجدنا من يروي لبشـر الحافي وشيبان الراعي ورابعة العدوية أضعاف ما يدعونـه من الكذب للأئمتهم وأظهر وأفشى وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها ونحمد ا على السلامة فإذ قد بطل ما يدعونه و تعالى الحمد فلنقل على الإمامة بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم بالبرهان وبا تعالى نتأيد.

قال أبو محمد: قد اختلف الناس في هـذا ف قالـت طائفة أن النبي صلى ا عليه وسلم لم يستخلف أحـداً ثـم اختلفوا ف قال بعضهم لكن لما استخلف أبا بكر رضـي ا عنه على الصلاة كان ذلك دليلاً على أنه أولاهـم بالإمامـة والخلافة على الأمور و قال بعضهم لا ولكن كـان ابيـنهم

فضلاً فقدموه لذلك و قالت طائفة بل نص رسول ا صـلى ا عليه وسلم على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصاً جلياً.

قال أبو محمد: وبهذا نقول لبراهين أحـدها أطبـاق الناس كلهم وهم الذين قال ا تعالى فيهم " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضـلاً مـن ا ورضواناً وينصرون ا ورسوله أولئك هم الصادقون " فقـد أصفق هؤلاء الذين شهد ا لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضي ا عنهم على أن سموه خليفـة رسـول ا صلى ا عليه وسلم ومعنى الخليفة في اللغـة هـو الـذي يستخلفه لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو لا يجـوز غيـر هذه البتة في اللغة بلا خلاف تقول استخاف فلا فلاناً يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه فإن قام مكانه دون أن يستخلفه هو لم يقل إلا خاف فلان فلاناً يخلفه فهو خالف ومحال أن يعنـوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين أحدهما أنه لا يستحق أبو بكر هذا الاسم على الإطلاق في حياة رسول ا صلى ا عليه وسلم وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقيناً أن خلافته المسمى هو بها هي غير خلافته على الصلاة

والثاني أن كل من استخلفه رسول ا صلى ا عليه وسـلم في حياته كعلي في غزوة تبوك وابن أم مكتوم فـي غـزوة الخندق وعثمان ابن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر مـن استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لـم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف من أحد من الأمة أن يسـمى خليفة رسول ا صلى ا عليه وسلم على الإطلاق فصـح يقيناً بالضرورة التي لا محيد عنها أنها للخلافة بعده علـى أمته ومن الممتنع أن يجمعوا على ذلك وهو عليه السلام لـم يستخلفه نصاً ولم لم يكن هاهنا إلا استخلافه إياه على الصلاة ما كان أبو بكر أولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا وهذا برهان ضروري نعارض به جميع الخصـوم وأيضـاً فـإن الرواية قد صحت بأن امرأة قالت يا رسـول ا أرأيـت أن رجعت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال فأت أبا بكر وهـذا نص جلي على استخلاف أبي بكر وأيضاً فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول ا صلى ا عليه وسـلم قـال لعائشة رضي ا عنها في مرضه الذي تـوفي فيـه عليـه السلام لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيـك فاكتـب كتابـاً وأعهد عهداً لكيلا يقول قائل أنا أحق أو يتمنى متمن ويـأبى

ا والمؤمنون إلا أبا بكر وروي أيضاً ويأبي ا والنبيون إلا أبا بكر فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسـلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده.

قال أبو محمد: ولو أننا نستجيز التدليس والأمر الذي لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحاً أو ابلسوا أسفاً لاحتججنا بما روى اقتدروا باللاذين من بعيد أبي بكر وعمر.

قال أبو محمد: ولكنه لم يصح ويعيذنا من الاحتجاج بما لا يصح.

قال أبو محمد: واحتج من قال لم يستخلف رسول ا صلى ا عليه وسلم بالخبر المأثور عن عبد ا بن عمر عن أبيه أنه قال أن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر وأن لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني يعني رسول ا صلى ا عليه وسلم وبما روى عن عائشة رضي ا عنها من كان رسول ا صلى ا عليه وسلم مستخلفاً لو استخلف فمن المحال أن يعارض الإجماع من الصحابة الذي ذكرنا والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم من لفظه بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضي ا عنهما مما لا يقوم به حجة مما له وجـه

ظاهر من أن هذا الأثر خفي على عمر رضي ا عنه كمـا خفي عليه كثير من أمر رسول ا صلى ا عليـه وسـلم كالاستئذان وغيره أو أنه أراد استخلافاً بعهد مكتوب ونحـن نقر أن استخلاف أبي بكر لم يكن بكتاب مكتوب وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك نصاً وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وإنما الحجة في روايتها لا في قولها وأما من ادعى أنه إنما قدم قياساً على تقديمه إلى الصلاة فباطل بيقين لأنه ليس كل من استحق الإمامة في الصلاة يستحق الإمامة في الخلافة إذ يستحق الإمامة في الصلاة اقرأ القوم وإن كان أعجمياً أو عربياً ولا يستحق الخلاف إلا قرشي فكيف والقيـاس كلـه باطل.

قال أبو محمد: في نص القرآن دليل علـى صـحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي ا عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم وهو أن ا تعالى قال مخاطباً لنبيـه صـلى ا عليه وسلم في الأعراب " فإن رجعك ا إلى طائفـة مـنهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولـن تقـاتلوا معي عدواً " وكان نزول سورة براءة التي فيها هـذا الحكـم بعد غزوة تبوك بلا شك التي تخلف فيها الثلاثة المعـذورون

الذين تاب ا عليهم في سورة براءة ولم يغز عليه السـلام بعد غزوة تبوك إلى أن مات صلى ا عليه وسـلم و قـال تعالى أيضاً " سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام ا قل لن تتبعونا كذلكم قال ا من قبل " فبين أن العرب لا يغزون مع رسـول ا صلى ا عليه وسلم وغلق باب التوبة فقال تعـالى " قـل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بـأس شـديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم ا أجراً حسـناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً " فأخبر تعـالى أنهم سيدعوهم غير النبي صلى ا عليه وسـلم إلـى قـوم يقاتلونهم أو يسلمون ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم وتوعدهم على عصيان الداعي لهم إلى ذلك العذاب الأليم.

قال أبو محمد: وما دعا أولئك الأعراب أحـد بعـد رسول ا صلى ا عليه وسلم إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي ا عنهم فـإن أبـا بكـر رضي ا عنه دعاهم إلى قتال مرتدي العرب بنـي حنيفـة وأصحاب الأسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيـرهم

ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم إلـى قتال الروم والفرس والترك فوجب طاعة أبي بكر وعثمـان رضي ا عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلاً وإذ قـد وجبت طاعتهم فرضاً فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رضـي ا عنهم وليس هذا بموجب تقليدهم في غير ما أمر ا تعالى بطاعتهم فيه لأن ا تعالى لم يأمر بذلك إلا في دعائهم إلـى قتال هؤلاء القوم وفيما يجب الطاعة فيه للأئمة جملة وبـا تعالى التوفيق.

وأما ما أفتوا به باجتهادهم فما أوجبوا هم قط اتبـاع أقوالهم فيه فكيف أن يوجب ذلك غيرهم وبا تعالى التوفيق.

وأيضاً فإن هذا إجماع الأئمة كلها إذ ليس أحد مـن أهل العلم إلا وقد خالف بعض فتاوي هؤلاء الأئمـة الثلاثـة رضي ا عنهم فصح ما ذكرنا والحمد رب العالمين.

فصل قال أبو محمد: وجميع فرق أهل القبلـة لـيس منهم أحد يجيز إمامة امرأة ولا إمامة صـبي لـم يبلـغ إلا الرافضة فإنها يجيز إمامة الصغير الذي لم يبلغ والحمل فـي بطن أمه وهذا خطأ لأن من لم يبلغ فهو غير مخاطب والإمام مخاطب بإقامة الدين وبا تعالى التوفيق.

قال الباقلاني واجب أن يكون الإمام أفضل الأمة.

قال أبو محمد: وهذا خطأ متيقن لبرهانين أحدهما أنه لا يمكن أن يعرف الأفضل إلا بالظن في ظاهر أمره وقد قال تعالى " إن الظن لا يغني من الحق شيئاً " والثاني أن قريشـاً قد كثرت وطبقت الأرض من أقصى المشرق إلـى أقصـى المغرب ومن الجنوب إلى الشـمال ولا سـبيل أن يعـرف الأفضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك أصلاً ثم يكفي من بطلان هذا القول إجماع الأمة علـى بطلانه فإن جميع من أدرك من الصحابة رضي ا عنه من جميع المسلمين في ذلك العصر قد أجمعوا على صحة إمامة الحسن أو معاوية وقد كان في أفضل منهم بلا شك كسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وغيرهم فلو كان مـا قال ه الباقلاني حقاً لكانت إمامة الحسـن ومعاويـة باطلـة وحاشا عز وجل من ذلك.

وأيضاً فإن هذا القول الذي قال ه هذا المذكور دعوي فاسدة ولا على صحتها دليل لا من قـرآن ولا مـن سـنة صحيحة ولا سقيمة ولا من قول صاحب ولا مـن قيـاس والعجب كله أن يقول أنه جائز أن يكون في هذه الأمة مـن

أفضل من رسول ا صلى ا عليه وسلم من حيث بعث إلى أن مات ثم لا يجيز أن يكون أحد أفضل من الإمام.

قال أبو محمد: وهذا القول منه في النبي صلى ا عليه وسلم كفر مجرد ولا خفاء به وفيه خلاف لأهل الإسلام وإنما يجب أن يكون الإمام قرشياً بالغاً ذكراً مميزاً بريئاً من المعاصي الظاهرة حاكماً بالقرآن والسنة فقط ولا يجوز خلعه ما دام يمكن منعه من الظلم فإن لم يمكن إلا بإزالته ففرض أن يقام كل ما يوصل به إلى دفع الظلم لقول ا تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " وبا تعالى التوفيق.

الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة

قال أبو محمد: اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام فذهب بعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم علي بن أبي طالب وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة رضي ا عنهم وعن جماعة من التابعين والفقهاء وذهبت الخوارج كلها وبعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة إلى

أن أفضل الصحابة بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم أبـو بكر وعمر.

وروينا عن أبي هريرة رضي ا عنـه أن أفضـل الناس بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم جعفر بـن أبـي طالب وبهذا قال أبو عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلـد وعيسى بن حاضر قال عيسى وبعد جعفر حمزة رضـي ا عنه.

وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول ا صلى ا عليه وسلم علي بن أبـي طالـب والزبير بن العوام وروينا عن أم المؤمنين عائشة رضي ا عنها مات رسول ا صلى ا عليه وسلم وثلاث رجـال لا يعد أحد عليهم بفضل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعبـاد بن بشر وروينا عن أم سلمة أم المؤمنين رضي ا عنها أنها تذكرت الفضل ومن هو خير فقال ت ومن هو خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول ا صلى ا عليـه وسـلم وروينا عن مسروق بن الأجدع وتميم بن حـذلم وإبـراهيم النخعي وغيرهم أن أفضل الناس بعد رسول ا صـلى ا عليه وسلم عبد ا بن مسعود قال تمـيم وهـو مـن كبـار

التابعين رأيت أبا بكر وعمر فما رأيت مثـل عبـد ا بـن مسعود وروينا عن بعض من أدرك النبي صـلى ا عليـه وسلم أن أفضل الناس بعد رسول ا صلى ا عليه وسـلم عمر بن الخطاب وأنه أفضل من أبي بكر رضي ا عنهمـا وبلغني عن محمد بن عبد ا الحاكم النيسابوري أنـه كـان يذهب إلى هذا القول.

قال داود بن علي الفقيه رضي ا عنه أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين ثم الأولون من الأنصار ثم بعدهم منهم ولا نقطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل مـن آخر من طبقته ولقد رأينا من متقدمي أهل العمل ممن يذهب إلى هذا القول و قال لي يوسف بن عبد ا بن عبـد البـر النميري غير ما مرة أن هذا هو قوله ومعتقده.

قال أبو محمد: والذي نقول به وندين ا تعالى عليه ونقطع على أنه الحق عند ا عز وجل أن أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام نساء رسول ا صلى ا عليه وسلم ثم أبو بكر ولا خلاف بين أحد من المسلمين في أن أمة محمـد صلى ا عليه وسلم أفضل الأمم لقول ا عز وجل " كنـتم

خير أمة أخرجت للناس " وإن هذه قاضية على قوله تعـالى لبني إسرائيل " ولَقَد آتَينَا بِنِي ِإسرائِيلَ الْكِتَاب والْحكْم والنبوةَ ورزقْنَاهم من الطيباتِ وفَضلْنَاهم علَى الْعالَمِين " وإنها مبينة لأن مراد ا تعالى من ذلك عالم الأمم حاشا هذه الأمة.

قال أبو محمد: ثم نقول وبا تعالى التوفيق إن الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فإنـه طمـس للمعاني وصد عن إدراك الصواب وتعريج عن الحق وإبعاد عن الفهم وتخليط وعمي فنبدأ بعون ا تعالى وتأييده بتقسيم وجوه الفضل التي بها يستحق التفاضل فإذا اسـتبان معنـى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة فبالضرورة نعلم حينئذ أن من وجدت فيه هذه الصفات أكثر فهو أفضل بلا شك فنقـول ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم أن الفضل ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما فضل اختصاص من ا عز وجل بـلا عمل وفضل مجازاة مـن ا تعـالى بعمـل فأمـا فضـل الاختصاص دون عمل فإنه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات والأعراض كفضل الملائكة في ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضـل الأنبياء في ابتداء خلقهم على سائر الجن والأنـس وكفضـل

إبراهيم ابن النبي صلى ا عليه وسلم على سـائر الأطفـال وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق وكفضـل ذبيحة إبراهيم عليه السلام على سائر الذبائح وكفضل مكـة على سائر البلاد وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها مـن البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع وكفضـل الحجـر الأسود على سائر الحجارة وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الأيام وكفضل ليلة القدر على سائر الليـالي وكفضـل صلاة الفرض على النافلة وكفضل صلاة العصـر وصـلاة الصبح على سائر الصلوات وكفضل السجود علـى القعـود وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل فأما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتـة إلا للحي الناطق من الملائكة والأنس والجن فقط وهذا هـو القسم الذي تنازع الناس فيه في هذا الباب الذي نتكلم فيه الآن من أحق به فوجب أن ننظر أيضاً في أقسام هذا القسم التـي بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول ا وقوته ثم ننظر حينئذٍ من هو أحق به وأسعد بالنسـوق فيـه فيكون بلا شك أفضل ممن هو أقل حظاً فيها بلا شك وبـا

تعالى التوفيق فنقول وبا تعالى نستعين إن العامل يفضـل العامل في عمله بسبعة أوجه لا ثامن لها وهي المائية وهـي عين العمل وذاته والكمية وهي العرض في العمل والكيفيـة والكم والزمان والمكان والإضافة فأما المائية فهي أن تكـون الفروض من أعمال أحدهما موافاة كلها ويكون الآخر يضيع بعض فروضه وله نوافل أو يكون كلاهما وفي جميع فرضه ويعملان نوافل زائدة إلا أن نوافل أحدهما أفضل من نوافـل الآخر كأن يكون أحدهما يكثر الذكر في الصلاة والآخر يكثر في الذكر في حال جلوسه وما أشبه هـذا وكإنسـانين قاتـل أحدهما في المعركة والموضع المخوف وقاتل الآخـر فـي الردء أو جاهد أحدهما واشتغل الآخر بصيام وصلاة تطـوع أو يجتهدان فيصادف أحدهما ويحرمه الآخر فيفضل أحدهما الآخر في هذه الوجوه بنفس عمله أو بان ذات عمله أفضـل من ذات عمل الآخر فهذا التفاضل في المائية من العمل وأما الكمية وهي العرض فإن يكون أحدهما يقصد بعمله وجه ا تعالى لا يمزج به شيئاً البتة ويكون الآخر يساويه في جميـع عمله إلا أنه ربما مزج بعمله شيئاً من حب البر فـي الـدنيا وأن يستدفع بذلك الأذى عن نفسه وربما مزجه بشـيء مـن

الرياء ففضله الأول بعرضه في عمله وأما الكيفية فأن يكون أحدهما يوفي عمله جميع حقوقه ورتبه لا منتقصاً ولا متزيداً ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه وإن لم يعطل منه فرضاً أو يكون أحدهما يصفى عمله من الكبائر وربما أتي الآخر ببعض الكبائر ففضله الآخر بكيفية عملـه وأما الكم فأن يستويا في أداء الفرض ويكون أحدهما أكثـر نوافل ففضله هذا بكثرة عدد نوافله كما روي فـي رجلـين أسلما وهاجرا أيام رسول ا صلى ا عليه وسلم ثم استشهد أحدهما وعاش الآخر بعده سنة ثم مات على فراشـه فـرأى بعض أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم أحدهما في النـوم وهو آخرهما موتاً في أفضل من حال الشهيد فسأل عن ذلك رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال عليه السلام كلاماً معناه فأين صلاته وصيامه بعده ففضل أحدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه في عدد أعماله وأما الزمان فكمن عمل في صدر الإسلام أو في عام المجاعة أو في وقت نازلـة بالمسـلمين وعمل غيره بعد قوة الإسلام وفي زمن رخاء وأمـن فـإن الكلمة في أول الإسلام والتمرة والصبر حينئذ وركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الأزمان الطوال وجهادها وبذل الأمـوال

الجسام بعد ذلك ولذلك قال رسول ا صلى ا عليه وسـلم دعو إلى أصحابي فلو كان لأحدكم مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه مـا بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فكان نصف مد شعير أو تمر فـي ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهباً ننفقه نحن في سبيل ا عز وجل بعد ذلك قال ا تعالى " وما لَكُم أَلا تُنفِقُوا فِي سبِيل اللهِ ولِلهِ مِيراثُ السماواتِ والْأرضِ لَا يستَوِي مِنكُم من أَنفَقَ مِن قَبل الْفَتْحِ وقَاتَلَ أُولَئِك أَعظَم درجةً من الذِين أَنفَقُوا مِـن بعد وقَاتَلُوا وكُلا وعد الله الْحسنَى والله بِما تَعملُون خَبِير ".

قال أبو محمد: هذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضي ا عنهم أجمعين.

قال أبو محمد: وهذا يكذب قول أبي هاشم محمد بن علي الجبائي وقول محمد بن الطيب الباقلاني فـإن الجبـائي قال جائز أن طال عمر امرئ أن يعمل ما يوازي عمل نبـي من الأنبياء و قال الباقلاني جائز أن يكون في الناس من هو أفضل من رسول ا صلى ا عليه وسلم من حيـث بعـث بالنبوة إلى أن مات.

قال أبو محمد: وهذا كفر مجرد وردة وخروج عـن دين الإسلام بلا مرية وتكذيب لرسول ا صـلى ا عليـه

وسلم في إخباره أنا لا ندرك أحداً من أصحابه وفي إخبـاره عليه السلام عن أصحابه رضي ا عنهم بأنه لـيس مـثلهم وإنه أتقاهم وأعلمهم بما يأتي ومـا يـذر وكـذلك قـال ت الخوارج والشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلـق ا عـز وجل على أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشـة وجميع الصحابة رضي ا عـنهم حاشـا عليـا والحسـن والحسين وعمار بن ياسر والخوارج يفضلون أنفسهم وهـم شر خلق ا تعالى وكلاب النار على عثمان وعلي وطلحـة والزبير ولقد خاب من خالف كلام ا تعالى وقضاء رسـول ا صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: وكذلك القليل من الجهاد والصدقة في زمان الشدائد أفضل من كثيرهما في وقـت القـوة والسـعة وكذلك صدقة المرء بدرهم في زمان فقره وصـحته يرجـو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكبير يتصدق به في عـرض غناه وفي وصيته بعد موته وقد صح عن رسول ا صـلى ا عليه وسلم سبق درهم مائة ألف وهو إنسـان كـان لـه درهمان تصدق بأحدهما والآخر عمد إلى عرض ماله تصدق منه بمائة ألف وكذلك صبر المرء على أداء الفـرائض فـي

حال خوفه ومرضه وقليل تنقله في زمان مرضـه وخوفـه أفضل من عمله وكثير تنقله في زمان صحته وأمنه ففضـل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير في زمان آخر أجله هو أفضل ممن خلط في زمان آخر أجله وأما المكان فكصلاة في المسجد الحرام أو مسجد المدينة فهما أفضل من ألف صلاة فيما عداهما وتفضـل الصـلاة فـي المسجد الحرام على الصلاة في مسجد رسول ا صـلى ا عليه وسلم بمائة درجة وكصيام في بلد العدو أو في الجهـاد على صيام في غير الجهاد ففضل من عمـل فـي المكـان الفاضل غيره ممن عمل في غير ذلك المكان بمكـان عملـه وإن تساوى العملان وأما الإضافة فركعة من نبي أو ركعـة مع نبي أو صدقة من نبي أو صدقة معه أو ذكر منه أو ذكر معه وسائر أعمال البر منه أو معه فقليل ذلك أفضل من كثير الأعمال بعده ويبين ذلك ما قد ذكرنا آنفاً من قـول ا عـز وجل " لا يستوي منكم من أنفق مـن قبـل الفـتح وقاتـل " وإخباره عليه السلام أم أحدنا لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلـغ نصف مد من أحد من الصحابة رضي ا عنهم.

قال أبو محمد: وبهذا قطعنا على أن كل عمل عملوه بأنفسهم بعد موت النبي صلى ا عليه وسلم لا يوازي شـيئاً من البر عمله ذلك الصاحب بنفسه مع النبي صلى ا عليـه وسلم ولا ما عمله غير ذلك الصاحب بعد النبـي صـلى ا عليه وسلم ولو كان غير ما نقول لجاز أن يكون أنس وأبـو أمامة الباهلي وعبد ا بن أبي أوفى وعبد ا بن بسر وعبد ا بن الحارث بن جزء وسهل ابن سعد الساعدي رضي ا عنهم أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة وزيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ومصعب بن عمير وعبد ا بن جحش وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون وسائر السـابقين من المهاجرين والأنصار المتقدمين رضي ا عنهم أجمعين لأن بعض أولئك عبدوا ا عز وجل بعد موت أولئك بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاماً فما بين ذلك إلى خمسين عاماً وهذا ما لا يقوله أحد يعتد به.

قال أبو محمد: وبهذا قطعنا على أن من كـان مـن الصحابة حين موت رسول ا صلى ا عليه وسلم أفضـل من آخر منهم فإن ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ أبداً وإن طال عمر المفضول وتعجل مـوت الفاضـل

وبهذا أيضاً لم نقطع على فضل أحد منهم رضي ا عـنهم حاشا من ورد فيه النص من النبي صلى ا عليه وسلم ممن مات منهم في حياة النبي صلى ا عليه وسلم بل نقف فـي هؤلاء على ما نبينه بعد هذا إن شاء ا تعالى.

قال أبو محمد: فهذه وجوه الفضائل بالأعمال التي لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة نتيجة هذه الوجـوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمـل أيضاً لا ثالث لهما البتة أحدهما إيجـاب ا تعـالى تعظـيم الفاضل في الدنيا على المفضول فهذا الوجه يشترك فيه كـل فاضل بعمل أو اختصاص مجرد بلا عمل من عـرض أو جماد أو حي ناطق أو غير ناطق وقد أمرنا ا تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح وإبراهيم ابن رسول ا صلى ا عليـه وسـلم وذكر ا والملائكة والنبيين علـى جمـيعهم صـلوات ا وسلامه والصحابة أكثر تعظيمنا وتوقيرنا غير ما ذكرنا من المواضع والأيام والنوق والأطفال والكلام والناس هذا مـا لا شك فيه وهذا خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل أصـلاً ولا يكون البتة إلا لفاضل والوجه الثاني هو إيجاب ا تعالى

للفاضل درجة في الجنة أعلى من درجـة المفضـول إذ لا يجوز عند أحد من خلق ا تعالى أن يأمر بإجلال المفضول أكثر من إجلال الفاضل ولا أن يكون المفضول أعلى درجة في الجنة من الفاضل ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ولكان لفظاً لا حقيقة له ولا معنى تحية وهذا الوجـه الثـاني الذي هو علو الدرجة في الجنة هو خاصة لكل فاضل بعمـل فقط من الملائكة والأنس والجن وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: فكل مأمور بتعظيمه فاضـل وكـل فاضل فمأمور بتعظيمه وليس الإحسـان والبـر والتـوقير والتذلل المفترض في الأبوين الكافرين من التعظيم في شيء فقد يحسن المرء إلى من لا يعظم ولا يهين كإحسان المـرء إلى جاره وغلامه وأجيره ولا يكون ذلك تعظيماً وقـد يبـر الإنسان جاره والشيخ من أكرته ولا يسمى ذلك تعظيماً وقـد يوقر الإنسان من يخاف ضره ولا يسمى ذلك تعظيمـاً وقـد يتذلل الإنسان للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيماً وفرض قوماً يؤمنون با واليوم الآخر يوادون من حاد ا ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبناءهم أو إخوانهم أو عشـيرتهم أولئـك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه و قال عز وجل "

قَد كَانَتْ لَكُم أُسوةٌ حسنَةٌ فِي إِبراهِيم والَذِين معـه إِذْ قَـالُوا لِقَومِهِم إِنا براء مِنكُم ومِما تَعبدون مِن دون اللهِ كَفَرنَا بِكُـم وبدا بينَنَا وبينَكُم الْعداوةُ والْبغْضاء أَبدا حتى تُؤْمِنُـوا بِاللـهِ وحده إِلا قَولَ إِبراهِيم لِأَبِيهِ لَأَستَغْفِرن لَك وما أَملِك لَـك مِـن اللهِ مِن شَيءٍ ربنَا علَيك تَوكلْنَا وإِلَيك أَنَبنَا وإِلَيك الْمصِـير " فقد صح بيقين أن ما وجب للأبوين الكافرين من بر وإحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله ا عز وجل لأن التعظيم الواجب لمن فضله ا عز وجل هو مـودة فـي ا ومحبة فيه وولاية له وأما البر الواجب للأبـوين الكـافرين والتذلل لهما والإحسان إليهما فكل ذلك مـرتبط بالعـداوة تعالى وللبراءة منه وإسقاط المودة كما قال ا تعالى في نص القرآن وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وقد يكون دخول الجنـة اختصاصـاً مجرداً دون عمل وذلك للأطفال كما ذكرنا قبل فإذا قد صـح ما ذكرنا قبل يقيناً بلا خلاف من أحد في شيء منه فبيقـين ندري أنه لا تعظيم يستحقه أحد من الناس في الدنيا بإيجـاب ا تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للأنبياء عليهم السلام أوجب ولا أوكد مما ألزمنا ا تعالى مـن التعظـيم

الواجب علينا لنساء النبي صلى ا عليه وسلم بقول ا تعالى " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " فأوجب ا لهن حكم الأمومة على كل مسلم هذا سوى حق إعظامهن بالصحبة مع رسول ا صلى ا عليه وسلم فلهن رضي ا تعالى عنهن مع ذلك حق الصحبة له كسائر الصحابة إلا أن لهن من الاختصاص في الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ولطيف المنزلة عنده عليه السلام والقرب منه والحظوة لديه ما ليس لأحد من الصحابة رضي ا عنهم فهن أعلى درجة في الصحبة من جميع الصحابة ثم فضلن سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الأمومية الواجب لهن كلهن بنص القرآن فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه أيضاً ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الأمومية ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة إلا كان فيهن فقد كن يجهدن أنفسهن في ضيق عيشهن على الكد في العمل بالصدقة والعتق ويشهدن الجهاد معه عليه السلام وفي هذا كفاية بينة في أنهن أفضل من كل صاحب ثم لا شك عند كل مسلم

وبشهادة نص القرآن إذ خيرهن ا عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة وا ورسوله فاخترن ا تعالى ورسوله صلى ا عليه وسلم والدار الآخرة فهن أزواجه في الآخرة بيقـين فإذ هن كذلك فهن معه صلى ا عليه وسلم بلا شـك فـي درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره إذ لا يمكـن البتة أن يحال بينه وبينهن في الجنة ولا أن ينحط عليه السلام إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة هذا ما لا يظنـه مسلم فإذ لا شك في حصولهن على هذه المنزلـة فبـالنص والإجماع علمنا أنهن لم يؤتين ذلك اختصاصاً مجـرداً دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن ا ورسـوله والـدار الآخرة إذ أمره ا عز وجل أن يخيرهن فـاخترن ا عـز وجل ونبيه صلى ا عليه وسلم وهو أفضل الناس ثـم قـد حصل لهن أفضل الأعمال في جميع الوجوه السـبعة التـي قدمنا آنفاً أنه لا يكون التفاضل إلا بها في الأعمال خاصة ثم قد حصل لهن على ذلك أوكد التعظيم في الدنيا ثم قد حصـل لهن أرفع الدرجات في الآخرة فلا وجه من وجوه الفضل إلا ولن فيه أعلى الحظوظ كلها بلا شك ومارية أم إبراهيم داخلة معهن في ذلك لأنها معه عليه السلام في الجنة ومع ابنها منه

بلا شك فإذ قد ثبت كل ذلك على رغم الأبـي فقـد وجـب ضرورة أن يشهد لهن كلهن بأنهن أفضل من جميع الخلـق كلهن بعد الملائكة والنبيين عليهم السلام وكيف ومعنا نـص النبي صلى ا عليه وسلم كما حدثنا أحمد بن محمد بن عبد ا الطلمنكي ثنا محمد بنا أحمد بن مفرج ثنا محمد بن أيوب الرقى الصموت ثنا أحمد بن عمر وبن عبد الخالق البزاز ثنا أحمد بن عمر وحدثنا المعتمر بن سليمان التيمي ثنـا حميـد الطويل عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول ا مـن أحـب الناس إليك قال عائشة قال من الرجال قال فأبوها حدثنا عبد ا بن يوسف بن نامي قال حدثنا أحمد بن فتح حـدثنا عبـد الوهاب ابن قيس حدثنا أحمد بن محمد الأشقر حدثنا أحمد بن علي القلانسي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيـى بـن خالد بن عبد ا هو الطحان عن خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي قال أخبرني عمرو بن العاص أن رسول ا صلى ا عليه وسلم بعثه إلى جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك فقال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالاً فهذان عدلان أنس وعمر ويشـهد أن رسول ا صلى ا عليه وسلم أخبر بأن عائشة أحـب

الناس إليه ثم أبوها وقد قال ا عز وجل عنه عليه السلام "
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يـوحى " فصـح أن
كلامه عليه السلام أنها أحب الناس إليه وحي أوحاه ا تعالى
إليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ومن ظن ذلـك
فقد كذب ا تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل فـي الـدين
والتقدم فيه على جميع الناس الموجب لأن يحبها رسـول ا
صلى ا عليه وسلم أكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها
رسول ا صلى ا عليه وسلم على أبيها وعلى عمر وعلي
وعلى فاطمة تفضيلاً ظاهراً بلا شك فإن قال قائـل فقـل إن
إبراهيم ابن رسول ا صلى ا عليه وسلم أفضل من أبـي
بكر وعمر وعثمان وعلي رضي ا عنهم لكونه مـع أبيـه
عليه السلام في الجنة في درجة واحدة قلنا له وبـا تعـالى
التوفيق إن إبراهيم بن رسول ا صلى ا عليه وسـلم مـا
استحق تلك المنزلة بعمل كان منه وإنما هو اختصاص مجرد
وإنما تقع المفاضلة بين الفاضلين إذا كان فضلهما واحداً من
وجه واحد فتفاضلا فيه وأما إن كان الفضل من وجهين اثنين
فلا سبيل إلى المفاضلة بينهما لأن معنى قول القائل أي هذين
أفضل إنما هو أي هذين أكثر أوصافاً في الباب الذي اشتركا

فيها ألا ترى أنه لا ي قال أيهما أفضل رمضـان أو ناقـة صالح ولا أيهما أفضل الكعبة أو الصلاة بـل نقـول أيهمـا أفضل مكة أو المدينة وأيهما أفضل رمضـان أو ذو الحجـة وأيهما أفضل الزكاة أم الصلاة وأيهما أفضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الأنبياء فقد صح أن التفاضل إنما يكـون فـي وجه اشترك فيه المسؤول عنهما فبسق أحدهما فيه فاسـتحق أن يكون أفضل وفضل إبراهيم ليس على عمل أصلاً وإنمـا هو اختصاص مجرد وإكرام لأبيه صلى ا عليه وسلم وأما نساؤه عليه السلام فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام في الجنة إنما هو جزاء لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم قال ا بعد ذكر الصحابة رضي ا عنهم " جزاء بمـا كـانوا يعملون " و قال بعد ذكر الصحابة " وعد ا الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً " و قال تعـالى مخاطباً لنسائه عليه السلام " ومن يقنت مـنكن ورسـوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين " وهذا نـص قولنـا و الحمد و قال تعالى " وتلك الجنة التي أورثتموها بمـا كنـتم تعملون " و قال تعالى " غرف من فوقها غرف مبنية " و قال تعالى " وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى

ثم يجزاه الجزاء الأوفى " فإن قال قائل فكيف تقولـون فـي قوله عليه السلام لن يدخل الجنة أحد بعمله قيل ولا أنت يـا رسول ا قال ولا أنا إلا أن يتغمدني ا برحمة منه وفضل قلنا نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة وهكذا نقول أنه لـو عمل الإنسان دهره كله ما استحق على ا تعالى شيئاً لأنه لا يجب على ا تعالى شيء إذ لا موجب للأشياء الواجبة غيره تعالى لأنه المبتدي لكل ما في العالم والخالق له فلولا أن ا تعالى رحم عباده فحكم بأن طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله مجـرداً دون رحمة ا تعالى لكن يدخلها برحمة ا تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التي أطاعوه بها فاتفقت الآيات مع هذا الحديث والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: فإذ لا شك في هذا كله فقد امتنع يقيناً أن يجازى بالأفضل من كان أنقـص فضـلاً وأن يجـازي بالأنقص من كان أتم فضلاً وصح ضرورة أنه لا يجزى أحد من أهل الأعمال في الجنة إلا بما استحقه برحمة ا تعـالى جزاء على عمله و تعالى أن يتفضل على من شاء بما شاء وجائز أن يقدم على ذوي الأعمال الرفيعـة قـال تعـالى "

يختص برحمته من يشاء " و قال تعالى " ذلك فضل ا يؤتيه من يشاء " فلا يجوز خلاف هذه النصوص لأحـد لأن مـن خالفها كذب القرآن ولولا هذه النصوص لما أبعدنا أن يعذب ا تعالى على الطاعة له وأن ينعم على معصيته وأن يجازي الأفضل بالأنقص والأنقص بالأفضل لأن كل شـيء ملكـه وخلقه لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ولا حق لأحـد عليه لكن قد أمنا ذلك كله بأخبار ا تعالى أنه لا يجـازي ذا عمل إلا بعمله وأنه يتفضل على من يشاء فلازم الإقرار بكل ذلك وبا تعالى التوفيق فلو قال قائل أيما أفضل في الجنـة وأعلى قدراً مكان إبراهيم ابن رسول ا صـلى ا عليـه وسلم أو مكان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي ا عنهم قلنا مكان إبراهيم أعلى بلا شك ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لإبراهيم المذكور لم يستحقه بعمل ولا استحق أيضاً أن يقصر به عنه ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاء لهم علـى قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه صلى ا عليـه وسـلم مكانهن جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن فلا ي قال أن إبراهيم ابن رسول ا صلى ا عليه وسلم أفضل من أبـي بكر أو عمر ولا ي قال أيضاً أن أبا بكر وعمر أفضل مـن

إبراهيم والمفاضلة واقعة بين الصحابة وبين نساء رسول ا صلى ا عليه وسلم لأن أعمـالهم وسـوابهم لهـا مراتـب متناسبة بلا شك فإن قال قائل أنهن لولا رسول ا صلى ا عليه وسلم ما حصلن تلك الدرجة وإنما تلك الدرجة له عليـه السلام قلنا وبا تعالى التوفيق نعم ولا شك أيضـاً فـي أن جميع الصحابة لولا رسول ا صلى ا عليـه وسـلم مـا حصلوا أيضاً على الدرج التي لهم فيها فإنما هـي إذا علـى قولكم لرسول ا صلى ا عليه وسلم كما قلـتم ولا فـرق وبقي الفضل والتقدم لهن كما كان في كل ذلك ولا فرق.

قال أبو محمد: وأما فضلهن على بنات النبي صـلى ا عليه وسلم فبين بنص القرآن لا شك فيه قال ا عز وجل " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أن اتقيتن فلا تخضعن بالقول " فهذا بيان قاطع لا يسع أحداً جهله فـإن عارضـنا معارض بقول رسول ا صلى ا عليه وسلم خير نسـائها فاطمة بنت محمد قلنا له وبا تعالى التوفيق في هذا الحديث بيان جلي لما قلنا وهو أنه عليه السلام لم يقل خيـر النسـاء فاطمة وإنما قال خير نسائها فخص ولم يعم وتفضيل ا عز وجل لنساء النبي صلى ا عليه وسلم على النساء عمـوم لا

خصوص لا يجوز أن يستثني منه أحد إلا من استثناه نـص آخر فصح أنه عليه السلام إنما فضل فاطمـة علـى نسـاء المؤمنين بعد نسائه صلى ا عليه وسلم فاتفقت الآيـة مـع الحديث و قال رسول ا صلى ا عليه وسلم فضل عائشـة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذا أيضاً عموم موافق الآية ووجب أن يستثني ما خصه النبي صلى ا عليه وسلم بقوله نسائها من هذا العموم فصـح أن نسـاءه عليـه السلام افضل النساء جملة حاشا اللواتي خصـهن ا تعـالى بالنبوة كأم إسحاق وأم موسى وأم عيسى عليهم السلام وقـد نص ا تعالى على هذا بقوله الصـادق " يـا مـريم إن ا اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " ولا خلاف بين المسلمين في أن جميع الأنبياء كل نبي منهم أفضل ممن ليس بنبي من سائر الناس ومن خالف هذا فقد كفـر وكـذلك أخبر عليه السلام فاطمة أنها سيدة نساء المؤمنين ولم يدخل نفسه صلى ا عليه وسلم في هذه الجملة بل أخبر عمن سواه وبرهان آخر وهو قول ا تعالى مخاطباً لهن " ومن يقنـت منكن ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين ".

قال أبو محمد: فهذا فضل ظاهر وبيان لائح في أنهن أفضل من جميع الصحابة رضي ا عنهم وبهذه الآية صحة متيقنة لا يمتري فيها مسلم فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة وسائر الصحابة رضي ا عنهم إذا عمل الواحد منهم عملاً يستحق عليه مقداراً ما من الأجر وعملت امرأة من نساء النبي صلى ا عليه وسلم مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الأجر فإذا كان نصيف الصحابي وفاطمة رضي ا عنهم يفي بأكثر من مثل جبل أحد ذهباً ممن بعده كان للمرأة من نسائه عليه السلام في نصيفها أكثر من مثلي جبلين اثنين مثل جبل أحد ذهباً وهذه فضيلة ليست لأحد بعد الأنبياء عليهم السلام إلا هن وقد صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه يوعك كوعك رجلين من أصحابه لأن له على ذلك كفلين من الأجر.

قال أبو محمد: وليس بعد هذا بيان في فضلهن على كل أحد من الصحابة إلا من أعمى ا قلبه عن الحق ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: وقد اعترض علينا بعض أصحابنا في هذا المكان بقول ا تعالى عن أهل الكتاب إذ آمنوا " أولئك

يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا " قال فيلزم أنهم أفضل منا فقلت له أن هذه الآية والخبر الذي فيه ثلاثة يؤتون أجـرهم مرتين فذكر مؤمن أهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق أمته ثم يتزوجها فيهما بيان الوجه الذي أجروا به مرتين وهو الإيمان بالنبي صلى ا عليه وسلم وبالنبي الأول المبعوث بالكتـاب الأول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شـركاء ذلـك المؤمن منهم في ذينك الإيمانين وكذلك العبد الناصح يـؤجر لطاعة سيده أجراً ولطاعة ا أجراً وكذلك معتق أمتـه ثـم يتزوجها يؤجر على عتقه أجراً ثم على نكاحـه إذا أراد بـه وجه ا تعالى أجراً ثانياً فصح بالنص يقيناً أن هؤلاء إنمـا يؤتون أجرهم مرتين في خاص من أعمالهم لا فـي جميـع أعمالهم وليس في هذا ما يمنع من أن يؤجر غيرهم في غير هذه الأعمال أكثر من أجور هؤلاء وأيضاً فإنمـا يضـاعف لهؤلاء على ما عمله أهل طبقتهم وليست المضاعفة لأجـور نساء النبي صلى ا عليه وسلم مرتين من هذا في ورد ولا صدر لأن المضاعفة لهن إنما هي في كل عمل عملنه بنص القرآن إذ يقول تعالى " ومن يقنت منكن ورسوله وتعمـل صالحاً نؤتها أجرها مرتين " فكل عمل عمله صـاحب مـن

الصحابة له فيه أجر فلكل امرأة منهن في مثل ذلـك العمـل أجران والمضاعفة لهن إنما تكون على ما عمله طبقتهن من الصحابة قد علمنا أن بين عمل الصاحب وعمل غيره أعظم مما بين أحد ذهباً ونصف مد شعير فيقع لكل واحـدة مـنهن مثلا ذلك مرتين وهذا لا يخفى على ذي حس سليم فبطلـت المعارضة التي ذكرناها والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: واعترض علينا أيضاً بعض النـاس في الحديث الذي فيه أن عائشة أحب الناس إليه ومن الرجال أبوها بأن قال قد صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال لأسامة بن زيد أن أباه أحب الناس إلي وأن هذا أحب النـاس إلي بعده وصح أنه عليه السلام قال للأنصـار أنكـم أحـب الناس إلي.

قال أبو محمد: وأما هذا اللفظ الذي في حديث أسامة بن زيد أنه أحب الناس إليه عليه السلام فقد روي من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه وأمـا الذي فيه ذكر أسامة وزيد رضي ا عنهما فإنما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد ا عن أبيه وعمر بن حمزة هذا ضعيف والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عبـد ا بـن

دينار عن ابن عمر عن النبي صلى ا عليه وسلم بإسناد لا مغمز فيه فذكر فيه أنه عليه السلام قال يعني لزيد بن حارثة إيم ا إن كان لخليق بالإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وأن هذا من أحب الناس إلي بعده وهذا يقضي على حـديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه لأنه مختصر من حـديث عبد ا بن دينار وبهذا ينتفي التعارض بين الروايتين عـن أبن عمر وعن أنس وعمرو وإلا فليس أحدهما أولـى مـن الآخر وأما حديث الأنصار فرووه كما ذكره هشام بن زيـد عن أنس ورواه عبد العزيز بن صهيب عن أنس عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه قال أنتم من أحب الناس إلي وهو حديث واحد وزيادة العدل مقبولة فصـح بزيـادة مـن فـي الحديث من طريق العدول أن الأنصار وزياداً وأسامة رضي ا عنهم من جملة قوم هم أحب الناس إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم وهذا حق لا يشك فيه لأنهـم مـن أصـحابه وأصحابه أحب الناس إليه بلا شك وليس هكذا جوابـه فـي عائشة رضي ا عنها إذ سئل من أحب الناس إليـك فقـال عائشة فقيل من الرجال قال أبوها لأن هذا قطع على بيان ما سأل عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عـن النـاس

بمحبته عليه السلام واعترض علينا بعض الأشعرية بأن قال أن ا تعالى يقول " إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا يهدي من يشاء " فصح أن محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلاً لأنه قد أحب عمه وهو كافر.

قال أبو محمد: فقلنا أن هذه الآية ليست على ما ظن وإنما مراد ا تعالى " إنك لا تهدي من أحببت " أي أحببـت هداه برهان ذلك قوله تعالى " ولكن ا يهدي من يشاء " أي من يشاء هداه وفرض على النبي صلى ا عليه وسلم وعلينا أن نحب الهدى لكل كافر لا أن نحب الكافر وأيضاً فلو صح أن معنى الآية من أحببت كما ظن هذا المعترض لمـا كـان علينا بذلك حجة لأن هذه آية مكية نزلت في أبي طالب ثـم أنزل ا تعالى في المدينة " لا تجد قوماً يؤمنون با واليوم الآخر يوادون من حاد ا ورسوله ولـو كـانوا آبـاءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم " وأنزل ا تعالى في المدينة " قَد كَانَتْ لَكُم أُسوةٌ حسنَةٌ فِي إِبراهِيم والذِين معه إِذْ قَـالُوا لِقَومِهِم إِنا برءاء مِنكُم ومِما تَعبدون مِن دون اللهِ كَفَرنَا بِكُـم وبدا بينَنَا وبينَكُم الْعداوةُ والْبغْضاء أَبدا حتى تُؤْمِنُـوا بِاللـهِ وحده إِلا قَولَ إِبراهِيم لِأَبِيهِ لَأَستَغْفِرن لَك وما أَملِك لَك مِـن

اللهِ مِن شَيءٍ ربنَا علَيك تَوكلْنَا وإِلَيك أَنَبنَا وإِلَيك الْمصِـير "
وإن كان رسول ا صلى ا عليه وسلم أحب أبا طالب فقد حرم ا تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته وافترض عليه عداوته وبالضرورة يدري كل ذي حس سـليم أن العـداوة والمحبة لا يجتمعان أصلاً والمودة هي المحبة في اللغة التي بها نزل القرآن بلا خلاف من أحد من أهل اللغة فقد بطل أن يحب النبي صلى ا عليه وسلم أحداً غير مؤمن وقد صحت النصوص والإجماع على أن محبة رسول ا صلى ا عليه وسلم لمن أحب فضيلة وذلك كقوله عليه السلام لعلي لأعطين الراية غداً رجلاً يحب ا ورسوله ويحبه ا ورسوله فإذ لا شك ولا خلاف في أن محبة رسول ا صلى ا عليه وسلم بخلاف ما قال أهل الجهل والكذب فقد صح يقيناً أن كل مـن كان أتم حظاً في الفضيلة فهو أفضل ممن هو أقل حظاً فـي تلك الفضيلة هذا شيء يعلم ضرورة فإذا كانت عائشـة أتـم حظاً في المحبة التي هي أتم فضيلة فهي أفضل ممن حظـه في ذلك أقل من حظها ولذلك لما قيل له عليه السـلام مـن الرجال قال أبوها ثم عمر فكان ذلك موجباً لفضل أبي بكر ثم عمر في الفضل من أجل تقدمهما في المحبة عليهما وما نعلم

نصاً في وجوب القول بتقديم ابن بكر ثم عمر علـى سـائر الصحابة إلا هذا الخبر قال أبو محمد: وقد نص النبي صـلى ا عليه وسلم على ما ينكح له من النسـاء فـذكر الحسـب والمال والجمال والدين ونهي صلى ا عليه وسلم عن كـل ذلك بقوله فعليك بذات الدين تربت يداك فمن المحال الممتنع أن يكون يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثـم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الـدين وكذلك قوله عليه السلام فضل عائشة على النسـاء كفضـل الثريد على سائر الطعام لا يحل لمسلم أن يظن في ذلك شيئاً غير الفضل عند ا تعالى في الدين فوصف الرجل امرأتـه للرجال لا يرضه به إلا خسيس نذل ساقط ولا يحل لمن لـه أدنى مسكة من عقل أن يمر هذا بباله عن فاضل من النـاس فكيف عن المقدس المطهر البائن فضله على جميـع النـاس صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: ولولا أنه بلغنا عن بعض من يصدر لنشر العلم من زماننا وهو المهلب بن أبي صـفرة التميمـي صاحب عبد ا بن إبراهيم الأصيل أن أشار إلى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالإيمان إليـه لسـان ولكـن

المنكر إذا ظهر وجب على المسلمين تغييره فرضـاً علـى حسب طاقتهم وحسبنا ا ونعم الوكيل.

قال أبو محمد: وكذلك عرض الملك لها رضـي ا عنها على رسول ا صلى ا عليه وسلم قبل ولادتها فـي سرقة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السـلام إن يكن من عند ا قال أبو محمد: واعترض علينا مكي بن أبي طالب المقري بأن قال يلزم على هذا أن تكون امرأة أبي بكر أفضل من علي لأن امرأة أبي بكر أعلى من منزلة علي فهي أفضل من علي.

قال أبو محمد: فأجبناه بأن قلنا له وبا تعالى نتأيـد أن هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه أحدها أن ما بين درجة أبي بكر ودرجة علي في الفضل الموجب لعلو درجتـه فـي الجنة على درجة علي ليست من التباين بحيث هو مـا بـين درجة النبي صلى ا عليه وسلم وبين درجة أبي بكـر فـي الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سـائر الصحابة رضي ا عنهم بل قد أيقنا أن درجة أقل رجل منا في الفضل أقرب نسبة من أعلى درجة لأعلـى رجـل مـن الصحابة من نسبة درجة أفضل الصحابة إلى درجة النبـي

صلى ا عليه وسلم وأيضاً فليس بين أبي بكر وعلـي فـي المباينة في الفضل ما يوجب أن تكون امرأة أبي بكر التابعة له أفضل من علي بل منازل المهاجرين الأولين الذين أوذوا في سبيل ا عز وجل متقاربة وإن تفاضلت ثم كذلك أهـل السوابق مشهداً مشهداً درجهم في الفضل ثم كذلك من أسـلم بعد الفتح أيضاً ويزداد الأفضل فالأفضل من المشركين في المشاهد جزاء على ذلك فنقول أن امرأة أبي بكر المسـتحقة بعملها الكون معه في درجته مثل أم رومان لسنا ندري أهي أفضل أم علي لأنا لا نص معنا في ذلك والتفضيل لا يعرف إلا بنص وقد قال عليه السلام خيركم القرن الذي بعثت فيـه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم أو كما قـال عليـه السـلام فجعلهم طبقات في الخير والفضل فلا شك هم كـذلك فـي الجزاء في الجنة وإلا فكان يكون الفضل لا معنى له و قـال عز وجل " هل تجزون إلا ما كنتم تعملون " وأيضـاً فلسـنا نشك أن المهاجرات الأولات من نساء الصحابة رضـي ا عنهم يشاركن الصحابة في الفضل ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ففيهن من يفضل كثيراً من الرجال وفي الرجـال من يفضل كثيراً منهن وما ذكر ا تعالى منزلة من الفضـل

إلا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى " إن المسلمين والمسلمات " الآية حاشا الجهاد فإنه فرض على الرجال دون النساء ولسنا ننكر أن يكون لأبي بكر رضي ا عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ثم يكون لمن لم تستأهل من نسائه تلك المنزلة منازل في الجنة دون منازل من هو أفضل منهن من الصحابة فقد نكح الصحابة رضي عنهم التابعيات بعد الصاحبات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة في فضل أزواجهن من الصحابة فينزلون إليهن ثم ينصرفون إلى منازلهن العالية بل قد صح هذا عن النبي صلى ا عليه وسلم وأنه قال كلاماً معناه وأكثر نصه أنه عليه السلام زعيم بيت في ربض الجنة وفي وسط الجنة وفي أعلى الجنة لم فعل كذا أمراً وصفه رسول ا صلى ا عليه وسلم فصح نص ما قلنا من أن لمن دونه عليه السلام منازل عالية وآخر مسفلة عن تلك المنازل ينزلون إليها ثم يصعدون إلى الأعالي وهذا معبد عن النبي صلى ا عليه وسلم لوجهين أحدهما أن جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التي يشتركن فيها جميع الصحابة ويفضلنهم فيها بقرب الخاصة فليس في نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التي هي فضيلتهم

التي بها بانوا عمن سواهم فقط وقد كفينا الباب والوجه الثاني أن تأخر بعض الصحابة عن بعضهم فـي بعـض الأمـاكن موجود وإن كان ذلك المتأخر في بعض الأماكن متقدماً فـي مكان آخر فقد علمنا أن بلالاً عذب في ا عز وجل ما لـم يعذب علي وأن علياً قاتل ما لم يقاتل بلال وأن عثمان أنفـق ما لم ينفق بلال ولا علي فيكون المفضول منهم في الجملـة متقدماً للذي فضله في بعض فضائله ولا سبيل أن يوجد هذا فيما بينهم وبين النبي صلى ا عليه وسـلم ولا يجـوز أن يتقدمه أحد من ولد آدم في شيء من الفضـائل أولهـا عـن آخرها ولا إلى أن يلحقه لاحق في شيء من الفضائل من بني آدم فلا سبيل إلى أن ينسفل النبي صلى ا عليه وسلم إلـى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف أن يعلو عليه الصاحب هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين وقد استعظم أبو أيوب رضي ا عنه أن يسكن في غرفة على بيـت يسـكنه النبي صلى ا عليه وسلم فكيف يظن بأن هذا يكون في دار الجزاء فإذا كان العالي من الصحابة في أكثر منازله ينسـفل أيضاً في بعضها عن صاحب آخر قد علاه في منازل أخـر على قدر تفاضلهم في أعمالهم كما ذكرنا آنفاً فقد أخبر النبي

صلى ا عليه وسلم أن الصائمين يدعون من بـاب الريـان وأن المجاهدين يدعون من باب الجهـاد وأن المتصـدقين يدعون من باب الصدقة وأن أبا بكر يرجو لـه رسـول ا صلى ا عليه وسلم أن يدعي من جميع تلك الأبـواب وقـد يجوز أن يفضل أبا بكر رضي ا عنه غيره من الصـحابة في بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منهـا ولا يجـوز أن يفضل أحد رسول ا صلى ا عليه وسلم في شـيء مـن أبواب البر فبطل هذا الاعتـراض جملـة والحمـد رب العالمين واعترض أيضاً علينا مكي بن أبي طالب بأن قال إذا كان رسول ا صلى ا عليه وسلم أفضل من موسى عليـه السلام ومن كل واحد من الأنبياء عليهم السلام وكان عليـه السلام أعلى درجة في الجنة من جميع الأنبياء عليهم السلام وكان نساؤه عليه السلام معه في درجته في الجنة فـدرجتهن فيها أعلى من درجة موسى عليه السلام ومـن درج سـائر الأنبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم أفضل من موسـى وسائر الأنبياء عليهم السلام.

قال أبو محمد: فأجبناه بأن هذا الاعتراض أيضـاً لا يلزمنا و الحمد لأن الجنة دار ملك وطاعة وعلـو منزلـة

ورياسة واتباع من التابع للمتبوع كما قال عز وجل " وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً " و قال تعالى عن موسى عليه السلام " وكان عند ا وجيهاً " وأخبر عز وجل عن جبريل صلى ا عليه وسلم " فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين " فقد علمنا أن ملك الدنيا غرور وأن ملك الآخرة هو الحقيقة وقد أخبر عليه السلام أنه رأى الأنبياء عليهم السلام مع اتباعهم فالنبي معه الواحد والاثنان والثلاثة والنفر والجماعة فأخبر عز وجل أن هنالك الملك الكبير والطاعة والوجاهة والاتباع والاستئمار وإنما عرض ا تعالى علينا في الدنيا من الملك طرفاً لنعلم به مقدار الملك الذي في دار الجزاء كما عرض علينا من اللذات والحرير والديباج والخمر والذهب والفضة والمسك والجواري والحلي وأعلمنا أن هذا كله خالصة لنا هنالك وكما صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أن آخر من يدخل الجنة يزكو على أعظم ملك عرفه في الدنيا فيتمنى مثل ملكه فيعطيه ا تعالى مثل الدنيا عشر مرات.

قال أبو محمد: فلما صح ما ذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة إلا أنهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين

النبيين طبقة واحدة والنبيون غير المرسلون طبقـة واحـدة لأنهم أيضاً يتفاضلون فيها وكل الصحابة طبقة واحدة إلا أنهم يتفاضلون فيها فوجب بلا شك أن لا يكون اتباع الرسل مـن النساء والأصـحاب كـالمتبوعين الـذين هـم الرسـل لأن بالضرورة نعلم أن تابع الأعلى ليس لاحقاً نظيـر متبوعـه فكيف أن يكون أعلى منه كمـا أن التابعيـات مـن نسـاء الصحابة رضي ا عنهم لا يلحقن نظراء أزواجهـن مـن الصحابة إذ ليس هن معهم في طبقة وإنما ينظر بين أهل كل طبقة ومن هو في طبقته ونساء النبي صلى ا عليه وسـلم طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحـدة منهن ولا منهم مع الأنبياء في طبقة فلم يجزان ينظر بيـنهم وقد أخبر عليه السلام أنه رأى ليلة الإسراء الأنبياء علـيهم السلام في السموات سماء سماء وبالضرورة نعلم أن منزلة النبي الذي هو متبوع في سماء الدنيا أمره هناك مطاع أعلى من منزلة التابع في السماء السابعة للنبي الذي هناك وإذ صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أن كل نبي يأتي مـع أمتـه فنحن مع نبينا صلى ا عليه وسلم فإن كان ما ألزمناه مكي لازماً لنا فيلزمه مثل ذلك فينا أيضاً أن نكون أفضـل مـن

الأنبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من أنه لا ينظر في الفضل إلا بين من كان من أهل طبقة واحدة فمن كان منهم أعلى منزلة من الآخر كان أفضل منه بلا شك وليس ذلك في الطباق المختلفة ألا ترى أن كون مالك خازن النار في مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من في الجنة من الناس الذين الملائكة جملة أفضل منهم لأن مالكا متبوع للنار ومقدم مطاع مفضل بذلك على التابعين والخدمة في الجنة بلا شك فبطل هذا الشغب ويجمع هذا الجواب باختصار وهو أن الرؤساء والمتبوعين في كل طبقة في الجنة أعلى من التابعين لهم ونساء النبي صلى ا عليه وسلم وأصحابه كلهم أتباع له عليه السلام وجميع الأنبياء متبوعون فإنما ينظر بين المتبوعين أيهم أفضل وينظر بين الأتباع أيهم أفضل ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه في الفضل ولا يجوز أن ينظر بين الأتباع والمتبوعين لأن المتبوعين لا يكونون البتة أحط درجة من التابعين وبا تعالى التوفيق.

فإن قال قائل فكيف يقولون في الحور العين أهن أفضل من الناس ومن الأنبياء كما قلتم في الملائكة.

فجوابنا وبا تعالى التوفيق أن الفضل لا يعـرف إلا ببرهان مسموع من ا تعالى في القرآن أو من كلام الرسول صلى ا عليه وسلم ولم نجد ا تعالى نص علـى فضـل الحور العين كما نص على فضل الملائكة وإنما نص علـى أنهن مطهرات حسان عـرب أتـراب يجـامعن ويشـاركن أزواجهن في اللذات كلها وأنهن خلقن ليلتذ بهن المؤمنون فإذا الأمر هكذا فإنما محل الحور العين محل من هن له فقـط إن ذلك اختصاص لهن بلا عمل وتكليف فهن خلاف الملائكـة في ذلك وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: ومما يؤكد قولنا قـول ا تعـالى أن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هـم وأزواجهـم فـي ظلال على الأرائك متكئون وهذا النص إذ قد صح فقد وجب الإقرار به فلو عجزنا عـن تفضـيل بعـض أقسـام هـذه الاعتراضات لما ألزمنا في ذلك نقصاً إذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص وكلما صح بيقين فلا يجوز أن يعارض بيقين آخر والبرهان لا يبطله برهان وقد أوضـحنا أن الجنـة دار جزاء على أعمال المكلفين فأعلاهم درجة أعلاهـم فضـلاً ونساء النبي صلى ا عليه وسلم أعلا درجة في الجنة مـن

جميع الصحابة فهن أفضل منهن فمن أبي هذا فليخبرنـا مـا معنى الفضل عنده إذ لا بد أن يكون لهذه الكلمة معنى فـإن قال لا معنى لها فقد كفانا مؤنته وإن قال إن لها معنى سألناه ما هو فإنه لا يجد غير ما قلنا وبا تعالى التوفيق فكيف وقد أبينا بتأييد ا عز وجل لنا على كلما اعترض علينا به فـي هذا الباب ولاح الوجه في ذلك بيناً والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: واستدركنا بياناً زائداً في قول النبـي صلى ا عليه وسلم في أن فاطمة سيدة نساء المـؤمنين أو نساء هذه الأمة فنقول وبا تعالى التوفيق إن الواجب مراعاة ألفاظ الحديث وإنما ذكر عليه السلام في هذا الحديث السادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام في حديث عائشة الفضل نصاً بقوله عليه السلام " وفضل عائشة على النساء كفضـل الثريد على سائر الطعام ".

قال أبو محمد: والسادة غيـر الفضـل ولا شـك أن فاطمة رضي ا عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي صلى ا عليه وسلم لها فالسادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض بين الحديثين والحمد رب العالمين وقد قـال ابن عمر رضي ا عنهما وهو حجة في اللغة العربية كـان

أبو بكر خيراً وأفضل من معاوية وكان معاوية أسود من أبي بكر ففرق ابن عمر بين السادة والفضل والخير وقد علمنا أن الفضل هو الخير نفسه لأن الشيء إذا كان خيراً من شـيء آخر فهو أفضل منه بلا شك.

قال أبو محمد: وقد قال قائل ممن يخالفنا في هذا قال ا عز وجل " وليس الذكر كالانثى " فقلنـا وبـا تعـالى التوفيق فأنت إذا عند نفسك أفضل من مريم وعائشة وفاطمة لأنك ذكر وهؤلاء أناث فإن قال هذا الحق بالنوكي وكفر فإن سئل عن معنى الآية قيل له الآية على ظاهرها ولا شك فـي أن الذكر ليس كالأنثى لأنه لو كان كالأنثى لكان أنثى والأنثى أيضاً ليست كالذكر لأن هذه أنثى وهذا ذكر وليس هذا مـن الفضل في شيء البتة وكذلك الحمرة غير الخضرة والخضرة ليست كالحمرة وليس هذا من باب الفضـل فـإن اعتـرض معترض بقول ا عز وجل " وللرجال عليهن درجة " قيل له إنما هذا في حقوق الأزواج على الزوجات ومن أراد حمـل هذه الآية على ظاهرها لزمه أن يكون كـل يهـودي وكـل مجوسي وكل فاسق من الرجال أفضل مـن أم موسـى وأم عيسى وأم إسحاق عليهم السلام ومن نساء النبي صـلى ا

عليه وسلم وبناته وهذا كفر ممن قال ه بإجماع الأمة وكذلك قوله تعالى " أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصـام غيـر مبين " إنما ذلك في تقصيرهم في الأغلب عن المحاجة لقلة ذريتهم وليس في هذا ما يحط من الفضل عن ذوات الفضـل منهن فإن اعترض معترض فقال الذي أمرنا بطاعتهم مـن خلفاء الصحابة رضي ا عنهم أفضل من نساء النبي صلى ا عليه وسلم بقوله تعالى " أطيعوا ا وأطيعـوا الرسـول وأولي الأمر منكم " فالجواب وبا تعالى التوفيـق إن هـذا خطأ من جهات إحداها أن نساء النبي صلى ا عليه وسـلم من جملة أولي الأمر منا الذين أمرنا بطاعتهم فيما بلغن إلينا عن النبي صلى ا عليه وسلم كالأئمة من الصحابة سـواء ولا فرق والوجه الثاني أن الخلافة ليست مـن قبـل فضـل الواحد في دينه فقط وجبت لمن وجبت له وكذلك الإمارة لأن الإمارة قد تجوز لمن غيره أفضل منه وقد كان عمر رضي ا عنه مأموراً بطاعة عمرو بن العاص إذ أمره رسول ا صلى ا عليه وسلم في غزوة ذات السلاسل فبطل أن تكون الطاعة إنما تجب للأفضل وقد أمر النبي صلى ا عليه وسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً ولم يـؤمر أبـا ذر

وأبو ذر أفضل خير منهما بلا شك وأيضاً فإنما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضي ا عنهم في أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ولا خلاف في أن الولاية لم تزدهم فضلاً على مـا كانوا عليه وإنما زادهم فضلاً عدلهم في الولاية لا الولايـة نفسها وعدلهم داخل في جملة أعمالهم التي يستحقون الفضل بها ألا ترى أن معاوية والحسن إذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن أبي وقاص وسعد أفضل منهما ببون بعيد جـداً وهو حي معهما مأمور بطاعتهما وكذلك القول فـي جـابر وأنس بن مالك وابن عمر رضي ا عنهم في وجوب طاعة عبد الملك بن مروان والذي بين جابر وأنس وابن عمر وبين عبد الملك في الفضل كالذي بين النور والظلمة فلـيس فـي وجوب طاعة الولاة ما يوجب لهم فضلاً فـي الجنـة فـإن اعترض معترض بقول ا تعالى " والذين أمنوا واتبعـتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم مـن شيء كل امرئ بما كسب رهين " فبيان اعتراضه ظاهر في آخر الآية وهو أن إلحاق الذرية بالأباء لا يقتضـي كـونهم معهم في درجة ولا هذا مفهوم من نص الآية بل إنما فيهـا إلحاقهم بهم فيما ساووهم فيه بنص الآية ثم بين تعالى ذلـك

ولم يدعنا في شك بقوله " كل امرئ بما كسب رهين " فصح أن كل واحد من الأباء والأبناء يجازى حسب ما كسب فقـط وليس حكم الأزواج كذلك بل أزواج النبي صـلى ا عليـه وسلم معه في قصوره وعلى سرره ملتذ بهن ومعهن جـزاء لهن بما عملن من الخير وبصبرهن واختيـارهن ا تعـالى ورسوله صلى ا عليه وسلم والدار الآخرة وهذه منزلـة لا يحلها أحد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فهن أفضل من كل واحد دون الأنبياء عليهم السلام فـإن شـغب مشغب بقول رسول ا صلى ا عليه وسلم ما رأيـت مـن ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل من إحداكن قلنـا لـه وبا تعالى التوفيق إن حملت هذا الحـديث علـى ظـاهره فيلزمك أن تقول أنك أتم عقلاً وديناً من مريم وأم موسى وأم إسحاق ومن عائشة وفاطمة فإن تمادى على هذا سقط الكلام معه ولم يبعد عن الكفر وإن قال لا سقط اعتراضه واعترف بأن من الرجال من هو أنقص ديناً وعقلاً من كثير من النساء فإن سأل عن معنى هذا الحديث.

قيل له قد بين رسول ا صلى ا عليه وسلم وجـه ذلك النقص وهو كون شهادة المرأة على النصف من شـهادة

الرجل وكونها إذا حاضت لا تصلي ولا تصوم وليس هـذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين والعقل فـي غيـر هذين الوجهين فقط إذ بالضرورة ندري أن في النساء من هن أفضل من كثير من الرجال وأتم ديناً وعقلاً غير الوجوه التي ذكر النبي صلى ا عليه وسلم لا يقول إلا حقاً فصح يقينـاً أنه إنما عبر عليه السلام ما قد بينه في الحديث نفسـه مـن الشهادة والحيض فقط وليس ذلك مما ينقص الفضل فقد علمنا أن أبا بكر وعمر وعلياً لو شهدوا في زنا لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به أربعة منا عدول في الظاهر حكم بشهادتهم وليس ذلك بموجب أننا أفضل من هؤلاء المذكورين وكذلك القـول في شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل فـي ورد ولا صدر لكن يقفا فيها عند ما حده النص فقط ولا شك عند كل مسلم في أن صواحبه من نسائه وبناته علـيهم السـلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة أفضل ديناً ومنزلة عنـد ا تعالى من كل تابع أتى بعدهن ومن كل رجل يـأتي فـي هذه الأمة إلى يوم القيامة فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح أنه على ما فسرناه وبيناه والحمد رب العالمين.

وأيضاً فقول ا تعالى " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء مخرج لهن عن سائر النساء في كل ما اعترض بـه معترض مما ذكرناه وشبهه.

قال أبو محمد: فإن اعترض معترض بقـول النبـي صلى ا عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمـل مـن النساء إلا مريم بنت عمران وامرأة فرعون فإن هذا الكمال إنما هو الرسالة والنبوة التي انفرد بها الرجـال وشـاركهم بعض النساء في النبوة وقد يتفاضلون أيضاً فيها فيكون بعض الأنبياء أكمل من بعض ويكون بعض الرسل أكمل من بعض قال ا عز وجل " تلك الرسل فضلنا بعضهم علـى بعـض منهم من كلم ا ورفع بعضهم درجات " فإنما ذكر في هـذا الخبر من بلغ غاية الكمال في طبقته ولم يتقدمه مـنهم أحـد وبا تعالى التوفيق فإن اعترض معترض بقوله عليه السلام لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة فلا حجة له في ذلك لأنه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل فقد علمنا أن ابن مسعود وبلال وزيد ابن حارثة رضي ا عـنهم لـم يكن لهم حظ في الخلافة وليس بموجب أن يكون الحسن وابن

الزبير ومعاوية أفضل منهم والخلافة جائزة لهـؤلاء غيـر جائزة لأولئك ومنهم في الفضل ما لا يجهله المسلم.

قال أبو محمد: وأما أفضل نسائه فعائشـة وخديجـة رضي ا عنهما لعظم فضائلهما وإخباره عليـه السـلام أن عائشة أحب الناس إليه وأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلـد فقال أفضل نسائها مريم بنت عمران وأفضل نسائها خديجـة بنت خويلد مع سابقة خديجة في الإسلام وثباتها رضـي ا عنها ولأم سلمة وسودة وزينب بنت جحـش وزينـب بنـت خزيمة وحفصة سوابق في الإسلام عظيمة وأحمال للمشقات في ا عز وجل ورسوله صلى ا عليه وسـلم والهجـرة والغربة عن الوطن والدعاء إلى الإسلام والبلاء في ا عـز وجل ورسوله صلى ا عليه وسلم ولكلهن بعد ذلك الفضـل المبين رضوان ا عليهن أجمعين.

قال أبو محمد: وهذه مسألة نقطع فيهـا علـى أننـا المحققون عند ا عز وجل وأن من خالفنا فيها مخطئ عنـد ا عز وجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلاً.

قال أبو محمد: فإن قال قائل هل قال هذا أحد قـبلكم قلنا له وبا تعالى التوفيق وهل قال غير هذا أحد من قبـل يخالفنا الآن وقد علمنا ضرورة أن لنساء النبي صلى ا عليه وسلم منزلة من الفضل بلا شك فلا بد من البحث عنها فليقل مخالفنا في أي منزلة نضعهن أبعد جميع الصحابة كلهم فهذا ما لا يقوله أحد أم بعد طائفة منهم فعليه الدليل وهـذا مـا لا سبيل له إلى وجوده وإذ قد بطل هـذان القـولان أحـدهما بالإجماع على أنه باطل والثاني لأنه دعوى لا دليـل عليهـا ولا برهان فلم يبق إلا قولنا والحمد رب العالمين الموفـق للصواب بفضله ثم نقول وبا تعالى نستعين قد صح أن أبـا بكر الصديق رضي ا عنه خطب الناس حين ولي بعد موت رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال أيها الناس إني وليـتكم ولست بخيركم فقد صح عنه رضـي ا عنـه أنـه أعلـن بحضرة جميع الصحابة رضي ا عنهم أنه ليس بخيرهم ولم ينكر هذا القول منهم أحد فدل على متابعتهم له ولا خلاف أنه ليس في أحد من الحاضرين لخطبته إنسان يقول فيه أحد من الناس أنه خير من أبي بكر إلا علي وابن مسعود وعمرو أما جمهور الحاضرين من مخالفينا في هذه المسألة مـن أهـل

السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج فإنهم لا يختلفون في أن أبا بكر أفضل من علي وعمر وابن مسعود وخير منهم فصح أنه لم يبق إلا أزواج النبي صلى ا عليه وسلم فإن قال قائل إنما قال أبو بكر هذا تواضعاً قلنا له هذا هو الباطل المتـيقن لأن الصديق الذي سماه رسول ا صلى ا عليه وسلم بهذا الاسم لا يجوز أن يكذب وحاشا له من ذلـك ولا يقـول إلا الحق والصدق فصح أن الصحابة متفقون في الأغلب علـى تصديقه في ذلك فإذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضـح أن يكون أحد من الصحابة رضي ا عنهم خيراً من أبي بكر لم يبق إلا أزواج النبي صلى ا عليه وسلم ونساؤه ووضح أننا لو قلنا أنه إجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق.

قال أبو محمد: وأيضاً فإن يوسف بن عبد ا النمري حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ثنا أبو العبـاس أحمـد بـن إبراهيم بن علي الكندي حدثنا محمد بن العباس البغدادي ثنـا إبراهيم ابن محمد البصري ثنا أبو أيوب سليمان بـن داود الشاذكوني قال كان عمار بن ياسـر والحسـن ابـن علـي يفضلان علي بن أبي طالب على أبي بكر الصـديق وعمـر حدثنا أحمد بن محمد الخوزي ثنا أحمد بن الفضل الدينوري

ثنا محمد بن جرير الطبري أن علي بن أبي طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن علي إلى الكوفة إذ خرجت أم المؤمنين إلى البصرة فلما أتياها اجتمع إليهما الناس في المسجد فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ثم قال لهم إني أقول لكم ووا إني لأعلم أنها زوجة رسول ا صلى ا عليه وسلم في الجنة كما هي زوجته في الدنيا ولكن ا ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه فقال له مسروق أو أبو الأسود يا أبا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له فسكت عمار و قال له الحسن اعن نفسك عنا فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضي ا عنهم والتابعين والكوفة يؤمئذٍ مملؤة منهم يسمعون تفضيل عائشة على علي وهو عند عمار والحسن أفضل من أبي بكر وعمر فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه أحوج ما كانوا إلى إنكاره فصح أنهم متفقون على أنها وأزواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ومما نبين أن أبا بكر رضي ا عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم إلا محقاً صادقاً لا تواضعاً يقول فيه الباطل وحاشا له من ذلك ما حدثناه أحمد بن محمد الطلمنكي

قال حدثنا أحمد بن محمد بن مفرج ثنا محمـد بـن أيـوب الصموت الرفي أنا أحمد بن عمر بن عبد الخالق البران ثنـا عبد الملك ابن سعد ثنا عقبة بن خالد ثنا شعبة بن الحجاج ثنا الحريري عن أبي بصرة عن أبي سعيد الخدري قال قال أبو بكر الصديق رضي ا عنه ألست أحق الناس بها أو لسـت أول من أسلم ألست صاحب كداء.

قال أبو محمد: فهذا أبو بكر رضي ا عنـه يـذكر فضائل نفسه إذ كان صادقاً فيها فلو كان أفضلهم لصرح بـه وما كتمه وقد نزهه ا تعالى عن الكذب فصح قولنـا نصـاً والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: ثم وجب القول فـيمن هـو أفضـل الصحابة بعد نساء النبي صلى ا عليه وسلم فلم نجد لمـن فضل ابن مسعود أو عمر أو جعفر بن أبي طالب أو أبا سلمة أو الثلاثة إلا سهليين على جميع الصحابة حجة يعتمد عليهـا ووجدنا من يوقف لم يزد على أنه لم يلح له البرهـان أنهـم أفضل ولو لاح له ل قال به ووجدنا العدد والمعارضة فـي القائلين بأن علياً أفضل أكثر فوجب أن أتى بما شـغبوا بـه ليلوح الحق في ذلك وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وجدناهم يحتجون بأن علياً كان أكثر الصحابة جهاداً وطعناً في الكفار وضرباً والجهـاد افضـل الأعمال.

قال أبو محمد: هذا خطأ لأن الجهاد ينقسـم أقسـاما ثلاثة أحدها الدعاء إلى ا عز وجل باللسان والثاني الجهـاد عند الحرب بالرأي والتدبير والثالث الجهاد باليد في الطعـن والضرب فوجدنا الجهاد في اللسان لا يلحق فيه أحـد بعـد رسول ا صلى ا عليه وسلم أبا بكر وعمر أما أبو بكـر فإن أكابر الصحابة رضي ا عنهم أسلموا على يديه فهـذا أفضل عمل وليس لعلي من هذا كثير حظ وأما عمر فإنه من يوم أسلم عز الإسلام وعبد ا تعالى بمكة جهـراً وجاهـد المشركين بمكة بيديه فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد ا تعالى علانية وهذا أعظم الجهاد فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلي فـي هـذا أصلاً وبقي القسم الثاني وهو الـرأي والمشـورة فوجـدناه خالصاً لأبي بكر ثم لعمر وبقي القسم الثالث وهـو الطعـن والضرب والمبارزة فوجدناه أقل مراتـب الجهـاد ببرهـان ضروري وهو أن رسول ا صلى ا عليه وسـلم لا شـك

عند كل مسلم أنه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام إنما كان في أكثر أعماله وأحواله القسمين الأولين من الدعاء إلى ا عز وجل والتدبير والإرادة وكان أقل عملـه صلى ا عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام أشجع أهل الأرض قاطبة نفسـاً ويـداً وأتمهم نجدة ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأفعـال فقدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بـدر وغيره كان أبو بكر رضي ا عنه معه لا يفارقه إيثاراً من رسول ا صلى ا عليه وسلم له بذلك واستظهاراً برأيه في الحرب وأنساً بمكانه ثم كان عمر ربما شورك في ذلك أيضاً وقد انفرد بهذا المحل دون علي ودون سائر الصحابة إلا في الندرة ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم من الجهاد الذي هـو الطعن والضرب والمبارزة فوجدنا علياً رضي ا عنه لـم ينفرد بالنسوق فيه بل قد شاركه في ذلك غيره شركة العنـان كطلحة والزبير وسعد وممن قتل في صدر الإسلام كحمـزة وعبيدة بن الحارث بن المطلب ومصعب بن عميـر ومـن الأنصار سعد ابن معاذ وسماك ابن خرسة وغيرهما ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه في ذلك بحظ حسن وإن لم يلحقـا

بحظوظ هؤلاء وإنما ذلك لشغلهما بالأفضـل مـن ملازمـة رسول ا صلى ا عليه وسلم وموازرته في حين الحـرب وقد بعثهما رسول ا صلى ا عليه وسلم على البعوث أكثر مما بعث علياً وقد بعث أبا بكر إلى بنـي فـزارة وغيـرهم وبعث عمر إلى بني فلان وما نعلم لعلي بعثاً إلا إلى بعـض حصون خيبر ففتحه وقد بعث قبله أبا بكر وعمر فلم يفتحـاه فحصل أربع أنواع الجهاد لأبي بكر وعمر وقد شاركا عليـاً في أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم.

قال أبو محمد: واحتج أيضاً من قال بأن علياً كـان أكثرهم علماً.

قال أبو محمد: كذب هذا القائل وإنما يعـرف علـم الصحابي لأحد وجهين لا ثالث لهما أحدهما كثـرة روايتـه وفتاويه والثاني كثرة استعمال النبي صلى ا عليه وسلم لـه فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي صلى ا عليه وسلم من لا علم له وهذه أكبر شهادات على الهلم وسعته فنظرنا فـي ذلك فوجدنا النبي صلى ا عليه وسلم قد ولـي أبـا بكـر الصلاة بحضرته طول علته وجميع أكابر الصحابة حضـور كعلي وعمرو ابن مسعود وأبي وغيرهم فآثره بـذلك علـى

جميعهم وهذا خلاف استخلافه عليه السـلام إذا غـزا لأن المستخلف في الغزوة لم يستخلف إلـى علـى النسـاء وذو الأعذار فقط فوجب ضرورة أن نعلم أن أبا بكر أعلم النـاس بالصلاة وشرايعها وأعلم المذكورين بها وهي عمود الـدين ووجدناه صلى ا عليه وسلم قـد اسـتعمله علىالصـدقات فوجب ضرورة أن عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة لا أقل وربما كان أكثر إذ قـد اسـتعمل عليه السلام أيضاً عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل إلا عالماً بما استعمله عليه والزكاة ركن من أركان الـدين بعـد الصلاة وبرهان ما قلنا من تمام علم أبي بكر رضي ا عنه بالصدقات أن الأخبار الواردة في الزكاة أصحها والذي يلزم العلم به ولا يجوز خلافه فهو حديث أبي بكر ثم الـذي مـن طريق عمر وأما من طريق علي فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة وهو أن في خمس وعشرين من الإبـل خمـس شياه فوجدناه عليه السلام قد استعمل أبا بكر على الحج فصح ضرورة أنه أعلم من جميع الصحابة بالحج وهـذه دعـايم الإسلام ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح أن عنده من أحكام الجهاد مثل ما عند سائر مـن اسـتعمله

رسول ا صلى ا عليه وسلم على البعوث في الجهاد إذ لا يستعمل عليه السلام على العمل إلا عالماً به فعند أبي بكـر من الجهاد من العلم به كالذي عند علي وسائر أمراء البعوث لا أكثر ولا أقل فإذ قد صح التقدم لأبي بكر على علي وغيره في علم الصلاة والزكاة والحج وساواه في علم الجهاد فهـذه عمدة العلم ثم وجدناه عليه السلام قد ألزم نفسه في جلوسـه ومآمرته وظعنه وإقامته أبا بكر مشاعد أحكامه عليه السـالم وفتاويه أكثر من مشاهدة علي لها فصح ضرورة أنه أعلم بها فهل بقيت من العلم بقية إلا وأبو بكر المتقدم فيهـا الـذي لا يلحق أو المشارك الذي لا يسبق فبطلت دعواهم فـي العلـم والحمد رب العالمين وأما الرواية والفتوى فإن أبـا بكـر رضي ا عنه لم يعش بعد رسول ا صلى ا عليه وسـلم إلا سنتين وستة أشهر ولم يفارق المدينة غلا حاجاً أو معتمراً ولم يحتج الناس إلى ما عنده من الروايـة عـن رسـول ا صلى ا عليه وسلم لأن كل من حواليه أدركوا النبي صـلى ا عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روي عنه عن النبي صلى ا عليه وسلم مائة حديث واثنان وأربعون حدثناً مسندة ولـم يرو عن علي إلا خمس مائة وست وثمانون حـديثاً مسـندة

يصح منها نحو خمسين وقد عاش بعد رسول ا صـلى ا عليه وسلم أزيد من ثلاثين سنة وكثـر لقـاء النـاس إيـاه وحاجتهم إلى عنده لذهاب جمهور الصحابة رضي ا عنهم وكثر سماع أهل الأفاق منه مرة بصفين وأعوامـاً بالكوفـة ومرة بالبصرة والمدينة فإذا نسبنا مدة أبي بكر من حياتـه وأضفنا تقري على البلاد بلداً بلداً وكثرة سماع الناس منه إلى لزوم أبي بكر موطنه وأنه لم تكثر حاجة من حواليـه إلـى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث وفتاوي من فتاوي علم كل ذي حظ من العلم إن الذي كان عند أبي بكـر من العلم أضعاف ما كان عند علي منه وبرهان ذلك أن من عمر من أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم عمراً قليلاً قل النقل عنهم ومن طال عمره منهم كثر النقـل عـنهم إلا اليسير من اكتفى بنيابة غيره عنه في تعليم الناس وقد عـاش علي بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عامـاً غيـر أشـهر ومسند عمر خمسماية حديث وسبعة وثلاثون حـديثاً يصـح منها نحو خمسين كالذي عن علي سواء بسـواء فكلمـا زاد حديث علي على حديث عمر تسعة وأربعين حديثاً في هـذه المدة الطويلة ولم يزد عليه في الصحيح إلا حديثناً أو حديثين

وفتاوي عمر موازنة لفتاوي علي في أبواب الفقه فإذا نسـبنا مدة من مدة وضربنا في البلاد من ضرب فيها وأضفنا حديثاً إلى حديث وفتاوي إلى فتاوي علـم كـل ذي حـس علمـاً ضرورياً أن الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كـان عند علي من العلم ثم وجدنا الأمر كل ما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجـدنا حـديث عائشـة رضي ا عنها ألفي مسند ومائتي مسند وعشـرة مسـانيد وحديث أبي هريرة خمسة آلاف مسند وثلثماية مسند وأربـع وسبعين مسنداً ووجدنا مسند بن عمر وأنس قريباً من مسـند عائشة لكل واحد منهما ووجدنا مسند جابر بن عبد ا وعبد ا بن عباس لك واحد منهما أزيد مـن ألـف وخمسـماية ووجدنا لابن مسعود ثمان ماية مسند ونيف ولكل من ذكرنـا حاشا أبا هريرة وأنس بن مالك من الفتاوي أكثر من فتـاوي علي أو نحوها فبطل قول هذه الوقاح الجهال فـإن عانـدنا معاند في هذا الباب جاهل أو قليل الحيا لاح كذبه وجهله فإنا غير مهتمين على حط أحد من الصحابة رضي ا عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته لأننا لو انحرفنا عن علي رضي ا عنه ونعوذ با من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج

وقد نزهنا ا عز وجل عن هذا الضلال في التعصب ولـو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة وقد أعاذنا ا تعالى مـن هذا الأفك في التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنـه أو الغالين فيهم هم المتهمون فيه إما له وإما عليه وبعد هذا كله وليس يقدر من ينتمي إلى الإسلام أن يعاند فـي الاسـتدلال على كثرة العلم باستعمال النبي صلى ا عليه وسلم وبمـن استعمله منهم على ما استعمله عليه من أمور الدين فإن قالوا إن رسول ا صلى ا عليه وسلم قد استعمل عليـاً علـى الأخماس وعلى القضا باليمن قلنا لهم نعم ولكن مشاهدة أبـي بكر لا قضية رسول ا صلى ا عليه وسلم أقوى في العلم وأثبت مما عند علي وهو باليمن وقد اسـتعمل رسـول ا صلى ا عليه وسلم أبا بكر على بعوث فيها الأخماس فقـد ساوى علمه علم علي في حكمها بلا شك إذ لا يستعمل عليه السلام إلا عالماً بما يستعمله عليه وقد صح أن أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول ا صلى ا عليه وسلم وهـو عليه السلام يعلم ذلك ومحال ذلك أن يبيح لهما ذلك إلا وهما أعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضاً على القضاء باليمن مع علي معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري فلعلي في

هذا شركاء كثير منهم أبو بكر وعمر ثم انفـرد أبـو بكـر بالجهور الأغاب من العام على ما ذكرنا.

و قال هذا القائل أن علينا كان إقرا الصحابة.

قال أبو محمد: وهذه القحة المتجردة والبهتان لوجوه أولها أنه رد على رسول ا صلى ا عليه وسلم لأنه عليـه السلام قال يوم القوم اقرؤهم فإن استووا فافقهم فإن اسـتووا فأقدمهم هجرة ثم وجدناه عليه السلام قد قدم أبا بكر علـى الصلاة مدة الأيام التي مرض فياه وعلي بالحضرة يراه النبي صلى ا عليه وسلم غدوة وعشية فما رأى لها عليه السـلام أحداً أحق من أبي بكر بها فصح أنه كان اقـرؤهم وأفقهـم وأقدمهم هجرة وقد يكون من لم يجمع حفظ القرآن كله على ظهر قاب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قاب فيكون ألفظ به وأحسنهم ترتيلاً هذا على أن أبا بكر وعمر وعلي لم يستكمل أحد منهم حفظ سوار القرآن كله ظاهراً إلا أنه قد وجب يقيناً بتقديم النبي صلى ا عليه وسلم لأبي بكر على الصلة وعلي حاضر إن أبا بكر أقرأ من علي وما كان النبي صـلى ا عليه وسلم ليقدم إلى الإمامة الأقل علماً بالقراة على الأقرأ أو الأقل فقهاً قال أبو محمد: كذب هذا الأفك ولقد كـان علـي

رضي ا عنه تقياً إلى أن الفاضل بتفاضل فيها أهلها ومـا كان أتقاهم إلا أبا بكر والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط أبو بكر رسول ا صلى ا عليه وسلم في كلمة ولا خـالف إرادته عليه السلام في شيء قط ولا تأخر عن تصـديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية إذ تردد من تردد وقد تظلم رسول ا صلى ا عليه وسلم على المنبـر إذ أراد علـي نكاح ابنة أبي جهل بما قد عرف وما وجدنا قط لأبـي بكـر توقفاً عن شيء أمر به رسول ا صلى ا عليه وسـلم إلا مرة واحدة عذره فيها رسول ا صلى ا عليه وسلم وأجاز له فعله وهي إذ أتى رسول ا صلى ا عليه وسلم من قبـا فوجده يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر تأخر فأشار إليه النبي صلى ا عليه وسلم أن أقم مكانك فحمد ا تعالى أبو بكـر على ذلك ثم تأخر فصار في الصف وتقدم رسول ا صـلى ا عليه وسلم فصلى بالناس فلما سلم قـال لـه رسـول ا صلى ا عليه وسلم ما منعك أن تثبت حين أمرتك فقال أبو بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يـدي رسـول ا صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول ا صلى ا عليه وسلم وما أنكر عليه السلام ذلـك عليه وإذ قد صح بالبرهان الضروري الذي ذكرنا أن أبا بكر أعلم أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم فقد وجب أنـه أخشاهم عز وجل قال ا عز وجل " إنما يخشى ا مـن عباده العلماء " والتقي هو الخشية عز وجل و قال قائلون علي كان أزهدهم.

قال أبو محمد: كذب هذا الجاهل وبرهـان ذلـك أن الزهد إنما هو غروب النفس عن حب الصوت وعن المـال وعن اللذات وعن الميل إلى الولد والحاشية ليس الزهد معنى يقع عليه اسم الزهد إلا هذا المعنى فأما غروب النفس عـن المال فقد علم كل من له أدنى بصر بشـيء مـن الأخبـار الخالية أن أبا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين ألف درهم فأنفقها كلها في ذات ا تعالى وعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات ا عز وجل ولم يعتق عبيداً جلداً يمنعونه لكن كل معذب ومعذبة في ا عز وجل حتى هاجر مع رسول ا صلى ا عليه وسلم ولم يبق لأبي بكـر مـن جميع ماله إلا ستة ألف درهم حملها كلهـا مـع رسـول ا

صلى ا عليه وسلم ولم يبق لبنيه منها درهم ثم أنفقها كلهـا في سبيل ا عز وجل حتى لم يبق له شيء في عبادة له قـد خللها بعود إذا نزل افترشها وإذا ركب لبسها إذ تمول غيـره من الصحابة رضي ا عن جميعهم واقتنوا الرباع الواسـعة والضياع العظيمة من حلها وحقها إلا أن من آثر بذلك سبيل ا عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسك ثم ولي الخلافـة فمـا اتخذ جارية ولا توسع في مال وعد عند موته ما أنفق علـى نفسه وولده من مال ا عز وجل الذي لم يسـتوف منـه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من شهامة في المغازي والمقاسم مـع رسـول ا صلى ا عليه وسلم فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يدانيه فيه أحد من الصحابة لا علي ولا غيره إلا أن يكون أبا ذر وأبا عبيدة من المهاجرين الأولين فإنهما جريا على هـذه الطريقة التي فارقا عليها رسول ا صلى ا عليـه وسـلم وتوسع من سواهم من الصحابة رضي ا عنهم في المبـاح الذي أحله ا عز وجل لهم إلا أن من أثر على نفسه فضـل ولولا أن أبا ذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه إلا من كان مثله فهذا هو الزهد في المال واللذات ولقد تلا أبو بكر عمر

رضي ا عنهما في هذا الزهد فكان فوق علي في ذلك يعني في إعراضه عن المال واللذات وأما علي رضـي ا عنـه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد سوى الخدم والعبيد وتوفي عن أربعة وعشرين ولداً من ذكر وأنثى وترك لهم من العقار والضياع ما كـانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار ومن جملة عقاره التي تصدق بها كانت تغل ألف وسق تمراً سوى زرعها فأين هذا من هذا وأما حب الولد والميل إليهم وإلى الحاشية فالأمر في هذا أبين من أن يخفى على أحد له أقل علم بالأخبار فقد كان لأبي بكر رضي ا عنه من القرابة والولد مثل طلحـة بـن عبيد ا من المهاجرين الأولين والسابقين من ذوي الفضائل العظيمة في كل باب من أبواب الفضل في الإسلام ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وله مع النبي صلى ا عليه وسـلم صحبة قديمة وهجرة سابقة وفضل ظاهر فما اسـتعمل أبـو بكر رضي ا عنه منهم أحداً على شيء من الجهات وهـي بلاد اليمن كلها على سـعتها وكثـرة اسـتعمالها وعمـان وحضرموت والبحرين واليمامة والطـايف ومكـة وخيبـر

وسائر أعمال الحجاز ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلاً ولكـن خشي المحاباة ويوقع أن يميله إليهم شيء من الهوى ثم جرى عمر على مجراه في ذلك فلم يستعمل من بني عدي بن كعب أحداً على سعة البلاد وكثرتها وقد فتح الشام ومصر وجميـع مملكة الفرس إلى خراسان إلا النعمان بن عدي وحده علـى ميسان ثم أسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس في شـيء من اتخاذ قريش لأن بني عدي لم يبق منهم أحـد بمكـة إلا هاجر وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الأولـين ذوي السوابق وأبي الجهم ابن حذيفة وخارجـة بـن حذافـة ومعمر بن عبد ا وابنه عبد ا بن عمر ثم لم يستخلف أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ولا استعمل عمر ابنه عبد الملك على الخلافة وهو من فضلاء الصـحابة وخيارهم وقد رضي له الناس وكان لذلك أهلاً ولو اسـتخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل ووجدنا علياً رضي ا عنه إذ ولي قد استعمل أقاربه عبد الملك بن عباس علـى البصـرة وعبيد ا بن عباس على اليمن وخثعم ومعبدا ابني العبـاس على مكة والمدينة وجعدة بن نميرة وهو ابن أخته أم هـاني بنت أبي طالب على خراسان ومحمد بن أبي بكر وهو ابـن

امرأته وأخو والده على مصر ورضي ببيعة النـاس للحسـن ابنه بالخلافة ولسنا ننكر اسـتحقاق الحسـن للخلافـة ولا استحقاق عبد ا بن العباس للخلافة فكيف أمارة البصرة لكنا نقول أن من زهد في الخلافة لولد مثل عبد ا بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر والناس متفقون عليه وفي تـأمير مثـل طلحة بن عبد ا وسعيد بن زيد فلا شك في أنه أتم زهد أو أعرب عن جميع معاني الدنيا نفساً ممن أخذه منها أبيح لـه أخذه فصح بالبرهان الضروري أن أبا بكر أزهد من جميـع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده و قال هذا القائـل وكـان علي أكثرهم صدقة.

قال أبو محمد: وهذه مجاهرة بالباطل لأنه لم يحفـظ لعلي مشاركة ظاهرة بالمال وأما أمر أبي بكر رضي ا عنه في إنفاق ماله في سبيل ا عز وجل فأشهر مـن أن تخفـى على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ثم لعثمان بـن عفان رضي ا عنه في هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ما ليس لغيره فصح أن أبا بكر أعظم صدقة وأكثر مشـاركة وغنا في الإسلام بماله من علي رضي ا عنه و قالوا علي هو السابق إلى الإسلام ولم يعبد قط وثنا.

قال أبو محمد: أما السابقة فلم يقل قط أحد يعتد به أن علياًمات وله أكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلا شك سـنة أربعين من الهجرة فصح أنه كان حين هاجر النبي صلى ا عليه وسلم ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة النبي صـلى ا عليه وسلم بمكة في النبوة ثلاث عشرة سنة فبعث عليـه السلام ولعلي عشرة أعوام فإسلام ابن عشرة أعوام ودعـاؤه إليه إنما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الـدين لا أن عنده غناء ولا أن عليه إثماً إن أبى فإن أخذ الأمر على قول من قال أن علياً مات وله ثمان وخمسون سنة فإنـه كـان إذ بعث النبي صلى ا عليه وسلم ابن خمسة أعوام وكان إسلام ابي بكر ابن ثمان وثلاثين سنة وهو الإسلام المأمور به مـن عند ا عز وجل وأما من لم يبلغ الحلم فغيـر مكلـف ولا مخاطب فسابقة أبي بكر وعمر بلا شك أسـبق مـن سـابقة علي.

وأما عمر فإنه كان إسلامه تأخر بعد البعـث بسـتة أعوام فإن عناءه كان أكثر من عناء أكثر من أسلم قبله ولـم يبلغ على حد التكليف إلا بعد أعوام من مبعث النبي صلى ا عليه وسلم وبعد أن أسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بعد

أن عذبوا في الله تعالى ولقوا فيه الألاقي وأما كونه لم يعبد وثناً فنحن وكل مولود في الإسلام لم يعبد قط وثناً وعمار والمقداد وسلمان وأبو ذر وحمزة وجعفر رضي الله عنهم قد عبدوا الأوثان أفترانا أفضل منهم من أجل ذلك معاذ الله من هذا فإنه لا يقوله مسلم فبطل أن يكون هذا يوجب لعلي فضلاً زائداً وإلا لكانت عائشة سابقة لعلي رضي الله عنهما في هذا الفضل لأنها كانت إذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بنت ثماني سنين وأشهر ولم تولد إلا بعد إسلام أبيها بسنين وعلي ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وعبد الله بن عمر أيضاً أسلم أبوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثناً فهو شريك لعلي في هذه الفضيلة.

و قال بعضهم علي كان أسوسهم.

قال أبو محمد: وهذا باطل لا خفاء به على مؤمن ولا كافر فقد دري القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الإسلام إذ كفر من كفر من أهل الأرض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وأذعن الجميع للبقية وقبول ما ادعت إليه العرب حاشا أبا بكر فهل ثبت أحد ثبات أبي بكر على كلب العدو وشدة الخوف حتى دخلوا في

الإسلام أفواجاً كما خرجوا منه أفواجاً وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جموعهم ولا تضـافرهم ولا قلـة أهـل الإسلام حتى أنار ا الإسلام وأظهره ثم هل ناطح كسـرى وقيصر على أسرة ملكها حتى أخضع حدود فارس والـروم وصرع حدودهم ونكس راياتهم وظهر الإسلام فـي أقطـار الأرض وذل الكفر وأهله وشبع جائع المسلمين وعز ذلـيلهم واستغنى فقيرهم وصاروا إخوة لا اختلاف بيـنهم وقـرؤوا القرآن وتفقهوا في الدين إلا أبو بكر ثم ثنى عمر ثـم ثلـث عثمان ثم قد رأى الناس خلاف ذلك كلـه وافتـراق كلمـة المؤمنين وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسـيوف وشكت بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الألوف وشغلهم بذلك عن أن يفتح من بـلاد الكفـر قرية أو يذعر لهم سرب أو يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيراً مما صار بأيدي المسلمين من بلادهم فلم يجتمـع المسلمون إلى يوم القيامة فأين سياسة من سياسة.

قال أبو محمد: فإذ قد بطل كلما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا إلا على دعاوي ظاهرة الكذب لا دليـل علـى صحة شيء منها وصح بالبرهان كما أوردنا أن أبا بكر هـو

الذي فاز بالقدح المعلى والسبق المبرز والحظ الأسـنى فـي العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشـية والصـدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبـي صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: ولم يحتج عليهم بالأحاديث لأنهـم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق أحاديثهم وإنما اقتصرنا علـى البراهين الضرورية بنقل الكواف فإن كانت الإمامة تسـتحق بالتقدم في الفضل فأبو بكر أحق الناس بها بعد موت النبـي صلى ا عليه وسلم يقيناً فكيف والنص على خلافته صحيح وإذ قد صحت إمامة أبي بكر رضي ا عنه فطاعته فـرض في استخلافه عمر رضي ا عنه فوجبت إمامة عمر فرضاً بما ذكرنا وبإجماع أهل الإسلام عليهما دون خلاف من أحـد قطعاً ثم أجمعت الأمة كلها أيضاً بلا خلاف من أحـد مـنهم على صحة إمامة عثمان والدينونة بها وأما خلافة علي فحق لا بنص ولا بإجماع لكن ببرهان سنذكره إن شـاء ا فـي الكلام في حروبه.

قال أبو محمد: ومن فضائل أبي بكر المشهورة قوله عز وجل " إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن ا معنا " فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في أنه أبو بكر فأوجب ا تعالى له فضيلة المشاركة في إخراجه مع رسول ا صلى ا عليه وسلم في أنه خصه باسم الصحبة له وبأنه ثانيه في الغار وأعظم من ذلك كله أن ا معهما وهذا ما لا يلحقه فيه أحد.

قال أبو محمد: فاعترض في هذا بعض أهل القحة فقال قد قال ا عز وجل " وكان له ثمر فَقَالَ لِصاحِبِهِ وهو يحاوره أَنَا أَكْثَر مِنك مالًا وأعز نَفَراً " قال وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول ا صلى ا عليه وسلم عن ذلك فلو كان حزنه رضا عز وجل لما نهاه رسول ا صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: وهذه مجاهره بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر ا تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر وبأنهما مختلفان فإنما سماه صاحبه في المجاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى وإلى مدين أخاهم شعيباً فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب فليس

هكذا قوله تعالى إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن ا معنا بـل جعله صاحبه في الدين والهجرة وفي الإخراج وفـي الغـار وفي نصرة ا تعالى لهما وإخافة الكفار لهما وفـي كونـه تعالى معهما فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غايـة النقص بنص القرآن.

وأما حزن أبي بكر رضي ا عنه فإنه قبل أن ينهاه رسول ا صلى ا عليه وسلم كان غاية الرضا لأنه كان إشفاقاً على رسول ا صلى ا عليه وسلم ولذلك كـان ا معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول ا صلى ا عليه وسـلم عـن الحزن ولو كان لهؤلاء الأرذال حياء أو علم لم يأتوا بمثـل هذا إذ لو كان حزن أبي بكر عيباً عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول ا صلى ا عليه وسلم عيبـاً لأن ا عـز وجل قال لموسى عليه السلام " سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتمـا ومـن اتبعكمـا الغالبون " ثم قال تعالى عن السحرة أنهم قالوا لموسى " قَالُوا يا موسى إِما َأن تُلْقِي وإِما َأن نكُون َأولَ من َألْقَى قَـالَ بـلْ َألْقُوا فَإِذَا حِبالُهم وعِصِيهم يخَيلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم َأنها تَسـعى

فَأَوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنك أَنتَ الْأَعلَى "

فهذا رسول ا   صلى ا   عليه وسلم وكليمه قد كان أخبره ا

عز وجل بأن فرعون وملأه لا يصلون إليه وأن موسى ومن

اتبعه هو الغالب ثم أوجس   في نفسه خيفة بعد ذلـك إذ رأى

أمر السحرة حتى أوحى ا   عز وجل إليه لا تخف فهذا أمر

أشد من أمر أبي بكر وإذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق أبا بكر

وحاشا   أن يلزمه من أن حزنه لو كان رضـا لمـا نهـاه

رسول ا   صلى ا   عليه وسلم لزم أشد منه لموسى عليـه

السلام وأن إيجاسه الخيفة في نفسه لو كان رضا   تعالى ما

نهاه ا   تعالى عنه ومعاذ ا   من هذا بـل إيجـاس موسـى

الخيفة في نفسه لم يكن إلا نسيان الوعد المتقدم وحزن أبـي

بكر رضي ا   عنه رضاً   تعالى قبل أن ينهى عنه ولم يكن

تقدم إليه نهي عن الحزن وأما محمد صلى ا   عليه وسلم فإن

ا   عز وجل قال " ومن كفر فلا يحزنك كفره " و قال تعالى

" ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق " و قـال تعـالى " ولا

يحزنك قولهم أن العزة   جميعاً " و قال تعالى " فلا تـذهب

نفسك عليهم حسرات " و قال تعالى " فلعلك باخع نفسك على

آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً " ووجدناه عز وجل قد

قال " ولقد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون " و قال ه أيضاً في الأنعام فهذا ا تعالى أخبرنا أنه يعلم أن رسول ا صلى ا عليه وسلم يحزنه الذي يقولون ونهاه عز وجل عن ذلك نصاً فيلزمهم في حزن رسول ا صلى ا عليه وسلم الذي نهـاه ا تعالى عنه كالذي أرادوا في حزن أبي بكر سواء سـواء ونعم إن حزن رسول ا صلى ا عليه وسلم بمـا كـانوا يقولون من الكفر كان طاعة تعالى قبل أن ينهاه ا عـز وجل وما حزن عليه السلام بعد أن نهاه ربـه تعـالى عـن الحزن كما كان حزن أبي بكر طاعة عز وجل قبـل أن ينهاه ا عز وجل عن الحزن وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه عليه السلام عن الحزن فكيف وقد يمكن أن يكون أبـو بكر لم يحزن يمئذ لكن نهاه عليه السلام عن أن يكون منـه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام " ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً " فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهـذا إنما يعترض به أهل الجهل والسـخافة ونعـوذ بـا مـن الضلال.

قال أبو محمد: واعترض علينا بعض الجهال ببعثـة رسول ا صلى ا عليه وسلم علي بن أبي طالب خلف أبي

بكر رضي ا عنهما في الحجة التي حجها أبو بكـر وأخـذ براءة من أبي بكر وتولى علي تبليغها إلـى أهـل الموسـم وقرائتها عليهم.

قال أبو محمد: وهذا من أعظم فضائل أبي بكر لأنه كان أميراً على علي بن أبي طالب وغيره من أهل الموسم لا يدفعون إلا بدفعه ولا يقفـون إلا بوقوفـه ولا يصـلون إلا بصلاته وينصتون إذا خطب وعلي في الجملة كذلك وسورة براءة وقع فيها فضل أبي بكر رضي ا عنه وذكره في أمر الغار وخروجه مع النبي صلى ا عليه وسـلم وكـون ا تعالى معهما فقراءة علي لها أبلغ في إعلان فضل أبي بكـر على علي وعلى سواه وحجة لأبي بكر قاطعة وبا تعـالى التوفيق.

قال أبو محمد: إلا أن تراجع الروافض إلـى إنكـار القرآن والنقص منه والزيادة فيه فهذا أمر يظهر فيه قحـتهم وجهلهم وسخفهم إلى كل عالم وجاهل فإنه لا يمتري كـافر ولا مؤمن في أن هذا الذي بين اللوحين من الكتاب هو الذي أتى به محمد صلى ا عليه وسلم وأخبرنا بأنـه أوحـاه ا تعالى إليه فمن تعرض هذا فقد أقر بعين عدوه.

قال أبو محمد: وما يعترض إمامة أبي بكـر إلا زار علي رسول ا صلى ا عليه وسلم راد لأمره في تقديمه أبا بكر إلى الصلاة بأهل الإسلام مريد لإزالته عن مقام أقامـه فيه رسول ا صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: ولسنا من كـذبهم فـي تـأويلهم " ويطعمون الطعام على حبه مسـكيناً ويتيمـاً وأسـيراً " وإن المراد بذلك علي رضي ا عنه بل هذا لا يصح بـل الآيـة على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك.

قال أبو محمد: فصح بما ذكرنا فضل أبي بكر علـى جميع الصحابة رضي ا عنهم بعد نساء النبـي صـلى ا عليه وسلم بالبراهين المذكورة وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة كقول رسول ا صلى ا عليه وسلم في أبي بكر دعوا لـي صاحبي فإن الناس قالوا كذبت و قال أبو بكر صدقت وقوله صلى ا عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبـا بكـر خليلا ولكن أخي وصاحبي وهذا الذي لا يصح غيـره وأمـا أخوة علي فلا تصح إلا مع سهل بن حنيف ومنها أمره صلى ا عليه وسلم بسد كل باب وخوخة في المسجد حاشا خوخة أبي بكر وهذا هو الذي لا يصح غيره ومنها غضبه صلى ا

عليه وسلم على من خارج أبا بكر وعلى من أشار عليه بغير أبي بكر للصلاة ومنها قوله صلى ا عليه وسـلم إن أمـن الناس علي في ماله أبو بكر وعمدتنا في تفضيل أبي بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبي صـلى ا عليـه وسلم هو قول رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ سئل مـن أحب الناس إليك يا رسول ا قال عائشة قيل فمن الرجـال قال أبوها قيل ثم من يا رسول ا قال عمر.

قال أبو محمد: فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول ا صلى ا عليه وسلم بياناً لزدنا لكنا لا نقول في شيء من الدين إلا بما جاء به النص.

قال أبو محمد: واختلف الناس فيمن أفضل أعثمان أم علي رضي ا عنهما.

قال أبو محمد: والذي يقع في نفوسنا دون أن نقطـع به ولا نخطئ من خالفنا في ذلك فهو أن عثمان أفضل مـن علي وا أعلم لأن فضائلهما تتقاوم في الأكثر فكان عثمـان اقرء وكان أكثر فتيا ورواية ولعلي أيضاً حـظ قـوي فـي القراءة ولعثمان أيضاً حظ قوي في الفتيا والروايـة ولعلـي مقامات عظيمة في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ثـم

انفرد عثمان بأن رسول ا صلى ا عليه وسلم بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان ولـه هجرتـان وسابقة قديمة وصهر مكرم محمود ولم يحضر بدراً فألحقـه ا عز وجل فيهم بأجره التام وسهمه فألحقه بمن حضـرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات في الإسلام عظيمة لـم تكن لعلي وسيرة في الإسلام هادية ولم يتسبب بسفك دم مسلم وجاءت فيه آثار صحاح وأن الملائكة تستحي منه وأنه ومن أتبعه على الحق والذي صح من فضائل علي فهو قول النبي صلى ا عليه وسلم أنت مني بمنزلة هارون من موسـى إلا أنه لا نبي بعدي وقوله عليه السلام لأعطين الراية غداً رجلاً يحب ا ورسوله ويحبه ا ورسوله وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام أن علياً لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وقد صح مثل هذه في الأنصار رضي ا عنهم أنه لا يبغضهم من يؤمن با واليوم الآخر وأما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقـات أصـلاً وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضـة فموضـوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها.

قال أبو محمد: ونقول تفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب قطعاً إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه كعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعلي وجعفـر وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وعبد ا بن مسعود وسعد وزيد بن حارثة وأبي عبيدة وبلال وسعيد بن زيد وعمار بن ياسر وأبي سلمة وعبـد ا بن جحش وغيرهم من نظرائهم ثم بعد هؤلاء أهل العقبة ثـم أهل بدر ثم أهل المشاهد كلها مشهداً مشهداً فأهل كل مشـهد أفضل من أهل المشهد الذي بعده حتى بلغ الأمر إلى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي ا عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهـم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الإيمان والهـدى والبـر وكلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقـول ا تعالى " والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم " وكقوله عز وجل " لَقَد رضِي الله عنِ الْمؤْمِنِين إِذْ يبايِعونَك تَحتَ الشجرةِ فَعلِم ما فِي قُلُوبِهم فَأَنزلَ السكِينَةَ علَيهم وأَثَابهم فَتْحا قَرِيبا " قال أبو محمد: فمن أخبرنا أن ا عز وجل أنه علم ما في قلوبهم رضي ا عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا

يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فـيهم البتـة ولقـول رسول ا صلى ا عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر ولإخباره عليه السلام أنه لا يدخل النار أحد شهد بدراً ثم نقطع على أن كل من صحب رسول ا صلى ا عليه وسلم بنية صادقة ولو ساعة فإنـه من أهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب إلا أنهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح وذلك لقول ا عز وجل " وما لَكُم أَلا تُنفِقُوا فِي سبِيلِ اللهِ ولِلهِ مِيراثُ السماواتِ والْأَرضِ لَا يستَوِي مِنكُم من أَنفَقَ مِن قَبلِ الْفَتْحِ وقَاتَلَ أُولَئِك أَعظَم درجةً مـن الـذِين أَنفَقُوا مِن بعد وقَاتَلُوا وكُلا وعد الله الْحسنَى والله بِما تَعملُون خَبِير " و قال تعالى " وعد ا لا يخلف ا وعده " و قـال تعالى " إِن الذِين سبقَتْ لَهم منا الْحسنَى أُولَئِك عنْها مبعـدون لَا يسمعون حسِيسها وهم فِي ما اشْتَهتْ أَنفُسهم خَالِـدون لَـا يحزنُهم الْفَزع الْأَكْبر وتَتَلَقاهم الْملَائِكَةُ هذَا يومكُم الذِي كُنـتُم تُوعدون " فصح بالضرورة أن كل من أنفق قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبه لتفضيل ا تعالى إياهم وا تعالى لا يفضل إلا مؤمناً فاضلاً وأما من أنفق بعد الفتح وقاتـل فقـد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول ا صلى ا عليه وسـلم

فكيف نحن قال ا تعالى " وممن حـولكم مـن الأعـراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحـن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ".

قال أبو محمد: فلهذا لم نقطع على كل امرئ مـنهم بعينه لكن نقول كل من لم يكن منهم من المنافقين فهو مـن أهل الجنة يقيناً لأنه قد وعدهم تعالى الحسنى كلهم وأخبر أنه لا يخاف وعده وإن من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ولا يحزنه الفزع الأكبر وهو فيما اشـتهى خالد وهذا نص قولنا والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل أنه رضي عن المبايعين تحت الشجرة وعلم مـا فـي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليـاً وطلحـة والزبيـر وعمـار والمغيرة بن شعبة رضي ا عنهم من أهـل هـذه الصـفة والخوارج والروافض قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البرئة منهم خلافاً عز وجل وعناداً له ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: فهذا قولنا في الصـحابة رضـي ا عنهم فأما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على غيبهم واحـداً

واحداً إلا من بان منه احتمال المشقة فـي الصـبر للـدين ورفض الدنيا لغير غرض استعجله إلا أننا لا ندري على ما ذا مات وإن بلغنا الغاية في تعظـيمهم وتـوقيرهم والـدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم لكن نتولاهم جملة قطعـاً ونتولى كل إنسان منهم بظاهره ولا نقطع على أحـد مـنهم بجنة ولا نار لكن نرجو لهم ونخاف عليهم إذ لا نـص فـي إنسان منهم بعينه ولا يحل الإخبار عن ا عـز وجـل إلا بنص من عنده لكن نقول كما قال رسول ا صلى ا عليـه وسلم خيركم القرن الذي بعثت فيهم ثم الذي يلونهم ثم الـذي يلونهم ومعنى هذا الحديث إنما هو كل قرن من هذه القـرون التي ذكر عليه السلام أكثر فضلاً بالجملة من القـرن الـذي بعده لا يجوز غير هذا البتة وبرهان ذلك أنه قد كـان فـي عصر التابعين من هوا أفسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المري وحبيش بن دلحة القيني والحجاج بن يوسف الثقفـي وقتلـة عثمان وقتلة ابن الزبير وقتلة الحسين رضي ا عنهم ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالفنا قولنا في هذا الخبـر لزمـه أن يقول أن هؤلاء الفساق الأخابث أفضل من كل فاضـل فـي القرن الثالث ومن بعده كسفيان الثوري والفضيل بن عياض

ومسعر بن كدام وشعبة ومنصـور بـن المعتمـر ومالـك والأوزاعي والليث وسفيان بن عيينة ووكيع وابن المبـارك والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويـه وداود بـن علي رضي ا عنهم وهذا ما لا يقوله أحد وما يبعد أن يكون في زماننا وفيمن يأتي بعدنا من هو أفضل رجل من التابعين عند ا عز وجل إذ لم يأت في المنع من ذلك نص ولا دليل أصلاً والحديث المأثور في أويس القرني لا يصح لأن مداره على اسيد بن جابر وليس بالقوى وقد ذكر شعبة أنـه سـأل عمرو بن مرة وهو كوفي قرني مرادي من أشـرف مـراد وأعلمهم بهم عن اويس القرني فلم يعرفه في قومـه وأمـا الصحابة رضي ا عنهم فبخلاف هذا ولا سـبيل إلـى أن يلحق أقلهم درجة أحد من أهل الأرض وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وذهب بعض الروافض إلى أن لذوي قرابة رسول ا صلى ا عليه وسلم فضلاً بالقرابـة فقـط واحتج بقول ا تعـالى " إن ا اصـطفى آدم ونوحـاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعـض " وبقوله عز وجل " قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المـودة فـي القربى " وبقوله تعالى " وأبعث فيهم رسولاً منهم ".

قال أبو محمد: وهذا كله لا حجة فيه أمـا إخبـاره تعالى بأنه اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين فإنه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أن يعني كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء أو يعني مؤمني أهل بيت إبراهيم وعمران لا يجوز غير هذا لأن آزر ولد إبراهيم عليه السلام كان كافراً هدواً لم يصطفه ا تعالى إلا لدخول النار فإن أراد الوجه الذي ذكرنا لم نمانعه ولا ننازعه في أن موسـى وهارون من آل عمران وآل إسماعيل وإسـحاق ويوسـف ويعقوب من آل إبراهيم مصطفون على العالمين فأي حجـة هاهنا لبني هاشم فإن ذكروا الدعاء المأمور به وهـو اللهـم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد فالقول في هذا كما قلنا ولا فرق وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى " خُذْ مِن َأموالِهم صدقَةً تُطَهرهم وتُزكيهم ِبها وصل علَيهم ِإن صلاَتَك سكَن لهم واللّه سمِيع عِلِيم " وقـال رسول ا صلى ا عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أو في هذا الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خـلاف وكذلك الدعاء في التشهد المفترض في كل صلاة من قـول المصطفى السلام علينا وعلى عباد ا الصالحين فهذا السلام

على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنوا هاشـم وغيـرهم فـي اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم وبالسلام عليهم ولا فرق و قال تعالى " وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنـا

وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة

وأولئك هم المهتدون " فوجبت صلوات ا تعالى على كـل مؤمن صابر فاستوى في هذا كله بنوا هاشم وقريش والعرب والعجم من كان جميعهم بهذه الصفة وأيضاً فيلزم من احـتج بقوله تعالى " إن ا اصطفى آدم ونوحـاً وآل إبـراهيم وآل عمران على العالمين " أن يقول إن من أسلم من الهـارونيين من اليهود أفضل من بني هاشم وأشرف وأولى بالتقديم لأنـه من آل عمران ومن آل إبراهيم وفيهم ورد النص.

قال أبو محمد: فصح يقيناً أن ا عز جل إنمـا أراد بذلك الأنبياء عليهم السلام فقط وبين هذا بياناً جلياً قـول ا عز وجل حاكياً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين من ذرية إبراهيم عليه السـلام الظالمين من ذرية غيره و قال عز وجل إن أولـى النـاس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنـوا فخـص ا تعالى بولاية إبراهيم عليه السلام من اتبع إبراهيم كائناً مـن

كان فدخل في هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل وأما قول ا
عز وجل " قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربـى "
فهذا حق على ظاهره وإنما أراد عليه السلام من قـريش أن
يودوه لقرابته منهم ولا يختلف أحد من الأمة في أنـه عليـه
السلام لم يرد قط من المسلمين أن يودوا أبا لهب وهو عمـه
ولا شك في أنه عليه السلام أراد من المسلمين مـودة بـلال
وعمار وصهيب وسلمان وسالم مولي أبي حذيفة وأما قولـه
عز وجل عن إبراهيم عليه السلام " وابعث فيهم رسولاً منهم
" فقد قال عز وجل " وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " و قـال
تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبـين لهـم "
فاستوت الأمم كلها في هذه الدعوة بأن يبعث فـيهم رسـولاً
منهم ممن هم قومه فإن احتج محتج بالحديث الثابت الذي فيه
أن ا اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً مـن
كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني مـن بنـي
هاشم فمعناه ظاهر وهو أنه تعالى اختار كونه عليه السـلام
من بني هاشم وكون بني هاشم من قريش وكون قريش مـن
كنانة وكون كنانة من بني إسماعيل كما اصطفى أن يكـون
موسى من بني لاوي وأن يكون بنوا لاوي من بني إسـحاق

عليه السلام وكل نبي من عشيرته التي هو منها ولا يجـوز غير هذا البتة ونسأل من أراد حمل هذا الحديث على غيـر هذا المعنى أيدخل أحد من بني هاشم أو من قـريش أو مـن كنانة أو من إسماعيل النار أم لا فإن أنكـروا هـذا كفـروا وخالفوا الإجماع والقرآن والسنن وقد قال عليه السلام أبـي وأبوك في النار وإن أبا طالب في النار وجاء القرآن بأن أبا لهب في النار وسائر كفار قريش في النار كـذلك قـال ا تعالى " تَبتْ يدا أَبِي لَهبٍ وتَب ما أَغْنَى عنْه مالُه وما كسب سيصلَى نَارا ذَاتَ لَهبٍ " فإذا أقر بأنه قد يدخل النار منهم من يستحق أن يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس.

قال أبو محمد: ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسـول ا صلى ا عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنـك من ا شيئاً يا صفية عمة رسول ا لا أغني عنك مـن ا شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من ا شيئاً يـا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من ا شيئاً وأبين من هـذا كله قول ا تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا أتقاكم " وقوله تعالى " لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يـوم القيامـة

يفصل بينكم " وقوله تعالى " واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً " و قال تعالى وذكر عاداً وثموداً وقوم نوح وقوم لوط ثم قال " أَكُفارِكُم خَير مـن أُولَئِكُم أَم لَكُم براءةٌ فِي الزبر " فصح ضرورة أنه لا ينتفـع أحد بقرابته من رسول ا صلى ا عليه ولا من نبي مـن الأنبياء والرسل عليهم السلام ولو أن النبي ابنه أو أبوه وأمه نبية وقد نص ا تعالى في ابن نوح ووالـد إبـراهيم وعـم محمد على رسل ا الصلاة والسلام ما فيه الكفاية وقد نص ا تعالى على أن من أنفق من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا فصـح ضـرورة أن بـلال وصهيا والمقداد وعمار وسالماً وسلمان أفضل من العبـاس وبنيه عبد ا والفضل وقم ومعبد وعبيد ا وعقيل بن أبـي طالب والحسن والحسين رضي ا عنهم جميعهم بشهادة ا تعالى فإذ هذا لا شك فيه ولا جزاء في الآخرة إلا على عمل ولا ينتفع عند ا تعالى بالأرحام ولا بالولادات وليست الدنيا دار جزاء فلا فرق بين هاشمي وقرشي وعربـي وعجمـي وحبشي وابن زنجية والكرم والفوز لمن اتقى ا عز وجـل حدثنا محمد بن سعيد بن بيان أنبأنا أحمد بن عبد ا البصير

حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا عبد السلام ابن الخثن حدثنا محمد بن المثني حدثنا عبد الرحمن مهدي حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن حسان بن فايد العبسي قال قال عمر بن الخطاب رضي ا عنه كرم الرجل دينه وحسـبه خلقـه وإن كان فارسياً أو نبطياً.

رضي ا عنهم قال أبو محمد: اختلف الناس في تلك الحرب على ثلاث فرق فقال جميع الشيعة وبعض المرجئـة وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة أن علياً كان المصـيب في حربه وكل من خالفه على خطاء و قالواصل بن عطـاء وعمرو بن عبيد وأبو الهذيل وطوائف من المعتزلة أن عليـاً مصيب في قتاله معاوية وأهل النهر ووقفوا في قتاله مع أهل الجمل و قالوا إحدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف أيهما هي و قال ت الخوارج علي المصيب في قتاله أهل الجمـل وأهـل صفين وهو مخطئ في قتاله أهل النهر وذهب سعد بن أبي وقاص وعبد ا بن عمر وجمهور الصحابة إلى الوقوف في علي وأهل الجمل وأهل صفين وبه يقول جمهور أهل السـنة وأبو بكر بن كيسان وذهب جماعة مـن الصـحابة وخيـار التابعين وطوائف ممن بعدهم إلى تصويب محاربي علي من

أصحاب الجمل وأصحاب صفين وهم الحاضرون لقتاله في اليومين المذكورين وقد أشار إلى هذا أيضاً أبو بكر بن كيسان.

قال أبو محمد: أما الخوارج فقد أوضحنا خطاؤهم وخطاء أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بإنكار تحكيم علي الحكمين فسنتكلم في ذلك إن شاء ا تعالى كما تكلمنا في سائر أحكامهم والحمد رب العالمين وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه وذكروا أيضاً أحاديث في ترك القتال في الاختلاف سنذكر لكم جملتها إن شاء ا تعالى فلم يبق إلا الطائفة المصوبة لعلي في جميع حروبه والطائفة المصوبة لمن حاربه من أهل الجمل وأهل صفين.

قال أبو محمد: احتج من ذهب إلى تصويب محاربي علي يوم الجمل ويوم صفين بأن قال إن عثمان رضي ا عنه قتل مظلوماً فالطلب بأخذ القود من قاتليه فرض قال عز وجل " ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً " و قال تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والعدوان " قالوا ومن آوى الظالمين فهو إما مشارك لهم وإما ضعيف عن أخذ الحق منهم قالوا وكلا الأمرين حجـة فـي إسقاط إمامته على من فعل ذلك ووجوب حربه قـالوا ومـا أنكروا على عثمان إلا أقل من هذا من جواز إنفاذ أشياء بغير علمه فقد ينفذ مثلها سراً ولا يعلمها أحد إلا بعد ظهورها قالوا وحتى لو أن كل ما أنكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام لأنهم إنما أنكروا عليـه استيثاراً بشيء يسير من فضلات الأموال لم يجب لأحد بعينه فمنعها وتولية أقاربه فلما شكو إليه عزلهم وأقام الحد علـى من استحقه وأنه صرف الحكم بن أبي العاص إلـى المدينـة ونفي رسول ا صلى ا عليه وسلم للحكم لم يكن حداً واجباً ولا شريعة على التأييد وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي والتوبة مبسوطة فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بـلا خلاف من أحد من أهل الإسلام وصارت الأرض كلها مباحة وأنه ضرب عمارا خمسة أسواط ونفي أبا ذر إلـى الربـذة وهذا كله لا يبيح الدم قالوا وايوآء علـى المحـدثين أعظـم الأحداث من سفك الدم الحرام في حرم رسول ا صـلى ا عليه وسلم لا سيما دم الإمام وصاحب رسول ا صـلى ا

عليه وسلم أعظم والمنع من غنفاذ الحق عليهم أشد من كل ما ذكرنا بلا شك قالوا وامتناع معاوية من بيعة علي كامتنـاع علي من بيعة أبي بكر فما حاربه أبو بكر ولا أكرهه وأبـو بكر أقدر على علي من علي على معاوية ومعاوية في تأخره عن بيعة علي أعذر وأفسح م قال أ من علي في تأخره عـن بيعة أبي بكر لأن علياً لم يمتنع من بيعة أبي بكر أحـد مـن المسلمين غيره بعد أن بايعه الأنصار والزبير وأما بيعة علي فإن جمهور الصحابة تأخروا عنها إما عليه وإما لا لـه ولا عليه وما تابعه فيهم إلا الأقل سوى أزيد من مائة ألف مسلم بالشام والعراق ومصر والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهـل معاوية إلا كواحد من هؤلاء في ذلك وأيضاً فإن بيعة علي لم تكن على عهد من النبي صلى ا عليه وسلم كما كانت بيعة أبي بكر ولا عن إجماع من الأمة كما كانت بيعة عثمان ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمـر ولا بسوق بائن في الفضل على غيره لا يختلف ولا عن شورى فالقاعدون عنها بلا شك ومعاوية من جملتهم أعذر من علـي في قعوده عن بيعة أبي بكر ستة أشهر حتى رآى البصـيرة وراجع الحق عليه في ذلك قالوا فإن قلتم خفي علـى علـي

نص رسول ا صلى ا عليه وسلم على أبي بكر قلنا لكم لم يخف عليه بلا شك تقديم رسول ا صلى ا عليه وسلم أبـا بكر إلى الصلاة وأمر علياً بأن يصـلي ورآه فـي جماعـة المسلمين فتأخره عن بيعة أبي بكر سعي منه في حطه عـن مكان جعله رسول ا صلى ا عليه وسلم حقاً لأبـي بكـر وسعي منه في فسخ نص رسول ا صلى ا عليـه وسـلم على تقديمه إلى الصلاة وهذا أشد من رد إنسان نفاه رسـول ا صلى ا عليه وسلم لذنب ثم تاب منه وأيضاً فإن علياً قد تاب واعترف بالخطأ لأنه إذا بايع أبو بكر بعد سـتة أشـهر تأخر فيها عن بيعته لا يخلو ضرورة من أحد وجهين إما أن يكون مصيباً في تأخره فقد أخطأ إذ بايع أو يكون مصيباً في بيعته فقد أخطأ إذ تأخر عنها قالوا والممتنعون من بيعة علي لم يعترفوا قط بالخطأ على أنفسهم في تأخرهم عن بيعته قالوا فإن كان فعلهم خطأ فهو أخف من الخطأ في تأخر علي عـن بيعة أبي بكر وإن كان فعلهم صواباً فقد برئوا مـن الخطـأ جملة قالوا والبون بين طلحة والزبير وسعد بن أبي وقـاص وعلي خفي جداً فقد كانوا في الشورى معه لا يبدو له فضـل شفوق عليهم ولا على واحد منهم وأما البون بين علي وأبي

بكر أبين وأظهر فهم من امتناعهم عن بيعته أعـذر لخفـاء التفاضل قالوا وهلا فعل علي في قتلة عثمان كما فعل بقتلـة عبد ا بن خباب بن الارت فإن القصتين استويا في التحريم فالمصيبة في قتل عثمان في الإسلام وعند ا عـز وجـل وعلى المسلمين أعظم جرماً وأوسع خرقاً وأشنع إثماً وأهول فيقاً من المصيبة في قتل عبد ا بن خباب قالوا وفعله فـي طلب دم عبد ا بن خباب يقطع حجة من تأول على علي أنه يمكن أن يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد.

قال أبو محمد: هذا كلما يمكن أن تحـتج بـه هـذه الطائفة قد تقصيناه ونحن إن شاء ا تعالى متكلمون على ما ذهبت إليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق فـي ذلك بعون ا تعالى وتأييده.

قال أبو محمد: نبدء بعون ا عـز وجـل بإنكـار الخوارج للتحكيم.

قال أبو محمد: قالوا حكم على الرجال في ديـن ا تعالى وا عز وجل قد حرم ذلك بقوله " إن الحكـم إلا " وبقوله تعالى " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى ا ".

قال أبو محمد: ما حكم علي رضي الله عنه قط رجلاً في دين الله وحاشاه من ذلك وإنما حكم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه وإنما اتفق القوم كلهم إذ رفعت المصاحف على الرماح وتداعوا إلى ما فيها على الحكم بما أنزل الله عز وجل في القرآن وهذا هو الحق الذي لا يحل لأحد غيره لأن الله تعالى يقول " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " فإنما حكم علي رضي الله عنه أبا موسى وعمرو رضي الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدلياً بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له وإذ من المحال الممتنع الذي لا يمكن الذي لا يفهم لغط العسكرين أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم فصح يقيناً لا محيد عنه صواب علي في تحكيم الحكمين والرجوع إلى ما أوجبه القرآن وهذا الذي لا يجوز غيره ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً قرؤا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمر ولا أصحاب علي ولا أصحاب عائشة ولا أصحاب أبي موسى

ولا أصحاب معاذ بن جبل ولا أصحاب أبـي الـدرداء ولا أصحاب سليمان ولا أصحاب زيد وابن عباس وابـن عمـر ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم وأنهم أنكروا ما قام البرهان الذي أوردنا بأنه حق ولو لم يكن مـن جهلهم لأقرب عهدهم بخير الأنصار يوم السقيفة وإذعـانهم رضي ا عنهم مع جميع المهاجرين لوجب الأمر في قريش دون الأنصار وغيرهم وأن عهدهم بذلك قريب منذ خمسـة وعشرين عاماً وأشهر وجمهورهم أدرك ذلك بسنة وثبت عند جميعهم كتبات أمر النبي صلى ا عليه وسلم ولا فرق لأن الذين نقلوا إليهم أمر رسول ا صلى ا عليه وسلم ونقلـوا إليهم القرآن والشرائع فدانوا بكل ذلك هم بأعيانهم لا زيـادة فيهم ولا نقص نقلوا إليهم خبرة السقيفة ورجوع الأنصار إلى أن الأمر لا يكون إلا في قريش وهم يقرون ويقـرؤن قولـه تعالى " لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئـك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعـد ا الحسنى " وقوله تعالى " محمد رسول ا والذين معه أشـداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً " الآيـة وقولـه

تعالى " لَقَد رضِي الله عن الْمـؤْمِنين إِذْ يبايِعونَـك تَحـتَ الشجرةِ فَعلِم ما فِي قُلُوبِهِم فَأَنزلَ السكِينَةَ علَيهِم وأَثَابهم فَتْحا قَرِيبا " ثم أعماهم الشيطان وضلهم ا تعالى على عام فحلوا بيعة مثل علي واعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وابن عمـر وغيرهم ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل واعرضوا عن سائر الصحابة الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ووعدهم ا الحسـنى وتركوا من يقرون بأن ا تعالى عز وجل علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ورضي عنهم وبايعوا ا وتركوا جميع الصحابة وهم الأشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجد المبتغون فضلاً من ا ورضواناً سيماهم في وجوههم مـن أثر السجود المثني عليهم في التوراة والإنجيل من عنـد ا عز وجل الذين غاظ ا بهم الكفار المقطوع على أن باطنهم في الخير كظاهرهم لأن ا عز وجل شهد بذلك فلم يبـايعوا أحداً منهم وبايعوا شيث بن ربعي مؤذن سجاح أيام ادعـت النبوة بعد موت النبي صلى ا عليه وسلم حتى تداركـه ا عز وجل ففر عنهم وتبين لهم ضلالتهم فلم يقع اختيارهم إلا على عبد ا بن وهب الراسبي أعرابي بوال على عقبيـه لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد ا له بخير قط فمـن

أضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كـان أحـداً يمينه ذو خويصرة الذي بلغه ضعف عقله وقلة دينـه إلـى تجويره رسـول ا صـلى ا عليـه وسـلم فـي حكمـه والاستدراك ورأى نفسه أورع من رسول ا صلى ا عليه وسلم هذا وهو يقر أنه رسول ا صلى ا عليه وسلم إليـه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه لكان حمـاراً أو أضـل ونعوذ با من الخذلان وأما الطائفة المصوبة للقاعدين فـإن من لم يلح له الحق منهم فإنما يكلم حتى يبين له الحق فيلزمه المصير إليه فنقول وبا تعالى التوفيق أنه قد صح ووجـب فرض الإمامة بما ذكرنا قبل في إيجاب الإمامـة وإذ هـي فرض فلا يجوز تضييع الفرض وإذ ذلك كذلك فالمبادرة إلى تقديم إمام عند موت الإمام فرض واجب وقد ذكرنا وجـوب الايتمام بالإمام فإذ هذا كله كما ذكرنا فإذ مات عثمان رضي ا عنه وهو الإمام ففرض إقامة إمام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا إمام فإذ بادر علي فبايعه واحد من المسلمين فصاعداً فهو إمام قائم ففرض طاعته لا سيما ولم يتقدم ببيعته بيعـة ولـم ينازعه الإمامة أحد ما فهذا أوضح وواجب في وجوب إمامته وصحة بيعته ولزوم أمرته للمؤمنين فهو الإمام بحقـه ومـا

ظهر منه قط إلى أن مات رضي ا عنه شيء يوجب نقض بيعته وما ظهر منه قط إلا العدل والجد والبر والتقوى كما لو سبقت بيعة طلحة أو الزبير أو سعد أو سعيد أو من يسـتحق الإمامة لكانت أيضاً بيعة حق لازمة لعلي ولغيره ولا فـرق فعلي مصيب في الدعاء إلى نفسه وإلى الدخول تحت أمامته وهذا برهان لا محيد عنه وأما أم المؤمنين والزبير وطلحـة رضي ا عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علـي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة ولا أحدثوا إمامة أخرى ولا جددوا بيعة لغيره هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم علـى أن كل ذلك لم يكن فإذ لا شك في كل هذا فقـد صـح صـحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحـرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته هذا ما لا شك فيه أحد ولا ينكره أحد فصـح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسـلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي ا عنه ظلماً وبرهـان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كـان الليـل عرف قتلة عثمان أن الاراغة والتدبير عليهم فبينوا عسـكر

طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم فـي دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع أهله عن أنفسهم وكـل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأ بها بالقتال واختلط الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يغترون من شن الحرب وإضرامه فكلتي الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسـها ورجع الزبير وترك الحرب بحالها وأتى طلحة سـهم غـاير وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحاً فـي ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول ا صلى ا عليه وسلم فانصرف ومات من وقته رضي ا عنه وقتل الزبيـر رضي ا عنه بوادي السباع على أقل من يوم من البصـرة فهكذا كان الأمر وكذلك كان قتل عثمان رضي ا عنه إنمـا حاصره المصريون ومن اف لفهم يديرونه عن إسلام مروان إليهم وهو رضي ا عنه يأبى من ذلك ويعلم أنه إن أسـلمه قتل دون تثبت فهو على ذلك وجماعات من الصـحابة فهـم الحسن والحسين أبناء علي وعبد ا بن الزبير ومحمد بـن طلحة وأبو هريرة وعبد ا بن عمر وغيـرهم فـي نحـو سبعماية من الصحابة وغيرهم معـه فـي الـدار يحمونـه

وينفلتون إلى القتال فيردعهم تثبتاً إلى أن تسوروا عليه مـن خوخة في دار ابن حزم الأنصاري جاره غيلـة فقتلـوه ولا خبر من ذلك عند أحد لعن ا من قتله والراضين بقتله فمـا رضي أحد منهم قط بقتله ولا علموا أنه يراد قتله لأنه لم يأت منه شيء يبيح الدم والحرام وأما قوله من قال أنه رضي ا عنه أقام مطروحاً على مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحـت وأفـك موضوع وتوليد من لا حياء في وجهه بل قتل عشية ودفـن من ليلته رضي ا عنه شهد دفنه طائفة من الصحابة وهـم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة وعبد ا بـن الزبيـر ومكرم بن نيار وجماعة غيرهم هذا مما لا يتمادى فيه أحـد ممن له علم بالأخبار ولقد أمر رسول ا صـلى ا عليـه وسلم برمي أجساد قتلا الكفار من قريش يوم بدر في القليب وألقى التراب عليهم وهم شر خلق ا تعـالى وأمـر عليـه السلام أن يحفر أخاديد لقتلى يهود قريظة وهم شر من وارته الأرض فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين فكيف يجوز لذي حياء في وجهه أن ينسب إلى علي وهـو الإمـام ومن بالمدينة من الصحابة أنهم تركوا رجلاً ميتاً ملقى بـين أظهرهم على مزبلة لا يوارونه ولا نبالي مؤمناً كان أو كافراً

ولكن ا يأبى إلا أن يفضح الكذابين بألسنتهم ولو فعل هـذا علي لكانت جرحة لأنه لا يخلو أن يكون عثمـان كـافراً أو فاسقاً أو مؤمناً فإن كان كافراً أو فاسقاً عنده فقد كان فرضـاً على علي أن يفسخ أحكامه في المسلمين فإذا لم يفعـل فقـد صح أنه كان مؤمناً عنده فكيف يجوز أن ينسب ذو حياء إلى علي أنه ترك مؤمناًمطروحاً ميتـاً علـى مزبلـة لا يـأمر بمواراته أم كيف يجوز أن يظن به أنه أنفذ أحكام كـافراً أو فاسق على أهل الإسلام ما أحد أسوأ ثناء علـى علـي مـن هؤلاء الكذبة الفجرة.

قال أبو محمد: ومن البرهان على صحة ما قلناه أن من الجهل الفاضح أن يظن ظان أن علياً رضي ا عنه بلغ من التناقض في أحكامه وإتباع الهوى في دينه والجهـل أن يترك سعد بن أبي وقاص وعبد ا بن عمر وأسامة بن زيد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ورافع بن خديج ومحمد بـن مسلمة وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فـلا يجهزهم علياً وهم معه في المدينة وغيرها نعـم والخـوارج وهم يصيحون في نواحي المسجد بأعلا أصواتهم بحضـرته وهو على المنبر في مسجد الكوفة لا حكم إلا ا لا حكم إلا

ا فيقول لهم رضي ا عنه لكم علينـا ثـلاث لا نمـنعكم المساجد ولا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نبدؤكم بقتـال ولـم يبدءوهم بحرب حتى قتلوا عبد ا بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك حتى دعاهم إلى أن يسلموا إليه قتلة عبد ا بن خبـاب فلما قالوا كلنا قتله قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كلـه أنـه يقاتل أهل الجهل لامتناعهم من بيعته هذا أفك ظاهر وجنون مختلف وكذب بحت بلا شك.

قال أبو محمد: وأما أمر معاويـة رضـي ا عنـه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي ا عنه لامتناعـه مـن بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكـن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهـو الإمام الواجبة طاعته فعلي المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده اداه إلـى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي ا عنـه علـى البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه عن ولد عثمان وولد الحكم بن أبي العاص لسنه ولقوته على الطلـب بذلك كما أمر رسول ا صلى ا عليه وسلم عبد الـرحمن بن سهل أخا عبد ا بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهـو

أخو المقتول و قال له كبر كبر وروى الكبر الكبـر فسـكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة أبناء مسعود وهما ابنا عم المقتول لأنهما كان أسن من أخيه فلم يطلب معاوية مـن ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه وأصاب في ذلك الأثر الذي ذكرنا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فلـه أجر الاجتهاد في ذلك ولا إثم عليه فيما حرم مـن الإصـابة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين أخبر رسول ا صـلى ا عليه وسلم أن لهم أجراً واحداً وللمصـيب أجـرين ولا عجب أعجب ممن يجيز الاجتهاد في الدماء وفـي الفـروج والأنساب والأموال والشرائع التي يدان ا بها مـن تحـريم وتحليل وإيجاب ويعذر المخطئين في ذلك ويرى ذلك مباحـاً لليث والبتي وأبي حنيفة والثوري ومالك والشـافعي وأحمـد وداوود وإسحاق وأبي ثور وغيرهم كزفـر وأبـي يوسـف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم وأشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هـذا الإنسان وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتـل أو عمـل عمل قوم لوط وغير هذا كثير وواحد منهم يبيح هذا الفـرج وآخر منهم يحرمه كبكر أنكحها أبوها وهي بالغة عاقلة بغير

إذنها ولا رضاها وغير هذا كثيـر وكـذلك فـي الشـرائع والأوامر والأنساب وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصـل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم وهكـذا فعلـت الخـوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على مـن لـه الصـحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاويـة وعمـرو ومـن معهما من الصحابة رضي ا عنهم وإنما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون وفي المفتيين من يرى قتـل الساحر وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل الحـر بالعبـد وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفـيهم من لا يراه فأي فرق بين هذه الاجتهادات واجتهـاد معاويـة وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونـه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله وإن كان منـا ولـيس ذلـك بموثر في عدالته وفضله ولا بموجب له فسقاً بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب علي رضي ا عنه وصحة إمامته وأنه صاحب الحـق وإن لـه أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة وقطعنا أن معاوية رضي ا عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً

وأيضاً في الحديث الصحيح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه أخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من أمته يقتلها أولي الطائفتين بالحق فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج من أصحاب علي وأصحاب معاوية فقتلهم علي وأصحابه فصح أنهم أولي الطائفتين بالحق وأيضاً الخبر الصحيح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية.

قال أبو محمد: المجتهد المخطي إذا قاتل على ما يرى أنه الحق قاصداً ا تعالى نيته غير عالم بأنه مخطئ فهو فئة باغية وإن كان مأجوراً ولا حد عليه إذا ترك القتال ولا قود وأما إذا قاتل وهو يدري أنه مخطئ فهذا محارب تلزمه المحاربة والقود وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطي وبيان ذلك قول ا تعالى " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر ا " إلى قوله " إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم " فهذا نص قولنا دون تكلف تأويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية وقد سماهم ا عز وجل مؤمنين باغين بعضهم أخوة بعض في حين تقاتلهم وأهل العدل المبغي عليهم والمأمورين بالإصلاح

بينهم وبينهم ولم يصفهم عز وجل بفسق من أجل ذلك التقاتل ولا بنقص إيمان وإنما هم مخطئون فقط بـاغون ولا يريـد واحد منهم قتل آخر وعمار رضي ا عنه قتله أبو العاديـة يسار ابن سبع السلمي شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء ا له بأنه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه ورضي عنه فأبو العادية رضي ا عنه متأول مجتهد مخطي فيه بـاغ عليـه مأجور أجراً واحداً وليس هذا كقتلة عثمان رضي ا عنـه لأنهم لا مجال للاجتهاد في قتله لأنه لم يقتل أحداً ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد احصـان ولا ارتـد فيسـوغ المحاربة تأويل بل هم فساق محاربون سافكون دماً حرامـاً عمداً بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان فهم قال أبو محمد: فإذ قد بطل هذا الأمر وصح أن علياً هـو صـاحب الحـق فالأحاديث التي فيها التزام البيوت وترك القتال إنما هو بـلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق أين هو وهكذا نقول فإذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن وكذلك إن كانت معاً باغيتين فقتالهما واجـب لأن كـلام ا عـز وجـل لا يعارض كلام نبيه صلى ا عليه وسلم لأنه كله من عند ا عز وجل قال ا عز وجل " وما ينطق عن الهوى أن هو إلا

وحي يوحى " و قال عز وجل " ولو كان من عند غيـر ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فصح يقيناً أن كل ما قال ه رسول ا صلى ا عليه وسلم فهو وحي من عند ا عز وجل وإذ هو كذلك فليس شيء مما عند ا تعالى مختلفـاً والحمـد رب العالمين.

قال أبو محمد: فلم يبق إلا الكلام على الوجوه التـي اعترض بها من رأى قتال علي رضي ا عنه.

قال أبو محمد: فنقول وبا تعالى التوفيق أما قـولهم إن أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضي ا عنه المحاربين تعالى ولرسوله صلى ا عليه وسلم الساعين في الأرض بالفساد والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجـرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم وما خالفهم قط علي في ذلك ولا في البرآءة منهم ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جماً لا طاقـة له عليهم فقد سقط عن علي رضي ا عنه مـا لا يسـتطيع عليه كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه مـن قيـام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق قال ا تعالى " لا يكلـف ا نفساً إلا وسعها " و قال رسول ا صلى ا عليه وسـلم إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ولو أن معاوية بـايع

علياً لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان فصح أن الاختلاف هو الذي أضعف يد علي عن إنفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد ا بن خباب إذ قدر على مطالبة قتلته وأما تأسي معاوية في امتناعه من بيعة علي بتأخر علي عن بيعة أبي بكر فليس في الخطأ أسوة وعلي قد است قال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لأصاب ولبايع حينئذ بلا شك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من أجل الفرقة وأما تقارب ما بين علي وطلحة والزبير وسعد فنعم ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق والخلافة فهو الإمام الواجبة طاعته فيما أمر به من طاعة ا عز وجل سوآء كان هنالك من هو مثله أو أفضل كما سبقت بيعة عثمان فوجبت طاعته وإمامته على غيره ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشورى علي أو طلحة أو الزبير أو عبد الرحمن أو سعد لكان الإمام وللزمت عثمان طاعته ولا فرق فصح أن علياً هو صاحب الحق والإمام المفترضة طاعته ومعاوية مخطئ مأجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو أبين وأوضح من هذا الأمر من أحكام الدين فربما رجع إذا استبان له وربما لم

يستبن له حتى يموت عليه وما توفيقنا إلا با عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا إله إلا هو.

قال أبو محمد: فطلب علي حقه فقاتل عليه وقد كـان تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضـي ا عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به إنذار رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ قال ابني هذا سيد ولعل ا أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من أمتي فغبطه رسول ا صـلى ا عليه وسلم بذلك ومن ترك حقه رغبة فـي حقـن دمـاء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء ولا لوم عليه بـل هو مصيب في ذلك وبا تعالى التوفيق.

الكلام في إمامة المفضول

قال أبو محمد: ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من العتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بـن الطيـب الباقلاني ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة إلى أنـه لا يجوز إمامة من يوجد في الناس أفضل منه وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئـة وجميـع الزيدية من الشيعة وجميع أهل السنة إلى أن الإمامة جـائزة لمن غيره أفضل منه.

قال أبو محمد: وأما الرافضة ف قال وا إن الإمـام واحد معروف بعينه في العالم على ما ذكرنا من أقوالهم الذي قد تقدم إفسادنا لها والحمد رب العالمين وما نعلم لمن قال أن الإمامة لا تجوز إلا لأفضل من يوجد حجة أصلاً لا من قرآن ولا من سنة ولا من إجماع ولا من صحة عقل ولا من قياس ولا قول صاحب وما كان هكـذا فهـو أحـق قـول بالاطراح وقد قال أبو بكر رضي ا عنه يوم السـقيفة قـد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني أبا عبيدة وعمر وأبـو بكر أفضل منهما بلا شك فما قال أحد من المسلمين أنه قـال من ذلك بما لا يحل في الدين ودعت الأنصار إلى بيعة سعد بن عبادة وفي المسلمين عدد كثير كلهم أفضل منه بلا شـك فصح بما ذكرنا إجماع جميع الصحابة رضي ا عنهم على جواز إمامة المفضول ثم عهدهم عمر رضي ا عنـه إلـى ستة رجال ولا بد أن لبعضهم على بعض فضلاً وقد أجمـع أهل الإسلام حينئذ على أنه إن بويع أحـدهم فهـو الإمـام الواجبة طاعته وفي هذا إطباق منهم علـى جـواز إمامـة المفضول ثم مات علي رضي ا عنه فبويع الحسن ثم سـلم الأمر إلى معاوية وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا

خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل فكلهم أولهم عـن آخـرهم بايع معاوية ورأى إمامته وهذا إجماع متيقن بعد إجماع على جواز إمامة من غيره أفضل بيقين لا شك فيه إلى أن حـدث من لا وزن له عند ا تعالى فخرقوا الإجماع بآرائهم الفاسدة بلا دليل ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: والعجب كلـه كيـف يجتمـع قـول الباقلاني أنه لا تجوز الإمامة لمن غيره من الناس أفضل منه وهو قد جوز النبوة والرسالة لمن غيره من الناس أفضل منه فإنه صرح فيما ذكره عنه صاحبه أبـو جعفـر السـمناني الأعمى قاضي الموصل بأنه جائز أن يكون في الأمة من هو أفضل من رسول ا صلى ا عليه وسلم من حين بعث إلى أن مات.

قال أبو محمد: ما في خذلان ا عز وجل أحق مـن هاتين القضيتين لا سيما إذا اقترنتا والحمد على الإسـلام فإن قال قائل كيف تحتجون هنا بقول الأنصـار رضـي ا عنهم في دعائهم إلى سعد بن عبادة وهو عندكم خطأ وخلاف للنص من رسول ا صلى ا عليه وسلم وكيف تحتجون في هذا أيضاً بقول أبي بكر رضيت لكم أحد هذين وخلافة أبـي

بكر عندكم نص من رسول ا صلى ا عليه وسلم فمن أين له أن يترك ما نص عليه رسول ا صلى ا عليه وسلم قلنا وبا تعالى التوفيق إن فعل الأنصار رضي ا عنهم انـتظم حكمين أحدهما تقديم من ليس قرشياً وهذا خطأ وقد خـالفهم فيه المهاجرون فسقطت هذه القضية والثاني جواز تقديم مـن غيره أفضل منه وهذا صواب وافقهم عليه أبو بكر وغيـره فصار إجماعاً فقامت به الحجة وليس خطأ من أخطأ في قول وخالفه فيه من أصاب الحق بموجب أن لا يحـتج بصـوابه الذي وافقه فيه أهل الحق وهذا ما لا خلاف فيه وبا تعـالى التوفيق وأما أمر أبي بكر فإن الحق كله له بالنص وللمرء أن يترك حقه إذا رأى في تركه إصلاح ذات بين المسـلمين ولا فرق بين عطية أعطاها رسول ا صلى ا عليه وسلم وبين منزلة صبرها رسول ا صلى ا عليه وسلم لإنسان فكـان له أن يتجافى عنها لغيره إذ لم يمنعه مـن ذلـك نـص ولا إجماع وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وبرهان صحة قول مـن قـال بـأن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه وبطلان قول من خـالف ذلك أنه لا سبيل إلى أن يعرف الأفضل إلا بنص أو إجماع

أو معجزة تظهر فالمعجزة ممتنعة هاهنا بلا خلاف وكـذلك الإجماع وكذلك النص وبرهان آخر وهو أن الذي كلفوا بـه من معرفة الأفضل ممتنع محال لأن قريشاً مفترقـون فـي البلاد من أقصى السند إلى أقصى الأندلس إلى أقصى الـيمن وصحاري البربر إلى أقصى أرمينية وأذربيجان وخراسـان فما بين ذلك من البلاد فمعرفة أسمائهم ممتنع فكيف معرفـة أحوالهم فكيف معرفة أفضلهم وبرهان آخر وهو أنا بـالحس والمشاهدة ندري أنه لا يدري أحد فضل إنسان على غيـره ممن بعد الصحابة رضي ا عنهم إلا بالظن والحكم بـالظن لا يحل قال ا تعالى ذاماً لقوم " إن نظن إلا ظناً وما نحـن بمستيقنين " و قال تعالى " ما لهم بذلك مـن علـم أن هـم إلا يخرصون " و قال تعالى " قتل الخراصون " و قال تعالى "ِإن يتبِعون ِإلا الظن وما تَهوى الْأَنفُس ولَقَد جاءهم من ربهم الْهدى َأم ِللِْإنسان ما تَمنى " و قال تعالى " إن يتبعون إلا الظـن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً " و قال رسـول ا صـلى ا عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث وأيضاً فإننا وجدنا الناس يتباينون في الفضائل فيكون الواحد أزهد ويكون الواحد أورع ويكون الآخر أسوس ويكون الرابـع أشـجع

ويكون الخامس أعلم وقد يكونون متقاربين في التفاضـل لا يبين التفاوت بينهم فبطل معرفة الأفضل وصح أن هذا القول فاسد وتكليف ما لا يطاق وإلزام ما لا يستطاع وهذا باطل لا يحل والحمد رب العالمين ثم قد وجدنا رسول ا صـلى ا عليه وسلم قد قلد النواحي وصرف تنفيذ جميع الأحكـام التي تنفذها الأئمة إلى قوم كان غيرهم بلا شك أفضل مـنهم فاستعمل على أعمال اليمن معاذ بن جبل وأبا موسى وخالـد بن الوليد وعلي عمان عمرو بن العاص وعلى نجـران أبـا سفيان وعلى مكة عتاب ابن أسيد وعلى الطائف عثمان بـن أبي العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ولا خلاف في أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبـا عبيدة وابن مسعود وبلال وأبا ذر أفضل ممن ذكرنا فصـح يقيناً أن الصفات التي يستحق بها الإمامة والخلافة ليس منها التقدم في الفضل وأيضاً فإن الفضائل كثيرة جداً منها الورع والزهد والعلم والشجاعة والسخاء والحلم والعفـة والصـبر والصرامة وغير ذلك ولا يوجد أحد يبين في جميعهـا بـل يكون بائناً في بعضها ومتأخراً في بعضها ففي أيها يراعي

الفضل من لا يجيز إمامة المفضول فإن اقتصر على بعضها كان مدعياً بلا دليل وإن عم جميعها كاف من لا سبيل إلـى وجوده أبداً في أحد بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم فإذ لا شك في ذلك فقد صح القول في إمامة المفضول وبطل قـول من قال غير ذلك وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وذكر الباقلاني في شـروط الإمامـة أنها أحد عشر شرطاً وهذا أيضاً دعوى بلا برهان وما كـان هكذا فهو باطل فوجب أن ينظر في شروط الإمامة التـي لا تجوز الإمامة لغير من هن فيه فوجدناها أن يكون صليبة من قريش لإخبار رسول ا صلى ا عليه وسـلم إن الإمامـة فيهم وأن يكون بالغاً مميزاً لقول رسول ا صلى ا عليـه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق وأن يكون رجلاً لقول رسول ا صلى ا عليـه وسلم لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة وأن يكون مسـلماً لأن ا تعالى يقول " ولن يجعل ا للكافرين على المـؤمنين سبيلا " والخلافة أعظم السبيل ولأمره تعالى باصغار أهـل الكتاب وأخذهم بأداء الجزية وقتل من لم يكن من أهل الكتاب حتى يسلموا وأن يكون متقدماً لأمره عالماً بما يلزمـه مـن

فرائض الدين متقياً   تعالى بالجملة غير معلن بالفساد فـي الأرض لقول ا تعالى " وتعاونوا على البـر والتقـوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " لأن من قدم من لا يتق ا عـز وجل ولا في شيء من الأشياء أو معلناً بالفساد فـي الأرض غير مأمون أو من لا ينفذ أمراً أو من لا يدري شيئاً من دينه فقد أعان على الإثم والعدوان ولم يعن على البر والتقوى وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم من عمل ليس عليه أمرنا فهو رد و قال عليه السلام يا أبا ذر إنك ضعيف لا تـأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم و قال تعالى " فإن كان الـذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً " الآية فصح أن السفيه والضعيف ومن لا يقدر على شيء فلا بد له من ولي ومن لا بد له من ولي فلا يجوز أن يكون ولياً للمسلمين فصح أن ولاية من لم يستكمل هذه الشروط الثمانية باطل لا يجوز ولا ينعقد أصلاً ثم يستحب أن يكون عالماً بما يخصه من أمور الـدين مـن العبادات والسياسة والأحكام مؤدياً للفرائض كلهـا لا يخـل بشيء منها مجتنباً لجميع الكبـائر سـراً وجهـراً مسـتتراً بالصغائر إن كانت منه فهذه أربع صفات يكره أن يلي الأمة من لم ينتظمها فإن ولي فولايته صحيحة ونكرهها وطاعتـه

فيما أطاع الله فيه واجبة ومنعه مما لم يطع الله فيـه واجـب والغاية المأمولة فيه أن يكون رفيقاً بالناس في غير ضـعف شديداً في إنكار المنكر من غير عنف ولا تجـاوز للواجـب مستيقظاً غير غافل شجاع النفس غير مانع للمال في حقه ولا مبذر له في غير حقه ويجمع هذا كله أن يكون الإمام قائمـاً بأحكام القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسـلم فهـذا يجمع كل فضيلة.

قال أبو محمد: ولا يضر الإمام أن يكون في خلقـه عيب كالأعمى والأصم والأجدع والأجذم والأحدب والذي لا يدان له ولا رجلان ومن بلغ الهرم ما دام يعقل ولو أنه ابـن مائة عام ومن يعرض له الصرع ثم يفيق ومن بويـع أثـر بلوغه الحلم وهو مستوف لشروط الإمامة فكل هؤلاء إمامتهم جائزة إذ لم يمنع منها نص قرآن ولا سـنة ولا إجمـاع ولا نظر ولا دليل أصلاً بل قال تعالى " كونوا قوامين بالقسـط " فمن قام بالقسط فقد ادى ما أمر به ولا خلاف بين أحد مـن أهل الإسلام في أنه لا يجوز التوارث فيها ولا فـي أنهـا لا تجوز لمن لم يبلغ حاشا الروافض فإنهم أجازوا كلا الأمرين

ولا خلاف بين أحد في أنها لا تجوز لامرأة وبـا تعـالى نتأيد.

الكلام في عقد الإمامة

بماذا تصح قال أبو محمد: ذهب قوم إلى أن الإمامة لا تصح إلا بإجماع فضلاء الأمة في أقطار الـبلاد وذهـب آخرون إلى أن الإمامة إنما تصح بعقد أهل حضـرة الإمـام والموضع الذي فيه قرار الأئمة وذهب أبو علـي بـن عبـد الوهاب الجبائي إلى أن الإمامة لا تصح بأقل من عقد خمس رجال ولم يختلفوا في أن عقد الإمامة تصح بعهد من الإمـام الميت إذا قصد فيه حسن الاختيار للأمة عند موته ولم يقصد بذلك هوي وقد ذكر في فساد قول الروافض وقول الكيسانية ومن ادعى إمامة رجل بعينه وأنبأ أن كل ذلك دعاو لا يعجز عنها ذو لسان إذا لم يتق ا ولا استحياء من قال أبو محمد: أما من قال أن الإمامة لا تصح إلا بعقد فضلاء الأمـة فـي أقطار البلاد فباطل لأنه تكليف ما لا يطاق وما لـيس فـي الوسع وما هو أعظم الحرج وا تعالى لا يكلف نفساً و قال تعالى " وما جعل عليكم في الدين من حرج ".

قال أبو محمد: ولا حرج ولا تعجيز أكثر من تعرف إجماع فضلاء من في المولتان والمنصورة إلى بلاد مهـرة إلى عدن إلى أقاصي المصامدة إلى طنجة إلى الأشبونة إلـى جزائر البحر إلى سواحل الشام إلى أرمينية وجبل القبج إلـى اسبنجاب وفرغانة واسروسنه إلى أقاصـي خراسـان إلـى الجوزجان إلى كابل المولتان فما بين ذلك من المدن والقرى ولا بد من ضياع أمور المسلمين قبل أن يجمع جزء من مائة جزء من فضلاء أهل هذه البلاد فبطل هذا القول الفاسد مـع أنه لو كان ممكناً لما لزم لأنه دعوى بلا برهان وإنما قـال تعالى " تعاونوا على البر والتقوى وكونوا قـوامين بالقسـط " فهذان الأمران متوجهان أحدهما إلى كل إنسان في ذاته ولا يسقط عنه وجوب القيام بالقسط انتظار غيره في ذلك وأمـا التعاون على البر والتقوى فمتوجه إلى كل اثنين فصاعداً لأن التعاون فعل من فاعلين وليس فعل واحد ولا يسـقط عـن الاثنين فرض تعاونهما على البر والتقوى انتظار ثالث إذ لو كان ذلك لما لزم أحداً قيا بقسط ولا تعاون على بر وتقوى إذ لا سبيل إلى اجتماع أهل الأرض على ذلـك أبـداً لتباعـد أقطارهم ولتخلف من تخلف عن ذلك لعذر أو علـى وجـه

المعصية ولو كان هذا لكان أمر ا تعالى بالقيـام بالقسـط وبالتعاون على البر والتقوى باطلاً فارغاً وهذا خروج عـن الإسلام فسقط القول المذكور وبا تعالى التوفيق وأما قـول من قال أن عقد الإمامة لا يصح إلا بعقد أهل حضرة الإمـام وأهل الموضع الذي فيه قرار الأئمة فإن أهل الشام كانوا قـد ادعوا ذلك لأنفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنـه عبد الملك واستحلوا بذلك دماء أهل الإسلام.

قال أو محمد: وهو قول فاسد لا حجة لأهلـه وكـل قول في الدين عرى عن ذلك من القرآن أو من سنة رسـول ا صلى ا عليه وسلم أو من إجماع الأمة المتـيقن فهـو باطل بيقين قال ا تعالى " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " فصح أن من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقاً فيه فسقط هذا القول أيضاً وأما قول الجبائي فإنه تعلق فيه بفعـل عمر رضي ا عنه في الشورى إذ قلدها ستة رجال وأمرهم أن يختاروا واحداً منهم فصار الاختيار منهم بخمسة فقط.

قال أبو محمد: وهذا ليس شيء لوجوه أولها أن عمر لم يقل أن تقليد الاختيار أقل من خمسة لا يجوز بل قد جـاء عنه أنه قال إن مال ثلاثة منهم إلى واحد وثلاثة إلى واحـد

فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف فقد أجـاز عقد ثلاثة ووجه ثان وهو أن فعل عمر رضـي ا عنـه لا يلزم الأمة حتى يوافق نص قرآن أو سـنة وعمـر كسـائر الصحابة رضي ا عنهم لا يجوز أن يخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضي ا عنهم والثالث أن أولئـك الخمسة رضي ا عنهم قد تبرؤا من الاختيار وجعلوه إلـى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من رآه أهلاً للإمامة وهـو عبد الرحمن بن عوف وما أنكر ذلك أحـد مـن الصـحابة الحاضرين ولا الغائبين إذ بلغهم ذلك فقد صح إجماعهم على أن الإمامة تنعقد بواحد فإن قال قائل إنمـا جـاز ذلـك لأن خمسة من فضلاء المسلمين قلدوه قيل له إن كل هذا عنـدك اعتراضاً فالتزم مثله سواء سواء ممن قال لك إنما صح عقد أولئك الخمسة لأن الإمام الميت قلدهم ذلك ولولا ذلك لم يجز عقدهم وبرهان ذلك أنه إنما عقد لهم الاختيار مـنهم لا مـن غيرهم فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم فلا يجوز عقد خمسة أو أكثر إلا إذا قلدهم الإمام ذلك أو ممن قال لـك إنما صح عقد أولئك الخمسة لإجماع فضلاء أهل ذلك العصر على الرضا بمن اختاروه ولو لم يجمعوا على الرضا به لمـا

جاز عقدهم وهذا مما لا مخلص منه أصلاً فبطل هذا القـول بيقين لا إشكال فيه والحمد رب العالمين فإذ قد بطلت هذه الأقوال كلها فالواجب النظر في ذلك على ما أوجبه ا تعالى في القرآن والسنة وإجماع المسلمين كما افترض علينا عـز وجل إذ يقول " يا أَيها الَذِين آمنُواْ أَطِيعواْ اللّه وأَطِيعواْ الرسولَ وُأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازعتُم فِي شَيءٍ فَـردوه إِلَـى اللّـهِ والرسولِ إِن كُنتُم تُؤْمِنُون بِاللّهِ والْيومِ الآخِرِ ذَلِك خَير وأَحسن تَأْوِيلاً " فوجدنا عقد الإمامة يصح بوجوه أولهـا وأفضـلها وأصحها أن يعهد الإمام الميت إلى إنسان يختاره إماماً بعـد موته وسواء فعل ذلك في صحته أو في مرضه وعند موتـه إذ لا نص ولا إجماع على المنع من أحد هذه الوجـوه كمـا فعل رسول ا صلى ا عليه وسلم بأبي بكر وكما فعل أبو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بـن عبـد العزيز وهذا هو الوجه الذي نختاره ونكره غيره لما في هذا الوجه من اتصال الإمامة وانتظام أمر الإسلام وأهله ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع في غيره من بقـاء الأمة فوضى ومن انتشار الأمر وارتفاع النفـوس وحـدوث الأطماع.

قال أبو محمد: إنما أنكر من أنكـر مـن الصـحابة رضي ا عنهم ومن التابعين بيعة يزيد بن معاوية والوليـد وسليمان لأنهم كانوا غير مرضيين لا لأن الإمام عهد إلـيهم في حياته والوجه الثاني إن مات الإمام ولم يعهد إلى أحد أن يبادر رجل مستحق للإمامة فيدعوا لي نفسه ولا منازع لـه ففرض أتباعه والانقياد لبيعته والتزام إمامته وطاعته كما فعل علي إذ قتل عثمان رضي ا عنهما وكما فعل ابن الزبيـر رضي ا عنهما وقد فعل ذلك خالد بن الوليد إذ قتل الأمراء زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد ا بـن رواحـة فأخذ خالد الراية عن غير أمره وصـوب ذلـك رسـول ا صلى ا عليه وسلم إذ بلغه فعلـه وسـاعد خالـداً جميـع المسلمين رضي ا عنهم أو أن يقوم كذلك عند ظهور منكر يراه فتلازم معاونته على البر والتقوى ولا يجوز التأخر عنـه لأن لك معاونة على الإثم والعدوان وقد قال عـز وجـل " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعـدوان " كما فعل زيد بن الوليد ومحمد بن هارون المهدي رحمهم ا والوجه الثالث أن يصير الإمام عند وفاتـه اختيـار خليفـة المسلمين إلى رجل ثقة أو إلى أكثر من واحد كما فعل عمـر

رضي ا عنه عند موته وليس عندنا فـي هـذا الوجـه إلا التسليم لما أجمع عليه المسلمون حينئذ ولا يجوز التردد فـي الاختيار أكثر من ثلاث ليال للثبات عن رسول ا صلى ا عليه وسلم من قوله من بات ليلة ليس في عنقه بيعـة ولأن المسلمين لم يجتمعوا على ذلك أكثر من ذلك والزيادة علـى ذلك باطل لا يحل على أن المسلمين يومئذ من حـين مـوت عمر رضي ا عنه قد اعتقدوا بيعة لازمة في أعناقهم لازمة لأحد أولئك الستة بلا شك فهم وإن لم يعرفوه بعينه فهو بـلا شك واحد من أولئك الستة فبأحد هذه الوجوه تصح الإمامـة ولا تصح بغير هذه الوجوه البتة.

قال أبو محمد: فإن مات الإمام ولم يعهد إلى إنسـان بعينه فوثب رجل يصلح للإمامة فبايعه واحد فأكثر ثـم قـام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده فالحق حق الأول وسـواء كان الثاني أفضل منه أو مثله أو دونه لقول رسول ا صلى ا عليه وسلم فوابيعة الأول فـالأول مـن جـاء ينازعـه فاضربوا عنقه كائناً من كان فلو قام اثنان فصاعداً معاً فـي وقت واحد ويئس من معرفة أيهما سبقت بيعته نظر أفضلهما وأسوسهما فالحق له ووجب نزع الآخر لقول ا تعـالى "

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعـدوان " ومن البر تقليد الاسوس وليس هذا بيعة متقدمة يجب الوفـاء بها ومحاربة من نازع صاحبها فإن استويا في الفضل قـدم الأسوس نعم وإن كان أقل فضلاً إذا كان مؤديـاً للفـرائض والسنن مجتنباً للكبائر مستتراً بالصغائر لأن الغـرض مـن الإمامة حسن السياسة والقوة على القيام بالأمور فإن اسـتويا في الفضل والسياسة اقرع بينهما أو نظر في غيرهمـا وا عز وجل لا يضيق على عباده هذا الضيق ولا يوقفهم علـى هذا الحرج لقوله تعالى " وما جعل عليكم في الدين من حرج " وهذا أعظم الحرج وبا تعالى التوفيق.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال أبو محمد: اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم لقول ا تعالى " ولتكن منكم أمة يـدعون إلـى الخيـر ويـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " ثم اختلفوا في كيفيته فـذهب بعض أهل السنة من القدماء من الصحابة رضي ا عـنهم فمن بعدهم وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وهو قول سـعد بن أبي وقاص وأسامة ابن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة

وغيرهم إلى أن الغرض من ذلك إنما هو بالقلب فقط ولا بد أو باللسان إن قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح أصلاً وهو قول أبي بكر بن كيسان الأصـم وبه قال ت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم إلا أنها لم تر ذلك إلا ما لم يخرج الناطق فإذا خرج وجب سل السيوف حينئـذ معه وإلا فلا واقتدى أهل السنة في هذا بعثمـان رضـي ا عنه وممن ذكرنا من الصحابة رضي ا عنهم وبمـن رأى القعود منهم إلا أن جميع القائلين بهذه الم قال ة من أهل السنة إنما رأوا ذلك ما لم يكن عدلاً فإن كان عدلاً وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الإمام العـدل وقـد روينا عن ابن عمر أنه قال لا أدري من هي الفئـة الباغيـة ولو علمنا ما سبقتني أنت ولا غيرك إلى قتالها.

قال أبو محمد: وهذا الذي لا يظن بأولئك الصـحابة رضي ا عنهم غيره وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية إلى أن سل السيوف فـي الأمر المعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكـن دفـع المنكر إلا بذلك قال وا فإذا كان أهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع ولا ييئسون من الظفر ففرض عليهم ذلك وإن كانوا في

عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد وهذا قول علي بن أبي طالب رضـي ا عنـه وكل من معه من الصحابة وقول أم المؤمنين عائشة رضـي ا عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصـحابة وقول معاوية وعمرو والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم من الصحابة رضي ا عنهم أجمعين وهو قول عبد ا بـن الزبير ومحمد والحسن بـن علـي وبقيـة الصـحابة مـن المهاجرين والأنصار القائمين يوم الحـرة رضـي ا عـن جميعهم أجمعين وقول كل من أقام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي ا عن جميعهم كأنس بـن مالـك وكل من كان ممن ذكرنا من أفاضل التابعين كعبد الـرحمن ابن أبي ليلى وسعيد بن جبير وابن البحتري الطائي وعطـاء السلمي الأزدي والحسن البصري ومالك بن دينار ومسلم بن بشار وأبي الحوراء والشعبي وعبد ا بن غالب وعقبة بـن عبد الغافر بن صهبان وماهان والمطرف بن المغيـرة ابـن شعبة وأبي المعدو حنظلة بن عبد ا وأبـي سـح الهنـائي وطلق بن حبيب والمطرف بن عبد ا ابن السخير والنصـر بن أنس وعطاء بن السائب وإبراهيم بن يزيد التيمي وأبـي

الحوسا وجبلة بن زحر وغيرهم ثم من بعد هؤلاء من تابعي التابعين ومن بعدهم كعبد ا بن عبد العزيز ابن عبد ا بن عمر وكعبد ا بن عمر ومحمد بن عجلان ومن خرج مـع محمد بن عبد ا بن الحسن وهاشم بن بشر ومطر الـوراق ومن خرج مع إبراهيم بن عبد ا وهو الذي تدل عليه أقوال الفقهاء كأبي حنيفة والحسن بن حي وشريك ومالك والشافعي وداود وأصحابهم فإن كل من ذكرنا من قديم وحـديث إمـا ناطق بذلك في فتواه وإما فاعل لذلك بسل سيفه في إنكار ما رأوه قال أبو محمد: احتجت الطائفة المذكورة أولاً بأحاديـث فيها انقاتلهم يا رسول ا قال لا ما صلوا وفي بعضها إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من ا برهـان وفـي بعضـها وجوب الضرب وإن ضرب ظهر أحدنا وأخـذ مالـه وفـي بعضها فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فـاطرح ثوبـك على وجهك وقل إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون مـن أصحاب النار وفي بعضها كن عبد ا المقتول ولا تكن عبد ا القاتل وبقوله تعالى " واتل عليهم نبأ ابنـي آدم بـالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر " الآية.

قال أبو محمد: كل هذا لا حجة لهم فيـه لمـا قـد تقصيناه غاية التقصي خبراً خبراً بأسانيدها ومعانيهـا فـي كتابنا الموسوم بالاتصال إلى فهم معرفة الخصال ونذكر منه إن شاء ا هاهنا جملاً كافية وبا تعالى نتأيد أما أمره صلى ا عليه وسلم بالصبر على أخذ المال وضرب الظهر فإنمـا ذلك بلا شك إذا تولى الإمام ذلك بحق وهذا ما لا شك فيه أنه فرض علينا الصبر له وإن امتنع من ذلك بل مـن ضـرب رقبته إن وجب عليه فهو فاسق عاص تعالى وإما أن كان ذلك بباطل فمعاذ ا أن يأمر رسول ا صلى ا عليه وسلم بالصبر على ذلك برهان هذا قول ا عز وجل " وتعـاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " وقد علمنا أن كلام رسول ا صلى ا عليه وسلم لا يخالف كلام ربه تعالى قال ا عز وجل " وما ينطق عن الهـوى إن هـو إلا وحي يوحى " و قال تعالى " ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فصح أن كل ما قال ه رسول ا صلى ا عليه وسلم فهو وحي من عند ا عز وجل لا اختلاف فيـه ولا تعارض ولا تناقض فإذا كان هذا كذلك فبيقين لا شك فيه يدري كل مسلم أن من أخذ مال مسلم أو ذمي بغيـر حـق

وضرب ظهره بغير حق إثم وعدوان وحرام قال رسـول ا
صلى ا عليه وسلم إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حـرام
عليكم فإذ لا شك في هذا ولا اختلاف من أحد من المسلمين
فالمسلم ماله للأخذ ظلماً وظهره للضرب ظلماً وهـو يقـدر
على الامتناع من ذلك بأي وجه أمكنه معاون لظالمه علـى
الإثم والعدوان وهذا حرام بنص القرآن " وأما سائر الأحاديث
التي ذكرنا وقصة ابني آدم فلا حجة في شيء منها أما قصة
ابني آدم فتلك شريعة أخرى غير شريعتنا قال ا عز وجل "
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً " وأما الأحاديث فقد صح عن
رسول ا صلى ا عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره
بيده إن استطاع فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبـه
وذلك أضعف الإيمان ليس وراء ذلك من الإيمان شيء وصح
عن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال لا طاعة في معصية
إنما الطاعة في الطاعة وعلى أحدكم السمع والطاعة ما لـم
يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعـة وإنـه
عليه السلام قال من قتل دون ماله فهو شهيد والمقتـول دون
دينه شهيد والمقتول دون مظلمة شهيد و قال عليـه السـلام
لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم ا بعذاب

من عنده فكان ظاهر هذه الأخبار معارضاً للآخر فصـح أن إحدى هاتين الجملتين ناسخة للأخرى لا يمكن غيـر ذلـك فوجب النظر في أيهما هو الناسخ فوجدنا تلك الأحاديث التي منها النهي عن القتال موافقة لمعهود الأصل ولما كانت الحال عليه في أول الإسلام بلا شك وكانت هذه الأحاديث الأخـر واردة بشريعة زايدة وهي القتال هذا ما لا شك فيه فقد صح نسخ معنى تلك الأحاديث ورفع حكمها حين نطقه عليه السلام بهذه الأخر بلا شك فمن المحال المحرم أن يؤخذ بالمنسـوخ ويترك الناسخ وأن يؤخذ الشك ويترك اليقين ومن ادعـى أن هذه الأخبار بعد أن كانت هي الناسخة فعادت منسوخة فقـد ادعى الباطل وقفا ما لا علم له به ف قال على ا ما لم يعلم وهذا لا يحل ولو كان هذا لما أخلا ا عز وجل هذا الحكـم عن دليل وبرهان يبين به رجوع المنسوخ ناسخاً لقوله تعالى في القرآن تبياناً لكل شيء وبرهان آخر وهـو أن ا عـز وجل قال " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهمـا فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفـيء " لم يختلف مسلمان في أن هذه الآية التي فيها فرض قتال الفئة الباغية محكمة غير منسوخة فصح أنها الحاكمة فـي تلـك

الأحاديث فما كان موافقاً لهذه الآية فهو الناسخ الثابت وما كان مخالفاً لها فهو المنسوخ المرفوع وقد ادعى قوم أن هذه الآية وهذه الأحاديث في اللصوص قال أبو محمد: وهذا باطل متيقن لأنه قول بلا برهان وما يعجز مدع أن يدعي في تلك الأحاديث أنها في قوم دون قوم وفي زمان دون زمان والدعوى دون برهان لا تصح وتخصيص النصوص بالدعوى لا يجوز لأنه قول على ا تعالى بلا علم وقد جاء عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن سائلاً سأله عن من طلب ماله بغير حق ف قال عليه السلام لا تعطه قال فإن قاتلني قال قاتله قال فإن قتلته قال إلى النار قال فإن قتلني قال فأنت في الجنة أو كلاماً هذا معناه وصح عنه عليه السلام أنه قال المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وقد صح أنه عليه السلام قال في الزكاة من سألها على وجهها فليعطها ومن سألها على غير وجهها فلا يعطها وهذا خبر ثابت رويناه من طريق الثقات عن أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق عن رسول ا صلى ا عليه وسلم وهذا يبطل تأويل من تأول أحاديث القتال عن المال على اللصوص لا يطلبون الزكاة وإنما يطلبه السلطان فاقتصر عليه السلام معها

إذا سألها على غير ما أمر به عليه السلام ولو اجتمع أهـل الحق ما قاوا هم أهل الباطل نسأل ا المعونة والتوفيق.

قال أبو محمد: وما اعترضوا به من فعل عثمان فما علم قط أنه يقتل وإنما كان يراهم يحاصرونه فقـط وهـم لا يرون هذا اليوم للإمام العدل بل يرون القتال معـه ودونـه فرضاً فلا حجة لهم في أمر عثمان رضي ا عنـه و قـال بعضهم إن في القيام إباحة الحريم وسفك الدماء وأخذ الأموال وهتك الأستار وانتشار الأمر ف قال لهم الآخرون كلا لأنـه لا يحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يهتك حريماً ولا أن يأخذ مالاً بغير حق ولا أن يتعرض من لا يقاتله فإن فعل شيئاً من هذا فهو الذي فعل ما ينبغي أن يغير عليه وأما قتله أهل المنكر قلوا أو كثروا فهذا فرض عليه وأما قتل أهل المنكر الناس وأخذهم أموالهم وهتكهم حريمهم فهذا كله مـن المنكر الذي يلزم الناس تغييره وأيضاً فلو كان خـوف مـا ذكروا مانعاً من تغيير المنكر ومن الأمر بالمعروف لكان هذا بعينه مانعاً من جهاد أهل الحرب وهذا ما لا يقوله مسلم وإن ادعى ذلك إلى سبي النصارى نساء المسلمين وأولادهم وأخذ أموالهم وسفك دمائهم وهتك حريمهم ولا خلاف بين المسلمين

في أن الجهاد واجب مع وجود هذا كله ولا فرق بين الأمرين وكل ذلك جهاد ودعاء إلى القرآن والسنة.

قال أبو محمد: وي قال لهم ما تقولون فـي سـلطان جعل اليهود أصحاب أمره والنصارى جنده وألزم المسـلمين الجزية وحمل السيف على أطفال المسلمين وأباح المسـلمات للزنا أو حمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملـك نساءهم وأطفالهم وأعلن العبث بهم وهو في كل ذلـك مقـر بالإسلام معلن به لا يدع الصلاة فإن قال وا لا يجوز القيـام عليه قيل لهم أنه لا يدع مسلماً إلا قتله جملة وهذا أن تـرك أوجب ضرورة ألا يبقى إلا هو وحده وأهل الكفر معه فـإن أجازوا الصبر على هذا خالفوا الإسلام جملة وانسلخوا منـه وإن قال وا بل يقام عليه ويقاتل وهو قولهم قلنا لهم فإن قتـل تسعة أعشار المسلمين أو جميعهم إلا واحداً وسبي من نسائهم كذلك وأخذ من أموالهم كذلك فإن منعوا مـن القيـام عليـه تناقضوا وإن أوجبوا سألناهم عن أقل مـن ذلـك ولا نـزال نحطهم إلى أن نقف بهم على قتل مسلم واحد أو على امـرأة واحدة أو على أخذ مال أو على انتهاك بشرة بظلم فإن فرقوا بين شيء من ذلك تناقضوا وتحكموا بلا دليل وهـذا مـا لا

يجوز وإن أوجبوا إنكار كل ذلك رجعوا إلى الحق ونسـألهم عمن غصب سلطانه الجائر الفاجر زوجته وابنته وابنه ليفسق بهم أو ليفسق به بنفسه أهو في سعة من إسلام نفسه وامرأته وولده وابنته للفاحشة أم فرض عليه أن يدفع من أراد ذلـك منهم فإن قال وا فرض عليه إسلام نفسه وأهله أتوا بعظيمـة لا يقولها مسلم وإن قال وا بل فرض عليه أن يمتنع من ذلك ويقاتل رجعوا إلى الحق ولزم ذلك كل مسلم في كـل مسـلم وفي المال كذلك.

قال أبو محمد: والواجب أن وقع شيء مـن الجـور وإن قل أن يكلم الإمام في ذلك ويمنع منه فإن امتنع وراجـع الحق وأذعن للقود من البشرة أو من الأعضاء ولإقامة حـد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه وهو إمام كما كان لا يحل خلعه فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بـالحق لقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـاونوا علـى الإثم والعدوان " ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع وبا تعالى التوفيق.

الكلام في الصلاة خلف الفاسق والجهاد معه والحج

ودفع الزكاة إليه ونفاذ أحكامه من الأقضية والحدود وغير ذلك قال أبو محمد: ذهبت طائفة إلى أنـه لا يجـوز الصلاة إلا خلف الفاضل وهـو قـول الخـوارج والزيديـة والروافض وجمهور المعتزلة وبعض أهـل السـنة و قـال آخرون إلا الجمعة والعيدين وهو قول لعـض أهـل السـنة وذهبت طائفة الصحابة كلهم دون خلاف مـن أحـد مـنهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من أحد منهم وأكثـر من بعدهم وجمهور أصحاب الحديثوهو قول أحمد والشافعي وأبي حنيفة وداود وغيرهم إلى جواز الصلاة خلف الفاسـق الجمعة وغيرها وبهذا نقول وخلاف هذا القول بدعة محدثـة فما تأخر قط أحد من الصحابة الذين أدركوا المختار بن عبيد والحجاج وعبيد ا بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عـن الصلاة خلفهم وهؤلاء أفسق الفساق وأما المختار فكان متهما في دينه مظنوناً به الكفر.

قال أبو محمد: احتج من يقول بمنع الصلاة خلفهـم بقول ا تعالى " إنما يتقبل ا من المتقين ".

قال أبو محمد: في قال لهـم كـل فاسـق إذا نـوى بصلاته رحمة ا تعالى فهو في ذلك من المتقـين فصـلاته

متقبلة ولو لم يكن من المتقين إلا من لا ذنب له ما استحق أحد هذا الاسم بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم قال ا عز وجل " ولو يؤاخذ ا الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة " ولا يجوز القطع على الفاسق بأنه لم يرد بصلاته وجه ا تعالى ومن قطع بهذا فقد قفا ما لا علم له به و قال ما لا يعلم وهذا حرام و قال تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم " و قال عز وجل " وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند ا عظيم " و قال بعضهم إن صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الإمام.

قال أبو محمد: وهذا غاية الفساد لأنه قول بلا دليل بل البرهان يبطله لقوله تعالى " ولا تكسب كل نفس إلا عليها " وقول تعالى " ولا تزر وازرة وزر أخرى " ودعوى الارتباط هاهنا قول بلا برهان لا من قرآن ولا من سنة ولا من إجماع ولا من معقول وهم قد أجمعوا على أن طهارة الإمام لا تنوب عن طهارة المأموم ولا قيامه عن قيامه ولا قعوده عن قعوده ولا سجوده عن سجوده ولا ركوعه عن ركوعه ولا نيته عن نيته فما معنى هذا الارتباط الذي تدعونه إذاً وأيضاً فإن القطع عن سريرة الذي ظاهره الفضل لا

يجوز وإنما هو ظن فاستوى الأمر في ذلـك فـي الفاضـل والفاسق وصح أنه لا يصلي أحد عن أحد وإن كل أحد يصلي عن نفسه و قال تعالى " أجيبوا داعـي ا " فوجـب بـذلك ضرورة أن كل داع دعا إلى خير من صلاة أو حج أو جهاد أو تعاون على بر وتقوى ففرض إجابته وعمل ذلك الخيـر معه لقول ا تعالى " تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " وإن كل داع دعى إلى شر فلا يجـوز إجابته بل فرض دفاعه ومنعه وبا تعالى نتأيد.

قال أبو محمد: وأيضاً فإن الفسق منزلة نقص عمـن هو أفضل منه والذي لا شك فيه أن النسبة بين أفجر فـاجر من المسلمين وبين أفضل الصحابة رضي ا عنهم أقـرب من النسبة بين أفضل الصحابة رضي ا عنهم وبين رسول ا صلى ا عليه وسلم وما عرى أحـد مـن تعمـد ذنـب وتقصير بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم وإنما تفاضـل المسلمون في كثرة الذنوب وقلتها وفـي اجتنـاب الكبـائر ومواقعتها وأما الصغائر فما نجا منها أحد بعد الأنبياء عليهم السلام وقد صلى رسول ا صلى ا عليه وسلم خلف أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وبهذا صح أن أمر رسـول ا

صلى ا عليه وسلم أن يؤم القوم أقرؤهم لكتـاب ا فـإن استووا فأفقههم ندب لا فرض فليس لفاضل بعد هذا أن يمتنع من الصلاة خلف من هو دونه في القصوى من الغايات.

قال أبو محمد: وأما دفع الزكاة إلى الإمام فإن كـان الإمام القرشي الفاضل أو الفاسق لم ينازعـه فاضـل فهـي جارية لقول رسول ا صلى ا عليه وسلم ارضوا مصديقكم ولا يكون مصدقاً كل من سمى نفسه مصدقاً لكن مـن قـام البرهان بأنه مصدق بإرسال الإمام الواجبة طاعته له وإمـا من سألها من هو غير الإمام المذكور أو غير مصدقه فهـو عابر سبيل لا حق له في قبضها فلا يجزي دفعها إليه لأنـه دفعها إلى غير من أمر بدفعها إليه وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد وهكذا القول في الأحكام كلها من الحدود وغيرها إن أقامها الإمـام الواجبة طاعته والذي لا بد منه فإن وافقت القـرآن والسـنة نفذت وإلا فهي مردودة لما ذكرنا وإن أقامها غير الإمـام أو واليه فهي كلها مردودة ولا يحتسب بها لأنه أقامها مـن لـم يؤمر بإقامتها فإن لم يقدر عليها الإمام فكل من قام بشيء من الحق حينئذ نفذ لأمر ا تعالى لنا بأن نكون قوامين بالقسـط

ولا خلاف بين أحد من الأمة إذ كان الإمام حاضراً متمكناً أو أميره أو واليه فإن من بادر إلى تنفيذ حكم هوالي الإمام فإنه إما مظلمة ترد وإما عزل لا ينفذ على هذا جرى عمل رسول ا صلى ا عليه وسلم وجميع عماله في البلاد بنقل جميع المسلمين عصراً بعد عصر ثم عمل جميع الصحابة رضي ا عنهم وأما الجهاد فهو واجب مع كل إمام وكل متغلب وكل باغ وكل محارب من المسلمين لأنه تعاون على البر والتقوى وفرض على كل أحد الدعا إلى ا تعالى وإلى دين الإسلام ومنع المسلمين ممن أرادهم قال تعالى " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد " الآية فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية في كل مكان وكل زمان وبا تعالى التوفيق تم كتاب الإمامة والمفاضلة بحمد ا تعالى وشكره.

ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو إلى المحال

من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئية والشيع قال أبو محمد: قد كتبنا في ديواننا هذا من فضايح الملل المخالفة لدين الإسلام الذي في كتبهم من اليهود والنصارى والمجوس ما لا بقية لهم بعدها ولا يمتري أحد

وقف عليها إنهم في ضلال وباطل ونكتب إن شاء ا تعالى على هذه الفرق الأربعة من فواحش أقوالهم ما لا يخفى على أحد قراه أنهم في ضلال وباطل ليكون ذلك زاجراً لمن أراد ا توفيقه عن مضامتهم أو التمادي فيهم ولا حول ولا قـوة إلا با العلي العظيم وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لا نستحل ما يستحله من لا خير فيه من تقويل أحد ما لم يقله نصاً وإن آل قوله إليه إذ قد لا يلزم ما ينتجه قوله فيتناقض فاعلموا أن تقويل القائل كافراً كان أو مبتدعاً أو مخطئاً ما لا يقوله نصاً كذب عليه ولا يحل الكذب على أحد لكن ربما دلسوا المعنى الفاحش بلفظ ملتبس ليسهلوه على أهل الجهل ويحسن النظـر بهم من أتباعهم وليبعد فهم تلك العظيمة علـى العامـة مـن مخالفتهم كقول طوائف من أهل البدعة والضلالة لا يوصف ا تعالى بالقدرة على المحال ولا على الظلم ولا على الكذب ولا على غير ما علم أنه يكون فأخفوا أعظم الكفر في هـذه القضية لما ذكرنا من تأنيس الأغمار من أتبـاعهم وتسـكين الدهما من مخالفيهم فراراً عن كشف معتقدهم صراحاً الـذي هو أنه تعالى لا يقدر على الظلم ولا له قوة على الكـذب ولا به طاقة على المحال ولا بد لنا من إيضاح ما موهوه هكـذا

وإيراده بأظهر عباراته كشفاً لتمويههم وتقرباً إلى ا تعـالى بهتك أستارهم وكشف أسرارهم وحسبنا ا ونعم الوكيل.

ذكر شنع الشيعة

قال أبو محمد: أهل الشنع من هـذه الفرقـة ثـلاث طوايف أولها الجارودية من الزيدية ثم الإمامية من الرافضة ثم الغالية فأما الجارودية فإن طائفة منهم قال ت أن محمد بن عبد ا بن الحسن بن الحسين ابن علي بن أبي طالب القائم بالمدينة علي ابن جعفر المنصور فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد ا بن العبـاس فقتـل محمد بن عبد ا بن الحسن رحمه ا ف قال ت هذه الطائفة أن محمداً المذكور حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً و قال ت طائفة أخرى مـنهم أنه يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القايم بالكوفة أيام المسـتعين فوجه إليه محمد بن عبد ا بن طاهر بـن الحسـين بـأمر المستعين ابن عمة الحسن بن إسماعيل ابن الحسين وهو ابن أخي طاهر بن الحسين فقتل يحيى بن عمر رحمه ا ف قال ت الطائفة المذكورة أن يحيى بن عمر هذا حي لم يقتـل ولا

مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جـوراً و قال ت طائفة منهم أن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بـن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القايم بالطالقان أيـام المعتصم حي لم يمت ولا قتل ولا يموت حتى يمـلأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً و قال ت الكيسـاىية وهـم أصـحاب المختار بن أبي عبيد وهم عندنا شعبة من الزيدية في سبيلهم أن محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن الحنفية حي بجبال رضوي عن يمينه أسد وعن يساره نمر تحدثه الملائكة يأتيه رزقه غدواً وعشياً لم يمت ولا يموت حتـى يمـلأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً و قال بعض الروافض الإمامية وهـي الفرقة التي تدعي الممطورة أن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب حي لـم يمـت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جـوراً و قـال ت طائفة منهم وهم الناووسية أصحاب ناوس المصري مثل ذلك في أبيه جعفر بن محمد و قال ت طائفة منهم مثل ذلك فـي أخيه إسماعيل بن جعفر و قال ت السبابية أصحاب عبـد ا بن سبا الحميري اليهودي مثل ذلك في علي بن أبي طالـب رضي ا عنه وزادوا أنه في السحاب فليت شعري فـي أي

سحابة هو من السحاب والسحاب كثير في أقطـار الهـواء مسخر بين السماء والأرض كما قال ا تعالى و قال عبد ا بن سبا إذ بلغه قتل علي رضي ا عنه لو أتيتمونا بدماغـه سبعين مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتـى يمـلأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً و قال بعض الكيسانية بأن أبـا مسـلم السراج حي لم يمت وسيظهر ولا بد و قال بعض الكيسـانية بأنه عبد ا بن معاوية بن عبد ا بن جعفر بن أبي طالـب حي بجبال أصبهان إلى اليوم ولا بد له من أن يظهر وعبـد ا هذا هو القائم بفارس أيام مروان بن محمد وقتله أبو مسلم بعد أن سجنه دهراً وكان عبد ا هذا ردي الـدين معطـلاً مستصحباً للدهرية.

قال أبو محمد: فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملكصيدق بن عامر بن ارفخشد بن سام ابن نوح والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب ريقا بنت بنؤال بـن ناخور بن تارخ علي إسحاق ابنه عليه السلام والياس عليـه السلام وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام أحياء إلى اليوم وسلك هذا السبيل بعض نركي الصـوفية فزعمـوا أن الخضر والياس عليهما السلام حيان إلى اليوم وادعى بعضهم

أنه يلقي الياس في الفلوات والخضر في المروج والريـاض وأنه متى ذكر حضر على ذاكره.

قال أبو محمد: فإن ذكر في شرق الأرض وغربهـا وشمالها وجنوبها وفي ألف موضع في دقيقة واحـدة كيـف يصنع ولقد لقينا من يذهب إلى هذا خلقـاً وكلمنـاهم مـنهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيره وهو مع ذلك مـن أهل العناية وسعة الرواية ومنهم محمد بن عبـد ا الكاتـب وأخبرني أنه جالس الخضر وكلمه مراراً وغيره كثير هـذا مع سماعهم قول ا تعالى " ولكن رسول ا وخاتم النبيين " وقول رسول ا صلى ا عليه وسلم لا نبي بعـدي فكيـف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبيـاً فـي الأرض حاشا ما استثناه رسول ا صلى ا عليه وسلم فـي الآثـار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان وكفار برغواطه إلى اليوم ينتظرون صالح بن طريق الذي شرع لهم دينهم و قال ت القطيعية من الإمامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بأن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابـن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب

حي لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كمـا ملئت جوراً وهو عندهم المهدي المنتظر ويقول طائفة مـنهم أن مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومـائتين سـنة موت أبيه و قال ت طائفة منهم بل بعد موت أبيه بمدة و قال ت طائفة منهم بل في حياة أبيه ورووا ذلك عن حكيمة بنـت محمد بن علي بن موسى وأنها شهدت ولادته وسمعته يـتكلم حين سقط من بطن أمه ويقرأ القرآن وأن أمه نرجس وأنهـا كانت هي القابلة و قال جمهورهم بل أمه صقيل و قـال ت طائفة منهم بل أمه سوسن وكل هذا هوس ولم يعب الحسـن المذكور لا ذكراً ولا أنثى فهذا أول نـوك الشـيعة ومفتـاح عظيماتهم وأخفها وإن كانت مهلكة ثم قال وا كلهم إذ سـئلوا عن الحجة فيما يقولون حجتنا الإلهام وأن من خالفنـا لـيس لرشده فكان هذا طريقاً جداً وليت شعري ما الفـرق بيـنهم وبين عيار مثلهم يدعي في إبطال قولهم الإلهام وأن الشيعة ليسوا رشدة أو أنهم نوكة أو أنهم جملة ذووا شعبة من جنون في رؤوسهم وما قولهم فيمن كان منهم ثم صار في غيـرهم أو من كان في غيرهم فصار فيهم أتراه ينتقل من ولادة الغية إلى ولادة الرشدة ومن ولادة الرشدة إلى ولادة الغية فإن قال

وا حكمه لما يموت عليه قيل لهم فلعلكم أولاد غية إذ لا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم إلى خلاف ما هو عليـه اليـوم والقوم بالجملة ذووا أديان فاسدة وعقول مدخولـة وعـديموا حياء ونعوذ با من الضلال وذكر عمرو بن بحر الجـاحظ وهو وإن كان أحد المجان ومن غلب عليه الهـزل وأحـد الضلال المضلين فإننا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتاً لها وإن كان كثيراً لا يراد كذب غيره قال أخبرني أبـو إسحاق إبراهيم النظام وبشر بن خالد أنهما قال ا لمحمد بـن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق ويحك أما استحيت من ا أن تقول في كتابك في الإمامة أن ا تعالى لم يقـل قط في القرآن " ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن ا معنا " قال ا فضحك وا شـيطان الطـاق ضحكاً طويلاً حتى كأنا نحن الذي أذنبنا قال النظام وكنا نكلم علي ابن ميتم الصابوني وكل من شيوخ الرافضة ومتكلميهم فنسأله أرأي أم سماع عن الأئمة فينكر أن يقوله برأي فتخبره بقوله فيها قبل ذلك قال فوا ما رأيته خجل مـن ذلـك ولا استحيا لفعله هذا قط ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه

كثير حاشا علي بن الحسن بن موسى بن محمد بن إبـراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن ابن علـي ابن أبي طالب وكان إمامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلـك فإنـه كان ينكر هذا القول ويكفر من قال ه وكذلك صـاحباه أبـو يعلي ميلاد الطوسي وأبو القاسم الرازي.

قال أبو محمد: القول بأن بين اللوحين تبـديلاً كفـر صحيح وتكذيب لرسول ا صلى ا عليه وسلم و قـال ت طائفة من الكيسانية بتناسـخ الأرواح وبهـذا يقـول السـيد الحمري الشاعر لعنه ا ويبلغ الأمر بمن يذهب إلى هذا إلى أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضـربه ويعطشـه ويجيعه على أن روح أبي بكر وعمر رضي ا عنهما فيـه فأعجبوا لهذا الحمق الذي لا نظير له وما الذي خـص هـذا البغل الشقي أو الحمار المسكين بنقله الروح إليه دون سـائر البغال والحمير وكذلك يفعلـون بـالعنز علـى أن روح أم المؤمنين رضي ا عنها فيها وجمهور متكلميهم كهشام ابـن الحكم الكوفي وتلميذه أبي علي الصكاك وغيرهما يقـول أن علم ا تعالى محدث وأنه لم يكن يعلم شيئاً حتى أحدث لنفسه علماًوهذا كفر صريح وقد قال هشام هذا في حين مناظرتـه

لأبي الهذيل العلاف أن ربه سبعة أشبار بشبر نفسـه وهـذا كفر صحيح وكان داود الجوازي من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الإنسـان ولا يختلفـون فـي أن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين أفيكـون فـي صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء والجرأة على الكذب أكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق وطائفـة مـنهم تقول أن ا تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدو لـه فـلا يفعله وهذا مشهور للكيسانية ومن الإمامية من يجيـز نكـاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب لأنه إنما نبـت علـى دم الحسين ولم يكن قبل ذلك وهذا في قلة الحياء قريب مما قبله وكما يزعم كثير منهم أن علياً لم يكن له سمى قبلـه وهـذا جهل عظيم بل كان في العرب كثير يسمون هذا الاسم كعلي بن بكر بن وايل إليه يرجع كل بكري في العالم فـي نسـبه وفي الأزد علي وفي بجيله علي وعيرها كـل ذلـك فـي الجاهلي مشهور وأقرب من ذلك عامر بن الطفيل يكني أبـا علي ومجاهراتهم أكثر مما ذكرنا ومنهم طائفة تقـول بفنـاء الجنة والنار وفي الكيسانية من يقول أن الدنيا لا تفنـى أبـداً ومنهم طائفة تسمى النحيلة نسبوا إلى الحسن بن علـي بـن

ورصند النحلي كان من أهل نفطة من عمل قفصة وقسطيلية من كور أفريقية ثم نهض هذا الكافر إلى السوس في أقاصي بلاد المصامدة فأضلهم وأضل أمير السوس أحمد بن إدريس بن يحيى بن إدريس ابن عبد ا بن الحسين بن الحسن بـن علي بن أبي طالب فهم هنالك كثير سكان في ربض مدينـة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسـلمين لا يأكلون شيئاً من الثمار زبل أصله ويقولون أن الإمامـة فـي ولد الحسن دون ولد الحسين ومنهم أصحاب أبي كامل ومـن قولهم أن جميع الصحابة رضي ا عنهم كفروا بعد مـوت النبي صلى ا عليه وسلم إذ جحدوا إمامة علـي وأن عليـاً كفر إذا سلم الأمر إلى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثـم قـال جمهورهم أن علياً ومن ابتعه رجعوا إلى الإسلام إذ دعى إلى نفسه قتل عثمان وإذ كشف وجهه وسل سيفه وأنـه وإيـاهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الإسلام كفاراً مشركين ومنهم من يرد الذنب في ذلك إلى النبي صلى ا عليه وسلم إذ لم يبين الأمر بياناً رافعاً للأشكال.

قال أبو محمد: وكل هذا كفر صريح لا خفاء به فهذه مذاهب الإمامية وهي المتوسطة في الغوة من فرق الشـيعة

وأما الغالية من الشيعة فهم قسمان قسم أوجبت النبـوة بعـد النبي صلى ا عليه وسلم لغيره والقسم الثاني أوجبوا الإلهية لغير ا عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشـنع الكفر فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي صلى ا عليـه وسلم فرق منهم الغرابية وقولهم أن محمداً صـلى ا عليـه وسلم كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب وأن ا عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علـي فغلـط جبريـل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لأنـه غلـط و قـال ت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم ا .

قال أبو محمد: فهل سمع بأضعف عقولاً وأتم رقاعة من قوم يقولون أن محمداً صلى ا عليه وسلم كـان يشـبه علي بن أبي طالب فيا للناس أين يقع شبه ابن أربعين سـنة من صبي ابن إحدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليـه السلام ثم محمد عليه السلام فوق الربعة إلى الطـول قـويم القناة كث اللحية ادلج العينين ممتلي الساقي صلى ا عليـه وسلم قليل شعر الجسد أفرع وعلي دون الرعبة إلى القصـر منكب شديد الانكباب كأنه كسر ثم جبر عظيم اللحية قد ملئت صدره من منكب إلى منكب إذ التحي ثقيـل العينـين دقيـق

الساقين أصلع عظيم الصلع ليس في رأسـه شـعر إلا فـي مؤخره يسير كثير شعر اللحية فأعجبوا لحمق هذه الطبقة ثم لو جاز أن يغلط جبريل وحاشا لروح القدس الأمـين كيـف غفل ا عز وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه علـى غلطـه ثلاثاً وعشرين سنة ثم أظرف من هذا كله من أخبرهم بهـذا الخبر ومن خفرهم بهذه الخرافة وهذا لا يعرفه إلا من شاهد أمر ا تعالى لجبريل عليه السلام ثم شـاهد خلافـه فعلـى هؤلاء لعنة ا ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين ما دام في عالمه خلق وفرقة قال ت بنبوة علي وفرقة قال ت بـأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي ا عنهم وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بم محمد وموسـى بـن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمـد والمنتظر بن الحسن أنبياء كلهم وفرقة قال ت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة وفرقة قـال ت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسـين ومحمـد بـن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حـول أن يدعي النبوة لنفسه وسجع اسجاعاً وأنذر بالغيوب عن ا وأتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة و قال بإمامـة

محمد بن الحنفية وفرقة قال ت بنبوة المغيرة بن سعيد مولى بجيلة بالكوفة وهو الذي أحرقه خالد بن عبـد ا القسـري بالنار وكان لعنه ا يقول أن معبوده صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضاءه على عدد حرف الهجا الألف للساقين ونحو ذلك مما لا ينطلق لسان ذي شعبة من دين به تعالى ا عما يقول الكافرون علواً كبيراً وكان لعنه ا يقول أن معبوده لما أراد أن يخلق الخلق تكلم باسمه الأكبر فوقع على تاجـه ثـم كتب بإصبعه أعمال العباد من المعاصي والطاعات فلما رأى المعاصي أرفض به عرقاً فاجتمع من عرقه بحران أحـدهما ملح مظلم والثاني نير عذب ثم اطلع في البحر فرأى ظلمـة فذهب ليأخذه فطار فأخذه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وشمساً أخرى وخلق الكفار مـن البحـر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب في تخليط لهم كثيـر وكان مما يقول أن الأنبياء لم يختلفوا قط فـي شـيء مـن الشرايع وقد قيل أن جابر بن يزيد الجعفي الذي يروي عـن الشعبي كان خليفة المغيرة ابن سعيد إذ حرقه خالد بن عبـد ا القسري فلما مات جابر خلفه بكر الأعور الهجري فلمـا مات فوضوا أمرهم إلى عبد ا بن المغيرة رئيسهم المذكور

وكان لهم عدد ضخم بالكوفة وآخر ما وقف عليه المغيرة ابن سعيد القول بإمامة محمد بن عبد ا بن الحسن بن الحسـين وتحريم ماء الفرات وكل ماء نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة فبرئت منه عند ذلك القائلون بالإمامة في ولد الحسين وفرقة قال ت بنبوة بيان بن سمعان التميمي صلبه وأحرقـه خالد بن عبد القسري مع المغيرة بن سعيد في يـوم واحـد وجبن المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب جبناً شديداً حتى ضم إليها قهراً وبادر بيان بن سـمعان إلـى الحزمـة فاعتنقها من غير إكراه ولم يظهر منه جزع ف قال خالـد لأصحابهما في كل شيء أنتم مجانين هذا كـان ينبغـي أن يكون رئيسكم لا هذا الفسل وكان بيان لعنه ا يقـول أن ا تعالى يفنى كله حاشا وجهه فقط وظن المجنون أنه تعلق في كفره هذا بقول ا تعالى " كل من عليها فان ويبقـى وجـه ربك " ولو كان له أدنى عقل أو فهم لعلم أن ا تعالى إنمـا أخبر بالفناء عما على الأرض فقط بنص قوله الصادق " كل من عليها فان " ولم يصف عز وجل بالفناء غير مـا علـى الأرض ووجه ا تعالى هو ا وليس هو شيئاً غيره وحاشا من أن يوصف بالتبعيض والتجزي هذه صفة المخلـوقين

المحدودين لا صفة من لا يحد ولا له مثل وكـان لعنـه ا
يقول أنه المعني بقول ا تعالى " هذا بيان للنـاس " وكـان
يذهب إلى أن الإمام هو هاشم عبد ا بن محمد ابن الحنفيـة
ثم هي في سائر ولد علي كلهم و قال ت فرقة منهم بنبـوة
منصور المستير العجلي وهو الملقب بالكسف وكان ي قـال
أنه المراد بقول ا عز وجل " وإن يروا كسفاً من السـماء
ساقطاً " وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة وكان لعنه ا يقول
أنه عرج به إلى السماء وأن ا تعالى مسح رأسه بيده و قال
له ابني اذهب فبلغ عني وكان يمين أصحابه لا والكلة وكان
لعنه ا يقول بأن أول من خلق ا تعالى عيسى بن مريم ثم
علي بن أبي طالب وكـان يقـول بتـواتر الرسـل وأبـاح
المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم و قـال
إنما هم أسماء رجال وجمهور الرافضة اليوم على هذا أسقط
الصلاة والزكاة والصيام والحـج وأصـحابه كلهمخنـاقون
رضاخون وكذلك أصحاب المغيرة بن سعيد ومعناهم في ذلك
أنهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونـه
فهم قتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية بالخشب فقـط
وذكر هشام بن الحكم الرافضي في كتابه المعروف بالميزان

وهو أعلم الناس بهم لأنه جارهم بالكوفة وجارهم في المذهب أن الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعجل المؤمن إلى الجنة والكافر إلى النار وكانوا بعد مـوت أبي منصور يؤدون الخمس مما يأخذون ممن خنقـوه إلـى الحسن بن أبي المنصور وأصحابه فرقتان فرقة قـال ت أن الإمام بعد محمد بن علي بن الحسن صارت إلى محمد بـن عبد ا بن الحسن بن الحسين وفرقة قال ت بل إلـى أبـي النمصور الكسف ولا تعود في ولد علي أبداً و قال ت فرقـة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة وإن وقع هذه الدعوة لهم في حايك لظريفة وفرقة قال ت بنبوة معمر بايع الحنطة بالكوفة و قال ت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة وكـان لعنـه ا يقـول لأصحابه لو شئت أن أعيد هذا التبن تبراً لفعلت وقـدم إلـى خالد بن عبد ا القسري بالكوفة فتجلد وسب خالداً فأمر خالد بضرب عنقه فقتل إلى لعنة ا وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية و قال ت فرقة من أولئك شيعة بني العبـاس بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به أسد بن عبد ا أخو خالد بن عبد ا القسري فقتله إلى لعنة ا والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير ا عز وجل فأولهم قـوم

من أصحاب عبد ا بن سبا الحميري لعنه ا أتوا إلى علي بن أبي طالب ف قال وا مشافهة أنت هو ف قال لهم ومـ ن هو قال وا أنت ا فاستعظم الأمـ ر وأمـ ر بنـ ار فأججـ ت وأحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون فـ ي النـ ار الآن صح عندنا أنه ا لأنه لا يعذب بالنار إلا ا وفي ذلك يقول رضي ا عنه: لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججـ ت نـ اراً ودعوت قنبرا يريد قنبراً مولاه وهو الذي تولى طرحهم فـ ي النار نعوذ با من أن نفتتن بمخلوق أو يفتتن بنا مخلوق فيما جل أو دق فإن محنة أبي الحسن رضي ا عنه بين أصحابه رضي ا عنهم كمحنة عيسى صلى ا عليـ ه وسـ لم بـ ين أصحابه من الرسل عليهم السالم وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان إسـ حاق بـ ن محمد النخعي الأحمر الكوفي وكان من متكلميهم وله في ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكي والفياض لما ذكرنـ ا ويقولون أن محمداً رسول علي و قال ت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية أن محمداً عليه السلام هو ا تعـ الى ا عن كفرهم ومن هؤلاء كان البهنكي والفياض بن علي ولـ ه في هذا المعنى كتاب سماه القسطاس وأبوه الكاتب المشهور

الذي كتب لإسحاق بن كنداج أيام ولايته ثم لأمير المـؤمنين المعتضد وفيه يقول البحتري القصيدة المشهورة التي أولهـا:
شط من مساكن الغرير مرارة وطوتـه الـبلاد وا حـارة
والفياض هذا لعنه ا قتله القاسم بن عبد ا بن سليمان بـن وهب لكونه من جملة من سعى به أيام المعتضـد والقصـة مشهورة وفرقة قال ت بإلاهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبياً نبياً إلى محمد عليه السلام ثم بإلاهية علي ثـم بإلاهيـة الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفـر بـن محمـد ووقفوا هاهنا وأعلنت الخطابية بذلك نهاراً بالكوفة في ولا ية عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد ا بن العبـاس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمـة فـي أزراورديـة محرمين ينادون بأعلى أصواتهم لبيك جعفر لبيك جعفر قـال ابن عياش وغيره كأني أنظر إليهم يومئذ فخرج إليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم ثم زادت فرقة على مـا ذكرنا ف قال ت بإلاهية محمد بن إسماعيل بن جعفـر بـن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بإلاهية أبي سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وأبنائه بعده ومنهم من قال بإلاهيـة أبـي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور

و قال ت طائفة منهم بإلاهية عبيد ا ثم الولاة من ولده إلى يومنا هذا و قال ت طائفة بإلاهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الألوف و قال وا هو إله وجعفر بن محمـد إلـه إلا أن أبـا الخطاب أكبر منه وكانوا يقولون جميع أولاد الحسن أبناء ا وأحباؤه وكانوا يقولون أنهم لا يموتون ولكنهم يرفعون إلـى السماء وأشبه على الناس بهذا الشيخ الذي ترون ثم قـال ت طائفة منهم بإلاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه وكان من أصحاب أبي الخطاب لعنهم ا أجمعين و قال ت طائفة بإلاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصـلوب ببغـداد بسعي الوزير ابن حامد بن العباس رحمه ا أيام المقتـدر و قال ت طائفة بإلاهية محمد بن علي بن السـلمعان الكاتـب المقتول ببغداد أيام الراضي وكـان أم أصـحابه أن يفسـق الأرفع قدراً منهم به ليولج فيه النور وكل هذه الفرق تـرى الاشتراك في النساء و قال ت طائفة منهم بإلاهيـة شـباش المغيم في وقتنا هذا حياً بالبصرة و قـال ت طائفـة مـنهم بإلاهية أبي مسلم السراج ثم قال ت طائفة من هؤلاء بإلاهية المقنع الأعور القصار القائم بثار أبي مسلم واسم هذا القصار

هاشم وقتل لعنه ا أيام المنصور وأعلنـوا بـذلك فخـرج المنصور فقتلهم وأفناهم إلى لعنـة ا و قـالت الرنوديـة بإلاهية أبي جعفر المنصور و قالت طائفة منهم بإلاهية عبد ا ابن الخرب الكندي الكوفي وعبدوه وكان يقـول بتناسـخ الأرواح وفرض عليهم تسعة عشر صلاة في اليوم والليلة في كل صلاة خمسة عشر ركعة إلى أن ناظره رجل من متكلمي الصفرية وأوضح له براهين الدين فأسلم وصح إسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه وأعلم أصحابه بذلك وأظهر التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولـون بإلاهيتـه ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم إلى القول بإمامة عبد ا بـن معاوية بن عبد ا بن جعفر ابن أبي طالب وبقي عبد ا بن الخرب على الإسلام وعلى مذهب الصفرية إلـى أن مـات وطائفته إلى اليوم تعرف بالحزبية ومـن السـابية القـائلين بإلاهية علي وطائفة تدعى النصرية وقد غلبوا في وقتنا هـذا على جند الأردن والشام وعلى مدينة طبرية خاصـة ومـن قولهم لهن فاطمة بنت رسول ا صلى ا عليه وسلم ولعن الحسن والحسين ابني علي رضي ا عنهم وسـبهم بأقـذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بأنها وابنيها رضي ا عـنهم

ولعن مبغضهم شياطين تصوروا في صورة الإنسان وقولهم في عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي رضي ا عنه عن علي ولعنة ا على ابن ملجم فيقـول هـؤلاء أن عبـد الرحمن بن ملجم المرادي أفضل أهل الأرض وأكرمهم في الآخرة لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيـه مـن ظلمة الجسد وكدره فأعجبوا لهذا الجنون واسألوا ا العافيـة من بلاد الدنيا والآخرة فهي بيده لا بيد أحد سواه جعـل ا حظنا منها الأوفى واعلموا أن كل من كفر هـذه الكفـرات الفاحشة ممن ينتمي إلى الإسلام فإنمـا عنصـرهم الشـيعة والصوفية فإن من الصوفية من يقول أن من عرف ا تعالى سقطت عنه الشرايع وزاد بعضهم واتصل با تعالى وبلغنـا أن بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلاً يكنى أبا سعيد أبـا الخير هكذا معاً من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلي فـي اليـوم ألـف ركعة ومرة لا يصلي لا فرضية ولا نافلة وهذا كفر محـض ونعوذ با من الضلال.

ذكر شنع الخوارج

ذكر بعض من جمع م قال ات المنتمين إلى الإسلام أن فرقة من الأباضية رئيسهم رجل يدعى زيد بن أبي أبيسه وهو غير المحدث المشهور كان يقول أن في هـ ذه الأمـ ة شاهدين عليها هو أحدهما والآخر لا يدري من هو ولا متـ ى هو ولا يدري لعله قد كان قبله وإن من كـ ان مـ ن اليهـ ود والنصارى يقول لا إله إلا ا محمد رسول ا إلى العرب لا إلينا كما تقول العيسوية من اليهود قال فإنهم مؤمنون أوليـ اء ا تعالى وإن ماتوا على هذا العقد وعلـ ى التـ زام شـ رائع اليهود والنصارى وإن دين الإسلام سيسنخ بنبي من العجـ م يأتي بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة.

قال أبو محمد إلا أن جميع الأباضية يكفرون من قال بشيء من هذه الم قال ات ويبرؤون منه ويسـ تحلون دمـ ه وماله و قال ت طائفة من أصحاب الحرث الأباضي أن من زنا أو سرق أو قذف فإنه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل فإن تاب ترك وإن أبى التوبة قتل على الردة.

قال أبو محمد: وشاهدنا الأباضية عنـ دنا بالأنـ دلس يحرمون طعام أهل الكتب ويحرمون أكـ ل قضـ يب التـ يس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهـ اراً فـ ي

رمضان فاحتلم ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها إلا قليلاً منهم و قال أبو إسماعيل البطيحي وأصحابه وهم من الخوارج أن لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالغداة وركعـة أخرى بالعشي فقط ويرون الحج في جميـع شـهور السـنة ويحرمون أكل السمك حتى يذبح ولا يرون أخذ الجزية مـن المجوس ويكفرون من خطب في الفطرة والأضحى ويقولون أن أهل النار في النار في لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك.

قال أبو محمد: وأصل أبي إسماعيل هذا من الأزارقة إلا أنه علي عن سائر الأزارقة وزاد عليهم و قال ت سـائر الأزارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق بإبطال رجم من زنى وهو محصن وقطعوا يد السارق من المنكب وأوجبوا علـى الحائض الصلاة والصيام في حيضها و قال بعضهم لا ولكن تقضي الصلاة إذا ظهرت كما تقتضي الصيام وأبـاحوا دم الأطفال ممن لم يكن في عسكرهم وقتل النساء أيضـاً ممـن ليس في عسكرهم وبرئت الأزارقة ممن قعد هـن الخـروج لضعف أو غيره وكفروا من خالف هذا القول بعد موت أول من قال به منهم ولم يكفروا من خالفه فيه في حياته و قال وا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ويقتلونـه إذا

قال أنا مسلم ويحرمون قتل مـن انتمـى إلـى اليهـود أو النصارى أو إلى المجوس وبهذا شهد رسول ا صـلى ا عليه وسلم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرميه إذ قال عليه السلام أنهم يقتلون أهل الإسـلام ويتركـون أهـل الأوثان وهذا من أعلام نبوته صلى ا عليه وسلم إذ أنـذر بذلك وهو من جزئيات الغيب فخرج نصاً كما قال.

قال أبو محمد: وقد بادت الأزارقة إنما كـانوا هـل عسكر واحد أو لهم نافع بن الأزرق وآخرهم عبدة بن هلال العسكري واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة إلا أني أشـك في صبيح مولى سوار بن الأسعر المازني مازن تميم أخرج برأي الأزارقة أيام هشام بن عبد الملك أم برأي الصفرية لأن أمره لم يطل أسر أثر خروجه وقتل و قال ت النجدات وهـم أصحاب نجدة بن عويم الحنفي ليس على الناس أن يتخـذوا إماماً إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم و قال وا من ضعف عن الهجرة إلى عسكرهم فهو منافق واسـتحلوا دم القعـدة وأموالهم و قال وا من كذب كذبة صغيرة أو عمـل عمـلاً صغيراً فأصر على ذلك فهو كافر مشرك وكذلك أيضاً فـي الكبائر وأن من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم

و قال وا جائز أن يعذب ا المؤمنين بذنوبهم لكن في غيـر النار وأما النار فلا و قال وا أصحاب الكبائر مـنهم ليسـوا كفاراً وأصحاب الكبائر من غيرهم كفار وقد بادت النجدات و قال ت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن عندهم أو كافر وكانوا يؤلون الحق بالباطل وقد بادت هذه الطائفة و قال ت الميمونية وهم فرقة من العجاردة فرقة من الصفرية بإجازة نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنـات بني الأخوة والأخوات وذكر ذلك عنهم الحسـين بـن علـي الكراسي وهو أحد الأئمة في الدين والحديث ولم يبق اليـوم من فرق الخوارج إلا الإباضية والصفرية فقـط و قـال ت طائفة من أصحاب البهيسية وهم أصحاب أبي بيهس وهم من فرق الصفرية إن كان صاحب كبيرة فيها حد فإنه لا يكفـر حتى يرفع إلى الإمام فإذا أقام عليه الحد فحينئذ يكفر و قـال ت الرشيدية وهم من فرق الثعالبة والثعالبة من فرق الصفرية أن الواجب في الزكاة نصف العشر ممـا سـقي بالأنهـار والعيون و قال ت العونية وهم طائفة من البيهسية التي ذكرنا آنفاً أن الإمام إذا قضي قضية جور وهو بخراسان أو بغيرها حيث كان من البلد ففي ذلك الحين نفسه يكفر هـو وجميـع

رعيته حيث كانوا من شرق الأرض وغربها ولو بالأنـدلس واليمن فما بين ذلك من البلاد و قال وا أيضاً لو وقعت قطرة خمر ف يجب ماء بفلاة من الأرض فإن كل من خطر على ذلك الجب فشرب منه وهو لا دري ما وقع فيه كـافر بـا تعالى قال وا إلا أن ا تعالى يوفق المؤمن لاجتنابه و قـال ت الفضيلية من الصفرية من قال لا إله إلا ا محمد رسول ا بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر أو الدهريـة أو اليهودية أو النصرانية فهو مسلم عند ا مؤمن ولا يضره إذ قال الحق بلسانه ما اعتقد بقلبه و قال ت طائفة من الصفرية أن النبي صلى ا عليه وسلم إذا بعث ففي حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع أهـل المشـرق والمغـرب الإيمان به وإن لم يعرفو جميع ما جاء به من الشرائع فمـن مات منهم قبل أن يبلغه شيء من ذلك مات كافراً و قال ت العجاردة أصحاب عبد الكريم بن عجرد من الصفرية أن من بلغ الحلم من أولادهم وبناتهم فهم براء منه ومن دينه حتـى يقر بالإسلام فيتولوه حينئذ.

قال أبو محمد: فعلى هذا إن قتله قاتل قبل أن يلفـظ بالإسلام فلا قود ولا دية وإن مات لم يرث ولم يورث و قال

ت طائفة من العجاردة لا نتولى الأطفال قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن نقف قال أبو محمد: والعجاردة هم الغالبون علـى خوارج خراسان كما أن النكار من الإباضية هـم الغـالبون على خوارج الأندلس و قال ت المكرمية وهم أصحاب أبـي مكرم وهم من الثعالبة أصحاب ثعلبة وهو من الصفرية وإلى قول الثعالبة رجع عبد ا بن أباض فبرئ منه أصحابه فهـم لا يعرفونه اليوم ولقد سألنا من هـو مقـدمهم فـي علمهـم ومذهبهم عنهم فما عرفه أحد منهم وكان من قول المكرميـة هولاء أن من أتى كبيرة فقد جهل ا تعالى فهو كافر لـيس من أجل الكبيرة كفر كان لأنه جهل ا عز وجل فهو كـافر بجهله با تعالى و قال ت طائفة من الخوارج ما كان مـن المعاصي فيه حد كالزنا والسرقة والقذف فليس فاعله كـافراً ولا مؤمناً ولا منافقاً وأما ما كان من المعاصي لأحد فيه فهو كفر وفاعله كافر و قال ت الحفصية وهم أصحاب حفص بن ابي المقدام من الأباضية من عرف ا تعالى وكفر بـالنبي صلى ا عليه وسلم فهو كافر وليس بمشرك وإن جهـل ا تعالى أو جحده فهو حينئذ مشرك و قـال بعـض أصـحاب الحرث الأباضي المنافقون على عهد رسـول ا صـلى ا

عليه وسلم إنما كانوا موحدين تعالى أصحاب كبائر ومـن حماقتهم قول بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد فإنه كان يقول كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة خردل بغير حـق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بـا وفاعلهـا كافر مشرك مخلد في النار إلا أن يكون من أهل بـدر فهـو كافر مشرك من أهل الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضـي ا عنهما عندهم ومن حماقاتهم قول عبد ا بن عيسى تلميذ بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد المذكور فإنه كان يقول أن المجانين والبهايم والأطفال ما لم يبلغوا الحلم فإنهم يـألمون البتة لشيء مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلـك أن ا تعالى لا يظلم أحداً.

قال أبو محمد: لعمري لقد طرد أصل المعتزلـة وأن من خالفه في هذه المتلوث في الحماقة متكسع في التناقض.

▲ ذكر شنع المعتزلة

قال أبو محمد: قال ت المعتزلة بأسرها حاشا ضرار بن عبد ا الغطغاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم وأصحابه أن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم فـي أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم وعقودهم لم يخلقها ا عز وجل ثم

اختلفوا ف قال ت طائفة خلقها فاعلوها دون ا تعالى و قال ت طائفة هي أفعال موجودة لا خالق لها أصـلاً و قـال ت طائفة هي أفعال الطبيعة وهذا قول أهل الدهر بلا تكلـف و قال ت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أبا سهل بشر بن العمير البغدادي النخاس بالرقيق أن ا عز وجل لا يقدر البتة على لطف يلطف به للكافر حتـى يـؤمن إيماناً يستحق به الجنة وا عز وجل ليس في قوته أحسـن مما فعل بنا وإن هذا الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على أكثر.

قال أبو محمد: هذا تعجيز مجـرد للبـاري تعـالى ووصف له بالنقص وكلهم لا نحاشى أحداً يقول أنه لا يقـدر على المحال وعلى أن يجعل الجسم ساكناً متحركاً معاً فـي حال واحدة ولا على أن يجعل إنساناً واحداً في مكانين.

قال أبو محمد: وهذا تعجيز مجرد تعالى وإيجاب النهاية والإنقضاء لقدرته تعالى ا عن ذلك و قال أبو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبد القيس بصري أحـد رؤسـاء المعتزلة ومتقدميهم أن لما يقدر ا تعالى عليه آخراً ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل لم يقدر ا تعالى بعد ذلـك علـى

شيء أصلاً ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا إحياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على أن يفعل شيئاً أصلاً.

قال أبو محمد: وهذه حالة من الضعف والمهانة والعجز قد ارتفعت البق والبراغيث والدود مدة حياتها عنها وعن أن توصف بها وهذا كفر مجرد لا خفاء به يزعم أبو الهذيل أيضاً أن أهل الجنة وأهل النار تفنى حركاتهم حتى يصيروا جماداً لا يقدرون على تحريك شيء من أعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم في تلك الحال متلذذون ومتألمون إلا أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يطئون بعد هذا أبداً وكان يزعم أيضاً أن لما يعلمه عز وجل آخر أو نهاية وكلا لا يعلم ا شيئاً سواه وادعى قوم من المعتزلة أنه تاب عن هذه الطوام الثلاث.

قال أبو محمد: وهذا لا يصح وإنما ادعوا ذلك حياء من هذه الكفرات الصلع لإمام إمام الضلالة وذكر عن أبي الهذيل أيضاً أنه قال أن ا عز وجل ليس خلافاً لخلقه والعجب أنه مع الإقدام العظيم ينكر الشبيه وهذا عين التشبيه لأنه ليس إلا خلاف أو مثل أو ضد فإذا بطل أن يكون خلافاً

وضداً فهو مثل ولا بد تعالى ا عن هذا علواً كبيراً وكـان أبو الهذيل يقول أن ا لم يزل عليماً وكان ينكر أن ي قال أن ا لم يزل سميعاً بصيراً.

قال أبو محمد: وهذا خلاف القرآن لأن ا عز وجل قال " وكان ا سميعاً بصيراً " كما قال " وكان ا عليمـاً حكيماً " وكلهم قال أن ا تعالى لم يزل يعلم أن مـن مـات كافراً فإنه لا يؤمن أبداً وأنه تعالى حكم و قال أن أبا لهـب وامرأته سيصليان النار كافرين ثم قطعوا كلهم بأن أبا لهـب وامرأته كانا قادرين على الإيمان وعلى أن لا تمسهما النار وأنهما كان ممكناً لهما تكذيب ا عز وجـل وأنهمـا كانـا قادرين على إبطال علم ا عز وجل وعلى أن يجعلاه كاذباً في قوله هذا نص قولهم بلا تأويل قال وكان إبراهيم بن سيار النظام أبو إسحاق البصري مولى بني بحير بن الحارث بـن عباد الضبعي أكبر شيوخ المعتزلة ومقدمة علمائهم يقول أن ا تعالى لا يقدر على ظلم أحد أصلاً ولا على شـيء مـن الشر وأن الناس يقدرون على كل ذلك وأنه تعالى لـو كـان قادراً على ذلك لكنا لا نأمن أن يفعله أو أنه قد فعلـه فكـان الناس عنده أتم قدرة من ا تعالى وكان يصـرح بـأن ا

تعالى لا يقدر على إخراج أحد من جهنم ولا إخراج أحد من أهل الجنة عنها ولا على طرح طفل من جهـنم وأن النـاس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلـك فكـان ا عز وجل عنده أعجز من كل ضعيف من خلقه وكان كل أحد من الخلق أتم قدرة من ا تعالى وهذا الكفر المجـرد الـذي نعوذ با منه ومن العجب اتفاق النظام والعـلاف شـيخي المعتزلة على أنه ليس يقدر ا تعالى من الخير على أصلح مما عمل فاتفقا على أن قدرته على الخير متناهية ثـم قـال النظام أنه تعالى لا يقدر على الشر جملة فجعله عديم قـدرة على الشر عاجزاً عنه و قال العلاف بل هو قادر على الشر جملة فجعل ربه متناهي القدرة على الخير وغيـر متنـاهي القدرة على الشر فهل سمع بأخبث صفة من الصـفة التـي وصف بها العلاف ربه وهل في الموصوفين أخبث طبيعـة من الموصوف الذي ادعى العلاف أنه ربه ونعوذ با ممـا ابتلاهم به وأما أبو المعتمر معمر بن عمرو العطار البصري مولى بني سليم أحد شيوخهم وأئمتهم فكان يقول بـأن فـي العالم أشياء موجودة لا نهاية لها ولا يحصيها الباري تعـالى ولا أحد أيضاً غيره ولا لها عنده مقدار ولا عدد وذلك أنـه

كان يقول أن الأشياء تختلف بمعان فيها وأن تلـك المعـاني تختلف بمعان أخر فيها وتلك المعاني تختلف بمعان أخر فيها وهكذا بلا نهاية أيضاً تكذيب واضح تعالى في قوله " وكل شيء عنده بمقدار " وفي قوله تعالى " وأحصى كل شـيء عدداً " وتوافقه الدهرية في قولهم بوجود أشياء لا نهاية لهـا وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر إلى بغداد ومات بها مختفياً عند إبراهيم بن السيد بن شاهك وكان معمر أيضاً يزعم أن ا عز وجل لم يخلق شيئاً من الألوان ولا طولاً ولا عرضاً ولا طعماً ولا رائحة ولا خشـونة ولا أملاساً ولا حسناً ولا قبيحاً ولا صوتاً ولا قوة ولا ضعفاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشرواً ولا مرضاً ولا صحة ولا عافـةي ولا سقماً ولا عمى ولا بكماً ولا بصراً ولا سمعاً ولا فصاحة ولا فساداً للثمار ولا صلاحها وإن كل ذلك فعل الأجسام التي وجدت فيها هذه الأعراض بطباعها فاعلموا أن هذا الفاسق قد أخرج نصف العالم عن خلق ا تعالى لأنه ليس للعالم شيء إلا الجواهر الحاملة والأعراض المحمولـة فقـط فالنصـف الواحد عنده غير مخلوق لعنه ا من مكذب تعـالى فـي نص قوله تعالى " خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكـم أحسـن

عملاً " وقد عورض معمر بهذه الآية ف قال إنما أراد أنـه خلق الإماتة والإحياء وذكر عنه أنه كان ينكر أن يكـون ا عز وجل عالماً بنفسه وذلك لأن العالم إنما يعلـم غيـره ولا يعلم نفسه وكان يزعم أن النفس ليست جسماً ولا عرضاً ولا هي في مكان أصلاً ولا تماس شيئاً ولا قال أبو محمد: وهذا قول أهل الإلحاد محضاً بلا تأويل يعني القائلين مـنهم بقـدم النفس وأنها الخالقة للإنسان نعوذ با من الضـلال وكـان يقول أن ا تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لأن العالم غيـر المعلوم ومحال أن يقدر على الموجودات أو أن يعملها أو أن يجهلها و قال أبو العباس عبـد ا بـن محمـد الأنبـاري المعروف بالناشي ولقبه شرسير في كتابه في الم قال ات أن ا تعالى عن كفره لا يقدر على أن يسوي بنان الإنسان بعد أن سبق في علمه أنه لا يسويها.

قال أبو محمد: وهذا تكذيب محض تعالى في قوله " أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قـادرين علـى أن نسوي بنانه " ورأيت للجاحظ في كتابه البرهان لو أن سـائلاً سأله و قال أيقدر ا على أن يخلق قبل الدنيا دنيـا أخـرى

فجوابه نعم بمعنى أنه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكـون مثل هذه.

قال أبو محمد: هذا تعجيز منه للباري تعـالى كمـا قدمنا إذ لم تحصل له تعالى قدرة على خلق دنيا قبل هذه إلا على الوجه الذي ذكره وأما على غيره فلا فإن قيـل كيـف تجيبون قلنا جوابنا نعم على الإطلاق فإن قيل لنا كيف يصح هذا السؤال وأنتم تقولون أنه لا يجوز أن ي قال أن قبل العالم شيئاً لأن قبل وبعد من الزمان ولا زمان هنالك قلنـا معنـى قولنا نعم أي أنه تعالى لم يزل قادراً على أن يخلق عالماً لو خلقه لكان له زمان قبل زمان هذا العالم وهكذا أبـداً وبـا تعالى التوفيق وأما ضرار بن عمر فإنه كان يقول إن ممكنـاً أن يكون جميع من في الأرض ممن يظهر الإسلام كفـاراً كلهم في باطن أمرهم لأن كل ذلك جائز على كل واحد منهم في ذاته ومن حماقات ضرار أنه كان يقول أن الأجسام إنمـا هي أعراض مجتمعة وأن النار ليس فيها حر ولا في الـثلج برد ولا في العسل حلاوة ولا في الصـبر مـرارة ولا فـي العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في العروق دم وإن كل ذلك إنما يخلقه ا عز وجل عند القطع والذوق والعصر

واللمس فقط وأما أبو عثمان عمرو بن الجـاحظ القصـري الكناني صليبه وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام وأحد شـيوخ المعتزلة فإنه كان يقول أن ا تعالى لا يقـدر علـى إفنـاء الأجسام البتة إلا أن يرقها ويفرق أجزائها فقط وأما إعدامها فلا يقدر على ذلك أصلاً وأما أبو معمر وثمامة بن أشـرس النميري صليبه بصري أحد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فـذكر عنه أنه كان يقول أن العالم فعل ا عز وجل بطباعه تعالى ا عن هذا الكفر الشنيع علواً كبيراً وكان يزعم أن المقادين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الأوثان لا يـدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون تراباً وإن كل من مات مـن أهل الإسلام والإيمان المحض والاجتهاد في العبادة مصـراً على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وإن كـان لـم يواقع ذلك إلا مرة في الدهر فإنه مخلد بين أطبـاق النيـران أبداً مع فرعون وأبي لهب وأبي جهل.

قال أبو محمد: فأي كفر أعجب من قول من يقول أن كثيراً من الكفار لا يدخلون النار وإن كثيراً من المسـلمين لا يدخلون الجنة وكان ثمامة بن إبراهيم ابن رسول ا صـلى ا عليه وسلم وجميع أولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم

وجميع مجانين الإسلام لا يدخلون الجنة أبداً لكن يصـيرون تراباً وأما هشام بن عمرو الفوطي أحد شيوخ المعتزلة فكان يقول إذا خلق ا تعالى شيئاً فإنه لا يقدر على أن يخلق مثل ذلك الشيء أبداً لكن يقدر على أن يخلق غيره والغيران عنده لا يكونان مثلين وكان لا يجيز لأحد أن يقول حسبنا ا ونعم الوكيل ولا أن ا يعذب الكفار بالنار ولا أنه يحيـي الأرض بالمطر ويرى هذا القول والقول بأن ا تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ضلالاً وإلحاداً.

قال أبو محمد: وهذا رد ا جهاراً وكـان يقـول لا يحل القول بشيء من هذا إلا عند قراءة القرآن فقـط وكـان يقول قولوا حسبنا ا ونعم المتوكل عليه وكان يقول قولوا أن ا يعذب الكفار في النار ويحيي الأرض عند نزول المطـر وكان لا يجيز القول بأن ا ألف بين قلوب المؤمنين ولا أن القرآن عماً على الكافرين وكان يقول أن من هو الآن مؤمن عابد إلا أن في علم ا إنه يموت كافراً فإنـه الآن عنـد ا كافر وإن من كان الآن كافراً مجوسياً أو نصرانياً أو دهريـاً أو زنديقاً إلا أن في علم ا عز وجل أنه يموت مؤمناً فإنـه الآن عند ا مؤمن وأما عبد بن سليمان تلميذ هشام الفوطي

المذكور فكان يزعم أن ا تعالى لا يقدر على غير ما فعـل من الصلاح ولا يجيز أن ي قال أن ا خلق المـؤمنين ولا أنه خلق الكافرين ولكن ي قال خلق الناس وذلك زعـم لأن المؤمن عنده إنسان وإيمان والكفار إنسـان وكفـر وأن ا تعالى إنما خلق عنده الإنسان فقط ولم يخلـق الإيمـان ولا الكفر وكان يقول أن ا تعالى لا يقدر على أن يخلق غير ما خلق وأنه تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط وكلهم يزعم أن ا تعالى لم يأمر الكفار قط بأن يؤمنوا في حال كفـرهم ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر في حال إيمانهم لأنه لا يقدر أحد قط على الجمع بين الفعلين المتضادين.

قال أبو محمد: وهم مقرون أن ا تعالى لم يزل يعلم أن من يؤمن بعد كفره فإنه لا يزال في كفره إلى أن يـؤمن وأن من يكفر بعد إيمانه فإنه لا يزال في إيمانه حتى يكفـر وأن من لا يؤمن من الكفار أبداً فإنه لا يزال في كفره إلى أن يموت وأن من لا يكفر من المؤمنين فإنه لا يزال في إيمانـه إلى أن يموت وليس أحد من المأمورين يخرج عن أحد هـذه الوجوه الأربعة ضرورة فإذا كان عندهم لم يؤمر قط كـافر بالإيمان في حال كفره ولا نهى مؤمن عن الكفر فـي حـال

إيمانه فإن من لم يزل مؤمناً إلى أن مات لم ينهـه ا عـز وجل عن الكفر قط وأن من لم يزل كافراً إلى أن مات فـإن ا لم يأمره قط بالإيمان وأن ا تعالى لم يأمر قط بالإيمـان من آمن بعد كفره إلا حين آمن ولا نهى قط عن الكفر مـن كفر بعد إيمانه إلا حين كفر وهذا تكذيب مجرد تعالى في أمره الكفار وأهل الكتاب بالإيمان ونهيه المؤمنين عن الكفر وكان بشر بن المعتمر أيضاً يقول أن ا تعالى لم يخلق قـط لوناً ولا طعماً ولا رائحة ولا مجسة ولا شدة ولا ضعفاً ولا عماً ولا بصراً ولا سمعاً ولا صمماً ولا جبناً ولا شجاعة ولا كشفاً ولا عجزاً ولا صحة ولا مرضاً وأن الناس يفعلون كل ذلك فقط وأما جعفر القصبي بايع القصب والأشج وهما مـن رؤسائهم فكانا يقولان أن القرآن ليس هو في المصاحف إنما في المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن.

قال أبو محمد: وهذا كفر مجرد وخلاف جميع أهـل الإسلام قديماً وحديثاً وكان على الأسواري البصـري أحـد شيوخالمعتزلة يقول أن ا عز وجل لا يقدر على غير مـا فعل وإن من علم ا تعالى أنه يموت ابن ثمانين سنة فإن ا لا يقدر على أن يميته قبل ذلك ولا أن يبقيه طرفة عين بعـد

ذلك وأن من علم ا تعالى من مرضه يـوم الخمـيس مـع الزوال مثلاً فإن ا تعالى لا يقدر على أن يبريه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ولا على أن يزيد في مرضـه طرفـة عين فما فوقها وأن الناس يقدرون كل حين على إماتة مـن علم ا أن لا يموت إلا وقت كذا وأن ا لا يقدر على ذلـك وهذا كفر ما سمع قط بأفظع منه وأما أبو غفار أحد شـيوخ المعتزلة فكان يزعم أن شحم الخنزير ودماغه حلال.

قال أبو محمد: وهذا كفر صريح لا خفاء به وكـان يزعم أن تفخيذ الرجال الذكور حلال وقد ذكر هذا عن ثمامة أيضاً وكل هذا كفر محض وأما أحمد ابن خـابط والفضـل الحربي البصريان وكانا تلميـذين لإبـراهيم النظـام فكانـا يزعمان أن للعالم خالقين أحدهما قديم وهو ا تعالى والآخر حادث وهو كلمة ا عز وجل المسيح عيسى بن مريم التـي بها خلق العالم وكانا لعنهما ا يطعنان على النبي صلى ا عليه وسلم بالتزويج وأن أبا ذر كان أزهد منه وكان أحمد بن خابط يزعم أن الذي يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صـفاً صفاً في ظلل من الغمام إنما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وإن الذي خلق آدم على صورته إنمـا هـو المسـيح

عيسى بن مريم عليه السلام وإن المسيح هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة وكان أحمد بن خابط لعنه ا يقول أن في كل نوع من أنواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدور والوزغ والجعلان أنبياء ا تعالى رسالة إلى أنواعهم مما ذكرنا ومن سائر الأنواع وكان لعنه ا يقول بالتناسخ والكرور وأن ا تعالى ابتدا جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم أمرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه في جسد بهيمة فالعتال يبلتي بالريح كالغنم والإبل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل في الأغلب وإن من كان منهم في فسقه وقتله للناس عفيفاً كوفي بالقوة على السفناد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك من كان زانياً أوزانية كوفيا بالمنع من الجمال كالبغال والبغلات ومن كان جباراً كوفي بالمهانة كالدود والقمل وال يزالون كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كرر أيضاً كذلك هكذا أبداً حتى يطيع طاعة لا معصية معها فينتقل إلى الجنة من وقته أو يعصي معصية لا طاعة معها فينتقل إلى جهنم من وقته وإنما حمله على القول

بكل هذا لزومه أصل المعتزلة في العدل وطرده إياه ومشـبه معه واعلموا أن كل من لم يقل من المعتزلة بهذا القول فإنـه متناقض تارك لأصلهم في العدل وكان لعنـه ا يقـول أن للثواب دارين إحداهما لا أكل فيها ولا شرب وهي أرفع قدراً من الثانية والثانية فيها أكل وشرب وهي أنقص قدراً.

قال أبو محمد: هذا كله كفر محض وكان لهذا الكافر أحمد بن خابط تلميذ على مذهبه ي قال له أحمد بن سـابوس كان يقول بقول معلمه في التناسخ ثم ادعى النبوة و قال أنـه المراد بقول ا عز وجل ومبشراً برسول يأتي مـن بعـدي اسمه أحمد وكان محمد بن عبد ا بـن مـرة بـن نجـيح الأندلسي يوافق المعتزلة في القدر وكان يقـول أن علـم ا وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتـان وأن تعـالى علمـين أحدهما أحدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمـه أنه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزا ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وإيمان عمـر ونحو ذلك فإنه لا يعلم ا تعالى من ذلك شيئاً حتـى يكـون وذكر قول ا تعالى " عالم الغيب والشهادة ".

قال أبو محمد: وهذا ليس كما ظن بل على ظـاهره أنه يعلم ما تفعلون وإن أخفيتم ويعلم ما غاب عنكم مما كـان أو يكون أو هو كائن.

قال أبو محمد: وإنما حمله على هذا القـول طـرده لأصول المعتزلة حقاً فإن من قال منهم إن ا تعالى لم يزل يعلم أن فلاناً لا يؤمن أبداً وأن فلاناً لا يكفر أبداً ثـم جعـل الناس قادرين على تكذيب كلام ربهم وعلى إبطال ما لم يزل وهذا تناقض فاحش لا خفاء به ونعوذ با من الخذلان وكان من أصحابه جماعة يكفرون من قال أنه عز وجل لـم يـزل يعلم كل ما يكون قبل أن يكون وكان من أصـحاب مذهبـه رجل ي قال له إسماعيل بن عبد ا الرعيني متأخر الوقـت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد وأدركته إلا أني لم ألقه ثم أحدث أقوالاً سبعة فبرئ منه سائر المرية وكفروه إلا من اتبعه منهم فمما أحدث قوله أن الأجسـاد لا تبعث أبداً وإنما تبعث الأرواح صح هذا عندنا عنه وذكر عنه أنه كان يقول أنه حين موت الإنسان وفراق روحـه لجسـده تلقى روحه الحساب ويصير إما إلى الجنة أو إلى النار وأنه كان لا يقر بالبعث إلا على هذا الوجه وأنه كـان يقـول أن

العالم لا يفنى أبداً بل هكذا يكون الأمر بلا نهايـة وحـدثني الفقيه أبو أحمد المعارفي الطليطلي صاحبنا أحسن ا ذكـره قال أخبرني يحيى بن أحمد الطبيب وهو ابن ابنة إسـماعيل الرعيني المذكور قال أن جدي كان يقول أن العـرش هـو المدبر للعالم وأن ا تعالى أجل من أن يوصف بفعل شـيء أصلاً وكان ينسب هذا القول إلى محمد بن عبد ا بن مسرة ويحتج بألفاظ في كتبه ليس فيها لعمري دليل على هذا القول وكان يقول لسائر المرية إنكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئـت منه المرية أيضاً على هذا القول وكان أحمد الطبيب صـهره ممن برئ منه وتثبتت ابنته على هذه الأقوال متبعـة لأبيهـا مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة ووافقـت أبا هارون بن إسماعيل الرعيني على هذا القول فأنكره وبرئ من قائله وكذب ابن أخيه فميا ذكر عن أبيه وكان مخـالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون إليه القول باكتسـاب النبوة وأن من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة الـنفس أدرك النبوة وأنها ليست اختصاصاً أصلاً وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول إلى ابن مرة ويستدل على ذلك بألفاظ كثيـرة فـي كتبه هي لعمري لتشير إلى ذلك ورأينا سائرهم ينكر هذا فا

أعلام ورأيت أنا من أصحاب إسماعيل الرعيني المذكور مـن يصفه بفهم منطق الطير وبأنه كان ينذر بأشياء قبل أن تكون فتكون وأما الذي لا شك فيه فإنه كان عند فرقته إماماً واجبة طاعته يؤدون إليه زكاة أموالهم وكان يذهب إلى أن الحـرام قد عم الأرض وأنه لا فرق بين ما يكتسبه المرء من صناعة أو تجارة أم ميراث أو بين ما يكتسبه من الرفاق وإن الـذي يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما أخذه هذا أمر صـحيح عندنا عنه يقيناً وأخبرنا عنه بعض من عرف باطن أمورهم أنه كان يرى الدار دار كفر مباحـة دمـاؤهم وأمـوالهم إلا أصحابه فقط وصح عندنا عنه أنه كان يقول بنكـاح المتعـة وهذا لا يقدح إيمانه ولا في عدالته لو قال ه مجتهداً ولم تقـم عليه الحجة بنسخه لو سلم من الكفرات الصلع التـي ذكرنـا وإنما ذكرنا عنه ما جرى لنا من ذكره ولغرابة هـذا القـول اليوم وقلة القائلين به من الناس ورأيت لأبـي هاشـم عبـد السلام ابن محمد بن عبد الوهاب الجنائي كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بأن تعالى أحوالاً مختصة به وهذه عظيمـة جداً إذ جعله حاملاً للأعراض تعالى ا عـن هـذا الأفـك ورأيت له القطع في كتبه كثيراً يردد القول بأنه يجب علـى

ا أن يزيح علل العباد في كل ما أمرهم به ولا يزال يقـول في كتبه أن أمر كذا لم يزل واجباً على ا .

قال أبو محمد: وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن ليت شعري من الموجب ذلك على ا تعالى والحاكم عليـه بذلك والملزم له ما ذكر هذا النذل لزومـه للبـاري تعـالى ووجوبه عليه فيا لمن قال أن الفعل أوجب ذلك علـى ا تعالى أو ذكر شيئاً دونه تعالى ليصرحن بأن ا تعالى متعبد للذي أوجب عليه ما أوجب محكوم عليه مدبر وأنـه للكفـر الصراح ولئن قال أنه تعالى هو الذي أوجب ذلك على نفسـه فالإيجاب فعل فاعل لا شك فإن كان ا لم يزل موجباً ذلـك على نفسه فلم يزل فاعلاً فالأفعال قديمة ولا بد لم تزل وهذه دهرية محضة وإن كان تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يكن موجباً له فقد بطل انتفاعه بهذا القول في أصله الفاسد لأنه قد كان تعالى غير واجب عليه ما ذكر ورأيت لـبعض المعتزلة سوء الأسائل عنه أبا هاشم المذكور يقول فيه ما بال كل من بعثه النبي صلى ا عليه وسلم داعياً إلى الإسلام إلى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو إلى مثل ذلك إلى يوم البعث لا يسمى رسول ا كما سـمى

محمد عليه السلام إذ أمره الملك عن ا عز وجل بالـدعاء إلى الإسلام والأمر واحد والعمل سواء.

قال أبو محمد: فأعجبوا لتلاعب إبليس بهذه الفرقـة الملعونة وسلوا ا العافية من أن يكلكم إلى أنفسكم فحق لمن دينه أن ربه لا يقدر على أن يهديه ولا علـى أن يضـله إن يتمكن الشيطان منه هذا التمكن ولعمري أن هذا السؤال لقـد لزم أصل المعتزلة المضل لهم ولمن التزمه والمورد لجميعهم نار جهنم وهو قولهم أن التسمية موكولة إلينا لا إلا ا عـز وجل ورأيت لهذا الكافر أبي هاشم كلاماً رد فيه بزعمه على من يقول أنه ليس لأحد أن يسمي ا عز وجل إلا بما سـبى به نفسه ف قال هذا النذل لو كان هذا ولـم يجـز لأحـد أن يسمي ا تعالى عز وجل إلا بما سمى به نفسه لكان غيـر جائز أن يسمي نفسه باسم حتى يسميه به غيره.

قال أبو محمد: فهل يأتي الممرور بأقبح مـن هـذا الاستدلال وهل في التسمية أكثر من هذا ولكن من يضلل ا فلا هادي له ونعوذ با من أن يكلنا إلى أنفسنا طرفة عـين فنهلك وكان أبو هاشم أيضاً يقول أنه لو طال عمـر المسـلم

المحسن لجاز أن يعمل من الحسنات والخير أكثر مما عمـل النبي صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: لا وا ولا كرامة ولو عمـر أحـدنا الدهر كله في طاعات متصلة ما وازى عمل أمرء صـحب النبي صلى ا عليه وسلم مـن غيـر المنـافقين والكفـار المجاهرين ساعة واحدة فما فوقها مع قوله صلى ا عليـه وسلم أنه لو كان لأحدثنا مثل أحد ذهباً فأنفقه مـا بلـغ مـد أحدهم ولا نصيفه فمتى يطمع ذو عقل أن يدرك أحـداً مـن الصحابة مع هذا البون الممتنع إدراكه قطعاً وكان أبو هاشـم المذكور يقول أنه لا يقبل توبة أحد من ذنب عمله أي ذنـب كان حتى يتوب من جميع الذنوب.

قال أبو محمد: وحقاً أقول لقد طرد أصل المعتزلـة الذي أطبقوا عليه من إخراج المرء عن الإسلام جملة بـذنب واحد عمله يصر عليه وإيجابهم الخلود في النار عليه بـذلك الذنب وحده فلو كان هذا لكان أبو هاشم صادقاً إذ لا منفعة له عندهم في تركه كل ذنب وهو بذنب واحد يصر عليه خارج عن الإيمان مخلد بين أطباق النيران وما ينكر هذا عليه مـن المعتزلة إلا جاهل بأصولهم أو عامد للتناقض وكان يقول إن

تارك الصلاة وتارك الزكاة عامداً لكل ذلك لم يفعل شيئاً ولا أذنب ولا عصي وأنه مخلد بين أطباق النيران أبداً على غير فعل فعله ولا على شيء ارتكبه.

قال أبو محمد: فهل في التجوير على أصولهم وهل في مخالفة الإسلام جهاراً أكثر من هذا القول السخيف وكأن الذي حمله على قوله هذا قوله أنه ترك الفعل ليس فعلاً وجميع المعتزلة إلا هشام بن عمرو الفوطي يزعمون أن المعدومات أشياء على الحقيقة وأنها لم تزل وأنها لا نهاية لها.

قال أبو محمد: وهذه دهرية بلا مطل وأشياء لا نهاية لها لم تزل غير مخلوقة وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من أكابر المعتزلة ببغداد ممن يقول أن الأجسام المعدومة لم تزل أجساماً بلا نهاية لها لا في عدد ولا في زمان غير مخلوقة و قال أبو محمد عبد ا الاسكافي أحد رؤساء المعتزلة أن ا تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف.

قال أبو محمد: كان من تمام هذا الكفر أن يقول أن ا لم يخلق الخمر ولا الخنازير ولا مردة الشياطين و قال

ت المعتزلة بأسرها حاشا بشر بن المعتمـر وضـرار ابـن عمرو أنه لا يحل لأحد تمني الشهادة ولا أن يريـدها ولا أن يرضاها لأنها تغليب كافر على مسلم وإنما يجب على المسلم قال أبو محمد: وهذا خلاف دين الإسلام والقـرآن والسـنن والإجماع المتقين و قال وا كلهم حاشا ضراراً وبشراً أن ا لم يمت رسولاً ولا نبياً ولا صاحب نبي ولا أمهات المؤمنين وهو يدري أنهم لو عاشوا فعلوا خيراً لكن أمات كـل مـن أمات منهم إذ علم أنه لو أبقاه طرفة عين لكفر أو فسـق ولا بد هذا قولهم في أبي بكر وعمر وعلي وفاطمة بنت رسـول ا صلى ا عليه وسلم وعائشة وخديجة نعم وفي رسول ا صلى ا عليه وسلم وموسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام فأعجبوا لهذه الضلالات الوحشية وكان الجعـد وهـو مـن شيوخهم يقول إذا كان الجماع يتولد منه الولد فأنـا صـانع ولدي ومدبره وفاعله لا فاعل له غيري وإنما ي قـال إن ا خلقه مجازاً لا حقيقة فأخذ أبو علي محمد بن عبـد الوهـاب الجبائي الطرف الثاني من الكفر ف قال إن ا تعالى خلـق الحبل والموت وكل من فعل شيئاً فهو منسوب إليه فـإن ا تعالى هو محبل النساء وهو أحبل مريم بنت عمران.

قال أبو محمد: يلزم ولا بد إذا كان أولادنا خلقـاً عز وجل أن يضيفهم إليه فيقول هم أبناء ا والمسيح ابن ا ولا بد و قال أبو عمر وأحمد بن موسى بن احدير صـاحب السكة وهو من شيوخ المعتزلة في بعض رسائله التي جرت بينه وبين القاضي منذر بن سعيد رحمـه ا أن ا عاقـل وأطلق عليه هذا الاسم و قال بعض شيوخ المعتزلة أن العبد إذا عصى ا عز وجل طبع على قلبه فيصير غير مـأمور ولا منهي وأما حماقاتهم فإن أبا الهذيل العلاف قال من سرق خمسة دراهم أو قيمتها فهو فاس منسلخ من الإسلام مخلد أبداً في النيران إلا أن يتوب و قال بشر بن المعتمر أن من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا إثم عليه ولا وعيد فـإن سـرق عشرة دراهم خرج عن الإسلام ووجب عليه الخلـود إلا أن يتوب و قال النظام إن سرق مأتي درهم غير حبة فـلا إثـم عليه ولا وعيد وإن سرق مأتي درهم خرج عـن الإسـلام ولزمه الخلود إلا أن يتوب و قال أبو بكر أحمد بن علي بـن أحور بن الأخشيد وهو أحد رؤسائهم الثلاثة الـذين انتهـت رياستهم إليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثاني مـنهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبد ا بن محمـد بـن محمـود

البلخي المعروف بالكعبي وكان والد أحمد بن علي المـذكور أحد قواد الفراعنة وولي الثغور للمعتضد وللمكتفي فكان من قول أحمد المذكور أن من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكـذا أبداً متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فما دونه إلا أنه ندم أثر فعله له فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب أبـداً وهكذا أبداً متى عاد لذلك الذنب أو لغيره.

قال أبو محمد: هذا قول لم يبلغه جمـاهير المرجئـة وهو مع ذلك يدعي القول بإنفاذ الوعد والوعيد وما على أديم الأرض مسلم لا يندم على ذنبه و قال عبد الرحمن تلميذ أبي الهذيل أن الحجة لا تقوم في الأخبار إلا بنقل خمسة يكـون فيهم ولي لا أعرفه بعينه وعن كل واحد من أولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا أبداً و قال صالح تلميذ النظام أن من رأى رؤيا أنه بالهند أو أنه قتل أو أنه أي شيء رأى فإنه حق يقين كما رأى كما لو كان ذلك في اليقظة و قال عباد بن سـليمان الحواس سبع و قال النظام الألوان جسم وقد يكون جسـمان في مكان واحد وكان النظام يقول لا نعرف الأجسام بالأخبار أصلاً لكن كل من رأى جسماً سواء كان المرئـي إنسـاناً أو غير إنسان فإن الناظر إليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسـم

الرائي ثم كل من أخبره ذلك الرائي عن ذلك الجسـم فـإن المخبر أيضاً أخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا أبداً.

قال أبو محمد: وهذه قصة لولا أننا وجدناها عنه من طريق تلامذته المعظمين له ذكروها في كتـبهم عنـه مـا عرفناهم على ذي مسكة من عقل فألزمه خصومه على هـذا أن قطعاً من جبريل وميكائيل ومن النبي صلى ا عليه وسلم ومن موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام في نار جهنم وأن قطعاً من فرعون وإبليس وأبي لهب وأبي جهل فـي الجنـة وكان يزعم أنه لا سكون في شيء من العالم أصلاً وأن كـل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلا شك وكان معمـر يزعم أنه لا حركة في شيء من العالم وأن كل مـا يسـميه الناس حركة فهو سكون وكان عباد بن سليمان يقول أن الأمة إذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ إلـى إمـام يسوسها ويدبرها وإن عصت وفجرت وظلمت استغنت عـن الإمام وكان أبو الهذيل يقول أن الإنسان لا يفعل شـيئاً فـي حال استطاعته وإنما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابهـا فألزمـه خصومه أن الإنسان إنما يفعل إذا لم يكن مستطيعاً وأمـا إذا كان مستطيعاً فلا وإن الميت يفعل كل فعل في العالم.

قال أبو محمد: وحماقاتهم أكثر من ذلك نعوذ با من الخذلان.

شنع المرجئية

قال أبو محمد: غلاة المرجئيـة طائفتـان إحـداهما الطائفة القائلة بأن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند ا عز وجل ولي له عز وجل من أهل الجنة وهذا قول محمد ابن كـرام السجسـتاني وأصـحابه وهـو بخراسان وبيت المقدس والثانية الطائفة القائلة أن الإيمان عقد بالقلب ون أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لـزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مـؤمن كامـل الإيمان عند ا عز وجل ولي عز وجل من أهل الجنـة وهذا قول أبي محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي أيام قيامه على نصر بن سيار بخراسان وقول أبي الحسن علي بن إسماعيل بـن أبي اليسر الأشعري البصري وأصـحابهما فأمـا الجهميـة فبخراسان وأما الأشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ثم قامت لـه سوق بصقلية والقيروان والأندلس ثم رق أمرهم والحمـد

رب العالمين فمن فضايح الجهمية وشنعهم قولهم بأن علم ا
تعالى محدث مخلوق وأنه تعالى لم يكن يعلم شيئاً حتى أحدث
لنفسه علماً علم به وكذلك قولهم في القدرة و قال أيضـاً أن
الجنة والنار يفنيان ويفنى كل من فيهما وهذا خلاف القرآن
والثابت عن رسول ا صلى ا عليه وسلم وخلاف إجمـاع
أهل الإسلام والمتيقن و قـال بعـض الكراميـة المنـافقون
مؤمنون من أهل الجنة وقد أطلق ذلك بالمريـة محمـد بـن
عيسى الصوفي الألبيري وكانت الفاظه تدل على أنه يـذهب
مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكاً مـتقللاً مـن الـدنيا
واعظاً مفوهاً مهذاراً قليل الصواب كثير الخطأ رأيته مـرة
وسمعته يقول إن النبي صلى ا عليه وسلم كـان لا يلزمـه
زكاة مال لأنه اختار أن يكون نبياً عبداً والعبد لا زكاة عليـه
ولذلك لم يروث ولا ورث فأمسكت عن معارضته لأن العامة
كانت تحضره فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل ولـم يكـن
معي أحد إلا يحيى بن عبد الكثير بن وافد كنت أتيت أنا وهو
معي متنكرين لنسمع كلامه وبلغتني عنه شنع منهـا القـول
بحلول ا فميا شاء من خلقه أخبرني عنه بهذا أبـو أحمـد
الفقيه المعافري عن أبي علي المقري وكان على بنت محمـد

بن عيسى المذكور وغير هذا أيضاً ونعوذ با من الضلال و قال ت طائفة من الكرامية المنافقون مؤمنون مشركون مـن أهل النار و قال ت طائفة منهم أيضاً من آمن بـا وكفـر بالنبي صلى ا عليه وسلم فهو مؤمن كافر معاً ليس مؤمنـاً على الإطلاق ولا كافراً إلى الإطلاق و قـال مقاتـل ابـن سليمان وكان من كبار المرجئة لا يضر مع الإيمـان سـيئة جلت أو قلت أصلاً ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلاً وكـان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد وكان يخالفه في التجسيم كان جهم يقول ليس ا تعالى شيئاً ولا هو أيضـاً لا شيء لأنه تعالى خالق كل شيء فلا شيء إلا مخلوق وكـان مقاتل يقول إن ا جسم ولحم ودم على صورة الإنسان و قال ت الكرامية الأنبياء يجوز منهم كبائر المعاصي كلها حاشـا الكذب في البلاغ فقط فإنهم معصومون منه وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤوس الأشعرية أن فيهم من يقول أيضاً أن الكذب في البلاغ أيضاً جائز من الأنبياء والرسـول عليهم السلام.

قال أبو محمد: وكل هذا كفر محض وذكـر عـنهم محمد بن الحسن بن فورك الأشعري أنهـم يقولـون أن ا

تعالى يفعل كما يفعل في ذاته وأنه لا يقدر على إفناء خلقـه كله حتى يبقى وحده كما كان قبل أن يخلق و قال وا أيضاً أن كلام ا تعالى أصوات وحروف هجاء مجتمعة كلها أبداً لـم تزل ولا تزال و قال وا أيضاً لا يقدر ا على غير ما فعل و قال وا أيضاً أنه متحرك أبيض اللون وذكـر عـنهم أنهـم يقولون أنه تعالى لا يقدر على إعادة الأجسام بعد بلائها لكن يقدر على أن يخلق مثلها ومن حماقاتها أنهم يجيزون كـون إمامين وأكثر في وقت واحد وأما الأشـعرية ف قـال وا أن شتم من أظهر الإسلام تعالى ولرسوله بأفحش ما يكـون من الشتم وإعلان التكذيب بهما باللسان بلا تقيـة ولا حكايـة والإقرار بأنه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفرا ثم خشـوا مبادرة جميع أهل الإسلام لهم ف قال وا لكنه دليل علـى أن في قلبه كفراً فقلنا لهم وتقطعون بصحة مـا دل عليـه هـذا الدليل ف قال وا لا و قال ت الأشعرية أن إبليس قد فكر ثـم أعلن بعصيان ا تعالى في السجود لآدم عليه السـلام فـإن إبليس من حينئذ لم يعرف أن ا تعالى حقاً ولا أنه خلقه من نار ولا أنه خلق آدم من تراب وطين ولا عرف أن ا أمره بالسجود لآدم بعدها قط ولا عرف بعد هذا قط أن ا كـرم

آدم ومن قولهم بأجمعهم أن إبليس لم يسأل ا قط أن ينظره إلى يوم البعث فقلنا لهم ويلكم إن هذا تكذيب عـز وجـل ولرسوله صلى ا عليه وسلم ورد للقرآن قـال وا لنـا إن إبليس إنما قال كل ذلك هازئاً مستهزئاً بلا معرفة ولا اعتقاد كان هذا أشنع كفر وأبرده بعد كفر الغالية من الرافضة و قال وا إن إبليس لم يكفر بمعصيته ا في ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم أنا خير منه وإنما كفر بجحد تعالى كان في قلبه.

قال أبو محمد: هذا خلاف للقرآن وتكهن لا يعـرف صحته إلا من حدثه به إبليس عن نفسه على أن الشيخ غيـر ثقة فيما يحدث به و قال ت الأشعرية أيضاً أن فرعـون لـم يعرف قط أن موسى إنما جاء بتلك الآيات من عند ا حقـاً وأن اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد النبي صـلى ا عليه وسلم لم يعرفوا قط أن محمد رسول ا صلى ا عليه وسلم حقاً ولا عرفوا أنه مكتوب في التوراة والإنجيـل وأن من عرف ذلك منهم وكتمه وتمـادى علـى إعـلان الكفـر ومحاربة النبي صلى ا عليه وسلم بخيبر ومن بني قريظـة وغيرهم فإنهم كانوا مؤمنين عند ا عز وجل أولياء مـن

أهل الجنة فقلنا لهم ويلكم هذا تكذيب عز وجل إذ يقول " يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل " و " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم " و " فإنهم لا يكذبونك " ف قال وا لنا معنى أنهم وجدوا خطاً مكتوباً عندهم لم يفهموا معناه ولا دروا مـا هو ونعم عرفوا صورته فقط ودروا أنه محمد بن عبد ا بن عبد المطلب كما يعرف الإنسان جاره فقط فكان هـذا كفـراً بارداً أو تحريفاً لكلام ا تعالى عن مواضعه ومكابرة سمجة وحماقة ودفعاً للضرورة وقد تقصينا الرد على أهل هذه الـم قال ة الملعونة في كتاب لنا رسمه كتاب اليقين في الـنقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكـافرين تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من أهل القيـروان اسـمه عطاف بن دوتاس في كتاب ألفه في نصر هذه الـم قـال ة وكان لشيخهم الأشعري في إعجاز القرآن قولان أحدهما كما يقول المسلمون أنه معجز النظم والآخر إنما هو المعجز الذي لم يفارق ا عز وجل قط والذي لم يزل غير مخلـوق ولا نزل إلينا ولا سمعناه قط ولا سمعه جبريل ولا محمد عليهما السلام قط وأما الذي يقرأ في المصـاحف ونسـمعه فلـيس معجزاً بل مقدوراً على مثله وهذا كفر صحيح وخـلاف ا

تعالى ولجميع أهل الإسلام و قال كبيرهم وهو محمـد بـن الطيب الباقلاني أن تعالى خمسة عشر صفة كلها قديمة لم تزل مع ا تعالى كلها غير ا وخـلاف ا تعـالى وكـل واحدة منهن غير الأخرى منهن وخـلاف لسـائرها وإن ا تعالى غيرهن وخلافهن.

قال أبو محمد: هذا وا أعظم من قـول النصـارى وأدخل في الكفر والشرك لأن النصارى لم يجعلـوا مـع ا تعالى إلا اثنين هو ثالثهما وهؤلاء جعلوا معه تعالى خمسـة عشر هو السادس عشر لهم وقد صرح الأشعري في كتابـه المعروف بالمجالس بأن مع ا تعالى أشياء سواه لم تزل كما لم يزل.

قال أبو محمد: وهذا إبطال التوحيد علانيـة وإنمـا حملهم على هذا الضلال ظنهم أن ثبات علم ا تعالى وقدرته وعزته وكلامه لا يثبت إلا بهذه الطريقة المعلونة ومعـاذ ا من هذا بل كل ذلك حق لم يزل غير مخلوق ليس شيء مـن ذلك غير ا تعالى ولا ي قال في شيء من ذلـك هـو ا تعالى لأن هذه تسمية له عز وجل وتسميته لا تجوز إلا بنص وقد تقصينا الكلام في هذا في صدر ديواننا هذا والحمـد

رب العالمين وإنما جعلنا هاهنا شنع أهل البدع تنفيراً عـنهم وإيحاشا للأغمار من المسلمين من الأنس بهم ومـن حسـن الظن بكلامهم الفاسد ولقد قلت لبعضهم إذا قلـتم أن مـع ا تعالى خمسة عشر صفة كلها غيره وكلها لم تزل فما الـذي أنكرتم على النصارى إذ قال وا أن ا ثالث ثلاثة ف قال لي إنما أنكرنا عليهم إذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معـه أكثر ولقد قال لي بعضهم اسم ا تعالى وهو قولنا ا عبارة تقع على ذات الباري وجميع صفاته لا على ذاته دون صفاته فقلت له أتعبد ا أم لا ف قال لي نعم فقلت له فإنما تعبد إذاً بإقرارك الخالق وغيره معه فيكفيك فنفر نفرة و قال معاذ ا من هذا ما أعبد إلا الخالق وحده فقت لـه فإنمـا تعبـد إذاً بإقرارك بعض ما يسمى به ا فنفر أخرى و قال معـاذ ا من هذا وأنا واقف في هذه المسألة و قال شيخ لهم قديم وهو عبد ا بن سعيد بن كلاب البصري أن صـفات ا تعـالى ليست باقية ولا فانية ولا قديمة ولا حديثة لكنها لم تزل غير مخلوقة هذا مع تصريحه بأن ا قديم باق ومـن حماقـات الأشعرية قولهم أن للناس أحوالاً ومعـاني لا معدومـة ولا موجودة ولا معلومة ولا مجهولـة ولا مخلوقـة ولا غيـر

مخلوقة ولا أزلية ولا محدثة ولا حق ولا باطل وهي علـم
العالم بأن له علماً ووجود الواجد لوجوده كلما يجد هذا أمـر
سمعناه منهم نصاً رأيناه في كتبهم فهل في الرعونة أكثر من
هذا وهل يمكن الموسوس والمبرسم أن يأتي بأكثر من هـذا
ولقد حاورني سليمان بن خلف الباجي كبيـرهم فـي هـذه
المسألة في مجلس حافل فقلت له هذا كما تقول العامة عنـدنا
عنب لا من كرم ولا من دالية ومن هوسهم قولهم أن الحـق
غير الحقيقة ولا ندري في أي لغة وجدوا هـذا أم فـي أي
شرع وارد أم في أي طبيعة ظفروا به ف قال وا أن الكفـر
حقيقة وليس بحق وقلنا كلا بل وجوده عن حقيقـة ومعنـاه
باطل لا حق ولا حقيقة و قال وا كلهم إن ا حامل لصـفاته
في ذاته هذا نص قول أبي جعفر السمناني المكفوف قاضـي
الموصل وهو أكبر أصحاب الباقلاني ومقدم الأشـعرية فـي
وقتنا هذا و قال هذا السمناني أيضاً من سمي ا تعالى جسماً
من أجل أنه حامل لصفاته في ذاته فقد أصاب المعنى وأخطأ
في التسمية فقط و قال هذا السمناني أن ا تعـالى مشـارك
للعالم في الوجود وفي قيامه بنفسه كقيام الجواهر والأجسـام
وفي أنه ذو صفات قائمة به موجودة بذاته كما ثبت ذلك فيما

هو موصوف بهذه الصفات من جملة أجسام العالم وجواهره هذا نص كلام السمناني حرفاً حرفاً.

قال أبو محمد: ما أعلم أحداً من غلاة المشبهة أقـدم على أن يطلق ما أطلق هذا المبتدع الجاهل الملحد المتهـور من أن الله تعالى مشارك للعالم حاشا لله مـن هـذا و قـال السمناني عن شيوخه من الأشعرية أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورته إنما هـو علـى صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار وإجمـاع صـفات الكمال فيه وأسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه وجعل لـه الأمر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى كل ذلك.

قال أبو محمد: هذا نص كلامه حرفاً حرفاً وهذا كفر صريح وشرك بواح إذ صرح بأن آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما فالله تعالى وآدم عنـده مـثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال فيهما ثم لم يقنـع بهـذه السوءة حتى صرح بأن سجود الملائكـة لآدم كسـجودهم لله عز وجل وحاشا لله من هذا لأن سجود الملائكـة لله تعـالى سجود عبادة وديانة لخالقهم وسـجودهم لآدم سـجود سـلام وتحية وتشريف منهم لآدم ﷺ وإكرام له بذلك كسجود يعقـوب

لابنه يوسف عليهما السلام فقط ثم زاد اللعين كفراً على كفر بنصه أن ا تعالى جعل له الأمر والنهي على ذريتـه كمـا كان تعالى ذلك وهذا شرك لا خفاء به كشرك النصـارى في المسيح ولا فرق ونسأل ا تعالى العافية و قـال هـذا السمناني أن مذهب شيوخه أنهم لا يقولون أن الأمر بالشيء دال على كونه مراداً للآمر قديماً كان أو محـدثاً ولا يـدل النهي على كونه مكروهاً هذا نص كلامـه وهـذا خـلاف الإسلام والإجماع والمعقول وتصريح بأن ا تعالى إذ أمـر بالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد وشـهادة الإسـلام فليس في ذلك دليل على أنه يريد شيئاً من ذلك وإذ نهى عن الكفر والزنا والبغي والسرقة وقتل النفس ظلماً فلـيس ذلـك دليلاً على أنه يكره شيئاً من ذلك وما في الأقوال انتين مـن هذا القول و قال هذا السمناني أنه لا يصح القول بأن علم ا تعالى مخالف للعلوم كلها ولا أن قدرته مخالفة للقـدر كلهـا لأنها كلها داخلة تحت قولنا ووصفنا للقدر والعلوم هذا نـص كلامه وهذا بيان بأن دينهم أن علم ا تعالى وقدرته من نوع علمنا وقدرتنا وإذ الأمر كذلك عنده فعلمنا وقدرتنا عرضـان فينا مخلوقان فوجب ضرورة أن علـم ا تعـالى وقدرتـه

عرضان في ا مخلوقان إذ من الممتنع وقوع ما لم يزل مع المحدث المخلوق تحت حد واحد ونوع واحد ونـص هـذا السمناني ومحمد بن الحسن بن فورك في صدر كلامه فـي كتاب الأصول أن الحدود لا تختلف في قديم ولا محدث قال وا ذلك في كلامهم في علم ا تعالى في تحديدهم لمعنى العلم بصفة يقع تحتها علم ا تعالى وعلوم الناس وهذا نص منهم على أن ا تعالى محدود واقع معنا تحت الحدود وهو علمه وقدرته وهو شر من قول جهم شيخهم في الحقيقة وأبين من قول كل مشبه في الأرض ونص هذا السمناني على أن العالم والقادر والمريد من ا تعالى وخلقه إنما كان محتاجـاً إلـى هذه الصفات لكونه موصوفاً بها لا لجوازها عليه هذا نـص كلامه وهذا تصريح منهم بلا تكلف ولا تأويل بأن ا تعالى عن كفر هذا الأرعن محتاج إلى الصفات وهذا كفر ما يدري أن أحداً بلغه ونص هذا السمناني أيضاً على أن ا تعالى لما كان حياً عالماً كان موصوفاً بالحياة والعلم والقـدرة والإرادة حتى لا يختلف الحال في ذلك في الشاهد والغائب هذا نـص كلامه وهذا تصريح منه على أن ا تعالى حالا لـم يخالفـه فيها خلقه بل هو وهم فيها سواء ونصهذا السمناني على أنـه

إذا كانت الصفات الواجبة تعالى في كونه عالماً قـادراً لا يغني وجوبها له عن ما هو مصحح لها من الحياة فيه كما لا يوجب غناه عما يوجب كونه عالماً قادراً عن القدرة والعلم.

قال أبو محمد: هذا نص جلي على أن ا تعالى غير غني عن شيء هو غيره لأن الصفات عندهم هي غيره تعالى وا تعالى عندهم غير غني عنها تعالى ا وإذا لم يكن غنياً عنها فهو فقير إليها هكذا قال ت اليهود أن ا فقير تعالى ا عن هذا بل هو الغني جملة عما سواه وكل من دونه فقير إليه تعالى و قال السمناني إن قال قائل لم أنكـرتم أن يكـون ا مريداً لنفسه حسب ما قال ه النجار والجاحظ قيل له أنكرنـا ذلك لما قدمنا ذكره من أن الواحد من الخلق مريد بإرادة ولا يخلو أن يكون حقيقة المريد من له الإرادة أو كونـه مريـداً وجود الإرادة له وأي الأمرين كان وجبت مسـاواة الغائـب الشاهد في هذا الباب.

قال أبو محمد: وهذا نص جلـي علـى مسـاواة ا تعالى لخلقه عند هذا الجاهل وهذا أعظم في الكفر من قـول كل مجسم لأن جميع المجسمين لم يقدم أحد منهم قـط علـى القول بأن ا تعالى مساو لخلقه قبل هذه الفرقة الملعونة ثـم

العجب قطعهم بأن ا عز وجل غائب غير شاهد وحاشا ا عن هذا بل هو معنا وهو أقرب إلينا من حبل الوريد كما قال عز وجل أنه حاضر في العقول غير غائب و قال البـاقلاني ما وجد في ا تعالى من التسميات فإنه يجوز إطلاقها عليـه وإن لم يسم بذلك نفسه ما لم يرد شرع يمنع من ذلك.

قال أبو محمد: هذا نص منه على أن هاهنا معـاني توجد في ا تعالى مع الإلحاد في أسمائه إذ جاز تسميته بما لم يسم به عز وجل نفسه تعالى ا عن هذا علواً كبيراً و قال وا كلهم أن ا تعالى ليس له إلا كلام واحد وليس له كلمات كثيرة.

قال أبو محمد: هذا كفر مجرد لخلافه القرآن وتكذيب عز وجل في قوله " قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربـي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً " وإذ يقول تعالى " ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحـر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات ا " مع أن قولهم ليس تعالى إلا كلام واحد قول أحمق لا يعقل ولا يقوم به برهان شرعي ولا تشكل في هاجس ولا يوجبه عقل إنما هو هذيان محض وي قال لهم لا يخلو القرآن عندهم من أنه كلام

ا تعالى أو ليس هو كلام ا تعالى فإن قال وا لـيس هـو كلام ا تعالى كفروا من قرب وكفى ا تعالى مـؤنتهم وإن قال وا هو كلام ا تعالى فالقرآن مائة سورة وأربعة عشـر سورة فيها ستة آلاف آية ونيف كل سورة منها عنـد أهـل الإسلام غير الأخرى وكل آية غير الأخرى فكيـف يقـول هؤلاء النوكى أنه ليس تعالى إلا كلام واحد أما هذا مـن الكفر البارد والقحة السمجة ونعوذ با من الضلال و قال وا كلهم إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد عليـه الصلاة والسلام وإنما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عـن كلام ا وأن القرآن ليس عندنا البتة إلا على هذا المجاز وإن الذي نرى في المصاحف ونسمع من القراء ونقرأ في الصلاة ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ولا شيء منه كلام ا البتة بل شيء آخر وإن كلام ا تعالى لا يفارق ذات ا عز وجل.

قال أبو محمد: وهذا من أعظم الكفر لأن ا تعـالى قال " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " و قال تعـالى " نزل به الروح الأمين على قلبك " و قال تعالى " فأجره حتى يسمع كلام ا " و قال تعالى " بل هو آيات بينات في صدور

الذين أوتوا العلم " و قال رسول ا صلى ا عليه وسلم إني أحب أن أسمعه من غيري يعني القرآن و قال عليه السـلام الذي يقرأ القرآن مع السفرة الكرام البررة ونهيه صـلى ا عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو إلـى إجمـاع عامة المسلمين وخاصتهم وجاهلهم وعالمهم على القول حفظ فلان القرآن وقرأ فلان القرآن وكتب فلان القرآن إلى آخـر قل أعوذ برب الناس و قال السـمناني أيضـاً أن البـاقلاني وشيوخه قال وا أن النبي صلى ا عليه وسلم إنمـا أطلـق القول بأن ما أنزل ا هو القرآن وهو كلام ا تعالى إنما هو على معنى قال أبو محمد: وي قال لهم أخبرونا عن قولكم أن الكتاب في المصحف والقراءة المسموعة في المحارب كـل ذلك عبارة عن القرآن ماذا تعنون بذلك وهذا هذا مـنكم إلا تمويه ضعيف وهل كل ما في المصـحف إلا عبـارة عـن معانيه التي أرادها ا تعالى في شرع دينـه مـن الصـلاة والصيام والإيمان وغير ذلك وأخبار الأمم السـالفة وصـفة الجنة والنار والبعث وغير ذلك مما لا يختلـف مـن أهـل الإسلام أحد في أن المعبر عنه بذلك الكلام ليس هو كلام ا أصلاً لأن ذات الجنة وذات النار وحركات المصلي وعمـل

الحاج وعمل الصائم وأجسام عاد وأشخاص ثمود ليس شيء من ذلك كلام ا تعالى ولا قرآناً فثبت أن ليس هو القـرآن ولا هو كلام ا إلا العبارة المسموعة فقط والكلام المقـروء والخط المكتوب في المصحف بلا شك إذ لم يبق غير ذلك أو الكفر وتكذيب ا تعالى وتكذيب رسول ا صلى ا عليـه وسلم في أن القرآن أنزل عليه وأننا نسمع كلام ا فأوهمتهم الضعفاء أن الذي هو كلام ا والقرآن عنـد جميـع أهـل الإسلام ليس هو القرآن ولا هو كـلام ا ثـم أوهمتمـوهم باستخفافكم أن حركات المتحركين وذات الجنة وذات النـار هي كلام ا تعالى وهي القرآن فهل في الضلال والسـخرية بضعفة المسلمين والهزء بآيات ا تعالى أكثر من هذا ولقـد أخبرني علي بن حمزة المراوي الصقلي الصوفي أنـه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله قال فـأكبرت ذلـك وقلت له ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام ا تعـالى ف قال لي ويلك وا ما فيه إلا السخام والسواد وأما كلام ا فلا ونحو هذا من القول الذي هذا معناه وكتـب إلـي أبـو المرجي بن رزوار المصري أن بعض ثقاة أهل مصر أخبره

من طلاب السنن أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهة على من يقول أن ا قال قل هو أحد ا الصمد ألف لعنة.

قال أبو محمد: بل على من يقول إن ا عز ول لـم يقلها ألف ألف لعنة تترى وعلى من ينكر أننا نسمع كلام ا ونقرأ كلام ا ونحفظ كلام ا ونكتب كلام ا ألـف ألـف لعنة تترى من ا عز وجل فإن قول هذه الفرقة فـي هـذه المسألة نهاية الكفر با عز وجل ومخالفة للقـرآن والنبـي صلى ا عليه وسلم ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة.

قال أبو محمد: و قال ت الأشعرية كلها أن ا عـز وجل لم يزل قائلاً لكل ما خلق أو يخلق في المستأنف كن إلا أن الأشياء لم تكن إلا حين كونها وهذا تكذيب منهم مكشوف عز وجل إذ يقول " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون " فبين ا تعالى أنه لا يقول للشيء كـن إلا إذا أراد تكوينه وأنه إذا قال له كن كان الشيء في الوقت بـلا مهلـة لأن هذا هو مقتضى الفاء في لغة العرب التي بها نزل القرآن فجمعوا إلى تكذيب ا عز وجل في خبريه جميعـاً إيجـاب أزلية العالم لأن ا تعالى إذا كان لم يزل قائلاً لما يكون كن

فإن التكوين لم يزل وهذه دهرية محضة ثم قال السمناني بعد أسطر لأنه لو وجب وجود ما وجد في الوقت الذي وجد فيه لأجل قول ا تعالى كن لوجب لأجل قول غيره له كـن لأن صفة الاقتضاء لا تختلف في ذلك بين القديم والمحدث.

قال أبو محمد: هذا نص كلام هذا الفاسـق الملحـد حرفاً حرفاً وهذا كفر محض وحماقة لا خفاء بها أما الكفـر فإبطاله أن وجود الأشياء في الأوقات التي وجدت فيها إنمـا وجدت لأجل قول ا تعالى لها كن وإيجابه أن الأشـياء لـم توجد في أحيان وجودها لقول ا تعالى لها كن وهذا تكذيب تعالى وصرف وخروج عن إجماع أهل الإسلام وكل من يصلي إلى القبلة قبلهم ومن الكفر الصريح أيضاً فـي هـذا الكلام الملعون قوله أن صفة الاقتضاء في ذلك لا تختلف بين القديم والمحدث فسوى بين ا تعالى وخلقه وأمـا الحماقـة فقوله لو وجدت الأشياء من أجل قول ا تعـالى لهـا كـن لوجب أن يوجد لأجل قول غيره لها كن فيا للمسـلمين هـل سمع في الحمق والرعونة وقلة الحياء أكثر من قـول مـن سوى بين قول ا عز وجل كن للشيء إذا أراد تكوينه وبين قول غيره من الناس كن وهذا أخبث من قول الدهرية ونعوذ

با من الضلال فلولا الخذلان ما انطلق بهذا النوك لسان من لا يقذف بالحجارة في الشوار وما شبهت بهذا الكلام إلا كلام النذل أبي هاشم الجبائي لو لم يجز لنا أن نسـمي ا تعـالى باسم حتى يأذن لنا في ذلك لوجب أن لا قال أبو محمد: وهذه أقوال لو قال ها صبيان يسيل مخاطهم لأيس مـن فلاحهـم وتبا لقد لعب الشيطان بهم كما شاء فإنا وإنا إليه راجعون و قال ت الأشعرية كلها إن ا لا يقدر على ظلم أحد البتـة ولا يقدر على الكذب ولا على قول أن المسيح ابن ا حتـى يقول قبل ذلك و قال ت النصارى وأنه لا يقدر على أن يقول عزير ابن ا حتى يقول قبل ذلك و قال ت اليهود وأنـه لا يقدر على أن يتخذ ولداً وأنه لا يقدر البتة على إظهار معجزة على يدي كذاب يدعي النبوة فإن ادعى الإلهية كان ا تعالى قادراً على إظهار المعجزات على يديه وأنه تعالى لا يقـدر على شيء من المحال ولا على إحالة الأمور عن حقائقها ولا على قلب الأجناس عن ماهيتها وأنه تعالى لا يقدر البتة على أن يقسم الجزء الذي لا يتجزأ ولا على أن يدعو أحـداً إلـى غير التوحيد هذا نص كلامهم وحقيقة معتقدهم فجعلوه تعالى عاجزاً متناهي القوة محدود القدرة يقدر مرة ولا يقدر أخرى

ويقدر على شيء ولا يقدر على آخر وهذه صفة النقص وهم مع هذا يقولون أن الساحر يقدر على قلب الأعيان وعلى أن يمسخ إنساناً فيجعله حماراً على الحقيقة وعلى المشـي فـي الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من ا تعالى.

قال أبو محمد: وخشوا مبادرة أهـل الإسـلام لهـم بالاصطلام فخنسوا عن أن يصرحروا بأن ا تعالى لا يقدر ف قال وا لا يوصف ا بالقدرة على شيء مما ذكرنا.

قال أبو محمد: ولا راحة لهم في هذا لأننا نقول لهـم ولم لا نصفه بالقدرة على ذلك ألأنه يقدر على شيء من ذلك ولا له قدرة على كل ذلك أم لأنه لا يقدر على كل ذلـك ولا له قدرة على شيء من ذلك ولا بد من أحـدهما بضـرورة العقل وهنا ضلت جبلتهم الضعيفة ولا بد لهم من القطع بأنـه لا يقدر وبأنه لا قدرة له على ذلك وإذ قـد صـرحوا بهـذا بالضرورة فأول العقل ومسموع اللغة كلاهما يوجبان أن من لا يقدر على شيء فهو عاجز عنه وأن من لا قدرة له علـى شيء فصفة العجز والضعف لاحقة به فلا بد لهم ضـرورة من إطلاق اسم العجز على ا تعالى ووصفه بأنـه عـاجز وهذا حقيقة مذهبهم يقيناً إلا أنهم يخافون البوار إن أظهروه و

قال هذا الباقلاني لا فرق بين النبي والساحر الكذاب المتنبي فيما يأتينا فيه إلا التحدي فقط وقول النبي لمن بحضرته هات من يعمل كعملي وهذا إبطال للنبوة مجرد و قـال البـاقلاني وابن فورك وأشياعهما من أهل الضلالة والجهالـة لـيس تعالى أسماء البتة وإنما له تعالى اسم واحد فقط ليس له اسـم غيره وأن قول ا تعالى " و الأسماء الحسنى فادعوه بهـا وذروا الذين يلحدون في أسـمائه " إنمـا أراد أن يقـول التسميات الحسنى فذروا الذين يلحدون في تسمياته ف قال الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال وا وكذلك قول رسول ا صلى ا عليـه وسـلم أن ا تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد إنما أراد أن يقول تسـعاً وتسعين قال أبو محمد: ما في البرهان على قلة الحياء وفساد الدين واستسهال الكذب أكثر من هذا وليـت شـعري مـن أخبرهم عن ا تعالى وعن رسول ا صلى ا عليه وسـلم بهذا الأفك ثم ليت شعري إذ زعمـوا أن ا تعـالى أراد أن يقول التسميات الحسنى ف قال الأسماء الحسنى لأي شـيء فعل ذلك اللكنة أم غفلة أم تعمد لا ضلال عبـاده ولا سـبيل وا إلى رابع فأعجبوا لعظيم ما حل بهؤلاء القوم من الدمار

والتبار والكذب على ا عز وجل جهاراً وعلى رسـول ا صلى ا عليه وسلم بلا رهبة ونعوذ با من الضلال مع أن هذا قول ما سبقهم إليه أحد و قال وا كلهم أن محمد بن عبـد ا بن عبد المطلب ليس هو رسول ا اليوم لكنه كان رسول ا .

قال أبو محمد: فكذبوا القرآن في قول ا عز وجل " محمد رسول ا " وكـذبوا الآذان وكـذبوا الإقامـة التـي افترضها ا تعالى خمس مرات كل يوم وليلـة علـى كـل جماعة من المسلمين وكذبوا دعوة جميع المسلمين التي اتفقوا على دعاء الكفار إليها وعلى أنه لا نجاة من النـار إلا بهـا وكذبوا جميع أعصار المسلمين من الصحابة فمن بعدهم فـي أطباق جميعهم برهم وفاجرهم على الإعلان بلا إلـه إلا ا محمد رسول ا ووجب على قولهم هذا الملعون أنه يكـذب المؤذنون والمقيمون ودعاة الإسلام في قولهم محمد رسـول ا وأن الواجبأن تقولوا محمد كان رسول ا وعلـى هـذه المسألة قتل الأمير محمود بن سبكتكين مولى أمير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه ا ابن فـورك شـيخ الأشـعرية

فأحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك وأشياعه وأتباعه.

قال أبو محمد: إنما حملهم على هذا الكفر الفاحش قول لهم آخر في نهاية الضلال والإنسلاخ من الإسلام وهي قولهم أن الأرواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين وأن روح كل واحد منا الآن هو غير روحه الذي كان له قبل ذلك بطرفة عين وأن كل واحد منا يبدل أزيد من ألف ألف روح في كل ساعة زمانية وأن النفس إنما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حاراً بعد دخوله بارداً وأن الإنسان إذا مات فني روحه وبطل وأنه ليس لمحمد ولا لأحد من الأنبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم ولا نفس قائمة تكرم وهذا خروج عن إجماع الإسلام فما قال بهذا أحد ممن ينتمي إلى الإسلام قبل أبي الهذيل العلاف ثم تلاه هؤلاء وهذا خلاف مجرد للقرآن وتكذيب لله عز وجل إذ يقول " أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون " وإذ يقول عز وجل " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون " و قال عز وجل " ولاَ تَحسبن الذِين قُتِلُواْ فِي سبِيل اللّهِ أَمواتًا بلْ أَحياء عِند ربهم يرزقُون فَرِحِين بِما آتَاهم اللّه مِن فَضلِهِ

ويستَبشِرون ِبِالذِين لَم يلْحقُواْ ِبِهم من خَلْفِهم َألا خَوفٌ علَيهم ولاَ هم يحزنُون " ولقوله تعالى " ا يتوفى الأنفـس حـين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضـى عليهـا الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " وخـلاف للسـنن الثابتة عن رسول ا صلى ا عليه وسلم المنقولـة نقـول التواتر من رؤيته صلى ا عليه وسلم الأنبياء عليهم السلام ليلة أسري به في السماء وما جرى له مع موسى عليه السلام في عدد الصلوات المفروضات وأن أرواح الشـهداء نسـمة تعلق في ثمار الجنة وما يلقى الروح عند خروجه من الفتنة والمسائلة وإخباره عليه السلام أنه رأى عن يمين آدم أسودة نسم بنيه من أهل الجنة وعن يساره اسودة نسم بنيه من أهل النار وسائر السنن المأثورة.

قال أبو محمد: ثم خجلوا من هذه العظيمة وتبرأ منهم إبليس الذي ورطهم فيها فشلوا ف قال وا في كتبهم فإن لـم يكن هذا فإن الروح تنتقل عند خروجها من الجسم إلى جسـم آخر هكذا نص الباقلاني في أحـد كتبـه وأظنـه الرسـالة المعروفة بالحرة وهذا مذهب التناسـخ بـلا كلفـة و قـال السمناني في كتابه أن الباقلاني وأصحابه قال وا أن كل مـا

جاء في الخبر من نقل أرواح الشهداء إلى حواصـل طيـر خضر وأن روح الميت ترد إليه في قبره وما جرى مجـرى ذلك من وصف الروح بالقرب والبعد والحركة والانت قال والسكون والعذاب فكل ذلك محمول على أقل جزء من أجزاء الميت والشهيد أو الكافر وإعادة الحياة في ذلك الجوء.

قال أبو محمد: وهذا طريق من الهوس جداً وتطايب بالدين ولقد أخبرني ثقة من أصحابي أنه سمع بعض مقدميهم يقول أن الروح إنما تبقى في عجب الذنب لقول رسـول ا صلى ا عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الأعجب الذنب منه خلق وفيه يركب.

قال أبو محمد: وهذا التأويل أقرب إلى الهـزل منـه إلى أقوال أهل الإسلام ونعوذ با من الخذلان فإنمـا هـذه ستائر دون مذهبهم الخبيث الذي ذكرنا آنفاً و قال وا كلهم أن النظر في دلائل الإسلام فرض وأنه لا يكون مسـلماً حتـى ينظر فيها وأن من شرط الناظر فيها أن يكون ولا بد شـاكا في ا عز وجل وفي صحة النبوة ولا يصح النظر في دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها.

قال أبو محمد: وا ما سمع سامع قط بادخـل فـي الكفر من قول من أوجب الشك في ا تعالى وفـي صـحة النبوة فرضاً على كل متعلم لا نجاة له إلا به ولا دين لأحـد دونه وأن اعتقاد صحة التوحيد   تعالى وصحة النبوة باطل لا يحل فحصل من كلامهم أن من لم يشك في ا تعالى ولا في صحة النبوة فهو كافر ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه وهذه فضيحة وحماقة اللهم إنا نبرأ إليك من هـذا القول ومن كل قائل به ثم لم يحدوا في أمد الاسـتدلال حـداً فليت شعري على هذا القول الملعون هو ومعتقده والـداعي إليه كيف يكون حال من قبل وصيتهم هذه التي هي وصـية الشيطان الرجيم فتبين بالشك في ا تعالى وفي النبوة وامتـد به أمد الاستدلال أياماً وأشهراً وساعات مات فيها أين مستقره ومصيره إلى النار وا خالداً مخلداً أبداً وبيقـين نـدري أن قائل هذه الأقوال مطالب للإسلام كائد له مرصد لأهله داعية إلى الكفر ونعوذ با من الضلال و قال وا كلهم أن إطعـام رسول ا صلى ا عليه وسلم المئين والعشرات من صـاع شعير مرة بعد مرة وسقيه الألف والألوف من ماء يسير ينبع من بين أصابعه وحنين الجذع ومجيء الشجرة وتكلم الذراع

وشكوى البعير ومجيء الذئب ليس شيء من ذلك دلالة على صدق رسول ا صلى ا عليه وسلم في نبوته لأنـه عليـه السلام لم يتحد الناس بذلك ولا يكون عندهم آية إلا ما تحدى به الكفار فقط وهذا تكذيب منهم للنبي صلى ا عليه وسـلم في قوله إذ فعل ذلك أشهد أني رسول ا وهذا أيضـاً قـول افتروه خالفوا فيه جميع أهل الإسلام و قال وا كلهـم لـيس لشيء من الأشياء نصف ولا ثلث ولا ربـع ولا سـدس ولا ثمن ولا عشر ولا بعض وأنه لا يجوز أن ي قال الفرد عشر العشرة ولا أنه بعض الخمسة وحجتهم في ذلك أنه لو جـاز أن ي قال ذلك لكان عشراً لنفسه وبعض نفسه.

قال أبو محمد: وهذا جهل شديد لأنه إنما هو بعـض من جملة يكون سائرها غيره وعشر جملة يكـون سـائرها غيره ونسوا أنفسهم ف قال وا بالجزء الذي لا يتجزأ ونسـوا إلزام أنفسهم أن يكون جزءاً لنفسه وهذا تكذيب عز وجل إذ يقول في القرآن فلها النصف فلامه الثلث فلامـه السـدس ولكم الربع ولهن الثمن بعضهم أولياء بعض وهذا عن النبي صلى ا عليه وسلم كثير مع مخالفتهم في ذلك جميع أهـل الأرض مؤمنهم وكافرهم ومخالفة كل لغة والمعقول والطبائع

و قال وا كلهم من قال أن النار تحرق أو تلفح أو أن الأرض تهتز أو تنبت شيئاً أو أن الخمر يسكر أو أن الخبز يشـبع أو أن الماء يروي أو أن ا تعالى ينبت الزرع والشجر بالمـاء فقد ألحد وافترى و قال الباقلاني من آخر السفر الرابع مـن كتابه المعروف بالانتصار في القرآن نحن ننكر فعل النـار للتسخين والإحراق وننكر فعل الثلج للتبريد وفعـل الطعـام والشراب للشبع والري والخمر للإسكار كل هذا عندنا باطل محال ننكره أشد الإنكار وكذلك فعل الحجر لجذب شـيء أو رده أو حبسه أو إطلاقه من حديد أو غيره هذا نص كلامه.

قال أبو محمد: وهذا تكذيب منهم عـز وجـل إذ يقول " تلفح وجوههم النار " ولقوله تعالى " ونَزلْنَا مِن السماء ماء مباركًا فَأَنبتْنَا بِهِ جناتٍ وحب الْحصِيدِ " وقوله تعالى " إنا نسوق الماء إلى الأرض الجرزِ فنخرج به زرعاً تأكل منـه أنعامهم وأنفسهم " الآية وقوله تعالى " فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم في المناظرة فدهش وبلد وهـو أيضـاً تكذيب لقول رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ يقـول كـل مسكر حرام وكل شراب أسكر حرام مع مخالفتهم لكل لغـة

ولكل ذي حس من مسلم وكافر ومكـابرة العيـان وإبطـال المشاهدة ثم أظرف شيء احتجاجهم في هذه الطامة بـأن ا عز وجل هو الذي خلق ذلك كله فقلنا لهم أوليس فعـل كـل حي مختار واختياره خلقاً عز وجل فلا بد من قولهم نعـم في قال لهم فمن أين نسبتم الفعل إلى الأحياء وهي خلق ا تعالى ومنعتم من نسبة الفعل إلى الجمادات لأنـه خلـق ا تعالى ولافرق ولكنهم قوم لا يعقلون.

قال أبو محمد: وسمعت بعض مقدميهم يقول أن من كان على معاصي خمسة من زنا وسـرقة وتـرك صـلاة وتضييع زكاة وغير ذلك ثم تاب عن بعضها دون بعض فإن توبته تلك لا تقبل وقد نص السمناني علـى أن هـذا قـول الباقلاني وهو قول أبي هاشم الجبائي ثم قال السمناني هـذا قول خارق للإجماع جملة وخلاف لدين الأمة هذا نص قول السمناني في شيخه وشهدوا على أنفسهم وأقبل بعضهم علـى بعض يتلاومون.

قال أبو محمد: هذا القول مخالف للقرآن والسنن لأن ا تعالى يقول " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمـل مثقال ذرة شراً يره " و قال تعالى " ونضع الموازين القسط

ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً " الآية و قال تعالى " إنـي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى " وبالضرورة يدري كل ذي مسكة من عقل أن التوبة من الزنا خير كثيـر فهـذا الجاهل يقول أنه لا يراه صاحبه وأنه عمل ضـائع عنـد ا عز وجل من مسلم مؤمن ومعاذ ا من هذا وسر هذا القول الملعون وحقيقته التي لا بد لقائله منه أنه لا معنى لمن أصر على الزنا أو شرب الخمر في أن يصلي ولا أن يزكي فقـد صار يأمر بترك الصلاة الخمس والزكاة وصـوم رمضـان والحج فعلى هذا القول وقائله لعائن ا تترى مـا دار الليـل والنهار ونص السمناني عن الباقلاني شيخه أنه كان يقول أن ا تعالى لا يغفر الصغائر باجتناب الكبائر.

قال أبو محمد: وأنا سمعت بعض مقدميهم ينكـر أن يكون في الذنوب صغائر وناظرتـه بقـول ا تعـالى " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عـنكم سـيئاتكم " وقلـت بالضرورة يدري كل ذي فهم أنه لا كبائر إلا بالإضافة إلـى ما هو أصغر منها وهي السيئات المغفورة باجتناب الكبـائر بنص كلام ا تعالى فقولك هذا خلاف للقرآن مجرد فخلـط ولجأ إلى الحرد وهذا منهم تكذيب عز وجل ورد لحكمـه

بلا كلفة ومن شنعهم الممزوجة بالهوس وصفاقة الوجه قولهم أنه لا حر في النار ولا في الثلج برد ولا في العسل حـلاوة ولا في الصبر مرارة وإنما خلق ا تعالى ذلك عند اللمـس والذوق وهذا حمق عتيق قادهم إليه إنكارهم الطبـائع وقـد ناظرناهم على ذلك هذا مع قول شيخهم الباقلاني أن لقشـور العنب رائحة وللزجاج والحصا طعماً ورائحة وزادوا حتـى بلغوا إلى أن قال وا أن للفلك طعماً ورائحة فليت شعري متى ذاقوه أو شموه أو من أخبرهم بهذا وهذا لا يعرفه إلا ا ثـم الملائكة الذين هنالك ولكن من ذاق طعم الزجاج وشم رائحته فغير منكر أن يدعى مشاهدة الفلك ولمسه وشمه وذوقه ومن شنعهم قولهم أن من كان الآن على دين الإسلام مخلصاً بقلبه ولسانه مجتهداً في العبادة إلا أن ا عز وجل يعلـم أنـه لا يموت إلا كافراً فهو الآن عند ا كافراً وإن من كـان الآن كافراً يسجد للنار وللصليب أو يهودياً أو زنديقاً مصر حـين بتكذيب رسول ا صلى ا عليه وسلم إلا أن في علـم ا تعالى لا يموت غلا مسلماً فإنه الآن عند ا مسلم.

قال أبو محمد: ما قال هذا مسلم قـط قبـل هشـام الفوطي وهذه مكابرة للعيان وتكذيب عز وجل كأنهم مـا

سمعوا قط قول ا تعالى " ذلك بأنهم آمنـوا ثـم كفـروا " فسماهم مؤمنين ثم أبخر تعالى بأنهم كفروا وقوله تعـالى " ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر " فجعل الإسـلام ديناً لما كان عليه إذ كان عليه وإن ارتد معه ومـات كـافراً وقوله تعالى مخاطباً للمسلمين من أصحاب النبي صـلى ا عليه وسلم " يا َأيها الذِين آمنُواْ إِذَا ضربتُم ِفي سـِبِيل اللّـهِ فَتَبينُواْ ولاَ تَقُولُواْ ِلمن َأَلْقَى ِإلَيكُم السلاَم لَستَ مؤْمِنًا تَبتَغُـون عرض الْحياةِ الدنْيا فَعِند اللّهِ مغَانِم كَثِيرةٌ كَذَلِك كُنتُم من قَبلُ فَمن اللّه علَيكُم فَتَبينُواْ ِإن اللّه كَان ِبمـا تَعملُـون خَبِيـرا " ويلزمهم أن الذي يسلم أبوه ولا يسلم هو لأنه كان بالغاً ثـم مات أبوه فلم يرثه لكفره ثم أسلم أن يفسخوا حكمهم ويورثوه من أبيه لأنه عندهم كان إذ مات أبوه مؤمناً عند ا تعـالى ويلزمهم إن من كان صبياً ثم عاش حتى شاخ أنه لم يكن عند ا قط إلا شيخاً ولو جمع ما يدخل عليهم لقام منه سفر ضخم و قال وا كلهم أنه ليس علـى ظهـر الأرض يهـودي ولا نصراني يقر بقلبه أن ا حق.

قال أبو محمد: هذا تكذيب للقرآن على ما بينا قبـل ومكابرة للعيان لأنا لا نحصي كم دخل في الإسـلام مـنهم

وصلح إيمانه وصار عدلاً وكلهم لا يختلف في أنه كان قبـل إسلامه مقراً با عز وجل عالماً به كما هو بعد إسلامه لـم يزد في توحيده شيء فكابروا العيان وكذبوا القـرآن بحمـق وقلة حياء لا نظير له و قال الباقلاني في كتابـه المعـروف بالانتصار في القرآن معنى قول ا تعالى " لا يرضى لعباده الكفر " وقوله تعالى " لا يحب الفساد " إنما معنـاه لا يحـب الفساد لأهل الصلاح ولا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفـروا ولم يرد أنه لا يرضاه لأحد من خلقه ولا يحبه لأحد منهم ثم قال وإن كان قد أحب ذلك ورضيه لأهل الكفر والفساد.

قال أبو محمد: وهذا تكذيب تعالى مجرد ثم أيضاً أخبر بأن الكفار فعلوا من الكفر أمراً رضيه ا تعالى مـنهم وأحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم مع قوله تعالى " اتبعوا ما أسخط ا وكرهوا رضـوانه فـأحبط أعمـالهم " وأعجبوا لظلمة جهله إذ لم يفرق بين إرادة الكفر والمشـيئة والخلق له وبين الرضا والمحبة و قال أيضاً فيه أن أقل مـن سورة من القرآن ليس بمعجز أصلاً بل هو مقدور على مثله و قال أيضاً في السفر الخامس من الديوان المذكور أن قيـل كيف تقولون أكان يجوز من ا أن يؤلف القرآن تأليفاً آخـر

غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته قلنا نعم هو تعـالى قـادر على ذلك وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلـى أقـدار كثيرة وأعداد لا يحصيها غيره إلا أن كان تأليف الكلام ونظم الألفاظ لا بد أن يبلغ إلى غاية وحد لا يحتمل الكلام أكثر منه ولا أوسع ولا يبقى وراء تلك الأعداد نص والأوزان شـيء تتناوله القدرة قال ولنا في هذه المسألة نظر في تأليف الكلام ونظم الأجسام وتصوير الأشخاص هل يجب أن يكون نهايـة لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو أكثر منها أم لا.

قال أبو محمد: هنا صرح بالشك في قدرة ا تعالى الها نهاية كما يقول أبو الهذيل أخوه في الضلالة والكفر أم لا نهاية لها كما يقول أهل الإسلام ونعوذ با من الضلال.

قال أبو محمد: ولقد أخبرني بعض من كان يـداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من أهل الفهم والذكاء وكـان يزري في باطن أمره عليهم أنهم يقولون أن ا تعـالى مـذ خلق الأرض فإنه خلق جسماً عظيماً يمسكها عن أن تهـوى هابطة فلما خلق ذلك الجسم أفناه في الوقت بلا زمان وخلـق آخر مثله يمسكها أيضاً فلما خلقه أفناه إثر خلقه بـلا زمـان أيضاً وخلق آخر وهكذا أبداً أبداً بلا نهاية قال لي وحجـتهم

في هذا الوسواس والكذب على ا تعالى فيه مما لم يقله أحد قبلهم مما يكذبه الحس والمشاهدة أنه لابد للأرض من جسـم ممسك والاهوت فلو كان ذلك الممسك يبقى وقتين أو مقـدار طرفة عين لسقط هو أيضاً معها فهو إذا خلق ثم أفنـى إثـر خلقه ولم يقع لأن الجسم عندهم في ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك.

قال أبو محمد: وهذا احتجاج للحمق بالحمق وما عقل أحد قط جسماً لا ساكناً ولا متحركاً بل الجسم في ابتداء خلق ا تعالى له في مكان محيط به في جهاته ولا شك ساكن في مكانه ثم تحرك وكأنهم لم يسمعوا لقول ا تعـالى " إن ا يمسك السماوات والأرض إن تزولا " فـأخبر تعـالى أنـه يمسكها كما شاء دون تكلف ما لم يخبرنا ا تعالى بـه ولا جعل في العقول دليلاً عليه ولو أن قائل هذا الحمـق وقـف على الحق وطالع شيئاً من براهين الهيئة لخجل مما أتي بـه من الهوس ومن شنعهم قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن أن تفسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شيء فعله الناس وليس هو من عند ا ولا من أمـر رسول ا صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: فقد كذب هذا الجاهل وأفك أتراه مـا سمع قول ا تعالى " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخيـر منها أو مثلها " وقول رسول ا صلى ا عليه وسلم في آية الكرسي وآية الكلالة والخبر أنه عليه السلام كان يـأمر إذا نزلت الآية أن تجعل في سورة كذا وموضع كـذا ولـو أن الناس رتبوا سوره لما تعدوا أحد وجوه ثلاثة إما أن يرتبوها على الأول فالأول نزولاً أو الأطول فما دونه أو الأقصر فما فوقه فإذ ليس ذلك كذلك فقد صح أنه أمر رسول ا صـلى ا عليه وسلم الذي لا يعارض عن ا عز وجل لا يجـوز غير ذلك أصلاً ومن شنعهم قول الباقلاني في كتابـه فـي مذاهب القرامطة قرب آخر الكتاب في باب ترجمتـه ذكـر جمل م قال ات الدهرية والفلاسفة والثنوية قال الباقلاني فأما ما يستحيل بقاؤه من أجناس الحوادث وهي الأعراض فإنما يجب عدمها في الثاني من حال حدوثها من غير معـدم ولا شيء يفنيها هذا نص كلامه و قال متصلاً بهذا الفصل وأمـا نحن فنقول أنها تفني الجواهر نعني بقطع الأكوان عنها مـن حيث لا يصح لها وجود لا في مكان ولا فيما يقـدر تقـدير المكان وإذا لم يلحق فيها شيء من الأكوان فعدم مـا كـان

يخلق فيها منها أوجب عدمها هذا نص كلامـه وهـذا قـول بإفناء الجواهر والأعراض وهو فناء وإعدام لا فاعل لهمـا وإن ا تعالى لم يفن الفاني ونعوذ با من هـذا الضـلال والإلحاد المحض و قال وا بأجمعهم لـيس تعـالى علـى الكفار نعمة دينية أصلاً و قال الأشعري شيخهم ولا له على الكفار نعمة دنيوية أصلاً وهذا تكذيب منـه ومـن أتباعـه الضلال عز وجل إذ يقول " بدلوا نعمة ا كفراً وأحلـوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار " وإذ يقول عز وجل " يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وإني فضلتكم على العالمين " وإنما خاطب تعالى بهذا كفاراً جحدواً نعمة ا تعالى تبكيتاً لهم وأما الدنيوية فكثير قال تعالى " قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره " إلى قوله " فلينظر الإنسان إلى طعامه " الآيـة ومثله من القرآن كثير و قال الباقلاني في كتابه المعـروف بالانتصار في القرآن في باب مترجم بباب الدلالة علـى أن القرآن معجز للنبي صلى ا عليه وسـلم وذكـروا سـؤال الملحدين عن الدليل على صحة ما ادعاه المسلمون مـن أن القرآن معجز ف قال الباقلاني ي قال لهم ما معنى وصـف

القرآن وغيره من آيات الرسول صلى ا عليه وسـلم بأنـه معجز فإنما معناه أنه مما لا يقدر العباد عليه وأن يكونـوا عاجزين على الحقيقة وإنما وصف القرآن وغيره من آيـات الرسل عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وخروج الناقـة من الصخرة وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء المـوتى بأنـه معجز وإن لم يتعلق به عجز عاجز عنه على وجه التسـمية بما يعجز عنه العاجز من الأمور التي صح عجـزهم عنهـا وقدرتهم عليها لأنهم لم يقدروا على معارضات آيات الرسل غير عن عدم قدرتهم على ذلك فـالعجز عنـه تشـبيهاً لـه بالمعجوز عنه قال الباقلاني ومما يدل علـى أن العـرب لا يجوز أن تعجز عن مثل القرآن لأنه قد صح وثبت أن العجز لا يكون عجزاً إلا عن موجود فلو كانوا على هـذا الأصـل عاجزين عن مثل القرآن وعصى موسى وإحيـاء المـوتى وخلق الأجسام والأسماع والأبصار وكشف البلوى والعاهات لوجب أن يكون ذلك المثل موجوداً فيهم ومنهم كما أنهم لـو كانوا قادرين على ذلك لوجب أن يكون ذلك منهم ولمـا لـم يكن ذلك كذلك ثبت أنه لا يجوز عجز العباد على الحقيقة عن

مثل القرآن مع عدمه منهم وكونه غير موجود لهم ولا عـن قلب عصى موسى حية ولا عن مثل ذلك.

قال أبو محمد: أينتظر كفر بعـد هـذا الكفـر فـي تصريحه أن العباد والعرب لا يجوز أن يعجزوا عـن مثـل القرآن ولا عن قلب العصا حية ولا يغتر ضعيف بقوله إنهم غير قادرين على ذلك فإنما هو على قوله المعروف مـن أن ا لا يقدر على غير ما فعل وظهر منه فقط ومـن عظـيم المحال قوله في هذا الفصل أنه لا يجوز أن يعجز العاجز إلا عما يقدر عليه مع أن هذا الكلام منه موجب أنهم إن عجزوا عن مثل القرآن قدروا عليه وما يمترى في أنه كـان كائـداً للإسلام ملحداً لا شك فيه فهذه الأقوال لا ينطلق بهـا لسـان مسلم ومن أعظم البراهين على كفر الباقلاني وكيـده للـدين قوله في فصل آخر من الباب المذكور في الكتاب المـذكور أنه لا يجب على من سمع القرآن من محمد بن عبد ا بـن عبد المطلب صلى ا عليه وسلم أن يبادر إلى القطع علـى أنه له آية أو أنه على يده ظهر ومن قبله نجم حتى يسأل أهل النواحي والأطراف ونقلة الأخبار ويتعرف حال المتكلمـين

بذلك اللسان في الآفاق فإذا علم بعد التثبت والنظر أنـه لـم يسبقه إلى ذلك أحد لزمه حينئذ اعتقاد نبوته.

قال أبو محمد: وهذا إنسان خاف معاجلة الأمـة لـه بالرجم كما يرجم الكلب إن صرح بأن نبوة محمد صـلى ا عليه وسلم باطل فصرح لهم بما يؤدي إلى ذلك من قرب إذا وجب بأن لا يقر أحد بنبوة محمد بن عبد ا بن عبد المطلب رسول ا صلى ا عليه وسلم ولا بأنه أتى بالقرآن ولا بأنه آية من آياته على صحة نبوته إلا حتى يسأل أهل النـواحي والأطراف وينتظر الأخبار ويتعرف حال المتكلم بالعربية في الآفاق.

قال أبو محمد: فأحال وا على عمل لا نهاية له ولو عمر الإنسان عمر نوح عليه الصلاة والسلام لأن سؤال أهل النواحي والأطراف لا ينقضي في ألف عام وانتظار الأخبار ليس له حد وليت شعري متى تصل المخدرة وطالب المعاش إلى طرف من هذا المحال لأن أهل النواحي هم مـن بـين صدر الصين إلى آخر الأندلس إلى بلاد الزنج إلى بلاد الص قالبة فما بين ذلك فلاح كفر هذا الجاهـل الملحـد وكيـده للإسلام لكل من له أدنى حس مع ضعف كيده في ذلك قـال

ا تعالى "إن كيد الشيطان كان ضعيفًا " ويكفي مـن كـل هزرااتي به في هذا الفصل الملعون قائله أن من له علم قوي بالعربية والأخبار فيكفيه تيقن عجز العرب عـن معارضـته فمن بعدهم إلى اليوم وأنه من عنده ضرورة لأنه لـم ينـزل القرآن جملة فيمكن فيه الدعوى من أحد وإنما نزل مقطعاً في كل قصة تنزل فينزل فيها قرآن وهذه ضرورة موجبة أنـه عند عليه الصلاة والسلام ظهر بوحي ا تعالى إليه وبما فيه من الغيوب التي قد ظهر إنذاره بها وأما من لا علم له باللغة والأخبار فيكفيه أخبار من يقع له العلم بخبره بـأن العـرب عجزت عن مثله وأنه أتى به مفصلاً عند حلـول القصـص التي أنزل ا تعالى فيها الآية والآيتين والكلمة والكلمتين من القرآن والتوراة حتى تم كما هو فهذا الحق وذلـك الإلحـاد المحض والكلام الغث السخيف ومن كفراتهم الصـلع قـول السمناني إذ نص على أن الباقلاني كـان يقـول أن جميـع المعاصي كلها ألا نحاشى شيئاً منها مما يجب أن يستغفر ا منه جايز وقوعها من النبي صلى ا عليه وسلم حاشا الكذب في البلاغ فقط و قال الباقلاني وإذا نهي النبي صلى ا عليه وسلم عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلاً على أنه منسـوخ إذ

قد يفعله عاصياً عز وجل قال البـاقلاني ولـيس علـى أصحابه فرضاً أن ينكروا ذلك عليه و قال السمناني في كتاب الإمامة لو لا دلالة العقل على وجوب كون النبي صـلى ا عليه وسلم معصوماً في البلاغ عن ا عز وجل لما وجـب كونه معصوماً في البلاغ كما لا يجب فيما سواه من أفعالـه وأقواله و قال أيضاً في مكان آخر منه وكذلك يجوز أن يكفر النبي صلى ا عليه وسلم بعد أداء الرسال.

قال أبو محمد: با الذي لا إله إلا هو إن كان قـال هذا القول ناصراً له وداعياً إليه مسلم قط وما كان قائلـه إلا كافراً ملحداً فاعلموا أيها الناس أنه قد جوز على النبي صلى ا عليه وسلم الكفر والزنا واللياطة والبغاء والسرقة وجميع المعاصي وأي كيد للإسلام يالناس أعظم مـن هـذا وأمـا صاحبه ابن فورك فإنه منع من هذا وأنكره وأجاز على النبي صلى ا عليه وسـلم صـغار المعاصـي كقتـل النسـاء وتعريضهن وتفخيذ الصبيان ونحو ذلك وأما شـيخهما ابـن مجاهد البصري ليس بالمقري فإنه منع من كل ذلك وحاشـا ا أن يجوز النبي صلى ا عليه وسلم ذنب بعمد لا صغير ولا كبير لقول ا تعالى " لقد كان لكم في رسول ا أسـوة

حسنة " ومن المحال أن يأمرنا ا تعالى أن نتأسي بعـاص في معصيته صغرت أو كبرت وأعجبوا لاسـتخفاف هـذا الملحد بالدين وبالمسلمين إذ يقول هاهنا أنه ليس فرضاً على أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم أن ينكروا عليه عصيان ربه ومخالفة أمره الذي أمرهم به وهو يقول فـي نصـره للقياس أن قياس من قاس من الصحابة وسكوت مـن سـكت منهم عن إنكاره دليل على وجوب الحكم بالقيـاس لأنهـم لا يقرون على منكر فأوجب إقرارهم على المنكر مـن النبـي صلى ا عليه وسلم حاشا من هذا وأنكر إقـراره علـى القياس لو كان منكراً فجمع بين هذه المناقضة والكـذب فـي دعوى القياس على الصحابة ودعوى معرفة جميعهم بقيـاس من قاس منهم ودعوى أنهم لم ينكروه وهذه صفات الكـذابين المتلاعبين بالدين ومن طوامهم مـا حكـاه السـمناني عـن الباقلاني أنه قال واختلفوا في وجوب كون النبي صـلى ا عليه وسلم أفضل أهل وقته في حال الرسالة وما بعدها إلـى حين موته فأوجب ذلك قائلون وأسـقطه آخـرون و قـال الباقلاني وهذا هو الصحيح وبه نقول.

قال أبو محمد: وهذا وا الكفر الذي لا خفاء بـه إذ جوز أن يكون أحد ممن في عصر النبي صلى ا عليه وسلم فما بعده أفضل من رسول ا صلى ا عليـه وسـلم ومـا أنكرنا على أحمد بن خابط الدون هذا إذ قال أن أب ذر كان أزهد من النبي صلى ا عليه وسلم هـذا مـع قـول هـذا المستخف الباقلاني الذي ذكره عنه السمناني في كتابه الكبير في كتاب الإمامة منه أن من شرط الإمامة أن يكون الإمـام أفضل أهل زمانه.

قال أبو محمد: يا للعيارة بالدين يجوز عنه هذا الكافر أن يكون في الناس غير الرسل أفضل من رسول ا صـلى ا عليه وسلم ولا يجوز عنده أن يلي الإمامة أحد يوجد في الناس أفضل منه ثم حمقه أيضاً في هذا حمق عتيـق لأنـه تكليف ما لا يطاق ولا سبيل إلى القطع بفضل أحد على أحد إلا بنص من ا عز وجل وكيف يحاط بالأفضل من قـريش وهم مبثوثون من أقصى السند وكابل ومكران إلى الأشـوته إلى سواحل البحر المحيط ومن سواحل بحر اليمن إلى ثغور أرمينية وأذربيجان فما بين ذلك اللهم العن مـن لا يسـتحق ومن العجب أن هذا النذل الباقلاني قطع بخـلاف الإجمـاع

على أبي حنيفة بإجازته القراة الفارسية وصرح بأن ترتيـب الآيات في القرآن إجماع وقد أجاز مالك لمن قرأ عند غروب الشمس وطلوعها فجاءته آية سجدة أن يصل التي قبلها بالتي بعدها فمالك عنده مخالف للإجماع وقطـع بـأن الشـافعي مخالف للإجماع في قوله " بسم ا الرحمن الرحيم " آية من أم القرآن وإن داود خالف الإجماع في قوله بإبطال القيـاس أفلا يستحي هذا الجاهل من أن يصف العلماء بصـفته مـع عظيم جهله بأن عاصماً وابن كثير وغيرهمـا مـن القـراء وطائفة من الصحابة تقول بقول الشافعي الذي جعله خلافـاً للإجماع وأنه لم يأت قط عن أحد من الصحابة إيجاب الحكم بالقياس من طريق تثبت وأنه قد قال بإنكاره ابـن مسـعود ومسروق والشعبي وغيرهم ولكن من يضلل ا فلا هادي له ومن عجائبه قوله أن العامي إذا أنزلت به النازلة ففرضه أن يسأل أفقه أهل بلده فإذا أفتاه فهو فرضه فإن نزلت به تلـك النازلة ثانية لم يجز له أن يعمل بتلك الفتيا لكن يسأل ثانيـة إما ذلك الفقيه وإما غيره ففرضه أن يعمـل بالفتيـا الثانيـة وهكذا أبداً.

قال أبو محمد: هذا تكليف ما لا يطاق إذ أوجب على كل أحد من العامة أن يسأل أبداً عن كل ما ينوبه في صلاته وصيامه وزكاته ونكاحه وبيوعه ويكرر السؤال عن كل ذلك كل يوم بل كل ساعة فهل في الحماقة أكثر من هذا ونعـوذ با من الخذلان.

ذكر شنع لقوم لا نعرف فرقهم

قال أبو محمد: ادعت طائفة من الصـوفية أن فـي أولياء ا تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسـل و قال وا من بلغ الغاية القصوى من الولايـة سـقطت عنـه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلـك واسـتباحوا بهذا نساء غيرهم و قال وا أننا نرى ا ونكلمه وكلما قـذف في نفوسنا فهو حق ورأيت لرجل منهم يعرف بابن شـمعون كلماً نصه أن ا تعالى مائة اسم وأن الموفي مائة هو سـتة وثلاثون حرفاً ليس منها في حروف الهجاء شيء إلا واحـد فقط وبذلك الواحد يصل أهل المقامات إلى الحق و قال أيضاً أخبرني بعض من رسم لمجالسة الحق أنه مد رجلـه يومـاً فنودي ما هكذا مجالس الملوك فلم يمد رجله بعدها يعني أنه

كان مديماً لمجالسة ا   تعالى و قال أبو حاضر النصيبي من أهل نصيبين وأبو   الصياح السمرقندي وأصحابهما أن الخلق لم يزالوا مع ا   تعالى و قال أبو الصياح لا   تحل ذبائح أهل الكتاب وخطأ فعل أبي بكر الصديق رضي ا   عنه في قتال أهل الردة وصوب قول الصحابة الذين رجعـوا عنـه فـي حربهم و قال أبو شعيب القلال أنه ربه جسم فـي صـورة إنسان لحم ودم ويفرح ويحزن ويمرض ويفيق و قال بعـض الصوفية أن ربه يمشي في الأزقة حتى أنه يمشي في صورة مجنون يتبعه الصبيان بالحجارة حتى تدموا عقبيـه فـاعلموا رحمكم ا   أن هذه كلها كفرات صلع وأقوال قـوم يكيـدون الإسلام وصدق القائل: شهدت بأن ابن المعلم هازل بأصحابه والباقلاني أهزل وما الجعل الملعون في ذاك دونه وكلهم في الأفك والكفر منزل وساع مع السلطان يسعى عليهم ومحترس من مثله وهو حارس واعلموا رحمكم ا   أن جميـع فـرق الضلالة لم يجر ا   على أيديهم خيراً ولا فتح بهم من بـلاد الكفر قرية ولا رفع للإسلام راية وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على أهل الدين ويسعون في الأرض مفسدين أما الخوارج والشيعة

فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلـف ذكـره مـا توصـلت الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء منه إلـى الكفـر الأعلى السنة الشيعة وأما المرجئية فكذلك إلا أن الحارث بن سريح خرج بزعمه منكراً للجور ثم لحق بالترك فقادهم إلى أرض الإسلام فأنهب الديار وهتك الأستار والمعتزلـة فـي سبيل ذلك إلا أنه ابتلى بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلاً وظناً أنهم على شيء وكانت للمعتصم فتوحات محمودة كبابل والمازيار وغيرهم فا ا أيها المسلمون تحفظـوا بـدينكم ونحن نجمع لكم بعون ا الكلام في ذلك الزموا القرآن وسنن رسول ا صلى ا عليه وسلم وما مضى عليـه الصـحابة رضي ا عنهم والتابعون وأصحاب الحديث عصراً عصراً الذين طلبوا الأثر فلزموا الإثر ودعوا كل محدثة فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاضة وكل ضلالة في النار وبا تعـالى التوفيق تم الكلام في شنع المبتدعة أهـل الأهـواء والنحـل المضلة والحمد رب العالمين.

المعاني التي يسميها أهل الكلام

اللطائف والكلام في السحر وفي المعجزات التي فيها إحالة الطبائع يجوز واحدها لغير الأنبياء أم لا قال أبو محمد: ذهب قوم إلى أن السحر قلب للأعيان وإحالة للطبائع وأنهـم يرون أعين الناس ما لا يرى وأجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عز وجل لهم اختراع الأجسـام وقلـب الأعيـان وجميع إحالة الطبائع وكل معجز للأنبيـاء علـيهم السـلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلاني أن الساحر يمشي علـى الماء على الحقيقة وفي الهواء ويقلب الإنسان حمـاراً علـى الحقيقة وإن كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وأنه لا فرق بين آيات الأنبياء وبين ما يظهر من الإنسـان الفاضل ومن الساحر أصلاً إلا بالتحدي فإن النبـي يتحـدى الناس بأن يأتوا بمثل ما جاء هو به فلا يقدر أحد على ذلـك فقط وان كل ما لم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بأن الله تعالى لا يقدر على إظهار آيـة على لسان متنبئ كاذب وذهب أهل الحق إلى أنه لا يقلب أحد عينا ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقـط سـواء تحدوا بذلك أو لم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصـلاة

والسلام تحدوا بذلك أم لا والتحدي لا معنى له وأنه لا يمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولا لساحر ولا لأحد غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وا تعالى قادر على إظهار الآيات على أيدي الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لا يفعل كما لا يفعل ما لا يريد أن يفعله من سائر ما هو قادر عليه.

قال أبو محمد: وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره برهان ذلك قوله عز وجل " وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته " و قال عز وجل " وعلم آدم الأسماء كلها " و قال تعالى " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون " فصح أن كل ما في العالم مما قد رتبه ا عز وجل الترتيب الذي لا يتبدل وصح أن ا عز وجل أوقع كل اسم على مسماه فلا يجوز أن يوقع اسم من تلك الأسماء على غير مسماه الذي أوقعه ا تعالى عليه لأنه كان يكون تبديلاً لكلمات ا تعالى التي أبطل ا عز وجل أن تبدل ومنع من أن يكون لها مبدل ولو جاز أن تحال صفات مسمى منها التي بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب أن يسقط عنه ذلك الاسم الذي أوقعه ا تعالى عليه فإذ ذلك كذلك فقد وجب أن كل ما في العالم مما قد رتبه ا على ما هو عليه

من فصوله الذاتية وأنواعه وأجناسه فلا يتبدل شيء منه قطعا إلا حيث قام البرهان على تبدله وليس ذلـك إلا علـى أحـد وجهين إما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى ما بنى ا تعالى عليه العالم من استحالة المني حيوانا والنـوي والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات وإمـا استحالة لم تعهد قط ولا نبي ا تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صـحة نبـوتهم وجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ونقله إلى من لي يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الإقرار بذلك وبقي ماعدا أمر الأنبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لا من ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه لأنه لم يقم برهان بوجود ذلك ولا صح به نقل وهو ممتنـع فـي العقل كما قدمنا ولو كان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها وامكن كل ممتنع ومن لحـق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسأل من جوز ذلـك للساحر والفاضل هل يجوز لكل أحد غير هذين أ لا يجوز إلا لهذين فقط فان قال إن ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هـو قولهم سألناهم عن الفرق بين هذين وبين سـائر النـاس ولا

سبيل لهم إلى الفرق بين هؤلاء وبين غيـرهم إلا بالـدعوى التي لا يعجز عنها أحد وإن قال وا أن ذلك جائزاً أيضاً لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقـة وجاز تصديق من يدعي أنه يصـعد إلـى السـماء ويـرى الملائكة وانه يكلم الطير و يجتني من شجر الخروب التمـر والعناب وان رجالا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذي مـن صار إليه وجب أن يعامل بما هـو أهلـه إن أمكـن أو أن يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه قال أبو محمد: لا فرق بـين من ادعى شيئا مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضـة رد الشمس على علي بن أبي طالب مرتين حتى ادعى بعضـهم أن حبيب بن أوس قال: فردت علينا الشمس والليـل راغـم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع نضا ضوءها سبغ الدجنـة وانطوى أبهجتها فوق السماء المرجع فوا ما أدرى علي بدا لنا فردت له أم كان في القوم يوشع وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الأعيان أضعاف ما يدعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهـود لأحبـارهم ورؤوس المثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد إلى قرطبة في يوم واحد وانه اثبت قرنين في رأس رجل مسلم مـن بنـى

الاسكندراني كان يسكن بقرطبة عند باب اليهود وهـذا كلـه باطل موضوع وبنو الاسكندراني كـانوا أقوامـاً أشـرافاً معروفين لم يعرف لأحد منهم شيء من هذا والحماقة لا حد لها وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه.

قال أبو محمد وأما السحر فانه ضروب منه ما هـو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقـرب فـي وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقـرب ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست إحالة طبيعة ولا قلب عين ولكنها قوي ركبها ا عز وجل مدافعة لقوى اخر كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقبل القمر للدابـة الـدبرة إذا لاقى الدبرة ضوءه إذا كانت دبرتها مكشوفة للقمر ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا قد شاهدنا بأنفسنا أثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها جرادة ولا يقع فيه برد وكسر قطة التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخل كرها وغير ذلك كثير جدا لا ينكره إلا معاند وهي أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق إلا آثار صناعاتهم فقط ومن هـذا البـاب كان ما تذكره الأوائل في كتبهم في الموسيقا وانه كان يؤلف به بين الطبائع وينافر به أيضاً بينها ونوع آخر من السـحر

يكون بالرقي وهو كلام مجموع من حـروف مقطعـه فـي طوالع معروفة أيضاً يحدث لذلك التركيب قوة تسـتثار بهـا الطبائع وتدافع قوى أخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقـي الدمل الحاد القوي الظهور في أول ظهوره فييبس يبدأ مـن يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه في اليوم الثالث ويقلع كما تقلـع قشرة القرحة إذا تم يبسها جربنا من ذلك مالا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقي أحد دملين قد دفعا على إنسـان واحـد ولا ترقي الثاني فييبس الذي رقت ويتم ظهور الـذي لـم تـرق ويلقي حامله منه أذى الشديد وشاهدنا من كان يرقي الـورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها ويذبل ما لم ينفـتح ويبرأ كل ذلك البرء التام كان لا يزال يفعل ذلك في النـاس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبـره عنـدنا كمشاهدتنا لثقته وتجريبنا لصدقة وفضله انـه شـاهد مـا لا يحصى نساء يتكلمن على الذي يمخضون الزبد مـن اللـبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فـرق بـين هـذين الوجهين وبين ملاقاة فضلة الصـفراء بالسـقمونيا وملاقـاة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعاني جارية علـى رتبـة واحدة من طلب علم ذلك أدركه ومنه ما يكـون بالخاصـة

كالحجر الجاذب للحديد وما أشبه ذلك ومنه ما يكون لطف يد كحيل أبي العجائب التي شاهدها الناس وهي أعمال لطيفة لا تحيل طبعا أصلاً.

قال أبو محمد: وكل هذه الوجوه التي ذكرناها ليست من باب معجزات الأنبياء عليهم السلام ولا من باب ما يدعيه أهل الكذب للسحرة والصالحين لأن معجز الأنبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل ما في العالم وعن بنية العـالم لا يجري شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكـن قلب عين وإحالة صفات ذاتية كشـق القمـر وفلـق البحـر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية وإحياء ميت قـد أرم وإخراج ناقة من صخرة ومنع الناس من أن يتكلموا بكـلام مذكورا ومن أن يأتوا بمثله وما أشبه هذا من إحالة الصفات الذاتية التي بوجودها تستحق الأسماء.

ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هـو الـذي يدعيـه المبطلون للساحر والفاضل قال أبو محمد: وإنما يلوح الفرق جداً بين هذين السبيلين لأهل العلم بحدود الأسماء والمسميات وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من أجناس أجناسـه إلـى أنواعه إلى أشخاصه وما هو من أعراضه ذاتي وما هو منها

غيري وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيري منها ومـا يبطئ زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتي وان لـم يكـن ذاتياً والفرق بين البرهان وبين ما نظن أنه برهـان ولـيس برهاناً والحمد على ما وهب وأنعم به علينا لا إله إلا هـو حدثنا محمد بن بيان ثنا أحمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن المثنـي ثنا عبد الرحمن ابن مهدي ثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق الشيباني عن بشير بن عمرو قال ذكر الغيلان عند عمر بـن الخطاب فقالوا انهم يتحولون فقال عمر انه ليس أحد يتحـول عن خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا خشيتم شيئا من ذلك فأذنوا فهذا عمر رضي ا عنه يبطـل إحالـة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد رب العالمين كثيرا وقـد نص ا عز وجل على ما قلنا فقال تعـالى " فـإذا حبـالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى " فاخبر تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخييلا لا حقيقة له و قال تعالى " إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى " فـأخبر تعالى أنه كيد لا حقيقة له فإن قيل قد قال ا عـز وجـل " سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم " قلنا

نعم إنها حيل عظيمة وإثم عظيم إذ قصدوا بهـا معارضـة معجزات رسول ا صلى ا عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس إذ أوهموهم أن تلك الحبال والعصي تسـعي فاتفقـت الآيات كلها والحمد رب العالمين وكان الذي قدر ممـن لا يدري حيلهم من أنها تسعى ظنا أصله اليقين وذلك انهم رأوا صفة حيات رقط طوال تضطرب فسارعوا إلى الظن وقدروا أنها ذات حيات ولوا معنوا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وأنها ملئت زئبقا ولد فيها تلك الحركـات كمـا يفعـل العجائبي الذي يضرب بسكينة في جسم إنسان فيظن من رآه ممن لا يدري حيلته أن السكين غاصب في جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبـا فقـط فغاصـت السكين في النصاب وكإدخاله خيطا في حلقة خـاتم يمسـك إنسان غير متهم طرفي الخيط بيديه ثم يأخذ العجائبي الخاتم الذي فيه الخيط بفيه وفي ذلك المقام أدخله تحت يده وكان في فيه خاتم أخرى يري من حضر حلقة الخاتم الذي فـي فيـه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فمـه إلـى الخـيط ويرفع يديه وفمه فينظر الخاتم الذي كان فيه الخيط وكـذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى

سحروا أعين الناس واسترهبوهم أي انهم أوهموا الناس فيما رأوا ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها للاح لهم الحق وكذلك قوله تعالى " فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه " فهذا أمر ممكن يفعله النمام وكـذلك مـا روي أن النبي صلى ا عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم فولد ذلـك عليه مرضا حتى كان يظن انه فعل الشيء وهو لـم يفعلـه فليس في هذا أيضا إحالة طبيعية ولا قلب عين وإنمـا هـو تأثير بقوة لتلك الصناعة كما قلنا في الطلسمات والرقي فـلا فرق ونحن نجد الإنسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منهـا فيستحيل من الحلم إلى الطيش وعن السكون إلـى الحركـة والنزق حتى يقارب حال المجانين وربما أمرضه ذلك وقـد قال عليه السلام إن من البيان لسحرا لأن من البيان ما يؤثر في النفس فيثيرها أو يسكنها عـن ثورانهـا ويحيلهـا عـن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكـر سـحر العيون لاستمالتها للنفوس فقط: قال أبو محمد: وي قال لمـن قال أن السحر يحيل الأعيان ويقلب الطبائع أخبرونا إذا جاز هذا فأي فرق بين النبي صلى ا عليه وسلم والساحر ولعل جميع الأنبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسى عليـه

السلام " إنه لكبيركم الذي علمكم السحر " قَالَ فِرعون آمنتُم بِهِ قَبلَ أَن آذَن لَكُم إِن هـذَا لَمكْر مكَرتُمـوه فِـي الْمدِينَـةِ لِتُخْرِجواْ مِنْها أَهلَها فَسوفَ تَعلَمون.

وإذا جاز أن يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم وحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكـان كلا الآمرين حقيقة فقد صدق فرعون بلا شك في انه سـاحر مثلهم إلا انه أعلم منهم به فقط وحاشا من هذا بل كان فعل السحرة إلا من حيل أبي العجائب فقط فان لجئوا إلى ما ذكره الباقلاني من التحدي قيل لهم هذا باطل من وجوه أحـدها إن اشتراط التحدي في كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لا دليل على صحتها لا من قرآن ولا من سـنة صـحيحة ولا سقيمة ولا من إجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا أحد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكـذا فهو في غاية السقوط والهجنة قال ا عز وجل " قل هـاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " فوجب ضرورة أن من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها.

أنه لو كان ما قال وا لسقطت اكثر آيات رسـول ا صلى ا عليه وسلم كنبعان الماء من بين أصابعه وإطعامـه

المئين والعشرات من صاع شعير وعناق ومرة أخرى مـن كسر ملفوفة في خمار وكتفله في العين فجاشت بماء غزيـر إلى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والأخبار بالغيوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لأنـه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله أحـداً ولا عملـه إلا بحضرة أهل اليقين من أصحابه رضى ا عنهم ولم يبق له آية حاشا القرآن ودعاء اليهود إلى تمنى الموت وشق القمـر فقط وكفى نحسا بقول أدى إلى مثل هذا فان ادعوا انه عليـه السلام تحدى بها من حصر وغاب وان تمادوا على أن كـل هذه ليست معجزات ولا آيات أكذبهم رسـول ا صـلى ا عليه وسلم بقوله إذ فعل ذلك أشهد أني رسـول ا والثالـث وهو البرهان الدافع هو قول ا تعالى " وأقسموا با جهـد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند ا وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون " وقوله " ومـا منعنـا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون " فسمى ا تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الأنبياء عليهم السـلام آيـات ولـم يشترط عز وجل في ذلك تحديا من غيره فصح أن اشـتراط التحدي باطل محض وسح أنها إذا ظهرت فهي آيـة كـان

هنالك تحد أو لم يكن وقد صح إجماع الأمة المتيقن على أن الآيات لا يأتي بها ساحر ولا غير نبي فصح أن المعجـزات إذا هي آيات لا تكون لساحر ولا لأحد ليس نبيا والرابع أنـه لو صح حكم التحدي لكان حجة عليه لأن التحـدي عنـدهم يوجب أن لا يقدر على مثل ذلك أحد إذ لو أمكن أن يوجـد مثل ذلك من أحد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجـد مـن يعمل مثل عملك هذا إما صالح وإما ساحر والخامس أنه لـو كان ما قال وا وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها أو فاضل لا يتحدى بها لامكن أن يتحدى لهما بها بعد موتهما من ضل فيهما كما فعلت الغلاة بعلي رضي ا عنه فعلـى كل حال قولهم ساقط والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: وأما من ادعى أنه يشبه الساحر على العيون فيريهم ما لا يرى فان هذه الطائفة لم تكتـف بـالكفر بإبطال النبوات إذ لعل ما أتى به النبي صلى ا عليه وسـلم كان تشبيهاً على العيون لا حقيقة له حتـى رامـت إبطـال الحقائق كلها أولها عن آخرها ولحقت بالسوفسـطائية لحاقـاً صحيحاً بلا تكلف وي قال لهم إذا جاز أن يشبه على العيون حتى يرى المشبه عليها ما لا حقيقة له ومـا لا تـراه فمـا

يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبه على عيـونكم ولعـل بعـض السحرة قد شبه عليكم فأراكم أنكم تتوضئون وتصلون وأنـتم لا تعقلون شيئاً من ذلك ولعلكم تظنون أنكم تزوجتم وإنما في بيوتكم ضأن ولا معز ولعلكم الآن على ظهر البحر ولعل كل ما تعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لا مخاص لهـم منه وقد عاب ا عز وجل من ذهب إلى هذا فقـال " ولـو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقـالوا إنمـا سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون " فلو جاز أن يكون للسحر حقيقة ويشبه ما يأتي به الأنبياء عليهم السلام وأمكـن أن يشبه على البصر ما ذمهم ا عز وجل بأن قال وا شـيئاً يمكن كونه لكنهم لما قال وا ما لا يمكن البتة وتعلقوا بـذلك في دفع الحقائق عابهم ا تعالى بذلك وأنكره عليهم.

قال أبو محمد: وليس غلـط الحـواس فـي بعـض الأوقات من باب التشبيه عليها في شيء لأن أحدنا قد يـرى شخصاً على بعد لا يشك فيه إلا أنه سارع فقطع أنه إنسان أو أنه فلان فقطع بظنه ولو أنه لم يعمل ظنه ولا قطع به لكـان باقياً على ما أدرك من الحقيقة وهكذا في كل ما حكـم فيـه المرء بظنه وأما ذو الآفة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيـرى

خيالات لا حقيقة لها فهو أيضاً كما ذكرنا وإنما الماء المطل على حدقته يوهمه أنه رأى شيئاً وقطع بذلك فإذا تثبت في كل ذلك لاح له الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فإن نفسه تظن ما يتوهمه فتقطع به ولو قوي تميزها لفرقت بين الحق والباطل وهكذا القـول فـي إدراك السـمع والذوق وهذا كله يجري على رتب مختلفة بمن أعمل ظنـه وعلى رتب غير مختلفة في جمل هذه الأوقات بل هي ثابتـة عند أهل التحقيق والمعرفة معروفة العلاج حتى يعود منهـا إلى صلاحه ما لم يستحكم فساده ولا يظن ظان أنه ممكن أن نكون في مثل حال هؤلاء إذ لو كان هذا لم نعرف شيئاً مـن العلوم على رتبه وأحكامه الجارية على سنن واحـد وبـا تعالى التوفيق ثم نسألهم بأي شيء يعرفون أنه لم يشبه على عيونكم فقد عرفناكم نحن بماذا نعرف أن حواسنا سليمة وأن عقولنا سليمة ما دامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهـو إجـراء مـا أدرك بالحواس السليمة والعقول السليمة على رتب محدودة معلومة لا تبدل عن حدودها أبداً وأجرأ ما أدرك بـالحواس الفاسـدة والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فإنهم لا يقـدرون

وكذلك قال أبو محمد: التوفيق: تعالى وبا أصلاً فرق على ما ذكر عمن ليس نبياً من قلب عين أو إحالة طبيعـة فهـو كذب إلا ما وجد من ذلك في عصر نبي فإنه آية كذلك لذلك النبي وذلك الذي ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذي ظهـر فيه الحنين والذراع الذي ظهر فيه النطـق والعصـا التـي ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذي ظهرت فيه الآية صالحاً أو فاسقاً وذلك كنحو النور الذي ظهر في سوط عمـر بـن حممه الدوسي وبرهان ذلك أنه لم يظهر فيه بعد موت النبي صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: فإن قيل إذا أجزتم أن تظهر المعجزة في غير نبي لكن في عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهـلا أجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى ا عليه وسلم لتكـون آية له أيضاً ولا فرق بين الأمرين قلنا إنما أجزنا ذلك الشيء في الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء ا تعالى إظهار ذلـك فيه من الناس ولا نخص بذلك فاضلاً لفضله ولا نمنع ذلـك في فاسق لفسقه أو كافر وإنما ننكر على من خـص بـذلك الفاضل فجعلها كرامة له فلو جاز ذلك بعد موت النبي صلى ا عليه وسلم لا شكل الأمر ولم نكن في أمن من دعوى من

ادعى أنها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والإنسان من الناس يدعيها آية له ولو كان ذلك لكان إشكالاً في الدين وتلبيساً من ا تعالى على جميع عباده أولهم عن آخرهم وهـذا خـلاف وعد ا تعالى لنا وإخباره بأنه قد بين علينا الرشد من الغـي وليس كذلك ما كان في عصر النبي صلى ا عليه وسلم لأنه لا يكون إلا من قبل النبي صلى ا عليه وسـلم وبإخبـاره وإنذاره فبدت بذلك أنها له لا للذي قال أبو محمد: وأما الذي روي في ذلك عن الثلاثة أصحاب الغار وانفراج الصـخرة ثلثاً ثلثاً عندما ذكروا من أعمالهم فلا تعلق لهم به لأن تكسير الصخرة ممكن في كل وقت ولكل أحد بلا إعجاز وما كـان هكذا فجائز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء لكـن وقـع وفاقـاً لتمنيه كمن دعا في موت عدوه أو تفريج همه أو بلوغ أمنيته في دنياه ولقد حدثني حكم بن منذر بن سعيد أن أباه رحمـه ا كان في جماعة في سفرة في صحراء فعطشـوا وأيقنـوا بالهلكة ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت قـال فأسـندت رأسي إلى حجر ناتئ فتأذيت به فقلعته فاندفع الماء العـذب من تحته فشربنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرج وحتى لو

كانت معجزة لوجب بلا شك أن يكونوا أنبياء أو لنبي ممـن في زمن نبي لابد مما قدمناه.

قال أبو محمد: ولا عجب أعجب من قول من يجيـز قلب الأعيان للساحر وهو عندهم فاسق أو كافر ويجيز مثـل ذلك للصالح وللنبي فقد جاز عندهم قلـب الأعيـان للنبـي وللصالح وللفاسق وللكافر فوجب أن قلب الأعيان جائز مـن كل أحد وبؤساً لقول أدى إلى مثل هذا وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الأعيان على سـبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعي لهم النبوة بها فاستوى عنـد هؤلاء المخذولين النبي والساحر نعوذ بـا مـن الضـلال المبين.

قال أبو محمد: فان اعترضوا بقول ا تعالى " وقَالَ ربكُم ادعونِي أَستَجِب لَكُم إِن الَذِين يستَكْبِرون عن عِبـادتِي سيدخُلُون جهنم داخِرِين " وبقوله تعالى " أجيب دعوة الـداع إذا دعان " فهذا حق وإنما هو بلا شك أنه في الممكنات التي علم ا تعالى أنها تكون لا فيما في علم ا تعـالى أنهـا لا تكون ولا في المحال ونسألهم عمن دعا إلى ا تعالى في أن يجعله نبياً أو في أن ينسخ دين الإسلام أو بأن يجعل القيامة

قبل وقتها أو يمسخ الناس كلهم قردة أو بأن يجعل لـه عينـاً ثالثة أو بأن يدخل الكفار الجنة أو المؤمنين النار وما أشـبه هذا فإن أجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجـانين وإن منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالآيـات المـذكورة وصح أن الإجابة إنما تكون في خاص من الـدعاء لا فـي العموم وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وصح أن رسول ا صلى ا عليـه وسلم قال لأسامة وخالد هلا شققت عن قلبه لتعلم أ قال هـا متعوذا أم لا.

قال أبو محمد: فلو جاز ظهور المعجزة على غيـر نبي على سبيل الكرامة لوجب القطع على ما في قلبه وأنـه ولي ا تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضى ا عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني أن ا تعالى لا يقدر على إظهار آية على يد كذاب فهو داخل في جملـة تعجيزه الباري تعالى وهو أيضاً تعجيز سخيف داخـل فـي جملة المحال وذلك أنه جعل ا تعالى قادراً علـى إظهـار الآيات على كل ساحر فإن علم أنه يقول أنه نبي لم يقدر على أن يظهرها عليه وهذا قول في غاية الفساد لأن من قدر على

شيء لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بأن ذلك الذي يظهـر فيه الفعل يقول أنا نبي ولا يتوهم هذا ولا يتشكل في العقـل ولا يمكن البتة وإنما هم قوم أهملوا حكم ا تعـالى علـيهم وأطلقوا حكمهم عليه تعالى وما في الكفر أسمج من هـذا ولا أطم ولا أبرد.

قال أبو محمد: ورأيت للباقلاني في فصل من كلامه أن الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القـرآن ولا قـادرين عليه ولا هم عاجزون عن الصعود إلى السماء ولا عن إحياء الموتى ولا عن خلق الأجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذا نص كلامه دون تأويل منا عليه ثم قال إن القدرة لا تقع إلا حيث يقع العجز.

قال أبو محمد: وكل هـذا هـوس لا يـأتي بـه إلا الممرور وأطم من ذلك احتجاجه بأن العجز لا يقع إلا حيـث تقع القدرة ولا ندري في أي لغة وجدوا هذا الكذب أم في أي عقل وجد هذا السخف وما شك ذو علم باللغة من الخاصـة والعامة في بطلان قوله وفي أن العجز ضد القدرة وأن مـا قدر الإنسان عليه فلم يعجز عنه في حين قدرته عليه وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه في حين عجزه عنه وإن نفي القدرة

إثبات للعجز وأن نفي العجز إثبات للقدرة ما يجهل هذا عامي ولا خاصي أصلاً وهو أيضاً معروف بأول العقل والعجب أن يأتي بمثل هذه الدعاوي السخيفة بغيـر دليـل أصـلاً لكـن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وأمثاله من الفساق في دين ا تعالى فيتلقفها عنهم من أضله ا تعالى ونعوذ بـا من الخذلان وقد قال ا تعالى " واعلموا أنكم غير معجزي ا " فاقتضى هذا أنهم مقدور عليهم تعالى و قال تعالى " ليس بمعجز في الأرض " فوجب أنه مقدور عليـه و قـال تعالى " وا على كل شيء قدير " فصح أنه غيـر عـاجز وبا تعالى التوفيق وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين.

الكلام في الجن ووسوسة الشيطان

وفعله في المصروع قال أبـو محمـد: لـم نـدرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كـونهم في العالم أيضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقـل إمكان كونهم لأن قدرة ا تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين أن يخلق خلقاً عنصرهم التـراب والماء فيسكنهم الأرض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقـا

عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والأرض بـل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد ا عز وجل بصدقهم بما أبـدى علـى أيـديهم مـن المعجزات المحيلة للطبائع بنص ا عز وجل علـى وجـود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجـودهم وقـد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبـدة موعـودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قـال تعـالى " أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ".

قال أبو محمد: وهم يروننا ولا نراهم قال ا تعالى " إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " فصـح أن الجـن قبيل إبليس قال ا عز وجل " إلا إبليس كان من الجن ".

قال أبو محمد: وإذ أخبرنا ا عز وجل أننا لا نراهم فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب إلا أن يكـون مـن الأنبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسـول ا صلى ا عليه وسلم أنه تفلت عليه الشيطان ليقطـع عليـه

صلاته قال فأخذته فذكرت دعوة أخي سليمان ولـولا ذلـك لأصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى إنما هي معجزة لرسول ا صلى ا عليه وسلم ولا سبيل إلى وجود خبـر يصـح برؤية جني بعد موت رسول ا صلى ا عليه وسلم وإنمـا هي منقطعات أو عمن لا خير فيه.

قال أبو محمد: وهم أجسام رقاق صافية هوائيـة لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما أن عنصرنا التـراب وبـذلك جاء القرآن قال ا عز وجل " والجان خلقناه من قبل من نار السموم " والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وإنما حـدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والأدهان وغير ذلك ولو كانت لهـم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صـافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس وصح الـنص بـأنهم يوسوسون في صدور الناس وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنـا أن ا عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها إلى قذف ما يوسوسون به في النفوس برهان ذلك قول ا تعالى " من شر الوسواس

الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والنـاس "
ونحن نشاهد الإنسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل
أعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته ويرى مـن يحـب
فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط ويرى من يخاف فتحدث
له حال أخرى من صفرة ورعشة وضعف نفس ويشير إلـى
إنسان آخر بإشارات يحل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجلـه
أخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة وكـذلك يحيلـه أيضـا
بالكلام إلى جميع هذه الأحوال فعلمنا أن ا عز وجل جعـل
للجن قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس والقذف فيها بمـا
يستدعونها إليه نعوذ با من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن
شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجرى الدم كما قال
الشاعر: قال أبو محمد: وأما الصرع فان ا عز وجل قال "
الذي يتخبطه الشيطان من المس " فذكر عز وجـل تـأثير
الشيطان في المصروع إنما هو بالمماسة فلا يجوز لأحـد أن
يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال ما لا علم
له به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل " ولا تقف ما ليس لك
به علم " وهذه الأمور لا يمكن أن تعـرف البتـة إلا بخبـر
صحيح عنه صلى ا عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السـلام

بغير ما ذكرنا وبا تعالى التوفيق فصح أن الشيطان يمـس
الإنسان الذي يسلطه ا عليه كما جاء في القرآن يثيـر بـه
طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ كما يخبر به
عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث ا عز وجل
له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القـرآن
وما توجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات مـن توليـد
العزامين والكذابين وبا تعالى نتأيد وأما قـول رسـول ا
صلى ا عليه وسلم أن الشمس تطلع ومعها قرن الشـيطان
فإذا ارتفعت فارقها فإذا استوت قارنها فإذا زالت فارقها فإذا
أجنحت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة
في هذه الأوقات أو كما قال عليه السلام مما هذا معناه بـلا
شك فقد قلنا أنه عليه السلام لا يقول إلا الحق وأن كلامه كله
على ظاهره إلا أن يأتي نص بأن هذا الـنص لـيس علـى
ظاهره فنسمع ونطيع أي يقوم بذلك برهان من ضرورة حس
أو أول عقل فنعلم أنه عليه السلام إنما أراد ما قد قام بصحته
البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا أن الشمس في كل
دقيقة طالعة على أفق من الآفاق مرتفعة على آخر مسـتوية
على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة

على سادس هذا ما لاشك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فإذ ذلك كذلك فقد صح يقينا أنه عليه السلام إنما عني بذلك أفقـا مـا دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك إذ لو أراد كل أفق لكان الإخبار بأنه يفارقها كذبا وحاشا له من ذلك فإذ لا شك فـي هذا كله فلا مرية أنه عليه الصلاة والسلام إنما عني به أفـق المدينة إذ هو الأفق الذي أخبر أهله بهذا الخبر فأنبأهم بمـا يقارن الشمس في تلك الأحوال وما يفارقها من الشيطان وا أعلم بذلك القرآن ما هو لا نزيد على هذا إذ لا بيان عنـدنا فيما بينه إلا أنه ليس شيء من ذلك بممتنع أصلاً فصح بمـا ذكرنا أن أول الخبر خاص كما وصفنا وأن نهيه عن الصلاة في الأوقات قصة أخرى وقضية ثانية وحكم غير الأول فهو على عمومه في كل زمان وكل مكان إلا ما قام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا في غيـر هـذا الكتاب في كتب الصلاة من تآليفنا والحمد رب العـالمين كثيرا.

الكلام في الطبائع

قال أبو محمد: ذهبت الأشعرية إلى إنكـار الطبـائع جملة و قال وا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا فـي

العالم طبيعة أصلاً و قال وا إنما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة قال وا ولا في الخمر طبيعة إسـكار ولا في المني قوة يحدث بها حيوان ولكن ا عز وجل يخلق منه ما شاء وقد كان ممكنا أن يحدث من مني الرجال جملا ومن مني الحمار إنسانا ومن زريعة الكزبر نخلا.

قال أبو محمد: ما نعلم لهم حجة شغبوا بها في هـذا الهوس أصلاً وقد ناظرت بعضهم في ذلك فقلت له إن اللغـة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم لأن من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والبحيرة والغريزة والسـجية والسيمة والجبلة بالجيم ولا يشك ذو علم في أن هذه الألفـاظ استعملت في الجاهلية وسمعها النبي صلى ا عليه وسلم فلم ينكرها قط ولا أنكرها أحد من الصحابة رضي ا عنهم ولا أحد ممن بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قـال امـرؤ القيس: وإن كنت قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل و قال حميد بن ثور الهلالي الكندي: لكل امرئ يـا أم عمرو طبيعة وتفرق ما بين الرجال الطبائع و قال النابغـة: لهم سيمة لم يعطها ا غيرهم من الجـود والأحـلام غيـر عوازب و قال رسول ا صلى ا عليه وسلم للجـارود إذ

أخبره أن فيه الحلم والأناة فقال له الجارود ا جبلني عليهما يا رسول ا أم هما كسب فقال رسول ا صـلى ا عليـه وسلم بل ا جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الألفـاظ أسماء مترادفة بمعنى واحد عندهم وهو قوة في الشيء يوجد بها على ما هو عليه فاضطرب ولجأ إلى أن قال أقوال بهـذا في الناس خاصة فقلت له وأني اك بالتخصيص وهذا موجود بالحس وببديهة العقل في كل مخلوق في العالم فلم يكن عنده تمويه.

قال أبو محمد: وهذا المذهب الفاسد حداهم علـى أن سموا ما تأتي به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيـات المعجزات خرق العادة لأنهم جعلوا امتناع شق القمر وشـق البحر وامتناع إحياء الموتى وإخراج ناقة من صخرة وسائر معجزاتهم إنما هي عادات فقط.

قال أبو محمد: معاذ ا من هذا ولو كان ذلك عادته لما كان فيها إعجاز أصلاً لأن المادة في لغة العرب والـدأب والدين والديدان والهجري ألفاظ مترادفة على معنـى واحـد وهي في أكثر استعمال الإنسان له مما لا يؤمن تركه إياه ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثلـه بخـلاف

الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع فالعادة في استعمال العرب العامة التلحي وحمل القناة وتحمل بعض النـاس القلنسـوة وكاستعمال بعضهم حلق الشعر وبعضهم توفيره.

تقول وقد دارت لها وضيني أهذا دينه أبدا وديـنـي و قال آخر ومن عاداته الخلق الكريم.

و قال آخر: قد عود الطير عادات وثقن بهـا فهـن يصحبنه في كل مرتحل و قال آخر عـودت كنـدة عـادات فصبرا لها.

و قال آخر: وشديد عادة منتزعه.

فذكر أن انتزاع العادة يشتد إلا أنه ممكن غير ممتنع بخلاف إزالة الطبيعة التي لا سبيل إليهـا وربمـا وضـعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالي: سلي الربع إن يممت يا أم سالم وهل عادة للربع أن يتكلما قال أبو محمد: وكل هذه الطبائع والعـادات مخلوقـة خلقها ا عز وجل فرتب الطبيعة على أنها لا تستحيل أبـدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذي عقل كطبيعة الإنسان بأن يكون ممكنا له التصرف في العلوم والصناعات إن لم يعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغال بأنه غير ممكن منها ذلك وكطبيعـة

البر أن لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما فـي العـالم والقوم مقرون بالصفات وهي الطبيعة نفسها لأن من الصفات المحمولة في الموصوف ما هو ذاتي به لا يتوهم زوالـه إلا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التي إن زالت عنها صارت خلاً وبطل اسم الخمر عنها وكصـفات الخبـز واللحم التي إذا زالت عنها صارت زبلا وسقط اسـم الخبـز واللحم عنهما وهكذا كل شئ له صفة ذاتية فهذه هي الطبيعة ومن الصفات المحمولة في الموصوف ما لو توهم زواله عنه لم يبطل حامله ولا فارقه اسمه وهذا القسم ينقسم أقساما ثلاثة فأحدها ممتنع الزوال كالغطس والقصر والـزرق وسـواد الزنجي ونحو ذلك إلا أنه لو توهم زايلا لبقي الإنسان إنسانا بحاله وثانيها بطيء لزوال كالمرودة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الخجل وصـفرة الوجـل وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هي حقيقة الكلام في الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعـوذ با من الخذلان.

نبوة النساء

قال أبو محمد: هذا فصل لا نعلمه حـدث التنـازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة وفي زماننا فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة وبدعت مـن قـال ذلـك وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك.

قال أبو محمد: ما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلاً إلا أن بعضهم نازع في ذلك بقول ا قال أبو محمد: وهـذا أمر لا ينازعون فيه ولم يدع أحد أن ا تعالى أرسل امـرأة وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحـق فـي ذلك بأن ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا ا بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الأنبـاء وهـو الإعلام فمن أعلمه ا عز وجل بما يكون قبل أن يكـون أو أوحي إليه منبئا له بأمر ما فهو نبي بلا شك وليس هذا مـن باب الإلهام الذي هو طبيعة كقول ا تعالى " وأوحى ربـك إلى النحل " ولا من باب الظن والتوهم الذي لا يقطع بحقيقته إلا مجنون ولا من باب الكهانة التـي هـي مـن اسـتراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقـب وفيـه يقول ا عز وجل " شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى

بعض زخرف القول غرورا " وقد انقطعت الكهانة بمجـيء رسول ا صلى ا عليه وسلم ولا من باب النجوم التي هي تجارب تتعلم ولا من باب الرؤيا التي لا يدري أصـدقت أم كذبت بل الوحي الذي هو النبوة قصد مـن ا تعـالى إلـى إعلام من يوحي إليه بما يعلمه به ويكون عند الوحي به إليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث ا عز وجل لمن أوحى به إليه علما ضروريا بصحة ما أوحي به كعلمه بمـا أدرك بحواسه وبديهة عقله سواء لا مجال للشك فـي شـيء منه إما بمجئ الملك به إليه وإما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من ا تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم فـإن أنكروا أن يكون هذا هو معنى النبوة فليعرفونا مـا معناهـا فإنهم لا يأتون بشيء أصلاً فإذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بأن ا عز وجل أرسل ملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحي حـق من ا تعالى فبشروا أم إسحاق بإسحاق عن ا تعالي قـال عز وجل " وامرَأَتُه قَآئِمةٌ فَضحِكَتْ فَبشرنَاها بِإِسحقَ ومِـن وراء ِإسحقَ يعقُوب قَالَتْ يا ويلَتَى أَأَلِد وَأَنَاْ عجوز وهـ ـذَا بعلِي شَيخًا ِإن هـذَا لَشَيء عجِيب قَالُواْ أَتَعجِبين مِن َأمرِ اللّهِ رحمتُ اللّهِ وبركَاتُه علَيكُم َأهلَ الْبيتِ " فهذا خطاب الملائكة

لأم إسحاق عن ا عز وجل بالبشارة لها بإسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من أمر ا ولا يمكن البتة أن يكـون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه ووجـدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى عليهمـا السـلام بخطابها و قال لها " إنما أنا رسول ربك لأهب لـك غلامـا زكيا " فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من تعـالى إليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من ا تعالى رزقا واردا تمنى من أجله ولدا فاضلا ووجدنا أم موسى عليهمـا الصلاة والسلام قد أوحى ا إليها بإلقاء ولـدها فـي الـيم وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لا شك فيها وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح أنها لو لم تكن واثقة بنبوة ا عز وجل لها لكانت بإلقائها ولدها في اليم برؤيا تراها أو بما يقع في نفسها أو قام في هاجستها في غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك أحدنا لكان غاية الفسق أو في غاية الجنون مستحقا لمعاناة دماغه في البيمارستان لا يشك في هذا أحد فصح يقينا أن الوحي الذي ورد لهـا فـي إلقاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على إبراهيم في الرؤيـا في ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها أو ظن وقع في نفسه

لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الأنبياء فاسقا فـي نهايـة الفسق أو مجنونا في غاية الجنون هذا ما لا يشك فيه أحد من الناس فصحت نبوتهن بيقين ووجدنا ا تعالى قد قـال وقـد ذكر من الأنبياء عليهم السلام في سورة كهعيص ذكر مـريم في جملتهم ثم قال عز وجل " أُولَئِكَ الذِين أَنْعم الله علَيهم من النبِيين مِن ذُريةِ آدم ومِمن حملْنَا مع نُوحٍ ومِن ذُريةِ إِبراهِيم وإِسرائِيلَ ومِمن هدينَا واجتَبينَا إِذَا تُتْلَى علَيهم آياتُ الـرحمن خَروا سجدا وبكِيا " وهذا هو عموم لهـا معهـم لا يجـوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل وأمـه صـديقة بمانع من أن تكون نبية فقد قال تعال " يوسف أيها الصديق " وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبا تعـالى التوفيـق ويلحق بهن عليهن السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول ا صلى ا عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون أو كما قال عليه الصلاة والسلام والكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لأن مـن دونهـم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى ا عليه وسـلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من أوتيت النبوة

من النساء بلا شك إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقـة فلم يكمل فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا كمالا لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما أصلاً وإن كن بنصوص القـرآن نبيات وقد قال تعالى " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض " فالكامل في نوعه هو الذي لا يلحقه أحد من أهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم ا تعالى على سائر الرسل ومنه نبينا وإبراهيم عليهمـا الصـلاة والسـلام بـلا شـك للنصوص الواردة بذلك في فضلهما على غيرهما وكمل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام.

الكلام في الرؤيا

قال أبو محمد: ذهب صالح تلميذ النظام إلى أن الذي يري أحدنا في الرؤيا حق كما هو وأنه من رأى أنه بالصين وهو بالأندلس فإن ا عز وجل اخترعه فـي ذلـك الوقـت بالصين.

قال أبو محمد: وهذا القول في غاية الفساد لأن العيان والعقل يضطران إلى كذب هذا القول وبطلانه أمـا العيـان فلأننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يرى نفسه في ذلـك الوقت بالصين وأما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يـرى

الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حيا وما أشـبه ذلك وقد صح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أن رجـلا قص عليه رؤيا فقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك.

قال أبو محمد: والقول الصحيح في الرؤيا هو أنهـا أنواع فمنها ما يكون من قبل الشيطان وهو مـا كـان مـن الأضغاث والتخليط الذي لا ينضبط ومنها ما يكون من حديث النفس وهو ما يشتغل به المرء في اليقظة فيراه في النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب أو خلاص من خوف أو نحو ذلـك ومنها ما يكون من غلبة الطبع كرؤية من غاب عليـه الـدم للأنوار ولزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلـب عليـه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه وكرؤية من غاب عليه السوداء الكهوف والظلم والمخاوف ومنها ما يريه ا عز وجل نفس الحالم إذا صفت من أكـدار الجسـد وتخلصت من الأفكار الفاسدة فيشرف ا تعالى به على كثير من المغيبات التي لم تأت بعد وعلى قدر تفاضل النفس فـي النقاء والصفاء يكون تفاضل ما يراه في الصدق وقد جاء عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه لم يبق بعـده مـن النبـوة إلا المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تـرى لـه

وأنها جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة إلى جزء مـن ستة وأربعين جزأ من النبوة إلى جزء من سبعين جزأ مـن النبوة وهذا نص جلي على ما ذكرنا من تفاضلها في الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هـذه النسـب والأقسام على أنه عليه السلام إنما أراد بذلك رؤيا الأنبيـاء عليهم السلام فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جـزأ من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة وأربعين جزأ من نبوته وخصايصه وفضايله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جـزأ مـن نبوتـه وخصائصـه وفضائله وهذا هو الأظهر وا أعلم ويكون خارجـا علـى مقتضى ألفاظ الحديث بلا تأويل بتكلف وأمـا رؤيـا غيـر الأنبياء فقد تكذب وقد تصدق إلا أنه لا يقطع علـى صـحة شيء منه إلا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الأنبياء فإنها كلها وحي مقطوع على صحته كرؤيا إبراهيم عليه السلام ولـو رأى ذلك غير نبي في الرؤيا فأنفذه في اليقظة لكـان فاسـقا عابثا أو مجنونا ذاهب التمييز بلا شك وقـد تصـدق رؤيـا الكافر ولا تكون حينئذ جزأ من النبوة ولا مبشرات ولكـن إنذارا له أو لغيره ووعظا وبا تعالي التوفيق.

الكلام في أي الخلق أفضل

قال أبو محمد: ذهب قوم إلا أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة وذهبت طائفة تنتسب إلى الإسلام أن الصالحين غير النبيين أفضل من الملائكة وذهب بعضهم إلى أن الولي أفضل من النبي وأنه يكون في هذه الأمة من هو أفضل من عيسى بن مريم ورأيت الباقلاني يقول جائز أن يكون في هذه الأمة من هو أفضل من رسول ا صلى ا عليه وسلم من حين بعث إلى أن مات ورأيت لأبي هاشم الجبائى أنه لو طال عمر إنسان من المسلمين في الأعمال الصالحة لأمكن أن يوازي عمل النبي صلى ا عليه وسلم كذب لعنه الل.

ه قال أبو محمد: ولولا أنه استحيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلاني ل قال ما يوجبه هذا القول من أنه كان يزيد فضلا على رسول ا صلى ا عليه وسلم.

قال أبو محمد: وهذه الأقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشا تعالى من أن يكون أحد ولو عمر عمر الدهر يلحق فضل صاحب فكيف فضل رسول ا صلى ا عليه وسلم أو نبي من الأنبياء عليهم السلام فكيف يكون أفضل من رسول

ا صلى عليه وسلم هذا ما لا تقبله نفس مسلم كأنهم مـا سمعوا قول ا عز وجل " لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقـوا مـن بعـد وقاتلوا " وقول النبي صلى ا عليه وسلم دعوا لي أصحابي فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل ا ما بلغ مـد أحدهم ولا نصيفه.

قال أبو محمد: فكيف يلحق أبدا من أن تصدق هـو بمثل جبل أحد ذهبا وتصدق الصاحب بنصف مد من شـعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه في الفضل جبل الذهب فكيف برسول ا صلى ا عليه وسلم قال أهل الحق أن الملائكـة أفضل من كل خلق حلقه ا تعالى ثم بعـدهم الرسـل مـن النبيين عليهم السلام ثم بعدهم الأنبياء غير الرسـل علـيهم السلام ثم أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم على مـا رتبنا قبل.

قال أبو محمد: ومن صحب رسـول ا صـلى ا عليه وسلم من الجن له من الفضل ما لسائر الصحابة بعموم قوله صلى ا عليه وسلم دعوا إلي أصحابي وأفضل الرسل محمد صلى ا عليه وسلم أما فضل الملائكة على الرسل من

غير الملائكة فلبراهين منها قول ا عز وجل أمراً لرسـول ا صلى ا عليه وسلم أن يقول " قُل لا أَقُولُ لَكُـم عِنـدِي خَزَآئِن اللّهِ ولا أَعلَم الْغَيب ولا أَقُولُ لَكُم إِني ملَك إِن أَتبِع إِلا ما يوحى إِلَي قُلْ هلْ يستَوِي الأَعمى والْبصِير أَفَلاَ تَتَفَكرون " فلو كان الرسول أرفع من الملك أو مثله ما أمـر ا تعـالى رسوله صلى ا عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول الذي إنما قال ه منحطا عن الترفع بأن يظن أنه عنده حزائن ا أو أنه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة في مرتبته التـي هي دون هذه المراتب بلا شك إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو أرفع منها وأيضا فأن ا عز وجـل ذكـر محمدا الذي هو أفضل الرسل بعد الملائكة وذكـر جبريـل عليهما السلام وكان التباين من ا عز بينهما تبايناً بعيدا وهو أنه عز وجل قال " إنه لقول رسول كريم ذي قوة عنـد ذي العرش مكين مطاع ثم أمين " فهذه صفة جبريل عليه السلام ثم ذكر محمدا صلى ا عليه وسلم فقال " ومـا صـاحبكم بمجنون " ثم زاد تعالى بيانا رافعا للإشكال جملة فقال " ولقد رآه بالأفق المبين " فعظم ا تعالى من شأن أكـرم الأنبيـاء والرسل بأن رأى جبريل عليه السلام ثم قال " ولقد رآه نزلة

أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيـات ربـه الكبرى " فأمتن ا تعالى كما ترى على محمد صلى ا عليه وسلم بأن أراه جبريل مرتين وإنما يتفاضل الناس كما قـدمنا بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد وأعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى " جاعل الملائكة رسلا " فهم كلهم رسل ا ثم اختصهم تعـالى بـأن ابتدأهم في الجنة وحوالي عرشه في المكان الذي وعد رسله ومن اتبعهم بأن نهاية كرامتهم مصيرهم إليه وهـو موضـع خلق الملائكة ومحلهم بلا نهاية مذ خلقوا وذكرهم عز وجـل في غير موضع من كتابه فأثنى على جميعهم ووصفهم بأنهم لا يفترون ولا يسأمون ولا يعصون ا فنفي عـنهم الزلـل والفترة والسآمة والسهو وهذا أمر لم ينفه عـز وجـل عـن الرسل صلوات ا عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة نعلم من عصم من السهو أفضل ممن لم يعصم منه وأن من عصم من العمد كالأنبياء عليهم السلام أفضل ممن لم يعصم ممن سواهم فإن اعترض معترض بقول ا عز وجـل " ا يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس " قيل له لـيس هـذا

معارضا لقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فإن كل آية فإنمـا تحمل على مقتضاها وموجب لفظها ففي هذه الآية إن بعض الملائكة رسل وهذا حق لا شك فيه وليس إخبارا عن سائرهم بشيء لا بأنهم رسل ولا بأنهم ليسوا رسلا فلا يحل لأحد أن يزيد في الآية ما ليس فيها ثم في الآية الأخرى زيادة على ما في هذه الآية وإخبار بأن جميع الملائكة رسل ففي تلك الآية بعض ما في هذه الآية وفي هذه الآية كل ما في تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كما أن ا عز وجـل إذ ذكـر فـي كهعيص من ذكر من النبيين فقال " أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَـم اللـه عليهم من النبيين مِن ذُريةِ آدم ومِمن حملْنَا مع نُـوحٍ ومِـن ذُريةِ إِبراهِيم وإِسرائِيلَ ومِمن هدينَا واجتَبينَا إِذَا تُتْلَى علَـيهم آياتُ الرحمن خَروا سجدا وبكِيا " وقد قال تعالى " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " أفترى الرسل الذين لم يقصصهم ا تعالى عليه جملة أو في هـذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ ا من هذا فما يقوله مسلم والوجه الثاني من أوجه الفضل هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في أعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والـدنيات وقد نص ا تعالى على أن الملائكة لا يفترون من الطاعـة

ولا يسأمون منها ولا يعصون البتة في شيء أمروا به فقـد صح أن ا عز وجل عصمهم من الطبائع الناقصة الداعيـة إلى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنـوم فصح يقينا أنهم أفضل من الرسل الذين لـم يعصـموا مـن الفتور والكسل ودواعيهما.

قال أبو محمد: واحتج بعض المخالفين في هذا بـأن قال قال ا عز وجـل " إن ا اصـطفى آدم ونوحـا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " قال وا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم.

قال أبو محمد: وهذه الآية قد صح البرهـان بأنهـا ليست على عمومها لأنه تعالى لم يذكر فيها محمدا صلى ا عليه وسلم ولا خلاف في أنه أفضل الناس قال ا تعـالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس " فإن قال أن آل إبراهيم هم آل محمد قيل له فنحن إذا أفضل من جميع الأنبيـاء حاشـا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصح يقينـا أن هذه الآية ليست على عمومها فإذ لاشك في ذلك فقد صح أن ا عز وجل إنما أراد بها عالمي زمانهم من الناس لا مـن الرسل ولا من النبين نعم ولا من عالمي غير زمانهم أننا بلا

شك أفضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة وبا تعالى التوفيق وصح أنها مثل قوله تعالى " يا بني إسـرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وإني فضلتكم على العالمين " ولا شك في أنهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيـين ولا على أمتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيـف علـى الملائكة ونحن لا ننكر إزالة للنص عن ظـاهره وعمومـه ببرهان من نص آخر أو إجماع متيقن أو ضرورة حس وإنما ننكر ونمنع من إزالة النص عن ظاهره وعمومه بالـدعوى فهذا هو الباطل الذي لا يحل في دين ولا يصح فـي إمكـان العقل وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وذكر بعضهم قول ا عز وجـل " الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " قال أبو محمد: وهذا مما لاحجة لهم فيه أصلاً لأن هذه الصفة تعـم كل مؤمن صالح من الإنس ومن الجن نعم وجميع الملائكـة عموما مستويا فإنما هذه لآية تفضيل الملائكة والصالحين من الإنس والجن على سائر البرية وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وهذا أعظم حجة عليهم لأن السـجود المأمور به لا يخلو من أن يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن

قال ه ولا يجوز أن يكون ا عز وجل يأمر أحداً من خلقـه بعبادة غيره وإما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كـذلك بلا خلاف من أحد من الناس فإذ هو كذلك فلا دليل أدل على فضل الملائكة على آدم من أن يكون ا تعالى بلغ الغاية في إعظامه وكرامته بأن تحييهم الملائكة لأنهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية في تحيتهم له وقد أخبر ا عز وجل يوسف عليه السلام فقال " ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا و قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا " وكانت رؤياه هي التي ذكر ا عز وجل عنه إذ يقول " ِإذْ قَالَ يوسفُ ِلَأبِيهِ يا َأبتِ ِإني رَأيـتُ َأحـد عشَـر كَوكَبـا والشمس والْقَمر رَأيتُهم ِلي ساجِدِين ".

قال أبو محمد: وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب أن يوسف أفضل من يعقـوب واحتجـوا أيضا بأن الملائكة لم يعلموا أسماء الأشياء حتى أنبأهم بهـا آدم على جميعهم السلام بتعليم ا عز وجل آدم إياها.

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهم فيـه لأن ا عـز وجل يعلم من هو أنقص فضلا وعلما في الجملـة أشـياء لا يعلمها من هو أفضل منه وأعلم منه بما عدا تلك الأشياء فعلم

الملائكة ما لا يعلمه آدم وعلم آدم أسماء الأشياء ثم أمره بأن يعلمها الملائكة كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه وعلم أيضا موسى عليه السلام علوما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبي صلى ا عليه وسلم أن الخضر قال لموسى عليه السلام إني على علم من علم ا لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم ا لا أعلمه أنا.

قال أبو محمد: ولي في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام.

قال أبو محمد: وقد قال بعض الجهال إن ا تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة يأتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل قال تعالى " تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون " و قال تعالى " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم ".

قال أبو محمد: أما خدمة الملائكة لأهل الجنة وإقبالهم إليهم بالتحف فشيء ما علمناه قط ولا سمعناه إلا من القصاص بالخرافات والتكاذيب وإنما الحق من ذلك ما ذكره ا عز وجل في النص الذي أوردنا وهو و الحمد من

أقوى الحجج في فضل الملائكة على من سواهم ويلزم هـذا المحتج إذ كان إقبال الملائكة بالبشارات إلى أهل الجنة دليلا على فضل أهل الجنة عليهم أن يكون إقبـال الرسـل إلينـا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند ا عز وجل دليلا على أننا أفضل منهم وهذا كفر مجرد ولكن الحقيقة هي أن الفضل إذ كان للأنبياء عليهم السلام على الناس بأنهم رسل ا اليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة على الأنبياء والرسل لكونهم رسل ا تعالى إليهم ووسائط بيـنهم وبين ربهم تعالى وأما تفضل ا تعالى على أهـل الجنـة بالأكل والشرب والجماع واللباس والآلات والقصـور فإنمـا فضلهم ا عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم وقد نزه ا سبحانه الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بـل أبانهم وفضلهم بل جعل طبائعهم لا تلتذ بشئ مـن ذلـك إلا بذكر ا عز وجل وعبادته وطاعته في تنفيذ أوامره تعـالى فلا منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعل تعالى غاية إكرامنا الوصول إليه بعد لقاء الأمرين فـي التعب في عمارة هذه الدنيا النكدة وفي كلف الأعمـال ففـي

ذلك المكان خلق ا عز وجل الملائكة منـذ ابتـدأهم وفيـه خلدهم وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: و قال بعض السـخفاء أن الملائكـة بمنزلة الهواء والرياح.

قال أبو محمد: وهذا كذب وقحة وجنون لأن الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة عقلا متعبدون منهيون مأمورون وليس كذلك الهواء والرياح لكنها لا تعقل ولا هي متكلفة متعبدة بل هـي مسخرة مصرفة ولا اختيار لهـا قـال تعـالى " والسـحاب المسخر بين السماء والارض " و قال تعالى " سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام " وذكر تعالى الملائكة فقال " بل عبـاد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " و قال تعالى " ويستغفرون لمن في الأرض " و قال تعالى " وقَالَ الَّذِين لَا يرجون لِقَاءنَا لَولَا أُنزِلَ علَينَا الْملَائِكَةُ أَو نَـرى ربنَـا لَقَـدِ استَكْبروا فِي أَنفُسِهم وعتَو عتُوا كَبِيرا يوم يرون الْملَائِكَةَ لَـا بشْرى يومئِذٍ لِلْمجرِمِين ويقُولُون حِجرا محجـورا " فقـرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى إتيانه بإتيـان الملائكة فقال عز وجل " هل ينظرون إلا أن يأتيهم ا فـي

ظلل من الغمام والملائكة " واعلم أن إعراب الملائكة هاهنا بالرفع عطفا على الله عز وجل لا على الغمام ونص تعـالى على أن آدم عليه الصلاة والسلام إنما أكل من الشجرة ليكون ملكا أو ليخلد كما قص تعالى علينا إذ يقول عز وجل " مـا نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونـا من الخالدين ".

قال أبو محمد: فبيقين ندري أن آدم عليه السلام لولا يقينه بأن الملائكة أفضل منه وطمعه بأن يصير ملكا لما قبل من أبليس ما غره به من أكل الشجرة التي نهاه الله عز وجل عنها ولو علم آدم أن الملك مثله أو دونه لما حمل نفسه على مخالفة أمر الله تعالى لينحط عن منزلته الرفيعة إلى الـدون هذا ما لايظنه ذو عقل أصلاً.

قال أبو محمد: و قال عز وجل " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون " فقوله عز وجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ الغايـة فـي علـو درجتهم على المسيح عليه السلام لأن بنية الكلام ورتبته إنما هي إذا أراد القائل نفي صفة ما عن متواضع عنها أن يبـدأ بالأدني ثم بالأعلى وإذا أراد نفي صفة ما عن مترفع عنهـا

أن يبدأ بالأعلى ثم بالأدنى فنقول في القسم الأول ما يطمـع في الجلوس بين يدي الخليفة خازنه ولا وزيـره ولا أخـوه ونقول في القسم الثاني ما ينحط إلى الأكل في السـوق وال ولا ذو مرتبة ولا متصاون من التجار أو الصناع لا يجـوز البتة غير هذا وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وأيضا فإن رسول ا صلى ا عليه وسلم أخبر بأن ا سبحانه وتعالى خلق الملائكة مـن نـور وخلق الإنسان من طين وخلق الجن من نار.

قال أبو محمد: ولا يجهل فضل النور علـى الطـين وعلى النار أحد إلا من لم يجعل ا له نورا ومن لم يجعـل ا له نورا فما له من نور وقد صح أن رسول ا صلى ا عليه وسلم دعا ربه في أن يجعل في قلبه نورا فالملائكة من جوهر دعا أفضل البشر ربه في أن يجعل في قلبه منه وبا تعالى التوفيق وفي هذا كفاية لمن عقل.

قال أبو محمد: و قال عز وجل " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر " إلى قوله " وفضلناهم على كثيـر ممن خلقنا تفضيلا " فإنما فضل ا تعالى بنص كلامه عـز وجل بني آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق وبلا

شك أن بنى آدم يفضلون على الجن وعلى جميـع الحيـوان الصامت وعلى ما ليس حيوانا فلم يبق خلـق يسـتثني مـن تفضيل ا تعالى بني آدم عليه إلا الملائكة فقط.

قال أبو محمد: وأما فضل رسول ا صلى ا عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام أنه قـال فضلت على الأنبياء بست وروي بخمس وروي بأربع وروي بثلاث رواه جابر بن عبد ا وأنس بن مالك وحذيفـة بـن اليمان وأبو هريرة وبقوله صلى ا عليه وسلم أنا سيد ولـد آدم ولا فخر وإنه عليه السلام بعث إلى الأحمر والأسود وأنه عليه السلام أكثر الأنبياء اتباعا وأنه ذو الشفاعة التي يحتاج إليها يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم أماتنا ا على ملتـه ولا خالف بنا عنع وهو أيضاً عليه السلام خليل ا وكليمه.

الكلام في الفقر والغنى

قال أبو محمد: اختلف قوم في أي الأمـرين أفضـل الفقر أم الغنى.

قال أبو محمد: وهذا سؤال فاسد لأن تفاضل العمـل والجزاء في الجنة إنما هو العامل لا الحالة محمولة فيـه إلا

أن يأتي نص بتفضيل الله عز وجل حالا على حال وليس هاهنا نص في فضل إحدى هاتين الحالتين على الأخرى.

قال أبو محمد: وإنما الصواب أن ي قال أيما أفضل الغني أم الفقير والجواب هاهنا هو ما قال الله تعالى إذا يقول " هل تجزون إلا ما كنتم تعملون " فإن كان الغني أفضل عملا من الفقير فالغنى أفضل وإن كان الفقير أفضل عملا من الغنى فالفقير أفضل وإن كان عملهما متساويا فهما سواء قال عز وجل "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " وقد استعاذ النبي صلى الله عليه ومن فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عز وجل الشكر بإزاء الغنى والصبر بإزاء الفقر فمن أبقى الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان أو فقيرا وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بكذا وكذا خريفا ونازع الآخرون بقول الله عز وجل " ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى ".

قال أبو محمد: والغنى نعمة إذا قام بها حاملها بالواجب عليه فيها وأما فقراء المهاجرين فهم كانوا أكثر وكان الغني فيهم قليلا والأمر كله منهم وفي غيرهم راجع

إلى العمل بالنص والإجماع على أنه تعالى لا يجزي بالجنـة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غنى ليس معه عمـل خير وبا التوفيق.

الكلام في الاسم والمسمى

قال أبو محمد: ذهب قوم إلى أن الاسم هو المسمي و قال آخرون الاسم غير المسمى واحتج من قال أن الاسم هو المسمى بقول ا تعالى " تبارك اسـم ربـك ذي الجـلال والإكرام " ويقرأ أيضا ذو الجلال والإكرام قال ولا يجوز أن ي قال تبارك غير ا فلو كان الاسم غير المسمى ما جاز أن ي قال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى " سبح اسم ربك الأعلى " فقالوا ومن الممتنع أن يأمر ا عز وجل بأن يسبح غيره وبقوله عز وجل " ما تعبدون من دونه إلا أسماء سـميتموها أنتم وآباؤكم " و قال وا الاسم مشتق من السمو وأنكروا على من قال أنه مشتق من الوسم وهو العلامة وذكروا قول لبيد " إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقـد اعتذر و قال وا قال سيبويه الأفعال أمثلة احدث مـن لفـظ أحداث الأسماء قال وا وإنما أراد المسمين هذا كل ما احتجوا به قد تقصيناه لهم ولا حجة لهم في شئ منه أما قول ا عز

وجل تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وذو الجلال فحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم ا عز وجل الذي هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه فله التبارك وله الإجـلال منا ومن ا تعالى وله الإكرام من ا تعالى ومنا حيثما كان من قرطاس أو في شيء منقوش فيه أو مذكور بالألسنة ومن لم يجل اسم ا عز وجل كذلك ولا إكرامه فهو كافر بلا شك فالآية على ظاهرها دون تأويل فبطل تعلقهم بها جملـة و تعالى الحمد وكل شيء نص ا تعالى عليه أنه تبارك فـذلك حق ولو نص تعالى بذلك على أي شئ كان من خلقـه كـان واجبا لذلك الشيء وأما قوله تعالى " سبح اسم ربك الأعلى " فهو على ظاهره دون تأويل لأن التسبيح في اللغة التي بهـا نزل القرآن وبها خاطبنا ا عز وجل هو تنزيه الشئ عـن السوء وبلا شك أن ا تعالى أمرنا أن ننزه اسمه الذي هـو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب أو منطوقا به ووجه آخر وهو أن معني قوله تعالى " سبح اسم ربك الأعلى " ومعنى قوله تعالى " إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم " معنى واحد وهو أن يسبح ا

تعالى باسمه ولا سبيل إلى تسبيحه تعالى وتسبيح اسمه كـل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالى " فسـبح باسـم ربك العظيم " وبين قوله " واصبِر لِحكْمِ ربك فَإِنـك بِأَعيننَـا وسبح بِحمدِ ربك حِين تَقُوم " والحمد بلا شك هـو غيـر ا وهو تعالى نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فـرق فبطـل تعلقهم بهذه الآية والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: أما قوله تعالى " ما تعبدون من دونه إلا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم " فقول ا عز وجل حـق على ظاهره ولهذه الآية وجهان كلاهما صحيح أحـدهما أن معنى قوله عز وجل " ما تعبدون من دونه إلا أسماء أي إلا أصحاب أسماء برهان " هذا قوله تعالى إثر ذلك متصلا بها سميتموها أنتم وآباؤكم فصح يقينا أنه تعالى لم يعن بالأسماء هاهنا ذوات المعبودين لأن العابدين لها لم يحدثوا قـط ذوات المعبودين بل ا تعالى توحد بإحداثها هذا ما لا شـك فيـه والوجه الثاني أن أؤلئك الكفار إنما كانوا يعبدون أوثانا مـن حجارة أو بعض المعادن أو من خشب وبيقين ندري انهم قبل أن يسموا تلك الجمل من الحجارة ومن المعادن ومن الخشب باسم اللات والعزي ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق

ونسرا وبعل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة فلما أوقعوا عليهـا هـذه الأسماء عبدوها حينئذ فصح يقينا أنهم لم يقصدوا بالعبادة إلا الأسماء كما قال ا تعالى لا الذوات المسميات فعادت الآيـة حجة عليهم وبرهانا على أن الاسم غير المسمي بـلا شـك وبا تعالى التوفيق وأما قولهم أن الاسم مشتق مـن السـمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسـدان كلاهما باطل افتعله أهل النحو لم يصح قط عن العرب شـيئا منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الأسماء لا اشتقاق لهـا وأول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن ي قال لهم قال ا عـز وجل " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " فصح أن من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا في قولـه فهـاتوا برهانكم على أن الاسم مشتق من السمو أو من الوسـم وإلا فهي كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم أو علـى ا تعالى الواضع للغات كلها وقول عليـه تعـالى أو علـى العرب بغير علم وإلا فمن أين لكم أن العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو أو من الوسم والكذب لا يسـتحله

مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم إلى برهـان أصـلاً بذلك وأيضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كمـا تزعمـون فتسمية العذرة والكلاب والجيفة والقذر والشـرك والخنزيـر والخساسة رفعة لها وسمو لهذه المسميات وتباً لكل قول أدى إلى هذا الهوس البارد وأيضاً فهبك أنه قد سلم لهم قـولهم أن الاسم مشتق من السمو أي حجة في ذلك على أن الاسم هـو المسمى بل هو حجة عليهم لأن ذات المسمي ليست مشـتقة أصلاً ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا مـن غيـره فصح بلا شك أن ما كان مشتقا فهو غير مـا لـيس مشـتقا والاسم بإقرارهم مشتق والذات المسماى غير مشتقة فالاسـم غير الذات المسماة وهذا يليح لكل من نصح نفسه أن المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزيء بالنـاس متلاعـب بكلامـه ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده إلى الكفر المجرد لأنهم قطعوا أن الاسم مشتق من السمو وقطعوا أن الاسم هو ا نفسه فعلى قولهم المهلـك الخبيـث أن ا يشتق و أن ذاته نفسها مشتقة وهذا ما لا ندري كافرا بلغـه والحمد على ما من به من الهدي وأيضا فـإن ا تعـالي

يقول " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " إلى قوله تعـالى " قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ".

قال أبو محمد: فلا يخلو أن يكون ا عز وجل علـم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل إما بالعربية وإمـا بلغـة أخرى أو بكل لغة فإن كان عز وجل علمه الأسماء بالعربية فإن لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالي الأسـماء كلهـا ولأمر تعالى آدم بأن يقول للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء فلا يجوز أن يخص من هذا العموم شيء أصلاً بـل هـو لفـظ موقف عليه كسائر الأسماء ولا فرق وهو من جملة ما علمه ا تعالى آدم عليه السلام إلا أن يدعوا أن ا تعالى لشـتقه فالقوم كثيرا ما يستسهلون الكذب على ا تعـالى والإخبـار عنه بما لا علم لهم به فصح يقينا أن لفظة الاسم لا اشـتقاق لها وإنما هي اسم مبتدأ كسائر الأسماء والأنواع والأجنـاس وأن كان ا تعالى علم آدم الأسماء كلها بغير العربية فـإن اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسـم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبـارة عـن تلـك الألفاظ وإذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق فـي شـيء مـن

الأسماء أصلاً لا لفظة اسم ولا غيرها وإن كان تعالى علمـه الأسماء بالعربية وبغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم مـن جملة ما علمه وبطل أن يكون مشتقا أصلاً والحمـد رب العالمين فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجـة علـيهم وبا تعالى التوفيق وأما بيت لبيد فإنه يخرج على وجهـين أحدهما أن السلام اسم من أسماء ا تعالى قال ى تعـالى " الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن " ولبيد رحمه ا مسلم صحيح الصحبة للنبى صلى ا عليه وسلم و معناه ثم اسـم ا عليكما حافظ لكما والوجه الثاني أنه أراد بالسلام التحية ولبيد لا يقدر هو ولا غيره على إيقاع التحية عليهما وإنمـا يقدر لبيد وغيره على إيقاع اسم التحية والدعاء بها فقط فأي الأمرين كان فاسم السلام في بيت هو غير معنـى السـلام فالاسم في ذلك البيت غير المسمى ولا بد ثم لو صـح مـا يدعونه على لبيد ولو صح لكان قـول عائشـة رحمهـا ا ورضي ا عنها إنما أهجر اسمك بيانـا أن الاسـم غيـر المسمى وأن اسمه عليه السلام غيره لأنها أخبـرت أنهـا لا تهجره وإنما تهجر اسمه رضوان ا عليها وهى ليست فـي الفصاحة دون لبيد وهي أولى بان تكون حجة من لبيد فكيف

وقول لبيد حجة عليهم لا لهم والحمد ا رب العالمين وقـد قال رؤبة - باسم الذي في كل سورة سمر - ورؤبـة لـيس دون لبيد في الفصاحة وذات الباري تعالى ليست فـي كـل سورة وإنما في السورة اسم ا تعالى فلا شك أن الذي فـي السورة غير الذي ليس فيها و قال أبو ساسان حصـين بـن المنذر ابن الحارث بن وعلة الرقاشي لابنه غياظ: وسـميت غياظا ولست بغياظ عدوا ولكن الصديق تغيظ فصرح بـأن الاسم غير المسمي تصريحا لا يحتمل التأويل بخـلاف مـا ادعوه على لبيد وأما قول سيبويه أن الأفعال أمثلة أحدث من لفظ إحداث الأسماء فلا حجة لهم فيه فبيقين ندري أنـه أراد إحداث أصحاب الأسماء برهان ذلك قوله في غير ما موضع من كتابه أمثلة الأسماء من الثلاثي والربـاعي والخماسـي والسداسي والسباعي وقطعه بأن السداسى والسـباعي مـن الأسماء مزيدان ولا بد وأن الثلاثي من الأسماء أصلي ولا بد وأن الرباعي والخماسي من الأسماء يكونان أصليين كجعفر وسفرجل ويكونان مزيدين وأن الثنائى من الأسماء منقـوص مثل يد ودم ولو تتبعنا قطعه على أن الأسماء هـي الأبنيـة المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ أزيـد مـن

ثلثمائة موضع أفلا يستحي من يدري هذا من كلام سـيبويه اطلاقا لعلمه بأن مراده لا يخفى على أحد قرأ من من كتابـه ورقتيين ونعوذ با من قلة الحياء وأول سطر فـي كتـاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما الكلم من العربية فـالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعـل فالاسـم رجل وفرس فهذا بيان جلي من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على أن الأسماء هـي بعـض الكـلام وان الاسم هو كلمة من الكلم ولا خلاف بين أحد له حس سليم في أن المسمي ليس كلمة ثم قال بعد أسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الإعـراب وحـروف الإعـراب الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين وهـذا منه بيان لا إشكال فيه أن الأسماء غير الفاعلين وهي التـي تضارعها الأفعال التي في أوائلها الزوائد الأربع وما قال قط من يرمي بالحجارة أن الأفعال تضارع المسـمين ثـم قـال والنصب في الأسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيد والرفـع هذا زيد وليس في الأسماء جزم لتمكنها وإلحاق التنوين وهذا كله بيان أن الأسماء هي الكلمات المؤلفـة مـن الحـروف المقطعة لا المسمون بها ولو تتبع هذا فـي أبـواب الجمـع

وأبواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثر جداً وكـاد يفوت التحصيل.

قال أبو محمد: فسقط كل ما شغب به القائلون بـأن الاسم هو المسمى وكل قول سقط احتجاج أهله وعري عـن البرهان فهو باطل ثم نظرنا فيما احتج به القائلون أن الاسـم غير المسمى فوجـدناهم يحتجـون بقـول ا تعـالى " و الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه " قال وا وا عز وجل واحد والأسماء كثيرة وقد تعـالى ا عن أن يكون اثنين أو أكثر وقد قال رسـول ا صـلى ا عليه وسلم أن تسعة وتسعين اسما مائة غير واحـد مـن أحصاها دخل الجنة قال وا ومن قال أن خالقـه أو معبـوده تسعة وتسعون فهو شر من النصارى الذين لم يجعلـوه إلا ثلاثة.

قال أبو محمد: وهذا برهان ضروري لازم ورأيـت لمحمد بن الطيب الباقلاني ولمحمد بن الحسـن بـن فـورك الأصبهاني أنه ليس تعالى إلا اسم واحد فقط.

قال أبو محمد: وهذا معارضة وتكذيب عز وجـل وللقرآن ولرسول ا صلى ا عليه وسلم ولجميع العالمين ثم

عطفا فقال ا معنى قول ا عز وجل و الأسماء الحسـنى وقول رسول ا صلى ا عليه وسلم أن تسعة وتسـعين اسما إنما هو التسمية لا الأسماء.

قال أبو محمد: وكان هذا التقسيم أدخل في الضـلال من ذلك الإجمال ويقال لهم فعلى قولكم هذا أراد ا تعالى أن يقول التسميات الحسنى فقـال الأسـماء الحسـنى وأراد رسوله صلى ا عليه وسلم أن يقول أن تسعة وتسـعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما أعن غلط وخطـأ قـال ا تعالى ذلك ورسوله صلى ا عليه وسلم أم عن عمد ليضـل بذلك أهل الاسلام أم عن جهل باللغة التي تنبهتما لها أنتمـا ولا بد من أحد هذه الوجوه ضرورة لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من أحدها أو ترك ما قال وه مـن الكـذب على ا تعالى ورسوله صلى ا عليه وسلم هذا ودعـواهم في ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضي بهذا لنفسه عاقل.

الاسم على المسمى فهي شيء ثالث غير الاسم وغير المسمى فذات الخالق تعالى هي ا المسمى والتسـمية هـي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهـذه الحـروف وهي غير الحروف لأن الحـروف هـي الهـواء المنـدفع

بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء والإنسان هـو المحـرك بكسر الراء والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك وهذا أمر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه فـي جميـع اللغات واحتجوا أيضا بقول ا تعالى " يا زكَرِيا إِنا نُبشـرك بِغُلَامٍ اسمه يحيى لَم نَجعل له مِن قَبلُ سمِيا " وهذا نـص لا يحتمل تأويلا في أن الاسم هو الياء والحاء والياء والألف ولو كان الاسم هو المسمي لما عقل أحد معنى قوله تعـالى لـم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكان فارغا حاشا من هذا ولا خلاف في أن معناه لم يعلق هذا الاسم على أحـد قبلـه وذكروا أيضا قول ا عز وجل عن نفسه هل تعلم له سـميا وهذا نص جلي على أن أسماء ا تعالى التي اختص بها لا تقع على غيره ولو كان ما يدعونه لما عقل هذا اللفـظ أحـد أيضا حاشا من هذا واحتجوا أيضا بقول ا تعالى مبشرا برسوله يأتي من بعدي اسمه أحمد وهذا نص على أن الاسم هو الألف والحاء والميم والدال إذا اجتمعت واحتجوا أيضـا بقول ا عز وجل وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علـى الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صـادقين إلـى قوله قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألـم

أقول لكم الآية وهذا نص جلى على أن الأسماء كلهـا غيـر المسميات لأن المسميات كانت أعيانا قائمـة وذوات ثابتـه تراها الملائكة وإنما جهلت الأسماء فقط التي علمهـا ا آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا قول ا تعالى قل ادعوا ا أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى وهذا مـا لا حيلة لهم فيه لأن لفظة ا هي غير لفظة الرحمن بلا شـك وهي بنص القرآن أسماء ا تعالى والمسمى واحد لا يتغاير بلا شك وذكروا قول ا عز وجل " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم ا عليه " وهذا بيانا أيضا جلي مجمع عليه مـن أهـل الإسلام أن الذي عنده التذكية فهو الكلمـة المجموعـة مـن الحروف المقطعة مثل ا والرحمن والرحيم وسائر أسـمائه عز وجل واحتجوا من الإجماع بأن جميع أهـل الإسـلام لا نحاشى منهم أحدا قد أجمعوا على القول بأن من حلف باسـم من أسماء ا عز وجل فحنث فعليه الكفارة ولا خلاف فـي أن ذلك لازم فيمن قال وا أو والرحمن أو والصـمد أو أي اسم من أسماء ا عز وجل حلف بها فما أسـخف عقـولا يدخل فيها تخطئة ما جاء به ا عز وجل في القرآن وما قال ه رسول ا صلى ا عليه وسلم وما أجمـع عليـه أهـل

الإسلام وما أطبق عليه أهل الأرض قاطبة من أن الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب البـاقلاني وابن فورك في أن ذلك ليس هو الاسم وإنما هـو التسـمية والحمد الذى لم يجعلنا من أهل هذه الصنعة المرذولة ولا من هذه العصابة المخذولة واحتجوا أيضا بقول رسـول ا صلى ا عليه وسلم إذا أرسلت كلبك فذكرت اسم ا فكـل فصح أن اللفظ المذكور هو اسم ا تعالى وقول رسـول ا صلى ا عليه وسلم أن له أسماء وهي احمد ومحمد والعاقب والحاشر والماحي فيا ويالمسلمين أيجوز أن يظن ذو مسكة عقل أن رسول ا صلى ا عليه وسلم خمس ذوات تبـارك الذي يخلق ما لا نعلم وذكروا قول رسول ا صلى ا عليه وسلم تسموا بأسمي ولا تكنوا بكنيتى فصح أن الاسم هو الميم والحاء والميم والدال بيقين لا شك فيه واحتجوا بقول عائشـة رضى ا عنها بحضرة رسول ا صلى ا عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام إذا كنت راضية عني قلت لا ورب محمد وإذا كنت ساخطة قلت لا ورب إبراهيم قـال ت أجـل وا يارسول ا ما أهجر إلا اسمك فلم ينكر رسول ا صلى ا عليه وسلم عليها ذلك القول فصح أن اسمه غيره بـلا شـك

لأنها لم تهجر ذاته وإنما هجرت اسمه واحتجوا أيضا بقـول رسول ا صلى ا عليه وسلم أحب الأسماء إلـى ا عـز وجل عبد ا وعبد الرحمن وأصدق الأسماء همام والحارث وروى أكذبهما خالد ومالك وهذا كله يبين أن الاسـم غيـر المسمى فقد يسمى عبد ا وعبد الرحمن من يبغضه ا عز وجل وقد يسمى من يكون كـذابا الحـارث وهماماويسـمى الصادق خالد ومالكا فهم بخلاف أسمائهم واحتجوا أيضا بأن قال وا قد اجتمعت الأمم كلها على أنه إذا سئل المـرء مـا اسمك قال فلان وإذا قيل له كيف سميت ابنك وعبـدك قـال سميته فلانا فصح أن تسميته هي اختياره وإيقاعه ذلك الاسم على المسمى وأن الاسم غير المسمى واحتجوا مـن طريـق النظر بأن قال وا انتم تقولون أن اسم ا تعالى هو ا نفسه ثم لا تبالون بأن تقولوا أسماء ا تعالى مشتقة مـن صـفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي مـن حيـاة فإذا اسم ا هو ا واسم ا مشتق فا تعالى علـى قـولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا مخلص لهـم منـه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسـنن والإجمـاع والعقل واللغة والنحو على أن الاسم غير المسمى بـلا شـك

ولقد أحسن أحمد بن جدار ما شاء أن يحسن إذ يقول: هيهات يا أخت آل بما غلطت في الاسم والمسمى لو كان هذا وقيـل سم مات إذا من يقول سما قال أبو محمد: وأخبرني أبو عبد ا السائح القطان أنه شاهد بعضهم قد كتب ا فـي سـحاة وجعل يصلى إليها قال فقلت له ما هذا قال معبود قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني.

قال أبو محمد: وموهوا فقالوا فأسماء ا عز وجـل إذا مخلوقة إذ هي كثيرة وإذ هى غير ا تعـالى قلنـا لهـم وبا تعالى التوفيق أن كنتم تعنون الأصـوات التـي هـي حروف الهجاء والمداد المخطوط به في القراطيس فما يختلف مسلمان في أن كل ذلك مخلوق وإن كنتم تريـدون الإيهـام والتمويه بإطلاق الخلق على ا تعالى فمن أطلق ذلك فهـو كافر بل أن أشار مشير إلى كتاب مكتوب فيه ا أو بعـض أسماء ا تعالى أو إلى كلامه إذ قال يا ا أو قـال بعـض أسمائه عز وجل فقال هذا مخلوق أو هذا لـيس ربكـم أو تكفرون بهذا لما حل لمسلم إلا أن يقول حاشـا ا مـن أن يكون مخلوقا بل هو ربي وخالقي أؤمن به ولا أكفر به ولـو قال غير هذا لكان كافرا حلال الدم لأنه لا يمكـن أن يسـأل

عن ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنـا عـز وجـل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الأسماء ولا إلى الذي يخبـر عنه ولا إلى الذي يذكر إلا بذكر اسمه ولا بـد فلمـا كـان الجواب في هذه المسألة يموه أهل الجهل بإيصال ما لا يجوز إلى ذات ا تعالى لم يجز أن يطلق الجواب في ذلك البتة إلا بتقسيم كما ذكرنا وكذلك لو كتب إنسان محمد بن عبد ا بن عبد المطلب بن هاشم أو نطلق بذلك ثم قال لنا هذا رسول ا صلى ا عليه وسلم أم ليس رسول ا وتؤمنـون بهـذا أن تكفرون به لكان من قال ليس رسول ا صلى ا عليه وسلم وأنا أكفر به كافرا حلال الدم بإجماع أهل الاسلام ولكن نقول بل هو رسول ا صلى ا عليه وسلم ونحن نؤمن بـه ولا يختلف اثنان في الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو ا ولا رسول ا وبا تعالى التوفيق فإن قال وا أن أحمـد بن حنبل وأبا زرعة عبيد ا بن عبد الكريم وأبا حاتم محمد بن إدريس النظلي الراويين رحمهما ا تعالى إن الاسم هـو المسمي قلنا لهم هؤلاء رضي ا عنهم وإن كانوا من أهـل السنة ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطأ ولا أمرنـا ا عز وجل بتقليدهم واتباعهم في كل ما قال وه وهؤلاء رحمهم

ا أراهم اختيار هذا القول قولهم الصحيح أن القـرآن هـو المسموع من القرآن المخطوط في المصاحف نفسه وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى على مـا قـد بينا في هذا الباب وفي باب الكلام في القرآن والحمد رب العالمين وإنما العجب كله ممن قلب الحـق وفـارق هـؤلاء المذكورين حيث أصابوا وحيث لا يحل خلافهم وتعلق بهـم حيث وهموا من هؤلاء المنتمين إلى الأشعرية القائلين بـأن القرآن لم ينزل قط إلينا ولا سمعناه قط ولا نزل به جبريـل على قلب رسول ا صلى ا عليه وسـلم وإن الـذي فـي المصاحف هو شيء آخر غير القرآن ثم أتبعوا هذه الفكـرة الصلعاء بأن قالوا إن اسم ا هو ا وأنه لـيس إلا اسـم واحد وكذبوا ا تعالى ورسوله في أن أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: ولو أن إنساناً يشير إلى كتاب مكتوب فيه ا فقال هذا ليس ربي وأنا كافر بهذا لكان كافراً ولو قال هذا المداد ليس ربي وأنا كافر بربوبية هذا الصـوت لكـان صادقاً وهذا لا ينكر وإنما نقف حيث وقفنا ولو أن إنساناً قال محمد رسول ا رحمه ا لم يبعد من الاستخفاف فلوا قـال

اللهم أرحك محمد وآل محمد لكان محسناً ولو أن إنساناً يذكر من أبويه العضو المستور باسمه لكان عاقاً أتى كبيرة وإن كان صادقاً وبا تعالى التوفيق.

والكلام في هل يعقل الفلك والنجوم أم لا قال أبو محمد: زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى وتسمع ولا تذوق ولا تشم وهذه دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة بأول العقل إذ ليست أصح من دعوى أخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بأن الفلك والنجوم لا تعقل أصلاً هو أن حركتها أبداً على رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذي لا اختيار له فقالوا الدليل على هذا أن الأفضل لا يختار إلا الأفضل للعمل فقلنا لهم ومن أين لكم بأن الحركة أفضل من السكون الاختياري لأننا وجدنا الحركة حركتين اختيارية واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختيارياً واضطرارياً فلا دليل على أن الحركة الاختيارية أفضل من السكون الاختياري ثم من لكم بأن الحركة الدورية أفضل من سائر الحركات يميناً أو يساراً أو أمام أو وراء ثم من لكم بأن الحركة من شرق إلى غرب كما يتحرك الفلك الأكبر أفضل من الحركة من غرب

إلى شرق كما تتحرك سائر الأفلاك وجميع الكواكب فلاح أن قولهم مخرقة فاسدة ودعوى كاذبة مموهة و قال بعضهم لما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانـت أولـى بالعقـل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان في نسق أحـدهما القول بأنها تدبرنا فهي دعوى كاذبة بلا برهان على ما نذكره بعد هذا إن شاء ا تعالى والثاني الحكم بأن من تدبرنا أحق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيـاً ويكـون اختيارياً فلو صح أنها تدبرنا لكان تدبيراً طبيعياً كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء لنا وكل ذلك ليس حياً ولا عـاقلاً بالمشاهدة وقد أبطلنا الآن أن يكـون تـدبير الكواكـب لنـا اختيارياً بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لا تنتقل عنها أصلاً وأما القول بقضايا النجوم فإنا نقول فـي ذلك لائحاً ظاهراً إن شاء ا تعالى.

قال أبو محمد: أما معرفة قطعها في أفلاكها وآنـاء ذلك ومطالعها وأبعادها وارتفاعاتها واختلاف مراكز أفلاكها فعلم حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه علـى عظـيم قدرة ا عز وجل وعلى يقين تأثيره وصـنعته واختراعـه تعالى للعالم بما فيه وفيه الذي يضطر كل ذلك إلى الإقـرار

بالخالق ولا يستغني عن ذلك في معرفة القبلة وأوقات الصلاة وينتج من هذا معرفة رؤية الأهلة لفرض الصـوم والفطـر ومعرفة الكسوفين برهان ذلك قول ا تعالى " ولقـد خلقنـا فوقكم سبع طرائق " و قال تعالى " والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تـدرك القمـر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " و قال تعالى " والسماء ذات البروج " و قال تعالى " لتعلموا عدد السـنين والحساب " وهذا نفس ما قلنا وبا تعالى التوفيق.

وأما القضاء بها فالقطع به خطأ لما نذكره إن شـاء ا تعالى وأهل القضاء ينقسمون قسمين أحدهما القائلون بأنها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون ا تعالى أو معه وأنها لم تزل فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم وأمـوالهم بإجماع الأمة وهؤلاء عني رسول ا صلى ا عليه وسلم إذ يقول أن ا تعالى قال أصبح من عبادي كافر بـي مـؤمن بالكواكب وفسره رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه القائـل مطرنا بنوء كذا وكذا وأما من قال بأنها مخلوقة وأنها غيـر عاقلة لكن ا عز وجل خلقها وجعلها دلائل على الكوائن.

فهذا ليس كافراً ولا مبتدعاً وهذا هو الذي قلنا فيه أنه خطأ لأن قائل هذا إنما يحيل على التجارب فما كان من تلك التجارب ظاهراً إلى الحس كالمد والجزر الحادثين عند طلوع القمر واستوائه وأفوله وامتلائه ونقصانه وكتأثير القمر في قتل الدابة الدبرة إذا لاقى الدبرة ضوءه وكتأثيره في القرع والقثاء المسموع لنموها مع القمر صوت قوي وكتأثيره في الدماغ والدم والشعر وكتأثير الشمس في عكس الحر وتصعيد الرطوبات وكتأثيرها في أعين السنانير غدوة ونصف النهار وبالعشي ونصف الليل وسائر ما يوجد حساً فهو حق لا يدفعه ذو حس سليم وكل ذلك خلق ا عز وجل فهو خلق القوي وما يتولد عنها ويوجد بها كما قال تعالى " ونَزلْنَا مِن السماء ماء مباركًا فَأنبتْنَا بِهِ جناتٍ وحب الْحصِيدِ والنخْلَ باسِقَاتٍ لها طَلْع نضِيد رِزقًا للْعِبادِ وَأحيينَا بِهِ بلْدةً ميتًا كَذَلِك الْخُروج " وأما ما كان من تلك التجارب خارجاً عما ذكرنا فهو دعاوي لا تصح لوجوه أحدها أن التجربة لا تصح إلا بتكرر كثير موثوق بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به كاضطرارنا إلى الإقرار بأن الإنسان إن بقي ثلاث ساعات تحت الماء مات وإن ادخل يده في النار احترق ولا يمكن هذا في

القضاء بالنجوم لأن النصب الدالة عندهم علـى الكائنـات لا تعود إلا في عشرات آلاف من السنين لا سبيل إلى أن يصح منها تجربة ولا إلى أن تبيقي دورة تراعـي تكـرار تلـك الأدوار وهذا برهان مقطوع به على بطلان دعـواهم فـي صحة القضايا بالنجوم وبرهان آخر وهو ان شروطهم فـي القضاء لا تمكنهم الإحاطة بها أصلاً من معرفة مواقع السهام ومطارح الشعاعات وتحقيق الدرج النيرة والغيمة والمظلمـة والآثار والكواكب البنيانية وسائر شروطهم التي يقرون أنه لا يصح القضاء إلا بتحقيقها وبرهان ثالث وهـو أنـه مـا دام يشتغل المعدل في تعديل كوكب زل عنه سائر الكواكب ولـو دقيقة ولا بد وفي هذا فساد القضاء بإقرارهم وبرهان رابـع وهو ظهور اليقين بالباطل في دعواهم إذ جعلوا طبع زحـل البرد واليبس وطبع المريخ الحر واليبس وطبع القمر البـرد والرطوبة وهذه الصفات إنما هي للعناصر التـي دون فلـك القمر وليس شيء منها في الأجرام العلوية لأنها خارجة عن محل حوامل هذه الصفات والأعراض لا تتعـدى حواملهـا والحوامل لا تتعدى مواضعها التي رتبها ا فيهـا وبرهـان خامس وهو ظهور كذبهم في قسمتهم الأرض على البـروج

والدراري ولسنا نقول في المدن التي يمكنهم فيها دعـوى أن بناءها كان في طالع كذا ونصبه كذا لكن فـي الأ قـال يـم والقطع من الأرض التي لم يتقدم كون بعضها كون بعـض كذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم في النجوم وكـذلك قسـمتهم أعضاء الجسم والفلزات على الدراري أيضاً وبرهان سادس أننا نجد نوعاً وأنواعاً من أنواع الحيوان قد فشا فيها الـذبح فلا تكاد يموت شيء منها إلا مـذبوحاً كالـدجاج والحمـام والضان والمعز والبقر التي لا تموت منها حتف أنفه إلا في غاية الشذوذ ونوعاً وأنواعاً لا تكاد تموت إلا حتف أنوفهـا كالحمير والبغال وكثير من السباع وبالضرورة يـدري كـل أحد أنها قد تستوي أوقات ولادتها فبطل قضاؤها بما يوجـب الموت الطبيعي وبما يوجب الكرهى لاستواء جميعهـا فـي الولادات واختلافها في أنواع المنايا وبرهان سابع وهو أننـا نرى الخصافا شيئاً في سكان الاقليم الأول وسـكان الاقلـيم السابع ولا سبيل إلى وجوده البتة في سكان سائر الأ قال يـم ولا شك ولا مرية في استوائهم في أوقات الولادة فبطل يقيناً قضاؤهم بما يوجب الخصا وبما لا يوجبه بما ذكرنـا مـن تساويهم في أوقات التكون والولادة واخـتلافهم فـي الحكـم

ويكفي من هذا أن كلامهم في ذلك دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم والحق لا يكون في قولين مختلفين وأيضاً فإن المشاهدة توجب أننـا قادرون على مخالفة أحكامهم متى أخبرونا بها فلو كانت حقاً وحتماً وما قدر أحد على خلافها وإذا أمكن خلافهـا فليسـت حقاً فصح أنها تخرص كالطرق بالحصا والضـرب بالحـب النظر في الكتف والزجر والطيرة وسائر ما يدعي أهله فيه تقديم المعرفة بلا شك وما يخص ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل في الموالد والمناجات وتحـاول السنين ثم قضوا فيه فاخطؤا وما تقع أصابتهم من خطئهم إلا في جزء يسير فصح أنه تحرص لا حقيقـة فيـه لا سـيما دعواهم في إخراج الضمير فهو كله كذب لمن تأمله وبـا تعالى التوفيق وكذلك قولهم في القرانات أيضاً ولـو أمكـن تحقيق تلك التجارب في كل ما ذكرنا لصدقناها ومـا يبـدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لأن كل ما قام عليه دليـل مـن خط أو كتف أو زجر أو تطير فليس غيباً لو صح وجه كـل ذلك وإنما الغيب وعلمه هو أن يخبـر المـرء بكائنـة مـن الكائنات دون صناعة أصلاً من شيء مما ذكرنـا ولا مـن

غيره فيصيب الجزئي والكلي وهذا لا يكون إلا لنبـي وهـو معجزة حينئذٍ وأما الكهانة فقد بطلت بمجيء النبي صـلى ا عليه وسلم فكان هذا من أعلامه وآياته وبا تعالى التوفيق.

الكلام في خلق ا تعالى للشيء

أهو المخلوق نفسه أم غيره وهل فعل ا مـن دون ا تعالى هو المفعول أم قال أبو محمد: ذهب قـوم إلـى أن خلق الشيء هو غير الشيء المخلوق واحتج هؤلاء بقول ا عز وجل " ما أشهدتهم خلق السـماوات والأرض ولا خلـق أنفسهم " قال أبو محمد: ولا حجة لهم فـي هـذه الآيـة لأن الإشهاد هاهنا هو الإحضار بالمعرفة وهذا حق لأن ا تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السماوات والأرض وابتداء أنفسنا ووجدنا من قال أن خلق الشيء هو الشيء نفسه يحتج بقول ا تعالى هذا خلـق ا وهـذه إشـارة إلـى جميـع المخلوقات فقد سمي ا تعالى جميع المخلوقات كلها خلقاً له وهذا برهان لا يعارض.

قال أبو محمد: ثم نسأل من قال أن خلق الشيء هـو غير الشيء فنقول له أخبرنا عن خلق ا تعالى لمـا خلـق أمخلوق هو أيضاً أم غير مخلوق فلا بد من أحد الأمرين فإن

قال وا هو غير مخلوق أوجبوا بإزاء كـل مخلـوق شـيئاً موجوداً غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهـان قد قام بخلاف هذا و قال تعالى " خلق كل شيء فقدره تقديراً " وإن قال وا بل خلقه تعالى لما خلق قلنا فخلقه تعالى لذلك الخلق أبخلق أم بغير خلق فإن قال وا بغير خلق قيل لهم من أين قلتم أن خلقه للأشياء بمخلق هو غير المخلوق وقلتم فـي خلقه لذلك الخلق أنه بغير خلق وهذا تخليط وإن قال وا بـل خلقه بخلق سألناهم الخلق هو أم بخلق هو غيره وهكذا أبـداً فإن وقفوا في شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سألناهم عـن الفرق بين ما قال وا أن خلقه هو غيره وبين ما قـال وا أن خلقه هو هو وإن تماد وأخرجوا إلى وجود أشياء لا نهاية لها وهذا محال ممتنع وقد قطع بهذا معمر بن عمرو العطار أحد رؤساء المعتزلة وسنذكر كلامه بعد هذا إن شاء ا تعـالى متصلاً بهذا الباب وبا تعالى نتأيد وأيضـاً فـإن الجميـع مطبقون على أن ا عز وجل خلق ما خلق بلا معاياة فإذ لا شك في ذلك فقد صح يقيناً أنه لا واسطة بين ا تعالى وبين ما خلق ولا ثالث في الوجود غير الخالق والمخلوق وخلـق ا تعالى ما خلق حق موجود وهو بلا شك مخلوق وهو بلا

شك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه بيقين لا شك فيـه إذ لا ثالث هاهنا أصلاً وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وكل من دون ا تعالى فعلـه هـو مفعوله نفسه لا غير لأنه لا يفعل أحـد دون ا تعـالى إلا حركة أو سكوناً أو تأثيراً أو معرفـة أو فكـرة أو إرادة ولا مفعول لشيء دون ا تعالى إلا ما ذكرنا فهـي مفعـولات الفاعلين وهي أفعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فإنما هو مفعول فيه كالمضروب والمقتول أو مفعـول بـه كالسـوط والإبرة وما أشبه ذلك أو مفعول له كالمطـاع والمخـدوم أو مفعول من أجله كالمكسوب والمحلوب فهذه أوجه المفعولات.

قال أبو محمد: وأما سائر أفعال ا تعالى فبخلاف ما قلنا في الخلق بل هي غير المفعول فيه أوله أو بـه أو مـن أجله وذلك كالأحياء فهو غير المحيا بلا شك وكلاهما مخلوق تعالى وخلقه تعالى لكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنـا وكالا ماتة فهي غير الممات ولو كان غير هذا وكان الأحياء هو المحيا والإماتة هي الممات وبيقين ندري أن المحيا هـو الممات نفسه لوجب أن يكون الأحياء هو الإماتة وهذا محال وكالإبقاء فهو غير المبقي للبرهان الذي ذكرنا وبيقين ندري

أن الشيء غير أعراضه التي هي قائمة به وقتاً وفانية عنـه تارة وبا تعالى التوفيق.

الكلام في البقاء والفناء

والمعاني التي يدعيها معمر والأحوال التي تـدعيها الأشعرية وهل المعدوم شيء أم ليس شيئاً ومسئلة الأجـزاء وهل يتجدد خلق ا للأشياء أم لا يتجدد قال أبو محمد: ذهب قوم إلى أن البقاء والفناء صفتان للباقي والفاني لا هما الباقي ولا الفاني ولا هما غير الباقي والفاني.

قال أبو محمد: وهذا قول في غاية الفساد لأن القضية الثانية بنقيض الأولى والأولى بنقيض الثانية لأنـه إذا قـال ليست هي فقد أوجب أنها غيره وإذا قال ليست غيـره فقـد أوجب أنه هو وهذا تناقض ظاهر وأيضاً فإنه لا فرق بـين قول القائلين ليس هو هو ولا غيره وبين قوله هو هو وهـو غيره والمعنى في تلك القضيتين سواء وأيضاً فلو كان البقاء ليس هو الباقي ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هـو غيره فالباقي هو الفاني نفسه والباقي ليس هـو البـاقي ولا غيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معمر إلى أن الفناء صفة قائمة بغير الفاني.

قال أبو محمد: وهذا تخبيط لا يعقل ولا يتـوهم ولا يقوم عليه دليل أصلاً وما كان هكذا فهو باطل والحقيقة فـي ذلك ظاهرة وهي أن البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتاً قائماً مدة زمان ما فإذ هو قائم كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه وأما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملة وليس هو شيئاً أصلاً والفنـاء المذكور ليس موجوداً البتة في شيء من الجواهر وإنما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل إذا ذهبت عبر عن المعنـى المراد بالإخبار عن ذهابها بلفظة الفناء كالغضب يفنى ويعقبه رضاً وما أشبه ذلك لو شاء ا عز وجل أن يعدم الجـواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك إلى الآن ولا جاء به نص فيقف عنده فالفناء عدم كما قلنا.

الكلام في المعدوم أهو شيء أم لا

قال أبو محمد: وقد اختلف الناس في المعـدوم أهـو شيء أم لا فقال أهل السنة وطوائف من المرجئة كالأشعرية وغيرهم ليس شيئاً وبه يقول هشام بن عمرو الغوطي أحـد شيوخ المعتزلة و قال سائر المعتزلة المعدوم شـيء و قـال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط أحد شيوخ المعتزلـة

أن المعدوم جسم في حال عدمه إلا انه لـيس متحركـاً ولا ساكناً ولا مخلوقاً ولا محدثاً في حال عدمه.

قال أبو محمد: واحتج من قال بأن المعدوم شيء بان قال وا قال عز وجل إن زلزلة الساعة شيء عظيم فقالوا فقد أخبر ا عز وجل بأنها شيء وهي معدومة ومن الدليل على أن المعدوم شيء أنه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال أن يكون ما هذه صفته ليس شيئاً.

قال أبو محمد: أما قول ا عز وجـل " إن زلزلـة الساعة شيء عظيم " فإن هذه القصة موصولة بقوله تعالى " يوم تَرونَها تَذْهلُ كُل مرضِعةٍ عما أَرضعتْ وتَضع كُل ذَاتِ حملٍ حملَها وتَرى الناس سكارى وما هم بِسـكارى ولَكِـن عذَاب اللهِ شَدِيد " فإنما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصح أن زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالى قط أنها الآن شيء عظيم ثم أخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الأحمال وكـون النـاس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية ومـا نعلـم أنهـم شغبوا بشيء غيرها وأما قولهم أن المعـدوم يخبـر عنـه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلـك أن

قولنا في شيء يذكر أنه معدوم ويخبر عنه أنه معدوم ويتمنى به إنما هو أن يذكر اسم ما فذلك الاسم موجـود بـلا شـك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء وابن آوى وحبين وعـرس ونبوة مسيلمة وما أشبه ذلك ثم كل اسم يتعلق بـه ويوجـد ملفوظاً أو مكتوباً فإنه ضرورة لا بد له من أحد وجهين أمـا أن يكون له مسمى وإما أن يكون ليس له مسمى فإن كان له مسمى فهو موجود وهو شيء حينئذ وإن كان ليس له مسمى فأخبارنا بالعدم وتمنينا للمريض بالصحة إنما هو إخبار عـن ذلك الاسم الموجود أنه ليس له مسمى ولا تحته شيء وتمـن منا لأن يكون تحته مسمى فهكذا هو المر لا كما ظنه أهـل الجهل فصح أن المعدوم لا يخبر عنه ولا يتمنـى ونسـألهم عمن قال ليت لي ثوباً أحمر وغلاماً أسود أخبرونا هل الثوب المتنى به عندكم أحمر أم لا فإن أثبتوا معنى وهو ثوباً أحمر أثبتوا عرضاً محمولاً فيه وهو الحمرة فوجـب أن المعـدوم يحمل الأعراض وإن قال وا لم يتمن شيئاً أصـلاً صـدقوا وصح أن المعدوم لا يتمنى لأنه ليس شيئاً ولا فرق بين قول القائل تمنيت لا شيء وبين قوله لم أتمن شيأ بل هما متلايمان بمعنى واحد وهذا أيضاً يخرج على وجه آخر وهـو أنـه لا

يتمنى إلا شيأ موجود في العالم كثـوب موجـود او غـلام موجود واما من اخرج لفظة التمني لما ليس في العـالم فلـم يتمن شيأ وأما قولهم يوصف فطريق عجب جداً لأن معنـى قول القائل يوصف إخبار بأن له صفة محمولة فيه موجـودة به فليت شعري كيف يحمل المعدوم الصفات مـن الحمـرة والخضرة والقوة والطول والعرض إن هذا لعجيب جداً فظهر فساد ما موهوا به والحمد قال أبو محمد رضي ا عنه: وإذ قد عرا قولهم عن الدليل فقد صح أنه دعوى كاذبة ثم نقـول وبا التوفيق من البرهان على أن المعدوم اسم لا يقع علـى شيء أصلاً قول ا عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقوله تعالى هل أتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكوراً وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا و قال عز وجل إنا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد إن كان المعدوم شيأ أن يكون مخلوقاً بعد وهم لا يختلفون في أن المخلوق موجود وقد وجد وقتاً من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كـان موجوداً وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان في أن المعـدوم ليس شيئاً.

قال أبو محمد رضي ا عنه: ونسألهم ما معنى قولنا شيء فلا يجدون بداً من أن يقولوا أنه الموجود وأن يقولـوا هو كل ما يخبر عنه فإن قال وا هو الموجود صـاروا إلـى الحق وإن قال وا هو كل ما يخبر عنه قلنا لهم إن المشركين يخبرون عن شريك ا عز وجل قال تعالى " أين شركائي ".

قال أبو محمد: وهذا معدوم لا مدخل له في الحقيقـة واسم لا مسمى تحته فإن قال وا إن شركاء ا تعالى أشـياء كانوا قد أفحشوا وأيضاً فإنه قد اتفقت جميع الأمم لا نحاشـي أن المعدوم ليش شيئاً أو لا شيء أو ما يعبر به في كل لغـة عن شيء ومن لا شيء إلا أن المعنى واحد فلو كان المعدوم شيئاً لكان ما أجمعوا عليه بلا شيء وليس شيئاً ولم يكن شيئاً باطلاً وهذا رد على جميع أهل الأرض مذ كانوا إلى أن يفنى العالم فصح أن الموجود هو الشيء فإذ هو الشيء فبضرورة العقل أن اللاشيء هو المعدوم ثم نسألهم أتقولون أن المعدوم عظيم أو صغير أو حسن أو قبيح أو طويل أو قصـير أو ذو لون في حال عدمه فإن أبوا من هذا تناقض قـولهم وسـئلوا عن الفرق بين قولهم أنه شيء وبين قولهم أنه حسن او قبيح أو صغير أو كبير وكيفقالوا أنه شيء ثم قال وا أنـه لـيس

حسناً ولا قبيحاً ولا صغيراً وكبيراً فإن قال وا نعم أوجبوا أن المعدوم يحمل الأعراض والصفات وهذا تخليط ناهيـك بـه وسئلوا فيماذا يحمل الصفات أفي ذاته أو فيما ذا فإن قـال وا في ذاته أوجبوا أنه له ذاتاً وهذه صفة الموجود ضرورة وإن قال وا بل يحمل الصفات في غيره كان ذلك أيضـاً عجبـاً زائداً لا خفاء به.

قال أبو محمد: ونسألهم هل الإيمان موجود من أبـي جهل أو معدوم فإن قولهم بلا شك أنه معدوم منه.

فنسألهم عن إيمان أبي جهل المعدوم حسـن هـو أم قبيح.

فإن قال وا لا حسن ولا قبيح قلنا لهم أيكـون يعقـل إيمان ليس حسناً هذا عظيم جداً.

وإن قال وا بل هو حسن أوجبوا أنه حاصل للحسـن وكذلك نسألهم عن الكفر المعدوم من الأنبياء عليهم السـلام أقبيح هو أم لا.

فإن قال وا لا أوجبوا كفراً ليس قبيحا.

وإن قالوا بل هو قبيح أوجبوا أن المعدوم يحمل الصفات ونسألهم عن ولد العقيم المعدوم منه أصغير هو أم كبير أم عاقل أم أحمق.

فإن منعوا من وجود شيء من هذه الصفات له كان عجباً أن يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حي ولا ميت وإن وصفوه بشيء من هذه الصفات أتوا بالزيادة من المحال ونسألهم عن الأشياء المعدومة ألها عدد أم لا عدد لها.

فإن قالوا لا عدد لها كانوا قد أتوا بالمحال إذ أقروا بأشياء لا عدد لها.

وإن قالوا بل لها عدد كان ذلك عجباً جداً أو محالاً لا خفاء به وسألناهم عن الأولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم.

ونسألهم عن الأشياء المعدومة أهي في العالم ومن العالم أم ليست في العالم ولا من العالم فإن قالوا هي في العالم ومن العالم سألناهم عن مكانها فإن حددوا لها مكاناً سخفوا ما شاؤا وإن قالوا لا مكان لها قيل لهم وكيف يكون شيء في العالم لا مكان له فيه ولا حامل.

قال أبو محمد: ويلزمهم أن المعـدومات إذا كانـت أشياء لا عدد لها ولا نهاية ولا مبدأ فإنها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد أن تكون أشياء لا تحصى كثرة لم تـزل مع ا تعالى ونعوذ با من مثل هذا الهوس.

قال أبو محمد: وقد ادعوا أن المعدوم يعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لا سيما ممن أقر بأن المعـدوم لا شـيء وادعى مع ذلك أنه يعلم فألزمناهم على ذلك أنهم يعلمـون لا شيء وأن ا تعالى يعلم لا شيء فجسر بعضهم على ذلـك فقلنا لهم إن قولك علمت لا شيء وعلم ا تعـالى لا شـيء ملائم لقولك لم أعلم شيئاً ولقولك لم يعلم ا تعالى شـيئاً لا فرق بين معنى القضيتين البتة بل هما واحـد وإن اختلفـت العبارتان وإذ هو كذلك فقد صح أن المعدوم لا يعلـم فـإن ألزمنا على هذا وسألنا هل يعلم ا تعالى الأشياء قبل كونها أم لا قلنا لم يزل ا تعالى يعلم أن ما يخلقه أبداً إلى مـا لا نهاية له فإنه سيخلقه ويرتبه على الصفات التي يخلقها فيهـا إذا خلقه وأنه سيكون شيئاً إذا كونه ولم يزل عز وجل يعلـم أن ما لم يخلق بعد فليس هو شيئاً حتى يخلقه ولم يزل تعالى يعلم أنه لا شيء معه وأنه ستكون الأشياء أشياء إذا خلقهـا

لأنه تعالى إنما يعلم الأشياء على ما هي عليه لا على خلاف ما هي عليه لأن من علمها على خلاف ما هـي عليـه فلـم يعلمها بل جهلها وليس هذا علماً بل هو ظن كـاذب وجهـل وبرهان هذا قول ا عز وجل " ولو علـم ا فـيهم خيـراً لأسمعهم " ولو في لغة العرب التي خاطبنا ا تعـالى بهـا حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح أنه تعالى لم يسمعهم لأنه لم يعلم فيهم خيراً أو لا خير فيهم فصـح أن المعدوم لا يعلم أصلاً ولو علم لكان موجوداً وإنما يعلـم ا تعالى أن لفظة المعدوم لا مسمى لها ولا شيء تحتها ويعلـم عز وجل الآن أن الساعة غير قائمـة وهـو الآن تعـالى لا يعلمها قائمة بل يعلم أنه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وسـاعة ويوم جزاء ويوم بعث وشيئاً عظيماً حين يخلق كل ذلـك لا قبل أن يخلقه فأما علمه تعالى بأنه سيقيمها فتقوم فهو موجود حق فهذا معنى إطلاق العلم على مـا لـم يكـن بعـد مـن المعدومات كما أننا لا نعلم الآن الشمس طالعة طلوعها فـي غد بل نعلم أنها ستطلع غداً وكذلك لا نعلم موت الأحياء الآن بل نعلم أن ا تعالى سيخلق موتهم فنعلمه موتاً لهم إذا خلقه لا قبل ذلك وبا تعالى التوفيق و قال تعـالى أم حسـبتم أن

تدخلوا الجنة ولما يعلـم ا الـذين جاهـدوا مـنكم ويعلـم الصابرين فهذا نص جلى على أن المعدوم لا يعلـم لأن ا تعالى أخبر أنه لا يدخل الجنة من لا يعمله ا تعالى مجاهداً ولا صابراً فصح أن من لم يجاهد ولا صبر فلـم يعلمـه ا تعالى قط مجاهداً ولا صابراً ولا علم له جهـاداً ولا صـبراً وإنما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالى يعلم أن من كان منهم سيجاهد وسيصبر فإنه لم يزل يعلم أن سيجاهد وسيصبر فإذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابراً مجاهداً والعلم لا يستحيل لأنه ليس شيئاً غير الباري تعالى وإنما اسـتحال المعلوم فقط.

ثم نسألهم هل يعلم ا تعالى لحيـة الأطلـس وقنـا الأفطس أم لا يعلم ذلك وهل يعلـم ا تعـالى أولاد العقـيم وإيمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب أم لا يعلم شيئاً من ذلك.

فإن قالوا إن ا تعالى يعلم كل ذلـك كـانوا قـد وصفوا ا تعالى بالجهل وأنه يعلم الأشياء بخلاف مـا هـي عليه.

وإن قال وا أنه تعالى لا يعلـم للعقـيم أولاداً وإنمـا يعلمه لا ولد له ولا يعلم لحية الكلام في المعاني على معمـر قال أبو محمد: وأما معمر ومن اتبعـه فقـالوا أنـا وجـدنا المتحرك والساكن فأيقنا أن معنى الحدث في المتحـرك بـه فارق الساكن في صفته وإن معنى حدث في الساكن به أيضاً فارق المتحرك في صفته وكذلك علمنا أن في الحركة معنى به فارقت السكون وإن في السكون معنى به فارق الحركـة وكذلك علمنا أن في ذلك المعنى الذي بـه خالفـت الحركـة السكون معنى به فارق المعنى الذي به فارقه السكون وهكذا أبداً أوجبوا أن في كل شيء في هذا العالم مـن جـوهر أو عرض أي شيء كان معاني فارق كل معنى منها كل ما عداه في العالم وكذلك أيضاً في تلك المعاني لأنها أشياء موجـودة متغايرة وأوجبوا بهذا وجود أشياء في زمان محدود في العالم لا نهاية لعددها.

قال أبو محمد: هذه جملة كل ما شغبوا به إلا أنهـم فصلوها ومدوها في الكفر والكافر والإيمان والمؤمن وفـي غير ذلك مما هو المعنى الذي أوردناه بعينه ولا زيادة فيـه أصلاً.

قال أبو محمد: وهذا ليس شيئاً لأننا نقول لهم وبـا تعالى التوفيق العالم كله قسـمان جـوهر حامـل وعـرض محمول ولا مزيد ولا ثالث في العالم غير هذين القسمين هذا أمر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التي هي أشخاصها يعني بالغيرية فيها وتختلف أيضاً بجنسها وهي أيضاً مفترق بعضها من بعـض بالعرض المحمول في كل حامل من الجواهر وأما الأعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها وكـذلك هـذه أيضـاً بعضها مغاير لبعض بذواتها وبعضها مفارق لبعض بذواتها وإن كان بعض الأعراض أيضاً قد تحمل الأعراض كقولنـا حمرة مشرقة وحمرة كذرة وعمل سيئ وعمل صالح وقـوة شديدة وقوة دونها في الشدة ومثل هذا كثير إلا أن كل هـذا يقف في عدد متناه لا يزيد وهذا أمر يعلم بـالحس والعقـل فالمتحرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ويفارقها السـكون بذاتـه وبالنوعيـة والغيرية والحركة إلى الشرق تفارق الحركة إلـى الغـرب بكون هذه إلى الشرق وبكون هذه إلى الغرب بذاته وبالغيرية فقط وهكذا في كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما

يلي الأشخاص فإنهما يختلفان بغيريتهما فإن كانا وقعا تحـت نوعين فإنهما يختلفان بالغيرية في الشخص وبـالغيرة فـي النوع أيضاً والغيرية أيضاً لها نوع جامع لجميع أشخاصـها إلا أن كل ذلك واقف عند حد من العدد لا يزيد ولا بـد ثـم نسألهم خبرونا عن المعاني التي تدعونها في حركة واحـدة أيما أكثر أهي أم المعاني التي تدعونها في حركتين فإن أثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم وأوجبوا النهاية في المعـاني التـي نفوا النهاية عنها وإن قال وا إلا قلة ولا كثرة هاهنا كـابروا وأتوا بالمحال الناقض أيضاً لأقوالهم لأنهم إذا أوجبوا للحركة معنى أوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبداً فوجبـت الكثـرة والقلة ضرورة لا محيد عنها.

قال أبو محمد: فلم يكن لهـم جـواب أصـلاً إلا أن بعضهم قال أخبرونا أليس ا تعالى قادراً على أن يخلق في جسم واحد حركات لا نهاية لها.

قال أبو محمد: فجواب أهل الإسلام في هذا السـؤال نعم وأما من عجز ربه فأجابوا بلا فسقط هذا السؤال عـنهم وكان سقوط الإسلام عنهم بهذا الجواب أشد من سقوط سؤال أصحاب معمر.

قال أبو محمد: فتمادى سؤالهم لأهل الحـق فقـالوا فأخبرونا أيما أكثر ما يقدر ا تعالى عليه من خلق الحركات في جسمين أو ما يقدر عليه من خلق الحركات فـي جسـم واحد فكان جواب أهل الحق في ذلك أنه لا يقع عـدد علـى معدوم ولا يقع العدد إلا على موجود معدود والذي يقـدر ا تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئاً ولا له عدد ولا هـو معدود ولا نهاية لقدرة ا تعالى وأما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا ي قال فيه أن له نهاية ولا أنه لا نهاية له وأما كل ما خلق ا تعالى فله نهاية بعد وكذا كل ما يخلق فإذا خلقـه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك وأما المعاني التي تـدعونها فإنكم تدعون أنها موجودة قائمة فوجب أن يكون لهـا نهايـة فإن نفيتم النهاية عنها لحقتم بأهل الدهر وكلمناكم بما كلمناهم به مما قدر ذكرنا قبل وبا تعالى التوفيق ثم لو تثبـت لكـم هذه العبارة من قول القائل أن ما يقدر ا تعـالى عليـه لا نهاية لعدده وهذا لا يصح بل الحق في هذا أن نقـول أن ا تعالى قادر على أن يخلق ما لا نهاية له في وقت ذي نهايـة ومكان ذي نهاية ولو شاء أن يخلق ذلك في وقت غيـر ذي نهاية وكان غير ذي نهاية لكان قادراً على كل ذلك لما وجب

من ذلك إثبات ما ادعيتم من وجود معان في وقت واحـد لا نهاية لها إذ ليس هاهنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وإنما هو قياس منكم إذ قلتم لما كان قادراً على أن يخلق مـا لا نهاية له قلنا أنه قد خلق ما لا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقاً لكان هذا منه بـاطلاً لأنـه بزعمكم قياس موجود على معدوم وقياس وتشبيه لما قد خلقه بزعمكم على ما لم يخلقه وهذا في غاية الفساد ولا فرق بينكم في هذا القياس الفاسد وبين من يقول أن في بلد كـذا قومـاً يشمون من عيونهم ويسمعون من أنوفهم ويذوقون من آذانهم ويبصورون من ألسنتهم فإذا كذب في ذلك وسئل برهاناً على دعواه قال أتقرون أن ا قادر على خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل على صحة دعواي بل أنتم أسوأ حالاً لأن هذا أخبر عن متوهم لو كان كيف كان يكون فأنتم أتخبرون عن غيـر متوهم في النفس ولا متشكل في العقل وهو إقراركم بوجـود معان لا نهاية لعددها في وقت واحد.

قال أبو محمد: فبطل هذا القول الفاسد والحمد رب العالمين وكان يكفي من بطلانها أنها دعوى لا برهان علـى

صحتها وهي دعوى فاسدة غير ممكنة بل هي محال لا يتوهم ولا يتشكل وبا تعالى التوفيق.

الكلام في الأحوال مع الأشعرية

ومن وافقهم قال أبو محمد وأما الأحوال التي ادعتها الأشعرية فإنهم قالوا أن هاهنا أحوالاً ليست حقاً ولا بـاطلاً ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقـة ولا هـي موجـودة ولا معدومة ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء و قالوا من هذا علم العالم بأن له علماً ووجوده لوجوده و قالوا فإن قلتم أن لكم علماً بأن لكم علماً بالبـاري تعالى وبما تعلمونه وأن لكم وجوداً لوجودكم مـا تجدونـه سألناكم ألكم علم بعلمكم بأن لكم علمـاً وهـل لكـم وجـود لوجودكم وجودكم ما تجدونه فإن أقررتم بـذلك لـزمكم أن تسلسلوا هذا أبداً إلى ما لا نهاية له ودخلتم في قول أصحاب معمر والدهرية.

وإن منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الـدليل علـى صحة منعكم ما منعتم من ذلك وصحة إيجابكم ما أوجبتم من ذلك وكذلك قالوا في قدم القديم وحدث المحدث وبقاء البـاقي وفناء الفاني وظهور الظاهر وخفاء الخافي وقصـد القاصـد ونية الناوي وزمان الزمان وما أشبه ذلك.

و قالوا لو كان للباقي بقاء ولبقاء الباقي بقاء وهكـذا أبداً إلى ما لا نهاية له قالوا فهذا يوجب وجود أشياء لا نهاية لها وهذا محال وهكذا قالوا في قدم القديم وقد قدمه وقدم قدم قدمه إلى ما لا نهاية له وفي حدوث المحدث وحـدث حدثـه وحدث حدث حدثه إلى ما لا نهاية له وهكذا قالوا في زمـان الزمان وزمان زمان الزمان إلى ما لا نهاية وفي فناء الفاني وفناء فنائه وفناء فناء فنائه إلى ما لا نهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره إلـى مـا لا نهاية له وكذلك القصد والقصد إلى القصد والقصد إلى القصد إلى القصد وهكذا إلا ما لا نهاية له وكذلك النية والنية للنيـة والنية للنية للنية إلى ما لا نهاية له وكـذلك تحقيـق الحـق وتحقيق تحقيق الحق إلى ما لا نهاية له.

قال أبو محمد: أفكار السوء إذا ظن صـاحبها أنـه يدقق فيها فهي أضر عليه لأنها تخرجه إلى التخلـيط الـذي ينسبونه إلى السوفسطائية وإلى الهذيان المحض وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

قال أبو محمد: وللكلام في هذا أبين مـن أن يشـكل على عامي فكيف على فهم فكيف على عالم والحمد ونحن

نتكلم على هذا إن شاء ا عز وجل كلاماً ظاهراً لائحـاً لا يخفى على ذي حس سليم وبا تعالى نتأيد فنقول وبا تعالى التوفيق.

أما العدم فإنه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملـك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ أقدم من شـيخ أي أنه متقدم بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس في العالم قدم قديم الأزماني هذا هو حكم اللغة التي لا يوجـد فيها غيره أصلاً فالقدم هو التقدم والتقدم متقدم بنفسـه علـى غيره فقط لأن القدم موجود معلوم وهي صفة المتقـدم فـلا يجوز إنكاره وأما قدم القديم فباطل لأنه لم يأت به نـص ولا قام بوجوده دليل وما كان هكذا فهـو باطـل وأمـا وجـود الموجود فبضرورة الحس أن الموجود حق وأنـه يقتضـي واجداً وأن الواجد يقتضي وجوداً لما وجد هو فعـل الواجـد وصفته فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجـد يوجـد بذاتـه لا بوجود هو غيره لأن وجود الوجود لم يأت بـه نـص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وأما الباري عز وجل فإنـه يجد نفسه ويعلمها ويجد ما دونه ويعلمه بذاته لا بوجود هـو غيره ولا بعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضي علمـاً

ولا بد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضـاً بيقـين ويزيد ويذهب ويثبت أطواراً هذا ما لا شك فيه والعالم منـا يعلم أنه يحمل علماً بعلمه ذلك لا بعلم هو غيـر علمـه لأن العالم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقي مثاله بلا شك والبقاء هـو اتصـال وجوده مدة بعد مدة وهذا معنى صحيح لا يجوز أن ينكـره عاقل فإما بقاء البقاء فلم يأت بإيجاب وجود نص ولا قام بـه برهان وما كان هكذا فهو باطل ولا يجـوز أن يوصـف ا تعالى بالبقاء ولا أنه باق كما لا يوصف بالخلد ولا بأنه خالد ولا بالدوام ولا بأنه دائم ولا بالثبات ولا بأنه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لأن ا عز وجل لم يسم نفسه بشـيء من ذلك لا في القرآن ولا على لسان رسـول ا صـلى ا عليه وسلم ولا قال ه قط أحد من الصحابة رضي ا عـنهم ولا قام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لأن كـل مـا ذكرنا من صفات المخلوقين ولا يجوز أن يوصف ا تعالى بشيء من صفات المخلوقين إلا أن يأتي نص بأن يسمي باسم ما فيوقف عنده ولأن كل ما ذكرنا أعراض فيما هو فيه وا تعالى لا يحمل الأعراض وأيضاً فإنه عز وجل لا في زمان

ولا يمر عليه زمان ولا هو متحرك ولا ساكن لكن ي قال لم يزل ا تعالى ولا يزال وأما الفناء فإنه مدة للعـدم تعـدها أجزاء الحركات والسكون ولا يجوز أن تكون للمدة مدة لكنها مدة في نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لأنـه محسـوس معلوم وأما القول بزمان الزمان فهو شيء لم يأت به نـص ولا قام بحصته برهان وما كان هكذا فهو باطل وأما ظهـور الظاهر فهو متيقن معلوم والظهور صفة الظاهر وفعله تقول ظهر يظهر ظهوراً والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولا يجـوز أن ي قال أن للظهور ظهوراً لأنه لم يأت به نص ولا قـام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل وأما خفاء الخـافي فهو عدم ظهوره والعدم ليس شيئاً كما قدمنا وأما القصد إلى الشي والنية له فإنما هما فعل القاصد والنـاوي وإرادتهمـا الشيء والقول بهما واجب لأنهمـا موجـودات بالضـرورة يجدهما كل أحد من نفسه ويعلمهما من غيره علماً ضـرورياً وأما القصد إلى القصد والنية للنية فباطل لأنه لم يأت به نص ولا أوجبهما دليل وما كان هكذا فهو باطـل والقـول بـه لا يجوز فهذا وجه البيان فيما خفي عليهم حتى أتوا فيـه بهـذا التخليط والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: ثم نقول لهم أخبرونا إذا قلتم هذه أحوال أهي معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض أم ليست معاني أصلاً ولا لها مسميات ولا هي مضبوطة ولا محدودة متميز بعضها من بعض فإن قالوا ليست معاني ولا محدودة ولا مضبوطة ولا متيزاً بعضها من بعض ولا لتك الأسماء مسميات أصلاً قيل له فهذا هو معنى العدم حقاً فلم قلتم أنها ليست معدومة ثم لم سميتموها أحوالاً وهي معدومة ولا تكون التسمية إلا شرعية أو لغوية وتسميتكم هذه المعاني أحوالاً ليست تسمية شريعة ولا لغوية ولا مصطلحاً عليها لبيان ما يقع عليه فهي باطل محض بيقين فإن قالوا هي معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجودة ولا بد فلم قلتم أنها ليست موجودة وهذا ما لا مخلص لهم منه وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وي قال لهم أيضاً هذه الأحوال التي تقولون أمعقولة هي أم غير معقولة فإن قالوا هي معقولة كانوا قد أثبتوا لها معاني وحقائق من أجلها عقلت فهي موجودة ولا بد والعدم ليس معقولاً لكنه لا معنى لهذه اللفظة

أصلاً وبا   تعالى التوفيق وي قال لهم أيضاً هل الأحوال في اللغة وفي المعقول إلا صفات لذي حال وهل الحال في اللغة إلا بمعنى التحول من صفة إلى أخرى ي قال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالأمس وكيف يكون الحال غداً فإذا الأمر هكذا ولا بد فهذه الأحوال موجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وأنه من أسخف الهذيان والمحال الممتنـع الذي لا يرضي به عاقل وي قال لهم أيضاً قبل كـل شـيء وبعده فمن أين سميتم هذا الاسم يعني الأحوال ومن أين قلتم لا هي معلومة ولا هي مجهولـة ولا حـق ولا باطـل ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معدومة ولا موجودة ولا هـي أشياء ولا غير أشياء أي دليل حداكم على هذا الحكم أقرآن أم سنة أم إجماع أو قول متقدم أم لغة أم ضرورة عقل أم دليل إقناعي أم قياس فهاتوه ولا سبيل إليه فلـم يبـق إلا الهـذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه اللكـان ويسـأل عنـه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل العقول لمـن قـال بهـذا الجنون ولا مزيد ونعوذ با من الخذلان وما ينبغي لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتى بما لا يعقل ككون الجسـم فـي مكانين والجسمين في مكان واحد وكون شيء قائمـاً قاعـداً

وكون أشياء غير متناهية في وقت واحد فإن قالوا هذا كفـر قيل لهم بل الكفر ما جئتم به لأنـه إبطـال الحقـائق كلهـا والعجب كل العجب أنهم لا يجوزون قدرة ا تعالى على ما هو محال عندهم وقد أتوا في هذا الفصل بعين المحال ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: وكلامهم في هذه المسألة كـلام مـا سمع بأسخف منه ولا قول السوفسطائية ولا قول النصـارى ولا قول الغالية على أن هذه الفرق أحمق الفرق أقوالاً أمـا السوفسطائية فإنهم قطعوا على أن الأشياء باطل لا حـق أو أنها حق عند من هي عنده حق وباطل عند من هـي عنـد باطل وأما النصارى والغالية فإن كانت هاتان الفرقتـان قـد أتتا بالعظائم فإنهم قطعوا بأنها حق وأما هـؤلاء المخاذيـل فإنهم أتوا بقول حققوه وأبطلوه ولم يحققـوه وأبطلـوه ولـم يحققوه ولا أبطلوه كل ذلك معاً في وقت واحد من وجه واحد وهذا لا يأتي به إلا مبرسم أو مجنـون أو مـاجن يريـد أن يضحك من معه.

قال أبو محمد: ونحن نتكلف بيان هذا التخليط التـي أتوا به وإن كان مكتفياً بسماعه ولكن التزيد من إبطال الباطل

ما أمكن حسن فنقول وبا تعالى التوفيق أن قـولهم لا هـي حق ولا هي باطل فإن كل ذي حس سليم يدري أن كل ما لم يكن حقاً فهو باطل وما لم يكن باطلاً فهو حق هذا لا يعقـل غيره فكيف وقد قال ا تعالى " فماذا بعد الحق إلا الضلال " و قال تعالى " ليحق الحق ويبطل الباطل " و قال تعالى " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " و قال تعالى " خلق كل شيء فقدره " و قال تعالى " ونَـادى أَصـحاب الْجنـةِ أَصحاب النارِ أَن قَد وجدنَا ما وعدنَا ربنَا حقا فَهلْ وجدتم ما وعد ربكُم حقا قَالُواْ نَعم فَأَذن مؤَذن بينَهم أَن لعنَةُ اللّهِ علَى الظاِلِمين " و قال " فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم ".

قال أبو محمد: وهؤلاء قوم ينتمـون إلـى الإسـلام ويصدقون القرآن ولولا ذلك ما احتججنا عليهم فقد قطـع ا تعالى أنه ليس إلا حق أو باطل وليس إلا علم أو جهل وهـو عدم العلم وليس إلا وجود أو عدم إلا شيء مخلوق أو الخالق أو لفظة العدم التي لا تقع على شيء ولا على مخلـوق فقـد أكذبهم ا عز وجل في دعواهم ولا يشك ذو حس سـليم أن ما لم يكن باطلاً فهو حق وما لم يكن حقاً فهو باطل وما لـم يكن معلوماً فهو مجهول وما لم يكن مجهولاً فهو معلوم وما

لم يكن شيئاً فهو لا شيء وما لم يكن لا شيء فهو شيء وما لم يكن موجوداً فهو معدوم وما لم يكن معدوماً فهو موجـوداً وما لم يكن مخلوقاً فهو غير مخلوق وما لم يكن غير مخلوق فهو مخلوق هذا كله معلوم ضرورة ولا يعقل غيره فإذ هـذا كذلك ولا فرق بين ما قال وه في هذه القضية وبـين القـول اللازم لهم ضرورة وهو أن تلك الأحوال معدومة موجـودة معاً حق باطل معاً معلومة مجهولة معاً مخلوقة غير مخلوقة معاً شيء لا شيء معاً وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه لأنهم إذ قالوا ليست حقاً فقد أوجبوا أنها باطل وإذ قالوا ولا هي باطل فقد أوجبوا أنها حق وهكذا في سائر مـا قـال وه فـأعجبوا لعقول وسع هذا فيها وسخموا به ورقهم وعجب آخر وهـو قال أبو محمد: ولم يخلصوا من هذا من قـول معمـر فـي وجوب وجود أشياء لا نهاية لها أو أن يصيروا إلى قولنا في إبطال هذه التي يسمونها أحوالاً وإعدامها جملة ومـا نعلـم هوساً إلا وقد انتظمته هذه الم قال ة ونعوذ با من الخذلان.

مسألة أخرى.

قال أبو محمد: قال ت الأشعرية ليس في العالم شيء له بعض أصلاً ولا شيء له نصف ولا ثلـث ولا ربـع ولا

خمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشـر ولا جزء أصلاً واحتجوا في هذا بأن قالوا يلزم من قال أن الواحد عشر العشر وجزء من العشرة وبعض العشرة أن يقـول ولا بد أن الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسـه وأنه جزء لغيره عشر لغيره لأن العشرة تسعة وواحـد فلـو كان الواحد عشر العشرة وبعضاً للعشرة وجزأ للعشرة لكان عشراً لنفسه وللتسعة التي هي غيره ولكان جزأ بعضاً لنفسه وللتسعة التي هي غيره.

قال أبو محمد: وهذا خبط شديد أول ذلك أنه رد على ا تعالى مجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بـل لجميـع اللغات ومكابرة للعقول وللحواس قـال تعـالى " وإذا خـلا بعضهم إلى بعض " و قال تعالى " يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا " و قال تعالى " فلأمه الثلـث فلامـه السدس فلها النصف ولهن الربع ولهن الثمن " فقـد كـذبوا القرآن نصاً ثم هذا موجود في كل طبيعة فـي كـل لغـة ومحسوس بالحواس ثم ي قال لهم لا فرق بينكم وبـين مـن صحح ولم ينكر كون الشيء بعض نفسه وبعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيـره واحـتج فـي

تصحيح ذلك بالحجة التي رمتم بها إبطال ذلـك ولا مزيـد وكلاكما متكسع في ظلمة الخطأ ثم نقول لهم وبـا تعـالى التوفيق ليس الأمر كما ظننتم بل الأسماء موضوعة للتفـاهم وللتميز بعض المسميات من بعض فالعشرة اسم للعشرة أفراد مجتمعات في العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية اثنين ولسبعة وثلاثة ولستة وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى " ثلاثة أيـام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة " وهكذا جميـع الأعداد لا ينكر ذلك إلا مخذول منكر للمشاهدة فبالضـرورة ندري أن كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها وقسم منها لنسبة ما ولا ي قال هو جزء لنفسـه ولا جـزء لغيره ولا أنه بعض لنفسه ولا أنه بعض لغيـره ولا عشـر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هذا البلق الذي هو اسم لاجتماع السواد والبياض معاً فالبياض بلا شك بعض البلق والسـواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسـواد ولا بعضـاً لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للبلق وكذلك الإنسـان اسم للجملة المجتمعة من أعضائه ولا شـك فـي أن العـين بعض الإنسان وجزء من الإنسان ولا يحتمل أن ي قال العين بعض نفسها وبعض الأذن واليد ولا أن ي قال الأذن جـزء

لنفسها وللعين والأنف وهكذا في سائر الأعضاء فعلى قـول هؤلاء النوكى يلزمهم أن لا تكون العين بعض الإنسـان وأن يقولوا أن العين بعض نفسها وبعـض الأذن ومـن أبطـل الأبعاض والأجزاء فقد أبطل الجمل لأن الجمل ليست شـيئاً البتة غير أبعاضها ومن أبطل الجمل فقد بطل الكل والجـزء وأبطال العالم بكل ما فيه وإذا بطل العالم بطل الدين والعقل وهذه حقيقة السفسطة وما نعلم في الأقوال أحمق مـن هـذه المسألة ومن التي قبلها نعوذ با من الخذلان.

الكلام في خلق ا عز وجل للعالم

في كل وقت وزيادته في كل دقيقة قال أبو محمـد: وذكر عن النظام أنه قال أن ا تعالى يخلق كل ما خلق فـي وقت واحد دون أن يعدمه وأنكر عليه القـول بعـض أهـل الكلام.

قال أبو محمد: وقول النظام هاهنا صحيح لأننـا إذا أثبتنا أن خلق الشيء هو الشيء نفسه فخلق ا تعالى قائم في كل موجود أبداً ما دام ذلك الموجود موجـوداً وأيضـاً فإنـا نسألهم ما معنى قولكم خلق ا تعالى أمر كـذا فجـوابهم أن معنى خلقه تعالى أخرجه من العدم إلى الوجود فنقـول لهـم

أليس معنى هذا القول منكم أنه أوجده ولم يكن موجود أفـلا بد من قولهم نعم فنقول لهم وبا تعالى التوفيق فالخلق هـو الإيجاد عندكم بلا شك فأخبرونا أليس ا تعالى موجداً لكـل موجود أبداً مدة وجوده فإن أنكروا ذلك أحالوا وأوجبـوا أن الأشياء موجودة وليس ا تعالى موجداً لها الآن وهذا تناقض وإن قالوا نعم فإن ا تعالى موجد لكل موجود أبـداً مـا دام موجوداً قلنا لهم هذا هو الذي أنكرتم بعينه قد أقررتم به لأن الإيجاد هو الخلق نفسه وا تعالى موجد لكل ما يوجد فـي كل وقت أبداً وإن لم يفنه قبل ذلك وا تعالى خـالق لكـل مخلوق في كل وقت وإن لم يفنه قبل ذلك وهذا ما لا مخاص لهم منه وبا تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول ا تعالى " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسـجدوا لآدم " وصح البرهان بأن ا تعالى خلق التراب والماء الذي يتغذى آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء وأحالـه ا تعالى منياً فثبت بهذا يقيناً أن جميع أجساد الحيوان والنوامى كلها متفرقة ثم جمعها ا تعالى فقام منها الحيوان والنـوامى و قال عز وجل " ثم أنشأناه خلقاً آخر " و قال تعالى " خلقـاً من بعد خلق " فصح أن في كل حين يحيل ا تعالى أحـوال

مخلوقاته فهو خلق جيد وا تعالى يخلق في كل حين جميـع العالم مستأنفاً دون أن يفنيه وبا تعالى التوفيق.

الكلام في الحركة والسكون

قال أبو محمد: ذهبت طائفة إلى أن لا حركـة فـي العالم وأن كل ذلك سكون واحتجوا بأن قالوا وجدنا الشـيء ساكناً في المكان الأول ساكناً في المكان الثاني وهكـذا أبـداً فعلمناه أن كل ذلك سكون وهذا قول منسوب إلى معمر بـن عمرو العطار مولى بني سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبـت طائفة إلى أنه لا سكون أصلاً وإنما هي حركة اعتماد وهـذا قول ينسب إلى إبراهيم ابن سيار النظام واحتج غير النظـام من أهل هذه الم قال ة بأن قالوا السكون إنما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئاً و قال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلاً ولا هو معنى وذهبت طائفة إلى إبطـال الحركـة والسكون معاً و قالوا إنما يوجد متحرك وساكن فقـط وهـو قول أبي بكر بن كيسان الأصم وذهبت طائفة إلى أن الجسـم في أول خلق ا تعالى ليس ساكناً ولا متحركاً وذهبت طائفة إلى إثبات الحركة والسكون إلا أنها قـال ت أن الحركـات أجسام وهو قول هشام بن الحكم شيخ الإمامية وجهـم بـن

صفوان السمرقندي وذهبت طائفـة إلـى إثبـات الحركـة والسكون وأن كل ذلك أعراض وهذا هو الحق فأما من قـال بنفي الحركة وأن كل ذلك سكون فقولهم يبطل بأننا قد علمنا بأن السكون إنما هو إقامة في المكان وأن الحركة نقلة عـن ذلك المكان وزوال عنه ولا شك في أن الزوال عن الشـيء هو غير الإقامة فيه فإذا الأمر كذلك فواجب أن يكون لهذين المعنيين المتغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كما هما متغايران فاتفق في اللغة أن يسمى أحدهما حركة ويسمى الآخر سكوناً وأما قولهم أن كل حركة فهي سكون في المكان الثاني فليس كذلك لأن السكون إقامة لا نقلة فيها فإذا وجدت نقلة متصلة لا إقامة فيها فهي غير الإقامة التي لا نقلة فيهـا ونوع آخر له أيضاً أشخاص غير أشخاص النـوع الآخـر وبيقين ندري أن الشيء المتحرك من مكان إلى مكان فإنـه وإن جاوز كل مكان يمر عليه فإنه غير واقف ولا مقيم هـذا ما لا شك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس فصح أن الحركـة معنى وأن السكون معنى آخر وأما من قال أن السكون حركة اعتماد فاحتجاج لا يعقل فلا وجه للاشتغال به وأما حجة من احتج بأن السكون عدم الحركة والعدم ليس شيئاً فليس كمـا

قال لأنه عقب الحركة إقامة موجودة ظاهرة فهي وإن كـان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هي عدماً كما أن القيام معنى صحيح موجود وأن كان قد عدمت معه سائر الحركات والأعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع وي قال لهم مـا الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معنى لأنها عدم السكون فهذا ما لا انفكاك عنه وكذلك مـن قـال أيضـاً أن المرض ليس معنى لأنه عدم الصحة والصحة ليست معنـى لأنها عدم المرض ومثل هذا كثير جداً وفـي هـذا إبطـال الحقائق كلها وأما من قال أن الترك ليس معنى فخطأ لأن كل من دون ا تعالى فإنه إن ترك معنى ما وفعلاً ما فلا بد لـه ضرورة من فعل آخر ومعنى آخر هذا أمر يوجد بالمشـاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح أن ترك من دون ا تعـالى لفعل ما هو أيضاً فعل صحيح بوجوده منه سمي تاركاً لمـا ترك وليس ا تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكـن بذلك فاعلاً للترك لأن ترك الإنسان للفعل كما بينـا عـرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لترك ا تعـالى للفعـل معنى لكان قائماً به تعالى معاذ ا من هذا من أن يكون عز وجل حاملاً لعرض فلو كان أيضاً قائماً بنفسه لكان جـوهراً

والترك ليس جوهراً ولو كان قائماً بغيره عز وجـل لكـان تعالى فاعلاً له غير تارك فصح الفرق وبا تعالى التوفيـق وأما من أبطل الحركة والسكون معاً فقول فاسد أيضاً لأنـه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدري كل ذي حـس سليم أن من تحرك سكن فإن تلك العين المتحركة ثم الساكنة هي عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتهـا وإنمـا تبـدل عرضها المحمول فيها فبالضرورة ندري أنه حدث فيه أو له أو منه معنى من أجله استحق أن يسمى متحركاً وأنه حـدث فيه أو له أو منه أيضاً معنى من أجله استحق أن يسمى ساكناً ولولا ذلك لم يكن بأن يسمى متحركاً أحق به منه بأن يسمى ساكناً هذا أمر محسوس مشاهد فذلك المعنى هو الحركـة أو السكون ولا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضرب ونفى الحركة والسكون ولا فرق بينه وبـين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضـرب والأكـل والقيام وهذه سفسطة صحيحة وبا تعالى التوفيق وأما مـن قال أن الجسم في أول خلق ا عز وجل لـيس سـاكناً ولا متحركاً فكلام فاسد أيضاً لأنه لا يتوهم ولا يعقل معنى ثالث ليس حركة ولا سكوناً هذا شيء لا يتشكل فـي الـنفس ولا

يثبته عقل ولا سمع وأيضاً فلأنه قول لا دليل عليه فهو باطل ولا شك في أن الله تعالى إذا خلق الجسم فإنما يخلقه في زمان ومكان فإذ لا شك في ذلك فالجسم في أول حدوثه ساكن في المكان الذي خلقه الله تعالى فيه ولو طرفة عين ثم إما يتصل سكونه فيه فتطول إقامته فيه وإما أن ينتقل عنه فيكون متحركاً عنه فإن قال قائل بل هو متحرك لأنه خارج عن العدم إلى الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة لأن الحركة في اللغة وهي التي يتكلم عليها إنما هي نقلة من مكان إلى مكان والعدم ليس مكاناً ولم يكن المخلوق شيئاً قبل أن يخلقه الله تعالى فحال خلقه هي أول أحواله التي لم يكن هو قبلها فكيف أن يكون له حال قبلها فلم ينتقل أصلاً بل ابتداه الله تعالى الآن وأما الجسم الكلي الذي هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلي فكل جزء منه مقدر مفروض فإن أجزائه المحيطة به من أربع جهات والجزء الذي يليه في جهة عمق الفلك هو مكانه ولا مكان له في الصفحة التي لا تلي الأجزاء التي ذكرنا والله تعالى يمسكه بقوته كما شاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء أصلاً ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملا.

قال أبو محمد: ورأيت بعض النوكى ممن ينتمي إلى الكلام قولاً ظريفاً وهو أنه قال أن ا تعالى إذ خلق الأرض خلق جرماً عظيماً يمسكها لئلاً تتحدر سفلاً فحين خلق ذلـك الجرم أعدمه وخلق آخر وهكذا أبداً بلا نهاية لأنه زعم لـو أبقاه وقتين لاحتاج إلى مسك وهكذا أبداً إلى ما لا نهاية لـه كأن هذا الأنوك لم يسمع قـول ا تعـالى " إن ا يمسـك السماوات والأرض إن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده " فصح أن ا تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد لا زيادة ولا جرم آخر ولو أن هؤلاء المخاذيـل إذ عـدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن ا بما لا علم لهم به لكان أسلم لهم في الدين والدنيا ولكـن من يضلل ا فلا هادي له ونعوذ با من الضلال وأما مـن قال أن الحركات أجسام فخطأ لأن الجسم في اللغة موضـوع للطويل العريض العميق ذي المساحة وليست الحركة كـذلك فليست جسماً ولا يجوز أن يوقع عليها اسم جسم إذ لم يـأت ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا أوجبه دليل وأوضح أنهـا ليست جسماً فهي بلا شك عرض وأما من قال أن الحركـة ترى فقول فاسد لأنه قد صح إن البصر لا يقع في هذا العالم

إلا على لون في ملون فقط وبيقين ندري أن الحركة لا لـون لها فإذ لا لون لها فلا سبيل إلى أن ترى وإنما علمنا كـون الحركة لأننا رأينا لون المتحرك في مكان ما ثم رأيناه فـي مكان آخر علمنا أن ذلك الملون قد انتقل عن مكان إلى مكان بلا شك وهذا المعنى هو الحركة أو بأن يحس الجسم قد انتقل من مكان إلى مكان فيدري حينئذ من لامسه وإن كان أعمـى أو مطبق العينين أنه تحرك وبرهان ما قلنا أن الهواء لما لـم يكن له لون لم يره أحد وإنما يعلم تموجه وتحركه بملاقاتـه فإنه منتقل وهو هبوب الرياح وكذلك أيضـاً علمنـا حركـة الصوت بإحساسنا الصوت يأتي من مكان ما وكذلك القـول في الحركة في المشموم من الطيب والنتن وحركة المـذوق فبطل قولاً من قال أن الحركات تـرى وصـح أن الحركـة ليست لوناً ولا لها لون ولو كان لأمكن لآخر أن يدعي أنـه يسمع الحركة وهذا خطأ لأنه لا يسمع إلا الصوت ولأمكـن لآخر أن يدعي أن الحركة تلمس وهذا خطأ وإنمـا يلمـس المجسة من الخشونة والإملاس أو غير ذلك من المجسـات والحق من هذا إنما هو أن الحركة تعرف وتوجد بتوسط كل ما ذكرنا وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: والحركات النقلية المكانية تنقسم قسمين لا ثالث لهما أما حركة ضرورية أو اختيارية فالاختيارية هي فعل النفوس الحية من الملائكة والإنس والجن وساير الحيوان كله وهي التي تكون إلى جهات شتى على غير رتبة معلومة الأوقات وكذلك السكون الاختياري والحركة الضرورية تنقسم قسمين لا ثالث لهما أما طبيعة وأما قسرية والاضطرارية هي الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه إليها وأما الطبيعة فهي حركة كل شيء غير حي مما بناه ا عليه كحركة الماء إلى وسط المركز وحركة الأرض كذلك وحركة الهواء والنار إلى مواضعها وحركة الأفلاك والكواكب دوراً وحركة عروق الجسد النوابض والسكون الطبيعي هو سكون كل ما ذكرنا في عنصره وأما القسرية فهي حركة كل شيء دخل عليه ما يحيل حركته عن طبيعته أو عن اختياره إلى غيرها كتحريك المرء قهراً وتحريكك الماء علواً والحجر وكذلك وكتحريك النار سفلاً والهواء وكذلك وكتصعيد الهواء والماء وكعكس الشمس لحر النار والسكون القسري هو توقيف الشيء في غير عنصره أو توقيف المختار كرهاً وبا تعالى التوفيق.

الكلام في التولد

قال أبو محمد: تنازع المتكلمون في معنـى عبـروا عنه بالتولد وهو أنهم اختلفوا فيمن رمى سهماً فجـرح بـه إنساناً أو غيره وفي حرق النار وتبريد الثلج وساير الآثـار الظاهرة من الجمادات ف قال ت طايفة ما تلود من ذلك عن فعل إنسان أو حي فهو فعل الإنسان والحي واختلفوا فيما تولد من غير حي ف قال ت طائفة هو فعل ا و قال ت طائفـة ما تولد من غير حي فهو فعل الطبيعة و قال آخرون كل ذلك فعل ا عز وجل.

قال أبو محمد: فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عـن موجبات العقول.

قال أبو محمد: والأمرأ بـين مـن أن يطـول فيـه الخطاب والحمد رب العالمين والصواب في ذلك أن كـل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم أو أثر من جسـم فهو خلق ا عز وجل فكل ذلك فعل ا عز وجل بمعنى أنه خلقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة إلـى مـا ظهرت منه من حي أو جماد قال تعالى " فإذا أنزلنا عليهـا الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " فنسب عـز

وجل الاهتزاز والإنبات والربو إلى الأرض و قـال " تلفـح وجوههم النار " فأخبر تعالى أن النار تلفح و قال تعـالى " وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه " فأخبر عز وجل أن الماء يشوي الوجوه و قال تعالى " ومن قتل مؤمنـاً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة " فسمى تعـالى المخطـئ قـاتلاً وأوجب عليه حكماً وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله و قال تعالى " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " فأخبر تعالى أن الكلم والعمل عرض من الأعراض و قـال تعالى " أفإن مات أو قتل انقلبتم " و قال تعالى " علـى شـفا جرف هار فانهار به " ولم تختلف أمة ولا لغة في صحة قول القائل مات فلا وسقط الحائط فنسب ا تعالى وجميع خلقـه الموت إلى الميت والسقوط إلى الحائط والانهيار إلى الجرف لظهور كل ذلك منها ليس في القرآن ولا في السنن ولا فـي العقول شيء غير هذا الحكم ومن خالف هذا فقـد اعتـرض على ا تعالى وعلى رسول ا صلى ا عليه وسلم وعلـى جميع الأمم وعلى جميع عقولهم وهذه صـفة مـن عظمـت مصيبته بنفسه ومن لا دين له ولا عقل ولا حيـاء ولا علـم وصح بكل ما ذكرنا أن إضافة كل أثر في العـالم إلـى ا

تعالى هي على غير إضافته إلى من ظهر منه وإنما إضافته إلى ا تعالى لأنه خلقه وأما إضافته إلى من ظهـر منـه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسنن رسول ا صلى ا عليه وسلم وكل هذه الإخبارات وكلتـا هاتين الإضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك لأنه لا فرق بين ما ظهر من حي مختار أو من حي مختار فـي أن كـل ذلك ظاهر مما ظهر منه وأنه مخلـوق تعـالى إلا أن ا تعالى خلق في الحي اختياراً لما ظهر منه ولم يخلق الاختيار فيما ليس حياً ولا مريداً فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل ا عز وجل لمعنى أنه خلقه وهو فعل ما ظهر منه بمعنى أنـه ظهر منه قال ا تعالى " فلم تقتلوهم ولكن ا قـتلهم ومـا رميت إذ رميت ولكن ا رمى " و قال تعالى " أفرأيتم مـا تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " وهذا نص قولنا وبا تعالى التوفيق.

الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون

قال أبو محمد: ذهب القائلون بأن الألوان أجسام إلى المداخلة ومعنى هذه اللفظة أن الجسمين يتداخلان فيكونـان جميعاً في مكان واحد.

قال أبو محمد: وهذا كلام فاسد لما سنبينه إن شاء ا تعالى في باب الكلام في الأجسام والأعراض من ديواننا هذا وبا التوفيق من ذلك أن كل جسم فله مساحة وإذا كان كذلك فله مكان زائد وإذ له مكان بقدر مساحته ولا بد فإن كل جسم زيد عليه جسم آخر فإن ذلك الجسم الزائد يحتاج إلى مكـان زائد من أجل مساحته الزائدة هذا أمر يعلم بالمشـاهدة فـإن اختلط الأمر على من لم يتمرن في معرفة حدود الكلام من أجل ما يرى في الأجسام المتخلخلة من تخال الأجسام المايعة لها فإنما هذا لأن في خلال أجزاء تلك الأجسـام المتخلخلـة خروقاً صغاراً مملوءة هواء فإذا صب عليها الماء أو مائع ما ملأ تلك الخروق وخرج عنها الهواء الذي كان فيهـا وهـذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصـوت من كل ما يخرج عنه الهواء مسرعاً والذي ذكرنا فإنه إذا تم خروج الهواء عنها وزيد في عدد المائع ربا واحتـاج إلـى مكان زائد وأما الذي ذكرنا قبل فإنه في الأجسـام المكتنـزة كماء صب على ماء أو دهن على دهن أو دهن على مـاء وهكذا في كل شيء من هذه الأنواع وغيرها فصح يقينـاً أن الجسم إنما يكون في الجسم على سبيل المجاورة كل واحد في

حيز غير حيز الآخر وإنما تكون المداخلة بين الأعـراض والأجسام وبين الأعراض والأعراض لأن العرض لا يشغل مكاناً فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحـر والبـرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بعضه بعضـاً ولا يمكن أن يكون جسم واحد في مكانين ولا جسمان في مكـان واحد ذم أن المجاورة بين الجسمين تنقسم ثلاثة أقسام أحـدها أن يخلع أحد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخـر كنقطـة رميتها في دم خل أو دن مرق أو في لبن أو فـي مـداد أو شيء يسير من بعض هذه في بعض أو من غيرها كذلك فإن الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويـذهبها عنه ويلبسا معاً كيفيات آخر كما الزاج إذا جـاور العفـص وكجسم الجير إذا جاور جسم الزرنيخ وكسائر المعاجن كلها والدقيق والماء وغير ذلك والثالث أن لا يخلع واحـد منهمـا عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت أضيف إلى ماء وكحجـر إلـى حجر وثوب إلى ثوب فهذا حقيقـة الكـلام فـي المداخلـة والمجاورة وأما الكمون فإن طائفة ذهبت إلى أن النار كامنة

في الحجر وذهبت طائفة إلى إبطال هذا و قالت أنه لا نار في الحجر أصلاً وهو قول ضرار بن عمرو.

قال أبو محمد: وكل طائفة منهما فإنها تفرط على الأخرى فيما تدعى عليها فضرار ينسب إلى مخالفيه أنهم يقولون بأن النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة في النواة وأن الإنسان بطوله وعرضه وعمقه وعظمه كامن في المني وخصومه ينسبون إليه أنه يقول ليس في النار حر ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في الإنسان دم.

قال أبو محمد: وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والعقول والحق في ذلك أن في الأشياء ما هو كامن كالدم في الإنسان والعصير في العنب والزيت في الزيتون والماء في كل ما يعتصر منه وبرهان ذلك أن كل ما ذكرنا إذا خرج مما كان كامناً فيه ضمر الباقي لخروج ما خرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذي خرج ومن الأشياء ما ليس كامناً كالنار في الحجر والحديد لكن في حجر الزناد والحديد الذكر قوة إذا تضاغطا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال ناراً وهكذا يعرض لكل شيء منحرق فإن رطوباته تستحيل ناراً ثم دخاناً ثم هواء إذ في طبع النار

استخراج ناريات الأجسام وتصعيد رطوباتها حتى يفني كـل ما في الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثـم لـو نفخت دهرك على ما بقي من الأرضية المحضة وهي الرماد لم يحترق ولا اشتعل إذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصعد وكذلك دهن السراج فإنه كثير الناريات بطبعه فيستحيل بمـا فيه من المائية اليسيرة دخاناً هوائياً وتخـرج ناريتـه حتـى يذهب كله وأما القول في النوى والبزور والنطف فـإن فـي النواة وفي البزر وفي النطفة طبيعة خلقها في كل ذلـك ا عز وجل وهي قوة تحتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ولطيف التراب الواد كل ذلك على النـواة والبـزر فتحيل كل ذلك إلى ما في طبعها إحالته إليه فيصـير عـوداً ولحاء وورقاً وزهراً وثمراً وخوصاً وكرماً ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعته التي خلقها ا تعالى فيـه لحمـاً ودماً وعظماً وعصباً وعروقاً وشرائين وعضلاً وغضاريف وجلداً وظفراً وشعراً وكل ذلك خلق ا تعالى فتبـارك ا أحسن الخالقين والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: وذهب الباقلاني وسائر الأشعرية إلا أنه ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في الزيتون زيت

ولا في العنب عصير ولا في الإنسان دم وهذا أمر ناظرنـا عليه من لاقيناه منهم والعجب كل العجب قولهم هذا التخلـيط وإنكارهم ما يعرف بالحواس وضرورة العقل ثم هم يقولـون مع هذا أن للزجاج والحصا طعماً ورائحة وأن لقشور العنب رائحة وأن للفلك طعماً ورائحة وهذا إحدى عجائب الدنيا.

قال أبو محمد: وما وجدنا لهم في ذلك حجـة غيـر دعواهم أن الله تعالى خلق كل حر نجده في النار عند مسـنا إياها وكذلك خلق البرد في الثلج عند مسنا إياه وكذلك خلـق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط.

قال أبو محمد: فإذا تعلقوا من هذا بحواسهم فمن أين قالوا أن للزجاج طعماً ورائحة للفلك طعماً ورائحـة وهـذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم في أحدهما ولا تدرك الحواس الآخر وي قال لهم لعل الناس ليس في الأرض مـنهم أحـد وإنما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لا مضـارين فيها ورؤوسكم لا أدمغة فياه لكن الله عز وجل خلق كل ذلك عند الشدخ والشق.

قال أبو محمد: وقول ا تعالى يكذبهم إذ قال تعالى " يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم " فلولا أن النار تحرق بحرها ما كان يقول ا عز وجل " قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون " فصح أن الحر في النار موجود وكذلك أخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أن نار جهنم أشد حراً من نارنا هذه سبعين درجة و قال تعالى " وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين " فأخبر أن الشجرة تنبت بها و قال تعالى " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً " فصح أن السكر والعصير الحلال مأخوذ من الثمر والأعناب ولو لم يكونا فيهما ما أخذا منهما وقد أطبقت الأمة كلها على إنكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلى من العسل وأمر من الصبر وأحر من النار ونحمد ا على السلامة.

الكلام في الاستحالة

قال أبو محمد: احتج الحنيفيون ومن وافقهم في قولهم أن النقطة من البول والخمر تقع في الماء فلا يظهر لها فيه أثر أنها باقية فيه بجسمها إلا أن أجزاءها دقت وخفيت عن أن تحس وكذلك الحبر يرمى في اللبن فلا يظهر له فيه اثر

وكذلك الفضة اليسير تذاب في الذهب فلا يظهر لها فيه أثـر وهكذا كل شيء قالوا لو أن ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار أقـوى على الإحالة بلا شك ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلـتم أنتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث أن تظهر الخمـر وهكذا في كل شيء قالوا فظهرت صحة قال أبو محمد: فقلنا لهم أن الأمور إنما هي على ما رتبها ا عز وجل وعلى ما توجد عليه لا على قضاياكم المخالفة للحـس ولا ينكـر أن يكون مقدار ما يفعل فعلاً ما فإذا كثر لم يفعل ذلـك الفعـل كالمقدار من الدواء ينفع فإذا زيد فيه أو نقص منه لـم ينفـع ونحن نقر معكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول أن مقداراً ما من الماء يحيل مقداراً ما مما يلقى فيه من الخـل أو الخمـر أو العسل ولا يحيل أكثر منه مما يلقى فيه ونحن نجـد الهـواء يحيل الماء هواء حتى إذا كثر الهواء المستحيل من الماء لـم يستحل من الماء بل أحال الهواء ماء وهكذا كلما ذكرتم وإنما العمدة هاهنا على ما شهدت به أوائل العقول والحواس من أن الأشياء إنما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التي منها تقوم وحدودها وبها تختلف في اللغات أسـماؤها فللمـاء صـفات

وطبائع إذا وجدت في جرم ما سمى ماء فإذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء وهكذا كل ما في العـالم ولا نحاشـي شيئاً أصلاً ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه في العسل أو في الخمر وهكذا كل شيء في العالم فـأكثره يستحيل بعضه إلى بعض فأي شيء وجدت فيه حدود شـيء ما سمي باسم ما فيه تلك الحدود إذا استوفاها كلها فـإن لـم يستوف إلا بعضها وفارق أيضاً شيئاً من صفاته الذاتية فهو حينئذ شيء غير الذي كان وغير الذي مازج كالعسل الملقى في الأبارج ونقطة مداد في لبن وما أشبه ذلك وهـذه رتبـة العالم في مقتضى العقول وفيما تشاهد الحواس والذوق والشم واللمس ومن دفع هذا خرج عن المعقول ويلزم الحنيفيين من هذا اجتناب ماء البحر لأن فيه على عقولهم عذرة وبـول لا ورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الأنهار أولها عن آخرهـا نعم وماء المطر أيضاً ونجد الدجاج يتغـذى بالميتـة والـدم والعذرة والكبش يسقي خمراً أن ذلك كله قد اسـتحال عـن صفات كل ذلك وطبعه إلى لحم الدجاج والكبش فحل عنـدنا وعندهم ولو كثر تغذيها به حتى تضعف طبيعتها عن إحالته فوجد في خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم أكله وهذا

هو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معنا في أن الثمار والبقول تتغذى بالعذرة وتستحيل فيها مدة أنها قد حلت وهذا هو الذي أنكروه نفسه وبا تعالى التوفيق.

▲ الكلام في الطفرة

قال أبو محمد: نسب قوم من المتكلمين إلى إبـراهيم النظام أنه قال أن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولا مـر عليهـا ولا حاذاها ولا حل فيها.

قال أبو محمد: وهذا عين المحـال والتخلـيط إذا إن كان هذا على قوله في أنه ليس في العـالم إلا جسـم حاشـا الحركة فقط فإنه وإن كان قد أخطأ في هذه القصـة فكلامـه الذي ذكرنا خارج عليه خروجاً صحيحاً لأن هذا الذي ذكرنا ليس موجود البتة غلا حاسة البصر فقط وكذلك إذا أطبقـت بصرك ثم فتحته لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب التي في الأفلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على أقرب ما يلاصـقه من الألوان لا تفاضل بين الأدراكين في المدة أصلاً فصـح ضرورة أن خلا البصر لو قطع المسافة التي بـين النـاظر وبين الكواكب ومر عليها لكان ضرورة بلوغه إليها في مـدة

أطول من مدة مروره على المسافة التي ليس بينه وبين مـن يراه فيها إلا يسير أو أقل فصح يقيناً أن البصر يخرج مـن الناظر ويقع على كل مرئي قرب أو بعد دون أن يمـر فـي شيء من المسافة التي بينهام ولا يحلهـا ولا يحازيهـا ولا يقطعها وأما في سائر الأجسام فهذا محال ألا ترى أنك تنظر إلى الهدم وإلى ضرب القصار بالثوب في الحجر مـن بعـد فتراه ثم يقيم سويعة وحينئذ تسمع صوت ذلك الهـدم وذلـك الضرب فصح يقيناً أن الصوت يقطع الأماكن وينتقـل فيهـا وأن البصر لا يقطعها ولا ينتقل فيها فإذا صح البرهان بشيء ما لم يعترض عليها إلا عديم عقل أو عديم حياء أو عديم علم أو عديم دين وبا تعالى التوفيق.

الكلام في الإنسان

قال أبو محمد: اختلاف الناس في هذا الاسم على مـا يقع فذهبت طائفة إلى أنه إنما يقع على الجسـد دون الـنفس وهو قول أبي الهذيل العلاف وذهبت طائفة إلى أنه إنما يقـع على النفس دون الجسد وهو قول إبراهيم النظـام وذهبـت طائفة إلى أنه إنما يقع عليهما معاً كالبلق الذي لا يقع إلا على السواد والبياض معاً.

قال أبو محمد: واحتجت الطائفة التي ذكرنا بقول ا عز وجل " خلق الإنسان من صلصال كالفخار " وبقـول ا تعالى " فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب " وبقوله تعالى " أيحسب الإنسـان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقـة فخلـق فسوى " وبآيات أخر غير هذه وهذه بلا شك صفة للجسـد لا صفة للنفس لأن الروح إنما تنفخ بعد تمام خلق الإنسان الذي هو الجسد واحتجت الطائفة الأخرى بقوله تعالى " إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعـاً " وهذا بلا خلاف صفة النفس لا صفة الجسد لأن الجسد موات والفعالة هي النفس وهي المميزة الحية حاملة لهذه الأخـلاق وغيرها.

قال أبو محمد: وكلا هذين الاحتجاجين حق ولـيس أحدهما أولى بالقول من الآخر ولا يجوز أن يعارض أحدهما بالآخر لأن كليهما من عند ا عز وجل وما كان من عند ا فليس بمختلف قال تعالى " ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فإذ كل هذه الآيات حـق فقـد ثبـت أن للإنسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضـاً علـى

الجسد دون النفس ويقع أيضاً على كليهما مجتمعين فنقول في الحي هذا إنسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا إنسان وهو جسد لا نفس فيه ونقول أن الإنسـان يعـذب قبل يوم القيامة وينعم يعني النفس دون الجسد وأما من قـال أنه لا يقع إلا على النفس والجسد معاً فخطأ يبطله الذي ذكرنا من النصوص التي فيها وقوع اسم الإنسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد وبا تعالى التوفيق.

الكلام في الجواهر والأعراض

وما الجسم وما النفس قال أبو محمد: اختلف النـاس في هذا الباب فذهب هشام بن الحكم إلى أنه ليس في العـالم غلا جسم وأن الألوان والحركات أجسام واحتج أيضـاً بـأن الجسم إذا كان طويلاً عريضاً عميقاً فمن حيث وجدته وجدت اللون فهي فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضاً فـإذا وجب ذلك للون فاللون أيضاً طويل عريض عميـق وكـل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب إبـراهيم بـن سيار النظام إلى مثل هذا سواء سواء غلا الحركات فإنه قال هي خاصة أعراض وذهب ضرار بن عمرو إلى أن الأجسام مركبة من الأعراض وذهب سائر الناس إلى أن الأجسام هي

كل ما كان طويلاً عريضاً عميقاً شاغلاً لمكان وإن كل ما عداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو محبة فعرض وذهب بعض الملحدين إلى نفي الأعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة.

قال أبو محمد: أما الجسم فمتفق على وجوده وأما الأعراض فإثباتها بين واضح بعون ا تعالى وهو أننا لم نجد في العالم غلا قائماً بنفسه حاملاً لغيره أو قائماً بغيره لا بنفسه محمولاً في غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلاً لمكان يملأه وجدنا الذي لا يقوم بنفسه لكنه محمول في غيره لا يشغل مكاناً بل يكون الكثير منها في مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لا يمكن وجود شيء في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ما ذكرنا فإذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا أن القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذي لا يشغل مكاناً فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبر عنه ليقع التفاهم بيننا فاتفقنا على أن سمينا القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسماً واتفقنا على أن سمينا ما لا يقوم بنفسه عرضاً وهذا بيان برهان مشاهد ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الألوان والجسم قائم بنفسه فبينا نراه

أبيض صار أخضر ثم أحمر ثم أصفر كالذي نشـاهده فـي الثمار والأصباغ فبالضرورة نعلم أن الذي عدم وفني مـن البياض والخضرة وسائر الألوان هو غير الذي بقي موجوداً لم يفن وأنهما جميعاً غير الشيء الحامل لهما لأنه لـو كـان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه فدل بقاؤه بعده على أنه غيره ولا بد إذ من المحال الممتنع أن يكون الشيء معـدوماً موجوداً في حالة واحدة في مكان واحد فـي زمـان واحـد وأيضاً فإن الأعراض هي الأفعال من الأكل والشرب والنوم والجماع والمشي والضرب وغير ذلك فمن أنكر الأعـراض فقد أثبت الفاعلين وأبطل الأفعـال ونفـى الفـاعلين وكـل الطائفتين مبطلة لمـا يشـاهد بـالحواس ويـدرك بالعقـل سوفسطائيون حقاً لأن من الأعراض ما يدرك بالبصر وهـو اللون إذا ما لا لون له لا يدرك بالشم كالنتن والطيب ومنهـا ما يدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحموضـة والملوحـة ومنها ما يدرك باللمس كالحر والبرد ومنها ما يدرك السـمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وجفوته ومنها مـا يـدرك بالعقل كالحركة والحمق والعقل والعـدل والجـوار والعلـم والجهل فظهر فساد قول مبطلي الأعراض يقينـاً

والحمد   رب العالمين فإذ قد صح كل مـا ذكرنـا فإنمـا الأسماء عبارات وتمييز للمسميات ليتوصل بها المخـاطبون إلى تفاهم مراداتهم من الوقوف على المعاني وفصل بعضها من بعض ليس للأسماء فائدة غير هذه فوجب ضـرورة أن يوقع على القائم بنفسه الشاغل لمكانه الحامل لغيـره أسـماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضاً على القائم بغيره لا بنفسـه المحمول الذي لا يشغل مكاناً اسماً آخر يكون أيضاً عبـارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسميين عن الآخر وإن لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصـطلحنا على أن سمينا القائم بنفسه الشاغل للمكان جسماً واتفقنا على أن سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضاً لأنه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق المشاهد بالحس المعـروف بالعقـل وما عدا هذا فهذيان وتخليط لا يعقله قائله فكيف غيره فصح بهذا كله وجود الأعراض وبطلان قول من أنكرهـا وصـح أيضاً بما ذكرنا أن حد اللون والحركة وكل ما لا يقوم بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فإذ ذلك كذلك فلا جسـم إلا القـائم بنفسه وكل ما عداه فعرض فلاح بهذا صحة قول مـن قـال بذلك وبطل قول هشام والنظام وبا تعالى التوفيق.

وأما احتجاج هشام بوجود الطول والعرض والعمـق الذي توهمها في اللون فإنما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس للون طول ولا عرض ولا عمق وكـذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك أنه لو كـان للجسـم طول وعرض وعمق وكان للون طول غير طـول الملـون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق آخـر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهمـا ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعاً في واحد لـيس هو إلا ذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هـذا فـي الطعـم والرائحة والمجسة لأن كل هذه الصفات توجد من كل جهـة من جهات الجسم الذي هي فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم حتى يكون الشيء لا طعم له الرائحة والطعـم والمجسة لا للون ولا للطعم مكان ولا للرائحة ولا للمجسـة وقد نجد جسماً طويلاً عريضاً عميقاً لا لون له وهو الهـواء ساكنه ومتحركه وبالضرورة ندري أنه لو كان له لون لم يزد ذلك في مساحته شيئاً.

قال أبو محمد: فإن بلغ الجهل بصاحبه إلى أن يقول ليس الهواء جسماً سألناه عما في داخل الزق المنفوخ ما هـو

وعما يلقي الذي يجرى فرساً جواداً بوجهه وجسمه فإنـه لا شك في أنه جسم قوي متكثر محسوس وبرهان آخر وهو أن كل أحد يدري أن الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منهما طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضاً إلى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا مسلسلاً إلى ما لا نهاية له وهذا باطل فبطل قول إبراهيم وهشام وبا تعـالى التوفيق وأما قول ضرار أن الأجسام مركبة من الأعـراض فقول فاسد جداً لأن الأعراض قد صح كما ذكرنـا أنهـا لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسـها وصـح أن الأجسام ذات أطوال وعروض وأعماق وقائمة بأنفسها ومن المحال أن يجتمع ما لا طول له ولا عرض ولا عمـق مـع مثله فيتقوم منها ما له طول وعرض وعمق وإنما غلط فيـاه من توهم أن الأجسام مركبة مـن السـطوح وأن السـطوح مركبة من الخطوط والخطوط مركبة من النقط.

قال أبو محمد: وهذا خطأ على كل حال لأن السطوح المطلقة فإنما هي تناهي الجسم وانقطاعه في تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط وأما الخطوط المطلقة فإنمـا هـي تناهي جهة السطح وانقطاع تماديها وأما النقط فهـي تنـاهي

جهات الجسم من أحد نهاياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الأبعاد إنما هي عدم التمادي ومن المحال أن يجتمـع عـدم فيقوم منه موجود وإنما السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة فإنما هي أبعاض الجسم وأجزاؤه ولا تكون الأجزاء أجزاء إلا بعد القسمة فقط على ما نذكر بعد هذا إن شاء ا تعالى.

قال أبو محمد: وذهب قوم من المتكلمين إلى إثبـات شيء سموه جوهراً ليس جسماً ولا عرضاً وقد ينسـب هـذا القول إلى بعض الأوائل وحد هذا الجوهر عند من أثبته أنـه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه يحمـل مـن كـل عرض عرضاً واحداً فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسة.

قال أبو محمد: وكلا هذين القـولين والقـول الـذي اجتمعا عليه في غاية الفساد والبطلان أو لا أنها كلها دعاوي مجردة لا يقوم على صحة شيء منها دليل أصلاً لا برهاني ولا إقناعي بل البرهان العقلي والحسي يشهدان ببطلان كـل ذلك وليس يعجز أحد أن يدعى ما شاء وما كان هكذا فهـو باطل محض وبا تعالى نتأيد وأما نحن فنقول أنه ليس فـي الوجود إلا الخالق وخلقه وأنه ليس الخلق إلا جوهراً حـاملاً

لأعراضه وأعراضاً محمولة في الجوهر لا سبيل إلى تعدي أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: ونجمع إن شاء ا تعالى كل شـيء أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهر لا جسم ولا عـرض ونبين إن شاء ا تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضـرورية كما فعلنا في سائر كلامنا وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: حققنا ما أوقع عليه بعـض الأوائـل ومن قلدهم اسم جوه و قالوا أنه لـيس جسـماً ولا عرضـاً فوجدناهم يذكرون الباري تعالى والنفس والهيـولى والعقـل والصورة وعبر بعضهم عن الهيـولى بالطينـة وبعضـهم بالخميرة والمعنى في كل ذلك واحد إلا أن بعضهم قال المراد بذلك الجسم متعرياً من جميع أعراضه وأبعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشيء الذي منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم في الخالق أو في إنكاره وزاد بعضـهم فـي الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزالا عنـدهم يعنـى بـالخلا المكان المطلق لا المكان المعهود ويعنـي بالمـدة الزمـان المطلق لا الزمان المعهود.

قال أبو محمد: وهذه أقوال شيء منها لمن ينتمي إلى الإسلام وإنما هي للمجوس والصابئين والدهرية والنصـاري في تسميتهم الباري تعالى جوهراً فإنهم سموه في أمانتهم التي لا يصح عندهم دين لملكي ولا لنسطوري ولا ليعقـوبي ولا لهاروني إلا باعتقادها وإلا فهو كافر بالنصرانية قطعاً حاشـا تسميته الاباري تعالى جوهراً فإنه للمجسمة أيضـاً وحاشـا القول بأن النفس جوهر لا جسم فإنه قد قال به العطار أحـد رؤساء المعتزلة وأما المنتمون إلى الإسلام فإن الجوهر الذي ليس جسماً ولا عرضاً ليس هو عندهم شيئاً إلـى الأجـزاء الصغار التي لا تتجزأ إليها تنحل الأجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الأوائل أيضاً فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنـا لا نعلم أحداً سمي جوهراً ليس جسماً ولا عرضاً وغيرها إلا أن قوماً جهالاً يظنون في القوي الذاتي أنها جواهر وهذا جهـل منهم لأنها بلا خلاف محمولة فيما هي غير قائمـة بنفسـها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف.

قال أبو محمد: فأما الخلا والمدة فقد تقدم إفسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضـرورية وفـي كتابنـا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الإلهي لمحمد بـن

زكريا الطيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هـذا المعنى بأبين شرح والحمد   رب العالمين كثيراً وأثبتنا فـي صدر كتابنا هذا وهنالك أنه ليس في العالم خلا البتة وأنه كله كرة مصمتة لا تخال فيها وأنه وليس وراءها خلاء لا ملاء ولا شيء البتة وأن المدة ليست للأمد أحدث ا   الفلك بما فيه من الأجسام الساكنة   والمتحركة وأعراضها وبينا في كتـاب التقريب لحدود الكلام أن الآلة المسماة الزرافة   وسارقة الماء والآلة التي تدخل في إحليل من بـه أسـر البـول بـراهين ضرورية بتحقيق أن لا خلاء في العالم أصـلاً وأن الخـلاء عند القائلين به إنما هو مكان لا تمكن فيه وهذا محـال بمـا ذكرنا لأنه لو خرج الماء من الثقب الذي في أسـفل سـارقة الماء وقد شد أعلاها لبقي مكانه خالياً بلا متمكن فيه فإذا لـم يمكن ذلك أصلاً ولا كان فيه بنية العالم   وجوده وقف المـاء باقياً لا ينهرق حتى إذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلاً خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكـذلك الزرافـة والآلـة المتخذة لمن به أسر البول فإنه إذا   حصلت تلك فـي داخـل الإحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق ليقها إلـى خـارج اتبعه   البول ضرورة وخرج إذ لم يخرج لبقي ثقب الآلة خالياً

لا شيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا في صدر كتابنا كمـا اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكـان فـأغني عن إعادته فإن قال قائل فالماء الذي اخترعه له والثريد الذي اخترع له من أين اخترعه وهي أجسام محدثة والعالم عندكم ملأ لا خلا فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان في مكان واحد قلنا وبا تعالى التوفيق لا يخلو هذا من أحد وجهين لا ثالث لهما إما أن يكون ا عز وجل أحال أجزاء من الهوى مـاء وتمراً وثريداً فا أعلم أي ذينك كان وا على كـل شـيء قدير فسقط قولهم في الخلا والمدة والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: وأما الصورة فكيفية بلا شـك وهـي تخليط الجواهر وتشكلها إلا أنها قسـمان أحـدهما مـلازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كانت قال الشيء عن تثليث إلى تربيع ونحـو ذلك فصح أنها عرض بلا شك وبا تعالى التوفيـق وأمـا العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم في أنه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك أنه يقبل الأشد والأضعف فنقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمـق

ولا خلاف في الجواهر أنها لا ضد لها وإنما التضـاد فـي بعض الكيفيات فقط وقد اعترض في هذا بعض من يدعي له علم الفلسفة ف قال ليس في العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت للذي ذكر لي هذا البحث أن هذه سفسطة وجهـل لو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره أن يقول للعلم ضد لكـن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشيء من الكيفيات ضد ولكـن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيـات وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل ولا فرق بـين وجـود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهـي بـاب واحد كله وإنما هي صفات متعاقبة كلهـا موجـودة فالعقـل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلـم موجـود ويعقبه الجهل وكما أن النجدة موجودة ويعقبها الجـبن وهـو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييـز وكـذلك الجواهر لا تقبل الأشد والأضعف في ذواتها وهذا أيضاً قول كل من له أدنى فهم من الأوايل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتنـاب الرذائـل والتزام ما يحسن به المغبة في دار البقـاء وعـالم الجـزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهـذا أيضـاً

جاءت الرسل عليهم السلام قال ا عز وجل " أفلم يسـيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " و قـال تعـالى " كذلك يبين ا لكم الآيات لعلكم تعقلون " و قال تعـالى " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " و قال تعالى " ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون " و قال تعالى " إن شر الدواب عند ا الذين كفـروا فهم لا يؤمنون " فصح أن العقل هو الإيمان وجميع الطاعات و قال تعالى عن الكفار " وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير " ومثل هذا في القرآن كثيـر فصـح أن العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواهـا فهو عرض كيفية بلا شك وإنما غلط من غلط في هذا لأنـه رأى لبعض الجهال المخاطين من الأوائل أن العقل جـوهر وأن له فلكاً فعول على ذلك من لا علم له وهذا خطـأ كمـا أوردنا وبا تعالى التوفيق وأيضاً فإن لفظة العقل عربية أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخـرى يعبـر عنهـا فـي اليونانية أو في غيرها من اللغات عما يعبر بلفظة العقل عنه في اللغة العربية هذا ما لا خفاء به عند أحد ولفظة العقل في لغة العرب إنما هي موضوعة لتمييـز الأشـياء واسـتعمال

الفضائل فصح ضرورة أنها معبرة بها عن عـرض وكـان مدعى خلاف ذلك رديء العقل عديم الحياء مباهتاً بلا شـك ولقد قال بعض النوكي الجهال لو كان العقل عرضاً لكانـت الأجسام أشرف منه فقلت للذي أتاني بهـذا وهـل للجـوهر شرف إلا بأعراضه وهل شرف جوهر قـط إلا بصـفاته لا بذاته هل يخفى هذا على أحد ثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لا يخالفوننا فـي أنهـا أعراض فعلي مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الأجسام كلها اشرف منها وهذا كما ترى وأما الهيولى فهو الجسـم نفسـه الحامل لأعراضه كلها وإنما أفردته الأوائل بهـذا الاسـم إذ تكلموا عليه مفرداً في الكلام عليه عن سائر أعراضه كلهـا من الصورة وغيرها مفصولاً في الكلام عليه خاصـة عـن أعراضه وإن كان لا سبيل إلى أن يوجد خلياً عن أعراضـه ولا متعرياً منها أصلاً ولا يتوهم وجوده كذلك ولا يتشكل في النفس ولا يتمثل ذلك أصلاً بل هو محال ممتنع جملة كما أن الإنسان الكلي وجميع الأجناس والأنواع ليس شيء منها غير أشخاصه فقط فهي الأجسام بأعيانها إن كان النوع نوع أجسام وهي أشخاص الأعراض إن كان النوع نـوع أعـراض ولا

مزيد لأن قولنا الإنسان الكلي يزيد النوع إنما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء أخر وقولنا الحمرة الكليـة إنمـا معنـاه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظـن من أهل الجهل أن الجنس والنوع والفصل جواهر لا أجسـام وبا تعالى التوفيق لكن الأوائل سـمتها وسـمت الصـفات الأوليات الذاتيات جوهريات لا جواهر وهذا صـحيح لأنهـا منسوبة إلى الجواهر لملازمتها لها وأنها لا تفارقها البتة ولا يتوهم مفارقتها لها وبا تعالى التوفيق فبطل قولهم في الخلا والمدة والصورة والعقل والهيولى والحمد رب العـالمين وأما الباري تعالى فقد أخطأ من سماه جوهراً من المجسـمة ومن النصارى لأن لفظة الجوهر لفظة عربية ومن أثبت ا عز وجل ففرض عليه إذ أقر أنه خالقه وإلاهه ومالك أمـره ألا يقدم عليه في شيء إلا بعهد منه تعالى وإلا يخبر عنه إلا بعلم متيقن ولا علم ههنا إلا ما أخبر به عز وجل فقط فصح يقيناً أن تسمية ا عز وجل جوهراً والأخبار عنه بأنه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه وأخبار عنه تعـالى بالكـذب الذي لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمي به نفسه وهذا إقدام لم يأتنا قط به برهان بإباحته وأيضاً فإن الجوهر حامل

لأعراض ولو كان الباري تعالى حاملاً لعرض لكان مركبـاً من ذاته وأعراضه وهذا باطل وأما النصارى فليس لهم أن يتسوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضعها فبطـل أن يكون تعالى جوهراً لبراءته عن حد الجـوهر وبطـل أن يسمي جوهراً لأنه تعالى لم يسم نفسه به وبا تعالى التوفيق فبطل قول من سمي ا تعالى جوهراً وأخبر عنه أنه تعـالى جوهر و تعالى الحمد فلم يبق إلا النفس والجزء الـذي لا يتجزأ ونحن إن شاء ا تعالى نتكلم فيهما كلامـاً مبينـاً ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم.

قال أبو محمد: اختلاف الناس في النفس فذكر عن أبي بكر عبد الرحمن ابن كيسان الأصم إنكار النفس جملة و قال لا أعرف إلا ما شاهدته بحواسي و قال جالينوس وأبو الهذيل محمد ابن الهذيل العلاف النفس عرض من الأعـراض ثـم اختلفا ف قال جالينوس هي مزاج مجتمع متولد من تركيـب أخلاط الجسد و قال أبو الهذيل هي عرض كسائر أعـراض الجسم و قال ت طائفة النفس هي النسـيم الـداخل الخـارج بالتنفس فهي النفس و قالوا والروح عرض وهو الحياة فهـو غير النفس وهذا قول الباقلاني ومن اتبعه من الأشـعرية و

قال ت طائفة النفس جوهر ليست جسماً ولا عرضاً ولا لهـا طول ولا عرض ولا عمق ولا هي في مكان ولا تتجزأ وأنها هي الفعالة المدبرة وهي الإنسان وهو قول بعض الأوائل وبه يقول معمر بن عمر والعطار أحد شيوخ المعتزلـة وذهـب سائر أهل الإسلام والملل المقرة بالميعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد.

قال أبو محمد: وبهذا نقول والنفس والروح اسـمان مترادفان لمسمى واحد ومعناهما واحد.

قال أبو محمد: أما قول أبي بكر ابن كيسـان فإنـه يبطله النص وبرهان العقل أما النص فبقول ا تعالى " اللّـه ولَو تَرى إِذِ الظاِلِمون فِي غَمراتِ الْموتِ والْملآئِكَةُ باسِـطُواْ َأيدِيهِم َأخْرِجواْ َأنفُسكُم الْيوم تُجزون عذَاب الْهونِ بِما كُنـتُم تَقُولُون علَى اللّهِ غَير الْحق وكُنتُم عن آياِتهِ تَستَكْبِرون الآية " فصح أن النفس موجودة وأنها غير الجسد وأنها الخارجة عند الموت.

قال أبو محمد: وأما البرهان العقلي فإننا نرى المرء إذا أراد تصفية عقله وتصحيح رأيه أو فك مسألة عويصـة عكس ذهنه وأفرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال

الجسد جملة وتبرأ منه حتى أنه لا يرى مـن بحضـرته ولا يسمع ما ي قال أمامه فحينئذ يكون رأيه وفكره أصـفى مـا كان فصح أن الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منـه عنـد إرادتهما وأيضاً فالذي يراه النائم مما يخرج حقاً على وجهـه وليس ذلك غلا إذا تخلت النفس عن الجسد فبقي الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى في الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدي وعمل أذنيه الجسدي وعمل ذوقـه الجسدي وكلام لسانه الجسدي فصح يقيناً أن العقل المبصـر السامع المتكلم الحساس الذائق هو شيء غير الجسد فصح أنه المسمى نفساً إذ لا شيء غير ذلك وكذلك ما تتخيلـه نفـس الأعمى والغائب عن الشيء مما قد رآه قبـل ذلـك فيتمثلـه ويراه في نفسه كما هو فصح يقيناً أن ههنا متمثلاً مدركاً غير الجسد إذ لا أثر للجسد ولا للحواس في شيء مما ذكرنا البتة ومنها أنك ترى المريد يريد بعـض الأمـور بنشـاط فـإذا اعترضه عارض ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغيـر منه شيء فعلمنا أن ههنا مريداً للأشياء غير الجسـد ومنهـا أخلاق النفس من الحلم والصبر والحسد والعقـل والطـيش والخرق والنزق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشـيء مـن

أعضاء الجسد فإذ لا شك في ذلك فإنما هو كله للنفس المدبرة للجسد ومنها ما يرى من بعض المحصرين ممن قد ضـعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحد ما كان ذهناً وأصح مـا كان تميزاً وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنطـق بكـل حكمة وأصحهم نظراً وجسده حينئذ في غاية الفساد وبطـلان القوى فصح أن المدرك للأمور المدبر للجسد الفعال المميـز الحي هو شيء غير الجسد وهو الذي يسمى نفساً وصـح أن الجسد مؤذ للنفس وأنها مذ حلت في الجسد كأنها وقعت فـي طين مخمر فأنساها شغلها بها كلما سلف لها وأيضاً فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متمادياً وحياته متصلة في حال نومـه وموته ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحاً سالماً لم ينتقض منه شيء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصح أن الفعل والتمييز إنما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة وإن الفعال الذاكر قد باينه وتبرأ منه وأيضاً فإننا نرى أعضـاء الجسـد تذهب عضواً عضواً بالقطع والفساد والقوى باقيـة بحسـبها والأعضاء قد ذهبت وفسدت ونجد الذهن والتـدبير والعقـل وقوي النفس باقية أوفر ما كان فصح ضـرورة أن الفعـال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كمـا ذكرنـا وأن

الجسد موات فبطل قول ابن كيسان والحمد رب العـالمين وأما قول من قال أنها مزاج كما قال جالينوس فإن كـل مـا ذكرنا مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فإنه يبطل أيضاً قول جالينوس وأيضاً فإن العناصر الأربعة التي منها تركب الجسد وهي التراب والماء والهواء والنار فإنها كلها مـوات بطبعها ومن الباطل الممتنع والمحال الذي لا يجوز البتـة أن يجتمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي وكـذلك محال أن تجتمع بوارد فيقوم منها حار أو حوار فيجتمع منها بارد أو حي وحي وحي فيقوم منها موات فبطـل أن تكـون النفس مزاجاً وبا تعالى التوفيق وأما قول مـن قـال أنهـا عرض فقط وقول من قال إنما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء وأن الروح هو عرض وهو الحياة فإن كلى هذين القولين يبطلان بكل ما ذكرنا إبطال قول الأصم بن كيسـان وأيضاً فإن أهل هذين القولين ينتمون إلى الإسلام والقـرآن يبطل قولهم نصاً قال ا تعالى " ا يتوفى الأنفـس حـين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضـى عليهـا الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " فصح ضرورة أن الأنفس غير الأجساد وأن الأنفس هي المتوفـاة فـي النـوم

والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفي للأجساد أصلاً وبيقين يدري كل ذي حس سليم أن العرض لا يمكن أن يتوفى فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا ما لا يكون ولا يجوز لأن العرض يبطل بمزايلته الحامل له وكذلك لا يمكن أن يظن ذو مسكة من عقل أن الهواء الخارج والداخل هو المتوفي عند النوم وكيف ذلك وهو باق في حال النوم كما كان في حال اليقظة ولا فرق وكذلك قوله تعالى " والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون " فإنه لا يمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وأيضاً فإن ا عز وجل يقول " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " الآية.

قال أبو محمد: فهذه آية ترفع الأشكال جملة وتبين أن النفس غير الجسد وإنما هي العاقلة المخاطبة المكلفة لأنه لا يشك ذو حس سليم في أن الأجساد حين أخذ ا عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ما قلنا فكيف وفيها نص أن الأشهاد إنما وقع على النفوس وما أدري كيف تنشرح نفس مسلم بخلاف هذه

النصوص وكذلك أخبار رسول ا صلى ا عليه وسلم أنـه رأى عند سماء الدنيا ليلة أسري به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنيه فأهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاوة عـن يسـاره عليه السلام ومن الباطل أن تكون الأعراض باقية هنالـك أو أن يكون النسيم هنالك وهو هواء مترد في الهواء.

قال أبو محمد: ولو كان مـا قـال ه أبـو الهـذيل والباقلاني ومن قلدهما حقاً لكان الإنسان يبدل في كل سـاعة ألف ألف روح وأزيد من ثلاثة مائة ألف نفس لأن العـرض عندهم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبداً فروح كـل حي على قولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكـذلك بيقـين يشاهد كل أحد أن الهواء الداخل بالتنفس ثم يخرج هو غيـر الهواء الداخل بالتنفس الثاني فالإنسـان يبـدل علـى قـول الأشعرية أنفساً كثيرة في كل وقت ونفسه الآن غير نفسه آنفاً وهذا حمق لا خفاء به فبطل قول الفـريقين بـنص القـرآن والسنة والإجمـاع والمشـاهدة والمعقـول والحمـد رب العالمين هذا مع تعريهما من الدليل جملة وأنها دعوى فقـط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لمـا

يعترض في أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون ف قال هـذا يخرج على وجهين بأن يوضع عرض الحياة في أقل جـزء من أجزاء الجسم و قال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة في عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول ا صلى ا عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الأعجب الذنب ومنه يركـب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب.

قال أبو محمد: وهذا تمويه من المحتج بهـذا الخبـر لأنه ليس في الحديث لا نص ولا دليل ولا إشارة يمكـن أن يتأول على أن عجب الذنب يحيا وإنما في الحديث أن عجب الذنب لا يأكله التراب وأنه من خلق الجسد وفيه يركب فقـط فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد رب العالمين قـال الباقلاني وأما أن يخلق لتلك الحياة جسد آخر فلا.

قال أبو محمد: وهذا مذهب أصحاب التناسـخ بـلا مؤونة واحتج لذلك بالحديث المأثور أن نسمة المؤمن طيـر يعلق من ثمار الجنة ويأوي إلى قناديل تحت العرش وفـي بعضها أنها في حواصل طير خضر.

قال أبو محمد: ولا حجة لهم في هذا الخبر لأن معنى قوله عليه السلام طائر يعلق هو على ظاهره لا على ظـن

أهل الجهل وإنما أخبر عليه السلام أن نسمة المؤمن طـائر بمعنى أنها تطير في الجنة فقط لا أنها تنسخ في صور طيـر فإن قيل أن النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربي فصيح أنـه قال أتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب فـال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيـادة التي فيها أنها في حواصل طير خضر فإنهـا صـفة تلـك القناديل التي تأوي إليها والحديثان معاً حديث واحـد وخبـر واحد.

قال أبو محمد: ولم يحصل مـن هـذين الـوجهين الفاسدين إلا على دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أو علـى كفر مجرد في المصير إلى قول أصحاب التناسـخ وعلـى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ با من الخـذلان فبطـل هذان القولان والحمد رب العالمين وأما قول من قـال أن النفس جوهر لا جسم من الأوائل ومعمر وأصـحابه فـإنهم موهوا بأشياء إقناعيات فوجب إيرادهـا ونقضـها ليظهـر البرهان على وجه الإنصاف للخصم وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: قالوا لو كان النفس جسماً لكان بـين تحريك المحرك رجله وبين إرادته تحريكها زمان على قـدر

حركة الجسم وثقله إذ النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلو كان المحرك للرجل جسماً لكان لا يخلوا إما أن يكون حاصلاً في هذه الأعضاء وإما جائياً إليها فإن كان جائياً إليها احتاج إلى مدة ولا بد وإن كان حاصلاً فيها فنحن إذا قطعنا تلك العصبة التي بها تكون الحركة لم يبق منها في العضو الذي كان يتحرك شيء أصلاً فلو كان ذلك المحرك حاصلاً فيه لبقي منه شيء في ذلك العضو.

قال أبو محمد: وهذا لا معنى له لأن النفس لا تخلو من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها إما أن تكون مجللة لجميع الجسد من خارج كالثوب وإما أن تكون متخللة بجميعه من داخل كالماء في المدرة وإما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قوها منبثة في جميع الجسد فأي هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع إرادتها لذلك بلا زمان كإدراك البصر لما يلاقي في البعد بلا زمان وإذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس مخللاً لذلك العضو إن كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذي يبطل حسه في الوقت وينفصل عنه بلا زمان

وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للإناء الذي ملئ ماء وأما أن كانت النفس ساكنة في موضع واحد من الجسـد فلا يلزم على هذا القسم أن يساب من العضو المقطوع بـل يكون فعلها حينئذ في تحريكهـا الأعضـاء كفعـل حجـر المغنطيس في الحديد وإن لم يلصق به بلا زمان فبطل هـذا الإلزام الفاسد والحمد رب العالمين و قالوا لو كانت النفس جسماً لوجب أن نعلم ببعضها أو قال أبو محمد: وهذا سـؤال فاسد تقسيمه والجواب وبا تعالى التوفيق أنهـا لا تعلـم إلا بكلها أو ببعضها لأن كل بسيط غير مركب من طبائع شـتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته فـي جميـع أبعاضه وفي بعض أبعاضه سـواء كالنـار تحـرق بكلهـا وببعضها ثم لا ندري ما وجه هذا الاعتراض علينـا بهـذا السؤال ولا ما وجه استدلالهم منه على أنها غير جسم ولـو عكس عليهم في إبطال دعواهم أنها جوهر لا جسم لما كـان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلاً و قالوا أن من شـأن الجسم أنك إذا زدت عليه جسماً آخر زاد في كميته وثقلـه قالوا فلو كانت النفس جسماً ثم داخلت الجسم الظاهر لوجـب

أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد إذا فارقته النفس أثقل منه إذا كانت النفس فيه.

قال أبو محمد: وهذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة لأنه ليس كل جسم كما ذكروا من أنه إذا أزيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وإنما يعرض هذا في الأجسام التي تطلب المركز والوسط فقط يعني التي في طبعها أن تتحرك سـفلاً وترسب من المائيات والأرضيات وأما التي تتحرك بطبعهـا علواً فلا يعرض ذلك فيها بل الأمر بالضد وإذا أضيف جسم منها إلى جسم ثقيل خففه فإنك ترى أنك لو نفخ زقا من جلـد ثور أو جلد بعير لو أمكن حتى يمتلئ هو آثم وزنته فإنك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغاً أصـلاً وكذلك ما صمد من الزقاق ولو أنه ورقة سوسـنة منفوخـة ونحن نجسد الجسم العظيم الذي إذا أضفته إلى الجسم الثقيـل خففه جداً فإنك لو رميت الزق غير المنفوخ في الماء الرسب فإذا نفخته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لأنه يرفعهم عن الماء ويمنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلى لأن النفس جسم علوي فلكي أخف من الهواء وأطلب للعلو فهي تخفف الجسـد إذا

كانت فيه فبطل تمويههم والحمد رب العـالمين و قـالوا أيضاً لو كانت النفس جسماً لكانت ذات خاصية إمـا خفيفـة وإما ثقيلة وإما حارة وإما باردة وإما لينة وإما خشنة.

قال أبو محمد: نعم هي خفيفة في غاية الخفة ذاكـرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التي بانت بها عـن سائر الأجسام المركبات مع سائر أعراضها المحمولة فيهـا من الفضائل والرذائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبـة واللين والخشونة فإنما هي من أعراض عناصر الأجرام التي دون الفلك خاصة ولكن هذه الأعراض المذكورة مؤثرة فـي النفس اللذة أو الألم فهي منفعلة لكل ما ذكرنا وهذا يثبت أنها جسم قالوا إنما من كان الأجسام فكيفياته محسوسة ومـا لـم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم وكيفيات النفس إنما هـي الفضائل والرذائل وهذان الجنسـان مـن الكيفيـات ليسـا محسوسين فالنفس ليست جسماً.

قال أبو محمد: وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبـة لأن قولهم أن ما لا تحس كيفياته فليس جسماً دعـوى كاذبـة لا برهان عليها أصلاً لا عقلي ولا حسي وما كان هكـذا فهـو قول ساقط مطروح لا يعجز عن مثله أحد ولكنا لا نقنع بهذا

دون أن نبطل هذه الدعوى ببرهان حسي ضروري بعون ا
تعالى وهو أن الفلك جسم وكيفياته غير محسوسة وأما اللون
اللازوردي الظاهر فإنما يتولد فيما دونه من امتزاج بعـض
العناصر ووقع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبـدل ذلـك
اللون بحسب العوارض المولدة له فمرة تراه أبيض صـافي
البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصح أن قولهم دعـوى
مجردة كاذبة وبا تعالى التوفيق وأيضاً فإن الجسم تتفاضل
أنواعه في وقوع الحواس عليه فمنه ما يدرك لونه وطعمـه
وريحه ومنه ما لا يدرك منه إلا المجسة فقط كالهواء ومنهـا
النار في عنصرها لا يقع عليها شيء من الحـواس أصـلاً
بوجه من الوجوه وهي جسم عظيم المساحة محيط بـالهواء
كله فوجب من هذا أن الجسم كل ما زاد لطافة وصفاء لم تقع
عليه الحواس وهذا حكم النفس ومـا دون الـنفس فـأكثره
محسوس للنفس لا حس البتة إلا للنفس ولا حساس إلا هـي
فهي حساسة لا محسوسة ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس أن
يكون كل حساس محسوساً فسقط قولهم جملة والحمد رب
العالمين و قالوا أن كل جسم فإن لا يخلو من أن يقع تحـت
جميع الحواس أو تحت بعضها والنفس لا تقـع تحـت كـل

الحواس ولا قال أبو محمد: وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفاً لأن ما عدم اللون من الأجسام لم يدرك بالبر كالهواء وكالنار في عنصرها وإن ما عدم الرائحة لم يدرك بالشـم كـالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك وما عدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصا والزجاج وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعـم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيء من الحـواس بـل هـي المدركة لكل هذه المـدركات وهـي الحساسـة لكـل هـذه المحسوسات فهي حساسة لا محسوسة وإنما تعرف بآثارهـا وبراهين عقلية وسائر الأجسـام والأعـراض محسوسـة لا حساسة ولا بد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لهـا غير النفس وهي التي تعلم نفسـها وغيرهـا وهـي القابلـة لأعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرزئل المعلومة بالعقل كقبول سائر الأجرام لما يتعاقب عليها من الأعـراض بالعقل والنفس هي المتحركة باختيارهـا المحركـة لسـائر الأجسام هي مؤثرة فيها تألم وتلتذ وتفرح وتحزن وتغضـب وترضى وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسي وتنتقـل وتحل فبطل قول هؤلاء أن كل جسم فلا بد من أن يقع تحت

الحواس أو تحت بعضها لأنها دعوى لا دليل عليهـا وكـل دعوى عريت من دليل فهي باطلة و قالوا كل جسم فإنـه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فإن كانت النفس جسماً فلا بد أن تكون هذه الكيفيات فيها أو يكون بعضها فيها فأي الوجهين كان فهي إذا محـاط بها وهي مدركة بالحواس أو من بعضها ولا نرى الحـواس تدركها فليست جسماً.

قال أبو محمد: هذا كله صحيح وقضايا صادقة حاشا قضية واحدة ليست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس أو من بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلـك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقـدم أيضـاً إفسادنا لها آنفاً مع تعريها عن دليل يصححها ونعم فـالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بها ذات مكان وزمان لأن هذه خواص الجسـم ولا بد والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي إذاً مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لأن حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيء منها لا على الطول ولا على العرض ولا علـى العمـق ولا علـى

السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفيـة ولا على الخط وإنما تقع حاسة البصر على اللون فقط فـإن كان في شيء مما ذكرنا لون وقعت عليـه حاسـة البصـر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون وإلا فلا وإنما تقع حاسـة السمع على الصوت فإن حدث في شيء مما ذكرنا صـوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمـت ذلـك المصـوت بتوسطه وإلا فلا وإنما تقع حاسة الشم على الرائحة فإن كان في شيء مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسـة الشـم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة وإلا فـلا وإن كـان لشيء مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم وإلا فلا وإن كل في شيء مما ذكرنـا مجسة وقعت عليه حاسة اللمس حينئـذ وعلمـت الملمـوس بتوسط المجسة وإلا فلا و قالوا أن من خاصة الجسم أن يقبل التجزي وإذا جزئ منه الجزء الصغير والكبيـر ولـم يكـن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلوا حينئذ من أحد أمرين إما أن يكون كل جزء منها نفساً فيلزم من ذلك أن لا تكـون النفس نفساً واحدة بل تكون حينئذ أنفساً كثيرة مركبـة مـن

أنفس وإما أن لا يكون كل جزء منها نفساً فيلزم أن لا تكون كلها نفساً.

قال أبو محمد: أما قولهم أن خاصة الجسم احتمال التجزي فهو صدق والنفس محتملة للتجزي لأنها جسم من الأجسام وأما قولهم أن الجزء الصغير ليس كالكبير فإن كانوا يريدون في المساحة فنعم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم أنها إن تجزأت فإما أن يكون كل جزء منها نفساً وإلزامهم من ذلك أنها مركبة من أنفس فإن القول الصحيح في هذا أن النفس محتملة للتجزي بالقوة وإن كان التجزي بانقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول في الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزي بالقوة وليس التجزي موجوداً في شيء منها بالفعل وأما قولهم أنها مركبة من أنفس فشغب فاسد لأننا قد قدمنا في غير موضع أن المعاني المختلفة والمسميات المتغايرة يجب أن يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره وإلا فقد وقع الأشكال وبطل التفاهم وصرنا إلى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على أن سمينا هذا القسم مركباً والثاني مؤلف من طبيعة واحدة

فاصطلحنا على أن سمينا هذا القسم بسيطاً ليقع التفاهم فـي الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الأول لا يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالإنسان الجزئي فإنه متألف مـن أعضاء لا يسمى شيء منها إنساناً فإذا تألف سمي المتـألف منها إنساناً ووجدنا القسم الثاني يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالأرض والماء والهواء وكالنار وكالفلك فهو فلـك وكل جزء من النفس نفس ولـيس ذلـك موجبـاً أن تكـون الأرض مؤلفة من أرضين ولا أن يكون الهواء مؤلفـاً مـن أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفاً من أفلاك ولا أن تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتى لو قيل ذلك بمعنى أن كل بعض منها يسمى نفساً وكل بعض من الفلك يسمى فلكاً فما كان في ذلك ما يعترض به على أنها جسم كسائر الأجسام التـي ذكرنـا وبا تعالى التوفيق و قالوا أيضاً طبع ذات الجسم أن يكـون غير متحرك والنفس متحركة فإن كانت هذه الحركة التي فيها من قبل الباري تعالى فقد وجدنا لها حركات فاسـدة فكيـف يضاف ذلك إلى الباري تعالى.

قال أبو محمد: وهذا الكلام في غاية الفساد والهجنـة ولقد كان ينبغي لمن ينتسب إلى العلم إن كان يدري مقـدار

سقوط هذه الاعتراضات وسخفها أن يصـون نفسـه عـن الاعتراض بها لرذالتها وإن كان لا يـدري رذالتهـا فكـان الأولى به أن يتعلم قبل أن يتكلم فأما قوله أن طبع ذات الجسم أن تكون غير متحركة فقول ظاهر الكـذب والمجـاهرة لأن للأفلاك والكواكب أجساماً وطبعها الحركة الدايمة المتصـلة أبداً إلى أن يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وأن للعناصـر دون الفلك أجساماً وطبعها الحركة إلى مقرها والسكون فـي مقرها وأما النفس فلأنها حية كان طبعها السكون الاختياري والحركة الاختيارية حيناً وحيناً هذا كله لا يجهله أحد به ذوق وأما قولهم أن لها حركات ردية فكيف تضاف إلـى البـاري تعالى فإنما كان بعض حركات النفس ردياً بمخالفـة الـنفس أمر باريها في تلك الحركات وإنما أضيفت إلى الباري تعالى لأنه خلقها فقط على قولنا أو لأنه تعالى خلق تلك القوى التي بها كانت تلك الحركات فسقط إلزامهم الفاسد والحمد رب العالمين و قالوا أيضاً أن الأجسام فـي طبعهـا الاسـتحالة والتغير واحتمال الإنقسام أبداً بلا غاية ليس شيء منهـا إلا هكذا أبداً فهي محتاجة إلى من يربطها ويشـدها ويحفظهـا ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس

جسماً لكانت محتاجة إلى من يربطها ويحلها فيلزم من ذلـك أن تحتاج إلى نفس أخرى والأخرى إلى أخـرى والأخـرى كذلك إلى ما لا نهاية له وما لا نهاية له باطل.

قال أبو محمد: هذا أفسد من كل قـول سـبق مـن تشغيباتهم لأن مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة أمـا قـولهم أن الأجسام في طبعها الاستحالة والتغير على الإطلاق كذب لأن الفلك جسم لا يقبل الاستحالة وإنما تجب الاستحالة والتغييـر في الأجسام المركبة من طبائع شتى بخلعها كيفياتها ولباسـها كيفيات أخرى وبانحلالها إلى عناصرها هكذا مدة ما أيضاً ثم تبقى غير منحلة ولا مستحيلة وأما النفس فإنها تقبل الاستحالة والتغيير في أعراضها فيتغير ويستحيل من علم إلـى جهـل ومن جهل إلى علم ومن حرص إلى قناعة ومن بخـل إلـى جود ومن رحمة إلى قسوة ومن لذة إلى ألم هذا كله موجـود محسوس وأما أن تستحيل في ذاتها فتصير ليست نفساً فـلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكـب والفلـك لا يصير غير فلك وأما قوله أن الأجسام محتاجة إلى ما يشدها ويربطها ويمسكها فصحيح وأما قوله أن النفس هي الفاعلـة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها إقناعي ولا برهاني بـل

هو تمويه مدلس ليجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية وليس كذلك بل النفس من جملة الأجسام المحتاجة إلى ما يمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها إلى ذلك كحاجة سائر الأجسام التي في العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك في النفس وفي سائر الأجسام والممسك لها والحافظ لجميعها والمحيل لما استحال منها فهو المبدى للنفس ولكل ما في العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الخالق الباري المصور عز وجل فبعض أمسكها بطبائعها التي خلقها فيها وصرفها فضبطها لما هي فيه وبعض أمسكها برباطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لا فاعل لشيء من ذلك دون ا تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك في صدر كتابنا هذا فأغني عن ترداده والحمد رب العالمين و قالوا أيضاً كل جسم فهو إما ذو نفس وإما لا ذو نفس فإن كانت النفس جسماً فهي متنفسة أي ذات نفس وإما لا متنفسة أي لا ذات نفس فإن كانت لا متنفسة فهذا خطأ لأنه يجب من ذلك أن تكون النفس لا نفساً وإن كان متنفسة أي ذات نفس فهي محتاجة إلى نفس وتلك النفس إلى أخرى والأخرى إلى أخرى وهذا يوجب ما لا نهاية له وما لا نهاية له باطل.

قال أبو محمد: هذه مقدمة صحيحة ركبـوا عليهـا نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة وأما قولهم أن كل جسم فهو إما ذو نفس وإما لا ذو نفس فصحيح وأما قولهم أن النفس إن كانت غير متنفسة وجب من ذلك أن تكون النفس لا نفساً فشغب فاسد بارد لا يلزم لأن معنى القول بأن الجسم ذو نفس إنما هو أن بعض الأجسام أضيفت غليـه نفـس حيـة حساسة متحركة بإرادة مدبرة لذلك الجسم الـذي استضـافت إليه ومعنى القول بأن هذا الجسم غير ذي نفس إنما هو أنه لم يستضف إليه نفس فالنفس الحية هي المتحركة المدبرة وهي غير محتاجة إلى جسم مدبر لها ولا محرك لها فلم يجـب أن يحتاج إلى نفس ولا أن تكون ليست نفساً ولا فرق بينهم فـي قولهم هذا وبين من قال أن الجسم يحتاج إلى جسم كما قـالوا أنه يجب أن تحتاج النفس إلى نفس أو قال يجـب أن يكـون الجسم لا جسماً كما قالوا يجب أن تكون النفس لا نفساً وهذا كله هوس وجهل والحمد رب العالمين و قالوا لو كانـت النفس جسماً لكان الجسم نفساً.

قال أبو محمد: وهذا من الجهل المفرط المظلم ولـو كان لقائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يـأت بهـذه

الغثاثة لأن الموجبة الكلية لا تنعكس البتة انعكاساً مطرداً إلى موجبة جزئية لا كلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كـان الإنسان جسماً وجب أن يكون الجسم إنساناً ولما كان الكلـب جسماً وجب أن يكون الجسم كلباً وهذا غاية الحمق والقحـة لكن صواب القول في هذا أن يقول لما كانت النفس جسـماً كان بعض الأجسام نفساً ولما كان الكلب جسـماً وجـب أن يكون بعض الأجسام كلباً وهذا هو العكس الصحيح المطـرد اطراداً صحيحاً أبداً وبا تعالى التوفيق و قـالوا أيضـاً إن كانت النفس جسماً فهي بعض الأجسام وإذا كانت كذلك فكلية الأجسام أعظم مساحة منها فيجب أن تكون أشرف منها.

قال أبو محمد: من عدم الحياء والعقل لم يبـال بمـا نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحمق لأنها توجـب أن الشرف إنما هو بعظم الأجسام وكثرة المساحة ولو كان كذلك لكانت القضية والبلية وكان الحمار والبغل وكـدس العـذرة أشرف من الإنسان المنباء والفيلسوف لأن كل ذلـك أعظـم مساحة منه ولكانت الغرلة أشرف من ناظر العـين والآليـة أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخر أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم أدى إلى مثل هذا نعم فإن كثيراً من الأجسـام

أعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجباً أنها اشرف منهـا مع أن النفس الرذلة المضربة عما أوجبه التمييز وعن طاعة ربها إلى الكفر به فكل شيء في العالم أشرف منهـا ونعـوذ با من الخذلان و قالوا إن كانت النفس جسـماً آخـر مـع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر وإذا كان كذلك فالجسم أتـم وإذا كان أتم فهو أشرف.

قال أبو محمد: وهذا جنون مردد لأنه لـيس بكثـرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الأقل والأخص أشرف ولو كان ما قال وه لوجب أن تكون الأخلاق جملة شرف من الفضائل خاصة لأن الأخلاق فضائل وشيء آخر فهي أتم فهي على حملهم السخيف أشرف وهذا ما لا يقوله ذو عقل وهم يقـرون أن الـنفس جـوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لأنه نفـس وشيء آخر وقد قالوا أن الحي يقع تحت النامي فيلـزمهم أن النامى أشرف من الحي لأنه حي وشيء آخر وهـذا تخلـيط وحماقة ونعوذ با من الوسواس و قالوا أيضاً كـل جسـم يتغذى والنفس لا تتغذى فهي غير جسم.

قال أبو محمد: إن كان هؤلاء السـخفاء إذ اشـتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف أعظم من سكر الخمر لأن سكر الخمر سريع الإفاقة سكر الجهـل والسخف بطيء الإفاقة أتراهم إذ قالوا كل جسم فهو متغذ ألم يروا الماء والأرض والهواء والكواكب والفلك وإن كل هـذه أجسام عظام لا تتغذى وإنما يتغذى من الأجسام النوامي فقط وهي أجساد الحيوان السكان في المـاء والأرض والشـجر والنبات فقط فإذا كان عند هؤلاء النوكى ما لا يتغذى لـيس جسماً فالأرض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة لـيس كل ذلك جسماً وكفى بهذا جنوناً وخطـأ ونحمـد ا علـى السلامة و قالوا لو كانت النفس جسماً لكانت لها حركـة لأن لكل جسم حركة ونحن لا نرى للنفس حركة فبطل أن تكون جسماً.

قال أبو محمد: هذه دعوى كاذبة وقد تناقضوا أيضـاً فيها لأنها قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة في بعض حججهم أن الأجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنـا قلبـوا الأمـر فظهر جهلهم وضعف عقولهم وأما قولهم لا نرى لها حركـة فمخرقة وليس كل ما لا يرى يجب أن ينكر إذا قـام علـى

صحته دليل ويلزمهم إذ أبطلوا حركة النفس لأنهم لا يرونها أن يبطلوا النفس جملة لأنهم أيضاً لا يرونها ولا يسمونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهـو أن الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيـار فحركـة الاضطرار هي حركة كل جسم غير النفس هذا ما لا يشـك فيه فبقيت حركة الاختيار وهي موجودة يقيناً وليس في العالم شيء متحرك بها حاشا النفس فقط فصـح أن الـنفس هـي المتحركة بها فصح ضرورة أن للـنفس حركـة اختياريـة معلومة بلا شك وإذ لا شك في أن كل متحرك فهو جسم وقد صح أن النفس متحركة فالنفس جسـم فهـذا هـو البرهـان الضروري التام الصحيح لا تلك الوساوس والأهذار ونحمـد ا على نعمه عز وجل و قالوا لو كانت النفس جسماً لوجب أن يكون اتصالها بالجسم إما على سبيل المجاورة وإما على سبيل المداخلة وهي الممازجة.

قال أبو محمد: فبعد هذا ماذا ونعم فإن النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك إذ لا يمكن أن يكون اتصال الجسمين إلا بالمجاورة وأما اتصال المداخلة فإنما هي بين العرض والعرض والجسم والعرض على مـا

بينا قبل و قالوا أيضاً إن كانت النفس جسماً فكيـف يعـرف الجسم بمماسة أو بغير مماسة.

قال أبو محمد: لأجسام كلها حاشا الـنفس مـوات لا علم لها ولا حس ولا تعلم شيئاً وإنما العلم والحس للنفس فقط فهي تعلم الأجسام والأعراض وخالق الأجسام والأعـراض الذي هو خلقها أيضاً بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التمييز وقوة العلم التي وضعها فيها خالقها عز وجل وسؤالهم بارد و قالوا أيضاً أن كل جسم بدأ في نشوة وغايـة ينتهـي إليهـا وأجود ما يكون الجسم إذا انتهى إلى غايته فـإذا أخـذ فـي النقص ضعف وليست الأنفس كـذلك لأننـا نـرى أنفـس المعمرين اكثر ضياء وأنفذ فعلاً ونجد أبدانهم أضـعف مـن أبدان الأحداث فلو كانت النفس جسماً لنقص فعلها بنقصـان البدن فإذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسماً.

قال أبو محمد: هذه مقدمة فاسدة الترتيب أما قـولهم أن الجسم أجود ما يكون إذ انتهى إلى غايته فخطـأ إذا قيـل على العموم وإنما ذلك في النوامي فقط وفي الأشـياء التـي تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر وأصناف أجساد الحيوان والنبات وأما الجبال والحجارة والأرض والبحـار والهـواء

والماء والأفلاك والكواكب فليس لها غاية إذا بلغتها أخذت في الانحطاط وإنما يستحيل بعض ما يستحيل من ذلك على سبيل التفتت كحجر كسرته فانكسر ولو ترك لبقي ولم يذبل ذبـول الشجر والنبات وأجسام الحيوان وكذلك الـنفس لا تسـتحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وإنما تستحيل أعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماء له وكذلك الملائكة والفلـك والكواكـب والعناصر الأربعة لا نماء لها وكل ذلك باق على هيئته التي خلقه ا تعالى عليها إذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء إلى عالم الانتهاء إلى عالم البرزخ إلـى عـالم الحساب إلى عالم الجزاء فتخلد فيه أبداً بلا نهايـة وهـي إذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصـفى نظـراً وأصح علماً كما كانت قبل حلولها في الجسد نسأل ا خيـر ذلك المنقلب بمنه آمين.

قال أبو محمد: هذا ما موهوا به مـن كـل نطيحـة ومتردية قد تقصيناه لهم وبينـا أن كلـه فسـاد وحماقـات وتقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: فإذا بطل كل ما شغب به من يقول أن النفس ليست جسماً وسقط هذا القول لتعريه عن الأدلة جملـة

فنحن إن شاء ا   تعالى نوضح بعون ا   عز وجـل وقوتـه البراهين الضرورية على أنها جسم وبا   تعالى نتأيد وذلـك بعد أن نبين بتأييد ا   عز وجل شغبين يمكـن أن يعتـرض بهما إن قال قائل أتنمو النفس فإن قلتم لا قلنا نحن نجدها تنشأ من صغر إلى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء وإذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها بعـدم الغذاء فإذا تغذت اعتدلت أخلاقها وصلحت.

قال أبو محمد: لا تتغذى ولا تنمو أما عـدم غـذائها فالبرهان القائم أنها ليست مركبة من الطبائع الأربـع وأنهـا بخلاف الجسد هذا هو البرهان على أنها لا تتغذى وهو أن ما تركب من العناصر الأربعة فلا بد له من الغـذاء ليسـتخلف ذلك الجسد أو تلك الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلـك الغذاء أو أرضياته مثل ما تحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هذه صفة النفس إذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد أو مثله ولو كانت من الجسد أو مثله لكانـت مواتـاً كالجسد غير حساسة فإذ قد بطل أن تكون مركبة من طبـائع العناصر بطل أن تكون متغذية نامية وأما ارتباطها بالجسـد من أجل الغذاء فهو أمر لا يعرف كيفيته إلا خالقها عز وجل

الذي هو مدبرها إلا أنه معلوم أنه كذلك فقط وهـو كطحـن المعدة للغذاء لا يدري كيف هو وغير ذلك مما يوجد ا عز وجل يعلمه ومن البرهان على أن النفس لا تتغذى ولا تنمـو إن البرهان قد قام على أنها كانت قبل تركيب الجسـد علـى آباد الدهور وأنها باقية بعد انحلاله وليس هنالك في ذينـك العالمين غذاء يولد نماء أصلاً وأما ما ظنوه من نشأتها مـن صغر إلى كبر فخطأ وإنما هو عودة من النفس إلى ذكرهـا الذي سقط عنها بأول ارتباطها بالجسد فإن سأل سائل أتموت النفس قلنا نعم لأن ا تعالى نص على ذلك ف قـال " كـل نفس ذائقة الموت " وهذا الموت إنما هو فراقها للجسد فقـط برهان ذلك قول ا تعالى " أخرجوا أنفسكم اليـوم تجـزون عذاب الهون " وقوله تعالى " كيف تكفرون با وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم " فصح أن الحياة المذكورة إنما هي ضم الجسد إلى النفس وهو نفخ الروح فيه وأن المـوت المذكور إنما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس مما يظنه أهل الجهل وأهل الإلحاد من إنها تعدم جملة بل هي موجودة قائمة كما كانت قبل المـوت وقبـل الحيـاة الأولى ولا أنها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعـد المـوت

أصح ما كان وعلمها أتم ما كان وحياتها التي هـي الحـس والحركة الإرادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط قال عـز وجل " وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كـانوا يعلمـون " وهي راجعة إلى البرزخ حيث رآها رسـول ا صـلى ا عليه وسلم ليلة أسرى به عن الميمنة من آدم عليـه السـلام ومشئمته إلى أن تحيا ثانية بالجمع بينها وبين جسـدها يـوم القيامة وأما أنفس الجن وسائر الحيوان فحيث شاء ا تعالى ولا علم لنا إلا ما علمنا ولا يحل لأحد أن يقول بغيـر علـم وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: فلنذكر الآن البراهين الضرورية على أن النفس جسم من الأجسام فمن الدليل على أن النفس جسـم من الأجسام انقسامها على الأشخاص فنفس زيد غير نفـس عمرو فلو كانت النفس واحدة لا تنقسـم علـى مـا يـزعم الجاهلون القائلون أنها جوهر لا جسم لوجـب ضـرورة أن تكون نفس المحب هي نفس المبغض وهي نفـس المحبـوب وأن تكون نفس الفاسق الجاهل هي نفس الفاضل الحكيم العالم ولكانت نفس الخائف هي نفس المخوف منه ونفس القاتل هي نفس المقتول وهذا حمق لا خفاء به فصح أنها نفوس كثيـرة

متغايرة الأماكن مختلفة الصفات حاملة لأعراضها فصح أنها جسم بيقين لا شك فيه وبرهان آخر هو أن العلم لا خلاف في أنه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه أصـلاً ولا حظ فلو كانت النفس جوهراً واحداً لا تتجـزئ نفوسـاً لوجب ضرورة أن يكون علم كل أحد مستوياً لا تفاضل فيـه لأن النفس على قولهم واحدة وهي العالمة فكـان يجـب أن يكون كلما علمه زيد يعلمه عمرو لأنه نفسهما واحدة نـدهم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولا بد أن يعلم جميع أهل الأرض ما يعلمه كل عالم في الدنيا لأن نفسـهم واحـدة لا تنقسم وهي العالمة وهذا ما لا انفكاك منه البتة فقد صح بمـا ذكرنا ضرورة أن نفس كل أحد غير نفس غيره وأن أنفـس الناس أشخاص متغايرة تحت نوع نفس الإنسـان وإن نفـس الإنسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التي يقع تحتهـا نفس جميع الحيوان وإذ هي أشخاص متغـايرة ذات أمكنـة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهي أجسام ولا يمكـن غيـر ذلك البتة وبا تعالى التوفيق وأيضاً فإن العالم كله محـدود معروف أجسام وأعراض ولا مزيد فمن ادعـى أن ههنـا جوهراً ليس جسماً ولا عرضاً فقد ادعى ما لا دليـل عليـه

البتة ولا يتشكل في العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه وبا تعالى التوفيق وأيضاً فـإن النفس لا تخلوا من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فإن كانت خارج الفلك فهذا باطل إذ قام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية فوجب ضرورة أنه ليس خارج الفلك الذي هـو نهايـة العالم شيء لا خلاء ولا ملاء وإن كانت فـي الفلـك فهـي ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة في ذي مكان لأنه ليس في العالم شيء غير هذين أصلاً ومن ادعى أن فـي العـالم شيئاً ثالثاً فقد ادعى المحال والباطل وما لا دليل له عليه وهذا لا يعجز عنه أحد وما كان هكذا باطل بيقين وقد قام الـدليل على أن النفس ليست عرضا لأنها عالمة حساسة والعـرض ليس عالماً ولا حساساً وصح أنها حاملة لصفاتها لا محمولة فإذ هي حاملة متمكنة فهي جسم لا شك فيه إذ ليس إلا جسم حامل أو عرض محمول وقد بطل أن تكون عرضاً محمـولاً فهي جسم حامل وبا تعالى التوفيق وأيضاً فلا تخلو الـنفس من أن تكون واقعة تحت جنس أولاً فإن كانت لا واقعة تحت جنس فهي خارجة عن المقولات وليس في العالم شيء خارج

عنها ولا في الوجود شيء خارج عنها إلا خالقها وحـده لا شريك له وهم لا يقولون بهذا بل يوقعونهـا تحـت جـنس الجوهر فإذ هي واقعة تحت جنس الجوهر فإنا نسألهم عـن الجوهر الجامع للنفس وغيرها إله طبيعة أم لا فإن قـالوا لا ندري ما الطبيعة قلنا لهم إله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا فلا بد من نعم وهذا هو معنى الطبيعة وإن قالوا بل لـه طبيعة وجب ضرورة أن يعطى كل مـا تحتـه طبيعـة لأن الأعلى يعطي لكل ما تحته اسمه وحدوده عطـاء صـحيحاً والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك وإذ صـح أن لها طبيعة فكل ما له طبيعة فقد حصرته الطبيعـة ومـا حصرته الطبيعة فهو ذو نهاية محدودة وكل ذي نهاية فهـو إما حامل وإما محمول والنفس بلا شك حاملة ولأعراضـها من الأضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجـبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك واقعـاً تحـت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركـب من جنسه الأعلى العام له من أنواعه ومركب أيضاً مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الأنواع الواقعة معه تحت جنس واحد فإنه موضوع وهو جنسه القابل لصـورته

وصورة غيره وله محمول وهو صورته التي خصـته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والـنفس نـوع للجوهر فهي مركبة من موضوع ومحمول وهي قائمة بنفسها فهي جسم ولا بد.

قال أبو محمد: وهذه براهين ضرورية حسية عقليـة لا محيد عنها وبا تعالى التوفيق وهذا قـول جماعـة مـن الأوائل ولم يقل ارسطاطاليس أن النفس ليست جسماً على ما ظنه أهل الجهل وإنما نفى أن تكون جسماً كدراً وهو الذي لا يليق بكل ذي علم سواه ثم لو صح أنه قال ها لكانت وهلـة ودعوى لا برهان عليها وخطأ لا يجب اتباعه عليـه وهـو يقول في مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحـق كلاهمـا إلينا حبيب غير أن الحق أحب إلينـا وإذا جـاز أن يختلـف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم إنسان من الخطأ فكيف وما صح قط أنـه قال ه.

قال أبو محمد: إنما قال أن النفس جوهر لا جسم من ذهب إلى أنه هي الخالقة لما دون ا تعالى على مـا ذهـب إليه بعض الصائبين ومن كني بها عن ا تعالى.

قال أبو محمد: وكلا القولين سخف وباطل لأن النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضـوعتان فيهـا لمعنيـين مختلفين فأحالتهما عن موضوعهما في اللغة سفسطة وجهـل وقلة حياء وتلبيس وتدليس.

قال أبو محمد: وأما من ذهب إلى أن النفس ليسـت جسماً ممن ينتمي إلى الإسلام بزعمه فقول يبطـل بـالقرآن والسنة وإجماع الأمة فأما القرآن فإن ا عز وجـل قـال " هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت " و قال تعالى " اليوم تجـزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم " و قال تعالى " كل امـرئ بما كسب رهين " فصح أن الـنفس هـي الفعالـة الكاسـبة المجزية المخطئة و قال تعالى " إن النفس لأمارة بالسوء " و قال تعالى " ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب " و قال تعالى " ولاَ تَحسبن الَّذِين قُتِلُواْ فِي سبِيلِ اللّهِ أَمواتًـا بلْ أَحياء عِند ربهِم يرزقُون فَرِحِين بِما آتَاهم اللّه مِن فَضـلِهِ ويستَبشِرون بِالَّذِين لَم يلْحقُواْ بِهِم من خَلْفِهِم أَلا خَوفٌ علَيهِم ولاَ هم يحزنُون " فصح أن الأنفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها ما يرزق وينعم فرحاً ويكـون مسروراً قبل يوم القيامة ولا شـك أن أجسـاد آل فرعـون

وأجساد المقتولين في سبيل ا قد تقطعت أوصالها وأكلتها السباع والطير وحيوان الماء فصح أن الأنفس منقولة من مكان إلى مكان ولا شك في أن العرض لا يلقي العذاب ولا يحس فليست عرضاً وصح أنها تنتقل في الأماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لا صفة الجوهر عند القائل به فصح ضرورة أنها جسم وأما من السنن فقول رسول ا صلى ا عليه وسلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة وقوله صلى ا عليه وسلم أنه رأي نسم بني آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره فصح أن الأنفس مرئية في أماكنها وقوله عليه السلام أن نفس المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء وفعل بها كذا ونفس الكافر إذا قبضت فعل بها كذا فصح أنها معذبة ومنعمة ومنقولة في الأماكن وهذه صفة الأجسام ضرورة وأما عن الإجماع فلا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أن نفس العباد منقولة بعد خروجها عن الأجساد إلى نعيم أو إلى صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الأجسام ومن خالف هذا فزعم أن الأنفس تعدم أو أنها تنتقل إلى أجسام أخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال

بخرقه الإجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعـوذ بـا مـن الخذلان.

قال أبو محمد: وقد ذكرنا في باب عذاب القبـر أن الروح والنفس شيء واحد ومعني قول ا تعالى " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " إنما هـو لأن الجسـد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثـم عظماً ثم لحماً ثم أمشاجاً وليس الروح كذلك وإنما قـال ا تعالى أمر إله بالكون كن فكان فصـح أن الـنفس والـروح والنسمة أسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الـروح أيضـاً على غير هذا فجبريل عليه السلام الروح الأمـين والقـرآن روح من عند ا وبا تعالى التوفيق فقد بطل قـولهم فـي النفس وصح أنها جسم ولم يبق إلا الكلام في الجزء الذي قال أبو محمد: ذهب جمهور المتكلمين إلى أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لا يمكن البتة أن يكون لهـا جـزء وأن تلـك الأجزاء جواهر لا أجسام لها وذهب النظام وكل من يحسـن القول من الأوائل إلى أنه لا جزء وإن دق إلا وهو يحتمـل التجزي أبداً بلا نهاية وأنه ليس في العالم جزؤ لا يتجزء وإن كل جزء انقسم الجسم إليه فهو جسم أيضاً وإن دق أبداً.

قال أبو محمد: وعمدة القائلين بوجود الجزء الذي لا يتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول ا وقوته علـيهم ونحن إن شاء ا تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كـل مـا موهوا به ونرى بعون ا عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بأن كـل جزء فهو يتجزأ أبداً وأنه ليس في العالم جزؤ لا يتجزأ أصلا كما فعلنا بسائر الأقوال والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: فأول مشاغبهم أن قالوا أخبرونـا إذا قطع الماشي المسافة التي مشي فيها فهل قطـع ذا نهايـة أو غير ذي نهاية فإن قلتم قطع غير ذي نهاية فهذا محـال وإن قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا.

قال أبو محمد: فجوابنا وبا تعالى التوفيق أن القوم أتوا من أحد وجهين إما أنهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهـل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا حياء وإما أنهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا إلى الكذب والمباهتة وهذه شر من الأولى وفي أحد هذين القسـمين وجـدنا كـل مـن ناظرناه منهم في هذه المسألة وهكذا عرض لنا سـواء مـع المخالفين لنا في القياس المدعين لتصحيحه فإنهم أيضاً أحـد

رجلين إما جاهل بقولنا فهو يقو لنا ما لا نقوله وليـتكلم فـي غير ما اختلفنا فيه وإما مكابر ينسب إلينا ما لا نقوله مباهتة وجراءة على الكذب وعجزاً عن معارضة الحق من أننا ننكر اشتباه الأشياء وأننا ننكر قضايا العقول وأننا ننكـر اسـتواء حكم الشيئين فيما أوجبه لهما ما اشتبها فيه وهذا كله كـذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وإنما ننكر أن نحكـم فـي الدين لشيئين بتحريم أو إيجاب أو تحليل من أجل أنهما اشتبها في صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحث والحمد رب العالمين على عظيم نعمه.

ونقول على هذا السؤال الذي سألونا عنه أننا لم نرفع النهاية عن الأجسام كلها من طريق المسـاحة بـل نثبتهـا ونعرفها ونقطع على أن كل جسم فله مساحة أبداً محدودة و الحمد وإنما نفينا النهاية عن قدرة ا تعالى على قسمة كـل جزء وإن دق وأثبتنا قدرة ا تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشي أو بالذرع أو بالعمل قسمة ما قطع ولا تجزئته وإنما تكلف عملاً أو مشـى فـي مساحة معدومة بالميل أو بالذراع أو بالشبر أو الإصبع أو ما شابه ذلك وكل هذا له نهاية ظاهرة وهذا غير الـذي نفينـا

وجود النهاية فيه فبطل إلزامهم والحمد كثيراً ثـم نعكـس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبا تعالى التوفيـق نحـن القائلون بأن كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزئ وهذا هو إثبات النهاية لكل جـزء انقسـم الجسم إليه من طريق المساحة ضرورة وأنـتم تقولـون أن الجسم ينقسم إلى أجزاء ليس لشيء منها عرض ولا طـول ولا عمق ولا مساحة ولا يتجزأ وليست أجساماً وأن الجسـم هو تلك الأجزاء نفسها ليس هو شيء غيرها أصلاً وإن تلك الأجزاء ليس لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة إذ الجسـم هو تلك الأجزاء ليست أجساماً وأن الجسم هو تلك الأجـزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الأجزاء لا مساحة له إن الجسم لا مساحة له وهذا أمر يبطله العيان وإذا لم تكـن لـه مساحة والمساحة هي النهاية في ذرع الأجسام فلا نهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتـراض الثاني إن قالوا لا بد أن يلي الجرم من الجرم الذي يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا إقرار بجزء لا يتجزأ.

قال أبو محمد: وهذا تمويه فاسد لأننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول أن لكل جـرم نهايـة وسـطحاً

ينقطع تماديه عنده وإن الذي ينقطع به الجرم إذا جزئ فهـو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزئ أيضاً وكل جـزئ فـذلك الجزء وهو الذي يلي الجرم الملاصق له بنهايته من جهتـه التي لاقاه منها لا ما ظنوا من أن حد الجرم جزء منه وهـو وحده الملاصق للجرم الذي يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنـا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فـإذا جـزء كـان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصـق لـه حينئـذ بسطحه لا الذي خر عن ملاصقته وهكذا أبداً والكلام في هذا كالكلام في الذي قبله ولا فرق والاعتراض الثالث إن قـالوا هل ألف أجزاء الجسم إلا ا تعالى فلا بد من نعم قالوا فهل يقدر ا على تفريق أجزاء حتى لا يكون فيها شـيء مـن التأليف ولا تحتمل تلك الأجزاء التجزئ أم لا يقدر على ذلك قالوا فإن قلتم لا يقدر عجزتم ربكم تعالى وإن قلتم يقدر فهذا إقرار منكم بالجزء الذي لا يتجزأ.

قال أبو محمد: هذا هو من أقوى شبههم التي شـغبوا بها وهو حجة لها عليهم والجواب أننا نقول لهم وبا تعـالى التوفيق أن سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط أجزاء العالم متفرقة ثم جمعها ا عز وجل ولا كانت لـه أجـزاء

مجتمعة ثم فرقها ا عز وجل لكن ا عز وجل خلق العالم بكل ما فيه بأن قال له كن فكان أو بأن قال لكل جرم منه إذا أراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم إن ا تعالى خلق جميع ما أراد جمعه من الأجرام التي خلقها مفترقة ثم جمعها وخلـق تفريق كل جرم من الأجرام التي خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لا ذلك السؤال الفاسد الذي أجملتموه وأوهمتم بـه أهل الغفلة أن ا تعالى ألف العالم من أجزاء خلقها متفرقـة وهذا باطل لأنه دعوى بلا برهان عليها ولا فرق بين من قال أن ا تعالى ألف أجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قـال بل ا تعالى فرق العالم أجزاء وإنما كـان جـزأ واحـداً وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها لا من نص ولا مـن عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصاً قال تعالى " إِنمـا قَولُنَـا لِشَيءٍ إِذَا أَردنَاه أَن نقُولَ لَه كُن فَيكُون " ولفظة شـيء تقـع على الجسم وعلى العرض فصح أن كل جسم صغر أو كبر وكل عرض في جسم فإن ا تعالى إذا أراد خلقه قال له كن فكان ولم يقل عز وجل قط أنه ألف كل جـرم مـن أجـزاء متفرقة فهذا هو الكذب على ا عز وجل حقاً فبطل ما ظنوا أنهم يلزموننا به ثم نقول لهم أن ا تعالى قادر على أن يخلق

جسماً لا ينقسم ولكنه لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقـه كما أنه تعالى قادر على أن يخلق عرضاً جسـماً لا ينقسـم ولكنه لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه كما أنـه تعـالى قادر على أن يخلق عرضاً قائماً بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه لأنهما مما رتبه ا عز وجـل محالاً في العقول وا تعالى قادر على كل ما يسأل عنـه لا نحاشي شيئاً منها إلا أنه تعالى لا يفعل كل ما يقـدر عليـه وإنما يفعل ما يشاء وما سبق في علمه أنه يفعله فقط وبـا تعالى التوفيق.

ثم نعطف هذا السؤال نفسه عليهم فنقول لهم هل يقدر ا عز وجل على أن يقسم كل جزء وينقسم كل قسـم مـن أقسام الجسم أبداً بلا نهاية أم لا فإن قالوا لا يقدر على ذلـك عجزوا ربهم حقاً وكفروا وهو قولهم دون تـأول ولا إلـزام ولكنهم يخافون من أهل الإسلام فيملحون ضـلالتهم بإثبـات الجزء الذي لا يتجزأ جملة.

وإن قالوا إنه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعـوا إلى الحق الذي هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحـن لا نخالفهم قط في أن أجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق فـي

العالم على تجزئة تلك الأجزاء وإنما خالفناهم في أن قلنا نحن أن ا تعالى قادر على ما لا نقدر نحن عليه من ذلك و قالوا هم بل هو غير قادر على ذلك تعالى ا عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقولهم في تناهي القدرة على قسـمة ا تعـالى الأجزاء هو القول بأن ا تعالى يبلغ من الخلق إلى مقدار ما ثم لا يقدر على الزيادة عليه ويبقي حسيراً عاجزاً تعـالى ا عن هذا الكفر ولعمري أن أبا الهذيل شيخ المثبتـين للجـزء الذي لا يتجزأ ليحن إلى هذا المذهب حنيناً شديداً وقد صرح بأن لما يقدر ا عليه كمالاً وآخراً لو خرج إلى الفعل لم يكن ا تعالى قادراً بعده على تحريك ساكن ولا تسكين متحـرك ولا على فعل شيء أصلاً ثم تدارك كفره ف قال ولا يخرج ذلك الآخر أبداً إلى حد الفعل.

قال أبو محمد: في قال له ما المانع مـن خروجـه والنهاية حاصرة له والفعل قائم فلا بد مع طول الزمان مـن البلوغ إلى ذلك الآخر.

قال أبو محمد: نعوذ با من الضلال والاعتـراض الرابع هو إن قالوا أيما أكثر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة وأيما أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين قالوا فإن قلتم

بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهي التجزي وهو القول بالجزء الذي لا يتجزأ وإن قلتم ليس أجزاء الجبل أكثر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة كابرتم العيان لأنه لا يحدث في الخردلة جزء إلا ويحدث في الخردلتين جزآن وفي الجبل أجزاء وادعوا علينا أننا نقول أن في كل جسم أجزاء لا نهاية لعدده و قالوا أن عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه في إلزامكم إياهم وجوب القلة والكثرة في عدد الأشخاص وأوقات الزمان وإيجابكم أن كل ما حصره العدد فذو نهاية وإنكاركم على الدهرية وجود أشخاص وأزمان لا نهاية لعددها قالوا ثم نقضتم كل ذلك في هذا المكان.

قال أبو محمد: هو الذي قلنا أنهم إما لم يفهموا كلامنا في هذه المسألة فقولونا ما لا نقوله بظنونهم الكاذبة وأما أنهم عرفوا قولنا فحرفوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة على عمل الفضيحة لهم في كذبهم وعجزاً منهم عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا أن كل ما نسبوه غلينا من قولنا أن من قطع مكاناً أو شيئاً بالمشي أو بالجملتين فإنما قطع ما لا نهاية له فباطل ما قلناه قط بل ما قطع إذا ذا نهاية بمساحته وزمانه

وأما احتجاجنا على الدهرية بما ذكروا فصحيح هـو حجتنـا على الدهرية وأما ادعاؤهم أننا نقضنا ذلك في هـذا المكـان فباطل والفرق بين ما قلناه من أنل كل جزء فهو يتجزأ أبـداً بلا نهاية وبين ما احتججنا به على الدهرية من إيجاب النهاية بوجود القلة والكثرة في أعداد الأشخاص والأزمان وإنكارنـا عليهم وجود أشخاص وأزمان لا نهاية لها بل هو حكم واحد وباب واحد وقول واحد ومعنى واحد وذلك أن الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت إلى الفعل لا نهاية لعددها ووجود أزمان قد خرجت إلى الفعل لا نهاية لها وهذا محال ممتنـع وهكذا قلنا في كل جزء خرج إلى أحد الفعل فإنهـا متناهيـة العدد بلا شك ولم نقل قط أن أجزائه موجودة منقسمة لا نهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم إن ا تعالى قادر على الزيادة في الأشخاص وفي الأزمان وفي قسمة الجزء أبداً بلا نهايـة لكن كل ما خرج إلى الفعل أو يخـرج مـن الأشـخاص أو الأزمان أو تجزئة الأجزاء فكل ذلك متناه بعـدده إذا خـرج وهكذا أبداً وأما ما لم يخرج إلى حد الفعل بعد من شخص أو زمان أو تجزئ إذا خرج وهكذا أبداً وأما ما لم يخرج إلـى حد الفعل بعد من شخص أو زمان أو تجزئ فليس شـيئاً ولا

هو عدداً ولا معدوماً ولا يقع عليه عدد ولا هو شخص بعـد ولا زمان ولا جزؤ وكل ذلك عدم وإنما يكون جزء إذا جزئ بقطع أو برسم مميز لا قبل أن يجزئ وبهذا تتبـين غثاثـة سؤالهم في أيما أكثر أجزاء الخردلـة أو أجـزاء الجبـر أو أجزاء الخردلتين لأن الجبل إذا لم يجزأ والخردلة إن لم تجزأ والخردلتان إذا لم تجزئا فلا أجزاء لها أصلاً بعد بل الخردلة جزء واحد والجبل جزء واحد والخردلتان كل واحدة منهمـا جزء فإذا قسمت الخردلة على سبعة أجزاء وقسـم الجبـل جزأين وقسمت الخردلتان جزأين جزأين فالخردلـة الواحـد بيقين أكثر أجزاء من الجبل والخردلتين لأنها صارت سـبعة أجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان إلا ستة أجزاء فقط فلـو قسمت الخردلة ستة أجزاء لكانت أجزاؤها وأجـزاء الجبـل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء وكانـت أجزاء الجبل والخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة وهكذا في كل شيء فصح أنه لا يقع التجزيء في شيء إلا إذا قسـم لا قبل ذلك فإن كانوا يريدون في أيهما يمكننا التجزئة أكثر في الجبل والخردلتين أم في الخردلة الواحدة فهذا ما لا شك فيه أن التجزيء أمكن لنا في الجبل والخردلتين أم في الخردلـة

الواحد لأن الخردلة الواحدة عن قريب تصغر أجزاؤها حتى لا نقدر نحن على قسمتها ويتمادى لنا الأمر في الجبل كثيراً حتى أنه يفنى عمر أحدنا قبل أن يبلغ تجزئته إلى أجزاء تدق عن قسمتنا وأما قدرة ا عز وجل على قسمة ما عجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هـين سواء ليس بعضه أسهل عليه من بعض بل هو قـادر علـى قسمة الخردلة أبداً بلا نهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبا تعالى التوفيق ونزيد بياناً فنقول أن الشيء قبل أن يجزأ فليس متجزئاً فإذا جزء بنصفين أو جزأين فهو جزءان فقط فإذا جزء على ثلاثة أجزاء فقط فهو ثلاثة أجزاء وهكذا أبـداً وأما من قال أو ظن أن الشيء قبل أن ينقسم وقبل أن يتجزأ أنه منقسم بعد ومتجزئ بعد فوسواس وظـن كـاذب لكنـه محتمل الانقسام والتجزؤ وكل ما قسم وجزأ فكل جزء ظهر منه فهو معدود متناه وكذلك كل جسـم فطولـه وعرضـه متناهيان بلا شك وا تعالى قادر على الزيادة فيهما أبداً بلا نهاية إلا أن كل ما زاده تعالى في ذلك وأخرجه إلـى حـد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا أبداً وكذلك الزيـادة في أشخاص العالم وفي العدد فإن كل ما خرج إلى حد الفعل

من الأشخاص ومن الأعداد فذو نهاية وا تعالى قادر علـى الزيادة في الأشخاص أبداً بلا نهاية والزيادة في العدد ممكنة أبداً بلا نهاية إلا أن كل ما خرج من الأشخاص والأعداد إلى الفعل صحبته النهاية ولا بد ثم نعكس هذا السـؤال علـيهم فنقول لهم وبا تعالى التوفيق أتفضل عندكم قدرة ا تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل تـأتى حال يكون ا فيها قادراً على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة أجزاء الخردلة أم لا فإن قالوا بل قدرة ا تعالى على قسمة الجبل أتم من قدرته على قسمة الخردلة وأقـروا بأنه تأتى حال يكون ا تعالى فيها قادراً على قسمة أجـزاء الجبل غير قادر على قسمة أجزاء الخردلة كفروا وعجـزوا ربهم وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وإن أبوا من هذا و قالوا إن قدرة ا تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وأنه لا سبيل إلى وجود حال يقدر ا تعالى فيها على تجزئة أجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة أجـزاء الخردلة صدقوا ورجعوا إلى قولنا الذي هو الحق وما عـداه ضلال وباطل والحمد رب العالمين والاعتراض الخامس هو أن قالوا هل لأجزاء الخردلة كل أم ليس لها كـل وهـل

يعلم الله عدد أجزائها أم لا يعلمه فإن قلتم لا كل لهـا نفيـتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وإن قلتم إن الله تعالى لا يعلم عدد أجزائها كفرتم وإن قلتم أن لها كلاً وإن الله تعالى يعلم أعداد أجزائها أقررتم بالجزء الذي لا يتجزأ.

قال أبو محمد: وهذا تمويه لائح ينبغي التنبيه عليـه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم أقحموا لفظة كل حيـث لا يوجد كل وسألوا هل يعلم الله تعالى عدد ما لا عدد له وهم في ذلك كمن سأل هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الأحلاس أم لا وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا وهل يعلم كل حركات أهل الجنة والنار أم لا فهذه السؤالات كسـؤالهم ولا فـرق وجوابنا في ذلك كله أن الله عز وجل إنما يعلم الأشياء على ما هي عليه لا على خلاف ما هي عليه لأن من علم الشيء على ما هو عليه فقد علمه حقاً وأما من علم الشـيء علـى خلاف ما هو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله مـن هـذه الصفة فما لا كل له ولا عدد له فإنما يعمله الله عز وجل أن لا عدد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عدداً ولا كلاً إلا لما له عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل وكذلك لم يعلـم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الأطلس ولا علم قط ولد العقيم

فكيف أن يعرف لهم كلاً وكذلك لم يعلم ا عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل أن يجزئا لأنهما لا جزء لهما قبل التجزئة وإنما علمهما غير متجزئين وعلمهما محتملين للتجزيء فإذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين وعلم حينئذ عدد أجزائهما ولم يزل تعالى يعلم أنه يجزئ كل ما لا يتجزأ ولم يزل يعلم عدد الأجزاء التي لا تخرج في المستأنف إلى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد ما يخرج من الأشخاص بخلقه في الأبد إلى حد الفعل أو لم يزل يعلم أنه لا أشخاص زائدة على ذاك ولا أجزاء لما لم ينقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزيء أجزاء أصلاً وإذ ذلك كذلك فلا كل هاهنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد رب العالمين ثم نعكس عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبا تعالى التوفيق أخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة أو وبرة أو شعرة أو غير ذلك إذا جزأنا كل ذلك جزئين أو أكثر متى حدثت الأجزاء أحين جزئت أم قبل أن تجزء فإن قالوا قبل أن تجزئ ناقضوا أسمج مناقضة لأنهم أقروا بحدوث أجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وإن قالوا إنما حدثت لها الأجزاء حين جزئت لا قبل ذلك سألناهم متى علمها ا تعالى

متجزئة حين حدث فيها التجزيء أم قبـل أن يحـدث فيهـا التجزيء فإن قالوا ب حين حدث فيهـا الجـزيء صـدقوا وأبطلوا قولهم في أجزاء الخردلة وإن قالوا بـل علـم أنهـا متجزئة وأن لها أجزاء قبل حدوث التجزيء فيها جهلوا ربهم تعالوا إذا خبروا أنه يعلم الشيء بخلاف ما هـو قـال أبـو محمد: هذا كل ما موهوا به لم ندع لهم منه شـيئاً إلا وقـد أوردناه وبينا أنه كله لا حجة لهم في شيء منه وأنه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد رب العالمين ثم نبتدئ بحـول ا تعالى وقوته بإيراد البراهين الضرورية على أن كل جسم في العالم فإنه متجزئ محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهـو أيضاً جسم محتمل للتجزيء وهكذا أبداً وبا تعالى نتأيد.

قال أبو محمد: ي قال لهم وبـا تعـالى نسـتعين أخبرونا عن هذا الجزء الذي قلتم أنه لا يتجزأ أهو في العالم أم ليس في العالم ولا سبيل إلى قسم ثالث فإن قالوا ليس هـو في العالم صدقوا وأبطلوه إلا أنهم يلزمهم قول فاحش وهـو أنهم يقولون أن جميع العالم مركب من أجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئاً غير تلك الأجزاء فإن كانت تلك الأجزاء ليست في العالم فالعالم عدم ليس في العالم وهذا تخليط كما تـرى

وإن قالوا بل هو في العالم قلنا لهم لا يخلوا إن كان في كرة العالم من أن يكون إما قائماً بنفسه حـاملاً وإمـا أن يكـون محمولاً غير قائم بنفسه لا بد ضرورة من أحد الأمـرين إذ ليس العالم كله إلا على هذين القسمين فإن كان محمولاً غير قائم بنفسه فهو عرض من الأعراض وإن كان حاملاً قائمـاً بنفسه ذا مكان فهو جسم وثم ي قال لهم أخبرونا عن الجـزء الذي ذكرتم أنه لا يتجزأ وهو على قولكم فـي مكـان لأنـه بعض من أبعاض الجسم هل الملاقي منـه للمشـرق هـو الملاقي للمغرب أم غيره وهل المحازي منه للسـماء هـو المحازى منه للأرض أم هو غيره فإن قالوا كل ذلك واحـد والملاقي منه للمشرق هو الملاقي منه للمغرب والمحـازى للسماء هو المحازى منه للأرض أتوا بإحدى العظائم وجعلوا جهة المشرق منه هي جهة المغرب وجعلوا السماء والأرض منه في جهة واحدة وهـذا حمـق لا يبلغـه إلا الموسـوس ومكابرة للعيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية وإن قالوا بـل الملاقي منه للمشرق هو غير الملاقـي منـه للمغـرب وأن السماء والأرض منه في جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فإذ ذلك كذلك بلا شك فقد صح

أنه ذو جهات ست متغايرة وهذا إقرار منهم بأنه ذو أجزاء إذ قطعوا بأن الملاقي منه للمغرب غير الملاقى منه للمشـرق ومن للتبعيض وبطل قـولهم مـن قـرب والحمـد رب العالمين.

قال أبو محمد: فإن أرادوا إلزامنا مثـل هـذا فـي العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسـه ولا يحاذى شيئاً وإنما يحاذى الأشـياء حامـل العـرض لا العرض إذ لو ارتفع العرض لبقي حامله مالئاً لمكانه كما كان محاذياً من جميع جهاته ما كان يحاذى حين حمله للعـرض سواء سواء ولو ارتفع في قولكم الجزاء الذي لا يتجزأ لبقـي مكانه خالياً منه وقد أوضحنا أن عرضين وأعراضاً تكون في جسم واحد في جهة واحدة منه وهم يختلفون في أن جـزئين كل واحد منهما لا يتجزأ فلا يمكن البتة أن يكونا جميعاً فـي مكان واحد بل لكل واحد منهما عندهم مكاناً غير مكان الآخر وبرهان آخر وهو أنهم يقولون أن الجزء الذي لا يتجـزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم وبا تعالى التوفيق إذا أضفتم إلى الجزء الذي لا يتجزأ عندكم جزءاً آخر مثله لا يتجزأ أليس قد حدث لهما طول فلا بد مـن قـولهم نعـم لا

يختلفون في ذلك ولو أنهم قالوا لا يحدث لهما طول للـزمهم مثل ذلك في إضافة جزء ثالث ورابع وأكثر حتى يقولوا أن الأجسام العظام لا طول لها ويحصلوا في مكـابرة العيـان فنقول لهم إذا قلتم أن جزءاً لا يتجزأ لا طول له إذا ضم إليه جزء آخر لا يتجزأ ولا طول له فأيهما يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من أحد ولثلاثة أوجه لا رابع لها إما أن يكون هذا الطول لأحدهما دون الآخـر أو لا لواحد منهما أو لكليهما فإن قلتم ليس هذا الطول لهمـا ولا لواحد منهما فقد أوجبتم طولاً لا لطويل وطولاً قائماً بنفسـه والطول عرض والعرض لا يقوم بنفسه وصفة والصـفة لا يمكن أن توجد إلا في موصوف بها ووجود طول لا لطويـل مكابرة ومحال وإن قلتم أن ذلك الطول هو لأحـد الجـزأين دون الآخر فقد أحلتم وأتيتم بما لا شك بـالحس وضـرورة العقل في بطلانه ولزمكم أن الجزء الذي لا يتجزأ له طـول وإذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع أنه أيضاً محال لأنه يجب من هذا أن يتجزأ ولا يتجـزأ وإن قلتم أن ذلك الطول للجزأين معاً صدقتم وأقررتم بـالحق في أن كل جزء منهما فله حصته من الطول والحصـة مـن

الطول طول بلا شك وإذا كان كل واحد منهما له طول فلكل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزأ وهـذا خـلاف قولكم أنه لا يتجزأ وهذا برهان ضروري أيضاً لا محيد عنه وبا تعالى التوفيق برهان آخر.

قال أبو محمد: ونقول لهم أيما أطول جزآن لا يتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما إلى الآخر ثم أحدهما غيـر مضموم إلى الآخر فلا يجوز أن يقول أحد إلا أن الجـزأين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم إلى الآخر فـإذ ذاك كذلك فمن المحال الممتنع الباطل أن ي قال في شـيء هذا أطول من هذا إلا وفي الآخر طول دون طول ما هـو أطول منه فقد صح ضرورة أن الطول موجود لكـل جـزء قالوا فيه أنه لا يتجزأ وإذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد منا ومنهم وهكذا القول في عرضهما أن ضم أحدهما إلى الآخر وفي عمقهما كذلك ولا بد من أن يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق وإذ ذاك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه أنه لا يتجزأ فلا بد من أن يكون لـه طـول وعرض وعمق وإذ ذاك كذلك فهو جسم يتجزأ ولا بد وهـذا أيضاً برهان ضروري لا محيد عنه وبا تعالى التوفيق.

وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الإلزام فبعد ذلك عليه لأنه رام محالاً ف قال أن الطول الحادث للجزأين عنـد اجتماعهما إنما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا لأحدهما إذ كانا منفردين.

قال أبو محمد: وهذا تمويه ظاهر لأن الاجتماع هـو ضم أحدهما إلى الآخر نفسه ليس هو شيئاً آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولا مجتمعين وليس معنى الطـول والعرض والعمق كذلك بل هو شيء آخر غير الضم والجمع وإنما هو صفة للطويل مضموماً كان إلـى غيـره أو غيـر مضموم ولا يوجب الجمع والضم طولاً لم يكن واجباً قبـل الضم والجمع فلم يزد أبو الهذيل على أن قال لمـا اجتمعـا صارا مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظـر منحل لأن قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لا شك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملـة ومـا كان هكذا فهو باطل وأيضاً فإن الاجتماع لما حـدث بينهمـا بطل معنى آخر كان موجوداً فيهما وهو الافتراق الذي هـو ضد الاجتماع فأخبرونا إذا حدث الطول بزعمكم فأي شـيء هو المعنى الذي ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولا سبيل

لهم إلى وجوده فصح أن الطول كان موجوداً في كل جـزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لم اجتمعا زاد الطول والعرض والعمق وهكذا أبدا وبا تعالى التوفيق وهذا هـو الذي تشهد له الحواس والمشاهدة والعقـل والحمـد رب العالمين وبرهان آخر وهو أن الجرم إن كان أحمر فكل جزؤ من أجزائه أحمر بلا شك فإن قالوا ليس أحمر قلنا لهم فلعله أخضر أو أصفر أو غير ذي لون وهذا عين المحال لأن الكل قد بينا أنه ليس هو شيئاً غير أجزائه فلو كان لـون أجزائـه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فإذ لا شك فيما ذكرنا فالجزؤ الذي يدعون أنه لا يتجزأ هو ذو لون بلا شك وإذ هو ذو لون فهو جسم لا يعقل غير ذلك فهو يتجزى.

قال أو محمد: و قال ت الأشعرية ههنا كلاما ظريفاً وهو أنهم قالوا هو ذو لون واحد.

قال أبو محمد: كل ملون فهو ذو لـون واحـد لا ذو ألوان كثيرة إلا أن يكون أبلق أو موشـى برهـان آخـر أن وجود شيء في العالم قائم بنفسه ليس جسماً ولا عرضـاً ولا قابلاً للتجزئ ولا طول ولا عرض ولا عمـق فهـو محـال ممتنع إذ هذا المذكور ليس هو شيئاً غير الباري تعالى وجل

تعالى أن يكون له في العالم شبه وبهذا بان عز وجل عـن مخلوقاته ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شـيء برهـان آخر.

قال أبو محمد: كل شيء يحتمل أن يكون له أجـزاء كثيرة فبالضرورة ندري أنه يحتمل أن يتجزأ إلى أُلف منها هذا ما لا تختلف العقول والإحساس فيه كشيء احتمل أن يقسـم على أربعة أقسام فلا شك أنه يحتمل أن يقسم علـى ثلاثـة وعلى اثنين وهكذا في كل عدد ومن دافع في هذا فإنما يدافع الضرورة ويكابر العقل فلوا أقمت خطا من ثلاثة أجزاء كـل جزء منها لا يتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء وكذلك ومن ألف جزءٍ كذلك أو مما زاد فإنه لا يختلف أحد في أن الخط الذي هو من ثلاثة أجزاء فإنه ينقسم أثلاثـاً في موضعين وأن الذي هو أربعة أجزاء فإنه ينقسم أرباعـاً في ثلاثة مواضع وأن الذي من ألف جزؤ فإنه ينقسم أعشاراً وبنصفين وإذ لا شك في هذا فبيقين لا محيد عنه يدري كـل ذي حس سليم ولو أنه عالم أو جاهل أن ما انقسم أثلاثاً فإنـه ينقسم نصفين مستويين وما انقسم أرباعاً فإنه ينقسـم أثلاثـاً مستوية وإن ما كان من الخطوط فله أعشار وأخماس ونصف

وأثلاث وأسداس وأسباع متساوية فإذ لا شك في هـذا فـإن القسمة لا بد أن تقع في نصف جزءٍ منها أو في أقـل مـن نصفه فصح أن كل جسم فهو يتجزأ ضـرورة وإن الجـزء الذي لا يتجزأ باطل معدوم من العالم وهذا ما مخاص لهـم منه وبا تعالى التوفيق برهان آخر.

قال أبو محمد: بلا شك نعلم أن الخطين المسـتقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبداً ولو مدا عمر العالم أبداً بلا نهايـة وأنك إن مددت من الخط الأعلى إلى الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما مربع بلا شك فإذا أخرجت من زاوية ذلك المربع خطاً منحدراً من هنالك إلى الخط الأسـفل فإن تلك الخطوط المخرجة من الضلع الـذي ذكرنـا وتلـك الخطوط المخرجة من الزاوية لا تمر مع الخط الأعلى أبـداً لأنها غير موازية له فإذ ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم أبداً لا بد ما أخرجت الخطوط بلا نهاية برهان آخر.

قال أبو محمد: وبالضرورة نـدري أن كـل مربـع متساوي الأضلاع فإن الخط القاطع من الزاوية العليـا إلـى الزاوية السفلى التي لا يوازيها يقوم منه في المربع مثلثـان متساويان وأنه لا شك أطول من كل ضلع من أضلاع ذلـك

المربع على انفراده فنسألهم عن مائة جزءٍ لا يتجزأ رتبـت
متلاصقة عشرة عشرة فبالضرورة نجد فيها ما ذكرنا فبيقين
نعلم حينئذ أن كل جزءٍ من الأجزاء المذكورة لـولا أن لـه
طولاً وعرضاً لما كان الخط المار بها القاطع للمربع القـائم
منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المار بكل جهـة
من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة للخطوط الأربعة
المحيطة بذلك المربع وهو أطول منه بلا شك فصح ضرورة
أن لكل جزء منها طولاً وعرضاً وأن ما له طول وعـرض
فهو متجزء بلا شك فصح أيضاً بما ذكرنا أن كل جزءٍ مـر
عليه الخط المذكور فقد انقسم برهان آخر وأيضاً فإننـا لـو
أقمنا خطاً من أجزاء لا تتجزأ على قولهم مستقيماً ثم أدرنـاه
حتى يلتقي طرفاه ويصير دائرة فبالضرورة يدري كـل ذي
حس سليم أن الخط إذا أدير حتى يلتقي طرفاه فإن ما قابـل
من أجزائه مركز الدائرة أضعف مما يقابل منهـا خـارج
الدائرة فإذ ذلك كذلك فهذا لازم في هذا الخط المدار بلا شك
وإذ لا شك في هذا فقد فضل أحد طرفـي الجـزء الـذي لا
يتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزءٍ مـن
تلك الأجزاء بلا شك فصح ضرورة أنه محتمل للانقسام ولا

بد وبا تعالى التوفيق برهان آخر نسألهم عن دائرة قطرهـا أحد عشر جزءاً لا يتجزأ كل واحد منها عندهم أو أي عـدد شئت على الحساب فأردنا أن نقسمها بنصفين على السـواء ولا خلاف في أن هذا ممكن فبالضرورة نـدري أن الخـط القاطع على قطر الدائرة من المحيط إلى ما قابله من المحيط ماراً على مركزها لا يقع البتة إلا في أنصاف تلك الأجـزاء فصح ضرورة أنها لا تتجزأ ولو لم يمر ذلك الخـط علـى أنصافها لما قسم الدائرة بنصفين وبا تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو أن نسألهم عن الجزء الذي لا يتجزأ الذي يحققونه إذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائد على سطحها فـإن قـالوا لا حجم له زائداً على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانـاً ولا جعلوه متمكناً أصلاً فنسألهم عن جزئين جعلا كذلك فلا بـد من قولهم أن لهما حجماً فنسألهم عن ذلك الحجم ألهما معاً أم لأحدهما فأي ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو أحدهما وإذا كان للجزء الذي لا يتجزأ حجم زائد فالـذي لا شك فيه أن له ظلاً وإذا صح يقيناً أن له ظلاً فلا شك في أن الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقاص ويـذهب إذا سـامتته

الشمس فإذ ذلك كذلك فبيقين ندري أن ظله ينقص حتى يكون أقل من قدره وإذ ذلك فقد ظهر ووجب أن له تجزياً ومقداراً وبرهان آخر وهو أننا نسألهم عن جزؤ لا يتجزأ من الحديد أو من الذهب وجزؤ لا يتجزأ من خيط قطـن هـل ثقلهمـا ووزنهما سواء أم الذي من الذهب أو الحديد أثقل من الـذي من القطن فإن قالوا ثقلهما ووزنهما سواء كابروا ولزمهم هذا في ألف جزؤ كذلك من الذهب أنهما ليستا أثقل من ألف جزؤ من القطن مجتمعة كانت الأجزاء أو متفرقة وهـذا جنـون ومكابرة وأن قالوا بل الذي من الذهب أوزن وأثقل صـدقوا وأوجبوا أن له تجزياً يتفاضل الوزن ضرورة ولا بد.

قال أبو محمد: فهذه براهين ضرورية قاطعة بأن كل جزء فهو يتجزأ أبداً بلا نهاية وأن جزاء لا يتجزأ ليس فـي العالم أصلاً ولا يمكن وجوده بل هو من المحـال الممتنـع وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: أما أبو الهذيل فخلط في هـذا البـاب وحق لمن رام نصر الباطل أن يخلط ف قال وأنـه الجـزؤ الذي لا يتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليـه وأن يشـغل مكاناً لا يسع فيه معه غيره وأنه أقرب إلى السماء من مكانه

الذي هو عليه من الأرض وهذا غاية التناقص إذ مـا كـان هكذا فله مساحة بلا شك وهو ذو جهات ست فللمساحة أجزاء من نصف وثلث وأقل وأكثر وما كان ذا جهات فالذي منه في كل جهة غير الذي منه في الجهة الأخرى بلا شك وما كـان هذا فهو محتمل للتجزي بلا شك وما عدا هذا هذا فوسواس نعوذ با منه.

قال أبو محمد: في تخليطهم هذا اختلافاً ظريفاً أيضاً فأجمعوا أنه إذا ضم جزؤ لا يتجزء إلى جزؤ لا يتجزأ فصار اثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متى يصير جسـماً لـه طول وعرض وعمق ف قال بعضهم إذ صار جزئين صـار جسماً وهو قول الأشعرية و قال بعضهم إذا صـارا أربعـة أجزاء و قال بعضهم بل إذا صارا ستة أجزاء واتفقوا علـى أنه إذا صارا ثمانية أجزاء فقد صار جسماً له طول وعرض وعمق وكل هذا تخليط ناهيك به وجهل شديد كـان الأولـى بأهله أن يتعلموا قبل أن يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلـك أنهم لم يختلفوا أنهم إذا صفوا أربعة أجزاء لا يتجزأ وتحتهـا أربعة أجزاء لا يتجزأ فإنه قد صار عندهم الجميع من هـذه الأجزاء جسماً طويلاً عيضاً عميقاً.

قال أبو محمد: وهذا الذي طابت نفوسهم عليه وأنست عقولهم إليه في الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض في ثلاثة أجزاء تحتها ثلاثة أجزاء وفي جزئين تحتها جزآن ومنعوا كلهم من ذلك في جزؤ على جزؤ حاشا الأشعرية فإنه بعينه موجود على أصولهم المخذولة وأقوالهم المرذولة في جزؤ على جزؤ على جزؤ سواء بعينه وذلك أن أربعة أجزاء على أربعة جزاء فإنما الحاصل منها جزؤ على جزء فقط من كل جهة فإذا جعلوا الأربعة على الأربعة طولاً فإنما جعلوه في جزؤ إلى جنب جزؤ كذلك فعلوا في العرض وكذلك فعلوا في العمق وإذ هو كذلك والطول عندهم يوجد في جزء إلى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول لأن العرض لا يكون أكثر من الطول أصلاً والعمق موجود فيهما أيضاً فظهر أن لكل جزء منها طولاً وعرضاً وعمقاً قال أبو محمد: فإذا قد بطل قولهم في الجزء الذي لا يتجزأ وفي كل ما أوجبوه أنه جوهر لا جسم ولا عرض فقد صح أن العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لا يقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدهما متخلياً فالمحمول هو العرض والحامل هو الجوهر

وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن في الوجود غيرهمـا وغير الخالق لهما تعالى وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: و قال هؤلاء الجهال أن العـرض لا يبقى وقتين وأنه لا يحمل عرضاً.

قال أبو محمد: وقد كلمناهم في هذا وتقرينا كتبهم فما وجدنا لهم حجة في هذا أصلاً أكثر من أن بعضهم قال لـو بقي وقتين لشغل مكاناً.

قال أبو محمد: وهذه حجة فقيرة إلى حجة ودعـوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ثم لـو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوزوه من بقاء العـرض وقتاً واحداً وي قال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقي العرض وقتاً واحداً لشغل مكاناً وبيقين يدري كل ذي حـس سليم أنه لا فرق في اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقاء وقتين فصاعداً فإن أبطلوا بقاءه وقتاً لزمهم أنه ليس باقياً أصلاً وإذا لم يكن باقياً فليس موجوداً أصـلاً وإذ لـم يكـن موجوداً فهو معدوم فحصلوا من هذا التخلـيط علـى نفـي الأعراض ومكابرة العيان وي قال لهم ما الفرق بينكم وبـين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات إذ لو بقي ثلاثة

أوقات لشغل مكاناً وكل هذا هوس وليس مـن أجـل البقـاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل أنه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم أن الشيء في حين خلق ا تعالى له ليس باقياً ولا فانياً وهذه دعوى في الحمق كمـا سلف لهم ولا فرق وهي مع ذلك لا تعقل ولا يتمثل في الوهم أن يكون في الزمان أو في العالم شيء موجود ليس باقياً ولا فانياً.

قال أبو محمد: ولا عجب أعجب من حمق من قـال أن بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منهـا الذي كان آنفاً بل يفني في كل حين ويستعيض ألـف ألـف بياض وأكثر وألف ألف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل إلا أنها جمعت السخف مع المكابرة.

قال أبو محمد: والصحيح من هذا هو ما قلناه ونقوله أن الأعرض تنقسم أقساماً فمنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله لإنفساد ما هو فيه لو أمكن ذلك كالصورة الكلية أو كـالطول والعرض والعمق ومنها ما لا يزول ولا يتـوهم زوالـه إلا بإنفساد حامله كالاسكار في الخمر ونحو ذلك فإنها إن لم تكن مسكرة لم تكن خمراً وهكذا كل صفة يجدها ما هـي عليـه

ومنها ما لا يزول إلا بفساد حامله إلا أنه لو توهم زائلاً لـم يفسد حامله كزرق الأزرق وفطس الأفطس فلـو زالا لبقـي الإنسان إنساناً بحسبه ومنها ما يبقى مدداً طـوالاً وقصـاراً وربما زايل ما هو فيه كسـواد الشـعر وبعـض الطعـوم والخشونة والاملاس في بعض الأشياء والطيب والنتن فـي بعضها والسكون والعلم وكبعض الألوان التي تستحيل ومنها ما يسرع الزوال كحمرة الخجل وكمـدة الهـم ولـيس مـن الأعراض شيء يفني بسرعة حتى لا يمكن أن يضبط مـدة بقائه إلا الحركة فقط على أنها بضرورة العقل والحسن ندري أن حركة الجزء من الفلك التي تقطع بنصفين من شرق إلـى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذي حوالي القطبـين لأن كل هذين الجزأين يرجع إلى مكانه الذي بدأ منه في أربـع وعشرين ساعة وبين دائريهما في الكبر ما لا يكون مسـاحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه في العالم وبيقين يدري أن حركة المذعورة في طيرانها أسرع من حركة السلحفاة فـي مشيها وأن حركة المنساب في الحدور أسرع من حركة الماء الجاري في مسيل النهر وأن حركة العصر في الجري أسرع من حركة الماشي فصح يقيناً أن في خلال الحركات أيضـاً

بقاء إقامة يتفاضل في مدته لأن الحركات كلها إنما هي نقلـة من مكان إلى مكان فللمتحرك مقابلة ولا بد لكل جـرم مـر عليه ففي تلك المقابلات يكون التفاضل في السرعة أو فـي البطئ إلا أنه لا يحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه إلا بالعقـل فقط الذي به يعرف زيادة الظل والشمس ولا يـدرك ذلـك بالحس إلا إذا اجتمعت منه جملة ما فإنه حينئذ يعرف بحس البصر كما لا يدرك بالحواس نماء النامي إلا إذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس أن لكل خردلة جـزءاً من الأث قال فلا يحس إلا إذا اجتمعت منه جملة ما وكـذلك الشبع والري وكثير من أعراض العالم فتبارك خالق ذلك هو ا أحسن الخالقين وأما قولهم أن العرض لا يحمل العـرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعـة وللعقـل وللحـواس ولإجماع جميع ولد آدم لأننا لا نختلف في أن نقول حركـة سريعة وحركة بطيئة وحمرة مشرقة وخضـرة أشـد مـن خضرة وخلق حسن وخلق مسيء و قال تعالى " إن كيـدكن عظيم " و قال تعالى " فصبر جميل " وحسبك فسـاداً بقـول أدى إلى هذا ومن أحال على العيان والحس والمعقول وكلام ا تعالى فقد فاز قدحه وخسرت صفقة من خالفه.

قال أبو محمد: ولسنا نقول أن عرضاً يحمل عرضاً إلى ما لا نهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلـق الباري تعالى ما خلق ولا مزيد وما عدا هـذا فرقـة ديـن وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ با من هذه الثلاث وحسـبنا ا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم.

الكلام في المعارف

قال أبو محمد: اختلف الناس في المعارف ف قـال قائلون المعارف كلها باضطرار إليها و قال آخرون المعارف كلها باكتساب لها و قال آخرون بعضها باضطرار وبعضـها باكتساب.

قال أبو محمد: والصحيح في هذا الباب أن الإنسـان يخرج إلى الدنيا ليس عاقلاً لا معرفة لـه قـال أو محمـد: فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثديين حين ولادتـه وتصـرفه تصرف البهائم على حسبها في تألمها وطربها حتى إذا كبـر وعقل وتقوت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسـكنت إليه وبدت رطوباته تجف بدأت بتمييز الأمور في الدار التي صارت فيها فيحدث ا تعالى لها قوة على التفكر واستعمال الحواس في الاستدلال وأحدث ا لها الفهم بما تشاهد ومـا تخبر به فطريقه إلى بعض المعارف اكتساب في أول توصله إليها لأنه بأول فهمه ومعرفته عرف أن الكل أكثر من الجزء وأن جسماً واحداً لا يكون في مكانين وأنه لا يكـون قاعـداً قائماً معاً وهو إن لم يحسن العبارة عن ذلك فإن أحواله كلها تقتضي تيقنه كل ما ذكرنا وعرف أولاً صـحة ومـا أدرك

بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة إلى ما ذكرنا من قرب أو بعد فكل ما ثبت عندنا ببرهان وإن كان بعيد الرجوع إلى ما ذكرنا فمعرفة النفس به اضطرارية لأنه لو رام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنـده هذا الثبات لم يقدر فإذ هذا لا شـك فيـه فالمعـارف كلهـا باضطرار إذ ما لم يعرف بيقين فإنما عرف بظن وما عرف ظناً فليس علماً ولا معرفة هذا ما لا شك فيه إلا أن يتطـرق إلى طلب البرهان بطلب وهذا الطلب هو الاستدلال ولو شاء أن لا يستدل لقدر على ذلك فهذا الطلب وحده هو الاكتسـاب فقط وأما ما كان مدركاً بأول العقل وبالحواس فلـيس عليـه استدلال ألاً بل من قبل هذه الجهات يبتدي كل أحد بالاستدلال وبالرد إلى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشـيء وهو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنـه بـه وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك إما بشهادة الحـواس وأول العقل وأما ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلـى شـهادة الحواس أو أول العقل وإما بإنفاق وقع له في مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض ا عز وجل عليه اتباعـه

خاصة دون استدلال وأما علم ا تعالى فليس محدوداً أصلاً ولا يجمعه مع علم الخالق حد فلا حـس ولا شـيء أصـلاً وذهبت الأشعرية إلى أن علم ا تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد.

قال أبو محمد: وهذا خطأ فاحش إذ من الباطـل أن يقع ما لم تزل النهايات وعلم ا تعالى ليس هـو غيـر ا تعالى على ما بيننا قبل وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: قال ت طوائـف مـنهم الأشـعرية وغيرهم من اتفق له اعتقاد شيء على ما هو به عـن غيـر دليل لكن بتقليد أو تميل بإرادته فليس عالماً به ولا عارفاً به ولكنه معتقد له و قال وا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كـل اعتقاد علماً ولا معرفة لأن العلم والمعرفة بالشيء إنما يعبر بهما عن تيقن صحته قال وا وتـيقن الصـحة لا يكـون إلا ببرهان قال وا وما كان بخلاف ذلك فإنما هو ظن ودعوى لا تيقن بها إذ لو جاز أن يصدق قول بلا دليل لما كـان قـول أولى من قول ولكانت الأقوال كلها صحيحة علـى تضـادها ولو كان ذلك لبطلت الأقوال ولبطلت الحقائق كلها لأن كـل

قول يبطل كل قول سواه فلو صحت الأقوال كلها لبطلت كلها لأنه لو كان يكون كل قول صادقاً في إبطاله ما عداه.

قال أبو محمد: فنقول وبا تعالى التوفيق إن التسمية والحكم ليس إلينا وإنما هما إلى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الأشياء ومرتبها كما شاء لا إله إلا هو قال عـز وجل منكراً على من سمى من قبل نفسه " إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل ا بها من سلطان " و قـال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فنهي ا عز وجل كل أحد عن أن يقول ما ليس له به علم ووجدناه عز وجل يقول فـي غير موضع من القرآن " يا أيها الذين آمنوا " و قال تعالى " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا " و قال تعالى " فإن تـابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم في الدين " فخاطب ا تعالى بهذه النصوص وبغيرها وكذلك رسول ا صـلى ا عليه وسلم كل مؤمن في العالم إلى يوم القيامة وبيقين ندري أنه قد كان في المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعـده عصراً عصراً إلى يوم القيامة المستدل وهم الأقـل وغيـر المستدل كمن أسلم من الزنج ومن الروم والفـرس والآمـاء وضعفة النساء والرعاة ومن نشأ على الإسلام بتعليم أبيه أو

سيده إياه وهم الأكثر والجمهور فسماهم عز وجل مـؤمنين وحكم لهم بحكم الإسلام وهـذا كلـه معـروف بالمشـاهدة والضرورة و قال تعالى " آمنوا با ورسوله " و قال رسول ا صلى ا عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـهدوا أن لا إله إلا ا وأني رسول ا ويؤمنوا بما أرسـلت بـه فصح يقيناً أنهم كلهم مأمورون بالقول بجميع ما جاء به النبي صلى ا عليه وسلم وأن كل من صد عنه فهو كافر حـلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالإيمان إلا من عرفـه مـن طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منهياً عن اتباع الرسول صلى ا عليه وسلم وعن القول بتصديقه لأنه عند هؤلاء القوم ليسوا عالمين بذلك وهذا خـلاف القـرآن وسنة رسول ا صلى ا عليه وسلم واجتماع الأمة المتيقن أما القرآن والسنة فقد ذكرناهما وأما إجماع الأمة فمن الباطل المتيقن أن يكون الاستدلال فرضاً لا يصح أن يكـون أحـد مسلماً إلا به ثم يغفل ا عز وجل أن يقول لا تقبلوا من أحد أنه مسلم حتى يستدل أتراه نسي تعالى ذلك أو تعمد عز وجل ترك ذكر ذلك إضلالاً لعباده وبترك ذلك رسوله صـلى ا عليه وسلم إما عمداً أو قصداً إلى الضـلال والإضـلال أو

نسياناً لما اهتدى له هؤلاء ونبهوا إليه وهم من هـم بـلادة وجهلاً وسقوطاً هذا لا يظنه إلا كافر ولا يحققه إلا مشـرك فما قال قط رسول ا صلى ا عليه وسلم لأهـل قريـة أو حلة أو حي ولا لراع ولا لراعية ولا للـزنج ولا للنسـاء لا أقبل إسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره فإذا لم يقل عليـه السلام ذلك فالقول به واعتقاده افك وضلال وكـذلك أجمـع جميع الصحابة رضي ا عنهم على الدعاء إلـى الإسـلام وقبوله من كل أحد دون ذكر استدلال ثم هكذا جـيلاً فجـيلاً حتى حدث من لا قدر له فإن قال وا قد قال ا عز وجل " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " قلنا نعم وهذا حق وإنما قال ه ا عز وجل لمن خالف الحق الذي أمر عـز وجـل الجن والأنس باتباعه وهكذا القول إن كل من قال قولاً خالف فيه ما أمر ا عز وجل باتباعه فسواء استدل بزعمه أو لـم يستدل هذا مبطل غير معذور إلا من عذره ا عز وجل فيما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين يخطأ قاصداً إلى الحـق فقط ما لم يقم عليه الحجة فيعاند وأما من اتبع الحق فما كلفه ا عز وجل قط برهاناً والبرهان قد ثبت بصحة كل ما أمر ا تعالى به فسواء علمه فتبع الرسول صلى ا عليه وسـلم

بعلمه حسبه أنه عالم بالحق معتقد له موقن بـه وإن جهـل برهانه الذي قد علمه غيره وهذا خلق الله عز وجل الإيمـان والعلم في نفسه كما خلقه في نفس المستدل ولا فـرق قـال تعالى " إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فـي دين الله أفواجاً " فسماهم داخلين في دينه وإن كانوا أفواجـاً وما شرط الله عز وجل قط ولا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك باستدلال بل هذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه إبليس في قلبه وعلى لسانه ليخرجه إلى تكفيـر الأمـة ولا عجب أعجب من اطباق هذه الطائفة الضالة المخذولة علـى أنه لا يصح لأحد إيمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لأحد استدلال حتى يكون شاكا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فإذا كان ذلك صح له الاستدلال وإلا فلـيس مؤمناً فهل سمع أحمق أو أدخل في الحمق والكفر من قـول من قال لا يؤمن أحد حتى يكفر بالله تعالى وبالرسول صـلى الله عليه وسلم وإن من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك نبرأ إلى الله تعالى من كل من قال بهذا.

قال أبو محمد: فهذان طريقان لا ثالـث لهمـا كـل طريق منها تنقسم قسمين أحدهما من اتبع الذي أمره الله عز

وجل باتباعه وهو رسول ا صلى ا عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقاً سواء استدل أو لم يستدل لأنه فعل مـا أمـره ا تعالى به ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق ا عز وجل فهذا له في كل عقد اعتقده أجران وأما أن يكون حرم موافقه الحق وهو مريد في أمره ذلك اتباع رسول ا صلى ا عليه وسلم فهذا معذور مأجور أجراً واحداً ما لـم تقـم عليـه الحجـة فيعاندها وهذا نص قوله عليه السلام في الحـاكم المجتهـد المصيب والمخطي والطريق الثاني من اتبع غير الذي أمره ا باتباعه فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطي ظـالم عاص تعالى وكافر على حسب ما جاءت به الديانة فـي أمره ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ما جاء به رسول ا صلى ا عليه وسلم وهو غير قاصد إلى اتباعـه عليـه الصلاة والسلام فيه والآخر لم يصبه فكلاهما لا خير فيـه وكلاهما آثم غير مأجور وكلاهما عاص عـز وجـل أو كافر على حاسب ما جاءت به الديانة من أمره لأنهما جميعاً تعديا حدود ا عز وجل فيما أمرهم به من اتباع رسول ا صلى ا عليه وسلم و قال تعالى " ومن يتعد حدود ا فقـد

ظلم نفسه " ولا ينتفع بإصابته الحق إذ لم يصبه من الطريق التي لم يجعل ا طلب الحق وأخذه إلا من قبلها وقد علمنـا أن اليهود والنصارى يوافقون الحق في كثير كإقرارهم بنبوة موسى عليه السلام وكتوحيد بعضهم تعالى فمـا انتفعـوا بذلك إذ لم يعتقدوه اتباعاً لرسول ا صلى ا عليـه وسـلم وكذلك من قلد فقيهاً فاضلاً دون رسول ا صلى ا عليـه وسلم وكان عقده أنه لا يتبع رسول ا صلى ا عليه وسلم إلا إن وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك إن فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك إن اعتقده بقلبه أو نطق به بلسان لمخالفته قول ا تعالى " فَلاَ وربك لاَ يؤْمِنُون حتـى يحكموك فِيما شَجر بينَهم ثُم لاَ يجِدواْ فِي أَنفُسِهِم حرجا ممـا قَضيتَ ويسلمواْ تَسلِيما " فنفي ا عز وجل عن أهـل هـذه الصفة الإيمان وأقسم على ذلك ونحن ننفي ما نفي ا عـز وجل عمن نفاه عنه ونقسم على ذلك ونوقن أننا على الحـق في ذلك وأما من قلد فقيهاً فاضلاً و قال إنما اتبعه لأنه اتبع رسول ا صلى ا عليه وسلم فهذا مخطي لأنه فعـل مـن ذلك ما لم يأمره ا تعالى به ولا يكفر لأنه قاصد إلى اتبـاع رسول ا صلى ا عليه وسلم مخطي للطريق فـي ذلـك

ولعله مأجور بنيته أجراً واحداً ما لم تقع الحجة عليه بخطاء فعله فإن ذكروا قول رسول ا صلى ا عليه وسـلم فـي حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فإنه ي قال له مـا قولك في هذا الرجل يعني رسول ا صلى ا عليه وسـلم فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

قال أبو محمد: هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه لا يقـول هـذا إلا المنـافق أو المرتاب لا المؤمن الموقن بل المؤمن الموقن ذكر في هـذا الحديث أنه يقول هو عبد ا ورسوله أتانا بالهدى والنور أو كلاماً هذا معناه فإنما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لا عن مستدل وغير مستدل وكذلك نقول أن من قال في نفسـه أو بلسانه لولا أني نشأت بين المسلمين لم أكن مسلماً وإنمـا اتبعت من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمناً ولا موقناً ولا متبعـاً لمن أمره ا تعالى باتباعه بل هو كافر.

قال أبو محمد: وإذا كان قد يستدل دهره كله مـن لا يوفقه ا تعالى للحق وقد يوفق من لا يستدل يقيناً لو علم أن أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته أو أهل الأرض يخالفونـه فيـه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقي في النار وبين أن

يفارق الإسلام لاختار أن يحرق بالنار على أن يقول مثل هذا قلنا فإذ هو موجود فقد صح أن الاستدلال لا معنى له وإنمـا المدار على اليقين والعقد فقط وبا تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وإنما يضطر إلـى الاسـتدلال مـن نازعته نفسه غليه ولم يسكن قلبه إلى اعتقاد ما لـم يعـرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقـي نفسـه نـاراً وقودها الناس والحجارة فإن مات شاكا قبل أن يصح عنـده البرهان مات كافراً مخلداً في النار أبداً.

قال أبو محمد: ثم نرجع إلى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار أم باكتساب فنقـول وبـا تعـالى التوفيـق أن المعلوات قسم واحد وهو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثـم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق في ذاته قد قام البرهان علـى صحته والثاني لم يقم على صحته برهان وأما ما لـم يتـيقن المرء صحته في ذاته فليس عالماً به ولا له به علم وإنما هو ظان له وأما كل ما علمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر إلى علمه به لأنه لا مجال للشك فيـه عنـده وهـذه صـفة الضرورة وأما الاختيار فهو الذي إن شاء المرء فعلـه وإن شاء تركه.

قال أبو محمد فعلمنا بحدوث العالم وأن له بكل مـا فيه خالقاً واحداً لم يزل لا يشبهه شيء من خلقه في شيء من الأشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى ا عليه وسلم وصحة كل ما أتى به مما نقله إلينا الصحابة كلهم رضي ا عـنهم ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة حتى بلـغ إلينـا أو نقلـه المتفق على عدالته عن مثله وهكذا حتى بلغ إلى رسـول ا صلى ا عليه وسلم فهو كله علم حق متيقن مقطـوع علـى صحته عند ا تعالى لأن الأخذ بالظن في شيء من الدين لا يحل قال ا تعالى " إن الظن لا يغني من الحق شيئاً " و قال رسول ا صلى ا عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث و قال تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " فصح أن الدين محفوظ لما ضمن ا عز وجل حفظه فـنحن على يقين أنه لا يجوز أن يكون فيه شك وقد أمر ا تعـالى بقبول خبر الواحد العدل ومن المحال أن يأمر ا عز وجـل بأن نقول عليه ما لم يقل وهو قد حرم ذلك أو أن نقول عليه ما لا نعلم أنه تعالى قد حرم ذلك بقوله " وإن تقولوا على ا ما لا تعلمون " فكل ما أمرنا ا عز وجل بالقول به فـنحن على يقين من أنه من الدين وأن ا تعالى قد حماه من كـل

دخل وكذلك أخذنا بالزايد من الاثنـين المتعارضـين ومـن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة أن الحق في فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول أن خبر الواحد لا يوجب العلم وإنما هو غالب ظن ثم نقطع به ونقول أنه قد دخلت في الدين دواخل لا تميز من الحق وأنه لا سبيل إلى تمييز ما أمر ا تعالى به في الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نعوذ با منه ومن الرضاء به.

قال أبو محمد: وأما ما اجتمعت عليـه الجماعـات العظيمة من أرايهم مما لم يأت به نص عن ا عز وجل ولا عن رسول ا صلى ا عليه وسلم فهو باطل عند ا بيقين لأنه شرع في الدين ما لم يأذن به ا عز وجل و قال علـى ا تعالى ما لم يقله وبرهان ذلك أنه قد يعارض ذلك قـول آخر قال ته جماعات مثل هذه والحق لا يتعارض والبرهـان لا يناقضه برهان آخر وقد تقصينا هذا في كتابنـا المرسـوم الأحكام في أصول فـأغني عـن تـرداده والحمـد رب العالمين.

قال أبو محمد: فكل من كان من أهل الملل المخالفـة فبلغته معجزات النبي صلى ا عليه وسـلم وقامـت عليـه

البراهين في التوحيد فهو مضطر إلى الإقرار بـا تعـالى وبنبوة محمد صلى ا عليه وسلم وكذلك كل من قام علـى شيء ما أي شيء كان عنده برهان ضروري صحيح وفهمه فهو مضطر إلى التصديق به سواء كانت من الملل أو مـن النحل أو من غير ذلك وإنما أنكر الحق في ذلك أحد ثلاثة إما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنـه بطلـب معاشه أو بالتزيد من مال أو جاه أو صوت أو لذة أو عمـل يظنه صلاحاً أو إيثاراً للشغل بما يتبين له من ذلـك عجـزاً وضعف عقل وقلة تمييز لفضل الإقرار بـالحق أو مسـوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم فـي كل مكان وكل زمان وأما مقلد لأسلافه أو لمن نشأ بينهم قـد شغله حسن الظن بمن قلد أو استحسانه لما قلد فيـه وغمـر الهوى عقله عن التفكير فيما فهم من البرهان قد حـال مـا ذكرناه بينه وبين الرجوع إلى الحق وصرف الهوى ونـاظر قلبه عن التفكير فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو إذا سمع برهاناً ظاهراً لا مدفع فيه عنده ظنـه مـن الشيطان وغالب نفسه حتى يعرض عنه و قال ت له نفسه لا بد أن هاهنا برهاناً يبطل به هذا البرهان الـذي أسـمع وإن

كنت أنا لا أدريه وهل خفي هذا على جميع أهل ملتي وأهل نحلتي أو مذهبي أو على فلان وفلان ولا بد أنـه قـد كان عندهم ما يبطلون به هذا.

قال أبو محمد: وهذا عام في أكثر من يظن أنه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذعب وليس واحد مـن هـاتين الطائفتين إلا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غاب وسـاوس نفسه وحماقاتها على الحقايق اللايحة له ونصر ظنه الفاسـد على يقين قلبه الثابت وتلاعب الشيطان به وسخر منه فأوهمه لشهوته لما هو فيه أن هاهنا دليلاً يبطل به هذا البرهان وأنه لو كان فلان حياً أو حاضراً لأبطل هذا البرهان وهذا أعظـم ما يكون من السخافة لما لا يدري ولا سمع به وتكذيب لمـا صح عنده وظهر إليه ونعوذ با من الخذلان والثالث منكـر بلسانه ما قد تيقن صحته بقلبه إما استدامة لرياسة أو استدرار مكسب أو طمعاً في أحدهما لعله يتم له أو لا يتم ولو تم لـه لكان خاسر الصفقة في ذلك أو أثر غروراً ذاهباً عن قريـب على فوزاً لا بد أو يفعل ذلك خوف أذى أو عصـبية لمـن خالف ما قد قام البرهان عنده أو عداوة لقايل ذلك القول الذي قام به عنده البرهان وهذا كله موجود في جمهور الناس من

قال أبو محمد: وي قال لمن قال أهل كل ملة وكل نحلة وأهل ممن ينتمي إلى الإسلام أن المعارف ليست باضـطرار وإن الكفار ليسوا مضطرين إلى معرفة الحق في الربوبية والنبوة وأخبرونا عن معجزات الأنبياء عليهم السالم هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسمت عللها وفصلت بين الحق والباطل فصلاً تاماً أم لا فإن قال وا نعم أقروا بأن كل مـن شاهدها مضطر إلى المعرفة بأنها من عند ا تعـالى حـق شاهد بصدق من أتى بها ورجعوا إلى الحق الذي هو قولنـا و الحمد وأن قال وا لا بل الشك باق فيها ويمكن أن تكون غير شاهدة بأنهم محقون قطع بأن الأنبياء عليهم السلام لـم يأتوا ببرهان وإن الشك باق في أمرهم وأن حجة ا تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قط له تعالى حجـة وأن الأنبيـاء عليهم السلام إنما أتوا بشيء ربما قام في الظـن أنـه حـق وربما لم يقم وهذا كفر مجرد من دان به أو قـال ه وهكـذا نسألهم في البراهين العقلية على آيات التوحيد وفي الكـواف الناقلة أعلام الأنبياء عليهم السلام حتى يقروا بـالحق بـأن حجج ا تعالى بكل ما ظهرت وبهرت واضـطرت الكفـار كلهم إلى تصديقها والمعرفة بأنها حق أو يقولوا أنه لم تـم

حجة على أحد ولا تبين قط لأحد تعين صحة نبـوة محمـد صلى ا عليه وسلم وإنما نحن في الإقرار بذلك على ظـن إلا أنه من الظنون قوي وقد يمكن أن يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لا خفاء به ونعوذ با من الخذلان.

قال أبو محمد: ومن أنكر أن يكون الكفار وكل مبطل مضطرين إلى تصديق كل ما قام به برهان بعد بلوغه إلـيهم و قال أن ما اضطر المرء إلى معرفته فلا سـبيل لـه إلـى إنكاره أريناه كذب قوله في تكوين الأرض والأفلاك ومـدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مسافة كل ذلك وأكثر النـاس على إنكار هذا ودفعه الحق في ذلك وكذلك من دان بالقيـاس والرأي أو دليل الخطاب وسمع البراهين في إبطالهـا فهـو مضطر إلى معرفة بطلان ما هو عليه مكابر لعقله في ذلـك مغالط لنفسه مغالب ليقينه مغاب لظنونه.

قال أبو محمد: وعلم الملائكة عليهم السـلام وعلـم النبيين عليهم السلام بصحة ما جاءتهم به الملائكة وأوحـي إليهم به وأروه في منامهم علم ضروري كساير ما أدركـوه بحواسهم وأوايل عقولهم وكعلمهم بأن أربعة أكثر من اثنـين

وأنا النار حارة والبقل أخضر وصوت الرعد وحلاوة العسل ونتن الحلتيت وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكـن الأمـر كذلك لكان عند الملائكة والنبيين شكاً في أمرهم وهذا كفـر ممن أجازه إلا أن الملائكة لا علم لهم بشـيء إلا هكـذا ولا ظن لهم أصلاً لأنهم لا يخطئـون ولا ركبـوا مـن طبـايع متخالفة كما ركب الإنسان فإن قال قائـل فـإذ العالـم كلـه باضطرار فعل ا تعالى في النفوس فكيف يوجر الإنسان أو يعذب على فعل ا تعالى فيه قلنا نعم لا شيء في العـالم إلا خلق ا تعالى وقد صحح البرهان بذلك على ما أوردنا فـي كلامنا في خلق الأفعال في ديواننا والحمد   رب العـالمين وما نقل حافظ نصاً ولا برهان عقل بالمنع من أن يعذبنا ا تعالى ويؤجرنا على ما خلق فينا وا تعالى يفعل ما يشـاء ولا يسأل عما يفعل وهو يسألون.

قال أبو محمد: وكيف ينكر أهل الغفلة أن يكون قوم يخالفون ما هم إلى المعرفة به مضطرون وهـم يشـاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقـائق جملـة وكمـا يعتقـد النصارى وهم أمم لا يحصي عددهم إلا خـالقهم ورازقهـم ومضلهم لا إله إلا هو وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهـم

التدابير الصائبة والسياسات المعجبة والآراء المحكمة والفطنة في دقائق الأمور وبرص بغوامضها وهم مع ذلك يقولون أن واحداً ثلاثة وثلاثة واحد وأن أحد الثلاثة أب والثـاني ابـن والثالث روح وأن الأب هو الابن وليس هو الابن والإنسـان هو الإله وهو غير إله وإن المسيح إله تام وإنسان تام وهـو غيره وإن الأول الذي لم يزل هو الحدث الذي لم يكن ولا هو هو.

قال أبو محمد: وليس في الجنون أكثـر مـن هـذا واليعقوبية منهم وهم مئين ألوف يعتقدون أن الباري تعـالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام وصلب ونحـر ومـات وسقى الحنظل وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مـدبر وكأصـحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون في رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي العز أنه ا والإله عندهم قد يبول ويسلح ويجوع فيأكل ويعطش فيشرب ويمـرض فيسـوقون إليـه الطبيب ويقلع ضرسه إذا ضرب عليه ويتضرر إذا أصـابه دمل ويجامع ويحتجم ويفتصد وهو ا الذي لـم يـزال ولا يزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومـدبر الأفلاك المميت المحيي العالم بما في الصدور ويصبرون في

جنب هذا الاعتقاد على السجود والمطابق وضـرب السـياط وقطع الأيدي والأرجل والقتل والصلب وهتك الحريم وفـيهم قضاة وكتاب وتجاورهم اليوم ألوف وكما يـدعي طوائـف اليهود وطوائف من المسلمين أن ربهم تعالى جسد في صورة الإنسان لحم ودم يمشي ويقعد كالأشعرية الذين يقولـون أن هاهنا أحوالاً لا مخلوقة ولا غير مخلوقـة ولا معلومـة ولا مجهولة ولا حق ولا باطل وأن النار ليست حارة والثالج ليس بارداً وكما يقول بعض الفقهاء وأتباعه أن رجلاً واحداً يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحد منهما أمـه وهـو ابنهـا بالولادة.

قال أبو محمد: أترى كل من ذكرنا لا تشـهد نفسـه وحسه ولا يقر عقله بأن كل هذا باطل بلى والـذي خلقهـم ولكن العوارض التي ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاخـتلاط وكرهت عليهم الرجوع إلى الحق والإذعان له.

قال أبو محمد: وأما العناد فقد شاهدناه من كل رأيناه في المناظرة في الدين وفي المعاملات في الدنيا أكثر من أن يحصي ممن يعلم الحق يقيناً ويكابر على خلافه ونعوذ بـا من الخذلان ونسأله قال أبو محمد: لا يدرك الحق من طريق

البرهان إلا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التي قـدمنا ونظر من الأقوال كلها نظراً واحداً واستوت عنـده جميـع الأقوال ثم نظر فيها طالباً لما شـهدت البـراهين الراجعـة رجوعاً صحيحاً غير مموه ضرورياً إلى مقدمات مأخوذة من أوايل العقل والحواس غير مسامح في شيء من ذلـك فهـذا مضمون له بعون ا عز وجـل الوقـوف علـى الحقـائق والخلاص من ظلمة الجهل وبا تعالى التوفيق.

وأما ما نقله اثنان فصاعداً نوقن أنهما لم يجتمعا ولا تسارررا فأخبرا بخبر واحد راجع إلى ما أدركه بالحواس من أي شيء كان فهو حق بلا شك مقطوع على حيتـه والـنفس مضطرة إلى تصديقه وهذا قول أحد الكافة وأولها إذ لا يمكن البتة اتفاق اثنين في توليد حديث واحد لا يختلفان فيـه عـن غير تواطؤ وأما إذا تواطأت الجماعة العظيمة فقـد تجتمـع على الكذب وقد شاهدنا جماعات يشـكرون ولاتهـم وهـم كاذبون إلا أن هذا لا يمكن أن يتفقوا على ظنه أبداً ومن أنكر ما تنقله الكافة لزمه أن لا يصدق أنه كان في الدنيا أحد قبله لأنه لا يعرف كون الناس إلا بالخبر.

قال أبو محمد: وقد يضطر خبر الواحد فـي بعـض الأوقات إلى التصديق يعرف ذلك من تدبر أمور نفسه كمتذر بموت إنسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان يأتي بها بريـد وككتاب وارد من صديق بديهة وكمخبر يخبرك أن هـذا دار فلان وكمنذر بعرس عند فلان وكرسول من عنـد القاضـي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بأن هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثير جداً وهذا لا ينضبط بأكثر مما يسمع ومن راعـى هذا المعنى لم يمض له يوم واحد قطعاً حتى يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد ما يضطر إلى تصديقه ولا بد كثيراً جداً وأما في الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلـم وبرهان شرعي قد ذكرناه في كتابنا الأحكام لأصول الأحكام وقد ادعى المخالفون أن ما اتفقت عليه أمتنا بآرائهـا فهـي معصومة بخلاف سائر الأمم ولا برهان على هـذا و قـال النظام أن خبر التواتر لا يضطر لأن كل واحد منهم يجـوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحـال أن يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكـذب من لا يجوز عليه الكذب ونظر ذلك بأعمى وأعمى وأعمـي فلا يجوز أن يجتمع مبصرون.

قال أبو محمد: وهذا تنظير فاسد لأن الأعمى لـيس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لأن كـل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصـدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل أن اثنين فصاعداً إذا فرق بينهما لم يمكن البتة منهما أن يتفقا على توليد خبـر كـاذب يتفقان في لفظه ومعناه فصح أنهما إذا أخبرا بخبر فاتفقا فيـه أنهما أخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن أنكر هـذا لزمه أن لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بـالملوك السالفين ولا بالأنبياء وهذا خروج إلى الجنون بلا شك أو إلى المكابرة في الحس وبا تعالى التوفيق فإن قال قائل كيـف أجزتم ههنا إطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم مـن ذلك في أفعال االفاعلين عند ذكركم الاسـتطاعة وخلـق ا تعالى أفعال العباد وكل ذلك عندكم خلق ا تعالى في عباده قلنا أن الفرق بين الأمرين في ذلك لائـح وهـو أن الفاعـل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك ولـيس ممكناً منه اعتقاد خلاف ما تيقنه بأن يرفع عن نفسه تحقيـق ما عرف أنه حق فهكذا أوقعناها هنا اسم الاضطرار ومنعنـا منه هنالك وبا تعالى نتأيد.

▲ الكلام على من قال بتكافؤ الأدلة

قال أبو محمد: ذهب قوم إلى القول بتكـافؤ الأدلـة ومعنى هذا أنه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب م قال ة على م قال ة حتى يلوح الحق من الباطل ظاهراً بيناً لا إشكال فيه بل دلائل كل م قال ة فهي مكافئة لدلائل سـائر الم قال ات و قال وا كلما ثبت بالجدل فإنه بالجـدل يـنقض وانقسم هؤلاء إلى أقسام ثلاثة فيما أنتجه لهم هـذا الأصـل فطائفة قال ت بتكافؤ الأدلة جملة في كل ما اختلف فيه فلـم تحقق الباري تعالى ولا أبطلته ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتهـا وهكذا في جميع الأديان والأهواء لم تثبت شيئاً من ذلـك ولا أبطلته إلا أنهم قال وا إننا نوقن أن قال أبو محمـد: وكـان إسماعيل بن يونس الأعور الطبيب اليهـودي تـدل أقوالـه ومناظراته دلالة صحيحة على أنه كان يذهب إلـى القـول لاجتهاده في نصر هذه الم قال ة وإن كان غير مصرح بأنـه يعتقدها و قال ت طائفة أخرى بتكافؤ الأدلة فيما دون الباري تعالى فأثبتت الخالق تعالى وقطعت بأنه حق لكل مـا دونـه بيقين لا شك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا أبطلتها ولا حققت دين ملة ولا أبطلته لكن قال ت أن هذه الأقوال قولاً صحيحاً بـلا

شك إلا أنه غير ظاهر إلى أحد ولا بين ولا كلفه ا تعـالى أحداً وكان إسماعيل بن القراد الطبيب اليهودي يذهب إلى هذا القول يقيناً وقد ناظرنا عليه مصرحاً بـه وكـان يقـول إذا دعوناه إلى الإسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علله الانت قـال في الملل تلاعب.

قال أبو محمد: وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظـر والرياسة في العلم هذا القول إلا أننا لم يثبت ذلك عندنا عنهم وطائفة قال ت بتكافؤ الأدلة فيما دون الباري عز وجل ودون النبوة فقطعت أن ا عز وجل حق وأنه خالق وأن النبوة حق وأن محمداً رسول ا صلى ا عليه وسلم حقاً ثم لم يغلـب قولاً من أقوال أهل القبلة على قول بل قال وا أن فيها قـولاً هو الحق بلا شك إلا أنه غير بين إلى أحد ولا ظاهر وأمـا الأقوال التي صاروا إليها فيما يثبتوا عليها منها فطائفة لزمت الحيرة و قال ت لا ندري ما نعتقد ولا يمكننا أخذ م قال ة لم يصح عندنا دون غيرها فنكون مغالطين لأنفسـنا مكـابرين لعقولنا لكنا لا ننكر شيئاً من ذلك ولا نثبته وجمهـور هـذه الطائفة مالت إلى اللذات وأمراح النفوس في الشهوات كيـف ما مالت إليه بطبايعها وطايفة قال ت علـى المـرء فـرض

لموجب العقل ألا يكون سداً بل يلزمه ولا بد أن يكون له دين يرد جربه عن الظلم والقبائح و قال وا من لا دين لـه فهـو غير مأمور في هذا العالم على الإساد وقتل النفـوس غيلـة وجهراً وأخذ الأموال خيانة وعصياً والتعدي علـى الفـروج تحيلاً وعلانية وفي هذا هلاك العالم بأسـره وفسـاد البنيـة وانحلال النظام وبطلان العلوم والفضايل كلها التي تقتضـي العلوم بلزومها وهذا هو الفساد الذي توجب العقول التحـرز منه واجتنابه قال وا فمن لا يدن له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع إلى قتله وإراحـة العـالم منهوتعجيـل استكفاف ضره لأنه كالأفعى والعقرب أو أضر منهمـا ثـم انقسم هؤلاء قسمين فطايفة قال ت فإذ الأمر كـذلك فوجـب على الإنسان لزوم الدين الذي نشأ عليه أو ولد عليه لأنه هو الدين الذي تخيره ا له في مبدأ خلقه ومبدأ نشئته بيقين وهو الذي أثبته ا عليه فلا يحل له الخروج عما رتبه ا تعـالى فيه وابتداه عليه أي دين كان وهذا كان قول إسـماعيل بـن القداد وكان يقول من خرج من دين إلى ديـن فهـو وقـاح متلاعب بالأديان عاص عز وجل المتعبد له بذلك الـدين وكان يقول بالمسألة الكلية ومعنى ذلك ألا يبقى أحد دون دين

يعتقده على ما ذكرنا آنفاً و قال ت طائفة لا عذر للمرء فـي لزوم دين أبيه وجده أو سيده وجاره ولا حجة له فيـه لكـن الواجب على كل أحد أن يلزم ما اجتمعت الديانات بأسـرها والعقول بكليتها على صحته وتفضيله فلا يقتل أحداً ولا يزني ولا يلوط ولا يبغ ولا يسع في إفساد حرمة أحد ولا يسـرق ولا يغصب ولا يظلم ولا يجر ولا يجن ولا يغش ولا يغتـب ولا ينم ولا يسفه ولا يضرب أحداً ولا يستطيل عليه ولكـن يرحم الناس ويتصدق ويؤدي الأمانة ويـؤمن النـاس شـره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لأنه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس علينـا غير هذا لأنه لم يلح لنا الحق في شيء منه دون غيره.

قال أبو محمد: فهـذه أصـولهم ومعاقـدهم وأمـا احتجاجهم في ذلك فهو أنهم قال وا وجدنا الـديانات والآراء والم قال ات كل طائفة تدعي أنها إنما اعتقدت ما اعتقدته عن الأوايل وبراهين باهرة وكل طائفة منهـا تنـاظر الأخـرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الأخرى في مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته علـى البيان والتحال والتشعب لهم في ذلـك كالمتحـاربين يكـون

الظفر سجالاً بينهم قال وا فصح أنه ليس هاهنا قول ظـاهر الغلبة ولو كان لما أشكل على أحد ولم يختلف الناس في ذلك كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لـم يختلفوا في الحساب وفي كل شيء عليه برهان لايح قـال وا ومن المحال أن يبدو الحق إلى الناس فيعاندوه بـلا معنـى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا سبب قـال وا فلمـا بطل هذا صح أن كل طائفة إنما تتبع إماماً نشأت عليه وإماماً يخيل لأحدهم أنه الحق دون تثبيت ولا يقين قـال وا وهـذا مشاهد من أهل كل ملة وإن كان فيها ما لا شك في سـخافته وبطلانه و قال وا أيضاً إنا نرى الجماعة الكثيرة قد طلبـوا علم الفلسفة وتبحروا فيها ووسموا أنفسهم بـالوقوف علـى الحقائق وبالخروج عن جملة العامة وبأنهم قد اشرفوا علـى الصحيح بالبراهين وميزوه من الشغب والإقناع ونجد آخرين قد تمهروا في علم الكلام وأفنوا فيه دهرهم ورسـخوا فيـه وفخروا بأنهم قد وقفوا على الدلايل الصحاح وميزوها مـن الفاسدة وأنهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطق بـالحجج والإنصاف ثم نجدهم كلهم يعني جميـع هـاتين الطـائفتين فلسفيهم وكلاميهم في أديانهم التي يقـرون أنهـا نجـاتهم أو

هلكتهم مختلفين كاختلاف العامة وأهل الجهل بل أشد اختلافاً فمن يهودي يموت على يهدويته ونصـراني يتهالـك علـى نصرانيته وتثليثه ومجوسي يستميت على مجوسيته ومسـلم يستقتل في إسلامه ومناني يستهلك فـي مانونيتـه ودهـري ينقطع في دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة فـي ذلك مع المتلكم الماهر المستدل بزعمه ثم نجـد أهـل هـذه الأديان في فرقهم أيضاً كذلك سواء سواء فإن كـان يهوديـاً فاما رباني يتقد غيظاً على سائر فرق دينه وأما صابئي يلعن سائر فرق دينه وأما عيسوي يسخر من سائر فرق دينه وأما سامري يبرأ من سائر فرق دينه وإن كان نصرانياً فإما ملكي يتهالك غيظاً على سائر فرق دينه وأما نسطوري يقـد أسـفاً على سائر فرق دينه وأما يعقوبي يسخط على سائر فرق دينه وإن كان مسلماً فإما خارجي يستحل دماء سائر أهـل ملتـه وأما معتزلي يكفر سائر فرق ملته وأما شيعي لا يتولى سائر فرق ملته وأما مرجئي لا يرضى عن سائر فرق ملته وأمـا سني ينافر فرق ملته قد استوى في ذلـك العـامي والمقلـد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امرئ مـن متكلمـي الفرق التي ذكرنا يدعي أنه إنما أخذ ما أخذ وترك ما تـرك

ببرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتى في الفتيـا إمـا حنيفـي يجادل عن حنيفيته وإما مالكي يقاتل عن مالكيته وإما شافعي يناضل عن شافعيته وإما حنبلي يضارب عن حنبليتـه وإمـا ظاهري يحارب عن ظاهريته وإما متحير مستدل فهنالك جاء التحازب حتى لا يتفق اثنان منهم على مائة مسـألة إلا فـي الندرة وكل امرئ ممن ذكرنا يزرى على الآخـرين وكلهـم يدعي أنه أشرف على الحقيق وهكذا القائلون بالدهر أيضـاً متباينون متنابذون مختلفون فيما بينهم فمن موجب أن العـالم لم يزل وأن له فاعلاً لم يزل ومن موجـب أزليـة الفاعـل وأشياء أخر معه وأن سائر العالم محدث ومن موجب أزليـة الفاعل وحدوث العالم أمبطل للنبوات كلها كما اختلاف سـائر أهل النحل أو لا فرق قال وا فصح أن جميعهم إما متبع للذي نشأ عليه والنحلة التي تربي عليها وإما متبع لهواه قد تخيـل له أنه الحق فهم على ما ذكرنا دون تحقيق قال وا فلو كـان للبرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان على طول الأيام وكرور الزمان ومرور الدهور وتداول الأجيـال لـه وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومنـاظراتهم وإفنـائهم الأوقات وتسويدهم القراطيس واستنفاذ وسعهم وجهدهم أيـن

الحق فيرتفع الإشكال بل الأمر واقف بحسبه أو متزيـد فـي الاختلاف وحدوث التجاذب والفرق قال وا وأيضاً فإنا نـرى المرء الفهم العالم النبيل المتيقن في علوم الفلسـفة والكـلام والحجاج المستنفذ لعمره في طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ما سواه من لذة أو مال أو جاه المسـتفرغ لقوته في ذلك النافر عن التقليد يعتقد م قال ة ما ويناظر عنها ويحاجج دونها ويدافع أمامها ويعادي من خالفها مجـداً فـي ذلك موقناً بصوابه وخطأ من خالفه منـافراً لـه مضـللاً أو مكفراً فيبقى كذلك الدهر الطويل والأعوام الجمة ثم أنه تبدو له بادية عنها فيرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصـر ولا هل تلك الم قال ة التي كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل في إبطالها ويناظر في إفسادها ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذي كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسـه أمـس وربما عاد إلى ما كان عليها أو خرج إلى قول ثالث قـال وا فدل هذا على فساد الأدلة وعلى تكافؤها جملة وإن كل دليـل فهو هادم الآخر كلاهما يهدم صاحبه و قال وا أيضاً لا يخلو من حقق شيئاً من هذه الديانات أو الم قال ات من أن يكـون صح له أو لم يصح له ولا سبيل إلى قسم ثالث قال وا فـإن

كان لم يصح له بأكثر من دعواه أو من تقليده مدعياً فليس هو أولى من غيره بالصواب وإن كان صح له فلا يخلو من أن يكون صح بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته أو صح له بدليل ما غير هذين ولا سبيل إلى قسم رابع فإن كان صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته فيجب أن لا يختلف في ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديهة العقل من أن ثلثة أكثر من اثنين وأنه لا يكون المرء قاعداً قائماً معاً بالعقل فلم يبق إلا أن يقولوا أنه صح لنا بدليل غير الحواس فنسألهم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم بالدعوى فلستم بأولى من غيركم في دعواه أم بالحواس وبدهة العقل فكيف خولفتم فيه هذا ولا يختلف في مدركاته أحد أم بدليل غير ذلك وهكذا أبداً إلى ما لا نهاية له قالوا وهذا ما لا مخلص لهم منه قالوا ونسألهم أيضاً عن علمهم بصحة ما هم عليه أيعلمون أنهم يعلمون ذلك أم لا فإن قالوا لا نعلم ذلك أحالوا وسقط قولهم وكفونا مؤونتهم لأنهم يقرون أنهم لا يعلمون أنهم يعلمون ما علموا وهذا هوس وإفساد لما يعتقدونه وإن قالوا بل نعلم ذلك سألناهم أبعلم علموا ذلك أم بغير علم وهكذا أبداً وهذا يقتضي أن

يكون للعلم علم ولعلم العلم علم إلى ما لا نهايـة لـه وهـذا عندهم محال.

قال أبو محمد: هذا كل ما موهوا به ما نعلم لهم شغباً غير ما ذكرنا ولا لهم متعلق سواه أصلاً قال أبو محمد: وكل هذا الذي موهوا به منحل بيقين ومنتقض بأبين برهـان بـلا كثير كلفة ولم نجد أحداً من المتكلمين السـالفين أورد بابـاً خالصاً في النقض على هذه الم قـال ة ونحـن إن شـاء ا تعالى ننقض كل ما موهوا به بـالبراهين الواضـحة وبـا تعالى التوفيق وذلك بعد أن نبين فساد معاقد هـذه الطوائـف المذكورة إن شاء ا عز وجل.

قال أبو محمد: فنقول وبا تعالى نتأيد أما الطائفـة المتحيرة فقد شهدت على أنفسها بالجهل وكفـت خصـومها مؤنتها في ذلك وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا من لم يتبين له الشيء غباراً على من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذي لا يشك أحد فيه فـي جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قـوم ولا أحمق ممن يقول لما جهلت أنا أمر كذا ولم أعرفع علمت أن كل أحد جاهل به كجهلي وهذه صفة هؤلاء القوم نفسـها

ولو ساغ هذا لأحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات إذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لا يتحجج فيه ولا يفهمه وإن طلبه هذا أمر مشاهد بالحواس فهم قد أقروا بالجهل وندعي نحن العلم بحقيقة ما اعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم أن ينظروا في براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظراً صحيحاً متقصي بغير هوى فلا بد يقيناً من أن يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد رب العالمين.

وأما من قطع بأن ليس هاهنا مذهب صحيح أصلاً فإن قوله ظاهر الفساد بيقين لا إشكال فيه لأنهم أثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة ما يدرك بالحواس وبأول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا أبطلوا حدوثه وأزليته معاً ولم يصححوا أن له خالقاً ولا أنه لا خالق له وأبطلوا كلا الأمرين وأبطلوا النبوة وأبطلوا إبطالها فقد خرجوا يقيناً إلى المحال وإلى أقبح قول السوفسطائية وفارقوا بديهة العقل وضرورته التي قد حققوها وصدقوا موجبها إذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل في أن كل ما لم يكن حقاً فهو

باطل وما لم يكن باطلاً فإنه حق وإن اثنين قال أحدهما فـي قضية واحدة في حكم واحد قال نعـم والآخـر لا فأحـدهما صادق بلا شك والآخر كاذب بلا شك هذا يعلـم بضـرورة العقل وبديهته وأما قول قائل هذا حق باطل معاً مـن وجـه واحد في وقت واحد وقول من قال لا حق ولا باطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل وبديهته فواجب بإقرارهم أن من قال أن العالم لم يزل و قال الآخر هو محـدث أن أحـدهما صادق بلا شك وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقيناً فساد هذه الـم قـال ة إلا أن يبطلـوا الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تلـك بـه السوفسطائية مما ذكرناه قبل وبا تعالى التوفيق وأمـا مـن مال إلى اللذات جملة فإنه إن كان من إحدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقيناً أنه على ضلال وخطـأ وباطـل وفساد في أصل معتقده الذي أداه إلى الإنهمـاك وإذا بطـل شيء بيقين فبيقين قد بطل ما تولد منه وإن مال إلـى أحـد الأقوال الآخر فكلها مبطل للزوم اللذات والإنهمـاك فصـح ضرورة بطلان هذه الطريقة وإن صار إلى تحقيق الدهريـة كلم بما تلكم به الدهرية مما قد أوضحناه والحمد وأما من

قال بإلزام المرء دين سلفه والدين الذي نشأ عليـه فخطـأ لا خفاء به لأننا نقول لمن قال بوجوب ذلك ولزومه أخبرنا من أوجبه ومن ألزمه فالإيجاب والإلزام يقتضي فاعلاً ضـرورة ولا بد منها فمن ألزم ما ذكرتم من أن يلزم المرء دين سـلفه أو الدين الذي نشأ عليه ا ألزم ذلك جميع عباده أم غير ا تعالى أوجب ذلك إما إنسان وإما عقل وإما دليل فإن قال بل ما ألزم ذلك إلى من دون ا تعالى قيل له إن مـن دون ا تعالى معصي مخالف مرفوض لا حق له ولا طاعة إلى من أوجب ا عز وجل له فيلزم طاعته لأن ا أوجبها لا لأنها واجبة بذاتها وليس من أوجب شيئاً دون ا تعالى بأولى من آخر أبطل ما أوجب هذا وأوجب بطلانه وفي هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون ا تعالى إلا جاهـل مغـرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ولا فرق وإن قال إن العقل ألزم ذلك قيل له أنك تدعي الباطل على العقل إذا دعيت عليه ما ليس فـي بنيته لأن العقل لا يوجب شيئاً وإنما العقل قوة تميز الـنفس بها الأشياء على ما هي عليه فقط ويعرف ما صح وجوبـه مما أوجبه من تلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من يجب طاعته ليس في العقل المراد به المتميز شيء غير

هذا أصلاً وأيضاً فإن قائل هذا مجاهر بالباطل لأنه لا يخلـو إن يكون يزعم أن العقل أوجب ذلك ببديهته أو ببرهان راجع إلى البديهة من قرب أو من بعد فإن ادعى أن العقل يوجـب ذلك ببديهته كابر الحس ولم ينتفع بهذا أيضاً لأنه لا يعجـز عن التوقح بمثل هذه الدعوى أحد في أي شـيء شـاء وإن ادعى أنه أوجب ذلك ببرهان راجع إلى العقل كاف المجـيء به ولا سبيل إليه أبداً فإن قال أن ا عز وجل أوجب ذلـك سئل الدليل على صحة هذه الدعوى التي أضافها إلى الباري عز وجل وهذا ما لا سبيل إليه لأن ما عند ا عز وجل من إلزام لا يعرف البتة إلا بوحب من عنده تعالى إلى رسول من خلقه يشهد له تعالى بالمعجزات وأما بما يضعه ا عز وجل في العقول وليس في شيء من هذين دليل على صحة دعوى هذا المدعي وأما احتجاجه بأنه هو الدين الذي اختراه ا عز وجل لكل أحد وأنشأه عليه فلا حجة له في هذا لأننا لم نخالفه في أن هذا درب على هذا الدين وخلقه ا عز وجل مع من دربه عليه بل نقر بهذا كما نقر بأن ا خلقه في مكان ما في صناعة ما وعلى معاش ما وعلى خلق ما وليس فـي ذلـك دليل عند أحد من العالم على أنه لا يجوز له فراق ذلك الخلق

إلى ما هو خير منه ولا على أنه لزمه لزوم المكـان الـذي خلق فيه والصناعة التي نشأ عليها والقوت الذي كبر عليه بل لا يختلف اثنان في أن له مفارقة ذلك المكان وتلك الصـناعة وذلك المعاش إلى غيرها وأن فرضاً عليه لزوال عن كل ذلك إذ كان مذموماً إلى المحمود من كل ذلك وأيضاً فإن جميـع الأديان التي أوبجها كلها هذا القائل وحقق جميعها فكل ديـن منها فيه إنكار غيره منها وأهل كل دين منها تكفر سائر أهل تلك الأحيان وكلهم يكذب بعضهم بعضاً وفي كل دين منهـا تحريم التزام غيره على كل أحد فلو كان كل دين منها لازماً أن يعتقده من نشاء عليه لكان كل دين منها حقاً وإذا كان كل دين منها حقاً منها يبطل سائرها وكل ما أبطله الحـق فهـو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضـرورة على قول هذا القائل أن جميع الأديان باطل وأن جميعها حق فجميعها حق باطل معاً فبطل هذا القول بيقين لا شـك فيـه والحمد رب العالمين وأما من قال أنني ألزم فعـل الخيـر الذي اتفقت الديانات والعقول على أنه فضـل وأجتنـب مـا اتفقت الديانات والعقول على أنه قبيح فقـول فاسـد ممـوه مضمحل أول ذلك أنه كذب ولا اتفقت الديانات ولا العقـول

على شيء من ذلك بل جميع الـ ديانات إلا الأقـ ل منهـ ا مجموعون على قتل من خالفهم وأخذ أموالهم وكل ديـ ن لا نحاشي ديناً قاتل بأحكام هي عند سائرها ظلم وأما المنانيـ ة فإنها وإن لم تقل بالقتل فإنها تقول بترك النكاح الذي هو مباح عند سائر الديانات ويقولون بإباحة اللياطة والسحق وسـ ائر الديانات محرمة لذلك فما اتفقت الديانات على شـ يء أصـ لاً ولا على التوحيد ولا على إبطاله لكن اتفقت الديانات علـ ى تخطئته وتكفيره والبراءة منه إذا لم يعتقد ديناً فبيناه بطلـ ب موافق جميع الديانات حصل على مخالفـ ة جميعهـ ا وهكـ ذا فليكن السعي المضال وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة للذات كارهة لما يتلازمه أهل الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشيء مجمع عليه ولم يحصل إلا على طمع خائب مخالفـ اً لجميـ ع الديانات غير متعلق بدليل لا عقلي ولا سمعي وقـ د قلنـ ا أن العقول لا توجب شيئاً ولا تقبحه ولا تحسنه وبرهان ذلك أن جميع أهل العقول إلا يسيراً فإنهم أصحاب شرايع وقد جاءت الشرائع بالقتل وأخذ المال وضرب الإنسان وذبح الحيوان فما قال قط أصحاب العقول أنها جاءت بخلاف ما في العقول ولا ادعى ذلك إلا أقل الناس ومن ليس عقله عياراً علـ ى عقـ ل

غيره ولو كان ذلك واجباً في العقول لوجده سائر أهل العقول كما قال وا هم سواء سواء فصح أن دعواهم علـى العقـول كاذبة في باب التقبيح والتحسين مجلة وهذا أكسر عام لنفس أقوالهم والحمد رب العالمين.

ثم نذكر إن شاء ا تعالى البـراهين علـى إبطـال حججهم الشغبة المموه بها وبا تعالى نتأيد.

قال أبو محمد: أما احتجاجهم بأن قال وا وجدنا أهل الديانات والآراء والم قال ات كل طائفـة تنـاظر الأخـرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الأخرى في مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيـان والتحيل والشغب فهم في ذلك كالمتحـاربين يكـون الظفـر سجالاً بينهم فصح أنه ليس ههنا قول ظاهر الغلبة ولو كـان ذلك لما أشكل على أحد ولا اختلاف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما هم يختلفـوا فـي الحساب وفي كل شيء عليه برهان لائح واللائح الحق على مرور الزمان وكثرة البحث وطول المناظرات قال وا ومـن المحال أن يبدو الحق إلى الناس ظاراً فيعاندوه بـلا معنـى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا سبب قـال وا فلمـا

بطل هذا صح أن كل طائفة تتبع أما ما نشأت عليه وأما مـا يخيل لأحدهم أنه الحق دون تثبت ولا يقـين قـال وا وهـذا مشاهد من كل ملة ونحلة وأن كان فيها ما لا يشك في بطلانه وسخافته.

قال أبو محمد: هذه جمل نحن نبين كل عقـد منهـا ونوفيها حقاً من البيان بتصحيح أو إفساد بما لا يخفي علـى أحد صحته وبا تعالى التوفيق أما قولهم أن كل طائفة مـن أهل الديانات والآراء يناظر فينتصف وربما غلبت هذه فـي مجلس ثم غلبتها الأخرى في مجلس آخر علـى قـدر قـوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب والتمويه فقـول صحيح إلا أنه لا حجة لهم فيه على ما ادعوه من تكافؤ الأدلة أصلاً لأن غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقـق وإن كانت له ولا يلتفت إليها وإن كانت عليه وإنما نحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانعون بأن ي قال غلب فـلان فلانـاً وأن فلانـاً لنظار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا بإبطال باطل فصح أن تغالب المتناظرين لا معنى له ولا يجب أن يعتـد بـه لا سيما تجادل أهل زماننا الـذين أمـالهم نـوب معـدودة لا

يتجاوزونها بكلمة وإما أن يغلب الصـليب الـرأس بكثـرة الصياح والتوقح والتشنيع والجعات وأما كثير الهـدر قـوي على أن يملأ المجاس كلاماً لا يتحصل منه معنى وأما الذي يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الأمور على ما هي عليه فهو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بهـا أهل فرقة في ذلك الباب فإذا نقضوها ولم يبقوا منهـا شـيئاً تأملوها كلها حجة حجة فميزوا الشـغبي منهـا والأقنـاعي فأطرحوهما وفتشوا البرهاني على حسب المقـدمات التـي بيناها في كتابنا الموسوم بالتقريب في مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس ببرهان وفي كتابنا هذا وفي كتابنا الموسوم بالأحكام في أصول الأحكام فإن مـن سـلك تلـك الطريق التي ذكرنا وميز في المبداء ما يعرف بأول التمييـز والحواس ثم ميز ما هو البرهان مما ليس برهاناً ثم لم يقبـل إلا ما كان برهاناً راجعاً رجوعاً صحيحاً ضرورياً إلى مـا أدرك بالحواس أو ببديهة التمييز وضرورة في كل مطلـوب يطلبه فإن سارع الحق يلوح له واضحاً ممتازاً من كل باطل دون إشكال والحمد رب العالمين وأما من لم يفعـل مـا ذكرنا ولم يكن وكده إلا نصر المسألة الحاضرة فقط أو نصر

مذهب قد ألفه قبل أن يقوده إلى اعتقاده برهان فلـم يجعـل غرضه إلا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعيد عـن معرفـة الحق من الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنـوا أن كل بحث ونظر مجراهما هذا المجرى الذي عهدوه ممـن ذكرنا فضلوا ضلالاً بعيداً وأما قولهم فصح أنه ليس هاهنـا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل علـى أحـد ولمـا اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل ما عليه برهان لايح فقول أيضاً مموه لأنه كله دعوى فاسدة بلا دليل وقد قلنا قبل في إبطال هذه الأقوال كلها بالبرهان بما فيه كفاية وهـذا لا يمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقـول جملة أن من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مايل بهوى ولا ألف ولا نفار ولا كسل فمضمون له تمييز الحـق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال أقليـدس فإنـه لا أشكال في جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن ي قال له سل عن شكل شكل تخبر ببرهانه أو كمن سأل ما النحو وأراد أن يوقف على قوانينه جملة فإن هذا لا يمكن بأكثر مـن أن ي قال له هو بيان حركات وحروف يتوصـل باختلافهـا إلـى

معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا إلى إثباته جملة إلا بالأخذ معه فـي مسـألة مسألة وهكذا في هذا المكان الذي نحن فيه لا يمكن أن نبـين لك برهانها بحول ا تعالى وقوته ثم نقول لمـن قـال مـن هؤلاء أن ههنا قولاً صحيحاً واحداً لا شك فيه أخبرنا من أين عرفت ذلك ولعل الأمر كما يقول من قال أن جميع الأقـوال كلها حق فإن قال لا لأنها لو كانت حقاً لكان محالاً ممتنعـاً لأن فيها إثبات الشيء وإبطاله معاً ولو كان جميعها بـاطلاً لكان كذلك أيضاً سواء سواء وهو محال ممتنع لأنه فيه أيضاً إثبات إثبات الشيء وإبطاله معاً ولو كان جميعها باطلاً لكان كذلك أيضاً سواء سواء وهو محال ممتنع لأن فيه أيضاً إثبات الشيء وإبطاله معاً وإذا ثبت إثبات الشيء بطل إبطاله بـلا شك وإذا بطل إثباته ثبت إبطاله بلا شك فإذ قد بطل هـذان القولان بيقين لم يبق بلا شك إلا أن فيه حقاً بعينـه وبـاطلاً بعينه قلنا له صدقت وإذا الأمر كما قلت فإن هذا العقل الذي عرفت به في تلك الأقوال قولاً صحيحاً بلا شك به تميز ذلك القول الصحيح بعينه مما ليس بصحيح لأن الصـحيح مـن الأقوال يشهد له العقل والحواس ببراهين ترده إلـى العقـل

وإلى الحواس رداً صحيحاً وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ إلى العقل وإلى الحواس وهـذا بـين والحمـد رب العالمين.

وأما من أبطل أن يكون في الأقوال كلها قول صحيح فقد أخبرنا أنه مبطل للحقائق كلها متناقض لأنه يبطل الحـق والباطل معاً وبا تعالى التوفيق أما قولهم لو كان ههنا قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم ولا في الحساب فإن هذا قـول فاسـد لأن أشكال الشيء على من أشكل عليه إنما معناه أنه جهل حقيقة ذلك الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على مـن علـم برهان هذا أنه ليس في العالم شيء إلا ويجهله بعض النـاس كالمجانين والأطفال ومن غمرة الجهال والبلادة ثم يتزيد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئاً لا تفهمه المجانين وتفهم أخرى ما لا تفهمه هؤلاء وهكذا إلى أرفع مراتب العلم فكلما اختلف فيه فقد واقف على الحقيقة فيه من فهمه وإن كان خفـي علـى غيره هذا أمر مشاهد محسوس في جميع العلوم وآفة ذلك ما قد ذكرنا قبل وهو إما قصور الفهم والبلادة وإما كسل عـن تقصي البرهان وإما لألف أو نفار قعدا بصاحبهما عن الغاية

المطلوبة أو تعدياها وهذه دواعي الاختلاف في كل ما اختلف فيه فإذا ارتفعت الموانع لاح البرهان بيقين فبطل ما شغبوا به والحمد رب العالمين.

وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقـولهم فقـول غيـر مطـرد والسبب في انقطاع اطراده هو أنه ليس في أكثر ما يـدرك بالحواس وبداية العقول شيء يدعو إلـى التنـازع ولا إلـى تقليديتها لك في نصره أو إبطاله وكذلك في الحساب حتى إذا صرنا إلى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أو بأوائل التمييز وجد فيه من التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضـرورات كالذي يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستلاكهم فـي أن المسيح له طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ثم منهم من يقـول أن تلك الطبيعتين صارتا شيئاً واحداً وصار اللاهوت ناسوتاً تاماً محدثاً مخلوقاً وصار الناسوت ألهاً تاماً خالقاً غيـر مخلـوق ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج البطانة والظهارة وهذا حمق ومحـال يدرك فساده بأول العقل وضرورته وكما تهالكـت المنانيـة على أن الفلك في كل أفق من العالم لا يدور إلا كمـا يـدور

الرحى وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالكـت اليهـود على أن النيل الذي يحيط بأرض مصـر وزويلـة ومعـادن الذهب وأن الفرات المحيط بأرض الموصل مخرجهما جميعاً من عين واحدة من المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على أن الولادة من إنسان وأن مدينة واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والأرض وكتهالك جميع العامة على أن السماء مستوية كالصحيفة لا مقبية مكورة وأن الأرض كذلك أيضاً وأن الشمس تطلع على جميع الناس فـي جميع الأرض في ساعة واحدة وتغرب عنهم كـذلك وهـذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك الأشعرية وغيرهم ممن يـدعي العلم والتوفيق فيه أن النار لا حر فيها وأن الثلج لا برد فيـه وأن الزجاج والحصا لهما طعم ورائحة وأن الخمر لا يسكر وأن ههنا أحوالاً لا معدومة ولا موجودة ولا هـي حـي ولا هي باطل ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه وبطلانه بالحواس وبـأول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل في وعـم أحد ولو أننا شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا أن مـن لـه مسكة عقل ينطلق لسانه بهذا الجنون وكتهالك طوائف علـى

أن اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لا
ههو الآخر ولا هو غيره وكالسوفسطائية المنكـرة للحقـائق
وأما الحساب فقد اختلف له في أشياء من التعديل ومن قطـع
الكواكب وهل الحركة لها أو لأفلاكها وأما الـذي لا يخلـو
وقت من وجوده فخطأ كثير من أهل الحسـاب فـي جمـع
الأعداد الكثيرة حتى يختلفوا اختلافاً ظاهراً حتـى إذا حقـق
النظر يظهر الحق من الباطل وهذا نفس ما يعرض في كـل
ما يدرك بالحواس فظهر بطلان تمـويههم وتشـبيهم جملـة
والحمد رب العالمين وصح ما أنكروه من أن كثيراً مـن
الناس يغيبون عن اعتقاد ما شهدت له الحـواس وينكـرون
أوائل العقول ويكابرون الضرورات أما أنهم كسلوا عن طلب
البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لأنهم زلوا عن طريق البرهان
وظنوا أنهم عليه وأما لأنهم ألفوا ما مالت إليه أهواؤهم لألف
شيء ونفار عن آخر وأما قولهم وللاح الحق علـى مـرور
الأزمان وكثرة البحث وطول المناظرات في قال لهم وبـا
تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان ظن الباطل وأن كـان
كل طائفة تدعيه فإن من نظر على الطريق التي وصفنا صح
عنده المحق المدعي من المبطل وبا تعالى التوفيـق وأمـا

قولهم ومن المحال أن يبدو الحق إلى الناس فيعـاندوه بـلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخر بلا معنى فقول فاسد لأنا قد رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها إلى الانـس فعانـده كثير منهم وبذلوا مهجعهم فيه وكأنهم ما شاهدوا الأمر الذي ملأ الأرض من المقاتلين الذين يعرفون بقلـوبهم ويقـرون بألسنتهم أنهم على باطل يقتتلون ويعترفون بأنهم بلغوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وأديانهم ويوتمـون أولادهـم ويرملـون نساءهم في قتال عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرئ منهم في ذاته تقصيراً به لو لم يقاتل أو لم يروا كثيراً من الناس يأكلون أشـياء يوقنـون بأنهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر وهم يقرون أنها قد آذنتهم وأفسدت أمزجتهم وأنها تؤديهم إلى الـتلاف وهـم يقرون مع ذلك أنهم عاصون تعالى وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصي في النار المحقيين لذلك يقر على نفسـه أنـه يفعل ما يخلد به في النار فإن قال وا أن هؤلاء يستلذون مـا يفعلون من ذلك قلنا لهم أن استلذاذ من يدين بشيء ما يبصره لما يدين به وتعصبه له أشد من استلذاذ الأكل والشرب لمـا يدري أنه يبلغه من ذلك نقول لهم أخبرونا عن قولكم هذا أنه

ليس ههنا قول سطعت حجته ولو كان لما اختلاف الناس فيـه أحق وهي هذه القضية التي قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا فإن قال وا لا أقروا بأن قولهم لـم تصح حجته ولا لاح برهانه وأنه ليس حقاً مـا قـال وه وإن قال وا بل هو حق قد لاحق حجته قلنا لهم فكيف خولفتم فـي شيء لاحت حجته حتى صار أكثر أهل الأرض يعمون عماً لا شك فيه عندكم وعن ما لاح الحق فيه حتى اعتقدوا فـيكم الضلال والكفر وإباحة الدم وهذا هو نفس مـا أنكـروا قـد صرحوا أنه حق والحمد رب العالمين وأمـا احتجـاجهم بانت قال من ينتقل من مذهب إلى مذهب وتهالكه في إثباتـه ثم تهالكه في إبطاله ورومهم أن يفسدوا بهذا جميع البـراهين فليس كما ظنوا لأن كل متنقل من مذهب إلى مذهب فلا يخلو ضرورة من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون انتقل من خطأ إلى خطأ أو من خطأ إلى صواب أو من صواب إلى خطـأ وأي ذلك كان فإنما أتى في الانت قال ين الاثنين الذين هما إلـى الخطأ من أنه لم يطلب البرهان طلباً صحيحاً بل عاجزاً عنه بأحد الوجوه التي قدمنا قبل وأما الانت قال إلى الصواب فإنه وقع عليه بحد صحيح وطلب صحيح أو بحد وبحـث وهـذا

يعرض فيما يدرك بالحواس كثيراً فيرى الإنسان شخصياً من بعيد فيظنه فلاناً ويحاف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له أنـه ليس هو الذي ظن وقد يشم الإنسان رائحة يظنها من بعـض الروائح ويقطع على ذلك ويحاف عليه مجداً ثم يتبين له أنـه ليس هو الذي ظن وهكذا في الذوق أيضاً وقد يعرض هذا في الحساب فقد يغلط الحاسبون في جمع الأعداد الكثيرة فيقـول أحدهم أن الجميع من هذه الأعداد كذا وكذا ويخالفه غيره في ذلك حتى إذا بحثوا بحثاً صحيحاً صح الأمـر عنـدهم وقـد يعرض هذا للإنسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاه طلباً مردداً المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديـه ونصب عينيه ثم يجده في أقرب مكان منه وقد يكتب الإنسان مستملياً أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجـب ألا يصح شيء بإدراك الحواس أبـداً ولا إلا يصـح وجـود الإنسان شيئاً افتقده أبداً ولا ألا يصح جمع الأعداد أبداً ولا ألا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبداً لا مكـان وجـود الخطأ في بعض ذلك لكن التثبيت الصحيح يليح الحـق مـن الباطل وهكذا كل شيء أخطأ فيه ولا بد من برهـان يلـيح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل أن هذه المعـاني كلهـا

حجة لمبطلي الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قـاطع لأن كل ما ذكرنا لا يختلف حس أحد في أن كل ذلك إذا فـتش تفتيشاً صحيحاً فإنه يقع اليقين والضرورة بأن الوهم فيها غير صحيح وأن الحق فيها ولا بد فبطل تعلقهم بمن رجـع مـن مذهب إلى مذهب ولم يحصلوا إلا على أن قال وا أنا نـرى قوماً يخطئون فقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فإقرارهم بوجود الخطأ موجب ضرورة أن ثم صواباً لأن الخطأ هو مخالفـة الصواب فلو لم يكن صواباً لم يكن خطأ ولو لم يكن برهان لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس اسـتدلالهم علـيهم فنقول لهم وبا تعالى نتأيد فإذ قد وجدتم من يعتقد ما أنـتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم أن مذهبكم هذا كالأقوال الأخـر التي أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد في الحقيقة وهو في ظنكم صحيح فهو لكم لازم لأنكم صححتموه ولا يلزمنا لأننا لا نصححه ولا صححه برهان.

قال أبو محمد: وبهذا الذي قلنا يبطل ما اعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمنتحلين

الكلام في مذاهبهم وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضاً في اختيارهم لأننا لم ندع أن طبائع الناس سليمة مـن

الفساد لكنا نقول أن الغالب على طبائع الناس الفســاد فــإن المنصف لنفسه أولاً ثم لخصمه ثانياً الطالب بالبرهان علــى حقيقة العارف به فدليل برهاننا على هذا مــا وجــدناه مــن اختلاف الناس واختلافهم كثيراً دليل على كثرة الخطاء منهم وقد وضحنا أن وجود الخطــاء يقتضــي ضــرورة وجــود الصواب منهم ولا بد وليس اختلافهم دليلاً على أن لا حقيقة في شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجــود الســبيل إلــى معرفة الحق وبا تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بأنه لا يخلو من حقق شيئاً من الديانات والم قال ات والآراء من أن يكون صح له بالحواس أو بالعقل أو ببعضــها أو ببديهــة العقــل وضرورته أو بدليل من الأدلة غير هذين وأنــه لــو صــح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه وإلزامهم في الــدليل مثــل ذلك إلى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضي الكلام فيه وقد أريناهم أنه قد يختلف الناسفيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم في الشخص يرونه ويختلفون فيه مــا هــو وفــي الصوت يسمعونه بينهم فيما هو ويختلفــون فيــه وكــأقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقــول لهم أن أول المعارف هو ما أدرك بالحواس وببديهة العقــل

وضرورته ثم ينتج براهين راجعة من قرب أو من بعد إلـى أول العقل أو إلى الحواس فما صححته هذه البراهين فهو حق وما لم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثـم نعكـس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبا تعالى التوفيق قولكم هذا بأي شيء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غيرهما فإن علمتموه بالحواس أو العقول فكيف خولفتم فيه وإن كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه أبالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبداً وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد وعلى أن هذا لهم لازم لأنهم صححوه ومن صحح شيئاً لزمه ونحن لم نصحح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد أجبنا عنـه بمـا دفعه عنا وأما هم فلا مخاص لهم منه وبا تعالى التوفيـق وأما قولهم نسألهم عن علمهم بما يدعون صحته أتعلمونـه أم لا فإن قالوا لا نعلمه بطل قولهم إذا قروا بأنهم لا يعلمونـه وإن قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبداً فهذا أمر قد أحكمنا بيان فسـاده فـي بـاب أفردناه في ديواننا هذا على أصـحاب معمـر فـي قـولهم بالمعاني وعلى الأشعرية ومن وافقهم من المعتزلة في قولهم بالأحوال وإنما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الأدلة.

قال أبو محمد: وهذا السؤال نفسه مردوده عليهم كما هو ونسألهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لا فإن قـال وا لا أقروا بأنهم لا يعلمون صحته وفي هذا إبطاله وا وإنما هو ظن لا حقيقة وإن قال وا بل نعلمه سألناهم أبعلم تعلمونه أم بغير علم وهكذا أبـداً إلا أن أن السـؤال لازم لهـم لأنهـم صححوه ومن صحح شيئاً لزمه وأما نحن فلم نصححه فـلا يلزمنا وقد أجبنا عنه في بابه بأننا نعلم صحة علمنا بعلمنـا ذاك بعينه لا بعلم آخر ونعقل أن لنا عقلاً بعقلنا ذلك بنفسـه وإنما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لا من يقـول بتكـافؤ الأدلة فبطل كل ما موهوا به والحمد رب العالمين.

قال أبو محمد: ثم نقول لهم أنتم قد أثبتم الحقائق وفي الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمـتم أنهم مخطئون في ذلك ببراهين وفي الناس من يبطلها ومـن يشك فيها ما أبطلتموه أو شككتم فيه من أن في مذاهب الناس مذهباً صحيحاً ظاهر الصحة فإذا سأل عنها أجيب بهـا فـي مسألة مسألة.

قال أبو محمد: وي قال لمن قال لكل ذي ملة أو نحلة أو مذهب لعلك مخطئي وأنت تظن أنك مصـيب لأن هـذا

ممكن في كثير من الأقوال بلا شك أخبرنا أفي النـاس مـن فسد دماغه وهو يظن أنه صحيح الدماغ فإن أنكر ذلك كـابر ودفع المشاهدات وإن قال هذا ممكن قيل له لعلك أنـت الآن كذلك وأنت تظن أنك سالم الدماغ فإن قـال لا لأن هاهنـا براهين تصحح أني سالم الذهن قيل له وهاهنا براهين تصحح الصحيح من الأقوال وتبينه من الفاسد فإن سأل عنها أجبـت بها في مسألة مسألة.

قال أبو محمد: فإذا قد بطل بيقين أن تكـون جميـع أقوال الناس صحيحة لأن في هذا أن يكون الشـيء بـاطلاً وحقاً معاً وبطل أن تكون كلها باطلاً لأن في هذا أيضاً إثبات الشيء وضده معاً لأن الأقوال كلها إنما هي نفي شيء يثبتـه آخر من الناس فلو كان كلا الأمرين باطلاً لبطل النفي فـي الشيء وإثباته معاً وإذا بطل إثباته صح نفيه وإذا بطل نفيـه صح إثباته فكان يلزم من هذا أيضاً أن يكون الشـيء حقـاً باطلاً معاً ثبت بيقين أن في الأقوال حقاً وباطلاً وإذ هـذا لا شك فيه فبالضرورة نعرف أن بين الحـق والباطـل فرقـاً موجوداً وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عـرف الحق من الباطل وبا تعالى التوفيق فإن قال قائـل فـإنكم

محيلون علي براهين تقولون أن ذكرهـا جملـة لا يمكـن وتأمرون بالجد في طلبها فما الفـرق بيـنكم وبـين دعـاة الإسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنا لهـم الفرق بيننا وبينهم برهانان واضحان أحدهما أن القوم يأمرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل أن يعرفوا براهينهم ونحن لا نفعل هذا بل ندعوا إلى معرفة البراهين وتصحيحها قبـل أن نصدق فيما نقول والثاني أن القوم يكتمون أقوالهم وبراهينهم معاً ولا يبيحونها للسبر والنظر ونحن نهتف بأقوالنا وبراهيننا لكل أحد وندعوا إلى سبرها وتقييسها وأخـذها إن صـحت ورفضها إن لم تصح والحمد رب العالمين ولسنا نقول إننا لا نقدر أن نحد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقـدر علـى ذلك وهو أن البرهان المفرق بين الحق والباطل في كل مـا اختلفوا فيه أن يرجع رجوعاً صحيحاً متيقناً إلى الحـواس أو إلى العقل من قرب أو من بعد رجوعاً صحيحاً لا يحتمل ولا يمكن فيه إلا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وإن لـم يرجع كما ذكرنا إلى الحواس أو إلى العقل فليس برهانـاً ولا ينبغي أن تشتغل به فإنما هو دعوى كاذبـة وبـا تعـالى التوفيق وبهذا سقط القياس والتقليد لأنه لا يقدر القائلون بهما

على برهان في تصحيحهما يرجع إلى الحواس أو إلى العقل رجوعاً متيقناً.

قال أبو محمد: ونحن نقول قـولاً كافيـاً بعـون ا وقوته وهو أن أول كل ما اختلف فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وأن له محدثاً واحداً لـم يـزل ومـن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى ا عليه وسـلم فإن براهين كل ذلك راجعة رجوعاً صحيحاً ضرورياً إلـى الحواس وضرورة العقل فما لم يكن كذا فليس بشيء ولا هو برهاناً وإن كان ما اختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملها فإن براهين كل ذلك راجعة إلى ما أخبر به رسول ا صلى ا عليه وسلم عن ا تعالى إذ هو المبعوث إلينا بالشـريعة فما لم يكن هكذا فليس برهاناً ولا هو شيئاً وفي أول ديواننـا هذا باب في ماهية البراهين الموصلة إلى معرفة الحقيقة في كل ما اختلف الناس فيه فإذا أضيف إلى هذا ارتفع الإشـكال والحمد رب العالمين.

الكلام في الألوان

قال أبو محمد: الأرض غبراء وفيها حمراء بيضـاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض إلا أن

يكتسب لوناً بما استضاف إليه لفرط صفائه فيكتسى لون إنائه أو ما هو فيه وإنما قلنا أنه أبيض لبراهين أحدها أنه إذا صب في الهواء بهرق ظهر أبيض صافي البياض والثاني في أنـه إذا جمد فصار ثلجاً أو برداً ظهر أبيض شديد البياض وأمـا الهواء فلا لون له أصلاً ولذلك لا يرى لأنه لا يرى إلا اللون وقد زعم قوم أنه إنما لا يرى لانطباقه على البصـر وهـذا فاسد جداً وبرهان أن المرء يغوص في الماء الصافي ويفتح عينيه فيه فيرى الماء وهو منطبق على بصره لا حائل بينهما ولا يرى الهواء في تلك الحال وإن استلقي على ظهره فـي الماء وهذا أمر مشاهد وأما الذي يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فإنما هو أن الأجسام تنحل منها أبداً أجـزاء صغار وهي التي تسمي الهباء فإذا انحصـر خـط ضـياء الشمس وقع البصر على تلك الأجزاء الصغار وهي متكاثفـة جداً ولونها الغبرة فهي التي ترى لا ما سواها ومن تأمل هذا عرفه يقيناً وإن البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل مـن الأرض والثياب والأبدان وسائر الأجرام ولكن لدقتها لا ترى إلا أن انحصر خط الشمس فيرى ما في ذلك الانحصار منها فقط وأم النار فلا ترى أيضاً لأنه لا لون لها في فلكهـا وأم

المرئية عندنا في الحطب والفتيلة وسائر ما يحترق فإنما هي رطوبات ذلك المحترق يستحيل هواء فيه نارية فتكتسب ألواناً بمقدار ما تعطيها طبيعتهـا فتراهـا خضـراء ولازورديـة وحمراء وبيضاء وصفراء وبا تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائرة قوس قزح.

قال أبو محمد: أجمع جميع المتقدمين بعـد التحقيـق بالبرهان على أنه لا يرى إلا الألوان وإن كل ما يرى فليس إلا لوناً وحدوا بعد ذلك البياض بأنه لون يفرق البصر وحدوا السواد بأنه لون قال أبو محمد: وهذا حد وقعت فيه مسامحة وإنما خرجوه على قول العامة في لون السواد ومعنى يجمـع البصر أنه يقبضه في داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومـن تشكل المرئيات وإذ هذا معنى القبض بلا شك فهو معنى منع البصر والإدراك وكفه ومن هذا سمى المكفوف مكفوفاً فـإذا السواد يمنع البصر من الانتشار ويقبضه عن الانبساط ويكفه عن الإدراك وهذا كله معنى واحد وإن اختلفت العبارات في بيانه فالسواد بلا شك غير مرئي إذ لو رؤى لم يقبض خـط البصر إذ لا رؤية إلا بامتداد البصر فإذ هـو غيـر مرئـي فالسواد ليس لوناً إذ اللون مرئي ولا بد ما لم ير فليس لوناً

وهذا برهان عقلي ضروري وبرهان آخر حسـي وهـو أن الظلمة إذا أطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السـالم الناظرين وبين الأعمى المنطبق والمسدود العينين سداً أو كفاً فإذ ذلك كذلك فالظلمة لا ترى ومن الباطل الممتنع أن تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم أن المنطبق العينين فيهـا بمنزلـة واحدة من عدم الرؤية ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هي السواد نفسه فمن ادعى أنهما متغاير إن فقد كـابر العيـان وادعى ما لا يأتي عليه بدليل أبداً ونحن نجد أن لو فتح فـي حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على أحـدهما سـتر أسـود وتركت الأخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعـد بينهمـا أصلاً ولو جعل على أحدهما ستر أحمر أو أصفر أو أبـيض لتبين ذلك للناظر يقيناً من بعد أو قرب وهذا بيان أن السـواد والظلمة سواء وبرهان أخر حسي وهو أن خطوط البصر إذ استوت فلا بد من أن تقع على شيء ما لم تقف فيه مانع من تماديها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيهـا لا يقـع بصره على حائط إن كان في الظلمة وسواء كان فيها حـائط مانع من تمادي خط البصر أو لم يكن فصح يقيناً أن الظلمـة لا ترى بل هي مانعة من الرؤية والظلمة هي السواد والسواد

هو الظلمة لم يختلف قط في هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعة ولا في معنى ا ولا بالمشاهدة فقد صح أن السواد لا يـرى أصلاً وأنه ليس لوناً.

قال أبو محمد: وإنما وقع الغلط على مـن ظـن أن السواد يرى لأنه أحس بوقوع خطوط البصر على ما حوالي الشيء الأسود من سائر الألوان فعلم بتوسط إدراكه ما حوالي الأسود أن بين تلك النهايات شيئاً خارجاً عن تلـك الألـوان فقدر أنه يراه ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا بظنـونهم من الجهة التي ذكرنا أنهم يرون الحركـات والسـكون فـي الأجرام والأمر في كل ذلك وفي الأسود واحد ولا فرق فإن قال قائل أنه إن كان في جسم الأسود زيـادة ناتئـة سـوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم تعلم بنتوء تلك الهيئة الناتئة له على سطح جسده قيل له وبا تعالى التوفيق هـذا أيضـاً وهم لأنه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة الناتئة له وامتدت سائر الخطوط إلى أبعد من تلك المسافة وعلمـت النفس بذلك توهم من لم يحقق أن هذه رؤية وليسـت كـذلك وتوهموا أيضاً أنهم يرون السواد ممازجاً لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقة فإذا كان هذا هكذا فإن البصـر

يرى ما في ذلك السطح من هذه الألوان على حسب قوتهـا وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك أنهم رأوا السواد ويتوهمون أيضاً أنهم يرونه لأنهم قال وا نحن نميـز الأسـود البـراق البصيص واللمعان من الأسود الأكدر الغليظ.

قال أبو محمد: وهذا مكان ينبغي أن نتثبت فيه فنقول وبا تعالى التوفيق أن الأملاس هو استواء أجزاء السـطح والخشونة هي تباين أجزاء السطح وقد نجـد أملـس لماعـاً وأملس كدراً فإذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شيء أخيـر غير استواء أجزاء السطح وإذ هـو كـذلك وهـو مرئـي فالبصيص بلا شك لون آخر محمول في الملون بالحمرة أو الصفرة أو سائر الألوان وفيما عري من جميع الألوان سواء فإذا قلنا أسود لماع فإنما نريد أنه ليس فيه مـن الألـوان إلا اللمعان فقط فهو لون صحيح وقد عرى من الحمـرة ومـن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة وممـا تولـد مـن امتزاج هذه الألوان ولعل الكدرة أيضاً لـون آخـر مرئـي كاللمعان وهي أيضاً غير سائر الألوان فهذا ما لا يوجد مـا يمنع منه بل الدليل يثبت أن الكدرة أيضاً لون لون وهو وقوع البصر عليها وهو لا يقع إلا على لون ومن أبى مـن هـذا

كلفناه أن يحد لنا اللمعان والكدرة فإنه لا يقدر على شـيء أصلاً غير ما قلنا وبا تعالى التوفيق فإن قال قائل فإنا نرى الثوب الأسود يستبين نسج خيوطه ونتـوء مـا نتـأ منهـا وانخفاض ما انخفض فلولا أنه يرى ما علم ذلك كله فالجواب وبا تعالى التوفيق أنا قد علمنا أن خطوط البصر تخرج من الناظر ولها مساحة ما وبعضها أطول من بعض بلا شك لأن الخطوط الخارجة من البصر إلى السماء أطول من الخطوط الخارجة من البصر إلى الجليس اك بلا شك فلمـا خرجـت خطوط البصر إلى الثوب المذكور انقطع تمادي بعضها أكثر من تمادي البعض فبالحس علمنا هذا لا لأن بصرنا وقع على لون أصلاً وأيضاً فإن النور هو اللون الذي طبعه بسط قـوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى أنـه إذا وافـق نـاظراً ضعيف البنية بطبعه أو بعرض اجتاب جميعه واستلبه كله أو اقتطفه فعلى قدر قوة النور في اللون المرئي وضـعفه فيـه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكلمـا قـل النور في اللون كان وقوع البصر عليـه أضـعف وكانـت الرؤية له أقل حتى إذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل بالضرورة أن يمتد خطوط البصر إليه وأن يقع النـاظر

عليه إذ لا نور فيه ولا يختلف ذو حس في العـالم فـي أن السواد المحض الخالص ليس فيه شيء من النور فإذ لا شك في هذا فلا شك في أنه لا يرى وبا تعالى التوفيق وأيضـاً فإن جبلاً ذا لون ما وأرضاً ذات لون ما وفيهمـا غـاران مظلمان لا شك أن كل ناظر إليهما فإنه لا يرى إلا ما حـول الغارين وأنه لا يرى ما ضمه خط الغارين فإذ هـذه كلهـا براهين ضرورية مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لا يعارضـه برهان أصلاً والبرهان لا يعارض بالـدعوى ولا بـالظنون والحمد رب العالمين وأما من كلام ا تعالى فا يقول " ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها " وقوله تعالى " يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشـوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا " فصح يقيناً أن الظلمة مانعة مـن النظر والرؤية جملة وهو السواد بلا شك فهو لا يـرى ولا خلاف في أن البصر القليل يداوى بالثوب الأسود والقعود في الظلمة وليس ذلك غلا لمنعه من امتداد خط بصـره فيكـل بامتداده وبا تعالى التوفيق فإن قيل السواد غير الظلمة قلنا إنا نجد الأرمد الشديد الرمد متى صار في بيت مظلم شـديد الانطباق لا يدخله شيء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسـب

طاقته ولم يألم بالنظر إليه ومتى جعلناه في بيـت مضـيء وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جداً أسود أمكنه فتح عينيـه حسب طاقته ولم يألم بالنظر إليه وكانت حاله فـي تغطيـة وجهه بذلك الثوب كحاله في الظلمة التامة سواء سواء وكذلك يعرض للصحيح البصر في الحالتين المذكورتين ولا فـرق ومتى جعلنا على بصر الأرمد ثوباً أبيض ألم ألماً شديداً كلله إذا نظر في الضوء ولا فرق فإن جعلنا علـى وجهـه ثوبـاً أصفر ألم دون ذلك وإن كان أحمر ألم دون ذلك فـإن كـان أخضر ألم دون ذلك على قدرهما في اللون مـن ممازجـة البياض له فصح أن السواد والظلام شيء واحد و قال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة وهـو لا يـرى الآن الزنجـي والغراب والثوب ليس شيء من ذلك أسود وكل ذلـك يـرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد إلا أنـه باسـم السـواد مجازاً و قال بعضهم السواد اسم مشترك يقع علـى الظلمـة ويقع على لون الزنجي والغراب والثوب فكل ظـلام سـواد وليس كل سواد ظلاماً فإن عنيت بالسـواد لـون الزنجـي والغراب والثوب فهو يرى وهو غيـر الظلمـة وإن عنيـت بالسواد الظلمة فهو لا يرى و قال بعضهم الظلمـة لا تـرى

وليست سواداً أصلاً والسواد شيء آخر غير الظلمة وهو لون يرى و قال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بأن الأعمى والأكمة والمفقـوء العينـين والمطبـق العينين يرى الظلمة.

الكلام في المتوالد والمتولد

قال أبو محمد: الحيوان كله ينقسم أقساماً ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالـث يتوالـد ويتولد أيضاً فأما المتولد المتوالد فكبنات ردان فإنها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكالجعلان فإنها تتولد وقـد رأيناهـا تتسـافد وكثير من الحيوان المتولد في النبات وقد رأيناه يتسافد ومثل القمل فإنا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد يانا ويحدث فـي الرؤوس وقد يتوالد وقد نجد بعضه إذا قطع مملوء بيضاً وأما المتولد الذي لا يتوالد فالحيوان المتولد في أصـول أشـفار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذو أرجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصـلاً ومثل الصفار المتولد في البطن وشحمة الأرض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغاراً تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوءة ومنهـا الثلمانديـة وهـو

حيوان كبير يشبه الجراذين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثلما كثيراً رأيناه في الدوى والدفاتر وهو سريع المشي جداً ومنها السوس المتولد في الباقلا والدود المتولد في الجراحات وفـي الحمص والبلوط وفي التفاح وبين الحشيش وبين الصـنوبر وفي الكنف وهي ذوات الأذناب والحباحـب المتولـد فـي الخضر وهو في غاية الحسن ومنه ما يضيء بالليـل كأنـه شرارة نار والدود ذوات الأرجل الكثيرة لذاراريح وهذا كثير لا يحصيه لا خالقه عز جل ومنها الضفادع والحجازب فقـد صح عندنا يقيناً لا مجال للشك فيه أنها تتولد في منافع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات أذناب تمشي عنـدنا ثم صح عندنا كذلك أنها تكبر فتقطع أذنابها وتتبدل ألوانهـا وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضـفادع ثـم تزيـد كبـراً واستحالة ألوان فتصير حجازب.

قال أبو محمد: قد رأيتها في جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا في منافع المياه خطوط ظاهرة قيل لنا أنها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عياناً تتناكح والأنثى منها هي الكبار والذكور هي الصغار وشـاهدنا البراغيـث

تتناكح أيضاً والكبار هي الأنثى والذكور هي الصغار نشاهد ذلك بأن الأعلى هو الصغير أبداً ونجد الأنثى مملوءة بيضـاً إذا وضعت فتلقي في قال أبو محمد: وقد رأينا ذباباً صـغيراً جداً وذباباً كباراً مفرط الكبر وشاهدنا بأبصارنا الدور الطويل الذنب المتولد في الكنف وزبول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشاً طياراً مختلف الألوان بديع الخلقة من ابيض وأصـفر فاقع وأخضر ولازوردي منقط ولا ندري كيف الحـال فـي العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر إلا أننا ندري أن دود الحرير يتوالد يتسافد الذكور منها والأناث وتبيض ثم تحضن بيضها هذا ما لا خلاف فيه وما رأى أحد قـط دود حرير يتولد من غير بيضه وكذلك النمل فإنه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد في مواضع من بنائه في تضاعيف القبر الذي فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد.

قال أبو محمد: وما رأى أحد قط نحلاً يتولد ولا نملاً يتولد ولا جراداً يتولد إلا في أكذوبات لا تصح وأمـا سـائر الحيوان فمتوالد ولا بد من مني أو بيض فكل ذي أذن بارزة يلد طائراً كان أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ما ليس له

أذن بارزة فهو يبيض طائراً كان أو غير طـائر كالحيـات والجراذين والوزغ وغير ذلك.

قال أبو محمد: فطلبنا أن نجد حداً يجمع مـا يتولـد دون ما يتوالد أو ما يتوالد دون ما يتولد فلم نجد إلا أننا رأينا كل ذي عظم وفقارات لا سبيل البتة إلى أن يوجد من غيـر تناكح كحيوان البحر الذي له العظم والفقارات ورأينا مـا لا عظم له ولا فقار فمنه ما يتولد ولا يتوالد ومنـه مـا يتولـد ويتوالد معاً وكل ذلك خلق ا عز وجل يخلق ما يشاء كمـا شاء لا إلى إلا هو وليست القدرة في الخلق في خلق ما خلقه ا عز وجل حيواناً ذا أربع أو ذا ريش من بيضـة أو مـن مني بأعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة ولا مني ولا البرهان عن الصنع والابتـداء فـي إحـداهما بأوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقـة وعلى عظيم القدرة من الباري لا إله إلا هو.

قال أبو محمد: وقد ادعى قوم أنه يتولد فـي الـثلج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل وإنما قاسوه على تولد حيوان ما في الأرض والماء والقياس باطل لأنـه

دعوى بلا برهان وما لا برهان له فليس بشيء وبا تعـالى التوفيق.

قال أبو محمد: وإذا حصلت الأمر فالحيوان لا يتولد من الماء وحده ولا من الأرض وحدها ولكن مما يجتمع من الأرض والماء معاً فتبارك ا أحسـن الخـالقين لا معقـب لحكمه لا إله غيره عز وجل.

تم السفر الثالث بتمام جميع الديوان من الفصل فـي الملل والآراء والنحل بحمد ا وشكره على حسـن تأييـده وعونه.